مجلـــة
دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

مجلة دراسات في التاريخ والاثار –جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد
العدد (١٠٠) المجلد الاول– ٣١ اذار لسنة ٢٠٢٦

الترقيم الدولي : ISSN:2075-3047
البريد الالكتروني : jasha@coart.uobaghdad.edu.iq

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٥) لسنة ٢٠٠٢

مجلة دراسات في التاريخ والاثار –جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد
العدد (١٠٠) المجلد الاول- ٣١ أذار لسنة ٢٠٢٦
عدد الصفحات : ١١٠٨ صفحة

تصميـــم واخـــراج
عـــلا صالح الجراح

دار ومكتبة كلكامش للطباعة والنشر
بغداد – باب المعظم -شارع المكاتب
07729093707 – 07736558370
ola.algarah88@gmail.com

رئيس التحرير :أ.د. منذر علي عبد المالك

مدير التحرير : أ.م.د. احمد ناطق ابراهيم

اعضاء هيئة التحرير

ا.د. محمود عبد الواحد القيسي كليـــــة الآداب / جامعــة بغـداد

أ.د. عـــادل شـــابث جابـــر كليـــــة الآداب / جامعــة بغـداد

أ.د. قصـــي صبحـــي عبـــاس كليـــــة الآداب / جامعــة بغـداد

أ.د. عبد الرحمن فرطوس حيدر كليـــــة الآداب / جامعــة بغـداد

أ.د. وســـن سعيـــد عبـــود كليـــــة الآداب / جامعــة بغـداد

أ.د. سجـــى مؤيد عبد اللطيف كليـــــة الآداب / جامعــة بغـداد

أ.د. ميثـــم عبد الكاظم جـواد كليـــة الآداب / جامعـــة بغـــداد

ا.د. اوســـــام بحـــر جـرك كليـــــة الآداب / جامعــة بغـداد

أ.د. ماجـــدة حســو منصـــور كلية التربيـــة / جامعة المستنصرية

أ.د. فاضـــل مهـــدي بيـــات تركيـــــا منظمـــــة ارســـــيكا

أ.د. حســـــين القهـــــواني الادرن /الجامعـــــة الاردنيـــــة

أ.د. مارجرتنـــا فـــان أيـــس المانيـــا/ معهـــد الاثـــار الالمـــاني

أ.د. والـــــتر زالابيرجـــــر المانيـــــا/ جامعـــــة ميـــــونخ

أ.د. بـــــيتر ميكلـــــوس المانيـــــا/ جامعـــــة هايـــــدلبر

أ.م.د. صلاح الدين محسن زاير كليـــــة الآداب / جامعــة بغـداد

أم.د. فـــاروق محمـــد علـــي كليـــــة الآداب / جامعــة بغـداد

أ.م.د. بشـــرى عنـــاد محمـــد كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

مدقق اللغـــة العربيـــة: م.د . سهـــاد مـــازن فائـــق

مدقق اللغة الانكليزية: م.د. علياء عبد الحسين ناصر

شروط النشر في المجلة

١. ان تتضمن الصفحة الاولى من البحث مايأتي:
   أ. عنوان البحث باللغتين الانجليزية والعربية.
   ب. اسم الباحث باللغتين الانجليزية والعربية ، وشهادته العلمية ، ومؤهلاته، وتخصصه العلمي ومكان عمله.
   ج. البريد الالكتروني الرسمي للباحث ورقم الهاتف.
   د. ملخصان احدهما باللغة العربية والاخر باللغة الانجليزية وحجم الخط(١٢) .
   هـ. الكلمات المفتاحية (الدالة) للبحث باللغتين العربية والانجليزية.
٢. ان يتم طباعة البحث بواسطة الكومبيوتر باستخدام Microsoft Office Word 2010 ان يتم تزويد هيئة التحرير بنسخة الكترونية من البحث بوصفه مجلداً واحداً فقط ؛ ولا يمكن تقسيم البحث على اكثر من مجلد.
٣. ضرورة توثيق متن البحث بالمراجع (الاقتباسات) على وفق نظام (APA)
٤. ان لا يزيد عدد صفحات البحث عن ٢٥ صفحة حجم (A4).
٥. على الباحث دفع رسوم النشر المحددة.
٦. ان يكون البحث خالياً من الاخطاء اللغوية والنحوية والكتابية.
٧. يجب ان تتم طباعة البحث باستخدام برنامج Microsoft Office Word 2010 ووضع المخططات والاشكال ان وجدت في المكان المناسب للبحث وان تكون جيدة من الناحية الفنية للطباعة. وان لايتم تضمين الرموز في داخل البحث.

٨. ان يلزم الباحث بانواع واحجام الخطوط كما ياتي:

أ. العربية (Simplified Arabic) حجم الخط (١٤).

ب. اللغة الانجليزية (Times New Roman) حجم الخط (١٦) الملخص خط (١٢) . يجب ان تكون جميع صفحات البحث الاخرى الخط (١٤) .

ج. استخدام معالج النصوص في داخل البرنامج Microsoft Office Word.

٩. اخطار الباحث المجلة اذا لم يكن البحث مناسباً للنشر في مدة لاتزيد عن شهرين من وقت وصله الى المجلة.

١٠. يلتزم الباحث بالتعديلات التي يقوم بها الخبراء في البحث على وفق التقارير المرسلة اليه . ويجب اجراؤها في مدة لاتتجاوز(١٥) يوم.

١١. تضاف قائمة اخرى للمصادر مترجمة للغة الاتينية غير مرقمة على وفق نظام (APA) ومرتبة ترتيباً ابجدياً .

١٢. ملء الاستمارة الخاصة بـ (اتفاقية التلخيص لحقوق الطبع والنشر)والخاصة بمجلة دراسات في التاريخ والاثار.

١٣. التقديم يكون عبر الموقع الالكتروني للمجلة : jasha@coat.uobaghdad.edu.iq بعد التسجيل في الموقع ثم رفع طلب للنشر.

- **لاتنشر البحوث التي لا تطبق هذه الفقرات.**

رئيس التحرير

فهرس العدد (١٠٠) المجلد الاول

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
١.	الأوضاع الصحية في العراق ١٩٣٠- ١٩٣٩ (دراسة تاريخية)	أ.د. حيدر حميد رشيد	٣-٥٢
٢.	الجوانب العسكرية في كتاب تاريخ لابن ابي الدم	م.م علاء محمد الزيدي	٥٣-٧٤
٣.	الطهارة الطقوسية في اليمن القديمة	رسل فيصل فرهود سلمان أ.د. عادل شابث جابر	٧٥-٩٨
٤.	سدني غوتلب ودوره في تطوير طرق الاستجواب والاغتيال في وكالة المخابرات المركزية (١٩١٨-١٩٩٩)	م.د. عمر المختار علاء جاسم محمد	٩٩-١٤٤
٥.	كليسثينس وإرساء أسس الديمقراطية في أثينا (٥٠٨ – ٤٩٢ ق.م) (دراسة تاريخية)	أ.م.د. خالد ناجي سوادي الكريماوي	١٤٥-١٧٤
٦.	المجالس العلمية للوافدين الى مصر دراسة في ضوء كتاب المقفى الكبير للمقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)	أ.د .عبير عنايت سعيد م.م. مولود صلاح رزيج	١٧٥-٢٠٢
٧.	البعثات والارساليات المسيحية إلى الأراضي المغولية -دراسة تاريخية	م.د عثمان نوري ثامر م.د عدنان عباس شاكر	٢٠٣-٢٢٦
٨.	مدن مرو واثارها الحضارية , سنج انموذجاً , دراسة تاريخية	أ.م. د. سماح نوري فاضل	٢٢٧-٢٥٤
٩.	الاضطهاد القومي في تركيا (١٩٢٣-١٩٣٨) الاكراد نموذجاً	م.م. ايمان عدنان خلف	٢٥٥-٢٧٢
١٠.	المصالح الامريكية في بحر الصين الجنوبي: قراءة تاريخية بين حرية الملاحة وموازنة النفوذ الصيني ١٩٤٨-٢٠١٥	م.د مريم عبدعلي حمدان	٢٧٣-٣١٢
١١.	أثر التوجيهات الشفاهية للحاكم بأمر الله الفاطمي	أ.م.د. طه حسين عيسى	٣١٣-٣٢٨
١٢.	أثر الفولانيين في جنوب غرب الصحراء الافريقية (دراسة تأريخية)	م . م نورس فلاح حسن م. م ولاء لعيبي جلاب	٣٢٩-٣٧٤
١٣.	إسهامات الرحالة العرب والمسلمين بعلوم البحار من القرن الثاني الى القرن السابع الهجري	أ.م.د. احمد نشمي جياد العلياوي	٣٧٥-٤٠٠

١٤.	أضواء على أسماء السنين من عهد الملك شولگي (٢٠٩٤-٢٠٤٧ ق.م)	مصطفى شهم كمال أ. خالد سالم إسماعيل	٤٠١-٤٢٤
١٥.	الأَجير في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية	م.د حنين عبد الغني جاسم	٤٢٥-٤٤٦
١٦.	الامكانات العلمية لأبناء الخلفاء العباسيين	جميلة فارس عبد الواحد النوري أ.د. أنيسة محمد جاسم المشهداني	٤٤٧-٤٨٠
١٧.	الأوضاع العامة في نجد بعد سقوط الدولة السعودية الأُولى (١٨١٨ – ١٨٣٤م)	أ.د. نغم طالب عبد الله محمد	٤٨١-٥٢٠
١٨.	التحولات الإقتصادية في إنكلترا خلال عهد الملك ريتشارد الثاني (١٣٧٧- ١٣٩٩)	سجى جمهوري حميد أ.م.د ابتسام سلمان سعيد	٥٢١-٥٤٨
١٩.	التحولات السياسية ومسار الحكم في ساحل العاج من السيطرة الفرنسية الى الاستقلال ١٩٦٠	م.م عذراء عباس جاسم	٥٤٩-٥٨٠
٢٠.	التنوع اللغوي والديني للأكراد في المشرق الإسلامي (٢٣٠-٦٥٦هـ/٨٤٤-١٢٥٨م)	أحمد داود خضير أ.د.علي حسن غضبان	٨٥١-٦٠٢
٢١.	الجوائح في الفقه الاسلامي من خلال كتاب الآبي اكمال كمال المعلم	نور الزهراء طارق صادق أ.م.د غنية ياسر عبدالله	٦٠٣-٦١٨
٢٢.	الخدع والكمائن المتبادلة بين الصليبيين والمسلمين عهد صلاح الدين الايوبي	زهراء عقبة نافع ا.د عباس عبد الستار	٦١٩-٦٥٤
٢٣.	الدور الفكري لعلماء المشرق الإسلامي من خلال كتاب " تاج التراجم " لأبن قطلوبغا (ت٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)	أ.د. زينب مهدي رؤوف أ.د. علي حسن غضبان	٦٥٥-٦٨٨
٢٤.	السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام في المصنفات المغربية والأندلسية -دراسة تاريخية	م.د هيفاء اعليوي امحيسن	٦٨٩-٧١٠
٢٥.	أثر الشعر في توجيه الولاءات إبّان عصر الطوائف	م. م محمد فاتح ابراهيم عبد الهادي أ.د. يحيى محمد علي	٧١١-٧٣٢
٢٦.	الصراع المذهبي في الدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ/٨٢٠-٨٧٢م)	منتهى كاظم حياوي أ.د. رحيم خلف عكلة	٧٣٣-٧٦٢
٢٧.	العلامات المائية ذات الرموز الدينية على الورق الأوروبي في مقتنيات المكتبة المركزية بجامعة صلاح الدين بأربيل: دراسة تحليلية لدلالاتها(نماذج مختارة)	د. ئاوات ابراهيم خضر	٧٦٣-٧٨٦

٢٨.	التطور التاريخي للكمارك في بلاد فارس للمدة ١٨١٣-١٩٢٥م	م.م. انور محسن اسماعيل ابراهيم	٧٨٧-٨١٠
٢٩.	الملابس في ضوء الادلة الاثرية (نماذج مختارة) من بلاد الر افدين	أ.م.د.خناو محمد محمود أ.د. نعمان جمعة ابراهيم	٨١١-٨٤٠
٣٠.	الملك ايبق- ادد الثاني ودوره في نهضة مملكة اشنونا	الاء عدنان صابر ا.د. حسنين حيدر عبد الواحد	٨٤١-٨٦٢
٣١.	الموقف الألماني من الحرب الروسية الأوكرانية ٢٠١٤–٢٠٢٣: دراسة تحليلية	م.م هاجر طالب كاظم	٨٦٣-٨٨٨
٣٢.	الموقف الانجلو- تركي من بعض القضايا العربية والاقليمية في الوثائق البريطانية (١٩٨٠- ١٩٩٠)	م. د احمد حجي إبراهيم الريكاني م.د. إدريس حسين رشيد	٨٨٩-٩٢٠
٣٣.	الموقف الرسمي لدول مجلس التعاون الخليجي من التسلح النووي (الاسرائيلي) ١٩٩١-٢٠١٥م (دراسة تاريخية)	أ.م.د. عبدالرزاق خليفة رمضان اللهيبي	٩٢١-٩٤٨
٣٤.	اهمية ودلالة القاب العلماء والشعراء في الدولة الفاطمية ٣٥٨ – ٥٦٧هـ/ ٩٦٩ – ١١٧١م	موفق طالب جواد الطائي أ.م.د. الاء حماد رجه	٩٤٩-٩٧٤
٣٥.	بعض مظاهر التدهور في المجتمع المغربي من خلال نوازل ابن هلال المتوفى سنة (٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م)	م.م هبه احمد عبد النبي السامرائي أ.د مقتدر حمدان عبد المجيد الكبيسي	٩٧٥-١٠٠٨
٣٦.	تراكم الثروة وحسن التدبير الإسلامي	م.د. زهراء سعيد فاضل العبيدي	١٠٠٩-١٠٢٨
٣٧.	اتفاقية أوسلو والردود العربية عليها	حنين طارق محمد أ.م.د. إياد عايش محمد	١٠٢٩-١٠٦٦
٣٨.	تدمير بابل على يد سنحاريب و أثره على البابليين	م.م. ارجوان لؤي غانم	١٠٦٧-١٠٨٦
٣٩.	**Archaeological and heritage sites in Najaf Governorate: their importance and potential for tourism development**	A.M. Dr. Alaa Hussein Jassim Al-Lami	١٠٨٧-١٠٩٨

الأوضاع الصحية في العراق

١٩٣٠- ١٩٣٩

((دراسة تاريخية))

أ.د. **حيدر حميد رشيد**

جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات/ قسم التاريخ

الأوضاع الصحية في العراق ١٩٣٠- ١٩٣٩((دراسة تاريخية))

أ.د. حيدر حميد رشيد

الملخص:

تكتسب دراسة الأوضاع الصحية في العراق أهمية كبيرة، لإكمال أبعاد صورة الأوضاع الاجتماعية في العراق، وهي لا تقل أهمية عن دراسة أوضاعه السياسية والاقتصادية، ولا سيما إذا علمنا إن الواقع الصحي لأي بلد يرتبط بواقعه السياسي والاقتصادي والاجتماعي من جميع الأوجه، حتى إن الواقع الصحي يصح أن يتخذ مقياساً معبراً لتحديد طبيعة وتوجهات أي نظام سواء كان سياسياً أم اقتصادياً أم اجتماعياً.

يساعد مضمون البحث على حصر الجوانب السلبية للأوضاع الصحية في غضون المدة الممتدة بين عامي ١٩٣٠ و ١٩٣٩ بصورة مركزة في عدم توفر الإمكانات الضرورية لاجتثاث شأفة معظم الأمراض المتوطنة في البلاد أو تلك الوافدة إليها من البلدان المجاورة. ومما يؤخذ أيضاً عن ذلك العهد في هذا المجال في نطاقه الأوسع هو أن النظام لم يولِ الصحة والتعليم ما كان يوليه أجهزة القمع والحماية من اهتمام، مما كان يحول من دون إيجاد قاعدة صحية قوية بوسعها أن تنوء بالمهمات الكبيرة الملقاة على عاتقها.

الكلمات المفتاحية: مديرية الصحة العامة، الكلية الطبية الملكية، الملاريا، البلهارزيا

Abstract:

Studying the health situation in Iraq is of great importance to complete the picture of the social conditions in Iraq. It is no less important than studying its political and economic conditions, especially since the health reality of any country is linked to its political, economic, and social reality in all aspects. Indeed, the health situation can be used as an expressive measure to determine the nature and orientations of any system, whether political, economic, or social.

The content of the research helps to focus on the negative aspects of the health situation during the period between 1930 and 1939, specifically the lack of necessary resources to eradicate endemic diseases in the country or those imported from neighboring countries. It is also noted that during that era, in its

broader scope, the regime did not give health and education the same attention it gave to the apparatus of repression and protection, which prevented the establishment of a strong health base capable of shouldering the great tasks placed upon it.

المقدمة :

تكتسب دراسة الأوضاع الصحية في العراق أهمية كبيرة، لإكمال أبعاد صورة الأوضاع الاجتماعية في العراق، وهي لا تقل أهمية عن دراسة أوضاعه السياسية والاقتصادية، ولا سيما إذا علمنا إن الواقع الصحي لأي بلد يرتبط بواقعه السياسي والاقتصادي والاجتماعي من جميع الأوجه، حتى إن الواقع الصحي يصح أن يتخذ مقياساً معبراً لتحديد طبيعة وتوجهات أي نظام سواء كان سياسياً أم اقتصادياً أم اجتماعياً.

على الرغم من دخول العراق عصبة الأمم في الثالث من تشرين الأول ١٩٣٢ ونيله استقلاله، وإن كان شكلياً، ألا إنه في الواقع ظلت عملية التغيير الاجتماعي والاقتصادي فيه تسير ببطء بما في ذلك الأوضاع الصحية في العراق أبان تلك المرحلة، ويمكن القول أنَّ مرحلة ثلاثينيات القرن الماضي يمكن عدَّها مرحلة استكمال صيرورة بناء كيان العراق الصحي، ولاسيما في مجال تشييد المؤسسات الصحية العلاجية والتعليمية وتهيئة الملاكات الطبية لها، وفي كل الأحوال إن التطور الذي حصل في ثلاثينيات القرن العشرين لم يكن بوسعه الحد من تفشي الأمراض أو توافر الخدمات الصحية للسكان على نحو مرضٍ.

لمحات عن تحولات الإدارة الصحية والمؤسسات الصحية في عهدي الاحتلال والانتداب:

أدركت سلطات الاحتلال البريطاني بعد مدة وجيزة من احتلالها لمدينة البصرة بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ ضرورة الاهتمام بتطوير الخدمات الصحية بسبب ما واجهته قواتها من ظروف مناخية غير مألوفة لديها من جهة، وظهور العديد من الإصابات المرضية بين أفرادها من جهة أخرى(١).

وقبل أن تضع الحرب العالمية الأولى أوزارها بمدة قصيرة انتقلت سلطات الاحتلال البريطاني من مرحلة تقديم الخدمات الصحية إلى مرحلة الاهتمام بتنظيم الإدارة الصحية أيضاً، ولاسيما بعد أن وجدت أنَّ عمل المؤسسات الصحية التي أقامتها لم تكن مترابطة بعضها ببعض بسبب افتقارها إلى إدارة مركزية لتنظيم شؤونها. ولغرض تنظيم عمل الخدمات الصحية، شكلت في الجيش البريطاني إدارة للصحة المدنية أسندت مسؤولية

تنظيمها إلى طبيب عسكري بريطاني هو الكولونيل باتي (**Batty**) الذي عين في الثالث عشر من آب ١٩١٨ رئيساً إدارياً للقسم الطبي الملحق بدائرة الأمور الصحية للجيش البريطاني في العراق. وفي الأول من آذار عام ١٩١٩ قامت سلطات الاحتلال البريطاني بتحويل القسم إلى ((**سكرتارية للصحة**))[٢]، وبعد أن شكل عبد الرحمن النقيب وزارته الأولى بتاريخ ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠، أصبح للتعليم والصحة وزارة سميت ((**وزارة المعارف والصحة**))[٣]، وبعد أن توج الأمير فيصل ملكاً على العراق في ٢٣ آب ١٩٢١ وأعلن قيام الحكم الملكي في البلاد، أجريت تغييرات إدارية كانت حصة الصحة أن أصبحت وزارة قائمة بذاتها، وقد عين الدكتور حنا خياط[٤]، أول وزير صحة في العراق[٥]. إلا أن الوزارة ألغيت في ٨ حزيران ١٩٢٢ إثر تعرض البلاد إلى أزمة مالية ، إذ تم تحويلها إلى مديرية عامة باسم ((**مديرية الصحة العامة**)) وألحقت بوزارة الداخلية، وبقيت على هذا الحال حتى عام ١٩٣٩. ففي ذلك العام تشكلت وزارة الشؤون الإجتماعية وألحقت مديرية الصحة العامة بها[٦].

على الرغم من الصعوبات التي اعترضت عملية التطور الصحي، إلا أن ما تحقق في هذا الميدان في عهد الانتداب أمر لايستهان به إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار جميع ظروف الزمان والمكان. ففي ذلك العهد وضعت اللبنات الأولى للخدمات الصحية بأسلوب عصري، مما تتطلب إصدار عدد كبير من القوانين الصحية انسجاماً مع المنهاج الذي سبق أن وضعته وزارة الصحة. منها على سبيل المثال، ((**قانون التلقيح ضد الجدري**)) عام ١٩٢٢ و ((**قانون الأمراض العفنة**)) عام ١٩٢٦ وغيرها[٧]. واستحدثت في ذلك العهد أيضاً عدد من المستشفيات منها ((**مستشفى تذكار مود**)) وأعيد فتح ((**مستشفى السليمانية الملكي**)) عام ١٩٢٥ بعد أن كان مغلقاً لمدة عام ونصف بسبب تردي الوضع الأمني في المدينة، وانتهت في منتصف السنة المالية ١٩٢٤-١٩٢٥ أعمال توحيد المؤسسات الصحية في بناية واحدة هي بناية المستشفى الملكي الكائن في باب المعظم[٨].

يلاحظ الشيء نفسه بالنسبة لعدد الأطباء فقد ارتفع عدد العاملين منهم لدى مديرية الصحة العامة من (٦٥) طبيباً في العام ١٩٢٢ إلى (٢٤١) طبيباً في العام ١٩٣٢ وكان (٨١) منهم من العراقيين، ويلاحظ الشيء نفسه بالنسبة للصيادلة فقد بلغ عددهم في كل

العراق (١٩٣٢) فقط (٥٧) صيدلياً، وبلغ عدد المضمدين (١١٥) مضمداً مسجلاً و (٧٥) مضمداً مستخدماً عام ١٩٣٢، مقابل (١١) مضمداً و (٧٥) مستخدماً من العراقيين عام ١٩٢٢ ، ودربت إدارة الصحة (٢٥٠) ممرضة عراقية و (٦٥) قابلة يحملن شهادة، فضلاً عن (٨٠) مفتشاً صحياً[٩].

وفي كل الأحوال أن التطور الذي حصل في مضمار الخدمات الصحية خلال تلك المرحلة لم يوفر المستلزمات الضرورية لمواجهة تحديات الأمراض المختلفة التي كانت تفتك بالسكان فتكاً ذريعاً، ولاسيما الوافدة منها **(الكوليرا والطاعون)** لذا لا يبدو غريباً أن تكون نسبة الوفيات في هذه المرحلة عالية في البلاد ولا سيما الريف، فلقد كشفت دراسة أجرتها لجنة تابعة لوزارة الداخلية، أن نحو **(٩٠-٩٥%)** من أطفال الفلاحين كانوا يموتون بعد مدة قصيرة من ولادتهم[١٠]. وقد كان أمراً طبيعياً أن تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الخدمات الصحية في العراق بعد نيله الاستقلال في الثالث من تشرين الأول ١٩٣٢، وبعد أن بدأ لأول مرة يتمتع بموارد ثروته النفطية لتغطية نفقاته مما مكنه من تخصيص مبالغ أكبر في ميزانية الدولة للأمور الصحية، وكما سنوضح ذلك.

الأوضاع العامة وأثرها في الأوضاع الصحية

- **الأوضاع السياسية :**

شهد العراق أوضاعًا سياسية قلقة منذ دخوله عصبة الأمم في الثالث من تشرين الأول عام ١٩٣٢ وحتى بداية الحرب العالمية الثانية، فقد أحدثت وفاة الملك فيصل في السابع من أيلول ١٩٣٣ فراغاً سياسياً كبيراً، واختلالاً في التوازن السياسي على حد تعبير الدكتور مجيد خدوري الذي يصف تلك المرحلة بقوله : ((**فقد العراق بوفاة فيصل الأول زعامة خطيرة فاقت خطورتها ما كان قد شعر به ساسة العراق آنذاك، إذ كانت زعامته ضرورية لسير الماكنة الحكومية واستقرار الوضع السياسي واضطراد تقدم الامة العراقية، فقد كان [الملك فيصل] حلقة الوصل بين الساسة، والصلة بين سكان المدن والعشائر، ومحور العلاقات العراقية الانكليزية، وعاملاً وسطاً بين القديم والجديد، وموفقاً بين المتطرفين والمعتدلين من الوطنيين، فلما فقده العراق اختل التوازن السياسي، كان الموقف أشد خطورة مما في وسع عاهل جديد أن يتحمله**))[١١].

اتسمت مرحلة عهد الملك غازي بعدم الاستقرار السياسي بسبب قلة خبرته في الشؤون السياسية، فاحتدم الصراع بين معظم ساسته وضباطه القدامى الذين زاملوا الملك فيصل الأول، فضلاً عن دخول فئة محدودة من كبار الإقطاعيين في الصراع، إذ طغت على الساحة أهدافهم الشخصية وأطماعهم في الوصول إلى الحكم، وقد استخدم هؤلاء الأساليب والوسائل كافة لتحقيق مآربهم الخاصة منها استخدام العشائر في السياسة، ثم استعان المتصارعون بقوة أعظم ألا وهي الجيش، لإرغام الوزارة على الاستقالة، فقد شهد العراق في عهده انقلابات وزارية عدة دشنت بانقلاب بكر صدقي عم ١٩٣٦ . وقد انعكس هذا الصراع سلباً على المستوى الحكومي من خلال تبدل الكثير من الوزارات التي شكلت في عهد الملك غازي كانت أقصرها قد دامت أحد عشر يوماً، وهي وزارة جميل المدفعي الثالثة **(٤ آذار ١٩٣٥- ١٥ آذار ١٩٣٥)**، وأطولها عمراً وزارة ياسين الهاشمي الثانية **(١٧ آذار ١٩٣٥ – ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦)** وقد دامت عام ونصف العام [١٢] .

لاشك أن سرعة التبدل الوزاري كان له الاثر الكبير على مناهج الاصلاح والتخطيط الاجتماعي والاقتصادي والصحي والتعليمي التي اتسمت بقدر من التخبط والتكرار والركود، ممّا عرقل عملية النهوض والتقدم إلى الأمام، إذ عملت كل وزارة على إلغاء مناهج سابقاتها ووضع مناهج جديدة، كما حدث على سبيل المثال حين أقدمت وزارة حكمت سليمان عام ١٩٣٦ على إلغاء الخطة العمرانية التي وضعتها وزارة ياسين الهاشمي الثانية وإلغاء وزارة جميل المدفعي الرابعة عام ١٩٣٧ منهاج حكمت سليمان السابقة وهكذا[١٣] .

انعكس ذلك سلباً على واقع مجمل الأوضاع العامة الأخرى، ومنها الوضع الصحي، إذ أن جهود السلطة انصبّت بالدرجة الأساس على العمل على إعادة الاستقرار السياسي والحفاظ على الأمن، مما كان يتطلب تخصيص مبالغ كبيرة من ميزانية الدولة لتجهيز القوات المسلحة والأمن الداخلي من أجل تأدية دورهما المطلوب، وقطعاً أدّى ذلك إلى تأجيل بل إهمال الكثير من المشاريع الخدمة والصحية . ومما زاد من تأثير وطأة الأمور أنّ اقتصاد العراق كان يعاني من مشكلات عدة في أهم مرافقه بوصفه اقتصاداً متخلفاً وتابعاً .

- **الأوضاع الاقتصادية :**

أدّت السياسة البريطانية دوراً خطيراً في جعل الاقتصاد العراقي اقتصاداً متخلفاً وتابعاً لبنية النظام الرأسمالي، وبهذا فقد اتصف الاقتصاد العراقي بكونه بدائياً في أساليبه الموروثة التي كانت تستخدم في عمليات الزراعة والإنتاج والتسويق[١٤] مما جعله اقتصاداً استهلاكياً بالدرجة الأولى[١٥]، وقد جعل خضوع الاقتصاد العراقي، وتبعيته للسيطرة البريطانية من ذلك الاقتصاد أن يعاني بقوة ولأول مرة من وطأة الأزمة الاقتصادية العالمية التي هزّت الدول الرأسمالية في غضون المدة الواقعة بين عامي ١٩٢٩ و ١٩٣٣[١٦]، ولم يطرأ بعد انتهاء الأزمة الاقتصادية العالمية تغييرات جوهرية في القطاعات الأساسية للاقتصاد العراقي، فقد ظلّت الزراعة هي المصدر الرئيس لمعيشة ما يقارب (٨٠%) من سكان العراق بشكل مباشر، معتمدة على الوسائل البدائية السابقة، إذ بقيت مشاكلها ومعوقاتها البارزة على حالها، أبرزها سيادة النظام الإقطاعي وفشل الإجراءات والتدابير للسيطرة على مشكلة الفيضانات وسوء نظام الري وملوحة التربة وجهل الفلاح وتدهور أوضاعه الاقتصادية ونظام ملكية الأراضي الذي كان السبب المباشر في تدهور أوضاع الفلاحين الاجتماعية والثقافية والصحية[١٧] .

اتصف القطاع الصناعي في العراق إبّان المرحلة الممتدة بين نهاية الانتداب البريطاني ونهاية الحرب العالمية الثانية بكونه قطاعاً متخلفاً ومحدود الإنتاج، يتمثل بصورة رئيسة في وجود الحرف والصناعات اليدوية الموروثة باستثناء الصناعات النفطية وذلك يعود إلى جملة أسباب، منها ضآلة رؤوس الموال المستثمرة في قطاع الصناعة، إذ دأب أصحاب رؤوس الأموال إلى توظيف أموالهم في مشروعات زراعية وعقارية وتجارية، وقلة الكوادر الفنية، وضعف تراكم رأس المال، وعدم اتّباع سياسة الحماية الكمركية، وما شابه[١٨]، لذا فإن القطاع الصناعي لم يؤلف رافداً أساسياً من روافد ميزانية الدولة بصورة تؤهله للاضطلاع بمهمات التطوير في شتى الميادين، وفي المقدمة منها التعليم والخدمات الصحية الضرورية.

أدّى انتهاء الأزمة الاقتصادية العالمية إلى حالة الانتعاش في الميزان التجاري بسبب زيادة الطلب على استيراد معدات استثمار النفط الذي بوشر بالعمل في ميدانه منذ أواخر

عهد الانتداب، مما نتج عن ذلك زيادة نفقات شركات النفط على إنشاء مؤسساتها، فارتفع تبعاً لذلك، دخل الدولة منها، إذ أضاف النفط بعد البدء بإنتاجه عام ١٩٣٤ إلى ميزانية مبالغ مالية معدلها السنوي مليون دينار خلال المدة الممتدة بين عامي ١٩٣٦ و ١٩٣٩ مما انعكس ايجابياً على مشاريع الدولة الخدمية[١٩] .

- **الأوضاع الاجتماعية :**

- **البيئة وأثرها على المستوى الصحي في العراق :**

احتفظ المجتمع العراقي في مرحلة دراستنا بطابعه الأسري، إذ كانت الأسرة كبيرة العدد وتضم الآباء والأبناء، والأحفاد، واتسمت مساكنهم في المدن بتصاميم تكاد تكون متشابهة نوعاً ما، تتكون من فناء وسط الدار **(الحوش)** تحيط به الحجرات من جهتين أو ثلاث، وتطل شبابيكها عليه لا على الأزقّة لقلة الأمن من جهة، ولوقاية الدار من الغبار والروائح الكريهة والضوضاء من جهة أخرى، وكانت الغرف مفصولة بعضها عن بعض ، كما أن بعض الدور كانت تحتوي على سرداب فيه هوائيات لتوفير التهوية، ويتفاوت عمقه باختلاف المدن[٢٠] .

يصف هاشم جواد مساكن الطبقة العاملة في المدن، يومذاك، ((**بأنها كانت تعبّر عن حياة الطبقة العاملة، وتعكس مستوى معيشتها، وهي عبارة عن بيوت صغيرة وقديمة، وكثيراً ما تعيش أسرٌ عدة في بيت واحد تحتل كل واحدة منها حجرة فيه، وتشترك جميعها في استعمال مرافقه الاخرى، ويعيش عدد كبير من العمال في الأكواخ والصرائف، أما الأثاث فهو بسيط جداً لا يتعدى بعض التخوت الخشبية، أو الأسرّة من السعف**))[٢١].

ينطبق الشيء نفسه على حالة الفلاح العراقي وقد ورد وصف حالة سكن الفلاح العراقي في تعليق أحد الباحثين على النحو الآتي : ((**كان الفلاح وأسرته ينامون على الطوى، وإن ملأوا بطونهم فلا يجدون ما يأكلون إلاّ أردأ الأطعمة الطابك والمصيص والخريط والخباز ... أما فراشهم فلم يكن لديهم منه ما يقيهم شر البرد القارس ليلاً، إذ كان الكثير منهم لا يجد غير أكداس التبن والبوه، أما بيوتهم، وبالسوء تلك البيوت لا**

تصلح أن تكون زرائب للحيوانات فأنها عبارة عن أكواخ حقيرة من القصب والبردي، أو من سعف النخيل وأغصان الأشجار ...))[٢٢] .

يلخص مدير الصحة العامة آنذاك في رسالة بعثها إلى صحيفة ((**الأهالي**)) حالة مساكن العراقيين في ثلاثينيات القرن الماضي على النحو الآتي : ((**إن من مجموع حوالي نصف مليون دار وكوخ في العراق عام ١٩٣٦ كانت الآلاف منها لا تصلح لسكنى البشر، بل موطن لكل ما يتصوره من حشرات وجراثيم ناقلة للأمراض، وذلك لافتقارها إلى الشروط الصحية))**[٢٣] .

ومما ساعد على زيادة انتشار الأمراض نقص الخدمات الوقائية، إذ كانت قليلة جداً، أما مشاريع مياه الشرب، فكانت تتركز إلاّ في أماكن قليلة، فحتى العام ١٩٤١ كان من مجموع (١١٤) بلدية (٣٤) بلدية فقط تمتلك الكهرباء وإسالة الماء[٢٤] . لذا فأن الكثير من المدن وأغلب القرى كانت تشرب مياه الأمطار في فصل الربيع وكذلك المياه الآسنة المتجمعة في الوديان في فصل الصيف . وهناك وصف لهذه المياه ورد على لسان مدير الصحة العامة من شأنه توضيح مدى أثر المياه غير الصحية على حياة الفرد، ودورها في زيادة انتشار الأمراض، إذ قال : ((**إذا استثنينا العاصمة، وعدداً قليلاً من مراكز الألوية التي استطاعت تأسيس إسالة ماء معقم عندها، فكان سكان العراق الآخرون يشربون نوعاً من الماء كل قطرة منه باستطاعتها أن تكون موضوعاً كدرس من دروس حفظ الصحة العامة، والباثولوجي في مدارس الطب ...))**[٢٥] .

بطبيعة الحال ارتبط جانب أساس من تلك الأوضاع المزرية بالوضع المادي المتردي لأكثرية الناس، ولاسيما أبناء الفئات الاجتماعية الكادحة من عمال وفلاحين وغيرهم.

- **تدهور المستوى المعاشي للعمال والفلاحين :**

على الرغم من دخول العراق عصبة الأمم، وحصوله على استقلاله، إلاّ أنه في الواقع ظلت عملية التغيير الاجتماعي والاقتصادي تسير ببطء، وبناءً على ذلك إن التغيير الذي طرأ على بنية الطبقات الاجتماعية، ولاسيما الكادحة منها، كان محدوداً جداً، ومن أبرزها الطبقة العاملة، فقد ظلت أوضاعها المعاشية متردية بشكل واضح بسبب تعرض العمال لاستغلال متزايد بسبب ضعف إمكانات أصحاب المعامل الذين كانوا يضغطون دون رأفة

على العمال لتحقيق فيض أكبر من الإنتاج على حساب كدهم[٢٦]، فقد ظل العامل يكدح ليل نهار من أجل تأمين الحد الأدنى من مستلزمات العيش الضرورية، وقد أشارت إحصائية رسمية إلى أن دخل الأسرة الشهري للعامل المكونة من خمسة أفراد عام ١٩٣٩ كانت ثلاثة دنانير وثلاث مئة وست وثمانين فلساً[٢٧]، وهو أجر قليل لم يلبِ سوى الحد الأدنى من احتياجاته الضرورية .

لم تكن أحوال الفلاحين بأحسن حال من أحوال العمال، فنتيجةً لاتساع السيطرة الإقطاعية ساءت أحوال الفلاحين بشكل كبير، فازدادت أعمال السخرة المفروضة عليهم، وانتشرت بينهم الأمية والجهل والأمراض المعدية، وفي ظل الاستغلال الإقطاعي السائد كانت حصة الفلاح في تناقص مستمر بسبب التزاماته الإقطاعية، فضلاً عن الضرائب المفروضة عليه، وأدّت الديون دوراً آخر في إفقار الفلاح الذي كان يستهلك على متطلبات حياته اليومية، ولم يكن يوفر شيئاً من هذه الحصة كي يستخدمها بذوراً للسنة القادمة، فيضطر إلى اللجوء إلى المرابين والشيوخ، متعهداً بتسديد القرض من حاصله في نهاية الموسم، لذا ظل الفلاح يدور في حلقة مفرغة من الفقر والفاقة[٢٨] .

مما سبق يعني أن دخْل الفلاح كان واطئاً للغاية، الأمر الذي ترك آثاراً سلبية على مستواهم المعاشي، بحيث أن معظمهم لم يكن بوسعهم الحصول على اللقمة التي تسد رمقهم إلاّ بشق الأنفس، وتؤكد بعض الدراسات بأن(٨٠ – ٩٠%) من تغذية السكان كانت سيئة لا تتوفر فيها المواد التي يحتاج إليها الجسم للحصول على الطاقة الضرورية لأداء جهده العضلي، كما ينقصها الكثير من العناصر التي تكسب الجسم مناعة لمقاومة الأمراض وقسمت تلك الدراسات تغذية الناس في العراق إلى ثلاثة أقسام الأولى الفلاحون الذين كانوا في ((**شبه جوع دائم**)) والثانية العمال وكانت تغذيتهم ناقصة في الأغلب وثالثاً الطبقة الوسطى، وكانت تغذيتها كافية من حيث الكم، إلاّ أنها لم تتوفر فيها الشروط الصحية لعدم احتوائها على المواد الغذائية الضرورية لبناء الجسم[٢٩] .

من المفيد هنا أن نذكر بعض الحقائق التي بيّنتها لجنة التغذية الوطنية المشكلة في العام ١٩٣٧، فلقد جاء في تقرير ((**لجنة الحليب**)) أن سعره اعلى بكثير من إمكانات

الفقراء وأن غشه يكاد يكون عاماً، فضلاً عن أن عملية بيعه تتم بوسائط غير صحية، وأنه في الحقيقة مصدر للأمراض[٣٠] .

أما اللحم فقدر في العام ١٩٣٩ حسب إحصائيات محلات الذبح وسكان مدينة بغداد أنّ ما يخص الفرد الواحد هو أقل من (٦٠) غراماً في اليوم الواحد وهو أقل من المعدل العالمي الذي يبلغ (٧٤) غراماً يومياً[٣١] .

على العموم أن غذاء السواد الأعظم، وفي مقدمتهم غذاء العمال والفلاحين كان بمستوى يعرّضهم إلى حالات سوء التغذية التي تترك بدورها آثاراً سيئة على حالة الفرد[٣٢] .

خلاصة القول أن تدني مستوى الدخل للمواطنين عموماً، والعمال والفلاحين خصوصاً كان سبباً في عدم تمكنهم من الحصول على الغذاء الصحي الذي يجنّبهم الاصابة بالأمراض وأدّى مستوى الوعي المتدني للناس دوراً متمماً لازدياد هذه الظاهرة، فإن العراقيين كانوا يفتقرون يومذاك إلى ما يمكن تسميته بالوعي الغذائي بسبب الجهل الذي ساد بينهم .

إنتشار الأمية والجهل وضعف التعليم :

من المشاكل الاجتماعية الرئيسة التي كان يعاني منها المجتمع في مرحلة دراستنا، كما في عموم العهد الملكي، هي تَفَشي الأمية السائدة في المجتمع العراقي أمية أبجدية وحضارية[٣٣]، وكانت الأمية بين النساء أكثر انتشاراً منها بين الرجال، ويعود ذلك إلى نمط العلاقات والعادات الاجتماعية السائدة آنذاك[٣٤]، وبسبب التفاوت الطبقي جعل التعليم متاحاً لعدد محدود من السكان، وهم أولاد أصحاب الثروة والنفوذ وأثريا المدن، مقابل أكثرية محرومة من حق التمتع بالتعليم بسبب تدهور أحوال فرادها المعيشية . فلم يكن بوسع العمال والفلاحين أن يرسلوا أولادهم إلى المدارس في وقت كان دخلهم الشهري لا يلبي الحد الأدنى من أبسط مستلزمات حياتهم اليومية، لذلك لجأ الفلاح والعامل إلى زج أولادهم في ميدان العمل بدلاً من إرسالهم إلى المدارس، لكي يتعلموا حرفة أو يساعدوا آباءَهم في الحقل[٣٥] .

وكانت البلاد تفتقر أيضاً إلى المؤسسات التعليمية الكافية، فضلاً عن أن غالبيتها كانت عبارة عن بيوت قامت الحكومة باستئجارها من أصحابها، وهي في الواقع لم تكن مستوفية للشروط الصحية، لأن معظمها عبارة عن حجرات صغيرة، رديئة التهوية، قليلة الضياء، شديدة الرطوبة، ومساحاتها ضيقة، أما دورات المياه فيها فأنها لم تكن تسد حاجة

الطلاب، فعلى سبيل المثال كان في إعدادية الموصل، التي هي أفضل حالاً من غيرها، فيها ستة مراحيض صغيرة مخصصة لأكثر من سبعمائة طالب، أي بمعدل مرحاض واحد لكل مئة وعشرة طلاب[٣٦] . لاشك بأن بقاء الأعداد الكبيرة من الطلبة يومياً في نماذج من هذه الأبنية المدرسية غير الصحية كان يؤدي إلى انتشار الأمراض، وخصوصاً المعدية بين طلابها . فقد انتشرت بينهم الأمراض المزمنة والمتوطنة كالملاريا والبلهارزيا وأمراض العيون المختلفة، ولاسيما التراخوما، فضلاً عن أمراض فقر الدم وتسوس الأسنان وغيرها من الأمراض التي كانت تؤلف سبباً مباشراً لانقطاع عدد كبير من الطلاب عن الدراسة، ولفترات متكررة من السنة، أو انقطاعهم نهائياً، وقد لوحظ أن معظم أبناء الطلبة من ابناء الطبقة الفقيرة كانوا هزيلي الأجسام، وظواهر المرض بادية على وجوههم، الأمر الذي انعكس سلباً على قدرتهم العقلية والتعليمية[٣٧] .

تطور المؤسسات الصحية – مرحلة جديدة :

- **مديرية الصحة العامة :**

تشكلت أول وزارة للصحة في حكومة عبدالرحمن النقيب الثانية (**١٢ أيلول ١٩٢١- ١٩ آب ١٩٢٢**) وقد عُيِّن الدكتور حنا خياط أول وزير للصحة في العراق، وبسبب الأزمة المالية التي سادت البلاد بين عامي ١٩٢١ و ١٩٢٢ فقد أدتّ إلى إلغاء وزارة الصحة في الثامن من حزيران ١٩٢٢، إذ تم تحويلها إلى مديرية عامة باسم ((**مديرية الصحة العامة**)) وأُلحقَت بوزارة الداخلية، كما أسلفنا ، وفي الوقت ذاته تم تأسيس ((**مفتشية الصحة العامة**)) التي عهدت إدارتها في بادئ الأمر إلى الكولونيل غراهام (**Graham**) فيما أعقبه بعد مدة قصيرة الميجر هالينان (**Hallinan**) على أثر استقالة الأول[٣٨] .

كان يرأس مديرية الصحة العامة موظف (**طبيب**) بدرجة مدير عام يقوم بواجباته على وفق أحكام القوانين والأنظمة المرعية، والتعليمات التي كان يصدرها وزير الداخلية، وكانت المديرية تتألف في ثلاثينيات القرن العشرين من المقر العام وشعب المعاهد الصحية والوقاية والمحاسبة والذاتية واللجنة الصحية الاستشارية، وقسم العراق من حيث الإدارة الصحية إلى أربع عشرة منطقة صحية، أي على قدر الألوية الموجودة آنذاك وكان كل لواء يدار من رئيس الصحة ويكون هذا الرئيس مسؤول لوائه أمام المدير العام[٣٩] .

المشاريع الصحية :

-المشروع الصحي الأول :

قبيل الانتهاء من منهاج السنوات العشر الصحي، الذي سبق أن وضعته وزارة الصحة في عهد الانتداب، شكلت وزارة الداخلية لجنة صحية عليا برئاسة وزير وعضوية تسعة من كبار الأطباء في العراق، بهدف وضع تقرير شامل يتضمن بحث مشاكل البلاد الصحية، وبعد مباحثات مستفيضة أصدرت اللجنة توصياتها التي أعدت أساساً لمنهج صحي لمدة عشر سنوات، ومن أبرز هذه التوصيات :

أولاً : في مجال مكافحة الأمراض :

١ – المدن :

أ – تقرر بموجب التقرير أن تكون لكل مدينة خارطة ثابتة تخطط من الاختصاصيين .

ب – مراقبة المحال العامة كالأسواق والمطاعم والفنادق .

جـ – إعداد تصميم خاص بالمجازر من قبل الاختصاصيين يكون مستوفياً للشروط الصحية وتعميمه على مناطق البلاد المختلفة .

٢ – القرى :

أ – تخطيط القرى على اساس صحي .

ب – تجفيف المستنقعات قدر الامكان للحد من انتشار الملاريا والانكلستوما والكوليرا .

جـ – إصلاح أوضاع الفلاحين الاجتماعية .

ثانياً : الطب الشافي :

١ – احتواء كل مستشفى من الدرجة الأولى عدد من الأسرّة لمستشفيات الدرجة الأولى ما بين (٢٥٠ – ٣٠٠) سرير، وأن يتراوح عدد أسرّة الدرجة الثانية ما بين (١٥ – ٢٠) سريراً، وعد المستشفى الملكي في بغداد درجة خاصة وزيادة عدد أسرّتها ليصل إلى (٥٠٠) سرير .

٢ – أن يكون ملاك المستشفيات الدرجة الثانية طبيب مختص بالأمراض الداخلية وآخر للجراحة .

٣ – ينبغي أن تكون في مدن بغداد والموصل والبصرة مستشفى للعزل .

٤ – تأسيس مستوصف خاص لمعالجة مرض التدرن الرئوي وزيادة أعداد المستوصفات في المدن الكبرى .

٥ – تأسيس معزل خاص بمرض الجذام في مكان بعيد عن المدن والقرى[٤٠] .

وفعلاً تم تطبيق بعض هذه التوصيات في العهد الملكي بما في ذلك في مرحلة دراستنا، ولاسيما فيما يتعلق بزيادة عدد أسرِّة المستشفيات، وتأسيس عدد من المستوصفات والمستشفيات الجديدة في شتى أنحاء العراق بغض النظر عن إلغاء المنهاج نفسه الذي تحول، مع ذلك، إلى أساس مهم لجميع المشاريع اللاحقة .

- المشروع الصحي الثاني :

بعد صدور المنهاج الوزاري لوزارة ياسين الهاشمي الثانية (**١٧ آذار ١٩٣٥ – ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦**) في الخامس من تموز من عام ١٩٣٥ وجّهت سكرتارية مجلس الوزراء كتاباً إلى وزارة الداخلية بتاريخ الثامن من تموز ١٩٣٥ بصدد ((**التهيؤ لتنفيذ ما ورد في المنهاج الوزاري فيما يتعلق بالجانب الصحي**))، على اثر ذلك أصدر وزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني أمراً يقضي بتأليف لجنة استشارية دائمية . برئاسة مدير الصحة العامة ((**للنظر في تحسين الوضع الصحي في العراق في ضوء ما ورد في المنهاج الوزاري**))[٤١] . وقد وضعت اللجنة المشكلة برئاسة الدكتور حنّا خيّاط وعضوية خمسة من كبار الأطباء منهاجاً صحياً جديداً لمدة خمس سنوات استند على الأسس الآتية :

١ – رفع المستوى التهذيبي من خلال استقدام اختصاصيين للكلية الطبية الملكية العراقية، وتوسيع مختبراتها ونطاق التطبيقات في المستشفى الملكي في بغداد وزيادة عدد الطلبة المقبولين في الكلية، ورفع مستوى مدرستي موظفي الصحة والممرضات وزيادة عدد الطلاب المقبولين فيهما وزيادة أعداد المستشفيات والمستوصفات وإنشاء مصحين للمصابين بمرض التدرن الرئوي وإكمال تجهيز المستشفيات الكبيرة في المدن الرئيسة، وتأسيس ملجأ للمجذومين في لواء العمارة وأخيراً ((**تشديد الرقابة على المناطق الحدودية للحيلولة دون تسرب الأمراض إلى داخل العراق**))[٤٢] .

جاء المنهاج الصحي الجديد طموحاً، بدوره انطوى على أفكار واقعية لمعالجة أهم مشكلات الواقع الصحي في العراق، لكن وضع المنهاج شيء وتطبيقه شيء آخر تماماً، إذ أن تطبيق المنهاج يحتاج إلى مستلزمات عدة لم يتوفر الحد الأدنى منه في العراق يومذاك، خصوصاً فيما يتعلق بالإمكانات المادية فإن ما خصص وصرف لتنفيذ أهم فقرات المنهاج كان متواضعاً إلى حد واضح[٤٣] . ولا تعتبر تطبيقاً عملياً حتى قبل سقوط وزارة ياسين الهاشمي الثانية في ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦.

- ميزانية الصحة :

يتضح من خلال استقراء الأوضاع الاقتصادية في المدة موضوع البحث ١٩٣٠ – ١٩٣٩، بأن واقع الدخل القومي قد ترك آثاره المباشرة على المستوى الصحي في العراق، إذ من البديهي، أن التخصيصات المالية تُعَدُّ من العوامل الأساسية في توفير الخدمات الصحية في أي بلد ما، فإن الرغبة ووضع البرامج الطموحة وحدها من دون أن تعرف بإمكانات مالية، إذ أن حجم الإنفاق في القطاع الصحي هو المعيار الذي يمكن أن نقيس من خلاله الجهود المبذولة للنهوض بمستوى القطاع، والجدول الآتي يوضح نسبة ميزانية الصحة بين عامي ١٩٣٢ – ١٩٣٩ إلى الميزانية العامة بالدينار العراقي .

جدول رقم (١): يوضح ميزانية مديرية الصحة العامة للسنوات ١٩٣٢ – ١٩٣٥ ونسبتها إلى الميزانية العامة بالدينار العراقي[٤٤] .

السنة	الميزانية العامة	ميزانية الصحة	النسبة المئوية
١٩٣٢	٣٥٦٧٨٩٨	١٨٨٣٧٣	%٤,٩
١٩٣٣	٣٥٧١٢٤٣	١٩٩٨١٥	%٥
١٩٣٤	٣٧٦٤٩٠٤	٢١٠٠٤٥	%٥,٨
١٩٣٥	٣٨١٣١٩٧	٢٢٨٠٣٦	%٥,٥
١٩٣٦	٤٤٩٤٤٩٦	٢٦٥٩٢٠	%٦
١٩٣٧	٤٧٢٧٣٣٥	٣١٦٩٤٠	%٦,٧
١٩٣٨	٥١٦٩٤٠٢	٣١٥١٥٢٠	%٦,٨
١٩٣٩	٥٤٦٩٨١٣	٣٢٥٠١٠	%٤,٢

من ملاحظة الجدول في الاعلى يتبين أنه بالرغم من أن هناك زيادة في ميزانية الصحة، في بعض الأحيان، إلاّ أنها كانت متواضعة قياساً بالمهمات المناطة بالإدارة الصحية، مما كان يجعل من الصعوبة بمكان إيجاد قاعدة صحية في البلد قادر على النهوض بالواقع الصحي، إذ لم تخصص الحكومة لمشاريع الصحة في المدة الممتدة بين عامي ١٩٣٢ و ١٩٣٩ سوى (**٥,٦١%**) من مصروفات الميزانية، في حين بلغت مخصصات وزارة المعارف ١٠,٦% في المعدل[٤٥] ومخصصات الجيش (**٢٢,٦٧%**) ارتفعت إلى (**٣٠,٩١%**) في العام ١٩٣٩، أي أن نحو ثلث المبالغ المخصصة للصرف في الميزانية كلها كانت تذهب إلى الجيش[٤٦] .

بحكم هذا الواقع فإن الإدارة الصحية لم تتمكن من تجاوز مشكلات الخدمات الصحية في البلاد، ولاسيما المناطق الريفية التي لم تحط بنفس المستوى من الاهتمام الذي حظيت به المدن، ومن أجل التوضيح نشير إلى نصيب الريف من ميزانية الصحة، إذ كان (**١٣,٦٥%**) من مجموع المبالغ المخصصة للصحة، أي بمعدل (٥٧,٥) فلساً للفرد الواحد[٤٧]، في حين كان نصيب المدينة(**٨٦,١٤%**) من مجموع ميزانية الصحة، أي بمعدل(**٥٦٤١٤٠**) فلساً للفرد الواحد .

إن هذا التباين قد جعل المناطق الريفية تعيش في ظل أوضاع صحية متدهورة أكثر بكثير من الأوضاع الصحية من المدن، ولا ينكر أن القيِّمين على الشؤون الصحية كانوا يبذلون كل ما بوسعهم من أجل تطوير المؤسسات الصحية الموجودة في العراق .

تطور المؤسسات الصحية العلاجية (المستشفيات والمستوصفات) :

أولاً : المستشفيات :

تُعَدُّ المستشفيات من أهم المؤسسات الصحية التي تمكن الإدارة الصحية من تقديم خدماتها بصورة طبيعية، إلاّ أن البلاد ظلت تعاني، منذ تكوين الحكم الوطني وحتى نهاية الحكم الملكي، من نقص كبير في التشكيلات الصحية، ولاسيما فيما كان يخص المستشفيات إذ كان من بين الأسباب الرئيسة لذلك انفراد الحكومة منذ تكوينها بتشييد هذه المؤسسات، وإدامتها بدون أن تساهم معها في الأمر جمعية ما رسمية كانت ام أهلية[٤٨].

أستهلّت الإدارة الصحية بواكير نشاطها بعد الاستقلال بالمباشرة بتشييد مستشفى خاص بمرضى الجذام، على أرض زراعية في لواء العمارة، إلاّ أن العمل توقف في هذا المشروع في مستهل عام ١٩٣٨ بسبب عدم تخصيص المبالغ اللازمة لإنجازه ولم يتم إنجازه، إلا في أواخر عام ١٩٣٨[٤٩] . بسعة (١٨٠) سريراً وهو المستشفى الوحيد في العراق التي قُبل فيها المجذومين من سائر أنحاء البلاد[٥٠] .

ولدعم مديرية الصحة العامة في تطوير المؤسسات الصحية، صادقت وزارة المالية في السابع من تشرين الثاني ١٩٣٣ على تخصيص المبالغ اللازمة لإنشاء مستشفى العزل الجديد في البصرة وقد حدّد المستشفى بالقرب من ((**مستشفى تذكار مود**))، وقد تم الانتهاء من العمل به عام ١٩٣٧ وقد بلغ عدد أسرَّته (١٣٢) سريراً حتى العام ١٩٣٩ [٥١] .

وفي العام ١٩٣٦ أُستحدثت مستشفى أخرى لمعالجة الأمراض الزهرية ليحل محل المستوصف الذي كان يقوم بهذه المهمة، فضلاً عن ذلك أُقيمَت مستشفيات أخرى في البصرة، منهما اثنتان عائدتان إلى ميناء البصرة، إحداهما في المعقل، والأخرى في الفاو والمستشفى الثالث في قضاء القرنة[٥٢] .

شهد أواخر شهر تشرين الأول من العام ١٩٣٦ أفتتاح مستشفى الكرخ الجديد، وهو مستشفى عام أستغرق العمل لإنشائه قرابة العام بسعة (١٢٠) سريراُ، وقد أضحى هذا المستشفى واحداً من مستشفيات البلاد المهمة، ولاسيما أن إنشاءها إستهدف تقديم الخدمة الطبية لأهالي الكرخ من جهة وتخفيف وطأة الازدحام في المستشفى الملكي في جانب الرصافة من بغداد من جهة أخرى[٥٣] .

وفي العام ١٩٣٦ افتتحت العديد من المستشفيات في أقضية تلعفر وحلبجة والسماوة وسامراء ومدينة كربلاء[٥٤] وهي مستشفيات صغيرة لا يزيد ملاكها في الغالب عن طبيب واحد ومعاون صيدلي ومضمدين[٥٥] . وفي أدناه جدول يبين أعداد المستشفيات والأسرّة في عدد المرضى الداخلين وعدد العمليات الجراحية في العام ١٩٣٧ .

جدول رقم (٢): يبين عدد المستشفيات والأسرّة والعمليات الجراحية الصغرى والكبرى موزعة حسب الألوية في العام ١٩٣٧[٥٦] .

اللواء	عدد المستشفيات	عدد الأسرّة	عدد المرضى الداخلين	العمليات الجراحية	
				الكبيرة	الصغيرة
بغداد	٩	١٣٢٥	١٦١٧١	٤٥٧٦	٢٣٦٧
البصرة	٦	٥١١	٦٤٤٤	٩٨٧	٤٦٩١
الموصل	٢	١٣٦	٤١١٣	٨٠٠	٥٣٩
العمارة	٢	٤٤	٤٨١	٢٦	١٩٨٣
اربيل	١	٣٠	٥١٩	٩٩	١٠٦
الديوانية	٣	٥٢	١٧٢٤	٢٨١	١٥٤٩
ديالى	٢	٤٠	٤٢٤	٢	٩١٥
الرمادي	١	٢٥	٦٠٤	٢٤	٩٦٦
الحلة	١	٣٠	٩٠٤	١١٣	٥١٩
كربلاء	٢	١٣٠	١٧٥٣	١٦٥	١١٨٥
كركوك	٢	١٠٩	٢٠٧١	١٠٩	١٥٩٨
الكوت	١	٢٤	٣٣٣	٩٥	٢٠٩
المنتفك	١	٧٤	٩٣٠	٤١	٦٣١
السليمانية	١	٤٢	٦٥٥	١٢٢	٥٢٨١
المجموع العام	٣٤	٢٥٦٥	٣٧١١٦	٧٥٢٠	١٧٧٧٨

يتضح من خلال ملاحظتنا للجدول المار الذكر، أن العراق كان يضم (٣٤) مستشفى في العام ١٩٣٧، وفي الواقع أن من بين هذا العدد كان هنالك مستشفى وأحد مستشفيان مما يصح أن يطلق عليه المستشفى الكامل العدة، هما المستشفى الملكي في بغداد ومستشفى الكرخ على حد قول أحد المتخصصين في مجال الصحة العامة[٥٧] . والأول كان يُعَدُّ أكبر وأهم مؤسسة صحية علاجية وتعليمية بلغت عدد أسرّة المستشفى (٥٤٤) سريراً، وهو الأعلى من بين المؤسسات الصحية العلاجية الأخرى وبلغ عدد المرضى الداخلين (١٠٢٠٨) مريضاً عام ١٩٣٧ فيما بلغت عدد العمليات الجراحية الكبيرة التي أجراها المستشفى الملكي (١٩٥) عملية كبرى مقابل (٧٨٨) عملية جراحية صغرى في العام ذاته[٥٨] .

ثانياً : المستوصفات :

تمثل المستوصفات البدائل الأخرى للمستشفيات في المناطق ذات الكثافة السكانية القليلة، ولذلك لعدم توفر الإمكانيات لإنشاء المستشفيات. تركزت معظم المستوصفات في الأقضية والنواحي، وهي كانت على نوعين، المستوصفات السيارة وتركزت في المناطق النائية، التي يتعذر معها تقديم الخدمات الطبية والمستوصفات الثابتة وكانت على ثلاثة أنواع هي مستوصفات الدرجة الأولى وكانت تدار من قبل طبيب وتقع معظمها في مراكز المدن والمستوصفات الدرجة الثانية وكانت تدار من قبل موظف صحي وتقع في مراكز الألوية والنواحي ومستوصفات الدرجة الثالثة وكانت تدار من قبل مضمد وتقع في بعض النواحي والقرى الكبيرة[٥٩]، وبلغ عدد المستوصفات في عموم البلاد **(٢٦٦)** مستوصفاً ثابتاً في العام ١٩٣٧ و **(٩)** مستوصفات سيارة موزعة على ألوية بغداد والموصل والعمارة والديوانية والحلة وكركوك والمنتفك بواقع مستوصف سيار ، وفي ولواء البصرة بواقع مستوصفين سيارين في العام نفسه[٦٠] .

أحوال المؤسسات الصحية العلاجية :

في سياق عام عانت المؤسسات الصحية العلاجية في ثلاثينيات القرن العشرين من مشاكل مختلفة أضحت سمة ملازمة لها، مما انعكس سلباً على الواقع الصحي آنذاك .

تأتي في المقدمة مشكلة النظافة التي كانت تعكس واقع وعي الناس قبل أي اعتبار آخر، وإلاّ فإن القيّمين على شؤون الصحة في ذلك العهد لم يولوا الموضوع اهتماماً كبيراً، الأمر الذي يبدو واضحاً في التقارير الخاصة التي رفعها عدد منهم إلى الجهات المعنية، فإنها تنم عن حرصٍ شديدٍ نابع من الشعور العالي بالمسؤولية، كما نجد الشيء نفسه في تقارير المسؤولين الإداريين على شتى المستويات . فلقد ورد في تقرير خاص رفعه المفتش الإداري علي البزركان في اواسط ١٩٣٩ إلى وزارة الداخلية عن مستشفى السليمانية بعد زيارته له مثل هذا الكلام ((**إن مضاجع المرضى والصيدلية وباقي الفرق قد شاهدنا فيها وجود كثرة الذباب**))[٦١]، ولم تكن الأوضاع بأفضل من ذلك في مستشفيات العاصمة بغداد التي حظيت لأسباب معروفة، باهتمام أكبر من غيرها، وهنا نلجأ إلى اقوال الدكتور عبدالمجيد قصاب، وهو شاهد يتمتع كلامه بأهمية خاصة بالنسبة للموضوع، ولقد ذكر ما

نصه عن مستشفى العزل الذي كان يتولى بنفسه أدرأته ((**أنه لا يوجد طريق مرصوف أو مبلط [في المستشفى]، وأن كادر المستشفى والممرضات يخوضون في الأوحال والمياه الراكدة وعند الانتقال من ردهة إلى أخرى، وأن يلقى مدير المستشفى – يقصد الدكتور هادي الباجه جي – عجز من كثرة المراسلة مع الإدارة بدون جدوى، وكان القِدِر دائماً ضعف الميزانية**))[٦٢].

والأسوأ حتى من ذلك هو أن المستشفيات والمستوصفات كانت تعاني من مشاكل قلة الأجهزة الطبية والمختبرات، فضلاً عن نقص الملاكات الطبية والتجهيزات والأدوية، فلقد أشارت جريدة ((**الزمان**)) إلى اضطرار رؤساء الصحة في العديد من مراكز الألوية أحياناً إلى ارسال المرضى إلى بغداد لإجراء الكشف الطبي عليهم بواسطة جهاز أشعة رونتكن لعدم توفر هذا الجهاز في العديد من الألوية[٦٣] .

وبسبب نقص الأسرّة، والفرش في العديد من المستشفيات ومستوصفات البلاد كان الكثير من المرضى الداخلين يضطرون إلى النوم على الأرض، وافتقرت العديد من مستشفيات ومستوصفات البلاد إلى الإمكانات التي تؤهلها لتقديم الخدمات العلاجية بالمستوى المطلوب، ولاسيما المستوصفات التي كانت في معظمها، عبارة عن مؤسسة متواضعة يديرها في أغلب الأحيان مضمد مبتدئ، ولا تزود بما يكفي من الأدوية الضرورية لمكافحة الأمراض السارية والموسمية مثل الملاريا والبلهارزيا والتراخوما وغيرها من الأمراض التي تكثر عادةً في مناطق عملها[٦٤] . وقد افتقرت أغلب المستشفيات إلى وجود الأطباء الاختصاصيين في مختلف التخصصات الطبية ممن اقتصر وجودهم على الأغلب في مدينة بغداد، وبأعداد غير ثابتة، ففي العام ١٩٣٧، مثلاً، كان يوجد في العاصمة طبيب واحد متخصص بالأمراض الزهرية يفحص يومياً (٦٠٠) مريضًا في المستشفى الملكي[٦٥]، وعموماً كانت المستشفيات خارج بغداد تعاني من نقص حاد فيما يخص الجراحين بصورة خاصة، لذا كان على المريض في أغلب الأحيان السفر إلى مدينة بغداد لإجراء عملية جراحية[٦٦] .

الملاك الطبي والصحي :

يعد توفر ذوي المهن الطبية والصحية من المستلزمات الأساسية لنجاح عمل المؤسسات الصحية فإن عدم توفر تلك الملاكات بصورة كافية يجعل من المتعذر تقديم الخدمات العلاجية المطلوبة على نطاق واسع، ويأتي في مقدمة ذوي المهن الطبية الأطباء الذين يعدون العنصر الأساسي لتقديم الخدمات الصحية الذي لا يمكن الاستغناء، إذ يعد الأطباء الأكثر تأهيلاً من ذوي المهن الطبية والصحية ممن يعتد على كمهم ونوعهم مجمل عمل المؤسسات العلاجية في اي بلد كان كما هو معلوم[٦٧] .

لقد شهد عهد الاستقلال زيادة عدد الأطباء ولاسيما بعد العام ١٩٣٢ عندما بدأت الكلية الطبية الملكية بتخريج أول دفعة لها من الأطباء العراقيين، وتلتها في الأعوام اللاحقة تخرج دفعات جديدة ساهمت في رفد ملاك الإدارة الصحية بعدد من الأطباء فازداد عدد الأطباء العاملين لدى مديرية الصحة العامة إلى (٢٤١) طبيباً منهم (٨١) عراقياً و (١٦٠) أجنبياً عام ١٩٣٢ ارتفع عددهم (٦٧٠) طبيباً عام ١٩٤٢ منهم (٦٣٢) عراقياً و (٣٨) أجنبياً، وبلغ عدد الصيادلة (٥٧) صيدلانياً عراقياً وأجنبياً عام ١٩٣٢ وارتفع العدد إلى (٧٧) صيدلانياً عراقياً وأجنبياً عام ١٩٤٢ في حين بلغ عدد الممرضات العاملات في المؤسسات الصحية (٢٤٢) ممرضة عراقية وإجنبية عام ١٩٣٢ وانخفض عددهنَّ إلى (٢١٩) ممرضة عام ١٩٤٢ [٦٨]، تركز معظمهم في ألوية بغداد والبصرة والموصل، وكان ذلك يعود بالدرجة الأساس إلى عدم رغبة الأطباء العمل في المناطق النائية، وشكّل ذلك طوال المرحلة إحدى أهم المشكلات التي واجهتها الإدارة الصحية، وكان تأثيرها مباشرة على عملية التطور الصحي في العراق، فالقوانين المرعية لم تكن تخول وزير الداخلية إجبار الطبيب على العمل في المناطق النائية أو أي مكان آخر[٦٩].

يعود سبب عزوف الأطباء عن العمل في تلك الأماكن إلى عوامل عدة من أهمها شعور الطبيب بالإجحاف والظلم اللذيْن يلحقان به، إذ يصبح ((**نسياً منسياً في منطقة لا يجد فيها ملجأ لسكناه يقيه برد الشتاء ولا حر الصيف، وقد انعدم فيها الماء الصالح للشرب والاضاءة الكهربائية، كما انعدمت فيها المواد الغذائية ووسائل التسلية والترفيه**))،

فضلاً عن عدم مقدرته على اشباع ميوله ورغباته في التتبع العلمي والاختصاص المهني باعتراف مجلة متخصصة[٧٠] .

وهكذا ظل نقص الملاك الطبي يؤلف سمة ثابتة في الحياة الصحية في العراق في مرحلة دراستنا .

وقد أدّى هذا النقص الكبير في الملاك الطبي إلى زيادة الضغط على المستوصفات والمستشفيات وإلى تردي الخدمات الطبية إلى حد كبير، مما زاد من معاناة المراجعين الذين اصبح حصولهم على الخدمات الطبية الجديدة من الأمور الصعبة المنال . تتوفر تقارير رسمية غير قليلة تجسد هذه الحقيقة، منها تقرير رئيس الهيئة التفتيشية للمنطقة الرابعة في الديوانية الذي يحمل تاريخ الثامن من كانون الأول عام ١٩٣٥، يتحدث بإسهاب وبأسلوب معبر عن الزحام الشديد في مستشفى ومستوصف مركز اللواء، مما رافقه ((**الفوضى وعدم انتظام المرضى**))[٧١]

وقبل ذلك التاريخ بأقل من عام تحدث أحد النواب عن الزحام الشديد في مستوصف العشار في البصرة، بحيث أن المرضى يضطرون كما أكد ((**إلى البقاء على قارعة الطريق ريثما يأتيهم دور الوصول إلى الطبيب**))[٧٢] .

لم تكن معاناة مستشفيات العاصمة بغداد أقل من ذلك، مما دفع صحيفة ((**الأهالي**)) إلى أن تكرس افتتاحية أحد أعدادها في عهد حكومة حكمت سليمان لهذا الموضوع تحديداً، والتي قالت فيها ما نصه : ((**هذا المستشفى الكبير في بغداد، لا يكاد يدخله شخص حتى يرى جيشاً من المرضى يموج أفراده كل على بعض، فلا تسمع غير الصراخ وتنهدات تؤلم النفس وتقبض الروح . فإن فاز المريض بالدواء ورؤية الطبيب التي لا تكاد تزيد على الثواني المعدودة كان المريض سعيداً بفوزه ...**))[٧٣] .

المؤسسات العلمية التعليمية :

- **الكلية الطبية الملكية :**

شهد العام ١٩٣٢ حدثاً تاريخياً مهماً في حياة البلاد الصحية تمثل بتخرج أول دفعة من طلبة الكلية الطبية الملكية العراقية، ضمّت أثني عشر طالباً[٧٤] . من الذين تم قبولهم في العام ١٩٢٧، وبهذا يكون العراق قد حصل على أول دفعة من الأطباء الذين تخرجوا من

داخل البلاد، وازداد عدد الخريجين إلى أربعة وعشرين في السنة الثانية، بينما بلغ المجموع الكلي للأطباء المتخرجين في نهاية السنة العاشرة لتأسيس الكلية ثلاثة وسبعين طبيباً، أي أن هذا العدد كان الـ ٢٨٧ طالباً ممن التحقوا بالكلية الطبية الملكية خلال السنوات العشر الأولى من عمرها(٧٥) .

اضحت الدراسة في الكلية ست سنوات منذ العام ١٩٣٥، وكان عند افتتاحها خمس سنوات وخصصت السنة المضافة لأغراض التدريب في المستشفى الملكي وبدون راتب(٧٦) .

كان يقوم بالتدريس في الكلية الطبية نخبة من أكفأ الأطباء العراقيين في مجال الطب يومذاك، فضلاً عن عدد غير قليل من الأطباء البريطانيين استعانت بهم الكلية لسد النقص الحاصل في ملاكاتها(٧٧) .

وقد حدث في العام ١٩٣٩ تطورات على الكلية الطبية الملكية حين صدر النظام رقم **(٦٣)** لسنة ١٩٣٩، الذي حدد بموجبه المدارس التي تتألف منها الكلية الطبية، وهي كما يلي :

١ – مدرسة الطب

٢ – مدرسة موظفي الصحة

٣ – مدرسة التمريض والقبالة

وبموجب هذا النظام أصبحت الكلية الطبية الملكية تحت إدارة عميد يعين بإرادة ملكية بناءً على اقتراح وزير الداخلية وموافقة مجلس الوزراء، ويكون في الوقت ذاته مديراً بمدرسة الطب ويصادق على تعيينه وزير الداخلية(٧٨) .

– كلية الصيدلة والكيمياء :

بموجب قرار مجلس الوزراء المنعقد في الثلاثين من آب عام ١٩٣٢ تمت الموافقة على إلغاء مدرسة الصيدلة التي تأسست خلال عهد الانتداب، وفي آذار ١٩٣٦ أعلنت مديرية الصحة العامة رغبتها في إعادة فتح مدرسة الصيدلة على أسس وضوابط جديدة وكانت الغاية من تأسيسها هي سد حاجة البلاد من الصيادلة الكيمياويين، ووضعت لهذه الكلية الأسس نفسها المعمول بها لدى الكليات البريطانية المشابهة لمثل هذه الدراسات وتقبل في صفوفها خريجي الدراسة الثانوية الفرع العلمي ومدة الدراسة خمس سنوات بضمنها السنة

التدريبية التي كانت لزاماً على الطالب أن يقضيها في العمل لدى الصيدليات الحكومية والأهلية على أساس تسعة اشهر في الصيدليات الأهلية، وثلاثة اشهر في صيدليات المستشفيات الحكومية[٧٩] .

وبدأت كلية الصيدلة تدريسها لأول مرة في الثالث من تشرين الأول عام ١٩٣٦ وضمت الوجبة الأولى من الطلبة الذين باشروا الدوام في الكلية عند افتتاحها واحداً وعشرين طالباً وأصبح الدكتور عبدالمعطي العتيقي عميداً لها[٨٠] .

- مدرسة الموظفين الصحيين :

تأسست هذه المدرسة في العام ١٩٣٢ بناءً على الحاجة الماسة إلى موظفين صحيين ذوي مستوى أعلى من المضمدين، وروعيت الدروس ونظمت على أساس ذلك، وكان الطالب يدرس فروعاً خاصة تؤهله للقيام بوظيفة مساعد طبيب أو مساعد صيدلي، وكانت مدة الدراسة في المدرسة ثلاث سنوات بعد الدراسة المتوسطة، سنتان دراسيتان للجانب النظري والسنة الثالثة كانت للتطبيق، يتدرب اثناءها الطالب لمدة أثني عشر شهراً في المستشفيات الرسمية في مختلف الفروع الطبية التي قام بدراستها نظرياً[٨١] .

- مدرسة القبالة والتمريض :

تأسست هذه المدرسة في العام ١٩٣٦ بناءً على الحاجة الماسة إلى ممرضات ذوي مستوى أعلى من المستخدمات الصحيات وكانت مدة الدراسة في هذه المدرسة ثلاث سنوات تشمل الدراسة النظرية وسنة رابعة تقضيها الطالبة بعد التخرج في التدريب على الولادة والأمراض النسائية فيما إذا رغبت في الحصول على شهادة القبالة (**الولادة**)[٨٢] .

جدول رقم (٣): بعدد المتخرجين من كليتي الطب والصيدلة ومدارس الموظفين الصحيين والتمريض والقبالة منذ تاريخ أول تخرج حتى نهاية العام الدراسي ١٩٣٩ – ١٩٤٠[٨٣].

السنة	كلية الطب	كلية الصيدلة	مدرسة الموظفين الصحيين	مدرسة القبالة والتمريض
١٩٣١-١٩٣٢	٨	-	-	-
١٩٣٢-١٩٣٣	٢٤	-	-	-
١٩٣٣-١٩٣٤	٥	-	٢٠	-
١٩٣٤-١٩٣٥	١٢	-	٢٨	-

١٩٣٥-١٩٣٦	١٧	-	٢٦	١٠
١٩٣٦-١٩٣٧	٧	-	١٦	١٣
١٩٣٧-١٩٣٨	٢٦	-	١٧	١٠
١٩٣٨-١٩٣٩	٢٣	-	٤	٢٧
١٩٣٩-١٩٤٠	٣١	١٢	١٧	٣٣

الأمراض المتفشية في العراق ١٩٣٠ – ١٩٣٩ وطرق مكافحتها :

كان لمرض الملاريا[٨٤] الصدارة في قائمة الأمراض المتوطنة الوبائية في العراق، فبالرغم من وجودها طول السنة، إلاّ أن لها خاصية الانتشار المفاجئ في بعض الأوقات من السنة إذا توافرت الظروف الملائمة لها[٨٥]، ولقد بلغت نسبته نحو **(٥٠,٤)** من مجموع الأمراض السارية في العراق في العهد الملكي[٨٦]، وكان هذا الوباء هو المسؤول بصورة مباشرة، وغير مباشرة عن موت نحو خمسين ألف شخص سنوياً لكونه أحد الأسباب الرئيسة في تناقص نسبة الولادات عن طريق تسببه في حالات العقم والإجهاض الكثيرة[٨٧]، ولم يبالغ الدكتور علي غالب، مدير صحة العاصمة، حين ذكر أن مرض الملاريا هو **((العدو رقم واحد في العراق))**[٨٨]. فإن بعض الإحصائيات قدرت أعداد المراجعين للمؤسسات الصحية من المصابين بالملاريا ما بين **(٣٠٠)** ألف شخص في السنين العادية، و**(٦٠٠)** ألف شخص في سني الفيضان[٨٩] .

كانت أسباب انتشار الملاريا على نطاق واسع تكمن في كثرة مياه المستنقعات والمياه الراكدة التي انتشرت في طول البلاد وعرضها، فمن المعروف أن الهواء الفاسد المنبعث من المياه الراكدة هو السبب أصلاً وراء تسمية المرض بهذا الاسم، وفعلاً أن مثل تلك المياه الراكدة تمثل خير موطن لتفريخ وتكاثر البعوض الناقل للمرض، فضلاً عن مياه السقي الزائدة الراكدة في المزارع بسبب سوء نظام الري التي كانت تمثل موطناً آخر لتكاثر البعوض[٩٠]، وبخاصة في منطقة البصرة حيث كانت طبيعة أرضها، وقربها من المسطحات المائية في مواسم الفيضان، قد هيأت بيئة ملائمة لنمو البعوض في مركز البصرة ونواحيها واقضيتها، باعتراف واحدة من الوثائق الرسمية التي ذكرت : **((أن البساتين المنخفضة أراضيها، المأهولة بجمع غفير من سكان الصرائف، قد طغت عليها المياه وفاضت بدرجة**

لم يسبق لها مثيل، وأحاطت بصرائف السكنى بحيرة كبيرة وعميقة وحتى الطريق دمر من كثرة المياه وسُد ... ولوحظ أن الروائح الكريهة التي تنبعث من المستنقع يعجز الانسان عن وصفها، والبعوض الكثير المنتشر بصورة مهولة فيها ...))[٩١] .

وقد قسمت مناطق انتشار الملاريا حسب توغلها في المنطقة وكما يأتي :

١- المنطقة الأولى :

وتشمل شط العرب والبصرة، وكانت دائماً مصابة بالملاريا لكن في سنوات الحرب العالمية الثانية ازدادت نسبة الإصابات بسبب ارتفاع منسوب المياه في شط العرب بصورة تدريجية، الأمر الذي أدّى إلى ازدياد نسبة مياه المد في المناطق المجاورة لشط العرب، فتكونت الأهوار الملائمة لتكاثر البعوض الخطر، وإلى امتلاء خنادق سقي النخيل بالمياه بشكل كبير، مما دفع خبير معروف في مكافحة الملاريا، وهو الدكتور مليكان (Muligan)[٩٢] إلى وصف الوضع في شط العرب بأنه ((**صعب للغاية**)) .

٢ – المنطقة الثانية :

وهي المنطقة الممتدة شمالاً من شط العرب حتى بغداد، وشرقاً حتى الضفة الشرقية لنهر دجلة .

٣ – المنطقة الثالثة : وهي المنطقة الممتدة إلى الشرق من دجلة وتشمل لواء العمارة ونصف شمال شرق لواء الكوت .

٤ – المنطقة الرابعة : وهي سهل نهر دجلة العلوي، وشملت من مدن أربيل وكركوك والموصل .

٥ – المنطقة الخامسة : وهي منطقة وادي ديالى، وفيها اسلوب السقي من النهر ساعد على تكاثر البعوض من النوع الخطر[٩٣] .

تشير أحد التقارير الصحية إلى أن مرض الملاريا اتخذ شكل وباء في العراق في غضون المدة الممتدة بين عامي ١٩١٨ و ١٩٣٦ اربع مرات، ووصفت الأخيرة بأنها كانت شديدة بسبب انتشار الفيضانات التي بدأت في أواسط أيار وانتشرت تقريباً في جميع أنحاء العراق بدون أن تستثني منها المناطق المصابة كبغداد، وعلى العموم فإن عدد المصابين خلال ستة أشهر، أي حتى الأول من كانون الثاني ١٩٣٧ بلغ (**٤٢٣٩٥٤**) شخصاً[٩٤]،

وكانت الإصابة شديدة في بعض الألوية، فقد بلغت نسبة المصابين في لواء البصرة (**٢٣,٣%**)، وفي كربلاء (**١٨%**) من مجموع السكان . وكانت نسبة انتشار المرض في بعض المناطق من تلك الألوية شديدة جداً، فحسب تقديرات صحيفة ((**البلاد**)) بلغت نسبة الإصابات في النجف والكوفة، مثلاً، ما لا يقل عن (**٩٠%**) من مجموع السكان[٩٥].

يعود سبب ظهور الملاريا في بغداد، بعد أن كانت بعيدة عن الإصابة بها في الماضي، هو اتصال مزارع ديالى والفرات بمزارع العاصمة، مما أدّى إلى انتقال البعوض إليها[٩٦] .

أثار انتشار وباء الملاريا في العاصمة مخاوف السلطات الصحية بشكل كبير، الأمر الذي دفعها إلى تشكيل لجنة برئاسة الدكتور حنّا خياط رئيس المعاهد الصحية، وعضوية مندوبين عن مديرية البلديات ومديرية الأشغال العامة مديرية أمور الزراعة للقيام بمكافحة هذا المرض .

بذلت اللجنة جهوداً كبيرة لإنجاز ما عهد إليها، فقامت بتوزيع كميات كبيرة من مادة الكنين على شكل حبوب ومساحيق وزرق الأبر ومواد طبية أخرى مساعدة لاحتواء الوباء، كما استخدمت كمية كبيرة من النفط الأسود لرشها على المستنقعات الموجودة في أطراف مدينة بغداد[٩٧] .

فقد بلغ مجموع ما صرفته الإدارة الصحية من مادة الكنين خلال انتشاره لعموم البلاد حوالي (**٢٢٥٠٠**) كغم . وتمثل هذه الكمية أكبر مقدار دونه تاريخ الدول الموبوءة بالملاريا التي لا تتجاوز نفوسها نصف نفوس العراق[٩٨] .

لكن الإجراءات المتخذة بهذا الخصوص لم تكن كفيلة لمنع خطر الملاريا عام ١٩٣٦، وذلك ما أشارت إليه التقارير الصحية التي أرجعت سبب ذلك إلى ضعف ميزانية الصحة، وملاك موظفيها الذين لم يكونوا متناسبين مع هجمة الداء وسعة المناطق الموبوءة، والمسافات الشاسعة بين منطقة وأخرى، ووسط حرارة تجاوزت خمسة وأربعين درجة مئوية طوال موسم ذلك الصيف[٩٩] .

للأسباب التي ذكرت لم يتم القضاء على وباء الملاريا قضاءً مبرماً في تلك المرحلة إذ بقي المرض يمثل حالة متوطنة، ويتخذ شكل وباء عام في البلاد كلها أو في مناطق

واسعة منها بصورة دورية، وقد تفاوتت الإصابات بمرض الملاريا بين لواء وآخر، ولكنها بشكل عام كانت مرتفعة بصورة غير متوقعة في بعض المناطق وهو الأمر الموضح من خلال الاطلاع على الإحصائيات الصحية وكما يلي :

جدول رقم (٤): بعدد إصابات الملاريا للسنوات ١٩٣٦ –١٩٣٩ موزعة حسب الألوية(١٠٠).

اللواء	إصابات الملاريا			
	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٨	١٩٣٩
بغداد	٦٥١٥٧	٨٠٩٧٦	٥٣٢٣٢	٣٨١٤٦
البصرة	١٠٥٢٠٦	٦٦٥٨١	٩٢٢٤٤	٨٢٧٧٨
الموصل	٣٦٤٢٨	٣٩٥٦٦	٤٨٥٥٢	٤٩٠١٠
العمارة	٢٣٤٤٦	٢٢١٥١	٢١٣١٧	٢٠٨٢٧
اربيل	٨٦٦٢٠	١٢٦٢٢	١٢٧٣٦	٩٥١٤
الديوانية	٧٤١٠٩	٦٥٧٤٠	٤٩٩٩٢	٤١٢٥٤
ديالى	٧٧٥٤١	٨٥٧٠٧	٥٨١٥٧	٦٥٢٧٩
الدليم	٢٨٨٢٦	١٢٦٨٦	٧٤٩٥	٦٥٢٧٩
الحلة	٧٤٠٢٧	٧٧١٧٣	٦٥٤٠٦	١٢٧٦٦
كربلاء	٥١٦٦٩	٢٤٠٢٨	٣٧٩١٢	٤٠٣٩٧
كركوك	٢٦٨٠٣	٣١٤٠٣	٢٨٥٦٧	٤٨٧٤٥
المنتفك	٤٠١٢٧	١٩٥٤٢	٢٢٢٠٢	١٨٦٠٧
السليمانية	١٠٠٦٧	٩٩٠٩	١٠٣١١	١٣١٢٩
الكوت	١٣٠٤٣	١٦٩٢٥	١٦١٤٢	١٣١٤٩

هكذا كان مرض الملاريا للمرحلة الممتدة بين عامي ١٩٣٠ و ١٩٣٩ جزءاً قاتماً للغاية في خارطة الوضع الصحي في العراق يومذاك، دون أن يعني ذلك أن الأمراض الأخرى كانت أقل خطورة على حياة الناس ووضعهم العام، بما في ذلك أمراض العيون . فقد عانت البلاد كثيراً منها التي انتشرت بصور كبيرة وبلغ الأمر حد أن يلاحظ كل زائر للعراق يومذاك أعراضها على المصابين بها على حد تعبير أحد الأطباء المختصين(١٠١)، وكان تعرض الاطفال لأمراض العيون أكثر منه عند الكبار وذلك لجهلهم بأهمية المحافظة على نظافة أجسامهم، فعلى وفق التقديرات بلغ عدد الذين فقدوا أبصارهم خلال العهد الملكي نحو

خمسة وثلاثين ألف شخص، كما يقدر عدد الذين فقدوا عيناً واحدة فقط بما لا يقل عن أربعين ألف آخرين[١٠٢] .

يأتي مرض التراخوما في مقدمة أمراض العيون، فكان الأوسع انتشاراً في ذلك العهد، وهو من الأمراض السارية المزمنة، انه مرض معد للغاية يصيب ملتحمة العين ويولد فيها حبيبات صغيرة أو كبيرة، ويحدث تخريبات في العين نفسها، ولقد شكّل هذا المرض نحو (٤٠,٥) من مجموع الأمراض المنتشرة في العهد الملكي، وبذلك يلي مرض الملاريا من حيث الانتشار[١٠٣] . وقد بلغ معدل الإصابات بأمراض العيون في غضون السنوات العشرة من عام ١٩٢٩ حتى عام ١٩٣٩ نحو (٢٢٤) ألف إصابة في السنة وكانت نسبة التراخوما لأمراض العيون الأخرى تبلغ (٤٨,٧%)، ولسائر الأمراض الأخرى (٣٨,٩%)، وعلى وفق ما ذكره النائب رفائيل بطي نائب الموصل في إحدى جلسات المجلس أن فحصاً طبياً أجري عام ١٩٣٥ على تلاميذ إحدى المدارس في مدينة الموصل بيّن أن مجموع تلاميذ المدرسة المذكورة البالغ عددهم (٢٥٠) تلميذاً كان (٢٣٨) منهم مصابين بالتراخوما، أي بنسبة (٩٥,٢%)[١٠٤] وفي الوقت ذاته ذكرت الصحافة وبالاستناد إلى تقرير رسمي صادر من وزارة المعارف عن معالجة أمراض العيون، بأن حوالي نصف الطلاب البالغ عددهم (٤٤) ألف كانوا مصابين بالتراخوما في العام ١٩٣٧. ويبيّن الجدول الآتي أعداد الإصابات لمرض التراخوما مقارنة بأمراض العيون الأخرى للعامين الدراسيين الآخرين من الدراسة.

جدول رقم (٥): يبين إصابات التراخوما وإمراض العيون الأخرى بين عامي ١٩٣٨ و ١٩٤٠[١٠٥] .

السنة	عدد المصابين بالتراخوما	النسبة المئوية	امراض العيون الاخرى	النسبة المئوية
١٩٣٨-١٩٣٩	٣١٢٣٩	%٣٩,٩	٦٥٧٠	%٨,٢
١٩٣٩-١٩٤٠	٢٦٧٠٢	–	–	–

ومما سبق يعني أن أمراض العيون كانت تؤلف واحدة من أخطر المشكلات الصحية التي جابهها العراق في ذلك العهد، ومما كان يزيد من تعقيداتها وكذلك تعقيدات معظم

الأمراض الأخرى، انما كانت في حالات غير قليلة تنتشر في وقت واحد، كما أن العديد من الناس كانوا يصابون أحياناً بأكثر من مرض واحد بما في ذلك الأمراض الزهرية التي كانت تعد واحد من أخطر المشاكل الصحية التي واجهت الإدارة الصحية في العراق منذ تشكيلها، وكما هو معروف أن مشكلة الأمراض الزهرية تتعلق تعلقاً وثيقاً بالبغاء ((**الاتصال الجنسي غير المشروع**)) . وقد أشارت تقارير مديرية الصحة العامة إلى أن (**٩٠%**) من حالات الإصابة بأمراض زهرية في العراق كانت ناجمة عن ممارسة البغاء .

وعلى وفق التقارير الرسمية الصادرة آنذاك أن مدينة بغداد كانت موبوءة بالأمراض الزهرية وتتصدر مدن العراق، فكما تشير الإحصاءات الرسمية أن (**٥٨%**) من إصابات السيلان و (**٦٧,٧**) من إصابات القرحة اللينة، ونسبة مرتفعة من إصابات السفلس قد سجلت في بغداد تحديداً، وتأتي البصرة بالمرتبة الثانية، إذ بلغت نسبة الإصابات بالسيلان (**٥,٩%**) والسفلس (**٣,٧%**) والقرحة اللينة (**١٠,٢%**)، فيما جاءت الموصل بالمرتبة الثالثة، إذ بلغت نسبة الاصابات بالسيلان (**٤%**) والسفلس (**١٦,٧%**) والقرحة اللينة (**١,٨%**) فيما سجلت ألوية اربيل والسليمانية أقل النسب، إذ بلغت (**٢%**) و (**٣%**) للسفلس على التوالي و (**٠,٣%**) و (**٠,٥%**) للسيلان[١٠٦] .

كان سبب تركز انتشار الأمراض الزهرية في بغداد يعود إلى وجود دور البغاء العلني والسري وملاهي الرقص التي ترتادها الراقصات ، إذ انتشرت فيها أكثر من غيرها من المدن، ولأسباب معروفة[١٠٧] . وآثار البغاء كانت لها في المحصلة النهائية تأثيرات غير مباشرة على الاوضاع الاجتماعية والنفسية العامة التي انعكست على الأمور الصحية أيضاً بصورة أو بأخرى، فبحسب إحدى التقارير الصحية كان البغاء يكلف ابناء الطبقتين الفقيرة والمتوسطة مبلغاً – يربو على ثمانين ألف دينار، وقدرت الأموال التي كانت تستنزف إلى الخارج عن طريق الراقصات الأجنبيات في بغداد وحدها ثمانية عشر ألف دينار، وكلاهما يعدان مبلغين غير متواضعين حسب القوة الشرائية للعام ١٩٤٠[١٠٨] .

انتقدت بعض أوساط الرأي العام الحكومة بشدة بسبب سماحها لممارسة البغاء العلني في المباغي العامة، وبسبب ما عدّته تقصيراً في اتخاذها الإجراءات والتدابير الضرورية لمكافحة الأمراض الزهرية التي أخذت بالتفشي، ولاسيما في مدينة بغداد[١٠٩]، وقد دفع موقف

الرأي العام مدير صحة العاصمة الدكتور فائق شاكر إلى عقد مؤتمر صحفي حضره لفيف من ممثلي الصحف المحلية الصادرة آنذاك، شرح فيه الإجراءات والتدابير التي اتخذتها رئاسة صحة العاصمة في سبيل مكافحة الأمراض الزهرية في العاصمة، فأشار إلى أن المديرية المذكورة، قامت خلال العام ١٩٣٥ بافتتاح اربع مستوصفات ليلية للرجال، في مناطق باب الشيخ والدهانة والكرخ والكاظمية، وكما جرى افتتاح مستوصف في المبغى العام للوقاية من الأمراض الزهرية(١١٠) .

وفي السياق ذاته قررت وزارة الداخلية عام ١٩٣٥ تشكيل ما يعرف بشرطة الأخلاق الذين كان واجبهم مراقبة دور الدعارة السرية للقضاء على البغاء السري والمحافظة على الأخلاق العامة من التفسخ والانحلال، ولكن الهدف من ذلك لم يتحقق، وإذ سرعان ما ألغيت تلك الدوائر بسبب سوء تصرف أفراد مفارز شرطة الأخلاق، الذين صاروا يبتزون أصحاب دور الدعارة والزبائن الذين يترددون عليها معاً(١١١) . فتحولوا بذلك إلى نوع من الغطاء الشرعي السري الذي تفاقمت إثاره السيئة بسبب ذلك .

الأخطر من ذلك أشار إحد التقارير الرسمية الذي صدر عن مديرية الصحة العامة أواخر مرحلة دراستنا عن وضع البغاء في عام ١٩٤٠ أكد أن جميع المومسات البالغ عددهن ثلاثمائة واربع عشرة مومساً في بغداد كُنّ مصابات بشتى الأمراض الزهرية بصورة مزمنة، وأن بيوت المبغى العام كانت بحالة صحية يرثى لها من جميع الأوجه، ولاسيما من حيث فقدان الشروط الصحية فيها، وذلك على الرغم من تعيين أحد المفتشين الصحيين بصفة دائمة للقيام بمهمة تحسين حالة المبغى(١١٢) . واستناداً إلى سجلات المبغى العام بلغ عدد الزبائن المسجلين في سجلات مستوصف الوقاية للمدة من أول يوم إلى آخر يوم لسنة ١٩٣٩ فقط (١,٤٩٦٧٠) رجلاً، وهم في أكمل أدوار حياتهم وبينهم العزاب والمتزوجون على السواء، وأغلبهم من الطبقات الكادحة . وقد قدّر التقرير نفسه عدد الأشخاص الذين تنقل لهم المومس الواحدة عدوى الاصابة بسبعة رجال يومياً، أي (٢١٠) رجال في الشهر أو (٢٥٢٠) رجلاً سنوياً(١١٣) .

وهكذا فإن البغاء السري والعلني كان يؤلف المصدر الأول الأساس لتفشي جميع الأمراض الزهرية في العراق، ولاسيما داخل كبريات المدن، فيما انتشر نوع آخر من السفلس،

ألا وهو البجل ولاسيما بين سكان الأهوار والدليم[١١٤] ويعتقد أن دخول البجل إلى العراق يعزى إلى دخول العشائر العربية من بادية الشام، والتي استقر بعضها في منطقة دير الزور التي كانت تشكل إحدى البؤر الرئيسة للمرض، ومن خلالهما انتشر البجل في المناطق التي سكنوا فيها، وبوساطة العشائر المتنقلة، انتقل المرض إلى العشائر الأخرى الساكنة في جنوب البلاد[١١٥] . وكان يعرف عندهم باسم ((**البشل**)) و ((**اللواث**)) و ((**أبو خصيان**))[١١٦]، والجدول الآتي يبيّن عدد الاصابات بالأمراض الزهرية لعام ١٩٣٩.

جدول رقم (٦) : يبين عدد الإصابات بالأمراض الزهرية المسجلة لدى الدوائر الصحية نهاية العام ١٩٣٩[١١٧] .

السنة	السيلان	القرحة اللينة	السفلس	المجموع
١٩٣٩	٢٠٠٥٤	٥٢٣٧	٣٤٨٩٢	٥٩٦٧٣

ثمة نوع أخر من الامراض ألاّ وهو التدرن الرئوي الذي يُعدُّ من الأمراض الخطرة، ويسمى أحياناً بالمرض الاجتماعي، لأن معظم الاصابات به تحدث بصورة رئيسة في أوساط الأحياء الفقيرة والمزدحمة، ولاسيما في المدن وفي المقدمة منها بغداد وكربلاء والنجف[١١٨]، ولاسيما أثناء الزيارات الدينية مما يسمح بتسرب المرض وانتقاله إلى أوسع نطاق[١١٩]، ومما زاد الأمر سوءاً خلو العراق من مصحات لمرض السل، إذ نقل المصابون إلى مستشفيات العزل[١٢٠] . ولقد استأجرت الحكومة العراقية مائتي سرير في المصحات اللبنانية، وأبرزها مصح بحنس لمعالجة الحالات المتفاقمة[١٢١] . ومن شأن الأرقام المذكورة في الجدول الآتي تجسيد مدى انتشار مرض السل في العراق حسب الأولوية بن عامي ١٩٣٦ و ١٩٣٩.

جدول رقم (٧) : عدد المصابين بمرض السل (التدرن الرئوي) في العراق للسنوات ١٩٣٦– ١٩٩٩[١٢٢] .

اللواء	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٨	١٩٣٩
بغداد	٣٨١	٤٠٢	٣٢٤	٤٥٥
البصرة	٤١١	٤٠٩	٤١٦	٢٩٧

الموصل	٣١٣	٢٦٤	٢٧٦	٢٦٥
العمارة	١٩٥	٢٢٣	٢٠٦	١٩٢
اربيل	٢٢	٧١	٧٥	٣٢
الديوانية	٣٤٨	٤٩٤	٣٩٨	٣٧٩
ديالى	٧٤	٧٠	٩٧	١٢٩
الدليم	٩٢	٨٢	٥٥	١١٢
الحلة	١٦٣	١٩٤	٣٠٨	٤٨٩
كركوك	١٦٩	١٧٢	١٥٦	١١٧
الكوت	١١٣	٢١٣	٢٠١	١٧٥
المنتفك	١٤٥	١٨٠	٢١٧	١٦٣
السليمانية	٣٣	٣٦	٣٧	٦٣
المجموع	٢٧٧٣	٣٢١٧	٣١٢٦	٣٥٣٩

ولنا وقفة يسيره مع بعض الامراض التي كانت منتشرة آنذاك وكانت قد تفشت في البلاد ، فضلاً عن الأمراض التي ذكرناها كان من بينها مرض البلهارزيا والانكلستوما والجدري وغيرهما. والمرض الأول تركز انتشاره في المناطق الواقعة شمال البصرة، فضلاً عن مناطق الأهوار والمستنقعات، ويقل انتشاره كلما تقدمنا من العاصمة بغداد باتجاه الشمال، إذ يكاد ينعدم وجوده في المناطق الشمالية[١٢٣] .

اتجهت مكافحة البلهارزيا في مرحلة دراستنا نحو الجانب الوقائي الذي يستهدف معالجة آثاره والمصابين به أكثر مما استهدف القضاء عليه نهائياً عن طريق قتل الحلزون الذي يعيش فيه طفيلي البلهارزيا بسبب قلة التخصيصات المالية وقلة الأيدي العاملة المدربة على أعمال مكافحة البلهارزيا، ويبين الجدول الآتي صورة انتشار مرض البلهارزيا في العراق حسب الألوية في غضون العامين الأخيرين – مرحلة دراستنا .

جدول رقم (٨): يبين عدد الاصابات بمرض البلهارزيا بين عامي ١٩٣٨ و ١٩٣٩[١٢٤]

اللواء	١٩٣٨	١٩٣٩
بغداد	٣٦٦٤	١٩٢٨
البصرة	٣٤٥٧	٣٠٧٠

الموصل	٥٦	٨٨
العمارة	١٦٧٧	١٦٥٤
اربيل	١٤	٣١
الديوانية	٢٧٠٦	٣٣٨٠
ديالى	٧١	١٩٩
الدليم	٢٣٩	٢٢٠
الحلة	١٢٠٠	١٢٩٧
كربلاء	١٨٣٠	١٣٨٥
كركوك	٤٠	١٢
الكوت	٢٩٢	٧٠١
المنتفك	٤٦٨٦	٣٤٩١
السليمانية	١٢	٦
المجموع	١٨٦٤٤	١٧٤٦٢

أُبتلي الفلاحون في العراق بمرض أضاف إلى معاناتهم معاناة من نوع آخر هو مرض الانكلستوما . ويعود السبب إلى تركزه بين صفوفه بالدرجة الأساس إلى افتقار معظم مساكنهم للمرافق الصحية، وسيرهم حفاة في مناطقهم، فضلاً عن تناول الخضروات بدون غسل، أو غسلها بماء ملوث بدودة رقيقة على شكل مغزل تعيش في الأراضي الرطبة والعفنة تسبب هذا المرض الخطير[١٢٥] .

يشير الدكتور هاشم الوتري أن هذا المرض شخّص لأول مرة في العراق عام ١٩٢٦ عندما تأكد مختبرياً من وجود الدودة في جسم إنسان مصاب بها[١٢٦] وحسب الإحصاءات الرسمية للمستشفى الملكي في بغداد فإن (**٩٠%**) من الفلاحين الذين أجري الفحص عليهم كانوا مصابين بمرض الانكلستوما عام ١٩٣٣[١٢٧]، ويسلط أحد الأطباء المختصين بمعالجة مرض الانكلستوما الضوء على طبيعة وأسباب صعوبة احتوائه بوضوح قائلاً ما نصه : **((كان المريض يدخل إلى المستشفى، ولمجرد إلقاء النظرة الأولى عليه تعرف أنه مصاب**

بالانكلستوما، وتتأكد من ذلك عند فحص البراز، وتصدمك الدرجة القصوى لفقر الدم الموجود عنده وحالة الجوع التي يعانيها . وتجد أن النسبة المئوية هي (٢٠%) وأضاف بعد تحسن حالة المريض وخروجه من المستشفى وعودته إلى بيته يعود إدخاله إلى المستشفى مرة أخرى بعد عام)) [١٢٨] .

شكلت الأمراض التي تصيب الأطفال في العراق نسبة عالية بين الأمراض التي تصيب الآخرين بسبب ضعف مقاومة أجسامهم الطرية للأمراض، وجهل الأمهات بالعناية الصحية بهم، فضلاً عن سوء التغذية، وقلة اللقاحات، والجهل بأساليب التربية الحديثة[١٢٩] . ولقد تعددت أمراض الأطفال وتنوعت ما بين الحصبة والزحار والكزاز والسعال الديكي والنكاف، وامتدت لتشمل أيضاً الهزال والإسهال والتهاب الأمعاء، مما انعكس على زيادة نسبة الوفيات بين صفوفهم قياساً إلى غيرهم من الفئات العمرية الأخرى[١٣٠] .

كان مرض الحصبة يُعَدُّ من الأمراض المنتشرة بين صفوف الأطفال، قدر عدد المصابين بنسبة (**٩٥%**) ممن هم دون الخامسة عشر[١٣١] .

وهناك أمراض أخرى عرفها العراقيون يومذاك لم تقل خطورة عن الأمراض المارة الذكر، فعلى سبيل المثال انتشر مرض التيفوئيد والتيفوس الذي كان ينتشر غالباً بواسطة القمل، كما أنه جاء في أغلب الأحيان عن طريق إيران بسبب تدفق سيل من المهاجرين من المناطق الشمالية لإيران بسبب تردي أوضاعهم الاقتصادية، وقد نقل المهجرون معهم عشرات الاصابات[١٣٢] .

جدول رقم (٩): بعدد إصابات الإمراض السارية الرئيسة المعالجة في المؤسسات الصحية كافة للسنوات ١٩٣٦-١٩٣٩[١٣٣].

ت	الإمراض	١٩٣٩	١٩٣٨	١٩٣٧	١٩٣٦
١	الملاريا	٤٩٠٣١٩	٣٢٤٢٣٣	٦٨٢٩٧٨	٦٣٦١٢٦
٢	التراخوما	٣٥٢٦٦٢	٤٢٨١٨١	٤٠٩٥٤٠	٣٥٨٥٢٠
٣	الامراض الزهرية				
٤	ـ (الحلاق) السفلس	٣٤٣٩٢	٤١٧٤٨	٥٧٤٩٥	٤٧٨٨٩

٥	ـ القرحة اللينة	٥٢٣٧	٣٦٩٠	٢٦٩٠	٢٥١٠
٦	ـ السيلان (الثعلبية)	٢٠٠٥٤	٢٠٢٠٨	٢٢٩١٦	٢٠٥٣٩
٧	الزحار	٣٢٠٨٩	٢٠٩٠٢	٢٤٩٨٤	٢٣١٦٦
٨	البلهارزيا	١٧٤٤٩	١٨٦٣٧	١٨٠٠٩	١٠٣٢٥
٩	السل الرئوي	٦٠٢٤	١٤٥٣	٦٠٤١	٥٧١٦
١٠	الأنواع الأخرى	٢٢٥٢	٣٩١٢	٦٤٩١	٦٨٤٤
١١	النزلة الصدرية	١٣٨٨٥	٢٠٣٧٨	١٦٢٨٢	٥٤٦٨٥
١٢	الجدري	١٨٥	٤٨	٨٦	١٧٤
١٣	السعال الديكي	٢٥٢٥	٢٨١٨	٢٩٣١	١٦٢١
١٤	الانكلوستوما	٦١٤٧	٥٩٠٣	٤٢٨٧	٦٨٥٣
١٥	النكاف	٢٢٠٦	٨٠٨٨	٢٨٨٩	٢٨٠٦
١٦	الحمى البرغشية (واخزة الوريد)	١٦٥	٢٠٦	١٩٠	٢٥٠
١٧	الحصبة	١٨١٨	٧٧٦	١٥٦٩	١٠٩٢
١٨	السرطان	٥٦٧	٤٨٨	٦٠٧	٥٦٤
١٩	الحمى التيفونيدية والشبه التيفونيدية	٧٤٥	٥٤٧	١١٤٥	٢١٩٢
٢٠	الجمرة	٥٤٠	٥١٦	٦٤٤	٦٦٢
٢١	الجذام	٣٧٣	١٥٣	٨٨٤	٢٦٦
٢٢	الحمى النفاسية	٢٦٠	١٠٣	١١٠	٣٨
٢٣	الطاعون	–	–	–	٢
٢٤	الخناق	٢١٥	١٧٢	٨١١	٣١٥
٢٥	الكزاز	١٥٧	١٥٨	١٠٥	١١٥
٢٦	البثرة الخبيثة	١٠٢	١٠١	١٤٤	١٠٩

٢٧	الحمى النمشية	٢٧	٨	٣٧	٣
٢٨	الحمى الدماغية الشوكية	١١٠	٤١	٧٠	٣٧
٢٩	الحمى القرمزية	١٤	٢٥	١٨	٧
٣٠	الهيضة	–	–	–	–
٣١	الإمراض العفنة الأخرى كافة	١٣٥٢	٣٤٠	٨٤٧٧	١١٠٢

كان من الطبيعي أن ينعكس انتشار الأمراض ولاسيما بين الأطفال، على معدل الولادات والوفيات في العراق، لذلك فلا غرو أن جرت نسبة زيادة السكان بصورة بطيئة لم تتجاوز الـ (**١%**) سنوياً[١٣٤] . وبسبب ذلك تقاربت نسبة الولادات مع نسبة الوفيات . فيكفي أن نذكر، على سبيل المثال لا الحصر، أن مجموع الولادات في المدن الرئيسية الثلاث بغداد والبصرة والموصل بلغت خلال السنوات ١٩٢٩ حتى ١٩٣٤ فقط (**٦٩٨٠١**) مقابل (**٦٦١٤٣**) حالة وفاة في المدة نفسها[١٣٥] فيما شهدت السنوات التي أعقبت عام ١٩٣٤ ارتفاعاً في نسبة الولادات قياساً بعدد الوفيات، وعكس ذلك الارتفاع إلى حد ما، التحسن النسبي الذي شهدته المؤسسات الصحية في العراق وازدياد أعداد المتعلمين والأطباء وما إلى ذلك من عوامل اقتضتها سنة التطور من جهة، واطراد الوعي بأهمية الانجاب من جهة ثانية .

مع ذلك فإن نسبة الوفيات لم تكن قليلة بالدول الأخرى، ولاسيما بين صفوف الأطفال دون السنة . فاستناداً إلى بعض الإحصائيات التي نشرتها إحدى الصحف العراقية، فإن نسبة الوفيات بين الأطفال العراقيين كانت مرتفعة جداً قياساً إلى ما كان عليه بالنسبة للأطفال البريطانيين أو الهولنديين . ففي العراق كان هناك ثمانية عشر طفلاً من بين أربعة وعشرين طفلاً كانوا يموتون دون سن الرابعة بسبب الأمراض التي يتعرضون إليها في حين لم تتجاوز هذه النسبة واحداً ونصف الواحد فقط في بريطانيا، واقل من ذلك في هولندا[١٣٦]. ويوضح الجدول الآتي نسبة الولادات والوفيات بين عامي ١٩٣٨ و ١٩٣٩ .

جدول رقم (١٠): يبين نسبة الولادات والوفيات في مدن العراق الرئيسة بين عامي ١٩٣٨ و ١٩٣٩[١٣٧] .

السنة	بغداد			البصرة			الموصل		
	الولادات	الوفيات	النسبة لكل ألف ولادة	الولادات	الوفيات	النسبة لكل ألف ولادة	الولادات	الوفيات	النسبة لكل ألف ولادة
١٩٣٨	٨٨٦٣	٢٢٧٩	٢٥٧	٣٧٦٥	٦٢٤	١٦٦	١٧٧٠	٤٤٣	٢٥٠
١٩٣٩	٩١١٩	٢١٣١	٢٣٤	٣٨٨٨	٧٣٠	١٨٨	١٧٩٦	٤١٥	٢٣١

يبين الجدول أعلاه ارتفاع نسبة الوفيات في المدن الكبيرة من العراق التي كانت تحظى بنسبة أكبر من نظيراتها من المؤسسات الصحية والخدمات العلاجية، لذلك فبالتأكيد أن نسبة الوفيات كانت أكبر في بقية مدن العراق وقراه وقصباته التي كانت تقل، أو تنعدم فيها المؤسسات ذات العلاقة بحياة الناس وصحتهم .

يتضح من خلال ما سبق ذكره أن تردي الاوضاع العامة للبلاد أسهم بدور أساس في انتشار وتردي الحالة الصحية للسكان، فلم يكن في ظل اضطراب الوضع السياسي، وانحطاط المستوى الاقتصادي وتدهور الأحوال الاجتماعية، وسيادة الجهل والأمية على نسبة كبيرة من السكان، إن يزدهر الوضع الصحي، لأن هذه العوامل مترابطة فما بينها ترابطاً جدلياً، وينعكس التطور أو التخلف في أحد الميادين أيجاباً أو سلباً على الميادين الأخرى، كما أن العاملين الاقتصادي والاجتماعي يحدان إلى حد واضح من الحالة الصحية للسكان، ونبهت صحيفة ((**الأهالي**)) إلى هذه الحقيقة حينما أرادت أن تكون ثقافة الناس عالية، محل سكناهم صحياً، وماء شربهم صالحاً، ومأكلهم جيداً، وملابسهم كافية، حتى يمكن خلق المواطن الأنموذجي[١٣٨] .

الخاتمـــة :

يساعد مضمون البحث على حصر الجوانب السلبية للأوضاع الصحية في غضون المدة الممتدة بين عامي ١٩٣٠ و ١٩٣٩ بصورة مركزة في عدم توفر الإمكانات الضرورية لاجتثاث شأفة معظم الأمراض المتوطنة في البلاد أو تلك الوافدة إليها من البلدان المجاورة، ولاسيما ايران بحكم زخم زوارها إلى العتبات المقدسة، وبسبب نقل جثث الموتى المتواصل للدفن هناك . كما كانت هناك ظروف مواتية داخلية لتفشي بعض الأمراض التي كانت تفتك بحياة الناس . وتأتي

الملاريا والبلهارزيا في مقدمة تلك الأمراض التي لم تعتمد مكافحتها على توفر المؤسسات العلاجية والأدوية حسب، بل أنها كانت تعتمد، وربما أكثر من ذلك، على القضاء الحاسم على بؤر مخاطرها الكامنة في المستنقعات والبرك الراكدة، بل واحياناً إلى داخل محلاتها .

ومما يؤخذ أيضاً عن ذلك العهد في هذا المجال في نطاقه الأوسع هو أن النظام لم يولِ الصحة والتعليم ما كان يوليه أجهزة القمع والحماية من اهتمام، فإن الحكومة لم تخصص للخدمات الصحية في المعدل في تلك السنوات سوى أقل من (٥,٦١%) من ميزانية الدولة السنوية، مما كان يحول من دون إيجاد قاعدة صحية قوية بوسعها أن تنوء بالمهمات الكبيرة الملقاة على عاتقها، وبسبب ذلك لم ترتقِ المؤسسات الصحية إلى مستوى الطموح، وتحول نقص الملاك الطبي، ولاسيما المشخص منه، إلى سمة ملازمة للحياة الصحية في العراق طوال مدة البحث، كما لم ترتقِ السياسة الصحية للنظام يومذاك إلى مستوى العمل الجاد من أجل إيجاد الحد الأدنى المطلوب من الموازنة بين الخدمات الصحية المدنية والريفية، فظل البون شاسعاً بين الحالتين، إذ لم تتغير أبعاد الصورة على مدى تلك السنوات إلاّ في حدود ضيقة للغاية .

على الرغم من كل ذلك، وغير ذلك فإن الواقع يفرض على أي باحث منصف أن يقر، بالمقابل أن ما قدمته المؤسسات الصحية العلاجية، والدولة عموماً في تلك المرحلة من خدمات لاحتواء إفرازات المشكلات الصحية لم تكن قليلة، فإن المستشفيات والمستوصفات والملاكات الطبية من مختلف المستويات، والمستلزمات الأخرى، قد شهدت قدراً مقبولاً من التطور الكمي والنوعي في قياس الزمان والمكان .

الهوامش :

(١) حميد أحمد حمدان التميمي، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني، من منشورات مركز دراسات الخليج العربي. بجامعة البصرة، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٩، ص٣٨٤.

(٢) ينظر: هاشم الوتري وخالد معمر الشابندر، تاريخ الطب في العراق مع نشوء وتقدم الكلية الطبية الملكية، مطبعة الحكومة، بغداد،١٩٣٩، ص٦٣.

(٣) اضطلع بمهام وزارة المعارف والصحة في بادئ الأمر عزت باشا الكركوكلي الذي نقل إلى وزارة الأشغال والمواصلات على آثر إجراء تعديل وزاري قامت به حكومة عبد الرحمن النقيب ، وأنيطت وزارة المعارف والصحة إلى السيد محمد مهدي بحر العلوم. ينظر: عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الطبعة السابعة، من منشوراته الثقافة والإعلام، الجزء الأول، بغداد، ١٩٨٨، ص١٩.

(٤) حنا خياط: (١٨٨٤-١٩٥٩) طبيب من رجال الإدارة في العراق، ولد في الموصل، حاز على بكالوريوس في العلوم والآداب من الجامعة الفرنسية عام ١٩١٣، وعلى دبلوم الطب من جامعتي باريس واستانبول، وكان عند انتهاء الحرب العالمية الأولى نائباً لرئيس جمعية الهلال الأحمر في الموصل، ورئيساً للمستشفيات الملكية بين عام ١٩١٤-١٩١٩، التحق بالأمير فيصل في دمشق، عين أول وزير للصحة بعد قيام الحكم الملكي فمديراً عاماً لمديرية الصحة العامة بعد إلغائها وتقلب في وظائف عدة طوال العهد الملكي. ينظر: أديب توفيق الفكيكي، تاريخ إعلام الطب العراقي الحديث، الجزء الأول، بغداد، ١٩٨٩، ص٣٥.

(٥) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٠.

(٦) طالب العقابي، الخدمات الصحية (حضارة العراق)، الجزء الثالث عشر، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٧.

(٧) للتفصيل عن هذه القوانين ينظر: الحكومة العراقية، وزارة الداخلية، التقرير الصحي السنوي لمديرية الصحة العامة خلال ٢٥-١٩٢٤-٢٤-١٩٢٣، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٢٦، ص١٥٦-١٦٦.

(٨) المصدر نفسه، ص٤.

(٩) التقرير البريطاني الخاص المرفوع من الحكومة البريطانية إلى عصبة الأمم. العراق تحت الانتداب عشر سنوات، صحيفة الإخاء الوطني، بغداد، العدد ٦-٧، آب ١٩٣١ .

(١٠) د.ك.,.، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، رقم الملف: ٣١١/٥٢٢٤، مقررات مجلس الوزراء، كتاب وزارة الداخلية إلى مديرية الصحة العامة، الرقم ١٤٦١٦ في ١٣ أيلول ١٩٣٣، الوثيقة رقم ١، ص٣.

(١١) مجيد خدوري، نظام الحكم في العراق، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٦، ص١١٧.

(١٢) المصدر نفسه، ص٧٩-٨٠ .

(١٣) جعفر عباس حميدي، الآثار الاجتماعية للحرب العالمية الثانية، مجلة الحكمة، بغداد، العدد ٢، أيار ١٩٨٨، ص٦٧ .

(١٤) سعيد عبود السامرائي، اقتصاديات العراق، بغداد، ١٩٧٠، ص١٠١ .

(١٥) هوشيار معروف، الاقتصاد العراقي بين التبعية والاستقلال، من منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٧٧، ص٢١ .

(١٦) بدأت الأزمة في خريف ١٩٢٩، وكانت أخطرها تلك التي ظهرت في الولايات المتحدة الامريكية، ويعود أسباب هذه الأزمة العالمية إلى عدم التوازن بين الزيادة الكبيرة بسبب تطور الآلة، وبين ضعف الاستهلاك المحلي، مما أدّى إلى وجود الوفرة في البضائع قابلها ضعف في القوة الشرائية مما أدّى

بالتالي إلى حدوث الكساد الاقتصادي . وقد انتقلت هذه الأزمة إلى جميع الدول الأوربية ماعدا الاتحاد السوفيتي بسبب اتّباعه الاقتصاد الموجه . للتفصيل ينظر : رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، تطور الأحداث لفترة ما بين الحربين ١٩١٤ – ١٩٤٥، الجزء الأول، بيروت، د.ت، ص٢٥٥-٢٧٥ .

(١٧) جعفر عباس حميدي، الآثار الاجتماعية للحرب العالمية الثانية، ص٦٨-٦٩ .

(١٨) محمد عويد الدليمي، الأوضاع الاقتصادية في العراق ١٩٣٩ – ١٩٤٥، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية – ابن رشد- جامعة بغداد، ١٩٨٨، ص٢٦ .

(١٩) مظفر حسين جميل، سياسة العراق التجارية، القاهرة، ١٩٤٩، ص٣٤٦ .

(٢٠) موسيس ديرهاكوبيان، حالة العراق الصحية في نصف قرن، من منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨١، ص٢٧ .

(٢١) هاشم جواد، مقدمة في كيان العراق الاجتماعي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٦، ص٧٨ .

(٢٢) ينظر : عماد أحمد الجواهري، تاريخ مشكلة الأراضي والاصلاح الزراعي في العراق ١٩٣٢ – ١٩٧٠، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة بغداد، ١٩٨٢، ص٦٢ .

(٢٣) صحيفة الأهالي، بغداد، العدد ٤٧٣، ٢٩ كانون الأول ١٩٣٦ .

(٢٤) علي خليل، الأوضاع الاقتصادية في العراق ١٩٣٢ – ١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص٢٤٧ .

(٢٥) صحيفة الأهالي، العدد ٤٧٣، ٢٩ كانون الأول، ١٩٣٦ .

(٢٦) للتفصيل عن أوضاع العمال في المرحلة الأولى من عهد الاستقلال تنظر : أميرة حسين محمود الكريمي، الحركة العمالية في العراق ١٩٣٢ – ١٩٤٥، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٩٠، ص٢٦-٥٥.

(٢٧) جعفر عباس حميدي، الآثار الاجتماعية للحرب العالمية الثانية، ص٧٣-٧٤ .

(٢٨) صحيفة صوت الأهالي، بغداد، العدد ١٣١، ٣٠ تشرين الثاني، ١٩٤٢ .

(٢٩) عبدالرزاق الهلالي، نظرات في اصلاح الريف، مطابع دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٤، ص٣٠-٣١.

(٣٠) محمود الجليلي وآخرون، حالة التغذية في العراق، بغداد، د.ت، ص٢٥ .

(٣١) المصدر نفسه .

(٣٢) المصدر نفسه .

(٣٣) تعني الأمية الأبجدية الجهل بالمهارات الأولية، أي القراءة والكتابة والحساب، وتعني الأمية الحضارية ممارسة أساليب وفعاليات واتجاهات وعلاقات ونظم اجتماعية وحضارية مختلفة . ينظر :

غازي دحام فهد المرسومي، التعليم في العراق ١٩٣٢ – ١٩٤٥، رسالة وماجستير غير منشورة كلية الآداب – جامعة بغداد، ١٩٨٦، ص٤٦.

(٣٤) المصدر نفسه، ص٤٦-٤٧ .

(٣٥) هاشم جواد، المصدر السابق، ص٢٥٦ .

(٣٦) موسيس ديرهاكوبيان، حالة العراق الصحية في ربع قرن، بغداد، ١٩٤٨، ص٤٩ .

(٣٧) المصدر نفسه .

(٣٨) هاشم الوتري ومعمر خالد الشابندر، المصدر السابق، ص٥٧-٥٨ .

(٣٩) التقرير السنوي حول الأعمال الصحية للسنوات الثلاث ٣٦ – ٣٧ – ١٩٣٨، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٣٩، ص٢٧ .

(٤٠) د.ك.و.، الوحدة الوثائقية : ملفات البلاط الملكي، رقم الملف : ٣١١/٥٢٢٤، مقررات مجلس الوزراء، كتاب وزارة الداخلية إلى مديرية الصحة العامة، الرقم ١٤٦٦ في ١٣ أيلول ١٩٣٣، الوثيقة رقم ١، ص٢ .

(٤١) التقرير السنوي حول الأعمال الصحية للسنوات الثلاث ٣٦ – ٣٧ – ١٩٣٨، ص٣.

(٤٢) المصدر نفسه، ص٢-٣ .

(٤٣) المصدر نفسه، ص٥ .

(٤٤) الحكومة العراقية، التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٤٣ – ١٩٤٤، مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٤٥، ص٢ ؛ سعيد حمادة، النظام الاقتصادي في العراق، بيروت، ١٩٣٨، ص٥٦١ ؛ موسيس ديرهاكوبيان، حالة العراق الصحية في نصف قرن، ص١٩٤ .

(٤٥) غازي دحام فهد المرسومي، المصدر السابق، ص٣٨ .

(٤٦) أحمد عبدالباقي، ميزانية الدولة العراقية، تحضيرها وتحليلها، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤٧، ص١٥١-١٥٢ .

(٤٧) رشا هشام جميل العاني، الآثار الاجتماعية للحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية – ابن رشد – جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص٥٥ .

(٤٨) التقرير السنوي حول الأعمال الصحية للسنوات الثلاث ٣٦ – ٣٧ – ١٩٣٨، ص٩٥.

(٤٩) هادي الباجه جي، الجذام في العراق، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٣٨، ص٣ .

(٥٠) الحكومة العراقية، وزارة الشؤون الاجتماعية، نشرة الاحصاء الصحي والحياتي لسنة ١٩٥١، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٥٣، ص٢٨ .

(٥١) جعفر عبدالدائم بنيان المنصور، الحالة الصحية في البصرة ١٩٢١ – ١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة البصرة، ١٩٩٨، ص٧٠ .

(٥٢) المصدر نفسه .

(٥٣) صحيفة الاستقلال، بغداد، العدد ٢٩١٠، ٢٣ تشرين الأول ١٩٣٦ .

(٥٤) محاضر جلسات مجلس النواب، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٧، محضر الجلسة التاسعة عشر في ٧ حزيران ١٩٣٧، مطبعة الحكومة، بغداد، ص٢٤٧ .

(٥٥) د. ك. و.، الوحدة الوثائقية، ملفات وزارة الداخلية، رقم الملف : ٣٢٠٥٠/٧٦٩٥، تقارير الصحة، تقرير تفتيش مركز قضاء سامراء، الرقم ٧ في ٣٠ كانون الأول ١٩٣٧، الوثيقة ٢، ص١٤ .

(٥٦) التقرير السنوي حول الإعمال الصحية للسنوات الثلاث ١٩٣٦-١٩٣٧-١٩٣٨، ص٩٧-٩٨ .

(٥٧) موسيس ديرهاكوبيان، حالة العراق الصحية في ربع قرن، ص٨٠ .

(٥٨) التقرير السنوي حول الإعمال الصحية للسنوات الثلاث١٩٣٦-١٩٣٧-١٩٣٨، ص٩٧ .

(٥٩) موسيس ديرهاكوبيان، حالة العراق الصحية في نصف قرن، ص١٩٣ .

(٦٠) التقرير السنوي حول الإعمال الصحية للسنوات الثلاث١٩٣٦-١٩٣٧-١٩٣٨، ص ١٠١-١١٤.

(٦١) د.ك.و.، الوحدة الوثائقية : ملفات البلاط الملكي، رقم الملف : ٣٢٠٥٠/٨٤٢٠، تفتيش مركز لواء السليمانية، كتاب دائرة المفتش الإداري إلى وزارة الداخلية، الرقم ٦٠ في ١٦ تموز ١٩٣٩، رقم الوثيقة ٢٧، ص٦٦ .

(٦٢) عبدالمجيد القصاب، أوراق كنائس الطبيب، ورقة بعنوان ذكرياتي في ادارة مستشفى العزل، غير مطبوعة، محفوظة في دار الكتب والوثائق العراقية .

(٦٣) صحيفة الزمان، بغداد، العدد ١١٤، ١٢ كانون الثاني ١٩٣٨ .

(٦٤) جعفر عبدالدائم بنيان المنصور، المصدر السابق، ص٧٤ .

(٦٥) تنظر : محاضر جلسات مجلس النواب العراقي، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٧، محضر الجلسة الحادية والعشرون في ١ حزيران ١٩٣٧، ص٢٩٤.

(٦٦) محاضر جلسات مجلس النواب العراقي، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٥، محضر الجلسة العشرين في ٨ كانون الأول ١٩٣٦، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٣٦، ص٢٨٢ .

(٦٧) ناصر روفائيل بطرس، تقويم فاعلية وانتاجية وكفاءة الخدمات الصحية في العراق للفترة ١٩٦٠ – ١٩٧٧، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإدارة والاقتصاد – جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٩، ص٣٥٢، ٣٥٥ .

(٦٨) موسيس ديرهاكوبيان، حالة العراق الصحية في نصف قرن، ص١٨٩.

(٦٩) مجلة المهن الطبية، بغداد، المجلد الأول، العدد الرابع، كانون الأول ١٩٥٣، ص٧٠ .

(٧٠) المصدر نفسه.

(٧١) د.ك.و.، الوحدة الوثائقية : ملفات وزارة الداخلية، رقم الملف : ٣٢٠٥٠/١٢٠٨، إنشاء المستوصفات، كتاب رئيس الهيئة التفتيشية للمنطقة الرابعة في الديوانية إلى وزارة الداخلية، الرقم ١١٥ في ٨ كانون الأول ١٩٣٥، الوثيقة رقم ٣، ص٥ .

(٧٢) محاضر جلسات مجلس النواب العراقي، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٥، محضر الجلسة العشرون في ١٤ كانون الثاني ١٩٣٥، ص٢٧٨ .

(٧٣) صحيفة الأهالي، العدد ٤٣٣، ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٦ .

(٧٤) وهم كل من : كرجي ربيع، جاك عبودي، بيثون وسام، رؤوف سميح، البير نسيم، محمد احسان القيمقجي، يعقوب أزاجي، عبدالمجيد الشهربللي، فؤاد مراد، صيون منشي، عبد الحميد شلاش وعلي البير. يُنظر : هاشم الوتري ومعمر خالد الشابندر، المصدر السابق، ص١٢٢ .

(٧٥) فخري محمد الحديثي، دراسة علمية لمسيرة كلية الطب خلال ستين عاماً، مجلة كلية الطب، بغداد، المجلد الثلاثون، العدد الثالث، ١٩٨٨، ص١٠ .

(٧٦) شريف عسيران، الأحوال الصحية في العراق، مطبعة التفيض الأهلية، بغداد، ١٩٤٢، ص١٤ .

(٧٧) هاشم الوتري ومعمر خالد الشابندر، المصدر السابق، ص١٢٩ .

(٧٨) صحيفة العراق، بغداد، العدد ٥٦٨٢، ١٩ ايلول ١٩٣٦ .

(٧٩) عبدالرزاق الهلالي، معجم العراق، الجزء الأول، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٣، ص٢٥٥ .

(٨٠) غازي دحام فهد المرسومي، المصدر السابق، ص٨٩ .

(٨١) الحكومة العراقية، وزارة الشؤون الاجتماعية، نشرة الاحصاء الصحي والحياتي لسنة ١٩٥١، ص٥٠ .

(٨٢) المصدر نفسه.

(٨٣) المصدر نفسه، ص٧٠ .

(٨٤) ان تاريخ مرض الملاريا يرجع إلى ما قبل ٢٥٠٠ عام حيث ميزه الطبيب اليوناني هيبوقراط، عندما لاحظ تضخم الطحال الناتج عن الحمى المتقطعة، وفي العام ١٨٨٠م عرف المرض واضحاً جلياً حيث اكتشف الطبيب الفرنسي لافران في الجزائر طفيلي الملاريا . ينظر: محسن عبدالصاحب المظفر، التحليل المكاني لأمراض متوطنة في العراق، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٩، ص٧٤ .

(85) Ali Ghalib, Malania and Malania in Iraq, Baghdad, 1944, P.30.

(٨٦) جعفر الخياط، القرية العراقية، مطابع دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٤، ص٣١ .

(٨٧) محمد توفيق، نهاية الاقطاع في العراق، بيروت، ١٩٥٨، ص٥٢ .

(88) Qouted in : Ali Gahlib, Op.Cit., P.41

(٨٩) محمد توفيق، المصدر السابق، ص٥٢ .

(٩٠) متي عقراوي، العراق الحديث، تعريب المؤلف ومجيد خدوري، الجزء الأول، مطبعة العهد، بغداد، ص٢١٤ .

(٩١) مقتبس من : جعفر عبدالدائم بنيان، المصدر السابق، ص١١٥-١١٦ .

(٩٢) الدكتور مليكان : من مرتبات الجيش، وهو واحد من أشهر الخبراء العاملين في مجال مكافحة الملاريا في العالم . عمل مدة أكثر من ست عشرة سنة على حل مشاكل السيطرة على الملاريا في شرق الأنديز الهولندي ومصر وفلسطين وسوريا وأوروبا، تنظر : د.ك.و.، الوحدة الوثائقية : ملفات وزارة الداخلية، رقم الملف : ٣٢٠٥٠/٨٦٧٦، الأمور الصحية، تقرير عن الملاريا في العراق، الوثيقة رقم ٧، ص١١ .

(93) Ali Ghalib, OP.Cit., P.36-38.

(٩٤) د.ك.و.، الوحدة الوثائقية : ملفات وزارة الاقتصاد والمواصلات، رقم الملف : ٣٢١٣١/٢٦٧، مديرية الصحة العامة، مكافحة الملاريا، الوثيقة رقم ٢٦٦، ص٢٤٨ .

(٩٥) صحيفة البلاد، بغداد، العدد ٦٢٦، ٢١ تموز ١٩٣٦ .

(٩٦) صحيفة الأهالي، العدد ٤٧٣، ٢٩ كانون الأول ١٩٣٦ .

(٩٧) المصدر نفسه .

(٩٨) التقرير السنوي حول الأعمال الصحية للسنوات الثلاث ٣٦ – ٣٧ – ١٩٣٨، ص١٥٦.

(٩٩) المصدر نفسه، ص١٥٦-١٥٧ .

(١٠٠) تنظر : الحكومة العراقية، وزارة الاقتصاد، المجموعة الاحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٤١، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٣، ص٤٤ .

(101) Hashim Al-witry, OP., P.20

(١٠٢) عبدالرحيم عجينة، الحالة الصحية في العراق، مجلة المثقف، بغداد، العدد الأول، تشرين الأول ١٩٥٨، ص٦٦ ؛ محمد توفيق حسين، المصدر السابق، ص٥٣ .

(١٠٣) جعفر الخياط، المصدر السابق، ص٣٤ .

(١٠٤) محاضر جلسات مجلس النواب العراقي، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٥، محضر الجلسة العشرين، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٣٦، ص٢٨٦ .

[١٠٥] تنظر : الحكومة العراقية، وزارة الاقتصاد، المجموعة الاحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٤١، ص٤٠ .

[١٠٦] جريدة الاستقلال، بغداد، العدد ٢٦٤٠، ٦ كانون الأول ١٩٣٥ .

[١٠٧] تنظر : الحكومة العراقية، وزارة الاقتصاد، المجموعة الاحصائية السنوية لسنة ١٩٤١، ص٤٢-٤٣.

[١٠٨] شريف عسيران، المصدر السابق، ص٣٤ .

[١٠٩] تعذر علينا الحصول على نص التقرير نفسه، فاقتبسنا معلوماته من كراس ((كيف عالجنا مشكلة البغاء)) الذي أصدرته ببغداد ((جمعية الخدمات الدينية والاجتماعية في العراق)) سنة ١٩٥٢ وعنوان التقرير هو ((تقرير عن وضع البغاء سنة ١٩٤٠))، ص٤٣ .

[١١٠] تنظر على سبيل المثال : صحيفة الاستقلال، العدد ٢٦٣٨، ٤ كانون الأول ١٩٣٥.

[١١١] المصدر نفسه، العدد ٢٦٤٠، ٦ كانون الأول ١٩٣٥ .

[١١٢] أمين المميز، بغداد كما عرفتها، شذرات من ذكريات، مطابع آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٨٥، كريم حيدر خضير، تاريخ الشرطة العراقية ١٩٣٢ – ١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية – ابن رشد – جامعة بغداد، ٢٠٠٠، ص٥٢ .

[١١٣] مقتبس من : كيف عالجنا مشكلة البغاء، ص٣٨ .

[١١٤] مقتبس من: المصدر نفسه، ص٣٩ .

[١١٥] ولفر وشسكير، المعدان أو سكان الأهوار، ترجمة باقر الدجيلي، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٦، ص٤٤ .

[١١٦] حيدر حميد رشيد، الأوضاع الصحية في العراق ١٩٤٥ – ١٩٥٨، دراسة في التاريخ الاجتماعي للعراق المعاصر، مراجعة: الدكتور جعفر عباس حميدي، تقديم: الدكتور كمال مظهر أحمد، بغداد، ٢٠١٠، ص٣٢٣ .

[١١٧] المصدر نفسه .

[١١٨] الحكومة العراقية، وزارة الاقتصاد، المجموعة الاحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٤٦،مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٨، ص٤٠.

[١١٩] لجنة وفي وزارة المعارف، أحوال العراق الاجتماعية والاقتصادية، بغداد، ١٩٥٥، ص١٥٣.

[١٢٠] عباس عنتر، ثورة مسلول، مطبعة الأسواق التجارية، بغداد، ١٩٦٠، ص١٠.

[١٢١] محاضر جلسات مجلس النواب، الاجتماع الاعتيادي، ١٩٤٥، محضر الجلسة الرابعة والثلاثون في ٨ مايس ١٩٤٦، ص٣٣ .

[١٢٢] شريف عسيران، المصدر السابق، ص٣٢ .

(١٢٣) تنظر : الحكومة العراقية، وزارة الاقتصاد، المجموعة الاحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٤١، ص٣٦ .

(١٢٤) بعثة البنك الدولي، تقدم العراق الاقتصادي، واشنطن، ١٩٥٣، ص١٨٣ .

(١٢٥) تنظر : الحكومة العراقية، وزارة الاقتصاد، المجموعة الاحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٤١، ص٤٥ ؛ الحكومة العراقية، وزارة الاقتصاد، المجموعة الاحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٤٦، ص٢٤ .

(126) Hashim Al-Witry, OP. Cit., P.17

(127) Ibid, p .18.

(١٢٨) علي خليل، الأوضاع الاقتصادية في العراق ١٩٣٢ – ١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص٢٤٢ .

(129) Mahadi Murtaza, Report on Actual Living Conditions in Iraq, Baghdad, 1958.

(١٣٠) جعفر عبدالدائم بنيان، المصدر السابق، ص١٢٦ .

(١٣١) المصدر نفسه ، ٢٩.

(١٣٢) تنظر : محاضر جلسات مجلس النواب العراقي، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٤٢، محضر الجلسة الثالثة والعشرين في ٢٣ آذار ١٩٤٣، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٤٣، ص١٩٥ .

(١٣٣) الحكومة العراقية، وزارة الاقتصاد، المجموعة الإحصائية السنوية لسنة ١٩٤١، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٣، جدول رقم ٣٦ .

(١٣٤) هاشم جواد، المصدر السابق، ص٢٦ .

(١٣٥) محاضر جلسات مجلس النواب العراقي، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٥، محضر الجلسة الرابعة عشر في ٣١ كانون الأول ١٩٣٥، ص١٨٠ .

(١٣٦) صحيفة الشعب، بغداد، العدد ١٥٢، ١٤ آذار – ١٩٤٥ .

(١٣٧) مقتبس من : هاشم جواد، المصدر السابق، ص٢٥ .

(١٣٨) صحيفة الأهالي، العدد ٤٧٣، ٢٩ كانون الأول ١٩٣٦ .

المصادر والمراجع:

أولا: الوثائق المنشورة

- **وثائق دارالكتب والوثائق.**
- **وثائق البلاط الملكي:**

١- رقم الملف: ٣١١/٥٢٢٤، مقررات مجلس الوزراء، كتاب وزارة الداخلية إلى مديرية الصحة العامة، الرقم ١٤٦١٦ في ١٣ ايلول ١٩٣٣.

٢- رقم الملف:٣٢٠٥/٨٤٢٠، تفيش مركز لواء السليمانية، كتاب دائرة المفتش الإداري إلى وزارة الداخلية، الرقم ٦٠ في ١٦ تموز ١٩٣٨.

- **وثائق وزارة الداخلية**

١- رقم الملف: ٣٢٠٥٠/١٢٠٨، إنشاء المستوصفات، كتاب رئيس الهيئة التفتيشية للمنطقة الرابعة في الديوانية إلى وزارة الداخلية، الرقم ١١٥ في ٨ كانون الأول ١٩٣٥.

٢- رقم الملف: ٣٢٠٥٠/٧٦٩٥ ، تقارير الصحة العامة، تقرير تفتيش مركز قضاء سامراء الرقم ٧ في ٣٠ كانون الأول ١٩٣٧.

- وثائق وزارة الاقتصاد والمواصلات:

١- رقم الملف: ٣٢١٣١/٢٦٧، مديرية الصحة العامة، مكافحة الملاريا، الوثيقة رقم ٢٦٦.

ثانياً: الوثائق المنشورة

- **محاضر جلسات مجلس النواب العراقي**

١- الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٥.

٢- الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٧.

٣- الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٤٢.

٤- الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٤.

- **المطبوعات الحكومية:**

١- التقرير السنوي حول الأعمال الصحية للسنوات ٣٦-٣٧-١٩٣٨، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٣٩.

٢- الحكومة العراقية، التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٤٣-١٩٤٤، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٥.

٣- الحكومة العراقية، المجموعة الإحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٤١، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٣.

٤- الحكومة العراقية، المجموعة الإحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٤٦، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٧.

٥- الحكومة العراقية، وزارة الشؤون الاجتماعية، نشرة الإحصاء الصحي والمباني لسنة ١٩٥١، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٥٣.

٦- الحكومة العراقية، وزارة الداخلية، التقرير الصحي السنوي لمديرية الصحة العامة خلال ٢٥-١٩٢٤- ٢٤-١٩٢٣، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٢٦.

ثالثاً: الدراسات المتخصصة:

-باللغة العربية:

١- أديب توفيق الفكيكي، تاريخ أعلام الطب العراقي الحديث، الجزء الأول، بغداد، ١٩٨٩.
٢- حيدر حميد، الأوضاع الصحية في العراق، ددراسة في التاريخ الاجتماعي للعراق المعاصر، مراجعة: الدكتور جعفر عباس حميدي، تقديم: الدكتور كمال مظهر احمد، بغداد، ٢٠١٠.
٣- شريف عسيران، الأحوال الصحية في العراق، مطبعة التفيض الأهلية، بغداد، ١٩٤٢.
٤- طالب العقابي، الخدمات الصحية (حضارة العراق)، الجزء الثالث، بغداد، ١٩٨٥.
٥- موسيس دير هاكوبيان، حالة العراق الصحية في نصف قرن، من منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨١.
٦- موسيس دير هاكوبيان، حالة العراق الصحية في ربع قرن، بغداد، ١٩٤٨.
٧- عبدالرحيم عجينة، الحالة الصحية في العراق، مجلة المثقف، بغداد، العدد الأول، تشرين الأول، ١٩٥٨.
٨- عبدالمجيد القصاب، أوراق كناش الطبيب، ورقة بعنوان ذكرياتي في إدارة مستشفى العزل، غير مطبوعة محفوظة في دار الكتب والوثائق العراقية.
٩- محسن عبدالصاحب المظفر، التحليل المكاني للأمراض المتوطنة في العراق، بغداد، ١٩٧٩.
١٠-ناصر رفائيل بطرس ، تقويم فاعلية وإنتاجية كفاءة الخدمات الصحية في العراق ١٩٦٠-١٩٧٧ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد، ١٩٧٩.
١١-هاشم الوتري، معمر خالد الشابندر، تاريخ الطب في العراق مع نشوء وتقدم الكلية الطبية الملكية العراقية ، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٣٩.
١٢-هادي الباججي، الجذام في العراق، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٣٨.

٢- اللغة الانكليزية:

1- Ghalib, Ali, Malaria, and Malariain, Iraq, Baghdad

رابعاً: رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه غير المنشورة

١- جعفر عبدالدائم بنيان، الحالة الصحية في البصرة ١٩٢١-١٩٣٩، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٨٩.

٢- رشا هشام جميل العاني، الآثار الاجتماعية للحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، رسالة ماجستير، كلية التربية، أبن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٩.
٣- عماد احمد الجواهري، تاريخ مشكلة الأراضي والاصلاح الزراعي في العراق، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٢.
٤- علي خليل، الأوضاع الاقتصادية في العراق، ١٩٣٢-١٩٣٩، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٠.
٥- غازي دحام فهد المرسومي، التعليم في العراق ١٩٣٢- ١٩٤٥، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٩٨٦.
٦- محمد عويد الدليمي، الأوضاع الاقتصادية في العراق ١٩٣٩-١٩٤٥، رسالة ماجستير، كلية التربية- أبن رشد- جامعة بغداد، ١٩٨٨.

خامساً: المصادر العربية والمعربة

١- احمد عبدالباقي، ميزانية الدولة العراقية، تحضيرها وتحليلها، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤٧.
٢- أميرة حسين محمود الكريمي، الحركة العمالية، ١٩٣٢-١٩٤٥ ، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٩٠.
٣- أمين المميز، بغداد كما عرفتها، شذرات من ذكريات مطابع آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥.
٤- بعثة البنك الدولي، تقدم العراق الاقتصادي، واشنطن، ١٩٥٣.
٥- جعفر الخياط، القرية العراقية، مطابع دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٤.
٦- جمعية الخدمات الدينية والاجتماعية في العراق، كيف عالجنا مشكلة البغاء، بغداد، ١٩٥٢.
٧- حميد أحمد حمدان التميمي، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني، من منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، مطبعة الأرشاد، بغداد، ١٩٧٩.
٨- رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، تطور الاحداث للفترة ما بين الحربين ١٩١٤-١٩٤٥.
٩- سعيد عبود السامرائي، اقتصاديات العراق في بغداد ، ١٩٧٠ .
١٠-عباس عنتر، ثورة مسلول، مطبعة الأسواق التجارية، بغداد، ١٩٦٠
١١-عبدالرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، الطبعة السابعة، من منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجزء الأول، بغداد، ١٩٨٨.
١٢-عبدالرزاق الهلالي، معجم العراق، الجزء الأول، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٣.
١٣-ـــــــــــ، نظرات في إصلاح الريف، مطابع دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٤.
١٤-لجنة في وزارة المعارف ، احوال العراق الاجتماعية والاقتصادية، بغداد، ١٩٥٥.

١٥-متي عقراوي، العراق الحديث، تعريب: المؤلف ومجيد خدوري، الجزء الأول، مطبعة العهد، بغداد، د.ت.
١٦-مجيد خدوري، نظام الحكم في العراق، مطبعة المعارف ، بغداد، ١٩٤٦.
١٧-محمد توفيق، نهاية الاقطاع في العراق، بلا ن، ١٩٥٨.
١٨-مظفر حسين جميل، سياسة العراق التجارية، القاهرة، ١٩٤٩.
١٩-هاشم جواد، مقدمة في كيان العراق الاجتماعي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٦.
٢٠-هوشيار معروف، الاقتصاد العراقي بين التبعية والاستقلال، من منشورات الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٧٧.
٢١-ولفرتسكير، المعدان أو سكان الأهوار، ترجمة: باقر الدجيلي، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٧٦.

سادساً: البحوث المنشورة:

١- جعفر عباس حميدي، الاثار الاجتماعية للحرب العالمية الثانية ، مجلة الحكمة ، بغداد، العدد٢ ، ايار ١٩٨٨.

سابعاً: المجلات :

١- الحكمة.
٢- المثقف.

ثامناً: الصحف:

١- صحيفة الآخاء الوطني.
٢- صحيفة الأهالي.
٣- صحيفة البلاد.
٤- صحيفة الشعب.
٥- صحيفة العراق.

الجوانب العسكرية
في كتاب تاريخ لابن ابي الدم

م.م علاء محمد الزيدي
جامعة بغداد / كلية الاعلام

الجوانب العسكرية في كتاب تاريخ لابن ابي الدم

م.م علاء محمد الزيدي

المقدمة :

يعد ابن ابي الدم من ابرز علماء هذا القرن (القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) الذي صنف عدة مؤلفات في الفقه والحديث والتاريخ ، ومنها كتاب " تاريخ ابن ابي الدم" المهمة لما احتوى من معلومات مهمة بأسلوب مختصر للتاريخ الاسلامي من بدايتها الى العام (٦٢٨هـ) ، وبرزت أهمية الكتاب في تنوع مادة العلمية وغزارتها وتنوعها في جوانب عدة ، السياسية والعسكرية الاقتصادية والاجتماعية ولاهم احداث الحقبة التي أرخ لها، لاسيما انه اتبع المنهج الحولي في سرد الاحداث التاريخية ومنها العسكرية طيلة المدة التي ارخ لها ، وتضمن البحث الاجابة على التساؤلات ، ومنها ما طبيعة الجانب العسكري الذي بينه ابن ابي الدم ؟ وما اهم المعارك؟ وما طبيعة العد والعدد لمجمل الجانب العسكري؟

اما المنهج الذي اقتضاه هذا البحث فهو الوصفي التحليلي بالاعتماد على المصادر والمراجع التي تضمنت المبتغى ، وتطلب البحث ان نقسمه الى مبحثين تسبقهما المقدمة وتتبعهما الخاتمة التي تضمنت اهم النتائج التي توصلنا لها .

المبحث الاول : سيرة ابن ابي الدم

أولاً: اسمه ونشأته ورحلاته العلمية :

أجمعت المصادر(١) على أن اسمه: ابراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن علي بن محمد بن فاتك بن محمد بن أبي الدم، و يكنى بـ(شهاب الدين) و بـ(أبي اسحاق)(٢)، ولقب بالقاب عدا منها الهمداني (٣) و الحموي (٤) والشافعي (٥) والقاضي(٦) والمعروف بـ (ابن أبي الدم) (٧)(٨).

نشأ ابن أبي الدم في مدينة حماة وترعرع فيها، واخذ منها معارفه الأولية(٩)، ثم ذهب الى بغداد وتفقه على مذهب الشافعي ، وسمع من الشيخ ابو حامد البغدادي "ابن

سكينة"(١٠)(١١)، ودرس بالمدرسة النظامية في بغداد (١٢)، ثم رحل الى القاهرة وسمع وحدث بها وثم انتقل الى الموصل ودرس على يد مشايخها، وقال ذلك بنفسه فقال: "ووافقنا على ما صرنا اليه بعرف مشايخنا بالموصل"(١٣)، ويقول الذهبي(١٤) انه حدث بمصر ودمشق وحماة في حلقة(١٥) الغطريف(١٦) وحدث في حلب (١٧)، وكان إماماً في المذهب الشافعي، وعالماً بالفقه والحديث والتاريخ ، وله مصنفات تدل على سعة علمه وفضله(١٨)، بعد أن أكمل ابن أبي الدم طلبه للعلم وبذله مجهودا كبيرا في تحصيله متمثلا برحلاته العلمية والتقاءه بمشايخه، و بدء مرحلة جديدة من حياته لإعطاء ثمار ما يمتلكه من علم فعمل بالتدريس والتعليم محاولاً ارفاد تلك المؤسسة ، وقال ابن واصل الحموي(١٩) وهو أحد تلاميذه ورفاقه ان ابن أبي الدم الحموي تولى القضاء في مدينة حماة عام (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) من قبل الملك قلج ارسلان بن محمد الناصر والي مدينة حماة، اذ كان فاضلاً متفقاً في الفقه والتاريخ ، وقيل عنه كان حسن الأخلاق وافر الفضل ، ومحترمٌ جليلٌ مهابٌ عفيفٌ لا يعرف الهزل (٢٠).

وذكر ابن العماد الحنبلي(٢١) ان ابن أبي الدم تولى القضاء في بلدة همذان(٢٢) وهو حموي ولي قضاءها أيضاً، وفندت هذه الرواية من قبل بعض الباحثين(٢٣)، وقالوا ان مبعثها الوهم وهو خطأ مطبعي من خلال تحقيق الطبعة الثانية من كتابه (أدب القضاء) إذ يروا ان نسبه ابن ابي الدم قبيلة همذان اليمانية ، وليس الى بلدة همذان ، بينما الدكتور عدنان قيطاز(٢٤) يرى عكس ذلك تماماً ذا قال: "فأن ابن أبي الدم همذاني نسبه الى بلدان همذان الفارسية وقد ولي قضاءها كما قال ابن العماد الحنبلي وليس همذانياً نسبة الى قبيلة همدان اليمانية"، مستنداً لوجود ترجمة فارسية لابن أبي الدم وقف عليها الدكتور سهيل زكار(٢٥)، وكذلك ان مدينة حماة لم تكن موطن القبائل اليمانية في الماضي بخلاف مدينة حمص ولذلك انعدمت في مدينة حماة النزعات القبلية بين القيسية واليمانية(٢٦)، وأتفقت المصادر(٢٧) ان ابن ابي الدم تولى منصب القضاء في مدينة حماة، باستثناء بعض المؤرخين(٢٨)، الذين أشاروا انه تولى القضاء بمدينة همذان اليمنية ومدينة همدان الفارسية وان ما ذهبوا اليه أنه من الوهم ، إذ خلطوا بأن نسبهُ الى القبيلة ونسبة الى البلدة، إذ لم يثبت لدينا بعد البحث في المصادر المتوفرة لدينا ان ليس لديه أي رحلة سياسية أو علمية

الى مدينة همذان اليمنية أو الفارسية، وان تلميذه ابن واصل الحموي الذي أخبرنا باغلب تفاصيل حياته ورحلاته العلمية ودوره السياسي لم يذكر انه تولى قضاء همذان اليمنية او الفارسية، إضافة الى شهرة ابن أبي الدم ونسبه الى موطنه الأم مدينة حماة وبعد ذلك يتضح لنا انه تولى القضاء في مدينة حماة وليس همذان.

ثانيا: شيوخه وتلاميذة ومؤلفاته: ممن خلال البحث وصلت الى مجموعة من الشيوخ والتلاميذ ومن بين هلاوء الشيوخ العماد الكاتب (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) وابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) و ابن سكينة (ت: ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م) ومحمد بن يونس الشافعي (ت: ٦٠٨هـ/ ١٢١١م) وابن الأخضر (ت: ٦١١هـ/ ١٢١٤م) وابن بزغش (ت: ٦١٢هـ/ ١٢١٥م) وكذالك ابن رواحة (ت: ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) ، اما تلاميذه ، كان من بينهم الشهاب الداشتي (ت: ٦٦٥هـ/ ١٢٩٦م) و ابن الصابوني (ت: ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) و ابن مزيز الحموي (ت: ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م) و ابن واصل الحموي (ت: ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) .

اما مؤلفات ابن ابي الدم :

١- المخطوطة:

- كتاب التاريخ الكبير: ذكر مجموعة من المؤرخين(٢٩)، وهو كتاب يتناول تاريخ الإسلام بدءاً من حياة الرسول (ﷺ) حتى العصور العباسية المتأخرة أي عام (٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م)، وجاء تحت عنوان (التاريخ في التاريخ)(٣٠) وهو مخطوط في مئة نسخة في اكسفورد(٣١).
- كتاب الفرق الاسلامية: ذكر عند مجموعة مؤرخين(٣٢)، إذ توجد له نسخة أصلية للكتاب في مكتبة خراجي أوغلى برقم ١٣٠٩ كتبت عام (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) من ١٥٢ الى ١٦٢ب نسخة فيها نقص بدأت من أول الأزارقة الى آخر الكتاب(٣٣)، ونسخة أخرى في مكتبة آماسية برقم ١/٩٤٢ من آب الى ١٢٣ كتبت في القرن الحادي عشر(٣٤).
- كتاب إيضاح الأغاليط الموجودة في الوسيط للغزالي(٣٥) : ذكره البغدادي(٣٦)، ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم ٢٨٢ فقه شافعي(٣٧).

٢- المطبوعة :

- كتاب تاريخ ابن أبي الدم أو المختصر في تاريخ الإسلام أو التاريخ الاسلامي المعروف باسم المظفري: ذكره مجموعة من المؤرخين(٣٨)، وجاء تحت عنوان(التاريخ المقفى)(٣٩).
- كتاب أدب القضاء (٤٠): ذكره مجموعة من المؤرخين(٤١)، و ذكر تحت عناوين أخرى (أدب القاضي)(٤٢) و(أدب القضاة)(٤٣) و(الدر المنظومات في الأقضية والحكومات)(٤٤).
- كتاب تدقيق العناية في تحقيق الرواية (٤٥): ذكره مجموعة من المؤرخين(٤٦).
- كتاب شرح مشكل الوسيط(٤٧):قام ابن أبي الدم بشرح الوسيط في الفروع للإمام ابي حامد الغزالي، والوسيط هو أحد الكتب الخمسة المتداولة لدى أتباع الإمام الشافعي(٤٨)، وجاء عند بعض تحت عنوان (شرح مشكل الوسيط) (٤٩)، وعرف أيضاً بعنوان (شرح الوسيط) (٥٠) و ذكره البغدادي(٥١) (شرح الوسائل في الفروع).

٣- الأخرى:

- كتاب فتاوى ابن أبي الدم: إذ تم ذكره عند مجموعة من المؤرخين (٥٢)، وهو مجموعة من فتاوي افتتى بها ابن أبي الدم (٥٣)، ولعل كتاب مفقود.
- كتاب شرح التنبيه: ذكره الدميري(٥٤)، وكتاب التنبيه هو مختصر فقهي وضعهُ الشيخ أبو إسحاق الشيرازي(٥٥)، اذ قام ابن أبي الدم بشرح هذا الكتاب، ولعل هذا الكتاب مفقود.

ثالثاً: وفاته : كانت وفاة ابن أبي الدم في مدينة حماة في شهر جمادى الآخر من العام (٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م) (٥٦)، اذ قال ابن واصل الحموي(٥٧) في وفاته، "لما توفى الملك المظفر صاحب حماة سير القاضي شهاب الدين ابن ابي الدم الى بغداد رسولاً الى الخليفة المستعصم بالله مخبراً بوفاة الملك المظفر، فلما وصل الى المعرة(٥٨) ، مرض بالدوسنطاريا(٥٩) فعاد الى حماة، فمات فيها يوم وصوله اليها".

رابعـا: وصـف الكتـاب: ان هـذا الكتـاب لـه عنوانـان همـا (تـاريخ ابـن ابـي الـدم) و(المختصر في تاريخ الاسلام)، إذ قال ابن ابي الدم في مقدمة الكتابة في الصفحة الثانية من المخطوط: "وقع اختياري على تأليف كتاب مختصر في التاريخ اطرازه يذكر دولته وتاريخ مملكته ونشر فضائله وجعلته تاريخاً اسلامياً..."(٦٠)، واعتمد محقق الكتاب على العنوان الأول على ما اشار اليه حاجي خليفة(٦١)، الى ان اسم الكتاب هو (تاريخ ابن ابي الدم)، أما العنوان الثاني فاعتمد المحقق على العنوان الداخلي الذي ورد في الصفحة الثانية من المخطوطة وهو اسم (المختصر في تاريخ الاسلام) واعتماد المحقق هذين الاسمين لأن ابن ابي الدم له كتاب مفقود في التاريخ اسمه (التاريخ الكبير) .

حيث قال محقق الدكتور حسن نابودة(٦٢) حظي هذا الكتاب باهتمام الباحثين ، اذ ذُكر ثلاث محاولات لتحقيقه، الاولى قام بها الدكتور جزيل عبد الجبار الجومرد ، إذ حققه في رسالته التي قدمها لنيل شهادة الدكتوراه من قسم الدراسات العربية في جامعة سانت اندروز باسكتلندا عام ١٩٨٤م تحت عنوان (كتاب التاريخ الاسلامي المختصر)، واما الثانية الذي قام بها الدكتور حامد زيان بتحقيق نسخة مكتبة بلدية الاسكندرية عام ١٩٨٩م، اذ يتناول فترة من البعثة الى نهاية الخلافة الأموية ، وجاء بعنوان (التاريخ الاسلامي)، والثالثة قامت بها الباحثة رجاء علي انجام في عام ٢٠١١م، اذ حققه مائة ورقة من المخطوط تتناول الفترة البعثة النبوية والعصر العباسي الأول، وتقدمت بها لنيل الماجستير من جامعة دمشق.

وعلى الرغم من ان هذا الكتاب هو مهدى الى الملك المظفر صاحب حماة وكانت الغاية منه وهدفه الأسمى هو اطلاع الملك على تاريخ الأمة الاسلامية، لأن الكتاب جاء شامل ومختصر للأحداث البارزة التي مرت في العصور الاسلامية واتبع اسلوب الحولي والموضوعات، واستقى هذه المصادر بهدف وامانة، كما قال المحقق : "وتكمن أهمية كتاب ابن ابي الدم بالنسبة الى الباحثين والمؤرخين في الفترة التي عاصروا فيها المؤلف، واراد ان ينقلها الينا بأمانة وصدق ولذلك يعد هذا الكتاب مصدراً لا غنى عنه في كتابه وتوثيق تاريخ تلك الفترة التي عاصرها المؤلف، فقد كان شاهداً على احداثها وتطوراتها، راصداً ومدوناً لأخبارها، ومن هنا القيمة العلمية الكبيرة لهذا الكتاب في دراسة تاريخ تلك الحقبة المهمة

التي شهدت احداثاً وحروباً كثيرة عصفت بالدولة، وابرزت اخرى، اما الفترات السابقة لذلك وبخاصة فترة صدر الاسلام، فيبقى تاريخ ابن ابي الدم مصدراً ثانوياً ومملاً لما سبقه من المؤلفين"(٦٣).

اذن يمكن القول من خلال مقدمة المؤلف ان الدافع وراء تأليفه الكتاب هو شكر النعمة التي انعم بها الملك المظفر على ابن ابي الدم نظراً للمكانة التي حظي بها في بلاطه، حتى انه تحير في اخبار العلم الذي يؤلف فيه الكتاب الى ان هداه الله الى الكتابة في (المختصر في التاريخ) "...كي يسجل فيه ذكر دولته وتاريخ مملكته ونشر فضائله ومعدلته..."(٦٤).

ونظراً لأهميته اصبح مصدراً للعديد من المصادر التي جاءت بعده ومن بين أهم من استقى منه (ابن شداد)(٦٥) و(الحسني)(٦٦) و(ابي الفدا)(٦٧) و(الصفدي)(٦٨) و(السبكي)(٦٩) و(العثماني)(٧٠) و(الفاسي)(٧١) وغيرهم، ونلاحظ حتى مصادر الجغرافية اعتمد على تاريخ ابن ابي الدم ومن بينهم (العمري)(٧٢) وهذا دليل على أهميته وتكميله للمصادر الأخرى.

وضع ابن ابي الدم هذا الكتاب المختصر في تاريخ الاسلام بأسم الملك المظفرملك مدينة حماة، اذ قال: "كنت صدراً من الزمن متشوقاً الى ان اخدم الجناب العالي الأعظم المولوي السلطان الملكي المظفري خلد الله سلطانه وعظم شأنه، بتصنيف كتاب اقضي به شكر النعمة، واقيم به رسم الخدمة واجتني بما اتعاطاه ثمار القبول، وابلغ بتصنيفه غاية المأمول، ثم جنحت الى التواني دهراً للتخير في تعيين العلم الذي أقصده بالتصنيف، وتخصيص الفن يقع موقع الرضا من الرأي الشريف الى ان حقق اله تعالى الأمل بسلطته، واعاد الحق الى نصابه بمملكته فوقع اختياري على تأليف كتاب مختصر في التاريخ واطرزه بذكر دولته وتاريخ مملكته ونشر فضائله ومعدلته وان كنت في ذلك كجالب التمر الى هجر، ورب هامل فقه الى من هو افقه منه..."(٧٣).

إذ ارخ ابن ابي الدم من سيرة الرسول (ﷺ) الى عام (٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م) اي نحو (٦٠٠عام) ولم يؤرخ أحداث (١٨٧ عام) متفرقة على طول المدة الذي ارخها ابن ابي الدم، وربما سبب ذلك الاختصار وهي سمة مؤرخنا والصفة الغالبة على الكتاب وعنوان الكتاب،

وربما ان بعض هذه السنوات كانت ذات احداث غير مهمة، او لعله لم يرغب المؤلف في اطلاع الملك على تلك الاحداث.

ان هذا الكتاب محط أنظار الباحثين العرب حيث كانت ثلاث محاولات لتحقيقه اذ كانت أول مرة التي قام بها الدكتور جزيل عبد الجبار الجرمود اذ قام بتحقيق الكتاب في رسالته التي قدمها لنيل شهادة الدكتوراه من قسم الدراسات العربية في جامعة سانت اندروز باسكتلندا عام ١٩٨٤م، وكان عنوان رسالته "كتاب التاريخ الاسلامي المختصر"، والمحاولة الثانية التي قام بها الدكتور حامد زيان الذي حققه ونشره في مكتبة بلدية الاسكندرية عام ١٩٨٩، لكن كان التحقيق جزء من الكتاب اذ بدأ من البعثة النبوية الى نهاية الخلافة الاموية وسماه (التاريخ الاسلامي)، أما الثالثة فهي ما قامت به الباحثة رجاء علي انجام في عام ٢٠١١م، لكن حققت مائة ورقة من المخطوط من البعثة النبوية الى العصر العباسي الأول، وتقدمت بها لنيل شهادة الماجستير من جامعة دمشق(٧٤)، أما طبعة هذا الكتاب الذي قام بها المحقق الدكتور حسن محمد النابودة في عام ٢٠١٦م، في دار الكتب العلمية في بيروت وتعد هذا الطبعة الأولى لأنها اكملت كل الطبعات الثلاث السابقة، الى ان تم تحقيقه للمرة الرابعة لتكمل معنويات الكتاب من عصر الرسول (ﷺ) الى عام (٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م).

المبحث الثاني : الجوانب العسكرية في الكتاب

اورد ابن ابي الدم الحموي العديد من الروايات التي تخص الجانب العسكري مركزاً على الاحداث العسكرية البارزة التي لها دور في تغير مجرى التاريخ في المشرق ولم يذكر في المغرب سوى احداث قليله جدا ، والغالب العام على كتاب مؤرخنا ابن ابي الدم في كتابهِ تاريخ ابن ابي الدم يرفع السند من الروايات التاريخية التي يذكرها، سيما وان الاختصار في عرض الروايات التاريخية هي السمة الغالبة على منهج ابن ابي الدم و يختصر كثيرا ربما كان ذلك هي سمت كتابه هو الاختصار او لاشتهار الحادثة التاريخية يختصرها هذا من جانب ، ومن جانب اخر يسهب في ذكر بعض الحوادث البارزة ربما لأهميتها في تغير مجرى الحدث اذ كان يوصف تلك الغزوة او الواقعة وصف كامل من حيث المكان وعدد

وقواد الجيشين وتاريخ وقوع الاحتدام ، وعلى عدة اقاويل وكذلك عدد قتلى الطرفين وهذا يدل على المام ابن ابي الدم .

اولاً: الجانب العسكري في السيرة النبوية

عند عرضة للرويات العسكرية في عصر الرسالة للغزوات وسراياً الرسول (ﷺ) عند ذكرة لغزوة بدر تميز ابن ابي الدم في عرضه في تلك الغزوة مبتدأً بذكر تاريخ الغزوة ثم وصف احداثها بدقه واحصى عدد المسلمين والمشركين الذين شاركوا في تلك الغزوة (٧٥) وان ابن ابي الدم الحموي في عرضه لغزوات الرسول (ﷺ) اقتصر على ذكر اربع وعشرون غزوة(٧٦)، وهو اقل من العدد المشهور لغزوات الرسول عند بعض المؤرخين (٧٧) ، ربما يرجع السبب عدم ذكرها لشهرتها او عدم اهميتها او لم يحدث فيها قتال كحال اغلب الغزوات ومن البحث عن الغزوات التي لم يذكرها ابن ابي الدم تبين انّه لم يذكر غزوة ذات السلاسل وغزوة بني النضير وغزوة حمراء الاسد، اذ اوردها مقتصراً على ذكر تاريخ الغزوة فقط .

اما ما يخص السرايا الرسول (ﷺ) اذ اورد خمس سرايا فقط وهي سرية عبيدة بن حارث وسرية الحمزة بن عبد المطلب وسرية سعد بن ابي وقاص وسرية ابي عبيدة بن الجراح وسرية زيد بن حارثه(٧٨) و ذكر بعض المؤرخون ان سرايا الرسول (ﷺ) عددها بضع وثلاثون سرية(٧٩) ، لعله ذكر هذا السرايا لأهميتها العسكرية في مجرى الاحداث وتحقيقها الاهداف المخطط لها وكذلك ان بعض السرايا التي لم يذكرها لم تحقق الهدف المرجو، عمدا ابن ابي الدم في ذكره لتلك السرايا على منهج يختصر فيه الحدث العسكري ملماً بتفاصيله ذا ذكرهِ تاريخ السرية وقائدها والمكان التي ارسله اليهِ ومثال اورد ابن ابي الدم "... فجهز سرية سعد بن بي وقاص الى الخرار ، وجهز سرية ابي عبيدة بن الجراح الى سيف البحر..." (٨٠) كما ذكره العام الذي وقعت فيهِ سرية زيد بن حارثة ومثالُ في عام (٣هـ) :" وفيها سرية زيد بن حارثه " (٨١).

لم يغفل ابن ابي الدم الحموي عن ذكر عدة المقاتل ورايتهُ لما لها من اهمية في السياسة العسكرية ذا يعكسان المقدرة القتالية من حيث الترتيب والتنظيم في قيادة الجيش يقصد بذلك رسول الله (ﷺ) اذ اورد قائلاً :" كانت رايته تسمى العقاب سوداء على عمد

الطيلسان ، واربعة سيوف ورمح وحربة وقوس وكنانة وترس ومنطقة وقضيب وقدحان وصاع ومد وحبا ومحجن" (٨٢).

ثانياً: الجانب العسكري في العصر الراشدي

اما منهج ابن ابي الدم في ذكر الاحداث العسكرية التي وقعت العصر الراشدي فقد اتسمت بالشمولية حينً والسهاب في حيانً اخرى الا انهُ لم يخرج عن منهجه الثابت في كتابه وهو الاختصار مع العلم ان العصر الراشدي هو اساس في العمليات العسكرية من حركات تمرد وفتوح الاسلامية وثورات على الخلافة ، ذكر ابن ابي الدم كل ما يخص العمليات العسكرية التي دارت في العصر الراشدي بدا ذكر احداث هذا العصر بحركات التمرد زمن الخليفة ابو بكر الصديق(ﷺ) واحاط القارى بتفاصيل هذا التمرد متبعاً الاسهاب في ذكر حوادث هذا التمرد بداً من خروج مسيلمة الكذاب وسجاح(٨٣) ودعائهما النبوة وتصدي الخليفة ابو بكر الصديق(ﷺ) بأرسال جيش على راسه القائد خالد بن الوليد(ﷺ) وقتل مسيلمة وانهزام سحاج وترجم ابن ابي الدم لسجاح وذكره انها اسلمت وماتت في خلافة معاوية بن ابي سفيان (ﷺ) ، اما التمرد الثاني الذي اورده ابن ابي الدم في العصر الراشدي هو حادثة يوم الدار(٨٤) في خلافة عثمان بن عفان (ﷺ) اتبعَ ابن ابي الدم منهجاً واضحاً اسهبه فيهِ بذكر تفاصيل حادثت الدار بداً من خروج الثوار وحصار الدار ومنع الماء وحرق الباب واقتحام الدار في اليوم الثالث من الحصار وذكر من ضربه اول مره وذكر من قتله ، ولعنه ابن ابي الدم قتلت عثمان (ﷺ) ، وذكره ابن ابي الدم نزول اول قطرة دم على المصحف وعلى اي اية وقال قتلوا معه خمس انفس ، وذكر جدلية دفنه عثمان (٨٥) اذ اورد مصادر عدة (٨٦) التي حدثت بأقاويل عدت ويختم ابن ابي الدم تفاصيل حادثة الدار بزوجة الخليفة المقتول نائلة بنت الفرافصة التي اصيبت هي الاخرى بيدها ومراسلها معاوية بن ابي سفيان لأخذ الثأر (٨٧)

اما في خلافة الامام علي (عليه السلام) فقد ذكر ابن ابي الدم تمرد ومعارضة الخوارج الحرورية منتبعاً الاسلوب نفسهُ في ذكر تمردات السابقة واورد عدد المعارضين للخليفة علي (عليه السلام) وكذلك يذكر التمرد او الحركات المعارضة التي حصلت في خلافة علي من الخوارج الحرورية حيث اورد عددهم ومناظرات الخليفة علي (عليه السلام) لهم وعدد من نزل في

النهروان لحربه وختمها بذكر الواقعة اورد " ... وانجلت الحرب وقد قتل الجميع الاربعة الاف سوى تسعة انفس"(٨٨)،

جاء منهج ابن ابي الدم في عرضه لأحداث الفتوحات مغايراً في ما اتبعه من اسلوب في عرضه لأحداث التمرد والفتوحات العسكرية مقتصرا على تاريخ الفتح واسم القائد فعند عرضه لأحداث عام (١٢هـ) اورد : " وفتح خالد اليمامة ،واليمن " (٨٩) واهتم ابن ابي الدم في عرضه للروايات الفتوحات العسكرية لذكر الموقع الجغرافي مع احصائه عدد المقيمين من الفاتحين المسلمين ذكر : " فتح معاوية جزيرة قبرص وابتنى فيها مساجد ، واقر بها اثنى عشر من المسلمين فشتوا بها عام فتحا" (٩٠) ومثال ايضا اورد : " واما عمرو بن العاص فانة توجه الى مصر والاسكندرية وفتحهما والملك يومئذ المقوقس في سنة ست عشرة ..." (٩١) واورد في احداث عام (٣١هـ) قال :" وفيها فتحت ارمينة "(٩٢) ذكرنا ان ابن ابي الدم اتبع منهج الاختصار في عرضه لأحداث العسكرية الخاصة بالفتوحات لكننا نلاحظة يسهب ويفصل في ذكر بعضها ربما لأهميتها التاريخية عند ذكر واقعة القادسية(٩٣) في خلافة عمر بن الخطاب (ﷺ) (٩٤) ذا ذكر ايام الواقعة (يوم ارماث ويوم اغواث ويوم عماس) وذكر قتلى المسلمين والمشركين في كل يوم ، وقتل رستم وذكر الغنائم التي حصل عليها المسلمين وجمعه ابن ابي الدم تاريخ واقعة القادسية من عدة مصادر ذكر :" وقال محمد بن اسحاق : في اخر سنة خمسة عشرة ، وقال الواقدي : في سنة ست عشرة ، وقال الطبري : الثابت عندنا انها في سنة ست عشرة" (٩٥) وكذا الحال عند ذكره لواقعة اليرموك (٩٦) ذا تبعَ المنهج نفسه في ذكر واقعة القادسية .

ثالثاً: الجانب العسكري في العصر الاموي:

أما ما يخص الأحداث العسكرية التي وقعت العصر الاموي الذي هو عصر توسع وفتوحات حيث بلغت اقصى توسع للدولة الاسلامية، فإن ابن ابي الدم اتبع منهجا خاصا به وهو اختيار أكثر الروايات التاريخية ايفاءا للموضوع الذي يختاره أو بعبارة أخرى جمع الاحداث العسكرية برواية شاملة لتفاصيل الحدث سيما أن العصر الأموي هو عصر عسكري توسعي ساعياً الى افادة القارئ من الرواية التي يوردها متضمنة لجميع تفاصيل الحدث العسكري وكان ابن أبي الدم يقرن الفتوح في العصر الأموي بترجمة الوالي الذي

يكلف من قبل الخلافة بمهمة الفتح ، فمثلا عندما تكلم عن فتح سمرقند (٩٧) وماحولها أوردها بدءا ضمن أحداث عام (٧٣هـ) مع توليه معاوية لسعيد بن عثمان بن عفان على بلاد خرسان ويستمر بذكر ما فتحة صلحا وصولا الى سمرقند حيث يذكر حصارها والقتال الذي دار وانتهى بصلح على مبلغ قدرة خمسين الف درهم ، ويستمر في سرد الحادثة اذ ان سعيد اخذ رهائن وارسل لمعاوية ليعفيه من الولاية وعفاه واخذ الرهائن وجعلهم فلاحين عند وغضبوا منه وقتلوه ،وعند هروبهم الى الجبل قصدهم جيش الوالي وحاصرهم فيه حتى ماتوا جوعاً وعطشاً ، وأيضا عندما ذكر فتح السند (٩٨) عام (٨٩هـ) ذكر ان الخليفة الوليد بن عبد الملك ولى على السند محمد بن القاسم الثقفي ، ويذكر انه توجه بجيش وفتح كل ما مار به حتى وصل السند التقى مع جيش داهر وجرى القتال حتى نهزم داهر وقتل وبعث راسة لخليفة الوليد وفتح عدة مدائن من الهند ،وجدد له الولاية الخليفة سليمان بن عبد الملك بعد ذلك يذكر عمرُ القائد محمد بن القاسم عند فتح السند ويذكر مدحة في بيتين للشاعر زياد الاعجم ، وهنا جمع بين ذكره لتولية محمد بن القاسم وبين وترجمته ومدحة مع ذكر أحداث الفتح وهذا اسلوب لم نعهده في العصري النبوي والراشدي، ومن الاحداث التي اختصرها ابن ابي الدم في عصر الاموي وهي كثيرة عند ذكره احداث عام (٩٢هـ) ذكر فتح ما وراء النهر (٩٩) من القائد قتيبة بن مسلم ذا قال:" وفيها افتتح قتيبة بن مسلم ما وراء النهر ، وهي غزوته السادسة " ، ما الثورات او تمرد الذي حدث في هذا العصر فهي كثيرة غطى ابن ابي الدم معظمها ومن اهمها ما دار حول الخلافة والتجه الى صراع عسكري لتوطيد اركان الخلافة حيث ذكر ثورة الحسين وفاجعة كربلاء (١٠٠) و واقعة الحرة (١٠١) وخلافة ابن الزبير (١٠٢)وغدر عبد الملك بن مروان بعمرو بن سعيد(١٠٣)، ومن الحركة الذي ذكرها حركة الازارقة (١٠٤) الذي تصدى لهم المهلب بن ابي صفرة ، وحركة التوابين (١٠٥) في الكوفة ، وحركة المختار (١٠٦)

رابعاً: الجانب العسكري في العصر العباسي:

اما العصر العباسي ان الجوانب العسكرية الذي نقلها ابن ابي الدم كانت البارزة ، ونلاحظه يركز على الغزوات الذي قادها الخلفاء وكان يذكرها باختصار كبير وفي بعض الحيان مجرد يذكر ان في هذا العام غزا او فتح فلان ، وكذلك اورد الحرب التي دارت بين

الامين والمأمون (١٠٧) وبعض الحركات التي حدثت مثل حركة القرامطة (١٠٨) حيث فصل لهذا الحركة من اول ظهورها واول دعاتها وفي زمن اي خليفة ، واصل تسميتهم بالقرامطة ، و اصل دينهم وانتمائهما ، وبعد عام (٣٦٣هـ) نلاحظه ينصرف الى ذكر الجوانب العسكرية الخاصة في بلاد الشام هو موطنه ولم يذكر احداث التي دارت في العراق والجزيرة الا بشي قليل جدا ، حيث يذكر الحروب الصليبة و الفتوحات التي حدثت على اثر ذلك والخلافات التي دارت بين ممالك هذا المنطقة ويسهب بذلك ، ربما ان مغزى الكتاب المهدى للمظفري هو ان يوضح تاريخ بلاد الشام والدولة الايوبية التي حكمتها ليتسنى له فهم التطورات التي دارت على هذا المنطقة ، حيث اسهب في ذكر القائد صلاح الدين الايوبي (١٠٩) حيث ذكر كل الحروب والفتوحات التي خاضها ضد الفرنجة من جهة وضد المتمردين والخونة من جهة اخرى.

الخاتمة :

وبعد الدراسة تبين بعض النتائج:

- اوضح ابن ابي الدم العديد من تفاصيل الجانب العسكري في السيرة النبوية بذكر الغزوات والسرايا المهمة وهي غزوة بدر وغزوة احد ، وسرية عبيدة بن حارث وسرية الحمزة بن عبد المطلب .
- وذكر ابن ابي الدم في العصر الراشدي اهم الاحداث العسكرية من حركات تمرد وفتوحات وهي تمرد مسيلمة الكذاب والثورة ضد الخليفة عثمان(رضي الله عنه) وخوارج الحرورية في زمن الامام علي(عليه السلام) ومن فتوحات ذكر فتح اليمامة واليمن وواقعه القادسية .
- بين ابن ابي الدم الجانب العسكري لعصر الاموي من فتوحات وثورات وهي فتح سمرقند وفتح السند وفتح ماوراء النهر ، وثورة الازارقة وحركة المختار .
- وضح ابن ابي الدم مادار من احداث عسكرية في العصر العباسي من حرب الامين والمأمون وحركة القرامطة وفتوحات الخلفاء ويتجه نحو الشام وما دار فيه من احداث عسكرية.

الهوامش :

(١) الذهبي، شمس الدين بن عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تاريخ الاسلام وفيات المشاهير والاعلام، تح: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م، ج١٤، ص٤٠٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ج٢٣، ص١٢٥؛ السبكي، أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت: ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح الحلو، ط١، دار احياء الكتاب العربية، القاهرة ، مصر، ج٨، ص١١٥؛ ابن قاضي شهبة، ابي بكر بن أحمد بن محمد الدمشقي (ت: ٨٥١هـ/ ١٤٤٨م)، طبقات الشافعية، تح: الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، بيروت، لبنان, ١٤٠٧, ١٩٨٧م، ج٢، ص٩٩؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد الدمشقي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تح:عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناوؤط، ط١، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ١٤١٢هـ،١٩٩١م، مج٧ ص٣٧٠؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن علي، الاعلام، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م، ج١، ص٤٩؛ قيطاز، عدنان، ابراهيم بن ابي الدم الحموي مؤرخ العصر الأيوبي الأول حياته وآثاره، بحث منشور في مجلة التراث العربي، سوريا ، ١٩٨٠،العدد ٢, مجلد ١ ، ص٢٢٤.

(٢) الحسني، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت: ٦٩٥هـ/١٢٩٥م)، صلة التكملة لوفيات النقلة، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ، ج٢، ص٢٠٤؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٠، ١٤٢٠هـ، ج٦، ص٢١؛ الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت: ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م)، طبقات الشافعية، تح: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٢٢هـ، ج١، ص٦٦؛ المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، المقفى الكبير، تح: محمد بعلاوي، ط٢، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ، ج١، ص٤٢؛ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت: ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تح: فرانز روزنثال وصالح أحمد العلي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص٣٠٦؛ زيدان، جرجي، تاريخ أدب اللغة العربية، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر، ١٩١٣، ج٣، ص٨١؛ مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، ج٢، ص٢٥٦.

(٣) الهمداني: نسبة الى قبيلة همدان، هي قبيلة من اليمن.للمزيد ينظر: السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت: ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)، الأنساب، تح: عبد الله عمر البارودي، ط١، دار الجنان،بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ، ج٥، ص٦٤٧.

(٤) الحموي، نسبة الى مسكنه في مدينة حماة في بلاد الشام، وهي مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار واسعة الرقعة يحيط بها سور محكم . للمزيد ينظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج٢، ص٣٠٠.

(٥) الشافعي: نسبة الى المذهب الشافعي.

(٦) القاضي: نسبة الى توليه قضاء حماة وولاه الناصر القضاء بحماة . للمزيد ينظر: ابن واصل، محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تح: حسنين محمد ربيع، دار الكتب والوثائق القومية المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٩م، ج٤، ص١٧٤.

(٧) ابن أبي الدم: نسبة الى جده السادس.

(٨) الذهبي، سير اعلام، ج٢، ص١٢٥؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٤، ص٤٠٦.

(٩) ابن أبي الدم، أدب القضاء، ص١٨.

(١٠) ابن سكينة: هو عبد الوهاب ابن الأمير ابن منصور علي بن عبد الله، أبو حامد البغدادي المعروف بابن سكينة الامام المحدث مسند العراق وشيخها، الصوفي الأمين، ولد عام (٥١٩هـ/١١٢٥م)، توفي عام (٦٠٧هـ/١٢١٠م) ودفن بمقبرة جامع المنصور.للمزيد ينظر: ابن نقطة الحنبلي، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع (ت: ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)، التقييد المعرفة رواة السنن المسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ص٣٧٣؛ الفاسي، محمد بن أحمد بن علي الحسني (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م)، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ,١٩٩٠م، ج١، ص١٥٦.

(١١) الحسني، صلة التكملة، مج، ص١٠١.

(١٢) جلال، آمنة حسن، اثر الصلات العلمية بين الدولة الايوبية والخلافة العباسية في ازدهار الحياة الثقافية في المجتمع الاسلامي،بحث منشور في مجلة الدرعية(السعودية)، السعودية، ١٤٣٣هـ, ٢٠١٢م، العدد ٤، مجلد ١٤، ص٢٩٣.

(١٣) ابن أبي الدم، أدب القضاء، ص١٩-٣١٦.

(١٤) سير أعلام، ج٢٣، ص١٢٦.

(١٥) لم أعثر على ترجمة أو تعريف لهذه الحلقة فقط كان يعتقدها ابو حامد الغطريفي.

([١٦]) الغطريف: هو محمد بن أحمد الحسني بن القاسم بن السري بن الغطريف ابو حامد الغطريفي الرباطي، ولد عام بضع(٢٨٠هـ/٨٩٣م) وتوفي عام(٣٧٧ هـ/٩٨٧م).للمزيد ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٦، ص٣٥٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص٦١.

([١٧]) الصابوني، أحمد بن ابراهيم ،تاريخ حماة، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، ٢٠١٢، ص٨٠.

([١٨]) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٩٩.

([١٩]) مفرج الكروب، ج٤، ص١٧٤.

([٢٠]) الحسني، صلة التكملة، مج١، ص١٠١؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٤، ص١٧٤؛ الصابوني، تاريخ حماة، ص٨٠.

([٢١]) شذرات الذهب، مج٧، ص٣٧٠.

([٢٢]) همذان: وهي مدينة مشهورة من مدن الجبال مدينة عظيمة لها رقعة واسعة، وهواء لطيف وماء عذب وتربة طيبة في بلاد فارس بناها همذان بن فلوج بن سام بن نوح(عليه السلام) وفتحت عام(٢٣هـ / ٦٤٣م)، بقيادة المغيرة بن شعبة .للمزيد ينظر: ابن حوقل، محمد ابن حوقل البغدادي (ت: ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، صورة الارض، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٢، ص٣٥٨؛ الحموي، معجم البلدان،ج٥، ص٤١٠؛ القزويني، اثار البلاد، ص٤٨٣.

([٢٣]) ابن أبي الدم، أدب القضاء، تح: محي هلال السرحان، ج١، ص٢٩؛ ابن أبي الدم، أدب القضاء، تح: محمد مصطفى الزحيلي، ص١٩-٢٠.

([٢٤]) ابراهيم بن أبي الدم الحموي، ص٢٣٠.

([٢٥]) زكار، سهيل، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا , ١٩٩٥م، ج٢١، ص٦.

([٢٦]) قيطاز، ابراهيم بن أبي الدم الحموي، ص٢٣٠.

([٢٧]) ابن واصل, مفرج الكروب، ج٤، ص١٧٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص١٢٦ ؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٦٦؛ الصفدي، الوفي بالوفيات، ج٦، ص٢١؛ الزركلي، الاعلام، ج١، ص٤٩.

([٢٨]) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٣٧٠؛ قيطاز، ابراهيم بن ابي الدم الحموي، ص٢٣٠.

([٢٩]) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٩٩؛ السخاوي، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم بالتاريخ، ص٢٠٦؛ حاجي خليفة, مصطفى بن عبد الله(ت١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ج١، ص٣٧١؛ بروكلمان،كارل، تاريخ الأدب العربي، ط٣، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت، ج٦، ص١٧١؛ الزركلي، الاعلام،

ج١، ص٤٩؛ زيدان، تاريخ آداب، ج٣، ص٨١؛ كرد، علي محمد، خطط الشام، ط١، مكتبة النوري، بيروت، ١٤٠٣هـ، ج١، ص١٣؛ كحالة، عمر، معجم المؤلفين، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج١، ص٥٨.

([٣٠]) مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخين، ج٢، ص٢٥٧.

([٣١]) زيدان، تاريخ آداب، ج٣، ص٨١.

([٣٢]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص١٢٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، ص٢١؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، ص٢٦٦؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي،ج٦، ص١٧٢.

([٣٣]) ششن، رمضان، مختارات من المخطوطات العربية النادرة في مكتبات تركيا، منشورات وقف ايسار، استانبول، تركيا، ١٩٩٧م، ص٦.

([٣٤]) ششن، رمضان، مختارات من المخطوطات العربية، ص٧.

([٣٥]) الغزالي: هو محمد بن محمد بن أحمد ابو حامد الغزالي الطوسي الفقيه الشافعي، حجة الاسلام، ولد في طوس عام(٤٥٠هـ/١٠٥٨م) وكان واعظاً بليغاً له في ذلك مصنفات كثيرة وتولى التدريس في المدرسة النظامية وتوفي عام (٥٠٥هـ/١١١١م) في طوس.للمزيد ينظر: ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تاريخ دمشق، تح: عمرو بن عزامه العمروي، ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ,لبنان, ١٤١٥هـ, ١٩٩٥م، ج٥٥، ص٢٠٠-٢٠١-٢٠٢؛ الصريفي، ابراهيم بن محمد بن الأزهر بن أحمد (٦٤١هـ/ ١٢٤٣م)، المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، تح: خالد حيدر، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت , لبنان ١٤١٤هـ، ٧٦؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١١، ص٦٢.

([٣٦]) هدية العارفين، ج١، ص١٣.

([٣٧]) نقلاً عن: ابن أبي الدم، أدب القضاء، تح: محي هلال السرحان، ج١، ص٣٦.

([٣٨]) أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، مصر، د.ت، ج١، ص١٣؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٧، ص١١٢؛ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ, ١٩٩٦م، ج٢، ص١٧٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، ص٢١؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٢٩؛ البغدادي ، هدية العارفين ، ج١، ص١٣؛ زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج٣، ص٨١؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج٦، ص١٧١؛ فروخ، عمر، تاريخ الادب العربي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ،

ج٣، ص٧٤١؛ جامعة النوادر المعارف العثمانية، تذكرة النوادر، ط١، مطبعة دائرة المعارف، ١٣٥٠، ص٨٢.

(٣٩) السخاوي، الاعلان بالتوبيخ ، ص٢٠٦؛ روزنثال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح أحمد العلي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان, ١٤٠٣هـ، ص٦٧٤؛ مصطفى، التاريخ العربي، والمؤرخون، ج٢، ص٢٥٦.

(٤٠) أدب القضاء: تم تحقيقه أكثر من مرة، الأولى عني بتحقيقه محي هلال السرحان في مطبعة الإرشاد في بغداد عام ١٩٨٤م، أما الثانية قام بها محمد مصطفى الزحيلي في دار الفكر في دمشق عام ١٩٨٢، أما الثالثة قام بها محمد عبد القادر عطا في دار الكتب العلمية في بيروت عام ١٩٨٧م.

(٤١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص١١٦؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٦٦؛ المقريزي، المقتفى الكبير، ج١، ص١٤٣؛ ابن العزي، محمد بن عبد الرحمن (ت ١١٦٧هـ/١٧٥٣م)، ديوان الاسلام، تح: سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، ص٤٣؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٩٩؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج٦، ص١٧٢.

(٤٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج٧، ص٣٧٠؛ الزركلي، الاعلام، ج١، ص٤٩؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج١، ص٥٨.

(٤٣) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٣، ص١٢٦؛ الصابوني، تاريخ حماة، ص٨٠.

(٤٤) ابن أبي الدم، ادب القضاء، ص٢٢.

(٤٥) تدقيق العناية: تم تحقيقه من مجموعة محققين رامز حسن رامز وعبد الصبور أبو بكر ولؤي الحمادي وخالد محمود الرحمن بإشراف احمد ابو زيد في مركز البصائر للبحث العلمي، وكذلك قام بتحقيقه ودراسته أحمد زين العابدين بعد القادر عمران في جامعة الأزهر كلية أصول الدين بالقاهرة في عام ٢٠١٨م.

(٤٦) زيدان، تاريخ اللغة العربية، ج٣، ص٨١؛ بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ج٦، ص١٧٢؛ الزركلي، الاعلام، ج١، ص٤٩؛ قيطاز، ابراهيم بن أبي الدم الحموي، ص٢٢٩.

(٤٧) شرح مشكل الوسيط، قام بتحقيقه ودراسته محمد بلال بن محمد امين في الجامعة الإسلامية في كلية الشريعة قسم الفقه في عام ١٤١٩هـ.

(٤٨) قيطاز، ابراهيم بن ابي الدم ، ص٢٢٨.

(٤٩) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٣، ص١٢٦؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٢٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج٧، ص٣٧٠؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج١، ص٥٨.

([٥٠]) الصابوني، تاريخ حماة، ص٨٠؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص١١٦.

([٥١]) هدية العارفين، ج١، ص١٣.

([٥٢]) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٢١٨؛ البغدادي، هدية العارفين، ص١٣.

([٥٣]) قيطاز، ابراهيم بن ابي الدم الحموي، ص٢٢٩.

([٥٤]) محمد بن موسى بن عيسى بن علي (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، حياة الحيوان الكبرى، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ، ج٢، ص٩.

([٥٥]) الشيرازي، هو ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الملقب جمال الدين فقيه العراق، ولد في فيروزبادي عام(٣٧٣هـ/٩٨٣م) انتهت اليه رئاسة المذهب الشافعي، وتوفي عام (٤٧٦هـ/١٠٨٣م) في بغداد وله مصنفات كثيرة منها(كتاب المهذب في الفقه).لمزيد ينظر: الصريفي، المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، ص١٣٠؛ ابن الساعي، الدر الثمين ، ص٢٤٨؛ ابن خلكان, وفيات الاعيان ، ج١، ص٢٩؛ ابن كثير ، اسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الحفيظ منصور، ط١، دار المدار الاسلامي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م، ج٤، ص٢١٥؛ الغراوي، محمد بن عبد الرحمن، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (أكثر من ٩٠٠٠ موقف لأكثر من ١٠٠٠ عالم على مدى ١٥ قرنًا)، ط١، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، النبلاء للكتاب، مراكش، المغرب، ج٦، ص٣٣٩.

([٥٦]) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٤، ص٤٠٦؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٣، ص١٢٦؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٧٠؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص١١٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، ص٢١؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٦٦؛ المقريزي، المقتفى الكبير، ج١، ص١٤٣؛ بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ج٦، ص١٧١.

([٥٧]) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٣٤٦-٣٤٧.

([٥٨]) المعرة:معرة النعمان: وهي مدينة من إعمال حماة، كان اسمها ذات القصور قديماً فنسب الى النعمان بن بشر من الصحابة (ﷺ) وهي كبيرة حسنة أكثر شجرها التين والفستق والزيتون، واليها ينسب أبو العلاء المعري. للمزيد ينظر: الهروي، علي بن أبي بكر بن علي (ت: ٦١١هـ/ ١٢١٤م)، الاشارات الى معرفة الزيارات، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ص١٧-١٨؛ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي (ت: ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب وعجائب الأسفار، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ج١، ص٥٠.

([٥٩]) الدوسنطاريا: هو مرض يعرف بعسر الأمعاء عند اليونان لأن أصله مركب من كلمتين من دوس ومعناها عسر ومن انتسرون معناها أمعاء ولهذا السداء اسماء اخرى ومنها حمى التيفوئيد أو الزحار

او الاسهال الشديد او الالتهاب القولوني الحاد، وهو ميكروب معوي قد يصل المريض الى النزيف الدموي الناتج عن تلف الأمعاء الدقيقة .للمزيد ينظر: ابن النفيس، علي بن أبي الحزم (ت: ٦٧٨هـ/ ١٢٨٨م)، الشامل في الصناعة الطبية، ط١، وانشكاة، طهران، ايران، ١٣٨٧هـ، ج٢٧، ص٦؛ الشافعي، محمد بيك الطبيب، السراج الوهاج في التشخيص والعلاج، ط١، مؤسسة احياء الطب، طهران، ج٢، ص٢٢٧؛ دولتشين، عبد العزيز، الرحلة السيرية للعقيد الروسي، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٨، ص٣١.

(٦٠) ابن ابي الدم، تاريخ ، مقدمة المحقق ص٨.

(٦١) كشف الظنون،ج١، ص٣٧١.

(٦٢) ابن ابي الدم، تاريخ، مقدمة المحقق ص٨-٩.

(٦٣) ابن ابي الدم، تاريخ، ص٩.

(٦٤) ابن ابي الدم، تاريخ، ص١٨.

(٦٥) الاعلاق الخطيرة ، ج٣، ص٣٢.

(٦٦) صلة التكملة ، ج٢، ص٩٦٩.

(٦٧) المختصر في اخبار البشر، ج١، ص١٥٣.

(٦٨) الوفي بالوفيات، ج١٢، ص٢٥١.

(٦٩) طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص٧٢.

(٧٠) محمد بن عبد الرحمن (ت٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م)، تاريخ صغد، تح: سهيل زكار، ط١، التكوين، دمشق، ٢٠٠٩م، ص٢٦٢.

(٧١) محمد بن احمد الفاسي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م)، العقد الثمين في تاريخ البلد الامين، تح:احمد عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ، ج٣، ص١٦٣.

(٧٢) مسالك الابصار، ج٢٧، ص٥٦.

(٧٣) ابن ابي الدم، تاريخ، ص١٧-١٨.

(٧٤) ينظر:ابن ابي الدم، تاريخ ، ص١٨.

(٧٥) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٣١.

(٧٦) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٣١-٣٢-٣٣-٣٤-٣٥.

(٧٧) الطبري ، تاريخ الرسل، ج٣,ص١٥٢ .

(٧٨) ابن ابي الدم، تاريخ, ص٣١-٣٢.

(٧٩) الطبري , تاريخ الرسل , ج٣,ص١٥٤.

(٨٠) ابن ابي الدم، تاريخ، ص٣١.
(٨١) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٣٢.
(٨٢) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٤٢.
(٨٣) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٤٦.
(٨٤) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص ٦٦-٦٧.
(٨٥) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٤٢.
(٨٦) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٦٧.
(٨٧) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٦٧.
(٨٨) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٧٢-٧٣.
(٨٩) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٤٦.
(٩٠) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٦٣.
(٩١) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٥٥.
(٩٢) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٦٤.
(٩٣) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٥٠.
(٩٤) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٤٢.
(٩٥) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٥١.
(٩٦) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٥١.
(٩٧) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٨١.
(٩٨) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص١٢١.
(٩٩) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص١٢١.
(١٠٠) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٩٠-٩١.
(١٠١) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٩٥.
(١٠٢) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٩٩.
(١٠٣) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص١٠٥.
(١٠٤) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص١٠٠.
(١٠٥) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص١٠٦.
(١٠٦) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص١٠٦-١٠٧.
(١٠٧) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٢٢٨-٢٢٩.
(١٠٨) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٣٠٢-٣٠٣.
(١٠٩) ابن ابي الدم، تاريخ ، ص٤٦٣-٤٦٤.

الطهارة الطقوسية في اليمن القديمة

رسل فيصل فرهود سلمان

أ.د. عادل شابث جابر

جامعة بغداد- كلية الاداب

الطهارة الطقوسية في اليمن القديمة

رسل فيصل فرهود سلمان
أ.د. عادل شابث جابر

الملخص:

أن طقوس التطهير لها أهمية كبيرة في العديد من الثقافات والديانات سواء كانت من الناحية الروحية أم النفسية ، أم الاجتماعية، لأنها وسيلة لتنقية النفس والجسد من التأثيرات السلبية سواء جسدية أم معنوية ففي الديانات تعد طقوس التطهير ، طريقة للتواصل مع المقدس أي (الإله) والطهارة تعزز شعور الفرد بالراحة النفسية ، وتساعده على التخلص من الشعور بالذنب أو القلق فهي توفر الاستعداد النفسي للممارسات الدينية لمختلف اشكالها.

أمّا سبب اختيار موضوع دراستنا لطقوس التطهير، وذلك لأهميته في العقيدة الدينية بالنسبة لليمن القديم، لأنّه يعد من الركائز الأساسية للأداء الديني، إذ انه جزء من عاداتهم اليومية ، التي يجب على الأفراد الالتزام بها مثل أداء بعض الطقوس الدينية، والنقوش المسندية ، امدتنا تلك المعلومات، أما الهدف المراد الوصول اليه ، هو مدى العلاقة بين الجسد والروح وتنقيته من الخطايا وتحقيق حالة من النقاء سواء كانت هذه الطقوس دينية أم روحية.

Ritual Purification in Ancient Yemen

Summary:

Purification rituals hold great importance in many cultures and religions, whether from a spiritual, psychological, or social perspective, as they are a means of purifying the soul and body from negative influences, both physical and moral. In religions, purification rituals are a way to connect with the sacred (the divine), and purity enhances an individual's sense of psychological well-being .It helps

him get rid of feelings of guilt or anxiety, as it provides psychological readiness for religious practices in their various forms.
The reason for choosing purification rituals as the subject of our study is due to their importance in the religious beliefs of ancient Yemen, as they are considered one of the fundamental pillars of religious practice. They are part of their daily customs, which individuals must adhere to, such as performing certain religious rituals. The Musnad inscriptions provided us with this information. As for the objective we wish to achieve, It is the extent of the relationship between the body and the soul, purifying it from sins and achieving a state of purity, whether these rituals are religious or spiritual.

اولاً: الحج :

يعد الحج من الطقوس الموسمية التي عرفت في الديانات السامية، ان كلمة الحج من الكلمات المشتركة في اللغات السامية، إذ ذكر في اسفار التوراة جزء من العبادات والشعائر المرتبطة بالاعياد اليهودية الكبرى التي كان فيها الذهاب اى مكان مقدس مصطلح الحج استخدم فعل (علياه كمرجل) يعني الصعود للحج[١].

كان عرب الجنوب يقومون بطقس الحج لزيارة الأماكن المقدسة في أزمنة محددة بهدف التبرك بالمعبودات والتقرب والتودد لها[٢].

ورد في النقوش السبئية عدة صيغ للفظة الحج منها (CIH548114) ح ج ن أي الحج، ونقش آخر (CIH53314) (ح ج ت ن) وصيغة الجمع (ح ج و) أو (ح ج و ا) ، ونقش آخر (CIH54716) (ح ج) أي حج، فضلاً عن (ح ج ت هـ و) (حجته) ، كذلك هنالك الفاظ أخرى تعطي نفس المعنى، أدى حجاً أو زيارة منها (ح ض ر) ، (ح ض ر هـ و) [٣].

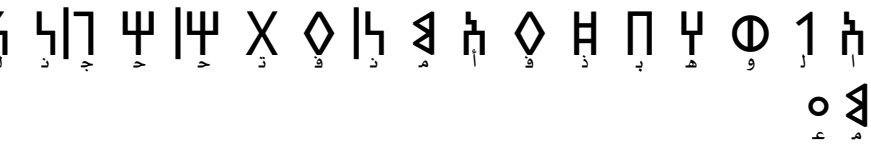
أيضا ورد لفظة (هـ و ف ر) أي أدى حجاً، وفي نقش (RES47614) [هـ و ف ر هـ و] أي حجهم ، ونقش (Ja669114) (هـ و ف ر ن ن) (الحج) ، أما تلك الألفاظ فقد قسمت حسب الفترات السبئية (ح ض ر) (هـ و ف ر) مبكرة وسطى أما لفظة (ح ج) الفقرة السبئية المتأخرة[٤].

ويقصد بالحج هو زيارة الأماكن المقدسة في زمان معين، من اجل تقديم القرابين والنذور إلى إله مُعين(٥).

كان معبد إلمقه ثهوان بعل اوام (محرم بلقيس) من اعظم وأهم المعابد في الممالك اليمنية القديمة، إذ يحج إليها المتعبدون، وقد عثر على شواهد كثيرة من نقوش القرابين والنذور التابعة لهذا المعبد(٦).

نقش (Ja6511/17) يعتبر من اهم النقوش السبئية لأنها سلطة الضوء على موسم حج الإله، إذ اشار إلى سلامة الجماعة الذين أرسلهم سيدهم في مهمة مراقبة وخدمة الحجاج أثناء موسم الحج الخاص بالإله المقة في معبد أوام، فضلاً عن الإشراف على بعض الأعمال الإنشائية بالعاصمة مأرب عند أنعقاد الحج السنوي ، الذي يقام في شهر (أبهي) من التقويم السبئي(٧).

اشار نقش (Ja 29/3) إلى الحج لـ (الإله نكرح) جاء :



أما ترجمة: و ا ل و ه ب ذ ف أ م ن/ ف ت ح/ ح ج/ن ك ر ح/ذ ن ج و/س م ع

يعني: وال وهب من قبيلة وعى إلى الحج نكرح وأعلن الطاعة(٨).

كان الحج سنوي لمعبد الإله المقه والزامي على كل القبائل الداخله في التحالف السبئي ، ومنها قبيلة (سمعي)، وفق ما جاء لنقش (Res176/12) إذ يشير إلى ان الإله الخاص باتحاد سمعي (تألب ريام) يأمر شعبه بإلزامية تأدية مراسيم الحج التي تقام في معبد المقه بمأرب في شهر (أبهى) ، في تقويم السبئي يعني الثالث من كل عام فتشريع الحج الذي اسند إلى الإله (تألب)، إذ جاء بصيغة الأمر الموحى به إلى اتباع الإله وهم قبيلة سمعي(٩).

أما الطقوس المتبعة هي إقامة الولائم المقدسة، إذ تَعد الوليمة اثناء الحج، وتقديم الأضاحي ، ولاسيما في اليوم السابع من الحج إذ تقدم القرابين، والذبائح

الجماعيـة للإلـه المقـة كجـزء مـن تلـك الطقـوس، وقـد أكـده نقـش (GhulMarib114) (ذ ر هـــــ و ف ر هـــــ و/ و/هـــــ م ي/ ي ع ر ب ن / ف ر س م/ و ذ ب ح م) معنـاه: لاتمـام الحجـة يتقـرب للإلـه بفـرس وذبيحـة، فضـلاً عـن أن الكـاهن هـو الوسـيط بـين المتعبـد والمعبـود، إذ المتعبـد يأخـذ معـه قربـان حيـواني لاتمـام شـعائر الحـج، كـذلك نقـش (CIH 382) يـذكر انـه بنـى مـذبح للمقـه لتقـديم الـذبائح فـي اليـوم السـابع مـن شهر ذي أبهى[١٠].

هنالـك نقـش (Ja 735/9) ذكـر لفظـة (طـواف) (و ت ع ر ب ن/ ل م ر أ هـــ م و/ أل م ق هـــ/و أ ن ث ن/ أ ط و ف هـــ ن/ و س ت م ل أ و: أي قـــدموا قـرابين للإلـه المقـه والنسـاء قـاموا بـالطواف للإلـه المقـه، ايضـا هنالـك لفظـة (م هـ ي) من الفعل (هـ ي ع) أي سعى أو طاف[١١].

أمـا مملكـة معـين يـذهب المتعبـد إلـى مدينـة يثيـل فـي منطقـة الجـوف وهـي إحـدى المـدن الرئيسـة ، إذ كانـت مركـزا للحـج، وهنـاك نقـش (Ja29/3) ذكـر الحـج إلى الإله (نكرح) جاء:

(𐩢𐩣𐩱𐩺𐩣𐩵𐩱𐩣𐩺𐩣𐩵𐩱𐩣𐩺𐩣𐩵𐩱𐩣

يدل مباشرة على السماء، اما الثانية ، حذف حرف الواو ويعد من حروف اللين في اللغة اليمنية القديمة، والصيغتان لهما نفس الدلالة (ذو السماء) [١٤].

كان يقام حج الإله ذو سماوي في شظيف، حيث قاموا بأداء الطقوس والشعائر الدينية، مما يؤكد ذلك نقش لملك سبأ (شمر اوتر) و(ال شرح يحضب الثاني)، كانوا في حملة عسكرية في منطقة نجران، إذ إتجهوا إلى معبد ذو سماوي لأخذ البركات منه[١٥].

مارست مملكة حضرموت طقوس الحج، إذ كان الحضارمة يحجون للإله سين في معبده إليم في العاصمة شبوه، وردت اشارات ارتبطت بحج الإله سين، ايضاً هنالك دلائل تشير إلى وجود الحج لمعبد الإله بكلمات محفورة على جدار هذا المعبد بينها الفعل يحج والذي يعني [أن يقوم المتعبد بمناسك وشعائر الحج][١٦].

ورد نقش (Ir3) يتحدث عن الذي يقام في شبوه للإله سين جاء: مترجم للعربية: ب ش م ر/ ا و ل ط/ ع د ي/ه ج ر ن/ ش ب و ت/ل ق ر ب/ ل ح ض ر/ س ي ن/ ا ش و س/ ب ن معناه: لحضور حج الإله سين في شبوة[١٧].

أما مملكة قتبان ورد ذكر (RES 3540/7.8) ان الإله انبي هو رب الحج ويكون الحج اليه، اما النقش: (𐩱𐩣𐩵 𐩲𐩵𐩥 𐩲𐩵𐩺𐩵𐩣𐩵 𐩱 ن ب/ ي/ب ع ل/ ح ج ن سطر(٨) ان ب ، اما السطر (٨) ي/ب ع ل/ ح ج ن أما معناه: انبي رب الحج[١٨].

عرفت مملكة اوسان احدى ممالك الجنوب ، شعيرة الحج ، إذ كانوا يحجون إلى مدن خاصة بهم ، أشتُهرت بتوجه الناس اليها للحج، وقد تكون مدينة يثيل المعينية ، انسب المدن التي يفترض أن الأوسانيين حجوا اليها ، إذ كان الإله ود هو المعبود الرئيس عند الأوسانيين والمعينيين[١٩].

اما مواقيت الحج أختلفت من إله إلى آخر، موسم حج الإله المقة في مأرب ، كان في شهر أبهي ، حسب التقويم السبئي ، وأنه سنوي، أما حضرموت يعتقد يكون في فصل الخريف ، لربطه بموعد وصول البخور– اللبنان– إلى شبوة،

وقتبان فيكون حجهم في شهر (ذي ذبحتم) أي الذبح المقدس الذي يُعد من الطقوس المهمة ، ويتم في هذا الشهر حسب النقش الآتي: (MUB522/5.7)



و ر خ س/ ذ ذ ب ح ت م/ خ ر ف/ ذ ذ ر ح ن/ ق د م ن و ومعناه: شهر ذي ذبحتم من سنة ذي ذرحن الأول[٢٠].

أما مدة الحج سوف نفهم من خلال نقش (Ja 651/17-18) ل ح ض ر /ا ب هـ ي/ و ذ ن م/ ذ ن م/ ب ي و م/ ت س ع م/ ع هـ د ت م معناه: لحج أبهى وأمطرت مطراً في اليوم التاسع المعهود، ونقش الثاني/ (Ja651/1920) : و ب ي و م/ ش هـ ر م/ و ي و م/ ث ن ي م/ ذ ن م م / ذ ع س م معناه: بمطلع الشهر واليوم التالي أمطرت بغزارة[٢١].

نفهم من ذلك ان المطر أستمر في الهطول في اليوم الأول والثاني من الشهر ، أي من الشهر الذي يلي موسم الحج.

أما شروط الحج ، هو غسل الأجساد وتنظيفها ، فضلاً عن لبس الثياب الطاهرة، وكذلك لا يسمح بدخول المعبد وهم يرتدون الخف (حذاء) خوفاً من تدنيس المعبد[٢٢].والأعمال المحظورة تنقش على الواح حجرية ، وتوضع في أماكن مختلفة من المعابد ومنها

١. الابتعاد عن التواصل (الجماع).
٢. حضر إخراج الناقة وسوقها بطريقة تسبب لها الأذى في حالة الإحرام .
٣. حضر الوعول الحوامل والمرضعات[٢٣].

ثانياً: الولائم المقدسة:

الوليمة عبارة عن طعام يصنعه الإله لضيوفه في المعبد، اما الكهنة والخدام هم من يشرفون على هذه الولائم، وقد خصصت لتلك الولائم مبالغ كانت تقتطع من ضريبة العشر(٢٤) الخاصة بالمعبد، حتى يتم تقديم الطعام للحجيج(٢٥).

كانت الولائم المقدسة اثناء الحج من أبرز الشعائر التعبدية التي تقام في المعابد أثناء موسم الحج، وقد عُثر في معابد جنوب شبه الجزيرة العربية القديمة

علـى قاعـات الـولائم ، فضـلاً عـن قطـع الأوانـي الكبيـرة ، التـي تسـتعمل لطهـي الطعام ، كما عُثر على عظام الحيوانات مثل الماعز[٢٦].

مورسـت الـولائم المقدسـة فـي جميـع الممالـك اليمنيـة القديمـة، فقـد عرفـت وفـي مملكـة سبأ، إذ اقيمـت للإلـه عشـتر فـي جبـل الكـوذ فـي الجـوف، وقـد أشـرف علـى هـذه الولائم المكاربة[٢٧].

ورد لمملكـــــة معـــــين نقـــــش (RES2888) : (𐩣𐩱𐩬𐩵 𐩲𐩵𐩧𐩺𐩲 𐩲𐩵𐩬𐩵𐩲) (أ ل م/وش ي ن) معناه أقام وليمة[٢٨].

اقامـت مملكـة قتبـان الـولائم المقدسـة، مـع عمليـة الـذبح المرافقـة لشـعيرة الحـج التـي كانـت تـؤدى للإلـه عـم، وأيضـا تقـدم للحجـاج ، ويعتقـد ان كلمـة مخـتن التـي وردت فـي النصـوص القتبانيـة ، يمكـن ان تكـون جـزءاً مـن المعبـد، أو قـد تكـون قاعـة خاصة بالولائم[٢٩].

أمـا مملكـة حضـرموت أرتـبط اسـم الإلـه سـين بلفظـة (أ ل م) وهـو أحـد القابـه وصـفاته التـي عُـرف بهـا، فضـلاً عـن ان معبـده بشـبوه أخـذ الاسـم نفسـه (ال م) ، وتعني الوليمة بمعنى الإله سين صاحب الوليمة[٣٠].

وكانـت هـذه الوجبـات الشـعائرية ينفـق عليهـا مـن الضـرائب التـي يحصـل عليهـا المعبد من تجارة اللبان[٣١].

كانـت الـولائم المقدسـة لهـا مكانـة فـي ديانـة حضـرموت القديمـة، إذ كشـفت أعمـال التنقيـب الأثريـة فـي معابـدة ريبـون[٣٢]. أنهـا كانـت تشـمل قاعـات كبيـرة تضـم مقاعـد حجريـة ، ومـن خـلال شـكلها يعتقـد انهـا كانـت تسـتعمل للـولائم المقدسـة التـي كانت تقام في هذه المعابد[٣٣].

ثالثاً: الاستسقاء:

الاستسـقاء فـي العربيـة الجنوبيـة ، تعنـي طلـب المطـر عنـد الحاجـة[٣٤]، وأيضـاً اكده القرآن الكريم {وإذا استسقى موسى لقومه}[٣٥].

شـكل أنقطـاع المطـر وانحباسـه هاجسـاً مخيفـا ومرعبـاً لليمنيـين القـدماء ولأن الإنسـان شـديد التـدين، فقـد أرجـع انحبـاس المطـر وانقطاعـه إلـى غضـب الآلهـة عليـه،

لذلك لجأ إلى الأدعية والأبتهال اليها طالباً منها ان تمنَّ عليه بنزول المطر ، وكان الطلب يكون على وفق ترتيب وطقوس خاصة(٣٦).

ورد في النقوش المسندية قصيدة دينية، مثلت دعاء استسقاء إلى الإله (كهل) طلباً للماء بعد أزمة القحط، إذ شحت الأمطار وجفت الآبار، أما مغزى القصيدة : "**منعت يارب الغيث فأنحبس المطر وشحت الأرض**"(٣٧).

أيضاً ورد في نقش (Ja735) لمعبد أوام، يتحدث هذا النقش عن قبيلة كهلان في مأرب وهذه القبيلة اصاب مناطقها الزراعية جفاف استمر ثلاث مواسم ، مما اضطرهم إلى الدعاء والتوسل إلى الإله المقة لإغاثتهم(٣٨).

أما طقوس صلاة الاستسقاء التي كانت تقام في مرحلة المكاربة، فهي تتزامن مع طقوس تجدد العهد للإله عشتر في مملكة سبأ من خلال مواكب دينية تقام في جبل اللوذ في الجوف شرق مدينة يثل القديمة، فضلاً عن إشعال نار الاستقساء وهي من الأعمال الطقوسية المرافقة لذلك. وفق ما جاء في النقس (Ry586) عن قيام كرب الوتر بن ذمار علي مكرب سبأ بالصعود إلى جبل الكوذ، لإقامة حضرة دينية للمعبود عشتر ، وأيضاً أشعل النار له، أما الأماكن التي خصصت لذلك فهي على قمم الجبال أو المعابد المقامة على سفوحها(٣٩).

للمرأة دور في إقامة صلاة الاستقساء ، هو تأكيد على الخصوبة، إذ اكدت النقوش المسندية ان المرأة شاركت إلى جانب رجال القبيلة (بنات مأب) أي الفتيات (ربما البكر) منهن، أقامة الصلوات ويتبعها قبول الدعوات من الإله، فضلاً عن نقش (Ja6581/1-19)، إذ تكلم عن الصلاة التي أقامها ابناء قبيلة (سبأ كهلان) للإله المقة لكي يمنحهم المطر بعد الجفاف الذي حل بهم، وبعد الادعية والتوسلات في اليوم الرابع حقق لهم الإله مرادهم بإنزال المطر(٤٠).

أما النص المترجم للعربية: (Ja735-8-9):

-ك ل/ش ع ب م/ س ب أ/ و ب ن ت/ م ر ب/ ال م ق هـــــــــــ/ ع ي د/ م ح رم ن/ ذأوم/ و س ف / ح وا ر ق ت هـــــــ م و / وت ع ب ر ن/ ل م ر أ هـــــــ م و/ أ ل م ق هـــ/ وأن ث ن/ أ ط و ف هـــ ن... ي و م ن..) أما معناه : كل شعب

سبأ وبنات مأرب توجهوا نحو الإله المقه في معبد أوام، ونادوا رقيتهم توجهوا لسيدهم المقة والنساء تطوف ، وفي نهاية النقش يشير إلى نزول المطر، سقيت بطون الأودية(٤١).

يتبين لنا ان الإنسان عندما يبلغ من العصيان والفساد وكثرة الذنوب ان الإله قديماً يعاقبه، وكان عقاب الآلهة هو انحسار وقلة سقوط المطر لهذا كان الفرد يقوم بتطهير نفسه من الذنوب والمعاصي ، التي أرتكبها من خلال الصلوات والدعوات والتضرع إلى الآلهة ، لكي تسامحهم وتغفر لهم وتلبي مرادهم بإنزال المطر عليهم ، وهذا ما يقوم به المسلم عند قلة الأمطار في مواسمها ، أو حتى انعدامها يتوجهون بالصلاة لله سبحانه وتعالى لكي يمنَّ عليهم بنزول المطر.

رابعاً: القرابين والنذور:

كانت القرابين والنذور من أبرز مظاهر التدين في اليمن القديم والحضارات القديمة الاخرى ، فقد لعبت دوراً اساسياً في تنظيم العلاقة بين الآنسان والآلهة في المجتمعات اليمنية القديمة ، القربان وما تقدم من طعام وشراب وحيوانات ونذور ، هي بمثابة تعهدات يقدمها الأفراد للألهة من اجل الحصول على الشفاء أو الرزق. فقد ورد فعل (هـ ق ن ي) في النقوش السبئية ، وهو فعل ماضي متعدي بحرف الهاء في أوله، أما معناه قدم، أهدى ، قرب أو ملك الإله(٤٢).

فضلاً عن ذلك، ورود الفعل بعدة صيغ منها (هـ ق ف ي) للمفرد أو المذكر و(هـ ق ن ي ت) للمفرد المؤنث ، و(هـ ق ن ي ي) للمثنى المذكر و(هـ ق ن ي ت و) للمثنى والجمع المؤنث ، (هـ ق ن ي و) للجمع المذكر ويقابل الفعل أيضاً في اللهجات المعينية والقتبانية، أما الحضرية ورد (س ق ن ي) متعدي بالسين بدلاً من الهاء باللهجة السبئية(٤٣).

أما الفعلان (هقني- سقني) الأكثر استخداماً في النقوش اليمنية القديمة الخاصة بتقديم القرابين والنذور، فضلاً عن وجود أفعال قد استخدمت لنفس الغرض، وهو تقديم القرابين ، ومنها الفعل (أتحا/ أتو) ، ويستخدم للمفرد والمثنى والجمع، أما معناه حضر أو أتى لتقديم القربان أو النذر(٤٤).

القربان والجمع (قرابين)، في الأصل (ق ر ب) استخدمت لأنها تُقرب إلى الآلهة، فضلاً عن لفظة (ذبح) أو (ذبحم) وهذه الألفاظ تسبق بكلمة (يوم) [يوم الذبح]، وبعدها يذكر عدد ما ذبح ونوعه، أيضا كلمة (اذبح) أي ذبائح وهي الإبل ، والبقرة ، والثيران ، والغنم ، والماعز يقدم إلى الآلهة(٤٥).

ورد نقش (M401/2) (𐩱𐩣𐩲𐩺𐩵𐩲𐩣𐩱𐩲𐩵𐩲𐩣𐩱𐩲𐩵𐩲𐩣𐩱𐩲

فقد ترجم هذا النقش: [ي و م/ ق د م و ا ل (و د) ب خ و ر ا / و ي د م/ ذ ب ح و ا / ل ع ث ت ر ذ ي ق ب ض/ و و د/ ف ي أ ف ن ي ا ل ه ي ك ل/ أ ر ب ع ي ن ذ ب ي ح / و ي و م/ ذ ب ح و ا/ ل ع ث ت ر ذ ي ي ه ر ق ف ي ف ن/ د ه ي ك ل ه/ ع ث ت ر ذ ب / ئ ح] معناه: مقدمي النقش كهان للمعبود (ود) ضحوا بأربع مجموعات من الذبائح وبلغ عدد إحدى هذه المجموعات أربع وأربعين أضحية ومن بين تلك الأضاحي البقر والعجول في أفنية المعبد(٥٠).

أما مملكة قتبان كانت تقدم القرابين من الذبائح، بحسب النقش الوارد (RES39.9/12) لفظة [ذ ي ذ ب ح) أي الذي ذبح ونقش آخر (Q531/1–Ja386) "ش هـ ر/ هـ ت ل .. ب ن/ ي د ع ا ب / م ك ر ب/ ق ت ب ن/ ب ك ر/ أ ن ب ي"، أما معنى النقش المترجم للعربية شهر هلال بن اب كرب مكرب قتبان تقرب ببكر حيوان للإله أنبي(٥١).

أما حضرموت ، فقد عبر عن الذبح بلفظة (هـ ر ج)، اما ذبائحهم لم تقتصر على الحيوانات الأليفة ، بل تعددت حتى المتوحشة منها الفهود والنمور، وحسب ما جاء في النقش (ph84/202) (𐩢𐩣𐩱𐩧𐩣𐩲𐩢𐩱𐩣𐩺𐩲𐩣𐩱𐩢𐩣𐩲𐩢𐩣𐩲𐩢𐩣𐩲𐩢𐩣𐩲𐩢) وترجمته العربية: و هـ ر ج و/ خ م س ت/و ش ل ت ي/ ب ق ررم/ معناه ذبح خمس وثلاثين بقرة، والنقش الثاني: (و ث ت ي/و ث م ن هـ ي/ ح و رو/ وخ م س ت/ و ع ش ر ي/ ص ب ي م/ وث م ن وت/ أ ف هـ د/ ب ج ن د ل ن أ و دم/) معناه : ذبح اثنين وثمانين خروفاً ، وخمس وعشرين غزالاً ، وثمانية فهود القلعة "تنود"

أما قرابين الإراقة، فهي السوائل التي تسيل أو تراق للمعبود وهي من القرابين المهمة في الديانة اليمنية القديمة، وهذه السوائل التي تراق منها الماء والنبيذ والحليب(٥٢).

وقد خصص عرب الجنوب أجزاء من معابدهم لتكون مذابح وهي على شكل مناضد منحوته من الحجر، أو الرخام، ولها فتحتان ليسيل الدم، ليصب على رأس المعبود، أو ينسكب امامه(٥٣).

كانت الممالك اليمنية القديمة تقدم القرابين المحروقة في مرحلة المعتقدات البدائية، والأماكن التي أختيرت هي الأماكن العالية في الجبال، وبعد مرور المرحلة البدائية بنيت المعابد عليها وذلك في عصر ازدهار الممالك في بداية الألف الأول (ق.م) مثل معبد الإله (ود) ، وقد أستعمل فناء المعبد لتقديم القرابين ذات الارتباط بالنار، فضلاً عن حرق بعض الأضاحي وتقديم اللحم المحروق للآلهة ، عُد البخور أهم القرابين المحروقة حيث استعمل في الطقوس الدينية بحرقه عند الميت(٥٤).

أما النذور فقد لعبت دور مهم في الحياة الدينية، إذ عدت المظهر الأول والوحيد للدين، لأن عامة الناس تفهم من الدين هو تقديم النذور قرابين للآلهة(٥٥).

كانت النذور أحد أنواع القرابين التي تقدم للمعبودات في المعابد ويتم النذر من الفرد في ساعة الشدة ، أو الخطر أو المرض، ويبقى بذمته ، إذ يتوسل المتعبد إلى آلهته ، بأنها إذا جابت طلبه وحققت مطلبه فإن عليه نذر كذا(٥٦).

وجاء في النقوش لفظ (ن ذ ر) و (ن ذ رم) و(ن ذ ر ن) (Ja.702/3) وتعني تكفيراً عن ذنب قد ارتكب، أما تقديم النذور بناءً على أوامر الآلهة شرطاً لمنح النعمة المطلوبة، أما أنواع هذه النذور منها مادية وأخرى من الأموال العينية ، سواء أكانت من بهيمة الأنعام، أو الأراضي والمنشآت الزراعية، والتماثيل المصنوعة من البرونز أو الفضة، وكان الفرد يقدموه للآلهة تقرباً إليها ، وفق مكان يرمي اليه الفرد من غرض وراء تقديمه النذر بحسب استطاعته وقدراته المادية(٥٧).

من النذور المقدمة للآلهة هي التماثيل النقشية وقد عرف منذ القرن الثاني الميلادي نجد التماثيل البرونزية تحل محل الأشخاص والممتلكات، أما كيف تميز بين التماثيل الذكر والأنثى ، من خلال لفظة (صلمن) مذكر و(صمت) مؤنث، وقد عدت التماثيل من أجمل وأروع ما عثر عليه من مقتنيات المعابد، أما مصنوعة من

البرونز أو الرخام، والتماثيل في الغالب تمثل الأشخاص أنفسهم، بالإضافة إلى انه يتم نحت في واجهة التمثال هوية الشخص مقدم النذر(٥٨).

وفضلاً عن وجود تماثيل مصنوعة من معدن الفضة ، يطلق على الواحدة منها في النقوش (ص ر ف)، كما ورد في النقوش ان هناك مواد أخرى كانت تصنع منها التماثيل مثل المادة التي ذكرت في نقش (Ja703) تسمى (ص ل ى ف ع م) ، وقد فُسرت من قبل البرت جام- مادة صلبة(٥٩).

أما النذور تتفاوت من شخص إلى آخر ، حسب وضع الإنسان في خدمة المعبود، أو نذر بالحيوانات والأضاحي يصل إلى حلق الرأس وتقصير الشعر أو الخلو بالنفس من العامة(٦٠).

نرى في القرآن الكريم ان النذر تعدى إلى ما في البطن من جنين ويسمى نذيرة، قال الله تعالى(٦١) {إذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم} وقوله تعالى(٦٢){اني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا}.

أما الصيغ والدلائل التي استخدمها اهل اليمن على الوفاء بالنذر هي (بكل- أملا- ستملا/ بهمور...) معناه: بكل امل أو حاجة طلبهُ المتعبد من المعبود حيث تدل على الرجاء الذي تمناه صاحب النذر من المعبود(٦٣).

فضلاً عن النذور التي يكون فيها طلب للشفاء من الأمراض والاسقام، لجأ للآلهة في معابدها طالباً منها الشفاء، بعدها يعرب لها بالشكر والثناء على ما منّت عليه من نعمة الشفاء من ذلك المرض، وأسعاده بالخلاص منه(٦٤).

أما الأسباب التي تأتي بالأمراض، والتي يمكن تصنيفها في الإطار الديني ، هو بالاعتقاد السائد في ممالك اليمن القديم، أن المعبود هو من بيده إنزال المرض على الشخص بمعنى آخر توتر العلاقة بين العابد والمعبود، خصوصاً إذا قام بارتكاب ذنب تجاه المعبود، اذاً هو نوع من الطهارة الروحية(٦٥).

أيضا هنالك نذور تتعلق بانجاب الأولاد لكونها السبيل الوحيد للحفاظ على الجنس البشري من الانقراض ، إذ حرص الانسان منذ الأزل على ان يكون له ذكراً، لقد فضلت النفس البشرية الذكور على الإناث(٦٦).

نستنتج من خلال ذلك ، ان الممالك اليمنية في الجنوب قد اهتمت بموضوع القرابين الحيوانية التي تقدم إلى الآلهة حيث اهتموا بنوعية الحيوان وغلاه والعدد، وهذا يدل على أن الحيوانات أنواع منها المتدني وعالي الأهمية ، لأن الطبقة الحاكمة تهدي للإله قرابين ذات نوعية مهمة ، وكثيرة العدد، أما العامة فيقتصر على البقر ، أما ما يخص القربان البشري لم يكتشف نص صريح يوضح اليمنيين قدموا للإله بشر وإنما سخروهم لخدمة الإله والمعبد، أما النذور ، فقد أتسمت بأغراض متنوعة ومتعددة منها دنيوي، واقتصادي أو شخصي ، وذلك من أجل كسب رضا الآلهة ، ولكي تحقق مطالبهم مثل اولاداً اصحاء، الشفاء من الأمراض، ونلاحظ ان هذه الممارسات متواجدة في الوقت الحاضر، إذ نرى كثيراً من البشر ينذرون قربة إلى الله تعالى من اجل تحقيق رغباتهم ، أو أمنياتهم ، لذلك هي ممارسات متجذرة عبر العصور.

خامساً: الصيد المقدس:

ورد في النصوص النقشية عن الصيد المقدس ، ويعود تاريخها إلى العصر السبئي الأول أي عهد المركبين (٨٠٠-٦٥٠ق.م)، إذ كانت تتم ممارسة هذا النوع من الطقوس الدينية في موعد محدد من كل عام، ويقوم به المكاربة ومعهم الكهنة، وتحتل الوعول والبقر الوحشي مكانة مهمة وبارزة في مجال الصيد الديني(٦٧).

أما المقصود بالصيد المقدس، هو صيد الحيوانات من قبل المكاربة والكهنة لغرض ديني يتمثل في إرضاء الآلهة لتحقيق بعض المسائل العامة أو الخاصة ، لهذا يعد من أهم الشعائر الدينية القديمة في الحضارة اليمنية القديمة(٦٨).

وقد تتمتع هذا الطقس بنوع من القداسة والاهتمام، ولاسيما لدى المكاربة، إذ قام المكرب (يثع أمر) (٦٩) ببناء مذبحاً للاحتفال بموسم الصيد ابتغاء مرضاة الآلهة(٧٠).

كانت هنالك أماكن خاصة للصيد، تسمى في النقوش [أ ح ب ط] تعني حمى الصيد، أيضا الصيد يتم باسم الآلهة منها آلالهة الشمس ، إذ ورد في النقوش المسندية بـ(صيد الشمس)، كذلك وردت في نقوش نصوص كثيرة عن مواسم الصيد للإله عشتر [يوم صاد صيد عشتر] لتدل على مكانة الصيد للإله عشتر(٧١).

عرف اليمنيون طقس الصيد منذ الألف الأول قبل الميلاد(٧٢)، أما اصول هذا الطقس ترجع إلى مرحلة المعتقدات البدائية، إذ ظهرت موضوعات الصيد على المخربشات الصخرية التي تعود إلى عصر الصياديين، والرعاة في الحضارات القديمة (٧٣).

كان الصيد الديني في مملكة سبأ يقام للإلهين عشتر وكروم من قبل المكاربة والملوك(٧٤)، ويرى بيستون ان صيد عشتر أي صيد الحيوانات التي تُهدى للإله عشتر ومنها الوعل(٧٥).

ويذكر للصيد المقدس ترنيمة خاصة به ، كيف كان يجري هذا الطقس الديني ، وقد نصت الترنيمة ما يأتي:(٧٦)-

تشترن / خير/ كمهذ/ هقحك
بصيد/ خنون/ مأت/ نسحك
وقرنو/ شعب/ ذقسد/ قسحك
ولب/ علهن/ ذيحر/ فقحك
وعيلت / أأدب / صلع/ فذحك
وعين / مشقر / هنبجر/ وصحك
ومن / ضرم / وتدأ / هسلحك
ومهسع/ يخن/ أحجي/ كشحك
ونوي/ تفض/ ذكن/ ربحك
وصرف/ ألفذ/ د أ م/ ذو ضحك
وجهنللت/ هنصنق/ فتحك
وذي / تصخب/ هعسمك/ برحدء

وين / مزر / كن / كمشقحك

ورسل/ لثم / ورم/ فسحك.

اما معنى الترنيمة هي:

عرف موسم الصيد باسم الاله خنوان الذي اريقت له دماء مائة أضحية للمعبود الشمس، وذلك تقربا لها وقد اعتقدوا ان الآلهة هي التي تسفح دم الذبيحة تعبيراً عن قبولها(٧٧).

كان للمرأة حق المشاركة في الصيد المقدس، فهي تخرج مع الصياديين، وعسكر مع الخارجين، فيكون صيداً باسمها مثل المرأة (جحمة) زوجة المكرب (يثع امر) حيث وصفت باسم (ذات بيت يثع امر)(٧٨).

ذكر عن مملكة قتبان نقش تذكاري الذي يعود للملك القتباني (يدع اب ذيبن بن شهر) الذي قام بالصيد للمعبود شمس(٧٩).



ترجمتـــه: ي د ع أ ب/ ذ ب ي ن/ بـــن/ ش هـــ ر/ م ك ر ب/ ق ت ب ن/ ص ي د/ ل ش م س

أما معناه :

يدع أ ب ذبيان بن شمر فمكرب مملكة قتبان صاد للاله الشمس(٨٠).

من مملكة معين ويصيدون لإله مدينة هرم (ح ل ف ن) ، حسب ما جاء عند (RES29181) نقش معيني، إذ التزم صاحبه بتقديم النمور، وثمانية أفراس:



ذي ك ر ب/ أ ن م ر م/ وت م ن م/ ب ت ع

معناه: الذي التزم بنمور وثمانية أفراس(٨١)، فضلاً عن ورود لفظة (ط ر د ن) ، وتعني مطاردة الحيوانات بقصد صيدها(٨٢).

تميزت مملكة حضرموت أيضا بالصيد المقدس، وقد جاءت بعد مملكة سبأ بأهمية هذا الطقس، ويعد الملك (يدع ال بين بن رب شمس) (٨٣) من أكثر ملوك

مملكة حضرموت شهرة بالصيد ، أما مدة حكم الملك فتعود إلى القرن الثالث الميلادي ، وقد دونت تلك الرحلات في عهده، أما باقي المعلومات ، فقد كانت تستمد من المشاهد المنحوتة على الصخور(٨٤).

يتضح من خلال طقس الصيد، أنها ممارسة دينية خاصة بالمكاربة والملوك والكهنة ، وأيضا مع مشاركة نساء الحاشية، ويقومون بذلك طلباً من الآلهة بعض الأماني أو تعبيراً عن ذنب قد اقترفه لكي يسامحه ويعفو عنه فضلاً عن نوعية الحيوان الذي يصاد مثل فهود، نمور، وعول، يدل على اهمية وغلا هذا الحيوان، لهذا اقتصر على الأسر الحاكمة.

أما الطقوس اليومية التي مارسها المتعبد لإتمام طهارته، فقد حرص الانسان على الطهارة منذ الأزل وحافظ عليها في حياته العامة، إذ ان طهارة المتعبد قبل دخول المعبد من موجبات ، ويُعد دخوله مقيداً من طقوس الطهارة ، لهذا انتشرت البرك والاحواض والآبار في اغلب المعابد بقصد التطهر، والاغتسال لدخول المعبد(٨٥)، فضلاً عن أحراق البخور التي تقام في المعابد، إذ يُعد من أهم المواد التي يقدمها المتعبدون إلى آلهتهم باهدائها إلى المعابد، وهذه عادة عند الحضارات القديمة بكل اديانهما(٨٦).

نستنتج من خلال الممارسات السنوية واليومية للطقوس أنها كانت موجودة عند الإنسان اليمني القديم وهي من بقايا دين سيدنا إبراهيم "عليه السلام" لكن بمرور الزمن دخلت عليها شوائب الشرك ، والمعتقدات الباطلة حتى جاء الدين الإسلامي فقومها.

الخاتمة

١- فكرة الطهارة أو التطهير عند اليمنيين القدماء ناتج عن الوازع الديني والإنساني والفطري لديهم عبر تأريخهم.

٢- الطهارة في الحضارات القديمة قائمة على نفس الثوابت وهي طهارة لاروح والجسد لكن المختلف فقط الصيغ ، إذ أن لكل حضارة لغتها ولهجتها الخاصة، فنجد الطهارة الجسدية الكل يستخدم الماء والاغتسال به، أما

الحضارة السورية ، فقد استخدمت زيت الأرجوان إلى جانب الماء، فضلاً عن استخدامهم البخور والتبخر ، وذلك لطرد الأرواح الشريرة ، والتكفير عن الذنوب، أما المنجسات فهي الدم وما خرج من الجسد عن طريق خدش أو أصابة، دم الحائض والنفساء وملامسة المرأة (جنابة)، لهذا نرى أهل اليمن متشددين بأوامر الطهارة إذ تنطبق على الجميع حراً أو عبداً، جارية أو أَمة.

الهوامش:

(١) الفيومي، محمد ابراهيم، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط٤ (دار الفكر العربي: القاهرة، ١٩٩٤م)، ص٥٠٧ ؛ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦، ص٣٤٧؛ سفر الخروج، الصحاح، ٢٣ اية ١٤،١٧.

(٢) الموسوي، الميثولوجيا والمعتقدات الدينية، ص٢٣٩.

(٣) القدرة، حسين محمد، وآخر، طقس الحج في النقوش السبئية، من مجلة (دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية)، مج٣١، ع١ (٢٠٠٤م) ، ص٢٤٢-ص٢٤٦.

(4) Beestion, Sabeen Dictionnaire, p.66, p.157.

(٥) باخشوين، فاطمة سعيد، الحج في نقوش جنوب شبه الجزيرة العربية، مجلة (الدراسات الاثرية) (الرياض: ٢٠١٠م)، ص١٢٥.

(٦) الشهاب، المعابد ووظيفتها الدينية في سبأ، ص٦٩.

(٧) الجرو، الطقوس والشعائر الدينية في معبد المقه بمأرب، جامعة سلطان قابوس (شباط) ٢٠٠٩م، ص١٤.

(٨) باخشوين، الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت ، ص٥٥٣.

(٩) الجرو، الطقوس والشعائر الدينية، ص١٥.

(١٠) الجرو، الطقوس والشعائر الدينية ، ص١٦.

(11) Beestion, Dictionnaire Sabeen, p.57.

(١٢) باخشوين، الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت ، ص٥٥٣.

(١٣) عقاب ، فتحية بنت حسين، الحج في الفكر ال ديني عند عرب جنوب وشمال الجزيرة العربية من القرن السابع قبل الميلاد إلى الرابع الميلادي (دراسة مقارنة في ضوء النقوش)، (الجمعية السعودية للدراسات الأثرية : الرياض، ٢٠١٠م) ، ص١٨٩.

(١٤) العريقي، منير، مكانة المعبود ذي سماوي في الديانة اليمنية القديمة، من جملة (ادماتو)، ع١١ (ذو الحجة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م) ، ص٢٩.

(١٥) بافقيه، ذوي سماوي وابعاد حرمه في شظيف، ص٥٥-ص٥٦.

(١٦) الحسيني، جمال محمد ناصر، الإله سين في ديانة حضرموت القديمة دراسة من خلال النقوش والآثار ، رسالة ما جستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عدن ، ٢٠٠٦م) ، ص١٣٥؛ باخشوين، الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت ، ص٥٥٤.

(١٧) الارياني، مطهر علي ، نقوش مسندية وتعليقات (مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ١٩٩٠م) ، ص٢٢٠.

(١٨) باخشوين، الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت ، ص٥٥٤.

(١٩) السيد، محمود عبدالباسط، الحياة الدينية في مملكة اوسان في ضوء النقوش العربية الجنوبية القديمة، من مجلة (جامعة الملك سعود- السياحة والآثار- السعودية) (٢٠١٤م) مج٢٦، ع٢، ص١٥٦.

(٢٠) المحامدي، الكهانة والكهان في جنوب الجزيرة العربية من القرن الثامن قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم العلوم الاجتماعية ، جامعة طيبة ، المدينة المنورة ، ٢٠١٦ م ، ص٣٨؛ الحسني، الإله سين في ديانة حضرموت القديمة، ص١٣٦؛ الحسني، الإله عم آلهة قتبان، ص٣٢٥؛

Avanzi, A. And others, Materiaali par: 1 corpus Qatabanico, in Raydan, (1994), p.22-31.

(21) Ryckmans, G, The old south Arabian Religion, in Yemen 3000 year of Art and Civilisation in Arin Arabia Fliex, ed. By W. (O) Daum (Frankfurt, Pinguim: 1988), P.107.

(٢٢) الموسوي، الميثولوجيا والمعتقدات الدينية ، ص٢٢٠.

(٢٣) صدقة ، ابراهيم صالح عامر، آلهة سبأ في نقوش محرم بلقيس، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك ، ١٩٩٤م) ، ص٨٨-ص٩٠.

(٢٤) العريقي، الفن المعماري والفكر الديني، ص٩٤؛ باخشوين، الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت ، ص٥٦٣.

(٢٥) ضريبة العشر: احدى لاضرائب التي يتولى جمعها الكهنة باسم الاله ويؤخذونها من اللبان عيناً بعد دخوله مدينة شبوة. الموسوي، الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم ، ص٥١٨.

(٢٦) الجرو، الطقوس والشعائر الدينية في معبد المقه بمأرب، ص١٥؛ باخشوين ، الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت ، ص٥٦٣.

(٢٧) الحسني، الإله سين في ديانة حضرموت، ص١٣٧.

(٢٨) باخشوين ، الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت ، ص٥٦٤.

(٢٩) الحسني، جمال محمد ، الإله عم وآلهة قتبان (٧٠٠ ق.م- ١٧٠م) اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة طنطا، كلية الآداب- قسم التاريخ (٢٠١٢م) ، ص٣٢٦؛ عبدالله، اسوان محمد، تمنع هجر كهلان (دراسة تاريخية اثارية، رسالة ماجستير غير منشورة- جامعة عدن- كلية الآداب- قسم التاريخ (٢٠٠٦م)، ص١١٥.

(٣٠) الحسيني، الإله سين في ديانة حضرموت، ص١٣٧.

(٣١) باخشوين، الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت ، ص٥٦٤.

(٣٢) ريبون: هي مدينة دينية وتعد من أكبر مدن وادي دوعن ، تقع في الجهة الغربية من وادي حضرموت، هذه المدينة واحة زارعية مارس سكانها الزراعة. الزراعة. الحسني، الإله سين في ديانة حضرموت، ص١٣٧.

(٣٣) الحسني، المرجع نفسه ، ص١٣٧.

(٣٤) المناوي، محمد عبدالرؤوف، التوقيف على مهمات، تح: محمد رضوان، (دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٠هـ)، ص٥٦.

(٣٥) سورة البقرة، آية/٦٠.

(٣٦) الشهاب، سامي شرف، المعابد ووظيفتها الدينية في سبأ، اطروحة دكتوراه/ منشورة جامعة صنعاء، كلية الآداب– قسم الآثار (٢٠١٦م)، ص٧٦.

(٣٧) الشهاب، المعابد ووظيفتها الدينية في سبأ ، ص٧٦.

(٣٨) الشهاب، المرجع نفسه، ص٧٧.

(٣٩) الشهاب، المرجع نفسه ، ص٧٧.

(٤٠) الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم ، ص١٧٥.

(٤١) باخشوين ، الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت ، ص٥٣٩.

(42) Beestion, Dictionnaire Sabeen, p.106.

(٤٣) الصاوي، ابراهيم، نقش جديد من وادي ورور، من مجلة (كلية الآداب– جامعة صنعاء)، ع١٩ (١٩٩٦م)، ص٢٧.

(٤٤) بيستون، الفريد، قواعد النقوش العربية الجنوبية (كتابات المسند)، ص٢٢.

(٤٥) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٦، ص١٩٦– ص١٩٧.

(٤٦) باخشوين، الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت ، ص٤٧٨.

(٤٧) الشهاب، المعابد ووظيفتها الدينية في سبأ ، ص٧٩.

(٤٨) المعاني، سلطان، الهوية الحضارية في النقوش العربية القديمة (وزارة الثقافة الأردنية، ٢٠١٠م)، ص٦٥.

(٤٩) باخشوين، الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت ، ص٤٧٧.

(٥٠) نامي ، خليل يحيى، نقوش خربة براقش على ضوء مجموعة محمد توفيق، من مجلة (كلية الآداب– جامعة القاهرة)، مج١٩، ج٢، ص١٠٥.

(٥١) عبدالله، تمنع هجر كهلان، ص١٠٣؛ باخشوين، الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت ، ص٤٨٢.

(٥٢) العريقي، الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم ، ص٢٨٠.

(٥٣) باخشوين الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت ، ص٤٨٧.

(٥٤) العريقي، الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم ، ص٢٨٢.

(٥٥) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٦، ص١٨٩.

(٥٦) علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص١٨٩.

(٥٧) الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم ، ص١٧٠.

(٥٨) الجرو، المصدر نفسه ، ص١٥٩.

(59) Jamme, A. Sabaean Inscriptions From Mahram Bilqis (Marib) the Johns Hopkins press, Baltimore (1962), p.208.

(٦٠) العريقي، الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم ، ص٢٨٣.

(٦١) سورة آل عمران، الآية:٣٥.

(٦٢) سورة مريم ، الآية : ٢٦.

(٦٣) العريقي، الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم ، ص٢٨٤.

(٦٤) السعيد ، سعيد بن فائز، نقوش سبئية جديدة (دار المريخ للنشر: لندن، ٢٠٠٢م مج١٢، ج٢، ص٧.

(٦٥) السعيد، المرجع نفسه ، مج١٢، ج٢، ص٧– ص٨.

(٦٦) الشهاب، المعابد ووظيفتها الدينية في سبأ، ص٨٣.

(٦٧) الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، ص١٧٤.

(٦٨) العريقي، الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم ، ص٩٥.

(٦٩) يثع امر: هو المكرب السبئي الذي حكم (٧٦٠ق.م) ومن اعماله تجديد بناء معبد الإله هوبس السبئي. البكر، منذر عبدالكريم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام – تاريخ الدول الجنوبية في اليمن ، ص٢١٩.

(٧٠) مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص ٢٤٩.

(٧١) العريقي، الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم ، ص٩٦.

(٧٢) الحسني، الإله سين في ديانة حضرموت القديمة ، ص١٢٧.

(٧٣) العريقي، الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم ، ص٩٥.

(٧٤) المحمادي، الكهانة والكهان في جنوب الجزيرة العربية من القرن الثامن قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، ص١٢٠.

(٧٥) الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم ، ص١٧٤.

(٧٦) عبدالله ، يوسف محمد، نقش القصيدة الحميرية أو ترنيمة الشمس، من مجلة (ريدان)، ع٥ (عدن: ١٩٩٨م)، ص٩٢– ص٩٣..

(٧٧) عبدالله، نقش القصيدة الحميرية ، ص٩٤.

(٧٨) الارياني، نقوش مسندية وتعليقات ، ص٤٥٧.

(٧٩) عريش، منير، عالم الآلهة في مملكة قتبان اليمنية القديمة قبل الإسلام (القرن السابع قبل الميالد- القرن الثالث الميلادي) ، من مجلة (حوليات يمنية)، ع٣ (صنعاء: ٢٠٠٣م)، ص٢١.

(٨٠) باخشوين، الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت ، ص٥٤٤.

(٨١) باخشوين، المرجع نفسه ، ص٥٤٤.

(82) Beestion, Dictionnaire Sabeen, p153-154.

(٨٣) بدع ال بين بن رب شمس: ملك حضرموت قام بتعمير مدينة شبوة وبنى معبدها من الحجارة ، وقد كان حكم هذا الملك (٢٠٠م) بحسب رأي ريكمانز. مهران، تاريخ العرب القديم، ص ص ٢١٣-٢١٤.

(٨٤) باخشوين، الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت ، ص٥٤٤-ص٥٥٤؛ الحسني، الإله سين في حضرموت القديمة، ص٢٨.

(٨٥) باخشوين، الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت ، ص٤٧٠.

(٨٦) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦، ص٢٠٩.

سدني غوتلب ودوره في تطوير طرق الاستجواب والاغتيال في وكالة المخابرات المركزية (١٩١٨-١٩٩٩)

م.د. عمر المختار علاء جاسم محمد

الجامعة العراقية- كلية الآداب

Sidney Gottlieb and his role in developing interrogation techniques at the CIA (1918-1999)

Lec. Dr. Omar Almukhtar Alla. Jassim
Ministry of Higher Education and Scientific Research/College of Arts - Iraqi University
omaralmukhtar.a.jassim@aliraqia.edu.iq

سدني غوتلب ودوره في تطوير طرق الاستجواب والاغتيال في وكالة المخابرات المركزية (١٩١٨-١٩٩٩)

م.د. عمر المختار علاء جاسم محمد

ملخص البحث:

يُعد عالم الكيمياء سدني غوتلب احد الخبرات العلمية الأمريكية، الذي وظف قدراته العملية في خدمة المصالح الأمريكية، وبدعم من أعلى المستويات الأمنية في الولايات المتحدة الأمريكية، بما يتناسب مع طبيعة الدور الذي أُلقي على الإدارة الأمريكية (American Administration) بعد انتهاء الحرب العالمية وانطلاق الحرب الباردة، إذ فرضت مجموعة من المتغيرات التي شهدتها العلاقات الدولية، واقعًا جديدًا على الإدارة الأمريكية، دفعها إلى استخدام كل الوسائل الممكنة لمجابهة الخطر السوفيتي، فقد اضطلع سدني غوتليب في تطوير العديد من المشاريع والبرامج العلمية والتقنية المستخدمة في العمليات التي نفذتها وكالة المخابرات المركزية، ولاسيما عمليات الاستجواب والتحكم في السلوك البشري وعمليات الاغتيال النوعية.

Sidney Gottlieb and his role in developing interrogation techniques at the CIA (1918-1999)

Lec. Dr. Omar Almukhtar Alla. Jassim
Ministry of Higher Education and Scientific Research/College of Arts - Iraqi University
omaralmukhtar.a.jassim@aliraqia.edu.iq

Abstract:

The chemist Sidney Gottlieb is considered one of the leading American scientific experts who utilized his expertise in service of American interests, with the support of the highest levels of the US security apparatus. This was in line with the role that the US administration was expected to play following the end of World War II and the onset of the Cold War. A series of changes in international relations imposed a new reality on the US administration, prompting it

to use all available means to counter the Soviet threat. Sidney Gottlieb played a key role in developing numerous scientific and technological projects and programs used in CIA operations, particularly those involving interrogation, behavioral control, and targeted assassinations.

الكلمات المفتاحية:

سدني غوتلب. الإدارة الأمريكية. عقار(ال سي دي). الحرب الباردة. (CIA).

Key Words:
Sidney Gottlieb. American administration. (LSD). Cold War. CIA.

المقدمة:

حصلت السلطات الأمريكية في المناطق التي خضعت لسيطرتها في ألمانية واليابان بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، على وثائق ومعلومات مهمة تشير بضلوع أطباء وعلماء تابعين للنظامين النازي والياباني، بأبحاث علمية متطورة؛ تتعلق بتجارب سرسرية أُجريت على السجناء والمعتقلين في البلدان التي خضعت لسيطرتهم، باستخدام عقاقير وأساليب معينة استخدمت في مراكز ووحدات بحثية فائقة السرية، وقد ارتكزت تلك الأبحاث بشكل رئيس على تطوير الحروب الجرثومية، وعقاقير لها القدرة على السيطرة على فعاليات وسلوكيات الشخص المستهدف، لذا سعت السلطات الأمريكية إلى الاستحواذ على تلك الخبرات العلمية، ودخلت مع السوفييت في تنافس محموم للوصول إليها، وتحقيق الإفادة القصوى منها، عن طريق نقل معلوماتها إلى المختصين في الولايات المتحدة الأمريكية، والعمل على تطويرها بما يتناسب مع ضرورات المرحلة الجديدة من العلاقات الدولية بعد انتهاء الحرب، وارتباطها بالهاجس القومي الأمريكي؛ القائم على الخطر السوفيتي، بعد ظهور العديد من المؤشرات الدالة على تصاعد التنافس الدولي بين العملاقين الرأسمالي والاشتراكي، واستعمال كل الوسائل الممكنة لإضعاف الخصم وإنهاكه لتحقيق الهيمنة الأمريكية، وجاء في هذا السياق، توظيف الدكتور سدني غوتلب في وكالة المخابرات المركزية، لإدارة وحدة علمية في الوكالة، تعمل على تطوير أبحاث علمية فائقة السرية تتعلق

باستعمال عقاقير مطورة لتنفيذ عدد من العمليات السرية في الوكالة، ولاسيما عمليات الاستجواب والاغتيالات.

ترتكز أهمية موضوع البحث في متابعة سيرة سدني غوتلب، ومعرفة أهمية الدور الذي أداه بعد انضمامه إلى وكالة المخابرات المركزية، ومدى إسهامه في تطوير برامج أمنية خاصة بالوكالة، استندت على استعمال العقاقير والمركبات الكيميائية في عمليات الاستجواب والاغتيالات النوّعية التي نفذتها الوكالة خلال الحرب الباردة، والإجابة على فرضية البحث وهي إن سدني غوتلب أفاد من الخبرات العلمية التي استحوذت عليها سلطات الاحتلال الأمريكي في ألمانية واليابان، واحدث نقلة مهمة أثناء عمله في الأقسام العلمية التابعة للوكالة، والمعنيّة بالمركبات الكيميائية المستعملة في العمليات السرية التي نفذتها الوكالة في تلك المدة.

قُسم البحث على ثلاثة محاور، إذ جاء المحور الأول المعنون: **(سدني غوتلب حياته ونشاته ودراسته)**. والذي استعرض بشكل موجز؛ سيرته الشخصية والعلمية، فيما تابع المحور الثاني: **(سعي أجهزة المخابرات الأمريكية للاستحواذ على التقنيات العلمية الألمانية واليابانية)**، والإفادة من خبرات العلماء الألمان واليابانيين في مجال الاغتيالات والتحقيقات. اما المحور الثالث: **(انضمام سدني غوتلب إلى (CIA) ودوره في تطوير عملياتها الخاصة)**، فقد مثّل صلب موضوع البحث، إذ تابع الدور الذي اضطلع به بعد انضمامه للوكالة وإسهامه في تطوير أقسامها العملية.

اعتمد البحث على العديد من المصادر الأجنبية والمعربة التي غطّت معلوماتها مضمون البحث وساهمت في الوصول الى الأهداف التي يسعى إليها، وتوظيفها وفق المنهجية التاريخية التحليلية المعتمدة في المؤسسات الأكاديمية العراقية المعنيّة بالدراسات التأريخية.

أولًا: سدني غوتلب: ولادته ونشأته ودراسته.

ولد سدني غوتلب في الثالث من آب ١٩١٨، في حي بروكنس (Bronx) وهو أحد الأحياء الخمس التي تتضمنها مدينة نيويورك، لأبوين يهوديين مهاجرين من أصول مجرية،

إذ هاجر والده لويس غوتلب (Louis Gottlieb) ووالدته فاني (Fanny) إلى الولايات المتحدة الأمريكية مطلع القرن العشرين، وسكنا في حي بروكنس الذي كان موطنًا لمجموعة من المهاجرين الذين كان معظمهم من اليهود الذين قدموا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد وجد لويس غوتلب عملًا في صناعة الملابس، وافتتح ورشة عمل لتقديم بعض الخدمات الحرفية، وجمع ما يكفي من المال لاستئجار منزل في شارع ١٣٣٣ بوينتون (Boynton Avenue 1333) في حي بروكنس(١).

كان سدني غوتلب الطفل الرابع والأصغر في عائلته، وقد نشأ في مجتمع حيوّي مفعم بالنشاط، وعلى وفق ما أشارت بعض المصادر المطلعة، أنه كان على غرار العديد من زملائه في المدرسة الابتدائية، الذين وصفوا بأنهم أطفال أذكياء ينتمون إلى عائلات يهودية ملتزمة، التي عاشت تجربة الهجرة، وسعوا إلى استغلال الفرصة التي أتاحتها إليهم الولايات المتحدة الأمريكية وسارعوا لاغتنامها (٢).

عانى سدني غوتلب من مشكلة صحية في سنوات حياته الأولى، تمثلت بوجود انحراف في قدميه، ووفقًا لأحد أقاربه، الذي أشار بالقول: "**صرخت والدته عندما رأتهما لأول مرة، إذ لم يكن قادرًا على المشي معظم طفولته**"(٣). لذا كانت والدته تحمله أينما ذهب، وقد جلبت ورشة العمل التي تديرها العائلة ما يكفي من المال لتغطية تكاليف ثلاث عمليات جراحية، كانت جميعها ناجحة جزئيًا على الأقل، وحين بلغ سن الثانية عشرة، صار قادرًا على المشي من دون استعمال العكاز، أما التحدي الآخر الذي واجهه سدني غوتلب في سنوات حياته الأولى هو التأتأة، الأمر الذي عرضه للمضايقة من بعض الطلبة ولاسيما خلال سنوات دراسته الثانوية، لكن سدني غوتلب عمل على التخلص منها وسعى إلى التفوق على زملائه في المدرسة (٤).

بعد تخرجه من جامعة جيمس مونرو عام ١٩٣٦، التحق سدني غوتلب، على غرار أبناء وبنات المهاجرين الطموحين في نيويورك، بكلية المدينة (City College)، المعروفة آنذاك بـ"هارفارد البروليتاريا"، لما قدّمته من تعليم مجاني ممتاز. وقد درس فيها اللغة الألمانية، وحصل على درجات عالية في الرياضيات والفيزياء والكيمياء. كما التحق بدورتين

في الخطابة، بهدف مساعدته على التغلب على تلعثمه: إذ درس "العرض ومبادئ الكلام" و"الخطابة". كما التحق بدورة موسيقية (٥).

لم تكن كلية المدينة التي درس فيها سدني غوتلب تُقدم دورات في علم الأحياء الزراعي، وهو المجال الذي رغب سدني في دراسته. فقرر الانتقال إلى جامعة تُدرّس هذا المجال. فوقع اختياره على جامعة ويسكونسن، التي كانت تُقدم برنامجًا دراسيًا مرموقًا، فكتب إليها يستفسر عن إمكانية التحاقه بالجامعة، ثم تلقى ردًا موجزًا وديًا، مؤرخ في الرابع والعشرين من شباط ١٩٣٧، انتهى بـ: "**سأكون سعيدًا بمساعدتك بأي طريقة ممكنة**"، وكان الردّ مُوقّعًا من قِبل إيرا بلدوين (Ira Baldwin)، العميد المساعد لكلية الزراعة (٦).

وبهدف دراسة بعض المواد التي تُؤهله للالتحاق بجامعة ويسكونسن، التحق سدني غوتلب بكلية أركنساس بوليتكنيك، التي تُعرف الآن بجامعة أركنساس التقنية. والتي درس فيها العديد من المواد التي كان يرغب بدراستها، إذ درس علم النبات العام، والكيمياء العضوية، وحفظ التربة، ومبادئ صناعة الألبان. وقد أدى نجاح سدني غوتلب في جامعة أركنساس إلى حصوله على الجائزة التي سعى إليها، ألا وهي القبول في جامعة ويسكونسن. وقد رحّب به بالدوين، وأصبح مرشده، على امتداد عامين دراسيين بعد أن تخصص في علم الكيمياء، وكان عنوان بحثه للتخرج "دراسات على حمض الأسكوربيك في البازلاء"، وفي عام ١٩٤٠، تخرج بامتياز مع مرتبة الشرف. وقدّم له بالدوين توصية كانت مُشجّعة لسدني غوتلب، فعلى الرغم من أنه أشار إلى وجود "إعاقته الطفيفة في الكلام"، لكنه أشاد بذكائه وشخصيته. وأكد بالقول أن "**السيد غوتلب شاب يهودي من الطراز الرفيع. لقد تأقلم بسهولة مع الظروف التي وجدها هنا، وأعتقد أنه يحظى عمومًا بإعجاب واحترام زملائه. يتمتع بعقلية فذة، وصادق وموثوق به تمامًا، ومتواضع وبسيط**" (٧). ويبدو أن هذا الاطراء لم يكن بسبب تمتعه بمميزات علمية وشخصية فقط، بل بسبب ديانته اليهودية التي روج لها لتكون بمثابة هوية شخصية، تحضى بتعاطف ودعم داخل المجتمعات الغربية.

من جانب آخر، ونتيجة لتأثره بالظروف التي عاشها في ورش العمل التي طغى عليها الاستغلال في نيويورك، ولاسيما تلك التي يملكها والده، انضم إلى فرع رابطة الشباب

الاشتراكيين (Young People's Socialist League) التي كان لها بعض النشاطات داخل الحرم الجامعي [٨].

لقد تضافر تفوق سدني غوتلب في الجانب الدراسي، إضافة إلى توصية بلدوين لتأمين قبوله في الدراسات العليا بمعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا. الذي درس فيها لمدة ثلاث سنوات، حتى تخرج في حزيران ١٩٤٣، وحصل على درجة الدكتوراه في الكيمياء الحيوية (Biochemistry). وفي أثناء تلك السنوات، تغيرت حياته بشكل جذري، ولاسيما بعد التقى بامرأة تختلف كثيرًا عن أي شخص كان من الممكن أن يعرفه في برونكس، تدعى مارغريت مور (Margaret Moore) (١٩١٩-٢٠١١)، وهي ابنة واعظ مشيخي، وُلدت ونشأت في الهند، عندما كان والدها يبشر بالمسيحية، لكنها تمردت على روح التبشير منذ صغرها. وعندما التقى بها سدني غوتلب، لم يكن بينهما الكثير من القواسم المشتركة الظاهرة، بل قد يُنظر إليهما على أنهما متناقضان تمامًا. ومع ذلك، فقد كانا يشتركان في قلق روحي، ولاسيما بعد أن أصبح سدني غوتلب غير ملتزم كثيرًا بالتعاليم اليهودية التي اعتنقها في طفولته، وبشكل عام كان كلاهما يسعان إلى فهم للحياة بشكل يتجاوز ما يقدمه الدين لهما من تفسيرات [٩].

كان زفاف سدني غوتلب ومارغريت مور دليلًا على تجاهل الزوجين للتقاليد، إذ تم في حفل مدني بسيط ومن دون حضور ضيوف أو احتفال، وفي هذا الصدد كتبت مارغريت: "**الزواج بين شخصين وليس بين حشد كبير**". وقد قبل والدا العروس المعتادان على استقلاليتها هذا الزواج بسعادة، وكتبت والدتها لأقاربها بعد سماع الخبر: "**كنا متحمسين للغاية لتلقي البرقية في السابع عشر من أيلول ١٩٤٢، والتي تُخبرنا بزواج مارغريت من سدني غوتلب في السادس عشر من الشهر نفسه** [١٠].

أمّا الموقف المهم الآخر الذي عاشه سدني غوتلب في تلك المدة؛ هو رفضه من قِبل نظام الخدمة الانتقائية (Selective Service System) (SSS). الخاص بالتجنيد العسكري، فعندما كان في منتصف سنوات دراسته العليا، وقع الهجوم الياباني على بيرل هاربر [١١]، الأمر الذي أدى إلى دخول الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية

الثانية، وحينها ترك العديد من الطلاب دراستهم وتطوعوا للخدمة العسكرية، لكن سدني غوتلب بقي في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا حتى حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٤٣. ثم سعى للتجنيد، لاعتقاده بأن الانحراف الذي يعاني منه في قدميه لا يستدعي رفضه، بيد أنّ وكالة الخدمة الانتقائية رفضت تطوعه، وفي هذا الصدد أشار بالقول: "**عندما رفضني الجيش، شعرت بالإحباط... أردت أن أساهم في المجهود الحربي، وشعرت أن من واجبي الخدمة، لكنني لم أستطع إقناع أحد بأن أدائي لن يُعيقني**". وبعد أن حُرم سدني غوتلب من فرصة الانضمام إلى الجيش وارتداء الزي العسكري كما كان يتمنى، عزم على إيجاد طريقة أخرى لخدمة مصالح بلاده [١٢].

في خريف عام ١٩٤٣، انتقل سدني غوتلب وزوجته مارغريت إلى مدينة تاكوما في ولاية ميريلاند، للعمل في احدى المؤسسات المعنية بالبحث عن التركيب الكيميائي للتربة العضوية التابعة لوزارة الزراعة، ثم انتقل بعد ذلك إلى مديرية الغذاء والدواء، وبدأ بتطوير أبحاثه واجراء اختبارات لقياس نسب الأدوية في جسم الإنسان. وحصل في عام ١٩٤٨، على وظيفة جديدة في المجلس الوطني للبحوث (National Research Council)، وهو جزء من الأكاديميات الوطنية للعلوم والهندسة والطب، والتي درس فيها موضوعات عدة؛ مثل أمراض النبات ومبيدات الفطريات، وبدأ بالاطلاع على بعض الدراسات المهمة، ولاسيما الدراسات المتعلقة بالمهلوسات وقلويدات الإرغوت وتأثيرها على الأوعية الدموية. وبعد ذلك بوقت قصير؛ أصبح باحثًا كيميائيًا مشارك في جامعة مريلاند، وكرس نفسه لدراسة الأيض (التمثيل الغذائي) للفطريات [١٣].

٢- سعي أجهزة المخابرات الأمريكية للاستحواذ على التقنيات العلمية الألمانية واليابانية.

أفاد العديد من الضباط الأمريكيين الذين عملوا في قسم المخابرات العسكرية(Military Intelligence) (القسم ٨)(MI-8) ومكتب الخدمات الاستراتيجية (Office of Strategic Services)[١٤]، على الصعيد المهني بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، إذْ اطلعوا على الأساليب التي استعملها الضباط النازيون في التحقيقات، بعد

حصولهم على وثائق خاصة بطرائق وأساليب الاستجواب التي اتبعها محققو قوات الأمن الخاصة (SS) (Schutzstaffel) أو (ذو القمصان السوداء)، وضباط الغستابو (Gestapo) [١٥]، وما تتضمنها من عمليات تعذيب لنزع الاعترافات من المتعقلين، إضافة إلى ذلك، فقد اضطلعوا بأحد أهم العمليات السرية، التي نفذتها السلطات الأمريكية في المناطق التي خضعت إلى سيطرتها في ألمانيا، وذلك حينما حصلت محطة مكتب الخدمات الاستراتيجية في فيسبادن والمخابرات العسكرية، على معلومات أفادت بقيام السلطات السوفيتية، بالبحث عن العلماء الألمان، وورود معلومات أخرى من الناجين من معسكرات الاعتقال الألمانية، الذين أفادوا بخضوع العديد من زملائهم في معسكرات الاعتقال، لتجارب سريرية على يد عددٍ من الأطباء الألمان [١٦]، وعليه اطلقت السلطات الأمريكية في برلين، العملية السرية التي عرفت باسم "**عملية سلّة القمامة**" (Operation Dustbin)، التي هدفت إلى معرفة ما توصل إليه أطباء المعسكرات الألمانية في تجاربهم، وفي سياق العملية، تم اعتقال الطبيب كورت بلوم (Kurt Blome) [١٧]، في السابع عشر من أيار ١٩٤٥، وهو من أهم أطباء المعسكرات النازية، لذا تدّخل مكتب المخابرات العسكرية، للحيلولة من دون إدانته في محاكمات نورمبرغ (Nuremberg trials) [١٨]، مقابل الإفادة من خبرته والحصول على خدماته، وقد تم ترتيب إجراءات مماثلة مع عددٍ كبير من العلماء الألمان، بغض النظر عن طبيعة ارتباطهم بالنظام النازي، أو تورطهم بجرائم ضد الإنسانية، وقد حصل ذلك في سياق عملية واسعة، عرفت باسم "**عملية مشبك الورق**" (Paper clips Operation)، والتي تم بموجبها جلب أكثر من (١٦٠٠) عالم ومهندس وفني ألماني وبتخصصات متنوعة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بدءًا من أواخر أيار ١٩٤٥، في حين تمكن الاتحاد السوفيتي من جلب (٢٠٠٠) مختص ألماني تقريبًا، في مجالات علمية متنوعة[١٩].

وقدر تعلق الأمر بموضوع استخدام التقنيات التي استخدمها الألمان في نزع الاعترافات من المعتقلين عبر استخدام تقنيات وعقاقير معينة أو تركيبات كيمياوية من شأنها التأثير في الشخص المستهدف، فقد كان لليابانيين نصيبٌ من هذه المسألة، ففي الأشهر

التي تلت استسلام اليابان لقوات الحلفاء في الخامس عشر من آب ١٩٤٥، أخبر العديد من الضباط اليابانيين الأسرى المحققين الأمريكيين أن اليابان حافظت على برنامج سري للحرب الجرثومية. وتحدثوا عن اختبار سموم على بشر في قاعدة سرية تعرف بإسم (الوحدة ٧٣١) (Unit 731)، في منطقة منشوريا الصينية التي احتلتها اليابان عام ١٩٣١[٢٠]، وقد أُحيلت تقارير تلك الاستجوابات إلى مختبرات الحرب البيولوجية في معسكر ديتريك (Fort Detrick) بولاية ميريلاند. الأمر الذي دفع العلماء الأمريكيون للضغط على القيادات الأمريكية، بهدف الحصول على بيانات من كورت بلوم وأطباء آخرين خدموا النازيين، عن معلومات حول أنشطة (الوحدة ٧٣١). واكتشفوا أن الجراح في الجيش الإمبراطوري الياباني الذي أدار (الوحدة ٧٣١) هو اللواء شيرو إيشي (Shirō Ishii) (١٨٩٢-١٩٥٩) وطلبوا من فيلق مكافحة التجسس العثور عليه، تمامًا كما عثروا على بلوم في ألمانيا، وكانت الخطة تقضي بإبعاده عن أيدي السوفييت، ثم ضمان ولائه وذلك بإنقاذه من المشنقة [٢١].

لقد اتضحت طبيعة عمل (الوحدة ٧٣١) منذ بدء المباشرة بالعمل، إذ أشار إيشي للعاملين معه بالقول:" **إن مهمتنا الإلهية كأطباء هي تحدي جميع أشكال الكائنات الحية الدقيقة المسببة للأمراض، وسد جميع الطرق أمام تسللها إلى الجسم، والقضاء على المواد الغريبة الموجودة في أجسامنا، وابتكار أفضل العلاجات الممكنة**"[٢٢]، ثم أضاف قائلًا إن "**العمل البحثي الذي سنشرع فيه الآن هو النقيض التام لتلك المبادئ**"، وعليه بدأ الجنود اليابانيون في ملاحقة "قطاع الطرق" وغيرهم من المشتبه بهم في الأرياف والجنود الأسرى الصينيين والثوار المناهضين لليابان، والمجرمين العاديين، والمرضى النفسيين، وسلموهم على دفعات إلى (الوحدة ٧٣١)، فبين عامي ١٩٣٦ و١٩٤٢، تلقى إيشي ما لا يقل عن ثلاثة آلاف منهم، فيما ترجح بعض المصادر أن العدد يصل إلى اثني عشر ألفًا من هذه "الجذوع"، كما كان يسميها هو ورفاقه. وقد سعى إيشي إلى معرفة كل ما هو ممكن عن كيفية استجابة أجسام الأشخاص الخاضعين للتجارب السريرية لأشكال مختلفة من الإيذاء الشديد، والتي كان مصيرها جميعًا؛ الموت بطريقة مروعة، إضافة الى عمليات تشريح حيّ بطريقة يكاد يكون من المستحيل تصورها، ولاسيما المعتقلين الذين تعرّضوا للغاز

السام لاستخراج رئاتهم ودراستها لاحقًا؛ وإحراقهم ببطء باستعمال الكهرباء لتحديد الفولتية اللازمة لإحداث الموت؛ وتعليق الرؤوس على عقب لدراسة تطور الاختناق الطبيعي؛ والحبس في غرف ضغط عالٍ حتى تفقأ أعينهم، والحقن بالجمرة الخبيثة والزهري والطاعون والكوليرا وأمراض أخرى، والربط على أوتاد خشبية وحرقهم من قِبل الجنود اليابانيين لاختبار قاذفات اللهب؛ والتجميد ببطء لمراقبة تطور انخفاض حرارة الجسم، وحقن الجسم بالهواء او دم الحيوانات في أوردة الضحايا لمعرفة مدى تأثيره، فيما بُترت أطرافهم ومراقبة موتهم البطيء بفعل النزيف والغرغرينا. وفقًا لتقرير للجيش الأمريكي، رُفعت عنه السرية لاحقًا، الذي أشار بربط مجموعات من الرجال والنساء والأطفال بأوتاد بحيث "تُعرى أرجلهم وأردافهم وتُعرّض لشظايا قنابل الجمرة الخبيثة التي تفجر على بُعد أمتار عنهم"، لمعرفة مدة بقاءهم على الحياة والتي لم تتجاوز أسبوعًا واحدًا. وقد احتاج إيشي إلى تدفق مستمر من الأعضاء البشرية، إذ لم يقتصر الأمر على الصينيين فحسب، بل شمل أيضًا الكوريين والمنغوليين، ووفقًا لبعض التقارير التي حصل عليها الجيش الأمريكي في اليابان؛ كان علماء الأحياء الدقيقة في فريق إيشي يأخذون عينات الأنسجة بدقة بعد كل تجربة، ويضعونها على شرائح لدراستها، كما استخدم الفنيون في (الوحدة ٧٣١) أبحاثهم لإعداد أنواع من الشوكولاتة المسمومة والعلكة، بالإضافة إلى دبابيس الشعر وأقلام الحبر المُزوّدة بإبر مُغطاة بالسموم لاستخدامها في عمليات الاغتيال، وتربية براغيث موبوءة بالطاعون، وتصنيع أطنانًا من الجمرة الخبيثة التي وُضعت في أغلفة قنابل، واستُخدمت لقتل آلاف المدنيين الصينيين(٢٣).

تنفيذًا لأوامر سلطات الاحتلال الأمريكي في اليابان، وبناءً على توجيه من فيلق مكافحة التجسس، عُثر ضباط الشرطة اليابانيون على إيشي في مسقط رأسه، واعتقل في السابع عشر من كانون الثاني ١٩٤٦، ونُقل إلى طوكيو. وعلى امتداد شهر تقريبًا، جلس بشكل طوّعي وغير رسمي لإجراء مقابلات مع أحد علماء معسكر ديتريك. وأكد فيها على ضرورة ألا تقع بعض سجلات (الوحدة ٧٣١) في أيدي الروس، ولم يعترف بأي جرائم. وأصر على أن (الوحدة ٧٣١) لم تنشر حُمّى الطاعون في الصين، وأن تجاربها على السموم أُجريت فقط على حيوانات المختبر، غير أن المحققين في قسم المخابرات العسكرية

شكوا في ذلك، بناءً على تقارير وصلتهم من قدامى المحاربين والأسرى من (الوحدة ٧٣١)، والتي أفادت بأنه أشرف على تجارب قُتل فيها آلاف الأشخاص، لذا وضعوا إيشي امام خياريّن؛ اذ أشاروا عليه بالقول: "**أخبرنا ببعض ما تعرفه على الأقل، وستكون رصيدًا ثمينًا يستحق الحماية؛ أو التزم الصمت، وستُخاطر بالاعتقال من قِبل السوفييت وربما حكم الإعدام... إن الأمريكيون مهتمون بـ "المعلومات التقنية والعلمية... وليس بجرائم الحرب**". فأجابهم: "**إذا منحت حصانة لنفسي ولرؤسائي ومرؤوسي، فسأتمكن من الحصول على جميع المعلومات لك... أود أن توظفني الادارة الأمريكية بوصفي خبيرًا في الحرب البيولوجية**"(٢٤).

كان لدى كلا الجانبين مبررًا للوصول إلى هذا الاتفاق؛ إذ أن إيشي كان على علم أنه سيواجه المحاكمة، وربما الإعدام إذا رفض التعاون، فيما أراد علماء معسكر ديتريك معرفة ما يعرفه، واندفعوا بإحساسٍ طغى على أي شكوكٍ أخلاقية قد تكون لديهم، وبناءً على طلبهم؛ أصدرت القيادة العليا لقوات الحلفاء، بقيادة اللواء دوغلاس ماك آرثر (Douglas MacArthur)(١٨٨٠-١٩٦٤)، الذي شغل منصب قائد قوات الحلفاء خلال الاحتلال الياباني بين عامي ١٩٤٥ و١٩٥١، وبشكل سري المبدأ القائم على إن قيمة بيانات الأسلحة البيولوجية اليابانية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وما يتعلق بأمنها القومي، اعلى بكثير من قيمة مقاضاة جرائم الحرب، وعليه تم تطبيق هذا المبدأ على إيشي ورفاقه، فكان على ماك آرثر التحرك بسرعة لأن المحكمة العسكرية الدولية للشرق الأقصى كانت على وشك بدء محاكمتها التاريخية لمجرمي الحرب اليابانيين المشتبه بهم، فوقّع مرسومًا سريًا يمنح العفو لإيشي وجميع من عملوا معه في (الوحدة ٧٣١)، وعلّل ماك آرثر ذلك بقوله: "**ربما يُمكن الحصول على تصريحات من إيشي بإبلاغ اليابانيين المعنيين بأن المعلومات ستُحفظ في قنوات الاستخبارات، ولن تُستخدم كأدلة على جرائم حرب**"(٢٥). وهكذا أفلت الرجل المسؤول عن تشريح آلاف السجناء الأحياء خلال الحرب، إلى جانب من عملوا معه، من العقاب. لكن على عكس نظرائهم الألمان، لم يُنقلوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية. بل وُضع العلماء اليابانيون في مختبرات ومراكز احتجاز في شرق آسيا. وهناك، ساعدوا

الأمريكيين على تصميم وتنفيذ تجارب على البشر، وهي تجارب لا يُمكن إجراؤها قانونيًا في الولايات المتحدة. وخلصت دراسة أكاديمية إلى أن اعتبار ذلك مجرد عنصرية لا يُفسر بشكل كافٍ سبب عدم نقل إيشي وزملائه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، لأنها لم تكن مستعدة سياسياً أو هيّكلياً لوصول العلماء اليابانيين، فقد كانت هناك الكثير من الحواجز التقنية والثقافية التي كان من الصعب تجاوزها، وبمجرد أن حصل إيشي على الحصانة من مقاضاة جرائم الحرب، بدأ يُقلب صناديق الوثائق التي كانت مليئة ببيانات قيّمة وفريدة حول مدى تأثير السموم المختلفة على جسم الإنسان وكيفية انتشارها، ومستويات الجرعات الأكثر فعالية في القتل. ثم أرشد إيشي الأمريكيين إلى المعابد والملاجئ الجبلية التي أخفى هو ورجاله خمسة عشر ألف شريحة مجهرية مع اقتراب الحرب من نهايتها، وقد احتوت كل شريحة على عيّنة من أنسجة الكلية أو الكبد أو الطحال أو عضو آخر تعرض لصدمة قاتلة. وقد أُرسلت الشرائح إلى معسكر ديتريك، وقد أفاد العلماء الأمريكيون بأنها أكملت وعززت بشكل كبير، الأبحاث الأمريكية في مجال الحرب البيولوجية، وتراكمت معلومات تتعلق بقابلية الإنسان للإصابة، إذ لم يكن من الممكن الحصول على هذه المعلومات في مختبرات معسكر ديتريك، بسبب الشكوك المرتبطة بالتجارب البشرية [٢٦].

لقد حصلت مكاتب المخابرات في الجيش الأمريكي على معلومات مهمة بشأن أنشطة كورت بلوم وشيرو إيشي، لذا سخرت كل طاقتها للإفادة من الخبرات التي تمتعا بها، ونقلها إلى العلماء والمختصين الأمريكيين، ولاسيما بعد أن توصلت إلى معلومات تفيد، بأن كورت بلوم وشيرو إيشي على دراية بعمل بعضهما البعض في أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية، وقد أعجبا به وشجعا بعضهما البعض، فقد كانت تصاميم مراكز التعذيب الطبية التي أنشأها متشابهة بشكل ملحوظ، وعندما ضغط علماء من معسكر ديتريك لمنع محاكمة إيشي، توجب عليهم إيجاد طريقة لإنقاذ الطبيب الألماني كورت بلوم، لكن إنقاذه كان أكثر صعوبة، فقد شغل مناصب بارزة في النظام النازي، كما أن جرائم النازية كانت معروفة جيدًا، ففي الوقت الذي كان من الممكن إخفاء (الوحدة ٧٣١) أو التغاضي عنها لأنها عملت في منشوريا النائية، كانت معسكرات النازية في قلب أوربا، كذلك إن نظام معالجة قضايا

مجرمي الحرب المشتبه بهم في ألمانيا كان أكثر تنظيمًا، ومن الصعب التلاعب بها مقارنة بالوضع في اليابان، لذا ركز علماء معسكر ديتريك على تأمين تبرئته، إذ قدم بلوم دفاعًا قويًا، فقد خاطب المحكمة بلغة إنجليزية فصيحة، وركّز على نقطتين. أولًا: أصرّ على أنه على الرغم من وجود أدلة ظرفية كثيرة ضده – بما في ذلك رسالة من قائد قوات الأمن الخاصة هاينرش هملر (Heinrich Himmler) يأمره فيها بتوفير السم لـ"معاملة خاصة" للسجناء – ولم يتم العثور على شهود يشهدون بأنه كان قد نفّذ بالفعل الفظائع التي كتب عنها، أو ناقشها، أو أُمر بتوجيهها. ثانيًا: استشهد بمقالٍ نشرته مجلة لايف يصف دراسة أجراها الجيش الأمريكي، أُصيب على إثرها سجناء في سجن يقع بولاية إلينوي بالملاريا، وجادل بأن هذه التجارب، وغيرها من التجارب التي أجراها أطباء أمريكيون في السجون، لا تقلّ انحرافًا عن الأخلاق عن تجاربه، ولم تكن شهادة بلوم وحدها ما دعم قضيته. فقد أُبلغ ضباط الجيش الأمريكي المشاركون في "محاكمة الأطباء" برغبة العلماء في معسكر ديتريك في حمايته سرًا، حتى صدرت الأحكام في ٢٧ آب ١٩٤٧. وحُكم على سبعة من المتهمين بالإعدام شنقًا، وحُكم على تسعة آخرين بالسجن، أما بلوم فكان ضمن مجموعة ضمت سبعة متهمين آخرين تم تبرئتهم، وقد أشار القضاة إنهم يشتبهون في أن بلوم أشرف على تجارب على البشر، لكنهم لم يجدوا دليلًا قاطعًا على ذلك(٢٧).

وبعد مضي اثنين وأربعين يومًا على تبرئة بلوم، تلقى قائد الفيلق الكيميائي (Chemical Corps) في الجيش الأمريكي رسالةً من فيلق مكافحة التجسس في ألمانيا تفيد بأن: "**الدكتور كورت بلوم متاحٌ الآن للاستجواب بشأن مسائل الحرب البيولوجية**"، وعلى الفور تم ارسال فريقٍ من علماء معسكر ديتريك إلى بلوم، وقد تردد في مناقشة تجاربه على البشر ثم اصبح أكثر تعاون، ففي إحدى الجلسات ذكر أنه حقق في عملية للمقاومة البولندية، قتلوا فيها أكثر من اثني عشر ضابطًا من قوات الأمن الخاصة (SS) برش جراثيم التيفوئيد، وبدا أن العملية نفذت باستعمال قلم حبر، مما أثار ذلك فضول المحققين الأمريكيين الذين استجوبه، وقد أشارت بعض المصادر أن بلوم أشار لهم في اثناء استجوابه بالقول: "**أحضروني إلى أمريكا، وسأُحدث ثورة في برنامجكم للحرب البيولوجية**"(٢٨).

وهكذا نجحت الإدارة الأمريكية في الاستحواذ، على عالمين وظفا قدراتهم العقلية في أبحاث لا تتحدد بالقيم الإنسانية وتتجاوز الحقوق التي من الواجب أن يتمتع بها الجنود الأسرى والمدنيين التي كفلتها القوانين والأعراف الدولية، بما يخدم مصالح الإدارة الأمريكية، ولاسيما في فرض هيمنتها الدولية في المستقبل.

٣. انضمام سدني غوتلب إلى (CIA) ودوره في تطوير عملياتها الخاصة.

اعتقد العديد من الأمريكيين الذين خدموا في الجيش ووكالات المخابرات في أثناء الحرب العالمية الثانية، ان الحرب لم تنتهِ، لاعتقادهم بأن كل ما تغير هو "العدو"، وأن الاتحاد السوفيتي، والصين بعد عام ١٩٤٩، قد أخذا الدور الذي أدته ألمانيا النازية واليابان، فيما بدأت بعض الدوائر السياسية والأمنية في الاعتقاد، تحذر من مخاطر التهديد السوفيتي، وفي هذا الصدد وضح التقرير السري الذي قدمه وليم دونوفان (William Donovan) [٢٩] مدير مكتب الخدمات الاستراتيجية، إلى الرئيس هاري ترومان (Harry Truman)، في مطلع آيار ١٩٤٥، حول نوعية الأساليب التي يكن استعمالها ضد الخطر السوفيتي[٣٠]، وعلى الرغم من وجود العديد من التحذيرات الصريحة التي رفعت الى الإدارة الأمريكية، إلا أن الرئيس ترومان قرر في حزيران عام ١٩٤٥، إلغاء مكتب الخدمات الاستراتيجية، لاعتقاده أن الولايات المتحدة الأمريكية ليست بحاجة إلى وكالة مخابرات سرية في زمن السلم. وبعد عامين غيّر رأيه ووقع قانون الأمن القومي (National Security Act) [٣١]، الذي أنشأت بموجبه (CIA) (Central Intelligence Agency) [٣٢]. وقد صيغ هذا القانون بشكل فضفاض؛ إذ خوّل (CIA) بالقيام "بمهام وواجبات تتعلق بالاستخبارات التي تؤثر على الأمن القومي"، واستخدام "**جميع الأساليب المناسبة**" في تحقيق هذا المسعى[٣٣].

انطلقت أولى عمليات (CIA) السرية في أوربا، حين بلغت الحرب الباردة (The Cold War [٣٤] ذروتها، ففي عام ١٩٤٧، استأجر ضباطها عصابات كورسيكا لفض إضراب قاده الشيوعيون في ميناء مرسيليا. وفي العام التالي، شنت حملة ناجحة لمنع الشيوعيين من الفوز في الانتخابات الوطنية في إيطاليا. وأرسلت جواسيس ومخربين وفرق

كوماندوز إلى الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية. حتى جاءت الصدمة المفاجئة لـ (CIA) من بودابست، والتي أثارت مخاوف لدى ضباطها – وعلماء معسكر ديتريك – ودفعتهم إلى اتخاذ مسار جديد في عملياتهم وضرورة تطوير اليات تنفيذها، ففي الثالث من شباط ١٩٤٩، مَثَلَ الكاردينال جوزيف ميندسينتي (Joseph Mindszenty)، الأسقف الكاثوليكي الروماني في المجر، أمام محاكمة صورية، واعترف بتهمٍ مُبالغٍ فيها، منها محاولة الإطاحة بالحكومة، وإدارة مخططاتٍ لتداول العملات في السوق السوداء، والسعي إلى سرقة التاج الملكي كجزءٍ من مؤامرةٍ لإعادة تأسيس الإمبراطورية النمساوية– المجرية. كما اعترف ميندسينتي الذي عُد معارضًا لنظام بودابست الموالي للسوفيت، بجرائم لا يمكن أن يكون قد ارتكبها، فقد بدأت تصرفاته غريبة فعلاً في أثناء المرافعات، إذْ راح يتكلم ويتحرك بشكل غريب وبطريقة توحي أن أفعاله تمت عبر السيطرة عليها، الأمر الذي دفع محلّلي (CIA) إلى التساؤل عن احتمالية إخضاعه لنوع جديد من التحكم النفسي، أو إعطائه أدوية معيّنة، لا يعرفها الأطباء والمختصون النفسيون في (CIA) ولا وعلماء معسكر ديتريك، وهذا ما اعتقده مسؤولوها، لذا بدأوا بمتابعة سلسلة من المحاكمات الأخرى التي جرت في الاتحاد السوفيتي، ولاسيما بعد أن حُكم علي ميندسينتي بالسجن المؤبد[٣٥].

فيما كان ردّ فعل كبار الضباط في (CIA) مختلفًا، فقد ركزوا على سلوك ميندسينتي أثناء محاكمته، التي بدا فيها مرتبكًا وتحدث بنبرةٍ رتيبةٍ، إذ اعتقدوا أنه اعترف بجرائمٍ من الواضح أنه لم يرتكبها، ومن الواضح أنه أُكره ، فأثير التساؤل داخل اروقة (CIA)، هل من الممكن يحدث ذلك؟ فبدت الإجابة واضحةً بشكلٍ خطير، بأن السوفييت قد طوّروا عقاقير أو تقنياتٍ للتحكم في العقول تُمكّن الناس من قول أشياء لا يُصدّقونها، وعلى الرغم من عدم وجود أي دليلٍ على ذلك، ورجحت العديد من المصادر، إلى أن ميندسينتي قد تعرض لأساليب تقليدية مثل سوء المعاملة، والعزل المُطوّل، والضرب، والاستجواب المُتكرر، بيد أن الخوف من أن يكون الشيوعيون قد اكتشفوا أداةً نفسيةً جديدةً فعّالة، هو ما جعل هذه الحادثة تشكل صدمةً في (CIA)[٣٦].

وفي نيسان عام ١٩٤٩، تم تشكيل فريق سري ضم مجموعة من العلماء في معسكر ديتريك عرف باسم قسم العمليات الخاصة (Special Operations Section)، لإجراء أبحاثًا حول طرق استخدام المواد الكيميائية كأسلحة سرية، وقد وصفه أحد أوائل العلماء الذين انضموا إلى القسم الجديد بأنه "**ديتريك صغير داخل ديتريك... لم يكن معظم الناس على دراية بما يجري في العمليات الخاصة**"، وذلك لان الاستخدام القسري للمخدرات كان مجالًا جديدًا، إذ توجب على علماء العمليات الخاصة تحديد كيفية بدء أبحاثهم، لذا واجه ضباط (CIA) في أوربا تحديًا موازيًا، فقد اعتقل عملاء سوفييت مشتبه بهم، والبحث عن أساليب استجواب يمكن عن طريقها كشف أسرار تتعلق بالقدرة على السيطرة على العقول(٣٧).

من جانب آخر، وصلت معلومات إلى واشنطن في نهاية عام ١٩٤٩، كانت على قدر بالغ من الأهمية، عندما أبلغ ضابط في الفيلق الكيميائي؛ المدير الفني للمختبرات الكيميائية والإشعاعية في الجيش الامريكي ولسن غرين (Wilson Greene)، أن عددً من الكيميائيين في شركة ساندوز السويسرية المتخصصة بالعقاقير، اكتشفوا عقارًا جديدًا له القدرة على التسبب في الهلوسات الشديدة، الأمر الذي دفع غرين إلى جمع كل المعلومات التي استطاع الحصول عليها بشأن هذا الموضوع، ثم أعد تقريرًا مطولًا حمل عنوان "الحرب النفسية الكيميائية: مفهوم جديد للحرب". وقد ختم غرين تقريره بتوصية دعا فيها بأن تبدأ الإدارة الأمريكية بإجراء اختبارات منهجية على عقار (ال أس دي) (LSD) (Lysergic acid diethylamide)، وستين مركبًا آخر لها القدرة على التأثير في العقل، والتي قد تُستخدم كأسلحة ضد ما وصفهم بـ (الشعوب المعادية)، وأضاف غرين قائلًا: "**ستضعف إرادتهم على المقاومة بشكل كبير، إن لم تُدمر بالكامل، بفعل الهستيريا والذعر الجماعيين اللذين سينتجان عن ذلك...تشمل الأعراض التي تُعتبر ذات قيمة في العمليات الاستراتيجية والتكتيكية ما يلي: النوبات والدوار، والخوف، والذعر، والهستيريا، والهلوسة، والصداع النصفي، والهذيان، والاكتئاب الشديد، وأفكار اليأس، وانعدام المبادرة للقيام حتى بالأشياء البسيطة، والهوس بالانتحار**"(٣٨). وقد أثار التقرير حماسة المسؤولين الأمريكيين

القلائل المسموح لهم بقراءته. وكان من بينهم مدير (CIA)، الأدميرال روسكو هيلينكوتر (Roscoe Hillenkoetter) [٣٩] الذي تأثر بما كشفه، فطلب من الرئيس ترومان الموافقة على أبحاث الأدوية التي اقترحها غرين، وإسناد المهمة إلى (CIA). وقد وافق ترومان على ذلك، فكلّف هيلينكوتر عددًا من ضباط (CIA) بالعمل مع الكيميائيين في قسم العمليات الخاصة في معسكر ديتريك. وبموجب هذا "الاتفاق غير الرسمي"، الذي تبلور في أثناء عام ١٩٥٠، أصبح اثنان من أكثر الفرق سرية في الولايات المتحدة الأمريكية في أثناء الحرب الباردة تعملان بشكل مشترك، ففي الوقت الذي كان بإمكان العلماء العسكريين في ديتريك تصميم وتحضير جميع أنواع تركيبات الأدوية، ولكن لم تكن لديهم سلطة استخدامها في العمليات، أما (CIA)، كانت على النقيض من ذلك، إذ تعد وكالة عمليات وكان ضباط هيئة الخدمات التقنية التابعة لها، يبحثون عن أدوية يمكن استخدامها لتخفيف حدة التوتر، وإضعاف المقاومة البشرية، وجعل العقل خارج نطاق السيطرة، وبموجب "الاتفاق غير الرسمي"، بدأ العلماء الذين صنعوا عقاقير نفسية بالعمل مع محققي (CIA) الذين استخدموها على السجناء، وقد شمل هذا البرنامج المشترك، والذي سُمي لاحقًا بإسم رمزي سري (MK-NAOMI)، ورمزه المختصر (MK)؛ المشاريع التي أدارها موظفو الخدمات التقنية (Technical Services Staff)، الذين طوّروا ترسانة كاملة من المواد السامة ليتسى لعملاء (CIA) إستعملها، ولاسيما عقار البوتولينوم (Botulinum) السام والمستخدم في عمليات الاغتيال، والذي تتراوح مدة حضانة الجسم له بين (٨-١٢ ساعة) [٤٠].

ازداد اهتمام ضباط (CIA) بالطرق التي يُمكن بواسطتها استعمال العوامل الكيميائية والبيولوجية للسيطرة على عقول الأفراد. ففي نيسان عام ١٩٥٠، اتخذ مدير الوكالة، روسكو هيلينكوتر، الخطوة التالية في هذا البحث، وذلك عندما أصدر مرسومًا بإنشاء برنامج جديد من شأنه أن يرتقي بسعي (CIA) لتطوير تقنيات التحكم في العقول إلى مستوى جديد، وقد أُطلق على البرنامج الاسم الرمزي "بلوبيرد" (Bluebird)، وترجح المصادر أنه اسم مستعارًا طرح أحد الضباط الحاضرين في اجتماعات الوكالة، وذلك حين وصف هدفه بإيجاد طرق لجعل السجناء "يُغرّدون كالطيور". وقد نصّت إحدى بنود برنامج

"بلوبيرد" على أن تكون التجارب "واسعة النطاق وشاملة، إذ شملت أنشطة محلية ودولية". فيما أكد بند آخر بأن أفضل المواضيع سيكون السجناء، ولاسيما "المنشقون واللاجئون وأسرى الحرب وغيرهم". وتهدف التجارب، وفقًا لمذكرة ثالثة، إلى "التحقيق في إمكانية السيطرة على شخص ما عن طريق تطبيق تقنيات الاستجواب الخاصة"، وتقتضي الإشارة هنا إلى أن هذا المشروع، عد أول مشروع بحثي للسيطرة على العقل، والذي أُوكل إلى مكتب أمن التابع لـ (CIA)، وقد شكلت الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣) سببًا آخر لتسريع العمل به، ولاسيَّما بعد أن وجدت (CIA) أن (١٥%) من سجناء الحرب الأمريكيين، قد تعاونوا مع المحققين الصينيين في أثناء استجوابهم، فيما وقع (٧٠%) منهم على اعترافات يقرون فيها بانه ارتكبوا جرائم حرب ويدينون سياسات الإدارة الأمريكية، ولعل ما أثار الشك فعلًا لدى ضباط (CIA)، أن عددًا كبيرًا منهم رفض التراجع عن هذه الاعترافات، بعد عودتهم إلى بلادهم، ومن هنا بدا الحديث بشكل علني عن عمليات "**غسيل الأدمغة**" (Brainwashing)، وهي عبارة ظهرت للمرة الأولى في آواخر عام ١٩٥٠، والتي ابتكرها صحفي أمريكي عمل لصالح (CIA)[٤١].

طرأ بعد ذلك تغيير مهم في تاريخ (CIA)، وذلك عندما تولى اللواء والتر بيدل سميث (Walter Bedell Smith) ادارتها في تشرين الأول ١٩٥٠، والذي كانت من أولى قراراته تعيين أحد الشخصيات المهمة في مكتب الخدمات الاستراتيجية، وهو ألن دلاس (Allen Dulles) [٤٢]. الذي أُنيطت له مهمة الإشراف على العمليات السرية في (CIA)، وقد ركّز فور انضمامه للوكالة على برنامج "بلوبيرد"، إذ لم يمضِ على توليه منصبه سوى بضعة أسابيع عندما أرسل مذكرةً إلى اثنين من كبار الضباط الذين كلّفهم بالمساعدة في إدارة قسم العمليات الخاصة، وهما فرانك ويزنر (Frank Wisne) وريتشارد هيلمز (Richard Helms)، مؤرخة في ٩ شباط ١٩٥١، اشار فيها: "**شرحتُ لكم إمكانيات تعزيز أساليب الاستجواب المُعتادة باستخدام المخدرات، والتنويم المغناطيسي، والصدمات الكهربائية، وما إلى ذلك، وشددتُ على الجوانب الدفاعية، فضلًا عن الفرص الهجومية في هذا المجال من العلوم الطبية التطبيقية. وقد أعدّ قسمي الطبي الملف المرفق، بعنوان**

"أساليب الاستجواب"، لتزويدكم بخلفية مناسبة." وأضاف قائلًا: "**أن هذا "التوسع" لا يمكن أن يتم إلا في الخارج لأن العديد من جوانبه "ليس مسموحًا بها من قبل حكومة الولايات المتحدة (مثل الجمرة الخبيثة وما إلى ذلك)**"، كما تضمنت مذكرات أخرى صدرت عن (CIA) في تلك المدة، والخاصة ببرنامج (بلوبيرد)، بوجوب أن يضم البرنامج أشخاصًا مؤهلين في الطب، والاستجواب النفسي، واستخدام جهاز تخطيط كهربائية الدماغ، والصدمات الكهربائية، وجهاز كشف الكذب"، والبحث في طرق "إجبار شخص ما على ارتكاب أفعال مفيدة تحت تأثير الإيحاء بعد التنويم المغناطيسي [٤٣].

لقد كان ثلاثة من أوائل ضباط (CIA) الذين كُلِّفوا بالإشراف على بلوبيرد جزءًا من النواة الداخلية للوكالة وهم: جيمس أنغلتون (James Angleton)، وفرانك ويزنر، وريتشارد هيلمز، الذين عرف عنهم بالنشاط وامتلاكهم الكثير من الأفكار والرؤى لتطوير برنامج "بلوبيرد"، إلا أنهم أدركوا أنهم يفتقرون إلى الخلفية العلمية اللازمة للإجابة على الأسئلة المُتعددة الجوانب التي كانوا يطرحونها، لذا اتفق ألن دلاس وكبار ضباطه على أن برنامج "بلوبيرد" بحاجة إلى "النهوض"، مع تيقنهم أنهم بحاجة إلى ضخّ الخبرة والرؤية من خارج (CIA)، لذا شرع دلاس وهيلمز في تجنيد كيميائي لديه دافع للسعي وراء المعرفة المحظورة، وشخصية قوية بما يكفي لإدارة تجارب قد تتحدى او تتجاوز ضمير العلماء الآخرين، واستعدادًا لتجاهل التفاصيل القانونية خدمةً للأمن القومي، فجاء في هذا السياق، تعيين ألن دلاس للدكتور سدني غوتلب في الثالث عشر من تموز ١٩٥١، رئيسًا لوحدة الأبحاث العلمية في مكتب الخدمات التقنية (OTS) (Office of Technical Service) [٤٤]التابع لـ (CIA)[٤٥].

من جانب آخر، عُدَّ السجن الموجود في قناة بنما، أحد أبرز السجون الأمريكية التي مورست فيها عمليات تحقيق وممارسات خاصة على المحتجزين، فقد أجرى (CIA) في هذا السجن، تجارب على الاستجواب العنيف، مستخدمين التقنيات التي تقارب حد التعذيب والسيطرة على الذهن بواسطة العقاقير. ومع تصاعد وتيرة الحرب الكورية، استولى على ضباط (CIA) إحساس كبير بضرورة القيام بمعالجة سريعة لمشكلة التقارير المخابراتية التي

احتوت على معلومات مضللة، فتبنّت (CIA)، مشروع (الخرشوف) (Artichoke) رسميًا في العشرين من آب ١٩٥١، ووضعته تحت إدارة مكتب الخدمات التقنية، إذْ كان الهدف الأساس للمشروع، تحديد ما إذْا كان يمكن إجبار شخص قسريًا على القيام بعملية اغتيال، كما درس المشروع أيضًا التنويم المغناطيسي، والإدمان القسري للمورفين، واستخدام المواد الكيميائية الأخرى، ولاسيَّما عقار "**ل أس دي**"، واختبار إن كان بمقدوره محو ذاكرة الإنسان بالكامل(٤٦).

وبالتزامن مع إطلاق مشروع "الخروشوف" كانت أول مهمةٍ لسدني غوتلب في (CIA) هي حضور دورةٍ لمدة ثلاثة أشهر في فنون الاستخبارات، مع ما وصفه لاحقًا بأنه "بعض الخلفيات التاريخية للاستخبارات"، وشرع في تثقيف نفسه بشكل اوسع بعد إكماله للدورة. وقد سعى إلى تطوير معرفته بأبحاث (CIA) في التقنيات الكيميائية للتحكم في العقول، والتي وجدها واعدة، الامر الذي أثار أعجاب ألن دلاس وهيلمز، اللذان وجدا في سدني غوتلب الحماس الشديد والخيال الذي عداه أمرًا ضروريًا لتحقيق كل قدرات برنامج "بلوبيرد". وقد تصرف ألن دلاس من موقع قوة متنامية، ولاسيما بعد أن رُقّي إلى المنصب الثاني في (CIA)، وهو نائب مدير المخابرات المركزية بعد ثلاثة أيام فقط من إطلاق مشروع "الخرشوف"، الأمر الذي زاد في دعم سدني غوتلب وكفل حماية ودعم تجاربه في التحكم في العقول لدى أعلى المستويات في الإدارة الأمريكية (٤٧).

اضطلع سدني غوتلب في العديد من العمليات التقنية التي ساهمت في تطوير الوسائل التي يستخدمها عملاء (CIA) في عملياتهم، إذْ لم تنحصر الأبحاث العلّمية التي أجراها مكتب الخدمات التقنية، في القضايا المتعلقة بإنتاج العقاقير المستخدمة على الأشخاص أثناء التحقيقات فقط، بل بدأ فرع الكيمياء في مكتب الخدمات التقنية باستنباط المعادلات واختبارها، لإنتاج حبر خاص بالرسائل السرّية على شكل مادة صلبة، يوضع في حبوب صغيرة، ليتنسى لعملاء (CIA) إخفاؤها واستعمالها بسهولة. فضلا عن ذلك، فقد ساهم مكتب الخدمات التقنية تحت إدارة سدني غوتلب في نشاطات تقنية أخرى، ساعدت بشكل كبير في تطوير عمليات التجسس التي نفذتها (CIA)، كتزوير وثائق السفر وهويات

العملاء الذين يعملون تحت أسماء مستعارة، كما أحرز مكتب الخدمات التقنية تقدما ملحوظًا في مجال تطوير الأجهزة والمعدات الإلكترونية الخاصة بالتجسس، ولاسيَّما الميكروفونات والكاميرات السرّية الصغيرة، والتي يمكن لعملاء (CIA) إخفاؤها في الأثاث والحقائب اليدوية والملابس [٤٨]. وقد ازداد استخدام (CIA) لتلك الأساليب، بعد أن قامت باستحداثه مديرية المخابرات في كانون الثاني ١٩٥٢، والتي ضمت مجموعة من المكاتب، ومنها مكتب المخابرات العلمية (OSI) (Office of Scientific Intelligence)، الذي ضمَّ عددًا من العلماء الأمريكيين المختصين في العلوم الأساسية مثل الفيزياء والكيمياء والأحياء والطب والفلك، وقد تحفّظ بعضهم حيال التعامل والتعاون مع (CIA) في البداية، لكنهم سرعان ما بدأوا بتقديم مساهمات للأخيرة، وذلك بعد الهجمات الإعلامية التي شنتها موسكو على العلماء الغربيين، الذين وصفتهم بخدام الرأسمالية[٤٩].

وسّعَ سدني غوتلب معرفته بتجارب التحكم بالعقول والاستجوابات العنيفة، بعد أن قرأ أعدادًا كبيرة من التقارير الخاصة بهذا الموضع في الأشهر الأولى من انضمامه لـ (CIA)، إذ أوضحت تلك التقارير بشكل تفصيلي مختلف الوسائل التي جُرِّبت كوسائل محتملة لاختراق النفس البشرية، بما في ذلك التنويم المغناطيسي، والحرمان الحسي والصدمات الكهربائية، ومزيج متغير من المنشطات والمهدئات، وأنواع مُحسّنة من الماريجوانا، والميسكالين، والكوكايين، والهيروين، ولاسيما بعد تلقّت (CIA)، تقارير في تلك المدة، تتعلق بالنجاحات السوفيتية في مجال التحكم بالعقل، فضلاً عن القدرات المكتشفة حديثًا في بشأن موضوع غسيل الأدمغة والتجنيد وتشغيل العملاء بواسطة استخدام العقاقير، لذا توجب على غوتلب والمختصين الذين عملوا معه، توسيع ابحاثهم العلمية في عام ١٩٥٣، بهدف مواجهه التقدم السوفيتي في هذا المجال، إذْ أصبح اكتشاف سر التقنيات الجديدة التي توصل إليها العلماء السوفيت، أولوية قصوى لدى (CIA)، فقد وضعت هدفًا مزدوجًا، تمثل بإيجاد مضاد للأمصال التي يستخدمها السوفيت لانتزاع المعلومات من العملاء الأمريكيين، وأمصال تستخدم مع السجناء الشيوعيين، للإدلاء بكل ما يعرفونه أثناء خضوعهم للاستجواب، وعلى الرغم من أن البحوث التي أجرتها الأقسام العملية في مكتب المخابرات العلمية على

موضوعات مشابهه في السنوات الأولى من الخمسينيات، إلا أن المعرفة الكامنة، وراء النجاحات السوفيتية المذكورة، بقيت لغزا من الألغاز، فقد احتاجت (CIA) إلى فهم (الأساس العلّمي) للتحكم بالعقل، وإجراء تجارب علمية لإثبات ذلك، فقد بدا لـ (CIA)، إن أجهزة التجسس السوفيتية، تمتلك القدرة على تغيير القدرات العقلية للشخص المستهدف والتحكم بإرادته الحرة، وذلك عن طريق استخدام مزيج من التقنيات النفسية والمركبات الكيميائية المطورة حديثًا(٥٠).

توصل سدني غوتلب الى قناعة مفادها؛ بأن عقار (أل أس دي) له قوى وإمكانات لم تُفهم بعد، يمكن لها احداث تأثير على الدماغ بطرق قوية للغاية. ولأنه عديم اللون والطعم والرائحة، بدا مناسبًا تمامًا للاستخدام السري، ووفقًا لما ذكره أحد أطباء النفس الذين عملوا في (CIA): "**الأمر الأكثر إثارة للاهتمام فيه هو أن هذه الكميات الضئيلة كان لها تأثير هائل**". وقد بدأ سدني غوتلب بتطوير تجاربه على عقار (أل أس دي)، ولاسيما بعد أن طلب من ألن دلاس التفاوض على اتفاق رسمي يسمح له بتعميق التعاون الرسمي مع الفيلق الكيميائي التابع للجيش و(CIA)، وربط الوحدات الصغيرة فائقة السرية داخل كل مكتب لتطوير عمل مشروع "الخرشوف"، و"بموجب هذا الاتفاق الذي تم التوصل إليه مع الجيش عام ١٩٥٢، اكتسبت (CIA) المعرفة والمهارات وتسهيلات الجيش لتطوير أسلحة بيولوجية مناسبة لاستخدام (CIA)، كما منح هذا الاتفاق السري غوتلب زخمًا جديدًا، فقد لاحظ بالفعل آثار مختلف الأدوية على الأشخاص الذين تم اجراء التجارب عليهم. ومن هناك، شرع في إعطاء الأدوية بجرعات أكبر بكثير، وفي ظل ظروف أشد تعذيبًا للسجناء وغيرهم من الأشخاص الذين تم تطبيق التجارب عليهم في المانيا(٥١)، وهكذا نقلت المعلومات والتجارب السريرية التي كانت بحوزة الفيلق الكيميائي، والتي حصل عليها من كورت بلوم وشيرو إيشي إلى (CIA)، وبالتالي إلى سدني غوتلب.

وبعد أن تولى ألن دلاس إدارة (CIA) في السادس والعشرين من شباط ١٩٥٣، ازداد طموح سدني غوتلب الوظيفي؛ لتيقنه أن ألن دالاس سيدعم أي مشروع يقترحه، ولاسيما توسيع تجارب عقار (أل أس دي)، لذا ابتكر فكرة مشروع جديد من شأنه أن يشمل مشروع

"الخرشوف" ويمنحه سلطة على جميع أبحاث (CIA) في مجال التحكم في العقول، وإعطاء الحرية في إجراء التجارب على "القابلين للاستهلاك" في سجون سرية في خارج وداخل الولايات المتحدة الأمريكية، ومواصلة الاختبار والدراسة والتحقيق في كل مادة أو طريقة يمكن استخدامها كأداة للسيطرة على العقول(٥٢).

تلقى ألن دلاس طلب سدني غوتلب عن طريق هيلمز في الرابع من نيسان ١٩٥٣، للحصول على موافقته لتنفيذ مشروع يهدف إلى تطوير استخدام المواد البيولوجية والكيميائية، وتوظيفها للسيطرة على عقلية الشخص المستهدف واستنطاقه، وتضمن الطلب توصية بوجوب ألا يقوم المشروع وفق علاقات تعاقدية رسمية، مع المختصين بالأبحاث التي يستند عليها المشروع، وذلك لأن العقود الموقعة ستكشف ارتباطهم بـ (CIA). وبعد أن أطلع ألن دلاس على أبعاد المشروع، وافق عليه في الثالث عشر من الشهر نفسه، وتم تخصيص ميزانية له، تقدر بـ (٣٠٠) ألف دولار، وأوكل إلى سدني غوتلب الإشراف عليه، كما أخذ بتوصية هيلمز، التي أشار فيها بالقول: "**يجب اتخاذ الاحتياطات، ليس لحماية المشروع من الخصم فقط، ولكن إخفاء هذه الأنشطة عن الرأي العام الأمريكي أيضًا... فمعرفة أن الوكالة تشارك في الأنشطة غير الأخلاقية وغير المشروعة سيكون لها تداعيات خطيرة في الدوائر السياسية والدبلوماسية**"(٥٣)، وقد مثّل هذا البرنامج احد اكثر البرامج المخابراتية الأمريكية سرية وحساسية من بين برامج الحرب الباردة، والذي اعطي الاسم الرمزي (ام كي الترا) (MK-ULTRA)، وقد سمح ألن دلاس لمكتب الخدمات التقنية وللموظفين العاملين في قسم الكيمياء بالعمل على مشروعات عدة، تهدف إلى إجراء البحوث على المواد الكيميائية والبيولوجية والإشعاعية والعمل على تطويرها، ليتسنى لـ (CIA) استخدامها في العمليات السرية القائمة على التحكم بالسلوك(٥٤).

أُعطيت سرّية أبحاث مشروع (MK-ULTRA) أهمية قصوى بناءً على توصية من سدني غوتلب، ولاسيَّما بعد أن لقي الطبيب الأمريكي المختص بعلم الجراثيم فرانك اولسن (Frank Olsen) مصرعه، فقد اختلفت الروايات بشأن الحادثة، إذْ ادعت (CIA) انه توفي في أثناء العمل، فيما رجحت مصادر أُخرى، بأنه توفي جراء إعطاءه جرعة من عقار(ال

سي دي) من دون علمه، سببت له حالة من الدوار وفقدان التركيز، مما جعلته يلقي بنفسه من نافذة احدى فنادق نيويورك في الثامن والعشرين من تشرين الثاني ١٩٥٣، الأمر الذي أثار ردود أفعال مختلفة، وطرحَ تفسيرات عدة بشأن حادثة وفاته. وقد صعّدت (CIA) على خلفية تلك الحادثة، من إجراءاتها السرية المتعلقة بطبيعة عمل مشروع (MK-ULTRA)، إذْ بدأ العاملون فيه، باستخدام أرقام معينة للإشارة إلى إجراء معين يتم تنفيذه، إلا أن الكثير من معلومات البرنامج بقيت منقوصة، وذلك لان هيلمز، أمر ضباطه بعد أن تولى إدارة (CIA) (١٩٦٧-١٩٧٣)، بإتلاف الكثير الوثائق المتعلقة بهذا المشروع، خشية أن تكشف للرأي العام الأمريكي(٥٥)، وقدر تعلق الأمر بمشروع (MK-ULTRA)، فقد بيّنَ المؤرخ الأمريكي، تيم وينر (Tim Weiner) بأن الجهد الذي بذلته (CIA) لاختراق الستار الحديدي، دفعها إلى تبنّي تكتيكات أعدائها(٥٦).

التقى سدني غوتلب بالعديد من ضباطها المنتشرين في محطات أجنبية في أثناء سنوات عمله في (CIA)، وفي أوائل عام ١٩٥٧، قرر أن يصبح واحدًا منهم، إذ ترك منصبه كرئيس لقسم الكيمياء في مكتب الخدمات الفنية، الذي أداره منذ إنشائه، وبدأ تدريبًا لعدة أشهر للعمل بصفة ضابط ميداني، وبعد إكماله دورته، انتقل إلى ميونيخ، برفقة زوجته وأطفاله الأربعة، وكان سبب اختياره الذهاب الى ألمانيا، لتمكنه بالتحدث باللغة الألمانية، ومعرفته الجيدة بألمانيا عن طريق زياراته المتكررة والمرتبطة باستجوابات (MK-ULTRA)، كما أن لديه أصدقاء عدة يعملون في شبكة (CIA) هناك(٥٧).

وفي سياق مشروع (MK-ULTRA)، أرسل سدني غوتلب عملاء من (CIA) للبحث عن السموم الطبيعية في جميع أنحاء العالم، إذ درسوا تقارير عن نباتات وحيوانات سامة، وحددوا أماكن وجودها، واستشاروا السكان الأصليين للمناطق التي سافروا إليها، وعادوا بعينات واعدة ومهمة لعمليات الوكالة، وقد ارسل سدني غوتلب، العينات إلى شركاءه في العمل بمعسكر ديتريك، وقد أعطيت بعد اجراء أبحاث عديدة عليها، بشكل سري للطيارين الأمريكيين الذي شاركوا بعمليات التجسس السرية، وفق مشروع (U-2) للتجسس، ولاسيما الطيار فرانسيس غاري باورز، الذي شارك في واحدة من أكثر مهام (CIA) سرية،

وتمكن من القفز بالمظلة وفتحها بعد ان سقطت طائرة التجسس التي كان يقودها فوق الاتحاد السوفيتي في أيار ١٩٦٠، وقد وضع باوزر قلادة حول عنقه على شكل دولار فضي كان معلقًا حول عنقه كتميمة حظ أُعطي له قبل الإقلاع، وقد خبئ بداخلها دبوس مطلي بالسم يمكن استعماله اذا اقتضت الضرورة(٥٨).

فيما شاركت (CIA) في عمليات اغتيال عديدة في مناطق مختلفة من العالم، ضمت منفيين وزعماء وطنيين وقيادات سياسية بارزة، ففي ١٩٦٠، وفي إطار "المشروع الكوبي"، وهي الخطة التي وضعتها لـ (CIA) الإدارة الأمريكية، وبإشراف مديرية التخطيط التابعة للوكالة، اقترح سدني غوتلب رش رذاذ مُضاف إليه عقار (ال سي دي) في استوديو الإذاعة الذي كان الزعيم الكوبي فيدل كاسترو(Fidel Castro) (١٩٢٦-٢٠١٦) يُلقي منه بثًا مباشرًا يصل إلى ملايين الكوبيين، ليصبح كاسترو مشوشًا وغير متماسك حتى يفقد توازنه عند إلقائه إحدى الخطب، وهو ما قد يفقده القبول والدعم الشعبي، وبعد نقاش تم رفض هذه الفكرة لعدم جدواها، ثم توصل فريق سدني غوتلب إلى خطة بدا انها أغرب، إذ أقنعوا أنفسهم بأن جزءًا من جاذبية كاسترو، ينبع من شعره – وتحديدًا من لحيته، فإذا سقطت اللحية وفق اعتقادهم، فقد تسقط قوة شخصية كاسترو أيضًا. لذا اختار سدني غوتلب. مُركبًا قائمًا على أملاح الثاليوم، التي يتم رشها على الأحذية التي كان يتركها كاسترو خارج غرفته في الفندق لتلميعها؛ وعند حدوث أي تماس بين يده ولحيته، ستبدأ فعالية المركب مما يجعله عرضة للسخرية وفقدانه الاحترام من جماهيره. وعلى الرغم من قدرة المجموعة التي قادها سدني غوتلب على المضي قدمًا، إلا أنهم واجهوا نقاط ضعف واضحة في هذه الفكرة، لصعوبة معرفة متى يسافر كاسترو، وحتى لو أقام في فندق يمكن لـ (CIA) اختراقه، فمن المرجح أن فريق حراسته لن يسمح لأطراف خارجية مجهولة بلمس أحذيته او أي أغراض شخصية عائدة اليه. لذا حوّل سدني غوتلب ومساعديه أفكارهم إلى الاغتيال. كانت فكرتهم الأولى تلطيخ علبة سيجار وتسليمها إلى ضباط العمليات الذين يمكنهم إيجاد طريقة لتسليمها إلى كاسترو، وقد أفاد المفتش العام لـ (CIA)، الذي حقق لاحقًا في هذه العملية، أن ضابطًا في الوكالة "لوّث علبةً كاملةً من خمسين سيجارًا بسم البوتولينوم، وهو سمٌّ خبيث يُسبب مرضًا

مميتًا بعد ساعاتٍ من تناوله، وقد كانت السيجار ملوثةً بشدةٍ لدرجة أن مجردَ وضعِ سيجارٍ واحدٍ في الفم كان كافيًا. وقدر تعلق الامر بالموضوع، وبناءً على اتفاقية الشراكة المعروفة باسم (MK-NAOMI)، بين علماء معسكر فورت ديتريك ومكتب الخدمات التقنية في (CIA)، تم وضع سلسلة من الطرق لاغتيال كاسترو، والتي شملت وفقًا لتحقيق أجراه مجلس الشيوخ بعد سنوات، "حبوبًا سامة، وأقلامًا سامة، ومساحيق بكتيرية قاتلة. ولم ينتهِ التآمر ضد كاسترو برحيل أيزنهاور عن منصبه في بداية عام ١٩٦١. فقد تبيّن أن خليفته، جون كنيدي، كان عازمًا بنفس القدر على "القضاء" على كاسترو. وقد زاد الانهيار المذهل لعملية (CIA) لكوبا عام ١٩٦١ في خليج الخنازير (Bay of Pigs Invasion) من عزمه على تحقيق ذلك[٥٩].

وفي السياق ذاته، تم تنظيم عملية نوعية تهدف إلى اغتيال الزعيم الوطني الكونغولي باتريس لومومبا (Patrice Lumumba)، فقد بقيت الإدارة الأمريكية تشعر بالقلق من وجوده، على الرغم من وضعه تحت الإقامة الجبرية بعد نجاح انقلاب رئيس أركان الجيش الكونغولي؛ جوزيف موبوتو (**Joseph-Désiré Mobutu**)، ففي التاسع عشر من أيلول ١٩٦٠[٦٠]، تلقى رئيس محطة الوكالة في العاصمة الكونغولية ليوبولدفيل؛ لورنس دفلن (Lawrence Devlin) رسالة مشفرة من مقر (CIA) تضمن وصول شخص من باريس يُدعى "جو" من باريس"، ومعه أوامر "حساسة للغاية" لا يمكن تسليمها إلا شفهيًا[٦١]، وبعد أسبوع على وصول الرسالة، وعند مغادرته السفارة الأمريكية التي كان يعمل فيها تحت غطاء دبلوماسي، اقترب منه رجل وقدم نفسه على أنه "جو من باريس"، وقد عرفَ دفلن هوية زائره، وهو سدني غوتلب، وهو ما يعني أن إدارة (CIA) سعت إلى التخلص من لومومبا عبر إستخدام السموم، فبعد وصول سدني غوتلب إلى الكونغو، ولقائه بدفلن، دخل الأول إلى صلب الموضوع بشكل مباشر، إذْ سلم دفلن قنينة من معجون الأسنان، احتوت على سم قاتل، لاستخدمها لقتل لومومبا، مشيرًا له أن مسؤولية تنفيذ العملية تقع على عاتقه، وأن التفاصيل متروكة له، وعليه التعامل مع العملية بأقصى درجات الحذر، لابعاد مسؤولياتها عن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، بيد أن عملاء دفلن الكونغوليين لم يتمكنوا من

الوصول إلى لومومبا، بسبب الحراسة المشد التي فرضت على مقر إقامته، وفي السابع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٦٠، تمكن من الهروب والتوجه نحو معقل أنصاره في اقليم ستانلفل الواقع في شمال البلاد، غير أن قوات موبوتو تمكنت من القاء القبض عليه في التاسع والعشرين من الشهر نفسه قبل وصوله إلى ستانلفل واعدامه في السابع عشر من كانون الثاني ١٩٦١(٦٢).

واصل سدني غوتلب إدارة مشروع (MK-ULTRA)، وبحلول أوائل سبعينيات القرن الماضي، ضمن مكانته بوصفه أحد قادة (CIA) المخضرمين، وبدا أن الشكوك التي لاحقته خلال فترة عمله في مشروع (MK-ULTRA) قد تبددت، ولكن مع تولي هيلمز منصب مدير (CIA)، أصبح الماضي سرًا آمنًا، إلا أن تصاعد أصداء فضيحة وتترغيت، جعلت هيلمز يأمر بإتلاف جميع سجلات (MK-ULTRA)، وقد أخذ سدني غوتلب الأمر على محمل الجد بما يكفي ليقود سيارته إلى مركز السجلات، ويقدم على تنفيذ الأمر شخصيًا، ويصر على تنفيذه فورًا، ففي الثلاثين من كانون الثاني ١٩٧٣، تم اتلاف سبعة صناديق من الوثائق المتعلقة بالمشروع، بالإضافة إلى خمسة وعشرين نسخة من كُتيّب بعنوان "**LSD-25:** بعض الآثار غير المُخدرة"، وعلى الرغم أن اتلاف معظم الوثائق المتعلقة بالمشروع، إلا أن ذلك لم يكن كافيًا، فقد غلبت أصداء فضيحة ووترغيت (Watergate Scandal) التي وقعت عام ١٩٧٢، وتداعياتها على الإدارة الأمريكية ولاسيما الرئيس ريتشارد نيكسون (Rechard Nixon) (١٩١٣-١٩٩٤/ ١٩٦٩-١٩٧٤) بشكل متزايد، وفسحت المجال فيما بعد، لاجراء تحقيقات بشأن بعض أنشطة (CIA) (٦٣).

تقاعد سدني غوتلب من (CIA) في الثلاثين من حزيران ١٩٧٣، بعد أن خدم فيها لمدة اثنين وعشرين سنة، ومُنح قبل تقاعده أحد أرفع أوسمة التي تمنحها الوكالة، وهو وسام الاستخبارات المتميز، الذي يُمنح لضباط الوكالة "لأداء خدمات متميزة، أو لإنجاز استثنائي"(٦٤)، وأمضى مع زوجته عامين في السفر متنقلًا بين أستراليا وأفريقيا والهند، ثم عاد إلى سانتا كروز بولاية كاليفورنيا، وحصل على درجة الماجستير في علم أمراض النطق. وبعد خمس سنوات عاد مع عائلته إلى فرجينيا لقضاء سنوات تقاعده (٦٥).

لم تكن عملية إتلاف معظم الوثائق المتعلقة بمشروع (MK-ULTRA) كافية، فقد غلبت اصداء فضيحة ووترغيت على واشنطن بشكل متزايد، مما أدى إلى استقالة نيكسون في ٩ آب ١٩٧٤، فبعد عدة أشهر، نشرت صحيفة نيويورك تايمز (New York Times)، مقالًا تحدثت فيه عن قيام (CIA) ببرنامج جمعت بموجبه ملفات عن آلاف الصحفيين الأمريكيين والناشطين المناهضين للحرب، الأمر الذي دفع عددًا من أعضاء الكونغرس إلى تقديم اقتراح بإنشاء لجنة خاصة للتحقيق في الأعمال غير القانونية التي تقوم بها وكالة المخابرات المركزية. وقد عارض الرئيس الأمريكي جيرالد فورد (Gerald Ford) (١٩١٣-٢٠٠٦/ ١٩٧٤-١٩٧٧)، وكبار ضباط الوكالة الاقتراح بشدة، إلا أن تغيّر المناخ السياسي في واشنطن، الذي طالما حمى الوكالة بشكل حاسم، ولاسيما بعد أن بدأت بعض الصحف الأميركية تنشر الأخبار عن تجاوزاتها ومطالبة بعض الأوساط في الرأي العام الأمريكي بمعرفة المزيد عن أنشطة (CIA)، جعل من المستحيل على الرئيس فورد معارضة فكرة التحقيق، وفي ٤ كانون الثاني ١٩٧٥، أعلن الرئيس فورد عن تشكيل لجنة خاصة به تابعة لوكالة المخابرات المركزية، وقد أراد تقريرًا بسيطًا يكشف عن بعض الأذى دون التنويه عن وجود جرائم جسيمة. ولضمان إصدار لجنته تقريرًا متسامحًا، اختار فورد نائبه نيلسون روكفلر (Nelson Rockefeller) رئيسًا لها. وبعد اجراء العديد من المقابلات مع ضباط في الوكالة، جاء تقرير لجنة روكفلر (Rockefeller Commission)، الصادر في ١١ حزيران ١٩٧٥، معتدلًا بقدر ما سمحت به الظروف، وخلص إلى أن (CIA)، نفذت عمليات "غير قانونية بشكلٍ واضح"، بما في ذلك التجسس على الجماعات التي قادت الاحتجاج في الولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات والتنصت على الهواتف والقيام بعمليات سطو وفتح البريد. حتى بدأت القصص عن مؤامرات اغتيال قادة أجانب تنتشر في واشنطن، إذ ذكر تقرير اللجنة ذكر أن الوقت لم يسمح بإجراء تحقيقٍ شامل. وعلى الرغم من أن التقرير لم يذكر اسم مشروع (MK-ULTRA)، إلا أنه ذكر أن (CIA)، أدارت مشروعًا "لاختبار عقاقير يحتمل أن تكون خطيرة على مواطنين أمريكيين غير مدركين"، ومشروعًا آخر تضمن إعطاء المخدرات لبعض السجناء، ومشروعًا ثالثًا أُعطي "متطوعين

غير مدركين" عقار () في موقعين سريين تابعة للـ (CIA)، وخلص التقرير إلى استحالة إجراء المزيد من التحقيقات، لأن سجلات هذه العمليات قد أُتلفت، وأن "جميع الأشخاص المشاركين مباشرةً في المراحل الأولى من البرنامج إما كانوا خارج البلاد وغير متاحين لإجراء مقابلات معهم أو متوفين". وقد ورد اسم سدني غوتلب، عندما ذكر مساعده روبرت لاشبروك (Robert Lashbrook)، أنه اتصل فور وفاة فرانك أولسون بموظف في (CIA) وأبلغه بما حدث، وأن اسم الموظف هو سدني غوتلب، ثم نشرت صحيفة نيويورك تايمز أيضًا اسم غوتلب، ووصفته بأنه "رئيس برنامج اختبارات وكالة المخابرات المركزية لمادة أل أس دي "، ونقلت عن محققين لم تُكشف أسماؤهم في لجنة روكفلر تأكيدهم أنه "دمر سجلات برنامج المخدرات عام ١٩٧٣، لإخفاء تفاصيل أنشطة غير قانونية محتملة". كما ذكرت صحيفة التايمز أيضًا أن سدني غوتلب كان "**متورطًا شخصيًا في تجربة قاتلة**" أدت إلى وفاة فرانك أولسون، وقد سبق أن أفادت لجنة روكفلر بإتلاف سجلات تجارب عقار (LSD)، لكنها لم تذكر اسم سدني غوتلب. وعندما حاول "البعض" مقابلته، أبلغتهم الوكالة بأنه غير متاح. وقد أحدثت هذه القصص مفاجأةً في حياة غوتلب، حيث حجبت هويته لأول مرة. وبشكل عام لم يُرضِ تقرير لجنة روكفلر المتابعين، فشكّل مجلس الشيوخ لجنة مختارة لدراسة العمليات الحكومية المتعلقة بأنشطة (CIA)، عرفت باسم لجنة تشرش (Church Committee) نسبة إلى رئيسها الشيخ فرانك تشرش (Frank Church). وقد عثر محققوها على وثائق تتحدث عن مؤامرات لاغتيال قادة أجانب، وقد حُجبت أسماء معظم ضباط (CIA)، الذين أرسلوا أو استلموا هذه الوثائق، حتى ظهر اسم سدني غوتلب[٦٦].

طلب محققو لجنة تشرش من (CIA)، الإذن باجراء مقابلة مع سدني غوتلب، مما اضطره إلى العودة من الهند في نيسان عام ١٩٧٥، واستدعي للاستماع لشهادته من قبل لجنة تشرش في تشرين الأول ١٩٧٥، وخلال الجلسات حصر موضوع عمله في (CIA) والنشاطات التي قام بها، ضمن قرارات صادرة من مسؤوليه الأعلى، والتي كانت تصدر ضمن مبررات الأمن القومي الأمريكي. حتى خلصت لجنة تشرش في تقريرها النهائي، الصادر في التاسع والعشرين من نيسان ١٩٧٦، بعد أن أجرت (١٢٦) تحقيقًا استمرت لمدة

١٦ شهرًا، و(٤٠) جلسة استماع للجان الفرعية، ومقابلة (٨٠٠) شاهد تقريبًا، وقدر تعلق الأمر بـ (CIA)، فقد كشفت اللجنة حقائق صادمة وبرامج استخباراتية سرية لم تكن معروفة للكونغرس أو للرأي العام، منها، "محاولات اغتيال الرئيس فيدل كاسترو في كوبا، ورئيس جمهورية الدومينكان رافائيل تروخيو (Rafael Trujillo)، ورئيس الوزراء باتريس لومومبا في جمهورية الكونغو الديمقراطية، وعملية (CIA)، المعروفة باسم عملية "الطائر المحاكي" (Mockingbird): لتجنيد صحفيين لنشر الدعاية عبر وسائل الإعلام، ومشروع (المأذنة) "مينارت" (MINARET) ، الذي أدارته وكالة الأمن القومي (National Security Agency) (NSA)، بالتعاون مع شركات الاتصالات، لمراقبة اتصالات الأشخاص المدرجين على "قائمة المراقبة"، بمن فيهم السيناتور تشيرش، وعضوا لجنة تشيرش والتر مونداديل وهوارد باكر، ورئيس لجنة مجلس النواب التي تحقق في وكالات المخابرات أوتيس بايك، ومشروع "شامروك" (SHAMROCK): لاعتراض جميع الرسائل البرقية الواردة والصادرة من الولايات المتحدة الأمريكية، والتي كانت شركات الاتصالات ترسلها لوكالة الأمن القومي التي تقوم بدورها بتوزيعها على وكالات استخبارات أخرى، وبرنامج "هتلنغول" (HTLINGUAL): الذي سعت عن طريقه (CIA) بين عامي (١٩٥٢-١٩٧٣) إلى اعتراض ومراجعة البريد الموجه إلى الاتحاد السوفيتي والصين تحت غطاء العمل المخابراتي. واستهداف نشطاء بارزين أمريكيين في حقوق الإنسان مثل مارتن لوثر كينغ (Martin Luther King)، فيما اكدت اللجنة، على أن (CIA) نفذت بموجب مشروع (MK-ULTRA)، تجارب سرية على مواطنين أمريكيين، إذ تم إعطاؤهم جرعات عالية من عقار (ال أس دي) ومخدرات أخرى لمعرفة مدى استجابتهم لتقنيات غسيل الدماغ أو الاستجواب، وأشارت اللجنة، إلى أن مشروع (MK-Naomi)، يمثل عمليات سرية لـ (CIA) والجيش لتطوير وتخزين مجموعة من العوامل البيولوجية دون إذن من الكونغرس أو الرئيس، بما في ذلك السموم وبكميات كافية لقتل عشرات الآلاف، وبذلك فإن "**أجهزة المخابرات قوّضت الحقوق الدستورية للمواطنين**". وأضافت: "**لا توجد سلطة دستورية أصيلة للرئيس أو أي جهاز استخبارات لانتهاك القانون**". كما تضمّن التقرير النهائي

للجنة، المؤلف من ست مجلدات، قسمًا بعنوان "اختبار واستخدام العوامل الكيميائية والبيولوجية من قِبل أجهزة الاستخبارات [٦٧].

استدعى أعضاء لجنة الاستخبارات المختارة بمجلس الشيوخ Senate Select Committee) (on (Intelligence، التي خلفت لجنة تشيرش، سدني غوتلب عام ١٩٧٧، للاستماع لشهادة حول أنشطة (CIA)، ولاسيما برنامج (MK-ULTRA)، إذ أشار بالقول: "**أودّ أن تعلم هذه اللجنة أنني اعتبرتُ كل هذا العمل – وقت إنجازه وفي سياق الظروف التي سادت في تلك الفترة – عملاً مزعجًا للغاية، وصعبًا للغاية، وحساسًا للغاية، ولكنه قبل كل شيء عاجل ومهم للغاية**". وقد استمر بحضور الجلسات للإدلاء بشهادته، عندما كانت عائلة الطبيب فرانك اولسن القضية، وكان آخرها قبيل وفاته بعدة أشهر، إذ توفي في السابع من آذار ١٩٩٩[٦٨].

الخاتمة:

- اثبت سدني غوتليب وعلى امتداد سنوات دراسته شغفه الدائم بالعلم وسعيه إلى الارتقاء به، لتيقنه أن ذلك سينعكس إيجابًا على شخصيته ومكانتها. فعلى الرغم من تأثره بعد حرمانه من فرصة الانضمام إلى الجيش والمشاركة في الحرب العالمية الثانية، إلا أنه سخر كل طاقاته لا يجاد طريقة لخدمة مصالح بلاده، وذلك عن طريق توسيع قدراته العلّمية واستعمالها لخوض حرب من نوع آخر.
- شكّلت عملية الاستحواذ على الخبرات العملية الألمانية واليابانية في مجال الحرب الجرثومية، والأساليب الخاصة بعمليات الاستجواب والاغتيالات، منطلقًا للقيادات الأمنية الأمريكية، هدف إلى تطوير تلك الأساليب، وتوظيفها في صراعات الحرب الباردة.
- أعلت سلطات الاحتلال الأمريكي في ألمانية واليابان، قيمة كورت بلوم وشيرو إيشي العلمية، ومدى أهمية الإفادة منها، فسخرت كل إمكانياتها للحيلولة من إخضاع بلوم وإيشي للمحاكمة، وغضت الطرف عن ضلوعهما بجرائم حرب.

- وَظَفَتْ الإدارة الأمريكية، القدرات العلمية لكورت بلوم وشيرو إيشي، في مجالات كانت المعرفة الأمريكية بها متواضعة ومحدودة في تلك المدة، فساهمت في فسح المجال للعديد من المختصين الأمريكيين لطرح رؤاهم وأفكارهم المتعلقة بتجارب علمية كانت على قدرٍ عالٍ من السرية، ولاسيما في مراكز الأبحاث العلمية التابعة للجيش الأمريكي. فقد استحوذ هاجس الأمن القومي الأمريكي؛ المرتبط بشكل مباشر بالخطر السوفيتي، على قيادات عسكرية وأمنية أمريكية بشكل كبير بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، الأمر الذي دفعهم إلى إخطار الإدارة الأمريكية، بضرورة استعمال كل الوسائل الممكنة لدرء الخطر السوفيتي.
- أكد تلك المخاوف، احتكاك الإدارة الأمريكية بخصمها السوفيتي عن طريق (CIA)، ولاسيما محاكمة الكاردينال الإيطالي جوزيف، وسلوكه أثناء المحاكمة، إضافة إلى تغير أيدولوجيات الجنود الأمريكيين الذي أُسروا في الحرب الكورية، والتي أوصلت ضباط الوكالة إلى قناعة مفادها، على قدرة السوفييت على محو ذاكرة البشر والتحكم بسلوكياتهم.
- وفق معايير الحرب الباردة، فإن معرفة قدرات الخصم، والوسائل المستخدمة في هذا الحرب، يعد ضرورة ملحة إذا ما أراد أحد الطرفين التفوق، وقد تعلق الأمر بالجانب الأمريكي، فإن معرفة مدى التطور الذي أحرزه السوفييت، وتحديدًا في مجال السيطرة على العقول وعمليات الاستجواب الخاصة، قد عُدَّ ضرورة قصوى. فمع تصاعد وتيرة الحرب الباردة، ازداد اهتمام ضباط (CIA) بالطرق التي يُمكن بواسطتها استعمال العوامل الكيميائية والبيولوجية للسيطرة على عقول الأفراد.
- شكّلَ التعاون الرسمي بين الفيلق الكيميائي التابع للجيش الأمريكي و(CIA)، إضافة إلى انضمام ألن دلاس إلى (CIA)، نقطة تحول مهمة في مسيرة سدني غوتلب العلمية والوظيفية، فقد أفاده التعاون كثيرًا، إذ أصبح مطلعًا عن كثب على الخبرة العلمية التي حصل عليها الفيلق الكيميائي من كورت بلوم وشيرو إيشي، وتعينه رئيسًا لوحدة الأبحاث العلمية في مكتب الخدمات التقنية، وجهوده في تطوير برامج

"بلوبيرد" و "الخرشوف"، اللذان اصبحا أكثر شمولًا في برنامج (MK-ULTRA). فيما كان تولي ألن دلاس رئاسة (CIA)، وسعيه الحثيث في تطوير الأساليب المستخدمة في تنفيذ عمليات (CIA) فائقة السرية، عاملًا مهمًا في دعم وإسناد أبحاث سدني غوتلب العلمية، طيلة مدة توليه إدارة ألن دلاس لـ (CIA).

- أدى تصاعد العديد من الأصوات في الرأي العام الأمريكي، ولاسيما في الصحافة وبعض قادة الرأي، إلى تشكيل لجان خاصة في الكونغرس للتحقيق في أنشطة (CIA)، خلصت إلى الأخيرة قد نفذت عمليات خارج الأطر الدستورية والقانونية، والمعايير الأخلاقية، ولاسيما عمليات اغتيال لقادة أجانب، وإعطاء جرعات من عقار (ال أس دي) لمواطنين أمريكيين.
- صحيح أن الوثائق المتعلقة ببرنامج (MK-ULTRA)، قد تعرض الكثير منها إلى الإتلاف المتعمد، مما صَعَّبَ على الباحثين الحصول على معلوماته ودراسة المشروع دراسة مستفيضة، إلا أن ذلك لم يمنع من تصدي البعض له، وفق المعلومات والشهادات المتاحة.
- أشر ارتباط سدني غوتلب ببرنامج (MK-ULTRA)، على انه لم يتردد وفق قناعاته الشخصية، القائمة على تحقيق مصالح بلده في تجاوز ضميره العلمي والأخلاقي، ولاسيما الأنشطة التي طالت مواطنين أمريكيين، وهو ما يتعارض مع فلسفة الحياة الأمريكية القائمة على الحريات الفردية.

المصادر:

(1) Thomas Smith, Encyclopedia of the Central Intelligence Agency, Facts On File, Inc, New York, 2003, P.113.

(2) Stephen Kinzer, Poisoner in Chief: Sidney Gottlieb and the CIA Search for Mind Control, Henry Holt and Company, New York, 2019, P.12.

(3) Quoted In, Ibid.

(4) Ibid.

(5) Ibid, P.13.

(6) Ibid, P.14.

(7) Ibid, P.15.

(8) Ibid, P.16.

(9) Ibid, P.18.

(10) Ibid, P.19.

(١١) **هجوم بيرل هاربر:** هجوم مباغت نفذه سلاح الجو التابع للقوة البحرية اليابانية في ٧ كانون الاول ١٩٤١، كان الهجوم بمثابة ضربة وقائية لإبعاد الأسطول الأمريكي في المحيط الهادئ عن الحرب، وقد مثل الهجوم السبب المباشر لدخول الولايات المتحدة للحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، للمزيد من التفاصيل انظر:

Carl Smith, Pearl Harbor, Osprey published, United Kingdom,2001,P15.

(12) Stephen Kinzer, Op.Cit, , P.19.

(13) Ibid, P.16.

(١٤) **مكتب الخدمات الاستراتيجية:** يعرف اختصاراً (OSS)، وهي وكالة مخابرات أمريكية سابقة تم إنشائها أثناء الحرب العالمية الثانية، وتهدف إلى جمع المعلومات الاستخبارية وتنفيذ بعض العمليات الخاصة والسرية، اذ قامت بتنفيذ العديد من العمليات خلف خطوط العدو في اثناء الحرب العالمية الثانية، والعمل على بث الدعاية للتأثير على الرأي العام خلال سنوات الحرب. حُل المكتب رسمياً في ايلول ١٩٤٥ واستبدل بوكالة المخابرات المركزية. للمزيد من التفاصيل انظر:

Eugene Liptak, Office of Strategic Services 1942–45: The World War II Origins of the CIA, Osprey Publishing, Midland House, England, 2009.

(١٥) **الغستابو:** مختصر لمصطلح باللغة الالمانية (Geheime Staatspolizei) وتعني شرطة الدولة السرية في النظام النازي الالماني. أُنشئت في(٢٧ نيسان ١٩٣٣). تمثل الشرطة السياسية السرية للرايخ الثالث. عملت على فرض المُثل الأيديولوجية للحزب النازي بعد وصول أدولف هتلر إلى السلطة. ترأسها هرمان غورينج. بحلول نيسان ١٩٣٤، سيطر رئيس قوات الأمن الخاصة هاينريش هيملر على الغستابو. نص القانون الصادر في (١٠شباط ١٩٣٦) على إعطاءها تفويضًا واسع في التحقيق ومكافحة جميع الأنشطة التي يمكن أن تعرض الدولة للخطر. عملت الغستابو من دون قيود قضائية، إذْ كانت تتمتع بسلطة الاعتقال الوقائي ولجأت في كثير من

الأحيان إلى استعمال أساليب تعذيب وحشية لانتزاع المعلومات، ووضع المشتبه بهم في "الحجز الوقائي". تعاون العديد من أعضاء الغستابو في الحرب العالمية الثانية مع مكتب الأمن (Sicherheitsdienst) (SD)؛ لتشكيل وحدات القتل المتنقلة، التي رافقت الجيش الالماني في بولندا والاتحاد السوفيتي. قمعت الغستابو جميع الأنشطة الحزبية في الأراضي المحتلة ولعبت دورًا رئيسيًا في ترحيل اليهود الألمان وغيرهم إلى معسكرات الاعتقال. في عام ١٩٤٦، أعلنت المحكمة العسكرية الدولية في نورمبرج، بأنها منظمة إجرامية، للمزيد من التفاصيل، انظر:

Jefferson Adams, Historical Dictionary of German Intelligence, The Scarecrow Press, Inc, Maryland, USA, 2009, P.136.

(16) Jemes Srodes, Allen Dulles: Master of Spies, REGNERY PUBLISHUNG, INC, Washington, USA, 1999. P.316.

(١٧) **كورت بلوم:** (١٨٩٤-١٩٦٩)، طبيب ألماني وخبير في الأمراض السرطانية. درس الطب في جامعة غوتن عام ١٩١٤. انظم إلى الحزب النازي عام ١٩٢٠. تولى منصب مساعد وزير الصحة بعد وصول النازيين إلى الحكم. بدأ بإجراء تجارب سريرة على المعتقلين منذ عام ١٩٤٣. ألقت (MI-8)، القبض عليه في (١٧ أيار ١٩٤٥)، وتم التدخل من قبل السلطات الأمريكية، لمنع ادانته في محاكمات نورمبرغ. استعانت به الادارة الأمريكية للعمل في مراكز الأبحاث العلمية التابعة للجيش الأمريكي، وفي مشروع (MK-Ultra) السري، للمزيد من التفاصيل انظر:

Frances R. Frankenburg, Human Medical Experimentation: From Smallpox Vaccines to Secret Government Program, ABC-CLIO, California, USA, 2017, P.P. 130-131.

(١٨) **محاكمات نورمبرغ:** سلسلة من المحاكمات التي عقدها الحلفاء في نورنبرغ في ألمانيا، بين عامي (١٩٤٥و١٩٤٦)، لمحاكمة القادة النازيين، من قبل المحكمة العسكرية الدولية. تضمنت لائحة الاتهام المرفوعة ضدهم أربع تهم وهي: ١- جرائم ضد السلام (أي التخطيط والشروع وشن حروب عدوانية، بخلاف للمعاهدات والاتفاقيات الدولية)، ٢- الجرائم ضد الإنسانية (أي الإبادة والترحيل، والإبادة الجماعية)، ٣- جرائم الحرب (أي انتهاكات قوانين الحرب)، و٤- "خطة مشتركة أو مؤامرة لارتكاب" الأعمال الإجرامية المذكورة في التهم الثلاث الأولى. أُتهم (٢٤) من القادة النازيين السابقين بارتكاب جرائم حرب، واتهمت مجموعات مختلفة (مثل الجستابو) بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الانسانية. عقدت المحاكمات ابتداءً من (٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٥)، وبعد

(٢١٦) جلسة محاكمة، صدر الحكم في (١ تشرين الأول ١٩٤٦) على (٢٢) من أصل (٢٤) متهم. تباينت الاحكام بين الإعدام والسجن والبراءة. للمزيد من التفاصيل انظر:

ج.م. جلبرت، محاكمات نورمبرغ، ترجمة: احمد رائف، الزهراء للاعلام العربي، القاهرة، مصر، ١٩٩١؛

Michael R. Marrus, The Nuremberg War Crimes Trial, 1945-46: A Documentary History, Bedford/St. Martin's, New York, 1997; Encyclopedia Britannica, Inc ,CD: Nuremberg trials.

(19) Annie Jacobsen, Operation Paperclip: The Secret Intelligence Program that Brought Nazi Scientists to America, Little, Brown and Company, Massachusetts, USA, 2015, P.P, 3-7.

(٢٠) سنحت الفرصة لشيرو إيشي، عندما منحه قادة الجيش عام ١٩٣٦ قطعة أرض في جنوب هاربين (Harbin) وهي أكبر مدينة في منشوريا، فقد هُدمت ثماني قرى لإفساح المجال لمجمع مساحته أربعة أميال مربعة، والذي أصبح يضم أكثر من ثلاثة آلاف عالم وموظف. كان يُعرف رسميًا باسم مكتب الوقاية من الأوبئة وتنقية المياه، أما بالنسبة للعاملين هناك، والقلة القليلة الأخرى التي علمت بوجوده، فكان يُعرف بـ (الوحدة ٧٣١) ، للمزيد من التفاصيل انظر:

Stephen Kinzer, Op.Cit, P.37.

(21) Ibid.P, 35.

(22) Quoted In, Ibid.

(23) Ibid.P, 36.

(24) Ibid.P, 39.

(25) Qouted In, Ibid.P, 39.

(26) Ibid.P, 41.

(27) Ibid.P, 42.

(28) Ibid.P, 44.

(٢٩) **وليم دونوفان:** (١٨٨٣ - ١٩٥٩)، محامي وعسكري وضابط مخابرات أمريكي. درس القانون في جامعة كولمبيا. خدم في فرنسا مع فوج المشاة (١٦٥) في الحرب العالمية الأولى. ترقى إلى رتبة عقيد وحصل على ميدالية الشرف من الكونجرس. شغل منصب مساعد المدعي العام في

وزارة العدل في المدة من ١٩٢٤ إلى ١٩٢٩، وعاد في سنة ١٩٣٠ لممارسة القانون. دعا دونوفان بين عامي ١٩٤٠-١٩٤١ لوضع خططٍ لإنشاء جهاز مخابرات أمريكي. شغل منصب مدير مكتب الخدمات الاستراتيجية. على الرغم من أنه كان من أهم دعاة إلى انشاء (CIA)، إلا انه لم يتولَ أي منصب في الوكالة عندما أنشئت عام ١٩٤٧. شغل دونوفان منصب سفير الولايات المتحدة الأمريكية في تايلاند من (١٩٥٣-١٩٥٤)، للمزيد من التفاصيل انظر:

Encyclopaedia Britannica, Inc, CD: William Donovan; Richard Dunlop, Donovan: America's Master Spy, Simon and Schuster, New York, 2014.

(٣٠) بيّن دونوفان اخطار الصراع الجديد، إذ حذر دونوفان انه بعد النهاية الناجحة للحرب العالمية الثانية، ستواجه الولايات المتحدة الأمريكية حالة يحتمل أنها اخطر من الحالة السابقة، إذ انذر الرئيس ترومان بأن الاتحاد السوفيتي سيصبح خطراً على الولايات المتحدة الأمريكية، اكبر من اي خطر معروف إلى ذلك الوقت. وعلى امتداد سنة من تقديم ذلك التقرير، كانت الدوائر الاستخبارية في واشنطن ولندن تخطط سراً لتلك الحرب، فبخلاف الحرب العالمية الثانية، تدور هذه الحرب في (الظلال)، بهدف الاستيلاء على اشارات وليس على مدن، وباستعمال خوارزميات رياضية معقدة واجهزة الكترونية لا للقوة والرصاص، وهي التي سوف تحسم الفائز، عرفت هذه العملية باسم " استخبارات الاشارات" (Signal Intelligence) ومختصرها (Sigint)، وقد شملت (Sigint) استخبارات الاتصالات، والتنصت على اللغة المفهومة والاستخبارات الالكترونية التي تنتزع الاشارات من الاجهزة الالكترونية، للمزيد من التفاصيل انظر: جيمس بامفورد ،هيئة الاسرار(وكالة الامن القومي تحت المجهر)، ترجمة: سمير جبلي؛ امين الايوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٢،ص ١٢.

(٣١) **قانون الأمن القومي:** صدر في (٢٦ تموز ١٩٤٧). نص على إعادة تنظيم للسياسة الخارجية والمؤسسات العسكرية لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية. أنشأ بموجبه مجلس الأمن القومي، لمناقشة القضايا الأمنية المؤثرة على المستويين الداخلي والخارجي. دخلت معظم بنود القانون حيز التنفيذ في (١٨ أيلول ١٩٤٧). أعاد القانون هيكلة القيادات العسكرية الأمريكية والوكالات المخابراتية، وأهمها تأسيس (CIA)، فضلاً عن، استحداث وكلات جديدة، واهمها مجلس الأمن القومي، الذي ضم الرئيس ونائبه ووزير الخارجية ووزير الدفاع وأعضاء آخرين من (CIA)، هيأة موارد الأمن القومي، (JCS)، هيأة الذخائر، هيأة البحث والتطوير، ومجلس الحرب الذي تقرر إعادة تسميته الى مجلس سياسات القوات المسلحة. جرى تعديل على المرسوم في عام ١٩٤٩، إذْ

تم تغير اسم وزارة الحربية، إلى وزارة الدفاع، وجعلها وزارة حكومية تنفيذية، وهي خطوه قللت من سلطة قادة الفروع العسكرية الثلاث، كما حدثت تعديلات أخرى، إذ عينت رئيسًا لـ (JCS)ووفرت مكافئات وميزانية للعمل ومصروفات تنظيمه، للمزيد من التفاصيل انظر:

Office of The Director of National Intelligence, Box.1, File, NO. 1, Section.1, Office of General Counsel, 2020, P.26.

(٣٢) **وكالة المخابرات المركزية:** تعرف اختصاراً باسم ال "سي.آي.ايه" (C.I.A)، انشات عام ١٩٤٧، بموجب قانون الامن القومي الصادر في العام نفسه. يقع مقرها في مقاطعة "فاير فوكس" بولاية فرجينيا. مهمتها الرئيسة تنسيق اجهزة المخابرات الرئيسة المتفرقة في الولايات المتحدة، وايجاد اوجه الارتباط بينها، كما تعمل على تقويم ونشر التقارير التي تؤثر في الامن القومي الامريكي، وتعتبر الوكالة اداة مهمة في صنع القرار السياسي الامريكي، وارتبط اسمها بعدد من من عمليات التدخل في شؤون الدول الاخرى، للمزيد من التفاصيل انظر: ياسين محمد حمد العيثاوي، دور المؤسسات الدستورية في صنع القرار السياسي الامريكي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص ١٠٣؛

Encyclopedia Americana, Vol.16. International Edition, New York, USA,1979, P.185.

(33) Stephen Kinzer, Op.Cit.P, 35.

(٣٤) **الحرب الباردة:** أول من استخدم هذا المصطلح هو المستشار الرئاسي برنارد باروخ (Bernard Baruch) (١٨٧٠-١٩٦٥)، في جلسة الكونغرس المنعقدة في ١٢ إذْار ١٩٤٧، عندما وصف الأوضاع بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي بأنها "حرب باردة"، ثم تلقف هذا المصطلح عدد من الكتاب والصحفيين للتعبير عن الصراع بين العملاقين السوفيتي والامريكي، الذي تمثل بمجموعة من المواقف والسياسات التي تبنتها الدولتان بعد الحرب العالمية الثانية، والتي هدفت إلى تحديد قوة ونفوذ وتأثير كل طرف على الآخر، وذلك عن طريق خلق تفوق عسكري "سباق تسلح"، واستخدام الاقتصاد والإعلام والحرب النفسية، وقيام حرب تجسس بين الجانبين، باستخدام معدات متطورة بما فيها الطائرات، إذْ ادى اسقاط احدى الطائرات التجسسية الامريكية على الاراضي السوفيتية إلى استخدامها ورقة ضغط سوفيتية في زمن الزعيم خروتشيف والرئيس كندي، فضلاً عن تكوين التحالفات الاقليمية والدولية، والتدخل المباشر وغير المباشر في المنازعات الاقليمية، وقد استمر هذا التنافس حتى تفكك الاتحاد السوفيتي في (٢٦

كانون الأول ١٩٩١)، للمزيد من التفاصيل انظر: كولن باون وبيتر موني، من الحرب الباردة حتى الوفاق ١٩٤٥-١٩٨٠، ترجمة صادق إبراهيم عودة، دار الشروق للطباعة والتوزيع، بيروت لبنان، ١٩٨٤.

(٣٥) عمر المختار علاء جاسم محمد الحربي، ألن دلاس وادارته لوكالة المخابرات المركزية (١٨٩٣-١٩٦٩)، أُطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب- جامعة بغداد، ٢٠٢٣، ص ٢٣٣.

(36) Stephen Kinzer, Op.Cit.P, 35.

(37) Ibid.P, 37.

(38) Quoted In, Ibid.P, 37.

(٣٩) **روسكو هلنكوتر:** (١٨٩٧-١٩٨٢)، لواء بحري أمريكي. تخرج من الأكاديمية البحرية الأمريكية عام ١٩١٩. المدير الثالث لـ (CIA)، وأول من شغل هذا المنصب بعد إنشاء وكالة المخابرات المركزية (CIA) بموجب أحكام قانون الأمن القومي لعام ١٩٤٧. إذْ أدار (CIA) (١ أيار ١٩٤٧- ٧ تشرين الأول ١٩٥٠). تعرض لانتقادات شديدة لفشل (CIA) في تقديم تحذير لصناع السياسة الأمريكية بشأن اندلاع الحرب الكورية وغيرها من الأحداث العالمية مثل وصول الشيوعيين إلى السلطة في تشيكوسلوفاكيا وهزيمة القوات القومية في الصين. عاد إلى الخدمة العسكرية، وخدم بوصفه قائدًا لقوة المهام البحرية في الحرب الكورية، للمزيد من التفاصيل انظر:
Glenn Hastedt, Espionage, ABC-CLIO, USA, New York, 2003, P. 363.

(40) Memorandum From Director of Central Intelligence Dulles to Secretary of Defense Wilson, Central Intelligence Agency, Executive Registry, Job 80-B01731R, Box 15. Secret, Washington, December 3, 1955.

(٤١) عمر المختار علاء جاسم محمد الحربي، المصدر السابق، ص٢٣٤.

(٤٢) **ألن دلاس:** (١٨٩٣-١٩٦٩)، دبلوماسي وضابط مخابرات امريكي. شقيق وزير الخارجية جون فوستر دلاس (١٨٨٨-١٩٥٩/ ١٩٥٣-١٩٥٩). درس القانون في جامعة برنستون، خدم في وزارة الخارجية للمدة (١٩١٥-١٩٢٦)، وقد شكلت تلك السنوات الانطلاقة الحقيقية لاهتمامه بالسياسة على نحو عام والعمل الاستخباري على نحو خاص. عمل خلال السنوات (١٩٢٦-١٩٣٩) في شركة المحاماة المعروفة سولفان وكروميل، وفيها طور علاقاته مع شخصيات اقتصادية وسياسية لها نفوذها في الإدارة الأمريكية. عاد للعمل الاستخباري بعد تأسيس مكتب

الخدمات الاستراتيجية، وعمل لصالح المكتب في سويسرا خلال سنوات الحرب العالمية الثانية. كان له دور في انشاء وكالة المخابرات المركزية، والتي أصبح مديرًا لها بين عامي (١٩٥٣-١٩٦١). ساهم بشكل فعّال في تطوير قدرات وكالة المخابرات المركزية في مرحلة مهمة من تاريخ الحرب الباردة. للمزيد من التفاصيل انظر:

Peter Grose, Gentelman Spy: The life of Allen Dulles, Richer Todd Books, New York, USA, 1994.

(43) Central Intelligence Agency, CIA Behavior Control Experiments, Box:9, April 20, 1950; Stephen Kinzer, Op.Cit.P,56.

(٤٤) **مكتب الخدمات التقنية:** عُرف سابقًا بإسم قسم الخدمات الفنية وموظفي الخدمات الفنية. مسؤول عن دعم العمليات السرية في وكالة المخابرات المركزية، باستخدام الأدوات والتمويه والتزوير والكتابات السرية. في سنوات الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن الماضي، أجرى أبحاثًا وتجارب لاستخدام العقاقير والمواد الكيميائية والتنويم المغناطيسي، لانتزاع المعلومات في أثناء الاستجواب، وكذلك لتسهيل مقاومة الأسرى الأمريكيين للاستجواب. OTS هي جزء من مديرية العلوم والتكنولوجيا في (CIA). للمزيد من التفاصيل انظر: عمر المختار علاء جاسم محمد الحربي، المصدر السابق، ص ٢٣٤.

(45) Stephen Kinzer, Op.Cit, , P.64.

(46) David Talbot, The Devil's Chessboard: Allen Dulle the CIA and the Rise of American's Secret Government, HarperCollins Publishers Limited, New York, USA, 2015. P.245.

(47) Stephen Kinzer, Op.Cit, , P.72.

(٤٨) عمر المختار علاء جاسم محمد الحربي، المصدر السابق، ص٢٣٤.

(49) David Talbot, Op.Cit, , P.245.

(٥٠) عمر المختار علاء جاسم محمد الحربي، المصدر السابق، ص٢٣٦.

(51) Stephen Kinzer, Op.Cit, , P.85.

(52) Ibid, P.92.

(53) Quoted In, Peter Grose, Op.Cit, P.392.

(54) David Talbot, Op.Cit, , P.247.

(٥٥) أثبتت الوثائق التي لم يطالها الإتلاف وجود سجون سرية استخدمتها الوكالة في الخمسينات، لإجراء تحقيقات خاصة للمحتجزين، وحقنهم بالإكراه بالعقاقير التي تسهل عملية الاستجواب ونزع الاعترافات، كما أظهرت الوثائق الكثير من المناقشات التي تضمنت تفعيل أساليب الاستجوابات في محطاتها الخارجية، ففي خضم فضيحة ووترغيت، امر هيلمز عام ١٩٧٣، بإتلاف جميع ملفات (MK-UITAR). ووفقًا لهذا الأمر تم إتلاف معظم المتعلقة به، مما جعل مسألة التحقيق الكامل في (MK-UITRA) مستحيلًا. نجت حوالي ٢٠,٠٠٠ وثيقة من تطهير هيلمز ، حيث تم تخزينها بشكل غير صحيح في مبنى السجلات المالية وتم اكتشافها بعد طلب قانون حرية المعلومات في عام ١٩٧٧. تم التحقيق في هذه الوثائق بشكل كامل في جلسات مجلس الشيوخ لعام ١٩٧٧.للمزيد من التفاصيل انظر: عمر المختار علاء جاسم محمد الحربي، المصدر السابق، ص٢٣٨.

(56) Tim Weiner, Legacy of Ashes, The History of the CIA, Doubleday, New York, USA, 2007, P.64.

(57) Stephen Kinzer, Op.Cit, P.207.

(58) Ibid, P.219.

(59) Ibid, P.236.

(60) Francois Ngolet, Crisis In Congo, Palagrave, USA, 2011 , P.15.

(61) Peter Grose, Op. Cit, P.505

(62) Ibid.

(63) Stephen Kinzer, Op.Cit, P.270.

(64) Ibid, P.271.

(65) Ibid, 273

(66) Ibid, P.296.

(67) U.S. Congress, Senate, Select Committee to Study Governmental Operations with Respect to Intelligence Activities. INTELLIGENCE ACTIVITIES AND THE RIGHTS OF AMERICANS BOOK II FINAL REPORT OF THE SELECT COMMITTEE TO STUDY GOVERNMENTAL

OPERATIONS WITH RESPECT TO INTELLIGENCE. Report No 94-755, Washington, 1976.

(68) Stephen Kinzer, Op.Cit, P.305.

المصادر:

اولًا: الوثائق غير المنشورة: -

1- Office of The Director of National Intelligence, Box.1, File, NO. 1, Section.1, Office of General Counsel, 2020.

2- Central Intelligence Agency, CIA Behavior Control Experiments, Box:9, April 20, 1950.

3- U.S. Congress, Senate, Select Committee to Study Governmental Operations with Respect to Intelligence Activities. INTELLIGENCE ACTIVITIES AND THE RIGHTS OF AMERICANS BOOK II FINAL REPORT OF THE SELECT COMMITTEE TO STUDY GOVERNMENTAL OPERATIONS WITH RESPECT TO INTELLIGENCE. Report No 94-755, Washington, 1976.

ثانيًا: الرسائل والاطاريح:-

١- عمر المختار علاء جاسم محمد الحربي، ألن دلاس وادارته لوكالة المخابرات المركزية (١٨٩٣-١٩٦٩)، أُطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب- جامعة بغداد، ٢٠٢٣.

ثالثًا: الكتب العربية:-

١- ج.م. جلبرت، محاكمات نورمبرغ، ترجمة: احمد رائف، الزهراء للاعلام العربي، القاهرة، مصر، ١٩٩١.

٢- جيمس بامفورد ،هيئة الاسرار(وكالة الامن القومي تحت المجهر)، ترجمة: سمير جبلي؛ امين الايوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٢.

٣- كولن باون وبيتر موني، من الحرب الباردة حتى الوفاق ١٩٤٥-١٩٨٠، ترجمة صادق إبراهيم عودة، دار الشروق للطباعة والتوزيع، بيروت لبنان، ١٩٨٤.

رابعًا: الكتب الإنكليزية: -

1- Annie Jacobsen, Operation Paperclip: The Secret Intelligence Program that Brought Nazi Scientists to America, Little, Brown and Company, Massachusetts, USA, 2015.
2- Carl Smith, Pearl Harbor, Osprey published, United Kingdom,200.
3- Eugene Liptak, Office of Strategic Services 1942-45: The World War II Origins of the CIA, Osprey Publishing, Midland House, England, 2009.
4- Frances R. Frankenburg, Human Medical Experimentation: From Smallpox Vaccines to Secret Government Program, ABC-CLIO, California, USA, 2017.
5- Glenn Hastedt, Espionage, ABC-CLIO, USA, New York, 2003.
6- James Srodes, Allen Dulles: Master of Spies, REGNERY PUBLISHUNG, INC, Washington, USA, 1999.
7- Jefferson Adams, Historical Dictionary of German Intelligence, The Scarecrow Press, Inc, Maryland, USA, 2009.
8- Michael R. Marrus, The Nuremberg War Crimes Trial, 1945-46: A Documentary History, Bedford/St. Martin's, New York, 1997.
9- Richard Dunlop, Donovan: America's Master Spy, Simon and Schuster, New York, 2014.
10- Stephen Kinzer, Poisoner in Chief: Sidney Gottlieb and the CIA Search for Mind Control, Henry Holt and Company, New York, 2019.
11-Peter Grose, Gentelman Spy: The life of Allen Dulles, Richer Todd Books, New York, USA, 1994.
12-David Talbot, The Devil's Chessboard: Allen Dulle the CIA and the Rise of American's Secret Government, HarperCollins Publishers Limited, New York, USA, 2015.
13-Tim Weiner, Legacy of Ashes, The History of the CIA, Doubleday, New York, USA, 2007.

خامسًا: الموسوعات: -

1- Encyclopedia Americana, Vol.16. International Edition, New York, USA,1979.

2- Encyclopedia Britannica, Inc, CD, 2011.

3- Thomas Smith, Encyclopedia of the Central Intelligence Agency, Facts On File, Inc, New York, 2003.

كليستثينس وإرساء أسس الديمقراطية في أثينا (٥٠٨ – ٤٩٢ ق.م) (دراسة تاريخية)

أ.م.د. خالد ناجي سوادي الكريماوي

كلية الامام الكاظم (ع) للعلوم الاسلامية الجامعة / أقسام ميسان

Cleisthenes and the establishment of democracy in the city-state of Athens (508-492 BC) A historical study

Dr. Khaled Naji Swadi Alkreemawi
Imam al- Kadhum College (lkc) Sciences / Missan Sections
Khalid.naji@alkadhum-col.edu.iq

كليسثينس وإرساء أسس الديمقراطية في أثينا (٥٠٨ – ٤٩٢ ق.م) (دراسة تاريخية)

أ.م.د. خالد ناجي سوادي الكريماوي

المقدِمة:

تقتضي الفطرة بأن يكون لكل جماعة من الناس صغيرة كانت أو كبيرة، شعباً كانتْ أو أمة لابدّ من قائد يوجه تلك المجموعة من الناس ويرشد حركتهم وغالباً ما ترتبط به ما تمر بتلك المجموعات من أحداث وصراعات كبيرة كانت أو صغيرة . لذلك فإن استقراء التاريخ الحضاري القديم للأمم، وما ينطوي عليه من إنجازات ومعطيات، يحفزنا على دراسة معمقة لعظام الشخصيات التي أسهمت بشكل أو بآخر في دفع عجلة التاريخ إلى الأمام، وتركت آثارها الكبيرة على صفحاته .

الملخص:

مثل العصر الديمقراطي الإغريقي جملة أحداث سياسية ، كان لها أثرها الواضح في مجريات التاريخ الإغريقي بوجه عام والاثيني على وجه الخصوص، مما أدى الى ظهور شخصيات سياسية بارزة لها دورها المهم في رسم السياسة الاثينية، ولعل كليسثينس يُعد الشخصيات المهمة في هذا الجانب، لما اتسم به من حنكة سياسية جعلته يحقق الديمقراطية في أثينا بعد عصور من الحكم الملكي الدكتاتوري, ومثلت مُدّه حكمه نهضة سياسية جديدة بلغت البلاد فيها أوج مراحل الديمقراطية في تاريخ بلاد الإغريق . ولدراسة هذه الشخصية أهمية كبيرة؛ لما تقتضيه ضرورة الكشف عن الحقائق التاريخية لحكمه وإصلاحاته في المجال الاجتماعي وفي مجال هيئة السلطة التشريعية من أجل تحقيق الديمقراطية في أثينا .

الكلمات المفتاحية : كليسثينس، أثينا، الديمقراطية، إصلاحات، أرخون، حزب .

المبحث الاول الأوضاع السياسية في أثينا(١٢٥٠ _ ٥٠٧ ق.م)

أولاً : (الأوضاع السياسية في أثينا قبل تسنم كليسثينس الحكم)

تثبت الأدلة الأثرية أن إقليم أتيكاAttica([1])، وعاصمته أثينا ، كان عامراً بالسكان طيلة العصر المظلم من القرن الثاني عشر ق.م إلى القرن الثامن ق.م في بلاد الإغريق

الذي أعقب الغزو الدوري([٢])، ويرجع سبب تسمية ذلك العصر بالعصر المظلم؛ كون هذا الغزو أزال كل آثار الحضارة الموكينية Mycenae([٣])؛ ففي العصر المظلم سادت بلاد الإغريق حالات الفوضى والاضطراب، أما عن النظام السياسي الذي ساد البلاد قبل الغزو الدوري فقد كان النظام الملكي([٤]).

مرّت مدينة أثينا بنظام قبلي يعتمد الهجرات الاستيطانية إذ يتولى أحد زعماء القبائل الحكم ويساعده مجلس استشاري يضم رؤساء القبائل الأخرى في المدينة, أما السلطة التشريعية فمقسمة بين الملك ورؤساء تلك القبائل، ووفق هذا النظام يمارس فيه رؤساء القبائل خارج المدينة سلطات الملك في الإشراف الإداري والاقتصادي على شؤون القبيلة ويلبسون الملابس الأُرجوانية, وهي ذاتها ملابس الملك التي يرتديها في الأعياد الدينية والاحتفالات في مدينة أثينا، فهو الكاهن الأكبر والقائد الأعظم, وهو في الأصل رئيسٌ لإحدى القبائل أو حاكماً لإحدى الجماعات المتحدة وينسب إلى الملك ثيسيوس(Theseus) توحيد المجتمعات الصغيرة الموجودة في شبه جزيرة أتيكا، ففي منتصف القرن الثالث عشر ق.م عمل ثيسيوس حفيد كيكروبس (Cecrops)على جمع المجموعات الاثنتي عشرة في المدينة وفق كتلة سياسية واحدة, وعدّ جميع السكان مواطنين أثينيين, ويطلق على هذه الوحدة اسم (سينويكيزموس Synoikismos) أي الجوار المدني ، وأنَّ هذا الاتحاد السياسي للاثني عشر اتحاداً في أتيكا هو الذي مهد الطريق لعظمة دولة مدينة أثينا([٥]). وممّا يروى عن تلك الحقبة المبكرة من تاريخ مدينة أثينا في القرن الثاني عشر ق.م على درجة من القوة جعلتها تتصدى للغزاة الدوريين وتطردهم من أتيكا إلى الجنوب ، كما يروى أن ملكهم آنذاك والمدعو (كودروس) Codrus([٦]) قد ضحى بنفسه لينقذ وطنه من الغزاة الدوريين([٧]). فكان الأثينيون يفخرون بملكهم كودروس إذ يقولون : إنّ الإله بشر الدوريين بالانتصار على أهل أتيكا بشرط أن لا يقتلوا ملك الأثينيين فعَلِمَ بذلك كودروس وارتدى بزّة فلاّح وتقدم نحو معسكر العدو فاستفز أحد الجنود وأثار غضبه ، فما كان من ذلك الجندي إلا أن قتله وعرف الدوريون الخبر فيئسوا من نجاح حملتهم وارتدوا على أعقابهم وأعجب الأثينيون بإخلاص ملكهم أيما إعجاب حتى إنهم لم يجدوا مَنْ يستحق الجلوس على العرش الملكي من بعده([٨]). فألغوا نظام الحكم الملكي وجعلوا ابنه (ميدون) أول الأراخنة([٩]) في النظام الجديد،

وهو نظام الحكم الأرستقراطي أو حكم الصفوة من الأشراف من ذوي النسب العريق من كبار ملاك الأراضي ، وكان هؤلاء يحكمون أثينا عبر مجلس منهم يعرف بمجلس الشيوخ (الأريوباجوس)([١٠]) ويختارون ثلاثة منهم يتولون زمام الحُكم كلّ عام ويطلق عليهم أراخنة بمعنى (حُكّام) ومفردها (أرخون)([١١]) فتحولت الملوكية إلى حكومة أوليغاركية صرفة([١٢]) أعضاء مجلسها ومحكمتها من الأشراف وهم الذين ينتخبون القضاة أمّا باقي طبقات المجتمع فليس لهم إلّا الطاعة والاستسلام ، فاستاء الشعب من ذلك واشتدَّ استياؤه مع ازدياد الفاقة فثقلت وطأة الاستبداد حتى بكى واستاء الناس زمن الملوكية([١٣]) . وقد ظل الأمر كذلك حتى عام ٦٣٢ق.م حين حاول (كيلون)Cylon([١٤]) أحد أشراف اثينا أن يقلّد صهره (ثياجنيس) طاغية مدينة (ميجارا)Megara([١٥]) ويصبح هو الآخر طاغية على أثينا([١٦]), غير أن الزرّاع لم ينضموا الى حزبه وبذلك قوي الأشراف وحاصروه إلى ان نفد ما عنده من القوت([١٧]), فأحُبطت هذه العمليةُ وفرَّ كيلون وأخوه ليحتمي بصهره في ميجارا ([١٨]) . وقد لجأ أتباع كيلون بسبب طغيانهم إلى مذبح الإلهة أثينا ففتك بهم أصحاب (مغكليس) حاكم أثينا آنذاك([١٩]). وعقب تلك الأحداث وقع الشغب والاضطراب بين الأعيان وجمهور الشعب حقبة طويلة من الزمن لأن نظامهم السياسي كان نظام حكم الأقلية في كلّ اتجاهاته وبالرغم من ذلك ما أنفك الفقراء مستعبدين للأثرياء هم وبنوهم ونسائهم وقد كانوا يدعون (صنائع) أو (أولي السدس)؛ لأنهم كانوا يستثمرون حقول الأغنياء لقاء تلك الأجرة([٢٠]), فرأوا أنهم خذلوا من كان لهم نصيراً وحنقوا على (مغكليس) رئيس أُسرة (الألكميونيين) الذي قام بتلك المذبحة وانفجر بركان غضبهم فثاروا وأصدروا حكماً بنفي الألكميونيين([٢١]).

إنّ هذه الاوضاع المُضطربة كانت بحاجة إلى محاولات إصلاحية لتقويمها وإعادة التوازن إليها وقد استجاب الأثينيون إلى ذلك التحدي ، وأَتوا بمصلح فوضوه صلاحية وضع قوانين جدّيّة تضبط إيقاع المجتمع وتردع الخارجين على القانون ، وهذا المصلح الجديد يدعى (دراكون) الذي وضع مجموعة قوانين رادعة ، جعلت من عقوبة الإعدام عقاب لأي خروج أو انتهاك للقانون، لكن مردود هذه القوانين التي وضعها دراكون عام ٦٢١ق.م لم تكن ناجحة ولم تتحسن الأحوال كثيراً أو قليلاً في دولة مدينة أثينا ربما لأن قوانين دراكون اكتفت بالقضاء على أعراض المرض من دون أن تعالج أسبابه ودواعيه وحتى على المستوى

الخارجي لقيت أثينا هزيمة على يد ميجارا وقواته ، وفقدت جزيرة سلاميس وعندما لم تضع قوانين دراكون أي حل للمشكلات المتفاقمة التي تزداد تعقيداً ، وأضحت الحاجة مُلّحة إلى مصلح يتمكن من معالجة الاوضاع المضطربة . ذلك هو (صولون)(٦٤٠ _ ٥٦٠ ق.م)([٢٢]) المشهور الذي كان من التُّجّار المثرين وينتسب الى إحدى الأسر الملكية القديمة، وقد اكتسب شهرة وزعامة عند الأثينيين على أثر حرب نشأت بين أثينا واحدى الدويلات المجاورة فأثار صولون حماس قومه وتزعمهم فانتصروا على اعدائهم ، وجازوا زعيمهم بأنتخابه (أرخوناً) (أي القاضي او الحاكم الأعلى)عام (٥٩٤ق.م) ، وخولوه السلطة المطلقة للإصلاح العام وبوجه خاص رفع الظلم عن الفلاحين والزُرّاع وقد أصدر صولون في سبيل الإصلاح قانوناً اشتهر باسمه ([٢٣]), إذ وضع بهذه القوانين حجر الاساس الديمقراطية الإغريقية ، بما أدخل من إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية قضت على نظام الحكم الارستقراطي وأعطت للطبقة الشعبية دورها في نظام الحكم وتسيير شؤون الدولة، فشارك المواطنون في الجمعية الشعبية الإكليزيا (ECCLESIA) ([٢٤]) كما أنشأ صولون المحاكم الشعبية التي كانت تختار أعضاءها من بين عامة المواطنين([٢٥]) . إلّا أنه بعد أن وضع قوانينه تزاحم على بابه كثير من أبناء أمته وكلّ يبدي رأياً أو اعتراضاً ومنهم من يطلب تبديلاً, فسئم ذلك الإلحاح ورغب في الارتحال عن البلاد ليترك للناس حرية العمل بسنته([٢٦]), فلما بلغ عام ٥٧٢ ق.م وبعد أن بلغ سن السادسة والستين من عمره آثر الحياة الخاصة واعتزال المنصب ، بعد أن ظل أرخوناً خمساً وعشرين عاماً([٢٧]), فافترقت الأمة أحزاباً فنشأت بينها الاختلافات واحتدمت المجادلات([٢٨]), فانتهز هذه الظروف مغامر كبير يدعى (بيسستراتوس) وبعد سنوات من الصراع الحزبي بين الأثينيين عقب فشل تشريعات صولون وانقسام الأثينيين إلى ثلاثة أحزاب([٢٩]), تمثلت في أولاً :- **<u>حزب الجبل</u>** هو حزب كان يترأسه بيسستراتوس ويضم هذا الحزب مَنْ يسكنون في سفوح جبلي بنتيليكوس و هيميتيوس والمنطقة المتاخمة لهما, كان أعضائه من الرعاة الفقراء الذين لم يكن لديهم ما يكفي من قوت العيش, فانحصر همهم في تغيير الأوضاع السياسية لتحسين أحوالهم. ثانياً : **<u>حزب السهل</u>** الذي كان يترأسه كل من لكورغس ومغكليس وجل أعضائه من سكان السهول, وهم كبار ملاك الأراضي الذين انحصر هدفهم في الاحتفاظ بالسلطة الرئيسة في أيديهم.

ثالثاً : **حزب الساحل** وانصاره من سكان البلاد المتاخمة للبحر, الذين يمثلون المصالح التجارية ويشكلون موقفاً وسطاً أو متوازناً من الحزبين الآخرين([٣٠]). والذي يترأسه والد(كليسثينس)، وعميد أسرة (الألكميون)([٣١]), انحاز بيسستراتوس إلى حزب الجبل الذي يشكل ألاغلبية آنذاك ، على الرغم كونه من الأشراف ، وذلك بحكم جوار أرض أبيه بأراضي هذه الفئة في المنطقة الجبلية شرق أتيكا. وقد برز بيسستراتوس على الساحة السياسية نحو العام ٥٦٥ق.م. حين أحرز انتصاراً على الميجاريين _ بصفته الأرخون العسكري آنذاك _ واحتلّ أكبر موانئهم. وفي العام ٥٦١ق.م. زعم بيسستراتوس لأنصاره من الشعبيين أن خصومه السياسيين قد اعتدوا عليه ، ممّا دفع أنصاره يعينون له حراساً شخصيين مسلحين بالهراوات. وقد استغل بيسستراتوس حراسه في الاستيلاء على الأكروبوليس([٣٢])، بما وصل إليه ليكون(طاغية) على أثينا بالقوة . إلاّ أن خصومه السياسيين من حزب السهل وحزب الساحل لم يدعوه يهنأ بهذا الوضع وسرعان ما نفي ، وهناك تحالف مع زعيم حزب الساحل مغكليس وعقدا معاً صفقة يتزوج بيسستراتوس بمقتضاها ابنة مغكليس نظير أن يسمح له مغكليس بالعودة إلى الحكم كطاغية في أثينا. ودبرّا خدعةً لعودته بأن تشبهت سيدة بالإلهة أثينا وعادت مع بيسستراتوس في عربته على أنها الإلهة أثينا تعيد بيسستراتوس لمدينتها وقد أنطلت هذه الخدعة على الأثينيين على الرغم من ذكائهم وهو ما أثار سُخرّية وتقريع هيرودوت لهم وهو يروي تلك الحادثة المؤرخة في العام ٥٥١ق.م تقريباً([٣٣]), إذ يقول هيرودوت :((ثم مضى الرجلان _ أي مغكليس وبيسستراتوس _ لتدبير أمر استعادة بيسستراتوس السلطة في أثينا وكان ما تفتق عنه فكرهما من أسخف ما بلغني من أخبار الماضي . إذ اتفقوا على أن تقوم امرأة تعرف بفايا, وكانت طويلة القامة عريضة المنكبين, ذات شكل حَسَن بالدعوة له بأن ألبسوها درعاً وخوذة, وقاموا بتدريبها على السير على نحو خاص يلائم دورها الذي شاؤوه لها, ثم أركبوها عربة تجرها الجياد, وأخذت تدور في أرجاء المدينة, وهي تعلو بصوتها: " يا أبناء أثينا عليكم ببيسستراتوس, استدعوه بعقول عامرة بالود. فأثينا إلهة النصر قد عادت به وأدخلته قلعتها وسرت صيحتها بين الناس, وصدق أهل المدينة أن تلك هي إلهة حقيقية لا ريب فيها, وانحنوا أمامها, وعملوا بما أمرت وأعادوا بيسستراتوس إلى العرش"([٣٤]), ولكن بيسستراتوس لم يفِ بوعده مع مغكليس حين رفض أن

تكون له ذرية من ابنته (بصفتها من ذرية الألكميون الملعونة بعد حادثة قتل أعوان كيلون على أعتاب المذبح المقدس عام ٦٣٢ق.م) . وهو الأمر الذي أثار حفيظة مغكليس الذي طرد بيسستراتوس ثانية إلى المنفى حتى عام ٥٩٦ق.م؛وسرعان ما عاد ظافراً وانتصاره على خصومه السياسيين بقوة السلاح ، ظلّ بيسستراوس يحكم أثينا كطاغية حتى وفاته عام ٥٢٧ق.م([٣٥]). ومع ذلك لم يستعمل ، الشدة والقسوة بل نصر العلم والعلماء والأدب والأدباء وأقام الآثار وجمّل المدينة والمباني, وأسس أول مكتبة عمومية في اليونان وعُني بجمع أشعار هوميروس فأن الالياذة والأوديسة كانتا محفوظتين لذلك الحين في صدور الحداة الذين يطوفون البلاد ويتغنون بهما ، ولما مات بيسستراتوس والامة عنه راضية لعطفه عليها وحبّه لها قام بالأمر بعده أولاده : هيبارخوس Hipparchus, وهيبياس Hippias حكماً ثنائياً من دون أدنى معارضة, وحذوا حذو أبيهم في الحكم أولاً ثم نسوا أنهم صنيعة العامة وأن دعامة سلطانهم رضا الأمة, فتكبروا وشمخوا بأنوفهم وساموا الناس الخف حتى سئموا حكمهم وتآمروا على قتلهم([٣٦]). وحدث أن كان الأخوان هيبياس وهيبارخوس على صداقة بشابين من النبلاء هما هارموديوس Harmodius وأرستوجيتون Aristogeiton وحدث أن اختلف هذان النبيلان معهما فقررا اغتيالهما فانتهزا مهرجان الباناثنيا الكبير([٣٧])، عام ٥١٤ ق.م إذ كان يسمح فيه بحمل السلاح دون قيود ؛ لأن الحياة في أثينا في عصر أسرة بيسستراتوس كانت مؤمنة وهادئة ولم يتمكن هذان النبيلان إلّا من قتل هيبارخوس الأخ الصغير ، وقد قتل الحارس هارموديوس عقب اغتياله لهيبارخوس، أمّا زميله أرستوجيتون فقد قُبض عليه وتوفي على اثر التعذيب. فكانت تلك نقطة التحوّل من الحكم الانفرادي المستتير إلى الحكم الانفرادي الدموي والذي يتمثل فيه بحق الطغيان؛ لأن هيبياس أنتقم لمقتل أخيه بقوة وعمل الخوف عمله في تشدده وشكوكه وبطشه, فكان حاكماً عنيفاً وكابتاً للحريات الشخصية . أمّا النبيلان هارموديوس و أرستوجيتون فقد اعتبرا بطلين مخلصين كُرّما فيما بعد ، فأُقيم لهما تمثالان فوق مبنى الأكروبوليس([٣٨]).

ومنذ تلك اللحظة تحوّل هيبياس الى حاكم طاغية ، سيطرت عليه الهواجس ولجأ إلى نفي خصومه السياسيين وأعدم غيرهم, وعلى الرغم من الصداقة التي كانت تربط إسبرطة بطغاة أثينا على عهد بيسستراتوس وأولاده فإن نبوءة وحي الإله أبولو في دلفي كانت ترد

على أي قادم من إسبرطة لاستشارة الوحي في أي أمر رداً مكرراً هو " عليكم بتحرير أثينا أولاً " ونتيجة لذلك تغير موقف إسبرطة من طغاة أثينا وتمثل كما يقول هيرودوتس في الرأي القائل : (إن أوامر الإله أجدر بالاهتمام من علاقات البشر) وهكذا ساعدت إسبرطة أثينا في طرد الطاغية هيبياس من أثينا ونفيه من خارجها على مدى محاولتين في العامين ٥١١ق.م و٥١٠ق.م فشلت في الاولى ونجحت في الثانية([٣٩]).

المبحث الثاني : (وصول كليسثينس الى الحكم سنة ٥٠٧ ق.م وتوطيد الديمقراطية)

أثناء هذه الأحداث رأت أسرة الألكميون التي كان أفرادها يعيشون بالمنفى منذ مدة طويلة([٤٠])؛ إذ سبق أن صدر عليها حكم باللعنة والنفي حين قتل أعوان كيلون من قبل الأرخون (مغكليس) في عام٦٣٢ق.م كان ذلك على عتبات المذبح المقدس كما أسلفنا، أن الفرصة مواتية للخلاص من الحكم الفردي الدكتاتوري, فقامت تلك الأسرة باعداد جيشٍ تتأهب فيه للهجوم على دولة مدينة أثينا([٤١]). وكان كليسثينس ، وهو ابن مغكليس الذي كان رئيساً لحزب الساحل ، وقد تزوج مغكليس بنت طاغية عظيم السطوة في مدينة سكيون يقال له: (كليسثينس) فسمّى ولده بإسمه رئيس الأسرة, من دهاة رجال السياسة عرف كيف يستميل الناس إليه برشوة العرّافين حتى صاروا كلما جاء الإسبرطيون يطلبون المشورة لا يجيبوهم بأكثر من جملة واحدة وهي:(أنقذوا أثينا قبل كل شيء) ، والحقيقة لم يكن من الصعب على كليسثينس أن يتفق مع الإسبرطيين في كل مكان([٤٢]). وهكذا استطاع كليسثينس أن يتغلب في سنة ٥١٠ق.م بمساعدة الجيش الإسبرطي([٤٣]), إذ قام ملكهم كليومينس الأول بقيادة جيش سار إلى دولة مدينة أثينا وطرد الطاغية هيبياس في عام ٥١٠ق.م ([٤٤]). الذي نُفي إلى منطقة سيجيون, التي تقع على الشاطئ الآسيوي لمضيق الدردنيل ضمن مناطق نفوذ الإمبراطورية الأخمينية([٤٥]), إذ التجأ إلى قصر ملك الفرس الاخميني دارا الأول (٥٢١-٤٨٦ق.م) آملاً في حثه على إعادته إلى الحكم مرة أخرى([٤٦]).

وعلى الرغم من أن إسبرطة _بزعامة ملكها كليومنيس الأول_ هي من أدى الدور الأبرز في طرد الطاغية هيبياس في عام ٥١٠ق.م ، وكانت أكثر تحمساً لشخصية أرستقراطية أخرى هي([٤٧]), (إيساجوراس بن تيزاندروس) الذي يدعى إلى الحكم الأرستقراطي القديم([٤٨]). بينما كليسثينس أخذ يدافع عن دستور صولون والنظام الديمقراطي وفي

الانتخابات لمنصب الحاكم انتصر إيساجوراس فأسرع وحذف من جداول المواطنين أسماء جميع الأشخاص الذين كانوا قد نالوا حق الانتخاب في عهد بيسستراتوس وبذلك سهل على كليسثينس أن يجمع حوّله عدد من الأنصار ، لاسيما ممن كان يكره الحكم الأرستقراطي أكثر ممّا تحب الدكتاتورية كما يدّعي أرسطو بأن كليسثينس رغم انتمائه لأكبر الأسر النبيلة, إنما انضمّ إلى حزب الشعب في سبيل تحقيق مطامعه الشخصية . ومهما كان السبب فإنه قد انماز بدفاعه عن حقوق الشعب وتغلبه على الحزب الأرستقراطي, وقد طلب إيساجوراس مساعدة الإسبرطيين الذين أرسلوا جيشاً بقيادة الملك كليومينس([٤٩]), فهرب كليسثينس مع عدد قليل من انصاره ، بعدها نفى كليومينس على اثر ذلك سبعمائة أسرة أثينية, وحاول بعد ذلك أن يجعل الحكم إلى إيساجوراس وثلثمائة من أصحابه. إلا أنّ الشعب رفض ذلك وجمع قوته وحاصر كليومينس وأيساجوراس وأنصارهما بعد أن لجئوا إلى الأكروبوليس ثم سمح لهم بالخروج لهما بمقتضى هدنة, ودعا كليسثينس والمنفيين, فلما استرد الشعب سلطانه أوكل الأمر إلى كليسثينس([٥٠]), إذ استولى نهائياً على مقاليد الحكم سنة ٥٠٧ ق.([٥١]).

إذاً فإن جموع الأثينيين وقفت في أغلبها مع كليسثينس رغم معارضة إسبرطة وملكها, ونجحت في تنصيبه أرخوناً في عام ٥٠٧ق.م . ويرجع سبب حماس الأثينيين لكليسثينس الى أنه وعدهم بإصلاحات سياسية جذرية تصب في مصلحة أغلبية الشعب([٥٢]), إذ كان كليسثينس يتصف بذكاء حاد وإرادة قوية ، يجمع بين التفكير المنطقي الدقيق والاندفاع الى العمل الحازم السريع, نراه من جهة يسعى مثل صولون إلى المحافظة على كلّ ما يعتقد بصلاحه من المؤسسات والأنظمة السائدة لكنه لا يحجم من جهة ثانية عن أي تغير تتطلبه الأوضاع المتجددة. وقد سار في طريق التطور إلى حد يجعلنا نصف إصلاحاته بأنها كانت ثورة حقيقية . فإذا كان صولون أبو الديمقراطية, فإن كليسثينس حاميها وهو الذي يجهزها بالأسلحة اللازمة للانتصار أولاً: على الأرستقراطية التي كانت تكافحها منذ مدة طويلة , وثانياً: على الدكتاتورية التي أخذت مؤخراً تنتهز كل فرصة للقضاء على حرية الشعب([٥٣]).

المبحث الثاني: توطيد الديمقراطية في أثينا(٥٠٧ _ مطلع القرن الخامس ق.م)

أولاً : أعمال و إصلاحات كليستينس لتحقيق الديمقراطية

انقسم سكان إقليم أتيكا قبل ظهور كليستينس على مسرح الأحداث السياسية إلى أربع قبائل، وتضم كل قبيلة بضع أسر كبيرة تتوارث الزعامة منذ عصور قديمة, ومن هذه الأسر تتألف طبقة النُبلاء التي تُسيطر بالاستناد إلى ثروتها وكثرة أتباعها على سائر أفراد القبائل, وتفرض إرادتها عند انتخاب الأعضاء لمجلس الأربعمائة وبهدف تجريد النُبلاء من أهم وسيلة كانوا يستثمرونها لفرض سيطرتهم ، وهي العصبية القبلية والعائلية, وقد اتخذ كليستينس عدة إصلاحات ثورية مهمة للحيلولة دون الحكم الفردي, لتوطيد النظام الشعبي الديمقراطي([٥٤]). إذ بدأ بالعمل على وضع دستوره الجديد حوالي سنة ٥٠٣– ٥٠٢ ق.م([٥٥]), ومن أهم هذه الإصلاحات :-

- **إصلاحاته الاجتماعية:**

أولاً : قَسّم جميع المواطنين على عشرة قبائل, عوضاً عن الأربع السابقة، وقد أراد بذلك أن يشرُك عدد أكبر منهم في الحكم([٥٦]), وذلك بقبولهم ضمن هيئة المواطنين؛ إذ قسم الناس في القبائل والأحياء بحسب وحداتهم الإدارية, ولم يقسمهم حسب المولد ، كما كان معمولاً فيه, لذلك لم يكن هناك أي وزن للمولد وفقدت الآن القبيلة معناها الأصلي, فهي لم تُعدّ تدل على جماعة ترجع بأصولها الى جد واحد وتربط بينها صلة النسب والحسب أو تسكن في بقعة واحدة, وإنما أصبحت تطلق على وحدة إدارية مختلفة الروابط الاجتماعية .

ثانياً : قَسَّم " كليستينس " هذه القبائل على مائة جماعة لكل منها مجلس ورئيس, وهذا الرئيس هو الذي يحفظ جداول المواطنين المنتسبين إلى الجماعة, ويسجل أسماء الناشئين عندما يبلغون السابعة عشرة من العمر([٥٧]).

ثالثاً : قَسَّم الأرض الى ثلاثين (ديموس)Demous أي" قطاع "، عشرة حول المدينة وعشرة في (بارااليا) أي "الساحل " وعشرة في (ميزوجيا) أي "أتيكا الوسطى" ومعنى الكلمة الحرفي "وسط الأرض" وهذه الأقسام وزعت على القبائل العشر([٥٨]),إذ منح القبيلة ثلاث قطاعات بالقرعة, كي تشترك كل قبيلة بكلّ أنواع الاراضي([٥٩]). وبتعبير ادق كانت تتكون كل قبيلة من القبائل العشرة من ثلاثة أثلاث، ثلث من سكان المدينة وثلث من سكان الساحل وثلث

من المزارعين الذين يعيشون في الداخل . وقد نتج عن ذلك أنّ كليسثينس لم يترك شيئاً من الأقسام الإدارية القديمة([٦٠]) .

رابعاً : وضعت تلك الاصلاحات رؤساء الأحياء "الديموسي" وتم تكلّيفهم بمهمة أصحاب الإمارات البحرية الأسبقين, إذ أبدل الإمارات البحرية بالأحياء (الديموس)([٦١]), أما أسماء هذه الأحياء فقد استعارها من أسماء الأماكن, أو من أسماء الأشخاص الذين أنشأوا القرى؛ ذلك لأن كثيراً من أسماء هذه الأحياء لم تكن ذات أسم لها تعرف به من قبل([٦٢]).

خامساً : حدد كليسثينس حق المواطنة لكلّ فرد وفق تسجيله في الديموس الذي كان يسكنه عام ٥٠٧ق.م وهي سنة صدور القانون , ونشأ عن هذا الإجراء أن توزعت الأُسر الكبيرة على عدة (ديمات) حسب ظروف سكنى أفرادها في ذلك العام, وهكذا انكسرت رابطة النسب القديم, وضعف تأثير الأسر الكبيرة على عملية التصويت والانتخابات. كما أصبح لزاماً على كل مواطن أن ينتسب الى الديموس المسجل فيه, وليس لعشيرته ونسبه, وكان هذا الانتخاب للديموس وراثياً, دون التزام باستمرار السكن فيه, فمهما تغيرت إقامة الأسرة, ظلت منتمية الى الديموس الذي سجلت فيه أول مرة سنة ٥٠٧ق.م ([٦٣]). كان مثل هذا الإصلاح, يمثل الضربة الحقيقية التي وجهت إلى النظام الارستقراطي؛ إذ أن التقسيم الجديد قام على رابطة المكان وليس الدم أو الثروة([٦٤]).

ولم يرَ أرسطو من بين جميع الوسائل الخاصة لإضعاف الحكم الأرستقراطي وإشهار النظام الشعبي الديمقراطي, وسيلة أنجح من هذه الوسائل التي اتّبعها كليسثينس فيقول : (إذا ما أريد تأسيس حكم العامة (الديمقراطية) وجب أن يُعمل ما عمله كليسثينس عند الأثينيين, تقام قبائل جديدة, ويستبدل بقرابين الأسر الوراثية, بقرابين مباحة لجميع الناس, وتمزج بقدر الاستطاعة علاقات الناس فيما بينهم مع العناية بتحطيم كل الجماعات السالفة)([٦٥]).

كما أدرك أرسطو أيضاً الأبعاد الاجتماعية والسياسية لهذا التنظيم, فوصفه في عبارة ذات دلالة، فيقول فيها: (إن كليسثينس جعل انتماء الأهالي الى الديموس بمثابة رابط أخوّة بينهم, إذ إنَّ أبناء الديمات المختلفة _ تجنباً لإحراج المواطنين الجدد_ لا يخاطب بعضهم بعضاً بأسماء آبائهم, بل بأسماء الأحياء التي ينتمون إليها, وقد أستمر الأثينيون يتخاطبون فيما بينهم باسم الديموس ولكنه سمح للجميع بالمحافظة على صلاتهم الأسرية الخاصة)

وتشير عبارة أرسطو إلى أي مدى ذهب كليسثينس في تحقيق أعلى درجة ممكنة من الشعور بالمساواة بين المواطنين, فلا تمييز بين المواطنين الجدُدّ وقدامى المواطنين كما منعهم من التفتيش في أصول القبائل، فالكل في المواطنة سواء([٦٦]).

ـ إصلاحاته في مجال هيئات السلطة التشريعية :

أولاً : زاد كليسثينس من عدد مجلس الشورى (مجلس الأربعمائة) فجعله خمسمائة ([٦٧]), إذ يمثل كل قبيلة من القبائل العشر الجديدة خمسون عضواً وكان اختيار هؤلاء الخمسين من كل قبيلة عن طريق القرعة سنوياً ، على أن يكونوا من المواطنين الأحرار الذكور ممّن هم فوق سن الثلاثين, على ألاّ ينال مواطن هذا الشرف أكثر من مرتين على مدى حياته([٦٨]), أمّا طريقة اختيارهم فكانت تمرّ بمرحلتين الانتخاب ثم القرعة, ويُعتقد أن هذا الأسلوب أضعف كثيراً من تأثير أصحاب النفوذ, وبعد الانتهاء من عملية الانتخاب بالقرعة يخضع الأعضاء الخمسمائة إلى اختبار يتضمن التثبت من صلاحية كل مندوب وصحة تسجيله في ديموس, ويتم اختيار بديل عن كل من رفضت عضويته من بين من لم تصبه القرعة السابقة, وبعد إتمام هذه الإجراءات, يتولى المجلس الجديد مهامه لمدة سنة, وبقيت مهماته كما هي التي حددها صولون . لاسيّما إعداد إقرار جميع الموضوعات والقرارات التي تُعرض على الجمعية العامة (الإكليزيا) ليصدر فيها قراراً نهائياً؛ ولكن كليسثينس زاد من اختصاصاته كثيراً في مجال الإشراف على كثير من مرافق الدولة وشؤون الأسطول ومساءلة كثير من المسؤولين الإداريين حول سلامة ما يقومون به من أعمال([٦٩]).

ثانياً : قَسَّم كليسثينس (مجلس الخمسمائة) إلى لجان بعدد القبائل العشر, فكانت القبائل العشر تتناوب على رئاسة المجلس على مدار العام إذ تترأسه كل قبيلة لمدة (٣٦يوماً) تقريباً بصورة متساوية([٧٠]), وتتعاقب لجان القبائل على هذا النحو على مدار السنة ويتم اختيار رئيس اللجنة التي تمثل القبيلة لمدة يوم واحد فقط, وهذه اللجان هي التي تقرر عقد اجتماع خاص(لمجلس الخمسمائة) وهي التي تدعو الجمعية العامة (الإكليزيا) للانعقاد. وتجلّت شدة العنصر الديمقراطي في هذا المجلس, بإن القانون حدد أن أي مواطن لا يكون عضواً أكثر من مرتين ولا يكون رئيس لجنة أكثر من مرة واحدة بين سن الثلاثين والستين. وهذا العنصر الديمقراطي أدى الى أن يدخل أكبر عدد من المواطنين كأعضاء في هذا المجلس

الذي أصبح مركزاً لتدريب المواطنين على تحمل أعباء الإدارة في الدولة, مما سيؤهلهم الى لتحمّل مسؤوليات أكثر فيما بعد([٧١]) .

ثالثاً : أما الجمعية العامة (الإكليزيا) والتي هي عبارة عن تجمع شعبي للمواطنين الاحرار في دولة مدينة أثينا, يملك هذا التجمع سلطات متنوعة لحكومة المدينة, ويمنح أعضاؤه عدد من الصلاحيات داخل التجمع كحق إبداء الرأي, وحق اقتراح ومناقشة المواضيع التي تطرح في الجلسات, إلى جانب حق التصويت على القرارات التي تعرض في الإكليزيا. (ولو رجعنا للمعنى الاصطلاحي لكلمة الإكليزيا (ECCLESIA) نجد أن المرادف لها يأتي بمعنى التجمع, وحين نحاول البحث عن تفسير كلمة الإكليزيا في اللغة اليونانية نجدها تنقسم الى قسمين (ECC =وتعني خارج) (kaleo= وتعني الدعوة أو النداء), بمعنى جماعة المدعوين الى الخارج, أي أن هذا التجمع كان يتم النداء والدعوة لأعضائه من المواطنين لحضوره)([٧٢]), فنجد أن وضعها قد تغير لسببين أساسيين: الأول: زيادة عدد أعضائها بعد أن دخل في هيئة المواطنين كثيرون كانوا محرومين من المواطنة. والثاني: أن النظام الانتخابي الشديد بوساطة الديموس(الأحياء), جعل (الإكليزيا) بوصفها تضم جميع المواطنين أساس كل عملية انتخابية في الدولة في ظل إحساس عام من الحرية والمساواة. ونظراً لأن أعضاء منه يمثلون الهيئة القضائية العليا في الدولة([٧٣]).

وكانت مناقشة مثل هذه الأمور والوصول الى قرارات في الجمعية يتم بمقتضى جدول الأعمال المُعد سلفاً من جانب مجلس الخمسمائة. ولم يكن يُسمح لأي عضو(مواطن)بإضافة أي موضوع غير تلك الموضوعات المدرجة في جدول الأعمال , وذلك لتجنب أي قرارات مفاجئة وغير مدروسة([٧٤]).

خامساً : أصدر كليسثينس قانون النفي السياسي والذي يمنح بموجبه (الإكليزيا) حق النفي السياسي ضد السياسيين الطموحين, أي لكل من يخشى خطره على سلامة الدستور. فكان يحق لأي مواطن أن يتقدم باقتراح ضد السياسي الذي يعدّه خطراً على الدستور, فإذا أقرت (لجنة الخمسمائة) أي مجلس الشورى الاقتراح, لزم عرضه على (الإكليزيا)في اجتماع خاص, وإذا وافق عليه ستة آلاف مواطن, نفي الشخص المتهم لمدة عشر سنوات, دون أن تسقط عنه حق المواطنة, ودون أن يفقد ممتلكاته في الدولة([٧٥]). وكانت طريقتهم في الاقتراع

أن كل مصوت يلتقط كسرة من آنية من الفخار ويكتب فيها اسم الشخص الذي يعتقد أنه خطر على حياة الشعب وتودع تلك الكسرة في وعاء من الفخار (صندوق الإنتخاب). ولمّا كانوا يسمون الكسرة من الفخار (أوستراخونostracon) فإنهم اشتقوا منها فعلاً (مثل الانكليزية (ostracise) ليعني نفي ذلك الشخص وإنهاء عمله السياسي([٧٦]). وكانت الحالة الأولى التي طُبق فيها قانون النفي السياسي في عام ٤٨٧ق.م على أحد أقارب الطاغية هيبياس([٧٧]), وهو هيبرخس بن خارمس الكليتي ومن أجله خصوصاً وضع كليسثينس هذا القانون, لأنه كان ينبغي طرده . إذ إن الأثينيين, استناداً الى وداعة الشعب المألوفة, كانوا يسمحون لأصدقاء الطغاة, ممن لم يقترفوا ذنوباً في الاضطرابات, أن يقطنوا المدينة . وقد كان هيبرخس زعيمهم ومرشدهم([٧٨]), وطبق على حالات كثيرة على مدى القرن الخامس ق.م , وأسيء تطبيقه في بعض الحالات([٧٩]), وإذ كان يستغل أحياناً للتخلص من بعض الأشخاص الذين يخشى منهم على بعض الزعامات الحزبية إلا أنه وقف حائلاً دون أي انتكاسه قد تُصيب نظام الحكم الأثيني لتعود به الى الحكم الفردي([٨٠]), وربمّا كانت آخر حالات تطبيقه في عام ٤١٧ق.م([٨١]).

سادساً : أبقى كليسثينس على تقليد وحيد من النظام القديم وهو أنه جعل المناصب العليا (الأراخنة الحكام والمشرفين على خزانة الدولة) من بين الأثرياء ممّن يحوزون نصاباً أو دخلاً (مالياً أو عينياً) يجعلهم من بين أفراد الطبقتين الاولى والثانية بمعيار الثروة الذي كان مقداره ٥٠٠ دراخمة وفق قوانين صولون في بداية القرن السادس ق.م (الطبقة الاولى ممن يزيد دخلهم السنوي على معيار من القمح, والطبقة الثانية ممّن يتراوح دخل الفرد السنوي فيها بين ٣٠٠ دراخمة وأقل من ٥٠٠معيار). ومن المرجح أن السبب في ذلك أن تلك المناصب الشرفية التنفيذية كانت تستلزم أُناساً من الأثرياء لا ينشغلون عن مهامهم الجسام بالبحث عن لقمة العيش وأعباء الحياة المادية([٨٢]).

هذه هي أهم معالم النظم والتشريعات التي استخدمها كليسثينس, والتي يرى أرسطو أنها جعلت نظام أثينا السياسي أكثر ديمقراطية ممّا كان في ظل دستور صولون؛ لأنها زادت كثيراً من نصيب الشعب ودوره في مباشرة شؤون الدولة وجعلته يشعر أنه صاحب رأي فعّال, ومسؤول مسؤولية كاملة في توجيه سياسة الدولة, وقد أدرك أنه لا سبيل إلى توحيد الكلمة

وتأمين الانسجام بين المواطنين إلّا بتطبيق المبادئ الديمقراطية من قبيل الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية على أوسع مقياس ممكن. ويجب الاعتراف بأن الفضل يعود إلى كليسثينس في إتمام عمل صولون, فإن إصلاحاته قد جعلت الشعب يتولى بالفعل السلطة الحقيقية في الدولة.

ومن الجدير بالذكر أن الامتيازات الديمقراطية التي اكتسبها سكان أتيكا في ولاية كليسثينس لم يتمتع بها كل السكان بل كانت مقصورة على من اكتسبوا لقب مواطنين (POLITAI بوليتا) ولم يعترف الدستور الأثيني بمواطنية النساء والعبيد والصنّاع والحرفيين ذوي الأصول غير الأتيكية, وإن كانوا من أصل إغريقي, وأطلق على كل واحد من هؤلاء لقب (ASTAIOS) بمعنى قاطن أو ساكن لا يتمتع بحقوق المواطن العادي الحر الذي كان يتمتع بحرية الكلمة من خلال المجالس التشريعية والمساواة التامة بين المواطنين في ظل القانون وهي إحدى صور الحكم . تلك هي الديمقراطية الأثينية, أضيق الديمقراطيات وأكملها في التاريخ, لقد كانت أضيقها لقلة عدد من يشتركون في امتيازاتها, وأكملها لأنها تتيح لجميع المواطنين على قدم المساواة فرصة السيطرة بأنفسهم على التشريع وتصريف شؤون الدولة([٨٣]).

هذه إذاً كانت أهم ملامح النظام الديمقراطي الذي أرسى قواعده كليسثينس ذلك المصلح الشهير ، الذي يُعدّ رائداً ومؤسساً للديمقراطية الأثينية الحقيقي طوال القرن الخامس ق.م.

ثانياً: التحديات التي واجهت حكم كليسثينس الديمقراطي

من الجدير بالذكر في هذا المقام أن الديمقراطية الأثينية الوليدة سرعان ما أثبتت شجاعتها وبثت روحاً من الحماسة والانتماء الشديد للوطن أثينا, تجلّت في موقف عصيب, إذ لم ترضخ إسبرطة لهذا الوضع الجديد المناوئ لمصالحها بعد صعود نجم كليسثينس على حساب ربيبها إيساجوراس بن تيزاندروس([٨٤]), وهو أحد الشخصيات الأرستقراطية في أثينا الذي كان يدعو إلى الحكم الأرستقراطي فبدأت الخصومة بين هاتين الشخصيتين ([٨٥]). وبما أن إسبرطة كانت تمثل الحكم الأوليغاركي في حين أن أثينا كانت بطلة الديمقراطية في بلاد اليونان([٨٦])، فقد ساندت إسبرطة إيساجوراس ، ويبدو ان إيساجوراس قد طلب من كليومينيس

ملك إسبرطة أن يعود بقواته ليطيح بكليستينس وينصبه مكانه واستجاب كليومينيس لطلبه فوجّه أمراً إلى أثينا بطرد كليستينس وعدد كبير من الأثينيين الذين وصفهم في أمره بـ(الملعونيين) وكان هذا برأي من إيساجوراس, ولقد وصل أمر كليومنيس بطرد كليستينس والملعونين في وقتٍ كان كليستينس قد غادر فيه أثينا طوعاً إلا ان مغادرته المدينة لم تحل دون قدوم كليومنيس إليها على رأس قوة صغيرة, وقيامه بطرد سبعمائة أسرة أثينية كان إيساجوراس قد عينها له في قائمة خاصة([٨٧]), لكن جموع العامة من الأثينيين تصدت لإيساجوراس وحليفه كليومينيس وحاصرتهما فوق الأكروبوليس لمدة يومين . وفي اليوم الثالث استسلم كليومينيس و إيساجوراس وتخليا عن كل أصدقائهما في مقابل السماح لهما بالمرور الآمن صوب إسبرطة([٨٨]), أمّا الآخرون الذين معهم فقد ساقهم الأثينيون الى السجن ونفذوا فيهم حكم الموت, استدعى الأثينيون بعد إعدام السجناء كليستينس والأسر السبعمائة التي طردها كليومنيس, ولما باتوا يدركون أنهم بذلك قد دخلوا في الحرب مع كليومنيس وإسبرطة, بعثوا بسفرائهم الى (ساردیس) إحدى المدن الفارسية(الاخمينية), آملين بتدعيم وضعهم بحلف مع الفرس (الاخمينيين). وفي ساردیس أبلغوا الرسالة المكلفين بها, فسألهم الحاكم أرتفرنيس بن هايستاسبيس (وهو أحد الحكام الاخمينيين (الفرس) وكان حينها حاكماً على مدينة ساردیس)([٨٩]), مَنْ يكون هؤلاء الأثينيون الذين يسعون للتحالف مع فارس؟ وفي أي مكان من العالم يعيشون؟ فلما أخبر بأمرهم, عرض موقف الفرس باقتضاب شديد بأن داريوس : دارا الأول ، الملك الأخميني الثالث يقبل بالحلف, إذا أظهر الأثينيون خضوعهم بتقديم الهدية المعتادة من التراب والماء, وإلا فالأفضل لهم أن يعودوا على أعقابهم الى بلدهم. ولقد كان هؤلاء السفراء في لهفة لعقد الحلف فبادروا بقبول شروط أرتفرنيس وعلى هذا نال هؤلاء السفراء أشد التعنيف عندما عادوا إلى أثينا([٩٠]). وكان كليومينس يقوم, في تلك الأثناء بتجنيد جيش من بلاد البيلوبونيز كلها([٩١]) الذي كانت إسبرطة تسيطر عليه ومعه جيش من بويوتيا Boeotia في شمال أتيكا ومن مدينة خالكيس([٩٢])، للرد على ما ناله من إهانة من الأثينيين قولاً وفعلاً. وكان هدفه من هذا الحشد, وإن حرص على كتمان سره, الانتقام من أثينا, وإعادة إيساجوراس إلى سدة الحكم طاغية على البلاد, وكان قد هرب من الأكروبوليس . فلما تمت له الاستعدادات واكتملت([٩٣]) إذ نسق مع كل من مدينة طيبة

وخالكيس لشن هجوم ثلاثي على أثينا من ثلاثة محاور في آن واحد عام ٥٠٦ ق.م, فشلت هذه الخطة وحالف النصر الأثينيين. فقد اكتشفت كورنثة _ من أعضاء حلف البيلوبونيز الذي تتزعمه أثينا _ نية إسبرطة في تنصيب إيساجوراس طاغية على أثينا, وهو ما ترفضه كورنثة وبقية أعضاء البيلوبونيز, ما جعلها تتخلى عن إسبرطة وترغمها على التخلي عن خطتها في مهاجمة أثينا(٩٤). كذلك كان شأن (ديمارتوس بن أريستون), وهو أحد الملكين إسبرطة والقائد المشارك في الحملة إذ لحق بالكورنثيين وانسحب من القتال, على الرغم من أنه لم يكن بينه وبين كليومنيس خلاف في أي وقت مضى. ولقد أدى هذا الاختلاف في السياسة بإسبرطة إلى سّن قانون جديد. وتفصيل ذلك أنّ القاعدة اقتضت قبل ذلك أن يخرج مَلِكا إسبرطة كلاهما مع الجيش, ثم حظر القانون هذا الأمر بعد تلك الواقعة, فنصّ على بقاء أحد المَلِكين في العاصمة, وكان هذان يرافقان الجيش حتى صدور هذا التشريع على سبيل المؤازرة. ولما رأت القوات الحليفة الأخرى الشقاق يدب بين ملكي إسبرطة, ثم إنسحاب الكورنثيين, تخلت هي أيضاً عن مواقعها وتركت الميدان. وهنا تصدت أثينا لطرفي المحور الآخرين طيبة وخالكيس بجرأة وبسالة ومعنويات عالية وألحقوا بهما هزيمة فادحة, فبعدما رأوا الجيش الغازي يتفرق متبعثراً على هذا الشكل المشين, وهمّوا بالزحف على الخالكيدونيين (سكان مدينة خالكيس) أولاً, لولا أن وجدوا البويوتيين(٩٥) يهرعون لنجدتهم, عند مضيق أوريبوس, فقرروا عندئذ التعامل معهم أولاً. وتحقق النصر المؤزر في المعركة, فقتلوا الجمع الغفير, وأسر منهم سبعمائة جندي, وقاتلوا في اليوم التالي الخالكيدونيين ودحروهم. وبعد هذا النصر وطنّوا أربعة آلاف رجل, وأقطعوا كل رجل منهم قطعة أرض من أراضي أصحاب الخيل كما يسمى الأثرياء الخالكيدونيون, وكان أخذهم الأسرى في هذه الموقعة الثانية ووضعوهم مع الأسرى السبعمائة البويوتيين, مكبلين بالأصفاد, تحت حراسة مشددة, ثم أُطلق سراحهم فيما بعد لقاء فدية قدرها مئتي دراخمة عن كل أسير. وقد علق الأثينيون تلك الأغلال على الجدران في الأكروبول(٩٦), وأنفق الأثينيون عشر الفدية في صنع عربة من البرونز ذات عجلات أربع, نذراً للإلهة أثينا, وقد نقشت عليها العبارات الآتية :

- قاتلت أثينا الخالكيدونيين والبيوتيين
- وقيدتهم بالسلاسل وسفحت كبرياءهم

- وكان السجن الكئيب مأواهم والفدية باهظة
- العشر أُنفق في صرح العربة المنتصبة هنا([٩٧]).

وفي العام التالي (العام ٥٠٥ ق.م) أسقط كيلومينيس إيساجوراس من حساباته ودعا إليه هيبياس – الذي سبق له هو أن أسقطه قبل خمسة أعوام – ووعده بأن يعيده إلى سدة الحكم. ولكن كورنثة خذلت إسبرطة ثانية وتكرر المشهد السابق وانحلّ جيش البيلوبونيز وعاد أدراجه من دون أن يحارب أثينا. لكن طيبة أرادت أن تثأر لنفسها من أثينا عن هزيمتها في العام السابق دون مساعدة من إسبرطة([٩٨]), فأرسلوا يسألون العرافة المشهورة في دلفي, فأتاهم جواب الكاهنة العرافة أنه لن يكون لهم الانتقام, إذا تصدوا لهم وحدهم دون عون: فعليهم أن يطرحوا الأمر للنقاش, كما قالت, (لتداورها الأصوات الكثيرة) وطلب العون من "الأقرب" وهكذا كان, فما إن عاد الرسل من دلفي حتى دعا حكام طيبة إلى اجتماع عام, وأعلنوا فيه ما أشارت له العرافة, ولقد عجب الناس حين سمعوا ما قالت به النصيحة من طلب المعونة من " الأقرب" إليهم, وهم يعلمون أن أقرب الجيران أهل تانجر وكورونيا وثيسبيا, وتساءلوا عن حقية معنى النصيحة. وأخذوا يقلبون النبوءة على وجوهها: ((إن هؤلاء الجيران ليسوا بحاجة قطعاً للسؤال, فطالما كانوا حلفاءنا وقاتلوا الى جانبنا ما دامت الحرب قائمة, وكانوا أصدق الحلفاء. فلعل النبوءة تنطوي على معنى آخر)). واستمر النقاش حيناً, وإذ بالمغزى الحقيقي يبرق فجأة في عقل أحد الحاضرين, فيصيح : ((أتصوّر أني عرفت حل اللغز. فلقد قيل إن لنهر الأسوبوس ابنتين, طيبة و إيجينا. وطيبة وإيجينا شقيقتان, وهذا ما تعنيه كلمة الأقرب. فقد أشار عليهم الإله بطلب العون من إيجينا, باعتبارها الأقرب, حسب المضمر في النبوءة, وكان أن رد الإيجيون بالاستجابة للطلب بإيفاد أبطالهم أبناء أياكوس. وعلى هذا الدعم القوي استند أهل طيبة في محاولتهم, إلا أنهم هزموا هزيمة نكراء أمام الأثينيين ([٩٩]), وهو نصر أثار دهشة الإغريق كلهم.

وهنا يعلق هيرودوت على هذا النصر ويربطه بقيمة الديموقراطية وما تبثه في النفوس من عزيمة وشجاعة، فيقول : ((وهكذا كانت أثينا تزداد قوة ومنعة وأثبتت, إذا شئتم دليلاً, مبلغ سمو المساواة أمام القانون, ليس على صعيد واحد وإنما على الأصعدة كافة, وآية ذلك أنهم لم يعرفوا النصر في حروبهم والجوار, حينما كانوا يعانون الاضطهاد على يد الطغاة, ثم

إذا بهم يثبتون, حين رفع عنهم نيره, أنهم أفضل المحاربين في العالم. وفي هذا البيان الساطع على أنهم كانوا يتعمدون التهرب من أداء الواجب في ساحة الحرب, كما يتعمد الأرقاء تفادي العمل في خدمة أسيادهم, طالما ظل, الأثينيون مقيدين بقيود الحاكم الطاغية, ثم ما إن فازوا بحريتهم حتى غدا كل فرد منهم معنياً بما يتصل بقضية حياته))([١٠٠]).

وعلى الرغم من أن كليسثينس لم يظهر في المصادر بعد العام ٥٠٧ ق.م بصورة واضحة، فالغموض يكتنف نهاية حياته، فلا ترد أخبار بتاتاً وهو ما يثير الفضول([١٠١]) . إذ ربما توفي بعد ذلك، ألا أن من الواضح أن الأثينيين قد كرموه وعرفوا قدره, إذ يروى أنه دفن في جنازة عامة مهيبة في (الكيرمايكوس) التي صارت مدفناً عاماً لأثينا في الجزء الشمالي الغربي من الأكروبوليس ([١٠٢]). وهناك مَنْ ذهب بالقول انه قد حكم عليه بالنفي بعد ما أرسل الوفد للتفاوض مع الاخمينيين لتقديم الدعم على الرغم من محاولاته التبرؤ من مبعوثيه لكنها باءت بالفشل ونتجه عن ذلك انسحابه من العملية السياسية بالكامل([١٠٣]) .

الاستنتاجات :

_ الديمقراطية الأثينية هي أول صور الديمقراطية في بلاد الاغريق وضُعت تقريباً في القرن الخامس قبل الميلاد في دولة مدينة أثينا (المعروفة ببوليس، وهي تضم أثينا اليونانية وإقليم أتيكا المحيط بها).

_ على الرغم من أن صولون هو أول من وضع بذرة الديمقراطية الأولى, إلا أن كليسثينس يُعد المؤسس الحقيقي للديمقراطية في العالم الاغريقي .

_ كسر كليسثينس شوكة الطبقة الثرية، التي كانت تتألف منها طبقة النبلاء التي تسيطر بالاستناد إلى ثروتها وكثرة أتباعها على سائر أفراد القبائل, وتفرض إرادتها عند انتخاب الأعضاء لمجلس الأربعمائة وبهدف تجريد النبلاء من أهم وسيلة كانوا يستثمرونها لفرض سيطرتهم وهي العصبية القبلية والعائلية.

_ اتَّخذَ كليسثينس عدة إصلاحات ثورية مهمة للحيلولة دون الحكم الفردي, لتوطيد النظام الشعبي الديمقراطي, إذ بدأ كليسثينس العمل على وضع دستوره الجديد حوالي سنة ٥٠٣– ٥٠٢ ق.م .

_ إنَّ كليستثينس جعل انتماء الأهالي إلى الديموس بمنزلة رابط أخوّة بينهم؛ إذ إنَّ أبناء الديمات المختلفة لا يخاطب بعضهم بعضاً بأسماء آبائهم, بل باسم الديموس المنتمي إليه الشخص, وقد استمرّ الأثينيون يتخاطبون فيما بينهم باسم الديموس ولكنه سمح للجميع بالمحافظة على صِلاتهم الأسرية الخاصة.

_ظهور فكرة الدوائر الانتخابية لأول مرّة في التاريخ، حسب التقسيم الانتخابي، وفق مقر سكن المواطنين الأحرار من الذكور .

– ظهور ما يسمى بالإنتماء القبلي بين أفراد المجتمع الإغريقي .

_ إنّ الديمقراطية الأثينية استطاعت أن تثبت شجاعتها وتبث روحاً من الحماسة والانتماء الشديد للوطن أثينا في نفوس الشعب الأثيني, عندما بدأ الصراع بين إيساجوراس بن تيزاندروس وهو أحد الشخصيات الأرستقراطية في أثينا الذي كان يدعوا إلى الحكم الأرستقراطي المؤيد من قبل إسبرطة وبين كليستثينس , إذ وقف الشعب الأثيني إلى جانب كليستثينس, وهذا ما يعزز للمواطن الاثيني رأيه الخاص به من دون قيود أو أجبار.

(المصادر والمراجع)

المصادر العربية :

١– الأحمد , سامي سعيد, **تاريخ الشرق الأدنى القديم إيران والأناضول**, (بغداد , وزارة التعليم العالي , ١٩٩٠م).

٢– سارة , خليل, **الإغريق تاريخهم ونظمهم وحضارتهم**, (دمشق , منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب , ٢٠٢١م).

٣– ـــــــــ, **تاريخ الإغريق**, (دمشق , منشورات جامعة دمشق , ٢٠١٥ م).

٤– الطائي , إبتهال عادل إبراهيم , **تاريخ الإغريق منذ فجر بزوغه وحتى نهاية عصر الإسكندر المقدوني** , (عمّان , دار الفكر , ٢٠١٤م).

٥– باقر, طه, **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**, (بيروت, دار الورّاق للنشر, ٢٠١١م),ج٢.

٦- بيير ديفانبيه وآخرون، **معجم الحضارة اليونانية القديمة**، تر: أحمد عبدالباسط حسن، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢م)، ج٢ .

٦- تومس، جورج، **إسخيلوس وأثينا دراسة في الأصول الاجتماعية للدراما**، تر: صالح جواد كاظم، (بغداد: وزارة الاعلام، ١٩٧٥م)، .

٦- عكاشة, علي, شحادة الناطور, جميل بيضون, **اليونان والرومان**, (أربد: دار الأمل للنشر والتوزيع, ١٩٩٠م) .

٧- الغناي, ليلى عبد القادر, **تطور نظام دولة المدينة الإغريقية أثينا وإسبرطة إنموذجاً (٨٠٠ – ٣٠٠ ق. م)**, (طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية , ٢٠٠٨م).

٨- فهمي, محمود, **تاريخ اليونان**, ط ٢, (القاهرة: مكتبة ومطبعة الغد , ١٩٩٩م).

٩- الناصري, سيد أحمد علي, **الإغريق تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الاسكندر الأكبر**, ط ٢, (القاهرة , دار النهضة العربية , ١٩٧٦م) .

الأطاريح والرسائل :

١٠- السعداوي, عزيز سلمان مطشر, **الحروب الأخمينية _ اليونانية إلى معركتي بلاتيا وميكالي عام ٤٧٩ ق.م**, رسالة ماجستير غير منشورة,(كلية الآداب, جامعة البصرة, ٢٠٠٦م).

المصادر المعربة :

١١- طاليس , أرسطو, **دستور الأثينيين**, تر: أوغسطينس بربارة , ط ٢ , (دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب , ٢٠١٣ م).

١٢- طاليس, أرسطو, **نظام الأثينيين**, تر: طه حسين, (مصر: دار المعارف).

١٣- ـــــــ, **السياسة** , تر: أحمد لطفي السيد, (مصر , الدار القومية للطباعة والنشر).

١٤- هيرودوت, **تاريخ هيرودوت**, تر: عبد الإله الملاح, (أبو ظبي: المجمع الثقافي, ٢٠٠١م).

المجلات والدوريات :

١٥- أنديشة , أحمد محمد , دراسة في حضارات البحر المتوسط القديمة أضواء على الحضارة الموكينية , **مجلة التربية** ,(زليتن: المعهد العالي لإعداد المعلمين زليتن , ٢٠٠٤م) مج ١,ع١.

١٦- الجحيفي , رنا زيد , عضوية الجمعية الشعبية (الإكليزيا) في أثينا خلال القرنين السادس والخامس ق.م , **مجلة بحوث الشرق الأوسط** , (جامعة عين شمس , مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية , ٢٠١٨م) . مج ٦ , ع ٤٤ .

١٧- الجنابي, محمد محي, البيروقراطية الأمريكية في عصر الأوليغاركية, **المجلة السياسية الدولية**, (بغداد , الجامعة المستنصرية , ٢٠٢٤م) , ع ٥٨ .

١٨- عبد الغني, محمد السيد محمد, السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م , **مجلة عالم الفكر** , (الكويت , المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , ٢٠٠٩م) , مج ٣٨ , ع ٢ .

١٩- الكريماوي , خالد ناجي سوادي , دور الملك عند الإغريق دولة مدينة أثينا أنموذجاً , **مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والانسانية** , (جامعة بابل , كلية التربية , الأساسية , ٢٠٢٢م) مج ١٤ , ع ٥٦ .

٢٠- _____ , مجلس الشيوخ الاريوباجوس وأثره في دولة مدينة أثينا , **مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية** , (جامعة القادسية , كلية التربية , ٢٠٢٣م) , مج ٢٣ , ع ٢ .

٢١- _____, الفكر القانوني عند صولون ودوره في بناء وإصلاح دولة مدينة أثينا , **مجلة كلية الإمام الكاظم (ع)** (بغداد , كلية الإمام الكاظم (ع) , ٢٠٢٠م) , مج ٤ , ع ٣ .

٢٢- _____، الجمعية العامة الأكليزيا في أثينا، **مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية**، (جامعة القادسية: كلية التربية، ٢٠٢١م)،ع٢، ج٢ .

٢٣- _____، انقلاب كيلون (كولون) في دولة مدينة أثينا (٦٣٢ق.م)، **مجلة آداب ذي قار**، (جامعة ذي قار، كلية الآداب، ٢٠٢٥م)، مج٢، ع٤٩ .

٢٤- محمد , حلا عثمان , الاعياد والاحتفالات والمهرجانات الإغريقية ٧٧٦- ٣٣٠ ق.م , **مجلـة الخلـيج العربـي** , (جامعـة البصـرة , مركـز دراسـات البصـرة والخلـيج العربـي , ٢٠٢٣م) مج ٥١ , العدد ٣ .

٢٥- **نصوص النقد الادبي اليوناني**، تر: لويس عوض، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٥م) .

المصادر الإنكليزية :

25- HANSEN , MOGENS HERMAN , **The Tradition of Ancient GREEK Democracy and its Importance for Modern Democracy** , Copenhagen ,2015) .(

26- **The New Encyclopaedia Britannica**,(Chicago:1975),Vll .

الهوامش:

[١]- يقع إقليم أتيكا في أقصى الطرف الجنوبي الشرقي وسط بلاد الإغرق, وهو شبه جزيرة ممتدة داخل البحر, ومعنى أتيكا (الصخرة العالية) وتعزلها الجبال عن مناطق اليونان الداخلية, إلّا إنها تتمتع بساحل بحري طويل إتصلت من خلاله بالعالم الخارجي, وينماز إقليم أتيكا بمناخه الحسن وسهوله الواسعة وكثرة أشجار الزيتون فيه , ومركز هذا الإقليم مدينة أثينا وهي أشهر مدن اليونان.(عزيز سلمان مطشر السعداوي , **الحروب الأخمينية _ اليونانية الى معركتي بلاتيا وميكالي عام ٤٧٩ق.م** , رسالة ماجستير(غير منشورة) , كلية الآداب , جامعة البصرة , ٢٠٠٦م , ص ٧٦_٧٧)

[٢]- كانت الموجة الرابعة والأخيرة من القبائل الهندو_ أوروبية تُعرف(بالغزو الدوري) الذي وفد من مقدونية وإيليرية, ودخل شبه جزيرة البلوبونيز عند نهاية عصر البرونز ١١٥٠ق.م (خليل سارة, **الإغريق تاريخهم ونظمهم وحضارتهم** ,(دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب , ٢٠٢١م), ص ١٩٨)

[٣]- ظهرت الحضارة الموكينية في الجزء الشمالي الشرقي من شبه جزيرة البلوبونيز وعلى وجه الدقة في مدينة موكيناي وامتدت من ١٥٠٠ _١٢٠٠ والأقوام الذين أسسوا هذه الحضارة أُطلق عليهم اسم الآخيين , وكانت نهاية الحضارة الموكينية مع بداية الغزو الدوري إذ تعرضت بلاد الإغريق لهجوم من القبائل القادمة من الشمال والذين عرفوا بإسم الدوريين. (أحمد محمد انديشة , **دراسة في حضارات البحر المتوسط القديمة أضواء على الحضارة الموكينية** , مجلة التربية , العدد الأول , ٢٠٠٤م , ص ١٨٤ , ص١٩٢)

[٤]– محمد السيد محمد عبد الغني ، **السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م** ، مجلة (عالم الفكر) ، العدد ٢ المجلد ٣٨ ، تشرين الأول ، ٢٠٠٩ م ، ص ١٣٦.

[٥]– خالد ناجي سوادي الكريماوي , **دور الملك عند الإغريق دولة مدينة أثينا أنموذجاً** , مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية , العدد ٥٦ , المجلد ١٤ , حزيران ٢٠٢٢ , ص ٣٨٢ .

[٦]– آخر ملوك أثينا ، ولكن هناك شك حول ما إذا كان شخصية تاريخية. وفقًا للأسطورة ، كودروس ابناً لميلانثوس من بيلوس، الذي ذهب إلى أتيكا لاجئًا من الغزاة الدوريين (القرن الحادي عشر قبل الميلاد). بهزيمة أعداء الأثينيين، البويوتيين، نال ميلانثوس القبول ملكاً على أثينا. بعد أن تولى كودروس عرش والده، غزا الدوريون أتيكا تنبأت عرافة دلفي بأن موت الملك الأثيني على يد الدوريين هو وحده الكفيل بنصر الأثينيين. لذلك، دخل كودروس متنكراً إلى معسكر العدو وأثار شجارًا قُتل فيه. وعندما اكتشف الدوريون هويته، تراجعوا. إيمانًا منهم بعدم وجود من يستحق خلافة كودروس، ألغى الأثينيون لقب الملك، واستبدلوه بلقب الأرخون.)

The New Encyclopaedia Britannica,(Chicago:1975),Vll,p.1037 .

[٧]– محمد السيد محمد عبد الغني ، **السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م** ، ص ١٣٦.

[٨] – محمود فهمي ، **تاريخ اليونان** , ط٢ ، (القاهرة: مكتبة ومطبعة الغد، ١٩٩٩م) , ص٤٥.

[٩] – أرخون : أي حاكماً يتم اختياره ليتولى السلطة مدى الحياة (خالد ناجي سوادي الكريماوي , **دور الملك عند الإغريق دولة مدينة أثينا أنموذجاً** ,ص ٣٨٣) .

[١٠]– الأريوباجوس : من أقدم المجالس في أثينا ,يضم بين أعضاءه كبار الموظفين وتكون فيه العضوية مدى الحياة , وهناك من يرى أن أعضاء هذا المجلس يُنتخبون من بين الطبقة الارستقراطية (أصحاب الثروة)(خالد ناجي الكريماوي , **مجلس الشيوخ (الاريوباجوس) وأثره في دولة مدينة أثينا** , مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية , العدد ٢, المجلد ٢٣, ٢٠٢٣م , ص٢٧٣) .

[١١] – محمد السيد محمد عبد الغني ، **السياسة الأثينية في القرن الخامس عشر ق.م** ، ص ١٣٦ .

[١٢]– الاوليغاركية Oligarchy : شكل من أشكال الحكم تكون السلطة السياسية فيه محصورة بيد فئة صغيرة من المجتمع تتميز بالمال أو النسب أو السلطة العسكرية (محمد محي الجنابي , **البيروقراطية الأمريكية في عصر الاوليغارشية** , المجلة السياسية الدولية , العدد ٥٨ , ١/ ٣/ ٢٠٢٤ , ص ٤٥٧

[١٣]– محمود فهمي ، **تاريخ اليونان** ، ص ٤٥٣ .

[١٤]– سياسي ارستقراطي من مدينة أثينا، نال شرف بطولة الالعاب الاولمبية عام (٦٤٠ق.م) التي منحته الشهرة. كانت له محاولة للقيام بانقلاب الحكم في دولة مدينة أثينا لكنها انتهت بالفشل . للمزيد أنظر

: خالد ناجي سوادي، انقلاب كيلون (كولون) في دولة مدينة أثينا (٦٣٢ق.م)، **مجلة آداب ذي قار**، (جامعة ذي قار، كلية الآداب، ٢٠٢٥م)، مج٢، ع٤٩ .

[١٥]– من أقدم مدن اليونان تقع بين مدينتي أثينا وكورنثا .ازدهرت منذ القرن الثامن قبل الميلاد بانخراطها في حركة الاستعمار، فأسست مستعمرا مثل ميجارا هيبلا في صقلية وبيزنطة عند البوسفور . داخلياً خضعت لحكم الطاغية ثياجينس الذي جملها لكنها فقدت سالاميس لصالح أثينا بقيادة صولون . ورغم دورها في حروب البيلوبونيز تراجعت أهميتها واقتصر مجدها على ماضيها . پيير ديفانبيه وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، تر: أحمد عبدالباسط حسن، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢م)، ج٢، ص٢٨٥ .

[١٦] – محمد السيد محمد عبد الغني ، **السياسة الاثينية في القرن الخامس ق.م** ، ص ١٣٦ .

[١٧]– محمود فهمي ، **تاريخ اليونان** ، ص ٤٦ .

[١٨]– محمد السيد محمد عبد الغني ، **السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م** ، ص١٣٦ .

[١٩]– أرسطو طاليس، **دستور الأثينيين** , تر: أوغسطينس بربارة ، ط٢ ، (دمشق: الهيئة العامة السورية للكتب، ٢٠١٣م) ، ص ٢١.

[٢٠]– المصدر نفسه , ص ٢٥٤ .

[٢١] – محمود فهمي ، **تاريخ اليونان** ، ص ٤٦.

[٢٢]– محمد السيد محمد عبد الغني ، **السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م** ، ص ١٣٧.

[٢٣]– طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، (بيروت: دار الورّاق للنشر، ٢٠١١م)، ج ٢, ص ٥٨٥.

[٢٤]– الإكليزيا :– تجمع شعبي للمواطنين في أثينا, يملك هذا التجمع سلطات متنوعة لحكومة المدينة, ويمنح أعضاؤه عدد من الصلاحيات داخل التجمع كحق إبداء الرأي, وحق اقتراح ومناقشة المواضيع التي تطرح في الجلسات, إلى جانب حق التصويت على القرارات التي تعرض في الإكليزيا ولو نرجع للمعنى الاصطلاحي لكلمة الإكليزيا نجد أنَّ المرادف لها يأتي بمعنى التجمع (رنا زيد الجحيفي , **عضوية الجمعية الشعبية (الإكليزيا) في أثينا خلال القرنين السادس والخامس ق.م** , مجلة بحوث الشرق الأوسط , العدد ٤٤ المجلد ٦ , كانون الثاني , ٢٠١٨م , ص٣١٥؛ خالد ناجي سوادي الكريماوي، الجمعية العامة الأكليزيا في أثينا، **مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية**، (جامعة القادسية: كلية التربية، ٢٠٢١م)،ع٢، ج٢ .

[٢٥] – خالد ناجي سوادي الكريماوي , **الفكر القانوني عند صولون ودوره في بناء وإصلاح دولة مدينة أثينا** , مجلة كلية الامام الكاظم (ع) , العدد ٣, المجلد ٤ , ٢٠٢٠م , ص ٢٩٣.

[٢٦]– محمود فهمي , **تاريخ اليونان** , ص ٥٠.

[٢٧]– خالد ناجي سوادي الكريماوي , **الفكر القانوني عند صولون ودوره في بناء وإصلاح دولة مدينة أثينا** , ص ٢٩٣.

[٢٨] – محمود فهمي , **تاريخ اليونان** , ص ٥٠.

[٢٩] – محمد السيد محمد عبد الغني , **السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م** ، ص ١٣٩.

[٣٠]– خليل ساره , **تاريخ الإغريق** ، (دمشق , منشورات جامعة دمشق , ٢٠١٥_٢٠١٦), ص ٣٨١.

[٣١] – أرسطو طاليس ، **دستور الأثينيين** ، ص٤٣ .

[٣٢] – الأكروبول : أي قلعة المدينة وتعني الجزء الأعلى المحصن من المدينة الإغريقية (ليلى عبد القادر علي الغناي , **تطور نظام دولة المدينة الإغريقية أثينا وإسبارطة إنموذجاً (٨٠٠– ٣٠٠ق.م)** , (طرابلس (ليبيا) , مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية , ٢٠٠٨), ص١١٥)

[٣٣]– محمد السيد محمد عبد الغني , **السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م** , ص١٤٠ .

[٣٤]– هيرودوت , **تاريخ هيرودوت**, تر: عبد الإله الملاح ,(أبو ظبي , المجمع الثقافي , ٢٠٠١ م), ص٤٢ .

[٣٥]– محمد السيد محمد عبد الغني , **السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م** , ص١٤٠ .

[٣٦]– محمود فهمي , **تاريخ اليونان** , ص٥٠ .

[٣٧]– مهرجان باناثنيا : احتفال يقام بمولد الإلهة أثينا, وهو عيد يقع في منتصف الصيف عندما كان بعض شباب أثينا يعتلي صهوات الجياد وبعضهم الآخر يمشي على الأقدام وكانت الفتيات يحملن القرابين نحو الأكروبوليس ليقدموا إلى تمثال الإلهة أثينا الخشبي ثوباً جديداً. (حلا عثمان محمد , **الأعياد والاحتفالات والمهرجانات الإغريقية ٧٧٦ _ ٣٣٠ ق.م** , مجلة الخليج العربي , العدد ٣ , المجلد ٥١ , ٢٠٢٣م .)

[٣٨]– سيد أحمد علي الناصري , **الإغريق تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الاسكندر الأكبر** , ط ٢ , (القاهرة , دار النهضة العربية , ١٩٧٦م), ص ٢١٩ .

[٣٩]– محمد السيد محمد عبد الغني , **السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م**, ص١٤١ .

[٤٠]– خليل ساره , **تاريخ الإغريق** , ص٤٤٢.

[٤١]– محمد السيد محمد عبد الغني , **السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م** , ص١٤٢ .

[٤٢]– أرسطو طاليس , **نظام الأثينيين** , ترجمة طه حسين , (مصر , دار المعارف)، ص ٨١ .

[٤٣]– خليل ساره , **تاريخ الأغريق** , ص٤٢٢.

[٤٤] – سيد أحمد علي الناصري, **الإغريق تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر** , ص ٢٢٠ .

[٤٥]– عزيز سلمان مطشر السعداوي, **الحروب الأخمينية اليونانية إلى معركتي بلاتيا وميكالي عام ٤٧٩ق.م**, ص ١٠٨ – ١٠٩ .

[٤٦]– سيد أحمد علي الناصري , **الإغريق تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر** , ص ٢٢٠ .

[٤٧]– محمد السيد محمد عبد الغني , **السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م** ص ١٤٢.

[٤٨]– أرسطو طاليس , **نظام الأثينيين** , ص ٨١

[٤٩]– خليل ساره , **تاريخ الإغريق** , ص ٤٤٣.

[٥٠] – أرسطو طاليس , **نظام الأثينيين** , ص ٨١ – ٨٢ .

[٥١] – خليل ساره , **تاريخ الإغريق** , ص ٤٤٣.

[٥٢] – محمد السيد محمد عبد الغني , **السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م** , ص ١٤٢.

[٥٣]– خليل ساره , **تاريخ الإغريق** , ٤٤٣.

[٥٤]– خليل ساره , **تاريخ الإغريق** ,ص٤٤٣.

[٥٥]– إبتهال عادل إبراهيم الطائي , **تاريخ الإغريق منذ فجر بزوغه وحتى نهاية عصر الإسكندر المقدوني** , (عمّان , دار الفكر , ٢٠١٤م) , ص ٧٤ .

[٥٦]– أرسطو طاليس , **دستور الأثينيين** , ص٦١.

[٥٧]– خليل ساره , **تاريخ الإغريق** , ص ٤٤٤.

[٥٨]– أرسطو طاليس , **نظام الأثينيين** , ص ٨٣.

[٥٩]– أرسطوطاليس , **دستور الأثينيين** , ص ٦٢ .

[٦٠]– پيير ديفانبيه وآخرون، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج٢، ص١٨٧ .

[٦١]– أرسطوطاليس , **دستور الأثينيين** , ص ٦٢ .

[٦٢]– ارسطو طاليس , **نظام الأثينيين** , ص ٨٤.

[٦٣]– خليل ساره , **تاريخ الإغريق** , ص ٤٤٥ .

[3]- MOGENS HERMAN HANSEN , **The Tradition of Ancient GREEK Democracy and its Importance for Modern Democracy**, (Copenhagen ,2015) , p.25

[٦٥]– أرسطو طاليس , **السياسة** , تر: أحمد لطفي السيد (مصر: الدار القومية للطباعة والنشر) , ص ٣١٩.

[٦٦]– خليل ساره , **تاريخ الإغريق** , ص ٤٤٥ .

[٦٧]– أرسطوطاليس , **نظام الأثينيين** , ص ٨٣ .

[٦٨]– محمد السيد محمد عبد الغني, **السياسة الأثينية في القرن الخامس**, ص ١٤٤ .

[٦٩]– خليل ساره , **تاريخ الاغريق** , ص ٤٤٦.

[٧٠]– خليل ساره , **تاريخ الاغريق** , ص ٤٤٧ .

[٧١]– خليل سارة , الإغريق تاريخهم ونظمهم وحضارتهم, ٤٤٧.

[٧٢]– رنا زيد الجحيفي , **عضوية الجمعية الشعبية (الإكليزيا) في أثينا خلال القرنين السادس والخامس ق.م**, ص٣١٥ ؛ خالد ناجي سوادي الكريماوي، الجمعية العامة الأكليزيا في أثينا، **مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية**، ع٢، ج٢ .

[٧٣]– خليل ساره , **تاريخ الإغريق** , ص٤٤٧.

[٧٤]– محمد السيد محمد عبد الغني , **السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م**, ص ١٤٣ .

[٧٥]– خليل ساره , **تاريخ الإغريق** , ص ٤٤٧.

[٧٦]– طه باقر , **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة** , ص ٥٨٦ ؛ خالد ناجي سوادي الكريماوي، الجمعية العامة الأكليزيا في أثينا، **مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية**، ع٢، ج٢ ،ص٤٥.

[٧٧]– محمد السيد محمد عبد الغني , **السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م** , ص ١٤٥ .

[٧٨]– ارسطو طاليس , **دستور الأثينيين** , ص٦٤ .

[٧٩]– محمد السيد محمد عبد الغني , **السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م** , ص ١٤٥.

[٨٠]– علي عكاشة وآخرون , **اليونان والرومان** , (أربد: دار الأمل للنشر والتوزيع , ١٩٩٠م), ص ٨٠ .

[٨١]– محمد السيد محمد عبد الغني , **السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م** , ص١٤٤ .

[٨٢]– محمد السيد محمد عبد الغني, السياسة الاثينية في القرن القرن الخامس ق.م, ص ١٤٤ .

[٨٣]– خليل ساره , **تاريخ الإغريق** , ص٤٤٨ .

[٨٤]– محمد السيد محمد عبد الغني , **السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م** , ص ١٤٥ .

[٨٥]– أرسطو طاليس , **نظام الأثينيين** , ص ٨١ .

[٨٦]– طه باقر , **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة** , ج٢، ص ٥٨٨ .

[٨٧] – هيرودوت , **تاريخ هيرودوت** , ص٤٠٢ .

[٨٨]– محمد السيد محمد عبد الغني , **السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م** , ص ١٤٥.

[٨٩]– سامي سعيد الأحمد وآخرون, **تاريخ الشرق الأدنى القديم إيران والأناضول**, (بغداد: وزارة التعليم العالي, ١٩٩٠م) , ص ٣٧٦؛ **نصوص النقد الادبي اليوناني**، تر: لويس عوض، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٥م)، ص٤١٣–٤١٤ .

[٩٠]– هيرودوت , **تاريخ هيرودوت** , ص ٤٠٣ .

[٩١]– هي البلاد التي تقع جنوب بلاد الإغريق، وهي شبه جزيرة يكاد البحر يفصلها عن بلاد الإغريق, حيث يمتد خليج سارونيك في الشرق, وخليج كورنثوس في الغرب كل منهما باتجاه الآخر ولا يتركان إلّا برزخاً ضيقاً لا يزيد عرضه على (٦ كم), وهو برزخ كورنثوس, الذي سمي بهذا الاسم نسبة الى مدينة كورنثوس التي تحتل موقعاً خطيراً في هذا البرزخ أهَّلَها للتأثير في تاريخ الإغريق, وهذا البرزخ نقطة الاتصال الوحيدة بين شبه جزيرة البيلوبونيز وشبه جزيرة اليونان. (عزيز سلمان مطشر السعداوي , **الحروب الأخمينية _ اليونانية الى معركتي بلاتيا وميكالي عام ٤٧٩ق.م**, ص٧٧)

[٩٢]– سيد أحمد علي الناصري, **الإغريق تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندرالأكبر**,ص٢٢٦ .

[٩٣]– هيرودوت , **تاريخ هيرودوت** , ص ٤٠٣ .

[٩٤]– محمد السيد محمد عبد الغني , **السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م** , ص ١٤٦.

[٩٥]– البويوتيين : سكان مقاطعة بويوتيا التي تقع في الجهات الشرقية من وسط اليونان ومعنى اسمها (أرض البقر) . (عزيز سلمان مطشر السعداوي , **الحروب الأخمينية _ اليونانية الى معركتي بلاتيا وميكالي عام ٤٧٩ق.م** , ص ٧٦)

[٩٦]– هيرودوت , **تاريخ هيرودوت** , ص ٤٠٤ .

[٩٧]– المصدر نفسه, ص ٤٠٥ .

[٩٨]– محمد السيد محمد عبد الغني , **السياسة الأثينية في القرن الخامس ق.م** , ص ١٤٦.

[٩٩]– هيرودوت , **تاريخ هيرودوت** , ص ٤٠٦ .

[١٠٠]– المصدر نفسه, ص ٤٠٥ .

[١٠١]– **نصوص النقد الادبي اليوناني**، تر: لويس عوض، ص٤١٤ .

[١٠٢]– محمد السيد محمد عبد الغني , **السياسة الاثينية في القرن الخامس ق.م** , ص١٤٦ .

[١٠٣]– جورج تومس، **إسخيلوس وأثينا دراسة في الأصول الاجتماعية للدراما**، تر: صالح جواد كاظم، (بغداد: وزارة الاعلام، ١٩٧٥م)، ص٢٩٢ .

المجالس العلمية للوافدين الى مصر دراسة في ضوء كتاب المقفى الكبير للمقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)

Scientific Councils of Immigrants to Egypt: A Study in Light of Al-Maqrizi's "Al-Muqaffa al-Kabir" (d. 845 AH / 1441 AD)

أ.د .عبير عنايت سعيد

جامعة الانبار – كلية الآداب – قسم التاريخ

abeer.enayet@uoanbar.edu.iq

م.م. مولود صلاح رزيج

Maw23a4005@uoanbar.edu.iq

دائرة أوقاف الانبار / الرمادي

المجالس العلمية للوافدين الى مصر دراسة في ضوء كتاب المقفى الكبير للمقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)

أ.د .عبير عنايت سعيد

م.م. مولود صلاح رزيج

الملخص:

يهتم هذا البحث المستل بدور وإسهامات الوافدين من العلماء بالحياة العلمية بمصر لا سيما عقدهم للمجالس العلمية المختلفة (القران وعلومه,السماع,الإملاء,المناظرات, المجالس الثقافية) وهذه المجالس تعتبر من عوامل تطور الحركة العلمية في البلاد الإسلامية عامة، لدورها في المناقشة والفتوى والجدل والمناظرة، وفيها تُدرس كافة العلوم من حديث وفقه وتفسير، ونحو وأدب فجلسوا لها الوافدين فتركوا أرثاً علمياً واضحاً ,وتركز هذا البحث بيان أثرهم ومن خلال كتاب المقفى الكبير للمقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) الذي يعد واحد من ابرز مؤرخين مصر المملوكية وصاحب مصنفات علمية وموسوعية ضخمة ومن أبرزِها المصنف الذي ندرس من خلاله (المقفى الكبير) من أهم وابرز كتب التراجم والوفيات إذا ترجم فيه المؤلف لشخصيات مختلفة من تاريخنا المجيد وزودنا هذا الكتاب بإسهامات الوافدون في الجانب العلمي فكان لهم أسهام فعال في الجلوس للقراءة القران الكريم في الجوامع كذلك نشر الحديث النبوي الشريف وسماعة من مشايخ مصر ,كما أسهموا بعقد مجالس الملاءات التي دونت الأحاديث بالإضافة الى المناظرات والمجالس الثقافية .

الكلمات المفتاحية: المقريزي، المقفى ، الكبير، الوافدون

Abstrat:

This research delves into the significant contributions of immigrant scholars to Egypt's vibrant scientific landscape, particularly through organizing diverse academic gatherings. These included Quran recitation sessions, Hadith studies, dictation classes, intellectual debates, and cultural symposiums, all pivotal in fostering a dynamic environment for Islamic scholarship and discourse. By examining Al-Maqrizi's comprehensive work, "Al-Muqaffa al-Kabir", the study underscores the

profound impact these scholars had on advancing various Islamic disciplines and nurturing a rich culture of learning and inquiry

المقدمة :

يُعَدُّ القرنُ التاسعُ الهجري من العصور الزاخرة بالحركة العلمية والنشاط الفكري، حيث برز فيه عددٌ كبير من العلماء الذين جمعوا بين الرسوخ في العلوم الشرعية والالتزام بالسلوك الديني القويم, ومن بين هؤلاء الأعلام يبرز اسم تقي الدين المقريزي الذي كان مثالًا للعالم العامل، وصاحب الأثر العلمي الملموس في مصر المملوكية, تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على مجالس العلمية التي جلس لها الوافدين الى مصر في ضوء كتاب المقفى الكبير من خلال تتبّع أثرهم العلمي والمعرفي وبمختلف المجالات ، مع بيان الأماكن التي عقدت بها هذه المجالس ونوع العلم الذين حدثوا به ,كما نسعى إلى إبراز دورهم في نشر العلم، ولا سيما في مصر مقر المماليك ، وإسهامه في إثراء الحياة العلمية ,.وتتبع أهمية هذا الموضوع لكون معلوماته متناثرة بين سطور الكتاب ولم تدرس هذه الجريئة منه وسيكون تقسيم البحث إلى ما يلي:

اولاً: مجالس القرآن الكريم وعلومه -القراءات والتفسير-: وهي تلك المجالس التي يجتمع فيها العلماء وطلبة العلم على مائدة القرآن الكريم، وجعلت عرضه وتلاوته وسماعه وتفسيره أصلا لتلقيه وإسناده وحفظه في الصدور، وقد اهتم بهذا الجانب فئة من العلماء الوافدين المعنيين بدراستنا ممن لهم باع طويل فيه فصاروا من أئمة الأداء، وصنفهم أهل الاختصاص ضمن قائمة القراء ومتقنين علم القراءات[١] ،ومن هؤلاء المقرئ ابو بكر, محمد بن عبد الله بن محمد [٢](ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م) ساكن مصر والذي كان يقرئ في الجامع العتيق بمصر, وهو مؤلف كتاب (المحبّر في القراءات) سمعه عليه الناس,ووصفه المقريزي بأنه ثقة مأمونا مشهورا عالما بالعربيّة بصيرا بالمعاني، حسن التصنيف [٣], ونزيل مصر,المقرئ أبو إسحاق,إبراهيم بن ثابت بن أخطل[٤](ت٤٣٢هـ/١٠٤٠م) والمعروف بالاقليشي المغربي واصله من أهل الأندلس,درس علم القراءات في بلده وكذلك اشتهر بالحديث وسمعه على جماعة, وكان قد دخل مصر بعد سنة٣٩٠ هـ/٩٩٩م واستوطنها وجلس لإقراء الناس بمصر في مجلس شيخ القراءات عبد الجبار بن أحمد[٥] (ت٤٢٠هـ/م) بعد وفاته [٦]ووصف أبو محمد ,محمد بن عبد الله بن المسبّح

الانصاري المقرئ[٧](ت ٥١٤هـ/١١٢٠م)والمعروف بأبن المسبّح الفضّيّ بأنة من أهل الدين والصلاح وممن قدم لمصر و كان يجلس للإقراء بجامع مصر[٨] , ومثله المقري المغربي ابو العباس , احمد بن عبد الله بن احمد [٩] (ت٥٦١هـ/١١٦٥م) الشيخ الفاضل المعروف بابن حطيئة الفاسي نسبة لمدينة فاس[١٠] مسقط رأسه ,كان رأساً في القراءات السبع طلب العلم بالرحلة فحج ثم دخل مصر للإقامة وسكن في جامع الراشدة[١١] خارج الفسطاط وتصدر في قراءة القران الكريم بدون مقابل مالي ويتكسب من عمل يده ,وترشح لوظيفة القضاء فأشترط ان يقضي على مذهبه (المالكي) فلم يجب على ذلك ووصف بأنه العلامة القدوة وشيخ الإسلام[١٢], والمقري الأندلسي أبو الحسن العبديّ, محمد بن عبد الرحمن بن محمد[١٣](ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م) المعروف ابن عظيمة الأشبيلي ,اخذ القراءات بالأندلس وبمصر أيضا واخذ من قراء الاسكندرية وقرأ عليهم وكان صدراً في التجويد ,مميز في إتقان [١٤] , ووصل القاهرة الشيخ المقرئ العارف بالعربية وعلل القراءات ابن ويحيان ,حسن بن عبد الله بن ويحيان الراشدي[١٥](ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م) أصله من أهل تلمسان[١٦]ونزل القاهرة وجلس لإقراء الناس القران الكريم بالقراءات وكان شيخا ثقة مأمونا من حفاظ كتاب الله [١٧] , ومن المغاربة الوافدين المقرئ ابو عبد الله ,محمد بن احمد بن زكريا المعافيري[١٨]والمعروف بالالشي الفرضي ,نسبة لألش [١٩] من أرض المغرب فكان مولده سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م الذي نزل الاسكندرية وقرأ بها القران وله قصيدة في علم القراءات على وزن الشاطبية[٢٠],ونختم مجالس الإقراء بالإمام الأوحد، العلّامة، المتبحّر في علم القرآن والحديث والعربيّة المقرئ الأثير ابو حيان , محمد بن يوسف بن علي الاندلسي [٢١](ت ٧٤٥هـ/١٣٤٤م)المولود بمدينة غرناطة[٢٢] الاندلسية في أواخر سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م رحل في طلب العلم رحلة واسعة وقصد مصر فدخل الاسكندرية سنة ٦٧٩هـ/١٢٨٠م للسماع ثم انتقل للقاهرة فاخذ العلم على شيوخها والواردين إليها وبالقاهرة تصدر لإقراء الناس مدة من الزمن [٢٣] , ومن العلوم الرئيسة التي تحتل مرتبه هامه في العلوم الدينية هو علم التفسير الذي يهتم ببيان معاني آيات القرآن الكريم وتوضيحها وكشف المراد منها، ويشترط في المفسر أن يكون سليم الاعتقاد، عميق الفهم، واسع العلم باللغة والقراءات والعلوم المتصلة بالقرآن[٢٤] وممن جلس لتفسير القران الكريم من الوافدين كما ذكرهم المقريزي,

برهان الدين ,ابو اسحاق ,ابراهيم بن فتوح بن علي الملقي سمع ببلده ثم تاقت اليه الرحلة لطلب العلم , فتوجه للقاهرة واستقر فيها ثم جلس للتفسير في القبة المنصورية[٢٥] مدة من الزمن[٢٦]وكذلك ابو عبد الله ,محمد بن احمد بن أبي بكر الانصاري[٢٧](ت٦٧١هـ/١٢٧٢م) والمعروف بالقرطبي صاحب التفسير ,اخذ العلم وتفنن به وصار من خيرة شيوخ عصر , قدم مصر وأستقر بها وجلس للتفسير فانتفع به خلق كثير وله تصانيف مشهورة, ثم أنتقل لبلاد الصعيد وبها توفي [٢٨] , ونذكر ايضا الشيخ ابو حيان الاندلسي (ت ٧٤٥هـ/١٣٤٤م)الذي رحل رحلة واسعة لطلب العلم وكانت الاسكندرية ن محطاته حيث وصلها سنة ٦٧٩هـ/١٢٨٠م للسماع ثم انتقل للقاهرة فاخذ العلم على شيوخها والواردين إليها كما درّس التفسير بالقبّة المنصوريّة، وغيرها من الأماكن ,وله مصنفات في علم التفسير [٢٩]

ثانياً/ مجالس الوعظ :فيقصد بالوعظ نصح الناس وإصلاحهم وتهذيب سلوكهم في ضوء ما جاء في القران الكريم والسنة النبوية الشريفة [٣٠],وتقسم مجالس الوعظ إلى قسمين عامة وخاصة[٣١] : اما العامة فهي التي تعقد في أماكن مختلفة مثل المساجد والمدارس و الأسواق, والواعظ يقوم مقام المدرس, يحضر حلقاته جميع افراد المجتمع دون تمييز , اما الخاصة هي التي كانت تعقد في أماكن خاصة ويحضرها نفر قليل من الناس [٣٢],وقد ورد في القران الكريم ما يوضح معنى الوعظ وأهدافه , ويعدّ نبي الله شعيب (عليه السلام) مثال للواعظين كما جاء في قوله تعالى {وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ}[٣٣] والملاحظ ان هذه المجالس قد حافظت على سمعتها في القرنين الاول الثاني الهجري لان اغلبهم من العلماء والفقهاء[٣٤] وبالعودة الى وافدين مصر من الوعاظ نجدهم عقدوها في المساجد والمجالس والدروب والاسواق يذكرون الناس ويعظوهم كما ذكر المقريزي الذي زودنا كتابه بعدد منهم سنستعرضهم حسب تسلسل وفاتهم , شهاب الدين , محمد بن محمود بن محمد[٣٥] الاسترابادي[٣٦]الواعظ(ت ٥٩٦هـ/١١٩٩م) نزيل مصر[٣٧] والذي ولد بطوس يوم سنة سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨,وصار من أئمّة الفقهاء على مذهب الشافعيّ استقر بمصر بعد خروجه من بغداد سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م بها القبول التامّ من الملوك والخواصّ والعوامّ فوعظ وذكر وانتفع به الناس هناك [٣٨],ونجم الدين, محمّد بن سعيد بن الحسين المأمونيّ الهاشمي الواعظ [٣٩](ت

٦٠٣هـ/١٢٠٦م) المولود في نيسابور[٤٠] سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م [٤١] ,وبها تعلم و تفقه ثم تركها قادماً لمصر فسمع بها وبالاسكندرية وعقد بها مجلس للوعظ وصنّف كتابا في (رءوس الآي والمتشابه)ثم مال للتصوف والانقطاع وسكن في خانكاه الصلاحيّة سعيد السعداء، كان حافظا للقران حسن الصوت [٤٢],ووصف الفقيه الدمشقي أبو بكر, محمّد بن سليمان بن عليّ بن سالم الحمويّ [٤٣](ت ٦٤٨هـ/١٢٥٠م)الواعظ المولود بدمشق سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م بأنة صاحب صوت جوهري قوي ومؤثر في مجالسه ومواعظه , رحل لمصر وسمع على جماعة من شيوخها والواردين إليها وكذلك جلس للوعظ فترة ثم رجع لبلده [٤٤] والبغدادي أبو عبد الله , محمد بن أبي بكر بن رشيد الرجيليّ[٤٥](ت ٦٦٢هـ/١٢٦٣م) الواعظ نزيل الاسكندرية التي وصلها من بغداد وجلس للوعظ في جامعها ,وهو من شعراء بغداد المعروفين وله مجموعة قصائد شعرة عرفت بالقصائد الوترية في مدح خير البرية [٤٦] إضافة لمعرفته بالفقه والخلاف [٤٧] وشرف الدين شرف الدين ,محمد بن عبد العزيز بن عبد السلام[٤٨](هـ ٦٨١هـ/١٢٨٢م)الشيخ الجليل والرئيس الفاضل المولود بدمشق سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م، من اسرة ذات دين وعلم فأصبح من مشاهير شيوخ عصره, رحل الى مصر مستقراً وجلس للوعظ فيها حتى وفاته وكان شيخا جليلا فقيها أصيلا رئيسا فاضلا[٤٩] , والمغربي الأصل أبو العبّاس, أحمد بن عمر بن محمد المرسيّ الصوفي[٥٠](ت ٦٨٦هـ/١٢٨٧م)وهو من العلماء المعروفين بالصلاح , نزيل الإسكندرية وبها جلس يعظ الناس ويعقد مجالسه في جامع العطارين بأسلوب وكلام مؤثر حتى وفاته فيها وللناس فيه اعتقاد وقبره يزار للتبرك [٥١] , و برهان الدين ,إبراهيم بن معضاد بن شدّاد الجعبري[٥٢](ت ٦٨٧هـ/١٢٨٨م) نسبة لقلعة جعبر[٥٣] المولود فيها سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م , قدم للقاهرة واستقر بها وتجرد لعقد مجالس للوعظ مدّة طويلة بكلام بليغ ومواعظ حسنة في مسجد معلّق[٥٤]برأس الورّاقين وكان مجلسه حافلا بالحضور الرسمي والشعبي[٥٥],ومن بيت المقدس اشتهر العلامة الزاهد جمال الدين, محمّد بن سليمان بن الحسن [٥٦](ت ٦٩٨هـ /١٢٩٨م)الإمام العالم , المعروف بابن النقيب ببراعته في علم التفسير والفقه رحل عنها للقاهرة مقيماً عصر السلطان قلاوون ونزل بزاوية الشيخ نصر بن سليمان بن عمر المنبجيّ[٥٧] (ت٧١٩هـ/م١٣١٩) وبها عقد مجلسه للوعظ التي حظرها طلبه العلم والشيوخ وبعض رجال

الدولة , وكان محط احترام وتقدير لمكانته وشدته في نصحهم [٥٨], و الشيخ شهاب الدين, أحمد بن محمد بن ميرا[٥٩](ت بعد ٧٢٥هـ/١٣٢٤م) من أحد أصحاب شيخ الإسلام بن تيميّة, رحل من بعلبك الى الفسطاط وعقد للوعظ سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م في جامع عمرو بن العاص ومجلساً أخر في جامع أبن جندر[٦٠] (ت ٧٢٩هـ/١٣٢٨م) وسلك طريق ابن تيميّة في الإنكار على الصوفيّة والتشنيع على مذاهبهم فأنكروا عليه ذلك وجرت له على أثرها محنة كاد يقتل بسببها[٦١]

ثالثاً/ مجالس السماع : ويقصد به, ان يسمع الطالب او العالم من لفظ الشيخ سواء أن حدّث من كتاب يقرؤه من محفوظاته هو ام من محفوظات غيره, ويعد أعلى أنواع الرواية عند الأكثرية[٦٢]،وتمنح الإجازة بعد الاتصال بين المدرس او الشيخ والطالب فيسمع هذا من ذاك فيمنحه سماعا يسمح له ان يروي عنه مارواه له [٦٣] وهو على نوعين بحسب طريقة النقل :

١/ مجلس الحديث ويشمل:

أ/ طريقة الحفظ والرواية: وهي من الطرق الشائعة آنذاك ,حيث يحفظ العلماء وطلبة العلم الحديث النبوي الشريف وما سمعوه من الرواة والمشايخ والتحديث به [٦٤]بدأت رواية الحديث في مصر بعد سنة ٢١هـ/٦٤١م على يد الصحابة الكرام الفاتحين (رضوان الله عليهم) لأرضها فكانوا هم الرواد الحركة الفكرية والعلمية[٦٥] ومن الوافدين الحافظين للحديث النبوي شفاها او عن طريق شيخه هو الصحابي خارجة بن حذافة السهمي (ت٤٠هـ/٦٦٠م) من فرسان قريش وشجعانها الذي دخل مصر مع حملة التعزيز لجيوش الفتح [٦٦]ولأهل مصر حديث واحد مرفوع فقال[٦٧](خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلم فقال: إنّ الله قد أمركم بصلاة هي خير لكم من حمر النّعم: الوتر جعله لكم فيما بين صلاة العشاء إلى أن يطلع الفجر) [٦٨] , والصحابي عبد الله بن سيدنا عمر بن الخطاب[٦٩](ت٧٣هـ/٦٩٢م)هو أول الصحابة المحدثين كان أكثر الناس حفظا للحديث ويعد المؤسس الأول لمدرسة الحديث في مصر شهد الفتح وحدث بها وعنه اخذ أهلها, وروى عنه أكثر من أربعين رجلا [٧٠] وابو هاني جناب بن مرثد بن زيد الرعينيّ[٧١](ت ٨٣هـ/٧٠٢م) من أهل اليمن والمشارك في عمليات الفتح , حدّث بمصر عن الصحابي معاذ بن جبل (ت١٨هـ/٦٣٩م) وغيره [٧٢] ,

المحدث الفاضل ابو العباس,أبراهيم ابن أبي عبلة[٧٣](ت ١٥٣هـ/٧٧٠م)الامام القدوة ,شيخ فلسطين ,وهو من بقايا التابعين ,رحل لطلب العلم فدخل الاسكندرية وحدث عن أبيه وعن عبد الله ابن عمر وعمر بن عبد العزيز، وطبقته وروى عنه خلق كثير [٧٤]والبغدادي أيضا المحدث محمد بن إدريس الأعور[٧٥](ت ٣١٣هـ/٩٢٥م) قدم مصر وحدّث بها عن الشيخ المسند سعدان بن نصر الثقفي البزاز [٧٦](ت بعد ٢٦٥هـ/٨٧٨م)وطبقته [٧٧],والمحدث أبو إسحاق, إبراهيم بن أحمد بن الحسن الرفاعيّ البغدادي[٧٨](ت٣٥٢هـ/٩٦٣م) الذي تركها ليستقر للاقامة في مصر وبها حدّث عن الإمام الحافظ ابو بكر جعفر بن محمد الفريابيّ (ت٣٠١هـ/٩١٣م) [٧٩],و المحدث ابو العلاء, محمد بن عبيد الله بن الحسن البغدادي[٨٠](ت٣٩٢هـ/١٠٠١م) المعروف بابن المسلمة، كان بزازاً يبيع القماش, قدم مصر وسكن في تنيس، وحدّث بها عن أبي عبد الله الحسين بن عليّ المحاملي[٨١] وأنتقل الى الفسطاط وحدّث عن أبي بكر محمد بن عمر بن أبي اليمان[٨٢] , والمحدث البغداديأبو نصر, إبراهيم بن الحسين بن محمّد بن أحمد ابن صولة البزاز [٨٣](ت ٤٦٢هـ/١٠٦٩م) قدم مصر وحدث بها عن شيخ العراق المقرئ المحدث أبي أحمد الفرضيّ[٨٤](ت٤٠٦هـ/١٠١٥م) بمجلس عقده في دكانه بدار الأنماط [٨٥] بمصر سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٩م وسمع عليه جماعة من الناس واعيان البلاد وكان محدثاً ثقة عالم [٨٦]وأبو بكر, محمد بن أبي الوفاء بن نصر الله[٨٧] الآمديّ [٨٨] (ت بعد ٥٧٥هـ/١١٧٩م) من الرحالين في طلب العلم وسماع الحديث , قدم الإسكندريّة، وحدّث بها عن المسند الصوفي الامام أبي الوقت السجزيّ الهروي [٨٩] (٥٣٣هـ/ ١١٣٨م) في مجلس عقده سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م, سمع منه جماعة[٩٠], ومن شيوخ دمشق المسندين كان المحدث شمس الدين,ابو عبد الله , محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن بن هبة الله الدمشقي[٩١] (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م)حفيد ابن عساكر ولد بدمشق ٥٩٣هـ /١١٩٦م وهو من بيت الحديث والرواية , وقدم القاهرة وجلس للحديث بها عن الشيخ المسند ابو حفص المؤدب عمر ابن طبرزد [٩٢] (٦٠٧هـ/ ١٢١٠ م) والمسند البغدادي ابو عبدالله حنبل الرصافي[٩٣](ت٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م)_وطبقته [٩٤] , و المحدث الدمشقي أبو إسحاق, إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب

المنقذيّ الحسينيّ[٩٥] (ت ٦٩٦هـ/١٢٩٦م) المولود بدمشق سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م الذي رحل الى مصر وأستقر في قدم القاهرة وحدّث بها عن أبي حفص بن طبرزد، وحنبل الرصافي توفي بمصر [٩٦] , ومن المقادسة , المحدث ابو عبد الله, محمد بن أحمد بن نعمة المقدسيّ[٩٧](ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م) المولود سنة ٦٢٧هـ/١٢٨٢م في القدس وبها نشأ وتفقه ,ثم رحل في طلب العلم وسماع الحديث ووصل القاهرة وحدّث بها عالم القراءات والأصول والتفسير محمد بن علي السخاوي[٩٨](ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م) وسمع عليه جمع غفير من الناس توفي بدمشق وكان مشكور السيرة والديانة [٩٩].

٢/ مجالس قراءة المصنفات في كتب مختلفة: شملت مجالس العلم التي عقدها الوافدون قراءة المصنفات والمؤلفات المختلفة والمعارف وسماعها الى جانب المجالس التي ذكرناها, فقد جلس الوافدين لقراءة مصنفات مختلفة وكان لهم شغف كبير في ذلك بدليل ما ذكره المقريزي وترجم لهم ,منهم ابو الحسن , محمد بن معقل بن المظفر البغدادي (ت بعد ٤٢٢هـ/١٠٣٠م) الذي دخل مصر سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م وقراء بها كتاب (الحجّة للقراء السبع) [١٠٠] في تعليل القراءات للإمام لابي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ/٩٨٧م) ، وسمع عليه جماعة من طلبة العلم[١٠١] و أبو, بكر محمّد بن شاذي بن عبد الله الغارميّ[١٠٢](ت بعد ٤٣٢هـ/١٠٤٠م) من اهل الطرسوس الذي دخل مصر وافداً محدثاً بكتاب (العزلة) وهو من كتب الأدب الإسلامية خاص بالزهد والتصوف [١٠٣]وبكتاب (بيان زلل الفقراء ومواجب آدابهم للسلميّ) كذلك خاص في اصول التصوف [١٠٤] في المسجد الجامع سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م وسمع عليه جماعة[١٠٥]كما جلس سديد الدين ,ابو إسحاق ,إبراهيم بن عمر بن عليّ بن سماقة الأسعرديّ الشافعي[١٠٦] (ت٦١٣هـ/١٢١٦م) في الفسطاط والاسكندرية بمصر ليحدث بكتاب (المقامات) [١٠٧] للحريري(ت٥١٦هـ/١١٢٢م)وهو في مجال الادب والنثر الفني عن بعض شيوخه الذي سمعه ,وكان على قدر كبير من الورع ,نزيه وعفيف [١٠٨] , وعقد الشيخ الإمام الأصولي كمال الدين أبو عبد الله، محمّد بن طلحة بن محمّد القرشي النصيبنيّ الشافعي [١٠٩](ت٦٥٢هـ/١٢٥٤م) مجلسا عاماً في القاهرة سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م بعد ان دخلها أكثر من مرة وحدّث بكتاب(برّ الوالدين[١١٠]) للبخاري(ت٢٥٦هـ/٨٦٩م), وسمع منه جماعة [١١١] , وكذلك المحدث ابو عبد

الله, محمد بن أحمد بن نعمة المقدسيّ[١١٢](ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)نشا في القدس , وبها تفقه وتعلم ثم طلب العلم بالرحلة وسماع الحديث , وقدم القاهرة فحدث بها عن السخاوي (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م) بجزء سفيان بن عيينة في الحديث النبوي الشريف [١١٣](ت١٩٨هـ/٨١٣م) وسمع عليه جمع غفير من الناس توفي بدمشق[١١٤], وجلس المحدث أبو إسحاق , إبراهيم بن عليّ بن عيسى الموصلي[١١٥](ت٦٩١هـ/١٢٩١م) المعروف ابن أبي دبوقا ,المولود بحران سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م وبها خطوات تعليمه الاولى وكانت له اسفار في طلب العلم ,منها مصر التي وصلها وجلس في الجامع العتيق بالفسطاط سنة ٦٩١هـ/ ١٢٩١م وحدث بالأربعين الكبرى[١١٦] (سنن البيهقي) وازدحمت حلقاته [١١٧]

رابعاً/ مجالس الإملاء: الإْملاءُ والإمْلالُ على كتاب واحد , وأمْلَيْتُ الكتابَ إمْلاءً وأمْلَلتُ إملالاً [١١٨] كما جاء في كتاب الله عز وجل (فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ) [١١٩] وهذا من أمَلّ وقوله جلَ ثناه (فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ)[١٢٠] وهذا من أمْلىَ, ويجوز ان تكون اللغتين في معنى واحد ويجوز ان يكون أصل أمْليتٌ أمللتُ[١٢١], اما الأستملاء ، فهو طلب الإملاء بقول التلميذ لشيخه ان يُمليْ عليه الحديث, فالأستملاء مثل وظيفة المستملي حيث يبلغ عن المملي ما يحُدثّ به, قال ابن منظور (ت٧١١هـ/١٣١١م) : (استمليت الكتاب : اي سألته ان يمُليْ عليّ)[١٢٢], يعد الاملاء سنة من السنن والرسول (ﷺ) اول من أملى وعقد مجالس للاملاء فكان(ﷺ)يُملي ما ينزل عليه من الكتاب العزيز على كتاب الوحي[١٢٣], ويملي كتبا الى الملوك والحكام, و ما تقضيه الظروف والأحوال كإملائه كتاب صلح الحديبية, وعلى نهجه استمر الصحابة والتابعين وتابعيهم [١٢٤],لهذه المجالس أهمية ودور كبيرة في حماية السنة النبوية وكان من اوجه عناية العلماء عقد مثل هذه المجالس وذلك لضبطها في الكتب بالإضافة حفظها في الصدور ويصفها حاجي خليفة تلك المجالس بقوله (وهو ان يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس فيتكلم العلم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم ويكتبه التلامذة فيصير كتابا)[١٢٥], وأسهم الوافدون لمصر من ذوي الاختصاص بعقد هذه المجالس بجانب المجالس المعرفية الأخرى التي عقدوها فكان لهم دور هام في رواية الحديث والمصنفات والمقريزي في كتابه زودنا بتراجم لعدد منهم (أربعة أشخاص) مثل المحدث والمسند, المحدث المسند أبو أميّة, محمد بن إبراهيم

بن مسلم بن سالم البغدادي [١٢٦](ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م) نزيل طرسوس صاحب الرحلة الواسعة في طلب العلم, من أصحاب الحديث المشهورين دخل مصر واملى بها الحديث واخذ من علمه جماعة ثم رجع لمقر اقامته وبها توفي[١٢٧] وعلى خطاه عقد تلميذه المحدث أبو بكر ,محمد بن بشر بن بطريق العكريّ [١٢٨](ت ٣٣٢هـ/٩٤٣م) السامرائي الولادة سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م المصري نشئةً وتعليماً حيث دخلها وهو بعمر السنتين فسمع على شيوخها والوافدين اليها حتى صار من خيرة شيوخ زمانه, فجلس للحديث والاملاء بجامع الفسطاط , فحدث عن ابو امية البغدادي الطرسوسيّ(ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م)، و القاضي بكّار بن قتيبة (ت ٢٧٠هـ/٨٨٣م) وطبقتهم [١٢٩]و الوزير أبو الفضل ,جعفر بن الفرات[١٣٠](ت٣٩٢هـ/١٠٠١م) المعروف بابن حنزابة البغداديّ الأصل، المصريّ الدار والوفاة والذي جلس للإملاء بعد وصوله لمصر, ثم ترشح لمنصب الوزارة سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م للامير ابو القاسم أونوجور بن محمد بن طغج(ت ٣٤٩هـ/٩٦٠م), وكان عالما محدثا فقيها حدّث بمصر وعقد بها عدة مجالس للإملاء والحديث وسمع وكتب عنه جماعة [١٣١] وكان كثير البرّ [١٣٢]

خامساً/مجالس المناظرات: أن لفظ المناظرة في اللغة والاصطلاح تعني محاورة جدلية بين طرفين حول موضوع معين,سواء كان متفقاً عليه مسبقاً أم مثاراً خلال المجلس , فيعبر كل طرف عن رأي مخالف مدعوم بالحجج ,وهو عند الفراهيدي(أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه)[١٣٣] أي البحث المشترك عن الحقيقة بتبادل الرأي ,بينما عرفها الجرجاني بـ (النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب)[١٣٤] فهي حوار متبادل ومناقشة يشترك فيه اثنان أو أكثر يمثلان اتجاهين مختلفين حول موضوع أو قضية ما وكل واحد منهم يسعى الى إثبات وجهة نظره باستخدام الأدلة والبراهين [١٣٥] ,أن الاختلاف وتعدد وجهات النظر في المجتمعات الإنسانية هي السنة الماضية من سنن الله تعالى في عباده ,واقتضت الحكمة ان تختلف آراء الناس في صغير الأمور وكبيرها , فجلس بعض الوافدين الى مصر للمناظرة في مجالس عامة كما ذكر ذلك المقريزي فكانت أشهرها تلك التي جلسها نزيل مصر وإمام عصره محمد بن ادريس الشافعي[١٣٦](ت٢٠٤هـ/٨٢٠م) بعد ان دخل مصر وزارها غير مرة, وجلس وناظر وحدث وأقام الحجج على خصومه من الفرق المبتدعة الضالة, فكانت

مصر مسرحا للتناظر[١٣٧]بين الوافدين اليها من مختلف مدن العالم الإسلامي فتناظر الشافعي مع أحد رؤوس المعتزلة ابن عليّة المتكلّم البصري[١٣٨](ت ٢١٨هـ/٨٣٣م)الذي قدم مصر وسكنها, وكان يقول بخلق القرآن فأسكته الإمام الشافعي بالحجج والبراهين [١٣٩] قال الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) (وكان يرد خبر الواحد ويقول: الحجة للإجماع، فقال له الشافعي في مناظرته: أبإجماع رددت خبر الواحد، أم بغير إجماع فانقطع)[١٤٠] وقدم للقاهرة الشيخ نجم الدين, أحمد بن محسّن بن مليّ بن حسن ابن مليّ[١٤١](ت ٦٩٩هـ/١٢٩٩م) من بعلبك الشامية ,فجلس وناظر وشهد له أهلها بالفضل, وكان حسن المناظرة قادر على إبداء الحجّة وإفحام الخصم[١٤٢] وعلى عكس هذا الوصف ترجم له الذهبي في تاريخه فقال (ودخل مصر غير مرة وكان شهما جريئا، مشتلقا يخل بالصلوات ويتكلم في الصحابة، نسأل الله السلامة)[١٤٣] , إضافة الى مجالس مناظرات خاصة عقدت قصور الأمراء أو السلاطين وغيرها, مثل مجلس المناظرة لشيخ الإسلام الإمام ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ/١٣٢٨م) بمصر وجرت له مناظرات مع مخالفيه ببيت الأمير ركن الدين بيبرس الاوحدي[١٤٤](ت٧٢٥هـ/١٣٢٥م) وبحضور رسمي لقاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م وكان موضوعها حول الاستغاثة والتوسل بالرسول (ﷺ) وزيارة القبور[١٤٥] وانتهت بتأييد بعض العلماء لأراء ابن تيمية بينما خالفه آخرون ,مما زاد من حدة الصراع بينه وبين خصومه فسجن على أثارها ثم اخرج وعقد مجلساً أخر للمناظرة في المدرسة الصالحية بالقاهرة [١٤٦] , ومن المجالس الخاصة تلك التي جلس بها قاضي القضاة جلال الدين الرازي , أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن الرومي الحنفي [١٤٧] (ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م) مع السلطان الملك الناصر بن قلاوون سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧ م بعد الصلاة فأعجب السلطان به و بعلمه وفهمه وطريقة مناظرته [١٤٨]

سادساً/ المجالس الأدبية والثقافية (الشعر والموسيقى) : شكلت مصر وعبر العصور مراكز حاضنة وجاذبة للثقافة والفنون والموسيقيين من شتى البلدان ,و ازدهرت المجالس الأدبية والثقافية التي عقدها الوافدون على ارضها ومنهم الشعراء فكانوا من عوامل ظهور الشعر المصري وتطوره , سواء بالتقليد او السماع والمواكبة لشعر الوافدين فوجودهم كان أشبه بمدرسة

غير مباشرة لتعليم الشعر وإنشاده, وارود المقريزي تراجم لمن جلس لفنون الشعر والموسيقى والغناء وهو ما سنستعرضه وكالاتي : الشاعر أبو سعد ,عبد الله بن الزّبير بن بجر الأسديّ الكوفي[١٤٩](ت ٧٥هـ/٦٩٤م) الذي كان شاعراً متكسباً اشتهر بتردده على أصحاب النفوذ في عصره لغرض الهبات والأعطيات ,فنجده يمدح الخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان بدمشق , ثم يرتحل الى مصر ليمدح واليها عبد العزيز بن مروان الذي تجمع حوله الشعراء لكرم عطائه فمدحه بأشعار كثيرة [١٥٠]و الشاعر الفصيح , ابو عمرو, جميل بن جن بن عبد الله العذري [١٥١](ت ٨٢هـ/٧٠١م) المعروف بجميل بثينة[١٥٢]أحد عشاق العرب وهو ممن ترك أرثاً شعريا بمصر , رغم إنه لم يمدح احداً قط وقدم مصر وحضرته الوفاة بها، فقال وقد ذكر بثينة[١٥٣]

صدع النعيّ فؤادها بجميل ... وثوى بمصر ثواء غير قفول

ووفد الشاعر الكوفي المشهور أبو الطيب ,أحمد بن الحسين بن الحسن[١٥٤](ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م) المعروف بالمتنبّي, إلى مصر واستوطنها لاربع سنوات وكان جليس الأستاذ كافور الاخشيدي الذي لم يمدح غيره وكان ذو هيبة ومكانة ومن شعره ما انشده [١٥٥]

لا خيل عندك تهديها ولا مال ... فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

واجز الأمير الذي نعماه فاجئة ... بغير قول، ونعمى الناس أقوال

و الشاعر نجم الدين ابو محمد, عمارة بن علي بن زيدان اليمنيّ الفقيه (ت ٥٦٠هـ/١١٤٦م)الذي زار مصر لكثر من مرة فترة حكم الفاطميين منها سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م،حيث تلقاه أهلها بالأكرم و انشده بحضرة الفائز الفاطمي في قاعة الذهب بالقصر الفاطمي الأتي[١٥٦]:

الحمد للعيس بعد العزم والهمم ... حمدا يقوم بما أوليت من نعم

لا أجحد الحقّ عندي للركاب يد ... تمنّت اللجم فيها رتبة الخطم

وكان الوزير الفاطمي الصالح بن رزيك يحفظ الأبيات حال إنشادها فدعاه مرة الى مجلس نضمه في حضرته ومن شعره [١٥٧]

دعوا كلّ برق شمتم غير بارق ... يلوح على الفسطاط صادق بشره

وزوروا المقام الصالحيّ، فكلّ من ... على الأرض ينسى ذكره عند ذكره

وفي مجال الموسيقى وعلمها الذي يعتني بتأليف الإلحان والإيقاعات والموسيقار هو مؤلف الإلحان [١٥٨]و احتلت الموسيقى والغناء مكانة هامة خاصة في المجتمعات المترفة المعيشة فتنوعت الإلحان وأساليب العزف على الآلات لما حققته من منافع مادية وشخصية للعازفين ,وسنذكر الوافدين منهم الى مصر بحسب ما ذكره المقريزي منهم,ناصر الدين, الزركشيّ الدمشقيّ, كان بارعاً في الموسيقى والعزف يجتمع حوله أهل الطرب بدمشق ثم ضيق عليه هنالك فقدم الى القاهرة وسكنها وكان واحد زمانه في الموسيقى وخلف مجموعة من الإلحان والأصوات[١٥٩] والموسيقي ,بدر الدين, محمد بن فراتقان المارديني، المعروف بالكتيلة الجنكيّ, كان موسيقاراً بارعاً في العصر المملوكي أتقن الغناء والعزف وحفظ الشعر ونال مكانة رفيعة واشتهر اسمه حتى استدعاه السلطان الناصر محمد بن قلاوون الى مصر واستوطنها فترة طويلة وأمره بتعليم الجواري في البلاط الإلحان والأوزان الموسيقية والغناء بمهارة فائقة وكان السلطان واعيان مصر يحضرون مجالس طربه وعزفه[١٦٠] .

الخاتمة :

١-اختلفت البلدان والمدن والقرى الى قدم منها الوافدين الى مصر ولكن الثقل الأكبر كان لوافدين بلاد الشام والعراق والأندلس.

٢- تنوعت المجالس العلمية التي عقدها الوفدين وهذا يدل على امتلكه هؤلاء من ملكه علمية وأدبية بالإضافة الى تنوع الأماكن التي جلسوا بها ان كانت مجالس عامة او خاصة.

٣- اهتم الوافدين بعقد مجالس القران الكريم وعلومه كما اهتموا بدراسة وتدريس الحديث النبوي الشريف ان كان عن طريق السماع من الشيوخ او روايته من الكتب .

٤-نالت المجالس الثقافية (الشعر والموسيقى) اهتمام أهل مصر من طبقات مختلفة مما ساعد على جذب الشعراء والموسيقيين ومن مختلف البلدان

٥-اختلفت العصور الإسلامية التي قدم بها الوافدين وكانت موزعة على أربعة قرون كما اختلفت مكانتهم العلمية ومذاهبهم الفقهية

الهوامش:

(١)الزركشي, بدر الدين محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ/١٣٩٢م) البرهان في علوم القرآن,تح: محمد أبو الفضل إبراهيم , ط١, دار إحياء الكتب العربية , ١٩٥٧م,٣٣٥/١؛ قابة , عبد الحليم بن محمد, القراءات القرآنية –تاريخها –ثبوتها حجمها احكامها, ط١, دار الغرب الاسلامي, ١٩٩٩م, ص٢٤؛ محمد خالد منصور, واخرون, مقدمات في علم القراءات, ط١, دار عمار ,د.م,٢٠٠١م,ص٤٧.

(٢) المقريزي ,المقفى الكبير ,٦/ ٥٧, ترجمة رقم (٢٥٤٥) كذلك ينظر ترجمته: ابن نقطة الحنبلي ,ابو بكر محمد بن عبد الغني بن ابي بكر (٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م), إكمال الإكمال , تح : عبد القيوم عبد ربه , ط١ , جامعة ام القرى , مكة , ١٩٨٩م, ١٣٦/١.

(٣)الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ /١٣٤٧م), تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام, بشار عوّاد معروف,ط١, دار الغرب الإسلامي,د.م, ٢٠٠٣ م, ١٥٦/٨

(٤)المقريزي , المقفى الكبير , ٧٨/١ ,ترجمة رقم(٨٨) كذلك ينظر ترجمته: الذهبي, معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار, ط١, دار الكتب العلمية, د.م, ١٩٩٧م,ص٢١٩.

(٥) هو نزيل مصر ابو القاسم عبد الجبار بن أحمد الطرسوسي كان من كبارقراء مصر وله عدة مؤلفات في علم القراءات اهمها (المجتبى في القراءات)توفي بمصر, السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ/١٥٠٥م) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة,تح: محمد أبو الفضل إبراهيم,ط١, دار إحياء الكتب العربية , عيسى البابي الحلبي وشركاه , مصر, ١٩٦٧ م,٤٩٢/١؛ حاجي خليفة , مصطفى بن عبد الرحمن العثماني (ت١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م) سلم الوصول إلى طبقات الفحول,تح: محمود عبد القادر الأرناؤوط,د.ط, مكتبة إرسيكا، إستانبول , تركيا, ٢٠١٠ م, ٢٤١/٢.

(٦) ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (٥٧٨هـ/١١٨٢م) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ط٢, مكتبة الخانجي , بيروت ,لبنان, ١٩٥٥م, ,ص٩٣؛ الذهبي ,تاريخ,٩/ ٥١٦؛ محيسن ,محمد سالم (ت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م), معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ,ط١, دار الجيل , بيروت, ١٩٩٢ م,١٤/٢.

(٧) المقريزي,المقفى الكبير ,٦/ ٦٤,ترجمة رقم(٢٥٥٨)

(٨) ابن الجزري, غاية,١٨٧/٢.

(٩)المقريزي, المقفى الكبير ,١/ ٣١١,ترجمة رقم(٤٩٥)

(١٠) فاس: مدينة مشهورة كبيرة في المغرب, ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله(٦٢٦هـ/١٢٢٩م) معجم البلدان ، ط٢، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥م,٢٣٠/٤.

(١١)جامع قديم بنته قبيلة راشدة عند الفتح الإسلامي وعرف باسمها ثم هدم هذا الجامع وبني الحاكم بأمر الله الفاطمي جنوبي الفسطاط على القرب من الرصد وسماه على اسمه , ينظر: القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (٨٢١هـ/١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الأنشأ ، د.ط, دار الكتب العلمية, ,٣/ ٣٨٨.

(١٢)الذهبي , تاريخ, ١٦٦/١٢؛ ابن الجزري ,غاية,٧١/١؛ السيوطي, حسن, ٤٥٣/١.

(١٣) المقريزي, المقفى الكبير ,٦/ ٢٦, ترجمة رقم(٢٤٣٥) كذلك ينظر ترجمته: المراكشي, أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت٧٠٣ هـ/ ١٣٠٣م), الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة,تح: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف,ط١, دار الغرب الإسلامي، تونس,٢٠١٢م, ,٤/ ٣٩٢, ٣٩٣.

(١٤)المراكشي, الذيل والتكملة,٤/ ٣٩٣؛ الذهبي,تاريخ ٨٣٧/١١.

(١٥)المقريزي ,المقفى الكبير ,٣/ ١٩٤,ترجمة رقم(١١٧٠)كذلك ينظر ترجمته: الصفدي, الوافي, ٥٨/١٢.

(١٦) تلمسان:مدينة عظيمة و قديمة من مدن بلاد المغرب الأوسط تقع في اول الصحراء على طريق سلجماسة , الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م), الروض المعطاء في خبر الأقطار،ط٢، تح: احسان عباس، نشر مكتبة لبنان، بيروت, ١٩٨٤م,,ص١٣٥.

(١٧) الذهبي, تاريخ,٥٣٩/١٥؛ السيوطي,حسن,٥٠٤/١؛ نويهض,معجم إعلام ,ص١٤٥.

(١٨)المقريزي ,المقفى الكبير ,٥/ ١٤٤,ترجمة رقم(١٨٢٣) .

(١٩) ألش: مدينة تقع في بلاد الأندلس من إعمال تدمير ,ياقوت الحموي,معجم البلدان,٢٤٥/١؛الحميري, صفة جزيرة الأندلس, ط٢,دار الجيل , بيروت ,لبنان, ١٩٨٨م,ص٣١.

(٢٠)القصيدة الشاطبيّة في القراءات للقاسم بن فيّرة، عنوانها حرز الأماني,ياقوت الحموي, معجم الأدباء(إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب),تحقيق:احسان عباس,ط١,دار ٢٢١٦/٥.

(٢١) المقريزي, المقفى الكبير ,٧/ ٢٧١, ترجمة رقم(٣٦٠٠)كذلك ينظر ترجمته: الحسني, أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن (٧٦٥هـ/١٣٦٣م) ذيل تذكرة الحفاظ,ط١, دار الكتب العلمية,١٩٩٨م, ص١٣؛ لسان الدين ابن الخطيب,محمد بن عبد الله بن سعيد (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) الإحاطة في أخبار غرناطة,ط١, دار الكتب العلمية، بيروت, ١٤٢٤هـ,٢٨/٣؛حاجي, سلم, ٢٩٢/٣.

(٢٢) غرناطة: من اقدم مدن بلاد الاندلس تقع في كورة البيرة ياقوت الحموي, معجم البلدان, ١٩٥/٤.

[٢٣] السبكي, معجم الشيوخ,تح: بشار عواد, رائد يوسف العنبكي, مصطفى إسماعيل الأعظمي,ط١, دار الغرب الاسلامي,د.م,ت, ,٤٧٢/١.

[٢٤]الواحدي,أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي ، (ت ٤٦٨هـ/١٠٧٥م) التَّفْسِيرُ البَسِيْط,ط١, عمادة البحث العلمي , جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, ١٤٣٠ هـ,١٨٦/١.

[٢٥] القبة المنصورية: من اعظم المباني المملوكية واجلها قدرا عبارة عن مجمع علمي وصحي تظم عدد من قبور السلاطين تقع منطقة النحاسين ,المقريزي, الخطط, ٢٢٦/٤.

[٢٦]المقريزي, المقفى الكبير , ١/ ١٥٣, ترجمة رقم(٢٩٤)

[٢٧]المقريزي, المقفى الكبير ,٥/ ٨٥, ترجمة رقم(١٦٨٥),كذلك ينظر :المراكشي ,ذيل التكملة,٤٩٤/٣.

[٢٨]الذهبي, تاريخ ,٢٢٩/١٥؛ الأدنه وي, أحمد بن محمد (ت ق ١١هـ) طبقات المفسرين تح: سليمان بن صالح الخزي,ط١, مكتبة العلوم والحكم ,السعودية, ١٩٩٧م,ص٢٤٦؛ كحالة,معجم المؤلفين,٢٣٩/٨.

[٢٩]ابن شاكر الكتبي, محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) فوات الوفيات,تح: إحسان عباس,ط١, دار صادر , بيروت, ١٩٧٣, ٧٨/٤ السيوطي, حسن, ٥٣٤/١؛ الزركلي, الاعلام , ١٥٢/٧,

[٣٠]ابو بكر الطرطوشي, أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد ,(ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م) سراج الملوك, د.ط, من أوائل المطبوعات العربية , مصر,١٨٧٢هـ,١٧٨؛ الجرجاني, التعريفات,ص٢٥٣؛الصميدعي, خولة محمود محمد علي, الوعظ الديني في العصر العباسي(دراسة تاريخية) ,رسالة ماجستير(منشور) جامعة الموصل,كلية الآداب, العراق, ٢٠٠٥,ص٢٠.

[٣١]رحمه الله ,مليحة,الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع,د.ط,مطبعة الزهراء ,بغداد,١٩٧٠م,ص٩٩.

[٣٢]رحمه الله,الحالة الاجتماعية,ص٩٩؛عزيز, ندى محمد, الوعاظ ودورهم الاجتماعي في العصر العباسي في القرنيين الثالث والرابع الهجريين,بحث منشور في مجلة التراث العالمي ,مجلد (٢٢) العدد(٤) ,٢٠٢م,ص٧٣.

[٣٣]سورة الأعراف,اية ٧٩.

[٣٤]ابن الجوزي, تلبيس إبليس,ط١, دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان, ٢٠٠١م,ص١١١؛رحمه الله,الحالة الاجتماعية,ص٩٩؛ الصميدعي, الوعظ الديني,ص١٢٤.

[٣٥] المقريزي ,المقفى الكبير ,٧/ ٧٨, ترجمه رقم (٣٢٣٦)للمزيد ينظر ترجمته:,٣٨٧/١٢؛الصفدي,الوافي,٧/٥.

(٣٦) استراباد: مدينة من مدن جرجان تقع على سفح الجبل وفيها خيرات كثيره , مجهول,(ت٣٢٧هـ/٩٣٨م) حدود العلم من المشرق الى المغرب, تح: يوسف هادي, د.ط, الدار الثقافية للنشر ,القاهرة,١٤٢٣هـ,ص١٥٣.

(٣٧) اليافعي,مرآة,٣٦٩/٣.

(٣٨) السيوطي, حسن,٤٠٧/١.

(٣٩) المقريزي,المقفى الكبير ,٥/ ٣٥١,ترجمة رقم(٢٢٥٩)

(٤٠) نيسابور: هي مدينة عظيمة في خراسان وهي إحدى أرباعها , اليعقوبي , احمد بن اسحاق بن جعفر (٢٩٢هـ/ ٩٠٥م), ١ / ٩٥.

(٤١)المنذري , زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) التكملة لوفيات النقلة , تحقيق : بشار عواد , مؤسسة الرسالة , بيروت , لبنان , ١٩٨٤م, ١٠٧/٢.

(٤٢) الذهبي, تاريخ,٨٣/١٣.

(٤٣)المقريزي ,المقفى الكبير ,٥/ ٣٦٩,ترجمة رقم(٢٣٠٨).

(٤٤) الذهبي, تاريخ ,٦٠٧/١٤.

(٤٥) المقريزي, المقفى الكبير ,٥/ ٢٣٦,ترجمة رقم(١٩١٥) ,كذلك ينظر ترجمته: المراكشي,الذيل,١٥٢/٥.

(٤٦)نظمها على حروف المعجم و كل بيت من القصيدة الواحدة يبدأ ويختم بنفس الحرف، وكلّ قصيدة لا تعدو ٢١ بيتا فهي وتريّة بهذا البيت الزائد على العشرين وهو سبب في تسميتها ,البغدادي, هدية العارفين,١٢٧/٢؛ درنيقة ,محمد احمد, معجم إعلام شعراء المدح النبوي, ط١,دار مكتبة الهلال ,د.م,ت, ص٣٢٦,

(٤٧)الزركلي,الاعلام,٢٩/٧.

(٤٨)المقريزي, المقفى الكبير ,٦/ ٤٧, ترجمة رقم(٢٥٠٨)

(٤٩) الصفدي,الوافي,٢١٧/٣؛حاجي خليفة ,سلم ,١٧٥/٣.

(٥٠)المقريزي ,المقفى الكبير ,١/ ٣٣٤, ترجمة رقم(٥٣٨) كذلك ينظر :السيوطي, حسن,٥٢٣/١.

(٥١) الذهبي,تاريخ, ٥٨٤/١٥؛ أبو الطيب ,محمد صديق خان بن حسن (ت ١٣٠٧هـ) التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ,ط١, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر, ٢٠٠٧م, ص٣١٢.

(٥٢)المقريزي, المقفى الكبير,١٩٤/١ ,ترجمة رقم(٣٨٢) كذلك ينظر: الصفدي,الوافي,٩٥/٦؛ الكتبي,فوات,٤٩/١؛ السيوطي, حسن,٥٢٣/١.

(٥٣)قلعة جعبر: تقع على الفرات بين بالس والرّقة، قرب صفّين، كانت قديما تسمّى دوسر، ابن عبد الحق البغدادي ,صفي الدين عبد المؤمن القطيعي (٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع , ط١, دار الجيل ,بيروت , ١٩٩١م,٣٣٥/١.

(٥٤) المسجد المعلق:ينسب بناؤه للامير سيف الدين أبو العلاء بن غزال من أمراء الدولة المملوكية وموقعه بجزيرة الوراق بالقاهرة وسمي بالمعلق لانه بني على مكان مرتفع يطل على النيل ,المقريزي, الخطط,٦٨/٢.

(٥٥)ابن كثير, إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية ، تح : علي شيري ، ط١ ، دار الهجرة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨م ، ٣٦٧/١٣.

(٥٦) المقريزي, المقفى الكبير ,٥/ ٣٦٦,ترجمة رقم(٢٢٩٨) كذلك ينظر: الذهبي,تاريخ,٨٨١/١٥.

(٥٧) المنسوبة لشيخ مصر الزاهد ابو الفتح نصر بن سليمان المنبجي أتخذها مكاناً للاعتزال والعبادة واستقبال الاعيان والامراء وغيرهم تقع خارج باب النصر من القاهرة ,المقريزي, الخطط,٣١٥/٤.

(٥٨)الكتبي,فوات,٣٨٢/٣؛ القرشي, الجواهر المضية,٥٧/٢؛ البغدادي, هدية العارفين,١٣٩/٢

(٥٩)المقريزي المقفى الكبير ,١/ ٤٠١, ترجمة رقم(٦٣١)

(٦٠)بالقرب حكر جوهر النوبي اتجاه الحارة الوزيرية من بر الخليج الغربي من القاهرة وينسب للامير حسين بن جندر الرومي ,ينظر: الصفدي,الوافي,٢١٥/١٢؛ المقريزي, المقفى الكبير, ٣٦٤/٣؛الخطط,٢٦٢/٣.

(٦١) المقريزي, السلوك,١٨/٣.

(٦٢)القاضي عياض, الإلماع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع , تح: احمد صقر , ط١, دار التراث , القاهرة , ١٩٧٠ م , ١/ ٦٩ ؛ الصالح , صبحي ابراهيم (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م) علوم الحديث ومصطلحه , ط١٥, دار العلم للملايين , بيروت , لبنان , ١٩٨٤م.,١/ ٨٨.

(٦٣)السيوطي,تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي, تح: نظر بن محمد الفاريابي, د.ط,دار الطيبة ,١/ ٤١٨.

(٦٤) السيوطي,المزهرة في علوم اللغة وأنواعها,تح:فؤاد علي منصور,ط١,دار الكتب العلمية, بيروت,١٩٩٨م,٢٦٨/٢.

(٦٥)ابو سديرة, الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص, ,ص٤٦

(٦٦)ابن يونس المصري , عبد الرحمن بن احمد بن يونس المصري (ت ٣٤٧هـ / ٩٥٨م) تاريخ المصريين(تاريخ ابن يونس), ط١, دار الكتب العلمية, بيروت ,١٤٢١هـ,١٤٦/١

(٦٧)وهذا الحديث صحيح اخرجه : احمد بن حنبل , أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م) مسند أحمد بن حنبل, تح: السيد أبو المعاطي النوري,ط١, عالم الكتب , بيروت, ١٩٩٨ م,٤٥٨/٥؛ابن ماجة , سنن ابن ماجه,٣٦٩/١.

(٦٨)المقريزي, المقفى الكبير ,٣/ ٤٠٨؛العمري ,عصر الخلافة الراشدة,١٥٣.

(٦٩) المقريزي, المقفى الكبير ,٤/ ٣٤٨,ترجمة رقم(١٥٥٢).

(٧٠)السيوطي, حسن,٢١٤/١.

(٧١) المقريزي, المقفى الكبير ,٣/ ٤٣, ترجمة رقم(١٠٩٣).

(٧٢)ابن سعد , أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي (ت ٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى, تح: محمد عبد القادر عطا , ط١, دار الكتب العلمية بيروت ,,٤٣٦/٣؛ السيوطي,حسن,١٨٨./١

(٧٣)المقريزي, المقفى الكبير ,١٠٩/١,ترجمة رقم(١٦٩), ابن الجزري ,غاية النهاية, ٨/٣.

(٧٤)ابن عساكر, أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ /١١٧٥م) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضالها وتسمية من حلها من الاماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها واهلها,تحقيق:عمرو بن غرامة العمروي, د. ط , دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, ١٩٩٥ م, ٤٢٧/٥؛ الذهبي, تاريخ, ٢١/٤.

(٧٥)المقريزي, المقفى الكبير ,٥/ ٢٢٨,ترجمة رقم(١٨٩٩) .

(٧٦)الخطيب البغدادي ، أبو بكر, أحمد بن علي بن ثابت (٤٦٣هـ /١٠٧٠م) تاريخ بغداد ، تحقيق : بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت،٢٠٠٢م, ٢٨٣/١٠.

(٧٧) ابن يونس,تاريخ المصريين, ١٩٢/٢؛الذهبي,تاريخ,٣٢٩/٧.

(٧٨) المقريزي, المقفى الكبير ,١/ ٦٣, ترجمة رقم(٤٥) .

(٧٩)ابن عساكر, تاريخ دمشق,١٤٦/٧٢؛ الذهبي, سير, ٩٦/١٤.

(٨٠) المقريزي, المقفى الكبير ,٦/ ٩١,ترجمة رقم(٢٦٣٥)

(٨١)الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد ,٦٣١/٨.

(٨٢) لم اعثر على ترجمة له.

(٨٣) المقريزي, المقفى الكبير ,١/ ٩١,ترجمة رقم (١١٥) ,كذلك ينظر ترجمته :الذهبي ,تاريخ ,١٢٧/١٠.

(٨٤)حاجي خليفة,سلم,١٨/٤.

(٨٥) دار الانماط: محلّة قديمة من مدينة مصر, المقريزي, الخطط ٣/ ١٤٤.

(٨٦)المقريزي, المقفى الكبير ,١/ ٩١.

(٨٧)المقريزي, المقفى الكبير ,٧/ ٢٢٠, ترجمة رقم(٣٤٩١)

[٨٨]امد: وهي أعظم مدن ديار بكر وأجلّها قدرا وأشهرها , ابن عبد الحق البغدادي, مراصد, ٦/١.

([٨٩])إبن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م), وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, تحقيق: إحسان عباس,ط١, دار صادر , بيروت,١٩٠٠م , ٣/ ٢٢٧.

[٩٠]المقريزي, المقفى الكبير ,٧/ ٢٢٠.

[٩١] المقريزي, المقفى الكبير ,٥/ ٢٩٧,ترجمة رقم(٢٠٧١)

[٩٢]ابن الدمياطي, شهاب الدين احمد بن ابيك الحسامي (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) المستفاد من تاريخ بغداد ,تح: محمد مولود خلف , ط١ , مؤسسة الرسالة , ١٩٨٦م, ٢١/ ١٥٧؛ ابن كثير , البداية , ١٣/ ٦١.

[٩٣]ابن المستوفي , ابو البركات المبارك بن احمد بن المبارك (ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م), تاريخ إربل(نباهة البلد الخامل ممن ورده من الاماثل) , تح: السيد سامي بن خماس الصقار , دار الرشيد , العراق , ١٩٨٠م,١٦٢/٢.

[٩٤]ابن الملقن, سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد (ت ٨٠٤ هـ/١٤٠٢م) العقد المذهب في طبقات حملة المذهب,تحقيق: أيمن نصر الأزهري و سيد مهني,ط١, دار الكتب العلمية، بيروت , لبنان, ١٩٩٧, , ص٤٥١.

[٩٥]المقريزي,المقفى الكبير ,١/ ١٨٧, ترجمة رقم(٣٦٦)

[٩٦] الذهبي, تاريخ ,١٥/٣٠٥.

[٩٧] المقريزي, المقفى الكبير ,٥/ ١٥٧,ترجمة رقم(١٨٦٠) .

[٩٨]ياقوت الحموي, معجم الأدباء,٥/١٩٦٣؛ السيوطي,حسن,١/٤١٢.

[٩٩] الذهبي,تاريخ, ١٥/٤٧٩.

[١٠٠] الحجّة للقراء السبع ,تح: بدر الدين قهوجي و بشير جويجاني,ط٢, دار المأمون للتراث, دمشق ,١٩٩٣م.

[١٠١] المقريزي, المقفى الكبير ,٧/ ١٥٣,ترجمة رقم(٣٣٤٠)

[١٠٢] المقريزي, المقفى الكبير, ٥/٣٨٠,ترجمة رقم(٢٣٣٨)

[١٠٣]العزلة, ط٢, المطبعة السلفية, القاهرة , ١٣٩٩هـ

[١٠٤] بيان زلل الفقراء ومواجب ادبهم , تح: سليمان إبراهيم اتش, ط١,الطباعة والنشر والتوزيع والاعلان, د.م, ١٩٩٣م .

[١٠٥]المقريزي, المقفى الكبير, ٥/٣٨٠.

(١٠٦)ابن نقطة الحنبلي,التقيد,١٩٤/١؛ المقريزي , المقفى الكبير,١٥٠/١ ؛السيوطي,حسن المحاضرة,٤٠٩/١.

(١٠٧) المقامات الحريري, د.ط, مطبعة المعارف , بيروت , ١٨٧٣م..

(١٠٨) المنذري, التكملة,٣٥٢/٢؛ ابن ناصر الدين,توضيح المشتبه,١٥٩/٥.

(١٠٩) المقريزي, المقفى الكبير ,٥/ ٣٩٩,ترجمة رقم(٢٣٨٤),كذلك ينظر: الصفدي, الوافي, ١٤٦/٣

(١١٠) بر الوالدين, تح: عبد العاطي محي الشرقاوي, ط١, مكتبة الامام البخاري , مصر ٢٠١٤م.

(١١١) الذهبي, تاريخ,٧٣٣/١٤؛ ابن العماد الحنبلي, شذرات,٢٥٨/٥؛حاجي خليقة,سلم,١٥١/٣.

(١١٢)الصفدي,الوافي, ٩٣/٢؛ المقريزي, المقفى الكبير ,٥/ ١٥٧.

(١١٣) جزء سفيان بن عيينة ,تح: مفلح بن سليمان بن مفلح,ط١, دار الميمان للنشر والتوزيع, السعودية ,٢٠٠٩م

(١١٤) الذهبي,تاريخ, ٤٧٩/١٥.

(١١٥) المقريزي, المقفى الكبير,١٢٦/١,ترجمة رقم(٢٢١)

(١١٦) كتاب الاربعين الكبرى(سنن البيهقي),تح: محمد عبد القادر عطا , د.ط, مكتبة دار الباز , السعودية ١٩٩٤م .

(١١٧)المقريزي, المقفى الكبير,١٢٦/١,

(١١٨)ابن منظور, محمد بن مكرم بن علي(٧١١هـ/ ١٣١١م), لسان العرب, ط٣, دار صادر, بيروت ,١٩٩٣م , , ١٥ / ٢٩٠ .

(١١٩) سوره البقرة : ايه : ٢٨٢.

(١٢٠) سوره الفرقان : ايه : ٥.

(١٢١) الصاحب , محمد بن عبد محمود , الإملاء وأثره في ضبط الرواية , بحث منشور في حولية كلية الشريعة والقانون للدراسات الإسلامية , مكتبة البنين , جامعة قطر, العدد ١٥، السنة ١٩٩٧ م , ١٨٦ص.

(١٢٢) لسان , ٢٠/ ١٦١.

(١٢٣)ابن كثير, فصول في السيرة , تح : محمد عبد , محي الدين ستو, ط٣, مؤسسة علوم القران ١٩٨٢م , ٢٥٥/١.

(١٢٤) الواقدي , المغازي , تح: مارسن جدسن, ط٣, دار الإعلامي , بيروت ١٩٨٩ م , ٦١٠/٢.

(١٢٥)كشف الظنون ,١/ ١٦١.

(١٢٦)المقريزي , المقفى الكبير. ٥ /٣٧ ,ترجمة رقم(١٥٨٣),كذلك ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد , ٢ /٢٧٩.

(١٢٧)؛ المقريزي , المقفى الكبير. ٥ /٣٧.

(١٢٨) المقريزي, المقفى الكبير ,٥/ ٢٤٤,ترجمة رقم(١٩٤٠)

(١٢٩)ابن حجر, لسان الميزان,١٣/٧.

(١٣٠) المقريزي, المقفى الكبير ,٣/ ٢٦,ترجمة رقم(١٠٧٧) .

(١٣١) لشهرته واتساع علمه في الحديث الشريف رحل إليه المحدث الكبير الدارقطني الى مصر ونزل عنده وسمع عليه واخرج له مسند وروى عنه ,ينظر: ابن كثير ,البداية ,٤٩٣/١٥.

(١٣٢) الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد ,٨/ ١٥٦.

(١٣٣)العين ,٨/ ١٥٦.

(١٣٤)التعريفات ,ص ٢٣٢.

(١٣٥) أكرم,اولاد ضياف, مجالس المناظرات في العصر العباسي الاول , رسالة ماجستير (منشورة) جامعة ٨ مايو ١٩٤٥ قالمة ,كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية ,الجزائر,٢٠١٧,ص١٣.

(١٣٦)المقريزي, المقفى الكبير ,٥/ ١٦٩, ترجمة رقم (١٨٩٥).

(١٣٧) للمزيد ينظر: المقريزي ,المقفى الكبير,٦٦/١ , ٥/ ١٦٩ –١٧٥– ١٩٥.

(١٣٨)ابن يونس ,تاريخ المصريين,٧/٢؛ الخطيب البغدادي,تاريخ بغداد,٥١٢/٦.

(١٣٩)ابن حجر, لسان الميزان,٢٤٣/١.

(١٤٠)تاريخ,٥/ ٢٦٥.

(١٤١) المقريزي, المقفى الكبير ,١/ ٣٤٩,ترجمة رقم(٥٦٠) .

(١٤٢) ابن الملقن,العقد المذهب, ص٣٧٤؛ابن حجر,لسان الميزان,٥٨٥/١.

(١٤٣)تاريخ ,١٥/ ٨٩٧.

(١٤٤)المقريزي, المقفى الكبير, ٣٠٦/٢,ترجمة رقم(١٠٠٣) .

(١٤٥) للمزيد حول المناظرة ينظر المقريزي,المقفى الكبير,٢٨٠/١.

(١٤٦)المقريزي, المقفى الكبير , ٢٨٢/٢.

(١٤٧) المقريزي, المقفى الكبير, ٢١٦/١, ترجمة رقم(٤١٧) .

(١٤٨)المقريزي, المقفى الكبير, ٢١٦/١,.

(١٤٩) المقريزي, المقفى الكبير ,٤/ ٢١٦,ترجمة رقم(١٤٨٢) .

(١٥٠)حسين, الحياة الفكرية بمصر من الفتح العربي الاسلامي الى اخر االدولة الفاطمية ,ص١٠٦.

(١٥١) المقريزي, المقفى الكبير, ٤٢/٣, ترجمة رقم(١٠٩٢) .

(١٥٢) نسبة الى بثينة :وهي محبوبته عشقها وهو غلام فلما كَبُرَ خطبها فَرُدَّ عنها وقال الشعر فيها وكان يأتيها سراً ومنزلهما بوادي القرى,حاجي خليفة ,سلم,٤١٧/١.

(١٥٣) ابن عساكر, تاريخ دمشق ,٢٥٥/١١؛ الصفدي, الوافي, ١٤١/١١؛ السيوطي, حسن, ٥٥٨/١ .

(١٥٤)المقريزي, المقفى الكبير, ٢٢٣/١,ترجمة رقم(٤٣٣).

(١٥٥)ابن حجر ,لسان الميزان,١٠٢/٩؛ السيوطي, حسن, ٥٦٠/١.

(١٥٦)الصفدي,الوافي,٢٣٧/٢٢؛ المقريزي,المقفى الكبير ,٤/ ٣٦٣ , ٣٦٦.

(١٥٧) ابن خلكان ,وفيات,٤٣١/٣؛ السيوطي , حسن ,٤٠٦/١.

(١٥٨)ابو عبد الله , الخوارزمي , محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) مفاتيح العلوم, تح: إبراهيم الأبياري, ط٢, دار الكتاب العربي, د.م,ت, ص٢٠٩.

(١٥٩) المقريزي, المقفى الكبير ,٧/ ٢٨٠,ترجمة رقم(٣٦٢٧)

(١٦٠) المقريزي, المقفى الكبير ,٦/ ٢٦٩ , ٢٧٠, ترجمة رقم(٣٠٠٨).

المصادر والمراجع:

اولاً المصادر الأولية:

* ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (٥٧٨هـ/١١٨٢م).

١- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ط٢, مكتبة الخانجي , بيروت ,لبنان, ١٩٥٥م.

ابو بكر الطرطوشي, أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد ,(ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م)

٢- سراج الملوك, د.ط, من أوائل المطبوعات العربية , مصر,١٨٧٢هـ.

* جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) .

٣-تلبيس إبليس,ط١, دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان, ٢٠٠١م.

* الحسني, أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن (٧٦٥هـ/١٣٦٣م)

٤- ذيل تذكرة الحفاظ,ط١, دار الكتب العلمية,١٩٩٨م.

* الحميري, محمد بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م).

٥- الروض المعطاء في خبر الأقطار،ط٢، تح: احسان عباس، نشر مكتبة لبنان، بيروت, ١٩٨٤م

٦-صفة جزيرة الأندلس, ط٢,دار الجيل , بيروت ,لبنان, ١٩٨٨م.

* حاجي خليفة , مصطفى بن عبد الرحمن العثماني (ت١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م)

٧- سلم الوصول إلى طبقات الفحول,تح: محمود عبد القادر الأرناؤوط,د.ط, مكتبة إرسيكا، إستانبول , تركيا, ٢٠١٠ م.
*الخطيب البغدادي ، أبو بكر, أحمد بن علي بن ثابت (٤٦٣هـ /١٠٧٠م) .
٨- تاريخ بغداد ، تحقيق : بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت،٢٠٠٢م,
*إبن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م).
٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, تحقيق: إحسان عباس,ط١, دار صادر , بيروت,١٩٠٠م.
* ابن الدمياطي, شهاب الدين احمد بن ابيك الحسامي (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).
١٠- لمستفاد من تاريخ بغداد ,تح: محمد مولود خلف , ط١ , مؤسسة الرسالة , ١٩٨٦م
* الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ /١٣٤٧م).
١١- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام, بشار عوّاد معروف,ط١, دار الغرب الإسلامي,د.م, ٢٠٠٣ م.
١٢-معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار, ط١, دار الكتب العلمية, د.م, ١٩٩٧م.
* الزركشي, بدر الدين محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ/١٣٩٢م) .
١٣-البرهان في علوم القرآن,تح: محمد أبو الفضل إبراهيم , ط١, دار إحياء الكتب العربية , ١٩٥٧م.
*السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ/١٥٠٥م)
١٤- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة,تح: محمد أبو الفضل إبراهيم,ط١, دار إحياء الكتب العربية , عيسى البابي الحلبي وشركاه , مصر, ١٩٦٧ م.
١٥- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي, تح: نظر بن محمد الفاريابي, د.ط,دار الطيبة.
١٦- المزهرة في علوم اللغة وأنواعها,تح:فؤاد علي منصور,ط١,دار الكتب العلمية, بيروت,١٩٩٨م.
* ابن سعد , أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي (ت ٢٣٠هـ).
١٧- الطبقات الكبرى, تح: محمد عبد القادر عطا , ط١, دار الكتب العلمية بيروت.
* ابن شاكر الكتبي, محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م)
١٨- فوات الوفيات,تح: إحسان عباس,ط١, دار صادر , بيروت, ١٩٧٣
*الصالح , صبحي ابراهيم (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)
١٩-علوم الحديث ومصطلحه , ط١٥, دار العلم للملايين , بيروت , لبنان , ١٩٨٤م.
* أبو الطيب ,محمد صديق خان بن حسن (ت ١٣٠٧هـ) .

٢٠ –التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ,ط١, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر, ٢٠٠٧م.
*ابن عبد الحق البغدادي ,صفي الدين عبد المؤمن القطيعي (٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م).
٢١– مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع , ط١, دار الجيل ,بيروت , ١٩٩١م
* ابن عساكر, أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ /١١٧٥م) .
٢٢–تاريخ مدينة دمشق وذكر فضالها وتسمية من حلها من الاماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها واهلها,تحقيق:عمرو بن غرامة العمروي, د. ط , دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, ١٩٩٥ م
*القاضي عياض ,عياض بن موسى بن عياض(٥٤٤هـ/ ١١٤٩م).
٢٣–الإلماع الى معرفة اصول الرواية وتقييد السماع , تح: احمد صقر , ط١, دار التراث , القاهرة , ١٩٧٠م
*القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (٨٢١هـ/١٤١٨م).
٢٤– صبح الأعشى في صناعة الأنشأ ، د.ط, دار الكتب العلمية.
*ابن كثير, إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)
٢٥– البداية والنهاية ، تح : علي شيري ، ط١ ، دار الهجرة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨م .
٢٦–فصول في السيرة , تح : محمد عبد , محي الدين ستو, ط٣, مؤسسة علوم القران ١٩٨٢م
*لسان الدين ابن الخطيب,محمد بن عبد الله بن سعيد (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م).
٢٧– الإحاطة في أخبار غرناطة,ط١, دار الكتب العلمية، بيروت, ١٤٢٤هـ
*الأدنه وي, أحمد بن محمد (ت ق ١١هـ) .
٢٨–طبقات المفسرين تح: سليمان بن صالح الخزي,ط١, مكتبة العلوم والحكم ,السعودية, ١٩٩٧م
*ابن الملقن, سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد (ت ٨٠٤ هـ/١٤٠٢م)
٢٩– العقد المذهب في طبقات حملة المذهب,تحقيق: أيمن نصر الأزهري و سيد مهني,ط١, دار الكتب العلمية، بيروت , لبنان, ١٩٩٧م.
*المراكشي, أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت٧٠٣ هـ/ ١٣٠٣م).
٣٠–الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة,تح: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف,ط١, دار الغرب الإسلامي، تونس,٢٠١٢م.
*ابن المستوفي , ابو البركات المبارك بن احمد بن المبارك (ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م).
٣١– تاريخ إربل(نباهة البلد الخامل ممن ورده من الاماثل) , تح: السيد سامي بن خماس الصقار , دار الرشيد , العراق , ١٩٨٠م

*المنذري , زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) .
٣٢-التكملة لوفيات النقلة , تحقيق : بشار عواد , مؤسسة الرسالة , بيروت , لبنان , ١٩٨٤م.
*ابن نقطة الحنبلي ,ابو بكر محمد بن عبد الغني بن ابي بكر (٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م)
٣٣- إكمال الإكمال , تح : عبد القيوم عبد ربه , ط١ , جامعة ام القرى , مكة , ١٩٨٩م.
*الواحدي,أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي ، (ت ٤٦٨هـ/١٠٧٥م)
٣٤-التَّفْسِيرُ البَسِيْط,ط١,عمادة البحث العلمي , جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, ١٤٣٠
*ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله(٦٢٦هـ/١٢٢٩م)
٣٥- معجم البلدان ، ط٢، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥م
٣٦-معجم الأدباء(إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب),تحقيق:احسان عباس,ط١,دار .
*ابن يونس المصري , عبد الرحمن بن احمد بن يونس المصري (ت ٣٤٧هـ / ٩٥٨م)
٣٧ تاريخ المصريين(تاريخ ابن يونس), ط١, دار الكتب العلمية, بيروت ,١٤٢١هـ.

ثانيا: المراجع

*رحمه الله ,مليحة.
٣٨-الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع,د.ط,مطبعة الزهراء ,بغداد,١٩٧٠م.
*قابة , عبد الحليم بن محمد.
٣٩- القراءات القرآنية -تاريخها -ثبوتها حجمها احكامها, ط١, دار الغرب الاسلامي, ١٩٩٩م,
*محمد خالد منصور, واخرون.
٤٠-مقدمات في علم القراءات, ط١, دار عمار ,د.م,٢٠٠١م.
*محيسن ,محمد سالم (ت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
٤١- معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ,ط١, دار الجيل , بيروت, ١٩٩٢ م.

ثالثا: الرسائل والبحوث:

*الصاحب , محمد بن عبد محمود .
٤٢- الإملاء وأثره في ضبط الرواية , بحث منشور في حولية كلية الشريعة والقانون للدراسات الإسلامية , مكتبة البنين , جامعة قطر, العدد ١٥، السنة ١٩٩٧ م , ١٨٦ص.
*الصميدعي, خولة محمود محمد علي.
٤٣- الوعظ الديني في العصر العباسي(دراسة تاريخية) ,رسالة ماجستير(منشور) جامعة الموصل,كلية الآداب, العراق, ٢٠٠٥م.

البعثات والارساليات المسيحية إلى الأراضي المغولية
دراسة تاريخية

م.د عثمان نوري ثامر

المديرية العامة لتربية ديالى

م.د عدنان عباس شاكر

ديوان الوقف السني

دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية

Christian missions and missions to Mongol lands
Historical study

The first researcher
M.D. Othman Nouri Thamer
General Directorate of Education in Diyala

The second researcher
Dr. Adnan Abbas Shaker
Sunni Endowment Office Department of Religious
Education

البعثات والارساليات المسيحية إلى الأراضي المغولية – دراسة تاريخية

م.د عثمان نوري ثامر

م.د عدنان عباس شاكر

الملخص

لم تكن البعثات والارساليات المسيحية الى الاراضي المغولية وليدة الصدفة انما كانت هناك نواة للمسيحية النسطورية في البيئة المغولية الاولى، لكنها لم تكن تحظى بأهمية بالغة بالنسبة للبابوات الذين كانوا اصحاب الكلمة العليا في اوربا الذين كانوا يخضع لهم الخواص قبل العوام ، حتى جاءهم سيل المغول يقتحم اوربا مدينة بعد مدينة ،الامر الذي أربك رجال الدين الكاثوليك قبل ملوك اوربا ،فعلموا ان لا طاقة لهم في مواجهتهم في القتال ،فاضطروا الى مراسلتهم عن طريق البعثات الدينية السياسية من اجل ايقاف زحفهم اتجاه اوربا اولا، وكذلك تنصيرهم ليكونوا تحت لواء الكنيسة الكاثوليكية ليكونوا يدهم الضاربة في الاراضي المقدسة ثانياً.

Summary

The Christian missions and missions to the Mongolian lands were not the result of coincidence. Rather، there was a nucleus of Nestorian Christianity in the early Mongolian environment، but it did not have great importance for the popes، who were the ones who had the highest say in Europe، and who were subject to the elite before the common people، until the flood of the Mongols came to them، storming Europe. City after city، which confused the Catholic clergy before the kings of Europe. They knew that they had no energy to confront them in battle، so they were forced to correspond with them through religious and political missions in order to stop their advance towards Europe first، as well as to Christianize them to be under the banner of the Catholic Church to be their striking hand. Secondly، in the Holy Lands.

المقدمة

عندما بدأ المغول في زحفهم نحو العالم ،اخذت اصداء معاركهم تتسع شيئاً فشيئاً نحو مسامع الناس واصبح المغول حديث ذلك الوقت لما تركوه من عنف وقساوة في كثير من المدن التي قهروها ، اذ التصقت بهم الكثير من الخرافات والاساطير على انهم شعب لا يقهر، فضلاً عن الكثير من الانتصارات التي حققوها في معاركهم ، لاسيما عندما اتجهوا نحو اوربا ، مما دفع رجال الدين النصرانية الى ان يلجأوا وعلى رأسهم أنوست الرابع ان يتخذ طريق غير طرق القتال او التصادم معهم وهو يعلم قوة المغول وما وصلت اليه من معلومات حول قوتهم وسرعت انتشارهم في العالم ، وكذلك يعلم ما تمر به اوربا من تفكك سياسي واجتماعي واقتصادي لذا لجأ وهي خطوة جريئة نوعاً ما الا انه استطاع بفضل البعثات والارساليات التي قام بها من اجل كسب المغول وجعلهم على الديانة النصرانية ، على الرغم من فشل كل بعثاته هو ولويس التاسع الذي اكمل ما بدأ به أنوست الرابع ، الا نهم استطاعوا بعض الشي ان يحجموا من اندفاعهم نحو اوربا، لذا عملوا قصارى جهدهم من اجل تنصير المغول او على الاقل ان يقفوا بجانبهم ضد المسلمين من اجل تحرير الاراضي المقدسة التي دعت اليها بابوات الإوربية ، لاسيما انهم تفاجئوا بالزحف المغول من شرق اوربا، وجعل البابوية امام الامر الواقع لكي تدافع عن اوربا ، لذا عملت على ايجاد طريق اكثر سلمياً واكثر واقعيا لهم الا وهي البعثات والارساليات المسيحية.

التمهيد

لم يعرف المغول وهم شعب مغرق في البداوة في بادئ الامر دينا معينا واضح المعالم، ويرجع ذلك الى حياة العزلة التي عاشوها في هضبة منغوليا ،التي لم يفكر كثير من دعاة الأديان آنذاك في اقتحام صحاريها ،لما يحتويها ذلك من اخطار جسيمة لاتؤمن عواقبها[١]

كان المغول كغيرهم من الاقوام الأقدمين وثنيين وكانت ديانتهم تعرف بالشامانية[٢]، وكان طبقا لعقائدهم الشامانية يعبدون كل شيء على مداركهم ويدق على افهامهم وكل ما يرهبهم ويدخل الخوف الى أفئدتهم، لهم آلهتم في النهر والجبل والشجرة الكبيرة[٣]،أذ كانوا يسجدون للشمس عند طلوعها ،ولا يحرمون شيئا ،فأنهم يأكلون جميع الدواب[٤] لكن ليس كل

المغول عبدو الشمس عند طلوعها ، بل ان البعض منهم عبدوها ،فكانوا يؤصش ذشـــــدون الصلاة لها تسع مرات وهم يدقون صدورهم بأيديهم ويسكبون الشراب على الارض وهم يتلون ادعية[٥]،ومنهم من يعظم النجوم ويعبدونها[٦]،كما كانت كانوا يعبدون أرواح اجدادهم القدامى التي كانوا يعتبرونها ذات سلطان عظيم في حياتهم[٧]،مما ادى الى زيادة الكهنة بين المغول بسبب اجادة هؤلاء الكهنة للسحر والشعوذة والكيمياء والفلك والنجوم ،وعرف عن خانات المغول شغفهم وولعهم بهذه العلوم[٨]،ومنهم من دان بالنصرانية ،ومنهم لادين بدين معين ومن طرائقهم لا يتعصبون لمذهب[٩].

أدى الاضطراب الديني عند المغول الى أرض خصبة بالنسبة الى المبشرين الوافدين الى الشرق الأقصى الذين جاؤا من كل قطر ،ولكن المسائل الدينية ليست الشغل المغول الشاغل ،أذ انصدموا المبشرين أول الامر أمام هذه الديانة البدائية أحيطت بعادات خرافية ،فضلا عن ذلك ليس لهم كهنة سوى السحرة[١٠].

لم يكن المغول مرتبطين بأي عقيدة معينة، أذ اشتهروا بفضولهم في سؤال الاجانب عن ديانتهم دون ان يعني ذلك بالضرورة اعتناقهم أية ديانة ،فأنهم كانوا يحتفظون خرافات غليظة[١١]،غير ان ذلك لم يستمر طويلا حتى تأثر المغول بمدنيات تلك الشعوب التي فتحوها وخرجوا عن بربرية بداوتهم الاولى ،حين وجدوا أنفسهم جنبا الى جنب هؤلاء الاجناس ذات الديانات الراقية ،على الرغم من اختلاف الديانات الا انهم هدأت نفوسهم وتركوا التخريب والتدمير التي امتازت بها غزواتهم ،وظهروا بمظهر التسامح مع الديانات الاخرى ،فأعفوا عن قسيسها ودعاتها من الضرائب ،كما منحوهم الحرية التامة في اقامة شعائرهم الدينية[١٢].

❖ نواة المساعي المسيحية

مع ان البوذية استطاعت اخيرا ان تجعل لنفسها المكانة العليا في الجزء الشرقي من الامبراطورية المغولية ،لم يكن نفوذ المسيحية بحال قليل الشأن اول الامر ،فكان يجيش في نفوس رجالها آمال كبيرة واطماع بعيدة في تحويل المغول الى هذا الدين ،وقد حمل المبشرون النسطوريون[١٣]،في القرن السابع الميلادي تعاليم الدين المسيحي من الغرب الى الشرق[١٤]،ويبدو ان النساطرة لم ينتظروا طويلا من الاعتراف بهم ،اذ كانت اولى الديانات

التي تمتعت بنفوذ واسع ،فأن النسطوري تشكاي الكراييتي(١١٧١_١٢٥١م)،الذي جعل منه جنكيز خان مستشارا حتى قبل ان يبلغ ذروة قوته ،كما اسهم اسهاما كبيرا في تنظيم الامبراطورية[١٥].

❖ **دوافع البعثات والإرساليات**

في خضم حوادث الاكتساح المغولي للنصارى في روسيا وبولندا وغيرها من المدن الاوربية ،اذ وصلت اخبار كثيرة عن الغزو والغزاة الى أوربا سواء بحكم الموقع الجغرافي او من خلال التجار او من فرار العديد من قادة المدن الاوربية لهم، وقد تبين لأوربا العبقرية الحربية المغولية المدعمة بالخبرة الصينية والتي صقلتها ممارسة القتال في العديد من الميادين والأجواء وضد الكثير من الشعوب والقبائل ،لاسيما ما فعلوه في بولندا بعد اكتساحهم لها، والقضاء على زهرة فرسانهم بعد الانتهاء منهم[١٦] ،أذ قاموا بقطع أذناً واحدة من كل جثث اعدائهم ،حتى بلغ عددهم مائتي وسبعين الفاً، امتثالاً لمرسوم قاآن ،الذي كان يقضي بقطع الأذن اليمنى من كل قتيل[١٧] ،فضلاً عن عشرات الآلاف من الجثث البولنديين لم تجد من يدفنها، وأن حطام الكنيسة لم تجد من يرفعها ، بقيت نداءات الذين يحيطون بالمواقع التي دمرها المغول تجوب الغرب الأوربي لطلب النجدة ،حتى ان مهمة رجال الدين لم تكن لهم دوراً في انقاذ العالم المسيحي من الخطر المحدق ، ولا حتى مستشارين الملوك والأساقفة ومقدمي الأديرة[١٨].

عندما اعتلى أنوسنت الرابع عرش البابوية(١٢٤٣_١٢٥٤م)،وجه اهتماماً شديداً للمسألة المغولية، فقد جدد جهوده من أجل ايقاف الزحف المغولي ،أذ عمل على ترغيب العامة والفرسان على حد سواء لحمل الصليب ضد المغول بمنحهم نفس الامتيازات الممنوحة للصليبيين المتجهين الى الاراضي المقدسة ،وقد استطاع البابا انوسنت الرابع ان يحصل على معلومات وافره عن المغول من خلال احد الاساقفة الروس ،أذ ان التتر يعتقدون بوجود حاكم واحد فقط في العالم هو خليفة جنكيز خان وانهم يعتقدون ايضاً، ان الرب وأبنه في السماء وان جنكيز خان في الأرض ،وانهم يستقبلون السفراء بكل لطف ويعيدونهم سالمين ، أذ كانت هذه المعلومات على درجة كبيرة من الأهمية لأنوسنت الرابع في تعزيز سياسته نحو المغول ،لأنه اعتقد ان من معتقدات المغول شيئا شبيهاً بالمسيحية الكاثوليكية[١٩] ،خاصة

اعتقاد(الاب والابن) في السماء وان البابا ممثل الرب على الارض ،لهذا اعتقد ان هؤلاء أقرب الى المسيحية ،وأنه يمكن تحويلهم الى الدين المسيحي لأن اعتناقهم للديانة المسيحية انقاذهم لأوربا من أخطارهم المتوقعة[٢٠] .

ثم ولدت الاقاصيص العجيبة التي تشيد بذكر عظمة القسيس يوحنا وافكاره، التي الهبت خيال اهالي اوربا الوسطى ،لأعتقاد بأن المغول كانوا على المسيحية، وكان يزيد من هذا الاعتقاد التي وصلت الى أوربا عن تحول بعض أمراء المغول على اختلافهم الى المسيحية ،وكذلك تحمسهم في الدعوة لهذا الدين والانتصار له[٢١] .

بعد ان اخذ القلق يدب في نفوس البابوات ومسيحي الغرب ،ورأوا ان الطريقة السليمة لأتقاء خطر التتار هي الاتصال بهم ومحاولة التفاهم معهم، وعلى هذا الاساس كانت سياسة البابوية في الشرق الاقصى تهدف الى أستماله التتار في الصين وفارس[٢٢] ، الى اعتناق الديانة المسيحية والدخول في حظيرة الكنيسية الكاثوليكية ، وكذلك ابعاد خطرهم عن طريق البعثات والارساليات ، ومن ثم الاشتراك معهم من أجل قيام بحرب صليبية عامة لأنتزاع الأراضي المقدسة من الحكم الاسلامي ، وقد لاقت هذه الفكرة اعتباراً عظيماً في ذلك الحين[٢٣] .

❖ بعثات البابا أنوست الرابع (٦٤١-٦٥٢هـ/١٢٤٣-١٢٥٤م)

بعد ان اكتسب البابا أنوست الرابع شهرة سياسية نتيجة اتصاله بقادة المغول ،والحقيقة انه ادرك مدى الخطر الذي يحيط بأوربا من جانب المغول في الوقت الذي كان فيه الغرب الاوربي مفككاً وعاجزاً عن تشكيل قوة عسكرية لمواجهة خطرهم لهذا اوجد افضل وسيلة متاحة له هي ايفاد رسل ومبعوثين اليهم[٢٤] .

اولاً: بعثة لورانس البرتغالي (٦٤٢هـ/١٢٤٥م)

ففي سنة ٦٤٢هـ خلال انعقاد مجلس ليون الكنسي ،ارسل البابا سفيرا اسمة لورانس البرتغالي الى العاصمة المغولية قراقورم[٢٥]، من اجل دعوة الايلخان العظيم ورعاياه من التتار الاعتناق مذهب الكنيسة الرمانية الكاثوليكية والسعي لأحلال السلام محل بين الغرب والتتار[٢٦] ،لكن البابا غير مسار هذه البعثة الى الشرق من اجل دعوة الامراء المسلمين في

بلاد الشام واسيا الصغرى على اعتناق النصرانية ،وكان مهامه ايضاً اقناع رجال الدين النساطرة واليعاقبة[٢٧] ،لتوحيد كنائسهم تحت لواء الكاثوليكية في روما[٢٨] .

ثانياً: بعثة يوحنا الكاربيني (٦٤٣هـ/١٢٤٥م)

تعد سفارة يوحنا الكاربيني واحدة من اشهر البعثات البابوية للمغول ،وذلك لأنها اول بعثة أوربية تصل الى قراقورم، واول فرصة للاحتكاك المباشر وتبادل المعلومات بصورة علنية ومكتوبة بين المغول واوربا ، وترجع اهمية هذه السفارة الى دقة وغزارة المعلومات التي دونها هذا الرحالة والذي بدوره قدمها الى البابا عن حياتهم ونظمهم الاجتماعية وجيوشهم وخططهم الحربية ،ومعتقداتهم الدينية ،وطريقة غزوهم واسلوب حكمهم للبلاد التي احتلوها ،فضلاً عن معلومات جغرافية وتاريخية لم تكن معروفة للغزو الاوربي ،كما ان يوحنا ورفاقه حضروا حفل تنصيب كيوك خان خاقانا على المغول ، وكذلك تقابلوا مع كبار قادة المغول وتحدثوا معهم لأول مرة واستمعوا اليهم ، ونقلوا للغرب الاوربي ما سمعوه ورأوه ،اذ وضعت هذه البعثة حجر الاساس للأتصالات السياسية والتجارية والدينية بين المغول والغرب الاوربي[٢٩].

بعد مضي خمسة عشر شهراً ،اجتاز بلاد الروس واسيا الوسطى ،اذ وصلت البعثة الى قراقورم حيث كان يعقد(القوريلتاي) وهو المجلس الذي اختار بعد موت قاآن اوكتاي، القاآن الجديد كيوك على عرش المغول(٦٤٤هـ_١٢٤٦م)،واحسن كيوك قاآن استقبال رسول البابا ،نظرا لكثرة عدد النساطرة بين مستشارية، غير انه بعد ان قرأ رسالة البابا التي يطلب فيها ان يعتنق المسيحية ،كتب رداً عليها بأن يطلب من البابا ان يعترف بسيادته العليا ، وان يقدم علية مع سائر أمراء الغرب ليحلفوا يمين التبعية[٣٠]،ويؤدوا له الجزية عن رعاياهم[٣١] ،بذلك فشل يوحنا ورفاقه في اجتذاب القاآن الى اعتناق المسيحية ،وان كان قد افلح في دفع الخطر المغولي الذي كان يهدد الغرب الأوربي[٣٢] .

هكذا كانت سياسة البابوية من وراء ارسال البعثة الى الاراضي المغولية من اقناع قادة التتار لأعتناق المسيحية والأنضواء تحت لواء البابوية وبذلك تضمن كسباً لأوربا وللمسيحية الكاثوليكية ، ومن ثم اشتراك التتار مع اللاتين في القيام بحرب صليبية عامة لأنتزاع الاراضي المقدسة من الحكم الاسلامي[٣٣] .

ثالثاً: بعثة أندرية لونجومو(٦٤٣هـ_١٢٤٥م)

غير ان البابا أنوست الرابع لم يرض لأوهامه ان تتبدد نهائيا، اذ ارسل سفارة ثانية يراسها الراهب الدومنيكان أندرية مع مجموعة من الرهبان ،اذ ارتحلت بعد فترة قصيرة مضت على البعثة الاولى[٣٤] ،وحمله رسائل لتسليمها لقادة المغول في ايران واسيا الصغرى ، وللأمراء المسلمين في بلاد الشام والعراق يدعوهم الى اعتناق الديانة النصرانية الكاثوليكية ،وكذلك ابلاغ رسائله الى كبار رجال الدين النساطرة واليعاقبة الارثوذكس تدعوهم تحت الانضواء تحت لواء البابوية[٣٥] .

لكن أندرية التقى مع فرقة مغولية في تبريز[٣٦] ،وقام بتسليم خطابي البابا الى قائد هذه الفرقة الصغيرة ،والراجح ان هذه الرسائل لم تصل الخان الاعظم في قراقورم ، ومن ثم فأن نجاح الذي حققته هذه البعثة يتمثل بأسقف النساطرة في تبريز المدعو(سيمون)والحصول منه على معلومات عن خطط المغول لغزو العالم[٣٧] ،والحقيقة الماثلة بيننا ان أندرية والاسقف(سيمون) قد استطاعا أقامه جسر ديني بين المسيحيين في الغرب الاوربي والمسيحيين، في اقصى الشرق ، وهذا الجسر قام فوق القوات المغولية والاسلامية[٣٨] .

رابعاً: بعثة آسلين اللومباردي(٦٤٥هـ_١٢٤٧م)

ترأس آسلين البعثة الثالثة من جماعة الدومنيكان الى الشرق ،اذ كان هدف البابا من هذه البعثة هو خشية البابا في ان يفشل أندرية الى المغول من الشمال فيستطيع آسلين توصيل خطابات البابا لقادة المغول عن طريق اخر أقل خطراً، وقد استطاع بهذه الحقبة المغول اخضاع مملكتي جورجيا الصغرى وأرمينا الصغرى المسيحيتين ،لهذا خشى البابا من يكتسح المغول املاك الصليبين ومواقعهم في الاراضي المقدسة، وكذلك توحيد الكنائس الشرقية تحت لواء البابوية ،مع جمع معلومات عن نية المغول وأهدافهم في غرب اسيا ، فضلاً عن ان البابوية تهدف من وراء ذلك حث المغول على اعتناق المسيحية والتكفير عن ذنوبهم والكف عن قتل السكان المسيحيين او تدمير املاكهم والدعوة الى حسن معاملتهم[٣٩] .

بهذا بدأ آسلين رحلته من مدينة ليون الفرنسية ووصل الى تفليس[٤٠] ،ومن ثم الى سورية وفارس الى معسكر(بايجو)، وفي اول الامر لم يكن شعور التتار نحو السفراء يبشر

بنتيجة طيبة ، بسبب رفض السفراء الركوع امام القائد المغولي بحجة انهم ممثلوا الاب الأعلى لكل النصارى على الارض ، بالاضافة الى انهم لم يحملوا معهم هدايا كما هي عادة السفراء ، وهذا ما أثار حفيظة بعض القواد الذين طلبوا باعدامهم ، اذ لم ينقذهم من هذا المأزق سوى وصول رسول من الخاقان الاعظم ،يأمر بايجو بمعاملتهم بشكل جيد ، وان يرسل بصحبتهم رسولين من قبل المغول يحملان رداً مشابهاً لردهم على بعثة يوحنا الكاربيني والذي تتضمن مثول البابا وملوك الغرب الاوربي الى الخاقا آن الاعظم وتقديم فروض الطاعة والولاء(٤١) .

عادت البعثة الى ليون في (٦٤٦هـ_١٢٤٨م) بصحبة موفدين من قبل بايجو يحملان الرد، هما(أيبك وسرجيوس) يعتقد الاول كان تركي والثاني نسطوري ،وربما كان الهدف منهما هو التجسس على الغرب، اذ كان يهدف القائد المغولي ان يحث الصليبيين على تسخين جبهة بلاد الشام لأشغال المسلمين هناك في الوقت الذي كان يعتزم مهاجمة بغداد، بذلك يشتتون جبهة المسلمين فلا تستطيع جبهة الشام مساعدة جبهة بغداد(٤٢) .

على الرغم من ان رسل البابا لم يفلحوا في تحويل ايلخانات التتار الى المسيحية الغربية الا ان ردودهم تبشر بخير ، كما ان المعلومات التي أتى بها الرسل اللاتين كانت مشجعة على مواصلة السياسة التي سارت عليها البابوية في التودد الى التتار ومحاولة ضمهم الى المعسكر الغربي، وفضلا عن ذلك استطاعوا ان ينجحوا في جمع معلومات عن نظمهم وعقيدتهم وحياتهم الاجتماعية ،وكذلك عن الجوانب التاريخية والجغرافية ، وليس من الشك ان هذه المحاولات والمعلومات قد انارت الطريق امام الملك الفرنسي لويس التاسع(٤٣) .

❖ بعثات لويس التاسع ملك فرنسا(٦٤٦-٦٤٨هـ/١٢٤٨-١٢٥٠م)

اولاً: بعثة آندرية لونجومو(٦٤٣هـ/١٢٤٥م)

في غمرة هذه الاحداث تحرك الملك لويس التاسع بحملته المعروفة في التاريخ بأسم الحملة الصليبية السابعة لمهاجمة مصر، اذ كان البابا أنوست الرابع هو الذي بدأ بمراسلة حكام المغول، فأن العكس هو الذي حدث مع الملك لويس، ففي اثناء وجودة في جزيرة قبرص وصل الية مبعوثان مغوليان هما(مرقص وداود) من قبل القائد المغولي الجهيدار الذي كان يشغل منصب نائب الخان الاعظم في الموصل ، وقد قدما برسالة

مكتوبة الى الملك لويس التاسع بالاضافة الى رسالة شفوية، وكان ما يثير الدهشة مما جاء فيها ان كيوك قآآن وبعض رجال المغول البارزين ومنهم الجهيدار نفسة قد اعتنقوا المسيحية(٤٤) .

لقد كانت السفارة التي ارسلها المغول الى الملك لويس التاسع عملا كبيراً من الواجهة الرسمية ، كما اعتبرت السفارة عملاً دبلوماسياً قام به المغول واستجاب له الملك لويس التاسع، وقد حاول كلاً من الجانبين المغولي والفرنسي استغلال الاخر لمصلحته ، ومن ذلك يتضح انه اصبح تتطابق اهداف كلاً منهما، وهذا الهدف هو القضاء على القوة الأيوبية في مصر والشام ، اما بالنسبة للملك الويس التاسع فهو امر يسهل عليه تحقيق هدفه الرئيسي وهو استعادة الاراضي المقدسة، اما بالنسبة للمغول فأن القضاء على القوات الأيوبية في مصر يسهل عليهم القضاء على الخلافة العباسية في بغداد اعتقاداً ان مصر لم تقف مكتوفة الايدي اذا ما تعرضت الخلافة العباسية للخطر ، وعلى الرغم من السفارة المغولية كانت فيها نوع من التجسس على نوايا وتحركات الغرب الاوربي لاسيما تحركات الملك الويس التاسع ، على اية حال لم يكن امام لويس التاسع سوى ترحيب بالسفارة المغولية التي يرى فيها تحالف المغول مع الغرب الاوربي ضد المسلمين عامةً وفي مصر والشام وبغداد بشكل خاص، ومن جانب اخر يلغ الملك الفرنسي أمالاً كبيره على دخول العناصر المغولية في الديانة المسيحية خاصة بعدما صور له البعض ميول الخان الاعظم كيوك الى بعض النساطرة المسيحية ، وتعين عدد منهم في بعض الوظائف القيادية الهامة في دولة المغول ، اذ تعلقت في آماله ان هذا التحالف العسكري بين اوربا والمغول هو القضاء على المسلمين(٤٥) .

كان اول عمل ايجابي من المغول اتجاه الغرب الاوربي لذا عمل لويس التاسع على ارسال بعثة مكونه من ثلاث اشخاص هما أندرية لونجومو واخوة غي ويوحنا كاركاسون وقد تولى أندرية رئاسة هذه السفارة نظراً لخبرته في السفر الى المغول والتعامل معهم ، فرافقت هذه البعثة السفارة المغولية عند عودتها ، وارسل مع البعثة هدية ثمينة ، وهي عبارة من قماش قرمزية على هيئة كنيسة صغيرة، نقشت بداخلها بعض الآيات والصور الدينية وذلك

بقصد استمالته الى المسيحية ، كما ارسل معهم كؤوس العشاء الرباني وكتباً وكل ما يلزم لأقامة القداس في حضرة الايلخان(٤٦) .

ابحرت البعثة الصليبية من قبرص الى انطاكيا(٤٧) ،ومنها اخذت الطريق البري الى الموصل وتبريز ووصلت الى معسكر (جغتاي خان) في وسط فارس ، ولكن لسوء الحظ كان كيوك قاآن المغول قد مات ولم يعد بوسع جغطاي وهو احد الحكام المحليين ان يتحمل بمفردة مسؤولية تقرير سياسة جديدة ، فيما يتعلق بالتعاون مع لويس التاسع حيث رأى من الافضل ان يوجهها الى قراقورم حيث الوصية على العرش المغولي (اوقوقميش) ارملة كيوك، لان الصراع على السلطة لأختيار من يخلفة كان على أشده(٤٨) .

يبدو ان تلك السفارة لم تحقق نتيجة حاسمة وسريعة في موضوع التحالف بين لويس التاسع والمغول ، لأن الرد على هذه البعثة لم يختلف على الردود السابقة الى البابوية ، اضافةً الى ذلك ان لويس التاسع قد هزم في المنصورة وأسر ثم ذهب مع قواته الى بلاد الشام بعد دفع فدية ضخمة ، ووصلت بعثة اندرية عام ٦٤٨هـ وهو في قيسارية فصدم لويس بشدة مما حملته بعثته من اخبار محزنة جعله يوجه نظره الى كتلة اخرى من المغول ، وهم مغول وسط روسيا(٤٩)

البعثة الثانية: وليم روبروك (٦٥٠هـ_١٢٥٣م)

لقد سيطرت على الملك الفرنسي التاسع وعلى فئة كبيرة من الاوربيون افكار شريرة جعلتهم دائمي التفكير في كيفية محاربة الاسلام والقضاء عليهم ، لذلك وجدنا الملك لويس التاسع يتجرع الأهانات الكثيرة من المغول والمعاملات السيئة والردود الجافة التي كانوا ينظرون الية فيها وكأنه تابع ذليل امام سيد كبير غير مؤمن بدين ، وكل ذلك تجرعه في سبيل محاربة المسلمين مع علمة اليقين ان المغول خلال هذه الفترة اعداء للحضارة الانسانية والتقدم وانهم قاموا بمذابح ضد المسلمين في الشرق وضد النصارى في اوربا، تفرض على كل انسان محاربتهم او على الاقل عدم التعاون معهم(٥٠) .

اثناء وجود لويس التاسع وقواته في بلاد الشام ،تناهى الى اسماعه عن طريق النصارى الشرقيين وخاصة الارمن ،عن حسن معاملة المغول لرجال الدين النصارى ،وان (سارتاك بن باطو) قد تنصّر وان عدد من قادة المغول أبدأوا استعدادهم لاعتناق المسيحية

وانهم بحاجة الى رهبان وكذلك ان كثير من الاسرى الاوربيون متواجدون في وسط اسيا وهم بحاجة الى رجال دين لإقامة الشعائر الدينية ، دفعت هذه التطورات الدينية الراهب وليم روبروك للتطوع لهذه المهمة ، وكان لويس التاسع متلهف لإعادة فتح المفاوضات مع قادة المغول في شمالي اسيا وشرقي اوربا يعوض ذلك عن فشلة امام مغول وسط اسيا وشرقها ، فوافق على رحلة روبروك وبارك لها وطلب منه ان يوافيه أدق التفاصيل عما يشاهده او يسمعه عن حياة المغول ، فضلاً عن نواياهم اتجاه الغرب الاوربي وكيفية امكانية تحويلهم الى النصرانية[٥١].

غادر وليم روبروك من مدينة عكا[٥٢] ،في عام (٦٥٠هـ/١٢٥٣م) حتى جزيرة القرم وهناك التقى بـ(ساتارك بن باطو)في معسكرة ،وهو الذي اشتهر بميلة الى النصارى على الرغم من انه لم يكن نصرانياً، وسلمه رسالة لويس التاسع ويبدو ان الرسالة تضمنت قضايا لا يمكن لسارتاك اتخاذ قرار بشأنها قبل عرضها على والده باطو، وكذلك هو الاخر لم يستطيع ان يفعل في الامر بمفرده مما ارسل اعضاء البعثة الى قراقورم ،فوصلوا سنة٦٥١هـ والتقوا بالقاآن الاعظم منكو، الا انه من الناحية السياسية لم يحصل روبروك على وعد بأن يتلقى مساعدة من المغول طالما يقدمون ملوكهم وأمرائهم الطاعة والولاء لزعيم العالم ، وكذلك من الناحية الدينية، فإنه فشل في حمل القاآن الاعظم على اعتناق النصرانية[٥٣] ، وغادر وليم روبروك قراقورم بعد ان أيقن ان" ملوك الشرق لا يفقهون تقاليد الدبلوماسية الغربية او مبادئها"[٥٤]

لم يكن للنصارى الشرقيين اقل عملا وتدبيراً من الطرق التي التجأ اليها زعماء وقراء النصارى الأوربيون في دعوة المغول الى التنصر ومحابة المسلمين فقد لجأوا الى إعلان الولاء والطاعة للخان المغولي ، وقاموا بتزويج أميرات فاتنات ذوات شخصية قوية بعدد من خانات المغول وأمرائهم فقد كانت ام هولاكو(سورجقتاني) نسطورية ، وكذلك زوجته (طقز خاتون)، وكانت الأميرة (ماري) البيزنطية زوجة أباقا بن هولاكو ،كما تزوج(منكو) قاآن المغول الاعظم عدد من النصرانيات وعلى رأسهن (كوتوكتاي) وكانت هؤلاء الأميرات شديدات التمسك بالنسطورية حريصات أشد الحرص على مساعدة النصارى[٥٥]

❖ **بعثة: ديفيد الأشبي(٦٥٨هـ/١٢٦٠)**

اثناء وجود هولاكو في بلاد الشام عام(٦٥٨هـ/١٢٦٠)ارسل بطريرك مملكة بيت المقدس في عكا سفارة استطلاعية للقائد المغولي لمعرفة نواياه اتجاه الصليبين في الشام وكان على رأس هذه السفارة الراهب الانكليزي الدومنيكاني ديفيد الأشبي وتحدث مع هولاكو كثيرا عن عقيدة الدين المسيحي وعن قداسة الكرسي الرسولي(البابوية) وعن عظمة الملوك اللاتين الذين يدعون بالفرنجة ،الا ان هولاكو احتجزه واخذه معه الى تبريز لإستخدامة في بلاطة ، فأستغل وجودة في ايران ومارس التبشير[٥٦] .

بعد ذلك قام البابا اوربان الرابع بإرسال رسالة غير محددة التاريخ ولا اسم الراسل ،التي يريد البابا من خلالها ان يكون هولاكو على الديانة النصرانية ، ويطلب منه على ضرورة التعميد وبدأ البابا يلقي الطعم لهولاكو بقولة لو (عَمد)فعلاً فأنه سيرى كيف ستزيد قوتك في حربك مع المسلمين ويساعدونك الجنود المسيحيين بعلانية وبكل قوتهم بفضل معونة الرب ،ومن ثم فأنك ستزيد قوتك في الدنيا وبالتأكيد سوف تضمن المجد الخالد في الأخرة ، وحاول كذلك الامبراطور البيزنطي (ميخائيل باليولوغوس) ان يختار فتاة من الاسرة الحاكمة ليتزوج بها هولاكو ،اذ قام بإرسال ابنة غير شرعية اسمها ماريا لتحظى بهذا الشرف الا انها ما ان وصلت الى تبريز حتى وجدت هولاكو قد مات سنه ٦٦٣هـ ،فبادرت بالزواج من ابنه اباقا خان[٥٧] ،الا ان هولاكو لم يكن كما حاولوا الغرب من تنصيره او على الاقل جعلة تابع لهم، اذ كان هولاكو على ما كان علية اجداده الذي يرى انهم سادة العالم كله وان على الجميع ان يكون خاضع لهم ،وان هولاكو مات بوذياً بقول الهمذاني انه اواخر حياته "بنى معابد للأصنام في مدينة خوى"[٥٨] .

الخاتمة:

اعتقد الاوربيون عامةً والبابوية خاصة ان الاراضي المقدسة لاسيما بيت المقدس هي من حق المسيحيين وانها اغتصبت منهم من قبل المسلمين ،فلابد ان ترجع هذه الاراضي الى اصحابها ،وكذلك من اجل تأمين الطريق الى الحجاج المسحيين الى بيت المقدس ،لذلك اخذ رجال الدين والبابوية الاوربية تأجيج نفوس العامة من الذهاب الى الاراضي المقدسة ويمنونهم بهذه الاراضي لما فيها من خير لاسيما من الجانب الديني والاقتصادي ، الا أنهم

تفاجئوا بظهور قوة كبيرة اكتسحت العالم تمثلت بقائدها جنكيز خان الذي كان يعد الاب المنزل من السماء لا يؤمن بأي ديانة، وأن العالم لابد ان يخضع تحت سلطان المغول، وكذلك ولا يميزون بين طبقات المجتمع الواحد في اكتساحهم لأي مدينة ،لذا اربك المغول وضع اوربا ، بعد ان فشل الفرسان في التصدي لهم واخذ رجال الدين يحلون بدلاً عنهم ،على الرغم من انهم فشلوا في تنصيرهم الا انهم استطاعوا من تحجيم تقدمهم نحو أوربا.

- **الهوامش**

(١) سليم، صبري اللطيف ،قراءة جديدة في نشأة دولة المماليك في مصر بين الصليبيين والمغول ،د٠ط، (د.م، د.ت)،ص١٤٧-١٤٩ .

(٢)الشامانية :ديانة وثنية بدائية تقوم على ان العالم في نظرها مؤلف من طبقات متعاقبة، المنطقة السماوية، وهي مملكة النور، ومقر النفوس الفاضلة ،والعالم السفلي ،هو مقر الظلمات والاشرار ،ويقوم بين الأثنين مساحة الارض يعيش بنو الانسان ،وتخضع السماء والارض الى كائن اعظم يقيم في الطبقات العليا، ينظر:ارنولد ،سير توماس ،الدعوة الى الاسلام ،ترجمة ،حسن ابراهيم حسن واخرون ،مكتبة النهضة المصرية ،(القاهرة_١٩٧١م) ٢٥١؛بروي،ادوار،تاريخ حضارات العالم ،ترجمة :يوسف اسعد داغر ،فريد داغر ،منشورات،(بيروت_١٩٨٦م)،ج٣،ص٣٨٠؛بارتولد، تاريخ الترك في اسيا الوسطى ،ترجمة:احمد سعيد سلمان ،الهيئة المصرية العامة ،(القاهرة_١٩٩٦م)،ص١٨٨ .

(٣)بدر،مصطفى طه، محنة الاسلام الكبرى ،ط٢،الهيئة المصرية العامة للكتاب،(القاهرة _١٩٩٩م)ص٨٢ .

(٤)ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري،(ت٦٣٠هـ)،الكامل في التاريخ ،تحقيق: عبدالله القاضي ،دار الكتب العلمية ،(بيروت_١٤١٥هـ)ج١٠،ص٤٠٠؛ابن العماد، عبد الحي بن احمد الحنبلي الدمشقي ،(ت١٠٨٩هـ)،شذرات الذهب في اخبار من ذهب ،تحقيق:محمد الأرناؤوط ،دار ابن كثير ،(بيروت_١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)،ج٥،ص٦٤ .

(٥)ابن العميد، جرجيس، اخبار الايوبيين ،مكتبة الثقافة الدينية ،(القاهرة _د .ت)،ص٧؛مرجونه ،ابراهيم محمد علي ،احمد مختار العبادي ،المغول والحضارة الاسلامية(من الاستكبار الى الانصهار)مؤسسة شباب الجامعة ،(الاسكندرية_٢٠١٠م)،ص٢٨٩؛الدباغ،ايمان طلعت عبدالرزاق ،نظم المغول الاجتماعية والدينية والعسكرية (خلال القرن السابع والثامن الهجريين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين)،دار غيداء ،(عمان_١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)،ص٩٤.

(٦) سليم، قراءة جديدة،ص١٤٦.

(٧) ارنولد ،الدعوة الى الاسلام ،ص٢٥١.

(٨)الهمذاني، رشيدالدين فضل الله،(ت٧١٨هـ)،جامع التواريخ(تاريخ ابناء هولاكو)،مج٢،ج٢،ص١٥٨؛مرجونة،المغول والحضارة الاسلامية ، ص٢٨٧.

(٩)القلقشندي، احمد بن علي بن احمد الفزاري، (ت٨٢١هـ)،صبح الاعشى في صناعة الأنشا، دار الكتب العلمية ،(بيروت_١٩٨١م)،ج٤،ص٣١٥؛ابن تغري بردي ،جمال الدين يوسف بن عبدالله الظاهري الحنفي ،(ت٨٧٤هـ)،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،وزارة الثقافة والارشاد القومي ،(القاهرة _د.ت)،ج٧،ص٢٢٠؛الرمزي،تلفيق الاخبار ،وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ،علق عليه :ابراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية ،(بيروت _١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)،ج١،ص٣٥٦.

(١٠) بروي ،تاريخ الحضارات العام ،ص٣٧٩-٣٨١.

(١١) بروي ،تاريخ الحضارات العام ،ص٣٨١.

(١٢)ارنولد، الدعوة الى الاسلام،ص٢٥١-٢٥٢ .

(١٣) النسطورية: هو مذهب يؤكد على التمايز والفصل بين الطبيعة الالهية للمسخ والطبيعة البشرية ،فالمسيح ليس طبيعتين فحسب بل شخصيتين متمايزتين ايضا، وهما شخصية عيسى المسيح الذي كان بشرا ،وهذا البشر وحده ولد من مريم العذراء، وبالتالي فمريم والده يسوع وليس والده الله ،كذلك هو البشر _حسب اعتقادهم_ تألم ،وصلب ومات على الصليب وليس الله ، لان الله حي لا يموت ،وسميت بهذا الاسم نسبةً الى البطريرك نسطوريوس الذي اتبعه الكثير في الشرق ،ينظر: رستم، سعد، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الاسلام حتى اليوم(دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية)،الاوائل للنشر والتوزيع ،(دمشق_٢٠٠٥م)،ص٢٧.

(١٤) ارنولد، الدعوة الى الاسلام ،ص٢٥٢.

(١٥) يروي، تاريخ الحضارات العام .ص٣٨٢.

(١٦)هلال، عادل اسماعيل، العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها على العالم الاسلامي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ،(القاهرة_١٩٩٧م)،ص٤٠-٤٣ .

(١٧)ابن العبري ،ابي الفرج غريغوريوس بن اهرون الملطي،(ت٦٨٥هـ)،تاريخ مختصر الدول ،تحقيق: انطوان صالحاني اليسوع، دار الشرق،(بيروت_١٩٩٢م)،ص٢٤٨؛هلال،العلاقات بين المغول ،ص٤٦.

([١٨]) ارنولد، الدعوة الى الاسلام ،ص٢٥٢؛يروي، تاريخ الحضارات،ص٣٨٤؛ هلال، العلاقات بين المغول، ص٥٤–٥٥.

([١٩]) الكاثوليك: اصل كلمة كاثوليك هي اللفظة اليونانية (كاثوليكوس) وتعني العالمي حيث تمثل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية اكبر تجمع مسيحي في العالم، وقد استخدمت هذه الكلمة لأول مرة من قبل القديس (أغناطيوس) الانطاكي وتتلخص اركان العقيدة المسيحية ب(الثالوث والخلق_ الخطيئة والخلاص_ طبيعة الكنيسة_ العث والحياة بعد الموت)،ينظر: رستم، الفرق والمذاهب المسيحية، ص٧١.

([٢٠]) هلال، العلاقات بين المغول ،ص٥٥_٥٦.

([٢١]) ارنولد،الدعوة الى الاسلام ،ص٢٥٣.

([٢٢])فارس: اختلف الجغرافيون في أصل تسمية فارس، فمنهم من أشار إلى ان اصل التسمية تعود الى الملك فارس بن طهومرث،ومنهم من يرى ان فارس اسم بلد وليس باسم رجل، ان اقليم فارس عرفه اليونان باسم برسس (Persis) وشاع هذا الاسم وارادوا به المملكة كلها، فالاسم (Persis) (بلاد فارس) هو مشتق من (Persis) اليونانية، وصار اسماً يطلق على دولة الشاه بأسرها في حين ان الفرس انفسهم يسمون بلادهم مملكة ايران،ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله الحموي ابو عبد الله (٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار احياء التراث، (بيروت _ ١٩٧٩م)، ج٦، ص٢٢٦؛ الحميري، محمد عبد المنعم (ت٩٠٠هـ) : الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، دار صادر،(بيروت_١٩٨٤م)، ص٤٣٣؛ كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله الى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرباط، (بغداد _ ١٩٥٤)، ص٢٨٣.

([٢٣]) يوسف، جوزيف نسيم، العدوان الصليبي على بلاد الشام (هزيمة لويس التاسع في الاراضي المقدسة)،دار الكتب الجامعية ،(القاهرة_١٩٧١م)،ص٢٥٥–٢٥٦.

([٢٤])طقوش، محمد سهيل، تاريخ المغول العظام والايخانيين ، دار النفائس، (بيروت_١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، ص١١٤.

([٢٥])قراقورم: تعني باللغة التركية الرمل الأسود، وهي عاصمة الإمبراطورية المغولية الكبرى، أمر ببنائها جنكيزخان على نهر أرخون في أراضي قبائل النايمان، وتم الأنتهاء منها في عهد الخليفته أوكتاي (٦٢٤–٦٣٩هـ/ ١٢٢٧–١٢٤٣م). الذي أستخدم في بنائها أصحاب الحرف من اهل بلاد الخطا وجلب من بلاد الإسلام الصناع والزراع، ولكثرة المال وتوفر المواهب وغزارة الرغائب تم بناء المدينة بسرعة، وأقاموا مقابل المدينة في القسم المرتفع حقولاً وبساتين وبنى المعماريون قصر للإمبراطور أوكتاي خان في وسط المدينة، أنظر: الجويني، علاء الدين عطا الملك بن بهاء ،(ت٦٨١هـ)، تاريخ

جهانكشاي(تارخ فاتح العالم)،تحقيق:احمد محمد عبدالوهاب القزويني ،ترجمة: السباعي محمد السباعي،دار الكتب والوثائق القومية ،(القاهرة_٢٠٠٧م) ،ج١، ص ٢١٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٤٨٠؛ أبو الفداء ،عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، تقويم البلدان،، دار الطباعة السلطانية،(باريس_ ١٨٤٠م)، ص ٥٠٥.

(٢٦)يوسف، العدوان الصليبي ،ص٢٥٨.

(٢٧) اليعاقبة وهم القائلون بالطبيعة الواحدة للمسيح ، وهو مذهب السريان الأرثوذوكس في بلاد الشام ونحوه مذهب الكنسية القبطية في مصر التي مركزها الاسكندرية ،وتتبعها كنيسة الحبشة وارتيريا ،كما هو مذهب اكثر اهل الارمن ، ينظر :رستم الفرق والمذاهب ،ص٢٩.

(٢٨) طقوش ،تاريخ المغول العظام، ص١١٤ .

(٢٩) هلال ،العلاقات بين المغول ،ص٦٠.

(٣٠) رنسيمان ،ستيفن،تاريخ الحروب الصليبية ،ترجمة: السيد الباز العريني ،دار الثقافة،(بيروت_١٤١٧هـ/١٩٩٧م)،مج٣،ق٢،ص٤٤٦.

(٣١) طقوش، تاريخ المغول ،ص١١٦.

(٣٢) يوسف ،العدوان الصليبي،ص٢٥٩.

(٣٣) هلال، العلاقات بين المغول ،ص٦٣-٦٤.

(٣٤) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ص٤٤٦.

(٣٥) طقوش، تاريخ المغول العظام،ص١١٦.

(٣٦) تبريز:من اشهر مدن اذربيجان ، وهي مدينة عامرة حسناء ذات اسوار محكمة بالآجر والجص في وسطها عدة انهار جارية ، والبساتين محيطة بها ، والفواكه بها رخيصة ، زعم المنجمون انها لا تصيبها آفة، ما سلم من بلاد اذربيجان من الترك غير تبريز ،ينظر: ياقوت، معجم البلدان،ج٢،ص١٣؛القزويني،زكريا بن محمد بن محمد ،(ت٦٨٢هـ)،اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر،(بيروت_د.ت)،ص٣٣٩؛ابن عبد الحق، عبد المؤمن ابن شمائل القطيعي البغدادي،(ت٧٣٩هـ)،مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع،، دار الجيل،(بيروت_١٤١٢هـ)،ج١،ص٢٥٣.

(٣٧) طقوش، تاريخ المغول العظام،ص١١٨.

(٣٨) عمران، محمود سعيد، المغول والاوربيون والصليبيون وقضية القدس ،دار المعرفة الجامعية ،(القاهرة_٢٠٠٣م)،ص٣١٥.

([٣٩]) شبولر، بارتولد، العالم الاسلامي في العصر المغولي ،ترجمة: خالد اسعد عيسى، مراجعة :سهيل زكار،دار احسان للطباعة والنشر،(دمشق_١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)،ص٨٧.

([٤٠]) تفليس: بلد بأرمينية الاولى، وهي مدينة قديمة أزلية ،وهي مدينة لا اسلام وراءها ويجري في وسطها نهر يقال له الكرّ يصب في بحر، ولها سور عظيم ،وبها حمامات شديدة الحر وهي عبارة عين تنبع من الارض وقد عمل عليها حمام ، فتحها المسلمون في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بقيادة حبيب بن مسلمة ،ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج٢،ص٣٥؛القزويني، اثار البلاد، ص٥١٨؛ الحميري، الروض المعطار،١٣٩.

([٤١]) هلال، العلاقات بين المغول ،ص٦٨-٦٩؛طقوش، تاريخ المغول العظام،ص١١٨.

([٤٢]) هلال، العلاقات بين المغول ،ص٦٩؛طقوش،تاريخ المغول العظام،ص١٢٠-١٢١؛يوسف، العدوان الصليبي، ص٢٦١.

([٤٣]) يوسف، العدوان الصليبي، ص٢٦١-٢٦٢؛ عمران، المغول والاوربيون،ص٣١٦

([٤٤])عمران، المغول والاوربيون،ص٣١٨؛ طقوش، تاريخ المغول العظام، ص٢١١؛ الخالدي، اسماعيل عبد العزيز، العالم الاسلامي والغزو المغولي، مكتبة الفلاح،(الكويت_١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)،ص١٧٩.

([٤٥])هلال ، العلاقات بين المغول،ص٦٧-٦٨؛عمران، المغول والاوربيون، ص٣١٨-٣١٩.

([٤٦]) يوسف، العدوان الصليبي، ص٢٦٩؛ الخالدي، العالم الاسلامي ، ص١٨٠.

([٤٧]) أنطاكيا: اول من بنى انطاكيا انطيخس وهو الملك الثالث بعد الاسكندر ، وهي في الاقليم الرابع ، اذ كانت قصبة العواصم من الثغور الشامية ، وهي من اعيان البلاد وامهاتها موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وسعة الخير، فتحها ابو عبيدة بن الجراح واسكنها المسلمين، ينظر: المهلبي، الحسن بن احمد العزيزي،(ت٣٨٠هـ)،المسالك والممالك،(د.م_د.ت)،ص٦٤؛الحموي ،معجم البلدان،ج١،ص٢٦٦؛

العمري ،احمد بن يحيى بن فضل القرشي،(ت٧٤٩هـ)،مسالك الابصار في ممالك الامصار، المجمع الثقافي ،(ابوظبي_١٤٢٣هـ)،ج٣،ص٥٣٧؛ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي الطنجي،(٧٧٩هـ)،تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، اكاديمية المملكة المغربية ،(الرباط_١٤١٧هـ)،ج١،ص٢٨٤؛ الحميري، الروض المعطار،ص٣٨.

([٤٨])يوسف ،العدوان الصليبي، ص٢٦٨؛ طقوش، تاريخ المغول العظام،ص١٢٠.

([٤٩])طقوش ، تاريخ المغول العظام، ص١٢١؛ الخالدي، ، العالم الاسلامي ،ص١٨٠.

([٥٠])الخالدي، العالم الاسلامي،ص١٧٩-١٨٠.

([٥١]) طقوش، تاريخ المغول العظام، ص١٢٩؛رانسيمان ،الحروب الصليبية، ج٣،ص٥١.

([٥٢]) عكا: مدينة كبيرة . من ثغور الشام واسعة بينها وبين طبرية يومان ، وهي قاعدة مدن الفرنج في الشام ،مجمع السفن والرقاق وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق ، وهي كثيرة الضياع لها مرسى حسن مأمون وبها أخلاط من ناس شتى، اخذها الفرنج من أيدي المسلمين في أواخر العشرة الاولى من المائة السادسة فعادت مساجدها كنائس وصوامعها مضارب للنواقيس ،ينظر: ياقوت الحموي ،معجم البلدان،ج٤،ص١٤١؛الحميري، الروض المعطار، ص٤١٠.

([٥٣]) يوسف، العدوان الصليبي، ص٢٧١؛ طقوش، تاريخ المغول العظام، ١٣٠؛الخالدي ،العالم الاسلامي ،ص١٨٠.

([٥٤]) رنسيمان، الحروب الصليبية ،ج٣،ص٥١١.

([٥٥])العريني، السيد الباز، المغول، دار النهضة العربية ،(بيروت_١٩٨١م)،ص١٨٨؛ الخالدي، العالم الاسلامي،ص١٨٠-١٨١.

([٥٦])هلال ،العلاقات بين المغول ،ص١٠٦.

([٥٧])هلال، العلاقات بين المغول، ص١٠٩؛ طقوش، تاريخ المغول العظام،ص٢٠١.

([٥٨]) جامع التواريخ،مج٢، ج١، ص٣٣٧.

• المصادر

- ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري،(ت٦٣٠هـ):

١- الكامل في التاريخ ،تحقيق: عبدالله القاضي ،دار الكتب العلمية ،(بيروت_١٤١٥هـ).

- ابن العماد، عبد الحي بن احمد الحنبلي الدمشقي ،(ت١٠٨٩هـ):

٢- شذرات الذهب في اخبار من ذهب ،تحقيق:محمد الأرناؤوط ،دار ابن كثير، (بيروت_١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

- الهمذاني، رشيدالدين فضل الله،(ت٧١٨هـ):

٣- جامع التواريخ(تاريخ ابناء هولاكو).

- القلقشندي، احمد بن علي بن احمد الفزاري، (ت٨٢١هـ):

٤- صبح الاعشى في صناعة الأنشا، دار الكتب العلمية ،(بيروت_١٩٨١م).

- ابن تغري بردي ،جمال الدين يوسف بن عبدالله الظاهري الحنفي ،(ت٨٧٤هـ):

٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،وزارة الثقافة والارشاد القومي ،(القاهرة _د.ت).

- الرمزي:

٦- تلفيق الاخبار ،وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ،علق علية :ابراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية ،(بيروت _١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

- ابن العبري ،ابي الفرج غريغوريوس بن اهرون الملطي،(ت٦٨٥هـ):

٧- تاريخ مختصر الدول ،تحقيق: انطوان صالحاني اليسوع، دار الشرق،(بيروت_١٩٩٢م).

- ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله الحموي ابو عبد الله (٦٢٦هـ):

٨- معجم البلدان، دار احياء التراث، (بيروت _ ١٩٧٩م).

- الحميري، محمد عبد المنعم (ت٩٠٠هـ) :

٩- الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، دارصادر،(بيروت_١٩٨٤م).

- الجويني، علاء الدين عطا الملك بن بهاء ،(ت٦٨١هـ):

١٠- تاريخ جهانكشاي(تارخ فاتح العالم)،تحقيق:احمد محمد عبدالوهاب القزويني ،ترجمة: السباعي محمد السباعي، دار الكتب والوثائق القومية ،(القاهرة_٢٠٠٧م).

- أبو الفداء ،عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م):

١١- تقويم البلدان،، دار الطباعة السلطانية،(باريس_ ١٨٤٠م).

- القزويني،زكريا بن محمد بن محمد ،(ت٦٨٢هـ):

١٢- اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر،(بيروت_د.ت).

- ابن عبد الحق، عبد المؤمن ابن شمائل القطيعي البغدادي،(ت٧٣٩هـ):

١٣- مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع،، دار الجيل،(بيروت_١٤١٢هـ).

- المهلبي، الحسن بن احمد العزيزي،(ت٣٨٠هـ):

١٤- المسالك والممالك،(د.م_د.ت).

- العمري ،احمد بن يحيى بن فضل القرشي،(ت٧٤٩هـ):

١٥- مسالك الابصار في ممالك الامصار، المجمع الثقافي ،(ابوظبي_١٤٢٣هـ).

- ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي الطنجي،(٧٧٩هـ):

١٦- تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، اكاديمية المملكة المغربية، (الرباط_١٤١٧هـ).

المراجع

- شبولر، بارتولد:

١٧- العالم الاسلامي في العصر المغولي ، ترجمة: خالد اسعد عيسى، مراجعة :سهيل زكار،دار احسان للطباعة والنشر،(دمشق_١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

- ابن العميد، جرجيس:

١٨- اخبار الايوبيين ،مكتبة الثقافة الدينية ،(القاهرة _د .ت).

- ارنولد ،سير توماس:

١٩- الدعوة الى الاسلام ،ترجمة ،حسن ابراهيم حسن واخرون ،مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة_١٩٧١م).

- بارتولد:

٢٠- تاريخ الترك في اسيا الوسطى ،ترجمة:احمد سعيد سلمان ،الهيئة المصرية العامة، (القاهرة_١٩٩٦م).

- بدر،مصطفى طه:

٢١- محنة الاسلام الكبرى ،ط٢،الهيئة المصرية العامة للكتاب،(القاهرة _١٩٩٩م).

- بروي،ادوار:

٢٢- تاريخ حضارات العالم ،ترجمة :يوسف اسعد داغر ،فريد داغر، منشورات،(بيروت_١٩٨٦م).

- الخالدي، اسماعيل عبد العزيز:

٢٣- العالم الاسلامي والغزو المغولي، مكتبة الفلاح،(الكويت_١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

- الدباغ،ايمان طلعت عبدالرزاق:

٢٤- نظم المغول الاجتماعية والدينية والعسكرية (خلال القرن السابع والثامن الهجريين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين)،دار غيداء ،(عمان_١٤٤٠هـ/٢٠١٩م).

- رستم، سعد:

٢٥- الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الاسلام حتى اليوم(دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية)،الاوائل للنشر والتوزيع ،(دمشق_٢٠٠٥م).

- رنسيمان ،ستيفن:

٢٦- تاريخ الحروب الصليبية ،ترجمة: السيد الباز العريني ،دار الثقافة،(بيروت_١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

- سليم، صبري اللطيف:

٢٧- قراءة جديدة في نشأة دولة المماليك في مصر بين الصليبيين والمغول ، (د.م، د.ت).

- طقوش، محمد سهيل:

٢٨- تاريخ المغول العظام والايخانيين ، دار النفائس، (بيروت_١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).

- العريني، السيد الباز:

٢٩- المغول، دار النهضة العربية ،(بيروت_١٩٨١م).

- عمران، محمود سعيد:

٣٠- المغول والاوربيون والصليبيون وقضية القدس ،دار المعرفة الجامعية ،(القاهرة_٢٠٠٣م).

- كي لسترنج:

٣١- بلدان الخلافة الشرقية، نقله الى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرباط، (بغداد _ ١٩٥٤).

- مرجونه ،ابراهيم محمد علي ،احمد مختار العبادي:

٣٢- المغول والحضارة الاسلامية(من الاستكبار الى الانصهار)مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية_٢٠١٠م).

- هلال، عادل اسماعيل:

٣٣- العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها على العالم الاسلامي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ،(القاهرة_١٩٩٧م).
٣٤- يوسف، جوزيف نسيم:
٣٥- العدوان الصليبي على بلاد الشام (هزيمة لويس التاسع في الاراضي المقدسة)،دار الكتب الجامعية ،(القاهرة_١٩٧١م).

مدن مرو واثارها الحضارية ، سنج انموذجاً

– دراسة تاريخية –

The cities of Meroe and their cultural effects, with Sinj as a model, a historical study

أ.م. د. سماح نوري فاضل

Asst. Inst. Dr. Samah Nori Fadhil

samahsamah@gmail.com

جامعة ديالى – كلية التربية الاساسية– قسم التاريخ

Diyala university- Colloege of Basic Education- History Department

مدن مرو واثارها الحضارية ، سنج انموذجاً –دراسة تاريخية

أ.م. د. سماح نوري فاضل

ملخص البحث:

ان مدينة سنج هي من نواحي مرو ضمن اقليم خرسان والتي تتمتع بمزيا عدة لاسيما موقعها الجغرافي كونها ضمن عقدة التبادل التجاري بين العراق وخرسان مع بلاد ما وراء النهر والصين , فضلاً عن مواردها الاقتصادية من منتوجات زراعية و بعض الصناعات اذ وصفت بكثرة وتنوع انتاجها الزراعي , وسنج تعد من المدن التي تتمتع بدور ريادي على المستوى الفكري , اذ ذكرت كتب التراجم والسير العديد من العلماء تعود نسبتهم الى هذه المدينة (السنجي) , وبسبب غفلة الباحثين عن دراسة هذه المدينة من جوانبها المختلفة لقلة المعلومات التاريخية المتوفرة عنها , كان من اسباب اختيار هذا الموضوع , وكان بعنوان (مدن مرو واثارها الحضارية , سنج انموذجاً , دراسة تاريخية) اذ تم تقسيمه الى اربع مباحث مع مقدمة وخاتمة , وقائمة بثبت المصادر.

الكلمات المفتاحية :- مرو , سنج , علماء .

Abstract

The city of Sinj is one of the districts of Meroe within the Khorasan region, and it is distinguished by several advantages, especially its geographical location as it is at the crossroads of trade between Iraq and Khorasan with Transoxiana and China, in addition to its economic resources of agricultural products and some industries, as it was described as having a large and diverse agricultural production. Sinj is considered one of the cities that has a leading role on the intellectual level, as the books of biographies and history mention many scholars whose lineage is traced back to this city (Sinji). Due to the neglect of researchers in studying this city from its various aspects due to the scarcity of historical information available about it, this was one of the reasons for choosing this topic, which was entitled (***The cities of Meroe and their cultural effects, with Sinj as a***

model, a historical study), as it was divided into four sections with an introduction and a conclusion, and a list of sources.

Key words :- **Meroe** , **Sinj**, **Scientists**

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين .

أما بعد :

تعد قرية او محلة سنج من أعظم مدن مرو , و تكون على مرحلة من مركز مرو باتجاه الغرب , , تمتد مساحتها نحو الفرسخ طولاً وعرضها اقل من ذلك ، ولم تكن مدينة مستقلة سياسيًا، بل وحدة ريفية مرتبطة بمرو الكبرى. وقد اجمعت المصادر التاريخية وغيرها ان مرو فتحت صلحا من قبل المسلمين بينما فتحت سنج وهي من حواضرها عنوة .

وكان لمدينة سنج وهي ضمن قرى ومدن مرو مزيا اقتصادية مهمة تتمثل بالموقع الاستراتيجي والاتصال التجاري مع العالم الخارجي فضلا عن تنوع المنتوجات الزراعية والصناعات الداخلية ما جعل سنج من المدن العامرة ولها دخل وخراج.

وقد شكلت المنتوجات الزراعية أساس الاقتصاد في سنج ومن ورائها مرو , الى جانب ذلك ولقربها من طرق التجارة الكبرى جعل منها محطة للقوافل التجارية ومركز تجميع وتوزيع للبضائع .

ان نسبة بعض العلماء لمدينة سنج (السنجي) يدل على اشتغال بعض سكانها بالعلم ووجودها ضمن سياقات علمية يمكن عدها من المراكز العلمية في مرو.

الى جانب ماذكر لم نعثر على دراسة علمية مستقلة عن مدينة سنج والسب قد يكون وراء قلة المعلومات التاريخية المتوفرة عنها , ما شجعنا لدراستها وفق هذا البحث المتواضع اذ اجتهدنا في اعداده قدر المستطاع بعد توفيق الله سبحانه وتعالى , ليكون بعنوان (مدن مرو واثارها الحضارية , سنج انموذجاً , دراسة تاريخية) وجاءت البحث على ملخص ومقدمة و اربعة مباحث الاول عن الموقع والتسمية للمدينة فيما كان المبحث الثاني عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية اما الجانب السياسي فتناولناه ضمن المبحث الثالث, وعن

الجانب العلمي وترجمة علماء سنج كان المبحث الرابع وكانت خلاصة البحث وقائمة ثبت المصادر مسك الختام , نسال الله ان نصيب في اجتهادنا ومنه التوفيق .

المبحث الاول : التسمية والموقع .

اولاً : التسمية :

تعد مدينة مرو من أهم المراكز العمرانية في خراسان اذ كانت من أعظم مدنه عمرانًا وثروةً ونفوذًا سياسيًا خلال القرون الهجرية الأولى , اذ تتميز بموقع مركزي على طرق التجارة فضلاً عن كونها مدينة زراعية ذات شبكات سواقي عديدة، ما جعلها مركزًا حضاريًا وثقافيًا منذ العصور الإسلامية الأولى , فكانت عاصمة لخراسان في فترات طويلة، ولا سيما في العصر الأموي ثم العباسي المبكر، (١).

و ظهرت قرى ورستاق عديدة حول مرو، منها ما ورد في المصادر باسم (سنج)، التي كانت جزءًا من الريف أو ناحية من نواحي مرو , ونلمس أثارها المتنوعة في الكتب الجغرافية والتاريخية.

وعن تسميتها : فأن سنج بكسر السين وسكون النون واخره جيم من نواحي مرو بخرسان (٢) ومعنى السنج او السناج هو اثر دخان السراج في الحائط او الجدار (٣) ينسب اليها عدداً من العلماء يكنون (بالسنجي) نسبتاً اليها .(٤).

الى جانب هذا الاسم هنالك قرية او ناحية اخرى من مرو تحمل الاسم نفسه الا انها مضافة الى عباد (سنج عباد) , وتسمى ب (شنك عباد) بحسب لفظ اهل مرو بينما يلفظها المحدثون من العلماء ب (سنج عباد) , وهي قرية عامرة تبعد فرسخاً (٥) من قرية سنج محل البحث (٦)

وعد بعض الجغرافيين سنج عباد هي امتداد لمدينة سنج المقصودة بعد التوسع العمراني الحاصل فيها (٧) فيما عدا اخرون انهما مدينتان منفصلتان تجمعهما مرو (٨)

و مرو هي الاخرى تنقسم الى قسمين جانب منها يعرف ب (مرو الروذ) من ينسب اليها يدعى المرزوي او المرذوي وهي ذات زروع وانهار (٩), فيما كانت مرو الاخرى وهي الاكبر والاشهر (مرو الشاهنجان)) بفتح الشين المعجمة، وكسر الهاء، بعدها جيم والف ونون ساكنة ,(١٠) واحياناً تدعى مرو مجردة والمقصود هنا مرو الشاهجان (١١) و يقال

عن معناها : الشاه تعني الملك, اما الجان معناه الروح أي(روح الملك).. بينهما مسيرة خمسة ايام , وتكون سنج ضمن رستاق مرو الشاهجان (١٢)

ثانياً : الموقع الجغرافي .

مرو الشاهنجان مدينة قديمة من بناء ذى القرنين , في مستو من الأرض بعيدة عن الجبال أرضها كثيرة الرمل وأبنيتها من الطين (١٣) وللمدينة أربعة أبواب ولها نهر عظيم تتشعب منه أنهار يسمى نهر (مرغاب) تكون المدينة على ضفتيه يسقى بها الرساتيق والضياع وفيها مبان متقنة ومتنزهات حسنة ومساكن متحصنة , وتوصف بانها معتدلة حسنة الهواء وتعد من امهات مدن خرسان (١٤) وهي ضمن القسم الخامس من مناطق خرسان و تكون في شمالها , وفي الجزء الثامن من البلاد والاكوار بحسب تقسيم بعض الجغرافيين (١٥) ولموقع مرو على نهر المرغاب في السهل الخصيب جنوب شرقي بحر قزوين، عند ملتقى الطرق التجارية اكسبتها اهمية خاصة فانها بين عقدة المواصلات للقوافل التجارية المؤدية من العراق وفارس إلى ما وراء النهر والصين (١٦)

اما قرية او محلة سنج والتي تعد من أعظم قرى مرو الشاهجان (١٧) تكون على مرحلة (١٨) من مرو غربا , بينها وبين مرو الروذ سبعة فراسخ (١٩) بين طريق سرخس وطريق مرو(٢٠) ويكون طول مدينة سنج قرابة الفرسخ فيما تشكل مساحة عرضها اقل من ذلك ، شيدت منازلها على ضفتي النهر , وكانت من المدن العظيمة ، ولم تكن مدينة مستقلة سياسيًا، بل وحدة ريفية مرتبطة بمرو الكبرى.(٢١) ومن القرى المجاورة او التابعة لها : (زَغَنْدانُ) وهي محلة في قرية سنج من أعمال مرو تبعد ست فراسخ عنها (٢٢) و(زُمُلْقُ) و (زَوَالَقَنْج) و (مَانَقَانُ) وهن من القرى المتاخمة لسنج (٢٣) و (زرق) قرية على تسعة فراسخ منها ، وفيها قتل يزدجرد كسرى الفرس (٢٤)

ثالثاً : الفتح الاسلامي لسنج ومرو ومقتل كسرى الفرس فيها

اجمعت المصادر التاريخية وغيرها ان مرو فتحت صلحا بينما فتحت سنج وهي من حواضرها عنوة (٢٥) وفي مرو وفتحها ورد الحديث النبوي الشريف " عَنْ بُرَيْدَةَ (٢٦) قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : سَتَكُونُ بَعْدِي بُعُوثٌ كَثِيرَةٌ ، فَكُونُوا فِي بَعْثِ

خُرَاسَانَ ، ثُمَّ انْزِلُوا مَدِينَةَ مَرْوَ ؛ فَإِنَّهُ بَنَاهَا ذُو الْقَرْنَيْنِ ، وَدَعَا لَهَا بِالْبَرَكَةِ ، وَلاَ يَضُرُّ أَهْلَهَا سُوءٌ " (٢٧).

وعن بديات الفتح وهروب يزدجر اخر ملوك الفرس ومن ثم مقتله في مرو ,اشارت المصادر الى ان هزيمة الفرس في معركة جلولاء (٢٨) دفعت يزدجر للخروج الى الري ثم الى اصبهان ثم عزم على خراسان فأتى مرو فنزلها , واتخذ بستانا فيها, وقد كاتب من بقي من المدن التي لم يفتتحها المسلمون بعد , وهنا اذن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) لقائد الجيش الاحنف بن قيس (٢٩) ان يتوسع في الفتوحات وملاحقة يزدجر الذي استقر في مرو الشاهنجان وعند اقتراب الاحنف الى هنالك سيطر عليها سنة ٢٢هـ وفتح عدة مدن مجاورة مثل هراة , الا ان سيطرة الجيش الاسلامي على المدينة دفع يزدجر الى الهروب خارجها (٣٠).

وبعد سيطر المسلمون على تلك المدن , الامر الذي دفع يزدجرد للفرار والبحث عن ملاذاً امن خارج حدود مملكته , ومن ثم راسل خاقان الترك، وملك الصين , وملك الصغد, ، وطلب مساعدتهم ، لكن الأحنف لم يمهله، وهاجمه في مرو الروذ وفتحها , ما ادى الى هروب يزدجر الى بلخ , حيث لاحقته القوات الاسلامية الى هناك (٣١)

اما يزدجرد فتابع فراره من أمام المسلمين، وعبر نهر جيحون متوسماً ان يحميه خاقان الترك , وبالفعل تعاون معه الاخير لتلاقي مصالحهما اذ كان خاقان الترك يخشى ان يمتد الفتح الاسلامي لأرضه ومملكته ، وشن الاثنان هجوما ضد المسلمين في خرسان ، بيد ان العملية باءت بالفشل , وانسحب خاقان الترك إلى بلاده بعد ان سمع ان المسلمين بحسب وصية الخليفة عمر (رض) الذي وجه الجيش بعدم عبور النهر ، (٣٢)

اذ اصدر الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بعدم عبور النهر وفق النص الاتي : " أما بعد فلا تجوزن النهر واقتصر على ما دونه وقد عرفتم بأي شيء دخلتم على خراسان فداوموا على الذي دخلتم به خراسان يدم لكم النصر وإياكم أن تعبروا فتفضوا" (٣٣)

أما يزدجرد فقد عاد غلستاً لمرو حتى انتهى إلى بيت طحان في المدينة و ذكرت المصادر ما قوله : " وكان آخر أمره أنه فر إلى مرو ونزل بقرية زرق من قرى مرو عند طحان هناك متنكراً، فقتله الطحان أو دل عليه، وكان ذلك في أول سنة إحدى وثلاثين في

خلافة عثمان رضي الله عنه" (٣٤) , وبمقتل يزدجر اخر ملوك الفرس تم القضاء على الإمبراطورية الفارسية (٣٥)

وبالعودة الى فتح سنج التي دخلت في مواجهة الفاتحين , ذكر المؤرخون في احداث سنة ٣١هـ ان قيادة الجيش الاسلامي انيطت لعبد الله بن عامر (٣٦) الذي بسط سيطرته على عدد من المدن الخراسانية ما دعا مَرْزُبَانُ (٣٧) مَرْوَ الشاهجان الى الاستسلام وطلب الصلح " فَصَالَحَهُ عَلَى أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ، ومائتي ألف جريب من بر وشعير وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَكَانَتْ مَرْوُ كُلُّهَا صُلْحًا إِلَّا قَرْيَةً مِنْهَا يُقَالُ لَهَا سِنْجُ، فَإِنَّهَا أُخِذَتْ عَنْوَةً " (٣٨) .

الا ان الكتب والمصادر التاريخية المتوفرة لدينا لم تطلعنا على التفاصيل بشان مقاومة اهل سنج للفتوحات الاسلامية الامر الذي يدعوا الى الاجتهاد : بانها ذات حصن قوي واهلها ذات شكيمة , اذ وردت اشارة بهذا الخصوص عند السمعاني بقوله : " وتمت محاصرة حصن بها شهرا كاملا، وكانوا يحاربون أهل الحصن فلم يقدروا عليها.. حتى فتحوها " (٣٩)

وبمرو قبور لعدداً من الصحابة عد منهم ياقوت في معجمه قائلاً : " وبمرو قبور أربعة من الصحابة منهم بريدة بن الحصيب (٤٠) , والحكم بن عمرو الغفاري (٤١) وسليمان بن بريدة (٤٢) , والآخر نسيته في قرية من قراها يقال لها فني ويقال لها فنين " (٤٣)

المبحث الثاني : الجوانب الاقتصادية والاجتماعية :

كان لمدينة سنج وهي ضمن قرى ومدن مرو مزيا اقتصادية مهمة تتمثل بالموقع الاستراتيجي والاتصال التجاري مع العالم الخارجي فضلا عن تنوع المنتوجات الزراعية والصناعات الداخلية ما جعل سنج من المدن العامرة ولها دخل وخراج (٤٤).

اولاً : الزراعة:

ان موقع سنج الجغرافي ضمن رستاق زراعي حول مدينة كبيرة مثل مرو يدل على وظيفة ريفية زراعية نموذجية في اقليم خرسان عموماً.

فمن المعروف ان المدينة قد اعتمد اقتصادها بدرجة كبيرة على الزراعة، وذكر الجغرافيون المسلمون خصوبة أرضها، و كثرة غلاتها , وانها من اخصب بلاد خراسان (٤٥)

و هنالك ما هيأ لسنج ان تتمتع بمزيا متنوعة مكنتها من اخذ دورها في مجالات متنوعة , من تلك المزيا انها تقع على نهر مرغاب مما وفر المياه الكافية للزراعة , الى جانب خصوبة التربة ما جعلها كثيرة الغلات والمنافع واتساع رستاقاتها الزراعية من أشجار وبساتين , وبالتالي شكلت المنتوجات الزراعية أساس الاقتصاد في سنج ومن ورائها مرو , (٤٦)

اذ اشتهرت بمحاصيل زراعية متنوعة مثل : القمح والشعير والقطن والكروم و السمسم و الرمان والمشمش , وكان القطن من المحاصيل المهمة التي دعمت صناعات النسيج والتصدير. فهو غاية في اللين ويعمل منه ثياب تحمل إلى كل الآفاق (٤٧).

كما اشتهرت سنج ومدن مرو الاخرى بالبطيخ المعروف بالبازنك اذ يحمل الى الولايات والمدن الاخرى ولا سيما بغداد , اذ كانت تحمل الى العراق لرغبة المأمون والواثق له (٤٨) , وذكر ابن حوقل انّ اليابس من فواكهها من الزبيب وغير ذلك يفضّل على سائر الاماكن (٤٩)

ثانياً : الصناعة والتجارة

وعلى مستوى المنتوجات الصناعية المتنوعة اشتهرت بصناعة النسيج (القطن والصوف والحرير). كذلك برزت فيها الدباغة , وصناعة الأدوات المعدنية , والفخار والخزف.فضلاً عن صناعة الورق (في خراسان عمومًا). وكانت هذه الصناعات مرتبطة بالتجارة الإقليمية.(٥٠)

و تميزت المدينة بانتاجها لانواع من الملابس منها الثياب (المروية) ولا سيما ما تعرف ب(الملاحف)(٥١) والتي تعد من افخر الثياب في خرسان (٥٢)

وذكرت بعض المصادر ان الخلفاء والامراء كانوا مولعين في اقتناء تلك الالبسة وخير مثال ما خلفه الخليفة العباسي : المكتفي بالله (٢٨٩ هـ – ٢٩٥هـ) من تلك الثياب , فضلا عن العمائم المصنوعة هناك ما يصل عددها بالمئات (٥٣) ومن الثياب الاخرى

وهي من النوع الفاخر التي كانت تصنع في مرو وتصدر الى خارجها ما يعرف بثياب الديباج , اذ وصلت هديا عمرو بن الليث الصفاري(٥٤) الى الخليفة المعتضد في سنة (٢٨٢هـ) منها الف ثوب من الديباج (٥٥)

ومن الصناعات التي تميزت بها مدن مرو عمل الاحذية او المداسات وهي من الاعمال اليديوية يسمى صانعها الداغوني وهي من الصناعات التي اختصوا بها سكان المنطقة (٥٦) .

اما في مجال التجارة بينت المصادر التاريخية ان لموقعها الاستتراتيجي الاثر المهم فهي قريبة من طرق التجارة الكبرى التي تربط العراق وفارس ما وراء النهر بالهند والصين عبر طريق الحرير وهذا جعلها محطة للقوافل التجارية ومركز تجميع وتوزيع للبضائع , فمن خلال تلك القوافل يتم تصدير القطن ومنسوجاته و الفواكه المجففة , فضلاً عن استقبال السلع الصينية والهندية و تبادل المعادن والأحجار الكريمة معها (٥٧).

وعن اسواق سنج فأنها كانت خارج المدينة بجانب الباب وليس بداخلها الا القليل منها , و وصف الاصطخري اسواقها بقوله : " بانها من انظف اسواق الامصار "(٥٨) ومن اشهر اسواقها سوق الصيارفة , واحياناً يطلق على بعض الاسواق الصغيرة اسم (سويقة) تصغيراً للسوق (٥٩)

ولم تكن هذه الاسواق بشكل عشوائي بل مرتبة ومنظمة بحسب نوع المنتوج المعروض فهنالك اسواق الحبوب والبذور على اختلاف انواعها , واسواقاً للقطن ومنتوجاته , واخرى للحلوى , فضلا عن وجود اسواق خاصة لبيع اللحوم والمنتوجات الحيوانية من اللبان وغيرها (٦٠),

ولا تخلو مدينة في مرو سواء كانت سنج او غيرها من اسواق الفاكهة والخضر والتوابل بمختلف الاصناف , الى جانب توفر اسواق للنجارين واخرى للحدادين وغيرها من الاسواق التخصصية لبعض المهن .(٦١) من جهة اخرى فان اسواق المدينة اشتهرت بصفة التضليل في فصل الصيف لتقيها حرارة الشمس (٦٢)

وبالتالي فان هذا الكم من المنتوجات الزراعية الى جانب الصناعات المتنوعة قد خلقت ميدان تجاري معتبر شكل جزء من الموارد المالية للدولة ما يعكس الحالة المعاشية لسكان المنطقة .

ثالثاً : الجانب الاجتماعي والعمراني :

ولمرو وسنج مزيا وخصائص تميزت عن باقي مدن خرسان, فذكر الطبري في تفسير قوله تعالى (لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) (٦٣) قال : قال يحيى بن يعمر (٦٤) " : ام القرى بالحجاز مكّة , وبخراسان مرو " (٦٥) الى ذلك وصف الادريسي تلك المناطق: بانها معتدلة الهواء (٦٦) فنجد من عادات اهل المدينة انهم ينامون على اسطح منازلهم ولشهور بحسب طبيعة الطقس (٦٧) واشار ياقوت الحموي الى طبيعة اهلها وحسن عشرتهم اذ استقر فيها لثلاثة اعوام وغادرها بقوله " وأقمت بها ثلاثة أعوام ولولا ورود التتر إلى تلك البلاد وخرابها لما فارقتها إلى الممات لما في أهلها من الرفد ولين الجانب وحسن العشرة"(٦٨)

وعن تواجد العنصر العربي فيها فمن المعروف ان الفتوحات الاسلامية التي امتدت الى بلاد فارس وما تلاها , وقد صحبت تلك الفتوحات هجرات لبعض القبائل العربية الى تلك البلاد وانصهارهم في تلك الشعوب , اذ اشار اليعقوبي الى ان قبائل عربية قد نزلت واستوطنت مرو ونواحيها وعد منهم قبائل الازد وتميم (٦٩)

اما من ناحية العمران والبناء ففيه جوانب تتعلق بالبيوت وبنائها وتقسيم المياه على نواحي مرو اذ للمدينة نهر عظيم (نهر مرغاب), وفيه مقاسم الماء للمدن اذ كان لكلّ محلّة نهر صغير يتفرع من المرغاب ,و يتساوى الناس من خلاله فى تناول حصصهم من الماء , , اما محلة سنج فكان نصيبها من تلك الانهار ما يعرف بنهر (باسعدى الخراسانىّ) وعليه شرب وسقي محلّة سنج (٧٠) الى جانب عيون وأودية تجرى لتسقي الزروع (٧١) وعن المباني وترتيبها ذكر الاصطخري عن ذلك قائلاً : " وبلدهم من النظافة وحسن الترصيف وتقسيم الأبنية والمحالّ من خلال الأنهار والغروس , و أن المسجد والسوق ودار الامارة وسط المدينة من بناء أبى مسلم الخرساني ، ودار الامارة فيها قبّة من آجر بناها أبو مسلم كان يجلس فيها، وإلى هذه الغاية يجلس فى هذه القبّة أمراء مرو" (٧٢) ويشير

ياقوت الى ان دورها قد بنيت على ضفاف النهر ثم صارت مدينة عظيمة " (٧٣) الى جانب ذلك ضمت المدينة العديد من الفنادق والحمامات المتميزة ما يدلل على حركة الزوار واتساع اسواقها وابنيتها وترف العيش لاهلها (٧٤)

المبحث الثالث : الجانب السياسي :

من المعلوم ان ناحية او قرية سنج قد شهدت العديد من الاحداث والتطورات على المستويات كافة منها ما يتعلق بالجانب السياسي , فمن الواضح ان سنج لم تكن مدينة مستقلة سياسياً عن مرو او اقليم خرسان بل هي ضمن رستاقها .

و سنج بحسب المصادر لم تفتح صلحاً اسوة بمرو بل قاومت الفتح الاسلامي حتى فتحت عنوة (٧٥) وكانت مرو معسكر الاسلام فى خارج الجزيرة العربية بعد فتحها , وفيها استقامت مملكة فارس للمسلمين ولا سيما بعد مقتل يزدجرد ملك الفرس بها .(٧٦)

ومن الاحداث السياسية التي مرت بها سنج : وهو ما شهدته مرو ونواحيها بصورة عامة , فكانت قاعدة لنشرالدعاية العباسية في خرسان , ومنها انطلقت الدعوة العباسية , اذ قدم أبو مسلم الخراساني مرو في أول شعبان سنة ١٣٠هـ واخذ يمارس نشاطه منها (٧٧) و كانت منازل ولاة خراسان فيما بعد بها , كذلك نزلها المأمون وأقام فيها بقية سنة ١٩٣ و١٩٤هـ ،فضلا عن ذلك فانه اتخذها قاعدة له اثناء صراعه مع اخيه الامين (٧٨) وقد بلغت مرو ذروة ازدهارها في العصر العباسي الأول (القرن ٢–٣هـ)، حين كانت قاعدة للنفوذ العباسي في الشرق.

واستمر لمعان نجم مرو وما حولها اذ اتخذها السلاجقة عاصمة لملكهم في خرسان ، ولا سيما في عهد السلطان سنجر بن ملك شاه، الذي اتخذها مقرًا له في القرن السادس الهجري حتى ان قبره ما زال فيها (٧٩).

و هكذا بلغت مرو ونواحيها ذروة التطور والازدهار فمكّنها ذلك من لعب دور سياسي واقتصادي محوري في تاريخ خراسان , حتى قضى عليها الدمار المغولي، فانتهت مكانتها كإحدى أعظم مدن الشرق الإسلامي

اذ نالت ما نالته غيرها من المدن الإسلامية في تلك البلاد فمع قدوم التتار، سنة ٦١٧هـ , فدمروها وجعلوها أثرا بعد عين (٨٠) وقال الحميري وهو يتحدث عما حدث

لمدينة مرو قائلاً : " وانجلت الحال عن سبعمئة ألف قتيل من المسلمين، وإنما عرف عددهم بأن وضعت عليهم قطع القصب .. و قام التتار بحرق الجوامع والخزائن وغيرها، وكسروا السدود والمسنيات ومقاسم الماء في نهر مرغاب، فتحولت البلاد من واحة خضراء إلى سبخة مقفرة " (٨١) وبتلك الاحوال والظروف التي ادت بدورها إلى انهيار نظامها الزراعي والتجاري، وبالتالي فقدت دورها التاريخي في المنطقة الذي دام لقرون من الزمن (٨٢).

المبحث الرابع : علماء سنج :

ان نسبة بعض العلماء لمدينة سنج (السنجي) يدل على اشتغال بعض سكانها بالعلم ووجودها ضمن سياقات علمية يمكن عدها من المراكز العلمية في مرو, وانها ذات نشاط علمي شان الكثير من قرى ومدن خراسان. بالمقابل لم نجد ما يشير الى وجود مدارس في هذه المدينة .

وقد نقلت المصادر والكتب التاريخية سير واسماء العديد من علمائها , اذ طافوا ارجاء المعمورة ينقلون علومهم المتنوعة بين الناس , وسنذكر تراجم من تمكنا من معرفتهم و بحسب الحروف الهجائية , علما هنالك عدد غير قليل من العلماء يحمل لقب السنجي نسبة الى المدينة لم نعثر على تراجم لهم .

١. أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج السنجي الطحان راوي كتاب أبي عيسى الترمذي عن أبي العباس المحبوبي، روى عنه أبو منصور السمعاني وأبو علي السنجي وأبو الخير بن أبي عمران الصفار , و أَبُو الْحسن عَليّ بن يُوسُف الْجُوَيْنِيّ وجماعة ، مات بعد الأربعمائة، وقبره بقرية سنج على طرق المسجد (٨٣) .

٢. أبو القاسم , إسماعيل بن محمد بن أحمد بن عبد الصمد الحفصي السنجي، كان فقيها إماما مدرّسا بمرو، سمع جماعة، منهم: أبو المظفّر السمعاني وأبو عبد الله محمد ابن الحسن المهربندقشائي وغيرهما، سمع منه أبو سعد السمعاني، ومولده سنة ٤٥٨ هـ (٨٤)

وكان إماما فاضلا، مبرزا، مناظرا فحلا، حسن العبارة، فصيح المنطق، له جرأة وعبارة رشيقة. وفوض إليه التدريس بالمدرسة التي يدرس بها أستاذه بسكة سنجذان , وكان يقهر الخصوم في المناظرة. اما وفاته في شعبان سنة.٥٣٠هـ (٨٥)

٣. أبو علي , الحسن بن محمد بن أحمد بن شعبة المروزي السنجي، ولد سنة ٤٥٧هـ , فقيه، صالح، معمّر (٨٦) ورد بغداد، وسكنها وحدث بها بجامع أبي عيسى الترمذي عَنْ أَبِي الْعَبَّاس مُحَمَّد بن أَحْمَد المحبوبي كتاب الجامع عَنْ أَبِي عِيسَى الترمذي.. سَمِعَ: أبا بَكْر بْن خَلَف.. و أبي العباس محمد بن أحمد بن محبوب، سمع منه أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر المعروف بابن زوج الحرة وغيره , توفي سنة ٣٩١هـ (٨٧)

٤. أبو المعالي , الحسن بن محمد بن إسماعيل بن شعيب السنجي من أهل قرية سنج. كان مقَدم قريته، (٨٨)سمع أبا القاسم إسماعيل بن محمد بن أحمد الزاهري الدندانقاني وكانت ولادته في حدود سنة سبعين وأربعمئة، وقتل في وقعة الخوارزمية في شهر ربيع الآخر سنة ٥٣٦هـ .(٨٩)

٥. أبو علي , الحسين بن أحمد بن بندار بن عبد الله بن نافع الجرجاني السنجي , الخطيب بسنج (٩٠) يروي عن أبي الأحرز محمد بن جميل الأزدي والحسين بن مصعب السنجي. وأحمد بن العباس بن مسعود السنجي، رحل إلى العراق، سمع أبا كريب الكوفي وعلي بن خشرم, مات بسنج (٩١)

٦. الحسين بن شُعَيْب بن محمد . أبو عليّ المَرْوَزيّ السِّنْجِيّ ،(٩٢) الفقيه الشّافعيّ. عالم أهل مَرْو في وقته. , تفقّه على يد ابي بكر القفّال المَرْوَزيّ، , وهو أوّل من جمع في المذهب بين طريقتي الخُراسانيّين والعراقيّين وتفقّه ببغداد على الشّيخ أبي حامد ، (٩٣) , وكان كبير القدر عظيم الشأن صاحب تحقيق وإتقان وإطلاع كثير , وله كتاب طويل جزيل الفوائد عظيم العوائد لقب هذا الكتاب (بالمذهب الكبير) , وكان يقال في عصره الأئمة بخراسان ثلاثة مكثر محقق ومقل محقق ومكثر غير محقق فالمكثر المحقق أبو علي السنجي والمقل المحقق أبو محمد الجويني , والمكثر غير المحقق ناصر المروزي(٩٤) , تُوُفّي بمَرْو في ربيع الأوّل سنة ٥٣٦هـ (٩٥)

٧. أبو علي , الحسين بن محمد بن مصعب بن رزيق السنجي (٩٦) كان حافظا، يروي عن محمد بن الوليد البسري و محمد بن مشكان ، روى عنه أبو حامد أحمد بن عبد الله

النعيمي وزاهر بن أحمد (٩٧) كان يقال ما بخراسان أكثر حديثا منه، مات سنة ٣١٥هـ (٩٨).

٨. أبو أحمد ذاكر بن أبي بكر بن أبي أحمد السنجي الغرابيلي من أهل قرية سنج , كان شيخاً صالحاً من أهل القرآن والخير، حسن الصلاة والطهارة، وهو ابن أخت الشيخ أبي طاهر السنجي (٩٩) سمع الحديث منه ومن أبي حنيفة النعمان بن إسماعيل بن أبي حرب الثمالي، وأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد الدقاق، وغيرهم , كانت ولادته في حدود سنة خمس وتسعين وأربعمئة، ووفاته بقرية سنج في أحد الربيعين من سنة ٥٤٦هـ (١٠٠)

٩. أبو داود , سليمان بن معبد بن كوسجان السنجي، ينسب إلى سنج، قريةٌ من قرى مرو. (١٠١) , كثير الحديث , عن عبد الرزاق بن همّام ويزيد بن هارون والأصمعي وغيرهم، روى عنه مسلم بن الحجّاج , وأبو داود السجستاني وغيرهما (١٠٢) وكان عالما شاعرا أديبا، عالماً برواة الأخبار مات سنة ٢٥٧ هـ (١٠٣)

١٠. أبو عبد الرحمن , محمد بن أحمد بن سليمان بن زرارة المطلبي السنجي، روى عن محمد بن غالب البخاري عن بشر بن عبيد الدارسي، روى عنه عبد الله بن محمد بن إبراهيم الداعوني, كان حافظا(١٠٤)

١١. أبو جعفر , محمد بن أحمد بن محمد بن فضالة السنجي ، سمع أبا رجاء محمد بن حمدويه بن موسى، حدث عنه أبو مسلم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مهران , كتب بنيسابور عن السيد أبي الحسن محمد بن الحسين العلوي (١٠٥) رحل الى بغداد، وحدث بها عن أبي الموجه محمد بن عمرو، وأحمد بن علي بن سلمان. (١٠٦) ،عاد الى مرو وتوفي سنة ٤٣٠هـ ، وقبره بجنب أستاذه القفال بسنج مرو.(١٠٧)

١٢. محمد بن حمدويه بن موسى بن طريف بن أبي روح الهورقاني، أبو رجاء السنجي ، يروي عن أحمد بن جميل , ومحمد بن حميد الرازي , وعتبة بن عبد الله ومحمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة , وسويد بن نصر المروزي , روى عنه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الصديق المروزي وعلي بن حجر وغيرهما، وله كتاب في تاريخ المراوزة، ، قَدِمَ أَصْبَهَانَ وحدث حَدَّثَ بها , مات في سنة ٣٠٦هـ .(١٠٨)

١٣. محمد بن عمر بن عبد الله السنجي الصائغي، رشيد الدين، ابو بكر,(١٠٩) وكان مولده في رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة بمرو ، (١١٠)عن يوسف بن أيوب الهمذاني ' وابا شجاع عمر البسطامي و أبي سعد عبد الكريم بن السمعاني، من آثاره: شرح تكملة القدوري لحسام الدين الرازي في فروع الفقه الحنفي، والفتاوي, , مات بها سنة ٥٩٨هـ (١١١)

١٤. أبو طاهر , محمد بن محمد بن عبدالله بْن أَبِي بَكْر السِّنْجيّ ، المؤذّن، الخطيب.الحافظ , خطيب مرو(١١٢)

وُلِد بقرية سَنْج العُظْمَى في سنة ٤٦٣هـ (١١٣) ,. وسمع: إسماعيل بْن محمد الزّاهريّ، وأبا بَكْر محمد بْن عليّ الشّاشيّ، الفقيه، وعليّ بْن أحمد المَدِينيّ، ونصر الله بْن أحمد الخُشْنَاميّ، (١١٤) رحل إلى نَيْسابور، وبغداد، وأصبهان، كان إماما، ورعا، متهجّدا، متواضعا، وله معرفة بالحديث. وهو ثقة , وكان يلي الخطابة بمَرْو في الجامع الأقدم , تُوُفّي في التّاسع والعشرين من شوّال. , سنة ٥٤٨هـ .(١١٥)

١٥. مسلم بن أيوب أبو رجاء السنجي، من قرية سنج بمرو حدث عن عقبة الرفاعي، روى عنه محمد بن مسعدة، مات سنة ٢٥٤هـ (١١٦).

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث الذي تناول مدينة سنج توصلنا الى جملة نتائج يمكن ايجازها على النحو الاتي :

١. ان سنج تقع جغرافياً ضمن اقليم خرسان وهي من نواحي مرو, ضمن ما يعرف ببلاد المشرق الاسلامي , ويوجد مدينة اخرى في مرو تحمل الاسم نفسه (سنج عباد) وهي خارج اطار بالبحث .

٢. لم يكن الفتح الاسلامي لسنج اسوة بباقي مدن مرو التي فتحت صلحاً , بل اجمعت المصادر المتنوعة انها فتحت عنوة ما يدلل على طبيعة سكانها وموقعها الجغرافي المحصن .

٣. تتمتع المدينة بوفرة المياه وكثرة الانهار الموصلة اليها فضلا عن خصوبة التربة ما جعلها تتميز بكثرة الغلات الزراعية وتنوعها ففيها من البساتين والثمار ما لايحصى , ومنها ما سير الى خارج الاقليم .

٤. وصفها اصحاب الكتب والمصادر الجغرافية بانها كثيرة الاسواق وذات حركة تجارية وان اسواقها نظيفة ومرتبة بحسب نوع المنتوج المعروض وهي تقع ضمن عقد مواصلات تربط العراق وخرسان ببلاد ما وراء النهر والصين , ما جعلها مدينة تجارية بأمتياز.

٥. اشتهرت سنج وباقي قرى مرو بعدد من الصناعات لاسيما النسيج لوفرة القطن المتميز فيها فضلا عن الالبسة المشهورة باسم الثياب المروية التي وصلت الى الخلفاء كملبس لهم ما يشير الى جودتها , الى جانب صناعة الاواني الفخارية وغيرها,

٦. اتسم المجتمع السنجي بالطف وحسن المعاشرة , وان عددا من القبائل العربية قد استوطنت فيها بعد الفتح الاسلامي منهم : قبائل الازد , وتميم.

٧. كما اشتهرت المدينة بكثرة علمائها ومنهم من عاش وتوفي بيها وينسب علمائها الى سنج او ما يعرف بالسنجي وقد رحل العديد منهم الى الاقاليم والمدن الاسلامية الاخرى لتلقي العلوم او التدريس فيها ولا سيما بغداد , من جهة اخرى لم نجد في المصادر التاريخية اشارة الى قيام مدارس في سنج .

٨. وختاماً لم نعثر على دراسة علمية مستقلة عن هذه المدينة ما شجع الباحث على دراستها , فكانت من الصعوبات التي واجهت البحث نزرة المعلومات التاريخية المتعلقة بسنج.

الهوامش:

١. محمد شراب , المعالم الأثيرة في السنة والسيرة, ج١, ص١٠٨.

٢. البكري , معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع,ج٣, ص١٠٨ ؛ الهمذاني , الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة, ج١, ص٥٩٩.

٣. ابن منظور , لسان العرب , ج٢, ص ٣٠٢.

٤. الذهبي , تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام, ج٢٨,ص ٤٢٠؛ ابن العماد , شذرات الذهب في أخبار من ذهب , ج٦, ص٢٤٦.

٥. الفرسخ ٣ أميال او يساوي ٦ كم : ينظر : المهلبي , الكتاب العزيزي , ج١, ص١٩؛ هنتس فالتر , المكايل والاوزان الاسلامية ص٩٤.
٦. ابن عبد الحق, مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع , ج٢, ص٩١٣.
٧. الحميري , الروض المعطار في خبر الأقطار , ج١, ص٥٣٣.
٨. الادريسي , نزهة المشتاق في اختراق الآفاق , ج١, ص٤٠٨؛ ابن عبد الحق, مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع , ج٢,ص ٧٤٤.
٩. اليعقوبي , البلدان , ج١, ص١٢١.
١٠. المقدسي , احسن التقاسيم, ج١, ص٢٩٩.
١١. بن خرداذبة , المسالك والممالك , ج١, ص٣٩.
١٢. الاصطخري, المسالك والممالك , ج١, ص ١٦٠–١٦٣.
١٣. ابن حوقل , صورة الارض , ج٢, ص٤٣٤
١٤. الحميري , الروض المعطار في خبر الأقطار , ج١, ص٥٣٣.
١٥. ابن الحائك , صفة جزيرة العرب , ج١, ص٩.
١٦. ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج٥, ص٢٨٦.
١٧. المصدر نفسه , ج٥, ص ٢٦٤.
١٨. المرحلة تساوي ستّة فراسخ اي ١٨ ميل : ينظر : ابن فضل الله العمري, مسالك الأبصار في ممالك الأمصار, ج٤, ص٣١.
١٩. الادريسي , نزهة المشتاق في اختراق الآفاق , ج١,ص ٤٧٧.
٢٠. الاصطخري , المسالك والممالك , ج١, ص٢٨٤.
٢١.ابن عبد الحق,مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ,ج٢,ص ٧٤٤.
٢٢. ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج٥, ص٢٨٦.
٢٣. ابن عبد الحق , , مراصد الاطلاع, ج٢,ص ٦٧٠.
٢٤. الحميري , الروض المعطار في خبر الأقطار, ج١, ص٢٨٧.
٢٥. الدينوري , الاخبار الطوال , ج١, ص١٤٠؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج٣, ص٢٤٦؛ ابن الاثير , الكامل في التاريخ , ج٢, ص ٤٩٥.
٢٦. بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الأَعْرَجِ بْنِ سعد بْن رزاح بْن عدي بْن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم بْن أفصى , يكنى أَبَا عَبْد الله. وأسلم حين مر بِهِ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – للهجرة.مات سنة ٦٢ هـ . ينظر: ابن سعد , الطبقات الكبرى, ج٤ , ص١٨٢.

٢٧. ابن حنبل , مسند الامام احمد بن حنبل, ج٥, ص٣٥٧, ح: ٢٣٠١٨؛ الطبراني , المعجم الكبير , ج٢, ص١٩, ح : ١١٥١.

٢٨. جلولاء : مدينة بينها وبين خانقين سبعة فراسخ، وفيها نهر عظيم يمتد إلى بعقوبا ، وبها كانت الواقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦هـ ، اذ استباحهم المسلمون، فسمّيت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون اذ قتل من الفرس يوم جلولاء مائة ألف فجلّلت القتلى المجال , فسميت جلولاء لما جلّلها من قتلاهم . ينظر : ياقوت , معجم البلدان , ج٢, ١٥٦.

٢٩. الاحنف بن قيس و الأحنف، اسمه صخر بن قيس بن حصن., يكنى أبا بحر. مات مع مصعب بن الزبير بالكوفة سنة سبع وسبعين من الهجرة .ينظر :ابن خياط , الطبقات . ج١, ص٣٣٤.

٣٠. الطبري , تاريخ الرسل والملوك , ج٤, ص١٦٧.

٣١. المصدر نفسه .

٣٢. ابن الاثير , الكامل في التاريخ , ج٢, ص ٤٩٥.

٣٣. الطبري , تاريخ الرسل والملوك , ج٢, ص٥٤٧.

٣٤. الحميري , الروض المعطار في خبر الأقطار, ج١, ص٢٨٧.

٣٥. الطبري , تاريخ الرسل والملوك , ج٢, ص٥٤٧.

٣٦. هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة , بن حبيب بْنُ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قصي. ويكنى أَبَا عبد الرَّحْمَن. تولى البصرة في خلافة عثمان بن عفان (رض), توفي سنة ٥٩هـ. ينظر : ابن سعد , الطبقات , ج٥, ص٣١.

٣٧. المرزبان : وهو ما بعد الملك او الممثل عنه في بلاد فارس , والمرز بالفارسية تعني الحد اي صاحب الحدود .ينظر : الخوارزمي , مفاتيح العلوم . ج١, ص٧٠.

٣٨. ابن خياط , تاريخ خليفة بن خياط , ج ١, ص١٦٥ ؛ البلاذري , فتوح البلدان , ج ١, ص٢٩٢.

٣٩. الانساب , ج٧, ص٢٦٣.

٤٠. تم تعريفه سابقاً.

٤١.الحكم بن عمرو الغفاري بصري له صحبة استعمل على خراسان فمات بها روى عنه أبو حاجب سوادة بن عاصم وجابر بن زيد وعبد الله ابن الصامت . ينظر : ابن ابي حاتم , الجرح والتعديل . ج٣, ص١١٩.

٤٢. سُلَيْمَان بْن بُرَيْدَة بْن الْحصيب الْأَسْلَمِيّ يرْوى عَن أَبِيه وَعمْرَان بْن حُصَيْن روى عَنهُ عَلْقَمَة بن مرْثَد ولد على عهد عمر لثلاث خلون من خِلَافَته وَمَات سُلَيْمَان سنة خمس وَمِائَة بفنين قَرْيَة من قرى مرو وَبهَا قَبره وَكَانَ على قَضَاء مرو. ينظر : ابن حبان , الثقات , ج٤, ص٣٠٣.

٤٣. معجم البلدان , ج٥, ص١١٥.

٤٤. الادريسي , نزهة المشتاق في اختراق الآفاق , ج١, ص٤٧٧.
٤٥. المقدسي, احسن التقاسيم , ج١, ص٢٣٦ ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج٥, ص١١٦.
٤٦. اليعقوبي , البلدان , ج١, ص١٨ ؛ ابن حوقل , صورة الارض, ج٢, ص٤٣٥.
٤٧. المقدسي, احسن التقاسيم , ج١, ص٢٣٦ ؛ الادريسي , نزهة المشتاق في اختراق الآفاق , ج١, ص٤٧٦.
٤٨. البكري , المسالك والممالك , ج١, ص ٤٤٤ ؛ الحديثي , دراسات في التنظيمات الاقتصادية لخرسان , ص ٨٦.
٤٩. صورة الارض, ج٢, ص٤٣٤.
٥٠. ياقوت , معجم البلدان , ج٥, ص١١٥.
٥١. وهي ثياب يكون سدها حرير وباطنها غير ذلك . ينظر : الثعالبي , لطائف المعارف , ج١, ص٢٠٢.
٥٢. اليعقوبي , البلدان , ج١, ص٢٧٩ ؛ ابن عبد ربه , العقد الفريد , ج٦, ص٢٥٢.
٥٣. الثعالبي , لطائف المعارف , ص ١١٩.
٥٤. عمرو بن الليث : وهو احد افراد الاسرة الصفارية التي حكمت في بلاد فارس تملك بعد اخيه يعقوب الا انه وبعد اثنان وعشرون سنة من حكمه حمل اسيراً الى الخليفة المعتضد ومات في سجنه سنة ٢٨٩هـ . ينظر : ؛ ابن فندامة , تاريخ بيهق ,ج ١٧٥ ؛ ابن خلكان , وفيات الاعيان وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان, ٦, ص٤٣٠ .
٥٥. الطبري , تاريخ الرسل والملوك , ج٥, ص٦٠٥، الرشيد ابن الزبير , الذخائر والتحف في بئر الصنائع والحرف , ج١, ص٤٣.
٥٦. الصفار , صور من الحضارة الاسلامية , ص٣٤.
٥٧. الادريسي , نزهة المشتاق في اختراق الآفاق , ج١, ص٤٨٠ ؛ ياقوت , معجم البلدان , ج٥, ص١١٧.
٥٨. اللاصطخري , المسالك والممالك , ج١, ص ٢٥٩.
٥٩. المقدسي , احسن التقاسيم , ج١ , ص٣١١.
٦٠. ابن حوقل , صورة الارض, ج١, ص ٣٦٢–٣٦٣.
٦١. الاصطخري , المسالك الممالك , ج١, ص ٢٨٠.
٦٢. المقدسي , احسن التقاسيم , ج١, ص٣١٤.
٦٣. سورة الشورى , الاية : ٧.

٦٤. هو يحيى بن يعمر العدوي البصري , ابو سليمان تولى القضاء في مرو ايام قتيبة بن مسلم الباهلي , توفي سنة ٩٩هـ , ينظر : الذهبي , تاريخ الاسلام , ج٢, ص١٨٦.

٦٥. الطبري , جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري), ج٦, ص١٨٣.

٦٦. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق , ج١, ص٤٧٦.

٦٧. المقدسي , احسن التقاسيم , ج١, ص٢٣٥.

٦٨. معجم البلدان , ج٥, ص ١١٤.

٦٩. البلدان , ج١, ص١٨.

٧٠. ابن حوقل , صورة الارض, ج٢, ص ٤٣٤.

٧١. اليعقوبي , البلدان , ج١, ص١٨.

٧٢. المسالك الممالك , ج١, ص ١٤٧.

٧٣. معجم البلدان , ج٣, ص٢٦٤.

٧٤. الادريسي , نزهة المشتاق في اختراق الآفاق , ج١, ص٤٧٦.

٧٥. الدينوري , الاخبار الطوال , ج١, ص١٤٠؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج٣, ص٢٤٦؛ ابن الاثير , الكامل في التاريخ , ج٢, ص ٤٩٥.

٧٦. ابن حوقل , صورة الارض , ج ٢, ص ٤٣٤ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك , ج٧, ص٢٧٥.

٧٧. الطبري , تاريخ الرسل والملوك , ج٤, ص ١٢٨.

٧٨. اليعقوبي , البلدان , ج١, ص١٤٠.

٧٩. ابن الاثير , الكامل في التاريخ , ج ٩, ص٤٠٧.

٨٠. ابن خلكان , وفيات الاعيان وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان, ج ٦, ص٤٣٠ .

٨١. الروض المعطار في خبر الأقطار, ج١, ص٥٣٣.

٨٢. المصدر نفسه , ج١, ص٥٣٥.

٨٣. ابن ماكولا , الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى , ج٤, ص٤٧٣.

٨٤. ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج٣, ص٢٦٤.

٨٥. المروزي , المنتخب من معجم شيوخ السمعاني . ج١, ص٤١٤.

٨٦. الذهبي , تاريخ الاسلام , ج٣٧, ص٣٣٢ .

٨٧. الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد , ج٨, ص٤٥٠.

٨٨. المروزي , التحبير في المعجم الكبير, ج١, ص٢١٣.

٨٩. الذهبي , تاريخ الاسلام , ج١١, ص٩٤٢.

٩٠. ابن ماكولا , الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى , ج٤, ص ٤٧٣ ؛ السمعاني , الانساب , ج ٧, ص٢٦٢.
٩١. الجرجاني , تاريخ جرجان , ج١, ص١٩٨.
٩٢. النووي , تهذيب الأسماء واللغات , ج٢, ص٢٦١.
٩٣. ابن ماكولا , الاكمال , ج٤, ص٤٧٣.
٩٤. الذهبي , تاريخ الاسلام , ج ٢٩, ص٢٨٥.
٩٥. ابن خلكان , وفيات الاعيان , ج٢, ص ١٣٥.
٩٦. ابن ماكولا , الاكمال , ج٤, ص٤٧٣.
٩٧. الذهبي , سير اعلام النبلاء , ج١١, ص٢٥٤.
٩٨. ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج١, ص٤١٥.
٩٩. النووي , تهذيب الأسماء واللغات , ج٢, ص٢٦١.
١٠٠. ابن الاثير , اللباب في تهذيب الانساب , ج٣, ص٧٨.
١٠١. ياقوت الحموي ,معجم البلدان , ج٣, ص٢٦٤.
١٠٢. برهان الدين المالكي , بَهْجَة المحَافِل وأجمل الوَسائل بالتعريف برواة الشَّمَائل , ج ٢, ص٨٢.
١٠٣. الذهبي , سير اعلام النبلاء , ج١١, ص٢٥٤
١٠٤. ابن ماكولا , الاكمال , ج٤, ص٤٧٣.
١٠٥. ابن الاثير , اللباب في تهذيب الانساب , ج٣, ص٧٨.
١٠٦. الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد , ج٢, ص١٩٠.
١٠٧. ابن ماكولا , الاكمال , ج٤, ص٤٧٣.
١٠٨. ابو نعيم الاصبهاني , تاريخ اصبهان , ج٢, ص٢٣٠.
١٠٩. ابن ماكولا , الاكمال , ج٤, ص٤٧٣.
١١٠. الذهبي , تاريخ الاسلام , ج١٢, ص١١٥٧.
١١١. محيي الدين الحنفي ,الجواهر المضية في طبقات الحنفية, ج٢, ص١٠٣.
١١٢. الذهبي , تاريخ الاسلام , ج٣٧, ص٣٣٢.
١١٣. ابن ماكولا , الاكمال , ج٤, ص٤٧٣.
١١٤. ابن العماد , شذرات الذهب, ج٦, ص٢٤٦.
١١٥. السبكي, طبقات الشافعية الكبرى, ج٦, ١٨٧.
١١٦. ابن ماكولا , الاكمال , ج٤, ص٤٧٣

المصادر والمراجع :

اولاً : القران الكريم .

ثانيا : المصادر الاولية :

- ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين (ت٦٣٠هـ) ،

١. الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – ١٩٩٧م) .

٢. اللباب في تهذيب الانساب ،ط١، دار صادر (بيروت – ١٩٨٠م).

- الادريسي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن يحيى بن علي الحسني (ت٥٦٠هـ) , نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط١ ، دار الكتب ، (بيروت – ١٩٨٩م).
- الاصطخري , أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت٣٤٦هـ), المسالك والممالك, دار صادر ، (بيروت – ٢٠٠٤م) .
- برهان الدين المالكي , إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني، أبو الإمداد، ت ١٠٤١هـ , بَهْجَة المحَافِل وأجمل الوَسائل بالتعريف برواة الشَّمَائل , دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان , ط١, مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة , (صنعاء – ٢٠١١م)
- البكري ، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ),معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ط٣ ، عالم الكتب ، (بيروت – ١٩٨٢م)
- البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ), فتوح البلدان ,تحقيق رضوان محمد رضوان , ط١, دار الكتب العلمية , (بيروت – ١٤٠٣هـ).
- الجرجاني , أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي , ت ٤٢٧هـ , تاريخ جرجان , تحقيق: محمد عبد المعيد خان , ط٤, عالم الكتب – (بيروت – ١٩٨٧م)

- ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ) , المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٩٢م).
- ابن أبي حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت٣٢٧هـ) , الجرح والتعديل ، ط١ ، دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر آباد – ١٩٥٢م).
- ابن الحائك، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الشهير بالهمداني (ت ٣٣٤هـ) , صفة جزيرة العرب , ط١, ج١, مطبعة بريل , (ليدن –١٨٨٤م).
- ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن احمد بن معاذ بن سعيد البستي (ت٣٥٤هـ) , الثقات ، ط١ ، دائرة المعارف العثمانية ، (حيدرآباد – ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
- الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ) , الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، ط٢ ، مؤسسة ناصر للثقافة ، (بيروت – ١٩٨٠م) .
- ابن حنبل ، أبو عبد الله احمد بن حنبل بن محمد بن هلال الشيباني , (ت٢٤١هـ) , مسند الامام احمد بن حنبل ، تحقيق : السيد أبو المعاطي النوري ، ط١ ، عالم الكتب ، (بيروت – ١٩٩٨م).
- ابن حوقل , محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم, ت ٣٦٧هـ, صورة الأرض , ط١, دار صادر , (بيروت – ١٩٨٣م) .
- ابن خرداذبة , أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة , ت ٢٨٠هـ , المسالك والممالك , ط١, دار صادر (بيروت – ١٨٩٨م).
- الخطيب البغدادي ، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي (ت٤٦٣هـ) , تاريخ مدينة السلام ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي (بيروت – ٢٠٠٢م).

- ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت ٦٨١هـ) ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق: احسان عباس ، ط١، دار صادر ، (بيروت – ١٩٧٥م).
- الخوارزمي , محمد بن احمد بن يوسف , ت ٣٨٧هـ, مفاتيح العلوم , ط١, دار الكتب العلمية , (لبنان – بلا).
- ابن خياط ، أبو عمرو خليفة بن خياط الشيباني العصفري(ت٢٤٠هـ),

١. تاريخ خليفة بن خياط , تحقيق أكرم ضياء العمري ,ط١, دار القلم , مؤسسة الرسالة , (بيروت – ١٣٩٧هـ)

٢. الطبقات ، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (دمشق – ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

- الدينوري , أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ت٢٨٢هـ , الأخبار الطوال, تحقيق: عبد المنعم عامر , مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال , ط١, دار إحياء الكتب العربي, (القاهرة – ١٩٦٠م).
- الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله بن محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ)

١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت – ٢٠٠٣م) .

٢. سير أعلام النبلاء ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف : شعيب الارناؤوط ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – ١٩٨٥م).

- السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت٧٧١هـ),

١. طبقات الشافعية الكبرى , تحقيق : محمود محمد الطناحي ، ط٢، دار هجر للطباعة والنشر (بيروت – ٢٠٠٨م).

٢. معجم الشيوخ ، تحقيق : بشار عواد ومصطفى اسكاعيل الاعظمي ، ط١ ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت – ٢٠٠٤م)

- ابن سعد ، محمد بن منيع البصري البغدادي (ت٢٣٠هـ) , الطبقات الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

- السمعاني ، ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور المرزوي ، (ت ٥٦٢هـ) ، الانساب ، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي واخرون ، ط١، مجلس دائرة المعارف العثمانية (حيدر اباد – ١٩٦٢م).
- الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت٣٦٠هـ) , المعجم الكبير , تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ط٢ ، مكتبة العلوم والحكم ، (المدينة المنورة – ١٩٨٣م) .
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ),

١. تاريخ الرسل والملوك ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٨٦م).

٢. جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، ط١ ، دار الفكر ، (بيروت – ١٤٠٥هـ) .

- ابن عبد الحق ، عبد المؤمن بن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي (ت٧٣٩هـ) , مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ط١ ، دار الجيل ، (بيروت – ١٩٩١م) .
- ابن عبد ربه, أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي , ت ٣٢٨هـ , العقد الفريد , ط١, دار الكتب العلمية ,(بيروت – ١٤٠٤هـ).
- العزيزي , , الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي , ت ٣٨٠ هـ , الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك , جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف , ط١, . (بلام – بلات) .
- ابن العماد , عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، ت ١٠٨٩هـ , شذرات الذهب في أخبار من ذهب, تحقيق : محمود الأرناؤوط , ط١ , دار ابن كثير (بيروت – ١٩٨٦م) .
- ابن فضل الله العمري, شهاب الدين, أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي , ت ٧٤٩هـ ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار, ط١, المجمع الثقافي, (ابو ظبي – ١٤٢٣هـ).

- ابن فندمه ، ابو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي ، ت (٥٦٥هـ)، تاريخ بيهق ، ط١، دار اقرأ (دمشق – ١٤٢٥هـ).
- ابن ماكولا , علي بن هبة الله بن أبي نصر , ت٤٧٥هـ , الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والانساب, ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤١١هـ) .
- محيي الدين الحنفي ,أبو محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي , ت ٧٧٥هـ , الجواهر المضية في طبقات الحنفية , ط١, مير محمد كتب خانه , (كراتشي – بلا).
- المرزوي , عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ، أبو سعد , ت ٥٦٢هـ ,

١. التحبير في المعجم الكبير, تحقيق: منيرة ناجي سالم , ط١ , رئاسة ديوان الأوقاف ,(بغداد – ١٩٧٥م)

٢. المنتخب من معجم شيوخ السمعاني , دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر, ط١, دار عالم الكتب، (الرياض – ١٩٩٦م).

- المقدسي , محمد بن أحمد المقدسي , ت ٣٩٠هـ , أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم , تحقيق : غازي طليمات , ط١, وزارة الثقافة والارشاد القومي, (دمشق – ١٩٨٠م).
- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي (ت٧١١هـ) , لسان العرب ، ط٣ ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٩٣م).
- أبو نعيم الاصبهاني ، احمد بن عبد الله بن احمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت٤٣٠هـ), تاريخ اصبهان , تحقيق سيد كسروي حسن , ط١, دار الكتب العلمية , (بيروت – ١٩٩٠م).
- النووي , أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف الدين الدمشقي (ت٦٧٦هـ) , تهذيب الاسماء واللغات , تحقيق : عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٩٦م) .
- الهمذاني , زين الدين , أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي ، ت ٥٨٤هـ , الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة , تحقيق : حمد بن محمد الجاسر , ط١ , دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر, (الرياض – ١٤١٥هـ).

- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ) , معجم البلدان ، ط٢ ، دار صادر ، (بيروت – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) .
- اليعقوبي , أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح , ت ٢٩٢هـ , البلدان , ط١, دار الكتب العلمية . (بيروت – ١٤٢٢هـ).

ثالثاً المراجع والدراسات الحديثة :

- الحديثي. قحطان عبد الستار, دراسات في التنظيمات الاقتصادية لخلرسان , بحث مستل من مجلة الخليج العربي , مجلد التاسع عشر , العدد ١ ١٩٨٧.
- الصفار , ابتسام مرهون , صور من الحضارة الاسلامية , مطبعة النعمان , (النجف – ١٩٧٣م) .
- محمد شراب , محمد بن محمد حسن , المعالم الأثيرة في السنة والسيرة , ط١ , دار الشامية , (دمشق – ١٤١١هـ)
- هنتس , فالتر, المكايل والاوزان الاسلامية او ما يعادلها في النظام المتري , ترجمة : كامل العسلي , منشورات الجامعة الاردنية , (عمان – ١٩٧٠م).

الاضطهاد القومي في تركيا (١٩٢٣-١٩٣٨)
الاكراد نموذجاً

National Oppression in Turkey 1938-1923 The Kurds as a Model

م.م. ايمان عدنان خلف

imanadnan298@gmail .come

الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم التاريخ

الاضطهاد القومي في تركيا (١٩٢٣-١٩٣٨) الاكراد نموذجاً

م.م. ايمان عدنان خلف

المستخلص :

إن تاريخ الأكراد في تركيا هو تاريخ من الحرب والقمع، تاريخ انتصارات صغيرة وخسائر كبيرة. وقد أولى العالم اهتمامًا ضئيلًا بكارثة الأكراد في تركيا، وبحالة اليأس والنضال الملحمي لشعب من أجل حقوقه الأساسية واستقلاله الذاتي. فقد ساهمت التحولات السياسية بعد تأسيس الجمهورية التركية (١٩٢٣) في تأجيج النزاع بين الحكومة والأكراد، بسبب السياسات القومية التي سعت إلى محو الهوية الكردية. وعلى الرغم من تطورات سياسية لاحقة مثل الاعتراف الجزئي بالحقوق الثقافية للأكراد في العقود الأخيرة الى انه لا تزال المشكلة الكردية من أكثر القضايا تعقيدًا في تركيا الحديثة .

الكلمات المفتاحية : تأسيس الجمهورية التركية , سياسات القمع والاضطهاد القومي .

Abstract:

The history of the Kurds in Turkey is marked by conflict and repression, with limited victories overshadowed by significant losses. This ongoing struggle has received little international attention, despite the profound human suffering and the Kurdish people's persistent fight for basic rights and autonomy. The political shifts following the establishment of)the Turkish Republic in (١٩٢٣ intensified the conflict between the Turkish state and the Kurds, driven by nationalist policies aimed at erasing Kurdish identity. Although there have been some advancements in recent decades—such as partial recognition of cultural rights—the Kurdish problem remains one of the most complex and unresolved challenges inmodern.

Keywords: Establishment of the Turkish Republic, nationalist repression policies .

المقدمة :

يهدف البحث إلى دراسة سياسات الاضطهاد القومي التي انتهجتها الجمهورية التركية تجاه الاكراد خلال المدة ١٩٢٣-١٩٣٨، وهي مرحلة شهدت تحولات سياسية كبرى في تركيا بعد انهيار الدولة العثمانية وتأسيس الجمهورية التركية, اذ كانت تلك المدة مرحلة حاسمة في تاريخ العلاقة بين الأكراد والدولة التركية، حيث تم خلالها رسم معالم سياسات القمع القومي التي لا تزال آثارها تقدم حتى اليوم على انها "مهمة ثقافية " إذ تعد تركيا القومية الكردية تهديد وفق رؤية الحكومة الجديدة .

يركز البحث على تحليل السياسات القمعية التي طبقتها الحكومة التركية ،منها عمليات التتريك والتهجير القسري، وقمع الانتفاضات الكردية، بما في ذلك انتفاضات الشيخ سعيد بيران (١٩٢٥)، آرارات (١٩٣٠)، ودرسيم (١٩٣٧-١٩٣٨). كما يستعرض البحث القوانين التمييزية التي استهدفت الثقافة واللغة الكردية، ومحاولات طمس الهوية الكردية ضمن إطار بناء الدولة القومية التركية.

يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، من خلال دراسة المصادر الأولية مثل الوثائق الرسمية والشهادات التاريخية، بالإضافة إلى المصادر الثانوية التي تتناول هذه الحقبة. كما يناقش البحث ردود الفعل الكردية تجاه هذه السياسات، والتأثيرات طويلة الأمد للاضطهاد القومي على المجتمع الكردي في تركيا.

الفصل الأول: تأسيس الجمهورية التركية (١٩٢٣) وتأثير التحولات السياسية على الأكراد.

كانت مشاركة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى(١٩١٤-١٩١٨) لها نتائج كارثية على الأكراد. فبالرغم من أن الحرب كانت موجهة رسميًا ضد أعداء خارجيين، فإنها في الواقع استهدفت أيضًا "أعداء الداخل"، أي الشعوب غير التركية في الدولة العثمانية.

وقد استغل العثمانيون المشاعر الدينية لدى الأكراد، فصوّروا الحرب على أنها "جهاد"، وشجعوهم على القتال إلى جانب الدولة ضد "الكفار"، ما دفع بعض القبائل الكردية إلى المشاركة في مجازر الأرمن بين عامي ١٩١٥ و١٩١٦. ولم تكن خسائر الأكراد قليلة، إذ قُتل نحو ٧,٠٠٠ كردي في تلك الحرب (Haddad, 2001, s. 87)و بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى واحتلال أجزاء كبيرة من أراضيها، قاد مصطفى كمال أتاتورك حرب الاستقلال التركية (١٩١٩-١٩٢٢) ضد قوات الحلفاء (Aksu, 2012, s. 35)، ولاسيما اليونانيين والفرنسيين والبريطانيين , وبعد تحقيق النصر أُعلن في ٢٩ تشرين الاول ١٩٢٣ عن تأسيس الجمهورية التركية رسميًا، مع إنهاء الخلافة العثمانية لاحقًا في عام ١٩٢٤ (BOR, 2013, p. 56)

اتبعت الحكومة التركية سياسات قومية تركية صارمة، مما أثّر بشكل كبير على الأقليات العرقية، بما في ذلك الأكراد. اذ كان للأكراد وجود بارز في شرق وجنوب شرق الأناضول ولكن الدولة الجديدة لم تعترف بهويتهم العرقية والثقافية (Kara, 2022, s. 45) , كان أبرز التأثيرات على الأكراد القضاء على الهوية الكردية وكذلك تعريف جميع المواطنين في الدستور الجديد لعام ١٩٢٤بأنهم "أتراك" الامر الذي مثل اكثر صرامة ومركزية في التركيز على العنصر التركي فقط ، مما أدى إلى إنكار الهوية الكردية رسميًا (Bakırcloğlu, 2020, s. 28)' فقد كان الأكراد جزءًا من الدولة العثمانية، التي سمحت لهم نسبيًا بالحفاظ على هويتهم الثقافية والقبلية تحت نظام الملل وعند إلغاء الخلافة عام ١٩٢٤، فقدو دعمًا دينيًا وسياسيًا مهمًا حيث لم يعد هناك مرجع ديني جامع يمكنهم الاستناد إليه في مطالبهم بالحكم الذاتي أو الحفاظ على تقاليدهم (Yetim, 2015, s. 40).

الفصل الثاني: سياسات القمع والاضطهاد القومي

مارست الجمهورية التركية الاضطهاد القومي ضد الأكراد خلال الفترة ١٩٢٣-١٩٣٨ عبر عدة سياسات ممنهجة استهدفت هويتهم الثقافية والاجتماعية والسياسية، وذلك من خلال:

اولاً. سياسة التتريك وطمس الهوية الكردية:

لم تكن الجمهورية التركية دولة علمانية فقط، بل زعمت أنها تقوم على مفهوم المواطنة المدنية التي تشمل جميع السكان. لكن هذا المفهوم لم يُطبق فعليًا، إذ كان القبول في الدولة الجديدة مرهونًا بالاندماج الكامل، أي تحويل الأكراد ليس فقط قانونيًا وسياسيًا إلى أتراك، بل أيضًا ثقافيًا واجتماعيًا (Haddad, 2001, s. 90), لذا اعتمدت الجمهورية الجديدة سياسة "الأمة الواحدة" التي اعتبرت جميع المواطنين أتراكًا، رافضة أي اعتراف بالهوية الكردية من خلال تبني الدولة سياسة "التتريك" (Tol, 2011, s. 143) ,وهي عملية تهدف الى طمس الهويات العرقية والثقافية غير التركية لاسيما الاكراد , شملت هذه السياسة فُرض استخدام اللغة التركية فقط، فيما مُنعت الدراسة بالكردية وحُظر استخدامها في المدارس والدوائر الحكومية والمراسلات الرسمية ففي منتصف عشرينيات القرن العشرين حتى عام ١٩٢٥ كانت هناك نحو ٤٥ مدرسة أو حلقة تعليم كردية غير رسمية، تم إغلاق معظمها (Besli, 2013, s. 10) بعد ثورة الشيخ سعيد بيران [١] وبحلول عام ١٩٣٠ تم إغلاق ما تبقى من المؤسسات التعليمية الكردية، والتي بلغ عددها قرابة ٧٠ مؤسسة تعليمية غير رسمية، أغلبها كانت مدارس أهلية أو حلقات دينية باللغة الكردية وبعد عام ١٩٣٠ فرضت الحكومة التركية سياسة "الاندماج الكامل" (McDowall, 2004, pp. 192-197)، فتم حظر استخدام اللغة الكردية تمامًا في المدارس، ولم يُسمح بوجود أي مؤسسة تعليمية كردية قانونية (Yıldız, 2005, p. 35), ومن المفارقات ان التواصل باللغة الكردية حظر في وقت لم يكن سوى ثلاثة او اربعة بالمئة من الاكراد يتحدثون الكردية ,واضطر الأكراد إلى قبول الرواية الرسمية التي تدّعي أن الأتراك والأكراد من نفسه الأصل، وأن الأكراد نسوا لغتهم الأم بسبب انعزالهم في جبال الأناضول ولتبرير التمييز ضد اللغة الكردية قُصر التواصل على الأبجدية اللاتينية، كما تم تغيير أكثر من ٩٠% من أسماء القرى الكردية إلى أسماء تركية، وحُظر اللباس والموروث الشعبي الكردي كالأزياء التقليدية والمناسبات القومية (Çapan, 2015, s. 35).

ثالثاً. القمع العسكري وإخماد الانتفاضات:

كان النظام الكمالي للجمهورية العلمانية الموحدة يعني الإنكار المستمر لحقوق الأكراد, فقد اعتُبر الوعي القومي الكردي تهديدًا وجوديًا لوحدة الدولة وسلامتها الإقليمية لذلك التزمت الحكومة التركية بالقضاء على كل ما يُشير إلى وجود هوية كردية مستقلة وقد اعرب أحد السياسيين الأتراك عن ذلك بقوله: "الذين لا ينحدرون من أصل تركي نقي، ليس لهم في هذه البلاد سوى حق واحد: أن يكونوا عبيدًا" (Haddad, 2001, s. 95).

لم يُدرك الأكراد مدى جدية التصميم التركي للقضاء على النزعة الانفصالية , وقد سعى كثير من الأكراد القوميين إلى انتهاز فرصة ميؤوس منها فاندلعت العديد من الانتفاضات ضد السلطات التركية بين عامي (١٩٢٥ -١٩٣٧)، لكنها جميعًا قُمعت بوحشية وجاءت هذه الثورات كرد فعل على الظلم الاجتماعي: "مدارسنا الكردية مغلقة، واستخدام اللغة الكردية محظور، وكلمتا 'أكراد' و'كردستان' ممنوعتان، وتُمارس ضدنا وسائل همجية" (Haddad, 2001, s. 91)

وباختصار لم يكن للدولة التركية من هدف سوى قمع المطالب السياسية للأكراد وكانت تنظر على انه فقط الشعب التركي له الحق في المطالبة بامتيازات عرقية أو أثنية وان هذه الأرض للأتراك. وكان ابرز هذه الانتفاضات منها انتفاضة الشيخ سعيد بيران عام ١٩٢٥ التي تعد واحدة من أكبر الانتفاضات الكردية وأول رد فعل كردي كبير على سياسات القومية التركية (Mumcu, 2018, s. 45)، حيث طالب الأكراد بالحكم الذاتي ورفض سياسة التتريك ، كانت الانتفاضة تهدف إلى إعادة الحكم الإسلامي والخلافة العثمانية (Kara, 2022, s. 33), اذ بدأت في منطقة بيران جنوب شرق تركيا حيث دعا الشيخ سعيد القبائل الكردية للانتفاض وسيطر الثوار على العديد من المناطق مثل موش, بيتلس, ديار بكر , وحاصروا قوات الحكومة التي اعلنت حالة الطوارئ وفرضت قانوناً عسكرياً لقمع الانتفاضة (Enis Güney, 2011, s. 13), اذ ارسل الجيش بقيادة الفريق كاظم قره بكير لقمعها باستخدام القوة المفرطة , بما في ذلك القصف المدفعي , وبعد معارك دامية بين الطرفين تمكن الجيش التركي من قمع الانتفاضة والقبض على الشيخ سعيد ورفاقه بالقوة في

نيسان عام ١٩٢٥ , وبعد محاكمة سريعة اعدم الشيخ سعيد واكثر من ٤٠ شخص من قادتها في ٢٩ حزيران عام ١٩٢٥ في ديار بكر ,وبعد قمع الانتفاضة واصلت الحكومة التركية سياساتها القمعية ضد الأكراد لأي مقاومة كردية (Keskin, 2015, s. 113),وفي هذا السياق اندلعت انتفاضة اخرى هي آرارات (١٩٢٧-١٩٣٠) بقيادة إحسان نوري باشا[٢]، بهدف إقامة دولة كردية مستقلة في منطقة جبل آرارات الواقع في اقصى شرق تركيا (Kara, 2022, s. 58)، عند الحدود مع ارمينيا, ففي عام ١٩٢٧ أعلنت مجموعة من القوميين الأكراد بقيادة إحسان نوري باشا تأسيس "الحكومة الكردية المستقلة" في جبل آرارات، انضمت قبائل كردية عديدة إلى الانتفاضة مما منحهم قوة عسكرية كبيرة وتمت السيطرة على عدة مناطق بالقرب من دوغوبايزيت وإغدير (Keskin, 2015, s. 113). حاولت الحكومة التركية قمع الانتفاضة، لكن التضاريس الجبلية جعلت ذلك صعبًا وحصل الثوار على دعم محدود من إيران، لكن لم يكن كافيًا لضمان استمرارهم .ففي صيف عام ١٩٣٠، شنت الحكومة التركية حملة عسكرية كبيرة ضد الانتفاضة، باستخدام الطائرات الحربية لقصف مواقع الأكراد في جبل آرارات ,حيث أُجبر الثوار على التراجع وبعد خسائر كبيرة تمكن الجيش التركي من استعادة السيطرة بالكامل وبحلول ايلول ١٩٣٠ لجأ بعض المقاتلين إلى إيران الا ان الحكومة التركية ضغطت على الحكومة الإيرانية لتسليمهم أو طردهم وكان لموقف الايراني في بأدي الامر متردداً ثم رضخت تدريجياً للضغط التركي بعد اتفاقية عام ١٩٣٢ لأنهاء الخلافات الحدودية وضبط نشاط الثوار الاكراد على الحدود الايرانية –التركية (DEGERLI, 2021, s. 116).

والانتفاضة الاخرى ديرسيم (١٩٣٧-١٩٣٨) (AKYÜREKLİ, 2010, s. 40) قام بها اكراد الزازا[٣] في شرق تركيا, كان السبب الرئيسي للانتفاضة السياسات القمعية التي انتهجتها الحكومة التركية, بدأت في اوائل عام ١٩٣٧ بقيادة سيد رضا الزعيم البارز حيث قام الثوار بمهاجمة المنشأة الحكومية (Müdürlüğü, Dahiliye Emniyet İşleri Müdürlüğü ile Başvekalet Yüksek makamına, 1937, p. 2), فردت الحكومة التركية بعنف شديد، حيث استخدمت القوة المفرطة لقمعها، مما أدى إلى مذبحة كبيرة بحق السكان الأكراد في المنطقة (Müdürlüğü,

Dahiliye Emniyet İşleri Müdürlüğü ile Başvekalet Yüksek makamına, 1938, s. 1) , وفي عام ١٩٣٨ تم القبض على سيد رضا وعدد من القادة واعدموا بسرعة دون محاكمة عادلة (AKYÜREKLİ, 2010, s. 100).

ثانياً : التهجير القسري والتغيير الديموغرافي:

تبنّت الحكومة التركية سياسات تهدف إلى تفكيك المجتمعات الكردية من خلال التهجير القسري للسكان من مناطقهم الأصلية إلى مناطق تركية أخرى، ومن أجل تقليل التوتر ومنع الثورات قررت أنقرة إفراغ منطقة كردستان من سكانها الأكراد، وإعادة توطينهم لاسيما في مناطق غرب تركيا (Brown, 2018, p. 11). وجاء في بيان حكومي: "سيتم توطين الغجر، وغير الأتراك والبدو الذين يحملون الجنسية التركية على شكل مجموعات صغيرة في مناطق تتجلى فيها الثقافة التركية بقوة. وإذا شكلوا تهديدًا لأمن تركيا، فسيُطردون منها" , بناءً على ذلك، أخلت الحكومة الأجزاء الوعرة من كردستان لأسباب مادية، وثقافية، وسياسية، واستراتيجية، وأمنية وتم ترحيل عشرات الالاف من الاكراد من مناطقهم الاصلية الى مناطق اخرى ذات اغلبية تركية (Haddad, 2001, s. 95) ,ففي اعقاب عام ١٩٢٥ تم تدمير وتهجير حوالي ٢٠٦ قرى كردية، لاسيما في ولايات دياربكر، موش، وبنجول وفي عام ١٩٣٠شنت الحكومة التركية حملة عسكرية مكثفة، تسببت في تهجير أكثر من ٣٠٠ قرية، خصوصًا في منطقة جبل آرارات وشمال شرقي تركيا اما درسيم (١٩٣٧-١٩٣٨) التي شنت بها أعنف الحملات العسكرية ضد الأكراد، حيث تم تدمير وتهجير أكثر من ١١٥٠ قرية كردية في منطقة تونجلي (ديرسيم سابقًا)، مع تهجير عشرات الآلاف وقتل آلاف المدنيين , بذلك يصل العدد الإجمالي الموثق تقريبًا إلى أكثر من ١٦٠٠ قرية كردية تم تهجيرها أو تدميرها خلال هذه الفترة (Bruinessen, 1992, p. 268), وتم توزيع النازحين في قرى نائية تحت مراقبة الحكومة التركية لمنع عودتهم الى مناطقهم الاصلية واجبارهم على الاندماج في المجتمع التركي. وقد تجاهل بذلك التاريخ واللغة والثقافة الكردية بهدف تقليل تأثير الهوية الكردية وتعزيز الهيمنة القومية التركية (Haddad, 2001, s. 96).

٤. القوانين التمييزية والإقصاء السياسي:

وضعت الجمهورية التركية إطارًا قانونيًا قمعيًا لاستهداف الأكراد، بهدف طمس هويتهم، وإقصائهم من الحياة السياسية، وفرض الهيمنة التركية عليهم بالقوة , كانت هذه القوانين جزءًا أساسيًا من مشروع التتريك الذي تبنته الحكومة التركية منذ تأسيسها وتضمنت القوانين التمييزية ضد الأكراد حظر اللغة والثقافة الكردية منذ عام ١٩٢٤ وقانون الطوارئ وقوانين القمع العسكري (DEGERLI, 2021, s. 99), اذ اصدر قانون الحفاظ على النظام العام بعد ثورة الشيخ سعيد (١٩٢٥) والذي منح الحكومة سلطات استثنائية إعدام أي شخص يُشتبه في دعمه للانتفاضات وإغلاق القرى الكردية، وترحيل السكان، وحظر التجمعات العامة, وقانون إعادة التوطين (**١٩٣٤**) كان هذا القانون من أخطر اساليب التهجير القسري حيث سمح للحكومة بإعادة توزيع السكان وفقًا لمعايير عرقية ,تم فيه تصنيف المناطق إلى ثلاثة أنواع مناطق يُسمح للسكان الأتراك بالعيش فيها ثانياً مناطق يُمنع فيها بقاء الأقليات العرقية مثل الأكراد ,ثالثاً مناطق مختلطة يمكن "إعادة تنظيمها" واستُخدم القانون بشكل واسع بعد تمرد ديرسيم (١٩٣٧-١٩٣٨)، حيث تم ترحيل الآلاف من الأكراد قسرًا (Doğan, 2012, s. 163).

اذ إعطاء الجيش الحق في التدخل دون موافقة البرلمان ففي عام ١٩٣٥، صدر قانون تونجلي (Tonçli) الذي جعل المنطقة خاضعة للقوانين العسكرية المباشرة، مما سمح للجيش بتنفيذ عمليات عسكرية ضد السكان الأكراد دون أي رقابة قانونية (DENİZ, 2013, s. 823).

فضلاً عن الإقصاء السياسي للأكراد اذ اتبعت الدولة التركية منذ تأسيس الجمهورية سياسة قمعية ممنهجة تجاه النخب الكردية السياسية والدينية والاجتماعية، في محاولة لشلّ أي إمكانية لنمو تمثيل كردي مستقل داخل بنية الدولة. هذا الاستبعاد لم يكن مؤقتًا بل امتد لعقود، وبدأ بُعد ثورة الشيخ سعيد ، حين اعتبرت الجمهورية أن كل شخصية كردية ذات تأثير شعبي أو سياسي تمثل تهديدًا للوحدة القومية (McDowall, 2004, p. 197).

اذ منع الأكراد من المناصب السياسية والإدارية وتم إقصاءهم من الحكومة ، ولم يُسمح لهم بتولي أي مناصب حساسة اذ كان أي شخص يُشتبه في كونه من "أصل كردي" يواجه صعوبة في الحصول على وظيفة حكومية حتى الأكراد الذين كانوا جزءًا من الإدارة العثمانية تمت إزاحتهم واستبدالهم بمسؤولين أتراك , ولم يُعيَّن أي كردي في منصب والي (محافظ) بين عامي (١٩٢٥-١٩٣٨) او رؤساء للبلديات ومدراء للمدارس والمستشفيات كانوا جميعًا من خارج المناطق الكردية، وغالبًا ضباطًا سابقين أو موظفين تم إرسالهم من أنقرة , اذ تم نقل الموظفين الاكراد إلى غرب تركيا أو فُصلوا من الخدمة بحجة "عدم الملاءمة القومية" (McDowall, 2004, p. 200).

فضلاً عن سياسة قمع الأحزاب والحركات السياسية الكردية فمنذ عام ١٩٢٥ فصاعدًا دخلت تركيا في مرحلة الحزب الواحد تحت سلطة حزب الشعب الجمهوري (CHP) الذي عرف بمواقفه القومية والعلمانية . اذ لم يكن هناك مجال لأي حزب كردي أو حتى تركي يعارض الخط الرسمي، لكن الكرد كانوا مستهدفين بشكل خاص فكل محاولة لإنشاء حزب أو تنظيم كردي كانت تعد تمردًا وأي شخصية كردية ذات نفوذ عشائري أو سياسي كانت تُنفى أو تُسجن .حتى النواب الكرد الذين انضموا للبرلمان، مثل سعيد نوري أو رشيد باشا، مُنعوا من مناقشة القضايا الكردية، كما تم تطهير البرلمان من الأصوات الكردية تدريجيًا تحت طائلة العقاب السياسي والنفي (Olson, 1989, p. 94). ومن أبرز الشخصيات الكردية التي تم استهدافها بالإعدام أو النفي أو التهميش الشيخ سعيد بيران زعيم الطريقة النقشبندية في ديار بكر، والسيد عبد القادر النهري من النخب الدينية والسياسية الكردية في إسطنبول ومن مؤسسي جمعية "تعالي كردستان"، الذي سعى لحماية الحقوق الكردية عبر الحوار. أُعدم عام ١٩٢٥ رغم عدم مشاركته في الثورة المسلحة (Olson، ١٩٨٩، الصفحات ٩٤-١٠٠) و رشيد باشا محافظ سابق ونائب برلماني، كان يُعرف بمواقفه الإصلاحية المعتدلة تم نفيه بعد ١٩٢٥ وأُقصي من الحياة العامة لمجرد انتمائه إلى طبقة كردية مؤثرة (McDowall, 2004, pp. 200-2005) وسعيد نوري ديرسيمي مثقف قومي كردي ومشارك في نشاطات جمعية تعالي كردستان رفض الانخراط في السلطة المركزية وهرب إلى سوريا بعد قمع انتفاضة ديرسيم، وهناك كتب مذكراته التي فضحت

السياسات التركية العنيفة بحق الاكراد , وخليل بك بزاد زعيم قبيلة الملي الكردية، أُخضع للإقامة الجبرية وأُجبر على الابتعاد عن الشأن العام، في سياسة ممنهجة لكسر زعامة العشائر الكردية وزكي بك من مؤسس جمعية تعالي كردستان ونائب برلماني سابق، الذي تعرض للاعتقال والسجن رغم نشاطه السلمي، وتم استبعاده من أي دور سياسي لاحق, مما يؤكد استهداف النخبة الكردية بأكملها (Bruinessen، ١٩٩٢، الصفحات ٢٦٨-٢٧١).

فجميع الأحزاب السياسية الكردية كانت محظورة و أي محاولة لتشكيل منظمة سياسية كردية كانت تُعتبر "انفصالية" وتؤدي إلى الاعتقال أو الإعدام حتى الشخصيات الكردية التي حاولت التعاون مع الدولة لم يُسمح لها بممارسة أي نشاط سياسي مستقل (البديري، ٢٠١٥، صفحة ٢٦٤) .

التأثير طويل الأمد لهذه القوانين (حتى ١٩٣٨)

واجه الأكراد القوانين القمعية والإقصاء السياسي بموجات متتالية من المقاومة، التي اتخذت أشكالًا مختلفة، من الاحتجاجات السلمية إلى الانتفاضات المسلحة. كانت هذه الردود تعبيرًا عن رفضهم لسياسات التتريك القسري، ومحاولات محو هويتهم .(Kara, 2022, s. 59) , ورغم القوانين الصارمة، استمر الأكراد في التحدث بلغتهم سرًا، والحفاظ على تراثهم الثقافي اذ نشأت حركات سرية تركز على تعليم اللغة الكردية، وتوثيق التاريخ الكردي، ونقل التقاليد شفهيًا وانتشرت الأغاني والقصائد الكردية التي تمجد المقاومة، وكانت النتائج المترتبة على القوانين القمعية وردود الفعل الكردية تعزيز العداء بين الأكراد والدولة التركية اذ خلقت السياسات القمعية فجوة كبيرة بين الأكراد و الحكومة وأصبح الأكراد يشعرون بأنهم غرباء داخل الدولة التركية، حيث كانوا يُعاملون على أنهم "تهديد" وليسوا مواطنين حيث نظر الأكراد إلى الدولة كعدو مباشر و أدى هذا العداء إلى صراعات طويلة الأمد، لم تنتهِ حتى اليوم (Kara, 2022, s. 120).

لقد أدى هذا الإقصاء إلى فراغ سياسي كردي تام داخل مؤسسات الدولة التركية، وأسّس لحالة من الاحتقان السياسي استمرت لعقود. كما أُغلق المجال العام أمام الكرد بشكل

كامل، مما منعهم من التعبير عن تطلعاتهم بوسائل مدنية، وترك أثرًا طويل الأمد في علاقتهم مع الدولة (Bruinessen، ١٩٩٢، صفحة ٢٦٨).

الخاتمة:

– تعد المشكلة الكُردية المصدر الرئيسي لعدم الاستقرار السياسي في تركيا وتشكل تحدياً لنظام الجمهوري للدولة منذ تأسيسها عام ١٩٢٣ إذ توثر هذه المسالة على جميع سياساتها على المستوى الداخلي والخارجي.

– حاولت تركيا فرض هوية تركية موحدة بالقوة، لكن الأكراد رفضوا ذلك بشدة، مما أدى إلى عقود من المقاومة والصراع. أثبتت هذه المدة أن القمع لا يمكنه إنهاء الهوية القومية لشعب بل يؤدي إلى تعزيزها وإشعال صراعات طويلة الأمد..

–تعزيز القومية الكردية بدلاً من القضاء عليها اذ بدلاً من طمس الهوية الكردية، أدت هذه السياسات إلى زيادة الوعي القومي الكردي. فبدأت تظهر حركات مقاومة سرية داخل المجتمع الكردي , من خلال ظهور سلسلة من الثورات الكردية .

– تُظهر نتائج البحث أن السياسات القومية التركية في تلك المدة لم تكن مجرد إجراءات أمنية بل كانت جزءًا من مشروع لتشكيل هوية وطنية موحدة على حساب القوميات غير التركية، مما أدى إلى اضطرابات مستمرة بين الدولة التركية والأكراد. ويوصي البحث بضرورة الاعتراف بالتاريخ الكردي في تركيا وفتح المجال للمصالحة والاعتراف بالحقوق الثقافية والسياسية للكرد لتجنب تكرار النزاعات في المستقبل.

الهوامش

(١) سعيد بيران(١٨٦٥-١٩٢٥) : ولد في قرية بالو وهو سليل اسرة دينية معروفة, درس الفقه والشريعة الاسلامية و اصبح مرشداً للطريقة النقشبندية عقب وفاة والده وانتقلت الزعامة الدينية اليه, شارك بالعمل السياسي منذ بدء تأسيس الجمعيات في الدولة العثمانية عام ١٩٠٨, واقام صلات مع العائلات الكردية الكبيرة في المناطق الكردية المختلفة, بدأ الشيخ سعيد منذ ذلك الوقت يتهيأ للنضال من أجل الشعب الكردي في الدفاع عن قضيتهم, وتولى قيادة الانتفاضة الكردية عام ١٩٢٥ (Sözbir, 2006, s. 70)

(٢) احسان نوري باشا : (١٨٩٢-١٩٧٦) ضابط كردي سابق في الجيش العثماني ولد في منطقة بيتليس، تخرّج من الكلية الحربية في إسطنبول عام ١٩١٠ وشارك في حروب عدة, ولمع اسمه كقائد عسكري وسياسي من خلال مشاركته في حرب الاستقلال التركية وبعد انهيار الدولة العثمانية، انضم إلى الحركات القومية الكردية وساهم في تنظيم وتمويل انتفاضة آرارات ضد الجمهورية التركية، حيث تولّى القيادة العسكرية للانتفاضة (Paşa, 1992, s. 7).

(٣) **اكراد الزازا** : هم مجموعة عرقية ناطقة بلغة زازاكية (Zazaki) وهي احدى اللغات الايرانية الغربية الشمالية القريبة من الكرد الفيلية او الكردية الكورمانية لكنها ليست مفهومة للناطقين بالكردية الكرمانجية او السورانية وهذه اللهجة هي واحده من اكبر ثلاث لهجات كردية يتحدث بها حوالي ثلاث ملايين شخص (Kaya, 2011, pp. 3-5).

المصادر :

Aksu, C. (2012, 6 18). Türkiye'nin Kürt sorununun kökenleri(1908-1923 dönemi). *Yüksek Lisans Tezi*. İstanbul, Büyükçekmece, Türkiye: ISTANBUL BEKENT ÜNİVERSTESE.

AKYÜREKLİ, M. (2010, 3 9). Dersim Sorunu (1937-1938), Yayınlanmayan Bir Hakim Mesaj. *Yayınlanmayan bir hakim mesajı" Ankara Üniversitesi*. Ankara, Ankara, Türkiye: Türk İnkılap Tarihi Enstitüsü, Ankara Üniversitesi.

Bakırcloğlu, İ. O. (2020, 6 15). günümüze Türkiye'de Kürt sorunu: Bitlis örneği. *Yüksek Lisans Tezi T.C. Selçuk Üniversitesi*. Konya, Selçuklu, Türkiye: T.C. Selçuk Üniversitesi.

Besli, M. K. (2013, 9 5). Türkiye'de Kürt Sorunu ve Barış Süreci. *Lisans Tezi, Beykent Üniversitesi, İstanbul*. İstanbul, İstanbul İli, Turkey: Beykent Üniversitesi.

BOR, Y. (2013, 5 1). The Effects of the Kurdish Question on Turkey's Foreign and Security Policy with Reference to the Western World. *Doctoral dissertation, University of Leicester*. Leicester, Leicestershire, United Kingdom: ProQuest Dissertations Publishing.

Çapan, F. (2015, 1 2). Analysis of intra-state conflicts: The case of Kurdish issue in Turkey. *Master's thesis. Hacettepe University*. Ankara, Province, Turkey: Hacettepe University.

The case for management in the .(٢٠١٨ ,٥ ١٦) .D. P. Brown
Senior Honors Thesis, University of .Turkish-Kurdish conflict
United States: ThinkIR: The ،Kentucky ،Louisville .*Louisville*
.s Institutional Repository'University of Louisville

DEGERLI, E. S. (2021, 2 13). Amerikan Basınında Doğu İsyanları 1925-1938. *Gazi Akademik Bakış*, s. 97-121.

DENİZ, M. (2013). *Alman Dışişleri Bakanlığı Arşiv Belgelerine Göre Dersim Ayaklanması".* ANKARA, Türkiye: Alman Dışişleri Bakanlığı.

Doğan, T. (2012, 7 29). Arşiv Belgelerine Göre 1937-1938 Dersim İsyani. *Tarih Çalışmaları*, s. 158-169.

Enis Güney, B. s. (2011, 6 6). Cumhuriyet Türkiye'si Kürt Sorunu. *Yüksek Lisans Tezi, Bilecik Üniversitesi*. Bilecik, Bilecik Province, Turkey: Bilecik Üniversitesi.

Haddad, S. (2001, 6 29). "The Kurds in Turkey: Context and Current Status" Migracijske i etničke. *Faculty of Political Science, Public Administration and Diplomacy Notre Dame University*, s. 87-102.

Kara, T. (2022, 6 15). Devlet Aklı ve Türkiye'de Kürt Sorununun Politik Algılanışı". *Yüksek lisans tezi, Bartın Üniversitesi*. Bartın, Bartın, Türkiye: Bartın Üniversitesi.

The Kurds in Turkey: EU Accession and .(٢٠٠٥) .Kerim Yıldız .London: London: Pluto Press .(st ed١ المجلد) *Human Rights*

Keskin, N. (2015, 3 9). How Did the Kurds of Turkey Act Politically Against the Policies of the Great Powers 1850–1950. *Master's Thesis, Zirve University*. Gaziantep, Gaziantep Province, Turkey: Zirve University.

Agha, Shaikh and State: The .(١٩٩٢ ,١ ١) .Martin van Bruinessen .(st edition١ المجلد) *Social and Political Structures of Kurdistan* .United Kingdom: Zed Books ،London ،London

McDowall, D. (2004). *A Modern History of the Kurds* (Vol. 3rd ed). London: I.B. Tauris.

،New York .*The Zaza Kurds Of Turkey* .(٢٠١١) .Mehmed S. Kaya .The United States: Library of Modern Middle East Studies

Müdürlüğü, T. C. (1938, 8 31). Dahiliye Emniyet İşleri Müdürlüğü ile Başvekalet Yüksek makamına. *Sally 2470 ve 96Al 258*. Ankara, Ankara, Türkiye Cumhuriyeti: Cumhurbaşkanlığı Devlet Arşivleri M.

Mumcu, U. (2018). *Kürt İslam Ayaklanması.* Ankara, Türkiye: um:ag Yayınları.

Paşa, İ. N. (1992). *Ağrı Dağı İsyanı.* İstanbul: Med Yayınları.

The Emergence of Kurdish Nationalism and .(١٩٨٩) .Robert Olson States of ،Austin .(st ed١ المجلد) *the Sheikh Said Rebellion* .America: University of Texas Press

Sözbir, H. (2006, 9 21). THE NATURE AND CHARACTERISTICS OF THE MAJOR KURDISH MOVEMENTS:AN ANALYSIS OF THE KURDISH MOVEMENTS FROM THE BEDİRHAN REBELLION (1847) TO THE SHEIKH SAİD REBELLION (1925). *Master of Arts*. İstanbul, Beşiktaş, Türkiye: Boğaziçi University.

Tol, F. S. (2011, 8 1). Turkey's Kurdish Challenge. *Middle East Journal*, s. 143-152.

.Devlet Arşivleri Müdürlüğü Türkiye Cumhuriyeti Cumhurbaşkanlığı ile Başvekalet İşleri Müdürlüğü Dahiliye Emniyet .(١٨ ,٦ ١٩٣٧). Yüksek makamına .*Sally* ٤٢٢٦ *ve* ٩٦ *Al* ٨٣. Ankara، Ankara، Devlet Arşivleri Türkiye: Türkiye Cumhuriyeti Cumhurbaşkanlığı .Müdürlüğü

Yetim, H. T. (2015, 6 15). Erken Cumhuriyet Döneminde Kürt Sorunu (1920-1938): Bir Güvenlikleştirme Analizi. *Yüksek Lisans Tezi, Sakarya Üniversitesi*. Adapazarı, Sakarya, Türkiye: Sakarya Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü.

خضير البديري. (٢٠١٥). *التاريخ المعاصر لايران وتركيا* (المجلد الثانية). بيروت، لبنان: العارف للمطبوعات.

المصالح الامريكية في بحر الصين الجنوبي: قراءة تاريخية بين حرية الملاحة وموازنة النفوذ الصيني ١٩٤٨-٢٠١٥

American interests in the South China Sea: A historical reading between freedom of navigation and balancing Chinese influence 1948-2015

م.د مريم عبدعلي حمدان

Dr.marym abd ali hamdan

الجامعة المستنصرية /العراق

كلية التربية الاساسية / قسم التاريخ

Al-Mustansiriyah University Iraq
College of Basic Education / Department of History
Marym.abd.ali@uomustansiriah.ed

المصالح الامريكية في بحر الصين الجنوبي: قراءة تاريخية بين حرية الملاحة وموازنة النفوذ الصيني ١٩٤٨-٢٠١٥

م.د مريم عبدعلي حمدان

الملخص :

يتميز تاريخ بحر الصين الجنوبي بتفاعلات مُعقدة بين التجارة البحرية والمطالبات الإقليمية والتوترات الدولية، مما أثر بشكل كبير على العلاقات الدولية. وباعتباره طريقًا بحريًا حيويًا شهدت ما بعد الحرب العالمية الثانية تصاعدًا في التوترات بشأن المطالبات البحرية، شملت بشكل رئيسي الصين وفيتنام والفلبين والعديد من دول جنوب شرق آسيا, وقد أصدرت جمهورية الصين الشعبية "خط النقاط التسع"، الذي أدعت فيه بمطالبات واسعة النطاق على بحر الصين الجنوبي، وكانت هذه المطالبات نقطة خلاف دولي, وشكّل بحر الصين الجنوبي بؤرة توتر بين الولايات المتحدة الامريكية والصين، واتخذت الولايات المتحدة موقفًا أكثر حزمًا تجاه مطالبات الصين وأنشطتها في المنطقة وأكدت على حرية الملاحة والتحليق في المياه الدولية، بما في ذلك زيادة العمليات البحرية في بحر الصين الجنوبي لتحدي مطالبات الصين الإقليمية التوسعية.

الكلمات المفتاحية:(بحر الصين الجنوبي, الولايات المتحدة , الملاحة ,الصين).

Abstract:

The history of the South China Sea is characterized by complex interactions between maritime trade, territorial claims, and international tensions, significantly impacting international relations. As a vital sea route, the post-World War II period witnessed escalating tensions over maritime claims, primarily involving China, Vietnam, the Philippines, and several Southeast Asian nations. The People's Republic of China established the "Nine-Dash Line," asserting

extensive claims over the South China Sea, a point of international contention. The South China Sea has also been a focal point of tension between the United States and China, with the US adopting a more assertive stance toward China's claims and activities in the region. The US has emphasized freedom of navigation and overflight in international waters, including increasing naval operations in the South China Sea to challenge China's expansionist territorial claims.
Keywords: (South China Sea, United States, Navigation, China)

المقدمة:

كان بحر الصين الجنوبي مركزًا للتجارة والتبادل الثقافي منذ القدم، فقد ربط شرق آسيا بجنوب شرق آسيا وما وراءها من خلال شبكات تجارية مثل طريق الحرير البحري ومهد هذا التاريخ الغني للنشاط البحري الطريق للنزاعات الدولية، لا سيما بعد الحقبة الاستعمارية والحرب العالمية الثانية، عندما بدأ الترسيم الأراضي تصاعدت المشاعر القومية بين القوى الإقليمية والذي أدى إلى إثارة المطالبات الدولية على الجزر والحقوق البحرية في المناطق البحرية , وفي ظل التطورات المحلية والدولية الجارية بين الدول نشاءة النزاعات الإقليمية بسبب ترسيم الحدود نتيجةً للتنافس على التجارة الدولية وينطوي تضارب مصالح الدول على عوامل ثقافية وسياسية واقتصادية واجتماعية وتنشأ النزاعات بين الدول بسبب ندرة الموارد المتعلقة باحتياطيات النفط والغاز إضافةً إلى ذلك يمكن أن تُؤدي السياسات الداخلية والاختلافات الثقافية أيضًا إلى نزاعات حدودية، حيث تختلف تفسيرات الدول المجاورة لملكية الأراضي واحتلالها وخصوصا في المناطق البحرية .

أهمية البحث:

يتميز تاريخ بحر الصين الجنوبي بتفاعل معقد بين التجارة البحرية والمطالبات الإقليمية والتغيرات في السياسة الدولية وميزان القوى متأثرًا بشكل كبير بازدياد أهمية شرق آسيا بعد الحرب العالمية الثانية, فمنذ أواخر القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين سعت قوى دولية مختلفة إلى ترسيخ سيطرتها على المنطقة، ممهدةً الطريق للنزاعات المعاصرة للسيطرة الدولية على المياه في البحر وأدخلت جمهورية الصين "خط الـ ١١ نقطة" عام

١٩٤٧ لتأكيد مطالباتها بالمنطقة ما تترتب على ذلك من آثار ليس فقط على الاستقرار الإقليمي، ولكن أيضًا على العلاقات الدولية في منطقة آسيا والمحيط الهادئ.

إشكالية البحث:

أدى التنافس على الموارد البحرية والموقع الاستراتيجي في بحر الصين الجنوبي إلى حلقة صعبة من عدم الاستقرار الأمني البحري الحيوي خلقته "مأساة الموارد المشتركة" نتيجة الاستغلال غير المنظم للموارد لها مما يهدد النظم البحرية والملاحة التجارية الدولية, ومع سعي الدول لتحقيق طموحاتها الاقتصادية من خلال نشر أساطيل الصيد في المياه المتنازع عليها وعسكرة قوات إنفاذ القانون البحري، تسارع التنافس الدولي وازداد التدخل الخارجي للحفاظ على الملاحة الدولية، مما سبب في تُفاقم مشاكل الأمن الدولي في أسيا والمحيط الهادي.

منهجية البحث:

اعتمدت الدراسة على منهج البحث التاريخي في استقراء الاحداث وتحليلها واستنباط النتائج ضمن أطار العلاقات الدولية في بحر الصين الجنوبي مركزا على العلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية والصين ودورهما المؤثر على المطالبات بالجزر والحقوق البحرية في المنطقة.

المحور الاول /

- **جزر بحر الصين الجنوبي بين النزاع الاقليمي والتنافس الدولي:**

يُعرَّف بحر الصين الجنوبي، بأنه المسطح المائي الذي يحده من الجنوب خط عرض(١) درجة جنوبًا بين جنوب سومطرة وكاليمانتان في اندونيسيا، ومن الشمال مضيق تايوان من الطرف الشمالي لتايوان إلى ساحل فوجيان في الصين, وتقع هذه المنطقة التي تبلغ مساحتها حوالي ٣ ملايين كيلومتر مربع من المياه فوق جرف قاري (جرف سوندا) تبلغ مساحته مليون كيلومتر مربع من خطوط تساوي العمق الأقل من ٢٠٠ متر، ومليوني متر مربع من قاع البحر ضمن خط تساوي العمق ٢٠٠ متر ويقع جرف سوندا بشكل رئيسي في الأجزاء الغربية والجنوبية من بحر الصين الجنوبي، حيث توجد رواسب واسعة من

الهيدروكربونات والنفط الأحفوري والموارد الطبيعية. (C. Schofield and I. Story، ٢٠٠٥.، صفحة p43) وتعود التجارة البحرية في بحر الصين الجنوبي الى تاريخ قديم يرجع إلى العصور القديمة, فقد ربط إنشاء طريق الحرير البحري خلال عهد أسرة هان سنة (٢٢٠م) الصين بالمحيط الهندي وجنوب شرق آسيا ، مما سهّل تبادل السلع المهمة مثل أصداف السلاحف واللؤلؤ, وتوسعت هذه العمليات التجارية بشكل كبير خلال عهد أسرتي تانغ ٦١٨-٩٠٧م وسونغ٩٦٠-١٢٧٩م ، مع ازدياد في حجم وتنوع السلع المتبادلة، بما في ذلك السيراميك والمنسوجات وأصبحت الموانئ الرئيسية مثل قوانغتشو وتشيوانتشو، مراكز حيوية للتجارة تربط بين ثقافات واقتصادات متنوعة في جميع أنحاء المنطقة.١ (Jinming Li، ٢٠٠٣، صفحة ٢٠٩)

وفي العهد الاستعماري تنازلت إسبانيا عن الفلبين للولايات المتحدة الامريكية بموجب معاهدة باريس في أعقاب الحرب الإسبانية الأمريكية عام ١٨٩٨، وأدت هذه المعاهدة إلى بقاء جزر سكاربور وشول وجزر سبراتلي تحت السيادة الإسبانية في البداية وأدت المفاوضات اللاحقة إلى معاهدة واشنطن عام ١٩٠٠، التي نقلت هذه الأراضي بأثر رجعي إلى الولايات المتحدة الامريكية , وخلال هذه المدة طالبت فرنسا بجزر باراسيل واحتلتها عام ١٩٣٢، بينما خضع جزء كبير من جنوب شرق آسيا، بما في ذلك هذه الجزر، للسيطرة اليابانية بحلول عام ١٩٣٩ , ومع اشتداد الحرب العالمية الثانية رسخت القوى الاستعمارية هيمنتها من خلال الوجود العسكري والسيطرة الإدارية، مما أثر بشكل كبير على الحكم المحلي والمطالبات الإقليمية البحرية في بحر الصين الجنوبي .٢ (Keyuan o. , 2021, p. 10)

أن بقايا المطالبات الاستعمارية استمرت بعد منتصف القرن العشرين بعد تفكك الإمبراطوريات الاستعمارية والذي ادى إلى ظهور العديد من الدول المستقلة مثل الفلبين التي نالت استقلالها رسميًا عام ١٩٤٦، لكنها استمرت في التعامل مع تعقيدات إرثها الاستعماري، لا سيما فيما يتعلق بمطالباتها الإقليمية البحرية في بحر الصين الجنوبي وغالبًا ما يتشابك مطالبات الدول مع القانون البحري الدولي، وخاصة اتفاقية الأمم المتحدة لقانون

البحار التي سعت إلى معالجة الحقوق في المناطق المتنازع عليها.٣ (Kuan, 1995, p. 48)

وبالنسبة لخرائط بحر الصين الجنوبي كانت هناك ثلاثة اشكال رئيسية من خرائط للبحر ضم الشكل الاول منهم جزيرة (براتاس و جزر باراسيل) فقط تاركا الجزء الاخرى في بحر الصين الجنوبي دون علامات ، وقد وضع هذا الاطلس توسونغ عام ١٩٢٧ ,شمل الشكل الثاني جزيرة براتاس وجزر باراسيل وضفة ماكليسفيد والجزر التسع الصغيرة في جزر سبراتلي ، وقد وضع هذا الاطلس (تشين دو) عام ١٩٣٤ والشكل الثالث شمل جزيرة براتاس و جزر باراسيل وضفة ماكليسفيد و جزر سبراتلي وهي خريطة جزر بحر الصين التي جمعتها لجنه الصين لفحص الأراضي والبحر عام ١٩٣٥ ، وانتجت الادارة الاقليمية التابعة لوزارة الداخلية الصينية عام ١٩٤٨ خريطة موقع بحر الصين الجنوبي ، وخريطتين أصدرتهما حكومة الصين رسمياً لموقع جزر بحر الصين وهما الأكثر موثوقية٤ (Keyuan Z. , 2021, p. 19)

ولمناقشة الخلفية التاريخية لهذه الخرائط نجد آنها رسمت جزر بحر الصين الجنوبية في الوقت الذي واجهت فيه الصين الاضطرابات للثورة الداخلية والغزو الخارجي وكانت فرنسا و اليابان تتدخلان في وضع الجزر أوقات السلم ، في الوقت الذي انتقد فيه المجتمع الاسيوي سيادة الصين على جزء بحر الصين والاحتلال غير القانوني للجزر والشعب المرجانية بسبب غياب خط الحدود الذي جعل من الصعب التمييز بين المعالم البحرية للصين والدول المجاورة، فضلا عن سيطرة بعض القوى الاجنبية على جزر مثل جزر الفلبين سيطرت عليها الولايات المتحدة الامريكية في أرخبيل الفلبين، وبريطانيا في الجزء الشمالي من بورنيو وهولندا في الجزء الجنوبي من بورنيو ، وفرنسا في الاراضي الفيتنامية في الهند الصينية الفرنسية. ٥ (Note of 29 September 1932 from the Legation of the Chinese Republic in France to the Ministry of Foreign Affairs, Paris. Annex 10 in “Sovereignty over the Paracel and Spratly Islands”,, 2000, pp. 2-3)

جاءت خريطة بحر الصين الجنوبي التي انتجت في سنة ١٩٣٥ ردا على احتلال فرنسا و اليابان لجزر بحر الصين وضمها إليها خلال فترة الصراع، واكدت الخريطة على الادارة الصينية في البحر وجاءت بالضد من نشاط الضم الفرنسي والياباني، واشارت إلى أن الصيادين الصينين استخدموا جزر بحر الصين لسكنهم ونشاطهم الاقتصادي منذ الالاف السنين ، وادرجت جزر بارسيل وجزر براتاس في الخرائط الصينية كأراضي صينية، ولم تعد جزر ماكليسفيد وجزر سبراتلي جزء من الصين وفي عام ١٩٤٧، اعتمدت الصين خريطة تُظهر سلسلتي جزر باراسيل وسبراتلي كجزء لا يتجزأ من الأمة الصينية ونُشرت الخريطة المعنونة "خريطة جزر بحر الجنوب" في الصين في شباط ١٩٤٨، حيث صوّرت خطًا على شكل حرف U من إحدى عشرة منطقة تغطي بحر الصين الجنوبي بأكمله تقريبًا، وبعد عام١٩٤٨ حددت حكومة الصين حدود جزر الصين الجنوبي بموجب القانون الدولي.٦ (the PRC Ministry of Foreign Affairs:، ١٩٨٠، الصفحات ١-٢)

تعود أصول المطالبات الإقليمية الدولية في بحر الصين الجنوبي إلى التغييرات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية والحكم الاستعماري وشكل العصر الاستعماري بشكل كبير المشهد السياسي لبحر الصين الجنوبي، واثر في تفاقم النزاعات الإقليمية البحرية وخلّفت تجربته الترسيم التعسفي للأراضي والذي أثر على المطالبات بالجزر والحقوق البحرية في المنطقة, فقد أدخلت جمهورية الصين "خط الـ ١١ نقطة" عام ١٩٤٧ لتأكيد مطالباتها بالمنطقة، وهي خريطة أكدت السيادة الصينية وبعد الحرب الأهلية الصينية، عدّلت جمهورية الصين الشعبية هذا المطالب إلى "خط الـ ٩ نقاط"، مما يعكس استمرارها في المطالبات الإقليمية في البحر, وفي عام ١٩٥٠، قلّصت الصين عدد المناطق إلى تسع مناطق دون أي تفسير واستندت إلى الحقوق التاريخية، وسعت الصين إلى تبرير سيطرتها على المناطق المتنازع عليها لتشمل أراضي خط النقاط التسع المفترضة والتي تمثل ما يقرب ٩٠% من بحر الصين الجنوبي، وتتداخل مع المنطقة الاقتصادية الخالصة للدول الساحلية الأخرى.٧ (Robert Beckman, 2011, p. 18)

في أغسطس ١٩٥٠أحتلت الصين الشيوعية جزر سبراتلي ولكن أحتلالها لم يُسبب ضررًا يُذكر، مما عزز الشعور بالرضا بين القوى الغربية تجاه أهمية المنطقة ولكن بعد اكتشاف احتياطيات النفط والغاز المحتملة في أواخر الستينيات زاد الاهتمام ببحر الصين الجنوبي، مما دفع دول مثل الصين وفيتنام (الشمالية والجنوبية) وتايوان والفلبين وبروناي وماليزيا إلى تأكيد مطالباتها الإقليمية, تفاقم هذا التحول في التركيز بسبب الانسحاب التدريجي للولايات المتحدة الامريكية من جنوب شرق آسيا خلال أوائل سبعينيات القرن الماضي، مما خلق فراغا أمنيًا سارعت الصين إلى استغلاله ابتداءً من عام ١٩٧٠، بدأت بحرية جيش التحرير الشعبي عمليات مسح في بحر الصين الجنوبي، مؤكدةً رسميًا مطالباتها بجزر باراسيل وسبراتلي بحلول عام ١٩٧١، مما فاجأ واشنطن في أعقاب انسحابها من الهند الصينية٨. (Storey، April 29, 2010، صفحة ٢١)

وفي عام ١٩٧٤ شهدت النزاعات الاقليمية تصعيدًا كبيرًا بسبب معركة باراسيل ولم يُعزز هذا الاشتباك المسلح مطالبات الصين فحسب، بل أدى أيضًا إلى تدهور العلاقات الصينية الفيتنامية، وخصوصا بعد غزو فيتنام لكمبوديا, والذي كشف عن محدودية القدرات البحرية الصينية، كما لاحظ المحللون الأمريكيون، الذين أشاروا إلى أن الوجود العسكري الصيني لم يُشكل تحديًا كبيرًا للهيمنة البحرية الأمريكية في المحيط الهادئ وقد شهدت ثمانينيات القرن الماضي فترة من السكون النسبي في نزاعات بحر الصين الجنوبي لان المنطقة شهدت أحداث الحرب الباردة.٩ (Scot Marciel، " Maritime Issues and Sovereignty Disputes in East Asia" Testimony before the Subcommittee on East Asian and Pacific Affairs, Committee on Foreign Relations,، , July 15, 2009.، الصفحات p39,)

لقد عممت الصين خريطة بحر الصين الجنوبي مع الخط على شكل حرف (u) في وثائق ومنشورات داخلية منذ عام ١٩٤٨ سميت ب(جزر بحر الصين الجنوبي) حيث رسم خط من إحدى عشرة نقطة حول جزر براتاس وجزء باراسيل وجزر ماكليسفيد وجزر سبراتلي في بحر الصين الجنوبي, وعلى الرغم من أن الخرائط الصينية تصور الخط على شكل

حرف (u) منذ عام ١٩٥٣ الا إنها لم تعلن رسمياً عن هذا الخط حتى العام ١٩٩٢, وقد أشار هذا الخط الى (المياه التاريخية) التي تتمتع الصين بسيادتها عليها مثل المياه الاقليمية والداخلية وتمتلك فيها حقوق تاريخية مثل حقوق الصين والحقوق القضائية.١٠ (Ibid، صفحة p40)

أن هذه الخطوط تشكل الحد الخارجي للمناطق الاقتصادية الخاصة والجرف القاري من أقصى جرز باراسيل وسبراتلي ، وقد اعترضت الدول على هذا الخط وأكدت بأن الصين لا تمتلك حقاً تاريخيا على هذا الخط الذي يشير الى " المياه التاريخية " " وهو التفسير الذي اتفق عليه الموقف الرسمي التايواني ايضاً وتشير المبادئ السياسية التي اقرها المجلس التنفيذي الصيني لعام ١٩٩٣ على أن جزر باراسيل وجزر براتاس وجزر ماكلسفيلد هي جزء لا يتجزأ من أراضي جمهورية الصين وتعد منطقة بحر الصين الجنوبي الواقعة ضمن حدود المياه التاريخية خاضعة لها وتمتلك جميع الحقوق والمصالح فيها .١١ (Permanent Mission of Indonesia to the United Nations, 2009, pp. p1-2)

على الرغم من تأكيدات الصين ومطالبها في هذا الخط الا إنها عجزت عن ممارسة سلطتها في المنطقة، ومن البديهي أن الصين لا تسطيع ممارسة سيادتها على مساحة كبيرة كهذه لان الجزر منفصلة على البر الرئيسي بأعالي البحار ، كما أن الدول المحيطة ببحر الصين الجنوبي لم تعترف بأي مياه تاريخية للصين ضمن خط حرف (u) ، علاوة على ذلك فأن أتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام ١٩٨٣ والتي أنظمت إليها الصين ويجب عليها الالتزام بها كانت ترفض المياه التاريخية خارج حدود البحر الإقليمي ، وفى ناحية أخرى لم تشير التشريعات الصينية بما فيها قانون جمهورية الصين الشعبية المتعلق بالبحر الاقليمي والمناطق المتاخمة الصادر عام ١٩٩٣ وقانون الجرف القاري الصادر عام ١٩٩٨ إلى "المياه التاريخية ".١٢ (Ainslie T. Embree، ١٩٩٧، الصفحات ,84 p)

رغم أن الصين عممت خرائط داخلية تحمل هذا الخط ألا انها لم تعلن عنه كمطالبة رسمية في اتصالاتها الدولية واقتصرت مطالبها في بحر الصين الجنوبي في البيانات الداخلية الرسمية والكتاب الابيض الصادر في ثمانينيات القرن الماضي وموقع وزارة

الخارجية الصينية , وأكد رئيس الوزراء الصيني (لي بينغ) أنه يقترح تنحية النزاعات جانبا لصالح التنمية المشتركة، ولكن الوضع تغير بعد عام ٢٠٠٩ ، ففي أيار من العام نفسه قدمت كل من فيتنام وماليزيا مذكرات مشتركة بشأن الحدود الخارجية للجرف القاري في بحر الصين الجنوبي وعممت الصين لأول مرة خريطة على شكل حرف (u) في مذكرة شفوية الى لجنة الامم المتحدة لحدود الجرف القاري وأكدت في مذكرتها "أن سيادتها غير قابلة للجدل القاري على جزر بحر الصين الجنوبي والمياه المجاورة وانها تتمتع بحقوق سيادية وولاية قضائية على المياه المعنية بالإضافة الى قاع البحر وباطنه "١٣ (Nankivell، August 7, 2017، الصفحات ٣٩-٤٠)

وردا على المذكرة الشفوية من الفلبين الى لجنة حدود الجرف القاري والتي احتجت فيها على خط الصين حرف (u) أرسلت الصين في ١٤ نيسان٢٠٠٩ مذكرة تتهم الفلبين باحتلال بعض الجرز والشعاب المرجانية في جزر (نانشا) الصينية ، و أعلنت بموجب الاحكام ذات الصلة بأن الصين تتمتع بالحق الكامل في المياه الاقليمية والمنطقة الاقتصادية والجرف القاري وهذا يعد تطوراً في محاولات الصين لتوضيح مطالبها وتبريرها بموجب اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار, وهنا بدأت سلسلة النزاعات الاسيوية حول الحقوق الاقتصادية والتاريخية وحرية الملاحة في بحر الصين الجنوبي١٤ (Epstein، ٢٠١٧ ، الصفحات , 3 - 1 .p.p)

اصبحت الحاجة ملحة إلى ترسيم الحدود من أجل الحد من الانشطة العسكرية وشبه شبه العسكرية والمدنية وتحقيق السيطرة الفعلية على منطقة بحر الصين الجنوبي التي حددها الخط, وفيما يتعلق بالأنشطة العسكرية سارعت الصين الى بناء قوتها العسكرية لا سيما تحديث اسطولها البحري وبناء قاعدة عسكرية في (سانيا) والتي تعد بوابة بحر الصين الجنوبي، وسعت الى اجراء تدريبات بحرية وحشدت اثنى عشرة سفينة بحرية حديثة من ثلاثة اساطيل الشمالي والشرقي والجنوبي لإجراء مناورات بحرية مشتركة ، وحشدت دوريات جاهزة للقتال في المياه المتنازع عليها في بحر الصين الجنوبي ، إما الانشطة شبه العسكرية فقد تمثلت في نشر سفن و قوارب على شكل دوريات من مختلف وكالات إنفاذ القانون البحري

(خفر السواحل الصيني) من قوات الحدود والأمن العام وهي عبارة عن شرطة شبه عسكرية تحت قيادة وزارة الأمن العام وإدارة السلامة البحرية الصينية ١٥ (PAWEL BEHRENDT P. , 2020, p. p3) وقد اعتقلت قوات الأمن الصينية الصيادين الفيتناميين مراراً وتكراراً وصادرت القوارب وسفن الصيد وفرضت غرامات عدة لأطلاق سراحهم وأعلنت الصين عن إرسال سفينتين كبيرتين لدوريات الصيد في جزر سبراتلي لحماية سفن الصيد الصينية ، وفي أحدى المواجهات بين السفن وجهت إدارة مصايد الاسماك الصينية سلاحاً على سفينة إندونيسية عندما استولت القوات الإندونيسية على قارب صيد صيني في المنطقة الاقتصادية الخاصة من جزر (ناتونا) التابعة لإندونيسيا ١٥ (B Hayton، ٢٠١٤، الصفحات 28-27 .p.)

اما فيما يتعلق بتطوير الطاقة في بحر الصين الجنوبي فقد هددت الصين شركات الغاز والنفط الاجنبية وطالبتها بوقف عمليات التنقيب والبحث وخصوصا شركائها الفيتناميين ، واحتجت ايضاً على أنشطة تطوير الطاقة التي تقوم بها الدول على خط حرف (u) وطالبت بأن تكون مشاريع تطوير موارد الطاقة مشتركة ، لكن الدول الاخرى لم تقبل اشراك الصين في المناطق التي تقع ضمن مناطقها الاقتصادية وفقا لما تنص عليه اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار.١٦ (Robert Beckman، ٢٠١١، صفحة ٣٢)

وفيما يتعلق بموقف الدول بمطالبات الصين وفق خريطة حرف (u)، فقد رفضت الكثير من الدول المطالبات الصينية وأعلنت رسميا عن مطالباتها البحرية وأعتمدت على عدد من الوثائق القانونية وخصوصاً بعد تفاقم الأحداث الاخيرة ، وفيما يتعلق بموقف رابطة دول جنوب شرق آسيا فقد اتفق دول اعضاد رابطة الدول على قواعد السلوك الاقليمية المقترحة وهي وثيقة قانونية ابرز أهدافها تشجيع الجهود بما في ذلك تسوية النزاعات وفقاً للقانون الدولي بما في ذلك اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، وتلزم هذه القواعد باحترام المنطقة الاقتصادية والجرف القاري للدول الساحلية كما هو منصوص عليه في اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام ١٩٨٢, وقد دعا وزير الخارجية الاسترالي إلى توضيح المطالب الاقليمية بما يتفق مع الحقوق البحرية وفقاً للقوانين الدولية ، واوضح وزير الخارجية الياباني

أيضا الادعاءات ورفض بشكل مباشر الخط على شكل حرف (u) ودعا جميع المطالبين الى توضيح حقوقهم وفقاً القانون الدولي ١٧ (Thuy، January 2014، صفحة .p7)

أما بالنسبة للولايات الامريكية ومصالحها في بحر الصين الجنوبي فقد كانت تؤيد المطالب الاقليمية والحقوق في المجال البحري وفقا لاتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار ورفضت بشكل مباشر او غير مباشر اي حجة تتعلق ب" المياه التاريخية " او "الحقوق التاريخية" ، والتي مثلت عنها خريطة حرف (u) وسعت الى أن تتبع المطالبات في المجال البحري في بحر الصين الجنوبي وفق المطالب المشروعة المرتبطة بالأرض، وأن مطالب الصين يجب أن لا تتجاوز اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار, وهذا ما سيتم تتبعه في المحور الثاني. ١٨ (Thuy، January 2014، صفحة p12)

يتضح مما سبق, أن النزاع بحر الصين الجنوبي ينطوي على مطالبات حدودية متنافسة من قِبل بروناي والصين وماليزيا والفلبين وتايوان وفيتنام وتصاعدت التوترات منذ سبعينيات القرن الماضي مع بدء الدول في تأكيد سيطرتها على جزر مختلفة، لا سيما عندما أعلنت الصين بقوة وبشكل مستمر عن مطالبات توسعية بناءً على ما يُسمى "خط النقاط التسع" يتمحور النزاع حول جزر سبراتلي وجزر باراسيل وجزر سكاربورو, وتُشكل المطالبات غير القابلة للتسوية على الأراضي خطرًا أكبر يؤدي للصراع المسلح بسبب صعوبة حل التنافس الشديد على الموارد المشتركة.

المحور الثاني / المصالح الامريكية التاريخية في بحر الصين الجنوبي وجذور التنافس الدولي:

من منظور تاريخي شهدت العلاقات الامريكية – الصينة فيما يخص بحر الصين الجنوبي منافسة عالمية من الناحية السياسية من عدم الاعتراف الى التنافس ثم التعاون وركزت الدولتان على القضايا الاقليمية الدولية فيها يخص الحقوق القانونية والتاريخية في المنطقة , أن الولايات المتحدة الامريكية أكدت على المصالح الوطنية في حرية الملاحة في المحيطات والبحار البعيدة عن شواطئها وذلك رداً على النهب الذي تعرضت له سفن الشحن الامريكية في المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط والبحار المجاورة, و نفذت على

أثرها بموافقة رؤساءها وأذن الكونغرس الأمريكي البحرية الامريكية عمليات عديدة لحماية حرية الملاحة والسفن التابعة لها في القرن العشرين١٩ (Ang Cheng Guan، Working Paper No. 4, August 1999,، صفحة p. 16)

بعد الحرب العالمية الأولى أكد الرئيسي ودرو ويلسون في خطابه الشهير أمام الكونغرس " المبادي الأربعة عشرة" معترفا بأهم مبادئها العالمية وهي حرية الملاحة المطلقة في البحار خارج المياه الإقليمية سوأ في السلم أو الحرب وبعد الحرب العالمية الثانية ألقى الرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت خطابه الإذاعي "حريات البحار" للشعب الامريكي الذي اكد على أهم المبادئ العالمية لحرية الملاحة المطلقة في البحار خارج المياه الاقليمية سواء في السلم أو الحرب وأكد على دور الدوريات البحرية والجوية في المحيط الأطلسي في المحافظة على السياسة الامريكية لحرية البحار، وقد نفذ فيما بعد الرؤساء الامريكيين برامج متعدد من خلال وكالات حرية الملاحة للحفاظ على حقوق الدول من المطالبات البحرية في جميع انحاء العالم٢٠ (Ang Cheng Guan، , Working Paper No. 4, August ,1999)

أن اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بالملاحة شمل الحفاظ على حرية الملاحة في بحر الصين الجنوبي، فمنذ عام ١٩٦١ احتج الأمريكيين على المطالب البحرية لجمهورية الفليبين التي خصت المطالبة بأجزاء واسعة من المنطقة وعدت مطالبها مفرطة بموجب القانون الدولي، وخلال القرن الحادي عشر والعشرين احتجت وزارة الخارجية والامريكية دبلوماسيا وطعنت البحرية الامريكية في مطالبات الصين والدول الاخرى في بحر الصين الجنوبي وبررت موقفها ومساعيها من أجل الحفاظ على حرية الملاحة ، وقد صرح متحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية في عام ١٩٩٥ قائلاً :" إن الحفاظ على حرية الملاحة مصلحة أساسية للولايات المتحدة الامريكية ، إن الملاحة غير المعوقة للسفن والطائرات في بحر الصين الجنوبي ضرورية للسلام والازدهار في منطقة أسيا والمحيط الهادي"٢١ (Clinton، , May, 2011.، الصفحات p2-6)

ان صعود آسيا وصعود الاقليمية الاسيوية والمحيط الهادي حددا مستقبل العلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية والصين ، فقد أدى النمو السريع للصين وغيرها من الدول النامية في المنطقة الى اكبر عملية إعادة توزيع الادوار في المنطقة والذي أدى الى صعود الإمكانيات الاقتصادية وغير من ميزان القوى الاقليمي حيث شكلت التهديدات الامنية تحديا للملاحة والتجارة الاقليمية ، ومن بين هذه التهديدات تعد التناقضات الامريكية الصينية الأكثر أهمية في المنطقة، فقد أدى توجه الولايات المتحدة الامريكية نحو أسيا وصعود الصين الى نشوء منافسة بين القوتين الرئيسيين في منطقة آسيا والمحيط الهادي، نتج عن هذا التنافس مجموعة من المخاطر السياسية على الاستقرار الدولي للمستويين الإقليمي والعالمي .٢٢ (Paret، ١٩٩٨، الصفحات 692-687 p.)

ومن منظور تاريخي يعد صعود الصين احد العوامل التي أعادت تشكيل السياسة الدولية وكان لها تأثير كبير على السياسة الخارجية الامريكية على مختلف المستويات العالمية والاقليمية ، كان هذا الصعود الى جانب تحسين الوضع الاقتصادي والسياسي في اسيا الذي يقابله تدهور الوضع السياسي والاقتصادي في الولايات المتحدة الامريكية خلال الأزمة المالية العالمية, فضلا عن عوامل اخرى ناجمة عن حروب الشرق الاوسط والتي كانت السبب وراء استراتيجية التوجه نحو اسيا في السياسة الخارجية الامريكية نحو الصين , وقد أدت توجهات الولايات المتحدة نحو آسيا وتأكيدات الصين المتزايدة في شؤون الملاحة الدولية الى أثارت المواجهات والتوترات التي كان لها آثار سلبية على التعاون في المجال البحري العالمي ٢٣ (U.S. Navy, Marine Corps, and Coast Guard,، October 2007,، الصفحات 4-3 p)

أن أعادة التوازن في شرق اسيا بين النظامين الأمني الذي تسيطر عليه الولايات المتحدة الامريكية، والنظام الاقتصادي الذي تسيطر عليه الصين قد لاقى العديد من العقبات , وهذا النظام المزدوج شهد نموا في التكامل التجاري بالتزامن مع تصاعد التوترات حول بحر الصين الجنوبي، وعندما تولى شي جين بينغ منصبه بداء المراقبون الأمريكيون بمراقبة دور الصين في اسيا ، وفي خضم هذه الثنائية المحيطة والمنافسة بين الولايات المتحدة

الامريكية والصين هناك دول في شرق اسيا والمحيط الهادي جنت مكاسب التعاون مع الصين دون التخلي عن الرعاية الأمنية الأمريكية مثل اليابان واستراليا وهي من الدول العالقة بين خيارات الاول ، احياء اتفاقية الشراكة عبر المحيط الهادي مع الاحتفاظ بأعداد هائلة من القوات الامريكية ، والخيار الثاني الشراكة الاقليمية الشاملة التي تسعى لحل النزاعات البحرية والاقتصادية وترسيم الحدود البحرية ، ومن الواضح ان دول مثل اليابان واستراليا استفادت من النظام الاسيوي المزدوج ولم تضطر الى اختيار تبعية أمنية أو اقتصادية مربكة بين الولايات المتحدة الامريكية والصين ٢٤ (White House, ، September 2005، صفحة p40)

تحولت الولايات المتحدة الأمريكية الى اسيا بعد حربها ضد الأرهاب في الشرق الأوسط و وافغانستان وأصبح بحر الصين الجنوبي النقطة المحورية لاستراتيجيتها "إعادة التوازن في آسيا"، التي تبنتها إدارة اوباما وهذا التحول شمل الناحية الدبلوماسية والسياسية والتي تمثلت في زيارات الرؤساء ووزراء الدفاع والخارجية الامريكية لمنطقة أسيا والمحيط الهادي وركزت هذه الزيارات على اتفاقية الشراكة عبر المحيط الهادي (TPP) والتي أسهمت في تعزيز علاقاتها مع الدول الاخرى , أن الولايات المتحدة كانت تخطط لنقل غالبية قواتها البحرية الى منطقة اسيا والمحيط الهادي بعد أن قررت إدارة اوباما بأن التوترات المتزايدة تستدعي الرد , وخلال اجتماع قادة رابطة دول جنوب شرق اسيا الاثنى عشرة دولة في أيلول ٢٠٠٩ أقنعت الولايات المتحدة الامريكية هذه الدول بالتعبير عن قلقها إزاء التوترات في بحر الصين الجنوبي , ففي عام ٢٠٠٩ واحتجاجًا على طلب فيتنام وماليزيا المقدم إلى الأمم المتحدة بشأن مطالباتهما بتمديد الجرف القاري، قدمت الصين إلى الأمم المتحدة خريطة أراضي خط النقاط التسع، مُدّعيةً امتلاكها حقوقًا سيادية وولاية قضائية على الجزر والمياه المجاورة في بحر الصين الجنوبي ولم تُوضح الصين أساس الخطوط التسع، ولم تُقدم حتى الإحداثيات المقابلة, وُعدت هذه المطالبات الصينية بالغة الأهمية للمصالح الامريكية لأنها تمس المصالح السيادية للفلبين في حماية مياهها ويبدو أن الصين تسعى للمطالبة بـ ٨٠% من المنطقة الاقتصادية الخالصة للفلبين في بحر الصين , وحدد الرئيس الامريكي في

الاجتماع قادة رابطة جنوب اسيا المصالح الامريكية بشكل عام وحرية الملاحة في بحر الصين الجنوبي بشكل خاص ٢٥ (Thomas Lum، January 3, 2011، الصفحات p10-18) وأشار إلى المصلحة الشاملة في حرية الملاحة في بحر الصين بدلا من الحرية الفردية وتنشيط مبادرة "المصلحة الوطنية" قبل استخدام عبارة " حرية الملاحة" في أشار الى مسألة حرية التنقل عبر الممرات المائية في البحر بعبارة "الوصول المفتوح " أو" حرية المناورة" أو" حرية العمل " داخل المجال البحري لا سيما الى جانب مسؤولية الجيش الامريكي في "الحفاظ" أو "الحماية " على الأمن البحري وناقش ايضاً حقوق مرور السفن التجارية و السفن العسكرية في مجال العمل البحري، والاستخدامات الدولية الأخرى المشروعة٢٦ (Frank Ching, 2009-11-2, p. p8)

وأعلنت وزيرة الخارجية الامريكية هيلاري كلينتون لأول مرة في منتدى أسيا الاقليمي عام ٢٠١٠عن مصالح الولايات المتحدة الامريكية في بحر الصين الجنوبي ومنها "حرية الملاحة" وأكدت على التسوية السلمية للنزاعات والتجارة الحرة ، كما رفضت بشكل غير مباشر أي حجة تتعلق ب "المياه التاريخية " أو " الحقوق التاريخية" لخط حرف (u) لأن المطالب الخاصة بالمساحة البحرية في بحر الصين يجب ان ترتبط بالتضاريس الأرضية، وخصوصا أن مطالبات الصين في البحر قد تجاوزت ما تسمح به اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار.٢٧ (Lori Fisler Damrosch, 2001, p. p59)

أن سعي الولايات المتحدة الامريكية لموازنة القوى في اسيا كان من العوامل المهمة التي ساهمت في التأثير على قضية بحر الصين الجنوبي، وهذا ما يفسر تنافسها مع الصين للحفاظ على موقعها القيادي في منطقة آسيا والمحيط الهادي وحشد الدعم في المنطقة للتعامل مع صعود الصين ، وقد اكدت مصالحها في البحر في المنتدى الإقليمي السابع عشر والثامن عشر لرابطة دول جنوب شرق أسيا عام ٢٠١٠، وكانت للسياسة الامريكية تأثير على مواقف الدول الاخرى التي تربطها علاقات مع واشنطن مثل اليابان وأستراليا والهند وحتى بعض دول الاتحاد الاوربي والتي عبرت عن قلقها إزاء تطورات الوضع حتى

صارت قضية نزاعات بحر الصين قضية دولية.٢٨ (Senate Treaty Document، ١٩٩٤,١ February، صفحة p103)

أن للولايات المتحدة الامريكية مصالح مباشرة في بحر الصين الجنوبي منها الحفاظ على النظام الذي تقوده في البحر بما في ذلك القانون الدولي للبحار ، ونظراً لعدم انضمامها إلى اتفاقية قانون البحار هذا الأمر يحد من شرعيتها في انتقاد الدول الأخرى لعدم احترامها القانون البحري ، ايضاً سعى الامريكيين الى حماية مصلح الحلفاء وخاصة في الطرق البحرية الاستراتيجية لليابان وكوريا الجنوبية وتايوان والفلبين في مواجهة تزايد انشطة الصين في البحر ودعمت سياستهم في الدفاع عن المصالح الوطنية في الحفاظ على بيئة سليمة خارجية في إطار المثول الى القانون الدولي وخاصة اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار والدفاع عن مطالبهم البحرية ومعارضة امتداد الصين في المناطق البحرية المعترف بها دولياً وطرح القضية في المستويات الاقليمية مع اعضاء رابطة دول جنوب شرق اسيا لتهدئة وتسوية النزاعات.٢٩ (Zhao Peiying, 1996, pp. p118-119.)

ايدت الولايات المتحدة الامريكية مطالب الدول في فصل مناطقها الاقتصادية الخالصة وجرفها القاري من البر الرئيسي والجزر المتنازع عليها القريبة من الشاطئ والمناطق المتنازع عليها في بحر الصين الجنوبي وتقليل مساحات النزاع وكل ذلك يتم من خلال تفسير المادة (١٢١) المتعلقة بنظام الجزر من أتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار التي تشمل الجزر البحرية بما في ذلك المناطق الاقتصادية والجرف القاري والصخور الغير مؤهلة للسكن البشري.٣٠ (Commander's Handbook on the Law of Naval Operations, , 2007, p. P. 1.5)

سعى الجانب الامريكي ايضا الى مراقبة نفوذ الصين البحري في بحر الصين الجنوبي لضمان أن لا يؤثر صعودها بالنظام والمصالح الامريكية وحماية شركات النفط والغاز الامريكية ضمن مبداء "التجارة دون عوائق" بعد أن حاولت الصين الضغط على شركات النفط والغاز الدولية لمنعها من التعاون مع دول رابطة جنوب شرق اسيا ، لكن من عواقب تصرفات الصين سعت هذه الدول الى التعاون مع شركات النفط والغاز الدولية

التابعة للدول الكبرى مثل الولايات المتحدة الامريكية وروسيا واليابان والهند والتي لا تجرؤ الصين على تهديدها لذلك اصبح بحر الصين الجنوبي منطقة نزاع مع مصالح القوى الكبرى.٣١ (Scot Marciel، " Maritime Issues and Sovereignty Disputes in East Asia"، July 15, 2009.)

أدلى كبار المسؤولين الأمريكيين بتصريحات علنية حددت المصالح الامريكية في بحر الصين الجنوبي, فخلال المؤتمر الصحفي للرئيس الامريكي أوباما مع الرئيس الصيني (هو جين تاو) في عام ٢٠١١أكد على اهمية البحر في الملاحة الدولية وضمان استقرار المنطقة والحد من النزاعات , ناقش أيضا وزير الدفاع الامريكي (ليون بانيتا) المصالح الامريكية في اجتماع وزراء دفاع رابطة دول جنوب شرق اسيا في بالي بإندونيسيا اكتوبر ٢٠١١ دور الدول الاسيوية في الحد من النزاعات واستقرار المنطقة من أجل استقرار الملاحة الدولية في بحر الصين الجنوبي ، وأستناداً لهذه التصريحات التي صرح لها المسؤولين الأمريكيين في الاجتماعات والمنتديات الدولية مع نظرائهم في منطقة اسيا والمحيط الهادي يمكن ان تحدد المصالح والامريكية في بحر الصين بمصالح عديدة وهي احترام القانون الدولي والقانون العرفي والذي يستمد من قانون البحار في جزء كبير منه والذي يحكم العديد من القضايا في بحر الصين الجنوبي وايضاً يشمل الانضمام الى الاتفاقيات والمعاهدات الدولية مثل الانضمام إلى اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار .٣٢ (PRC Ministry of Foreign Affairs Spokesperson Qin Gang,, April 16, 2010., pp. p2-3)

وقد كان الرئيس الأمريكي أوباما من المؤيدين للاتفاقية، واقر كبار المسؤولين الأمريكيين بأهمية التصديق على الاتفاقية، ويشمل القانون الدولي ايضا الالتزام باتفاقية اللوائح الدولية لمنع التصادم في البحر لضمان سلامة السفن التجارية , وقد وجهت البحرية الامريكية افرادها وخفر السواحل باتباع اللوائح وفرض عقوبات على البحارة المدنيين الذين ينتهكونها ، ويشمل احترام القانون ايضا اقتباس المصطلحات بدقة مثل وصف " المياه

الدولية" التي تشمل المياه التي لا تخضع لسيادة أي دولة ساحليه .٣٣ (Greg Torode، Sep 23, 2011.، صفحة ٢٢)

وقد استخدمت جهات رسمية وغير رسمية في الصين عبارات شملت "المياه الصينية"، و"المياه الخاضعة للولاية الصينية" و" المياه الاقليمية" ، و" المياه التاريخية " و" المنطقة الاقتصادية الخاصة " و" المياه الساحلية الصينية" و"المنطقة الاقتصادية الخاصة"، و" المياه الساحلية الصينية" ، و"الاراضي الزرقاء".. ، الخ وبما أن المياه الدولية تشمل مناطق أعالي البحار فقط ومع أن اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لا توسع نطاق سيادة الدول الساحلية لتشمل المناطق الاقتصادية الخالصة لذلك كان على الجانب الامريكي التوقف عن استخدام عبارة " المياه الدولية " وايضا ينبغي على الجهات الصينية التوقف عن استخدام هذه العبارات غير الدقيقة من أجل الالتزام بالنظام القانوني المنصوص عليه في الاتفاقية الدولية .٣٤ (Greg Torode، Sep 23, 2011.، صفحة ٢٣)

أن الولايات المتحدة الامريكية والصين هما أهم مؤثرين في بحر الصين الجنوبي ولهم مصالح متعددة فيها وردود فعلهما كانت مدعاة لزيادة التوتر في المنطقة وتدهور العلاقات بين الصين والدول المجاورة ، فالنسبة للصين تعد قوة اقليمية تسعى لممارسة نفوذ اكبر في أسيا وجنوب شرق اسيا ويعد بحر الصين الجنوبي ذو أهمية لحماية البر الرئيسي لها, ومن خلاله يمكن ان تفرض قوتها على جميع البر الرئيسي ، وأن هدفها في حماية مصالحها في البحر "مصلحة أساسية" تعارض انشطة المراقبة العسكرية الأمريكية في المنطقة الاقتصادية الخالصة .٣٥ (Mingjiang Li, 2010, p. 51)

ومن الناحية العسكرية تحاول الصين ابقاء بحر الصين الجنوبي تحت السيطرة العسكرية لتطويق تايوان وعزلها مما يجبرها على الاتحاد مع البر الرئيسي للصين حتى تصبح قوة عالمية وهذا ما يفسر التواجد والتدريبات العسكرية الصينية شرق تايوان القريبة من التواجد الامريكي في جزيرة (غوام) في المحيط الهادي ، وفيما يتعلق بالطاقة ونظراً ما يتمتع به بحر الصين الجنوبي من إمكانيات كبيرة للنفط والغاز تعمل الصين على إيجاد طرق بحرية متنوعة لتنوع امدادات الطاقة لديها وتركز على استغلال النفط والغاز من خلال تقليل

تكاليف النقل وتأمين امدادات موارد الطاقة ، ولذلك اصبح البحر نقطة محورية في استراتيجية الصين لأمن الطاقة .٣٦ (Mingjiang Li، ٢٠١٠، صفحة ٥٨)

ومن المصالح الداخلية فقد سعت الصين على الحفاظ على شرعية الحزب الشيوعي الصيني من خلال رفع معدلات النمو الاقتصادي والذي يقتصر على الاستقرار ووصول الامدادات من الموارد الطبيعة الاقتصادي بصورة أمنة ، ففي الوقت الذي تسعى فيه الولايات المتحدة الأمريكية على حماية وسلامة طريق الحرير البحري تسعى الصين الى حماية الطرق البحرية والاقتصادية الحيوية عبر بحر الصين الجنوبي لأنه في حال قطع هذه الطرق لمدة يوم واحد سوف يؤثر هذا الامر على الوضع الداخلي في الصين لذلك سعت الى تطوير القوات البحرية والجيش في المنطقة لضمان أستقرار حدودها البحرية .٣٧ (Permanent Mission of Indonesia to the United Nations, ، ٨ July 2009، صفحة ٣١)

اما بالنسبة لمصالح الدول الاسيوية في بحر الصين الجنوبي فأرتبط اعضاء رابطة دول جنوب شرق آسيا بمصالح مشتركة في حماية حرية الملاحة والاستقرار الاقليمي واحترام القانون فضلاً عن الحفاظ على تضامن الدول الاسيوية بما في ذلك ماليزيا وبرناوي التي لم تتعرض لأي ضرر في نزاعات بحر الصين الجنوبي وغالبا ما توليان أهمية لعلاقاتهما مع الصين , اما فيتنام والفلبين هما الدولتين اللتان شهدتا اكثر الصدامات مع الصين دعت كل منهما الى التعامل مع قضية بحر الصين الجنوبي وفق مبادرات منتديات اسيا, اما سنغافورة وإندونيسيا فلهما وجهة نظر محايدة في بحر الصين ولا تدعمان أي طرف ولم يكن لهما مطالبات في بحر الصين ولكن بصفتهما دول تجارية رئيسة فلهما مصالح في أي شيء يؤثر على حرية الملاحة في جميع الممرات البحرية الدولية البحرية .٣٨ (Permanent Mission of Indonesia to the United Nations, ، ٨ July 2009، صفحة ٣٥)

لعبت إندونيسيا ايضاً دور الوساطة بين دول النزاع واستضافت العديد المنتديات وورش العمل مع اجل إدارة النزاعات في بصين الجنوبي وكسبت من خلال دورها ثقة أعضاء رابطة جنوب شرق اسيا ، اما لاوس و تايلند و ميانمار فلم يكن لهم مصالح مشتركة

ومباشرة بحر الصين الجنوبي وكانت تربطهم علاقات سياسية واقتصادية مع الصين, وقد شاركت جميع الدول الأعضاء العشرة في رابطة دول جنوب شرق اسيا في التفاوض على تنفيذ مدونة قواعد السلوك مع الصين من اجل إدارة النزاعات وتعزيز التعاون والسلام بين الدول الاسيوية . ٣٩ (Greg Torode، Sep 23, 2011.، صفحة ٢٣)

بناء على ما سبق, تتسم العلاقات المتبادلة بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين ودول اسيا في بحر الصين الجنوبي بقواعد خاصة قائمة على تأمين المصالح التجارية والاقتصادية ومرتبطة بالأمن والاستقرار الاقليمي ، فكلما زاد تمسك الصين في بالسيادة في البحر زادت التوترات في جنوب شرق اسيا رغم أن الولايات المتحدة الامريكية ودول آسيا ترتبط بعلاقات تجارية واقتصادية وثيقة في الصين ، فمن جهة تطور هذه الدول علاقاتها مع الصين ,ومن جهة أخرى تسعى تطوير علاقاتها الأمنية والاقتصادية مع الولايات المتحدة الامريكية وترحب بالوجود العسكري الامريكي في المنطقة والذي من شأنه يعزز من القدرات العسكرية للدول للحفاظ على الأمن الاقليمي في المناطق الساحلية الدولية.

المحور الثالث: التحولات التاريخية في الموقف الامريكي من نزاعات بحر الصين الجنوبي وحرية الملاحة:

حددت الولايات المتحدة الامريكية سياستها اتجاه منطقه بحر الصين الجنوبي وأكدت على حرية الملاحة ومعارضة استخدام القوة أو التهديد من قبل اي من الاطراف المطالبة بنفوذ بحري في المنطقة والتزمت بعدم الانحياز في المطالبات الاقليمية المتنافسة ، وعارضت مطالب الجانب الصيني بالولاية البحرية بناء على خط النقاط التسع على الخرائط الصينية، وسعت الى حل النزاعات عبر عمليات دبلوماسية للتعامل مع المطالب الاقليمية , وتشير الأدلة أن الولايات المتحدة الامريكية لم تشجع الدول الأخرى في نزاعات بحر الصين الجنوبي على الرغم من أن دول مثل فيتنام والفلبين اعتمدت على الدعم الدولي وخاصة الامريكي وهذا ما أكده الرئيس الفلبيني (بينيتو أكينو) مؤكدا على أهمية الدور الامريكي قائلاً " ربما يضمن وجود شريكيا في المعاهدة وهو الولايات المتحدة الامريكية أن

نتمتع جميعنا بحرية الملاحة وأن يتوافق ذلك مع القانون الدولي".٤٠ (Kuan--Ming Sun, 1995, p. p408)

جذبت إمكانية زيادة تدخل الولايات المتحدة الامريكية في النزاع انتباه الصين واشارت إلى أن الدبلوماسية الأمريكية والتي تسعى الى التدخل في الشأن الأسيوي يجب ان تحدد, وصرح متحدث باسم وزارة الخارجية الصينية أن نزاعات بحر الصين الجنوبي مسألة تخص الاطراف المعنية بشكل مباشر ويجب حلها من خلال التفاوض والتشاور الودي وأن الولايات المتحدة ليست دوله مطالبة بالنزاع ومن الأفضل أن تترك النزاع ليتم تسوية المطالب بين الدول سلمياً من خلال الحوار الثنائي .٤١ (Jinming Li and Dexia Li, 2002, pp. p,209)

أن الاحرف التسع التي وضعتها الصين على خرائطها لبحر الصين الجنوبي والادعاء المقابل لها به "السيادة التي لا تقبل الجدل " تفتقر إلى الشفافية وهناك غموض كبير في مطالباتها سواء على الحدود أو المياه الاقليمية على كامل السطح المائي أو المعالم الارضية ولم يكن لهذا الغموض تأثير يذكر على المصالح الأمريكية لكنه أصبح مصدر قلق عندما بداء يؤثر على شركات النفط والطاقة بسبب الشكوى البحرية المقدمة من قبل الجانب الصيني في المناطق التي لاتقع ضمن حدودها.٤٢ (Jinming Li and Dexia Li، ٢٠٠٢، صفحة p.210)

أشعلت المطالبات والمطالبات المضادة الجهود من جانب الدول للدفاع عن مواقفها في النزاعات بعد أن كررت الصين مطالبها بالسيادة على جزر باراسيل وسبراتلي الى جانب المياه المجاورة وتصاعدت التوترات عندما اعترضت سفينة إنفاذ القانون الصينية سفن المسح الزلزالي الفيتنامي واقدمت الصين في ٢٦ أيار ٢٠١١بقطع الكابل الزلزالي لسفينة استكشاف نفط تابعة لشركة بتروفيتنام بعد ان استخدمت سفن المراقبة البحرية الصينية معدات خاصة , واكدت ان مطالبها تتماشى مع أتفاقية الامم المتحدة لقانون البحار لان المنطقة تقع ضمن نطاق (٢٠٠) ميل بحري من المنطقة الاقتصادية على الجانب الغربي لجزر براسيل وسبارتلي وأنها لجأت الى حجة "الحق التاريخي" في تأكيد مطالبها ضمن الخط (u) , وفي

تموز ٢٠١١ أكد وزير الخارجية الصيني يانغ جيه تشي في منتدى اسيا الاقليمي قائلا: "أن الحكومة الصينية أعلنت رسميا عن خط النقاط التسع عام ١٩٤٨ وان سيادة الصين وحقوقها ومطالبها في بحر الصين الجنوبي قد ترسخت وتطورت على مر التاريخ ....", وامام هذه التصعيدات اصبحت الحاجة ملحة في ترسيم الحدود من أجل الحد من الانشطة العسكرية والمدنية وتحقيق السيطرة الفعلية على منطقة بحر الصين الجنوبي. ٤٣ (Keyuan o.، ٢٠٢١، صفحة p.34)

الامر الذي شجع الولايات المتحدة الأمريكية على زيادة مشاركتها في بحر الصين الجنوبي وطرحت وزيرة الخارجية كلينتون سياسة لإعادة "التوازن" أو " المحور " إلى أسيا التي اكد عليها الرئيس أوباما في خطابه إمام البرلمان الاسترالي, وبعد اسابيع من هذا الاعلان إعادة الولايات المتحدة والفلبين تأكيد معاهدة الدفاع بينهما من خلال توقيع إعلان مانيلا اثناء وجودهم فيها واستخدمت كلينتون اسم "بحر غرب الفلبين" في وصف بحر الصين الجنوبي في اشارة الى عكس وجهة نظر الجانب الامريكي اتجاه دورها في تحديد الموقع القيادي في اسيا والمحيط الهادي ولتعزيز العلاقات مع فيتنام قدمت المساعدات المالية والعسكرية الدفاعية الامريكية لها .٤٤ (BEHRENDT، ٢٧ April 2020, ، الصفحات 3-2.p)

حدد المسؤولون الصينيون دعم الولايات المتحدة الامريكية للفليبين وفيتنام انه سبب في تصاعد التوترات بين الصين وجيرانها ومن الامثلة على هذا الدعم ما حصل لأول مرة في نيسان ٢٠١٢ عندما اندلعت مواجهة بين الصين والفلبين وأرسلت الاخيرة السفن الحربية للسيطرة على الجزر ، وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة الامريكية رفضت علناً الوقوف الى جانب الفلبين خلال المواجهة الا إن جهودها في تعزيز التحالف مع مانيلا شجعها على الشروع في التحكيم الدولي ضد الصين والتي اكدت فيها على مطالبها بقوة .٤٥ (Evers H.-D.، ٢٠١٤، صفحة ٧٧)

أن زيادة تورط الجانب الأمريكي في النزاعات يعني أن بحر الصين الجنوبي كان جزءاً مهماً في أعادة تأكيدهم على القيادة الاقليمية وجذب دول جنوب شرق اسيا لتطويق الصين وهي وجهة نظر عززها التحول الامريكي نحو منطقة اسيا والمحيط الهادي لاحتواء

صعود الصين مستغلة نزاعات بحر الصين لإقناع المنطقة بأن صعود الصين سيكون مرتبطاً بالسيطرة والعدوان ، خلقت هذه التوترات تصورات لدى البيئة الأمنية الصينية دفعتها لتقوية أسطول بحر الصين الجنوبي التابع لجيش التحرير الشعبي الصيني ، واوعزت بأن مصدر المشكلة هو أن الدول المجاورة وبتحريض من الدول الكبرى خارج المنطقة حشدت أسلحتها ويجب على الصين ان تدرك التحديات الخطيرة التي تواجه أمنها البحري .٤٦ (Evers H.-D.، ٢٠١٤، صفحة p.75)

أن الوجود العسكري المتزايد للجانب الامريكي في المنطقة هو من أجل كبح القوة البحرية المتنامية للصين ، ويشمل هذا الوجود اتفاقيات الوصول والمساعدات العسكرية ومبيعات الاسلحة والانتشار الدوري والمساعدة العسكرية والتدريب في دول المنطقة, وعلى الرغم من جهود الصين لتعزيز قدرتها العسكرية ومطالبها الا ان هذا الأمر زاد من المنافسة وشجع على إعادة التوازن العسكري في منطقة المحيط الهادي واسيا وخصوصاً بعد التوجه الاستراتيجي الذي أصدرته وزارة الدفاع الامريكية في كانون الثاني ٢٠١٢والذي حذر من قدرة الصين على استعراض قواتها الدفاعية ، لذلك انشاء البنتاغون المكتب الاستراتيجي للجو والبحر ، وهنا انتقلت الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب تاريخي جديد يستهدف الصين وهو جزء من أستراتيجية الدفاع الأمريكية.٤٧ (Brownlee, 2003, pp. p,11)

بعد المواجهة في جزر سكاربور عام ٢٠١٣ مارست الولايات المتحدة الامريكية سياسة ضبط النفس في بحر الصين الجنوبي ، وسعت إلى إجراء مشاورات مع رابطة دول جنوب شرق اسيا وفيتنام و بروناي بشأن (مدونة السلوك) أن هذا الاجراء جاء رداً على تحرك الفلبين نحو انشاء هيئة تحكيم بموجب اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار بشأن مطالب الصين في يناير ونظرًا لأن النزاع بين دول ذات سيادة غير متكافئة القوة، اختارت الفلبين حل النزاع الإقليمي برفع دعوى تحكيم عام ٢٠١٣ واستندت الدعوى ضد الصين إلى القضايا الحدودية الدولية وحرية الملاحة البحرية , وفي تموز قضت محكمة التحكيم الدائمة لصالح الفلبين، مؤكدةً أن ادعاءات الصين بحقوقها التاريخية على الجزر المتنازع عليها وخاصة جزر سبراتلي لا أساس قانوني لها كما قررت محكمة التحكيم أن الأنشطة الصينية

غير القانونية في بحر الصين الجنوبي تنتهك السيادة الحصرية للفلبين في منطقتها الاقتصادية الخالصة.٤٨ (Brownlee، ٢٠٠٣، صفحة p.15)

وعلى الرغم من تصاعد النزاع الإقليمي حول بحر الصين الجنوبي، حافظت الفلبين على علاقاتها الاقتصادية مع الصين مُدركةً أهمية التجارة والاستثمار وقد اعتمدت نهج "التوازن الصارم المحدود" لتعزيز قدراته الدفاعية وتحالفاته مع الولايات المتحدة الامريكية والقوى المتوسطة الأخرى، مع مواصلة السعي إلى الحوار السلمي والتعاون الاقتصادي مع الصين وفي غضون ذلك، تُواصل الولايات المتحدة لعب دور حيوي وإن كان مُتطورًا في الحفاظ على الأمن الإقليمي بالاعتماد على شبكة من التحالفات والشراكات الأمنية في جميع أنحاء جنوب شرق آسيا, وفي هذه الأثناء اتخذ النهج الأمريكي تجاه بحر الصين الجنوبي مسارين رئيسيين أحدهما هو استمرار أو زيادة المشاركة إذا رأت الولايات المتحدة أن المشاركة الانشطة في النزاع استراتيجية فعّالة لمواجهة الصين، فقد تُحافظ على موقفها الحالي الداعم لحلفائها، مثل الفلبين وإذا خلص قادة الولايات المتحدة الامريكية أن المشاركة لا تُقدم ميزة سياسية دولية تزيد من نفوذها في المنطقة فقد تُقلل الولايات المتحدة مساعداتها للفلبين أو تُحوّل العبء الأمني الى عقد معاهدات دفاع مشترك للحفاظ على الامن الدولي في المنطقة.٤٩ (PAWEL BEHRENDT B.، 27 April2020 WRITTEN، الصفحات p1-2)

والجدير بالذكر أن معاهدة الدفاع المشترك بين الولايات المتحدة والفلبين تُمثل ركيزة أساسية في السياسة الأمنية لها بموجب هذه المعاهدة يُعد أي هجوم مسلح على سفينة فلبينية في منطقة المحيط الهادئ مبررًا لاستدعاء الدفاع المشترك, وقد أكدت الولايات المتحدة التزامها مشيرةً إلى أن أي هجمات على القوات الفلبينية في بحر الصين الجنوبي ستؤدي إلى تفعيل المعاهدة, ومع ذلك، يتوخى الطرفان الحذر في علاقاتهما مع الصين ، إذ تسعى الولايات المتحدة إلى تجنب أي تصعيد غير ضروري مع الصين، مفضلةً دعم الفلبين من خلال بناء القدرات وتبادل المعلومات الاستخباراتية والدعم الدبلوماسي بدلًا من المواجهة العسكرية المباشرة ومع تزايد الأمر تعقيدًا ترى الصين أن تقارب الفلبين مع الولايات المتحدة

الامريكية يُمثل تهديدًا لأهدافها الاستراتيجية في بحر الصين الجنوبي .٥٠ (Evers H.-D., January 2014, ، صفحة p.79)

من ناحية أخرى، دأبت رابطة دول جنوب شرق آسيا (آسيان) على اتباع استراتيجية دبلوماسية فيما يتعلق بنزاع بحر الصين الجنوبي، مركزةً على الحل السلمي والالتزام بالقانون الدولي ومنذ عام ٢٠١٣، تفاوضت رابطة دول جنوب شرق آسيا بنشاط مع الصين لوضع مدونة سلوك أكثر إلزامًا، وقد أجرت المنظمة مناقشات عديدة على مستوى كبار المسؤولين ومجموعات العمل، مُظهرةً التزامها المستمر بالسلم والقانون الدولي , ورغم هذه الجهود الدبلوماسية، واجهت رابطة دول جنوب شرق آسيا عقبات كبيرة في إدارة النزاع وقد تعقّد تدخلها الفعال بسبب اختلاف مستويات المشاركة والمصالح الوطنية بين دولها الأعضاء في النزاع, واتخذت الولايات المتحدة الامريكية أيضا نهجاً أكثر توازناً تجاه فيتنام ، ففي اوائل يونيو ٢٠١٣ وافق وزراء الدفاع لكلا الدولتين على انشاء خط ساخن بين القوات البحرية لإدارة مصائد الأسماك ، واستأنفت المحادثات بشأن ترسيم مصب خليج تونكين وانشاء مجموعة عمل مشتركة للتنمية البحرية . ٥١ (SABRINA MOLES, CHINA SEA: ANENVIRONMENTAL TRAGEDY OF THE COMMONS, 7 December 2022, , pp. p,1-5)

سعت الصين ايضاً إلى إبرام اتفاقيات تنمية مشتركة في بروناي في نيسان ٢٠١٣ واتفق الطرفان على القيام بعمليات استكشاف مشتركة لموارد النفط والغاز البحرية وانشاء مشروع مشترك لخدمات حقول النفط ، هذه السياسة تدل على أن الصين انتهجت نهجا اكثر اعتدالاً بعد أن أيقنت أن النزاعات تضر العلاقات مع دول اسيا وهذا التوجيهات اكدها الرئيس الصيني (شي دنغ شياو) في محاولة لتهدئة نزاعات الجزر البحرية والسعي الى التنمية المشتركة والتأكيد على ضرورة الدفاع عن الحقوق في المجال البحري مع الحفاظ على الاستقرار السياسي الدولي, وسعى الرئيس الصيني الى توثيق العلاقات والتعاون الاقتصادي بعد أن زار الدول الخمس المطالبة بالسيادة في بحر الصين الجنوبي وهي(

اندونيسيا، ماليزيا, بروناي , تايلاند, فيتنام) ودعا دول جنوب شرق آسيا الى بناء " طريق الحرير البحري".٥٢ (Ming Sun-–Kuan، ١٩٩٥، صفحة p.408)

أما الولايات المتحدة الامريكية فقد تدخلت في عدة مواجهات بين دول اسيا بعد أن فشلت رابطة دول جنوب شرق اسيا في حل تلك القضايا, وأصدرت بيانا سياسيا بشأن بحر الصين الجنوبي حددت فيه ان الصين هيا سبب تصعيد التوترات وأشارت إلى استخدامها الحواجز لمنع الوصول الي الجزر وانشاء محمية عسكرية في (سانشا) تتخطي المناطق المتنازع عليها في البحر، وكل الأمور تتعارض مع الجهود الدبلوماسية التعاونية لحل الخلافات الدولية البحرية الامر الذي يضطرها الى التخلي عن الحياد في الخلافات مع الصين, وذكرت في قمم شرق آسيا ان بحر الصين الجنوبي قضية اخلاقية وشجعت الاطراف على الالتزام بمدونة السلوك البحري لمنع الصراعات وإدارة الحوادث عند وقوعها وحل النزاعات.٥٣ (CNOOC: "Notification of Part of Open Blocks in Waters under Jurisdiction of the People's Republic of China Available for Foreign Cooperation in the Year of 2012"., 2012, p. p.22)

ومما ساهم في تصعيد التوترات وتكثيف المنافسة العسكرية جهود الصين لتعزيز مطالبها السيادية في استصلاح الاراضي الزراعية عام ٢٠١٤ التي وصفتها بأنها اختراق تاريخي يوفر أساساً استراتيجيا للجانب الصيني للفوز في المصالح والحقوق في بحر الصين الجنوبي ، وكان رأي الجانب الأمريكي أن استصلاح الاراضي يعد انعكاساً لطموح الصين وخصوصا مسالة انشاء منشئات عسكرية على أراضي متنازع عليها لإزاحة القوة العسكرية الامريكية وأكدت ان الصين قادرة على السيطرة على بحر الصين الجنوبي بكل الطرق وجميع الخطط والحلول باستثناء الحرب والتي هي جزء من مخطط لتهيئة الأرضية لعسكرة المنطقة.٥٤ (Odom, 2012, p. p.6)

يشكك السياسيون الصينيون بدور الولايات المتحدة الأمريكية وتدخلها بحرية الملاحة في البحر والذي اتخذته ذريعة لعسكرة بحر الصين الجنوبي من خلال نشر الطائرات والسفن

البحريـة وخصوصـاً بعـد قـرار الصـين باستصـلاح الاراضـي الزراعيـة والـذي زاد مـن وتيـرة عملياتها البحرية في البحر ، وربط (شي جين بينغ) الاحداث في بحر الصين بالعلاقات مع القوى الكبرى واصفا الدول الغربية بتأمر لعرقلة بناء بلدها وان استراتيجية إعادة التوازن وحريـة الملاحـة التـي تسـعى إليهـا هـي للضـغط علـى الصـين فـي المجـال الجـوي والبحـري الاقليمي والحد من توسعها وسيطرتها في البحر ٥٥ (Odom، ٢٠١٢، الصفحات p,8)

سعت الولايات المتحدة الى تقويض شرعية مطالب الصين في السيادة على بحر الصين الجنوبي ورفعت وزارة الخارجية الامريكية تقرير إلى الكونغرس في شباط ٢٠١٤ تشكك فيه بشرعية الخط ذي النقاط التسع وأعلن أن مطالبات الصين بالحقوق التاريخية غير منطقية , وكان اخطر جهد بذله الجانب الامريكي لنزع الشرعية عن مطالبات الصين هو دعم الفلبين من اجل رفع دعوى ضد الصين بموجب أحكام تسوية المنازعات في اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار .٥٦ (Evers H.-D.، ,January 2014 ، الصفحات p,39)

وقضت هيئة التحكيم بأن مطالب الصين التاريخية داخل النقاط التسع تفتقر الى اي اساس قانوني وأن انشطة الصين في المنطقة الاقتصادية الخاصة في الفلبين بما في ذلك استصلاح الاراضي تنتهك الحقوق السيادية للفلبين بما في ذلك استصلاح الاراضي في جزر سبراتلي , رد الجانب الصيني على قرار المحكمة بانه باطل وغير عادل , واشارت الى تورط الولايات المتحدة الامريكية في التحكيم ومسؤوليتها بتحول النزاع في بحر الصين من الحقوق والمصالح الى النزاع بشأن النظام الاقليمي مشيراً إلى قيام الجانب الامريكي بنشر مجموعتين من حاملات الطائرات في بحر الصين الجنوبي قبل صدور قرار التحكيم للتأثير على القرار .٥٧ (Xin Qiang، (٢٠١٤)، صفحة 64 .p.)

ازداد موقف الولايات المتحدة الامريكية تشدداً بعد ظهور تقارير تشير الى ان الصين تريد انشاء منطقة دفاع جوي في بحر الصين الجنوبي كانون الثاني ٢٠١٤ وصفا مجلس الأمن القومي بأن الولايات المتحدة تعارض انشاء الصين لمنطقة الدفاع الجوي وعدوا هذا الأمر تطور استفزازي ومزعزع في المنطقة , واخيراً اكدت الولايات المتحدة الامريكية على

عزمها والاستمرار في التدخل في النزاعات الصينية البحرية التي تخص بحر الصين الجنوبي, وفي أوائل عام ٢٠١٥ كان المحور الرئيسي لجهود الصين في البحر هو مواصلة بناء وتطوير الجزر الصناعية للصين في البحر واستصلاح الاراضي في شعاب سوبي وشعاب ميستشيف و حولت الشعابين الى اكبر جزيرتين اصطناعيتين للصين في جزر سبراتلي .٥٨ (Xue Li and Xu Yanzhuo, , August 4,, pp. p.26-27)

وعلى الرغم من أن الصين وضحت أن الجزر ستستخدم لأغراض مدنية الا ان الولايات المتحدة الامريكية أصدرت سلسلة من التصريحات حول سلوك الصين تشير فيه النزاعات الى استخدام القوة وعسكرة النزاعات وطلبت عدم تهميش الفلبين وفيتنام ، وطرحت فكرة التحديات العملياتية لجزر الصين في نيسان ٢٠١٥ وبعد فترة من النقاش بين البيت الابيض والبنتاغون بدأت عمليات تعزيز القوة العسكرية لتأمين حرية الملاحة التي استهدفت المصالح الصينية في جزر سبراتلي و باراسيل لتعزيز علاقاتها الأمنية في المنطقة الا إن الصين اختارت عدم تحدي الولايات المتحدة الامريكية بشكل مباشر, واخيرا فأن السياسة الأمريكية تجاه النزاعات في بحر الصين الجنوبي أتسمت بأربع سمات وهي أولًا، قامت الولايات المتحدة بتعديل سياستها استجابةً لتغيرات مستوى التوترات في النزاع, ثانيًا، استندت السياسة الأمريكية تجاه بحر الصين الجنوبي إلى مبدأ الحفاظ على الحياد فيما يتعلق بالمطالبات المتضاربة بالسيادة. ثالثًا، مع ازدياد انخراطها في إدارة التوترات، شددت الولايات المتحدة على أن العملية والمبادئ التي ينبغي أن تُبنى عليها المطالبات تتجاوز مجرد السعي وراء النتيجة النهائية أو حل النزاعات القائمة، ولا سيما إدارة النزاعات من خلال إبرام مدونة سلوك ملزمة بين رابطة دول جنوب شرق آسيا (آسيان) والصين. رابعًا، سعت السياسة الأمريكية في بحر الصين الجنوبي إلى توجيه سلوك الصين فيه من خلال تسليط الضوء على تكاليف الإكراه والسعي وراء مطالبات تتعارض مع القانون الدولي العرفي. .٥٩ ("Full s Foreign Ministry Award of South China 'Text of Statement on China Sea Arbitration", China، July 12, 2016, ، الصفحات p.7-12)

ويتضح مماسبق, وبالنظر إلى المستقبل العلاقات الدولية ، فمن المرجح أن يستمر انخراط الولايات المتحدة الامريكية في إدارة التوترات في بحر الصين الجنوبي طالما بقيت النزاعات الإقليمية والبحرية دون حل، وطالما اتخذت الدول خطوات علنية وإجراءات عملية لتأكيد مطالباتها والدفاع عنها، فإنّ إدارة التوترات وتعزيز التعاون في بحر الصين الجنوبي يتطلبان اهتمامًا دؤوبًا ومستمرًا من واشنطن لتعزيز استقرار المنطقة وضمان حرية الملاحة .

الخاتمة:

يُعد بحر الصين الجنوبي في سياق المنطقة الاقتصادية مركزا حيويًا للتجارة العالمية، إذ يُعدّ طريقًا ملاحيًا حيويًا يوفر الوصول إلى مضيق ملقاة وميناء سنغافورة، مما يُسيطر على أقتصاديات آسيا والشرق الأوسط, ويُقدّر حجم التجارة السنوية فيه بحوالي ٣,٣٦ تريليون دولار , كما أن المنطقة غنية بالنفط والغاز والموارد المعدنية والطبيعية وفيها مناطق صيد وفيرة علاوة على ذلك، يُعدّ موقعها أساسيًا للعمليات العسكرية للقوات البحرية. تزداد أهمية المنطقة بفعل مواردها الطبيعية الكامنة، مما سبب في تصاعد المنافسة بين مصالح الولايات الامريكية المتحدة ومصالح الصين والذي شجع من تدخل الأمريكيين في المنافسات الدولية والمواجهات العسكرية بين الدول المطلة على البحر بسبب الخلافات العديدة حول جزر باراسيل والمناوشات المستمرة على مواقع حيوية استراتيجية على جزر سكاربورو وسبراتلي ويزداد المشهد في بحر الصين الجنوبي تعقيدًا بسبب دور القانون الدولي والتحكيم وتدخل الولايات المتحدة الامريكية فيها , أذ يُعد التحكيم الدولي أحد الحلول السائدة المتاحة في القانون الدولي لمعالجة النزاعات الإقليمية في الحالات التي لا ترغب فيها الدول في حل النزاع داخليًا بعد إحالة القضية إلى أطراف ثالثة، مثل التحكيم والقضاء الدوليين، للتوصل الى حلول سلمية لمنع الأسباب المحتملة للصراع الدولي العنيف ويتضمن حل النزاعات القانونية الدولية إحالة الدول نزاعاتها إلى هيئات مستقلة تُقيّم موضوع مطالبات الدول المتنافسة، وتُصدر قرارًا موجزًا بشأن تسوية النزاع وتبقى التدخلات الدولية هي المسيطرة على قضايا التحكيم .

التوصيات:

١-لا يزال بحر الصين الجنوبي منطقةً مثيرةً للجدل، تتشابك فيها الروايات التاريخية الراسخة والاستراتيجيات الحديثة ولا تعكس النزاعات الجارية إرث الاستعمار والكبرياء الوطني فحسب، بل تُثير أيضًا مخاوف إنسانية وبيئية مُلحّة، تُؤثر على السكان المحليين الذين يعتمدون على موارد المنطقة واستقرارها.

٢- يُمثّل بحر الصين الجنوبي دراسة حالة بالغة الأهمية للعلاقة المُعقدة بين التاريخ والثقافة والجغرافيا السياسية المعاصرة، مما يُؤكد على الحاجة إلى نهج تعاوني لحل النزاعات طويلة الأمد وتعزيز السلام في هذا الممر البحري الحيوي.

٣- بعد حكم محكمة التحكيم الدائمة عام ٢٠١٦، الذي أيّد مطالبات الفلبين ضد مزاعم الصين، فإن رفض الصين الاعتراف بهذا الحكم يُجسّد تحديات إنفاذ الاتفاقيات الدولية في المنطقة التي تتسم بتداخل المطالبات الإقليمية والمظالم التاريخية ونفوذ الدول الكبرى

٤-أضاف تدخل قوى خارجية، مثل الولايات المتحدة الامريكية من خلال عمليات حرية الملاحة والجهود الدبلوماسية، مزيدًا من التعقيد إلى الوضع، مُبرزًا الآثار الأوسع نطاقًا على الاستقرار الإقليمي والتجارة العالمية.

٥-تتعرض المصالح الأمريكية للخطر بشكل متزايد في بحر الصين الجنوبي بسبب الصعود الاقتصادي والعسكري للصين والمخاوف بشأن استعدادها للالتزام بالمعايير القانونية القائمة.

٦- للولايات المتحدة الامريكية ودول المنطقة مصلحة عميقة ودائمة في خطوط الاتصال البحرية التي لا تزال مفتوحة للجميع، سواء للتجارة أو للأنشطة العسكرية السلمية مثل التدخلات الإنسانية والدفاع الساحلي, ومع ذلك، تواصل الصين تحدي هذا الانفتاح، سواء من خلال التشكيك في المعايير البحرية التاريخية أو من خلال تطوير قدرات عسكرية تسمح لها بتهديد الوصول إلى هذه المنطقة البحرية.

٧-أدى التنافس على المواقع والموارد البحرية والاقتصادية بين الولايات المتحدة الامريكية والصين في بحر الصين الجنوبي إلى حلقة صعبة من عدم الاستقرار الأمني البحري الحيوي بين الدول المطلة على البحر بسبب "مشكلة الموارد المشتركة" نتيجة الاستغلال غير المنظم للموارد بين الدول مما يهدد النظام البحري والملاحة التجارية الدولية

٨- سعت الدول لتحقيق طموحاتها الاقتصادية والتجارية من خلال نشر أساطيل الصيد في المياه المتنازع عليها وعسكرة إنفاذ القانون البحري، وهذا الامر سبب في تسارع التنافس الدولي وازدياد التدخل الخارجي للحفاظ على الملاحة الدولية، مما يسبب في تُفاقم مشاكل الأمن الدولي في أسيا والمحيط الهادي.

الهوامش:

1. CNOOC: "Notification of Part of Open Blocks in Waters under Jurisdiction of the People's Republic of China Available for Foreign Cooperation in the Year of 2012". (2012). Retrieved from http://en.cnooc.com.cn/data/html/news/2012-06-.
2. Ainslie T. Embree. (1997). Carol Gluck" in Asia in Western and World History. (Armonk, N.Y.: M.E. Sharpe, .
3. Ang Cheng Guan. (,Working Paper No. 4, August 1999,). "The South China Sea Dispute Re-visited,". Institute of Defence and Strategic Studies.
4. B Hayton. (2014). The South China Sea: The Struggle for Power in Asia, . Yale University Press, New Haven and London.
5. BEHRENDT, P. (27 April 2020,). ,THE SOUTH CHINA SEA: FROM COLONIALISM TO THE COLD WAR WRITTEN ,. Retrieved from https://www.9dashline.com/article/the-south-china-sea-in-the-cold-war.
6. Brownlee, I. (2003). , Principles of Public International Law, 6th Ed. Oxford: Oxford University Press.
7. C. Schofield and I. Story. (2005.). , "Energy Security and South East Asia: the Impact on Maritime Boundary. Harvard Asia Quarterly,Vol. XI, No. 4,.
8. China's Sea Claims Excessive, Says US", . (n.d.).
9. Clinton, U. S. (, May, 2011.). ,"Remarks at Press Availability," Hanoi, Vietnam, July 23, 2010; U.S. Department of Defense, . Report to Congress on Arctic Operations and the Northwest Passage.

10. Commander’s Handbook on the Law of Naval Operations, . (2007). U.S. Naval Warfare Publication 1-14M , . the Law of Naval Operations, .
11. Epstein, A. (2017). ,China's Naval Operations in the South China Sea Evaluating Legal, Strategic and Military Factors. Retrieved from Publisher: Amsterdam University Press, Print publication year: , DOI: https://doi.org/10.1017/9781898823681.
12. Evers, H.-D. (,January 2014,). Understanding the South China Sea: explorative cultural analysis,. Vol. 10, No. 1 Penerbit Universiti Sains, .
13. Evers, H.-D. (2014). . Understanding the South China Sea: an explorative cultural analysis. International Journal of Asia Pacific Studies, IJAPS, Vol. 1, No. 1 (January 2014), 10(1).
14. Frank Ching. (2009-11-2). “U.S. Making SE Asia a Major Priority in Sign of China’s Rise,, November . ”China Post.
15. Greg Torode. (Sep 23, 2011.). “Beijing pressureintense in South China Sea row”. ”, South China Morning Post,, 22.
16. Ibid, p. (n.d.).
17. Jinming Li and Dexia Li. (2002). “ The Dotted Line on the Chinese Map of the South China Sea: A Note,”. Ocean Development and International Law 34.
18. Jinming Li, D. L. (2003). “ The Dotted Line on the Chinese Map of the South China Sea: A Note. ,” Ocean Development and International Law34 ,on15, p. p. 290.
19. (July 12, 2016,). “Full Text of Statement on China’s Foreign Ministry Award of South China Sea Arbitration,” China. China Daily,http://www.chinadaily.com.cn/world/2016scsi/2016-07/12/content_26062029.htm.
20. Keyuan, o. (2021). : China's U-¬-Shaped Line in the South China Sea Revisited, . Ocean Development & International Law, 43:on1, pp. ,p.10.
21. Keyuan, Z. (2021). China's U-¬-Shaped Line in the South China Sea Revisited, Ocean Development International Law, 43, on11. pp. , p.19.
22. Kuan, Z. (1995). ,Ming Sun ,Policy Guidelines for the South China Sea, Point 1, 10 March 1993, in, “Policy of the Republic of China Towards the South China Sea: Recent Developments”, Marine Policy, vol. 19, . p. 48.
23. Kuan--Ming Sun. (1995). Policy Guidelines for the South China Sea, Point 1, 10 March 1993 . Marine Policy, vol. 19, on.22.
24. Lori Fisler Damrosch, L. H. (2001). International Law: Case and Materials, 4 th Ed.. St. Paul, Minnesota: West Group Publishing, .
25. Mingjiang Li. (2010). “Reconciling Assertiveness and Cooperation? China’s Changing Approach to the South China. Sea Dispute”, Security Challenges, Volume 6, Number 2 , p. p 51.

26. Nankivell, J. D. (August 7, 2017). ,The Role of History and Law in the South China Sea and Arctic Ocean.
27. Note of 29 September 1932 from the Legation of the Chinese Republic in France to the Ministry of Foreign Affairs, Paris. Annex 10 in "Sovereignty over the Paracel and Spratly Islands",. (2000). , Monique Chemillier-¬-Gendreau, Kluwe Law International. http://whttp://www.asianlii.org/cgi.
28. Odom, J. G. (2012). Notification of Part of Open Blocks in Waters under Jurisdiction of the People's Republic of China Available for Foreign Cooperation in the Year of 2012". . http://en.cnooc.com.cn/data/html/news/2012-06-.
29. Paret, P. (1998). "Allied Strategy in Europe, 1939-1945, Modern Strategy. Princeton: Princeton University Press,.
30. PAWEL BEHRENDT, B. (WRITTEN 27 April2020). THE SOUTH CHINA SEA: FROM COLONIALISM TO THE COLD WAR . ,RegisteredinEnglandandWales:https://www.9dashline.com/article/the-south-china-sea-in-the-cold-war.
31. PAWEL BEHRENDT, P. (2020). The South China Sea: From Colonialism to the Cold War,WRITTEN BY 27 April 2020, . https://www.9dashline.com/article/the-south-china-sea-in-the-cold-wa.
32. Permanent Mission of Indonesia to the United Nations. (2009). , "Communication dated 8 July 2009,"ommission on the Limits of the Continental Shelf (CLCS), UN Division for Ocean Affairs and Law of the Sea,. Retrieved from www.un.org/Depts/los/clcs_new/submissions_files/mysvnm33_09/i.
33. Permanent Mission of Indonesia to the United Nations, . (8 July 2009). "Communication dated ," Commission on UN Division for Ocean Affairs and the Law of the Sea,. Retrieved from www.un.org/Depts/los/clcs_new/submissions_files/mysvnm33_09/idn_2010re_mys_vnm_e.pdf.
34. PRC Ministry of Foreign Affairs Spokesperson Qin Gang,. (April 16, 2010.). "U.S. Seriously Violates International Law: Signed Article," Xinhua,"U.S. Seriously Violates International Law:.
35. Robert Beckman. (2011). Islands or Rocks? Evolving Dispute in South China Sea. (RSIS Commentary),.
36. SABRINA MOLES. (7 December 2022,). SOUTH CHINA SEA: ANENVIRONMENTAL TRAGEDY OF THE COMMONS, . https://www.9dashline.com/article/south-china-sea-an-environmental-tragedy-of-the-commons.
37. SABRINA MOLES. (7 December 2022,). CHINA SEA: ANENVIRONMENTAL TRAGEDY OF THE COMMONS.

38. Scot Marciel. (, July 15, 2009.). "Maritime Issues and Sovereignty Disputes in East Asia" Testimony before the Subcommittee on East Asian and Pacific Affairs, Committee on Foreign Relations,. Retrieved from United States Senate,http://foreign.senate.gov/hearings/hearing/.
39. Scot Marciel. (July 15, 2009.). "Maritime Issues and Sovereignty Disputes in East Asia". Testimony before the Subcommitteeon East Asian and Pacific Affairs, Committee on Foreign Relations,.
40. Senate Treaty Document. (1994,1, February). . No. 103-39 , reprinted in U.S. Department of State 1995;. Bureau of Public Affairs, Dispatch Supplement, vol. 6, supp.
41. Storey, I. (April 29, 2010). , China's "Charm Offensive" Loses Momentum in Southeast Asia,, . China Brief Volume: 10 ,p.21,Issue: 9. http://www.jamestown.org/single/?
42. the PRC Ministry of Foreign Affairs:. (1980). "China's Indisputable Sovereignty over the Xisha and Nansha Islands. Beijing Review, n° 7, 18 February 1980; Historical Evidence To Support China's Sovereignty over Nansha Islands"; http://www.fmprc.gov.cn/eng/topic",s/, pp. 1-2.
43. Thomas Lum. (January 3, 2011). The Republic of the Philippines and U.S.Interests. (Washington:Congressional Research Service,.
44. Thuy, T. T. (January 2014). , China's U-shaped Line in the South China Sea:. Possible Interpretations, Vol. 10, No. 1 ,,Asserting Activities and Reactions from Outside1, Electronic copy available at: http://srn.com/abstract=2233274.
45. U.S. Navy, Marine Corps, and Coast Guard,. (October 2007,). A Cooperative Strategy for21st Century Seapower. http://www.navy.mil/maritime/Maritimestrategy.pdf, 3-4.
46. White House, . (September 2005). The National Strategy for Maritime Security . Retrieved from i,http://www.dhs.gov/xlibrary/assets/HSPD13_MaritimeSecurityStrategy.pdf.
47. Xin Qiang. ((2014)). "MeiYue anquan hezuo de fazhan jiqi yingxiang yinsu" [US-Vietnam security cooperation:. US-Vietnam security cooperation:Development and influencing factors], Guoji Wenti Yanjiu, no. 6, .
48. Xue Li and Xu Yanzhuo. (, August 4,). "How the US Misjudged the South China Sea, Part I," The Diplomat, August 4,. Dangdai Yatai,vol,12, no. 3.
49. Zhao Peiying, E. (1996). , Basics Of International Law For Modern Soldiers, . (Beijing: PLA Press.

المصادر والمراجع:

الوثائق الانكليزية المنشورة :

- CNOOC: "Notification of Part of Open Blocks in Waters under Jurisdiction of the People's Republic of China Available for Foreign Cooperation in the Year of 2012". (2012). Retrieved from http://en.cnooc.com.cn/data/html/news/2012-06-.
- Clinton, U. S. (, May, 2011.). ,"Remarks at Press Availability," Hanoi, Vietnam, July 23, 2010; U.S. Department of Defense, . Report to Congress on Arctic Operations and the Northwest Passage.
- (July 12, 2016,). "Full Text of Statement on China's Foreign Ministry Award of South China Sea Arbitration," China. China Daily,http://www.chinadaily.com.cn/world/2016scsi/2016-07/12/content_26062029.htm.
- Note of 29 September 1932 from the Legation of the Chinese Republic in France to the Ministry of Foreign Affairs, Paris. Annex 10 in "Sovereignty over the Paracel and Spratly Islands",. (2000). , Monique Chemillier-¬-Gendreau, Kluwe Law International. http://whttp://www.asianlii.org/cgi.
- Permanent Mission of Indonesia to the United Nations. (2009). , "Communication dated 8 July 2009,"ommission on the Limits of the Continental Shelf (CLCS), UN Division for Ocean Affairs and Law of the Sea,. Retrieved from www.un.org/Depts/los/clcs_new/submissions_files/mysvnm33_09
- Permanent Mission of Indonesia to the United Nations, . (8 July 2009). "Communication dated ," Commission on UN Division for Ocean Affairs and the Law of the Sea,. Retrieved from www.un.org/Depts/los/clcs_new/submissions_files/mysvnm33_09/idn_2010re_mys_vnm_e.pdf.
- PRC Ministry of Foreign Affairs Spokesperson Qin Gang,. (April 16, 2010.). "U.S. Seriously Violates International Law: Signed Article," Xinhua,"U.S. Seriously Violates International Law:.
- Scot Marciel. (, July 15, 2009.). "Maritime Issues and Sovereignty Disputes in East Asia" Testimony before the Subcommittee on East Asian and Pacific Affairs, Committee on Foreign Relations,. Retrieved from United States Senate,http://foreign.senate.gov/hearings/hearing/.
- Scot Marciel. (July 15, 2009.). "Maritime Issues and Sovereignty Disputes in East Asia". Testimony before the Subcommitteeon East Asian and Pacific Affairs, Committee on Foreign Relations,.

- Senate Treaty Document. (1994,1, February). . No. 103-39 , reprinted in U.S. Department of State 1995;. Bureau of Public Affairs, Dispatch Supplement, vol. 6, supp.
- the PRC Ministry of Foreign Affairs:. (1980). "China's Indisputable Sovereignty over the Xisha and Nansha Islands. Beijing Review, n° 7, 18 February 1980; Historical Evidence To Support China's Sovereignty over Nansha Islands"; http://www.fmprc.gov.cn/eng/topic",s/, pp. 1-2
- U.S. Navy, Marine Corps, and Coast Guard,. (October 2007,). A Cooperative Strategy for21st Century Seapower. http://www.navy.mil/maritime/Maritimestrategy.pdf, 3-4.

الكتب الانكليزية :

- Ainslie T. Embree. (1997). Carol Gluck" in Asia in Western and World History. (Armonk, N.Y.: M.E. Sharpe, .
- B Hayton. (2014). The South China Sea: The Struggle for Power in Asia, . Yale University Press, New Haven and London.
- Brownlee, I. (2003). , Principles of Public International Law, 6th Ed. Oxford: Oxford University Press.
- China's Sea Claims Excessive, Says US", . (n.d.(
- Commander's Handbook on the Law of Naval Operations, . (2007). U.S. Naval Warfare Publication 1-14M , . the Law of Naval Operation. ,
- Epstein, A. (2017). ,China's Naval Operations in the South China Sea Evaluating Legal, Strategic and Military Factors. Retrieved from Publisher: Amsterdam University Press, Print publication year: , DOI: https://doi.org/10.1017/9781898823681.
- Frank Ching. (2009-11-2). "U.S. Making SE Asia a Major Priority in Sign of China's Rise,, November . "China Post
- Lori Fisler Damrosch, L. H. (2001). International Law: Case and Materials, 4 th Ed.. St. Paul, Minnesota: West Group Publishing. ,
- Mingjiang Li. (2010). "Reconciling Assertiveness and Cooperation? China's Changing Approach to the South China. Sea Dispute", Security Challenges, Volume 6, Number 2 , p. p 51.
- Nankivell, J. D. (August 7, 2017). ,The Role of History and Law in the South China Sea and Arctic Ocean.
- Paret, P. (1998). "Allied Strategy in Europe, 1939-1945, Modern Strategy. Princeton: Princeton University Press.,
- Robert Beckman. (2011). Islands or Rocks? Evolving Dispute in South China Sea. (RSIS Commentary.,
- SABRINA MOLES. (7 December 2022,). CHINA SEA: ANENVIRONMENTAL TRAGEDY OF THE COMMONS.

- the PRC Ministry of Foreign Affairs:. (1980). "China's Indisputable Sovereignty over the Xisha and Nansha Islands. Beijing Review, n° 7, 18 February 1980; Historical Evidence To Support China's Sovereignty over Nansha Islands"; http://www.fmprc.gov.cn/eng/topic",s/, pp. 1-2.
- Thomas Lum. (January 3, 2011). The Republic of the Philippines and U.S.Interests. (Washington:Congressional Research Service.,
- Thomas Lum. (January 3, 2011). The Republic of the Philippines and U.S.Interests. (Washington:Congressional Research Service.,
- Zhao Peiying, E. (1996). , Basics Of International Law For Modern Soldiers, . (Beijing: PLA Press.

البحوث الانكليزية المنشورة :

- BEHRENDT, P. (27 April 2020,). ,THE SOUTH CHINA SEA: FROM COLONIALISM TO THE COLD WAR WRITTEN ,. Retrieved from https://www.9dashline.com/article/the-south-china-sea-in-the-cold-war.
- C. Schofield and I. Story. (2005.). , "Energy Security and South East Asia: the Impact on Maritime Boundary. Harvard Asia Quarterly,Vol. XI, No. 4,
- Evers, H.-D. (,January 2014,). Understanding the South China Sea: explorative cultural analysis,. Vol. 10, No. 1 Penerbit Universiti Sains. ,
- Jinming Li and Dexia Li. (2002). " The Dotted Line on the Chinese Map of the South China Sea: A Note,". Ocean Development and International Law 34.
- Keyuan, o. (2021). : China's U-¬-Shaped Line in the South China Sea Revisited, . Ocean Development & International Law, 43:on1, pp. ,p.10.
- Kuan, Z. (1995). ,Ming Sun ,Policy Guidelines for the South China Sea, Point 1, 10 March 1993, in, "Policy of the Republic of China Towards the South China Sea: Recent Developments", Marine Policy, vol. 19, . p. 48.
- Thuy, T. T. (January 2014). , China's U-shaped Line in the South China Sea:. Possible Interpretations, Vol. 10, No. 1 ,,Asserting Activities and Reactions from Outside1, Electronic copy available at: http://srn.com/abstract=2233274.
- Xin Qiang. ((2014)). "MeiYue anquan hezuo de fazhan jiqi yingxiang yinsu" [US-Vietnam security cooperation:. US-Vietnam security cooperation:Development and influencing factors], Guoji Wenti Yanjiu, no. 6. ,
- Xue Li and Xu Yanzhuo. (, August 4,). "How the US Misjudged the South China Sea, Part I," The Diplomat, August 4,. Dangdai Yatai,vol,12, no. 3.

المقالات الانكليزية المنشورة :

- Greg Torode. (Sep 23, 2011.). "Beijing pressureintense in South China Sea row". ", South China Morning Post,, 22.

- Odom, J. G. (2012). Notification of Part of Open Blocks in Waters under Jurisdiction of the People's Republic of China Available for Foreign Cooperation in the Year of 2012". . http://en.cnooc.com.cn/data/html/news/2012-06-.
- PAWEL BEHRENDT, B. (WRITTEN 27 April2020). THE SOUTH CHINA SEA: FROM COLONIALISM TO THE COLD WAR,RegisteredinEnglandandWales:https://www.9dashline.com/article/the-south-china-sea-in-the-cold-war.
- PAWEL BEHRENDT, P. (2020). The South China Sea: From Colonialism to the Cold War,WRITTEN BY 27 April 2020, . https://www.9dashline.com/article/the-south-china-sea-in-the-cold-wa.
- SABRINA MOLES. (7 December 2022,). SOUTH CHINA SEA: ANENVIRONMENTAL TRAGEDY OF THE COMMONS, . https://www.9dashline.com/article/south-china-sea-an-environmental-tragedy-of-the-commons.
- Storey, I. (April 29, 2010). , China's "Charm Offensive" Loses Momentum in Southeast Asia,, . China Brief Volume: 10 ,p.21,Issue: 9. http://www.jamestown.org/single/?
- White House, . (September 2005). The National Strategy for Maritime Security . Retrieved from,http://www.dhs.gov/xlibrary/assets/HSPD13_MaritimeSecurityStrategy.pdf.

الاوراق البحثية المنشورة :

- Ang Cheng Guan. (,Working Paper No. 4, August 1999,). "The South China Sea Dispute Re-visited,". Institute of Defence and Strategic Studies.

أثر التوجيهات
الشفاهية للحاكم بأمر الله الفاطمي

أ.م.د. طه حسين عيسى
taha.hussein@iku.edu.iq
كلية الإمام الكاظم عليه السلام الجامعة

أثر التوجيهات الشفاهية للحاكم بأمر الله الفاطمي

أ.م.د. طه حسين عيسى

الملخص:

التوجيهاتُ هي تلك الكلماتُ الوجيزةُ التي يطلقها الخليفة او الوزير او رئييس الديوان في شأن من شؤون الدولة ، وهذه التوجيهات تكون بمنزلة تشخيص سريع لأي خلل يراه الخليفة ومن ثم يبادر الى علاجه بحيث تعد هذه التوجيهات وكأنها توقيعات، ولكم لم نطلق عليها توقيعات لكونها لم ترسل الى الخليفة على شكل بريد حتى يتم الإجابة عليها أو يبدي رأيه فيها أو يجري حكمه عليها سواء كان ذلك الحكم انصافاً لمظلوم من حيف وقع عليه أو عزل والٍ إساء الى الرعية، إذن التوقيع دلالة على ان البريد قرأ من ناحية وجواب مكتوب من ناحية أخرى، في حين يكون التوجيه الشفوي عبارة عن حالة مرئية وقعت أمام الخليفة فبادر الى تصحيح هذه الحالة بالطريقة التي يراها مناسبة، وهذا ما أردنا تبيانه من المشاهدات الحسية التي وقعت امام انظار الحاكم بأمر الله الفاطمي (ت ٤١١ هـ) وكيف كانت ردة فعله على هذه المشاهد، وقد أسهمت هذه التوجيهات في حل الكثير من المشكلات والقضايا الاجتماعية، بل وارتبطت بالحكمة والقبول المقنع والفصل في الكثير من المواقف والتي تحتاج الى توجيه صارم في بعض الأحيان، علما ان هذه التوجيهات قد يصدر بعدها أمر بإصدار سجل خاص بها لكن الذي نحن نحدده بصدده ان هذه التوجيهات اول وقوعها صدرت من فم الحاكم وبعده يتم تنفيذ أمره مباشرة.

الكلمات المفتاحية : ابن عمار ، كتامة ، التوجيهات ، اهل الذمة

ABSTRACT:

Directives are those concise statements issued by the Caliph, the Minister, or the Head of the Diwan regarding state affairs. These directives serve as a quick diagnosis of the Caliph's shortcomings, prompting him to take immediate action. These distinctive directives are considered signatures, but they are not merely signatures; they are sent to the Caliph via mail for him to respond to, express his opinion on, or issue his judgment on them. This might involve redressing an injustice done to someone wronged by a decree or removing a governor who has mistreated the people. The signature indicates that the mail was read on one side and a written response on the other. In contrast, oral evidence represents a visible situation to the Caliph, prompting him to rectify it early. This is what we aim to illustrate through the tangible observations that unfolded before the eyes of the Fatimid Caliph al-Hakim bi-Amr Allah (d. 411 AH). His reaction to these observations was not merely a reaction to them. These indicators have proven instrumental in resolving many social issues and matters. They have been

recorded with convincing judgments and decisive rulings, often requiring the issuance of orders. Note that these directives may sometimes lead to the issuance of an order. By issuing a record of it, but we define it and know that these directives came from the ruling film and after that his order was carried out directly.

Keywords: Ibn Ammar, Ketama, directives, People of the Covenant

المقدمة

تعد التوجيهات من الفنون المهمة ؛ وذلك لارتباطها الوثيق بإدارة الدولة وشؤونها المختلفة ، منذ عهد النبي الاكرم ﷺ بل نجد ان هذه التوجيهات ازدادت أهميتها مع توسع وتطور الدولة الإسلامية ، لكن لم نجد لهذه التوجيهات العناية اللازمة من الباحثين ، واقتصرت هذه التوجيهات في سردها بصورة عرضية بدون ان يخصص لها بحوث مستقلة ، ومن هنا جاءت توجيهات في سردها بصورة عرضية بدون ان يخصص لها بحوث مستقلة ، ومن هنا جاءت توجيهات الحاكم بأمر الله انموذجاً لها، ولنسلط الضوء على أهميتها والتي لا تقل شأناً عن التوقيعات الصادرة من الخليفة او من ينوب عنه.

اولاً: مفهوم التوجيهات

ثانياً: موضوع توجيهات الحاكم بأمر الله

ثالثً: السمات الفنية لتوجيهات الحاكم بأمر الله

أولاً:مفهوم التوجيهات

تَوَجّهَ إليه بمعنى اقبل وقصد، واتجه صوبه بمعنى اقبل نحوه، واساس الكلمة توجيه: هي وِجْه وتعني: انحنى، ارشد، وتوّجَهَ: تعني انحناء لاي جهة من الجهات الاربع (جروان ١٩٨٤، ص٥٧٣)

ونقول وجّه الشيء اي اداره الى مكان آخر او جهة اخرى، والمُوَجّه هو المسؤول عن عملية التوجيه، اما الموَجَّه هو الذي يقع تحت تاثير عملية التوجيه، والموضوع نحو الهدف الذي يسير اليه الموجه. (رزوق ١٩٨٠، ص٦٤)

التوجيه هو التسديد للهدف فيقال سدّد السهم اذا وجّهه وجه المصوب، والتوجيه هو التقويم في دفع الاعوجاج كتقويم الرمح والقدح ثم يُستعار فيقال قوّم العمل فالمسدد هو

المقوم لسبب الصلاح، والتسديد يكون في السبب المولد كتسديد السهم للاصابة. (العسكري ١٩٨٨، ص١٢٥)

وفسر التوجيه عبر إرسال الله عز وجل أنبياءه عليهم السلام كأنه وجّه إليهم أن انذروا عبادي (الزبيدي ١٩٦٩، ص٧١٠٦)

وقد اختلفت هذه التوجيهات الشفاهية لاختلاف مقاصدها، بل نجد ان هذه التوجيهات في حال نفاذها إلى أعماق نفس ذلك الانسان، فإنها تسلط الضوء على الرواسب المتراكمة وهنا يكون للبيئة الفاسدة مدخلية مما ولدت عنده معطيات في نشأته الخاطئة؛ وهنا تكمن اهمية التوجيهات التي تمنح الانسان الثقة بذاته وتعلي معنوياته مما يجعله في الطريق السليم لمكافحة كل بذور الانحراف؛ أي إنها توضح للإنسان عن حقائق الطبيعة والحياة، وتجعله ينظر إلى ما يدور في فلكه ببصيرة ورؤية حادة.

ومن أهم الوظائف الأساسية التي تناط بالدولة هي اتاحة الفرص لرعاياها لأن يعيشوا حياتهم كأناس أسوياء ، وان اهمية الدول والاعمال النافعة والضارة التي يقوم بها رجالها تقاس من خلال هذه المهمة، فالقاعدة الاساسية في حياة المسلم الاجتماعية والسياسية، القاعدة التي كما هو شائع ومعروف في قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾. وتبدو اذن بمثابة مسؤولية مقسمة بين الدولة والمواطن (برنارد ١٩٩٠، ص٤٢)

والتوجيه هو جزء اساس ورئيسي من قيادة الأمة، والتي تتطلب من الحاكم ان يقضي بعض الوقت مع الأفراد من أجل الاصغاء وفهم ما يدور في خلجات رعيته، ثم تقديم النصح اللازم والارشاد الواجب التي تيسر المواجهة للمواقف العصيبة خلال تأدية اعمالهم، وهذا بدوره يؤدي الى بروز صور من التفاني في حب هذا التوجيه والعمل على تنفيذه بحرفية عالية.

ثانياً : موضوع التوجيهات

يبدأ عصر الحاكم بأمر الله حقاً وهو اعجب عصر في تاريخ مصر في الطول والعرض، وربما كان أغربها في التاريخ الإسلامي، وهذا العصر يختلطه الخفاء والروع، وتكسوه ألوان من الإغراق فضلاً عن متناقضات مدهشة مثيرة معاً، ولكن هذه الألوان الخفية

المغرقة وهذه النواحي المتناقضة هي التي تسبغ على العصر أهميته عند المؤرخين وهي التي تحيط شخصية الحاكم المتضببة مما يجعل الحجب كثيفة وهنا يتعسر النفاذ اليها (عنان ١٩٣٥، ص٦٤٦)، وهذه الصعوبات تكمن من خلال أخذ الرواية الاسلامية بظواهر الحوادث المادية.

وهناك عدة اعتبارات لابد من الأخذ بها؛ منها طموح هذا الحاكم فضلاً عن ظروف حكمه للواقع المعادي المحيط به، كما ان الوسائل التي اتبعها نجدها موائمة ومتوازنة مع زمنه حينا، لكن في احيان كثيرة نجد علامات الاستفهام والتعجب تدور حوله وحول سلوكياته (الغيطاني ٢٠٠٨، ص٢٠٩)

كما يجب علينا معرفة أن هذا الانسان هو ذلك المجهول، ومن غير اليسير الحصول على عرض مبسط له، ومن العسير فهمه سواء في مجموعه او في اجزائه في آن واحد، كما لا توجد اية آلية لفهم علاقاته بالعالم الخارجي (الكسيس د.ت، ص١٢)

وكان الحاكم صاحب مزاج من الصعب ادراكه، واطوار غاية في الغرابة، مما افسح المجال لظهور عدة تفاسير متباينة لشخصيته، ويعزو فرهاد هذه التفاسير لشخصية الحاكم بسبب التشويه المؤدلج والتسقيط المتعمد الذي قام به المؤرخ المسيحي الانطاكي (ت ٤٥٨هـ) والى العديد من مؤرخي السنة المعادين. (دفتري، الاسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ٢٠١٤، ص٣١٤)

المحقق في توجيهات الفاطميين ولاسيما الحاكم بأمر الله يجد تنوعاً وتعدداً في الموضوعات التي يحاول فيها توجيه رعاياه، وقد ترجع كثرة هذه التوجيهات وتنوعها الى طبيعة السياسة التي تتبعها الدولة الفاطمية وخاصة الحاكم بأمر الله والذي كان يسعى الى الإمساك بزمام الامور وعدم صدور التوجيهات الا من عنده.

فضلاً عن طبيعة شخصية الحاكم ومحور حركيته في المجتمع، والتي يترتب عليها كثرة القضايا التي كان لها الأثر الكبير في هذه التوجيهات التي صدرت من الحاكم للبت فيها وإبداء الرأي ومن ثم التنفيذ.

ولعل ابرز الموضوعات التي وردت في توجيهات الفاطميين واكثرها ما يتعلق بالحكم والسياسة وادارة شؤون الرعية لاسيما ان الحاكم كانت له طبائع تختلف عن سابقيه ولاحقيه

وهذا ما نلحظه ونحن نتباحث في ايام حكمه، فبعد تنصيبه بطقوس خاصة كانت اولى وأهم توجيهاته والتي يريد بها الاعتماد على رجال ليستند عليهم في ادارة شؤون دولته؛ لذلك نجده قد " خلع على ابن عمار وقلد بسيف من سيوف العزيز وكناه الحاكم ولقبه امين الدولة قائلاً له : "انت الأمين على دولتي ورجالي " (المقريزي ١٩٩٨، ص٣٣)

ويعد هذا اهم توجيه بعد تسنم الحاكم مقاليد السلطة وقد اراد بهذا بداية لبناء الجهاز الحكومي ودعم مقومات الدولة من خلال الاعتماد على رجال هو يراهم بأنهم أكفاء وقادرون على تحمل الصعاب وهذا مانوه به الحاكم من خلال كلماته بحق ابن عمار لكونه " كان رجلاً قوي الشكيمة ، وافر العصبة " (عنان ١٩٣٥، ص٥٢٩) باعتباره زعيم كتامة، والتي كانت من اقوى القبائل المغربية وعماد الدولة الفاطمية منذ نشأتها، وكان لهذا التوجيه اثره الكبير حتى نجد ان اكثر الناس " كانوا يترجلون بأسرهم عند مرور ابن عمار "(المقريزي ١٩٩٨، ص٣٤) وهذا بفضل الدعم المطلق من قبل الحاكم لابن عمار مما جعله في مصاف رجال الدولة المهابين.

وللحاكم كانت له توجيهات كثيرة لكونه " :يعد كثير الامتطاء في الليل، وكان يركب في كل موضع والى شارع والى زقاق لذلك أمر الناس بالوقيد " (المقريزي ١٩٩٨، ص٦٦)

وهذا يعني ان الشوارع والأزقة كانت مظلمة مما يسهل على اللصوص وقطاع الطرق – والذين كان ينظر إليهم كنتوء شاذ وكبؤرة للسلب والنهب – التجوال فيها وبالتالي يفتقد الأمن؛ لذلك أوعز بهذا التوجيه المباشر من اجل حفظ المجتمع من هذه الاختلالات المجتمعية غير المتوازنة عبر تجواله في هذه الأزقة، وهذا مؤشر على حركيته واهتمامه بأدق التفاصيل.

لكن هذا التوجيه بالوقيد من الحاكم كانت له تداعياته السلبية على الشارع المصري بعد ذلك إذ " ان الناس تزايدوا فيه بالأزقة والشوارع، وخرج سائر الناس ليلاً للمشاهدة، وكانت النساء اكثر من الرجال على الخروج ليلاً، بل كان الزحام في طرقات القاهرة وشوارعها، شديداً وتجاهروا بكثير من المنكرات " (المقريزي ١٩٩٨، ص٦٨)

كذلك " وجّه بعدم خروج النساء من بعد صلاة العشاء فان ظهرن نكل بهن " (المقريزي ١٩٩٨، ص٦٦)

بل وأصدر أمراً منع فيه الناس من المكوث في الحوانيت (المقاهي)؛ لذا أرسل إلى المحتسب (غبن)، يوصيه بالتشدد في منع شرب النبيذ أو صنعه، أو أي نوع من المنكرات، وتتبع المخمورين؛ فمصر في ذلك الوقت، كانت قد اشتهرت بصناعة البيرة المسماة "فقاع " والنبيذ المسمى مزر "(المقريزي ١٩٩٨، ص٩١)

وهناك من سبق الحاكم في هذا الإجراء لكن لم تسلط عليه الأضواء " فقد بذل الحكم بن عبد الرحمن الناصر (ت ٣٦٦هـ) جهوداً جبارة لنشر الفضيلة واستئصال شأفة الرذيلة وبذل اقصى وسعه في إبطال الخمر في مملكته حتى قيل انه وصل به بغضها الى الحد ان همَّ باستئصال الكرم من الاندلس فلم ينته من عزمه الا بعد ان تبين له ان هذا المنكر قد تعصر من غير العنب كذلك "(المشاهدي ١٩٤٨، ص١١٣)

ومن المحتمل ان يكون السبب وراء اصدار هذه التوجيهات ان الخلافة الفاطمية قامت على أسس دينية ، لذا لابد ان تكون حريصة كل الحرص ان تحيط نفسها بهالة من الكمالات، وربما اراد الحاكم من خلال هذه التوجيهات نشر الاداب العامة واخفاء الطابع السيئ عن كبريات مدن العالم الاسلامي ، وإظهار معالمها للغرباء بأنها تمثل المدينة الفاضلة، ولاسيما انه عمل على استقطاب العلماء والفقهاء من مختلف الامصار الى عاصمة الدولة الفاطمية (الخربوطلي ١٩٦٣، ص١٥٦)

وهذه القرارات جاءت بناء على العيون التي اعتمد عليها الحاكم بأمر الله سواء من الرجال او النساء لمراقبة تحركات رجاله وكل اهالي البلدة (المقريزي ١٩٩٨، ص٧٦) لكن الغريب في سنة 399هـ أمر الحاكم بقتل هؤلاء العيون عن آخرهم، وذلك لان صفة الثقة لم تتوفر في الغالبية العظمى من اصحاب الخبر (العيون) ، كما ان نفوسهم كانت دنيئة ، فكانوا يبتزون الأهالي ماديا وذلك بتهديدهم بموجة الغضب التي تحل بهم من خلال الصاق تهم بهم هم منها ابرياء (بقطر ١٩٥٦، ص١٥)

ولأن من المفترض ان يكون هؤلاء نصحاء صدق أمناء عقلاء حتى لا يدخل الكذب الى اخبارهم وينعدم نفعهم ويتفاقم ضررهم، وكم ضحية ذهبت لتلك العيون الخسيسة الغادرة ،وكم نجحت وشايات ودسائس وأكاذيب فاز بها قوم على حساب قوم، هذه هي الفئة الجاهلة

التي لا علم لها بمبادىء التجسس وفنونه، ولكنها عالمة في فنون النميمة، بل حاذقة في صناعة التقولات واختراع القصص وحبك الدسائس والتهم (المقريزي ١٩٩٨، ص٦٦)

وحتى يكون الحاكم قريباً من الرعية ويعكس مدى مودته لشعبه نجده " يأمر الرجال المشاة بين يديه بأن يسمحوا لكل رعاياه من الوصول اليه ، فاحدق الناس به وأكثروا من الدعاء له " (ش. الذهبي ١٩٩٠، ص٢٨٣)

وأمر فيها بقتل جميع الكلاب، فقتلت عامة الكلاب في دولته (المقريزي ١٩٩٨) فقتل منها ما لا يعد حتى لم يبق منها في الشوارع والازقة شيء وتم رميها بالقفار وبالنيل (البيهقي ٢٠٠٣، ص٨) وقد يكون الحاكم في هذا التوجيه قد استند الى أسباب دينية ، و أما الدليل فقد ورد في كثير من الأدلة ما يؤكد على عدم طهارتها، وقد روي عن أبي سهل قال أنه سألت أبي عبد الله عليه السلام عن لحم الكلب؟

فقال " :هو مسخ ."

قلت " :هو حرام ؟"

قال " :هو نجس ."

كررها عليه مراراً وكل هذا ويقول هو نجس (المقريزي ١٩٩٨، ص١١١)

وقد تكون كثرة الشكاوى المقدمة من قبل الأهالي هي التي حفزت الحاكم بأن يوعز بقتل هذه الكلاب، وهذا بحد ذاته تحوط صحي لا يزال يتبع في عصرنا في جميع الأمم المتقدمة.

والغريب اننا نجد توجيه الحاكم بالكتابة في شهر صفر على اغلب المساجد، وعلى الجامع العتيق من ظاهره وباطنه وفي جميع اتجاهاته، وعلى بوب الحوانيت والحجر والقبور والقفار بشتم السلف وسبهم، ونقش ذلك ولون بالأصباغ والذهب؛ وعمل كذلك على أبواب الدور وأبواب القياسر (الانطاكي ١٤١١، ص٢٧٨)

ولابد من أن الوقوف على فرية مسألة السب التي نسبت الى الحاكم الفاطمي وهو طرح غير معقول ولا مبرر في حال وقوعه، كما إن هناك جملة من المؤرخين لم يذكروا هذه الفرية بل أوردوا التسامح ومنع سب الخلفاء جرياً على سنة آبائه ومنهم الانطاكي (الانطاكي ١٤١١، ص٢٧٩) و ابن الاثير (الكرم ١٩٩٧، ص٥٨)وابن ايبك الدواداري (الله ١٩٦١،

ص٢٧٩) والنويري (الاسكندراني ١٩٧٠، ص٣٦)وابن خلدون (خلدون ٢٠٠٠، ص٦٠) والقرماني (القرماني د.ت، ص١٩١) وغيرهم.

كما ان كثير من المؤرخين ومنهم دفتري قد صنف المؤرخ المسيحي الانطاكي الذي ذكر هذا الخبر على انه من المؤرخين المعادين الذي قام بدور كبير في تشويه معالم الدولة الفاطمية وخلفائها.

كذلك نرى ان الفقيه المحتسب ابا اسحاق المالكي الغافقي، رأى رجلا استهزأ في سوق الفسطاط بالشيخين ابي بكر وعمر فأمر بالاقتصاص منه من خلال جلده حتى مات تحت السياط، وكانت ردة فعل الحاكم بأمر الله على هذا الاجراء، ان ارسل الى المحتسب ليشكرّه على عمله هذا قائلاً له" :هذا جزاء من يزدري بالسلف الصالح "(ش. الذهبي ١٩٩٠، ص٩٨)

وفضلًا عن ماورد فقد أصدر الحاكم الكثير من السجلات والتي اظهر فيها الترحم على اهل السلف والصحابة (المقريزي ١٩٩٨، ص٢٥٠) كما انه كيف يكون بهذه النزعة الطائفية الحادة وقد أمر" بتعيين القاضي (ابو العباس احمد بن أبي العوام)، حتى انه لما قال له الناس: " انه ليس على مذهبك ورأيك ولا على مذهب ورأي من سلف من اهل بيتك " فأجابهم قائلاً : "هو عندنا ثقة مأمون مصري عارف بأهل هذا البلد وبالقضاء، ومافي هذا البلد من ينفع لهذا الامر غير هذا القاضي " (المقريزي ١٩٩٨، ص٢٥٠)وهذا دليل لا يقبل الشك بحيادية الحاكم، فضلاً عن ترجيحه لثقة وأمانة القاضي والتي وضعها فوق كل إعتبار، وهذا الامر واضحا من خلال ما صرّح به القلقشندي قائلاً: " ان مذهب الشافعي ومالك ظاهري الشعار في زمن العبيديين " (القلقشندي ١٩٨١، ص٢٥٠)

و كيف يكون بهذا التوجه الذي رسمه له اعدائه، وقد وقع اختياره على الفقيه ابي اسحاق المالكي الغافقي ليتولى منصب الحسبة ومنحه صلاحيات جمة (الصفدي ٢٠٠٠، ص٢٢٠)

ومن الدلائل على تسامح الحاكم بأمر الله مع الفرق الاخرى جعلته " يُلزم الفقهاء بنشر مذهب مالك (ا. الذهبي ١٩٧٤، ص٢٤٥) وسمح لاتباع مذهب مالك ان يتعاطوا اصول مذهبهم في دار الحكمة (تامر ١٩٨٢، ص٨٩)

وفيه أمر النصارى بعمل ركب السروج من الأخشاب، والزمهم ان يكون الصليب طوله ذراع، وكثرت توجيه الاهانات لهم بل وضيق عليهم امرهم؛ وتم اجبارهم على ان يكون وزن الصليب حوالي خمسة أرطال وأن يكون مكشوفاً فوق الثياب، فامتثلوا لذلك، ولما زاد الامر سوء تظاهروا بالإسلام، فوقع الأمر بتهديم كنائسهم، واصبحت مساجد ورفع الأذان في بعضها وتم بيع مقتنياتها (المقريزي ١٩٩٨، ص١٢٤)

ويبرر دفترى سلوكيات الحاكم فيما يخص اضطهاده لاهل الذمة الى رغبة الحاكم في تعزيز شعبيته وحضوره بين المسلمين في مصر الذين كانوا مناوئين للذميين في ظل العزيز. (دفتري، الاسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ٢٠١٤، ص٣١٥)

وهذا قياس مع الفارق، لكون انه لا ملازمة بين اضطهاد النصارى واليهود مقابل استرضاء المسلمين لاسيما إذا عرفنا ان سياسة الحاكم تعد انقلاباً جذرياً في سياسة الدولة ازاء اهل الذمة، لكون هذه الدولة منذ قيامها بمصر كانت تؤثر سياسة التسامح والإيثار، وتذهب بهذا المبدأ الى أبعد مدى علما ان هذه السياسة لم تستفز مشاعر المسلمين، أما إذ رأى الحاكم الفاطمي فعلاً أن تعزيز حضوره بين رعاياه تكمن في اضطهاد المستضعفين من أهل الذمة فهذا إن وقع " فهو يعد من تفكيره المتزمت، وبالتالي فقد طلب النصر بالجور."

وقد نلاحظ ان هذا التطرف من جانب الحاكم بأنه نوع من الغلو الديني له بواعثه النفسية؛ ففي هذه المرحلة التي أشتد فيها الخطوب على اهل الذمة كان الحاكم يبدي الكثير من التزمت سواء من الناحية الدينية العامة او الناحية المذهبية الخاصة، ولكن هذه الشدة استحالت في اواخر عصره الى نوع من اللين والرفق بالنصارى واليهود، ذلك بسبب ان هذا العقل المضطرم يبلغ به الحال عندئذ الى ذهن فلسفي حر التفكير يرى ان الاديان كلها تنبع من ينبوع واحد، وفي هذا التردد بين الشدة واللين ومما يلاحظ في هذا الصدد ان موقف الحاكم اتجاه النصارى واليهود هو من المواقف النادرة التي كان فيها الحاكم على سياسة ثابتة، وانه لم يجنح فيه من الشدة الى اللين إلا في نهاية عصره. (عنان ١٩٣٥، ص٧٧١)وهذا يعني ان رعايا الحاكم كانوا"مرة عيش ومرة جيش " (العسكري ١٩٨٨، ص٢١٨)

اما فيما يخص أصباغ الجنبة الالهية على شخص الحاكم بأمر الله، فهنا نجد التوجيهات التي تبين الحكمة في معالجة هكذا ظاهرة فقد انفرد بها الحاكم وقد تقضي على الدعوة الاسماعيلية في حال سريانها، وبما ان هذه الدعوة كانت منطلقاتها فكرية فلابد ان تقرع بفكرة من نسيجها حتى يتم دحضها، لذلك نجد الحاكم بأمر الله قد اتخذ العديد من الوسائل في سبيل إنقاذ المذهب ودعاته من هكذا طروحات، فعمل على الإتيان برجال من أتباع المذهب الموثوق بعقيدتهم وتمذهبهم السليم، فاستدعى (ختكين الضيف) وعينه داعي الدعاة (ا. الكرماني ١٩٦٧، ص٤٢)

كذلك استخدم (الحاكم بأمر الله) داعية آخر وهو (حميد الدين الكرماني) حيث جعله رئيساً لدار الحكمة (تغري ١٩٩٢، ص٢٢٢) ، دون ان يعينه رئيسا للدعوة بسبب وجود (ختكين) المذكور (حسن ١٩٩٦)؛ فكتب (الكرماني) رسائل عديدة للدفاع عن المذهب الاسماعيلي، ففي (رسالة مباسم البشارات) التي بين فيها ظروف المحنة وسوء حالة الدعاة، وظهور المنافقين، وصدق إمامته وحقيقتها، وان ما حدث هو إرادة إلهية لامتحان عباده (ا. الكرماني د.ت)؛ كذلك كتب رسالة أخرى للرد على دعاوى الغلاة وتقولاتهم كانت بعنوان (الرسالة الواعظة في نفي ألوهية الحاكم بأمر الله) (ا. الكرماني، مجموعة رسائل الكرماني ١٩٨٣، ص٤٢)

واستخدم الحاكم منتهى القسوة من خلال قتل الدعاة الذين غالوا فيه أو لم يدفعوا عنه فرية التأليه، ويؤيد هذا الرأي ما تداوله المؤرخون من انه اقتص من العلماء. (تغري ١٩٩٢، ص٢٢٢)

وعليه فقد اخطا العباسيون في هذا الطعن – ادعاء الألوهية – على الفاطميين لانه لا يقبل العقل ان يعمل الفاطميون على تصديع اساس دولتهم بإثارة الناس ضدهم في الداخل واشعال لهيب حرب إعلامية لاهوادة فيها عليهم من الخارج. (الفتاح ٢٠٠١، ص٦٣)

والخلاصة أن الحاكم بأمر الله لم يكن الشخصية الهشة الساذجة ولا تلك العقلية الفجة التي تقدمها الينا الرواية المغرضة ، ولم تكن أعماله وأحكامه التي أصدرها ، كما صورت عبر العصور مزيجاً من النزعات والأهواء اللاعقلانية ، إنما كان الحاكم شخصية ملغزة قد صعب على الكثير حله ، وكان ذهنًا عميقاً ، وكان عقلاً تسمو على مجتمعها وتتقدم

عصرها بمراحل وكان بالاختصار عبقرية يجب أن تأخذ في التاريخ مكانها الحق (عنان ١٩٣٥، ص٧٧٢) بل يصفه الذهبي بقوله: " خبيثًا ماكرًا رديء الاعتقاد" (تغري ١٩٩٢، ص٧٧٤)

وهذه نعوت ليست من خواص الذهن المريض الذي يفكر دون النظر في عاقبة الامور ، او الذي يعمل دون رؤية (عنان ١٩٣٥، ص٧٧٠)

ويبقى الحاكم بأمر الله وطموحه وظروف حكمه للواقع المحيط به ، ثم الآليات التي استخدمها تبدو في بعض الاحيان متلائمة مع زمنه وفي أحيان تبدو غير مفهومة لأهل زمانه (الغيطاني ٢٠٠٨، ٢٠٩)

وتبقى مسألة استيعاب فترة الحاكم أو تقديرها بشكل مناسب لم تكن أمراً مثيراً للحيرة بالنسبة لمناؤوه الذين كان عداؤهم التقليدي لحاكم إسماعيلي يساهم في جعل أي رواية عن أعماله أكثر عتمه فحسب، بل إنها أثرت بقوة على أولئك المخلصين للإمام (بول ١٩٨٠، ص١٦)

وحمادى القول كيف يسلم الحاكم والفترة التي عاش فيها لاسيما اذا علمنا ان المحضر الأول الذي كتبه العباسيون سنة ٤٠٢هـ خصيصاً للقدح في الحاكم بأمر الله (الفتاح ٢٠٠١، ص٢٧)

وهذا واضح من خلال اتهامهم بالكفر والزندقة بقولهم: " ... وان هذا الناجم بمصر (الحاكم بأمر الله) هو سلفه كفار وفساق فجار ملحدون زنادقة معطلون وللسّلام جاحدون ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون" (ا. الذهبي ١٩٧٤، ص٢٢)

ثالثاً: السمات الفنية

من أهم خصائص التوجيهات هو الإيجاز أي انها تمتاز بأسلوب موجز، وهي تتردد ما بين كلمة أو كلمتين او عبارة موجزة، وبالنظر الى توجيهات الحاكم بأمر الله نلاحظ انها تميل الى القصر والايجاز، وذلك لكون الحاكم لا يفصل ولا يشرح في تلك التوجيهات، التي تكون في معظمها واضحة ولا تحتاج الى اكثر من تفسير .

والملاحظ في توجيهات الحاكم بأمر الله انها غير قابلة للنقض او المناقشة، بل نجدها تطبق بأدق تفاصيلها مهما كان نوع هذا التوجيه، وأكثر هذه التوجيهات بل اجمعها تخلوا من

الدعاء والبسملة والآيات القرآنية ، ولم يوظف الحديث النبوي في اي من توجيهاته ولم نجد أي صورة من صور المجاملة .

ونجد وضوح الأسلوب الإنشائي الطلبي في التوجيهات، وخاصة الأمر والنهي، وهذا بديهي لكون هذه التوجيهات تصدر من الهرم الأعلى في الدولة، وقد جمع الحاكم بأمر الله كل سلطات الدولة بيده وكان يشرف بنفسه على كل صغيرة وكبيرة، حتى اننا لانجد اي شخصية في ايام دولته قد علا شأنها بإستثناء شخصية الحاكم بأمر الله .

ونلحظ كذلك في توجيهات الحاكم انها جاءت دون تكلف أو تصنع بل خلوها من الصنعة الفنية .

الخاتمة:

١. تنوعت توجيهات الحاكم بأمر الله وكانت التوجيهات التي تخص المجتمع المصري هي الغالبة ، ويأتي التفسير الاجتماعي للتاريخ كأحد ابرز المدارس التي اتجه اليها المؤرخون لتفكيك الحدث التاريخي ودراسته وإعادة بنائه وفق منظور اجتماعي يراعي دور الطبقة في تسيير الأحداث التاريخية والتحكم المباشر في سيرورتها.
٢. مالت توجيهات الحاكم بأمر الله الى الايجاز خلاف التوقيعات التي تكون في اغلبها طويلة.
٣. اتجهت توجيهات الحاكم بأمر الله الى التقرير والمباشرة ، بل نجد هذه التوجيهات خالية من الدعاء والبسملة ، فضلاً عن عدم اكتراثه بالصور البيانية ، وهذا دليل على وجوب تنفيذها بدون قيد أو شرط لكونها صدرت من المقام الأعلى في الدولة من خلال مشهد حسي ومنظر مرئي وعلى الجميع الطاعة مهما كانت هذه التوجيهات.
٤. واخيراً لا ندعي ان جميع توجيهات الحاكم وتصرفاته قد وصلنا الى تعليلها او نفذنا الى بواعثها ، فهناك الكثير منها لا نستطيع فهمه لكن هذه التوجيهات كانت بالضد ما تصوره خيالات المؤرخين بانها اهواء نفسية لحاكم مهووس ، بل كانت في جملتها منظومة اصلاحية شاملة كان الهدف منها تحقيق غايات لاريب في حكمتها وسموها .

المراجع

ابن العماد عبد الحي بن احمد الدمشقي. *شذرات الذهب في اخبار من ذهب*. بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٩.

ابو بكر بن عبد الله. *كنز الدرر وجامع الغرر*. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦١.

ابي هلال الحسن بن عبد الله العسكري. *جمهرة الامثال*. بيروت: دار الجيل، ١٩٨٨.

احمد بن الحسين بن علي البيهقي. *السنن الكبرى*. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣.

احمد بن علي بن احمد القلقشندي. *صبح الاعشى في صناعة الانشا*. دمشق: وزارة الثقافة ، ١٩٨١.

احمد بن يوسف بن احمد القرماني. *اخبار الدول وآثار الأول في التاريخ*. بيروت: عالم الكتب، د.ت.

احمد حميد الدين الكرماني. *رسالة مباسم البشارات*. د.م: محمد كامل حسين، د.ت.

—. *مجموعة رسائل الكرماني*. بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٨٣.

احمد حميد الدين بنر عبد الله الكرماني. *راحة العقل* . بيروت: دار الاندلس للطباعة والنشر، ١٩٦٧.

الحافظ شمس الدين الذهبي. *دول الاسلام*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤.

امير بقطر. "العيون الخفية ." *مجلة الهلال* ، ١٩٥٦.

تقي الدين احمد بن علي المقريزي. *اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا*. القاهرة: لجنة احياء التراث الاسلامي، ١٩٩٨.

جروان السابق. *الكنز الوسيط* . بيروت: مطبعة فؤاد بيبان، ١٩٨٤.

جمال الدين يوسف بردي ابن تغري. *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة* . بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢.

جمال الغيطاني. "صاحب هذا المكان الحاكم بأمر الله الفاطمي." *مجلة الموسم*، ٢٠٠٨.

حسن ابراهيم حسن. *تاريخ الاسلام السياسي* . بيروت: دار الجيل، ١٩٩٦.

سعد رزوق. *موسوعة علم النفس*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات العربية والنشر ، ١٩٨٠.

سيد عبد الفتاح. "محاضر المجالس العباسية وحرب الدعاية ضد الفاطميين." *مجلة كلية اللغة العربية* ، ٢٠٠١.

شمس الدين محمد بن احمد الذهبي. *تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير* . بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٩٩٠.

صبيح المشاهدي. "نظرات في الادب العربي الاندلسي." *مجلة الشعاع*، ١٩٤٨.

صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي. *الوافي بالوفيات* . بيروت: دار احياء التراث العربي ، ٢٠٠٠.

عارف تامر. *الحاكم بامر الله خليفة وامام ومصلح*. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٢.

عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي. *شرح نهج البلاغة*. بغداد: دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٧.

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. *تاريخ ابن خلدون*. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠.

عز الدين علي بن ابي الكرم. *الكامل في التاريخ*. بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٩٩٧.

علي حسني الخربوطلي. *مصر العربية والاسلامية السياسة والحضارة في العصر العربي الاسلامي منذ الفتح العربي الى الفتح العثماني*. القاهرة : مكتبة الانجلو، ١٩٦٣.

فرهاد دفتري. *الاسماعيليون تاريخهم وعقائدهم* . بيروت: دار الساقي، ٢٠١٤.

—. *الاسماعيليون تاريخهم وعقائدهم* . بيروت: دار الساقي، ٢٠١٤.

كاريل الكسيس. *الانسان ذلك المجهول*. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر ، د.ت.

لويس برنارد. "اللغة السياسية في الإسلام." *مجلة الفكر العربي المعاصر*، ١٩٩٠.

محمد بن قاسم بن محمد الاسكندراني. *كتاب الإلمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام والامور المقضية في وقعة الاسكندرية* . الهند : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٧٠.

محمد بن يعقوب الكليني. *اصول الكافي* . بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٩٩٠.

محمد عبد الله عنان. "الحاكم بأمر الله ." *مجلة الرسالة* ، ١٩٣٥.

محمد مرتضى الحسيني الزبيدي. *تاج العروس من جواهر القاموس*. الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٩.

ووكر بول. *الفكر الاسماعيلي في عصر الحاكم بامر الله* . سوريا: دار المدى للثقافة والنشر، ١٩٨٠.

يحيى بن سعيد الانطاكي. *تاريخ الانطاكي المعروف صلة تاريخ سعيد بن البطريق المسمى صلة تاريخ اوتيخا*. لبنان : د.م، ١٤١١.

أثر الفولانيين في جنوب غرب الصحراء الافريقية (دراسة تأريخية)

The impact of the Fulani in southwest Africa (a historical study)

م . م نورس فلاح حسن

assistant lecturer : Nawras Falah Hassan

nawras.f@coart.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد / كلية الاداب / قسم التاريخ

م. م ولاء لعيبي جلاب

assistant lecturer : Walaa Laibi Jalaab

walaa.l@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

أثر الفولانيين في جنوب غرب الصحراء الافريقية (دراسة تأريخية)

م . م نورس فلاح حسن

م. م ولاء لعيبي جلاب

الملخص

يعد موضوع اثر الفولانيون في جنوب غرب الصحراء الافريقية من المواضيع التأريخية المهمة التي تسلط الضوء على فترة لم يتطرق اليها الكثير ، وجاءت اهميته من الاثر الكبير الذي تركته القبائل الفولانية الذين كانوا بدو رحل يمتهنون تربية البقر أساسا، وينتشرون بنسب متباينة ومتفاوتة في معظم دول غرب إفريقيا، بدءا من موريتانيا والسنغال غربا، وانتهاء إلى جمهورية السودان شرقا، ويميلون إلى سواد البشرة، وتوسط القامة. وقد أسسوا ممالك إسلامية سيطرت على أغلب دول غرب إفريقيا خلفت تراثا فكريا إسلاميا ثريا باللغتين العربية والفلانية ، وجاءت اهمية الموضوع من ادعاء النسب الشريف للقبائل الفولانية الذين ينسبون انفسهم تارة الى نسب الرسول(ﷺ)من خلال صفية بنت جعفر بن ابي طالب التي تزوجت عقبة بن نافع ومن خلال الابناء تكون الفولانيون وتارة اخرى ينتسب الفولانيون حسب الروايات الى اصول بربرية ويهودية وفرعونية .

وتكمن اهمية الموضوع ايضا في الدور الكبير الذي لعبته القبائل الفولانية في نشاطهم بنشر الدعوة الاسلامية في جنوب غرب الصحراء الافريقية الإسلامية ، فلقد قام الفولانيون بدور كبير فى مجال الدعوة الاسلامية في غربي أفريقية ، وفي إصلاح عقيدة المسلمين وتنقيتها مما علق بها من شوائب الوثنية ، وهذا ما جعلهم من أهم الشعوب الأفريقية التى تركت أثرا بارزا في تاريخ القارة وحضارتها ، وهو الذى خلد اسمهم ، أكثر من أشقائهم من شعوب القارة التي أحتكوا بها أو جاوروها .

الكلمات المفتاحية : (الفولان ، افريقيا ، جنوب غرب الصحراء)

Abstract:

The impact of the Fulani people in southwest Africa is an important historical topic that sheds light on a largely undiscussed

period. Its importance stems from the significant influence left by the Fulani tribes, who were nomadic people who primarily raised cows. They are spread out in varying proportions across most West African countries, from Mauritania and Senegal in the west to the Republic of Sudan in the east. They tend to have dark skin and average height. They established Islamic kingdoms that dominated most West African countries, leaving behind a rich Islamic intellectual heritage in both Arabic and Fulani. The importance of the topic stems from the Fulani tribes' claim to noble lineage, sometimes traced back to the Prophet (peace be upon him) through Safiyya bint Ja'far ibn Abi Talib, who married Uqba ibn Nafi', and through her children the Fulani were formed. Other times, according to accounts, the Fulani trace their lineage back to Berber, Jewish, and Pharaonic origins. The importance of the subject also lies in the great role played by the Fulani tribes in their activity in spreading the Islamic call in the southwest of the Islamic African desert. The Fulani played a major role in the field of Islamic call in West Africa, and in reforming the Muslim faith and purifying it from the impurities of paganism that had stuck to it. This is what made them one of the most important African peoples who left a prominent impact on the history and civilization of the continent, and it is what immortalized their name, more than their brothers from the peoples of the continent with whom they interacted or lived.

Keywords: (Fulani, Africa, Southwest Sahara)

- تسمية الفولانيون :

أطلق على الفلانيين أسماء مختلفة ومتعددة تبعا لمقر إقامتهم، مثل تسمية (Pol)، وهو ما حرفه الفرنسيون إلى بيل (Peul)، وأطلق عليهم ايضا اسم فولا (Foula)، وفولاني (Foulani)، واطلق عليهم لفظة فلاتا (Fellata)، بينما أطلق عليهم سكان الصحراء كالطوارق اسم الفلان (Fullan)، ، أما الفلانيون، فيطلقون على أنفسهم اسم بولو (pullo) للمفرد، وفولبي (FulBé) للجمع، وعلى لغتهم فولفولدي (Fulfulde) ، تلك مسميات الفلانيين تبعا لمن عايشوهم فتعددت الأسماء تعدد المعايشين، فتباينت الآراء كذلك عن أصولهم تباينا كبيرا [1] .

- أصل الفولانيون :

ان اصل تسمية الفولاني او الفلاتة بهذا الاسم لربما يعود لمصدر عربي وهو (الافلات) اي الافلات من الحدود اذ ان الفولانيين شعب رحل ينتشرون من حوض السنغال الى حوض النيل [٢].

وتعددت الاراء في أصل الفولانيون واختلفت أقوال المؤرخين في أصل الفلانيين الذين استقروا في السودان الغربي

(غرب افريقيا) فمنها من ارجعهم على أنهم من الفرس نزحوا من آسيا ومنها من قال بأنهم من اليهود، ومنها أنهم ارجعهم الى العرب واليونان أو من الإيطاليين أو من أصول إثيوبية ، وهناك نظريات أخرى تقول أن الفولانيين هم نتيجة احتكاك الزنوج والحاميون بشعوب بيضاء[٣] .

لذلك يمكننا تفصيل الاصل الفولاني بما يأتي :

١- **النسب العربي :** تذكر الرويات التاريخية انتسابهم الى عقبة بن نافع [٤] ، فبعد هجرة قبائل جهينة وتميم من الجزيرة العربية إلى الهند عقبة فتنة نشأت وذلك ما بين (٢٠٠٠ – ٧٥٠ ق.م) وعادة مرة أخرى إلى الجزيرة العربية بعد انتهاء الفتنة ، ومع تميم الأبقار والسيوف والطاقية ذات اللسانين ، ومع جهينة الأغنام، ولقلة المراعي ، واصلت القبيلتان هجرتهما إلى افريقيا اذ تتوفر المراعى فسلكت تميم طريق الشام إلى صحراء سيناء حيث استقرت في طور سيناء فترة من الزمن ، واستمرت مواصلة هجرتها إلى أن وصلت منطقة ليبى Leebe ليبيا الحالية ، وسلكت جهينة طريق اليمن إلى أن وصلت إلى منطقة وفي الوقت الذي فيه واصلت تميم رحلتها إلى أقصى غرب افريقيا والمغرب الأقصى حتى وصلت إلى أوداغست Audagist التي سميت أخيرا بأرض غانا ( ) Gana القديمة التي تقع ما بين مالي Mali وصحراء توات Tuwat ، الأرض التي كانت تحت تأثير الحكم الروماني ، وقد عادت بعض هذه الأسر من تميم مرة أخرى إلى وطنها في الجزيرة العربية، فلما ظهر الإسلام ، قاد أحفاد هؤلاء العائدين حملة فتح غرب أفريقيا بقيادة عقبة بن نافع وبرفقة عقبة ابن عامر التميمي وعقبة وغيرهم [٥]، فأسلم ملك الروم وهو ملك غانا يدعى برمندانا بعد مقاومة ضعيفة [٦] .

لذلك يعد عقبة بن نافع هو الجد الاعلى للفولانيين وقيل بالأصل العربي، فهناك أسطورة فولانية ، كذلك تقول : إن الفولانيين من سلالة عربية ، وأن جدهم الأكبر هو عقبة بن عامر أو عقبة بن نافع ، وأن هذا الجد تزوج من ابنة ملك الروم واسمها(بجمع)وأنجب منها أربعة أبناء ، وأنه تركهم مع أمهم حين عاد إلى مصر ، ومن سلالة هؤلاء الأبناء جاء الفولانيون(٧).

وقد ارجعت بعض الروايات في اصل الفلان الى النسب القرشي من إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وإن إسماعيل جد لهم ، حيث ان عقبة بن نافع تزوج صفية بنت جعفر بن ابي طالب (عليهم السلام) وقد انجبت صفية له خمسة أولاد هم : (يزيد ، فولو Fullo ، فيلا Fela ، غرغاو Gharghaw، حيدر) ولكل هؤلاء أحفاد ينتشرون ما بين المغرب والبحر الأحمر (٨).

٢- **الاصل البربري** : واختلف المؤرخون حول أصل هذا الشعب، وانقسموا شيعا وأحزابا فيرى ديبوى (Dubois) أن الفولاني من البربر، وأنهم انحدروا من منطقة أدرار شمال السنغال، واندفعوا إلى السودان الغربي بعد طرد المسلمين من الأندلس، واشتغلوا بالزراعة والرعي (٩) ، كذلك قيل بالأصل البربرى للفولانيين ، وأنهم جاءوا من مراكش ، حيث كانوا يقيمون خلال القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى ، أو من فزان جنوبي طرابلس ، وأن دماءهم اختلطت بالدماء العربية ، ثم اختلطوا بعد ذلك بالزنوج وأن الفولانيين، جاءوا أصلا من مصر العليا ، إلى حوض النيجر حيث اختلطوا بالهوسا فإن من بين الأسماء التي تطلق على الفولانيين اسم (فلاتا Fellata) ، وهذه الكلمة تحريف لكلمة الفلاحين Fellahin المعروفة في مصر، كذلك قال بالتشابه في الصفات الجسمانية بين الفولانيين وبين الفلاحين المصريين (١٠)

٣- **الاصل اليهودي** : تذكر بعض الروايات ان اصل الفولانيون هو حامي وتروي أن جد الفولانيين الأكبر هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، و أنهم هاجروا من أرض كنعان إلى سيناء في مصر ، حيث كان يوسف بن يعقوب ، و بعد تعرضهم لضغوطات فرعونية حقدا على نشاطهم الاقتصادي وتراثهم عاد بعضهم إلى كنعان بزعامة موسى عليه السلام وهاجر البعض الآخر إلى مغرب الشمس فعبروا إلى برقة ،

ثم إلى غرب إفريقيا حيث استقروا أخيرا في أحواض نهر السنغال و استقروا مع السكان هناك [١١] .

- **اللغة الفولانية :**

اختلفت الاراء في اصل اللغة الفولانية كما اختلف في أصول النسب الفولاني نفسه فمنهم من قال إنها لغة خليطة من عناصر مصرية وأرامية وزنجية ، أى أنها خليط من الحامية والسامية ، وأنها لغة قد استحالت في أفريقية إلى لغة سودانية تبرز فيها العناصر الزنجية وتختلف عن الأصلية ، وهذه اللغة الأصلية ليست أفريقية [١٢] .

وتعد اللغة الفولانية من أكثر اللغات انتشاراً في إفريقيا غرب الصحراء، فهي تمتد على رقعة جغرافية واسعة من موريتانيا والسنغال غرباً إلى إفريقيا الوسطى والسودان شرقا والحديث عن اللغة الفولانية يرتبط مثل عدد كبير من اللغات الإفريقية بتنوع لهجاتها وتعددها بشكل لافت وفق مناطق حضورها الاجتماعي أو السياسي واللغة الفولانية لا تعتبر لغة رسمية إلا في عدد محدود من الدول مثل السنغال والكاميرون، وتعد لغة وطنية في عدد من الدول الأخرى مثل نيجيريا وبوركينافاسو والنيجر [١٣] ، ويستند هؤلاء إلى أن الفولانيين حين جاءوا إلى بلاد السودان امتزجوا بالعناصر الوطنية الزنجية ، وتكلموا بلغاتها ، ولاسيما في أراضي السنغال فمثلا ، تكلم الفولانيون ، في هذه المناطق ، بلغات البامباره والمالنك، وهذه من مجموعة لغة الماندنجو ، وهناك أسطورة متداولة بين الفولانيين ، تقول : ليس للغة الفولانيين الأصلية أية صلة باللغات الأفريقية ، وأنها ترجع إلى أصول غير معروفة [١٤] .

ويحتمل ان الفولانيين قد تكلموا اللغة البولارية التي يميل الباحثون ان تكون لغة زنجية من السود المزارعين القدماء الذين كانوا في الصحراء واكتسبوها الفولانيون اثناء اقامتهم مع المزارعين وانها انبثقت من سائر اللغات الحامية، ويمكن القول ان اللغة البولارية (الفولانية) لغة من فصائل شعوب الاطلنطي وليست من وادي النيل [١٥] .

- **أوصاف الفولانيون :**

يتميز الإنسان الفولاني بطول القامة ونحافة القوام أو توسط الجسم ، والوجه المستطيل والأنف المستدق واللون الفاتح أو اللون الأسود مع لمعان البشرة واتساع مقلتى العينين، ويغلب على أبناء هذه القبيلة الحياء المفرط وهدوء الطبع ونقاء الروح وعفة النفس وشدة

الغيرة [١٦] ، وإن الفولانيين قوم شبه بيض سحنتهم عربية يعتمدون على أنفسهم ويعملون غالباً بالرعى وعلى الخصوص رعى الأبقار ، والجهاد تراث يعتزون به وإنهم كثير الميل لبعضهم البعض عند المحن والشدة والحروب ، لا يرتبطون بأرض لا تعرف الإسلام بل يعملون لإدخال الإسلام فيها أو الهجرة منها في حالة عجزهم ويعيشون فى بلاد السودان منذ آلاف السنين ، وأنهم سريعو الانصهار في المجتمعات التي يعيشون فيها ، وفي الغالب ينسون لغتهم بعد انفصالهم عن الوطن الأم أو عشائرهم ، فمثلاً يوجد في نيجيريا أعداد كبيرة من أبناء هذا الجنس نسوا لغتهم الفولانية لكنهم احتفظوا بملامح شخصيتهم الفولانية[١٧] .

ويطلق لقب (البقارة) على قبائل الفولانيين وذلك لانهم أشتهروا برعاة الابل والبقر والاغنام ، وتعتبر البقارة مجموعة قبائلية تعمل في رعي الابقار وتضم البدويين والبقارة والفلاتة والطوارق ، وهناك اسطورة شعبية تقول هناك رجل طرده إخوانه من المجتمع الذي كان يعيش فيه حقداً عليه فأخذ يهيم في غابات نائية ومنعزلة يعاني من الوحدة ويكابد ويلات العطش. فإذا بروحاني يظهر أمامه ويخرج من الأرض ماء ، يأمره بأن يغترف منه ويسقي به سائر حيوانات البر ، ونفذ الرجل تعليمات الروحاني إلى أن وصل الدور على البقرة ، عندئذ أمره الروحاني بأن يقود بقرته ويطوف بها في كافة أرجاء العالم المعمور ، شريطة أن لا ينسى إشعال النار عند غروب الشمس فى كل مكان يحل به ، بذلك ينعم بالثروة الحيوانية وينال السعادة السرمدية ويتخذ البقرة شعاراً ورمزاً له في الحياة الدنيا ، وكان هذا الرجل هو الجد الأول للقبيلة الفولانية[١٨] .

- الهجرات الفولانية :

ان علماء الاجناس يرجحون الأصول الحامية للفولانيين وربما كانت من البربر او عربية، وأن أوائلهم قد جاءوا من الشرق إلى الغرب ، تحت ضغط موجات من الهجرات البشرية، وأنهم دخلوا بلاد السودان ووصلوا في تجوالهم إلى ساحل المحيط الاطلسي ، وقد ربط كثير من الجغرافيين والمؤرخين القدامي بين مملكة غانا ومملكة كوش وأوداغست التي يسكنها الروم الذين صاروا فلاتة وتكاريرا ، وأن الكوشيين هم مجموعة من القبائل العربية هاجرت إلى افريقيا عن طريق باب المندب وذلك ما بين ٥٠٠٠- ٧٠٠٠ق.م و الكوشيين

هم أصحاب أبقار ويسمون البدوين والفلاتة والنومديين والنوباديين حسب تسمية الرومان لهم[١٩] .

أن الفولانيون قد اختلطوا بالدماء العربية فى مطلع العصر المسيحي ، حين جاءت موجة منهم من برقة إلى تنبكت وماسنه في حوض النيجر ، وأنه في القرن التاسع الميلادي توجه أغلبهم إلى فوتا في حوض السنغال حيث استقروا ، وأنه في القرن الحادي عشر الميلادي هاجر فريق منهم من أعالى السنغال واتجه شرقا نحو حوض النيل ، وانتشروا في هذه المساحات الشاسعة ، وأدى اختلاطهم العميق بالزنوج إلى فقدهم صفاتهم الأصلية ، الا ان الفولانيين ليسوا زنوجا ولكنهم متزنجون نتيجة الاختلاط العميق بالزنوج ، وقد أدى اختلاط الفولانيين بالزنوج في أفريقية، إلى أن أصبح الفولاني ، يحمل طابعين مميزين : الطابع الزنجي من حيث اللون ، وطابع الجنس الأبيض من ناحية التقاطيع ، ورغم تغير ألوانهم، فهم يعتبرون أنفسهم من الشعوب البيضاء ، حتى أن قبائل اليوروبا تشير إلى الفولانيين بعبارة: (ايا أو يبوني فولانى Eya ibo ni Furlani) ومعنى هذه العبارة بلغة اليوروبا : الفولانيون قبيلة أو قوم جاءوا من وراء البحار أو أنهم شعب أبيض[٢٠] .

ان الرواية التي ذكرناها ومفادها هجرة قبيلتي تميم وجهينة الى الهند وعادة مرة اخرى الى الجزيرة العربية ومن ثم الى القارة الافريقية حيث وصلت قبيلة تميم الى مدينة اوغست حيث قاد ابناء هذه القبيلة قيادة جيوش الفتح بقيادة عقبة بن نافع الذي انتصر على ملك غانة القديمة (برمندانا) وتزوج من ابنته خمسة اولاد ذكور وهم (عثمان تورو ، محمد فولان ، ابو بكر فلات ، عمر درداو ، علي غردو) [٢١] .

وانتشر هؤلاء الابناء ما بين فوتا تورو إلى البحر الأحمر فيسكن أحفاد محمد فلاتي بأقدس وتاوا وبلما والسودان الشرقي ونيجيريا ، ويطلق عليهم اسم الفلانيين وفلانة ويسكن أحفاد أبو بكر فلات بلاد برنو و دمغرم وحول حوض تشاد ومالي والسودان الشرقى ، ويسكن أحفاد عثمان توردو Turoddo أرض ماسينا التي تشمل ثلاث جمهوريات وهي مالي وبلكينا فاسو وداهومي ، وكذلك ينتشرون في نيجيريا، ومن أحفادهم الشيخ عثمان ابن فودى ، والسودان وأريتريا وتشا، ويسكن أحفاد عمر دردو حول نهر السنغال والسودان وتشاد واريتريا وتمبكتو[٢٢] .

وتمتد مساكن الفولانيين في أفريقية في مساحات شاسعة من المحيط الأطلسي غربا إلى السودان الأوسط والشرقي شرقا ، وذلك في مجموعات أو وحدات مبعثرة ، إلا أن أكثر أعدادهم تتركز في أحواض السنغال وغمبيا والنيجر ، فيكثرون في فوتاتورو وفوتا جالون ، حيث يجاورون قبائل الجلف والسرير Sereres كما يجاورون بعض قبائل الماندنجو مثل الجالونك Djallanke كذلك ينتشر الفولانيون جنوبا على جانبى نهر بنوى Benue رافد النيجر العظيم – إلى أواسط الكونغو وإلى أشانتي ، كما يكثرون في ماسنه على النيجر ، ولاسيما منطقة صكت (سوكوتو) ، وفي بلاد البرنو في حوض نهر شارى، وفى باجرمى، وقد هاجر كثير من الفولانيين إلى سودان وادى النيل[٢٣] .

وتواجد الفولانيين في مناطق فوتا السنغالية[٢٤] منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وإن لم يرد ذكرهم صراحة في المصادر العربية القديمة ، و إنه مع مرور الزمن، تحركت بعض الجماعات الفولانية تدريجيا نحو الشرق على طول السودان الغربي فاتجهوا خاصة نحو ماسينه (Macina) مارين بدمبوغو (Dioumbougou) و بكارتا (Kaarta) إلى أن وصلوا إلى نيجيريا، حيث اسسوا دولة سوكوتو (sokoto) المشهورة[٢٥].

– دخول الفولانيين الى الاسلام :

يرجع إسلام الفولانيين إلى حوالى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وذلك بفضل دعوة المرابطين في بلاد السودان الغربي ، ورغم أن الإسلام قديم في مناطق السودان الغربي ، منذ القرن الاول الهجري / السابع الميلادي ، إلا أن القبائل التي تمسكت بوثنيتها ، ظلت تقاوم الإسلام فترة طويلة ، ومن بين هذه القبائل الفولانيون حتى أن الكثير منها قد هاجر إلى بلاد الهوسا ومن أقدم القبائل التي استجابت لدعوة المرابطين التكاررة في حوض السنغال ، وبفضل المرابطين وأنصارهم من التكاررة المسلمين ، دخلت أعداد كبيرة من الفولانيين في الإسلام [٢٦] .

وكان للعرب وسكان شمال إفريقيا علاقات تجارية بسكان السودان الغربي قبل ظهور الإسلام، ثم نمت وازدهرت بعد ظهوره، وكثرت هجرة المسلمين من العرب والبربر إلى بلاد السودان منذ الفتح العربي الإسلامي لمصر وشمالي إفريقية، ولقد احتكر التجار المسلمون الاتصال ببلاد السودان ، واستقرت أعداد كبيرة منهم في تلك البلاد وهناك جهود إمبراطورية

أودغشت [٢٧] الإسلامية وتفاني حكامها من قبيلة لمتونة في نشر الإسلام، جنباً إلى جنب مع تنشيط حركة التجارة بين بلاد السودان وشمال إفريقية عبر الطرق الصحراوية حيث كان ملك اودغشت يسيطر على جميع ملوك السودان ويؤدون اليه الجزية [٢٨] .

ولا شك في أن هذه الصلات المتنوعة، وهذه الجهود البارزة قد أدت إلى انتشار الإسلام في غربي إفريقيا، ولما كانت غانة جزءاً من غربي إفريقيا، فلا ريب أن الإسلام دخلها وانتشر فيها بدرجات متفاوتة [٢٩] ، وانتشر الاسلام في فولاني الهوسا عن طريق التجار والدعاة من البربر والعرب، وازداد اعتناق الفولانيين له ، بل اشتهر الفولانيون في بلاد الهوسا بحماسهم الشديد للعقيدة الإسلامية ، وشدة حرصهم على اقتناء الكتب العربية الإسلامية ، واتجهوا إلى التفقه فى الدين، وأخذوا على عاتقهم مهمة بث الدعوة بين الوثنيين وبرز عدد كبير منهم فى العلم ، وانتشروا في الدول الإسلامية المجاورة يدعون للاسلام ، ولاسيما فى مالى والبرنو ، وجاء اسلام ملك التكرور وارجابي بن راييس سنة (٤٣٢هـ / ١٠٤٠ م) وكان عنصراً هاماً في ازدياد انتشار الإسلام ، وهو صاحب الفضل في إسلام أهل (سلى) وهذه الجهود البارزة ، قد أدت إلى انتشار الإسلام فى غربى أفريقية [٣٠] .

وقد توجه ابو بكر بن عمر الى الجنوب الشرقي لبلاد السودان واستطاع القضاء على الملوك الوثنين وابعاد الخطر عن مملكة التكرور الاسلامية [٣١] الموجودة في الجنوب الغربي التي كانت بمناوشات دائمة مع مملكة غانة الوثنية [٣٢] ، وقد أدى نجاح الامير ابوبكر هذا الى السيطرة على حقول الذهب الغنية أهم مصادر الثروة في السودان في ذلك الوقت ، كما زادت هجرات قبائل المرابطين الى تلك الانحاء ، فأدى ذلك الى اختلاط هذه القبائل بأهل المنطقة وأزداد بالتالي عدد الداخلين في الاسلام ، أما الشعوب التي لم تقبل الدخول في الاسلام فقد فرت الى الجنوب أو الغرب .

- **الاثر السياسي للفولانيون :**

أقام الفولانيون أكثر من دولة فى بلاد السودان الأوسط والغربي، سواء أكان ذلك خلال وثنيتهم أو بعد إسلامهم، ومن أقدم ما يعرف عن اثر تاريخ الفولانيين السياسي ، ماقيل بصدد إقامتهم الأولى في مملكة غانة الوثنية[٣٣] ، بأن أول حكومة قامت في غانة ، كانت من البيض ومن الفولانيين، وذلك منذ القرن الأول الميلادى، وإن هذه الحكومة

أصبحت ذات بأس ونفوذ خلال القرن الرابع الميلادي ومن الدول الكبرى أو الإمبراطوريات التي أسسها الفولانيون ،إمبراطورية (ماسنه Massina)[٣٤] في حوض النيجر الأوسط، وبدأت منذ حوالى القرن ٩ م ، وصارت إسلامية منذ حوالى القرن ٥هـ / ١١م ، بفضل حركة المرابطين، وقيل إن الحكم في ماسنه كان دولة بين الفولانيين وبين البربر، وقد تعرضت ماسنه لغزو إمبراطورية صنغى الإسلامية عام ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢م زمن أسكيا صنغي داود[٣٥] (ت ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م).[٣٦]

ان اول اثر يمكن العثور عليه في الحياة السياسية للقبائل الفولانية هو اشتراكهم مع قبائل السوننك Soninke [٣٧] في تكوين امبراطورية غانة الوثنية[٣٨] ، وقد كانت غانة مملكة عظيمة قبل دخول العرب اليها متكونة من عدة قبائل افريقية وكونت قبائل السوننك اول حكومة لهم ، وأول حكومة قامت في غانة ، حكومة من البيض ، يقال إن ما ترجع إلى حوالى القرن الأول الميلادي، ثم صارت ذات بأس وسطوة خلال القرن الرابع الميلادي ، والمتواتر في بعض المصادر، أن جماعة من المهاجرين البيض جاءت من الشرق ، أو من شمالي أفريقيا ، ومن برقة بصفة خاصة ، واستطاع هؤلاء البيض أن يبسطوا نفوذهم على قبائل بلاد السودان الذين عاشوا بينهم ، وظهر بين البيض زعيم قوى اسمه كارا Kare استطاع أن يؤسس دولة في منطقة اوكار [٣٩] ، وظلت سلالته تحكم هذه الدولة حتى قرب نهاية القرن الثامن الميلادى ، ورجح الباحثون ان هؤلاء البيض هم من اليهود السوريين او انهم جاءوا من الحبشة وبهم دماء عربية وأنهم هم الذين أسسوا حكومة غانه الأولى [٤٠] .

وان هناك من الباحثين لا يكتفي بأن الفولانيون اشتركوا بحكومة غانة الوثنية وحسب بل جاوزها الى القول بأن الاصول الاولى لملوك غانة هي من الفولان البيض الافريقيون من الفولانيون، وقد بلغ عدد ملوك غانة قبل البعثة النبوية المشرفة نحو (٢٠) ملكا [٤١] ، وان اول الملوك الذين ذكروا (كيمع) وهناك من ملوك غانة من عاصر فترة ظهور الاسلام والرسول(ﷺ)وهو (كسنغي) وهو الملك في زمن رسول الله (ﷺ)ويقال له الف خيل مربوطين في داره ورغم الاراء المختلفة في اصول هؤلاء الملوك الذين حكموا غانة قبل الاسلام الا ان هناك من الباحثين من رجح بأنهم ليسوا من بلاد السودان الاصليين (الماندنجو) وذهبوا بالقول بأنهم من القبائل الصنهاجية [٤٢] .

وقد قامت اسرة في القرن٢هـ/ ٨ م تحكم مملكة غانة الوثنية وهي اسرة (ال سيسي) [٤٣] ، وقد استطاعت هذه الاسرة من حكم مملكة غانة الوثنية وطرد حكامها الاوائل من البيض الفولانيون .

كما يذكر لنا صاحب تاريخ الفتاش نصا عن نهاية حكم البيض الفولانيون في غانة الوثنية فيقول :

" ثم أفنى الله ملكهم ، وسلط أرذالهم على كبرائهم من قومهم واستأصلوهم ، وقتلوا جميع أولاد ملوكهم ، حتى يبقروا بطون نسائهم ويخرجوا الجنين ويقتلهم " [٤٤] .

وقد هاجر الفولانيون نحو منطقة جديدة وهي (التكرور)[٤٥] ، فقد اتجهوا مع أنصارهم إلى بلاد تكرور ، حيث اختلطوا بالتكاررة ، ونجحوا في التحكم السياسى فى منطقة تكرور [٤٦] ، وقد نجح الفولانيون في بسط نفوذهم في بلاد التكرور وتكوين تجمعات قبلية ساهمت هذه التجمعات في انشاء تحالف في بلاد التكرور، وقد ساعد الفولانيون حركة المرابطين [٤٧] بفتح واحتلال مملكة غانة الوثنية ، فعندما توفي عبد الله بن ياسين سنة ٤٥٠هـ – ١٠٥٨م خلال معركة مع قبيلة برغواطة سيطرت على الطرق المؤدية إلى مدينة طنجة المطلة على المحيط الأطلسي في أقصى شمال المغرب، ظهرت حركات التمرد ضد المرابطون في الجنوب قام بها الملوك الزنوج وقبائل عاصية، فتوجه أبو بكر بن عمر اليهم ،واستطاع أبو بكر ان ينشر الإسلام بين الزنوج، فدخل الفولانيون في منطقة نهر السنغال الى الاسلام عام ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م كما اتجه أبو بكر إلى مملكة غانة الوثنية وأخذ يهاجمها بقوة وثبات مستعيناً بالفولانيين المسلمين ضد القبائل السوننكي الغانية، وسقطت مدينة كومي صالح عاصمة غانة وضمها المرابطون إلى أراضيهم، ودخل ملك غانة الاسلام ، وبإسلامه دخل الكثير من رعاياه في الإسلام وأصبحت غانة جزءاً من دولة المرابطين [٤٨].

اما الاثر السياسي الاخر الذي يمكن ان نلتمسه للفولانيون هو مساهمتهم الثانية في سقوط مملكة غانة الاسلامية النهائي على يد الصوصو [٤٩] ، والصوصو فرع من الفولانيين ، هاجر من بلاد تكرور وكون طبقة حاكمة في إقليم كانغابا Kaniaga [٥٠] التابع لإمبراطورية غانة ، وظل حكام الصوصو يدفعون الجزية لحكومة غانة فترة طويلة ، حتى

إذا كان فتح المرابطين لغانة عام ١٠٧٦ م ،خرج الصوصو وأعلنوا استقلالهم وانفصالهم عن غانة وأخذوا يتوسعون فيبا حولهم(٥١) .

وفي مطلع القرن القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، استولى أعظم أباطرة الصوصو ، وهو سومانجورو Sumanguru على العاصمة كومي صالح عام ١٢٠٣م ، وبذلك أنهى الصوصو سيادة الملوك الغانيين المسلمين ، ووسع سومانجورو إمبراطورية الصوصو وتوجا نحو الجنوب حيث توجد دولة الماندنجو النامية فى كانجابا ، وهى التى اشتهرت باسم إمبراطورية مالي ؛ ويقال إن سومانجورو قتل أولاد الملك – الماندي من أسرة كينا ، ونجا أصغرهم وهو المشهور في التاريخ باسم (مارى جاطه) أى ولد الأسد(٥٢) .

واستطاع ماري جاطه أن يؤسس جيشاً قوياً ويقوده لقتال الصوصو وينتصر عليهم في معركة كيرينا إلى الشمال من كانغابا عام ٦٣٣هـ – ١٢٣٥م ، وفي عام ٦٣٨هـ –١٢٤٠م سار ماري نحو كومبي صالح واحتلها ودمر ما تبقى منها وأسس دولة إسلامية من قبائل الماندينغ بغربي إفريقيا عرفت بمملكة مالي الاسلامية(٥٣) .

تعتبر معركة كبرينا سنة ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥ م، بداية تحول في قيام مملكة مالي الإسلامية، فقد نتج عن تكوين كيانات مستقلة، ونتج عن صراعها من أجل السلطة، أن آل الأمر أخيرا إلى قبائل الماندجو المسلمة القاطنة في إقليم كانجاب، والتي يرجع إليها الفضل في إنشاء مملكة مالي الاسلامية(٦٢٨هـ – ٧٩٣هـ / ١٢٣٠م – ١٣٩٠م) (٥٤)

ولما انقرضت دولة غانا، خلفها في السلطة أهل مالي، وهم سودان في الأصل، فوسعت سلطتهم كثيرا(٥٥).

وقد كانت القبائل الفولانية تحت حكم مملكة مالي الاسلامية في منطقة السينغال من أوائل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي وحتى القرن ١١هـ /١٧م ، فقد كانت أرض السنغال ضمن مملكة مالي الإسلامية، وإن التكرور هي صاحبة النفوذ في منطقة السينغال تحت إشراف مملكة مالي الإسلامية حتى ٦٣٨ هـ /١٢٤٠م حيث حكم الفولانيون الذين جاؤوا من كانياغا حتى عام ٧٥١ هـ /١٣٥٠م (٥٦) .

وقد اسكن الملك منسا موسى، ملك مملكة مالي الإسلامية بعد رجوعه من الحج احد زعماء الفلان ومكنه من الاستقرار هو وقبيلته في تنبكت، وجني، وجاغه ، إلا أن الملك منسا موسى وأتباعه لم ينج من خطر الفلان، فقد نشبت حروب بين قبائل الفولان وبقية القبائل الاخرى استمرت من سنة ٨٩٠- ٩١٤هـ / ١٤٨١- ١٥١٤م اسفرت عن فقدان مملكة مالي الاسلامية سلطتها على مرتفعات (فوتاجالون)(٥٧) . [٥٨]

شهد نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، وبداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، سيطرة القبائل الفولانية على كل من غينيا وفوتا تورو ، فبعد ان وصلت انتصارات قبائل الفلان على اجزاء من مملكة مالي الى أسماع البلدان المجاورة لمنطقة السودان الغربي وفقد حاول الفولان مد نفوذهم نحو مملكة صنغاي [٥٩] .

وعزز الفولان انتصاراتهم بعبور نهر غامبيا، الذي سمي بأسمهم (ممر الفلان) قسم الأب القائد الفولاني (تنغيلا) قبائله الى جيشين ؛ الاول بقيادته وتوجه صوب مملكة ديارا على أمل الانتصار عليها، إلا أن حساباته كانت خاطئه فانهزم جيشه وفقد حياته على أيدي عمر شقيق أسكيا الحاج محمد ، والجيش الثاني بقيادة ابنه (كولي) فنجح في غزو الفوتا تورو والدجولوف والاستطاع الانتصار على الامراء المحلين[٦٠] .

وحاولت قبائل الفلان أن تفرض نفسها على جل الممالك، التي قامت في السودان الغربي، بخلق تحالفات مع غيرها من القبائل الأخرى، حتى التي بالإسلام، وشكلت هذه التحالفات، خطورة على إمبراطورية سنغاي، زمن السلطان أسكيا الحاج محمد[٦١] .

وتذكر بعض الروايات ان سلطان مملكة سنغاي (أسكيا الحاج محمد) توجه للعالم محمد عبد الكريم المغيلي[٦٢] وسأله عن القبائل الفولانية: " وأيضا جوابكم في المحاربين من فلان وغيرهم معهم أناس من مسوفة وغيرهم، يزعمون أنهم مسلمون وهم ساكنون معهم ملازمون لهم في الرحيل والنزول ويخالطونهم في كل شيء من أموالهم، وأمورهم وخيلهم مع خيلهم، يغزون معهم هذا كان ويحاربون معهم، هو غالب أحوالهم، ومنهم من معهم ولا يحارب معهم، وجيء بهم إلينا فقالوا مانقدر على الخروج عنهم مخافة أن يأخذونا، وإن خرجنا يأخذنا ،غيرهم لأنا مساكين لا نقدر عن الدفاع عن أنفسنا، فرددنا إليهم أموالهم، وقلنا

لهم افترقوا منهم، فهل نترك غزو المحاربين لئلا نضر أولئك المسلمين الذين هم معهم، وأبوا أن يفارقوهم، أو لابد من غزوهم .... " [٦٣] .

فكان جواب المغيلي : " أما المحاربون فلابد من غزوهم ولا بأس عليكم فيمن أصيب بينهم من أولئك المسلمين لانهم ظلموا أنفسهم بالنزول معهم بما لم تعلموا به من أنفسهم وأموالهم حتى فسد فلا شيء عليكم فيه ، وما علمتم به قبل أن يفسد فاجتنبوه وردوه لاهله ، وذلك إذا لم يسكنوا معهم اختيارا ولم يغيروا معهم ولم يعينوهم ، وأما من سكن معهم اختيارا وكان يغير معهم ويعينهم على الفساد ، فهذا منهم فاقتلوه وانهبوا أمواله ولا تقبلوا له توبة إذا مكنكم الله منه " [٦٤]

نستشف من جواب المغيلي عن السؤال مفاده محاربة المحاربين بغزوهم، وإذا ما أصيب أحد من المسلمين الذين بينهم فلا جناح عليكم؛ لأن المسلمين الذين بينهم ظلموا أنفسهم بتواجدهم معهم، وحتى أموالهم إذا فسدت فلا شيء عليكم، وإذا غنمتم شيئًا من أموالهم، يقصد المسلمين، فردوه إليهم ، ونستشف ايضا من النص السابق حالة الهلع والخوف التي كان عليها السلطان أسكيا الحاج محمد، وتخوفه من قوة الفلان، وإظهار نفسه بالقوي وكذلك بالدبلوماسية التي يتمتع بها بعدم إظهار خوفه من قبائل الفلان، وتقديم نفسه لهم بحرصه عليهم، وأنهم لا يمثلون شيئًا إذا ما أراد تأديبهم واستخدام المغيلي باعتباره طرفاً محايداً ، وقد أعطى لنفسه الشرعية في ضرب الفلان باستخدام الحق الشرعي المنبثق من
الشريعة الإسلامية، باستفتاء محمد المغيلي ، اما المغيلي في جوابه فهو يفتي وفقاً لما يمليه عليه السلطان وتحقيق مآربه لابما تمليه عليه الشريعة الإسلامية .

لذلك شغلت قبائل الفلان المنطقة الشاسعة من السودان الغربي، وحملت لواء نشر الإسلام في أدغال إفريقيا، واعتنقت جل أفخاذها الدين الإسلامي، منذ زمن عقبة بن نافع وما يؤكد إسلامهم ما أفتى به أحمد بابا التنبكتي بأنه لا يجوز استرقاقهم؛ لأن الغالب في قبائلهم الإسلام، وتم الافتاء في شراء فلاني السودان لأجل التمليك والاسترقاق بأنهك : " إن شراء فلاني هذه البلاد لأجل التمليك والاسترقاق لايجوز في معظمهم، لأن الغالب في قبائلهم الإسلام " [٦٥] .

فكانت القبائل الفولانية من اوائل القبائل السودانية التي دخلت في الاسلام بحكم قدمهم واشتراكههم مع العرب المسلمين زمن عقبة والدليل الثاني مساعدتهم العسكرية للمرابطين كما ذكرنا في غزو مملكة غانة الوثنية وقد جاءت هذه الفتاوي في نهاية القرن العاشر الهجري تنهي عن استرقاقهم أو محاربتهم كخارجين عن الدين الاسلامي في زمن حكومة مالي وسنغاي الاسلامية ، فكان الاثر السياسي للقبائل الفولانية كبيرا لغرب افريقيا بأشتراكههم بتأسيس الحكومات من جنس الفولاني ودخولهم في طاعة الحكومات الاسلامية أو هجراتهم الى مناطق وتأسيس حكم خاص بقبائلهم .

- الاثر الاداري للقبائل الفولانية :

ان نظام الحكم في افريقية القديم كان أرستقراطي بحت، إذ يتوارث الحكام مناصبهم كابرا عن كابر وزمام الملوك، ويعاونهم أمناؤهم من كبار مواليهم المخلصين لهم ، ومن رؤساء جنودهم الحارسين لمملكتهم ، أما القضاة فكبير كل عائلة قاضيها، ورئيس كل قبيلة حاكمها، وقاضي القضاة هو الملك الذي يعتبر نفسه نائبا عن الله في أرضه ، ولكل كبير ورئيس حق سماع القضايا الصغرى في ناحيته وولايته الخاصة، أما القضايا الكبرى فإنها ترفع إلى مجلس الملك فيجتمع الأعيان لسماعه والنظر فيها ، وليس لهم قانون مدون في كتاب، إنما يحفظون في صدورهم ما يتوارثونه عن أسلافهم من تقاليد وعادات. أما العقوبات فأولها القتل لمن قتل نفسا بغير حق، أو كان لصا محاربا أو خائنا للوطن هذا هو النظام السائد في جميع الأقطار الإفريقية قبل ظهور الإسلام[٦٦] .

ولما جاء الإسلام ودان به كثير من أقطارها عمل أمراؤها وملوكها بالنظام الإسلامي، وكان للعلماء والفقهاء دور عظيم في تبيين أحكام الله ورسوله فيما يصدر للناس في حياتهم الفردية والاجتماعية، وعلى كل إقليم أو قطر إسلامي ملك أو سلطان يحمل لقبا معينا مثل : (الما) لأهل برنو، و(المنسا) لأهل مالي، و(أسكيا) لأهل سنغاي و(سركي) لأهل هوسا ، وأكثر أولئك السلاطين علماء وفقهاء، وإذا لم يكن السلطان نفسه عالما فقيها اتخذ أحد العلماء المبرزين وزيرا يدير له الدولة على وفق الشريعة [٦٧] ، أما الفولان فقد كان كان نظامهم في روحه اسلامي حيث هناك امير يقود القبائل وشيخ يرشدهم ومن الصفات التي يجب ان تتوفر فيهم [٦٨] :

١ – أن القوة (السلطان) لا تمنح لمن يسعى إليها .

٢ – الحاجة إلى الشورى .

٣– التخلى عن القسوة .

٤ – العدل .

٥ – الأعمال الصالحة .

لقد كان نظام الحكم لدى القبائل الفولانية قائما على كل من المناصب الادارية التالية :

١– الأمير :

لكل قبيلة من قبائل الفلان أمير يسير شؤونها في تلك المدينة أو المنطقة، ويعتبر السلطة العليا، وله حق القرار في السلم والحرب، وفي مدينة تنبكت كان أميرها زمن السلطان منسا موسى الحاج محمد الحسكي ، وفي عهد دولة سنغاي كان أميرها كاوور ، والأمير الشيخ بن عبيد بن عمرو بن العامي ، وكانوا يلقبون انفسهم بأمير المؤمنين [٦٩] .

٢– الشيخ :

كان لكل فخذ من أفخاذ الفلان شيخ يأتمرون بأمره وهو المسؤول عن حفظ الأمن وفض المنازعات . أما في حالة الانتقال سعيا وراء الماء والكلاء، فإنه يرجع إلى الأمير في ذلك؛ بقصد الاستشارة والإعلام، وكان الدور الاكبر للشيخ ايضا ان يكون امام اكبر للصلاة عند الفولانين ، وكان شيخ بلدة جاغ الشيخ محمد فاطم بن محمد توري في فترة دولة سنغاي ، وكانت نص البيعة للشيخ تكون كالاتي : إنه لا يتأتى للناس أن يكونوا هملاً من غير وال ، فبايعنا الشيخ على السمع والطاعة في المنشط والمكره وبايع هو على اتباع الكتاب والسنة ، وليضبط أمرنا ، وهو قبل ذلك كان إمامنا وأميرنا[٧٠] .

٣– الامام :

الإمام منصب روحي عند قبائل الفلان والذي يتولى هذا المنصب يشترط فيه ، أن يكون حافظاً للقرآن الكريم ، ومتبحراً في الفقه، واللغة العربية، ونحوها . للإمام خيمة معروفة في كل جماعة من جماعات الفلان، يحفظ أبناءهم القرآن الكريم، ويعلمهم تعاليم الدين الإسلامي، وإليه المرجع في المسائل التي تشكل عليهم . ومن أشهر الرجال الذين تولوا

منصب الإمامة (كولافون جلو)، وهو من العلماء الأجلاء، وله مؤلفات وشروح في الفقه والنحو، وغيره، وكذلك من الذين تولوا منصب الإمام الحاج لب الفلاني[٧١] .

٤ – حاكم الاقليم ساركي :

ويلقب حاكم الإقليم بلقب (ساركي Sarki) وهى كلمة هوسية معناها : حاكم أو والى أو أمير ، وبجوار حاكم الإقليم مجلس استشارى وحامية لحفظ الأمن وأداء الخدمات الحربية المكلف بها من قبل العاصمة، إذ كان على جميع الولايات أن ترسل قوات عسكرية إلى الشيخ فى العاصمة للاشتراك في الحملات الحربية التي يعدها الشيخ[٧٢] .

– الاثر الاجتماعي للقبائل الفولانية :

لقد كان الفولانيون يمتزجون بالزنوج بالمصاهرة والاختلاط، ويذوبون في المجتمع الأفريقي دون قهر أو ضغط، ولذلك تقبل الجميع الإسلام وقاموا بدورهم بنشره بين مواطنيهم ومثل ذلك فعل دعاة الماندنجو الذين انتشرروا في جميع بلاد غرب أفريقيا ، وقد كانت جماعة الفلاني تتألف من عدة قبائل صغيرة متناثرة تحيا حياة رعوية وقد دانت هذه الجماعة بالإسلام في وقت مبكر، وكان افراد القبائل الفولاني مسالمين ونشيطين في اعمالهم اليومية .

ان الفولانيون يشبهون العرب ومعظمهم يتكلم العربية، لأنهم يتعلمونها في مدارسهم، ولأن القرآن شريعتهم مكتوب بهذه اللغة وإلمامهم على وجه العموم أكثر بالعربية من إلمام أهل أوروبا باللاتينية، إذ أن معظمهم يتكلمها مع أن لهم لغة غير مهذبة تسمى : فولي ؛ ويعيشون قبائل أو عشائر، ويبنون لأنفسهم مدناً، ولا يخضعون لأي ملك من ملوك البلاد التي يقيمون فيها، مع أنهم يعيشون في أراضي هؤلاء الملوك، وذلك لأنهم كانوا إذا أسيء إليهم – في قوم هم يعيشون بين ظهرانيهم – هدموا مدنهم وارتحلوا إلى قوم آخرين؛ ولهم رؤساء من أنفسهم يحكمونهم حكماً معتدلاً، إلى حد أن كل عمل تقوم به الحكومة يبدو كأنه عمل الشعب أكثر من أن يكون عمل فرد من الأفراد؛ وهذا النوع من الحكومات يدار دولاً به في سهولة ويسر، الأهالي أصحاب طبيعة هادئة، ولأنهم تعلموا جيداً ما هو عدل وما هو حق، حتى أن من يقترف الشر منهم يكون موضعاً لكره الجميع[٧٣].

أما عن صفات وطبيعة شعب الفلان فإنه تغلب عليه الطيبة، وهذا ما أكده عبد الرحمن السعدي حينما قال : " وأما جلف فهم خيار من الناس فعلا وطبيعة وطبائعهم تباين طبائع

سائر الفلانيين في كل وجه، وخصهم الله تعالى بمحاسن الأخلاق ومكارم الأفعال ومحامد السير، وهم في تلك الناحية الآن بقوة عظيمة ومتنة جسيمة أما النجدة والشجاعة فليس لهم نظير فيها، وأما العهد والوفاء فمنهم ابتدأت وإليهم انتهت في تلك الناحية " (٧٤)

وهذا النص فيه إشارة لقبائل الفلان لأنه قارن طيبة جلف بطيبة سائر الفلان، أي كل الفلان، الأمر الذي يؤكد عراقة هذه القبائل وأصالتها؛ حتى صارت مضربا للأمثال بين القبائل الأخرى، وقوة لها وزنها في منطقة السودان الغربي ، والفلانيون شعب مسلم تطبعت عاداتهم وتقاليدهم بتعاليم الإسلام من حيث أحوالهم الشخصية، وقد اثرت تعاليم الاسلام بالقبائل الفولانية ومن تلك العادات الزواج، والولادة والختان والطلاق والملكية ، وسنقوم بعرضها كالتالي :

١- **الزواج** : أن الفلانيين كانوا في بدائيتهم متحررين من الزواج، بل يعاشر كل منهم من تعجبه وترضاه من النساء، ولم يكن يمنع الزواج من اختطاف المتزوجة ، وقد ألغيت هذه العادات والتقاليد باعتناق الفلانيين الإسلام، فأصبح الزواج قانونا يجب احترامه وينعقد تبعا لمقتضيات تعاليم الشريعة الإسلامية أي بين شخصين بالغين، وبرضا الوالدين أو ولي الأمر، وبمهر يتضمن ضرورة بقرة، وغيرها، وبشهادة رجلين وغالبا ما لا يستشار المتزوجان في زواجهما، لأن أب الولد، أو وليه يتكفل بالمهر، ونفقات الزواج، ويستقل الزوج بعد سنة من أبيه، الذي يعطيه قطعانا من الأبقار، ولما تتم إجراءات الخطبة ينعقد الزواج، ويدوم ثلاثة أيام من الفرح، والمرح والصخب تصحبها أطعمة، وأشربة خاصة، ثم تعود الفتاة بعد اليوم الثالث إلى بيت أبيها، وتبقى مدة تطول أو تقصر حسب عادات المنطقة (٧٥) .

٢ - **الولادة:** تنجب المرأة الفلانية كغيرها من إفريقيات كثيرة ، مولودها الأول في بيت أبيها بمساعدة أمها،أو امرأة قابلة، فتذبح البقرة، والضأن عند الولادة، وتبقى الأم مع مولودها في بيتها سبعة أيام في آخرها تنعقد العقيقة، أي تسمية المولود وتذبح الشاة، فتهدى إلى المولود أبقار من أبيه وخاله وإخوته الكبار، ويختار الاسم حسب تعاليم الإسلام بإعطاء أحسن الأسماء.

وللفلانيين أسماء تقليدية بجانب الأسماء الإسلامية غالبا تدل على مرتبة الولد أو البنت، فالذكور يسمون: الأول، حمادي Hamadi، أو حم Hamma ،والثاني سامبا Samba ،

أو سامبو Sambo ، والثالث، ديمبا Démba والرابع، باتي Paté، والخامس، بيرو Yéro ، والسادس نيوبو Niobbo، والسابع ليلا Lella. وأما البنات، فتسمى الأولى، بسيرا Sira ، أو) ديكو Diko) والثانية، كومبا Koumba ،والثالثة بيندا Penda ،والرابعة تاكو Takko ،والخامسة، دادو Dado والسادسة ديمو Démmo ، والسابعة سيبو Sebo ، وكان الفلانيون ينسبون الابن إلى الأم، فيقال: حمادي كومبا Komba، حمادي آمنة Hamadi Amina ، وعندما أسلموا أصبح ينسب الابن إلى الأب، كما ينسب إلى مسقط رأسه مثل الماسني، الجنوي... الخ. (٧٦)

٣ – **الطلاق:** أن الفلانيين لم يكونوا متعددي الزوجات، الا ان الطلاق شائع ومتفش فيهم، لأن المطلقة يمكنها أن تتزوج ثانيا، وثالثا فأكثر. وإذا كان الطلاق من المرأة بغير مبرر، فللزوج حق استعادة المهر، أما إذا كانت المبادرة من الزوج، فليس له الحق في ذلك(٧٧) .

أما عن زي قبائل الفلان ، فإن أهلها يرتدون دراريع مفتوحة من الامام وحذاء مصنوعا من جلد البقر والإبل ، ويضفر رجالهم ونساؤهم شعرهم على السواء ويتزينون بالحلي والسيوف والحراب (٧٨) .

– **الاثر الاقتصادي للفولانيون :**

لم يكن الفلانيون فلاحين ولا أصحاب مهن وإنما اعتنوا كل اعتناء بتربية الماشية دون غيرها، بيد أن ذلك لا ينفي وجود قطاعات اقتصادية أخرى مثل الزراعة والتجارة وصيد السمك ، واشتهر الفولانيون اكثر في تربية الماشية (البقر) ، فالبقرة أعز ما يمتلكه الفلاني، فهي أول ثروته وآخرها، فحياة الفلاني كلها مرتبطة بها. فهي أول ما يهدى للمولود يوم ولادته، ويوم عقيقته، والولد يبدأ في سنه الخامسة برعي العجول، والعناية بها، ويتدرب في سنه الثانية عشرة على رعي البقر صحبة الرعاة البالغين ليستقل بها في سنه الثامنة عشرة، فيضحي كل حياته لها وقد نسجت أساطير كثيرة حول علاقة الفلاني بالبقرة (٧٩)، اذ اعتبرت قبائل الفولانيون بأن كل أبقار العالم خلقت له وحده ، ومن أساطير الفلانيين أن البقرة سبب وجودهم فأسطورة الخلق تقول: "في البدء خلق الله البقرة، لكنها بقيت وحيدة، فرق له حالها، وخلق لها المرأة لتخدمها، لكنه وجد أن المرأة نفسها تحتاج إلى من يخدمها فخلق

لها الرجل في خدمتها. هكذا كان منذ البداية، وهكذا يكون إلى النهاية المرأة وراء البقرة، والرجل وراءهما الإثنين " [٨٠] .

- تربية الماشية:

تربية الماشية نشاط اقتصادي أساسي للفلانيين لاسيما الأبقار، إذ كان لكل قبيلة في دلتا نهر النيجر مراعي يسهر على شؤونها، ويقرر أيها تصل إلى هذه المراعي، ويعطى مقابلا من حليب أو عجل إذا كانت القطعان أكثر من أربعين بقرة ، وقد نظمت تربية الحيوان وقننت مؤسستها ووضعت جملة من الإجراءات، فمدنت الفلانيين البدو الرحل لكي تتمكن من فرض الإسلام عليهم، ومراقبة الأقاليم مراقبة دقيقة، وصارمة ، فنوع الفلانيون أغذيتهم بمقايضة الحليب مع الإنتاج الزراعي والسمكي، وسمح للمزارعين وصيادي السمك من الانتفاع بالحليب ومشتقاته كما وفرت الأبقار الأسمدة للمناطق الفلاحية مما ضعف الإنتاج الزراعي فضلا عن أن التمدن غير كثيرا من عادات الفلانيين وتقاليدهم .

وانتشر الفولان بتربية البقرة على حافة الصحراء، وفي مدن بورنو وكوبر ، وقد وصف الوزان مدينة بورنو الواقعة على منبع نهر النيجر بأن سكانها " يسكن الجبل رعاة يرعون البقر والماعز " [٨١]

اما عن مدينة كوبر فقال الوزان عنها : توجد هذه المملكة بين جبال شاهقة تضم عددا كبيرا من قرى يسكنها رعاة الغنم والبقر ، لأن فيها كمية وافرة من هذه الانعام لكنها قصيرة القامة " [٨٢] ، ولوفرت البقر عن الفولان فقد كان يهدون منها الكثير الى حكام بلدانهم مقابل صلح بينهم فمنحوا قرابة ست آلاف بقرة [٨٣] .

الاثر العلمي للقبائل الفولانية :

ان الفولانيون انتقلوا في شتى مراكز غرب افريقية وهذه الهجرة ارفدتهم بروابط ثقافية مسلمة ، فقد روي ان فرع من القبائل الفولانية تسمى بـ (الجعل) نسبة الى الامير العباسي ابراهيم بن سعيد بن فضل بن عبد الله بن عباس ولقب بهذه اللقب لما كان يجعله لهذه القبائل التي تجمعت حوله [٨٤] ، ويفهم مما ذكر أن العباسيين عموما وجد الجعليين خصوصا واهله قد مروا بغرب ووسط السودان حيث أنشأوا فيها العديد من المراكز الإسلامية

واختلاطهم عن طريق التزاوج مع قبائل تلك المناطق والبلدان التكرورية وغيرها ويظهر ذلك في الأسماء والالقاب العديدة لزعماء الجعليين ذات الصلة المباشرة بغرب السودان .

وقد اشتهر من الفولانيون بالخطابة حيث كان محمد بن كداد بن ابي بكر الفلاني بالخطابة في الجامع الكبير بتنبكت [٨٥] ، وللجامع الكبير وقع خاص في نفوس أبناء تنبكت ، وهالة روحية ، فهم يعتقدون أن عمارة تنبكت ، وازدهارها مقرونة بعمارة صومعة الجامع الكبير ، مرد ذلك إلى الهيمنة الروحية التي كانت تسيطر عليهم ، ومن المحتمل أن نكون قد نسجت حوله خرافات وأساطير ، أعطته هذه الهالة والقداسة الروحية لقد تعاقب على هذا المسجد عدد من الأئمة، وقد تولى الإمامه من بعده محمد الفلاني بأمر من قاضي تنبكت ، واستمرت إمامته إلى أن توفي عام تسعة وثمانين وتسعمائة ٩٨٩هـ / ١٥٨١م[٨٦].

ومن الائمة بجامع تبكت ايضا من الفولان عبدالسلام بن محمد دك الفلانى تولى منصب الامامة في العام الثانى والثلاثين والألف ١٠٣٢هـ / ١٦٢٢م ، وكذلك الإمام محمد الوديعة بن الإمام محمد سعيد بن الإمام محمد كداد الفلاني ، وهو الذي كان إماماً للمسجد زمن المؤرخ عبد الرحمن السعدي ،وقد استطاع بذلك علماء الفولان ان يتصدروا مكانة عليا في ممالك السودان الغربي في مجالات التدريس والوعظ والتأليف والإرشاد وكان علماء الفولاني يمثلون أقلية في ممالك الهوسا، ولكن كان لنجاحهم في القيام بالنصح والإرشاد والحجة القوية استطاع العلماء ان يتمتعوا بسلطات ومكانة تضارع السلطات السياسية ، فكياتهم الديني مستمد من مكانتهم بوصفهم علياء يحافظون على قيم المجتمع ، ولقد استطاع علماء الفولاني السيطرة على المناصب القيادية مثل منصب الوزير والقاضي والإمام وغيرها من مناصب الدولة التي نصت عليها الشريعة الإسلامية [٨٧].

- المراحل التعليمية عند الفولانيين :

ادت المؤسسات والمعاهد التعليمية في افريقيا جنوب الصحراء عامة وعند الفولانيين خاصة دوراً بارزاً في إثراء الحركة الفكرية ، وقد وجد التعليم حظوة متميزة لدى الحكام والشعب ، نظراً لما كان يتيح لطالبه من مكانة مرموقة في المجتمع بعد تحصيله وكان السلم التعليمي يمر بثلاث مراحل هي : مرحلة التعليم الأولى ، ومرحلة التعليم المتوسط ومرحلة التعليم المتقدم أو (العالي) ، أما الذين يقومون بالعملية التعليمية فهم الأساتذة ، وعادة

يمنحون رواتبهم عن طريق القاضي، من خزانة بيت المال ، أو من طرف أولياء أمور التلاميذ ، أو بعض الصدقات ، وأما القراءة التي كانت منتشرة في افريقيا فيما وراء الصحراء فهي قراءة ورش ، ومن هنا ندرك تأثير المغرب الأقصى الحضاري في افريقيا فيما وراء الصحراء خاصة وقد كان الخط المغربي هو السائد في الكتابة ويبرز ذلك من الكم الهائل للمخطوطات السودانية المكتوبة بالخط المغربي(٨٨) .

- اولا/ مرحلة التعليم الأولى بيبنارو Bibimarou: (الكتاتيب)

إن الذي يقوم بهذه المرحلة من التعليم هى الكتاتيب ، وقد اختلفت تسميتها في غرب السودان بإختلاف قبائلها ،وتطلق قبائل الفولانيون عليهم ديا لجانتى اي مرحلة الحضانة وهي مرحلة يعتبر الطفل فيها مجرد مشارك، لا يجبر على القراءة، وإنّما الغاية من حضوره إلى السيد (الكتاب) تعويده على بيئة المدرسة ومما يلقن في هذه المرحلة : (عشت ونُعشت) اي تأكل حتى تشبع لتبقي لأستاذك ، ويدرب الطفل في هذه المرحلة على بعض من المحادثة، والمحاورة، والحساب، فإن استطاع العد حتى عشرة يعتبر مؤهلا لتعلم حروف التهجي(٨٩) .

تعد هذه المرحلة حجر الأساس في التعليم ، وهى البوابة الأولى التي يدخل منها الطالب إلى مدارج العلم ، فعندما يصل عمر الصبي الى السابعة او مادونها يعهد به والده إلى معلمي الكتاتيب لتعليمه مبادئ القراءة والكتابة العربية وتحفيظه النصف الاخير من القرآن الكريم وكذلك تدريبه ، على الصلوات الخمس ، ولكن أداءها لايصبح إجبارياً عليه الإ في سن العاشرة ، حيث يتعرض الصبي للضرب الخفيف والشتم إذا لم يؤدها في أوقاتها المحددة . وكان تحفيظ القرآن الكريم هو آخر شئ في هذه المرحلة فبعد أن يتعلم الصبي القراة والكتابة يدخل لتعلم القرآن عن طريق الألواح ، حيث يكتب عليها الصبي ايات من القرآن الكريم وعندما يحفظها يمحوها وهكذا (٩٠).

- ثانيا / مرحلة التعليم المتوسط :

وهي المرحلة الأساسية بالتعليم وهي التي تسمى بالفلانية بمرحلة فوسونارو، لم يكن الإلتحاق بهذه المرحلة محدداً بعمر معين ، بل كانت الفرصة متاحة لجميع الذين أكملوا تعليمهم الأول بنجاح بحفظهم نصف القرآن أو كله ، ويدخل الطفل (التلميذ) في الكتاب في

سنه السابعة غالبا، فيلقن الحروف الهجائية حرفا حرفا دون شكل من سورة الفاتحة إلى سورة الفيل، فيقرأ "بسم الله الرّحمن الرّحيم" كما يلي:

با، سينيجي، مين بيسو، ألف، لام، لام ، ها بِيبُو، ألف، لامْ، أَرا، هَا لِيَندُو، مِيمٌ، أَلف جويدو، نون بيسو، ألف، لام، أرّ ، حَالِيندو، يا توبي، ميمْ بِيسُّو. (٩١) ، وتسمّى دراسة الحروف الهجائية خالية من الشكل من سورة الفاتحة إلى سورة الفيل بوور ووردي wourwourde ، ثم ينتقل الطفل إلى المرحلة الثانية، وهي مرحلة سيغيري Siguire يبدأ فيها دراسة الحروف مع أشكالها المختلفة بصوت كل حركة ، وقد اخترع المؤدبون الفلانيون تيسيرا لتلاميذهم وتقريبا لفهمهم أسماء لبعض أحرف التهجي العربية، وأشكالها، فاعتبروا رسم الحروف في صورها وأوضاعها في الكلمة محاكاة لأعضاء الإنسان أو الحيوان، أو الأشياء المشاهدة ، وهذا ما سهل للتلاميذ أن يثبتوا في أذهانهم أسماء هذه الحروف ببساطة عن طريق المقارنة.

وإذا عرف التلميذ الحروف مشكولة، وبدأ القراءة، تكتب له آية، أو آيات أو سورة في لوحه بدءا من سورة الفاتحة، فالمعوذتين، والإخلاص ، و لا يمحو التلميذ درسه إلا إذا استظهره عن ظهر قلب، ثم يمرن على الكتابة بأن تكتب له الأحرف في لوح، وتسطر فيه خطوط مستقيمة في لوحه، ويدرب على إمساك القلم، ومحاكاة الأحرف، والكلمات حين يتقدم، وتسلم له ورقة من المصحف في إناء يحتوي على درسه توضع عن يساره والدواة على يمينه (٩٢) .

أما أماكن الدراسة في هذه المرحلة، فعادة مايتم في المدارس والمساجد ، كجامع سيدي يحيى في مدينة ، وفي هذه المرحلة تدرس الكتب المبسطة ، تتمثل في دروس اللغة والمبادئ الأولى في العلوم الشرعية ، والمنطق والحساب ، وكان الطالب في هذه المرحلة يتدرج من دراسات المؤلفات البسيطة ، إلى دراسة المؤلفات المفصلة مع شروحها وحواشيها ، أما الذين يقومون بالعملية التعليمية في هذه المرحلة والمرحلة القادمة فهم الاساتذة (٩٣).

- **ثالثا/ مرحلة التعليم العالي سانتارو Santarou:**

وهي مرحلة جد متقدمة في السلم التعليمي لا يلتحق بها إلا المتفوقون ويتخصص الطالب في هذه المرحلة بدراسة فنون تمكنه من الحصول على إجازة، أو إجازات تسمح لحاملها أن يدرس ويعتبر الدارس متمكنا بتكرار الختم للكتب، وسرعة جوابه عن بيان المسائل التي

يطلب منه حلها ، أما الشهادات الممنوحة، التي يتوج بها الطالب الدراسة فتسمى بالإجازة، وهي التي يعترف الشيخ بموجبها للدارس على يديه بأنه وصل إلى مرحلة من الثقة، وأنه مؤهل للتدريس و تتضمن الإجازة المكتوبة تصريحا من الشيخ بأن طالبه حضر عليه مواد متعددة، وبرع في مادة خاصة منها (٩٤)

احتضنت تنبكت هذا التعليم ، متمثلة في جامعة سنكري ، التي كانت مقرا للتدريس وكان يدرس بها صفوة من العلماء، ونظام الدراسة هو عبارة عن حلقة ، على هيئة نصف دائرة ، يوضع كرسي المدرس في مركزها ، ويجلس في مواجهة المدرس أنجب الطلبة ، ومهمته سرد النص فقرة إثر فقرة ويقوم المدرس بالشرح والتعليق عليه ، ويطلق على ذلك الطالب المسرد ، ولا يختص بالسرد الطالب فقط ، بل يتطوع عالم أو فقيه لهذه المهمة ، وقد أفاد السعدي أن ان محمد بن المختار النحوي ، كان يسرد كتاب الشفاء ، بمسجد سنكرى ، وكان عالماً بالعربية ، وعند وفاته تولى هذه المهمة ابنه عبدالله ، ولم يقتصر التدريس فى هذه المرحلة على جامعة سنكرى ، بل كانت الزوايا والمساجد هي الأخرى مكاناً لتلقي العلم ، وكان مسجد سيدي يحيى بمدينة تنبكت ، والجامع الكبير بمدينة جاو ، ومسجد جني ، ومسجد اقدز ، ومسجد محمد الفزاني من بين أماكن التدريس (٩٥).

كان الفولانيون يكافئون ابنائهم المتعلمين ، بأن الذي يختم ا القرآن لأول مرة، تقام له وليمة، وتقدم له هدايا من الملابس والبقر، وتقدم إلى مؤدبه أيضا الهدايا من البقر واللباس وغيرهما،ويدعى إلى الوليمة زملاء التلميذ من الدراسة، وتلاميذ الكتاتيب الأخرى، وشيوخهم، وأقارب التلميذ، وتذبح الضأن، والثيران، وتوزع الأطمعة على الأسر، فتختم الوليمة بتلاوة القرآن، وبالدعوة للتلميذ بالنجاح والتوفيق ، وإذا ختم التلميذ القرآن يبدأ دراسة مبادئ الفقه، ويتعمق فيه، أو يواصل تلاوة القرآن حتى يحفظه حفظا جيدا، ويعرف كل تفاصيل رسمه لينتقل إلى دراسة رمزه، ومعرفة عدد كل كلمة وردت في القرآن والإشارة إلى الآية التي وردت فيها الكلمة المعدودة، فالذي يصل إلى هذه الدرجة، يعتبر حافظا متقنا يشد إليه الرحال لمن يريد التخصص في القرآن (٩٦).

وقد أهتم الفولانيون بالكتب المقررة بمناهجهم كالتي معتمدة ببلاد المغرب الاسلامي ، أي أنها شملت كل الفنون المتداولة فيه كالفقه وأصوله والتوحيد، والحديث والتفسير واللغة، وأهم هذه الكتب ما يلي[٩٧] :

- **الفقه المالكي:** الأخضري والمرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر الفاسي (ت. ١٠٤٠هـ /١٦٤٠م) والعشماوية، وإرشاد السالك، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني (ت.٣٨٦هـ/ ٩٩٦م) ، وتحفة الحكام لابن عاصم (ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م)، و مختصر خليل (ت.٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)، والمنتقى للباجي (ت.٤٧٤هـ / ١٠٨١م)، والمدونة لسحنون (٢٤٠هـ / ٨٥٤م) ، وجامع المعيار للونشريسي (ت٩١٤هـ / ١٥٠٨م)، والمدخل لابن الحاجب (ت. ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) ، والبيان والتحصيل لابن رشد الجد – القرطبي (ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م) .
- **أصول الفقه:** ورقات إمام الحرمين، وجمع الجوامع، و ألفية العراقي ، وموافقات الشاطبي
- **اللغة والأدب:** ابن دريد ، والمعلقات، والمقامات، وفي النحو والصرف الآجرومية، وملحة الإعراب، وقطر الندى وبل الصدى، وألفية ابن مالك بشرحيه البهجة المرضية للسيوطي، وابن عقيل، ولامية الأفعال، وفي العروض الخزرجية والكافية، و في التوحيد البرهان، وأم البراهين وحكم ابن عطاء الله(ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م)، وشرح الكواكب الوقادة، والمراصد في التوحيد لابن العربي.
- **الحديث** : الموطأ وصحيحا البخاري (ت. ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، ومسلم (ت ٢٦١هـ / ٨٧٥م)، والشفا للقاضي عياض ت.٥٤٤هـ/ ١١٤٩م.
- **البلاغة:** المفتاح، وتلخيص القزويني، والأساس للزمخشري
- **التفسير** : تفسير الجلالين .

ويمكن أن نستنتج إلى أن التعليم الإسلامي لدى الفلانيين شبيه بما هو موجود، ومألوف عند كافة الشعوب المسلمة الأخرى غير العرب فانطلاقا من القرآن، وانتهاء إلى التفسير، والتصريف، فالدارس يتعلم لغته أكثر مما يتعلم العربية، أي أن كل ما يدرسه مفسر، وموضح بلغته، لذلك نجد جهابذة من العلماء يرجع إليهم في حل المعضلات، والمشكلات، ويفهمون تمام الفهم كل مؤلف بالعربية من الشرعيات، والأدبيات، لا يكادون

يكونون جملة عربية مفيدة في المحادثة والمحاورة، وإن استطاعوا، وهو نادر فبشق النفس، فسبب ذلك بسيط جدا، وهو أن وسيلة ملكة اللغة هي الدرية والمراس وهما لم يتيسرا لهؤلاء العلماء غالبا، فترتب على هذا النظام تسرب مفردات عربية كثيرة إلى لغات الشعوب التي اعتنقت الإسلام.

- أثر اللغة العربية على اللغة البولارية (الفولانية):

لقد كانت اللغة الفولانية تكتب بحروف عربية ، ودون الفولاني والهوسا بالحروف العربية ورسموا أصوات لغاتهم بها، واطمأنوا إلى كتابة أدائها وتداولها ، ثم صارت حديثا تكتب بالحروف اللاتينية لكن لاتزال الحروف العربية مستخدمة إلى اليوم فى الرسائل الخاصة بين الفولانيين، والثابت أن هناك تشابها كبيرا بين اللغة الفولانية واللغة العربية ، وان الاشتقاقات الفولانية تشبه الى حد كبير تشبه الاشتقاقات العربية [٩٨]

وقد أحصى الباحثون الاثر اللغوي للغة العربية في اللغة الفولانية على المستوى المعجمي فوجدوا هناك ما يقارب ١٨٠ كلمة مرتبة ترتيبا أبجديا عربيا ومن هذه الكلمات [٩٩]:

اللغة العربية	اللغة الفولانية
الله	Alla
الإسلام	Lislaam
الاجل	Lajal
حساب	Hissa
تاريخ	Taariik
منبر	Minbar
ملائكة	Malayka

بالاضافة إلى التأثير في الاعلام، وحصرت حوالي ٥٢ اسما علما مذكرا و ٣٣ اسما علما مؤنثا.

ويلاحظ في القائمة ان الحروف المبدوءة بالميم أكثرها دخولا حيث تبلغ الكلمات إلى ٢٦ حرفا ، وقد كان للتجارة العربية مع غرب افريقية دورا في نشر الاسلام واللغة العربية لذلك كانت الثقافة العربية دورا في قيام الدويلات بعد سقوط مملكة غانة الوثنية سنة ٤٦٩هـ على

يد المرابطين، مما ساعد في نشر اللغة العربية من خلال حفظ القران الكريم والاحاديث النبوي الشريف [١٠٠] .

ووصل التأثير الحاصل من اللغة العربية في اللغة الفولانية هو مقارنة الصوامت الموجودة في اللغة العربية بالصوامت التي في اللغة الفولانية فإذا ما نظرنا في الصوامت التي في العربية ومدى تأثر اللغة الفولانية بها فإننا لا نجدها بالكيفية التي عليها في العربية، بل نجد هذه الصوامت يحدث في عدد منها تغيير إما بالإبدال أو بالحذف أو التمديد يتمثل ذلك في جملة من التغيرات أو التحوير، فهنالك صوامت موجودة في اللغة العربية وهي غير موجودة في اللغة الفولانية ، فالصوامت الموجودة في اللغة العربية دون اللغة الفولانية ثلاثة عشر صامتا وهي : (الثاء – الحام – الخام – الذال – الزاي – الشين – الصاد –الضاد الطاء – الظاء – العين –الغين – القاف)، وهذه الصوامت الثلاثة عشر لا يتم نطقها في اللغة الفولانية كما تنطق في العربية وإنما تمتثل لقواعد الإبدال وأحيانا فمثلا :

الثاء : فهي تبدل تام كما في كلمة (ثلاثاء) في اللغة العربية فهي في اللغة الفولانية (تلات talaata)

وتبدل (سينا) كما في: كلمة (الثاني) في اللغة العربية فهي في اللغة الفولانية (سانsaani)

الحاء : تبدل هاء كما في كلمة (حاجة) في اللغة العربية فهي في اللغة الفلانية (هجه hajjaa)

الخاء : كما في كلمة (الخميس) في اللغة العربية فهي في اللغة الفولانية (الكميس alkamiisa) وهكذا... الخ [١٠١]

وكان اثر اللغة العربية على اللغة الفولانية في المجال الديني ، بأن الفلاني أول كلمات ينطق بها عند دخوله الإسلام يجب أن تكون باللغة العربية إضافة إلى حفظ آيات من القرآن الكريم لأداء الفرائض والتي على رأس قائمتها الصلاة ومن هذه الألفاظ : (لا إله إلا الله لاي لاي للا lay lay lalla ، إن شاء الله إن سلا insaalaa ، الله alla ، صلاة سلاة salaatu ، صحابة سحابيبه sahabeebe ، عباد إباد ibaadu ، قبله qibla ،بسم الله بسمادي bismaade ، النبي أنبي annabe) [١٠٢] .

أما في المجال التجاري فأن الأثر الذي تركه الفولانيين بعد ان اختلطوا بالعرب قبل دخول الإسلام، هو معرفة طريق التبادل التجاري الذي حدث بين تجار شمال القارة الإفريقية وتجار غرب القارة، الأمر الذي تطلب معرفة أسماء بعض البضائع والسلع، وأسماء المقاييس، والأوزان، والأطوال، والذي من خلاله تسربت عدة ألفاظ عربية ضمن اللغات الإفريقية، في غرب القارة الإفريقية، الأمر الذي سهّل عملية التبادل، والتفاهم بين التجار، من كلا الطرفين، إضافة إلى التجار المتجولين الذين وصلوا بتجارتهم إلى غرب القارة، وأغوارها، ومن هذه الألفاظ على سبيل المثال: (مرجان marjaani ، زعفران سافران saafaraan ، ياقوت yaaguuti ، شعير سئير saiiru ، زيتون جيتون Jaytuuni ، جوهر جوحر jawhar ، شرط سرط sardu ، لؤلؤ لولو luluyi ، ناقص نكسي nakkisii ، حق هك hake) [١٠٣] .

أما في مجال الحساب الزمني للشهور والأيام فقد تأثرت اللغة الفولانية بجميع لهجاتها باللغة العربية في تسمية الأشهر القمرية بينما اختلفت التسميات بين عدد من هذه اللهجات في بعض الأشهر، ولكن ما يهمنا هو أن أشهر لهجات اللغة الفولانية قد تأثرت في تسميتها للأشهر القمرية باللغة العربية، ولكن هذا التأثر اختلف من لهجة إلى أخرى فمثلا : (شهر " محرم" في منطقة يسمى "هاران haaran" بينما في منطقة اخرى فهو يسمى "حارم haram" ،ربيع الاول مولود mawlundu ويعني شهر ميلاد الرسول(ص) ، ربيع الثاني دو مولود dewo mawluudu تعني الذي يلي شهر ميلاد الرسول(ص)، شعبان jawaa أو sabbordu اي الشهر الذي ينتظر به قدوم شهر الصيام ، رمضان كورك koorka أو suumajee أو sumajru بمعنى الصوم او الصيام) [١٠٤] .

ونلاحظ من خلال ما تقدم أن التأثير واضح، مع وجود تغير في بعض الأصوات التي قد تحتفظ بتركيبتها وهيئتها حسب الموجود في الأصل العربي في بعض الأحيان كما في " ياقوت" فقد احتفظت بما هو موجود في أصل الكلمة، وكلمة "زعفران" التي أصابها التغير فأصبحت بعد دخولها إلى الفولانية " سافران " أن اللغة العربية دخلت وتداخلت في اللغات الإفريقية وقد ساعدها على ذلك أنها لغة القرآن الكريم، وأنها من ضروريات أداء الشعائر الإسلامية الأمر الذي دفع بالشعوب الإفريقية إلى ضرورة تعلمها حتى وصلت إلى

مراتب متقدمة في عملية التخاطب اليومية بين أبناء هذه الشعوب خاصة المسلمة ، ان انتشار اللغة العربية كان في اغلب الأحيان مساير لانتشار الإسلام ، وباعتبارها لغة الدين الذي اعتنقه غالبية السكان واليها يرجع الفضل في دفع الحركة العلمية إلى المزيد من الانجازات و ساهمت بدور فعال في تلاحم الحضارتين العربية والإفريقية، واحتلت العربية مكانة مرموقة بين الفولانيون وتنافسوا لاكتساب مختلف المعارف فكانت هي المحرك الأساسي بعد الدين الإسلامي لتقدم حواضر غرب إفريقيا في مختلف المجالات .

ويمكن القول ان الحياة العلمية للفولانين تميزت بزعامتهم للخطابة في جوامع ومساجد غرب افريقيا كما الحال في الأزهر بمصر والزيتونة في تونس، كانت هذه المراكز تضم أساتذة وعلماء من مختلف البلدان الإسلامية، وكانت تعتبر مصادر المعرفة والثقافة الإسلامية ، وفيما يتعلق بالعلوم الإسلامية، كانت القبائل الفولانية تدرس القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه الإسلامي، وكانت تعمل على نشر هذه العلوم في بلدانها وفي الدول الأخرى التي كانت تعرف تأثيرًا إسلاميًا.

كما كانت القبائل الفولانية مهتمة بمجالات العلوم الأخرى، مثل الفلك والطب والرياضيات والفلسفة، كانت هذه القبائل تنظر إلى العلم بشكل شامل، وكانت تؤمن بأن العلم هو وسيلة لتحسين حياة الإنسان وتطوير المجتمع وكانت المقررات الدراسية كتلك الموجودة في بلاد المغرب الاسلامي ، كما كانت القبائل الفولانية تتميز بالثقافة الأدبية الغنية بحكم تأثرها باللغة العربية وادخالها في حياتهم اليومية من خلال النطق والمعاملات ، وتواجه هذه القبائل التحديات الحديثة التي تهدد بالتأثير على هذا التراث، مثل الهجرة والتحولات الاجتماعية والتغييرات الاقتصادية والسياسية ومع ذلك، يظل الفولانيون ملتزمين بتعليمهم وثقافتهم وتراثهم العلمي، ويعملون على نشره وتعزيزه وتطويره وهذا يساعد على تطوير المجتمعات الإفريقية والحفاظ على التراث الثقافي الإسلامي .

الـخلاصـة :

يمكن تلخيص ما توصلت اليه من خلال دراستنا لموضوع (اثر الفولانيون في جنوب غرب الصحراء الافريقية) بعدة نقاط وهي :

- أختلفت الروايات حول النسب الفولاني الا انهم يرجعون انفسهم في الكثير من الروايات والنصوص المكتوبة الى النسب القرشي وان الفاتح عقبة بن نافع تزوج صفية بن جعفر بن ابي طالب ومن ولدهم تفرعت القبائل الفولانية وهم بذلك يفتخرون بالانتساب الى العرب والاسلام ، وان السبب في تركيز الفلانيون أصولهم على العنصر العربي وحده دون سواه، فالسبب هو الإسلام ليس غير فالفلانيون لم يشذوا عن القاعدة، لأن الانتساب إلى العروبة دأب وديدن نجدهما عند كافة الشعوب المسلمة رغبة في "التبرك" بالرسول صلى الله عليه وسلم والتشرف به فالفلانيون ليسوا أول، ولن يكونوا آخر من ابتدع ذلك،أما الغربيون، فقد أوردوا أصولا أخرى غير العربية للفولانيون كالاصل الروماني والاصل البربري والاصل السامي اليهودي ، تلك أهم النظريات حول أصول الفلانيين، ونلاحظ أنها كلها تنفق على شيء واحد وهو الأصل المشرقي سواء تعلق الأمر بالشام ومصر أم بشرق إفريقيا ومن هنا نستطيع القول إن الأصل الفلاني شرقي، ويرجح أن يكون من شرق إفريقيا .
- أستطاعت القبائل الفولانية تأسيس اقدم امبراطورية قامت على ايديهم عرفت في الغرب الإفريقي ، جنوب الصحراء الكبرى وهى إمبراطورية التكرور ، نسبة الى مدينة حملت هذا الاسم (التكرور) منذ الألفية الأولى قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام. وقد اشتهر هذا الاسم على مدار تاريخ المنطقة عند المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين ، فلفظة "الفلاته" مرادفة للتكرور حتى أصبح أى إنسان ينتمي إلى الغرب الإفريقى يعرف بـ .. تكرور (المفرد) والجمع على تكارير.
- تعد القبائل الفولانية الجنس الوحيد، من بين مختلف قبائل منطقة الغرب الإفريقي التي تنتشر في مناطق السودان الغربي والأوسط، انطلاقاً من جمهورية موريتانيا غرباً حتى جمهورية السودان شرقاً أى من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر ، نهض أبناؤه بدور حيوى فى نشر الدين الإسلامي بين . سكان غرب ووسط إفريقيا. كما نشروا ثقافة تحفيظ

القرآن الكريم بين سكان المنطقة ذاتها . وهم الأكثر انقياداً لهذا الدين والأكثر إسهاماً في نشر من خلال الأدب التأليفى وعن طريق المأثورات الشفوية المنقولة ثقافته في إفريقيا جنوب الصحراء .

- كانت القبائل الفولانية في هيكلتها الاجتماعية التقليدية قائمة على الانتساب إلى الأم مثل معظم الشعوب، ولما أسلموا، أصبح الولد ينسب إلى أبيه، ثم تطور مجتمعهم من مجتمع بدوي، متنقل إلى مجتمع حضري مستقر حين تطور نشاطهم الاقتصادي، فانقسم إلى طبقات.
- لم يكن الفولانيون فلاحين ولا أصحاب مهن، وإنما اعتنوا كل اعتناء بتربية الماشية دون غيرها، بيد أن ذلك لا ينفي وجود قطاعات اقتصادية أخرى مثل: الزراعة والتجارة، وصيد السمك ، واشتهر هذا الجنس بحيازة الثروة الحيوانية وبالتالي احترف أبناؤه تربية الماشية بصفة أساسية بذلك حازت القبيلة بشقيها "الفولبي والتوروبي" القوة الاقتصادية للمنطقة المعتمدة على تربية الحيوان والزراعة .
- الفلانيون شعب مسلم ، دخل الإسلام اليهم في المرحلة الأولى بإفريقيا عبر عدة معابر ومسالك المعبر المصري عن طريق النوبة، وبورنو وبلاد الهاوسا ومعبر شمال إفريقيا عبر الصحراء بالاتجاه إلى حوض نهر النيجر، وذلك منذ القرن الأول الهجري السابع الميلادي، أي في نفس القرن، الذي انتشر فيه الإسلام بالجزيرة العربية ، وكانت المرحلة الثانية مع المرابطين أو الملثمين الذين نشروا الإسلام بين البربر، أولا على يد عبد الله بن ياسين الجزولي (ت ٤٦٩هـ / ١٠٥٩م) ، ثم اتجهوا جنوبا إلى بلاد السودان حيث كانت أمبراطورية غانة مسيطرة، فقضوا عليها واحتلوا عاصمتها سنة (٤٥١هـ / ١٠٧٦م)، فأرسلوا دعاة، ومعلمين إلى السودان الغربي، وازداد بحركتهم انتشار الإسلام وتوسعه، توزعوا في الطرق الدينية السائدة في غرب إفريقيا، وبنوا مراكز علمية وتجارية اتخذ بعضها عواصم لهم تؤمن التعليم بمراحله المختلفة .
- ان اللغة البولارية (الفولانية) تأثرت وتتداخلت مع اللغة العربية والثقافة على المستوى المعجمي وخاصة ما يتصل منها بالمصطلحات الدينية الكثيرة التداول وكذلك على مستوى اسماء الاعلام ، نتج عنه إنشاء المدارس العلمية التقليدية ذات الإشعاع العميق في دنيا

الثقافة فحسب بل في انشاء دول وإمارات سياسية، ولكل دولة أو إمارة منها ميدان مجيد في تبني الفكر الاسلامي وثقافته واتخذت اللغة العربية أداة كتابة في الاتصالات العامة بين الوجهاء والولاة والحكام .

قائمة المصادر والمراجع :

١- ابن الفقيه ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت ٣٦٥هـ)، البلدان، تح : يوسف الهادي ، (بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٩٦م).

٢- بن حوقل ، ابو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي(المتوفى: بعد ٣٦٧هـ)، صورة الارض ، (ليدن ، افست ، ١٩٣٨م).

٣- ابن خلدون ، أبو زيد، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ) ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تح : خليل شحادة ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٨م) .

٤- القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري (ت ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١٢م) .

٥- ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ)، تاريخ دمشق ،تح : عمرو بن غرامة العمروي ،(دمشق ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٩٩٥م).

٦- ابو العرب ، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي (ت ٣٣٣ هـ) ، طبقات علماء إفريقية ، (بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٠م).

٧- أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ) ، المختصر في أخبار البشر ، (القاهرة ، المطبعة الحسينية المصرية ، ١٩٦٨م).

٨- البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، المسالك والممالك ، (بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، ١٩٩٢م).

٩- التنبكتي ، محمود كعت ، تاريخ الفتاش ، تح : ادم بمبا ،(بيروت ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، ٢٠١٤م).

١٠- الحموي , شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان،(بيروت ، دار صادر، ١٩٧٧م) .
١١- الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح: احسان عباس ، (بيروت ، مؤسسة ناصر للثقافة ، ١٩٨٠م) .
١٢- السعدي، عبد الرحمن، تاريخ السودان، (باريس ، المدرسة الباريزية ، ١٩٦٤م).
١٣- المغيلي ، محمد عبد الكريم ، اسئلة الاسقيا واجوبة المغيلي ، تج : عبد القادر زبابديه ، (الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤م).
١٤- الوزان ، الحسن بن محمد الفاسي (ت ٩٥٩هـ / ١٥٥١م) ، وصف افريقيا ، تر : محمد حجي ومحمد الاخضر ، (بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٣م) .

المراجع :

١- احمد ، الحاج موسى كامره ، زهور البساتين في تاريخ السودانين ، تح : ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني ، (مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود ، الكويت ، ٢٠١٠م) .
٢- عبد الله ، عبد الماجد ابراهيم ، الغرابة الجماعات التي هاجرت من غرب افريقيا واستوطنت سودان وادي النيل ودورهم في تكوين الهوية السودانية ، (الخرطوم ، دار الحاوي ، ١٩٩٨م.
٣- الالوري ، ادم، الاسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني ، (بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ٢٠١٤م) .
٤- باري ، عثمان برايما، جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الافريقي ، (القاهرة ، دار الامين ، ٢٠٠٠م) .
٥- باري ، محمد فاضل علي ، سعيد ابراهيم كريدية ، المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٧م).
٦- الدوري ، تقي الدين ، خولة الدجيلي ، تاريخ المسلمين في افريقية ، (ابو ظبي،هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة ،٢٠١٤م).

٧- الدالي ، الهادي المبروك، التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء، (الزاوية ، مطابع الوحدة العربية، ٢٠٠١م).

٨- الدالي ، الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر ، (القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٩م).

٩- مرجان ، سحر عنتر ، فقهاء المالكية واثارهم في مجتمع السودان السودان الغربي في عهدي مالي وصنغاي (٦٢٨ – ١٠٠٠هـ/ ١٢٣٠- ١٥٩١م) ، (القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠١١م).

١٠- طرخان ، ابراهيم علي، امبراطورية غانة الاسلامية ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠م).

١١- عبد الرزاق ، عبد الله ابراهيم ، المسلمون والاستعمار الاوروبي لافريقيا ، (الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٣٩ ، ١٩٨٩م).

١٢- الفلاتي ، عبد الرحيم ، الفلاتة في افريقيا ومساهمتهم الاسلامية والتنموية في السودان ، (الكويت ، دار الكتاب الحديث ، ١٩٩٤م).

١٣- فيجي دي، تاريخ غرب إفريقيا، تر: يوسف نصر ،(القاهرة, دار المعارف, ١٩٨٣م).

١٤- كامره ، موسى أحمد، زهور البساتين في تاريخ السواديين، تح: ناصر الدين سعيد ،معاوية سعيد ،(الكويت ،٢٠١٠) .

١٥- مؤنس ، حسين ، الاسلام الفاتح ،(القاهرة ، مطبوعات رابطة العالم الاسلامي ، ١٩٨١م) .

الرسائل الجامعية :

١- ابن فودي ، عبد الله بن محمد بن عثمان الفولاني (ت ١٢٤٥هـ) ، ضياء التأويل في معاني التنزيل ، تح : دخيل محمد دخيل ، جامعة المرقب ، رسالة ماجستير ، ٢٠١٠م .

٢- جاكايتي ، محمد ، الفلانيون واسهامهم في الحضارة الاسلامية بمالي خلال القرنين (١٢-١٣هـ / ١٨ - ١٩ م) ، جامعة الزيتونة ، اطروحة دكتوراه ، ٢٠٠٧م .
٣- جي ، محمد المختار ، فوتا السنغالية ودورها في نشر الحضارة الاسلامية في غرب افريقيا ، جامعة الزيتونة ، تونس ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠١م .
٤- محمد ، ابراهيم حامد ، دور قبيلة الفلاتة في تحقيق الامن الاجتماعي في السودان ، جامعة ام درمان الاسلامية ، رسالة ماجستير ، ٢٠١٦م .

المجلات العلمية :

١- ابراهيم ، عبد الله عبد الرزاق ، الحياة الثقافية والفكرية في نيجيريا في القرن التاسع عشر، الرياض ، مجلة الفيصل ، العدد ١٠٣ ، ١٩٨٥م / محرم ١٤٠٦هـ .
٢- الجميلي ، زينب عبد الرحمن ، دور المرابطين فى نشر الإسلام فى مملكة غانة ، جامعة عين شمس ، مجلة كلية التربية ، مج ٢١ ، العدد ٣ ، ٢٠١٥م .
٣- خالد ، ابو بكر ، العلاقة التاريخية بين اللغة البولارية (الفولانية) واللغة العربية عبر التاريخ ، داكار ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمعهد الثقافي الإفريقي ، ١٩٨٤م .
٤- طرخان ، ابراهيم ، امبراطورية الفولانيين الاسلامية ، مجلة كلية الاداب ، جامعة الرياض (جامعة سعود) ، مج ٦ ، ١٩٧٩م .
٥- محمد ، بشير حسين ، اللغة العربية في الغرب الافريقي وتأثيرها على اللغة الفولانية ، الخرطوم ، مجلة دراسات افريقية ، جامعة افريقيا العالمية ، العدد ٥٧ ، ٢٠١٧م .
٦- مزردي ، فاتح ، وبو خليفي ، جهينة ، واقع العلاقات السياسية بين دولة المرابطين والسودان الغربي ، الجزائر ، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية ، مج ٣ ، العدد ٢ ، ٢٠٢٠م.

الهوامش:

[1] باري ، عثمان برايما، جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الافريقي ، (القاهرة ، دار الامين ، ٢٠٠٠م) ، ص ٣٢٧.

(٢) محمد ، ابراهيم حامد ، دور قبيلة الفلاتة في تحقيق الامن الاجتماعي في السودان ، جامعة ام درمان الاسلامية ، رسالة ماجستير ، ٢٠١٦م ، ص ١٠ .

(٣) باري ، محمد فاضل علي ، سعيد ابراهيم كريدية ، المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٧م)، ص ٢٤ .

(٤) عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر بن النضر بن مالك الفهري ، وأمه من لخم وأبوه نافع بن عبد قيس له صحبة ولم تصح شهد الفتح بمصر واختط بمصر وولي الإمرة على المغرب لمعاوية بن يزيد بن معاوية وهو الذي بنى قيروان إفريقية وأنزلها المسلمين ؛ ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تاريخ دمشق ،تح : عمرو بن غرامة العمروي ،(دمشق ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٩٩٥م)، ج٤٠ ، ص ٥٢٥- ٥٢٧ .

(٥) ابو العرب ، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي (ت ٣٣٣ هـ) ، طبقات علماء إفريقية ، (بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٠م)، ص ٩ .

(٦) الفلاتي ، عبد الرحيم ، الفلاتة في افريقيا ومساهمتهم الاسلامية والتنموية في السودان ، (الكويت ، دار الكتاب الحديث ، ١٩٩٤م) ، ص ١٧ .

(٧) احمد ، الحاج موسى كامره ، زهور البساتين في تاريخ السودانين ، تح : ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني ، (مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود ، الكويت ، ٢٠١٠م) ، ص ١٢٨ ؛ عبد الله ، عبد الماجد ابراهيم ، الغرابة الجماعات التي هاجرت من غرب افريقيا واستوطنت سودان وادي النيل ودورهم في تكوين الهوية السودانية ، (الخرطوم ، دار الحاوي ، ١٩٩٨م)، ص ٩ .

(٨) الفلاتي ، الفلاتة ، ص ١٩ ؛ طرخان ، ابراهيم ، امبراطورية الفولانيين الاسلامية ، مجلة كلية الاداب ، جامعة الرياض (جامعة سعود) ، مج ٦ ، ١٩٧٩م ، ص ٩٨ .

(٩) عبد الرزاق ، عبد الله ابراهيم ، المسلمون والاستعمار الاوروبي لافريقيا ، (الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٣٩ ، ١٩٨٩م)، ص ٣٠ .

(١٠) طرخان ، امبراطورية الفولانيين الاسلامية ، ص ٩٩ .

(١١) الالوري ، ادم ، الاسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني ، (بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ٢٠١٤م) ، ص ١٣١ ؛ طرخان ، امبراطورية الفولانيين الاسلامية ، ص ٩٧ .

(١٢) طرخان ، امبراطورية الفولانيين الاسلامية ، ص ١٠٣ .

(١٣) محمد ، بشير حسين ، اللغة العربية في الغرب الافريقي وتأثيرها على اللغة الفولانية ، الخرطوم ، مجلة دراسات افريقية ، جامعة افريقيا العالمية ، العدد ٥٧ ، ٢٠١٧م ، ص ١٤٤ .

(١٤) طرخان ، امبراطورية الفولانيين الاسلامية ، ص ١٠٣ .

(١٥) خالد ، ابو بكر ، العلاقة التاريخية بين اللغة البولارية (الفولانية) واللغة العربية عبر التاريخ ، داكار ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمعهد الثقافي الإفريقي ، ١٩٨٤م ، ص ٥٢ .

(١٦) باري ، جذور الحضارة الاسلامية ، ص ٣١٦ .

(١٧) الفلاتي ، الفلاتة ، ص ٢٤ .

(١٨) باري ، جذور الحضارة الاسلامية ، ص٣١٧ – ٣١٨ .

(١٩) الفلاتي ، الفلاتة ، ص ٢٢ .

(٢٠) طرخان ، امبراطورية الفولانيين الاسلامية ، ص ٩٩ – ١٠٠ .

(٢١) باري ، جذور الحضارة الاسلامية ، ص ٣٢٠ – ٣٢١ .

(٢٢) الفلاتي ، الفلاتة ، ص ١٩ ؛ باري ، جذور الحضارة الاسلامية ، ص ٣٢١ .

(٢٣) طرخان ، امبراطورية الفولانيين الاسلامية ، ص ١٠٧ .

(٢٤) فوتا السنغالية : تقع على ضفاف نهر السنغال وعلى الجانب الغربي منه ، وتعرف قديما ببلاد التكرور فتحدها من الشرق الى الشمال بلاد شنقيط ومن الجنوب مملكة الجولوف ومدينة التكرور على شاطى النيل ويقصد بالنيل نهر السنغال ؛ أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ) ، المختصر في أخبار البشر ، (القاهرة ، المطبعة الحسينية المصرية ، ١٩٦٨م)،ج١ ،ص ٩٦ .

(٢٥) جي ، محمد المختار ، فوتا السنغالية ودورها في نشر الحضارة الاسلامية في غرب افريقيا ، جامعة الزيتونة ، تونس ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠١م ،ص ١٩ – ٢٠ .

(٢٦) طرخان ، امبراطورية الفولانيين الاسلامية ، ص ١٠٨ .

(٢٧) اودغشت : مدينة بين صحراء لمتونة والسودان، وهي مدينة عظيمة آهلة لكنها صغيرة، وفي صحرائها ماء قليل، وهي بين جبلين شبه مكة في الصفة، وليس بها تجارة كبيرة ولأهلها جمال منها يعيشون، ومنها إلى غانة اثنتا عشر مرحلة وكذلك من أودغشت إلى مدن واركلان إحدى وثلاثون مرحلة، وفي أودغشت أمم لا تحصى، ولها بساتين كثيرة ونخل كثير ؛ الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ا (ت ٩٠٠هـ) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح: احسان عباس ، (بيروت ، مؤسسة ناصر للثقافة ، ١٩٨٠م) ، ص٦٣ .

(٢٨) الحميري ، الروض المعطار ، ص٦٤ .

(٢٩) الجميلي ، زينب عبد الرحمن ، دور المرابطين فى نشر الإسلام فى مملكة غانة ، جامعة عين شمس ، مجلة كلية التربية ، مج ٢١ ، العدد ٣ ، ٢٠١٥م ، ص ٤٧٤

(٣٠) طرخان ، امبراطورية الفولانيين الاسلامية ، ص ١٠٨ ؛ طرخان ، ابراهيم علي، امبراطورية غانة الاسلامية ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠م) ، ص ٤٣ .

(٣١) مملكة التكرور الاسلامية : فريق من أهل السودان الغربي يسكنون حوض نهر السنغال الاوسط ، واصلهم فرع من فروع قبائل الفولاني ، واللفظ تكرور والجمع تكاررة او تكارة ، وهؤلاء الفولانيون او التكرور هم الذين انشأوا مملكة اسلامية في اقليم فوتاتورو في السنغال ؛ مؤنس ، حسين ، الاسلام الفاتح ،(القاهرة ، مطبوعات رابطة العالم الاسلامي ، ١٩٨١م) ، ص ١٠٨-١١٠ .

(٣٢) مزردي ، فاتح ، وبو خليفي ، جهينة ، واقع العلاقات السياسية بين دولة المرابطين والسودان الغربي ، الجزائر ، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية ، مج ٣ ، العدد ٢ ، ٢٠٢٠م ، ص ١٨٥ – ١٨٦ .

(٣٣) مملكة غانة الوثنية : أن بلاد غانا تقع غربي إقليم صوصو وتجاور البحر المحيط الغربي وقاعدته – أي قاعدته هذا الإقليم– مدينة غانة، وهي محل سلطان بلاد غانة . وغانة مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب من صلة ببلاد السودان ، اما حدود مملكة غانا الشمالية الغربية كنت تمتد حتى حدود مدينة سلي على نهر السنغال وبينها وبين مدينة غانا مسيرة عشرين يوما في عمارة السودان القبلية ، أن حدود مملكة غانة لم تكن تمتد على مساحات واسعة في المنطقة الشرقية حيث تنتشر القبائل البربرية أكثر من العناصر السوننكية وغيرها من القبائل الإفريقية ، وقد اختلف الباحثون في تحديد ظهور غانا فمنهم من يرى انها ظهرت في القرن الأول الميلادي ومنهم من يقول وجدت منذ القرن الخامس الميلادي ، وأن منزل ملك السودان يسمى غانا قبل دخول العرب إلى غانة ؛ الحموي , شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان،(بيروت ، دار صادر، ١٩٧٧م) ، ج٤ ، ص ١٨٤ ؛ الدوري ، تقي الدين ، خولة الدجيلي ، تاريخ المسلمين في افريقية ، (ابو ظبي،هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة ،٢٠١٤م)،ص ٢٤٩ .

(٣٤) ماسنه Massina : أو ماسنا أو ماسينا أو ماسنة او ماسن مدينة تقع إلى الشمال من مدينة جني على الضفة اليسرى لنهر النيجر في دولة مالي الحالية وهي موطن سلطنة ماسنة الإسلامية في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، الدالي ، الهادي المبروك، التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء، (الزاوية ، مطابع الوحدة العربية، ٢٠٠١م)، ص ١٢٠.

(٣٥) أسكيا صنغي داود : داوود بن أسكي محمد ولد في الثاني والعشرين من صفر عام خمس وخمسين (ومكث في السلطنة أربعا وثلاثين وأربعة أشهر، وهو احد ملوك صنغاي ، ساعدته الدنيا، فنال ما شاء من دولة ورياسة، التنبكتي ، محمود كعت ، تاريخ الفتاش ، تح : ادم بمبا ،(بيروت ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، ٢٠١٤م)، ص ٢٠٣ .

(٣٦) طرخان ، امبراطورية الفولانيين الاسلامية ، ص ١١٠- ١١١ .

(٣٧) قبائل السوننك Soninke : وهي من فروع « الماند » الأساسية ، أى من مجموعة الشعوب أو القبائل المتكلمة باغة الماند وتنفرد مجموعة السوننك عن بقية فروع الماند الأخرى ، بصفات جثمانية خاصة ، وتقاليد اجتماعية معينة ، وكان السوننك، يقيمون فى الصحراء ، ثم تركزوا بعد ذلك على حافتها الجنوبية ، فيما اشتهر باسم « الساحل » وامتزجوا بالبربر والفولانين ، وهم زراع مرتبطون الأرض ، غير أن هذا لم يحل دون عملهم في التجارة . ولعل اختلاط السونك بغيرهم من العناصر ولا سيما البربر ، هو الذي غير بعض الشيء في ألوانهم ، حتى أن الجلف Wolof يطلقون على السوننك المقيمين في حوض السنغال اسم سيركول أو سراكول Sere-Kule أو Sera Koulé ؛ طرخان ، ابراهيم ، امبراطورية غانة الاسلامية ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠م)،ص ١٨ .

(٣٨) غانة الوثنية : أن بلاد غانة تقع غربى صوصو ، وتجاور البحر المحيط الغربي ، ومدينة غانه محل سلطان بلاد غانة ، وبلاد غانة ينبت فيها الذهب نباتا في الرمل، كما ينبت الجزر، واشتهرت إمبراطورية غانة بهذا الاسم بالنسبة إلى عاصمتها مدينة غانة Ghana أو غاناتا Ghanata وان مدينة ولاتا وهى الواردة في رحلة ابن بطوطة باسم إيولاتن وإنها ليست سوى تحريف لكلمة (غاناتا) ، كما ينطقها السود ،والمعروف أن مدينة ولاتا ، أنشأها المسلمون الجافلون من أهل غانة ، على أثر هجوم الصوصو عليهم (١٢٠٣م) ، والراجح أن كلمة غانة ، كانت أصلاً ، لقباً ، يلقب به ملوك هذه الإمبراطورية ؛ ابن الفقيه ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت ٣٦٥هـ)، البلدان، تح : يوسف الهادي ، (بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٩٦م)،ص ١٣٨. ؛ بن حوقل ، ابو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي(المتوفى: بعد ٣٦٧هـ)، صورة الارض ، (ليدن ، افست ، ١٩٣٨م)،ج١ ، ص ١٠١ .

(٣٩) البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، المسالك والممالك ، (بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، ١٩٩٢م) ، ج٢ ، ص ٨٧١ .

(٤٠) طرخان ، امبراطورية غانة الاسلامية ، ص ٢١ – ٢٢ .

(٤١) التنبكتي ، تاريخ الفتاش ، ص ١٣٥ ؛ طرخان ، امبراطورية غانة الاسلامية ، ص ٢٣-٢٤ .

(٤٢) التنبكتي ، تاريخ الفتاش ، ص ١٣٥ – ١٣٦ ؛ طرخان ، امبراطورية غانة ، ص ٢٤ – ٢٥ .

(٤٣) ال سيسي Sisses: اسرة من السوننك كانت تحكم مدينة وجادوا Wagadu واستطاعت ان تحكم مملكة غانة الوثنية وازالوا حكامها حتى مطلع القرن الثالث عشر الميلادي ؛ طرخان ، امبراطورية غانة الاسلامية ، ص ٢٦ .

(٤٤) التنبكتي ، تأريخ الفتاش ، ص ١٣٦ .

(٤٥) التكرور : براءَيْن مُهملتين، بلاد تُنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب، وأهلها أشبه النَّاس بالزنوج وتكرور اسم للأرض التي هم فيها ، وسُمي جنسهم باسم أرضهم، ويطلق على الموقع في الإقليم الغربي من الجنوب السوداني، وأن تكرور اسم بلدة ومملكة مبكرة من ممالك أفريقيا الغربية التي قامت في الضفة السفلى من نهر السنغال، ويُعتقد أنّها المملكة الإسلامية الأولى في غرب أفريقيا بزعامة ورجبي بن رابح وحين ، وقد اطلق اسم تكرور ايضا على جميع الافارقة القادمين الى الحج ، فقيل : تكارير وتكارِرَة، وتكارين وتكارِنَة والنِّسبة إلى المفرد ؛ البكري، المسالك، ج ٢ ، ص ٨٦٨ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٨ .

(٤٦) طرخان ، مملكة غانة الاسلامية ، ص٢٧ .

(٤٧) المرابطين : دولة نشأت في المغرب الاقصى وسميت بالمرابطية نسبة الى الرباط الذي انشأه مؤسس الحركة عبد الله بن ياسين في جنوب الصحراء الكبرى وتحديدا في بلاد شنقيط التي تحدها من الجنوب بلاد السودان حيث مملكة غانة الكبيرة ، وفي الغرب المحيط الأطلسي، وفي الشرق نهري النيجر عندما يتلوى شمالاً إلى جهة تمبكتو ، وفي الشمال منطقة سجلماسة ، وفي هذه الصحراء كانت تعيش قبائل صنهاجة اللثام البربرية ومن أشهرها قبيلة لمتونة في شمال الصحراء، وتليها جنوباً مسوفة، ثم جدالة بالقرب من السنغال، والنيجر وساحل المحيط، وأسست دولة في المغرب حكمت ٤٤٨- ٥٤١هـ / ١٠٥٦- ١١٤٧م ؛

(٤٨) باري وكريدية ، المسلمون في غرب افريقيا ، ص ٧٠ – ٧١ .

(٤٩) الصوصو : بصادين مهملتين مضمومتين، من أمم من السودان مما يلي البحر المحيط ، وكانوا مستولين على غانة ودخلوا في الإسلام أيام الفتح ، وتقع بلاد الصوصو في جنوب مالي وكانوا مجاورين لمملكة غانة ، والصوصو فرع من القبائل الفولانية هاجروا من التكرور الى حوض نهر النيجر ، واسسوا اسرة ودولة حاكمة في نهاية القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي ؛ ابن خلدون ، أبو زيد، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ) ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تح : خليل شحادة ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٨م) ، ج٥ ، ص ٤٩٥ ؛ القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري (ت ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١٢م) ، ج٥ ، ص ٢٧٣ ؛ مرجان ، سحر عنتر ، فقهاء المالكية واثارهم في مجتمع السودان السودان الغربي في عهدي مالي وصنغاي (٦٢٨ – ١٠٠٠هـ/ ١٢٣٠- ١٥٩١م) ، (القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠١١م) ، ص ٦١ .

(٥٠) كانغابا Kaniaga : مدينة تقع على نهر النيجر وهي اليوم في غرب مالي قرب حدود كينيا ؛ باري وكريدية ، المسلمون في غرب افريقيا ، ص٧٨ .

(٥١) طرخان ، مملكة غانة الاسلامية ، ص ٥٣ .

(٥٢) باري وكريدية ، المسلمون في غرب افريقيا ، ص ٧٨ ؛ طرخان ، مملكة غانة الاسلامية ، ص ٥٤.

(٥٣) باري وكريدية ، المسلمون في غرب افريقيا ، ص ٧٨ ؛ طرخان ، مملكة غانة الاسلامية ، ص ٥٤ – ٥٥ .

(٥٤) مملكة مالي (٦٢٨هـ – ٧٩٣هـ / ١٢٣٠م – ١٣٩٠م): مالّي بفتح الميم وألف بعدها لام مشدّدة مفخّمة وياء مثناة تحت في الآخر وهي المعروفة عند العامّة ببلاد التّكرور وهذه المملكة في جنوب المغرب، متّصلة بالبحر المحيط. وقد سميت مالي بأكثر من اسم فمنها: المالل، مل، مليت، ملل، وكل هذه الأسماء تمثل صورا لأسماء أجنبية البربر والفولاني وهي مشتقة من الكلمة التي تستخدمها كل من: الماندي الجنوبيين، والشماليين، والماندنكا في وادي النيجر، والماندنج في الجنوب والسوننك الذين يتكونون من عنصر الماندي . إن كلمة (مالي) أو مل هي ما عرفت به هذه الدول، وهذه التسمية استعملتها قبائل الفولانيين لبلاد الماندنجو وهي تحوير لكلمة (ماندي) التي تعرف عند السوننك بالعاصمة وكلمة (مالئك) تعني عند الفولانيين رعايا مالي أو سكان مالي . وان هذا إقليم واسطة الأقاليم السبعة الداخلة في هذه المملكة، واقع بين إقليم صوصو وإقليم كوكو: صوصو من غربيه، وكوكو من شرقيّه. حيث انه يقع في منطقة السودان الغربي الممتد من نهر النيجر شرقا إلى المحيط الأطلنطي غربا، وشغلت حوض نهر السنغال، وتمتد من جنوب بلاد المغرب بمحاذاة البحر المحيط إلى جهة الجنوب حيث الغابات الاستوائية . أنها كانت تمتد على طول أحد فروع نهر النيجر لمسافة ٤٨٠ كم، متاخمة لإمبراطورية غانا من جهة الشمال، ويحدها من الجنوب صحارى جبال وعرة ومن الغرب غابات مهجورة حتى المحيط الأطلسي ، وفي هذه البلاد قرية كبيرة تسمى مالي أطلق اسمها على سائر الإمبراطورية، وهي قصر الملك وحاشيته ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٥ ، ص ٢٧١ ؛ فيجي دي، تاريخ غرب إفريقيا، تر: يوسف نصر،(القاهرة, دار المعارف, ١٩٨٣م) ، ص ٥٣ .

(٥٥) السعدي، عبد الرحمن، تاريخ السودان، (باريس ، المدرسة الباريزية ، ١٩٦٤م) ، ص ٩.

(٥٦) باري وكريدية ، المسلمون في غرب افريقيا ، ص ٢٤٢ .

(٥٧) فوتاجالون : تقع في وسط جمهورية غينيا ؛ باري وكريدية ، المسلمون في غرب افريقيا ، ص ٢٠٠ .

[٥٨] الدالي ، الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر ، (القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٩م) ، ص ٢٤٤ – ٢٤٥ .

[٥٩] مملكة صنغاي :مملكة تأسست على ضفاف النيجر الأوسط وحولها رجل ليبي إلى ملكية واعتنق زاكاسي أحد أحفاده الإسلام ، وجعل مقره في مدينة كوكو ، النيجرقبائل جاؤوا إلى بلاد السودان الغربي في إطار الهجرات الكبرى التي اتجهت من الشرق إلى الغرب ويعتقد أنهم نوبيون قدموا في (القرن الاول الهجري/ القرن السابع الميلادي)من ضفاف نهر النيل واعتنقوا الإسلام فقد تدفقت بعض قبائل مغربية – وخاصة قبائل إلى الضفة اليسرى لنهر ، وتأسست عند مدينة دندى؛ كامره ، موسى أحمد، زهور البساتين في تاريخ السوداييين، تح: ناصر الدين سعيد ،معاوية سعيد ،(الكويت ،٢٠١٠) ،ص٣٧.

[٦٠] الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا ، ص ٢٤٥ .

[٦١]أسكيا الحاج محمد: هو مؤسس اسرة الاسكيا الحاكمة في مملكة سنغاي عام ٨٩٨ هـ / ١٤٩٣م ، ويمثل حكمه اقصى درجات التطور السياسي والحضاري الذي وصلت اليه سنغاي ، ويعد من اعظم ملوك سنغاي حيث وصف انه = كان فرج الله على المسلمين الكروب وازال به عنهم البلاء والخطوب حيث اجتهد في اقامة ملة الاسلام واصلاح امور الايام وصاحب العلماء واستفتاهم فيما يلزمه من امر الحل والعقد بين الخلق وهذا يعني انه قاد سنغاي الى موقف اسلامي اكثر تحديدا من تلك السياسة التي تبناها (سني علي) قبله،فقد استطاع ان ينشر الاسلام بين القبائل الوثنية في الجنوب، كما استطاع ان يتعاون مع العلماء والفقهاء من اجل تعميق مفاهيم الاسلام وقد ذهب الى الحج بموكب ضخم يتكون من ١٥٠٠ فارس فضلا عن مجموعة من العلماء والاعيان واخذ معه (٣٠٠) الف دينار ذهبي مما يدل على قوة دولت وازدهارها وفي طريقه الى الحج نزل في القاهرة واستقبله سلاطين المماليك احسن استقبال ؛ التنبكتي ، تاريخ الفتاش ، ص ٩١ .

[٦٢] محمد بن عبد الكريم المغيلي : ينتسب إلى قبيلة مغيلة التي تقطن نواحي تلمسان ، وقد كان من المثقفين وأولى الفكر في عصره ، وقد انتقل بعد إتمام دراسته بالشمال ، إلى الصحراء فسكن توات وتوفي سنة ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م وبها توفى ولا يعرف سبب انتقاله إلى الصحراء ، غير أن حملته على اليهود القاطنين بها في زمانه ورسائله العديدة في موضوعهم تحمل على الظن بأنه وجد ضيقا في العيش بالشمال ، حيث يسيطر اليهود في أهم المدن على مصادر التجارة والمال ، وقد اقعده السلطان الاسكيا الحاج محمد في الفتيا في مملكة السنغاي ؛ المغيلي ، محمد عبد الكريم ، اسئلة

الاسقيا واجوبة المغيلي ، تج : عبد القادر زبابديه ، (الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤م) ، مقدمة المحقق ص ٨ .

(٦٣) المغيلي ، اسئلة الاسقيا ، ص٥٩ ؛ الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا ، ص ٢٤٦ .

(٦٤) المغيلي ، اسئلة الاسقيا ، ص ٦١ .

(٦٥) الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا ، ص٢٤٨ .

(٦٦) الالوري ، الاسلام في نيجيريا ، ص ١٠٥ .

(٦٧) الالوري ، الاسلام في نيجيريا ، ص ١٠٦ .

(٦٨) طرخان ، امبراطورية الفولانيين الاسلامية ، ص ١٢٣ .

(٦٩) الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا ، ص٢٤٣ .

(٧٠) الالوري ، الاسلام في نيجيريا ، ص ١٠٧ ؛ الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا ، ص٢٤٣ .

(٧١) الالوري ، الاسلام في نيجيريا ، ص ١٠٦- ١٠٧ ؛ الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا ، ص٢٤٤ .

(٧٢) طرخان ، امبراطورية الفولانيين الاسلامية ، ص ١٢٤ .

(٧٣) عبد الله ، الغرابة ، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ .

(٧٤) السعدي ، تاريخ السودان ، ص ٧٨ .

(٧٥) جاكايتي ، محمد ، الفلانيون واسهامهم في الحضارة الاسلامية بمالي خلال القرنين (١٢-١٣هـ / ١٨ – ١٩ م) ، جامعة الزيتونة ، اطروحة دكتوراه ، ٢٠٠٧م ، ص ٥٠ – ٥١ .

(٧٦) جاكايتي ، الفلانيون ، ص ٥٣ .

(٧٧) جاكايتي ، الفلانيون ، ص ٥٤ .

(٧٨) الدالي ، التاريخ الحضاري لافريقيا ، ص ٣٨ .

(٧٩) باري ، جذور الحضارة الاسلامية ، ص٣١٧ – ٣١٨ .

(٨٠) جاكايتي ، الفلانيون ، ص ٦٠ .

(٨١) الوزان ، الحسن بن محمد الفاسي (ت ٩٥٩هـ / ١٥٥١م) ، وصف افريقيا ، تر : محمد حجي ومحمد الاخضر ، (بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٣م) ، ج ٢ ، ص ١٧٦ .

(٨٢) الوزان ، وصف افريقيا ، ج٢ ، ص ١٧٠- ١٧١ .

(٨٣) الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا ، ص٢٧٧ .

(٨٤) الفلاتي ، الفلاتة ، ص ٢٢٤ .

(٨٥) الجامع الكبير : يطلق على هذا الجامع بجينكري بيري ، أي المسجد الكبير ، شيده السلطان منسا موسى ، سلطان مالي بعد رجوعه من الحج ، وقد بناه المهندس أبو اسحاق ، الساحلي ، وعبدالله الكومي الموحدي الغدامسي ، على الطراز المغربي الإسلامي، وبنى صومعته على خمسة صفوف ، كان ذلك في أوائل القرن

الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ، وقد الحقت به من جهة اليمين قبورهم ، وهي عادة عند أهالي افريقيا فيما وراء الصحراء، فهم يدفنون موتاهم في رحاب مساجدهم ،ولهذا المسجد موقع ممتاز بتوسطه مدينة تنبكت وقد أجريت على المسجد عدة توسيعات ، كان أولها في السنة السابعة والسبعين وتسعمائة ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م على يد العاقب بن القاضي محمود ، بقصد استيعاب أكبر عدد ممكن من المصلين ، وقد ساهم في توسيعه السلطان أسكيا داوود ، الذي أكمل ما عجز عنه القاضي العاقب بأن بعث بأربعة آلاف خشبة من شجر كنكو فاكمل بناءه في هذه السنة ؛ الدالي ، التاريخ الحضاري لأفريقيا ، ص ١٥٣ .

(٨٦) الدالي ، التاريخ الحضاري لأفريقيا ، ص ١٥٣-١٥٤ .

(٨٧) الدالي ، التاريخ الحضاري لأفريقيا ، ص١٥٤- ١٥٥ ؛ ابراهيم ، عبد الله عبد الرزاق ، الحياة الثقافية والفكرية في نيجيريا في القرن التاسع عشر، الرياض ، مجلة الفيصل ، العدد ١٠٣ ، ١٩٨٥م / محرم ١٤٠٦هـ ، ص ٣١ – ٣٢ .

(٨٨) الدالي ، التاريخ الحضاري لأفريقيا ، ص١٦١ – ١٦٢ .)

(٨٩) جاكايتي ، الفلانيون ، ص٨٤ .

(٩٠) ابن فودي ، عبد الله بن محمد بن عثمان الفولاني (ت ١٢٤٥هـ) ، ضياء التأويل في معاني التنزيل ، تح : دخيل محمد دخيل ، جامعة المرقب ، رسالة ماجستير ، ٢٠١٠م ، ص ١١ ؛ الدالي ، التاريخ الحضاري لأفريقيا ، ص١٦٣- ١٦٤ .

(٩١) جاكايتي ، الفلانيون ، ص٨٤ .

(٩٢) جاكايتي ، الفلانيون ، ص٨٥ – ٨٦ .

(٩٣) الدالي ، التاريخ الحضاري لأفريقيا ، ص١٦٥ .

(٩٤) جاكايتي ، الفلانيون ، ص٨٧ .

(٩٥) السعدي ، تاريخ السودان ، ص٢٩ ؛ الدالي ، التاريخ الحضاري لأفريقيا ، ص١٦٦ .

(٩٦) جاكايتي ، الفلانيون ، ص٨٦ .

(٩٧) جاكايتي ، الفلانيون ، ص٨٨ – ٨٩ .

(٩٨) عبد الله ، الغرابة ، ص ٣٠٠- ٣٠١ ؛ طرخان ، امبراطورية الفولانيين الاسلامية ، ص ١٠٣ .

(٩٩) ابو بكر ، العلاقة التاريخية بين اللغة البولارية (الفولانية) واللغة العربية ، ص ٥٦.

(١٠٠) بشير ، اللغة العربية في الغرب الافريقي ، ص ١٣٥ – ١٣٧ .

(١٠١) بشير ، اللغة العربية في الغرب الافريقي ، ص ١٤٦ – ١٤٧ ؛ ابو بكر ، العلاقة التاريخية بين اللغة البولارية (الفولانية) واللغة العربية ، ص٦٣ – ٦٤ .

(١٠٢) بشير ، اللغة العربية في الغرب الافريقي ، ص ١٥١ .

(١٠٣) بشير ، اللغة العربية في الغرب الافريقي ، ص١٥٢ .

(١٠٤) بشير ، اللغة العربية في الغرب الافريقي ، ص ١٥٢- ١٥٣ .

إسهامات الرحالة العرب والمسلمين بعلوم البحار من القرن الثاني الى القرن السابع الهجري

أ.م.د. احمد نشمي جياد العلياوي

الجامعة العراقية/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

07714860214

Ahmedjiyad1980@gmail.com

إسهامات الرحالة العرب والمسلمين بعلوم البحار من القرن الثاني الى القرن السابع الهجري

أ.م.د. احمد نشمي جياد العلياوي

ملخص البحث:

يُبرز هذا البحث الدور البارز الذي لعبه الرحالة العرب والمسلمون في تطوير علوم البحار خلال العصور الإسلامية، حيث أسهموا في بناء معرفة علمية دقيقة حول وصف البحار وظواهرها الطبيعية، وتميّزت أعمالهم بالاعتماد على الملاحظة المباشرة والخبرة الميدانية، مما جعل تدويناتهم أكثرها شهرة وكتبهم مصادر مهمة للملاحة البحرية, وأسهموا في رسم خرائط بحرية متقدمة ووصف السواحل والجزر بدقة، كما قدّموا معلومات مبكرة عن طبيعة البحار والأحياء المائية والشعاب المرجانية, وقد استفادت الحضارات اللاحقة من هذه الإسهامات، خاصة في عصر الكشوف الجغرافية، مما يبرهن على ريادة الحضارة الإسلامية في مجال الجغرافيا البحرية والمعرفة الملاحية.

الكلمات المفتاحية: (علوم البحار، الجزر والبيئة والطرق البحرية)

Contributions of Arab and Muslim travelers to maritime sciences from the second to the seventh century AH

Assistant Professor Dr. Ahmed Nashmi Jiad Al-Aliawi
Iraqi University/College of Arts/Department of History

Abstract

This research highlights the prominent role played by Arab and Muslim travelers in the development of marine sciences during the Islamic eras. They contributed to building accurate scientific knowledge about the description of seas and their natural phenomena. Their work was distinguished by its reliance on direct observation and field experience, which made their writings the most famous and their books important sources for maritime navigation. They contributed to drawing advanced nautical maps and accurately describing coasts and islands. They also provided early information about the nature of seas,

marine life, and coral reefs. Later civilizations benefited from these contributions, especially in the Age of Exploration, which demonstrates the pioneering role of Islamic civilization in the field of marine geography and navigational knowledge.

Keywords: (Marine sciences, islands, environment and sea routes)

المقدمة

شهدت الحضارة العربية الإسلامية ازدهارًا علميًا واسعًا شمل مختلف فروع المعرفة، وكان لعلوم البحار نصيبٌ بارز من هذا التطور، خاصة مع ازدياد حركة التجارة البحرية واتساع رقعة العالم الإسلامي الممتدة على عده محيطات, وقد لعب الرحالة العرب والمسلمون دورًا مهمًا في تطوير المعرفة البحرية من خلال الأسفار الطويلة، ودراسة الظواهر الطبيعية، وتدوين الملاحظات الدقيقة عن وصف البحار وظواهرها الطبيعية مثل المدّ والجزر، والتيارات البحرية، وأحوال السواحل، وطرق الملاحة، والأحياء البحرية وغيرها، وقد امتازت كتاباتهم بالدقة والموضوعية، مما جعل مؤلفاتهم مرجعًا أساسيًا للبحارة في العصور الوسطى.

ولا شك أن جهود الرحالة العرب والمسلمين كانت ركيزة مهمة في تطور علوم البحار الحديثة, إذ استفاد منها الأوروبيون في رحلات عصر الكشوف الجغرافية، كما أسهمت في بناء فهم علمي أكثر دقة للمحيطات والبحار، مما يعكس المكانة العلمية الرفيعة التي بلغتها الحضارة الإسلامية.

المبحث الاول

وصف البحار

حظية البحار باهتمام واسع لدى الجغرافيين العرب والمسلمين لما تمثله من اهمية كبرى في حياة الامم, وقد ابدع هؤلاء الجغرافيين في وصف البحار والمحيطات وصفاً دقيقاً فجمعوا ما بين الملاحظة الميدانية والرواية التاريخية وتجلى ذلك في مؤلفاتهم التي تناولت مواقع البحار ومن هذه البحار:

أولاً: بحر الظلمات (البحر المحيط)

كانت اول رحلة استكشافية لهذا البحر في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي عن طريق فتية من مدينة لشبونة[1] وعادو من هذه الرحلة بعد تجارب قاسية واهوال شديدة, وكان الهدف من هذه الرحلة التعرف على بحر الظلمات او البحر المحيط من حيث بدايته ونقطة نهايته (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ٥٤٨/٢), انطلق هؤلاء الفتية وكان عددهم ثمانية رجال من أبناء عمومه على مركب اعدوه من قبل لهذا الغرض وحملوا فيه الماء والطعام وما يكفيهم لأشهر، سار هؤلاء الفتية في البحر فوصلوا إلى بحر كثير الصخور قليل الضوء، فأيقنوا بالهلاك حتى غيروا مسيرهم نحو الجنوب (الحميري، ١٩٨٨، صفحة ٦١/١), ثم واصلوا مسيرهم لمدة اثنا عشر يوم ووصلوا إلى جزيرة تدعى جزيرة الغنم، وسميت بذلك لكثرة الاغنام فيها دون راعي (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ٥٤٨/٢), ثم اكملوا مسيرهم نحو الجنوب ووصلوا إلى جزيرة اخرى فيها عمارة وحرث، فقصدوا إليها ليروا ما فيها حتى أحيط بهم مجموعة من الرجال وحملوهم الى دار واعتقلوا لمدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع دخل عليهم رجل يتحدث اللغة العربية، وهو ترجمان ملك الجزيرة فسألهم عن حالهم فأخبروه ما كانوا يقصدون (الحميري، ١٩٨٨، صفحة ٦١/١).

وفي اليوم التالي التقى بهم ملك الجزيرة فسألهم مما سألهم الترجمان فأخبروه ما أخبروا به الترجمان بالأمس, وأنهم اقتحموا البحر ليروا ما به من الاخبار والاحوال والعجائب ويقفوا على بدايته ونهايته (الحميري، ١٩٨٨، صفحة ٦١/١)، وعلى اي حال استطاع هؤلاء الفتية من الرجوع الى لشبونة وحدثوا اهلها بأخبار رحلتهم واطلق عليهم بالفتية المغررين او الفتية المغربين (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ٥٤٨/٢), ووصفه البكري بالبحر الكبير حيث يبلغ طوله ستة آلاف ميل، وعرضه مختلف عليه ما بين الثمانمائة ميل وعشرة أميال، وما بين اثنا عشر ميلا، ويطلق عليه ايضاً باسم البحر الأخضر والبحر المحيط (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٢٠٢/١), ويقع غرب الاندلس والمد يبدأ فيه في الساعة الثالثة من النهار الى الساعة التاسعة ثم تأخذ ست ساعات مع اخر النهار ثم يمد ست ساعات ثم يجزر ست ساعات وهكذا يمد مرة ليلاً وبجزر مرة نهاراً (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ٥٤٨/٢), وعلى ذلك ان الرياح تهيج في البحر في اول الساعة الثالثة من النهار وكلما طلعت الشمس في

افقها كان المد مع زيادة الريح ثم تنقص الريح عند اخر النهار وبداية الليل اي عند ميل الشمس الى الغروب (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ٥٤٨/٢), وقيل ان بقرب هذا البحر بلاد تدعى يورا النهار فيها طويل جداً في فصل الصيف، اي لا تغيب الشمس عنها بمقدار أربعين يوم, وفي الشتاء ليلهم طويل جداً ايضاً اي تغيب الشمس عنهم مقدار أربعين يوم، وبحر الظلمات قريبة جداً منهم (القزويني، ٢٠٠٥، صفحة ٦٢٠).

ثانياً: بحر الخزر (بحر قزوين)

اعطى لنا الجغرافيون وصفاً وضحوا فيه المساحة التي يحيط بها بحر الخزر من الجهات الاربع (شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً) وبعض المدن والمناطق المجاورة, "وبحر الخزر فأن شرقه يطل على بلاد الديلم[٢] وطبرستان[٣] وجرجان[٤] وبعض الصحاري التي تقع ما بين خوارزم وغربه الران[٥] وحدود السرير وبلاد الخزر وشماليه الصحراء الغزية وجنوبه بلاد الجيل وما دانى ذلك" (الاصطخري، ٢٠٠٤، صفحة ٢١٧)؛ (ابن حوقل، ١٩٣٨، صفحة ٢٠٨/٢)؛ (مؤلف مجهول، ٢٠٠٢، صفحة ٢٧)؛ (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ١٥٣/١)، وهذا البحر ليس له اتصال بشيء من البحار على وجه الارض, فلو ان رجلاً طاف بهذا البحر لرجع الى مكانه الذي ابتدأ منه, وهو بحر مالح ولا مد له وهو بحر مظلم قعره طين بخلاف بحر القلزم وفارس (الاصطخري، ٢٠٠٤، صفحة ٢١٧)، ولا يستخرج منه اللؤلؤ والمرجان ولا ينتفع منه بشيء ويركب فيه التجار من أراضي المسلمين الى ارض الخزر، وليس له خليج (الاصطخري، ٢٠٠٤، صفحة ٢١٧)، يحتوي بحر الخزر على جزيرتان إحداهما مقابل دربند الخزر[٦] وتدعى جزيرة الباب، والأخرى تدعى الجبل الأسود أقام فيها مجموعة من الأتراك الغز يمارسون اللصوصية في البحر والبر (مؤلف مجهول، ٢٠٠٢، صفحة ٤٠).

كذلك اطلق عليه البكري باسم البحر الخراساني، طوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل، وهو مدور الشكل إلى الطول (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٢٠٥/١), كما اطلق عليه ايضاً باسم ارقانيا (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ١٥٣/١), وسمي ايضاً باسم بحر طبرستان وجرجان وهي كلها واحد (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ٣٤٢/١), اما ابن الوردي فقد اعطى وصفاً بطوله بالفراسخ قائلاً: "إن دور هذا البحر ألفان وخمسمائة فرسخ،

وطوله ثمانمائة فرسخ وعرضه ستمائة فرسخ، وهو مدور الشكل" (ابن الوردي، ٢٠٠٨، صفحة ٢٤٣)، ومن ابرز المدن الساحلية لهذا البحر مدينة باب الأبواب[٧] في وسطها مرسى للسفن، قد بني على حافتي البحر, وسدين جعلاً المدخل ملتويا، فلا مدخل ومخرج للسفينة إلا بأمر (ابن عبد الحق، ١٩٩١، صفحة ١٤٣/١).

ثالثاً: بحر الصين

اطلق عليه ايضاً باسم البحر الحبشي وبحر الهند والسند وبحر الزنج (البكري، ١٩٩٢، صفحة ١٩٢/١), يبدأ هذا البحر من الصين مروراً ببلاد السودان وصوله الى بلاد الاسلام حيث يلتف على جزيرة العرب وله خلجان كثيرة وشعب وقبل انه يدور على ثلاثة ارباع جزيرة العرب وله لسانين على مصر والحجاز (المقدسي، ١٩٠٦، الصفحات ١٦/١-١٧), وقد اطلق عليه ابن رسته بالبحر الهندي ووصفه بان طوله من المغرب إلى المشرق اي من اقصى الحبش الى اقصى الهند يكون بقدار ثمانية آلاف ميل, يخرج منه خليج عن ارض الحبش بقدار خمسمائة ميل وعرض طرفه مائة ميل, ويخرج منه خليج اخر نحو مدينة أيلة[٨], كذلك يخرج منه الى ناحية فارس يسمى بالخليج الفارسي طوله الف واربعمائة ميل وبين هذين الخليجين اي خليج أيلة والخليج الفارسي ارض الحجاز واليمن, كذلك يخرج منه خليج اخر اقصى الهند يسمى الخليج الاخضر طوله الف وخمسمائة ميل (ابن رسته، ١٩٨٨، صفحة ٨٤), اما البكري فقد وصف طوله من المغرب إلى المشرق ثمانية آلاف ميل وعرضه ألفان وسبعمائة ميل وفي مواضع أخرى ألفا وتسعمائة ميل، وليس في المعمور أعظم منه (البكري، ١٩٩٢، صفحة ١٩٢/١)، كذلك اعتبر من أعظم البحار وأوسعها وأكثرها جزائر وأبسطها على سواحله مدنا، ويتشعب منه خلجان كثيرة أكبرها وأعظمها بحر فارس والقلزم (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ٣٤٥/١).

رابعاً: بحر فارس

وصف بحر فارس بانه فرع من بحر الصين وحدوده من نواحي مكران[٩] على سواحل بحر فارس إلى عبادان[١٠]، وهو فوهه نهر دجلة التي تصب فيه، وأول سواحله البصرة وعبادان، ويمتد بسواحله الى الجنوب حيث عمان (ابن رسته، ١٩٨٨، صفحة ٨٧)؛ (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ٢٩/١).

وبحر فارس وبحر الصين فهم بحر واحد متصل احدهما بالأخر الا انهما مختلفان في طبيعتهما حيث ان بحر فارس تكثر امواجه وتشتد ويصعب ركوبه عند سكون بحر الصين, وسهولة مركبه وقله امواجه عند ارتجاج او هيجان بحر الصين ويبدأ هيجان بحر فارس في بداية الربيع وشدة قوته في اواخر الربيع (ابن رسته، ١٩٨٨، صفحة ٨٧).

ووصفه الاصطخري بانه يشتمل على اكثر حدود العرب وبعض بلدان الاسلامية, ويحده من المشرق القلزم الذي ينتهي مدينة أيلة ثم يطوف بحدود ديار العرب, ويمر على مدينة سيراف ثم يمتد الى سواحل هرمز ثم ساحل الملتان وهو ساحل بلاد السند وبذلك انتهى حد بلدان الاسلام والعرب (الاصطخري، ٢٠٠٤، صفحة ٢٩), كما وصف بانه بحر مبارك كثير الخير دائم السلام وطيء الظهر قليل الهيجان بالنسبة لغيره, وقد خص الله سبحانه وتعالى بحر فارس بالخيرات الكثيرة والبركات الغزيرة والفوائد والعجائب والطرف والغرائب، منها مغاص اللؤلؤ والدر الذي يخرج منه الحب الكبير البالغ، وفي جزائره أنواع اليواقيت والأحجار الكريمة ومعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والعقيق وأنواع الطيب (ابن الوردي، ٢٠٠٨، صفحة ٢١٩)، ومن جزائره جزيرة كيكاووس: وهي جزيرة كبيرة مسكونة بها خلق من الناس بيض الألوان طعامهم السمك الطري والنارجيل والموز، وأموالهم الحديد يتعاملون بها كتعامل الناس بالذهب والفضة (ابن الوردي، ٢٠٠٨، صفحة ٢١٩).

خامساً: بحر القلزم

وهو فرع من بحر الصين او بحر الهند، بدايته من بلاد البربر والسودان والحبش والتي تقع في جنوبه, اما نهايته عند القلزم وهي مدينة صغيرة على أرض مصر (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ٨٩/١)؛ (ابن عبد الحق، ١٩٩١، صفحة ١١٦/١).

لذلك عرف هذا البحر من ناحية الديار المصرية بالقلزم لأنه كان ساحله الغربي في شرقي مصر مدينة تسمى القلزم فسمي هذا البحر باسم تلك المدينة وقيل له بحر القلزم (المقريزي، ١٩٩٨، صفحة ٣٢/١)، وقيل ان هذا البحر غرق فيه فرعون وهو بحر مظلم موحش لا خير فيه في الباطن والظاهر, وفي هذا البحر جزائر كثيرة وغالبها غير مسكونة ولا مسلوكة (المقريزي، ١٩٩٨، صفحة ٣٢/١).

ومن جزائره جزيرة قريبة من مدينة أيلة يسكنها قوم يقال لهم بنو حداب ليس لهم زرع ولا ضرع ولا ماء عذب معاشهم من السمك وبيوتهم السفن المتهالكة (ابن الوردي، ٢٠٠٨، صفحة ٢٢٩).

كذلك وصفه (السيرافي، ١٩٩٩، صفحة ٨٩) بانه البحر الذي يقع من جهة اليمين من بحر الهند او بحر الصين اي الى مدينة جدة, والمراكب التجارية عند وصولها الى بداية هذا البحر من جهة بحر الصين تقوم بنقل البضائع الواردة الى الصين عن طريق مراكب القلزم وذلك بسبب عدم قدرة مراكب السيرافيين بالسير في هذا البحر لصعوبته وكثرة جباله, والمركب اذا سار فيه يحتاج الى موضع يرسوا عليه فيسير بالنهار ويقيم في الليل وهو بحر مظلم كريه الروائح.

المبحث الثاني

الجزر البحرية

أولاً: جزيرة صقلية

سميت باسم شيقلو وهو اخي أيطال الذي سميت به ايطاليا وكانت تعرف قبل تري قريباً ومعناه باللسان الاغريقي ثلاثة في اربعة وذلك لثلاثة مواقع مشرفة فيها وهي بلرم التي هي قاعدتها باجنه وليوام وبين صقلية وبلاد ايطاليا خليج البحر، وعرض الجزيرة مائة وسبعة وخمسون ميلاً وطولها مائة وسبعة وسبعون ميلاً (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٤٨٢/١)، كذلك وصفت بأنها تعد على سواحل البحر في شرقيها والجبال الشواهق العظام محدقة بها وساحلها بهيج ومشرق وفيها مباني حسنة، وتقسم الى قسمين قصر وربض فالقصر هو القصر القديم المشهور وهو فخر في كل بلد واقليم، واما الربض فهي المدينة التي تحيط بها، والمياه تحيط بها في كل جوانبها (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ٥٩٠/٢)، وطول هذه الجزيرة سبعة ايام وعرضها مسير خمسة ايام، وبها جبل البركات، كما اتصفت بخصوبة زرعها (ابن جبير، ١٩٨٧، صفحة ٢٦٦)، واعظم مدنها بلرم تميزت بسورها الشاهق وفيها هيكل عظيم (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ٤٨٣/٣).

كذلك من مدنها مدينة ثرمة ومدينة جالصة هي تتوسط جزيرة صقلية (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ٩٥/٢)، كذلك وصفها الحموي: بانها تقع شرقي الاندلس وهي

على شكل مثلث متساوي الساقين طولها سبعة ايام وعرضها اربعة ايام، وغربيها في البحر جزيرة تدعى قرشف وجزيرة سردانية من جهة جنوب قرشف ومن جنوبها جزيرة قوصرة (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ٤١٨/٣).

وكثير من الحكماء يرحلون الى جزيرة صقلية لمشاهدة جبل النار المطل على البحر للنظر في عجائب هذا الجبل واجتماع النار والثلج فيه فنرى باليل نار عظيمة وبالنهار دخان عظيم لا يستطيع احد التقرب منه (القزويني، ٢٠٠٥، صفحة ٢١٦)، وجزيرة صقلية مملوءة بالخيرات والمياه والاشجار والمزارع والفواكه وهي حصينة كثيرة القرى كثيرة المواشي، وبها جبل يقال له قصريانه وهو من عجائب الدنيا على هذا الجبل مدينة عظيمة شامخة وحولها المزارع والبساتين (القزويني، ٢٠٠٥، صفحة ٢١٥)، كذلك فيها حصن منيع يدعى انطاله (الحميري، ١٩٨٨، صفحة ٣١٧/١)، وعرض جزيرة صقلية بالأميال مائة وسبعة وخمسون ميلاً وطولها مائة وسبعة وسبعون ميلاً (الحميري، ١٩٨٨، صفحة ٣٦٧/١).

ثانياً: جزيرة سقطرى (سوقوطرى)

تقع في الإقليم الأول من المعمورة (الارض) (الحميري، ١٩٨٨، صفحة ٣٢٧/١)، وهي جزيرة واسعة القطر جليلة القدر بهية الارض نامية الشجر، وأكثر نباتها شجر الصبر، تتصل من جهة الشمال والغرب ببلاد اليمن، بل محسوبة منه ومنسوبة إليه، ويقابلها من جهة بلاد الزنج مدينة ملند[١١], وأكثر أهل الجزيرة سقطرى هم من النصارى (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ٥١/١), والسبب في ذلك أن الإسكندر لما تغلب على ملك فارس وغزت جيوشه جزائر الهند وقتل ملك الهند، وكان معلمه أرسطوطاليس قد أوصاه بطلب جزيرة الصبر فكانت تلك الوصية في بال الإسكندر (الحميري، ١٩٨٨، صفحة ٣٢٨/١)، ومن ثم توجه إلى جزيرة سقطرى فأعجبته طبيعتها واعتدال مناخها، فلما وصل الخبر إلى معلمه أرسطوطاليس أمره بأن ينقل أهلها ويستبدلهم باليونانيين وأمرهم بالمحافظة على شجر الصبر وإدامته ففعلوا ذلك (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ٧٢٠/٣), لذلك اقام بها اليونانيين منذ امد طويل وبنو بها الكنائس والمستوطنات للإقامة فيها وظل بعظهم حتى مجيء الاسلام, والسبب كما ذكر هو الصبر السقطري التي امتازت به هذه جزيرة (علي، ٢٠٠٠، صفحة ٣٢٧).

كما وصفها القزويني: بانها الجزيرة الواقعة ما بين عدن وبلاد الزنج، وينسب اليها بنات الصبر السقطري، وطول هذه الجزيرة ثمانون فرسخاً (القزويني، ٢٠٠٥، صفحة ٨٢)، وكذلك وصفت بالجزيرة العظيمة فيها قرى ومدن وهي أقرب إلى بر العرب من بر الهند والمسافر إلى بلاد الزنج يمر عليها، وأكثر أهلها نصارى، يجلب منها الصبر السقطري، وهو صمغ الشجر لا يوجد إلا في هذه الجزيرة، يسمونه القاطر (ابن عبد الحق، ١٩٩١، صفحة ١١٦/١)، ولها مدن وقرى توازي مدينة عدن التي كانت من المدن التجارية بسبب الصبر وهو صمغ الشجر الذي يستخدم لاستعمالات عديدة منها صناعة السفن (القزويني، ٢٠٠٥، صفحة ٨٢).

ثالثاً: جزيرة كيش

تقع وسط بحر فارس مما يقابل عمان وهي جزيرة مربعة طولها اثنا عشرة ميلا وعرضها اثنا عشر ميلا ايضاً وفيها مدينة تسمى كيش (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ١٥٧/١), وبالقرب منها جزيرة تدعى جزيرة خارك وتبعدها خمسة وعشرون فرسخا (المهلبي، ٢٠٠٦، صفحة ١٣٧/١)، ومن مدينها ايج التي اشتهرت بالبساتين والخيرات والفواكه الجيدة كذلك اطلق عليها باسم قيس (ابن عبد الحق، ١٩٩١، صفحة ١١٣٩/٣).

وكان وليها عامل اليمن فحصنها وأحسن أهلها، وعمرها وأنشأ بها أسطولا فغزا به بلاد اليمن الساحلية وأضر بالمسافرين والتجار، ولم يترك لأحد مالا، وأضعف البلاد وانقطع بذلك السفر من عمان إلى عدن، وكان يغزو بهذا الأسطول مدينة الزابج الهندية, وأهل الهند يخافونه ويهابونه, وكان اسطوله يحتوي على خمسون مركبا منحوتاً، من قطعة واحدة (الحميري، ١٩٨٨، صفحة ٥٠٥/١)، ويقابلها من جهة بحر فارس قلعة هزو والتي تقع على جبل مطل على بحر فارس (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ٤٠٦/٥), وكذلك بقربها جزيرة في بحر فارس تدعى هنكام (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ٤١٩/٥).

رابعاً: جزيرة سرنديب

وصفها البكري بالجزيرة الواسعة ولها أربعة أبواب, باب من جهة الجنوب يقال له باب البلادج ومعناه المكان وهو الباب الذي يجتمع فيه المطر، وباب يقال له هوسته، وهو باب يخرج منه النصارى بصلبانهم, والباب الثالث تدعى باب الفصيل وهو باب ملك الجزيرة

وحاشيته, اما الباب الرابع يدعى باب العشور وهو الذي يعشر فيه أمتعة التجار (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٢٤٨/١), تقع هذه الجزيرة في اخر جزائر بلاد الهند بمعنى انها من جزر بحر الصين او الهند (التاجر، ٢٠١٠، صفحة ٣٢), وتبلغ مساحتها ثمانون فرسخاً طولاً وثمانين فرسخاً عرضاً (ابن خرداذبة، ١٨٨٩، صفحة ٦٤)؛ (القزويني، ٢٠٠٥، الصفحات ٤٢-٤٣), امتازت هذه الجزيرة بكثرة الكهوف والمغارات التي يتوفر فيها الجواهر الحمراء والخضراء (السيرافي، ١٩٩٩، صفحة ٣١), كذلك عرفت بزراعة انواع العطور والعود كذلك توفر فيها أنواع اليواقيت ومعادن الذهب والفضة ومغاص اللؤلؤ (القزويني، ٢٠٠٥، الصفحات ٤٢-٤٣), وقيل ان لهذه الجزيرة شريعة ومشايخ لهم مجالس كمجالس الاسلام يجتمع فيها ابناء تلك المملكة ويكتبون لهم سير ابائهم وسنن شرائعهم (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ٧٥/١), وقد وصفها المستشرق الفرنسي لوبون, بانها تنقسم الى قسمين يقع احدهم في الشمال حيث السهول التي ينمو فيها نبات البلاد الحارة, والقسم الاخر في الجنوب حيث الجبال وجبل ادم والتي يبلغ ارتفاع اجمالي هذه الجبال(٢٢٠٠) متر فوق سطح البحر (لويون، ٢٠٠٩، صفحة ٣٦).

خامساً: الرامني (سومطره)

اطلق الرحالة على هذه الجزيرة عدة مسميات فيذكرها سليمان (التاجر، ٢٠١٠، صفحة ٣٣) و (السيرافي، ١٩٩٩، صفحة ٣١) باسم الرامني, ويذكرها (ابن خرداذبة، ١٨٨٩، صفحة ٦٥)و (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ٧٥/١) باسم الرامي, اما (ابو الفداء، ٢٠٠٦، صفحة ٣٧٥) يذكرها باسم لأمري, اما اسمها القديم هو سموره بمعنى البحر ويقال ان هذا الاسم من اصل سنكريتي (ارنولد، ١٩٧١، صفحة ٤٠٢), وتقع هذه الجزيرة على بحر الصين والهند ايضاً وتتصل بجزيرة سرنديب وفيها عدة ملوك وانواع الزروع والمعادن والطيب (الادريسي، ٢٠٠٢، الصفحات ٧٥/١-٧٧), كذلك عرفت تلك الجزيرة بنبات الخيزران والبقم (ابو الفداء، ٢٠٠٦، صفحة ٣٧٥), والبقم يستخدمه اهل الجزيرة والبحارة كعلاج ضد لسعات الزواحف, بالإضافة الى ذلك امتازت بطبيعة الثرى واعتدال الهواء وعذوبة المياه (ابن خرداذبة، ١٨٨٩، صفحة ٦٥), اما مساحتها فيذكرها سليمان التاجر وابن الفقيه بثلاثمائة او تسعمائة فرسخ وهي تشرف على بحر الصين والهند (التاجر،

٢٠١٠، صفحة ٣٢)؛ (ابن الفقيه، ١٩٩٦، صفحة ١٠/١), وقدر طولها الادريسي بسبعمائة فرسخ والمسافة بين هذه الجزيرة وجزيرة سرنديب مسير ثلاثة ايام في البحر (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ٧٧/١).

المبحث الثالث

البيئة البحرية

اولاً: المد والجزر

اهتم الرحالة العرب والمسلمين بدراسة الظواهر البحرية التي شاهدوها خلال اسفارهم وكان من ابرز هذه الظواهر هو المد والجزر، وبخصوص ذلك تحدث ابن خرداذبه عن بحر فارس حين قال: يكون المد والجزر على مطلع القمر ويكون مرتين في السنة ففي فصل الصيف يمد شمالاً ستة اشهر فيكون ذلك فيضانه في مشارق البحر وانحساره في المغرب، وفي الشتاء يمد غرباً لمدة ستة اشهر ويكون انحساره في المغرب (ابن خرداذبة، ١٨٨٩، صفحة ٧٠).

اما ناصر خسروا فقد قسم وصف المد والجزر خلال اليوم الواحد قائلاً: "ويحدث المد ببحر فارس عادة مرتين كل اربعة وعشرين ساعة فيرتفع الماء بمقدار عشرة اذرع وعندما يبلغ الارتفاع اقصى مداه يبدأ الجزر بالتدرج فينخفض الماء عشرة او اثنى عشر ذراعاً، ويرف ذلك عن طريق عمود ثبت على ارض مستوية بجانب الساحل" (خسرو، ١٩٨٣، صفحة ١٤٩).

اما (ابن حوقل، ١٩٣٨، صفحة ٤٨/١) فقد وصف المد والجزر في بحر فارس قائلاً: "من اعجب الاشياء في هذا البحر هو المد والجزر، وذلك يبدأ بالمد عند طلوع القمر ولا يزال بتزايد الى ان يصير القمر في وسط السماء ثم يبدأ بالجزر الى ان يصل القمر في افق المغرب ثم يبدأ بالمد".

والمد بصفة عامة يكون اقصى مداه حين يكون القمر على الافقين يعني افقي المشرق والمغرب، ومن ناحية اخرى حين يكون القمر في اجتماع الشمس واستقبالها يزداد الماء اي ان المد يزيد في هذه الاوقات ويعظم ارتفاعه (خسرو، ١٩٨٣، صفحة ١٤٩)؛ (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ٩٢/١)، ومن هذا الازدياد يستفاد سكان سواحل هذا البحر

وذلك في سقي محصول قصب السكر والنخيل وبعض الزروع (ابن حوقل، ١٩٣٨، صفحة ٢٥٣/٢).

ومن الجدير بالذكر ان البحار التي تخلو من المد والجزر اذ ان الحياة اذا بقيت هادئة لبعض الوقت يؤدي ذلك الى ازدياد الملوحة فيها فتصبح ثقيلة وكثيفة، وفي موضع أخر ان الحياة التي تنساب في البحر من الاجزاء العليا والدنيا تمتص بحسب طبيعتها الاملاح التي تقذف بها الارض في البحر (خصباك، ١٩٨٦، صفحة ١٠٩).

ومن الروايات الاسطورية عند اهل سكان سواحل هذه البحار عن حدوث المد والجزر فيها ان يعتقد وجود حوت في البحر عند تنفسه يشرب الماء ويرفعه الى منخريه فيصبح الجزر، ثم يتنفس فيخرجه من منخريه فيصبح المد (ابن الفقيه، ١٩٩٦، صفحة ٦٥/١)؛ (المقدسي، ١٩٠٦، صفحة ١٣/١)، وفي رواية اخرى ان الله سبحانه وتعالى جعل ملكاً موكلاً بالبحار فذا وضع قدمه في البحر حدث المد واذا اخرجها حدث الجزر (ابن الوردي، ٢٠٠٨، صفحة ٤٦)، كذلك رواية تقول ان للبحر ناراً اسمها بروانك دائمة التنفس ويكون المد منها يجذب النفس، وارسال النفس منها هو الجزر (البيروني، ١٩٨٢، صفحة ٣٩١).

ثانياً: الطرق البحرية

١-طريق البحر الهندي:

تعد رحلة سليمان التاجر من اكثر الرحلات البحرية التي وصفت ربط طريق الخليج العربي بالمحيط الهندي، حيث بدأ من نقطة انطلاق هذا الطريق وهي مدينة البصرة، ويذكر ان اكثر السفن الصينية تحمل البضائع من مدينة سيراف[١٢]، عن طريق السفن الصغيرة التي تحمل البضائع من البصرة والبحرين وتقدر هذه المسافة أي ما بين البصرة وسيراف مائة وعشرون فرسخاً (التاجر، ٢٠١٠، الصفحات ٣٦-٤٠)، وان سبب ارساء السفن في سيراف وعم ارسائها في ميناء البصرة والبحرين هي بسبب عمق المياه في سيراف وقلة في البصرة والبحرين (السيرافي، ١٩٩٩، صفحة ٣٤).

ويرى الندوي ان هذا الامر مقتصراً على السفن الصينية والهندية الضخمة التي تستطيع الوقوف والارساء في المياه العميقة فقط، والمياه ذات العمق القليل والمتوسط ما يجعل من ملاحة السفن الكبيرة ذات الغاطس العميق في خطر (الندوي، ٢٠١٣، صفحة

١٢)، بالإضافة الى ذلك يعتبر ميناء سيراف كمحطة استراحة لتلك السفن وهو مرفأ واسع تستطيع السفن الكبيرة في الارساء عليه وخاصة السفن الهندية والصينية (الصقار، ١٩٧٣، صفحة ٦٤).

بعد ارساء السفن في سيراف تتزود بالماء العذب وكل ما تحتاجه من مؤن اخرى تساعدها في اكمال مسيرها، ثم تنطلق متجهة صوب عمان وتحديداً الى ميناء مسقط، حيث تحمل تلك السفن عدد من البضائع الواردة والصادرة الى بلاد الهند والصين والمسافة ما بين عمان وسيراف بحسب تقدير سليمان التاجر هي مائتي فرسخ، والمسير من ميناء سيراف الى عمان يمر عبر جزيرة تدعى جزيرة ابن كاون[١٣] ثم المرور بالقرب من مضيق يسمى الدردور[١٤] يقع ما بين جبلين يسمان كسير وعوير وهما غارقان في الماء يظهر منهما القليل (التاجر، ٢٠١٠، صفحة ٣٧)، ومن ثم تتبعه هذه السفن بلاد الهند حيث ترسوا في ميناء ومدينة كولم ملي الهندية واثناء ارسائها تجبى تلك السفن، ثم تنطلق متجهة الى بلاد الصين (السيرافي، ١٩٩٩، الصفحات ٣٥-٣٨)، واشار ابن خرداذبة والادريسي ان هذا الطريق يمر عبر جزيرة سرنديب ومن ثم جزيرة تسمى النكيالوس والمسافة بين الجزيرتين عشرة ايام في البحر (ابن خرداذبة، ١٨٨٩، الصفحات ٦٦-٦٩)؛ (الادريسي، ٢٠٠٢، الصفحات ١/٧٨-٨٤).

٢-طريق بحر القلزم:

وهو الطريق الواقع من جهة الغرب للجزيرة العربية وقد اعتبر من الطرق التجارية المهمة، يبدأ هذا الطريق من ميناء القلزم على سواحل مصر ومنه الى ميناء عيذاب[١٥]، ثم الى ميناء عدن ومنه الى المحيط الهندي (القلقشندي، ٢٠٠٠، صفحة ٥/٨٦)، كذلك وصف بأنه الطريق البحري من الشرق الاقصى الى البحر الاحمر وله فرعان الاول يتجه شمالاً بعد اجتياز البحر الاحمر عبر مدينة سيناء في مصر ثم الى مدينة دمشق ثم موانئ ساحل البحر المتوسط، اما الفرع الثاني يتجه من الصحراء الى النيل ثم القاهرة ثم النيل مرة اخرى صوب الاسكندرية ثم الى اوربا (فهمي، ١٩٧٣، صفحة ١٢٤)، وبالرغم ما امتاز به هذا الطريق الا انه تعرضه صعوبات منها المسافة البحرية الواسعة من البحر الاحمر الى الهند والصين وما فيها من تيارات بحرية وهوائية متعارضة، وكثرة الشعاب المرجانية التي تعرض

الملاحة في بحر القلزم (فهمي، ١٩٧٣، صفحة ١٢٤) بالإضافة الى انه عرضة لهجوم القراصنة الذين يقمون بمهاجمة السفن بين فترة واخرى (ابن المجاور، ١٩٦٦، صفحة ٢٩٥).

ثالثاً: مغاص اللؤلؤ والعنبر

اهتم الجغرافيين العرب والمسلمين اهتماماً كبيراً بعلوم البحار وما تحتويه من كنوز وثروات طبيعية وكان من ابرزها مغاصات اللؤلؤ والعنبر المتواجدة في البحار وسواحلها، ومن اللؤلؤ الجيد هو اللؤلؤ السقطري ويتواجد بكثرة في السواحل العربية والذي يتميز بكبر حجمه واستواء شكله واجزاءه ويسمى عند الملوك بالتيمية لانفرادها عن النظائر (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٣٦٨/١), ويتواجد هذا المغاص في مدينة صحار الساحلية وهي مشهورة بجيد اللؤلؤ المستخرج منها (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ١٥٦/١)، كذلك عرف بحر الصين بمغاص اللؤلؤ الذي عرف بحبته الكبيرة والجيدة (ابن الوردي، ٢٠٠٨، صفحة ١٩٨).

اما العنبر فقد امتازت الكثير من البحار التي وصفها الرحالة بمادة العنبر فبحر فارس عرف بالعنبر الجيد، كذلك عرف بحر الصين بتجارة العنبر حيث تتم تجارته عن طريق الاستبدال بالحديد مع البلدان (ابن خرداذبة، ١٨٨٩، صفحة ٦١)، كذلك ذكره اليعقوبي بان انواعه كثيرة واصنافه مختلفة وهو يتفاضل بأنواعه واحسنه، وافضل واحسن انواع العنبر هو العنبر الشحري وهو ما تقذفه مياه بحر الهند الى ساحل الشحر من ارض بلاد اليمن (اليعقوبي، ٢٠٠١، صفحة ٢١٠)، ويعد العنبر الشحري العنبر الزنجي وهو الذي يأتي من بلاد الزنج الى عدن وهو عنبر ابيض اللون (اليعقوبي، ٢٠٠١، صفحة ٢١١)، ايضاً ذكر السيرافي عن بحر الهند قائلاً: ان بحر الهند امتاز بكثرة العنبر الذي ينبت في قعر البحر فاذا اشتد هيجان البحر قذفه من قعره مثل الفطر والكجا (السيرافي، ١٩٩٩، صفحة ١٧)، وفي موضع اخر ذكر ان طريقة استخراج العنبر تتم من بطون الحيتان التي تأكل نبات العنبر وبسبب عمق البحر وشدته لا يستطيع احداً ان يصل الى هذه النباتات، لذلك قام بعض الصيادين باصطياد الحيتان التي تبتلع العنبر واستخراجه من بطونها (السيرافي، ١٩٩٩، صفحة ٩٠)، كذلك ذكره العمري هو شيء يخرج من قعر البحر فتأكله بعض دواب البحر ولدسومته تقذفه رجيعاً فوق سطح البحر حتى تدفعه الرياح الى الساحل

وقيل ان اجوده الاشهب السلاهيطي ثم الازرق ثم الاصفر وارداؤه الاسود (العمري، ١٩٩٦، صفحة ٢٨٨/٢٢)، وقد عرف هذا النوع من الاسماك الذي يحمل العنبر باسم البال طوله اربعمائة ذراع الى خمسمائة ذراع تظهر في بعض الاوقات طرف جناحها مثل الشراع ورأسها من الماء وتنفخ فيصعد الماء كرمية سهم في الهواء، فيقوم بعض الصيادة بقتلها وشق بطنها واستخراج منه مادة العنبر على هيئة كتل كبيرة (ابن الوردي، ٢٠٠٨، صفحة ٢٣٦).

رابعاً: الكائنات البحرية

ذكر سليمان التاجر انواع عديدة من الاسماك في بحر الصين منها اسماك صغيرة الحجم تستطيع الطياران على وجه الماء لمسافات قصيرة، كذلك ذكره حيواناً يشبه السرطان فاذا خرج من البحر يصبح يشبه الحجر ويستخدمه اهل السكان دواء لبعض علل العين (التاجر، ٢٠١٠، الصفحات ٤١-٤٢)، كذلك نوع من الاسماك يسمى الهال وانضمت بشراستها مع الاسماك الاخرون وحجمها الكبير (التاجر، ٢٠١٠، صفحة ٤٩)، وفي بحر هركند سمك يدعى اللخم وهو ضخم يخافونه الناس بسبب شراسته (السيرافي، ١٩٩٩، صفحة ١١٧)، كذلك سمكة يقال لها الخراطيم تشبه الحية لها منقار كمنقار طائر الكركي، وسمكة اخرى يقال لها الاطمر وجهها كوجه الخنزير كذلك اسماك على هيئة خلق القرود ومن جلوده تصنع الدرق التي تمسك بها السيوف كذلك سمك يدعى الدخسس وقيل ان هذا السمك ينجي الغريق من الغرق (ابن الفقيه، ١٩٩٦، صفحة ٩٥/١)، وفي بحر هوكند سمك عملاق يخافونه البحارة ويبعدونه عن المراكب بضرب النواقيس بالليل خوفاً ان تتكي على المراكب فتغرقه (المسعودي، ١٩٩٦، صفحة ٤٤)، وكذلك افاعي ضخمة فتخرج الى البحر فتبتلع الحيوانات واهل السكان يخافونها (المسعودي، ١٩٩٦، صفحة ٤٤).

وفي بحر الصين انواع كثيرة وعجيبة من الاسماك منها سمكة تشبه وجه الانسان وسمك يطير ليلاً، وسمك دسم اذا اكل منها الانسان اعتصم عن الطعام اياماً، كذلك سمكة لها قرنان كأنهما قرنا السرطان يرميان بالليل ناراً، وسمك يقال له الهفس تحتوي على اسنان كثيرة مثل اسنان المنشار (المسعودي، ١٩٩٦، صفحة ٤٤)، اما السلاحف فقد تم ذكرها عند اغلب الجغرافيين فيذكر السيرافي ان بحر الصين احتوى على عدد كبير من السلاحف الذي يتخذ من الذبل وهو ظهر السلاحف بأغراض عديدة منها الامشاط (السيرافي، ١٩٩٩،

صفحة ١١٧)، كذلك يستخدمون ظهورها مصابيح لإنارة موضع في البحر وذلك عندما يضعون النفط مع القطن ويشعلونه بالنار فيبقى مضيئ في البحر (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٢٠٢/١)، كذلك استخدام بعض اهل تلك السواحل لحوم السلاحف كغذاء رئيسي (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٨٦٧/١)؛ (مراكش، ١٩٨٦، صفحة ٢١٥)، وهي اسراباً كثيرة لا يستطيع احد احصائها وهي تحضر في السواحل اسراباً (الحميري، ١٩٨٨، صفحة ١٤٥/١).

الخاتمة

يتضح من خلال الدراسة:

١-قدم الرحالة العرب والمسلمين إسهامات جوهرية كان لها الاثر في تأسيس المعرفة البحرية في العصور الوسطى.

٢-اعتمد هؤلاء الرحالة على الملاحظة المباشرة والخبرة العملية في تدوين الظواهر البحرية، مما منح أعمالهم مصداقية علمية عالية.

٣-ساهمت كتاباتهم في تطوير الملاحة البحرية عبر تحديد طرق الإبحار، والاتجاهات، والموانئ، والرياح الموسمية.

٤-كان وصفهم للبحار والجزر البحرية أساسًا اعتمدت عليه المصادر والمراجع اللاحقة، وخاصة الأوروبيين في عصر الكشوف الجغرافية.

٥-رسّخ الرحالة المسلمون منهجًا يجمع بين الخبرة الميدانية والدراسة النظرية، الأمر الذي جعلهم روّادًا في فهم المحيطات والبحار.

٦-مازالت أعمالهم إلى اليوم تُعدّ شاهدًا على المستوى العلمي الرفيع الذي بلغته الحضارة الإسلامية في جغرافية البحار.

المصادر والمراجع بالعربية

اولاً: المصادر الاولية

الادريسي، ابي عبد الله محمد بن محمد بن ادريس(ت٥٦٠هـ/١١٦٤م). (٢٠٠٢). *نزهة المشتاق في اختراق الافاق* (ط١). القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

الاصطخري، ابي اسحاق ابراهيم بن محمد (ت٣١٤هـ/٩٥٢م). (٢٠٠٤). *المسالك والممالك*. (تح: محمد جابر عبد العال) القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

البكري، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م). (١٩٩٢). *المسالك والممالك*. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م). (١٩٨٢). *تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة* (ط٢). بيروت: عالم الكتب.

التاجر، سليمان (ت٢٣٧هـ/٨٥١م). (٢٠١٠). *عجائب الدنيا وقياس البلدان*. (تح: سيف شاهين المريخي) ابو ظبي: مركز زايد للتراث والتاريخ.

ابن جبير، ابو الحسن محمد بن احمد بن محمد الكناني (ت٦١٤هـ/١٢١٧م). (١٩٨٧). *رحلة ابن جبير*. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م). (١٩٨٨). *الروض المعطار في خبر الاقطار* (ط٢). (تح: احسان عباس) بيروت: مكتبة لبنان.

ابن حوقل، ابو القاسم محمد البغدادي الموصلي (ت٣٦٧هم٩٧٧م). (١٩٣٨). *صورة الارض*. بيروت: دار صادر.

ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م). (١٨٨٩). *المسالك والممالك*. بيروت: دار صادر.

خسرو، ناصر ابو معين الدين القبادياني المروزي (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م). (١٩٨٣). *سفر نامه* (ط٣). (تح: يحيى الخشاب) بيروت: دار الكتاب الجديد.

ابن رسته، ابو علي احمد بن عمر (ت نحو ٣٠٠هـ/٩١٢م). (١٩٨٨). *الاعلاق النفيسة*. بيروت: دار احياء التراث العربي.

السيرافي، ابو زيد حسن بن يزيد (ت بعد٣٣٠هـ/٩٤١م). (١٩٩٩). *رحلة السيرافي*. ابو ظبي: المجمع الثقافي.

ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن بن شمائل (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م). (١٩٩١). *مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع* (ط١). (تح: علي محمد البجاوي) بيروت: دار الجيل.

العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م). (١٩٩٦). *مسالك الابصار في ممالك الامصار* (ط١). القاهرة: دار العلم للملايين.

ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م). (٢٠٠٦). *تقويم البلدان* (ط١). القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

ابن الفقيه، ابو عبد الله احمد بن محمد بن اسحاق (ت٣٦٥هـ/٩٧٥م). (١٩٩٦). *البلدان* (ط١). (تح: يوسف الهادي) بيروت: عالم الكتب.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م). (٢٠٠٥). *آثار البلاد وأخبار العباد* (ط١). بيروت: دار صادر.

القلقشندي، ابو العباس احمد بن عبد الله (ت٨٢١هـ/١٤١٨م). (٢٠٠٠). *صبح الاعشى في صناعة الانشا*. (تح: محمد شمس الدين) بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن المجاور، جمال الدين ابو الفتح يوسف بن يعقوب (ت٦٩٠هـ/١٢٩١م). (١٩٦٦). *تاريخ المستبصر*. (تح: ممدوح حسن محمد) مصر: مكتبة الثقافة الدينية.

مراكش، كاتب (ت ق٦هـ/١٢م). (١٩٨٦). *الاستبصار في عجائب الامصار*. بغداد: دار الشؤون الثقافية.

المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هم٩٥٧م). (١٩٩٦). *اخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران*. بيروت: دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

المقدسي ،البشاري شمس الدين ابي عبد الله محمد (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م). (١٩٠٦). *احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم* (ط٢). ليدن: مطبعة بريل.

المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م). (١٩٩٨). *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار* (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

المهلبي، الحسن بن احمد العزيز (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م). (٢٠٠٦). *الكتاب العزيزي او المسالك والممالك* (ط١). (تح: تيسير خلف) دمشق: التكوين للطباعة ولانشر.

مؤلف مجهول (ت بعد ٣٧٢هـ/٩٨٢م). (٢٠٠٢). *حدود العالم من المشرق الى المغرب* (ط١). (تح: يوسف الهادي) القاهرة: الدار الثقافية للنشر.

ابن الوردي، سراج الدين ابو حفص عمر بن المظفر (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م). (٢٠٠٨). *خريدة العجائب وفريدة الغرائب* (ط١). (تح: انور محمود زناتي) القاهرة: مكتبة الثقافة الاسلامية.

ياقوت الحموي، ابو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م). (١٩٩٥). *معجم البلدان* (ط٢). بيروت: دار صادر.

اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهب (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م). (٢٠٠١). *البلدان* (ط١). (تح: محمد امين ضناوي) بيروت: دار الكتب العلمية.

ثانياً: المراجع الثانوية

ارنولد، توماس. (١٩٧١). *الدعوة الى الاسلام*. (تر: حسن ابراهيم حسن واخرون) القاهرة: مكتبة النهضة.

آن دوزي، رينهات بيتر. (٢٠٠٠). *تكملة المعاجم العربية* (ط١). (تح: جمال الخياط) بغداد: وزارة الثقافة والاعلام.

خصباك، شاكر. (١٩٨٦). *عالم الجغرافية عند العرب*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسة والنشر.

الصقار، فؤاد محمد. (١٩٧٣). *جغرافية التجارة الدولية* (ط٣). بيروت: دار المعرفة للنشر والتوزيع.

علي، جواد. (٢٠٠٠). *المفصل في تاريخ العرب* (ط٤). بغداد: دار الساقي.

فهمي، نعيم زكي. (١٩٧٣). *طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

لويون، غوستاف. (٢٠٠٩). *حضارات الهند*. (تح: عادل زعيتر) القاهرة: دار العالم العربي.

الندوي، سيد سليمان. (٢٠١٣). *الملاحة عند العرب* (ط١). (تقديم وترجمة: جلال السعيد الحفناوي) مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

Sources and References

First: Primary sources

Abu al-Fida, Imad al-Din Ismail ibn Ali ibn Mahmud (d. 732 AH/1331 CE). (2006). Taqwim al-Buldan (1st ed.). Cairo: Maktabat al-Thaqafa al-Diniyya.

Al-Bakri, Abu Ubayd Abdullah ibn Abd al-Aziz ibn Muhammad (d. 487 AH/1094 CE). (1992). Al-Masalik wa al-Mamalik. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.

Al-Biruni, Abu Rayhan Muhammad ibn Ahmad (d. 440 AH/1048 CE). (1982). Tahqiq ma la Hind min maqula maqbula fi al-'Aql aw Mardhula (2nd ed.). Beirut: Alam al-Kutub.

Al-Himyari, Abu Abdullah Muhammad ibn Abdullah ibn Abd al-Mun'im (d. 900 AH/1494 CE). (1988). The Fragrant Garden in the News of the Regions (2nd ed.). (Edited by Ihsan Abbas). Beirut: Maktabat Lubnan.

Al-Idrisi, Abu Abdullah Muhammad ibn Muhammad ibn Idris (d. 560 AH/1164 CE). (2002). Nuzhat al-Mushtaq fi Ikhtiraq al-Afaq (1st ed.). Cairo: Maktabat al-Thaqafa al-Diniyya.

Al-Istakhri, Abu Ishaq Ibrahim ibn Muhammad (d. 314 AH/952 CE). (2004). Al-Masalik wa al-Mamalik (edited by Muhammad Jabir Abd al-Aal). Cairo: Al-Hay'a al-'Amma li-Qasour al-Thaqafa.

Al-Maqdisi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad al-Bashari (d. 380 AH/990 CE). (1906). The Best Divisions for Knowledge of the Regions (2nd ed.). Leiden: Brill Press.

Al-Maqrizi, Taqi al-Din Ahmad ibn Ali (d. 845 AH/1441 CE). (1998). Sermons and Lessons from the History of Plans and Monuments (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

Al-Mas'udi, Abu al-Hasan Ali ibn al-Husayn ibn Ali (d. 346 AH/957 CE). (1996). Akhbar al-Zaman wa man Abadahu al-Hadathan wa 'Aja'ib al-Buldan wa al-Ghamir bi al-Ma' wa al-'Umran. Beirut: Dar al-Andalus li al-Tiba'a wa al-Nashr wa al-Tawzi'.

Al-Muhallabi, al-Hasan ibn Ahmad al-Aziz (d. 380 AH/990 CE). (2006). The Azizi Book or Routes and Kingdoms (1st ed.). (Edited by Taysir Khalaf). Damascus: Al-Takween for Printing and Publishing.

Al-Qazwini, Zakariya ibn Muhammad ibn Mahmud (d. 682 AH/1283 CE). (2005). Athar al-Bilad wa Akhbar al-Ibad (1st ed.). Beirut: Dar Sader. 18- Al-Qalqashandi, Abu al-Abbas Ahmad ibn Abdullah (d. 821 AH/1418 CE). (2000). Subh al-A'sha fi Sina'at al-Insha. (ed. Muhammad Shams al-Din). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.

Al-Sirafi, Abu Zayd Hasan ibn Yazid (d. after 330 AH/941 CE). (1999). The Journey of al-Sirafi. Abu Dhabi: The Cultural Foundation.

Al-Tajir, Sulayman (d. 237 AH/851 CE). (2010). Wonders of the World and Measurement of Countries. (Edited by Saif Shahin Al-Marikhi). Abu Dhabi: Zayed Center for Heritage and History.

Al-Umari, Shihab al-Din Ahmad ibn Yahya ibn Fadl Allah (d. 749 AH/1348 CE). (1996). Masalik al-Absar fi Mamalik al-Amsar (1st ed.). Cairo: Dar al-Ilm lil-Malayin.

Al-Ya'qubi, Ahmad ibn Abi Ya'qub Ishaq ibn Ja'far ibn Wahb (d. 284 AH/897 CE). (2001). Al-Buldan (1st ed.). (Edited by Muhammad Amin Dhanawi) Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.

Anonymous author (d. after 372 AH/982 CE). (2002). The Limits of the World from East to West (1st ed.). (Edited by Yusuf al-Hadi). Cairo: Al-Dar al-Thaqafiyya for Publishing.

Ibn Abd al-Haqq, Safi al-Din Abd al-Mu'min ibn Shama'il (d. 739 AH/1338 CE). (1991). Observatories for Information on the Names of Places and Regions (1st ed.). (Edited by Ali Muhammad al-Bajawi). Beirut: Dar al-Jeel.

Ibn al-Faqih, Abu Abdullah Ahmad ibn Muhammad ibn Ishaq (d. 365 AH/975 CE). (1996). Al-Buldan (1st ed.). (Edited by Yusuf al-Hadi). Beirut: Alam al-Kutub.

Ibn al-Mujawir, Jamal al-Din Abu al-Fath Yusuf ibn Ya'qub (d. 690 AH/1291 CE). (1966). Tarikh al-Mustabsir. (ed. Mamduh Hasan Muhammad). Egypt: Maktabat al-Thaqafa al-Diniyya.

Ibn al-Wardi, Siraj al-Din Abu Hafs Umar ibn al-Muzaffar (d. 852 AH/1448 CE). (2008). Kharidat al-Aja'ib wa Faridat al-Ghara'ib (1st ed.). (Edited by Anwar Mahmoud Zanati) Cairo: Maktabat al-Thaqafa al-Islamiyya.

Ibn Hawqal, Abu al-Qasim Muhammad al-Baghdadi al-Mawsili (d. 367 AH/977 CE). (1938). The Image of the Earth. Beirut: Dar Sader.

Ibn Jubayr, Abu al-Hasan Muhammad ibn Ahmad ibn Muhammad al-Kinani (d. 614 AH/1217 CE). (1987). The Travels of Ibn Jubayr. Beirut: Dar wa Maktabat al-Hilal.

Ibn Khurdadhbih, Abu al-Qasim Ubayd Allah ibn Abdullah (d. 280 AH/893 CE). (1889). Routes and Kingdoms. Beirut: Dar Sader.

Ibn Rusta, Abu Ali Ahmad ibn Umar (d. c. 300 AH/912 CE). (1988). Precious Necklaces. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-Arabi.

Khusraw, Nasir Abu Mu'in al-Din al-Qubadiyani al-Marwazi (d. 481 AH/1088 CE). (1983). Travelogue (3rd ed.). (Edited by Yahya al-Khashab). Beirut: Dar al-Kitab al-Jadeed.

Marrakesh, Katib (d. 6th century AH/12th century CE). (1986). Al-Istibsar fi 'Aja'ib al-Amsar. Baghdad: Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya.

Yaqut al-Hamawi, Abu Abdullah Shihab al-Din ibn Abdullah (d. 626 AH/1228 CE). (1995). Mu'jam al-Buldan (2nd ed.). Beirut: Dar Sader.

Second: Secondary references

Ali, Jawad. (2000). The Detailed History of the Arabs (4th ed.). Baghdad: Dar Al-Saqi.

Al-Nadawi, Sayyid Sulayman. (2013). Navigation among the Arabs (1st ed.). (Introduction and translation by: Jalal al-Sa'id al-Hafnawi) Egypt: The Egyptian General Book Organization.

Al-Saqqar, Fouad Muhammad. (1973). Geography of International Trade (3rd ed.). Beirut: Dar Al-Ma'rifah for Publishing and Distribution.

Anne Dozy, Reinhard Peter. (2000). Supplement to Arabic Dictionaries (1st ed.). (Edited by Jamal Al-Khayyat) Baghdad: Ministry of Culture and Information.

Arnold, Thomas. (1971). The Call to Islam. (Trans. Hassan Ibrahim Hassan et al.) Cairo: Al-Nahda Library.

Fahmi, Na'im Zaki. (1973). International Trade Routes and Stations Between East and West. Cairo: Egyptian General Book Organization.

Khasbak, Shaker. (1986). The World of Geography Among the Arabs. Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing.

Luyon, Gustave. (2009). Civilizations of India. (Edited by: Adel Zu'ayter) Cairo: Dar al-Alam al-Arabi.

الهوامش:

(١) لشبونة: مدينة بالأندلس تقع غربي قرطبة قريبة إلى البحر بها جبال كثيرة, ينظر: (القزويني، ٢٠٠٥، صفحة ٥٥٥/١).

(٢) الديلم: وهو إقليم واسع يضم خمس كور جرجان وطبرستان والخزر وقومس والديلمان, ينظر: (المقدسي، ١٩٠٦، صفحة ٣٥٣/١).

(٣) طبرستان: وهي من بلدان فارس تشمل نواحي ومدن كثرة, ينظر: (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ١٣/٧).

(٤) جرجان: وهي تقع غربي خراسان في بلاد فارس, وهي مدينة جليلة تتوسط خوارزم وطبرستان، ينظر: (المهلبي، ٢٠٠٦، صفحة ١٥١/١).

(٥) الران: مدينة من بلاد أرمينية, ينظر: (الحميري، ١٩٨٨، صفحة ٢٦٤/١).

(٦) دربند الخزر: وهي احدى المدن الساحلية حصينة، لا تستطيع السفن العبور منها إلا بأمر، ويقع بالقرب من سواحل فارس, ينظر: (مؤلف مجهول، ٢٠٠٢، صفحة ١٦٩).

(٧) مدينة باب الابواب: وهي مدينة على البحر وفى وسطها مرسى للسفن وبين هذا المرسى وبين البحر قد بني على حافتي البحر سدان حتى ضاق مدخل السفن وجعل المدخل ملتويا وعلى هذا الفم سلسلة ممدودة لا يخرج المركب ولا يدخل الا بأمر وهذان السدّان من صخر ورصاص، وهي على بحر طبرستان وتكون اكبر من اردبيل, ينظر: (الاصطخري، ٢٠٠٤، صفحة ١٨٤)؛ (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ٣٠٣/١).

(٨) ايله: وهي مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وهي آخر الحجاز وأول الشام، وأيلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير وهي مدينة لليهود, ينظر: (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ٢٩٢/١).

(٩) مكران: وهي ناحية من أرض السند ذات مدن وقرى كبيرة, ينظر: (القزويني، ٢٠٠٥، صفحة ٢٧٣).

(١٠) عبادان: وهي مدينة من مدن بلاد فارس بالقرب من البصرة, ينظر: (القزويني، ٢٠٠٥، صفحة ٤١٩).

(١١) ملند: ملند هي اسم آلة موسيقية شائعة في غرناطة وعند المغاربة ففي هرناندو دي بيزا, او لملند: أمير البحر (في الأسبانية) المشير البحري، أو قائد الأسطول, ينظر: (آن دوزي، ٢٠٠٠، صفحة ١١٣/١٠).

(١٢) سيراف: وهي مدينة تقع على بحر فارس، ينظر: (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ٢٩٤/٣).

(١٣) ابن كاون: وهي جزيرة من جزر الخليج الفارسي تقع ما بين عمان وسيراف، ينظر: (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ١٦٤/١).

(١٤) الدردور: وهو موضع يدور فيه المياه كالرحى دوراناً دائماً وخطير يقع في بحر فارس، ينظر: (الادريسي، ٢٠٠٢، صفحة ١٦٤/١).

(١٥) عيذاب: وهي مدينة على ضفة بحر القلزم في صعيد مصر وهي مرسى المراكب القادمة من عدن، ينظر: (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ١٧١/٤).

أضواء على أسماء السنين من عهد الملك شولگي
(٢٠٩٤-٢٠٤٧ ق.م)

مصطفى شهم كمال

جامعة الموصل / كلية الاثار

ORCID: 0009-0005-3321-195X

أ. خالد سالم إسماعيل

جامعة الموصل / كلية الاثار

ORCID: 0000-0002-7016-9050

أضواء على أسماء السنين من عهد الملك شولگي (٢٠٩٤-٢٠٤٧ ق.م)

مصطفى شهم كمال

أ. خالد سالم إسماعيل

الملخص:

يتناول البحث القاء الضوء على أساليب صياغة أسماء السنوات (Year Names) من عهد الملك شولگي (٢٠٩٤-٢٠٤٧ ق.م)، ويهدف الى توضيح طبيعة هذا النظام بوصفه احد النظم التي ابتكرها السومريون لتأرخة سنوات حكم الملوك بالاعتماد على توثيق الاحداث التاريخية المهمة على اختلاف موضوعاتها ان كانت سياسية أو عسكرية أو اقتصادية وحتى أحيانا شملت موضوعات إدارية ومعظم هذه الموضوعات بطبيعة الحال كانت تغطي نشاطات الملك شولكي الذي اعتلى عرش مملكة أور الثالثة لأطول مدة حكم وهي ثمان وأربعون سنة، لذلك لدينا (٤٨) صيغة تاريخية تنوعت اساليب تدوينها بين الصيغ الموجزة والصيغ المطولة وكذلك صيغ أسماء السنوات الملحقة التي تضمنت المصطلحين : (-us_2 sa) و (us_2-sa-bi)، فضلاً عن أسماء السنوات التي كررت اسم الحدث لأكثر من سنة باستخدام الأرقام الترتيبية وتكرار الحدث لأكثر من مرة ،التي تم اللجوء اليها عند عدم وجود حدث شهير يؤرخ به في ذلك العام لتدوين أسم السنة الجديدة به، ويركز البحث على طرح أراء تحليلية لاهم الصيغ الفعلية وانواعها الواردة في أسماء سنوات هذا العاهل،

أما قواعدياً فقد أحصينا حوالي (٦٨) صيغة فعلية مختلفة منها (٥٧) صيغة فعلية اعتيادية بعضها ورد بشكل مختصر مقتصرة بذلك على جذر الفعل مع صلة الموصول التي تعطي في معانيها صيغة المبني للمجهول وصيغ أخرى استخدمت فيها حشوة الفاعل في الماضي (n)، وحشوة الـ (b) لغير العاقل واللواحق المناسبة التي تتناسب مع حالة الفعل التي غالباً ما تكون بمثابة الانعكاس لعناصر جملة الاسم داخل الجملة الفعلية (عناصر الحالة).

الكلمات المفتاحية: أضواء، أسماء السنين، عهد، شولگي، أور الثالثة.

Lights on the Year Names from Reign Šulgi (2094-2047 BC)

Mustafa Shahim Kamal mustafa.23asp42@student.uomosul.edu.iq

Khalid Salim Ismael kh_salim@uomosul.edu.iq

Abstract:

This article sheds light on the formulation of **Year Names** during the reign of Šulgi (2094–2047 BC). It aims to clarify the nature of this system as one of the methods devised by the Sumerians to date the regnal years of kings by recording significant historical events of various kinds whether political, military, economic, or diplomatic and sometimes even administrative matters. Most of these topics naturally reflect the activities of Šulgi, who ascended the throne of Ur III dynasty and enjoyed the longest reign, lasting forty-eight years. Accordingly, we possess forty-eight (48) date formulas, whose modes of composition vary between concise and extended forms, as well as transitional year names that include the terms **(us$_2$-sa**) and **(us$_2$-sa-bi)**. In addition, there are year names in which the same event was repeated for more than one year through the use of ordinal numbers and the reiteration of the event itself an approach adopted when no notable event occurred in a given year to serve as the basis for naming the new year.

The article focuses on presenting analytical perspectives on the most important verbal formulas and their types attested in the year names of this king. From a grammatical standpoint, approximately (68) different verbal constructions have been identified, including (57) standard verbal forms. Some of these occur in abbreviated form, limited to the verbal root accompanied by a relative marker that conveys a passive meaning, while other forms employ the agent infix (**n**), the (**b**) infix for non-animate subjects, and appropriate suffixes corresponding to the verbal state, which often function as a reflection of the elements of the nominal clause within the verbal clause (case elements).

Keywords: Lights, Year Names, Reign, Šulgi, Ur III.

اولاً: المقدمة:

الملك شولكي هو ثاني ملوك سلالة أور الثالثة تقلد شارات الملوكية بعد موت أبيه أور–نما مؤسس السلالة، وقد حكم بين عامي (٢٠٩٤ – ٢٠٤٧ ق.م) وخصصت له جداول الملوك السومريين حكماً دام (٤٨) عاماً[١]، اشتهر بعدة منجزات منها تشييد المعابد، وتوحيد الموازين والمكاييل وفق مقياس موحد فضلاً عن تحركاته العسكرية في السنة الرابعة والعشرين من حكمهِ باجتياحهِ الأقاليم الشمالية والشمالية الشرقية ولاسيما بلاد اشور، ومن جانب أخر عرف بحنكتهِ السياسية حيث سعى لتوطيد العلاقات الدبلوماسية مع الأقاليم المجاورة ومنها بلاد عيلام من خلال قيامه بعقد مصاهرة سياسية حيث زوج ابنته من حاكم أحد أقاليم بلاد عيلام وهو (إقليم مارخاشي) ولأهمية هذه الحادثة قام بتسمية السنة الثامنة عشر من حكمهِ[٢]، بـ " سنة زواج حاكم مارخاشي من ابنة الملك"[٣].

ثانياً: أساليب تدوين الصيغ التاريخية وتصنيفها:

من خلال دراستنا لأسماء سنوات الملك شولكي المدونة في النصوص المسمارية ننوه إلى وجود اختلاف في أسلوب صياغة السنين واعتماد الكتبة في اغلب الأحيان على الصيغ المختصرة والمختزلة للأحداث المدونة من خلال استخدام فعل سومري واحد لتلك الجمل، واحياناً يقوم الكتبة بتوظيف صيغتين فعليتين في اسم سنة واحدة وهذا ما لاحظناه في بعض النصوص المسمارية من عهد الملك شولكي ، وتدوين أسماء السنين بشكل مفصل ومطول وذلك لتغطية الجملتين للمعنى المقصود في أسماء تلك السنوات وهذا ما سار عليه نظام تسمية السنوات للملوك اللاحقين له في عصر أور الثالثة، ويمكن تسليط الضوء على تلك المتغيرات التي تحكم الشكل العام لأسماء سنوات الملك شولكي من خلال تصنيفها إلى:

– صيغ أولية قياسية (معيارية).

– صيغ أولية غير قياسية.

ويقصد **بالصيغة الأولية** هي الصيغة التي تحظى بحدث رئيس هام وقع في السنة ذاتها، وغالباً ما تكون مقتصرة في موضوعاتها على نشاطات الملك السياسية، والإدارية والدينية والعسكرية. ويمكن تقسيمها كالاتي:

أ) **صيغة أولية قياسية:** وهي اسم السنة التي صيغت باستخدام جذر فعل واحد يعبر عن الحدث (أي انها تتكون من جملة فعلية واحدة) وقد وردت في النصوص المسمارية بأسلوب مطول ومختصر كما في اسم السنة (٢٤) من عهد شولكي:

Š-24:

mu kara$_2$-ḫar^{ki} **ba-ḫul**

وتترجم: "السنة (التي) **دُمرت** (فيها) مدينة كارَ- خار".

والسنة (٣٩- b):

Š.39-b:

mu ^{d}šul-gi lugal uri$_5^{ki}$–ma- ke$_4$ lugal an-ub-da limmu$_2$- ba-ke$_4$ e$_2$- lPU$_3$-ŠUl-iš- ^{d}da-gan e$_2$-^{d}šul-gi-ra **mu-du$_3$**

وتترجم: " السنة (التي) **بنى** (فيها) شولكي ملك مدينة اور، ملك الجهات الأربع معبد (حضيرة) بوزورش- داگان، معبد (حضيرة) شولگي(٤)".

ب) **صيغة أولية غير قياسية:** وهي اسم السنة التي تضمنت صياغتها أكثر من جذر فعل لتعبر من خلال ذلك عن سلسلة الاحداث المكونة لها (أي انها تتكون من جملتين فعليتين) وقد دونت في النصوص المسمارية كما في:

Š.21- b:

mu ^{d}nin – urta ensi$_2$-gal ^{d}en- lil$_2$- la$_2$- ke$_4$ e$_2$ ^{d}en-lil$_2$ ^{d}nin-lil$_2$-la$_2$-ke$_4$ eš-bar **kin ba- an-du$_{11}$-ga** ^{d}šul-gi lugal uri$_5^{ki}$ –ma-ke$_4$ gan nig$_2$–ka$_9$ ša$_3$ e$_2$ ^{d}en-lil$_2$ ^{d}nin-lil$_2$-la$_2$-ke$_4$ **si bi$_2$-sa-a**

وتترجم" " سنة الاله ننورتا الحاكم العظيم (ensi$_2$-gal) للاله انليل، بعد ان **نطق** بوحيٍ في معابد الاله انليل والالهة ننليل، شولگي ملك مدينة أور **نظم** الحقول والحسابات (العائدة لـ) معابد انليل وننليل(٥)".

ثالثاً: أهم الموضوعات والاحداث التي تضمنتها أسماء سنوات الملك شولكي:

فيما تقدم تناولنا ثمانية وأربعون اسم سنة Year Names، أرخت الى عهد الملك شولگي ، و قد استهل السنة الأولى من حكمهِ باعتلائه العرش وأصبح فيها ملكاً على البلاد ثم تتعاقب النشاطات التاريخية المنسوبة إليه في السنين اللاحقة حيث أرخَ في نصفها الأول للأحداث التي تناولت في سردها أعماله التكريسية واعمار المباني الدينية وملحقاتها

مثل (معبد نن-گوبلاگا، معبد ننورتا٠ ومعبد الجبل في نفر)، وكذلك تلك السنوات المخصصة لمناسبات لها علاقة بالالهة من خلال التماثيل والاثاث المقدمة اليها، خاصة في عمل سرير الالهة ننليل، وقد ادخل الملك عرشاً من اللازورد لكبير الالهة انليل في مدينة اور، وتقديم تماثيل إلى المعابد في مدنها الرئيسة مثل: (تمثال الاله ننا، تمثال الاله اشتران، تمثال الالهة نوخشدا، وتمثال الاله ننگرسو)، وجلفطة (تزفيت) قارب الالهة ننليل، وتنصيب الكهنة، كما تحلل تلك السنوات ترقية ابنة الملك ليور- ميتاشو إلى ملكة مدينة مارخاشي، فضلاً عن مراسيم المواكب الخاصة بدخول الملك (شولگي) إلى معبد باكارا، وتنفيذ المهام الاقتصادية بتنظيم حسابات وامدادات المعبد، وقد شهد النصف الثاني من سني حكم الملك شولگي تاريخاً حافلاً بتطورات هامة في الشأن السياسي والعسكري.

مع الإشارة إلى توطيد العلاقات الدبلوماسية مع الأقاليم المجاورة من خلال عقد مصاهرات سياسية وتزويج ابنتهِ من حاكم مدينة انشان، كما وقد سلطت الضوء وبإسهاب في سردها النشاطات العسكرية للملك شولگي وبسط نفوذه وسيطرته على الأقاليم والمدن المتمردة المجاورة من خلال اخضاعها أو تدميرها.

وقد ورد لدينا بصدد ذلك اسم السنة (٤٣) للملك شولگي بتسميتين مختلفتين : نجد في اسم الأولى استمرارية الاحداث الناجمة عن قيام الملك شولگي بتدمير مدينة ششروم، بينما التسمية الثانية كان موضوعها عن اختيار الكاهنة المسماة اين- اوبزري- آنا كاهنة لمعبد الاله ننا في إشارة ربما تعبر عن تسلم المعبد إدارة العاصمة أور (مدينة الاله ننا) اثناء انشغال الملك في حملاته العسكرية خارج البلاد، ومما يؤكد ذلك هو بقاء اختيار الكاهنة (اين – اوبزري- آنا) لمعبد الاله ننا، وفي السنة (٤٤) في ظل استمرار الملك في نشاطاتهِ العسكرية وتدميرهِ لمدينة سيموروم ولولوبوم للمرة التاسعة، وفي السنة (٤٥) حطم الملك شولگي مدينة كارا – خار، ومدينة اربيلوم، وفي السنوات اللاحقة توجه الملك في جيشه لمدينة خورتي ومدينة كيماش وحطم اراضيهما، و نلاحظ قيام الكتبة عند صياغة أسماء السنوات الخاصة بالمعارك التي خاضها الملك شولگي خاصة في سنواتهِ الأخيرة لجوئهم للمبالغة والتحشيد في الحدث من خلال قيامهم بذكر أسماء المدن التي دمرها الملك

في السنوات السابقة ومن ثم الحاق السنة باسم المدينة الجديدة التي شملتها حروب الملك المستمرة كحدثٍ رئيس لإسم السنة.

رابعاً: مراحل تأليه الملك شولگي:

لقد سبق اسم الملك شولگي في السنوات (21a, 22b, 23 b, 28b, 37b, 39b, 46b, 47b) من حكمهِ بعلامة التأليه والتقديس diĝir وبالرغم من شكوك الباحثين الواضحة على ان علامة التأليه قبل اسم الملك قد وردت في السنة العشرين من حكمهِ، إلا أن ورود العلامة الدالة على التأليه في أسماء السنين بدأت مع السنة الواحد والعشرين من حكمه، وعبر دراستنا لأسماء سنوات الملك شولگي يمكن الاستنتاج بأن عملية تأليه الملك شولكي مرت بمرحلتين رئيستين أدت إلى ترقيته (كملك مؤله) وهي:

١- **مرحلة التمهيد:** التي ظهرت في أول سنة أُله فيها الملك، وقد اختصت في تقديم الملك شولگي كأنموذج (للملك المؤله)، ويرجح أنه منح فيها صفة التأليه أو التقديس من قبل الكهنة ورجال الدين وقد ظهرت في السنة الحادية والعشرين من حكمهِ بصيغتها (b)، ومما يزيد من ترجيح هذا الرأي هو تخصص معظم السنوات السابقة في موضوعاتها ووصولاً إلى السنة (b-21)، في النشاطات التي خصصها للاهتمام بالحياة الدينية كبناء المعابد وتقديم الهدايا لمختلف الالهة خاصة الالهة ننليل زوجة (الاله انليل) كبير الالهة.

٢- **مرحلة الشرعية:** والاعتراف الإلهي التي ظهرت في السنة الثانية (اللاحقة) التي أله فيها الملك، وقد جرى فيها منح الملك شولگي صفة التأليه (التقديس) من قبل انليل كبير الالهة في مدينة نُفْر (العاصمة الدينية للسومريين)، ويظهر ذلك جلياً في السنة الثالثة والعشرون من حكمهِ بصيغتها (b).

حيث نستنتج من ذلك ان الحضارة السومرية مرت بطورين خلال تأريخها الأول في عصر فجر السلالات (٢٩٠٠- ٢٣٥٠ ق.م) عندما كان (مبنى كيبار) الملحق بالمعبد هو المكان الذي تدار عبره شؤون المدينة بواسطة شخصية الـ (en) السيد، أي ان (الدين هو الذي يحدد نظام الحكم) في دويلات المدن السومرية.

أما تاريخها الثاني فكان في عصر أور الثالثة (٢١١٢ – ٢٠٠٤ ق.م) الذي شهد تطوراً أدى إلى تغيير في مفهوم نظام الحكم في الحضارة السومرية خاصة في عهد الملك شولگي حيث ان تأليهه لنفسه يشير إلى وجود نظام سياسي يكون مرتبطاً بشخصية الملك بشكل مباشر، وبذلك أصبح (النظام السياسي هو الذي يحدد شكل الدين)، وان هذا التحول في تأليه الملك شولگي يعد بمثابة تدخل السياسة في شؤون الدين، إلا أنه لم يؤثر على رسوخ المعتقدات الدينية لدى السومريين لأنه لا يتناقض مع مبدأ (الشرك)، وتعدد الالهة في معتقداتهم الدينية.

وقد ورد اسم الملك مؤلها مسبوقا بعلامة التأليه أو التقديس في السنة الثامنة والعشرون بصيغتيها (a) (b).

والسنة التاسعة والعشرون كما في:

Š.29:

mu us_2-sa en nam–šita$_4$ ^{d}**šul-gi-ra-ke$_4$** ba-gub-ba-še$_3$ šud$_3$- sag en- ^{d}en-ki eridu^{ki}-ga dumu šul-gi nita kala-ga lugal uri$_5^{ki}$ – ma lugal an ub-da limmu$_2$- ba-ke4 ba-a-ḫun

وتترجم: " السنة اللاحقة (للتي) نُصب (فيها) كاهن شيتا الذي يشفع بتقوى **لشولگي**، ابن شولگي الرجل القوي ملك مدينة اور، ملك الجهات الأربع كاهن للإله انكي في مدينة اريدو(٦)".

حيث نلاحظ في أسماء هذه السنوات (Š.28a) (Š.28b)، (Š.29) إضفاء الشرعية الدينية على تأليه الملك شولگي في معبد الاله انكي في مدينة اريدو.

أما في السنة سبعة وثلاثون بصيغتها (b) كما في:

Š.37-b:

mu ^{d}nanna u$_3$ ^{d}**šul-gi** lugal-e bad$_3$ ma- da mu- du$_3$

وتترجم: " السنة (التي) بني (فيها) سور البلاد من قبل الاله ننا والملك **شولگي**(٧)".

والسنة التاسعة والثلاثون بصيغتها (b)، وكذلك السنة السادسة والاربعون بصيغتها (b)

Š.46-b:

mu ^{d}**šul-gi** nita kal-ga lugal uri$_5^{ki}$-ma lugal an ub-da limmu$_2$- ba- ke$_4$ ki- maš^{ki} ḫu-ur$_5$- ti^{ki} u$_3$ ma-da-bi u$_4$ 1-a mu- ḫul

وتترجم: " السنة (التي) دَمر (فيها) **شولگي** الرجل القوي ملك مدينة اور مدينة كيماش، مدينة خورتي وبلادهم في يوم واحد" والسنة السابعة والاربعون بصيغتها (b)[٨].

حيث نستنتج من ذلك ان صفة التأليه المرافقة للاسم الملك شولگي صارت وسيلة لمنح الأحقية (الشرعية) لمختلف سياساته خاصة حملاته العسكرية منها في أسماء هذه السنوات.

(Š.37-b)، (Š.39) ، (Š.45-b) ، (Š.46-b)، (Š.47-b).

خامساً: أنواع صيغ أسماء السنوات المعتمدة:

هناك عدة أنواع صيغت بها أسماء سنوات الملك شولكي ولاسيما تلك التي أطلق عليها الصيغ القياسية (المعيارية) التي تتفرع منها صيغ أخرى ثانوية صيغت بأسلوب مختلف عنها نذكر منها:

١- الصيغة الثانوية الملحقة للصيغة القياسية:

وهي صيغة رديفة إلى جانب الاسم الاولي للسنة (الصيغة الرئيسة)، وتعنى بإعادة صياغة الفعل للسنة التي قبلها، ويقصد بها تكرار ورود الحدث للمرة الثانية الذي غالباً ما يكون لهُ سبب سابق للدلالة على استمرارية تأثيرهِ (أي لا يزال هو الحدث الأبرز) أو التأكيد على اهميتهِ ويستخدم في تدوين هذه الصيغة المصطلح (us_2-sa) بمعنى " اللاحق[٩]"، وتقسم إلى:

أ) الصيغة الملحقة الأولية بالأسلوب القياسي (المعياري): وهي اسم السنة التي تحتوي على المصطلح (us_2-sa)، فقد تم الاكتفاء بإيراد فعل واحد اثناء صياغتها ليعبر فيها عن الحدث (أي انها تتكون من جملة واحدة) وقد دونت في النصوص المسمارية بالأسلوب المختصر (المبني للمجهول) كما في:

Š.25-a:

mu **us_2-sa** $kara_2$-ḫar **ba-ḫul**

وتترجم" السنة **اللاحقة** (للتي) **دُمرت** (فيها) مدينة كارا- خار[١٠]".

ب) الصيغة الملحقة الأولية بالأسلوب غير القياسي: وهي اسم السنة التي تحتوي على المصطلح (us_2-sa) في بدايتها، وقد عبر فيها الكاتب عن الحدث باستخدام فعلين في

صياغتها (أي ان تتكون من جملتين للفعل) وقد دونت في النصوص المسمارية بصيغتها المطولة كما في:

Š.22-a:

mu **us_2-sa** ^{d}nin-urta $ensi_2$-gal ^{d}en –lil_2-la_2 ke 4 eš-bar **kin ba-an- du_{11}-ga** ^{d}šul-gi lugal uri_5^{ki} – ma- ke_4 gan_2- ka_9 $ša_3$ e_2 ^{d}en-lil_2 ^{d}nin – lil_2- la_2-ke_4 **si bi_2-sa_2-a**.

وتترجم: " السنة **اللاحقة** (التي) **نطق** (فيها) الاله ننورتا الحاكم العظيم ($ensi_2$-gal) للاله انليل في معابد الاله انليل والالهة ننليل، شولكي ملك مدينة اور **نظم** الحقول والحسابات في معابد لأنليل وننليل[١١]".

ج) الصيغة الثانوية الملحقة بشكلها المختصر (القصير): وهي السنة التي تحتوي على المصطلح (us_2-sa) في نهايتها من دون اعتماد الكاتب جذر الفعل الذي قد دون في الصيغة الرئيسة من اسم السنة التي قبلها (أي انها جملة سومرية غير مكتملة) كما في:

Š.5-a:

mu us_2 e_2- ^{d}nin- urta us_2-sa

وتترجم: " السنة اللاحقة (التي وضعت فيها) أسس معبد ننورتا[١٢]".

Š.9-a:

mu ma_2 ^{d}nin-lil_2- la_2- ke_4 **us_2-sa**

وتترجم: " السنة **اللاحقة** (للتي جلفط فيها) قارب الالهة ننليل[١٣]".

Š.17-a:

mu $^{geš}na_2$ ^{d}nin-lil_2-la_2 **us_2-sa**

وتترجم: " السنة **اللاحقة** (للتي صنع فيها) سرير الالهة ننليل[١٤]".

وادناه جدول للمقارنة بين الصيغ الملحقة التي تحتوي على المصطلح (us_2-sa) في نهايتها مع أسماء السنوات الرئيسة قبلها التي اشتركت في نفس الحدث مع ملاحظة ان السنة السابقة (الاصلية) التي تخلو من مصطلح (us_2-sa) استخدمت صيغاً اعتمدت في جميعها سابقة الفعل (ba) وهي غالباً تدل على المبني للمجهول مما يعني ان السنوات

اللاحقة غالباً تسبقها سنوات احداثها مبنية للمجهول أي ان السنة اللاحقة حدثها غير مكتمل (أي غير محدد بداية الحدث مع انتهائهِ) كما في:

ت	أسماء السنوات الرئيسة السابقة	أسماء السنوات الملحقة التي تحتوي على صيغة (us_2-sa)
I	**Š-4:** mu us_2 e_2-^{d}nin-urta **ki ba-a-ĝar**	**Š.5-a:** mu us_2 e_2-^{d}nin-urta **us_2-sa**
II	**Š-8:** mu ^{geš}ma_2-gur_8-^{d}nin-lil_2-la_2 **ba-ab-du_8**	**Š.9-a:** mu ^{geš}ma_2 nin -lil_2- la_2 **us_2-sa**
III	**Š-16:** mu ^{geš}na_2 nin-lil_2- la_2 **ba-dim_2**	**Š.17-a:** mu ^{geš}na_2 nin-lil_2- la_2 **us_2-sa**

د) **الصيغة الثانوية الملحقة بشكلها الكامل:** وهي صيغ السنوات التي تتضمن المصطلح (mu us_2-sa-bi) في نهايتها تحافظ على المعنى العام في الصيغة (الرئيسة) للاسم الأصلي للسنة عند اضافتها وقد أتت في أسماء السنوات المختصرة والمطولة التي تحتوي على فعل واحد (أي التي تتكون من جملة واحدة) كما في:

Š.22-c:

mu nig-ka_9 ak al-la- ke_4 mu-**us_2-sa**-bi

وتترجم: " السنة **اللاحقة** لحساب المعاول[١٥]".

Š.47-b:

mu ^{d}šul-gi nita kal- ga lugal uri_5^{ki}-ma lugal an-ub-da $limmu_2$-ba-ke_4 ki-maš^{ki} ḫu-ur_5-ti^{ki} u_3 ma-da-bi u_4 1-a **mu- ḫul-a mu-us_2-sa-bi**

وتترجم: " السنة **اللاحقة** للتي **دمر** (فيها) شولكي الرجل القوي، ملك مدنية اور مدينة كيماش، مدينة خورتي واراضيهما في يوم واحد[١٦]".

Š.27-a:
mu šul-gi nita kal-ga lugal an-ub-da limmu$_2$-ba-ke$_4$ si-mu-ur$_4$-um^{ki} a-ra$_2$ 2-kam-aš **mu-ḫul-a mu-us$_2$-sa-bi**
وتترجم: "السنة بعد السنة للتي دَمَرَ (فيها) شولكي الرجل القوي ملك الجهات الأربع مدينة سيموروم للمرة الثانية(١٧)".

وفيما يأتي جدول للمقارنة بين الصيغ الملحقة التي تحتوي على المصطلح (mu us$_2$-sa-bi) في نهايتها من أسماء السنوات الرئيسة التي اشتركت في نفس الحدث مع ملاحظة ان السنة السابقة (الاصلية) خاصة تلك التي تحتوي على فعل في تركيبها اعتمدت صيغة فعلية استعملت فيها سابقة التصريف الأكثر شيوعاً (mu) وهي غالباً تدل على المبني للمعلوم أي ان السنوات اللاحقة التي تستخدم (mu us$_2$-sa-bi) في نهايتها تدل على المبني للمعلوم وجملتها مكتملة الحدث.

ت	أسماء السنوات الرئيسة السابقة	أسماء السنوات التي تحتوي على صيغة (mu us$_2$-sa-bi)
I	**Š.21-d:** mu nig$_2$- ka$_9$ ak al-la	**Š.22-c:** mu nig$_2$- ka$_9$ ak al-la-ke$_4$ **mu us$_2$-sa-bi**
II	**Š.46-b:** mu ^{d}šul-gi nita kal-ga lugal uri$_5^{ki}$ – ma lugal an ub-da limmu$_2$- ba-ke$_4$ ki-maš^{ki} ḫu-ur$_5$-ti^{ki} u$_4$ ma-da-bi u$_4$ 1-a mu - ḫul	**Š.47-b:** mu ^{d}šul-gi nita kal-ga lugal uri$_5^{ki}$ – ma lugal an ub-da limmu$_2$- ba-ke$_4$ ki-maš^{ki} ḫu-ur-ti^{ki} u$_4$ 1-a mu - ḫul-a **mu us$_2$-sa-bi**

ونرجح أنه لم يرد اسم السنة الرئيس لصيغة سنة (Š.27-a) في صيغة السنة التي قبلها (Š.26) في ثبت أسماء السنوات على منصة (cdli) .

٢-الصيغة الثانوية الملحقة للمرة الثانية:

وهي الصيغة التي تحتوي المصطلح (us$_2$-sa) في بدايتها، و (mu us$_2$-sa-bi) وتكرار ورود الحدث للمرة الثالثة الذي غالباً ما يكون له سبب سابق للدلالة على استمرارية

تأثيره أو التأكيد على أهميتهِ، وبذلك تعني السنة اللاحقة للسنة الثانية من الحدث أي " السنة الثالثة[١٨]" وقد ظهرت في النصوص المسمارية بأسلوب قياسي واحد يحتوي على المصطلح (us_2-sa) في بدايتها و (mu us_2-sa-bi) في نهايته في ضل وجود جملة فعلية واحدة

Š. 34-b:

mu **us_2-sa** a-ra$_2$ 3-kam-aš si-mu-ru-um^{ki} **ba-ḫul** mu **us_2-sa-bi**[19]

وتترجم: "**السنة الثانية بعد السنة** (التي) **دمرت** (فيها) مدينة سيموروم للمرة الثالثة".

٣-الصيغة الثانوية الملحقة للمرة الثالثة:

وهي الصيغة التي تحتوي على المصطلح (us_2-sa) في بدايتها، وتكرار المقطع mu (us_2-sa-bi) لمرتين في نهايتها حيث تعبر عن تكرار ورود الحدث للمرة الرابعة الذي غالباً ما يكون له سبب سابق للدلالة على استمرارية تأثيره او التأكيد على اهميته وبذلك تعني السنة اللاحقة للسنة الثالثة من الحدث اي السنة الرابعة[٢٠]، وقد ظهرت في النصوص المسمارية بأسلوب واحد أطلقنا عليه (الصيغة الثانوية الملحقة للمرة الثالثة بشكلها القياسي) الذي يتم فيه التعبير عن اسم السنة بعد تدوين المقطع (us_2-sa) في بدايتها، وتكرار المقطع (mu us_2-sa-bi) لمرتين في نهايتها من خلال استخدام جملة فعلية واحدة خاصة عند التعبير عن (المبنى للمجهول).

كما في اسم السنة الثانية والاربعون بصيغتها (a) لدى الملك شولگي(Š.42-a) :

Š.42.a:

mu **us_2-sa** e_2-|PU_3- ŠA| -iš-^{d}da-gan^{ki}

ba-du_3.a **mu us_2-sa-a-ba mu us_2-sa-a-bi**

وتترجم: "**السنة الثالثة بعد السنة** التي **بنيّ** (فيها) معبد (حضيرة) بوزورش-داگان[٢١]".

وقد ظهر لدينا (٧) أفعال مركبة في تلك الصيغ مكونة من (اسم + فعل) مع استخدام الكاتب لخاصية التوكيد من خلال تكراره لجذر الفعل في السنة (Š.21-a) في الجملة الفعلية (si bi_2-in-sa_2-sa_2-a).

ومن أصل (٦٨) صيغة فعلية ورد (٥٣) مرة استخدم فيها الكاتب السابقة (ba)، و (٥) صيغ منها وردت فيها السابقة (mu) الشائعة باستخداماتها في مختلف الصيغ، و (٤)

صيغ وردت فيها السابقة (i_3) و و (٤) صيغ أخرى وردت فيهما (bi_2) وصيغة واحدة وردت فيها السابقة (imi)، وصيغة أخرى ورد فيها استخدام السابقة (i) قراءتها الأولى نادرة الورود كما هو موضح في الجدول ادناه:

السابقة	عدد المرات
ba	53
mu	5
i_3	4
bi_2	4
imi	1
i	1

اما من الناحية الصوتية فقد راعى الكتبة في أسماء سنوات الملك شولگي (٢٠٤٧ – ٢٠٩٤) ق.م حالة التجانس الصوتي داخل الجملة الفعلية بين سابقة التصريف (ba)، وجذور الأفعال التي تحتوي على حرف العلة (a) حيث تظهر في السنتين الثانية (2) والرابعة (4) من حكم الملك شولكي في الفعل المركب: ki ba-a-gar

وإن اهتمامهم بالتجانس الصوتي كان واضحا ايضاً باستخدام سابقة التصريف (i_3) مع جذور الأفعال المغلقة التي تحتوي على حرف العلة (i)[٢٢] التي ظهرت في الصيغة الفعلية المركبة للسنة السابقة من حكم الملك شولگي šu in–nigin$_2$ وهذا يدل على التطور والنضوج الذي وصل إليه نحو اللغة السومرية في عصر اور– الثالثة .

ومن إجمالي (٥٩) صيغة تاريخية أحصينا وجود (٥٥) صيغة استخدمت فيها السابقة (ba) مع جذور أفعال مختلفة لكنها جميعاً يؤشر عليها انها جاءت بصيغة المبني للمجهول.

بينما الصيغ التي وردت باستخدام السابقة الأكثر شيوعاً في اللغة السومرية (mu) قد وردت في جملة يكون الفاعل فيها معلوماً وهو اسم الملك شولگي الذي يتصدر اسم السنة وهم ما استدعانا الى ان نترجم جذر الفعل (du_3) مع السابقة (ba) (بُنيَ) اما إذا جاء مع السابقة (mu) فيكون معناه (بنى).

ويمكن ملاحظة جذور الأفعال الاعتيادية التي تتكون من مقطع صوتي واحد في تلك الصيغ كما في: (du_3, pad_3, dim_2, il_2, ḫul, sum, gub, ḫun, ra, du, tuk) والجذور التي تتكون من مقطعين كما في: (dug_4/**du_{11}-ga** , ḫug / **ḫun-ga**)

اما الأفعال المركبة المستخدمة في تدوين أسماء سنوات الملك شولكي فتتكون من مقطعين صوتيين مختلفين في طبيعتهما اللغوية (الاسم + الفعل) حيث استخدمه الكاتب السومري كجزء من الأساليب النحوية المعتمدة في اللغة السومرية لكي تكون الجملة الفعلية أكثر وضوحاً.

وقد ظهر لدينا تباين واضح في السنة الثلاثون من حكم الملك شولكي التي وردت في النصوص المسمارية بصياغتين مختلفتين، والمشار اليها من قبل الباحثين في موقع: " مبادرة المكتبة الرقمية المسمارية" cdli بالتسلسل (Š.30-a) و(Š.30-b) كما في:

Š.30-a:

mu dumu-munus lugal $ensi_2$ an-ša-an^{ki}-ke_4 **ba-an- tuk**

Š.30-b:

mu dumu-munus lugal $ensi_2$ an-ša-an^{ki}-ke_4 **ba-an- du**

حيث ظهرت ترجمتها: " السنة (التي) **زوج** (فيها) حاكم مدينة انشان من ابنة الملك" في إشارة حول جذر الفعل الظاهر في أكثر من لفظ (لفظين مختلفين) الجذر (tuk) والجذر (du) والدالان على معنى واحد (زوج).

ويظهر لدنيا في السنة (45b) المطولة في أسلوب صياغتها التي عبرت في حدثها عن قيام الملك شولكي بتدمير مدن (اربيليوم، سيموروم، لولوبوم، ومدينة كاراَ- خار) باستخدام الكاتب لحرف العطف (u_3) لمرة واحدة بين أسماء المدن المذكورة، وهذا يظهر في:

Š.45-b:

mu ^{d}šul-gi nita kal-ga lugal uri_5^{ki} – ma lugal an ub- da $limmu_2$- ba-ke_4 **ur-bi_2 -lum ^{ki} si- mu-ru um^{ki} lu- lu- bu^{ki} u_3 $kara_2$-ḫar^{ki}** 1-$še_3$/ aš- $še_3$ sag-du- bi šu- bur-a im-mi – ra/ bi_2- ra-a

سادساً: الصيغ الفعلية الواردة في أسماء سنوات حكم الملك شولگي:

من خلال إحصاء مجموع الصيغ الفعلية في أسماء سنوات الملك شولگي البالغة (٧٠) صيغة فعلية نجدها تضمنت نوعين رئيسين من الصيغ **الأول:** صيغ فعلية اعتيادية وعددها (٦١)، و**الثاني:** صيغ فعلية مركبة ومجموعها (٩).

والجدول ادناه يبين الصيغ الفعلية الاعتيادية بحسب ورودها في أسماء السنين من عهد الملك شولگي:

السنة	الصيغ الفعلية الاعتيادية
Š:3	i-na-ku_4-ra
Š:5	ba-du_3-a
Š:8	ba-ab-du_8
Š:9-b	ku_4
Š:10	ba-du_3
Š:11	ba-ku_4
Š:12	ba-ku_4
Š:13	ba-du_3
Š:14	ba-ku_4
Š:15	i_3-pad_3
Š:16	ba-dim_2
Š:17-b	ba-ḫun-ga
Š:18	ba-il_2
Š:19	ba-ab-gi_4
Š:20-a	ba-an-ku_4
Š:21-c	ba-ḫul
Š:22-b	ba-ḫul
Š:23-b	sum-ma-ni
Š:24	ba-ḫul

السنة	الصيغ الفعلية الاعتيادية
Š:25	ba-ḫul
Š:26	ba-ḫul
Š:27	ba-ḫul
Š:28-a	ba-gub-ba-$še_3$
Š:28-a	ba-a-ḫun
Š:28-b	ba-gub
Š:28-b	ba-a-ḫun
Š:29	ba-gub-ba-se_3
Š:29	ba-a-ḫun
Š:30-a	ba-a-tuk
Š:30-b	ba-an-du
Š:31-a	ba-an-tuk
Š:31-b	ba-ḫul
Š:32	ba-ḫul
Š:33-a	ba-ḫul
Š:34-a	ba-ḫul
Š:35	ba-ḫul
Š:36-a	ba-ḫul
Š:36-b	ba-ku_4
Š:36-c	ba-an-ku_4

السنة	الصيغ الفعلية الاعتيادية
Š:37-a	ba-an-ku_4
Š:37-b	mu-du_3
Š:37-c	ba-du_3
Š:38	ba-du_3
Š:39-a	ba-du_3
Š:39-b	mu-du_3
Š:40	ba-du_3-a
Š:41	ba-du_3-a
Š:42-a	ba-du_3-a
Š:42-b	mu-ḫul
Š:43-a	ba-ḫul
Š:43-b	i_3-pad_3
Š:44-a	i_3-pad_3
Š:44-b	ba-ḫul
Š:45-a	ba-ḫul
Š:45-b	bi_2-ra-a
Š:45-b	im-mi-ra
Š:46-a	ba-ḫul

السنة	الصيغ الفعلية الاعتيادية
Š:46-b	mu-ḫul
Š:47-a	ba-ḫul
Š:47-b	mu-ḫul-a
Š:48-a	ba-ḫul

أدناه جدول يوضح صيغ الأفعال السومرية المركبة بحسب ورودها في أسماء السنين من عهد شولگي:

السنة	الصيغ الفعلية المركبة
Š:2	ki ba-a-gar
Š:4	ki ba-a-gar
Š:6	si bi_2-sa_2-a
Š:7	šu in-$nigin_2$
Š:20-b	ka ba -ab-$kešda_2$
Š:21-a	kin ba-an-du_{11}-ga
Š:21-a	si bi_2-in- sa_2-sa_2-a
Š:22-a	kin ba-an-du_{11}-ga
Š:22-a	si bi_2-sa_2-a

الخلاصة:

١-تضمنت أسماء سنوات الملك شولكي نوعين رئيسين من الصيغ التاريخية الأول: صيغ قياسية(معيارية) ذات صيغ قصيرة وواضحة، والثاني: صيغ غير قياسية (معقدة التركيب).

٢-تألفت الصيغ القياسية لأسماء السنين من جملة فعلية بسيطة واحدة، حيث اعتمد الكتبة في الغالب على استعمال سابقة التصريف (أداة الفعل) mu للتعبير عن الحدث المبني للمعلوم بينما اعتمدوا سابقة التصريف ba للتعبير عن المبني للمجهول لوصف الحدث.

٣-فيما يخص تاليه الملك شولكي نلاحظ وبشكل واضح ان العلامة الدالة على الالوهية diğirوضعت قبل اسمه بدءاً من السنة الحادية والعشرون من حكمه، أي ان علامة التقديس لم ترد في جميع أسماء سنوات الملك شولگي الثمانية والاربعون، بل نجدها فقط في ثماني سنوات وهي على التوالي:(21a,22b,23 b,28b,37b,39b,46b,47b)، بمعنى ان مسالة تاليه شولگي لازال يكتنفها بعض الغموض؟

٤- تنوعت الموضوعات التي تناولتها صيغ أسماء سنوات الملك شولگي فقد شملت بعض الاحداث والمناسبات الدينية ومنجزاته العمارية، فضلا عن اعماله العسكرية وكذلك بعض التطورات السياسية والدبلوماسية، كما شملت أيضا نواحي اجتماعية.

الهوامش:

(١) كريمر، صمويل نوح، السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة: د. فيصل الوائلي، لبنان، ٢٠١٢، ص٤٥٣

(٢) الصالحي، صلاح رشيد، بلاد الرافدين دراسة في تاريخ وحضارة العراق القديم، ج١، بغداد، ٢٠١٧، ص٢٨٢

(٣) بهنام، سرجون نجيب، نصوص مسمارية غير منشورة من سلالة أور الثالثة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠١٠، ص١٤- ١٦

(4) Sigrist, M., & Damerow, P., Mesopotamian Year Names Neo-Sumerian and Old Babylonian Date Formulas, Berlin, 2001, p.23

(5) Ungnad, A., RLA, Vol. 2, 1938, p. 137

(6) Sigrist, M., & Damerow, P., op.cit, p. 22

(7) Ibid, p.20

(8) Ungnad, A., op.cit, p. 134;137

(9) Sallaberger, W., SZ, P.693; Attinger, P., GSF, P. 1131;

احمد، علي محمد، نصوص مسمارية مصادرة غير منشورة من عصير عبر الثالثة محفوظة في المتحف العراقي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٢١، ص١٦

(10) Sigrist, M., & Damerow, P., op.cit, p.21

(11) Ibid, p. 21

(12) (P117428), MAR. 2.25

(13) Sigrist, M., & Damerow, P., op.cit.p. 19

(14) Ibid, p.20

(15) Sigrist, M., Ozaki, T., BPOA, Vol.6, 2009, p. 452. No. 1234; CDLI, (P292433), MAR, 2025

(16) Sigrist, M., & Damerow, P., op.cit, p.24

(١٧) الحميداوي، وجدان ناصر حسين، الملك شولكي في النصوص المسمارية المنشورة وغير المنشورة (٢٠٩٥-٤٧ ق.م) اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠٢٣، ص٩٥

(١٨) احمد، علي محمد، المصدر السابق، ص١٦

(19) Sigrist, M., & Damerow, P., Op.cit, p. 22

(20) Ibid, p.23

(21) https://cdli.ox.ac.uk/wiki/doku.php?id=year_names_shulgi
(22) Edzard, D. O., Sumerian Grammar, Bosten, 2003, P.109.110

المصادر:

١-احمد، علي محمد، نصوص مسمارية مصادرة غير منشورة من عصير عبر الثالثة محفوظة في المتحف العراقي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل،٢٠٢١.

٢-بهنام، سرجون نجيب، نصوص مسمارية غير منشورة من سلالة أور الثالثة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠١٠.

٣-الحميداوي، وجدان ناصر حسين، الملك شولكي في النصوص المسمارية المنشورة وغير المنشورة (٢٠٩٥-٤٧ ق.م) اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد،٢٠٢٣.

٤- الصالحي، صلاح رشيد، بلاد الرافدين دراسة في تاريخ وحضارة العراق القديم، ج١، بغداد، ٢٠١٧.

٥- كريمر، صمويل نوح، السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة: د. فيصل الوائلي، لبنان، ٢٠١٢.

6- Atlinger, P., Glossoire Sumérien_Français - Principalement des Texts Letteraires Paléobabyloniens, Harrassowitz,(GSF), 2021.

7- Edzard, D. O., Sumerian Grammar, Bosten, 2003.

8- https://cdli.ox.ac.uk/wiki/doku.php?id=year_names_shulgi

9- Sallaberger, W., Sumerischer Zettelkasten, (SZ), Munich, 2006.

10- Sigrist, M., & Damerow, P., Mesopotamian Year Names Neo-Sumerian and Old Babylonian Date Formulas, Berlin, 2001.

11- Sigrist, M., Ozaki, T., Neo-Sumerian Administrative Tablets from the Yale Babylonian Collection, BPOA, Vol.6/1, Madrid,2009.

12- Ungnad, A., "Dattenlishtin ", (RLA), Vol. 2, Berlin, 1933-1938.

الأَجــير في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية

م.د حنين عبد الغني جاسم

قسم اللغات العراقية القديمة

كلية الآثار/ جامعة موصل

E-mail: haneen_abdulghani@uomosul.edu.iq

ORCID: orcid.org/0009-0002-6102-7664

الأَجـير في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية

م.د حنين عبد الغني جاسم

الملخص:

أَمدتنا النصوص المسمارية المكتشفة من مختلف مدن العراق القديم بمعلومات قيمة عن طبيعة الحياة الاقتصادية في بلاد الرافدين ، وعن شرائح تلك الحياة كأصحاب المهن والحرف فضلاً عن الأُجراء العاملين لقاء أجر يوميّ أَو شهري أَو حتى لقاء حريتهم. ومن هذا المنطلق ارتأينا أن نسلط الضوء في صفحات بحثنا هذا على طبقة الأُجراء ، وما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات مستندين في ذلك على جملة من المواد القانونية التي عنيت بتنظيم وضعهم المادي فضلاً عن جملة من النصوص المسمارية ذات الطابع الاقتصادي ، والتي غطت مختلف العصور في بلاد الرافدين.

الكلمات المفتاحية: أجرة، بلاد الرافدين، مواد قانونية، نصوص مسمارية، العمل.

The Hired Worker in Mesopotamia in Light of Cuneiform Sources

Dr. Haneen Abdukghani Jasim
Department Ancient of Iraqi Languages
College of Archaeology
University of Mosul

Abstract:

The Cuneiform texts discovered in various cities of ancient Iraq have provided us with valuable information about the nature of economic life in Mesopotamia and its social strata, such as craftsmen and professionals, as well as hired laborers who worked for a daily or monthly wage, or even in return for their freedom. From this perspective, this study seeks to shed light on the class of hired laborers, examining their rights and obligations, based on a set of legal provisions that regulated their material conditions, in addition to a number of economic cuneiform texts that span different periods of Mesopotamian history.

Keywords: Wages, Mesopotamia, Legal provisions, Cuneiform Texts, Labor.

الأَجيُر لغةً :

وصف على فعيل ، مشتق من الفعل الثلاثيّ أَجر ، وقد يزاد بتضعيف العين ، فيصير (أَجّرَ) ، ومعناه : أكرى ، ومصدره التأجير مصدر ، اي : الإكراء ، وتاجر من سعى للحصول على الأجر (الثواب) في الدار الاخرة ، واستأجر من اكترى من المستأجر وأجر من يعمل بأجر يوميّ ، وايجار جمعه ايجارات ، وهي من اجادة كراء [١] . أما لسان العرب فذكر معانٍ عديدة للمصطلح ذاته ، والأَجر : الجزاء على العمل والجمع أجور ، والإجارة من أجرَ يأجرُ وهو ما اعطيت من أجرْ في العمل [٢] .

وأَجرَ الملوك يأجُرهُ أجراً ، فهو مأجور , وأجره يؤجره ايجاراً ومؤاجرة ، وأجرت عبدي أوجرهُ ايجاراً فهو مؤجرُ ، الاجير المستأجر وجمعه أجراء [٣] .

الايجار إصطلاحاً :

هو إنسان يُؤجر نفسهُ أَو يؤجّره غيرهُ للإنتفاع من عمله ، وعلى هذا يختص الأجير بأُجرة المنفعة ويشار إليه بأنه (من يعمل بأجر يومي) ، وايضاً هو الإنسان الذي يتقاضى أُجرة مقابل عملهُ ، والأجير الخاص هو الذي يستحق الأجرة بتسليم نفسهُ في مدة العمل أَو لم يعمل كراعي للغنم ، والأجير المشترك من يعمل لغير واحد كالصباغ[٤] .

الأجير في المعاجم اللغوية :

استعمل الفعل السومريّ IN.ḪUN الذي يرادفه في اللغة الأكدية الفعل [٥] agāru) (والذي يعني: (أجرَّ) او (استأجر) ومن الجدير بالذكر أَنّ هذه الصيغة الفعلية السومرية (IN.ḪUN) كانت شائعة الاستعمال في عقود ايجار الأشخاص من العصر البابليّ القديم . واستخدمت أيضاً الكلمة السومرية (A_2.BI) في عقود ايجار الاشخاص التي يقابلها في اللغة الاكدية [٦](idū) وتعني: أجرة ، راتب ، ووردت مفردة الأجير في اللغة السومرية بصيغة[٧] ^{lu2} ḫug–ga_2 يقابلها في اللغة الأكدية [٨]ēpišu dulli ، [٩]epēšu والمستأجر[١٠] aššābu .

أما في نصوص اللهجة الآشورية الحديثة (٩١١–٦١٢ ق.م)، فقد وردت المفردة الدالة على الأجير بصيغة : munnagru بمعنى: عامل مأجور أو أجير[١١].

أولاً : ايجار الأَشخاص في العراق القديم :

احتلت ظاهرة تأجير الأشخاص مكان الصدارة في النصوص القانونية[١٢] ذات العلاقة نظراً للحاجة الملّحة لإيجاد الأيدي العاملة في المجالات الزراعية والصناعية ، حيث نشأت فيه نُظُم اجتماعية واقتصادية متقدّمة سبقت عصرها ، ومن بين هذه النظم كان نظام (إيجار الأشخاص) الذي يعدّ أحد أشكال التنظيم الاقتصادي والاجتماعي الذي ساد في المجتمعات السومرية والبابلية والآشورية ، إذ يعكس هذا النظام العلاقة بين الفرد والمجتمع[١٣] .

ثانياً: أصناف ايجار الأشخاص في ضوء النصوص المسمارية:

امدتنا النصوص المسمارية بنماذج عديدة من أمثلة ايجار الأشخاص في ضوء القوانين والعقود والرسائل ، والتي سنسلط الضوء عليها ؛ لغرض الوقوف على أوجه الشبه والاختلاف في كل منها.

أ – إيجار الاشخاص في القوانين :

عالجت القوانين العراقية القديمة مختلف أَوجه الحياة من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية والجوانب ذات العلاقة[١٤]، وفيما يخص قانون أشنونا[١٥] فقد وردت عدة إشارات إلى ايجار الأشخاص ، وتحديد حقوقهم وأجورهم ، فقد تطرقّت المادة السابقة من القانون الى أجرة الحاصد حيث نقرأ في نص المادة :

2(sūt) ŠE A_2 ŠE.KUD.KIN šum.ma KU_3.BABBAR 12 ŠE.A_2. BI.[16]

" أُجرة الحاصد ٢ سوتو شعيراً، إذا فضة ١٢ حبة أجرته ".

نجد أن المشرّع لقانون أَشنونا قد حافظ على حقّ الحاصد في تحديد أجرتهُ ، والتي قرنها بنوع المادة المحصودة .

إذ تضمنت التشريعات القديمة نصوصاً حازمة لتنظيم عقود العمل؛ ففي حال تسلم الأجير مبلغ (شيقل واحد من الفضة) كأجر مسبق لعملية الحصاد، ثم أخلّ بالتزامه ولم ينجز العمل المطلوب في وقته، فإنه يُلزم قانوناً بدفع غرامة مالية تصل إلى عشرة أضعاف المبلغ الأصلي (١٠ شيقلات فضة)

"LU_2 1GIN_2 KU_3. BABBAR a–na e–se–di a–na LU_2. ḪUN.GA_2 [li]– di – in – ma šum–ma re–su la u_2–ki–il–ma [e]–ṣe–dam la e– ṣi$_2$– su 10 GIN_2 KU_3.BABBAR I_3.LA_2.E_3" (17).

" إذا أعطى رجل ١ شيقل فضة إلى أجير للحصاد– إذا لم يكن (الأجير) مستعداً ولم يحصد له الحصاد اطلاقاً عليه ان يدفع ١٠ شيقل فضة ".

فيما ورد في المادة (١١) من القانون مايأتي :

"idī agrim 1 šiqil kaspum 1 (n) šeum ukullēšu warḫam ištēn illak".

" أجرة الرجل الأجير تساوي شيقلاً واحداً من الفضة ، وطعامهُ واحد بان من الشعير ، وعليه أن يخدم بهذه الأجرة لمدة شهر واحد "(١٨) .

نجد في المادة القانونية المذكورة آنفاً إن المشرّع قد حدد فيها الأجرة المعطاة الى الأجير فضلاً عن تحديد المدة الزمنية للعمل الذي يكلف به الأجير(١٩) .

أما في قانون حمورابي(٢٠) ، فقد تطرّق إلى شروط العمل والأجور ، وذكر مبادئ وقواعد دلت على مدى النضج الحضاري الذي بلغته تلك القوانين ، والى المستوى المتقدّم الذي لايزال يشكل اهتماماً متزايداً لدى مشرعي قوانين الدول المتقدمة حالياً(٢١) . إذ عالجت المادتان القانونيتان (٢٧٣ – ٢٧٤) مسألة تحديد أجور العمال ، فضلاً عن تحديد الأجور بالنسبة لأصحاب المهن والحرف كالصائغ والخياط والبناء(٢٢) . وذلك لضمان حقوقهم وفيما يأتي نص المادتين :

حيث نقرأ في نص المادة ٢٧٣ من القانون :

"šumma awīlum agram igur , ištu rēš šattim adi ḫamšim warḫim 6 uṭṭet kaspam ina ūmim išten inaddin , ištu šiššim warḫim adi taqtit šattim 5 uṭṭet kaspam ina ūmim ištēn inaddin(23)".

" إذا استأجر رجل اجيراً ، فعليه ان يدفع (له) ست حبات من الفضة في اليوم (بدءاً) من بداية السنة وحتى (نهاية) الشهر الخامس ويدفع (له) من (بداية) الشهر السادس وحتى نهاية السنة خمس حبات من الفضة في اليوم "(٢٤) .

"نظمت القوانين البابلية أجور العمالة الموسمية بدقة متناهية، حيث حددت المادة القانونية معياراً متغيراً للأجر اليومي للأجير؛ فخلال الأشهر الخمسة الأولى من العام (موسم الذروة والعمل الشاق) يُلزم صاحب العمل بدفع ست حبات من الفضة يومياً. أما في الفترة الممتدة من الشهر السادس وحتى ختام السنة، فينخفض الأجر ليصبح خمس حبات فضية عن كل يوم عمل. ويبدو أن سبب هذا الاختلاف في الأجرة هو أن الاعمال الزراعية الموسمية تزداد في موسم البذار والحصاد وتقل بعد ذلك [٢٥] .

أما المادة (٢٧٤) من القانون فقد حددت أجرة بعض أصحاب المهن والحرف ، وذلك لضمان حقوقهم ، إذ نقرأ في نص المادة مايأتي :

šum–ma a– wi– lum DUMU UM. MI. A i– ig– ga– ar ID ^{lu2}.... 5 ŠE KU_3. BABBAR ID ^{lu2}GAB. A 5 [ŠE. KU_3]. BABBAR [ID] LU_2. GAD [5 ŠE] KU_3. BABBAR [ID^{lu2}] BUR. GUL [5 ŠE. KU_3]. BABBAR [ID^{lu2}] ZADIM. [5 ŠEKU_3.] BABBAR [ID^{lu2}] SIMUG] [5 ŠE KU_3]. BABBAR [ID^{lu2}] NAGAR. 5 ŠE KU_3. BABBAR ID ERIB 5 ŠE. KU_3. BABBAR ID AD.KID [5] ŠE KU_3. BABBAR [ID^{lu2}] ŠITIM [5] KU_3. BABBAR [i– na UD]. 1. KAM [i– na– ad]– di– in[26].

" "أقر المشرع في العراق القديم معياراً ثابتاً لأجور أصحاب المهن والحرف اليدوية، مما يعكس توجهاً نحو توحيد القيمة السوقية للعمالة الماهرة في ذلك العصر. وبموجب هذا النص القانوني، حُدد أجر يومي مقداره خمس حبات من الفضة لمجموعة واسعة من المتخصصين؛ شملت قطاعات البناء والنجارة والحدادة، فضلاً عن الحرف الفنية الدقيقة كصناعة الحلي (الجواهري) والنقش والخياطة، وصولاً إلى المهن الخدمية والتحويلية كالدباغة وحياكة الحصران ويدل هذا التوحيد في القيمة المالية للأجر على اعتراف قانوني ومجتمعي بأهمية المهارة الحرفية بشتى أنواعها، ودورها الأساسي في البنية الاقتصادية للدولة".

نستنتج مما جاءت به بعض المواد القانونية من قانوني أشنونا وحمورابي والمتعلقّة بموضوع الايجار ان لهذا العقد أركاناً قائمة على التراخي والمنفعة ، فالمؤجر هو المالك والمستأجر هو المنتفع طيلة مدة الايجار التي حددتها المواد القانونية كما نظمت هذه المواد

القانونية العالقة بين المالك والمستأجر وما يترتب على الطرفين من التزامات [٢٧] .

ب – إيجار الأشخاص في ضوء العقود :

من أنواع عقود الايجار الشائعة في العصر البابلي القديم عقد ايجار الأشخاص والهيكل العام لهذا النوع من العقود يضم الى جانب محل العقد والمتمثل بالشخص الأجير ، أسماء الاطراف المتعاقدة ، وقد يكون الطرف الأول اي المؤجِّر مالكا للأجير في حالة كونه من طبقة العبيد ، أَو قد تربطه بالأجير علاقة اجتماعية ، وفي بعض الاحيان وعندما يقوم الشخص بتأجير نفسه يكون طرفاً من أَطراف العقد ومحلاً للعقد في الوقت نفسه لذلك تستعمل الصيغة السومرية KINI.TI.NE والتي تعني: (من نفسه) والصيغة الأكدية المقابلة KI (itti) ra–ma–ni–šu(u_3 pa–ag–ri–šu (من نفسه (وجسده))[٢٨] ، ثم يعقب ذلك أسم الطرف الثاني ، وهو المستأجر .

وفي الكثير من العقود يتم ذكر الالتزام الذي يقع على عاتق الأجير كأن يقوم بالرعي[٢٩] او الذهاب في حملة ملكية بدلاً من المستأجر[٣٠] أو الذهاب في رحلة تجارية أو القيام بأعمال الحصاد أو الأعمال الزراعية الأخرى[٣١] .

اما صيغة إبرام العقد (فعل العقد) في هذا النوع من العقود فهي ترد اما بالصيغة السومرية IN.KU بمعنى: ((آجَّر) أستأجرَ) أَو بالصيغة الأكدية المقابلة i–gu–ur من المصدر agārum بمعنى (أجر ، أستأجر) ومن ثم يتم تحديد مدة الايجار ، والتي قد تكون سنة او أكثر أو أشهر أو أيام ، وغالباً ماتحدد بداية البدء بالعمل : UD_4KAM i– ru–ub (اسم الشهر) ITU (دخل (بدأ بالعمل) في اليوم الرابع من شهر (أسم الشهر)) ، ومن الامثلة على هذه الصيغة نورد النص الآتي :

"PN a–gu_2–ur–ma u ištēn iṣṣuḫārī ištišu ana ṣērišunu aštapar" [32].

" لقد استأجرتُ (PN) وأرسلت معه واحداً من الخدم اليهم " .

وثمة مثال آخر :

"PN šumšu ina ṭēm ramanišu PN_2 Nisannum UD.20.KAM BA.ZAL i–gu–ur–šu 3GUR še'am ana ITI.3.KAM PN_2 ana PN imaddad Dumuzi UD.20.KAM ittallak PN_2" .

" استأجر (PN) رجلاً (PN_2) يعمل لنفسه ، وفي اليوم ٢٠ من نيسان سيكيل ٢٠ كوراً من الشعير لمدة ثلاثة أشهر ، وفي اليوم ٢٠ سيترك (العمل) "[٣٣] .

حدد النص مدة الاستئجار وهي ثلاثة أشهر فضلاً عن مقدار الأجرة البالغة ٢٠ كوراً من الشعير .

ومن وثيقة قانونية لدينا مثالاً عن قيام شخص باستئجار شخص آخر من أمه بمقدار ستة شيقل من الفضة في السنة حيث نقرأ في النص الآتي :

PN KI PN_2 AMA.A.NI PN_3 MU.AM 6GIN KU.BABBAR i-gu-ur-ma[34] .

" استأجر (PN) امه بمقدار ٦ شيقل فضة .

ويلاحظ على عقود ايجار الأشخاص أنها حددت المدة الزمنية لإيجار الأشخاص فضلاً عن تحديد المقابل المادي له، إذ نقرأ ما نصهُ:

“ EN.ZU-i-qi-ša-am
it-ti ra-ma-ni-šu
ī-li_2-ba-ni
a-na ITI 2KAM
i-gn-hr-šu
A_2.BI ITI 2KAM
213 GIN_2 15 ŠE KU_3.BABBAR
I_3.LA_2.E
IGI $^{d.}$AMAR.UTU
IGI a-an- $^{d.}$UTU-li-ṣi
ITI NE.EN.GAR UD 2 KAM
MU.UN. SUM.MA TA
IA.D.ABU.<UM>” [35] .

" عقد ايجار شخص لمدة شهرين لقاء كمية محدودة من الشعير والفضة وقد أبرم العقد أمام شاهدين في اليوم الثاني من آب السنة التي سمسو – ايلونا الملك بأمر الإله إنليل ، وبالحكمة والقوة التي أُعطيت من قبل الإله مردوك " .

ونقرأ في نص آخر لم يحدد مدة الايجار ، إذ تكون مدة الايجار مفتوحة لغاية انتهاء العمل حيث نقرأ :

"PN itti ramānīšu PN_2 adi paṭar erēši i–gu–ur" (36) .

" استأجر (PN) رجلاً من (PN_2) يعمل بنفسه حتى الانتهاء (الحاجة) من العمل ".

ومن أهم العقود التي تخص ايجار الأشخاص هي ايجار الحاصدين ، إذ تبدأ عادة بذكر مقدار المبلغ المدفع مقابل أعمال الحصاد والصيغة المستعملة في هذه الفقرة :

"a–na (EREM) . ŠE.KIN.KUD"

والصيغة الأكدية المقابلة :

"a–na e–ṣi–di–im"

بمعنى: (الى الحصاد)

ثم يعقب ذلك ذكر أسماء الأطراف المتعاقدة وغالباً ما أَلحق اسم المؤجر بالصيغة السومرية itti/KI بمعنى: (من) ومن ثم يتم ذكر اسم الأجير شخصا كان أو اكثر أو قد يذكر الوكيل الذي سيلتزم بجلب العمال .

اما الصيغة السومرية ŠU.BA.AN.TI بمعنى: (استلم) ويقابلها في الأكدية leqû وفي نهاية العقد يتم تثبيت الالتزامات بفقرة تشير إلى أنه على الأجير التوجه الى الحقل عند موسم الحصاد(٣٧) كما في النص الآتي :

" 1 (GUR) 4 (BAN_2) ŠE.GUR
GIŠ . BAN_2 $^{d.}$ (UTU)
a–na e–ṣi–di–im
SAG–um a–ni ti a–ša–rum
ša E_2 il–ta–ni LUKUR $^{d.}$ (UTU)

DUMU.SAL šar–ri–im

^{m} IR_3–ib–ni DUMU u–bar–rum

ŠU . BA . AN . TI

UD . $BURU_{15}$. $ŠE_2$

[$ERIN_2$ ŠE . GUR_{10}] . KU_5 i–il–la–ak–[ma]

[u_2–ul] i – < il > – la ak–ma

ki–ma ṣi–im–da–at šar–ri–im

IGI i–din– $^{d.}$ (AMAR.UD) PA. PA

IGI i–na–pa–li–šu DUMU ib–ni– $^{d.}$ (AMAR.UD)

ITU ZIZ_2 . A UD 4 KAM_2

MU am–mi–ṣa–du–qa_2 LUGAL . E

^{giš} KU . GAR GUŠ KIN . GA.A" (38)

" عقد ايجار عامل ، استلم ورد–ابني ابن اوبارم كمية من الشعير وقفاً لمكيال المقياس الإله شمش من المعبد الكاهنة ايلتاني ناديتو الإله شمش ابنة الملك لغرض أَعمال الحصاد في بداية جمع السنابل ، وفي وقت الحصاد على الأجير أن يذهب ، فستتخذ بحقه الإجراءات اللازمة كما وردت في المراسيم الملكية أُبِرمَ العقد في اليوم الرابع من شهر شباط في السنة الثامنة من حكم الملك آمي– صدوقا بحضور شاهدين ".

ونلاحظ أن العقود الخاصة بعمال الحاصد تحتوي على فقرات تخص فقرة الشرط الجزائي وهذا ما جاء ايضاً في صيغة عقد ايجار عمال الحصاد في العصر الآشوري الحديث حيث نقرأ مانصهُ :

"10 GIN.MEŠ KU.BABBAR

Ša ^{m} aš–šur–mu–SIG

ina IGI ^{m} man–nu–ki–^{d}IM

i–lak i–ṣa–du e–ṣi–di

šum–mu la_3 e–[ṣi–di]

50 GIN_2.MEŠ KU_3.BABBAR SUM-an

ITI.BARAG UD.22

lim-mu ^{m} mu-šal-lim-aš-šur

IGI ^{m} mu-GIN-aš-šur

IGI ^{md} $ŠU_2$-rem_2-a-ni

IGI ^{m} SU.MEŠ-DINGIR

IGI ^{m} rem_2-DINGIR

IGI ^{m} MUMUN-u-ti" (39)

" ١٠ شيقل فضة العائدة (PN_1) تحت تصرف (PN_2) سيذهب الى الحصاد ، واذا لم يحضر سيدفع ٥٠ شيقل فضة في شهر نيسان في يوم ٢٢ ، في سنة حكم الملك شلمنصر آشور ، أمام عدد من الشهود " .

ويتضح من النص المذكورة آنفاً اتفاق الأطراف على مدة عمل الأجير والمقابل المادي الممنوح لهُ، إلا أن النص جاء خالياً من فعل العقد وصيغتهِ.

اما النصوص الأشورية الحديثة التي تتعلق بإيجار الأشخاص فقد كشفت عن وجود أربعة أنواع من الاجراء:

الأول: هم الأشخاص الأحرار العاملون بأجر:

تشمل هذه الفئة أولئك المرتبطين بربّ عمل واحد على أساس دائم إلى حدّ ما، ولكن بصورة طوعية (أي دون إكراه اقتصادي أو اجتماعي) ، ويتقاضون أجرًا منتظمًا (لا حصصًا غذائية) . كما تشمل في الوقت نفسه أولئك الذين يمكن عدّهم شبه عاملين لحسابهم الخاص، ممن يقومون بأعمال مقطوعية أو تعاقدية حيثما وُجدت الفرص(٤٠).

الثاني: أشخاص أحرار مرتبطون بمؤسسات أو أُسر (بيوتات):

أي أولئك الذين يتلقون حصصًا غذائية منتظمة مقابل خدمة منتظمة — وهي فئة لا تكاد تمثَّل في السجل الوثائقي إطلاقًا.

الثالث: أشخاص أحرار يخدمون الدولة بشكل مؤقت:

أي من خلال أداء واجبات الإلكو ilku و الدُلُّ: ša šarri خدمة الملك) (٤١).

الرابع: أشخاص أحرار في حالة استعباد مؤقت:

بوصفهم رهائن ضمان أو بسبب الاسترقاق الناتج عن الديون(٤٢).

ومن الأمثلة على ورود الأجير في نصوص العصر الآشوري الحديث نورد النص الآتي:

"21 MA.NA URUDU.MEŠ

lbar–ruq LÚ.ÌR

ša ldi–lil–15

URU–ša–lib–luš–a–a

{ku}–um ig–re–šu

[i]t–ti–ši ú–\u–ru

mám–ma TA* mám–ma la DU[G4].DUG4

(three witnesses)

ITU.BARAG U4–13–KÁM

(one witness)

[l]im–mu l10–EN–GI[N]

[ina] 2 pu–ri"

ويعني: " **واحد وعشرون مِينا من النحاس،** أخذ **برّوقو،** خادم **ديليل–إسّار** من **أل–حا–ليبلو، هذا النحاس تعويضًا عن أجره. وقد رضي الطرفان بذلك، ولن يرفع أيٌّ منهما دعوى على الآخر** ".

بمعنى أن أجرة الأجير في العصر الآشوري الحديث يتم الاتفاق عليها مقدمة بالتراضي بين الطرفين وان لا يتم اللجوء إلى القضاء بعد الاتفاق(٤٣).

ج – إيجار الأشخاص في ضوء الرسائل :

لدينا رسالة من العصر البابلي القديم تتحدث عن الأغنياء الذين يقومون باستئجار الفقراء ليذهبوا معهم في (مهمة او رحلة عسكرية أو دبلوماسية) ، وليقوم هؤلاء بإعالة أسرهم من أجورهم حيث نقرأ في النص الآتي :

"10 (awîl) La-ab-nu-tim a-na[XXX-šu]-nu

ša it-ti-šu-nu i-la-ku

awîlu (meš) ša-ru-tum li-gu-ru-šu-nu-ti-ma

i-na . ig-ri-su-hu ni-šu-šu-nu u_2-ba-la-$ṭu_2$" (44).

" ليقم الأغنياء باستئجار عشرة رجال فقراء ليذهبوا معهم (كمرافقين أو حراساً) ، وليقوم هؤلاء بإعالة أسرهم من أجورهم ، وهكذا يذهبون بأنفسهم عن طيب خاطر ".

ثالثاً : حقوق الأجير وواجباته في ضوء النصوص :

على الرغم من التفاوت الاقتصادي الجلي بين طبقة الأجراء وأصحاب العمل، إلا أن السلطة التشريعية في العراق القديم لم تترك هذه العلاقة خاضعة لسيطرة الملاك المطلقة. فقد سعى المشرع إلى إرساء قواعد تنظيمية تضمن حماية الحرفيين من الاستغلال، (٤٥) ، ذلك عبر التحديد الدقيق للأجور وفرض الرقابة الحكومية على بعض القطاعات المهنية لضمان سير العمل بعدالة (٤٦) ، وقد تطورت أشكال الوفاء بهذه الأجور تاريخياً؛ ففي مراحل معينة كان الشعير هو الوسيلة الأساسية للدفع (نظام الأجر العيني)، حيث كان يمثل للأجير مخزوناً غذائياً ووسيلة لتبادل السلع الأخرى، وفي حالات خاصة، كان الحرفي يحصل على استحقاقه مما يتبقى من المواد الأولية المستخدمة في التصنيع (٤٧) . أما في عهد سلالة أور الثالثة، فقد اتخذ التعويض شكل حصص تموينية تشمل السلع الاستراتيجية كالزيت والتمر والخبز، والتي كانت تُصرف من مخازن المؤسسات الكبرى كالمعبد والقصر. ومع حلول العصر البابلي القديم وتحديداً في عهد حمورابي، حدث تحول نوعي نحو النظام النقدي، حيث أصبحت الأجور تُقدر بأوزان محددة من المعدن (الفضة) مقابل الجهد المبذول (٤٨) .

رابعاً : الأسعار والأجور :

"أدى بزوغ مبدأ التخصص في الإنتاج إلى ظهور حاجة ماسة لدى كبار المزارعين والتجار لاستقطاب أيدٍ عاملة خارجية، لاسيما وأن الاحتفاظ بعمالة دائمة لم يكن خياراً اقتصادياً مجدياً نظراً للطبيعة الموسمية للنشاط الزراعي. فالفترات الفاصلة بين الحصاد ومواسم البذر الجديدة —والتي تتزامن مع اشتداد الحر— كانت تشهد ركوداً في العمل، مما جعل إعالة جيش من العمال الدائمين عبئاً مالياً غير مبرر على رب العمل. وقد ترتب على

هذا الواقع الاقتصادي ظهور توثيق إداري دقيق، تمثل في قوائم ووصولات يومية تنظم العلاقة التعاقدية بين الأجراء وأصحاب العمل، وتحدد الالتزامات المتبادلة بدقة[٤٩]، ومن الجدير بالذكر أن التشريعات لم تكتفِ بتنظيم الأجور، بل وضعت ضوابط صارمة لضمان جودة الأداء؛ فبينما كفلت القوانين حق الأجير، عاقبت في الوقت ذاته أي تهاون أو إخلال بالأمانة بعقوبات رادعة، لعل أبرزها ما ورد في قانون حمورابي من عقوبة مشددة تصل إلى قطع اليد في حالات محددة تتعلق بسرقة الحبوب الموكلة للزراعة، لضمان استقامة العمل وحماية الإنتاج [٥٠] .

وبهذا الصدد نلاحظ أَن بعض القوانين قد حددت أجور الأجراء من (أصحاب الحرف والمهن) أو العمال عن طريق تشريع قوانين خاصة بالأجور ، حيث جاء في قانون أشنونا نص المادة (٣) إذ نقرأ فيها :

"^{GIŠ}MAR. GID$_2$.DA qa$_2$–du–um GUD.ḪI.A–ša u$_3$ re–di–ša 1 BAN 4(sūt) ŠE A$_2$.BI šum–ma KU$_3$. BABBAR 1/3 GIN$_2$ A$_2$.BI Ka–la u$_4$–mi–im i–re–de–e–ši" [51] .

" أُجرة عربة مع ثيرانها وسائقها ١ بان (و) ٤ سوتو[٥٢] شعيراً. اذا بالفضة أُجرتها ٣/١ (و) عليه أن يسوقها طوال اليوم " .

لقد حدد لنا قانون أشنونا في مادتهِ الثالثة أُجرة سائق العربة فضلاً عن منحه أُجرة العربة مع الثيران بوصفه نوعاً من الإنصاف، وهي ١ بان و٤ سوتو من الشعير يقابلها ٣/١ منا من الفضة على أَنْ يتم انجاز العمل طوال اليوم.

اما المادة (٧) من قانون أشنونا فنجد أن المشرّع قد حافظ على حق الحاصد في تحديد أجرته، والتي قرنها بنوع المادة المحصودة:

"2(sūt) ŠE A$_2$ ŠE.KUD.KIN šum.ma KU$_3$.BABBAR 12 ŠE.A$_2$. BI". (53)

" أُجرة الحاصد ٢ سوتو شعيراً، إذا فضة ١٢ حبة أجرته ".

اما في المادة (٨) من القانون أشنونا فتنص على الآتي :

1(sūt) ŠE A$_2$ za– ri– i [54].

" أجرة الذاري ١ سوتو شعيراً " .

وفي المادة (١٠) من القانون نفسه نجد أن القانون ثبت أجرة سائسي العربات بسوتو من الشعير فضلاً عن أجرة حماره :

"1 (sūt) ŠE A_2 re–di–šu ka–la u_4–mi–im i–re–de šu" [55].

" أجرة الحمار ١ سوتو شعيراً (و) أُجرة سائقه ١ سوتو شعيراً. عليه أن يسوقه طوال اليوم ."

أما المادة (١٤) من قانون أشنونا نلاحظ أن المشرّع قد حدد حق القصار بأجرته نسبةً قيمة الثوب فكلما غلا ثمن الثوب ازدادت أجرته إذ نقرأ ما جاء فيها: :

"A2 ^{lu2}xxx 5 GIN_2 KU_3.BABBAR li–bil$_2$–ma 1 GIN_2 A_2.BI 10 GIN_2 KU_3. BABBAR li–bi–il ma 2 GIN_2 A_2.BI"[56].

" أجرة القصار ١ شيقل فضة لكل رداء قيمته ٥ شيقل فضة ، ولكل (رداء) قيمته ١٠ شيقل فضة، أجرته ٢ شيقل فضة ".

في حين المادة (٣٢) من قانون أشنونا حددت اجرة المرضعة ، إذ جاء فيها :

"šum–ma LU_2 DUMU–šu a–na šu–nu–qi$_2$–im a–na tar–bi–tim id–di–in–ma ŠE.BA I_3.BA SIG_2.BA MU.3.KAM la id–di–in 10 MA.NA tar–bi–it DUMU–šu I_3.LA_3.E–ma DUMU–šu i–ta–ar–ru".

" إذا أعطى رجل ابنه للرضاعة والتربية ولم يعط طعاماً وزيتاً وملابس لثلاث سنوات، (عليه) ان يدفع (١٠) مانا فضة عن تربية ابنه ويسترد ابنه"[٥٧] **".**

وبناءً على ما ورد في نص المادة آنفاً نجد ان القانون قد الزم الاب توفير الطعام والزيت والملابس للمرضع طوال مدة الرضاعة فضلا عن أجرة المرضع التي يبدو وكأنها كانت معروفة سلفاً ، وفي حال عدم توفير ما يتم ذكره يغرم (١٠) مانا فضة ويسترجع ابنه .

اما في قانون حمورابي فنجد أن القانون قد حدد أجرة الملاح بـ(٦) كور حبوباً في السنة حيث نقرأ مانصه من المادة :

"šum– ma a– wi– lum MA_2. $LAḪ_4$ [i– gur] 6– [ŠE. GUR] i– na ša– na– [at] i– na – ad– [di–] iš– šum" [58] .

" إذا استأجر رجل ملاحاً، يعطيه ٦ [كور حبوباً] في السنة(٥٩) ".

كما حدد القانون في مادتيهِ (٢٥٧ و ٢٥٨) ، أجرة كل من المزارع والراعي ، إذ نقرأ :

"šum- ma a- wi- lum URU_2 i- gur 8 ŠE. GUR i- na MU.1. KAM i- na- ad- di- iš- šum"(60).

" إذا استأجر رجل مزارعاً، يعطيه ٨ كور حبوباً في السنة ".

"šum-ma a- wi- lum kullizu i- gur 6. ŠE. GUR i- na MU. 1. KAM i- na- ad- di- iš- šum"(61).

" إذا استاجر رجل راعياً للبقر يعطيه (٦) كور حبوباً في السنة ".

اما أجرة البناء فقد حددتها المادة (٢٢٨) من قانون حمورابي بالآتي :

"šum-ma ŠITIM E_2 a-na a- wi – lim i-pu –uš- ma u_2- ša- ak- li – il- šum a- na 1 SAR E_2 2 GIN_2 KU_3.BABBAR a- na qi_2- iš- ti- šu i-na – ad- di- iš- šum"(62).

" إذا بنى بيتاً لرجل وأَكمله ، يعطيه ٢ شيقلين فضة عن كل سار(٦٣) من البيت عن مكافأته ".

في حين حددت المادة **(٢٣٩)** من القانون أجرة الملاح بـ(٦) كور حبوباً في السنة حين نقرأ ما نصه من المادة:

šum- ma a- wi- lum MA_2. $LAḪ_4$ [i- gur] 6- [ŠE. GUR] i- na ša- na- [at] i- na – ad- [di-] iš- šum(64).

" إذا استأجر رجل ملاحاً، يعطيه ٦ [كور حبوباً] في السنة(٦٥) ".

في حين نجد ان القانون قد حدد أجور بعض الأُجراء في اليوم الواحد ، وهذا ما جاء نصه في المادة **(٢٧٤)** من قانون حمورابي:

šum-ma a- wi- lum DUMU UM. MI. A i- ig- ga- ar ID ^{lu2}.... 5 ŠE KU_3. BABBAR ID ^{lu2}GAB. A 5 [ŠE. KU_3]. BABBAR [ID] LU_2. GAD [5 ŠE] KU_3. BABBAR [ID^{lu2}] BUR. GUL [5 ŠE. KU_3].

BABBAR [ID^{lu2}] ZADIM. [5 ŠEKU$_3$.] BABBAR [ID^{lu2}] SIMUG] [5 ŠE KU$_3$]. BABBAR [ID^{lu2}] NAGAR. 5 ŠE KU$_3$. BABBAR ID ERIB 5 ŠE. KU$_3$. BABBAR ID AD.KID [5] ŠE KU$_3$. BABBAR [ID^{lu2}] ŠITIM [5] KU$_3$. BABBAR [i– na UD]. 1. KAM [i– na– ad]– di– in(66).

نفهم من النص انف الذكر أرسى المشرع في العراق القديم نظاماً اقتصادياً متوازناً عبر توحيد الأجور اليومية لمختلف الفئات الحرفية(DUMU UM. MI. A) ، مما يعكس تقديراً متساوياً للمهارات اليدوية المتنوعة. وبموجب المادة القانونية، تم إقرار تعرفة ثابتة مقدارها خمس حبات من الفضة يومياً كاستحقاق عادل لعدد من التخصصات؛ شملت قطاع الإنشاءات (كالبناء والنجارة)، والصناعات التحويلية (كالحدادة والدباغة وحياكة الحصران)، بالإضافة إلى المهن الفنية الدقيقة (كصناعة الحلي والخياطة والنقش)[٦٧] ويدل هذا الحصر الدقيق للمهن وتوحيد أجورها على دور الدولة المركزي في تنظيم سوق العمل وحماية الحرفيين من التلاعب بأجورهم، بما يضمن استقرار القوة الشرائية للفئات المنتجة في المجتمع.

الاستنتاجات:

خلصت دراستنا الموسومة بـ (الأجير في العراق القديم)، إلى جملة من الاستنتاجات نلخصها بالآتي:

١–تقدم الحالة الاقتصادية للمجتمع العراقي القديم ، وظهور أشخاص يمتهنون حرفاً معينة أو يزاولون عملا معينا لقاء أجر معين.

٢–وجود الأجير بمختلف العصور في بلاد الرافدين يعكس حاجة المجتمع لعمله مع وجود التخصص بالعمل.

٣–ظهور أنواع مختلفة من الأُجراء بحسب الطبقات الاجتماعية ، ولاسيما في العصر الآشوري الحديث.

٤–معالجة القوانين العراقية القديمة لكثير من الحالات القانونية لعمل الأُجراء ، وتحديد ما لهم وما عليهم.

٥-تحديد الأُجور للأُجراء قبل العمل يعكس تقدم الوضع الاقتصادي واهتمام المجتمع بهذه الشريحة من الأَفراد.

٦-لجوء الكثير من الأشخاص المتبنين للعمل بوصفهم أُجراء لفك ديونهم او لإنهاء حالة التبني .

الهوامش:

(١) دوزي ، رينهارت ، تكملة المعاجم العربية : ترجمة : محمد سالم النعيمي ، ج٧ ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص٨٥.

(٢) ابن منظور ، أَبو الفضل ، لسان العرب ، مجلد ٤ ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ص١٠ .

(٣) ابن منظور ، المصدر السابق ، ص١٠ .

(٤) الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، كتاب التعريفات ، ج١ ، ٢٠٠٧ ، ص٥ .

(5) CAD , A , p.146 : a .

(6) CAD , I , 16 : a .

(7) CAD , A , p.146 ; a .

(٨) الجبوري ، علي ياسين ، قاموس اللغة الاكدية – العربية ، ابو ظبي ، ٢٠١٠ ، ص١٣٥ .

(٩) الجبوري ، علي ياسين ، المصدر السابق ، ص١٣٢ ، CAD , E p.191 : a

(10) CAD , A , II , p.460 : b .

(11) SAA, Vol. XVI, P. 188.

(١٢) وهي عبارة عن مجموعة من القواعد والأحكام التي دونت بالخط المسماري على ألواح الطين، ونظمت بموجبها العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في مجتمعات بلاد الرافدين ، وقد صدرت هذه النصوص عن السلطة السياسية بهدف تحقيق العدالة وحفظ النظام العام. ينظر: سليمان ، عامر ، القانون في العراق القديم ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص١٦٠ .

(١٣) سليمان ، عامر ، موسوعة القانون في العراق القديم ، جامعة الموصل ، ٢٠١٤ ، ص٣٧ .

(١٤) لم يتطرق قانون أور– نمو، إلى مسألة ايجار الأشخاص ، وكذا الحال بالنسبة لقانون أشنونا، للمزيد ينظر: رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، بغداد، ١٩٧٩، ص٥٩ .

(١٥) قانون أشنونا : يعد من أقدم القوانين المدونة باللغة الأكدية المكتشفة حتى الآن ، ويعود تأريخهُ الى ما قبل حكم الملك حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق.م) ويصعب تحديدها في الوقت الحاضر ، سمّي هذا القانون باسم مملكة أشنونا ، عثر عليه في موقع شادبوم ، للمزيد ينظر : حميد ، أحمد مجيد ، نصوص مسمارية غير منشورة من العصر البابلي القديم إطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢ ، ص١٣ – ١٤ .

(16) Roth, M., Low Collections from Mesopotamia and Asia Minor , 2and , ed . Edited by Piotr Michalowski , 6 , Atlanta , 1997, p.61.

(17) Roth , M ., op.cit , p.60 .

(18) Roth , M ., op.cit , p.61 .

(١٩) سليمان ، عامر ، القانون في العراق القديم ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص٢١١ .

(٢٠) تكمن أهمية القانون أنه وصل الينا بنسخته الأصلية مدوناً على مسلة من حجر الديورايت الأسود أرتفاعها ٢٢٥سم وقطرها ٦٠ سم وهي اسطوانية الشكل ولكنها ليست دائرية تماماً ، وقد وجدت المسلة في مدينة سوسا عاصمة عيلام اثناء الحفريات التي قامت بها البعثة الفرنسية (١٩٠١-١٩٠٢). ودُونت مواد قانون حمورابي في أربعة وأربعين حقلاً. وكتبت باللغة الأكدية واللهجة البابلية القديمة على غرار قانون لبت-عشتار وبالخط المسماري تضمنت المسلة (٢٨٢) مادة ، ومن المرجح أنها كانت تزيد عن (٣٠٠ مادة) لان التخريب الحاصل في احد أجزاء المسلة لم يمكننا من معرفة عدد المواد المتبقية بصورة مضبوطة للمزيد ينظر:

Roth.M., op.cit, pp. 73-141.

وايضاً: حنون، نائل، شريعة حمورابي، ترجمة النص المسماري مع الشروحات اللغوية القواعد اللغوية مقدمة الشريعة، المواد القانونية، ج١، بغداد، ٢٠٠٣، ص١٣- ١٧.

(٢١) كلنغل ، هورست ، حمورابي ملك بابل وعصرهُ ، ترجمة : غازي شريف ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص١٤٧ .

(٢٢) سليمان ، عامر ، نماذج من الكتابات المسمارية ، ج١ ، النصوص القانونية ، الموصل ، ٢٠٠٣ .

(23) RIGHARDSON , M.E.J ., Hammurabi , S Laws Text , Translation and Glossary , LONDON , 2000 , p.116 .

(24) Driver , G.R., and Miles , J.C., The Babylonian Laws Vol. I , Oxford , 1956 , p.39.

(٢٥) سليمان ، عامر ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٧٢ .

(٢٦) سليمان ، عامر، المصدر السابق، ج١، ص١٩٩.

(٢٧) ابراهيم ، ياسر جابر خليل ، عقود ايجار غير منشورة من العصر البابلي القديم من تل ابوعنتيك ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، ٢٠١٢ ، ص١٧ .

(٢٨) أمين ، عبد النافع أمين ، صيغ العقود البابلية في النصوص المسمارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامع الموصل ، ٢٠٠١ ، ص١٠٦ .

(29) Lutz . H.F., UCP , 58 .

(30) Schorr , UAZP , 159 .

(٣١) أمين ، عبدالنافع ، أمين ، المصدر السابق ، ص١٠٦ .

(32) CCT2 15:17 .

([33]) YOS 870 ,
([34]) PBS 812

([٣٥]) جابر ، ياسر جابر ، المصدر السابق ، ص١٢٢ .

[(1)] VAS 7 87:5.

[(٣٧)] امين ، عبدالنافع امين ، المصدر السابق ، ص١٠٩-١١٠ .

([٣٨]) الخالدي ، شيماء ناصر حسين ، نصوص مسمارية غير منشورة في عهد الملك آمي-صدوقا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦ ، ص٥٠- ص٥١ .

([39]) Parpola , S. and V.D, NEO - ASSYRIAN LEGAL TEXTS IN ISTANBUL , 2001.
([40]) Postgate ,1987, p. 261
([41])Postgate ,1974, pp. 63-79,218-229.
([42]) Radner 2001, PP. 269–271, 280–284.
([43]) SAS, Vol. XVI, P. 203.
([44]) ARM 1 no 17:10 .

([٤٥]) تنظر : المادة ٢٧٤ من قانون حمورابي عن اجور الصائغ والخياط والنقار والتجار والحائك والمادة ٢٦١ عن اجور الراعي . والمادة ٢٥٧ عن اجور المزارع ، اما اجور الطبيب فقد حددتها المواد ٢٢١ – ٢٢٣ من قانون حمورابي . ومن الجدير بالذكر أن الأجرة تختلف باختلاف الطبقة التي ينتمي إليها الشخص والمادة ٢٣٤ الخاصة بأجور الملاح ؛ ينظر : سليمان ، عامر ، نماذج من الكتابات المسمارية ، ج١ ، النصوص القانونية ، الموصل ، ٢٠٠٣ ، ص٨٧ .

([٤٦]) تنظر : المواد ٧ – ٩ من قانون أشنونا عن أجرة الحاصد والذاري ، للمزيد ينظر :
Yaron , R., Laws of Eshnunna , (LE) , Jerusalem , 1969 , p.230 .

([٤٧]) كونتينو ، جورج ، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور ، ترجمة وتعليق : سليم طه التكريتي وبرهان التكريتي ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص١٥٩ .

([٤٨]) الحمداني ، شعيب احمد ، قانون حمورابي ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص١٥٠ .

([٤٩]) ثمة نوع من وصولات إنجاز عمل كانت في الغالب هرمية الشكل مصنوعة من الطين، ومختومة بطبعة ختم أسطواني لها ثقب يسهل تعليقها بخيط، وكان يذكر فيها اسم العامل والشهر واليوم الذي اشتغل فيه، أي: يذكر فيها الاسم والتأريخ ، وهي نوع من بطاقات العمل، التي تسمّى في وقتنا الحاضر (باجات عمل) وربما كانت تستعمل للعمال الذي يعملون بأجور يومية فقط من دون عقد اتفاق معهم، للمزيد ينظر:
Weitemeyer, M., Some Aspects of the Hiring of Workers in the Sippar Region at the time of Hammurabi, Copenhagen , 1962, No. 1-61 .

اسماعيل، خالد سالم، ومحمد، أحمد كامل، مذكرات (وصولات) إنجاز قطع اللبن من تل حرمل، مجلة

سومر، مجلد٥٣، ج٢/١، ٢٠٠٥-٢٠٠٦، ص٢٣٣.

(٥٠) ولضمان حقوق الطرفين فإن القانون يلزم الأجراء بحسن الأداء ويعاقب العمال الذين يتهاونون في أَعمالهم معاقبة شديدة، وذلك لضمان إنجازهم تلك الأعمال بضرورة مرضية، وعلى أتم وجه، ومن الجدير بالذكر أَن عقاب الأجير الذي يسرق الحبوب الموكل بزراعتها هو قطع يده ، وهي المادة الوحيدة في قانون حمورابي التي تعاقب السارق بقطع اليد، ينظر: Roth, M., Low Collections from Mesopotamia and Asia Minor, 2nd .ed., Edited by piotr Michalowski, 6, Atlanta, 1997, P. 253.

(51) Roth , M., op.cit , PP. 59-60 .

(٥٢) sutu: مفردة اكدية تمثل وحدة لقياس المكاييل ، ويقابلها في السومرية 1BAN ، وما يعادلها في الوقت الحاضر ١٠ لتر وتساوي . 10 SILA ، للمزيد ينظر: CAD,p.329:b.

(53) Roth, M., op.cit, p.61.

(54) Roth. M., op.cit, p.60.

(55) Roth.M., op.cit, p. 60.

(56) Roth.M., op.cit, p. 61.

سليمان عامر، المصدر السابق، ج١، ص٧٧.

(٥٧) سليمان , عامر ، نماذج ، المصدر السابق , ج١ ، ص٨١ .

(٥٨) حنون، نائل، المصدر السابق، ج٤، ص١٥٨-١٥٩.

(٥٩) رشيد، فوزي، وسائط النقل المائية، مجلة النفط والتنمية، ع ٧-٨، بغداد، ١٩٨١، ص١٠٦- ١٠٧.

(60) Roth.M., op.cit, p. 129.

سليمان، عامر، المصدر السابق، ج١، ص١٨٧- ١٨٨.

(61) Roth.M., op.cit, p. 129.

سليمان، عامر، المصدر السابق، ج١، ص١٩٤.

(62) Borger, R. , Babylonisch Assyrische Lesestucke, band. II, Roma, 1965, pp. 50-56.

(63) Roth.M., op.cit, p. 125.

(٦٤) حنون، نائل، المصدر السابق، ج٤، ص١٥٨-١٥٩.

(٦٥) رشيد، فوزي، وسائط النقل المائية، مجلة النفط والتنمية، ع ٧-٨، بغداد، ١٩٨١، ص١٠٦- ١٠٧.

(٦٦) سليمان ، عامر، المصدر السابق، ج١، ص١٩٩.

(٦٧) رشيد، فوزي ، صناعة الطابوق في العراق القديم ، مجلة النفط والتنمية، ع٧-٨، بغداد ، ١٩٨١، ص٤٤-٤٥. وسليمان، موفق جرجيس، عمارة البيت العراقي في عصور ما قبل التاريخ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦، ص١٨٢.

الامكانات العلمية لأبناء الخلفاء العباسيين

جميلة فارس عبد الواحد النوري

أ.د. أنيسة محمد جاسم المشهداني

كلية الاداب/ جامعة بغداد/قسم التاريخ

الامكانات العلمية لأبناء الخلفاء العباسيين

جميلة فارس عبد الواحد النوري

أ.د. أنيسة محمد جاسم المشهداني

ملخص:

حظي ابناء الخلفاء العباسيين بمكانة علمية رفيعة ، الامر الذي أنعكس على دورهم في المساهمة بالارتقاء بالمستوى الحضاري في ربوع البلاد ،وبصفتهم ابناء ولاة امر المسلمين وهرم السلطة ،أذ ادرك الخلفاء العباسيين ان أمر طلب العلم واجباً عليهم اتجاه انفسهم وابنائهم وأبناء رعيتهم ، فحرصوا على التأكيد على أهمية العلم وتشجيع طلب العلم الذي يعد واجباً شرعياً على كل مسلم ، لذا فأن التنشئة التي نشأ عليها أبناء الخلفاء العباسيين كان لها دور كبير في توجهاتهم واهتماماتهم بمختلف العلوم، أذ نالوا من العلم ما رفع من شأنهم، وعلا من قدرهم ومنزلتهم بين عامة الناس، وذلك لانهم عدوا قدوة لأقرانهم من أبناء المجتمع، اذ اعدهم ابائهم من الخلفاء اعداداً علمياً كفيلاً بالارتقاء بالمهام التي انيطت لهم وليكونوا بمستوى علمي يليق بسمعتهم، وسمعة ابائهم الذين يعدون من قادة المجتمع الإسلامي آنذاك فأشرف الخلفاء بأنفسهم على امر تعليم أولادهم.

الكلمات المفتاحية : (الخلفاء العباسيين ، الابناء ، المكانة العلمية)

The scientific capabilities of the sons of the Abbasid caliphs

Abstract

Given the high standing of the Abbasid caliphs' sons, their vast knowledge, and their role in the advancement of society—all of which contributed to the development of nations and generations—it was incumbent upon the Muslim rulers and those at the pinnacle of power to emphasize the importance of knowledge and encourage its pursuit, which is a religious obligation for every Muslim. The caliphs understood that seeking knowledge was a duty they owed to themselves, their sons, and their subjects. Therefore, the upbringing of the Abbasid caliphs' sons played a significant role in shaping their interests and inclinations toward various sciences. They acquired knowledge that elevated their status and raised their standing among the general

public, as they served as role models for their peers. Their fathers, the caliphs, provided them with a scientific education sufficient to fulfill their assigned responsibilities and to reach a level of scholarship befitting their own reputation and that of their fathers, who were considered leaders of the Islamic community at that time. The caliphs themselves oversaw the education of their sons.
Keywords: (Abbasid Caliphs, Sons, Scientific Status.)

الامكانات العلمية لأبناء الخلفاء العباسيين

أكدت الشريعة الإسلامية الغراء على أهمية العلم كونه امراً واجباً على جميع أبناء الامة، وحرصت على بيان منزلته طلبة العلم والعلماء عند الله عز وجل و رفعة قدرهم بين أبناء المجتمع، أذ جاء قوله سبحانه وتعالى:﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ**﴾ [١]وقوله: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[٢].

كما نوه الرسول الكريم (ﷺ) بفضل العلم أذ قال: **"مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ"**[٣]،وقوله (ﷺ): **"من جاء مسجدي هذا لم يأته الا لخير يعلمه او يتعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الوجل ينظر إلى متاع غيره"**[٤].

كان لأبناء الخلفاء توجهات صوب علوم ومعارف متنوعة، ذلك ان بعضهم برع في جانب دون اخر، الامر الذي اكسب كلاً منهم مزايا، وخصائص معرفية قد اختلف بها عن غيره من أبناء الخلفاء الاخرين، والتاريخ حافل بالشواهد على ذلك، فنجد من بين الأمراء الذي كان لهم ميول أدبية سيما في ميدان الشعر هو الأمير محمد ابن الخليفة السفاح (١٣٢- ١٣٦هـ/ ٧٤٩ – ٧٥٣م) الذي وصف بانه كان يجيد الشعر [٥] الذي نظمه في موضوعات مختلفة، منه ما يتعلق بأموره الخاصة فأعرب من خلال الشعر عن عاطفته للفتاة التي احبها وهي زينب بنت سليمان التي كان ينوي الزواج بها، ولكن لم يتم ذلك الامر رغماً عنه لرفض أهلها إتمام ذلك الامر، مما أصابه الحزن والغضب، وأخذ يعبر عن حزنه الشديد وشوقه اليها، وتغنيه بحمد اوصافها، اذ جاء فيه:

"زينب مالي عنك من صبر ولـيس لـي منـك سـوى الهجـر
وجهـــك والله وان شـــقني احسـن مـن شـمس ومـن بـدر
لـو ابصـر العـادل منـك الـذي ابصـــرته اســـرع بالعـــذر"(٦).

مما يبدو ان الأمير العباسي لم يكن امامه سوى استحضار معرفته الأدبية في التعبير عن شوقه وحزنه وألمه بهذه الكلمات المؤثرة، مما ينم عن وبلاغته سيما وان تعلم على يد الشاعر حماد عجرد الذي تأثر به (٧).

وكان أبناء الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م) ممن عرفوا باهتمامهم بالعلوم الادبية، اذ تميز هؤلاء الأمراء بفصاحة السنتهم وبلاغتهم الأدبية التي انعكست بدورها في ادوارهم ومهامهم المختلفة، فلا عجب ان نرى ذلك الامر في محض علاقاتهم ومراسلاتهم السياسية، وهذا ما جاء عن الامير سليمان بن ابو جعفر المنصور الذي رأينا ذلك من خلال رسالته لأمير عرب الشام ابن الكلابي الذي أخذ يلتمس مساعد ته على اثر ظروف سياسية وأخطار عصفت بولايته في بلاد الشام فأرسل اليه رسالة تضمنتها ابيات من الشعر (٨) نظمها لوصف الخطر الذي احاط بولاية الشام، على اثر تعرضها لثورة السفياني ،وعن ثقته بشخصية وبشجاعة وقوة امير عرب الشام في التصدي الى مثل تلك الأوضاع الطارئة التي تهدد كيان الخلافة، وبالفعل سارع بتجهيز قوته العسكرية ومساعدة الأمير سليمان في التحرك والقضاء على ذلك الخطر الكبير، ونجح في ذلك الامر (٩).

وعكس الامير سليمان قريحته الشعرية في حزنه وعاطفته التي بدت واضحة في بعض المواقف الاجتماعية الخاصة به، والتي كانت دافعاً لإظهارها، ومنها حزنه وغضبه على ضياع جاريته المسماة ضعيفة منه الذي كان يهواها، وعندما طلبها اخيه الخليفة محمد المهدي(١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٤-٧٨٥) خشى من غضب وجفاء الخليفة عليه ان أبى تلبية طلبه لذلك ابتاعها له، ولكنه ندم بعد ذلك الامر فطلب اعادتها فرفض الخليفة ذلك الامر، فانبرى يعبر عن حزنه بأبيات من الشعر وصف بها المه لفراقها (١٠).

كما عرف عن الأمير صالح بن المنصور بإمكاناته الأدبية وفصاحة اللسان حتى اشاد به اهل الادب وهذا ما جاء على لسان (شبيب بن شيبه)[١١] الذي أشار قائلاً: "ما رأيت ...انبت نباتاً ،ولا اجود لساناً، ولا اربط حناياً ،ولا ابل ريقاً ،ولا أحسن طريقاً ،ولا اغمض عروقاً من صالح"[١٢].

مما يعكس الاطراء الحسن واعجاب العالم شبيب بن شيبة بهذا الأمير وهذا نتاج شوطاً كبيراً بالجهد الذي كان مدعاة لثناء عالم مميز كشبيب بن شيبة.

وعرف الأمراء من أبناء الخليفة المهدي ببراعتهم الأدبية وفصاحة السنتهم، أذ اشارت الروايات التاريخية ان الأمير إبراهيم بن المهدي عرف بفصاحة لسانه وبلاغة قوله الى حد انه كان يناظر كاتب الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م) أحمد بن يوسف حتى علاه عنه في فصاحته وبلاغته ونال إعجابه[١٣].

وبالرغم من ان احمد بن يوسف كان قد وصف بأنه " كان من افضل كتاب المأمون وأذكاهم وافطنهم واجمعهم للمحاسن وكان جيد الكلام فصيح اللسان حسن اللفظ مليح الخط يقول الشعر في الغزل، والمديح ،والهجاء" [١٤].

وبذلك نستشف ان بعض الأمراء العباسيين كانوا يعدون من خيرة اهل العلم ، بل ويضاهون ويتميزون احياناً على كبار الشخصيات في بلاط الخلافة العباسية.

ويبدو أن الأمير إبراهيم كان ممن تميز ايضاً بقريحته وبراعته في نظم الشعر، اذ عرف عنه انه كان يوظف شعره في مواقف مختلفة سواء كانت متعلقة بالحياة الاجتماعية أو السياسية وكان لشعره اثر كبير في المواقف التي كانت تمس بأبناء البيت العباسي اذ عبر عن اسفه وحزنه على ما وصلت اليه الفتنة بين الأمين (١٩٣-١٩٨هـ/٨٠٨-٨١٣م) والمأمون(١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م)، اذ اخذ يوصف بأسلوب الرثاء والحزن ما ال اليه قصر الخلد، الذي كان مستقر الخليفة الأمين، واستنهض همه الخليفة المأمون للتخلص من قاتل أخيه وهو طاهر بن الحسين [١٥]، اذ نظم ابيات واصفاً الحال بقوله:

"عوجا بمغنى الطلل الداثر ... بالخلد ذات الصخر والاجر
والمرمر المنسوب يطلى به ... والْباب باب الذهب [١٦] الناضر
عوجا بها فاستيقنا عندها ... على يقين قدرة القادر
وأبْلغا عني مقالاً إلى المولى ... على المأمور والامر
قولا له يابن ولي الهدى ... طهر بلاد الله من طاهر"[١٧].

وقد وظف الأمير إبراهيم بن المهدي إمكاناته الشعرية في مناسبات عده، ومن ذلك محاولاته كسب استعطاف الخليفة المأمون، على اثر الخلاف بينهما على السلطة [١٨]، فنجده في مساعي لكسب رضاه الخليفة، وكان قد نظم ابيات أثنى بها على ابن أخيه المأمون وتغنى بعفوه وشجاعته قائلاً :

"يا خير من ذملت[١٩] يمانيه به ... بعد الرسول لآيس أو طامع
وابر من عبد الاله على التقي ... عينا واحكمه بحق صادع
عسل الفوارع [٢٠]ما أطعت فإن تهج ... فالصاب في جرع السمام الناقع[٢١]
متيقظ حذر وما يخشى العدا ... نبهان من وسنات[٢٢] ليل الهاجع"[٢٣].

وفي جانب اخر انبرى الأمير إبراهيم بن المهدي من خلال شعره لاستنهاض همة ابن أخيه الخليفة المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م)،وشباب المسلمين، للتوجه لمحاربة الروم البيزنطيين الذين اعتدوا على حرمات المسلمين، وديارهم، واسروا النساء والأطفال، وتجاوزا على الحرمات ، الأمر الذي دفع الأمير الى كتابة ابيات من الشعر وانشدها يدعو بها الخليفة الى الجهاد في سبيل الله، ونصرة الدين والعرض وديار المسلمين، فلمّا سمِع الخليفة المعتصم شعره خرج للجهاد متحمساً واحرز انتصاراً باهراً على البيزنطيين[٢٤].

وبذلك سجل شعر أبناء الخلفاء دور تاريخي في ساحات الوغى ودفاعهم عن الإسلام، مما يعكس لنا فصاحة وبلاغة الأمير الشعرية الذي كانت حاضرة في كل مناسبة مربها، وبطبيعة الحال قدرته على ارتجال الشعر الموزون والمقفى وهذا غير متاح الا لشاعر مجيد مثله .

ولنا ان نقف على إمكانات الأمير إبراهيم بن المهدي العلمية انه ترك ثروة علمية من مؤلفاته، التي اغنى بها المكتبة الإسلامية عبر التاريخ، بعضها وصل الينا والبعض الاخر من مؤلفاته نجد مادتها تناثرت في بطون المؤلفات الأخرى، ومن هذه المؤلفات كتاب الغناء[٢٥]، الذي على ما يبدو ان هذا الكتاب كان انعكاساً لميوله الأدبية سيما صوب الشعر والتغني به، ولديه كتاب الطبيخ الذي تضمنه الكثير من الوصفات للأكلات الموروثة من خلال النصوص التي تحدثت عن وصفات الأطعمة، الا ان الكتاب فقد وتناثرت نصوصه، في المؤلفات الأخرى التي نقلت عنه[٢٦] .

ومما يؤسف له اننا لم نقف على معلومات كثيرة عن تلك المؤلفات أو ما تضمنته، ولكن ما اشارت اليه النصوص التاريخية يؤكد لنا أهمية وقيمة تلك المصنفات، التي تميزت بتنوع موضوعاتها واختلافها عن طبيعة المؤلفات المعاصرة لها .

وللأمير إبراهيم كتاب الطيب الذي تضمنه معلومات عن الاطياب المستخلصة من النباتات كالعنبر ، و(الكافور) [٢٧]،والقرنفل، والجوز ...الخ [٢٨].

كما ان الإمكانات العلمية التي تميز بها الأمراء من أبناء الخلفاء العباسيين قد عم اثرها على نطاق واسع في العصر العباسي، فقد انعكست ذلك على جهودهم في تربية أولادهم ليسيروا على خطاهم، وخطا اجدادهم الخلفاء في تحصيل العلم وطلبه، ادراكاً منهم قيمة العلم وحملته، فضلاً عن كونهم يمثلون فئة لها مكانتها وخصوصيتهاُ في المجتمع الإسلامي كونهم علية القوم، فلا بد ان يكونوا بمستوى علمي لائق بهم، فحرص الأمراء من أبناء الخلفاء على متابعة تعليم أولادهم، فنجد الأمير إبراهيم بن المهدي الذي كان يجيد الشعر ونظمه، اذ عد من شعراء عصره [٢٩]، وقد أثر في ولده هبة الله، اذ عرف بتوجهاته الأدبية الامر الذي صقل موهبته، فاصبح شاعراً مجيداً قادراً على نظيم الشعر الموزون والمقفى ذات الدلالة البليغة[٣٠]،ويبدو ان الأمير هبة الله كان متأثراً بأفراد أسرته الذين غلب عليهم الشعر ،فكانت عمته علية بنت المهدي التي وصفت انها شاعرة لها ديوان عرف بديوان علية [٣١]،فكان هذا الأمير يحفظ النظم الشعري لعمته علية وينشده [٣٢]، ولم يتوقف الأمير هبة الله عند هذا الحد بل نجده قد ارخ في مروياته التاريخية لأحداث تتعلق بالبيت العباسي، وهي على قلتها الا انها لها أهمية وقتها لكونها صدرت من شاهد عاش في قصور

الخلافة العباسية بل هو أحد أفرادها، مما يعطي توثيق لمروياته، ومنها ما أرخه لوفاة عمته علية بنت المهدي قائلا:"ولدت علية بنت المهدي سنة ستين ومائة وماتت سنة عشرين ومائتين" (٣٣).

ومن أبناء الخلفاء الذين وصفوا بموهبتهم الشعرية وبراعتهم الادبية نذكر الأمير أبو القاسم بن الهادي (١٦٩-١٧٠هـ/ ٧٨٥-٧٨٦م) (٣٤) وكذلك أخاه الأمير عبد الله الذي وصف انه أديبا شاعرا (٣٥).

و لعل حرص الخلفاء على متابعة مهمة تعليم وتربية أولادهم هو الذي صقل مواهبهم وامكاناتهم العلمية، فنجد ان الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٨م) كان من الخلفاء الحريصين على متابعة تعليم أولاده، اذ كان يوصي معلم أبناءه (خلف الأحمر) (٣٦)على تعليمهم أصول القرآن الكريم، والسنة النبوية والعلوم بمجملها، وكان يتابع تعليمهم بنفسه(٣٧)، لذا من الطبيعي ان تتحدث النصوص التاريخية عن فصاحة أبناءه الأمراء وفي مقدمتهم الأمير محمد بن الرشيد (ابو عيسى) الذي كان شاعراً ذا توجهات أدبية واضحة ، وناظماً للشعر الموزون والمقفى ومن شعره :

"لساني كتوم لأسرارهم ودمعي نموم بسري مذيع
فلولا دموعي كتمت الهوى و لولا الهوى لم تكن لي دموع"(٣٨).

ويبدو ان شعر هذا الأمير قد عبر عن عاطفته ومشاعره التي أصبحت واضحة سيما وان المغزى من نظمه الشعري قد تنوع حسب المناسبة التي نظم الشعر لا جلها، فنراه ينظم الشعر لأغراض الرثاء، ومن ذلك رثاءه لأخيه الخليفة الأمين بأبيات عكس من خلالها حالة الحزن والاسى لفقد أخيه وجزعه عليه قائلاً :

"يا ابا موسى وعبد الله قد غالتك غول
لست ادري كيف ار ثيك ولا كيف أقول
لم تطب نفسي اسميك قتيلا يا قتيل" (٣٩).

فيما عرف عن الأمير صالح بن الرشيد شغفه والمامة بالشعر انه كان ينظم الابيات التي عبر بها عن فرحه وسروره في مناسبات اجتماعية عدة [٤٠].

ويبدو ان الأمير صالح بن الرشيد كان ممن يرغب بسماع الشعر وانشاده من مشاهير الشعراء ومن ذلك تمثله بشعر الحسين بن الضحاك الذي انشده لأخيه المأمون قائلاً:

"أيبخل فرد الحسن في رد صفاته علي وقد افردته بهوى فرد
رأى الله عبد الله خير عباده فملكه و الله اعلم بالعبد"[٤١].

كما عرف الأمير أبو أيوب محمد بن الرشيد معرفته بالشعر ومن شعره الذي عبر فيه عن حزنه من أخيه الخليفة المأمون والجفاء الذي حدث بينهما وأدى الى سوء الأمور بينهما، اذ سعى الى اصلاح ذات البيت مع أخيه والتقرب اليه املاً في ارضاءه فنظم ابيات من الشعر جاء فيها

"لما غضبت حرمتني وجفوتني فقرعت سني عند ذاك ندامة
وزعمت أنك قد رخيت قيدي أرني على الرضوان منك علامة

فلما سمعه المأمون سأل عن الشعر فاخبره فأعجبه وأحضر أبو أيوب ورضا عنه"[٤٢].

ان ما تقدم يعرب لنا عن حدق الأمير أبو أيوب الذي وضف شعره ليتقرب من أخيه الذي تأثر بشعره.

كما وصف الأمير عبد الله ابن الخليفة محمد الأمين معرفته الادبية ، إذ وصف أنه أديباً عالماً[٤٣]،ومن شعره ما جاء في وصف احد الاديرة في بغداد وهو دير حنظلة والذي كانت بجوار داره ،اذ اخذ يشكو تكدره وتعبه منها بشعر جاء فيه:

"ألا يا دير حنظلة المفدى لقد اورثتني تعباً وكدا
أزف من الفرات إليكَ زفاً وأجعل فوقهُ الورد المندى
وأبدأ بالصبوح أمام صحبي ومن ينشط له فهو المفدى
ألا يا دير جادتك الغوادي [٤٤] سحابا حملت برقاً ورعدا"[٤٥].

وانعكس اهتمام الخليفة المأمون بعلم الحديث[٤٦] على أبناءه، اذ كان أبناءه من علماء ورواة الحديث ،إذ جاء ان الأمير أحمد ابن المأمون الذي كان راوياً للحديث فضلاً عن اقوال الصالحين من اعلام الامة الإسلامية واهل البيت (عليهم السلام)، ومن ذلك ، اذ روى عن والده الخليفة المأمون الذي يروى عن الامام علي الرضا (عليه السلام) قوله :"**صحبة الرجل لأخيه عشرين او أربعين يوماً نسبة**" [٤٧]، ومعناه ان الصحبة الطويلة الصالحة تولد القرب بين الاصحاب، فضلاً عن ذلك كان أخيه الأمير القاسم بن المأمون ذا معرفه بالحديث النبوي الشريف ومن الرواة له [٤٨]، وكذا الحال الأمير العباس بن المأمون الذي كان حريصاً على طلب العلم والمعرفة والذي انعكس بدوره على أبناءه سيما ولده الفضل الذي عرف ببراعته واجادته الادب سيما الشعر الذي كان يمتلك القدرة على تنظيمه في المناسبات مختلفة [٤٩].

وكان لأبناء الخليفة المعتصم بالله نصيباً لا يقل عن اقرانهم بالمعرفة سيما وانهم درسوا على يد مشاهر علماء عصرهم، كالعلامة أبي إسحاق يعقوب الكندي، الذي امتاز بكونه من العلماء الذين اشتهروا بعلم الفلسفة، والكيمياء، والطب، والرياضيات، و كان قد لقب بفيلسوف العرب[٥٠]، فمن الطبيعي ان يكون لأولاد المعتصم بالله نصيبهم من علم هذا العالم سيما وانهم أنتهلوا العلوم على يديه[٥١].

اما الأمير الموفق طلحة بن المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م) فقد عرف بتوجهاته العلمية، فسعى الى تعليم أبناءه ومنهم ولده أبو العباس احمد وهو الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ/ ٨٩٢-٩٠١م)، الامر الذي صقل موهبه ولده أبو العباس احمد وامكاناته العلمية[٥٢]،وحسن تدبيره مما أهله ان يتقلد الخلافة [٥٣].

فيما جاء عن الأمير محمد (ابو عيسى) ابن المتوكل انه من اكثر أبناء الخلفاء علماً ، وذلك بفضل ما عرف عنه من معرفته بعلوم الفقه والقرآن الكريم[٥٤]، فضلاً عن اهتمامه بالأدب، سيما الشعر الذي وظفه في ظروف مختلفة، اذ انشد ابياتاً مودعاً بها أخيه الخليفة المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٨٦٩-٨٩٢م) عند توجهه الى بلاد الشام عام ٢٦٤هـ/٨٧٨[٥٥]على اثر اضطرابات سياسية شهدتها الخلافة العباسية[٥٦] فقال ابيات في الوداع عكس من خلالها عاطفته الجياشة اتجاه أخيه الخليفة[٥٧].

كما برع أبناء الخليفة المعتز بالله سيما الأمير عبد الله الذي كان مشهوراً في الأدب وسيما الشعر و جاء وصفه بأنه "شاعر مفلق ،واسع الفكر ،كثير الحفظ والعلم، يحسن النظم والشعر ،من شعراء بني هاشم المتقدمين وعلمائهم، وممن نشأ في الرواية وكان يقدم أهل العلم ويؤثرهم" (٥٨)، ومما جاء في شعره:

"أَلَم تر أن الدهر قطعَنِي حزا وَأصحبنِي ذلا واثكلنِي عِزا
أَلاربَّ وجه فِي الثرى كان عابِسا إِذا خِفت بطشا مِن يد الدهرِ أو غمزا
ملوك و إِخوان يرى بِسماحِهِم مِن البِشر فِي ديباج أوجههم طَرزا
فَقدتهم مستكرَهاً وكنزهم ثوابا وأجرا فِي بطون الثرَى كنزا"(٥٩).

تبدو مسحة الحزن بينة في شعر الأمير عبد الله على مال اليه أبناء البيت العباسي بسبب اضطراب الأوضاع السياسية ابان حقبة النفوذ التركي وهيمنة العنصر التركي على المؤسسة العسكرية وتجاوزهم على الخلفاء فكان شعره معبراً الفترة الزمنية التي عاشتها الخلافة العباسية (٦٠).

ويبدو ان حالة الضيق وعدم الرضا مما الت اليه الأمور العامة في الدولة العباسية والتي انعكست على مكانة الأمير وغيره من امراء البيت العباسي والتي بدت جليلة في ابياته التي عكست اجادته في وصفه لتلك الأوضاع جاء فيها:

"اني غريب بدار لاكرام بها كغربة الشعرة السوداء في الشمط (٦١)
ما أطلق العين في شيء أسر به ولست أبدي الرضى إلا على سخط"(٦٢).

وكان الأمير عبد الله بن المعتز حريصاً على متابعة اشعار الأمراء الاخرين،بل وحفظها وانشادها على نحو اعجابه بشعر الامير عبد الله بن محمد الامين وتمثل بأبيات هذا الامير ليمتدح بها الخليفة المعتمد على الله وجاء فيها :

"رأيت الهلال على وجهكا فما زلت ادعو الهي لكا
فلا زلت تحيا وأحيا معاً وآمتني الله من فقدكا"(٦٣).

ولم يتوان الأمير عبد الله بن المعتز في توظيف إمكاناته الأدبية في ميدان النظم الشعري في مدح خلفاء بني العباس ممن عاصرهم كالمعتضد بالله [٦٤] الذي نجح في انعاش الخلافة العباسية والنهوض بها اكمالاً لمسيرة ابيه الموفق طلحة لذا بادر الى تنظيم(ارجوزة)[٦٥]إذ اثنى بها على الخليفةً قائلاً:

"هذا كتاب سير الامام مهذباً من جوهر الكلام
اعني أبا العباس خير الخلق للملك قول عالم بالحق
قام بأمر الملك لما ضاعا وكان نهياً في الورى مشاعاً"[٦٦].

فيما جاءت الإشارة الى بعض المؤلفات التي وصلتنا للأمير العباسي وهو كتابه (البديع في البديع)[٦٧] وكان يقصد به ترتيب الالفاظ والمعاني بالوان بديعة في الجمال اللفظي والمعنى، وسمي العلم الجامع لطرق الترتيب بعلم البديع، وهو احد العلوم الثلاثة في البلاغة العربية التي هي المعاني والبيان ،البديع، الذي تمحورت أهميته كونه من الكتب الأدبية ، الذي يشمل اللغة والأدب والبلاغة [٦٨]، ويعد الأمير عبد الله اول من الف في البديع وجاء في كتابه "جمعت فنون البديع لم يسبقني اليه احد والفته سنة اربع وسبعين ومائتين" [٦٩]،ووصف الامير عبد الله كتابه قائلاً:" قدمنا أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله (ﷺ) وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع وقسم الكتاب إلى خمسة أبواب رئيسة وهي: باب الإستعارة [٧٠]، باب التجنيس[٧١]،باب المطالعة[٧٢]، باب رد العجز على الصدر[٧٣]، باب المذهب الكلامي[٧٤] وعد كتاب البديع من المؤلفات المميزة لان الأمير عبد الله جمع فيه عدد من المصطلحات، كما انه حاول إيجاد منطق للشعر منطبق على أصول المنطق العقلي، وكان اول من حدد جودة المعنى [٧٥].

ومن مؤلفات الأمير عبد الله التي وصلتنا وحفظت من عاديات الزمن ديوان شعر الفه بعنوان ديوان ابن المعتز[٧٦]،وهو من الدواوين الشعرية المثمرة في العصر العباسي، وكان نتاجاً اضافه هذا الأمير للتراث العباسي ،تضمن قصائد عده تباينت من حيث عدد ابياتها،

و موضوعاتها الشيقة، سواء قصائد المديح [٧٧] والأمراء وكذلك الرثاء[٧٨]، ووصف الطبيعة [٧٩] والغزل[٨٠] والهجاء[٨١].

ومن النتاجات الشهيرة للأمير عبد الله بن المعتز والتي لاتزال تنهل منها كتابه (طبقات الشعراء) [٨٢] والذي عد من المصادر المهمة الذي ترجم به لشعراء العصر العباسي، سيما الذين اتصلوا بالخلفاء وجمعتهم بهم مواقف عدة، كما اردف ذكر الشاعرات والجواري في نهاية الكتاب، فترجم لهن وكان يقدم معلومات ثرة عن الشعراء المترجم لهم[٨٣]من حيث ذكر اسمائهم والخلفاء الذين عاصروهم، فضلاً عن نماذج من اشعارهم وبعض مجالسهم مع الخلفاء[٨٤]، فكان للكتاب قيمة بما تضمنه من مرويات قد لا نجدها عند غيره ،سيما وانه من العائلة الحاكمة ولا تخضع مؤلفاته لضغوطات او مؤاخذة مما يتيح له الكتابة بأسلوب محايد منطلق من وازعه الذاتي او رغبة شخصية فضلاً عن كونه قريباً من الأحداث والشخصيات سواء من حيث الاطار الزمني الذي عاش فيه بوصفه شاهد عيان على العصر او تماسه المباشر مع الشعراء بو صفه احد البارزين منهم مما اعطى الكتاب أهمية لا نجدها عند غيره، وذكر ابن المعتز سبب تأليفه للكتاب قائلاً:"تأملت فخطر على الخاطر في بعض الأفكار، أن أذكر في نسخة ما وضعته الشعراء من الأشعار، في مدح الخلفاء والوزراء والأمراء من بني العباس، ليكون مذكوراً عند الناس..." [٨٥].

ومن مؤلفاته الأخرى التي جاءت الإشارة لها كتاب (ارجوزة في ذم الصبوح) [٨٦] وكتاب (الآداب) [٨٧]، و(كتاب التفات الشعراء والمحدثين)[٨٨]،وكتاب(الجامع في الغناء)[٨٩]،و(كتاب الجوارح والصيد) [٩٠]،وكتاب (حلي الاخبار)[٩١]،(السرقات)[٩٢]، وكتاب (أشعار الملوك) [٩٣]،و (الزهور والرياض)[٩٤]،وكتاب (مكاتبات الأخوان بالشعر) [٩٥].

ان ما اشرنا اليه من مؤلفات التي تخص الأمير عبد الله بن المعتز بالله كانت كفيلة بإعطاء نظرة ثاقبة عن المكانة العلمية لهذا الأمير حتى عد من العلماء وليس فقط من الأمراء العباسيين.

وبلغ الأمير حمزة ابن المعتز بالله منزلة متميزة في نظم الشعر الذي حاز على اعجاب علماء العصر ،ومنهم (محمد بن بنان)[٩٦]، الذي اعجب بشعر الأمير وانشده[٩٧].

اما أبناء الخليفة المهتدي بالله (٢٥٥-٢٥٦هـ/ ٨٦٨-٨٦٩م) لم يكونوا أقل علماً ممن سبقوهم من أبناء الخلفاء، أذ اشارت النصوص التاريخية ان أبناء المهتدي بالله عرفوا بفصاحة السنتهم وبلاغتهم فتقلد بعضهم الخطابة [٩٨]، الا انه مما يؤسف له ان النصوص لم تذكر أسماء من تقلد الخطابة منهم بل ذكرتهم بشكل عام، ومهما يكن من الامر فان تصدر أبناء المهتدي بالله الخطابة كفيل بالتنويه بعلمهم الذي أهلهم لذلك، سيما وان من اهم الشروط الواجب توفرها في الخطيب هي: "أن يكون رجلًا عاقلاً، قارئاً ،فقيها ،سليم اللفظ من نقصٍ، أو لثغ، .... عالمًا بأحكام الصلاة..."[٩٩].

وبذلك يثبت لنا ان الأمراء من أبناء الخليفة المهتدي بالله لم يتقلدوا الخطابة الا لكونهم مؤهلين من الناحية العلمية والالتزام الديني للخطابة ، وتقديم النصح والإرشاد والتوجيه وفقاً للموضوعات التي تصدروا لطرحها على منابر الجوامع، مما يوحي بدورهم الإصلاحي في المجتمع، سيما الأمير عبد الصمد الذي اتضحت توجهاته العلمية من خلال اهتمامه بتنشئة أبناؤه، اذ حرص ان يكون أبناءه من اهل العلم ومنهم ولده عبد الله [١٠٠]الذي كان له باع في علوم الفقه [١٠١]، اذ سمع الحديث النبوي الشريف من (ابن القيراط)[١٠٢] .

أما فيما يتعلق بأبناء الخليفة المعتمد على الله جاءت الإشارة الى الأمير إسحاق الذي كان ملازماً لعلماء عصره، اذ كان هذا الأمير يجلس في حلقات العلم التي تعقد في قصر الخليفة الراضي بالله (٣٢٢-٣٢٩هـ/ ٩٣٤-٩٤٠م)[١٠٣] فمن المرجح انه كسب الكثير من علومهم ومعارفهم. ومن أبناء الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ/ ٩٠١-٩٠٧م) نذكر ولده الأمير احمد بن المكتفي الذي برزت لنا توجهاته العلمية من خلال جهوده في تعليم أبناؤه سيما الأمير علي (أبو الحسن) الذي درج ضمن المحدثين، وكان قد وروى الحديث النبوي الشريف من مشاهير المحدثين[١٠٤]، وفي مقدمتهم (أبو القاسم البغوي)[١٠٥]، فضلاً عن اهتمامه بالأدب والشعر الذي امتاز به واخذه عن مشاهير شعراء العصر [١٠٦] .

وأشارت النصوص التاريخية إلى الأمير جعفر ابن المكتفي بالله الذي كان ذو معرفة لعلوم عدة ،إذ وصف أنه: "فاضل كبير القدر بعلوم متعددة من علوم الأوائل متحقق بذلك أتم تحقيق يرفعه عن التبذل فِي تعليمه مَا هو عَلَيْهِ من علو النسب ،وَكَانَتْ لَهُ فِي العلوم القديمة تعاليق جميلة ومعرفة بأخبار الأوائل من الحكماء ،وبأخبار المحدثين ،منهم

وبأحوالهم ومقدار مَا يعلمه كل واحد منهم"[١٠٧]، لذا ذاع صيته وشهرته كأحد ابرز علماء الفلك والنجوم في العصر، ولنا ان نتصور مكانته العلمية التي كانت موضع ثقة كبار الشخصيات السياسية التي ارتادت العراق ومنهم الأمير البويهي (عضد الدولة)[١٠٨] إلى بغداد، عام ٣٦٧هـ/٩٧٨م واشتاقت نفسه الى لقاء الأمير جعفر بن المكتفي الذي كان يظهر له كل التقدير والاحترام، اذ اشارت النصوص ما يؤكد ذلك "لما قدم إلى بغداد اشتاقت نفسه إلى جعفر بن المكتفي بالله ولقائه فسير إليه ...وكان يجتمع به ...ويأتيه ...في داره ...فاذا شاهده تطاول له في القيام وأكرمه وخلا به وسأله عن فنه من علم أحكام النجوم .... فيخبره من ذلك بما يعجب منه..." [١٠٩].

ان مما تقدم يعكس لنا سعة علم ومعرفة الأمير العباسي جعفر بن المكتفي في ميدان الفلك، وعلم النجوم الذي على ما يبدو قد فاق به غيره، والا ما حظى بهذه المكانة وهذا الاهتمام من لدن الأمير البويهي عضد الدولة الذي عرف عنه توجهاته العلمية ورعايته لعلماء العراق [١١٠] ، ويبدو ان عضد الدولة كان على تماس و تواصل مع هذا الأمير والا لما وثق به،

واستفسر منه ، سيما وان صيت الأمير جعفر كان واضحاً في ميدان علم الفلك، اذ اشارت احدى الروايات التاريخية عن وجود نص كتب بقلم الأمير جعفر بن المكتفي يتضمن ذكر حركة (الكواكب ذوات الأذناب)[١١١]فِي أوقاتها[١١٢].

ومن أبناء الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م) فقد ورد ذكر الأمير إسحاق بن المقتدر الذي اولى تعليم أبناءه اهتماماً كبيراً سيما ولده أبو العباس احمد الذي نال الحكم فيما بعد وتلقب بالقادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣٠م) الذي وصف بحسن المذهب وصحة الاعتقاد [١١٣]، ولم يختلف الامر كثيرا عن اهتمام الأمير العباس في مسالة تعليم أبنائه سيما ولده الأمير الحسن، الذي كان راويا للحديث النبوي الشريف، كما نقل الروايات واخبار الصحابة، اذ وصف انه " كان ديناً حافظاً، عالما بأيام الناس" [١١٤].

ومما يجدر ذكره ان النصوص التاريخية لم تسعفنا بمعلومات عن الدور العلمي للأمراء العباسيين في الحقب اللاحقة، سيما حقبة التسلط البويهي باستثناء ما تقدم، ولعل حالة الاضطرابات السياسية التي شهدتها الخلافة العباسية، وتدخل الأمراء البويهيين في

صلاحيات الخلافة ومشاركتهم في رسوم الخلافة العباسية [١١٥]،اذ اهتم الكتاب والمؤلفون في تخليد الأحداث السياسية، حال دون تسليط الضوء على الامكانات العلمية لأبناء الخلفاء اكثر من التركيز على الجانب العلمي، وان لم يخل هذا الجانب من اهتمامات من قبل الخلفاء انفسهم وكبار رجال الدولة، الا ان تغطية دور أبناء الخلفاء في الجانب العلمي كان اقل من الجوانب الأخرى بحكم تلك الظروف التي انشغلوا بها، الا اننا نرجح بان الأمراء كانت لهم مكانتهم العلمية ونصيبهم من دعم الحركة العلمية بحكم تقديرهم للعلم، اذ كانوا من حملته في ظل التنشئة العلمية والتربية والاعداد الذي تلقوه في صغرهم على يد كبار حملة العلم في عصرهم، وبمتابعة مباشرة من قبل ابائهم الخلفاء[١١٦].

وفي خضم الاضطرابات السياسية التي شهدها العراق في حقبة السيطرة السلجوقية[١١٧]، الا ان ملامح الحركة العلمية كانت بارزة في خضم رعاية الخلفاء وكبار رجال الدولة للعلم والعلماء[١١٨]، الا انه فيما يتعلق بأدوار الأمراء من أبناء الخلفاء فأننا لم نقف الا على عدد منهم فنجد ان الروايات اشارت الى ان أبناء الخليفة المستظهر بالله (٤٨٧_٥١٢هـ/١٠٩٤_١١١٨م) قد نالوا قسطاً من العلوم ومنها علوم القرآن والفقه[١١٩]، سيما الأمير العباس (ابو طالب) و إخوته الأميرين أبو القاسم، و(علي) أبو الحسن [١٢٠]. وبرز أبناء الخليفة المسترشد بالله (٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٤م) في ميدان الحديث النبوي الشريف والفقه [١٢١]، اذ درسوا على يد كبار علماء العصر [١٢٢]. وعرف عن الأمراء من أبناء الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩-١٢٢٥م) تمكنهم من علم الفقه ومنهم الأميرمحمد(أبو نصر)، والأمير علي (ابو الحسن) الذي كان على دراية ومعرفة بالفقه وهو أبو طالب الكرخي الذي عد أحد أعلام وشيوخ المدرسة النظامية المميزين[١٢٣].

وجاءت الإشارة إلى الأمير أبي المناقب المبارك أصغر أبناء الخليفة المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/ ١٢٤٢- ١٢٥٨م) الذي تميز ببراعته في علم الفقه ومعرفته الواسعة بالحديث النبوي الشريف[١٢٤] ،وكان ابنه الأمير أبو نصر على خطاه في مسيرة العلم فبرز في ميدان العلوم الحديثية ووصف بانه من خيرة علماء العصر [١٢٥].

يتبين ما تقدم تميز اغلب الأمراء في النواحي الادبية فضلاً عن العلوم والمعارف الأخرى كعلم الفقه والحديث النبوي الشريف، وعلم الفلك، والتنجيم وهي من العلوم التي كان

لها أثر كبير وفاعل في حياة المسلمين لأن بعض منها ارتبط بآمر التشريع مما يعكس دورهم العلمي النافع للمجتمع، اذ كانوا جزء من أعلامه ورموزه التي نشأت وترعرعت في كنف اعلام الأمة البارزين من العلماء الذين كانوا لساناً ناطقاً بإمكانات أبناء الخلفاء بصفتهم تلاميذهم.

الخاتمة :

توصل البحث الى عدة نقاط وهي :

- اثبت لنا أبناء الخلفاء اسهامات فاعلة في ميدان النهضة العلمية التي شهدتها الخلافة العباسية، اذ برز منهم اعلام بارزين في الميدان العلمي ،اذ كان للبعض منهم امكانات في ميدان نظم الشعر الموزون والمقفى، وبات اثر اخرين منهم في اثراء المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم العلمية الثرة التي كانت لساناً ناطقاً بتفوقهم العلمي الذي كان ثمرة جهود ابائهم الخلفاء في تعليمهم واعدادهم ليكونوا رجالاً صالحين في المجتمع.
- ان أبناء الخلفاء اسهموا بشكل فاعل في اثراء حضارة الإسلام العريقة فكانت لهم التفاته واضحة في دعم العلم وأهله بمجالس علمهم التي كانت بأبهى صورها من حيث مكان انعقادها احياناً في قصورهم التي حضرها مشاهير العلماء او بالموضوعات التي نوقشت فيها واثروا بها الفكر الإسلامي.
- سجل التاريخ لبعضهم مبادرات مشهودة لدعم مراكز العلم وتأسيس البعض منها في العراق والحجاز ولم يتوانوا في مكافأة حملة العلم تثميناً لجهودهم في دعم المسيرة العلمية في ربوع الخلافة العباسية، فأغدقوا عليهم بالمنح والأُعطيات ،وقدموا لهم الدعم الاجتماعي بشكل عكسوا من خلاله قيمة العلم وحملته في نفوسهم بصورة مشرفة عكست الواقع العلمي المزدهر والذين كانوا أحد الأقطاب الداعمة له، الامر الذي اكسبهم مكانة متألقة بين رواد العلم والمعرفة.
- وجدنا الاطار المكاني لنشاط الأمراء من أبناء الخلفاء كان بيناً في العراق على وجه الخصوص بصفة العراق مركز الحكم واستقرار العائلة العباسية جيلاً بعد جيل فطغى دورهم في العراق عن الانحاء الأخرى ،وان كانت لهم فعاليات تتعلق بالإدارة ودعم

الحركة العلمية في بلاد المشرق وبلاد الشام والحجاز، وان هذه الفعاليات على محدوديتها الا انها لها خصوصية اكدت لنا سعة دائرة الإنجازات التي قدمها الأمراء العباسيون والتي خدموا بها المجتمع بشكل عام ضمن الرقعة الجغرافية التي امتد لها سلطان الخلفاء.

هوامش البحث:

(١) سورة فاطر ،الاية٢٨.

(٢) سورة الزمر ،الاية٩.

(٣) مسلم، صحيح مسلم،ج٢،ص٢٠٧٤؛ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٣هـ/٨٨٦م)، سنن ابن ماجة، تحقيق: عصام موسى هادي، ط٢ (الجبيل، دار الصديق للنشر،١٤٣٥هـ/٢٠٤١م)، ص ٩٧؛ الترمذي، سنن الترمذي،ج٥،ص٢٠٥.

(٤) ابن ابي شيبة، مسند ابن ابي شيبة،ج٥،ص١٣٣١؛ابن ماجة ،سنن ابن ماجة،ص٩٧؛أبو يعلى الموصلي، احمد بن علي بن المثنى التميمي(ت٣٠٧هـ /٩١٩م)، مسند ابو يعلى ، تحقيق: سعيد بن محمد السناوي، (القاهرة، دار الحديث،١٤٣٤هـ/٢٠٣١م)، ج٨، ص٦٢٢.

(٥) ينظر: الصولي، اشعار اولاد الخلفاء، ص٨، الأربلي، خلاصة الذهب، ص٤٢.

(٦) الصولي، اشعار أولاد الخلفاء، ص٨؛ الاوراق، ج٣، ص٨؛أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني، (بيروت، دار احياء التراث العربي،١٤١٥هـ/١٩٩٣م)،ج١٤،ص٥٠٢.

(٧) ينظر: الصولي، اشعار اولاد الخلفاء ،ص٨.

(٨) المصدر نفسه، ص١١.

(٩) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل،ج٨،ص٤١٥؛ابن الاثير، الكامل، ج٥،ص٤١٩ .

(١٠) ينظر: الصولي، اشعار اولاد الخلفاء، ص١٢؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٣، ص٣٢٤؛الصفدي، الوافي، ج١٥، ص٢٤١.

(١١) هو أبو معمر شبيب بن ابي شيبه بن عبد الله بن عمر بن الاهتم بن الخطيب، كان اخبارياً وراوياً واديباً عالماً من اهل البصرة ، قدم بغداد في خلافة أبو جعفر المنصور ،عرف عن مكانته ومنزلته الرفيعة عند الخلفاء العباسيين لما له من الفضل والعلم ،وافته المنية في بغداد بعد عام ٢٠٠هـ /٨١٦م.(ينظر: البلاذري، جمل من أنساب الاشراف،ج١٢،ص٢٠٤؛ الخطيب البغدادي ،تاريخ بغداد،ج٩،ص٢٧٥؛ياقوت الحموي ،معجم الادباء، ج١، ص٢٦٨).

(١٢) الجاحظ، البيان والتبيين، (بيروت ،دار ومكتبة الهلال،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)،ج١، ص٢٤٨؛ العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، و محمد ابو الفضل إبراهيم ،(بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) ، ص٤٣٩.

(١٣) ينظر: الصولي، اشعار اولاد الخلفاء، ص٣٤؛ الاوراق، ج٣، ص٣٤.

(١٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،ج٩،ص٤٢٥.

(١٥) ينظر الطبري، تاريخ الرسل، ج٨، ص٤٨٧؛ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠،ص٦٤.

(١٦) هو احد أبواب القصر الذي بناه الخليفة المنصور في داخل بغداد المدورة وكان القصر يسمى قصر الذهب ، وعد من اجمل الأبواب التي كانت في بغداد.(ينظر: الطبري، تاريخ الرسل،ج٧،ص٦٥٤؛ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٣،ص١٠١).

(١٧) الطبري، تاريخ الرسل،ج٨،ص٤٨٧؛ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠،ص٦٤.

(١٨) ينظر: ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ج١، ص٣٨٩؛ المقدسي، البدء والتاريخ،ج٦،ص١١١.

(١٩) هو من ذمل بمعنى سَيْراً سَرِيعًا لَيّنا، .(ينظر: ابن منظور، لسان العرب،ج١١،ص٢٥٩).

(٢٠) هي المواضع المرتفعة كالجبال والتلال العالية .(ينظر: الازهري ، تهذيب اللغة، ج٢،ص٢١٥؛إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة،ج٢،ص٢٧).

(٢١) هو السم الناقع أي شديد القتل او بالغ القتل.(ينظر: ابن منظور، لسان العرب،ج٨،ص٣٦٠).

(٢٢) هي من وسنه أي غفلة وجمعها وسنات وتعني غفلات .(ينظر: الزبيدي ،تاج العروس،ج١٨،ص٥٧٥).

(٢٣) ابن طيفور، كتاب بغداد، ص١٠٣؛ ابو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج١٩، ص١٢٠؛ مسكويه، تجارب الامم، ج٤، ص٦٥٩؛ الثعالبي، لباب الآداب، تحقيق: احمد حسن، (بيروت، دار الجيل، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ج٢٠، ص١٢٦؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٤، ص١٢٨.

(٢٤) ينظر: الثعالبي، ثمار القلوب، ص١٦، الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٦، ص١٤.

(٢٥) ينظر:أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني،ج٨،ص٤٧٣.

(٢٦) ينظر: ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ص٣٣.

(٢٧)هو مادة بيضاء ذات طعم ورائحة عطرة تستخرج من نوع من الاشجار.(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص١٥٠).

(٢٨) ينظر: السيرافي، رحلة السيرافي، ص١١؛المسعودي،اخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان والعامر والغامر بالماء والعمران، (بيروت، دار الاندلس، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص١٤٥.

(٢٩) ينظر: الصولي، اشعار أولاد الخلفاء، ص٥٠؛ الأوراق، ج٣، ص٥٠.

(٣٠) ينظر: الصولي، اشعار أولاد الخلفاء، ص٥٤.

(٣١) ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٦، ص٥؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٠، ص١٧٨.

(٣٢) ينظر: الصولي، اشعار أولاد الخلفاء، ص٦٤.

(٣٣) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج١، ص٨٢؛ ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢٣٠.

(٣٤) ينظر: الجاحظ ، رسائل الجاحظ،،ص٤٩٠.

(٣٥) ينظر:الصولي، اشعار اولاد الخلفاء، ص٨٤؛ الاربلي، خلاصة الذهب، ص٧٦.

(٣٦) هو أبو محرز خلف بن حيان ، عرف عنه انه كان عالما بالغريب والنحو والنسب والأخبار من اهل البصرة ، جاء الى بغداد في عهد الخليفة هارون الرشيد كما يوصف انه لم يكن في نظرائه من أهل العلم أكثر شعراً منه، كانت وفاته عام ١٨٠هـ/٧٩٦.(ينظر: ابن الانباري، نزهة الالباء،ج١،ص٥٣؛ابن خلكان، وفيات الاعيان،ج٦،ص٥٥٦).

(٣٧) ينظر:البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص٢٤٤؛ الشريشي ، شرح مقامات الحريري، ج٣، ص٣٦٨؛ الدلجي، احمد بن علي بن عبد الله (ت ٨٣٨هـ/١٤٣٥م)،الفلاكة والمفلوكون، (القاهرة، مطبعة الشعب، ١٣٢٠هـ/ ١٩٠١م)، ص١٥.

(٣٨) الصولي، الاوراق، ج٣، ص٨٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ،ج١٤،ص٤٧٢؛ ينظر: العمري، مسالك الابصار، ج٣، ص٣٤٤؛ الصفدي، الوافي،ج٥، ص٩٦.

(٣٩) الصولي، اشعار اولاد الخلفاء، ص٨٨؛ الاوراق، ج٣، ص٨٨.

(٤٠) ينظر:الصفدي، الوافي، ج١٦، ص١٥٨.

(٤١) ابن طيفور، كتاب بغداد، ص١٦٨؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٨، ص٦٦٢؛ ينظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٣، ص٣١٤.

(٤٢) الصولي، اشعار اولاد الخلفاء، ص٩٤، ينظر: الصفدي، الوافي، ج٥، ص٩٦.

(٤٣) ينظر: الصولي، اشعار اولاد الخلفاء، ص٩٧؛ابن الفوطي ،مجمع الآداب،ج٣،ص٣٢٩.

(٤٤) هو السحاب الذي ينشأ في الصباح، كما تأتي بمعنى الغدوة وهي المطرة التي تكون في غدوة الصباح الباكر.(ينظر: الازهري، تهذيب اللغة،ج٨،ص١٥٦).

(٤٥) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص٥٠٧؛ أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني،ج١٠،ص٣٧٨.

(٤٦) ينظر:الخطيب البغدادي،الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان،(الرياض، مكتبة المعارف، بلا. ت) ، ج٢، ص٥٣.

(٤٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٤، ص٢٨٦.

(٤٨) ينظر: ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص١٣٦.

([٤٩]) ينظر:ابو الفرج الاصفهاني، الديارات، ص١٥٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٣٦.

([٥٠]) ينظر: ابن المعتز، معجم الشعراء، ص٥١٧؛ القفطي، اخبار العلماء، ص١٩٩؛ ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص٢٨٦؛ ابن حجة الحموي، تقي الدين ابو بكر علي بن عبد الله (ت ٨٣٧هـ/ ١٤٣٤م)، ثمرات الاوراق في المحاضرات،(القاهرة، مكتبة الجمهورية العربية، بلا. ت)، ج١، ص١٠٤.

([٥١]) ينظر: ابن حزم الاندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص٢٥.

([٥٢]) ينظر: ابن النديم، الفهرست، ج٢، ص١٩٦؛ القفطي، اخبار العلماء، ص٦٤؛ ابن الساعي، الدر الثمين، ص٢٦٣.

([٥٣]) ينظر: المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١٢٥؛ ابن العمراني، الانباء، ج١، ص١٤١.

([٥٤]) ينظر: الصولي ، اشعار أولاد الخلفاء،ج١،ص١٠٤.

([٥٥]) ينظر: ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص٤١٥؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٢، ص٥٧٤.

([٥٦]) ينظر: الطبري ، تاريخ الرسل،ج٩،ص٦١٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج٥،ص٥٦٢؛النويري، نهاية الارب،ج٢٢، ص٣٣٧.

([٥٧]) ينظر: الصولي، الاوراق، ج٣، ص١٠٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٢، ص٢٢٢.

([٥٨]) الصولي، الاوراق، ج٣، ص١٠٧؛ ينظر: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٤، ص٢٨٥.

([٥٩]) الشجري ، يحيى المرشد بالله بن الحسين الموفق بن إسماعيل (ت٤٩٩هـ/١١٠٥م)، ترتيب الامالي الخمسة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، (بيروت، دار الكتب العلمية /١٤٢٢هـ /٢٠٠١م)،ج١،ص١٠٧.

([٦٠]) للوقوف على اضطراب أوضاع الخلافة ينظر: ابن العمراني،الانباء،ج١،ص١٥٨؛مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص٧٥.

([٦١]) هو كل شيء اختلط بشيء اخر يختلف عنه فتغير، كمأ يأتي في اختلاط الصباح في الليل ،او اختلاط لونين كما نقول اختلط بياض الشعر بسواده ، أذ سمي الصبح شَميطاً لاختلاطه بباقي سواد الليل.(ينظر: ابن دريد ،جمهرة اللغة، ج٢، ص٨٦٦؛ الازهري، تهذيب اللغة، ج١١، ص٢١٩).

([٦٢]) الصولي، اشعار اولاد الخلفاء، ص١٣٨؛ ابن منقذ، محمد الدين اسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر (ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)، المنازل والديارات، تحقيق: مصطفى حجازي، ط٢ (القاهرة، دار اليوم، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ص٣٥٥.

([٦٣]) الصولي، اشعار اولاد الخلفاء، ص٩٨؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ح٥٦، ص٢٢١.

([٦٤]) ينظر: ابن النديم، الفهرست، ج١، ص٣٦٠؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٧٧؛ الصفدي، الوافي، ج٢، ص٤٢٠.

([٦٥]) هي من الرجز بحر من بحور الشعر وانواعه ، اذ يكون كل موضوع منه منفرداً يسمى ارجوزة ،وهو كهيئة السجع الا انه فيه وزن الشعر.(ينظر: ابن منظور، لسان العرب،ج٥،ص٣٥٠)..

([٦٦]) ابن المعتز، ارجوزة عبد الله بن المعتز في تاريخ امير المؤمنين المعتضد بالله، (القاهرة، المطبعة الجمالية، ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م)، ص٣.

([٦٧]) ابن المعتز، البديع في البديع ، ط٤، (بيروت، دار الجبل، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص١ وما بعدها.

([٦٨]) ينظر:ابن الاثير الجزري،النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق: طاهر احمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي،(بيروت،

المكتبة العلمية،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج١، ص١٠٦؛ الرازي، مختار الصحاح ، ص٣٠.

([٦٩]) ابن المعتز، البديع، ص١٥٢ .

([٧٠]) هو ادَّعاءُ معنى الاسم للشيء.(ينظر: الجرجاني ،أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد(ت٤٧١هـ/١٠٧٨م)، دلائل الاعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر،(القاهرة ،مطبعة مدني،١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ،ج١،ص٥٣٧).

([٧١]) هو الضرب من الشيء وهو اعم من النوع ،بمعنى تشابه كلمتين في المعنى.(ينظر: ابن الاثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم(٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، تحقيق: المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، تحقيق: احمد الحوفي، وبدوي طبالة،(القاهرة، دار النهضة، بلا.ت)،ج١،ص٥٠؛الرازي،مختار الصحاح،ص٦٢.

([٧٢]) ابن المعتز، البديع ،ص١٢٤ وما بعدها.

([٧٣]) المصدر نفسه، ص١٤٠ وما بعدها.

([٧٤]) المصدر نفسه، ص١٤٧ وما بعدها.

([٧٥]) ينظر: عباس، احسان، تاريخ النقد الادبي عند العرب،ط٤،(بيروت ،دار الثقافة،١٤٠٤هـ/١٩٨٣م) ،ج١،ص١٢٠.

([٧٦]) ابن المعتز، ديوان ابن المعتز،(بيروت، دار صادر، بلا. ت)،ص١ وما بعدها.

([٧٧]) المصدر نفسه ، ص٦٣.

([٧٨]) المصدر نفسه، ص٣٨٤.

([٧٩]) المصدر نفسه، ص١٧.

([٨٠]) المصدر نفسه، ص٩٨.

([٨١]) المصدر نفسه ،ص٩٣.

([٨٢]) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص١ وما بعدها.

(٨٣) المصدر نفسه ،ص٩٣.

(٨٤) المصدر نفسه، ص٤٢٥.

(٨٥) ابن المعتز، طبقات الشعراء ، ص١٨.

(٨٦) ياقوت الحموي، معجم الادباء،ج٤،ص١٥٢٦.

(٨٧) ابن النديم ، الفهرست،ج١،ص٣٦٠؛ياقوت الحموي، معجم الادباء،ج٤،ص١٥٢٦.

(٨٨) ياقوت الحموي،معجم الادباء،ج٤،ص١٥٢٦.

(٨٩)المصدر نفسه ، ج٤، ص١٥٢٦؛ الغزي، تقي الدين عبد القادر التميمي(ت١٠١٠هـ/١٦٠١م)، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو،(القاهرة، دار الرفاعي، بلا .ت)،ج٤،ص٢١٤.

(٩٠) ابن النديم، الفهرست، ج١، ص٣٥٩؛ الصفدي، الوافي، ج١٧، ص٢٤٠.

(٩١) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٥٢٦؛حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني(ت١٠٧٦هـ/١٦٥٦م)،كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون،(بغداد، مكتبة المثنى،١٣٥٩هـ/١٩٤١م) ،ج١، ص٦٨٨.

(٩٢) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٥٢٦؛ الغزي، الطبقات السنية،ج٤،ص٢١٣.

(٩٣) ياقوت الحموي، معجم الادباء ،ج٢، ص١٥٢٦.

(٩٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١٥٢٦؛ حاجي خليفة، كشف الظنون،ج٢،ص٩٦٠.

(٩٥) ابن النديم، الفهرست،ج١،ص١٤٦؛ ابن خلِكان، وفيات الاعيان،ج٣،ص٧٧.

(٩٦) هو أبو إسحاق محمد بن بنان بن معن ، ولد وعاش في بغداد ، سمع من ثقاة العلماء في عصره سيما في الحديث ، وافته المنية في بغداد عام ٣١٠هـ/ ٩١٣م. (ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص١٠٦؛ الشيرازي، ابو اسحاق ابراهيم بن علي (ت ٤٧٦هـ/ ١٠٩٢ م) ، طبقات الفقهاء تحقيق: احسان عباس،(بيروت، دار الرائد، بلا. ت)، ص١٧٩).

(٩٧) ينظر: ابن ماكولا، الاكمال، ج١،ص؛٣٦٦ الصفدي، الوافي، ج٣، ص١١٢؛ابن حجر العسقلاني، تبصير المشتبه، تحقيق: محمد علي النجار،(بيروت، المكتبة العلمية، بلا. ت)، ج١، ص١٠٥.

(٩٨) ينظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٥، ص٣٨٤؛ الصفدي، الوافي، ج٤، ص٥١؛ العليمي، التاريخ المعتبر، ج١، ص٣٧٥.

(٩٩) الماوردي، الاحكام السلطانية ، ص١٦٣.

(١٠٠) ينظر: ابن النديم، الفهرست، ج٢، ص١٩٦؛ القفطي، اخبار العلماء، ص٦٤؛ ابن الساعي، الدر الثمين، ص٢٦٣.

(١٠١) ينظر: البيهقي، السنن الكبرى، ج٦،ص٢٦٨.

([١٠٢]) هو ابو علي اسماعيل بن محمد العذري ، عرف عنه رواية الحديث النبوي الشريف ومن اعلام المحدثين والفقهاء الذين ذاع صيتهم في العصر العباسي لمن مدَ يده بالمساعدة ،كانت وفاته عام ٢٩٧هـ/٩٠٩.(ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص١٨٦).

([١٠٣]) ينظر: الصولي، اخبار الراضي، ص٧٧؛ الاوراق، ج٢، ص٩.

([١٠٤]) ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥، ص٢٧٤.

([١٠٥]) هو ابو القاسم محمد بن عبد العزيز كان مولده في بغشور في بلاد خراسان عام ٢١٤هـ/ ٨٢٩م، وعرف عنه انه ثقه في رواية الحديث المسند وافته المنية عام ٣١٤هـ/ ٩٢٧م. (ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٣١٠؛ السمعاني، الأنساب، ج٢، ص٢٧٣)

([١٠٦]) ينظر: السراج القاري، مصارع العشاق، ج١، ص٣٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٢، ص٢٩٠.

([١٠٧]) القفطي، اخبار العلماء، ص١٢١؛ ابن العبري، مختصر الدول، ج١، ص١٧٦؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٠٨.

([١٠٨]) هو عضد الدولة ابو شجاع فناخسرو بن حسن بن بويه السلمي ، كان أميراً على بلاد شيراز وما حولها، عرف عنه انجازاته العسكرية ضد الترك في واسط استطاع السيطرة على العراق، وتميز بدهاءه السياسي، ورعايته للعلم والعلماء ،كانت وفاته ٣٧٢هـ/ ٩٨٣م.(ينظر: ابن العمراني، الأنباء، ص١٧؛ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص٢٢٦).

([١٠٩]) القفطي، اخبار العلماء، ص١٢١؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ج١، ص١٧٦.

([١١٠]) ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،ج٤،ص٢٢٨؛ابن العديم بغية الطلب،ج٢،ص٦٦٧.

([١١١]) هي الكواكب التي يظهر لها ذيل مضيء كلما اقتربت من الشمس. (ينظر: البيروني، أبو الريحان محمد بن احمد
(ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م)،ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ط٢(بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م)،ج١،
ص٤١.

([١١٢]) ينظر: القفطي ، اخبار العلماء، ص١٢١.

([١١٣]) ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٤، ص٢٥٧.

([١١٤]) المصدر نفسه ، ج١٢،ص٢٢٧؛ابن عساكر، تاريخ دمشق،ج١٣،ص٣٠٩.

[١١٥] ينظر: ابن الجوزي،المنتظم،ج١٤،ص٤٣ ؛فوزي، الخلافة العباسية، ج٢،ص٨٩ وما بعدها.

[١١٦] ينظر :الصولي،الاوراق،ج٢،ص٩؛سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج٢١،ص٣٧٥.

[١١٧] ينظر: الاصفهاني، تاريخ دولة ال سلجوق، تحقيق: يحيى مراد،(بيروت، دار الكتب العلمية،١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) ،ص٢٠ وما بعدها؛ ابن الاثير، الكامل،ج٨،ص٤١٥؛امين،تاريخ العراق في العصر السلجوقي،ص٥٩ وما بعدها.

[١١٨] ينظر: مريزن سعيد ، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،(مكة المكرمة، جامعة ام القرى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)،ص١٥٩ومابعدها.

[١١٩] ينظر: الكتبي، عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر، (بغداد، دار الحرية ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م)، ج١٢، ص٨٥؛الاربلي، خلاصة الذهب،ص١٥٦.

[١٢٠] ينظر: ابن الكازروني، مختصر التاريخ،ص٢١٧.

([١٢١]) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص٥٦٢؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج٣، ص١٨٠؛ ينظر: المشهداني، رعاية الخلفاء العباسيين للعلم والعلماء ،ص٤٣٣ومابعدها.

([١٢٢]) ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢٠٣.

[١٢٣] ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء،ج١٢،ص٢٢٤.

([١٢٤]) ينظر: ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج٤، ص١٣٩؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٣، ص١٦٠.

([١٢٥]) ينظر: ابن الفوطي، مجمع الاداب،ج٢،ص١٤٤.

المصادر والمراجع

اولا :القران الكريم

ثانيا: المصادر الاولية

ابن الاثير الجزري، ابو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م).

١- النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق: طاهر احمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي،(بيروت، المكتبة العلمية،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ،

ابن الاثير، ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

٢- الكامل في التاريخ، تحقيق:عمر عبد السلام تدمري،(بيروت،دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

ابن الاثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم(٦٣٧هـ/١٢٣٩م).

٣- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، تحقيق: احمد الحوفي، وبدوي طبالة،(القاهرة، دار النهضة، بلا.ت).

الاربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت٧١٧هـ/١٣١٧م).

٤- خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، تحقيق: مكي السيد جاسم، (بغداد، مكتبة المثنى، بلا. ت).

الازهري، ابو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ/٩٨٠م).

٥- تهذيب اللغة، تحقيق :محمد عوض مرعب،(بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٢هـ/ ٢٠٠١م).

الاصفهاني،عماد الدين محمد بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م).

٦- تاريخ دولة ال سلجوق، تحقيق: يحيى مراد،(بيروت، دار الكتب العلمية،١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).

ابن ابي اصيبعة ،أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي(ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م).

٧- عيون الانباء في طبقات الأطباء، تحقيق: الدكتور نزار رضا،(بيروت، دار مكتبة الحياة، بلا. ت).

ابن الانباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الانصاري(ت٥٧٧هـ/١١٨١م).

٨- نزهة الالباء في طبقات الادباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط ٣(الزرقاء، مكتبة المنار، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر بن داود(ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م).

٩- جمل من أنساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٧ هـ/١٩٩٦م).

البيروني، أبو الريحان محمد بن احمد (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م).

١٠- ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ط٢(بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م).

البيهقي، ابراهيم بن محمد (ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م).

١١- المحاسن والمساوئ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة، دار المعارف،١٤٣١هـ/ ٢٠٠٩م).

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي(ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م).

١٢- السنن الكبرى ،تحقيق:محمد عبد القادر عطا، ط٣(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م).

١٣- التمثيل والمحاضرة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو،ط٢(القاهرة، الدار العربية للكتاب، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

١٤- لباب الآداب، تحقيق: احمد حسن، (بيروت، دار الجيل، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الولاء الليثي(ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م).

١٥- البيان والتبيين،(بيروت ،دار ومكتبة الهلال،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

١٦- الجاحظ، رسائل الجاحظ، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، بلا. ت).

الجرجاني ،أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد(ت٤٧١هـ/١٠٧٨م).

١٧- دلائل الاعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر،(القاهرة ،مطبعة مدني،١٤١٣هـ/١٩٩٢م) .

ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م).

١٨- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (ت١٠٧٦هـ/١٦٥٦م) .

١٩- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون،(بغداد، مكتبة المثنى،١٣٥٩هـ/١٩٤١م) .

ابن حجة الحموي، تقي الدين ابو بكر علي بن عبد الله (ت ٨٣٧هـ/ ١٤٣٤م).

٢٠- ثمرات الاوراق في المحاضرات،(القاهرة، مكتبة الجمهورية العربية، بلا. ت).

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل جمال الدين محمد بن علي بن محمد بن حجر (ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م).

٢١- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ط٢(حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣١٢هـ/ ١٩٧٢م).

ابن حزم الاندلسي، أبو محمد علي بن احمد بن سعد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م).

٢٢- جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،(القاهرة، دار المعارف،١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م).

ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م).

٢٣- التذكرة الحمدونية(بيروت، دار صادر،١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

ابن حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت٤٠٠هـ/١٠١٠م).

٢٤- البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي،(بيروت، دار صادر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ/١٠٧١م).

٢٥- تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

٢٦- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان،(الرياض، مكتبة المعارف، بلا. ت) .

ابن خلكان،أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم بن ابي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م).

٢٧- وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

ابن دريد، ابو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م).

٢٨- جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي،(بيروت، دار العلم للملايين،١٤٠٦هـ/١٩٨٧م).

الدلجي، احمد بن علي بن عبد الله (ت ٨٣٨هـ/١٤٣٥م).

٢٩- الفلاكة والمفلوكون، (القاهرة، مطبعة الشعب، ١٣٢٠هـ/ ١٩٠١م).

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز(ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

٣٠- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط٢(بيروت، دار الكتاب العربي،١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م).

٣١- سير اعلام النبلاء، تحقيق :شعيب الارناؤوط،ط٣(بيروت، دار الرسالة ،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

الرازي،ابو عبد الله زين الدين محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م).
٣٢- مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥ (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني(ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م).
٣٣- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري،(دمشق، دار الفكر،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
ابن الساعي، تاج الدين ابي طالب علي بن انجب (ت ٦٧٤هـ/١٢٤٩م).
٣٤- الدر الثمين في أسماء المصنفين، تحقيق: أحمد شوقي، ومحمد سعيد حنشي،(تونس، دار الغرب الإسلامي،١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).

سبط ابن الجوزي،شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قراوغلي بن عبد الله (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م).
٣٥- مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تحقيق : محمد بركات واخرون، (دمشق، دار الرسالة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).
ابن السراج القاري، أبو محمد جعفر بن احمد بن الحسن (ت٥٠٠هـ/١١٠٦م).
٣٦- مصارع العشاق، (بيروت، دار صادر، بلا.ت).
السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي(ت ٥٢٦هـ/١١٦٦ م).
٣٧- الأنساب، (حيدر اباد الدكن، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م).
السيرافي، أبو زيد حسن بن يزيد (ت ٣٣٠هـ/٩٤١م).
٣٨- رحلة السيرافي، (أبو ظبي، المجمع الثقافي، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
الشجري ، يحيى المرشد بالله بن الحسين الموفق بن إسماعيل (ت٤٩٩هـ/١١٠٥م).
٣٩- ترتيب الامالي الخمسة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، (بيروت، دار الكتب العلمية /١٤٢٢هـ /٢٠٠١م).
الشريشي، أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القَيسي (ت ٦١٩هـ/١٢٢٢م).
٤٠- شرح مقامات الحريري، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
ابن ابي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان(ت٢٣٢هـ /٨٤٩م).
٤١- مسند ابن ابي شيبة، تحقيق:عابد يوسف العزاوي، و احمد فريد المزيدي،(الرياض،دار الوطن، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
الشيرازي،ابو اسحاق ابراهيم بن علي (ت ٤٧٦هـ/١٠٩٢ م).

٤٢- طبقات الفقهاء تحقيق: احسان عباس،(بيروت، دار الرائد، بلا. ت).

الصاحب بن عباد، إسماعيل بن عباد بن العباس (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م).

٤٣- المحيط في اللغة، تحقيق : محمد حسن الياسين، (بيروت، عالم الكتب، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م).

٤٤- الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط، وتركي مصطفى،(بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله (ت ٣٣٥هـ/٩٤٧م).

٤٥- اشعار أولاد الخلفاء، (القاهرة، مطبعة الصاوي، ١٣٥٥ هـ /١٩٣٦م).

٤٦- الأوراق قسم اخبار الشعراء، (القاهرة، شركة امل، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٣م).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م).

٤٧- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢ (القاهرة، دارا لمعارف، ١٣٧٨ هـ/١٩٧٦م).

ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠ هـ /٨٩٣م).

٤٨- كتاب بغداد، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، ط٣ (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٣٣هـ/٢٠٠٢م).

ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس يوحنا بن هرون بن توماس الملطي(ت٦٨٥هـ/١٢٦٠م).

٤٩- تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطوان صالحاني اليسوعي،ط٣(بيروت، مطبعة الشرق،١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

ابن العديم، كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله العقيلي الحلبي (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م).

٥٠- بغية الطلب في تاريخ حلب،تحقيق: المهدي عبد الرواحية،(لندن، مؤسسة الفرقان للتراث والإسلام، ١٣٣٨هـ/٢٠١٦ م).

ابن عساكر،القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت٥٧١ هـ/١١٧٦م).

٥١- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق : محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، (دمشق، دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

العسكري،الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران(ت ٣٩٥هـ/١٠٠٥م).

٥٢- الصناعتين الكتابة والشعر،تحقيق:علي محمد البجاوي،و محمد ابو الفضل إبراهيم ،(بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

العليمي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن(ت٩٢٩ هـ/١٥٢٢م).

٥٣- التاريخ المعتبر في انباء من غبر، تحقيق: نور الدين طالب،(دمشق، دار النوار، ١٤٣٠ هـ/٢٠١١م).

ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م).

٥٤- الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق : قاسم السامرائي، (القاهرة، دار الافاق، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م).

٥٥- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،(أبو ظبي، المجمع الثقافي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٥م).

الغزي، تقي الدين عبد القادر التميمي(ت١٠١٠هـ/١٦٠١م).

٥٦- الطبقات السنية في تراجم الحنفية،تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو،(القاهرة، دار الرفاعي، بلا .ت).

أبو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم المرواني (ت٣٥٠هـ/٩٧٥م).

٥٧- الأغاني، (بيروت، دار احياء التراث العربي،١٤١٥هـ/١٩٩٣م).

٥٨- الديارات، تحقيق جليل العطية، (قبرص، رياض الريس للكتب والنشر، بلا .ت).

ابن الفوطي، ابو الفضل كمال الدين عبد الرزاق بن احمد(ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م).

٥٩- مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق :محمد الكاظم، (طهران، مؤسسة الطباعة والنشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٤م).

القفطي، ابو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٠٤هـ/ ١٢٢٦م).

٦٠- اخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م).

٦١- المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢ (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

ابن الكازروني، الشيخ ظهير الدين علي بن محمد البغدادي(ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م).

٦٢- مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: مصطفى جواد، وسالم الالوسي،(بغداد، المؤسسة العامة، مطبعة الحكومة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).

الكتبي، محمد بن شاكر بن احمد بن عبد الرحمن(ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م).

٦٣- عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر، (بغداد، دار الحرية ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م).

٦٤- فوات الوفيات، تحقيق :محمد محي الدين عبد الحميد،(القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٧٩هـ /١٩٥٩م).

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٣هـ/٨٨٦م).

٦٥- سنن ابن ماجة، تحقيق: عصام موسى هادي، ط٢ (الجبيل، دار الصديق للنشر،١٤٣٥هـ/٢٠٤١م).

ابن ماكولا، الأمير أبو نصر علي بن هبة الله، (ت٤٧٥هـ ./١٠٨٢م).

٦٦- الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والالقاب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي،(حيدر اباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨١هـ/١٩٦١م).

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م).

٦٧- الاحكام السلطانية،(القاهرة، دار الحديث، بلا. ت).

٦٨- المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م).

٦٩- اخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان والعامر و الغامر بالماء والعمران، والعمران، (بيروت، دار الاندلس، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

٧٠- مسكويه، أبو علي احمد بن محمد الرازي(ت٤٢١هـ/١٠٣٠م).

٧١- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم امامي، ط٢(طهران، دار سروش للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

٧٢- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/٨٧٥م).

٧٣- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، بلا.ت).

ابن المعتز، عبد الله بن محمد المعتز العباسي(ت٢٦٩هـ/٩٠٩م).

٧٤- ارجوزة عبد الله بن المعتز في تاريخ امير المؤمنين المعتضد بالله، (القاهرة، المطبعة الجمالية، ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م).

٧٥- ابن المعتز، البديع في البديع ، ط٤، (بيروت، دار الجبل، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

٧٦- ديوان ابن المعتز،(بيروت، دار صادر، بلا. ت).

٧٧- طبقات الشعراء، تحقيق: عبد الستار احمد،ط٣ (القاهرة، دار المعارف، بلا. ت).

المقدسي، المطهر بن طاهر (ت٣٥٥هـ/٩٦٥م).

٧٨- البدء والتاريخ، تحقيق: كليمان هوار،(باريس،أَرنست لرو الصحاف، ١٣٤١هـ/ ١٩١٩م).

ابن منظور،أبو الفضل محمد بن مكرم بن على الأنصاري الرويفعى الإفريقي(ت ٧١١هـ/١٣١٢م).

٧٩- لسان العرب المحيط ، ط٣(بيروت، دار صادر، ١٤١٤ هـ/١٩٩٣م).

ابن منقذ، محمد الدين اسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر (ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م).

٨٠- المنازل والديارات، تحقيق: مصطفى حجازي، ط٢ (القاهرة، دار اليوم، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م).

٨١- الفهرست، تحقيق: الشيخ إبراهيم رمضان، ط٢(بيروت، دار المعرفة،١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

النويري، احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م).

٨٢- نهاية الارب في فنون الادب،(القاهرة،دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠١م).

ابن الوردي، أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن ابي الفوارس (ت٧٤٩هـ/١٢٩٢م).

٨٣- تاريخ ابن الوردي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

أبو يعلى الموصلي، احمد بن علي بن المثنى التميمي(ت٣٠٧هـ /٩١٩م).

٨٤- مسند ابو يعلى ، تحقيق: سعيد بن محمد السناوي، (القاهرة، دار الحديث،١٤٣٤هـ/٢٠٣١م).

ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

٨٥- معجم الادباء (ارشاد الاريب الى معرفة الاديب)، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م) .

٨٦- معجم البلدان، ط٢(بيروت، دار صادر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

ثالثا:المراجع الحديثة:

امين، حسين.

٨٧- تاريخ العراق في العصر السلجوقي،(الإسكندرية، مطبعة الارشاد ،١٣٨٥هـ/١٩٥٦م).

عباس، احسان.

٨٨- تاريخ النقد الادبي عند العرب،ط٤،(بيروت ،دار الثقافة ،١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).

فوزي، فاروق عمر .

٨٩- الخلافة العباسية،(عمان، دار الشروق،١٤٣١هـ/٢٠٠٩م).

مريزن سعيد .

٩٠- الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،(مكة المكرمة، جامعة ام القرى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

المشهداني، انيسة محمد جاسم .

٩١- رعاية الخلفاء العباسيين للعلم العلماء ١٣٢-٣٣٤هـ/٧٤٩-٩٤٥،(بغداد، دار الكتب العلمية،١٤٣٥هـ/٢٠٠١٣م).

الأوضاع العامة في نجد بعد سقوط الدولة السعودية الأُولى
(١٨١٨ – ١٨٣٤م)

أ.د. نغم طالب عبد الله محمد

كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية – جامعة بغداد

الأوضاع العامة في نجد بعد سقوط الدولة السعودية الأُولى (١٨١٨ – ١٨٣٤م)

أ.د. نغم طالب عبد الله محمد

الملخص:

كان سقوط الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأُولى على يد قوات ابراهيم باشا بمباركة العثمانيين عام ١٨١٨م بداية لتحول كبير في قلب الجزيرة العربية، إذ افرزت سلبيات الحكم المصري للمناطق الجديدة حالة تذمر واستياء شديدين بين السكان، لاسيما مع سوء الادارة, وثقل وطأة الضرائب التي فرضت، لتمويل الجيش الجرار الذي استقر في نجد والاحساء والمدينة. وكانت المنطقة على موعد مع تحول سياسي وقبلي، لإعادة تأسيس كيان يتولى ادارة الأُمور بعد الدمار الكبير الذي حل بها. وكانت الدعوة السلفية هي المحرك الرئيس لتلك المحاولات، وبرز من نسل الأُسرة السعودية العديد من الأمراء الذين حاولوا إحياء كيان الدولة السعودية الثانية، ويعد تركي بن عبد الله أهم تلك الشخصيات, والذي التف حوله العديد من الأنصار والقبائل، ممن رأوا ان حكم آل سعود كان مصدر نفوذ ورخاء لسكان نجد وبقية مناطق الجزيرة العربية.

الكلمات المفتاحية: نجد – الدولة السعودية الأُولى – تركي بن عبد الله – ١٨١٨ – ١٨٣٤م

Abstract:

The fall of Diriyah, the Capital of the first Saudi State, at the hands of Ibrahim Pasha's forces with the blessing of the Ottomans in 1818 was the beginning of a major transformation in the heart of the Arabia. The negative aspects of Egyptian rule over the new regions created a state of intense discontent and resentment among the population, especially with the poor administration and heavy taxes imposed to finance the huge army that settled in Najd, Al-Ahsa and Medina. The region was on a date with a political and tribal transformation to re-establish an entity that would manage affairs after the great destruction that had befallen it. The Salafi (Wahhabi) call was the main driver of these attempts, and a descendant of the Saudi family emerged who revived the entity of the Second Saudi State, namely

Turki bin Abdullah, who was surrounded by many who saw that the rule of the Al Saud was a source of influence and prosperity for the people of Najd and the rest of the Arabia .

استهلال

منذ أن عقد التحالف بين آل سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ – ١٧٩٢م) في عام ١٧٤٥م والدعوة الوهابية أخذت تنتشر وتتمدد، بفضل الدعاة والمعارك الطاحنة والطويلة التي خاضتها الدولة السعودية الأُولى لإخضاع مدن وقبائل نجد والاحساء (الحجاز)، فامتد نفوذها الى ساحل عُمان والبحرين ومشيخات الخليج العربي، كما هددت هجماتها المتوالية جنوب العراق للفترة من عام ١٨٠٤ الى عام ١٨١٥م، فضلاً عن أطراف بلاد الشام واليمن.[١] وأصبح تماس الدولة السعودية مباشراً مع قوى أُخرى محلية واقليمية في المنطقة، ولاسيما العثمانيين والبريطانيين الذين أقلقهم هذا التوسع السريع، وأخذ الصراع معهم دوراً تزعمته قوة بحرية مؤثرة للغاية، حاول الوهابيون إخضاعها لتعزيز قوتهم البرية، وهم القواسم في رأس الخيمة والشارقة وباقي إمارات الساحل[٢].

شعرت بريطانيا بالخطر السعودي يتزايد في شرق الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي، لكنها لم تكن تمتلك لحد ذلك الوقت سياسة واضحة فيه، فكان جل حرصها يتركز على حماية تجارتها وخطوط نقل بريد آمن عبر الصحراء، وآثرت عدم التدخل في سياسة المنطقة الداخلية طالما لا تهدد كياناته مصالحها الاقتصادية فيه، لذا رأت حكومة الهند البريطانية ان مصلحتها تقتضي محاولة كسب الدولة السعودية الأُولى، التي مدت نفوذها في أراضي ضمن ممتلكات الدولة العثمانية، ولاسيما وهي في هذا الوقت كانت تواجه تحدياً فرنسياً في أملاكها فيما وراء البحار، وخاصة في الخليج العربي، الطريق المؤدي الى درة التاج البريطاني في الهند ، لذا لم ترد بريطانيا التورط في حرب برية أُخرى، حفاظاً على سلامة طريق البريد المار عبر الصحراء بين البصرة وحلب، والذي سيطر عليه الوهابيون في بادية العراق [٣].

ولهذا بقيت بريطانيا تعتمد سياسة حذرة حيال نفوذ آل سعود المتعاظم، الا ان إدارة الهند، وبسبب تزايد النشاط البحري القاسمي في مهاجمة السفن البريطانية، قامت بتسيير حملة بحرية مشتركة عام ١٨٠٥ – ١٨٠٦م، مع حاكم عُمان بدر بن سيف (١٨٠٤ –

١٨٠٦م) لمحاصرة بندر عباس وقشم ولنجة, وانتزاعها من سيطرة القواسم. وعلى الرغم من ارسال شيخ رأس الخيمة سلطان بن صقر (١٨٠٣ –١٨٦٦م) لأسطول قاسمي كبير لفك الحصار, الا انه اضطر في آخر المطاف الى قبول الهدنة, ثم التوقيع على اتفاقية مع البريطانيين في ٦ شباط ١٨٠٦م, اشتملت على ستة بنود, تعهدوا بموجبها بعدم مهاجمة السفن والممتلكات والرعايا البريطانيين [٤]. لكن بريطانيا في الوقت ذاته رفضت اسناد البحرين والكويت بأسطولها في حالة اعلانهما العصيان والخروج عن التبعية السعودية، خشية اغضاب الوهابيين. وعلى الرغم من ذلك لم تتمكن بريطانيا بالعديد من حملاتها العسكرية على القواسم من انهاء تهديدهم للمصالح البريطانية في الخليج العربي، واضطرت لتسيير عدة حملات حربية، للتصدي لهم وتقييد نشاطهم البحري بين عامي ١٨٠٩ – ١٨١٦م [٥].

اولاً: خضوع بلاد الحجاز لآل سعود والموقف العثماني منه:

شكل سقوط الحجاز بيد الوهابيين عام ١٨٠٦م ضربة قوية لهيبة ومكانة السلطان العثماني لدى العالم الاسلامي، باعتباره خليفة المسلمين من الناحية الإسمية، وحامي الحرمين الشريفين في مكة والمدينة المنورة، منذ أن تقلد السلطان سليم الاول (١٥١٢ – ١٥٢٠م) هذا المقام عام ١٥١٧م، ولم تفلح محاولاتهم لتقويض الدعوة، إذ لم تؤت سياستهم باستخدام خطباء المنابر وعلماء الدين، لبيان أن هذه الحركة الجديدة هي خروج عن جوهر الدين المتسامح، وتشويه سافر لأركانه، ثمارها [٦].

كما فشلت الحملات التي أوعز بها الباب العالي لكل من والي العراق سليمان باشا الكبير (١٧٨٠ – ١٨٠٣م)، ووالي دمشق يوسف باشا (١٨٠٧ – ١٨١٠م), بإزالة تهديد الوهابيين من المنطقة. ومما فاقم الوضع سوءاً، هو منع الوهابيين الحجاج القادمين من البلدان الخاضعة للدولة العثمانية من أداء فريضة الحج [٧].

أسهمت التحديات والمشاكل الداخلية والخارجية التي واجهتها الدولة العثمانية في تلك المرحلة في تأزيم موقفهم ازاء التوسع الوهابي. فالجيوش العثمانية لم تكن مستعدة للتوجه للحجاز ومقاتلة السعوديين، فهي منشغلة بمواجهة التنافس البريطاني – الفرنسي في ممتلكاتها، ولا سيما مصر، كما ان الجبهة الاوربية عادت لتتحالف ضدهم، واندلعت العديد

من الثورات في البلقان ضد الحكم العثماني مطالبة بالاستقلال، بدأتها بلاد الصرب (١٨٠٤ – ١٨١٧م) وتلتها البوسنة واليونان (بلاد المورة) [٨].

وفي هذه الأثناء وصل السلطان محمود الثاني للحكم (١٨٠٨ – ١٨٣٩م) وورث دولة مثقلة بالمشاكل والأزمات التي أوهنتها وأضعفتها كثيراً، وتنامت فيها الحركات الانفصالية, وتكالبت عليها القوى الاوربية، فقرر الاستعانة بوالي مصر محمد علي باشا (١٨٠٥ – ١٨٤٨م). ويبدو أن السلطان محمود أراد ان يحقق غايتين بهدف واحد، أولهما ازالة التهديد الوهابي من الجزيرة العربية، والذي أصبح يشكل عبئاً ثقيلاً أضعف مكانته الروحية، وثانيهما انهاك قوى الوالي الطموح، الذي أعلن مراراً رغبته في جعل حكم مصر وراثياً في أُسرته، متمتعاً بالاستقلال الذاتي[٩].

أدرك محمد علي انه اذا ما نجح في انهاء التهديد السعودي وإخضاع الجزيرة العربية فسيُلقب حينها بمحرر المدن المقدسة في العالم الاسلامي، وسيغنم الكثير من موارد وثروات الحجاز والاحساء، وربما سيمكنه هذا من اعفاء باشوية مصر من الخراج السنوي للباب العالي، وسيُعلي شأن ولايته ومعها طموحه بتأسيس امبراطورية واسعة مركزها القاهرة، تضم الى جانبها الجزيرة العربية والعراق والشام واليمن، حيث ستمكنه السيطرة عليها من التحكم بتجارة السلع الهندية والبن اليمني التي تمر عبر جدة [١٠]. أسند محمد علي قيادة الحملة، التي اتخذت طريق البحر لوعورة الطريق البري الرابط بين مصر والجزيرة العربية الى ولده أحمد طوسون، في مراسيم احتفال دلت على ثقته بحتمية النصر، وانها موجهة لتحرير والدفاع عن هيبة الحرمين الشريفين، بتاريخ الثالث من أيلول عام ١٨١١م[١١].

مرت الحرب بين محمد علي وآل سعود بثلاث مراحل، استغرق الدور الأول فيها عامين منذ نزول قوات طوسون باشا في ينبع ميناء بالمدينة المنورة، وحتى وصوله بنفسه الى جدة في آب عام ١٨١٣م، وكان تعداد الجيش قد بلغ ثمانية الاف مقاتل، منهم ستة الاف جاءوا بالسفن والف مقاتل آخر عن طريق البر. وفي هذه المرحلة حققت قواته السيطرة على المدينة ومكة، وبهذا خسر السعوديون أول مقاطعاتهم المهمة المتمثلة بالحجاز [١٢].

ثانياً: ردود الفعل البريطانية إثر سقوط الدولة السعودية الأُولى ١٨١٨ م

وفي هذه المرحلة التزمت السلطات البريطانية سياسة مراقبة الوضع بحذر شديد، بانتظار ما ستؤول اليه نتائج الحملة المصرية العثمانية على الجزيرة العربية، وما ستعكسه على وضعها القائم في المنطقة برمتها. وفي الحقيقة ان الأمير سعود بن عبد العزيز (١٨٠٣ – ١٨١٤م)كان قد بدأ يراسل السلطات البريطانية منذ عام ١٨١٠م، فأرسل الى المقيم البريطاني في بوشهر جون ويليام بروس **John William Bruce** خطاباً يستعلمه حول العمليات العسكرية الدائرة بين القواسم حلفاء آل سعود والاسطول البريطاني في الخليج العربي، والتي جرت من كانون الأول عام ١٨٠٩م وحتى كانون الثاني عام ١٨١٠م، والتي أوكلت قيادتها إلى الكابتن جون وينرايت **John Wainwright** على البحرية الملكية، والكولونيل ليونيل سميث **Lionel Smith** قائداً للقوة البرية, انطلقت من الهند في ١٤ أيلول عام ١٨٠٩م لإخضاع القواسم وتدمير قوتهم، ولم يتحقق فيها نصر حاسم على القواسم. وأعرب فيها الأمير سعود عن احتجاجه وشجبه للموقف البريطاني، لكنه أعلن نيته رغم ذلك المحافظة على علاقات ود واحترام مع الحكومة البريطانية [١٣].

وبدورها أعلنت حكومة الهند البريطانية للأمير السعودي انها تسعى دائما للحصول على علاقة صداقة ودية معه، وان جُلّ اهتمامها بالمنطقة حماية تجارتها ومصالحها، وإن عملياتها ضد القواسم هي تأديبية حسبما أعلنت، وكرد فعل لانتهاكهم معاهدة عام ١٨٠٦م، وممارستهم ما أسمته الدوائر البريطانية "**بالقرصنة**" [١٤]. وعاد الأمير ليراسل الحكومة البريطانية عام ١٨١٣م ابان الغزو المصري، فارسل مندوب عنه الى المقيم البريطاني في بوشهر حمل رغبته في انشاء روابط صداقة بين الدولتين، وفتح موانئ كلا الدولتين للتجارة الحرة أمام تجارهما دون عراقيل، الا ان الجانب البريطاني لم يرد اثارة العثمانيين بالتحالف مع السعوديين في هذا الوقت بالذات [١٥]

حققت بريطانيا في هذه الفترة العديد من النجاحات السياسية والعسكرية, وأبرزها كان انتزاع جزيرة موريشيوس (إيل دي فرانس) من الفرنسيين عام ١٨١٠م, مما أعطاها قوة اضافية لإعادة رسم ملامح النفوذ في المنطقة[١٦]. وعاد الأمير السعودي ليراسل بريطانيا عام ١٨١٣م إبان الغزو المصري للجزيرة العربية, فأرسل مندوب عنه إلى المقيم البريطاني في

بوشهر جون ويليام بروس, حمل رغبته في انشاء ورابط صداقة بين الدولتين, وفتح موانئ كلا الدولتين للتجارة الحرة أمام تجارهما دون عراقيل. الا أن الجانب البريطاني لم يتحمس لهذه المبادرة, لأنه لم يُرد اثارة العثمانيين بالتحالف مع السعوديين في هذا الوقت بالذات. فمعظم دول أوربا متحالفة ضد نابليون بونابرت، وهم بانتظار ما ستترتب عليه نتائج الحرب الدائرة بينهم وبين محمد علي، وهذا ما أكدت عليه الرسالة التي تلقاها الأمير سعود، إذ ذكرت " **ان حكومة الهند البريطانية لا ترى من المناسب في هذا الوقت الدخول في أي تعاقد، ولو كان تجارياً**"(١٧).

على صعيد آخر, أدت خسارة آل سعود للحجاز بالكامل, وسيطرة قوات محمد علي باشا على مكة والمدينة وجدة والطائف في كانون الثاني عام ١٨١٣م, ومن ثم وفاة الأمير سعود بن عبد العزيز عام ١٨١٤م, وزحف الحملة إلى نجد والقصيم, إلى إضعاف الجبهة الداخلية للدولة السعودية, التي لجأ أميرها عبد الله بن سعود إلى محاولة استرضاء طوسون باشا, لعقد اتفاق يتنازل بموجبه الأمير السعودي عبد الله عن الحجاز والمدن المقدسة, مقابل اعتراف طوسون بسلطة آل سعود على نجد وجزء من القصيم. لكن محمد علي رفض هذه التسوية عام ١٨١٥م, وأوكل قيادة الحملة إلى ابنه الروحي ابراهيم باشا, لتبدأ مرحلة جديدة من الحرب في قلب الجزيرة العربية ألقت بظلالها على ساحل الخليج(١٨). ونجح محمد علي في هذه المرحلة بكسب ولاء سكان الحجاز وعسير ونجد عن طريق المال والهدايا، فانضم اليه رجال وشيوخ القبائل وقوى مركزه، لكنه اضطر الى ترك العمليات الحربية والعودة الى مصر، حيث وردت الأنباء عن محاولة السلطان محمود الثاني عزله وتعيين لطفي بيك باشا بدلاً عنه، وهو أحد أعوان محمد علي، فضلاً عما تردد من أنباء عن هروب نابليون بونابرت من منفاه في جزيرة البا عام ١٨١٤، وخشية محمد علي أن يقوم بغزو مصر مرة أُخرى (١٩).

بدأ الدور الثالث من الحرب بتولي ابراهيم باشا قيادة الجيوش في الجزيرة العربية وحتى عام ١٨١٨م، وفي هذه المرحلة كانت السيطرة المصرية على بعض مناطق الحجاز قد تهاوت، لكن ابراهيم باشا تمكن بعد وصوله الى المدينة المنورة على الفور من اخضاع مدن نجد والقبائل المجاورة لها، عن طريق الأموال والهدايا واسقاط بعض الضرائب التي فرضها

الوهابيين على السكان[٢٠] حققت الحملة العثمانية المصرية في الجزيرة العربية أهدافها, وذلك إثر نجاح ابراهيم باشا بدخول الدرعية بعد محاصرتها لخمسة أشهر, أيقن معها الأمير السعودي استحالة الاستمرار بالمقاومة, فآثر الاستسلام مع أفراد عائلته والمقربين منه للإبقاء على حياته وعاصمة دولته[٢١]. وفي التاسع من أيلول عام ١٨١٨م سقطت الدولة السعودية الأُولى, ونُقل عبد الله بن سعود إلى القاهرة ثم إلى استانبول, حيث أُعدم هناك مع عدد من أفراد الأُسرة السعودية وآل الشيخ عبد الوهاب في جامع الفاتح. وبناءً على أمر والده, قام ابراهيم باشا بتخريب المدينة التي تحولت إلى أنقاض, وأشعل فيها النار ليمحو كل أثرٍ لها[٢٢] . انتقل ابراهيم باشا بعد تدمير الدرعية الى موضع يدعى بالأحور، وهو غدير ماء بالقرب من بلدة ضرما، وبقي فيه لمدة شهر، أشرف خلاله على عمليات تدمير كافة ممتلكات وأسوار وحصون آل سعود في نجد، ثم ارتحل الى القصيم، وقرر التوجه منها الى المدينة المنورة برفقه أمير القصيم حجيلان بن حمد، الذي كان في الثمانين من العمر، وتوفي هناك. وللانتقام من أنصار آل سعود وحلفائهم وخوفاً من الثأر والانتقام من العثمانيين، قتل جنود ابراهيم باشا محمد بن عبد المحسن أمير جبل شمر، فضلاً عن عبد الله بن رشيد بن محمد أمير عنيزة[٢٣].

ربما كان تدمير الدرعية تماماً مطلباً مصرياً أكثر منه عثمانياً، فحرص محمد علي على استمرار الحرب فيه خدمة لأطماعه في التوسع في الجزيرة العربية، ولم يكن هذا المطلب ليتحقق لو انه وافق على اقتسام السلطة فيها مع آل سعود، والدليل على ذلك، انه بزوال الحكم السعودي في الاحساء عاد الخوالد اليها، لكن ابراهيم باشا سار اليهم ليزيحهم منها ويعلن نفسه حاكماً عليها، مما أثار امتعاض والي بغداد داود باشا (١٨١٧ – ١٨٣١م) الذي آوى العديد من زعماء الخوالد الذين شردهم آل سعود، ولم يلبث موقف العثمانيين أن مال الى ضرورة اعادة السلطة في الاحساء الى الخوالد، مع اعترافهم بالتبعية العثمانية، في اشارة واضحة الى ان الحملة المصرية قد حققت أهدافها، وان الوضع يجب أن يعود الى ما كان عليه سابقاً[٢٤]. والدليل الآخر على ان الهدف العثماني في هذه الحملة كان دينياً وروحياً فقط، هو المرسوم الذي أصدره السلطان محمود الثاني، وأُذيع في كل المساجد في

الأقطار التابعة للدولة العلية العثمانية، وأولها مصر، بأنه استعاد الحرمين الشريفين من الوهابيين [٢٥].

أعربت بريطانيا عن سرورها بسقوط الدرعية، والقضاء على دولة آل سعود الأُولى، فارسل الحاكم العام في الهند الى ابراهيم باشا خطاباً يهنئه بنجاحه في القضاء عليها، معلقاً بأن الهزيمة والانهيار الكامل لدولة ما بعد ارتفاع غير عادي الى درجة السمو، مما هو أدعى للسرور أن تنفردوا فخامتكم بإخضاعها [٢٦].

وأظهر تقرير أرسله فرانسيس واردن **Francis Warden** عضو مجلس بومباي إلى حكومة الهند عام ١٨١٩م, عن مدى العداوة التي كانت بريطانيا تكنها للدولة السعودية وأُمراءها, فيذكر: " **وهكذا قامت وسقطت ولا قامت ثانية, تلك الجماعة الوهابية, التي شجعت وحمت السلب في الخليج ومياه المحيط الهندي, بنجاح وجرأة ووحشية لا تفوقها غير شناعة الجزائريين في أوربا**" [٢٧]. وهذه إشارة واضحة إلى مدى سطوة الأُسطول العربي القواسمي, ومقدار القلق والإرباك الذي عانته الإدارة البريطانية وتجارتها جراء هجماتهم, بتشجيع ومباركة من أُمراء الدولة السعودية, التي عدّت تلك الهجمات موجهة ضد " **الكفار**" أعداء الدين.

انتظرت بريطانيا نتائج الحرب بفارغ الصبر, وراقبت بحذر شديد مجرى الأُمور التي سارت عليها سياسة العثمانيين ومحمد علي باشا تجاه الدولة الوهابية في الجزيرة العربية, فهم لم ينسوا ان آل سعود هم المحرك الرئيس لسياسة للقواسم أقوى خصومهم في الخليج, والذين تزايدت هجماتهم على السفن البريطانية ورعاياها, وأصبحوا يشكلون مصدر قلق وتهديد لحكومة الهند, التي راحت تدرس أنجح الطرق للقضاء عليهم, وطرحت فكرة اخضاعهم بحملة كبرى توافرت شروط نجاحها الآن, مع انهيار ذراع القواسم البري, وتزايد الأخطار من توسع مصري جديد, يتماشى مع تطلعات الوالي الطموح وأهدافه التوسعية, مما قد يعيق المصالح البريطانية في الخليج العربي [٢٨]. ولعل الموضوع تعلق برغبة بريطانيا بعقد تحالف مع محمد علي بقيادة ابنه ابراهيم باشا, للقيام بهجوم لإخضاع رأس الخيمة بمشاركة إمام عُمان السيد سعيد بن سلطان, يتزامن مع النصر الذي تحقق على الوهابيين, بما ان السلطان العثماني قد منح محمد علي سابقاً كافة الصلاحيات لإعادة السيطرة

العثمانية للمنطقة, ومنها سياسة الحرب طويلة الأمد ضد السعوديين وحلفائهم, اذ إن موقف بريطانيا قد يتأزم لدى الباب العالي اذا ما قامت بعمل انفرادي ضد إقليم يُعد من الناحية الإسمية تابعاً للسيادة العثمانية, ولاسيما أن التقارير التي وصلت إلى حكومة بومبي أشارت إلى عزم ابراهيم باشا التقدم لضرب رأس الخيمة, بعد أن أصبح القواسم دون حليف قوي.[٢٩]

والواقع أن بريطانيا كانت قد أنهت حروبها مع ولايات الماراتا والبنداريين في الهند مع نهاية عام ١٨١٨م، مما هيأ لها فرصة الإعداد لحملة عسكرية في الخليج لتضع حداً لنشاط القواسم[٣٠].

وأكثر من ذلك, فقد أرسلت بريطانيا الكابتن جورج فورستر سادلير **G. F. Sadlier.** , إلى الإحساء في بعثة خاصة للقاء ابراهيم باشا, والتعرف على نواياه وخططه المقبلة في شرق الجزيرة العربية, فضلاً عن تقدير حجم القوة المصرية وامكانياتها, لاسيما بعد نجاح الأخير بالسيطرة على الاحساء, لإدراكه أهميتها الاقتصادية والسوقية للوجود المصري العثماني في نجد, وليصبح بهذا على تماس مع الوجود البريطاني في الساحل [٣١]. تمكن سادلير من لقاء ابراهيم باشا مرتين في أيلول وتشرين الأول من عام ١٨١٩م, وقدّم له هدية الحاكم العام وارن هاستنجز **Waren Hastings** ، وهي سيف مرصع بالأحجار الكريمة ورسالة التهنئة بالنصر, الا أنه أراد الحصول على دعمه للقيام بعملية ضد القواسم في رأس الخيمة [٣٢]. ومُبدياً معرفته ببعض التقارير التي تؤكد رغبة إبراهيم باشا في مواصلة أعماله العسكرية ضد القبائل العربية، ذات النشاط البحري والمقيمة على سواحل الخليج، علق سادلير بالقول" **إن أعمال القراصنة والاعتداءات التي تقوم بها هذه القبائل، وخاصة القواسم قد أساءت لمكانة التجارة البريطانية، وموقعها المتميز، وسببت الأضرار للحكومة البريطانية، ولذا فإنه يقترح "جهوداً مشتركة بين الحكومتين للقضاء على هذه القبائل**" [٣٣]. لكنه لم يتلق جواباً نهائياً من ابراهيم باشا, بدعوى أن عليه التشاور في هذا الأمر مع والده محمد علي باشا, الذي يمثل السلطة العثمانية الرسمية في مصر والجزيرة العربية وتوابعها [٣٤]. ويبدو أن حرص بريطانيا حينها للقضاء على القواسم كان مطلباً ملحاً وأساسياً مهما كلفها الأمر, لدرجة أن سادلير عرض على ابراهيم باشا في حال موافقته على التعاون مع الحملة البريطانية التي قد ترسلها حكومته, تسليم رأس الخيمة وتوابعها له ليضمها إلى

حكمه, في وقت كان الجدال محتدماً بين أعضاء حكومة الهند البريطانية, حول أفضلية تسليم تلك المناطق, فضلاً عن البحرين لحاكم مسقط السيد سعيد ليديرها عوضاً عن الحكم المصري. لكن مهمة سادلير فشلت, بسبب رفض ابراهيم باشا مناقشته في أُمور سرية تتعلق بمستقبل الخليج [٣٥].

ويشير سادلير في مذكراته إلى أن حكومة الهند قد فتحت قنوات اتصال مع ابراهيم باشا في الجزيرة العربية دون الرجوع إلى حكومة لندن، أو أية اتصالات مسبقة مع محمد علي باشا في مصر. كما أن سادلير تعرض إلى مأزق محرج في بعثته هذه، وذلك حين رفض هدية ابراهيم باشا للحاكم العام، والتي كانت عبارة عن سرج مهترئ وفرس وحصان، بحجة أنها لا تناسب مقام صاحب الفخامة المتبوء أعلى مركز في السلطة البريطانية في الهند الماركيز هاستنجز، وهو ما أثار غضب ابراهيم باشا، الذي طلب اليه مغادرة جدة إلى المخا، وهدد بإعادة هدية الحاكم العام أيضاً [٣٦]. ولابد من الاشارة إلى جهود سعيد بن سلطان لإبعاد المصريين عن أي حملة أو تعاون قد يقع لإنهاء قوة القواسم، فقد حاول تثبيط عزيمة سادلير عن مقابلة ابراهيم باشا، كما حذره من إن القوات المصرية في حال شاركت في القضاء على القواسم، فان قواته ستنفصل عنها، ولن تشارك معها. وهذا يؤكد قلق السيد سعيد من امتداد النفوذ المصري إلى سواحل الخليج والبحرين، مما قد يهدد مصالحه فيه. كما أعرب السيد سعيد عن رغبته في معاقبة الشارقة وعجمان وباقي موانئ القواسم، لكنه أبدى ميلاً أكثر في إبقاء سلطان بن صقر وراشد بن حميد منفصلين عن رأس الخيمة[٣٧].

لقد أثار هذا التوسع المصري قلق البريطانيين، الذين لم يرق لهم زوال دولة آل سعود من الجزيرة العربية لتحل محلها دولة محمد علي, فسارعوا الى ارسال عبارة انزلت قواتها في القطيف, لإشعار ابراهيم باشا أن القوة العسكرية البريطانية حاضرة وبقوة، في حال تقدم الزحف المصري الى مناطق اخرى من الخليج, من شأنها تهديد مصالها فيه, لكن هذه القوة انسحبت أواخر عام ١٨١٩م, بسبب فقدان العديد من جنودها بفعل الأمراض[٣٨]. لم يطل البقاء المصري المكثف في الجزيرة العربية, ويذكر فاسيليف أن ابراهيم باشا أدرك ان عائدات المنطقة لا تسد نفقات الحملة وأعباءها, فضلاً عن بعد القوات المصرية عن خطوط امداداتها واتصالاتها في الحجاز بمئات الكيلومترات. كما أن الممارسات المصرية تجاه

السكان خلال سير الحملة, وما تلاها من تسلط وقسوة ولّد كره متزايد للوجود المصري الجديد, ولاسيما أساليب جمع الضرائب والاستيلاء على المؤن والمواد الغذائية ومحاصيل المزارعين, حتى انه وصف حالة مدينة منفوحة بأنها يرثى لها, وفي حالة اسوأ مما كانت عليه في أي وقت مضى منذ أن تسلط الوهابيين[٣٩]. لذا قرر ابراهيم باشا الانسحاب من الاحساء وترك بعض الحاميات في مدن مكة والمدينة المنورة وجدة, وغادر الحجاز عائداً الى مصر أواخر عام ١٨١٩م [٤٠] .

أطلق هذا الفراغ السياسي الكبير في المنطقة يد بريطانيا للتحرك كما تشاء لإحكام سيطرتها على امارات الخليج العربي, ويمكن القول أن السياسة البريطانية في هذه الفترة وصلت إلى درجة التكامل, بكيفية التعاطي مع حاضر المنطقة ومستقبلها. وفي الوقت الذي بدأت فيه بريطانيا بتحشيد قواتها العسكرية منذ صيف ١٨١٩م, اتخذت الإدارة في الهند القرار النهائي بتسيير حملة كبرى لتدمير قوة القواسم وأسطولهم في أواخر تشرين الأول من ذلك العام, ووقع الاختيار على السير ويليام گرانت كير **William Grant Keir** لقيادتها, ووصل مبعوث من بومباي إلى مسقط, للتنسيق مع حاكمها سعيد بن سلطان، حول امكانياته الحربية التي سيدعم بها الحملة المرتقبة [٤١].

انطلقت الحملة البريطانية الكبرى من الهند والتي بلغ تعدادها (٣٥٤٧) جندي مطلع تشرين الثاني عام ١٨١٩م, لتصل إلى مسقط منتصف ذلك الشهر. وأصبح حجم الأُسطول الذي أُرسل من بومباي إلى الخليج العربي أعظم قوة لتجمع السفن البريطانية شوهدت في ذلك الوقت. كانت هذه الحملة من وجهة نظر السيد سعيد فرصة سانحة لإزاحة خصم قوي عن مسرح الصراع السياسي والعسكري والبحري في المنطقة, لذا فحال وصول طلائع الحملة البريطانية إلى بلاده, وعد قائدها بتقديم أربعة آلاف رجل, فضلاً عن ثلاث سفن حربية كبيرة, وبحدود ٦٠٠ – ٨٠٠ رجل للالتحاق بالهجوم البحري على رأس الخيمة, لكن تلك القوات لم تصل في الوقت المحدد للمشاركة في الهجوم البري, الا بعد تدمير رأس الخيمة. ومن مسقط غادر كير نحو قشم, لانتظار وصول باقي القطع الحربية, ولاستطلاع تحصينات المدينة. وفي أواخر ذلك الشهر وصل إلى سواحل رأس الخيمة, وبدأ بفرض الحصار عليها[٤٢].

بدأ الهجوم في الثالث من كانون الأول ١٨١٩م, وعلى الرغم من صمود القواسم وصلابة معنوياتهم, واستبسال حاكمهم الشيخ حسن بن رحمة بالدفاع عن المدينة, لعلمهم المسبق بأمر الحملة, واستعدادهم من خلال حفر الخنادق واقامة المتاريس والتحصينات القوية, الا أن الضربات القاسية التي وجهتها مدفعية السفن الغازية ولخمسة أيام متتالية, ونفاذ ذخيرة المقاومين, أجبرته على الاستسلام في التاسع من كانون الأول, فاقتحم الغزاة المدينة, ونكلوا بأهلها, ونهبوا كل ما وقع تحت أيديهم, وأشعلوا النيران في كل مكان. وتابعت الحملة سيرها لإخضاع جزيرة رمس, حيث استسلم شيخها حسين ين علي. وفي أوائل كانون الثاني عام ١٨٢٠م تمكنت الحملة من السيطرة على كل الموانئ التابعة للقواسم بدءاً من الجزيرة الحمراء وعجمان والشارقة وام القيوين ودبي وأبو ظبي, وتم تدمير معظم سفن الأُسطول القواسمي, فيما جرى الاستيلاء على عدد آخر منها, وضمها للخدمة في الأُسطول البريطاني(٤٣).

وضعت الحملة البريطانية الكبرى نهاية لسطوة القوة والتفوق البحري الذي أحرزه القواسم منذ ما يقارب القرن من الزمن, وللحيلولة دون قيام تكتل عربي موحد مستقبلاً يهدد مصالحها, وتكريساً لحالة التجزئة والانفصال بين شيوخ إمارات ساحل الخليج العربي, فرضت بريطانيا عليهم اتفاقية السلام العامة مطلع كانون الثاني عام ١٨٢٠م, والتي وقعها جميع حكام المشيخات العربية, فضلاً عن البحرين, وتألفت من أحد عشر بنداً, رسخت للهيمنة البريطانية في الخليج العربي, وعززت حالة الاحتكار التجاري لشركة الهند الشرقية(٤٤).

والحقيقة ان المواقف وردود الأفعال البريطانية على تطورات الأحداث في ساحة شبه الجزيرة العربية والخليج العربي حكمتها مدى ارتباطها بمصالحها العليا في المنطقة بالدرجة الأساس. إذ أصبح لديها بعد عام ١٨٢٠م تصورٌ واضحٌ عن حقيقة الأوضاع التي يجب أن تسود المنطقة. فالمشيخات والإمارات القائمة يجب أن تبقى في فَلَك السياسة البريطانية مع احتفاظها باستقلالها الداخلي ظاهرياً, وما عدا ذلك التأثير فلا يتجاوز كونه صراعات قبلية بين الأُمراء والشيوخ أنفسهم, عليهم أن يتولوا ايجاد الحلول المناسبة لها, وفي حالة فشلهم بتحقيق الوئام فان تدخلها المباشر يصبح ملزماً للحفاظ على الوضع الراهن (٤٥).

واللافت للنظر أن موقف الدولة العثمانية ومحمد علي باشا كان سلبياً للغاية, ولم يتسم بالحزم الكافي الذي كان يتحتم عليهم التعامل به إزاء هذا التطور الخطير في السياسة

البريطانية تجاه المنطقة. ويمكن أن نعزو سبب ذلك إلى ان محمد علي كان قد خرج لتوه من حرب طويلة ضد الوهابيين, استنزفت الكثير من موارده الاقتصادية, وأرهقت جيشه الجرار, ولم يكن الوضع يسمح بفتح جبهة أُخرى ضد قوة لها نفوذ وسطوة عسكرية في المنطقة منذ قرون طويلة, ولاسيما وأن ابراهيم باشا كان قد قرر العودة الى مصر أواخر عام ١٨١٩م, وترك حاميات لإدارة الأجزاء التي أخضعتها الحملة. كما انه اطلع ومنذ وقت مبكر من انطلاق الحملة المصرية على الجزيرة العربية, وحتى إسقاط الدرعية, أن جُلّ المخاوف البريطانية تنحصر في تأمين سفنهم التجارية وطرق بريدهم ورعاياهم المقيمين, والتي أخذت تتعرض إلى هجمات وغارات قوية من قبل القواسم, كما ان السلطان العثماني لم يكن يهمه سوى استعادة سلطته الإسمية على الحجاز، لترتفع مكانته في العالم الإسلامي مجدداً [٤٦].

ثالثاً: نجد والاحساء تحت الحكم المصري:

قرر ابراهيم باشا بعد تدمير الدرعية السير بنفسه نحو الاحساء المطلة على الخليج العربي, وجعلها قاعدة يمكن الانطلاق منها لتحقيق أهداف محمد علي التوسعية, فضلاً عن الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية التي ستمثلها للوجود المصري في نجد, فقام بعزل آل خالد عنها [٤٧]. وكان داود باشا والي بغداد قد أرسل الى الاحساء قبل سقوط الدرعية كلا من محمد وماجد ابني عريعر، مع بعض أُمراء بني خالد والمنتفق والعشائر المناوئة للحكم السعودي, لإعادة فرض سيطرتهم عليها, وتمكنا من ذلك، بسبب العلاقة الحسنة بين الأهالي وبين بني خالد, فضلاً عن روابط النسب التي حكمت علاقات الكثير منهم [٤٨].

دخلت الجزيرة العربية بعد الانسحاب المصري حالة من التشتت وعدم الاستقرار, بسبب الفراغ السياسي والعسكري, وعلى الرغم من ان المنطقة من الناحية الاسمية أصبحت خاضعة للدولة العثمانية, الا أن الأوامر الرسمية لإدارة الحجاز, التي أصبح ابراهيم باشا والياً عليها كانت تصدر من محمد علي مباشرة. لقد أفزت السياسة المصرية نتائج سلبية انعكست على الوضع العام في المنطقة. فسياسة جمع الضرائب، وجبايتها بأسوء الأساليب وأقساها, ولدت سخط الناس, وانتشرت حالات السلب وقطع الطرق للاستيلاء على القوافل التجارية, فضلاً عن القتل والتنكيل الذي تعرض له أتباع الوهابيين وأقربائهم من الرجال والشيوخ, كما عادت النزاعات القبلية لتظهر بقوة بين من تبقى من أُمراء آل سعود في نجد والخوالد في الاحساء,

وهو ما سيميز المرحلة اللاحقة في قلب شبه الجزيرة العربية [٤٩]. برز خلال تلك الفترة محمد بن مشاري بن معمر، أحد أمراء آل سعود الذين تمكنوا من الهرب من الدرعية خلال الهجوم المصري عليها ولجأ الى بلدة العُيينة، وعند انسحاب قوات ابراهيم باشا من نجد أواخر عام ١٨١٩م، أراد ابن معمر أن يعيد اقامة دولة آل سعود مجدداً. فتقدم الى الدرعية، وبدأ بإعادة بنائها واعمارها لإدراكه أهميتها في نفوس النجديين، ودعا السكان الى مبايعته، وكانت منفوحة أول من بايعته، لكن بعض النجديين لاسيما أمير الرياض وأمير حريملاء وأمير الخرج، عارضوا تلك الخطوة، وآثروا الاتصال بزعماء بني خالد، وحثوهم على التوجه الى نجد، والقضاء على تلك الحركة [٥٠]. وكي لا يتكرر ما حدث على يد ابراهيم باشا، قرر ابن معمر مكاتبة ماجد بن عريعر، معلناً انه يضع نفسه تحت طاعة العثمانيين وطاعته، وأرسل اليه ببعض الهدايا، وانه يعد نفسه أميراً من أُمرائه. وبهذا ضمن ابن معمر موقف ابن عريعر، وتم الصلح بينهما، وعاد الجيش الى الاحساء. ولإعادة انعاش الدرعية بعد الدمار الشامل الذي لحق بها، راسل ابن معمر اهالي البلدات المجاورة مثل سدير والمحمل والوشم وطلب اليهم جلب قوافلهم التجارية المحملة بالغذاء والتمور والسلع للمتاجرة فيها من جديد، مما حقق رخاءً نسبياً وانتعاشاً اقتصادياً [٥١].

إن محاولة احياء الدولة السعودية بهذه السرعة والقوة كان مرده عوامل كثيرة أهمها أن الكثيرين رأوا في آل سعود مصدر نفوذ ورفاه لسكان نجد, فحاولوا احياء مجدهم وطرد القوات المصرية, التي عدوها قوات أجنبية تضم في غالبيتها الارناءوط والنصارى, الذين عاثوا في بلادهم الفساد والتدمير والقتل والترهيب, حتى قيل " **إن فضائع المصريين فاقت فضائع آل سعو**د" [٥٢]. واجه ابن معمر تحدياً كبيراً تمثل بظهور منافس قوي له هو مشاري بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، من حكام الدولة السعودية الأُولى، نجح بالفرار من حراسه، وهو في طريقه من المدينة المنورة الى ينبع مع آل سعود الذين أُرسلوا الى مصر. فوصل الى الوشم، حيث انضم اليه بعض الأعوان من مختلف مناطق نجد، فاتجه الى الدرعية ودخلها، ولم يجد ابن معمر أمامه من حل الا التنازل له عن الحكم مرغماً، لكنه ظل يضمر له العداء والمكائد لإزاحته، وذلك في ربيع عام ١٨٢٠م. وهناك من ذكر ان مشاري بن سعود عندما هرب من قبضة القوات العثمانية لجأ صوب جبل شمر، وعندما علم ابن

معمر بذلك راسله للقدوم الى الدرعية عبر القصيم. وانضم الى مشاري بن سعود وبايعه العديد من أفراد الاسرة السعودية، ومن بينهم عمه عمر بن عبد العزيز، ثم جاءته وفود من سدير والوشم والمحمل، لمبايعته معلنة ولائها له [٥٣]. أراد مشاري بن سعود أن يوسع دائرة نفوذه، فجمع أتباعه من العارض واتجه الى الخرج، فدانت له بالولاء. مما أجج غضب محمد بن معمر، الذي خرج من الدرعية الى سدوس، للحصول على دعم بعض القبائل للاستحواذ على الحكم، ونجح في كسب فيصل الدويش زعيم قبيلة مطير الى جانبه، كما ولقي مساندة كبيرة من أبناء بلدة سدوس وحريملاء من آل حمد بن راشد، وسار بهم الى الدرعية ودخلها بغتة، واعتقل مشاري بن سعود، وأرسله الى سدوس، ثم سار الى الرياض، واستولى عليها[٥٤]. وهنا لا بد من الاشارة الى جهود محمد علي باشا في زرع بذور الفتنة بين الأُمراء لإدراكه أن مشاري بن سعود قد لا يرضخ للحكم المصري والعثماني الذي دمر ملك آبائه، لذا رأى أن ابن معمر أقرب ليكون طيعاً أكثر، فعول على تعميق الخلاف بينهما[٥٥].

وفي ظل حالة الانقسام والفوضى هذه ظهرت شخصية الأمير تركي بن عبدالله[٥٦] وأخوه زيد من آل سعود في نجد, وكان من جملة الذين أُسروا على يد ابراهيم باشا عام ١٨١٨م وأُرسلوا الى مصر. الا انه تمكن من الفرار, وانضم الى محمد بن مشاري بن معمر الذي بويع كإمام جديد في الدرعية عام ١٨٢٠م, لكنه عاد مرة أُخرى لمبايعة مشاري بن سعود حاكماً للبلاد لأحقيته بالحكم أكثر من ابن معمر، فقام مشاري بن سعود بتعيين تركي أميراً على الرياض، وبرز دوره لاحقاً في التمرد الذي قاده ضد ابن معمر، الذي خان مشاري بن سعود, وسلمه الى الحامية العثمانية, ومات في سجنه بعد أن حكم ستة أشهر [٥٧]. بعد استيلاء ابن معمر على الرياض، هرب تركي بن عبدالله وعشيرته ومن معه منها الى بلدة حائر سبيع، وظل متخفياً من المصريين وأعداءه حتى ظهر عام ١٨٢٣م, والتف حوله العديدون, ممن تزايدت نقمتهم على الحكم المصري, وانعدام السلطة المركزية القوية, وتفاقم الأزمة الاقتصادية التي القت بظلالها على وضعهم المعيشي, زادها سوءاً الاتاوات الثقيلة والابتزاز الذي مارسه الولاة المصريون. حاول تركي الهجوم على منفوحة والرياض, لكن المصريين تمكنوا من صده, فاضطر الى الانسحاب مرة أُخرى[٥٨]. التف العديد من الأنصار والناقمين على ابن معمر، الذي عدوه خائناً وصنيعة للمصريين الى جانب الأمير تركي بن

عبدالله, فقرر التوجه نحو الدرعية ومحاصرتها، كما قرر تحرير مشاري بن سعود من قبضة سجانيه في سدوس انطلاقاً من ضرما، وعندما علم محمد بن معمر بخطة تركي، أرسل له قوة كبيرة بقيادة ابنه مشاري، لكنه فشل في الامساك بتركي، الذي بدأ يحشد رجال القبائل لنصرته ضد ابن معمر، فتمكن من جمع قوة كبيرة سار بها الى الدرعية، وباغت ابن معمر، الذي خذله أهل الدرعية ولم ينصروه. ونجح تركي بإلقاء القبض على ابن معمر وسار الى الرياض، وتمكن من هزيمة مشاري بن محمد ابن معمر عام ١٨٢١م, والاستيلاء على الحكم, وقام بنقل العاصمة من الدرعية الى الرياض واتخذها قاعدة له، لأنها قوية التحصين وكثيرة المزارع. كما قام تركي بمعاقبة أتباع ابن معمر الذين سلموا مشاري بن سعود الى خليل آغا القائد العثماني في بلدة سدوس، الذي نقله بدوره الى القاعدة العثمانية في عنيزة، ومات هناك في السجن، وهناك من قال انه مات مسموماً، ومنهم من رأى انه مات في الطريق الى مصر، لذا نفذ فيهم تركي حكم القتل عام١٨٢٠م. ولدى وصول أنباء هذه الاضطرابات في نجد, أوعز محمد علي باشا بإرسال التعزيزات بقيادة فيصل الدويش وعدد من رجال القوات العثمانية المرابطة في عنيزة للهجوم على الرياض, الا انه فشل، فقرر رفع الحصار عن الرياض، والرحيل عنها متوجهاً صوب منطقة الوشم لإعداد حملة جديدة [٥٩].

فأعدت حملة أُخرى بقيادة حسين بك محافظ المدينة المنورة متوجهة نحو الرياض مروراً بالقصيم, وقد انضم اليه مشايخ قبيلتي مطير وعتيبة، حيث نزلوا في الوشم، وفي بلدة ثرمداء قرر حسين بك انتداب أحد ضباطه المدعو عبوش آغا للتوجه صوب الرياض، فتقدمت الحملة نحوها وحاصرتها, فتحصن تركي بن عبدالله ورجاله في قلعتها, ولكن رجاله لاحقاً استسلموا مقابل الأمان على حياتهم, الا انهم قُتلوا لاحقاً, وتمكن هو من الهرب الى قرى في جنوب الرياض، وتم هدم القلاع والمنازل التي بُنيت فيها، وجرى تعيين أبو علي المغربي قائداً على حامية الرياض، كما عُين عبد الله بن حمد الجمعي أميراً على القصيم وتركت معه حامية، وقرر حسين بك المغادرة الى المدينة المنورة، ومنها عائداً الى مصر [٦٠]. تجددت الاضطرابات والانقسامات بين الزعامات المحلية بعد انسحاب حسين بك من نجد، فانتشر السلب والنهب وأعمال العنف، ومما فاقم الأوضاع سوءاً تفشي مرض الطاعون، الذي حصد أرواح أعداد كبيرة من السكان. وفي خطوة لإعادة السيطرة على مقاليد الأمور والقضاء على

الفتن وأي زعامة محلية طامعة بالسلطة، جُردت حملة جديدة بقيادة حسين أبو ظاهر، قدمت عن طريق ينبع فالمدينة المنورة، واتجهت ناحية القصيم واستقرت في بلدة الرس. وقد لجأ هذا القائد الى أُسلوب البطش والتنكيل بمعارضي الحكم العثماني، ومصادرة الأموال والممتلكات والمواشي وحرق المزروعات وفرض الضرائب، فثارت قبيلة سبيع في الحائر وأهل عنيزة ضد التسلط والجور، وأرغموا رجال الحاميات العثمانية على تركها. وبمجرد انسحاب القوات العثمانية عن الرياض عم الاضطراب والفوضى مجدداً، وقُتل رئيس حامية الرياض ابراهيم كاشف وأميرها ناصر بن حمد العائذي، مهدت هذه الأحداث لظهور تركي بن عبدالله مرة أُخرى من بلدة الحلوة لاستعادة الحكم، فقام تركي بن عبدالله، بعد أن حصل على دعم من حمد بن يحي أمير الوشم، وسويد بن علي أمير بلدة جلاجل، وأهل سدير والمحمل ومنيخ، فحشد قوة كبيرة من المقاتلين قرر السير بها ومحاصرة الرياض ومنفوحة مجدداً، وفي بلدة عرقة انسحب الكثير من رجال القبائل من سدير والوشم عنه وعادوا أدراجهم، وبقي مع عدد قليل من أنصاره يواجه رجال الحامية العثمانية وبعض رجال قبائل حريملاء وثرمداء والخرج ممن عارضوا عودة ملك آل سعود، فقرر تركي الانسحاب من عرقة، وترك فيها أحد قادته هو عمر بن محمد بن عفيصان وسار هو نحو ضرما، لإعادة جمع الأنصار والأتباع، ومحاولاً فرض سيطرته على بعض البلدات مثل سدير وجلاجل والمجمعة وشقراء وحريملاء، وقد تم له ذلك. ونجح بفرض سيطرته على كامل نجد، وحينها عقد العزم على استعادة منفوحة من العثمانيين، فتمكن من إخضاع أميرها ابراهيم بن سلامة بن مزروع، وأصبح الطريق سالكاً نحو الرياض، وحاصرها لمدة شهر، وكان أميرها عبد الله بن حمد ناصر العايذي، الذي قرر طلب النجدة من فيصل الدويش زعيم مطير، فقدم بقواته مما اضطر تركي الى التراجع نحو بلدة عرقة. بقي الدويش أياماً قليلة في الرياض، ثم ارتحل عنها، فقام تركي بمعاودة فرض الحصار عليها، مما حدا بأميرها وقائد حاميتها أبو علي المغربي الى طلب الصلح بعد فشله في المقاومة، مقابل الجلاء بقواته وأسلحته، مع إعطاء الأمان لأهل الرياض [٦١]. ويرجح البعض أن ذلك تم له في عام ١٨٢٤م [٦٢]. وهناك من رأى أن تركي بن عبدالله كان قد أيد محمد بن مشاري بن معمر في البدء وسانده ودعمه عندما ظهر في الدرعية بعد رحيل ابراهيم باشا عنها، لكنه انقلب وغير موقفه تجاهه، لاسيما بعدما غدر

محمد بن مشاري بن معمر بأبن عمه مشاري بن سعود، وقد استطاع تركي أن يحوز على مبايعة العامة، ليصبح حاكماً عليهم في نجد وما جاورها [٦٣]. لم يشأ تركي بن عبدالله الدخول الى الرياض قبل جلاء الحامية العثمانية تنفيذاً للاتفاق مع أبو علي المغربي، فارسل مشاري بن ناصر آل سعود بالتوجه اليها لمتابعة الأُمور والأحوال العامة، لحين مغادرة المغربي الى الحجاز، وقام تركي في هذه الأثناء بتثبيت حكمه على أمراء كل من ثرمداء وشقراء، كما بايعه أمير عنيزة يحي بن سلمان [٦٤].

استغل تركي بن عبدالله التمرد الذي بدأ في القصيم ضد الوجود المصري, وما تبعه من جلاء لقواتهم من الحجاز, وتركهم حاميتين في الرياض ومنفوحة, مما ساعده في السيطرة على أغلب المناطق النجدية. ان سبب الانسحاب المصري في هذا الوقت كان انشغال محمد علي بحربه ضد اليونان (بلاد المورة) بين عامي (١٨٢١ – ١٨٣٢م), حيث عاد السلطان العثماني محمود الثاني وطلب من واليه محمد علي دعم جيوشه المحاربة في اوربا, فضلاً عن الرفض المتزايد للوجود المصري في الجزيرة العربية, فاضطر محمد علي الى سحب الفرقة الثانية التي أرسلها للحجاز عام ١٨٢٣م, لتنضم الى قواته في اليونان [٦٥]. ومما عزز موقف تركي لدى العامة وصول الشيخ عبد الرحمن بن حسن حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب من مصر الى الرياض، في عام ١٨٢٥م، فتولى مهمة ادارة الشؤون الدينية في البلاد وابداء المشورة، وبعد ذلك بعامين تمكن فيصل بن تركي من مغادرة القاهرة والعودة الى نجد، وقد أصبح الساعد الأيمن لوالده في الحكم وقيادة الجيش[٦٦].

ومما عزز موقف تركي بن عبدالله عودة بعض الهاربين من مصر لينضموا اليه, ففي عام ١٨٢٥م عاد مشاري بن عبد الرحمن بن مشاري بن سعود الذي عينه تركي أميراً على منفوحة, كما عاد عبد الرحمن بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب، فعينه تركي قاضياً في الرياض, وبحلول عام ١٨٢٧م تمكن تركي من طرد الحامية المصرية في القصيم وشمر, وبدأ هجمات ضد الخوالد[٦٧].

تقوى مركز تركي بن عبد العزيز بن عبدالله عندما انسحبت معظم القوات المصرية من الحجاز, استعداداً لحملة محمد علي على بلاد الشام ١٨٢٩م, والتي أرادها الأخير مكافأة من السلطان العثماني لقاء المساعدة التي قدمها في حرب اليونان, وكان شديد التمسك بها,

إذ عدها امتداداً طبيعياً لحدود ولايته مصر من جهة الشرق, ومما لهذه المنطقة الغنية بمواردها الخشبية من أهمية لإعادة بناء قوة أُسطوله البحري الذي دُمر جزء منه في موقعة نافارين [٦٨]. حاول تركي بن عبد الله تنسيق جهوده مع أمير عسير، في وقت كانت بريطانيا تحاول فيه هي الأُخرى تعزيز وجودها في اليمن ومخا وعدن، للحفاظ على خطوط التجارة والملاحة الى الهند، وإبعاد أي قوة قد تهدد مصالحها في البحر الأحمر، وكذلك حاول محمد علي باشا، بصفته ممثلاً للسلطان العثماني. فضم محمد علي عن طريق قائده خليل باشا المناطق اليمنية الخاضعة لحكم لأحمد ابن حمود الخيراتي في منطقة المخلاف السليماني، الذي كان يحكم باسم أئمة الدولة السعودية الأُولى، وذلك لضمان طريق تجارة البن الرائجة في اليمن، وأُرسل الخيراتي الى مصر حيث توفي هناك، وتم الاتفاق مع إمام صنعاء على قبول التبعية للعثمانيين مقابل الابقاء على حكمه. واوكلت ادارة عسير الى محمد بن عون وهو من الاشراف، في وقت كانت عسير تحت ادارة مرتبطة بإمارة مكة المكرمة ومحافظها أحمد باشا يكن[٦٩]. وبسبب سوء ادارته، اندلعت في مدينة يام ثورة ضد محمد بن عون الذي أرسل الى محمد علي يطلب اليه امداده بقوات لقمع الثورة، لكن حمد علي اعتذر عن إرسال تعزيزات بسبب انشغاله ببعض الأُمور. ولهذا لجأ بن عون الى تحشيد قوات من قبائل عسير بقيادة سعيد بن مسلط عام ١٨٣٢م، لكن الخلاف دب بين الرجلين في وقت لاحق، لينحسب سعيد بن مسلط، ويعلن الثورة ضد أمير عسير. وبعد مواجهات عنيفة بين الطرفين انتهت بخسارة محمد بن عون، الذي اضطر الى الانسحاب الى مكة المكرمة، وتولى سعيد بن مسلط الحكم في امارة عسير. وهو ما دفع ابن عون الى الكتابة الى احكم الحجاز لمراسلة محمد علي لإبلاغه بهذه المستجدات، ويصور له بأن هذه الثورة هي إعادة ترسيخ للحكم السعودي في اليمن، ويطلب اليه التدخل العاجل. وبدأ محمد علي يراسل محافظي الحجاز ومكة المكرمة وجدة للتنسيق لتطويق الحاكم الجديد في عسير، وارسال تعزيزات عسكرية لإزاحته عن الحكم. وعلى الرغم من محاولات عدة لم يتمكن محمد بن عون من ازاحة ابن مسلط الذي بدأ يراسل أمير الريا ض تركي بن عبد الله لإقامة تحالف بينهما ضد محمد علي وادارته. ولتدارك الموقف قرر محافظ مكة المكرمة بناء على توجيهات حكومة مصر الكتابة الى فيصل الدويش رئيس مطير وارسال بعض الهدايا وعرض عليه مهاجمة حاكم

نجد تركي لمنعه من تقديم العون لشيخ عسير، كما زحف محافظ مكة المكرمة أحمد باشا يكن بنفسه على رأس قوة كبيرة، اعاقتها صعوبة المواصلات وقلة الجمال لنقل المؤونة، وقد عرض ابن مسلط الصلح، فتم بينهما وعاد أحمد باشا الى مكة عام ١٨٢٥م. بقيت الاوضاع في عسير هادئة نسبياً حتى عام ١٨٣٤م، حين توفي سعيد بن مسلط، وتولى أخوه لأُمه علي بن مجثل حكم عسير، لتشتعل الخلافات مجدداً بعد محاولته التخلص من الحاميات العثمانية في البلاد، بل ومد نفوذه الى مناطق أخرى في اليمن، وهو ما دفع محمد علي باشا الى الكتابة لمحافظ مكة المكرمة عابدين بك لإرسال نجدات لإزاحة ابن مجثل عام ١٨٢٩م، كما أصدر عام ١٨٣٠م أوامره أمير مكة المكرمة محمد بن عون, ويذكر بأن محمد بن عون تولى امارة مكة لفترتين هما من (١٨٢٧ – ١٨٥١م) ثم من (١٨٥٦ – ١٨٥٨م) لإقناع ابن مجثل بالتزام الطاعة وعدم محاولة فرض السيطرة على اليمن. كما أرسل أحمد باشا يكن من مصر بعد عودته اليها الى ابن مجثل ينصحه بعدم التمادي في المعارضة، لان محمد علي بدأ يفكر جدياً بحملة كبيرة على اليمن للقضاء عليه. لكن ابن مجثل لم يخضع لتلك التهديدات وواصل اخضاعه مناطق اليمن ابي عريش والحديدة والمخا وزبيد ومدن تهامة، لكنه توفي عام ١٨٣٣م [٧٠].

على الرغم من حنكة محمد علي وادراكه التحديات التي رافقت محاولاته اخضاع شبه الجزيرة العربية والخليج العربي واليمن لسلطته وسلطة العثمانيين بشكل مباشر، الا ان تكالب الأزمات الداخلية والخارجية ألقت بظلالها على تلك المساعي، فقد كان محمد علي يواجه في تلك الفترة يواجه تحديات كثيرة في اليونان والسودان وبلاد الشام، فضلاً عن خلافاته مع السلطان العثماني نفسه عام ١٨٣١م، لذا هيأت هذه المعطيات لتركي بن عبد الله الظروف الملائمة لإحياء الدولة السعودية من جديد، كما سعى تركي بن عبد الله الى توطيد علاقته مع والي العراق علي رضا، لتبدأ بين الرجلين مراسلات عديدة كان طابعها معاني الود والصداقة وتبادل الهدايا، وهذا التقارب يعد الأول من نوعه منذ ظهور الدعوة السلفية في الجزيرة العربية، ويمكن عدّه تقارباً عثمانياً سعودياً ضد طموح محمد علي الجامح في المنطقة. لذا نرى توقف هجمات القبائل القاطنة على الحدود العراقية النجدية كالمنتفك والضفير تجاه الدولة السعودية الثانية [٧١].

رابعاً: سياسة الأمير تركي بن عبدالله الداخلية (١٨٢٤– ١٨٣٤م)

اتبع الأمير تركي بن عبد الله سياسة مغايرة لسياسة أسلافه, إذ أدرك إن مواجهة العثمانيين ومحمد علي لن تكون مجدية، لذا أخذ يراسل داود باشا والي العراق وأحمد باشا يكن حاكم الحجاز, معلناً عن طريقهما ولاءه للباب العالي وحكومة مصر [٧٢]. لكن يبدو أن محمد علي باشا لم يحبذ تدخل والي العراق في شؤون الجزيرة العربية، التي كانت تعد ضمن مهام والي مصر بعد حملته الأُولى عليها واسقاطه الدولة السعودية الأُولى، كما ان محمد علي كان منزعجاً من محاولات داوود باشا التوسط لمناشدة السلطان العثماني تثبيت تركي بن عبد الله على حكم نجد وذلك عام ١٨٢٦م. أما عن محاولات تركي التواصل مع محافظ مكة المكرمة ليعرض عليه التوسط لدى الباب العالي لكسب ود السلطان ولإعلان الصداقة بينهما لم تجد أُذناً صاغية، بسبب طلب محمد علي عدم الرد عليها, لأنه كان يشكك في صدق نوايا الأمير السعودي، وطلب ابلاغه بالقدوم الى مصر والاقامة فيها مدة من الزمن ليتيقن من انه أصبح صديقاً [٧٣].

تحتم على تركي بن عبد الله أن يكون أقل تعصباً لعقيدته الوهابية, وسلوك سياسة أكثر تسامحاً ومرونة, لعدم إثارة تلك القوى, ولكسب تأييد السكان له. ويذكر فاسيليف إن سلطة السعوديين الدنيوية تعززت من جديد بفضل تأثير الوهابية (التي ترسخت مبادئها في عقول البعض، وأفادت غنائمها البعض الآخر) مع انها لم تعد تتميز بالتعصب الذي كانت عليه في السابق [٧٤].

نجح تركي بن عبدالله باستعادة الاحساء من الخوالد, الذين اتخذوا الهفوف عاصمة لهم, فأرسل اليهم حملة كبيرة بقيادة عمر بن محمد بن عفيصان, ولما أراد الخوالد نقل المعركة الى نجد تصدى لهم تركي, وتمكن من تشتيت قوتهم وقتل أميرهم ماجد بن عريعر [٧٥]. وهناك من قال بأن ماجد توفي نتيجة مرض كان به، وبموته أو مقتله تغيرت موازين القوى لصالح آل سعود, ولم يتمكن خليفته محمد بن عريعر من حسم الموقف لصالح الخوالد انطلاقاً من الهفوف، فهزم هو الآخر في موقعة (السبيّة) عام ١٨٣٠م، وسميت بهذا الاسم لكثرة ما سُبي فيها من الأموال والأمتعة والإبل والأغنام, فاضطر لمغادرة الاحساء الى العراق، فمكن ذلك الأمير فيصل بن تركي, الذي نجح بالفرار من مصر بعد أن قضى في

سجنه عشر سنوات, من الانتصار على زعيم الخوالد ودخول الاحساء واخضاعها، وأخذ ما كان لجيش بني خالد من أموال وأغنام وإبل، وكتب تركي الى ابنه فيصل، بأنه سوف يأتي إلى الإحساء كي يبايعه أهلها، وهرب بنو خالد من الإحساء، ودخلها الإمام دون مقاومة، وأعلنت المناطق المحيطة بالإحساء التبعية للأمير تركي, وتم تعيين عمر بن عفيصان حاكماً عليها(٧٦).

بعد اخضاع الاحساء, وجه تركي بن عبدالله اهتمامه نحو ساحل الخليج العربي وقطر والبحرين وساحل عُمان, فقرر اخضاع شيخ البحرين عبد الله بن أحمد آل خليفة (١٨٢٠ – ١٨٤٣م) وكان يسيطر أيضاً على قسم كبير من قطر, وضع تركي أمام شيخ البحرين خيارين إما دفع الزكاة, فضلاً عن تعويض عن مستحقات سابقة بقيمة أربعين الف دولار والتنازل عن قلعة الدمام, وإما الحرب (٧٧). في وقت حاول فيه امام عُمان سعد بن سلطان فرض السيادة العُمانية على البحرين منذ عام ١٨٢٢م، لكنه فشل، وتدخلت بريطانيا وطلبت من شيخ البحرين عبد الله بن خليفة دفع الزكاة السنوية لحاكم مسقط. وجدد سعيد المحاولة عام ١٨٢٨م لإخضاع البحرين، بإعداد أُسطول لهذا الغرض وصل الى قشم ومنها الى أبو ظبي حيث انضم اليه الشيخ طحنون وأفراد من بني ياس، لكنه فشل في مسعاه، وكرر المحاولة عام ١٨٢٩م، وفشل أيضاً، وقد تم الصلح بينهما بوساطة شيخ بوشهر محمد بن ناصر، مقابل الموافقة على عدم تدخل أي من الطرفين في الشؤون الداخلية للطرف الآخر، وانهاء دفع المبلغ الذي كانت البحرين تقدمه لمسقط، وان يتعاون الطرفان في حال وقوع هجوم على أي منهما من طرف ثالث، وقد قبل الشيخ طحنون بن شخبوط شيخ أبو ظبي طرفاً في المعاهدة. وبقي الوضع على هذا الحال حتى قيام الدولة السعودية الثانية، فأرسل تركي بن عبد الله الى حاكم البحرين يدعوه لدفع الزكاة السنوية ومبلغ اربعين الف قطعة ذهبية تعويضاً عن بعض الخيول التي تركها آل سعود في عهدته لدى خروجهم منها عام ١٨١١م، وهنا بادر عبد الله بن خليفة الى ايفاد مبعوث للتفاوض وتسوية الخلاف مع الأمير السعودي, وتم الاتفاق على اعتراف البحرين بسيادة آل سعود عليها, ودفع زكاة سنوية، وبدوره تنازل الأمير تركي عن المطالبة بقلعة الدمام, وتعهد بحماية البحرين من أي عدوان بعد خضوع آل خليفة لتبعيته, لكن آل سعود عينوا بشر بن جابر عدو العتوب على

مدينة تاروت ودارين المواجهة لمدينة القطيف, وأُوكلت اليه مهمة تحصيل الزكاة من حكام البحرين, كما انتقل آل بو سميط أعداء آل خليفة اليها، فكان هذا مثاراً للقلق والشك لدى آل خليفة, من امكانية ازاحة آل سعود لهم، وتنصيب ابن رحمة حاكماً على البحرين في المستقبل، لكن بشر بن جابر لم يطل الاقامة في تاروت لنشوب نزاع بينه وبين أهلها، اضطره الى المغادرة الى قطر (٧٨).

فسح هذا التطور المجال لآل خليفة لإعلان رفضهم للحكم السعودي، فجهزوا حملة عام ١٨٣٣م سارت نحو دارين وتاروت، وتقدمت الى سيهات وحاصرتها أربعين يوماً، مما اضطر أهلها الى الاستسلام لآل خليفة, وساندهم الخوالد في الاحساء, ووقف حاكم عُمان سعيد بن سلطان على الحياد, لذا وجه الأمير تركي بن عد الله حملة كبيرة أوكل قيادتها الى ابنه فيصل، فتقدم حتى وصل الى المريقيب غرب سيهات, الا ان المقاومة البحرينية وتصدي سكانها كان شديداً. وفي هذه الأثناء وصلت أنباء مقتل الأمير تركي, فثار الخوالد في جزيرة العماير, وثارت القطيف ضد الحكم السعودي, فاضطر فيصل الى ترك المعارك الحربية والعودة الى الرياض (٧٩).

يستدل من هذا أن البحرين كانت تتأثر بجميع الأحداث التي توالت في شبه الجزيرة العربية, وان علاقاتها مع السعوديين خضعت لمدى قوة السلطة في الرياض وتأثيرها عليهم, ففي حالات الفوضى والضعف التي مرت بها الدولة السعودية, تمرد حكام البحرين على السلطة الوهابية, وامتنعوا عن دفع الزكاة, وفي الوقت الذي يتعاظم نفوذ السعوديين تنطوي تحت لواءهم وتعاضدهم ضد القوى الأُخرى, ولاسيما عُمان. لكن نظراً لافتقار الدولة السعودية لأسطول بحري, وتأرجح الوضع السياسي في نجد, فقد ظلت البحرين بعيدة نسبياً عن الحكم السعودي المباشر.

سنحت الفرصة للبحرين للتخلص من النفوذ الوهابي بعد مقتل تركي بن عبدالله, نتيجة مؤامرة دبرها ابن اخته مشاري بن عبد الرحمن, الذي استولى على الحكم, لكنه لم يبق فيه سوى أربعين يوماً فقط. فقام حاكم البحرين، مستغلاً الأوضاع المربكة التي تلت اغتيال تركي بالهجوم على ميناءي القطيف والعقير السعوديين, وحاصرهما, لكنه اضطر لاحقاً الى فك الحصار, بعد أن لاحت الأطماع الفارسية بالاستيلاء على البحرين مرة أُخرى. ووافق على

دفع زكاة سنوية لأمير الرياض الجديد فيصل بن تركي مقدارها ألف ريال, مقابل أن يتعهد الأمير الجديد بحماية البحرين من أي اعتداء خارجي [٨٠]

وينطبق الحال بالنسبة لعمُان, فمنذ أن خضعت واحة البوريمي مفتاح الطريق البري لعُمان لسلطة الوهابيين عام ١٧٩٧م, والدولة السعودية تنظر الى اخضاع عُمان لسيادتها على انه هدف حيوي لديمومة قوة الدولة وهيبتها واستمرارها, نظراً لموقعها الاستراتيجي على ساحل عُمان والخليج العربي, وما فرضه هذا الموقع من ازدهار تجاري واقتصادي بفضل أُسطولها البحري القوي, فضلاً عن الرغبة المستمرة بنشر الدعوة الوهابية بين سكانها الاباضيين[٨١]. ولأهمية واحة البوريمي التي تعد المنطقة الوحيدة التي تكثر فيها موارد المياه العذبة, التي تفصلها عن صحراء الاحساء بمئات الأميال, فقد اتخذها سابقاً القائد الوهابي سالم الحارق قاعدة لانطلاق الحملات الوهابية لإخضاع بقية أجزاء عُمان الأُخرى, وتمكن من اجبار حاكم عُمان سلطان بن أحمد (١٧٩٢ – ١٨٠٤م) على التنازل عنها لآل سعود عام ١٨٠٠م [٨٢]. تجدد النزاع حول واحة البريمي عام ١٨٢٤م، بين كل من سلطان بن صقر حاكم الشارقة وبين طحنون بن شخبوط شيخ أبو ظبي، الذي كان في تحالف متين مع امام عُمان سعيد بن سلطان، فطلب الأخير من بريطانيا مساندة حليفه الشيخ شخبوط ضد الشارقة، لكن بريطانيا رفضت التدخل، بدعوى ان الخلافات بين الشيوخ والامراء شأن داخلي لترسيم الحدود، لا علاقة للحكومة البريطانية به، ما دام لا يهدد مصالحها ووجودها في الخليج بعد عام ١٨٢٠م. لكن الأمر تغير بعد نهضة الدولة السعودية الثانية، واستعادتها للواحة والمنطقة المحيطة بها وضمها للحكم السعودي مجدداً. وظلت سيادة الوهابيين على عُمان والبوريمي تتأرجح, فمع قوة الدولة السعودية التزم سكان البوريمي وإمام عُمان بدفع الزكاة السنوية لأميرها, ومع تعرض تلك الدولة لهزات خارجية كان إمام عُمان يسارع بالتخلي عن التبعية والزكاة, واتضح هذا في مواقف عدة, ولاسيما خلال عهد السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٦ – ١٨٥٦م). إذ إن النفوذ الوهابي في عُمان انحسر بعد زوال الدولة السعودية الأُولى, وسرعان ما حاول الأمير تركي بن عبدالله مد نفوذ آل سعود من جديد لمناطق عُمان, ونجح في ذلك, إثر الحملة التي قادها عمر بن محمد بن عفيصان عام ١٨٢٨م, التي ضمت اليها واحة البوريمي, وتوغلت في عُمان الداخلية, وأعلن أكثر شيوخ الساحل

ولاءهم لأمير الرياض, فقبل إمام عُمان دفع زكاة سنوية مقدارها خمسة آلاف ريال للسعوديين عام ١٨٣٢م, وأن تحتفظ عُمان بحدودها الى جعلان في حين تكون حدود السعوديين الى القطيف، وجرى تعيين سعد بن محمد بن معيقل أميراً على البوريمي. ويبدو أن مركز الوهابيين في البوريمي وبعض مناطق عُمان الداخلية كان من القوة, بحيث لم يكن لمصرع الأمير تركي وما أعقبه من فوضى في الرياض تأثير كبير عليه (٨٣). ويتضح من رسالة السيد سعيد بن سلطان الى المقيم البريطاني في الخليج مقدار القوة التي وصل اليها تركي بن عبد الله عام ١٨٣٣م، فيذكر أنه "**اضطر لدفع خمسة آلاف ريال سنوياً إلى أمير السعوديين، وانه أجرى معه اتفاقية، نصت على خضوع المناطق الساحلية حتى جعلان لسلطنة مسقط، بينما يمتد نفوذ السعوديين إلى الاحساء والقطيف، وان الطرفين تعهدا باحترام هذه الاتفاقية**" (٨٤). ولقاء دخول عُمان تحت التبعية السعودية كان سعيد بن سلطان يطمح بدعم وهابي للسيطرة على البحرين، لكن الأمير السعودي رفض الطلب وقرر تسيير حملة لاحتلال عُمان أوكل قيادتها الى والي الاحساء عمر بن عفيصان، وتزامنت الحملة مع دخول مشيخة عجمان وأُم القيوين للتبعية الوهابية، مما جعل موقف عُمان حرجاً، كما ألقى التمرد الذي قام به كل من أحمد وهلال أولادي قيس بن عزان حاكم صحار ضد سعيد بن سلطان متخذين صحار مركزاً لهم، بظلاله على أوضاع عُمان الداخلية، وهناك اشارات بأن سعيد بن سلطان كان يفكر بطلب العون والمساندة من آل سعود لقمع ثورة صحار، لكنه تراجع ولم يقدم على هذه المحاولة (٨٥). ويورد لوريمر أن بريطانيا رفضت اسناد شيخ رأس الخيمة سلطان بن صقر، الذي كان قلقاً من امتداد نفوذ الوهابيين مرة أُخرى الى مشيخته، في وقت رحب شيوخ عجمان وأُم القيوين بالإمام الجديد، لعله يحررهم من نفوذ الشارقة (٨٦).

خامساً: الموقف البريطاني والعثماني من حكم الأمير تركي بن عبدالله:

نجح تركي بن عبد الله على مدى عشر سنوات (١٨٢٤ – ١٨٣٣م) من تثبيت سلطته في نجد والاحساء على طول الساحل الجنوبي من الخليج الى رأس الحد، ودفعت كل هذه المناطق الزكاة السنوية له، أثار توسع الأمير تركي بن عبدالله خارج نجد, واسقاطه الخوالد في الاحساء مجدداً, وضم البحرين وعُمان مخاوف حاكم الحجاز, لكونه ممثلاً لسلطة الباب العالي أولاً ومحمد علي ثانياً, فراسل القائد القدير عابدين بك (١٨٢٤ – ١٨٣١م) والي

مصر لنجدته، خشية امتداد النفوذ السعودي نحو الحجاز مرة أُخرى. الا أن الأخير كان منشغلاً بالمعارك التي يخوضها جيشه في بلاد الشام, ولم يشأ فتح ميدان آخر للقتال, فآثر انتظار الفرصة السانحة للانقضاض عليه, لكنه نصح حاكم الحجاز وشريف مكة محمد بن عون (١٨٢٨ – ١٨٥٢م) إتباع الأساليب الدبلوماسية مع تركي, واسداء النصح له, تلافياً لحرب طويلة أُخرى معه [٨٧]. والحقيقة أن مجريات الاحداث التي طرأت على أرض الواقع هيأت لتركي بن عبدالله ظروفاً ملائمة لتثبيت حكمه، فقد شهدت الحجاز ثورة قام بها الجنود غير النظاميين في جيش محمد علي، قام بها تركي بلماز ضد خورشيد باشا، الذي تولى منصب محافظ مكة المكرمة خلفاً لعابدين بك ١٨٣١، الذي مات بالكوليرا، وسارع محمد علي لإرسال قوات من مصر بقيادة أحمد باشا لإخماد الثورة ١٨٣٢. لكن محمد علي لم يستجب لمناشدات شريف مكة محمد بن عون لتجريد حملة ضد تركي بن عبدالله، حينما تمكن الأخير من بالسيطرة على الاحساء، واكتفى بمطالبة شريف مكة ومحافظها بالتزام اللين مع تركي، وعدم الدخول في نزاع مسلح معه، وبالفعل استجاب محمد بن عون لتوجيهات محد علي، ورفض تقديم المساعدات العسكرية التي ألح في طلبها مشاري بن عبد الرحمن لقتال خاله تركي بن عبدالله، حين التجأ الى مكة المكرمة عام ١٨٣٠م[٨٨].

ويبدو أن سياسة محمد علي المتحفظة تجاه أمير الدولة السعودية الثانية كان يحكمها الترقب، خوفاً من تكرار امتدادها الى الحجاز وساحل عُمان، فمحمد علي لم يتردد بعد عقد صلح كوتاهية مع السلطان العثماني عام ١٨٣٣م من تحريض الأخير على تركي بن عبدالله، وسعى لاستصدار أمر سلطاني بعدم الموافقة على تعيين تركي بن عبد الله أميراً على نجد، كما قام بمحاولة زرع بذور الفتنة والفرقة داخل البيت السعودي، بدعم مشاري بن عبد الرحمن بن سعود سراً، والذي قام بتكليف أحد الموالي والمدعو ابراهيم بن حمزة بن منصور بقتل تركي بن عبد الله في التاسع من آيار عام ١٨٣٤م، وذلك عقب خروجه من صلاة الجمعة[٨٩].

أما علاقة الأمير تركي بن عبدالله مع البريطانيين, فقد اتسمت بالود, وجرت بين الأمير وحكومة بومباي مراسلات لإبقائها كذلك. فقد قام الأمير تركي بإرسال سفارة برئاسة شيخ عجمان راشد بن حمد عام ١٨٣١م, لمد جسور الصداقة والتفاهم مع الحكومة البريطانية,

وجاء الرد البريطاني ودياً إزاء العرض السعودي [٩٠]. وفي هذا الصدد يشير منير العجلاني مؤلف كتاب الإمام تركي بن عبدالله إلى إن رد الحكومة البريطانية جاء عن طريق المقيم البريطاني في الخليج ليؤكد أن الصلات بين بريطانيا والأمير تركي ستكون مثل الصلات التي قامت في عهد الإمام سعود[٩١]. وفيما يلي نص الرسالة التي بعثت بها حكومة الهند البريطانية في بومباي رداً على خطاب الأمير تركي، " **ان رسالتكم المؤرخة في ٢٥ جمادى الأُولى، والتي تبلغنا عن الوقائع التي انتهت الى توليكم الرئاسة قد وصلت الينا، وأحدثت في نفوسنا الأثر الجميل، الذي تحدثه أخبار تصل من الأصدقاء. إن استعدادكم لتفاهم ودي بيننا نقابله بمثل شعور الصداقة التي كانت قائمة بين هذه الحكومة وبين سلفكم العظيم الإمام سعود، وستبقى قامة بكل قوتها ولن تتصدع أبداً أو تضعف. وقد سلمت هذه الرسالة الى تابعكم المخلص، عيسى بن حسن، وليؤكد لكم ما جاء فيها**" [٩٢].

كما يمكن استقراء موقف الادارة البريطانية من الأمير تركي بن عبدالله وعدم شعورها ازائه بأي تهديد لمصالحها في الخليج أو اماراته التي كبلتها منذ عام ١٨٢٠م بمعاهدة السلام العامة، ما جاء في نص قرار مجلس المديرين في الهند في نيسان عام ١٨٣٤م"**يظهر انه من المحتمل ان الحروب التي كانت تحدث كثيراً بين الدول المتصالحة في الخليج، قد يمكن تفاديها بعد خضوع هذه الدول الى زعيم مشترك في شخص أمير الوهابيين، الذي إستعاد تقريباً كل الممتلكات التي كانت لأسلافه بعد استيلائه على الاحساء والقطيف، واخضاع البحرين للزكاة وأقام صلات ودية مع الشيخ سلطان بن صقر ومع إمام مسقط، وكلاهما يعترف بسيادة تركي**"[٩٣].

الخاتمة والإستنتاجات:

توصلت الدراسة الى جملة استنتاجات نوجزها بالتالي:

١-أصبحت الجزيرة العربية بعد سقوط الدرعية قاعدة للحكم المصري بقيادة ابراهيم باشا، الذي أخضع الاحساء لتحقيق أهداف محمد علي التوسعية, فضلاً عن الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية التي سيمثلها الوجود المصري في نجد. دخلت الجزيرة العربية بعد الانسحاب المصري حالة من التشتت وعدم الاستقرار, بسبب الفراغ السياسي

والعسكري, وعلى الرغم من ان المنطقة من الناحية الاسمية أصبحت خاضعة للدولة العثمانية, الا أن الأوامر الرسمية لإدارة الحجاز, التي أصبح ابراهيم باشا والياً عليها كانت تصدر من محمد علي مباشرة.

٢-أفرزت السياسة المصرية نتائج سلبية انعكست على الوضع العام في المنطقة. فسياسة جمع الضرائب، وجبايتها بأسوء الأساليب وأقساها, ولدت سخط الناس, وانتشرت حالات السلب وقطع الطرق للاستيلاء على القوافل التجارية, فضلاً عن القتل والتنكيل الذي تعرض له أتباع الوهابيين وأقربائهم من الرجال والشيوخ, كما عادت النزاعات القبلية لتظهر بقوة بين من تبقى من أُمراء آل سعود في نجد والخوالد في الاحساء. وجرت محاولات عدة لإحياء الدولة السعودية من قبل أفراد من الأُسرة ممن نجح في الفرار من مصر واختبئ من بطش العثمانيين ومنهم محمد بن مشاري بن معمر، أحد أمراء آل سعود، لكن هذا واجه تمرداً قام به منافس قوي هو مشاري بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، من حكام الدولة السعودية الأُولى، واشتعلت الخلافات بين الرجلين، في وقت حاول محمد علي باشا رع بذور الفتنة بين الأُمراء، لإدراكه أن مشاري بن سعود قد لا يرضخ للحكم المصري والعثماني الذي دمر ملك آبائه، لذا رأى أن ابن معمر أقرب ليكون طيعاً أكثر.

٣-في ظل حالة الانقسام والفوضى هذه ظهرت شخصية الأمير تركي بن عبدالله، الذي نجح في الامساك بزمام الأُمور بعد ازاحة ابن معمر وابنه، وقام بنقل العاصمة من الدرعية الى الرياض واتخذها قاعدة له. واجه تركي بن عبد الله تحديات داخلية وخارجية جسيمة، منها مواجهة الحملات العسكرية التي أرسلها العثمانيين لإزاحته عن السلطة، فضلاً عن تمردات العديد من القبائل ضد حكم آل سعود. لكنه نجح أخيراً في السيطرة على أغلب المناطق النجدية، مستغلاً انسحاب القوات المصرية من الجزيرة العربية.

٤-اتبع الأمير تركي بن عبد الله سياسة مغايرة لسياسة أسلافه, إذ أدرك إن مواجهة العثمانيين ومحمد علي لن تكون مجدية، لذا أخذ يراسل ولاة العراق معلناً عن طريقهما ولاءه للباب العالي وحكومة مصر، وتحتم عليه أن يكون أقل تعصباً لعقيدته الوهابية, وسلوك سياسة أكثر تسامحاً ومرونة, لعدم اثارة تلك القوى, ولكسب تأييد السكان له.

ونجح تركي بن عبدالله باستعادة الاحساء من الخوالد, الذين اتخذوا الهفوف عاصمة لهم, ثم اهتمامه نحو ساحل الخليج العربي وقطر والبحرين وساحل عُمان، واستعادة النفوذ فيها. وتمكن على مدى عشر سنوات (١٨٢٤ – ١٨٣٣م) من تثبيت سلطته في نجد والاحساء على طول الساحل الجنوبي من الخليج الى رأس الحد، ودفعت كل هذه المناطق الزكاة السنوية له.

٥- واجه الحكم السعودي معارضة لاحقة من البحرين وعُمان الاباضية، وجاءت عملية اغتيال الأمير تركي بن عبد الله عام ١٨٣٤ فرصة سانحة للكثيرين للتخلص من النفوذ الوهابي. اتسمت علاقة الأمير تركي بن عبدالله مع البريطانيين بالود, وجرت بينه وحكومة بومباي مراسلات لإبقائها كذلك. وهو دليل على ادراك الدوائر البريطانية الرسمية بأن الأمير تركي لا يمثل تهديداً لمصالحها في الخليج أو اماراته.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العربية والمعربة

١- مضاوي الرشيد, **تاريخ العربية السعودية بين القديم والحديث**, ترجمة: عبد الاله النعيمي, ط٢, بيروت: دار الساقي, ٢٠٠٥

٢- صالح العابد, **دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ – ١٨٢٠**, مطبعة العاني, بغداد: ١٩٧٦

٣- فائق حمدي طهبوب, **تاريخ البحرين السياسي ١٧٨٣ – ١٨٧٠**, الكويت: ١٩٨٣

٤- ابراهيم, عبد العزيز عبد الغني, **حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي دراسة وثائقية**, ط ١, الرياض: دار المريخ, ١٩٨١

٥- فؤاد سعيد العابد, **سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر**, الكويت: ١٩٨١

٦- رأفت غنيمي الشيخ, **ارتباط النشاط المصري في الخليج العربي بالنشاط المصري في الحجاز ونجد,** اتحاد المؤرخين العرب– لجنة تدوين قطر, البحوث المقدمة الى مؤتمر دراسات تاريخ الجزيرة العربية, ج ٢, الدوحة: ١٩٧٦

٧- حسين خلف الشيخ خزعل, **تاريخ الكويت السياسي**, ج ١, بيروت: ١٩٦٢
٨- احمد عبد الغفور عطار, **صقر الجزيرة**, ج ١, جدة: ١٩٤٦
٩- محمد كمال الدسوقي, **الدولة العثمانية والمسألة الشرقية**, دار الثقافة, القاهرة: ١٩٧٦
١٠- أمين سعيد, **تاريخ الدولة السعودية**, المجلد الاول, من محمد بن سعود الى عبد الرحمن الفيصل, الرياض, ١٩٧٢
١١- جمال زكريا قاسم, **دولة البوسعيد في عُمان وشرق افريقيا منذ تأسيسها وحتى نهاية حكمها في زنجبار وبداية عهدها الجديد في عُمان (١٧٤١ - ١٩٧٠)**، الامارات: مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٠
١٢- أمين الريحاني, **تاريخ نجد وملحقاته**, ط ٥, بيروت: دار الكتاب العربي, ١٩٨١
١٣- علي محمد الصلابي، **الدولة السعودية عوامل النهوض والسقوط**, ط ١, دار المعرفة, بيروت: ٢٠٠٤
١٤- عبد الله, محمد مرسي, **امارات الساحل وعُمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣ – ١٨١٨**, ج ١, المكتب المصري الحديث، القاهرة: ١٩٧٨
١٥- ابراهيم, عبد العزيز عبد الغني, **بريطانيا وامارات الساحل العماني, دراسة في العلاقات التعاهدية**, بغداد: مطبعة الارشاد, ١٩٧٨
١٦- فاسيليف، **تاريخ العربية السعودية**، ترجمة: خيري الضامن وجلال الماشطة، موسكو: دار التقدم، ١٩٨٦
١٧- بلجريف، تشارلس، **ساحل القراصنة**، ترجمة: عيسى أمين, ط ١, بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر, ٢٠٠٥
١٨- سادلير، جون فورستر، **رحلة الى الجزيرة العربية**، ترجمة: عيسى أمين، ط ١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥
١٩- ليونوفيتش, ميخين فيكتور, **حلف القواسم وسياسة بريطانيا في الخليج العربي في القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر**، ترجمة: سمير نجم الدين سطاس، ط١، دبي: مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث

٢٠- التكريتي, سليم طه, **المقاومة العربية في الخليج العربي**, بغداد: دار الرشيد للنشر, ١٩٨٢

٢١- ابراهيم, عبد العزيز عبد الغني, **علاقة ساحل عُمان ببريطانيا دراسة وثائقية**, دارة الملك عبد العزيز، الرياض: ١٩٨٢

٢٢- أبو ياسين, سمير محمد, **العلاقات العمانية – البريطانية ١٧٩٨ – ١٨٥٦**, ط ١, البصرة: ١٩٨١

٢٣- عبدالله الصالح العثيمين، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، الجزء الأول، الطبعة الثامنة عشر، شركة العبيكان للتعليم، الرياض: ٢٠١٨

٢٤- سيد محمد ابراهيم وحسن سليمان محمود, **تاريخ المملكة العربية السعودية**, ط ٤, الرياض, ١٩٦٦

٢٥- فالح حنظل، **المفصل في تاريخ الامارات العربية المتحدة**، ج ١، أبو ظبي: لجنة التراث والتاريخ, ١٩٨٣

٢٦- **الموسوعة العربية العالمية** – المجلد العاشر – الطبعة الثانية، من تأليف مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٩٩٩

٢٧- محمد عبد الله المانع، **توحيد المملكة العربية السعودية**، ترجمة: عبد الله الصالح العثيمين، الرياض: ١٤٠١هـ

٢٨- ابراهيم بن صالح بن عيسى, **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد**, ط١, الرياض: ١٩٦٦.

٢٩- نغم طالب عبدالله, **عُمان في عهد بني نبهان (العهد النبهاني المتأخر)** مجلة الاستاذ, كلية التربية – ابن رشد للعلوم الانسانية, العدد ٧٠, ٢٠٠٨.

٣٠- علي عفيفي غازي، **الجزيرة العربية والعراق في استراتيجية محمد علي**، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ببيروت: ٢٠١٦

٣١- محمد صادق محمد إسماعيل، **دور المملكة العربية السعودية في العالم الإسلامي**، الطبعة الاولى، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة: ٢٠١٠

٣٢- لوريمر، ج.ج. **دليل الخليج، القسم التاريخي**، ج ٢، ترجمة: مكتب الترجمة بديوان أمير قطر، الدوحة: د.ت

٣٣- منير العجلاني، **الإمام تركي بن عبدالله، بطل نجد ومحررها ومؤسس الدولة السعودية الثانية**، الجزء الخامس، منشورات دار الشبل للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض: ١٩٩٠.

ثانياً: الرسائل باللغة الانكليزية:

1- Dubuisson, Patricia R., **Qasimi Piracy and the General Treaty of Peace (1820)**, A Theses Submitted to the Faculty of Graduate Studies and Research in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master in Arts, Institute of Islamic Studies, McGill University, Montreal: 1975.

ثالثاً: الاطاريح والرسائل الجامعية باللغة العربية:

١- دلال محمد سليمان السعيد، **الإمام تركي بن عبد الله آل سعود ١٨١٨ – ١٨٣٤م**، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية – جامعة أُم القرى: ١٩٩٦

٢- سناء ابراهيم جاسم التكريتي, **التوسع المصري في الجزيرة العربية ١٨١١ – ١٨٤٠**, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية – جامعة تكريت, ٢٠٠٣

٣- عطية مساهر العبيدي، **الأوضاع السياسية الداخلية في الاحساء ١٨٣٧ – ١٨١٣**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية – جامعة تكريت: ٢٠٠٤

٤- مهدي طالب هاشم, **الاباضية في المشرق العربي نشأتها وتطورها حتى القرن الثالث الهجري**, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب – جامعة بغداد: ١٩٧٧

٥- نذير جبار الهنداوي، **التطورات الداخلية والعلاقات الخارجية للدولة السعودية الثانية في عهد فيصل بن تركي ١٨٤٣ – ١٨٦٥**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة بغداد: ١٩٨٧

الهوامش:

(١) مضاوي الرشيد, **تاريخ العربية السعودية بين القديم والحديث**, ترجمة: عبد الاله النعيمي, ط٢, بيروت: دار الساقي, ٢٠٠٥, ص ٤٢– ٤٦.

(٢) دخل القواسم للتبعية الوهابية في عام ١٨٠٠م, بعد ثلاثة أعوام متوالية من الحملات العسكرية البرية التي بدأت منذ عام ١٧٩٧م, كان الهدف منها تحقيق سياسة خطت سابقاً للتوسع في المنطقة بأسرها, وعلى حساب القوى المحيطة بالسعوديين, بعد تنامي قوتهم السياسية والعسكرية. كما أرادوا الاستفادة من أُسطول القواسم البحري القوي لضرب عُمان، التي وقفت أمام مطامعهم التوسعية, وهي قوة لا يُستهان بها. وأسهمت الغارات القاسمية على السفن البريطانية في الخليج العربي والسواحل الهندية, الى جرّ بريطانيا الى ميدان الصراع, بعد أن التزموا ولوقت طويل بسياسة عدم التدخل في شؤون المنطقة الداخلية, ما دامت لا تهدد مصالحهم التجارية. للمزيد: ينظر صالح العابد, **دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ – ١٨٢٠**, مطبعة العاني, بغداد: ١٩٧٦, ص ١٣٤ – ١٤٦.

(٣) فائق حمدي طهبوب, **تاريخ البحرين السياسي ١٧٨٣ – ١٨٧٠**, الكويت: ١٩٨٣, ص ٧٦.

(٤) ابراهيم, عبد العزيز عبد الغني, **حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي دراسة وثائقية**, ط ١, الرياض: دار المريخ, ١٩٨١, ص ١١٣.

(٥) فؤاد سعيد العابد, **سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر**, الكويت: ١٩٨١, ص ٤٠؛ فائق طهبوب, المصدر السابق, ص ٧٦.

(٦) رأفت غنيمي الشيخ, **ارتباط النشاط المصري في الخليج العربي بالنشاط المصري في الحجاز ونجد**, اتحاد المؤرخين العرب– لجنة تدوين قطر, البحوث المقدمة الى مؤتمر دراسات تاريخ الجزيرة العربية, ج ٢, الدوحة: ١٩٧٦, ص ٨٤٨.

(٧) أول حملة أوعز الباب العالي بتجهيزها على الدولة السعودية الأُولى هي الحملة التي قادها ثويني بن عبدالله شيخ عشائر المنتفك ومتسلم البصرة عام ١٧٩٧, وسانده والي العراق بقوات نظامية. وصلت الحملة الى سواحل القطيف, وعلى الرغم من ضخامة التدابير الحربية العثمانية, الا ان الحملة فشلت إثر مقتل قائدها, ويعتقد انه حدث بتدبير آل سعود. وتراجعت قوات الحملة تاركة خلفها التجهيزات, التي استولى عليها سعود بن عبد العزيز (١٨٠٣ – ١٨١٤) دون أن تحقق الهدف المرجو منها. كما جهز والي بغداد سليمان باشا حملة أُخرى بعد تزايد الهجمات الوهابية على الحدود العراقية, أوكل قيادتها الى علي الكيخيا ١٧٩٨, وضمت العديد من القبائل المناهضة لآل سعود, ومن بينها بني خالد وشمر والعبيد والعقيل والظفير, لكن هذه الحملة لقيت مصير سابقتها, بعد أن اخفقت في الاستيلاء على قلعة الهفوف, واضطر قائدها الى عقد صلح مع السعوديين عام ١٧٩٩, لم يغير واقع النفوذ الوهابي المتزايد في المنطقة. ينظر: حسين خلف الشيخ خزعل, **تاريخ الكويت السياسي**, ج ١, بيروت: ١٩٦٢, ص ٦٢– ٦٥؛ احمد عبد الغفور عطار, **صقر الجزيرة**, ج ١, جدة: ١٩٤٦, ص ٦٦ – ٦٧.

([٨]) محمد كمال الدسوقي, **الدولة العثمانية والمسألة الشرقية**, دار الثقافة, القاهرة: ١٩٧٦, ص ١٠٤– ١١٩.

([٩]) رافت غنيمي الشيخ, المصدر السابق, ص ٨٤٨.

([١٠]) فائق طهبوب, المصدر السابق, ص ٨٧.

([١١]) سناء ابراهيم جاسم التكريتي, **التوسع المصري في الجزيرة العربية ١٨١١ – ١٨٤٠**, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية – جامعة تكريت, ٢٠٠٣, ص ١٧ – ٣٩.

([١٢]) رافت غنيمي الشيخ, المصدر السابق, ص ٨٤٩.

([١٣]) أمين سعيد, **تاريخ الدولة السعودية**, المجلد الاول, من محمد بن سعود الى عبد الرحمن الفيصل, الرياض, ١٩٧٢, ص ١٠٥.

([١٤]) المصدر نفسه, ص ١٠٧.

([١٥]) المصدر نفسه, ص ١٠٧.

([١٦]) جمال زكريا قاسم, **دولة البوسعيد في عُمان وشرق افريقيا منذ تأسيسها وحتى نهاية حكمها في زنجبار وبداية عهدها الجديد في عُمان (١٧٤١ – ١٩٧٠)**، الامارات: مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٠، ص ١١٠.

([١٧]) مقتبس في: أمين سعيد، المصدر السابق، ص ١٠٧.

([١٨]) رأفت غنيمي الشيخ، المصدر السابق، ص ٨٤٩ ؛ احمد عبد الغفور عطار، المصدر السابق، ص ٧٨ – ٧٩.

([١٩]) سناء التكريتي، المصدر السابق، ص ٥١ – ٥٢.

([٢٠]) نذير جبار الهنداوي، **التطورات الداخلية والعلاقات الخارجية للدولة السعودية الثانية في عهد فيصل بن تركي ١٨٤٣ – ١٨٦٥**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة بغداد: ١٩٨٧، ص ٢٠ – ٢٢.

([٢١]) أمين الريحاني, **تاريخ نجد وملحقاته**, ط ٥, بيروت: دار الكتاب العربي, ١٩٨١, ص ٨٩ – ٩٠.

([٢٢]) سناء التكريتي، المصدر السابق، ص ٧٥.

([٢٣]) دلال محمد سليمان السعيد، **الإمام تركي بن عبد الله آل سعود ١٨١٨ – ١٨٣٤م**، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية – جامعة أُم القرى: ١٩٩٦، ص ٧٣ – ٨٠.

([٢٤]) عطية مساهر العبيدي، **الأوضاع السياسية الداخلية في الاحساء ١٨٣٧ – ١٨١٣**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية – جامعة تكريت: ٢٠٠٤، ص ٢٤.

([٢٥]) علي محمد الصلابي، **الدولة السعودية عوامل النهوض والسقوط**, ط ١, دار المعرفة, بيروت: ٢٠٠٤, ص ٣٨.

([٢٦]) سناء التكريتي, المصدر السابق, ص ٧٥؛ فؤاد العابد, المصدر السابق, ص ١٢١؛ أمين سعيد, المصدر السابق, ص ١٠٨.

(٢٧) مقتبس في: عبد الله, محمد مرسي, **امارات الساحل وعُمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣ – ١٨١٨**, ج ١, المكتب المصري الحديث، القاهرة: ١٩٧٨, ص ١٧٧.

(٢٨) ابراهيم, عبد العزيز عبد الغني, **بريطانيا وامارات الساحل العماني, دراسة في العلاقات التعاهدية**, بغداد: مطبعة الارشاد, ١٩٧٨, ص ١٧٩ – ١٨٠.

(٢٩) صالح العابد, **دور القواسم**, ٢٩٩– ٣٠٦.

(4) Dubuisson, Patricia R., **Qasimi Piracy and the General Treaty of Peace (1820)**, A Theses Submitted to the Faculty of Graduate Studies and Research in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master in Arts, Institute of Islamic Studies, McGill University, Montreal: 1975, Pp. 39 – 40.

(٣١) فاسيليف، **تاريخ العربية السعودية**، ترجمة: خيري الضامن وجلال الماشطة، موسكو: دار التقدم، ١٩٨٦، ص ١٩٠.

(٣٢) بلجريف، تشارلس، **ساحل القراصنة**، ترجمة: عيسى أمين, ط ١, بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر, ٢٠٠٥, ص ١٥٣ – ١٥٦.

(٣٣) سادلير، جون فورستر، **رحلة الى الجزيرة العربية**، ترجمة: عيسى أمين، ط ١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥، ص ١٤ .

(٣٤) فاسيليف, **تاريخ العربية السعودية**, ص ١٩٠.

(٣٥) ليونوفيتش, ميخين فيكتور, **حلف القواسم وسياسة بريطانيا في الخليج العربي في القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر**، ترجمة: سمير نجم الدين سطاس، ط١، دبي: مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث, ص ٤١٥.

(٣٦) سادلير، جون فورستر، **رحلة الى الجزيرة العربية**، ص ١٥ – ٢١.

(2) Dubuisson, Patricia R., **Qasimi Piracy and the General Treaty of Peace (1820)**, Pp. 41 – 42.

(٣٨) فاسيليف، **تاريخ العربية السعودية**، ص ١٩٠.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ١٩١.

(٤٠) سناء التكريتي, المصدر السابق, ص ٧٧.

(٤١) سليم طه التكريتي, **المقاومة العربية في الخليج العربي**, بغداد: دار الرشيد للنشر, ١٩٨٢, ص ١١١.

(٤٢) العابد, **دور القواسم**, ص ٣٠٨ – ٣١٠. بينما أشار جون كيلي إلى أن مجموع أفراد الحملة بلغ (١٠,٤٥٣), ٢٥٢.

(٤٣) ابراهيم, عبد العزيز عبد الغني, **علاقة ساحل عُمان ببريطانيا دراسة وثائقية**, دارة الملك عبد العزيز، الرياض: ١٩٨٢, ص ١٨٠ – ١٨٢.

([٤٤]) طهبوب, المصدر السابق, ٩٤ – ٩٥.

([٤٥]) أبو ياسين, سمير محمد, **العلاقات العمانية – البريطانية ١٧٩٨ – ١٨٥٦**, ط ١, البصرة: ١٩٨١, ص ١٦١.

([٤٦]) فاسيليف، **تاريخ العربية السعودية**، ص ١١٦.

([٤٧]) فؤاد العابد, المصدر السابق, ص ١٢٠.

([٤٨]) عطية العبيدي, المصدر السابق, ص ٢٤.

([٤٩]) فاسيليف, **تاريخ العربية السعودية**, ص ١١٦.

([٥٠]) عبدالله الصالح العثيمين، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، الجزء الأول، الطبعة الثامنة عشر، شركة العبيكان للتعليم، الرياض: ٢٠١٨، ص ١٨٤ .

([٥١]) دلال محمد سليمان السعيد، **الإمام تركي بن عبد الله آل سعود، ص ٨٤ – ٨٥.**

([٥٢]) سناء التكريتي, المصدر السابق, ص ٧٩ – ٨٠.

([٥٣]) عبدالله الصالح العثيمين، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، ص ١٨٥.

([٥٤]) المصدر نفسه، ص ١٨٦.

([٥٥]) دلال محمد سليمان السعيد، **الإمام تركي بن عبد الله آل سعود**، ص ٩٥ – ٩٦.

([٥٦]) تباينت الآراء حول كون تركي بن عبدالله من ضمن أُمراء آل سعود الذين أُسروا ونقلوا الى القاهرة, قُتل ابنه فهد خلال حصار الدرعية، ويذكر أحمد عطار في **صقر الجزيرة**, ص ٨٥. ان تركي ظل متنقلاً في نجد هرباً من ابراهيم باشا لئلا يقتله أو ينفيه كآل سعود, مما يعني انه لم يقع بيد القوات المصرية، ويتفق معه بهذا الرأي أمين سعيد, المصدر السابق, ص ١٣٣. في حين ان فاسيليف, **تاريخ العربية السعودية**، ص ١٩٢ – ١٩٣, يذكر ان تركي بن عبدالله تمكن من الهرب من المصريين عام ١٨٢٠. وهناك من رأى ان تركي نجح في الفرار من الدرعية وسار قاصداً آل شامر من عربان يام من العجمان، وأقام عندهم وتزوج من ابنة رئيسهم غيدان بن جازع، فولدت له ولداً سماه جلوي. ينظر: دلال محمد سليمان السعيد، **الإمام تركي بن عبد الله آل سعود**، ص ١٠٧.

([٥٧]) فائق طهبوب, المصدر السابق, ص ٩٠ – ٩١؛ سيد محمد ابراهيم وحسن سليمان محمود, **تاريخ المملكة العربية السعودية**, ط ٤, الرياض, ١٩٦٦, ص ٩٠ – ٩١.

([٥٨]) فاسيليف, **تاريخ العربية السعودية**, ص ١٩٤ ؛ أمين سعيد, **تاريخ الدولة السعودية**, ص ١٣٤ – ١٣٥.

([٥٩]) عبدالله الصالح العثيمين، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، ص ١٨٧.

([٦٠]) دلال محمد سليمان السعيد، **الإمام تركي بن عبد الله**، ص ١٢٦ – ١٢٧.

([٦١]) سناء التكريتي, المصدر السابق, ص ٨١.

([٦٢]) فالح حنظل، **المفصل في تاريخ الامارات العربية المتحدة**، ج ١، أبو ظبي: لجنة التراث والتاريخ, ١٩٨٣، ص ٤٥٢.

([٦٣]) **الموسوعة العربية العالمية** – المجلد العاشر – الطبعة الثانية، من تأليف مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٩٩٩، ص ٤٨٧ – ٤٨٨.

([٦٤]) عبدالله الصالح العثيمين، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، ص ١٨٨ – ١٩٠.

([٦٥]) احمد عبد الغفور عطار, المصدر السابق, ص ٨٥؛ سناء التكريتي, المصدر السابق, ص ٨١.

([٦٦]) محمد عبد الله المانع، **توحيد المملكة العربية السعودية**، ترجمة: عبد الله الصالح العثيمين، الرياض: ١٤٠١هـ، ص ٢٦٣.

([٦٧]) ابراهيم بن صالح بن عيسى, **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد**, ط١, الرياض: ١٩٦٦, ص ٥٥.

([٦٨]) معركة نافارين البحرية: وقعت في العشرين من تشرين الأول عام ١٨٧٢م, وهي من أشهر المعارك البحرية التي خاضها الاسطول المصري بقيادة ابراهيم باشا, الذي ارسله السلطان محمود الثاني اثناء حرب استقلال اليونان، لمواجهة اسطول الحلفاء الذي ضم بريطانيا وفرنسا وروسيا, وانكسر خلالها الاسطول المصري – العثماني المشترك بعد مواجهة عنيفة, إذ تحطمت أغلب سفنه وغرقت في البحر, وكان السلطان آنذاك يواجه مشكلة اخرى, تمثلت بقضائه على تمرد الانكشارية. للمزيد ينظر: محمد كمال الدسوقي, المصدر السابق, ص ١٤٧ – ١٤٨؛ سناء التكريتي, المصدر السابق, ص ٨٤.

([٦٩]) دلال محمد سليمان السعيد، **الإمام تركي بن عبد الله**، ص ١٥١ – ١٥٨.

([٧٠]) المصدر نفسه، ص ١٥٩ – ١٦٦.

([٧١]) محمد عبد الله المانع، **توحيد المملكة العربية السعودية**، ص ٢٦٤ – ٢٦٥.

([٧٢]) نذير جبار الهنداوي، المصدر السابق, ص ٢٣.

([٧٣]) دلال محمد سليمان السعيد، **الإمام تركي بن عبد الله**، ص ٢٣٨ – ٢٤٠..

([٧٤]) فاسيليف, **تاريخ العربية السعودية**, ص ١٩٥.

([٧٥]) عطية العبيدي, المصدر السابق, ٢٩ – ٣٠.

([٧٦]) نذير جبار الهنداوي, المصدر السابق, ص ٢٤.

([٧٧]) فائق طهبوب, المصدر السابق, ص ١٣٠.

([٧٨]) المصدر نفسه, ص ١٣١ – ١٣٢.

([٧٩]) المصدر نفسه, ص ١٣٢ ؛ عطية العبيدي, المصدر السابق, ص ٣٣.

([٨٠]) فائق طهبوب, المصدر السابق, ص ١٣٤؛ فاسيليف, **تاريخ العربية السعودية**, ص ١٩٩ – ٢٠٠.

([٨١]) دخلت الاباضية عُمان بفضل الدعاة وحملة العلم, الذين تتلمذوا في مدارس البصرة, منذ النصف الثاني من القرن الأول الهجري, ونجحت بتأسيس أول دولة اباضية, كان أول ائمتها الجلندي بن مسعود عام ١٣٢هـ – ٧٤٨م, قائمة على ما يعرف عند علمائها بإمامه الظهور. وسارت دون انقطاع باستثناء فترات احتجبت فيها, ولاسيما خلال عهد النباهنة. وعادت للظهور بقوة عندما بعثت من جديد في عهد أول أئمة اليعاربة ناصر بن مرشد عام ١٦٢٤م. وظل المذهب الأباضي المحرك الأساس لتاريخ عُمان حتى يومنا الحاضر. للمزيد

ينظر: مهدي طالب هاشم, **الاباضية في المشرق العربي نشأتها وتطورها حتى القرن الثالث الهجري**, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب – جامعة بغداد: ١٩٧٧؛ نغم طالب عبدالله, **عُمان في عهد بني نبهان (العهد النبهاني المتأخر)** مجلة الاستاذ, كلية التربية – ابن رشد للعلوم الانسانية, العدد ٧٠, ٢٠٠٨.

(٨٢) تمكن الوهابيون بعد حملات عسكرية عديدة استمرت من عام ١٧٩٧ – ١٨٠٠م من اخضاع القواسم لسلطتهم السياسية, وباعتناق المذهب الوهابي أصبح القواسم بقوتهم البحرية اقوى حلفاء آل سعود, وظلوا مخلصين لعقيدتهم التي ألهمت نشاطهم البحري, وازدادت حدة هجماتهم ضد من يخالفهم, ولاسيما البريطانيين والعُمانيين. ينظر : صالح العابد, **دور القواسم**, ص ١٣٤ – ١٣٧ .

(٨٣) نذير جبار الهنداوي, المصدر السابق, ص ٨٧ – ٨٨.

(٨٤) مقتبس في: علي عفيفي غازي، **الجزيرة العربية والعراق في استراتيجية محمد علي**، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ببيروت: ٢٠١٦، ص ١٠٦.

(٨٥) محمد صادق محمد إسماعيل، **دور المملكة العربية السعودية في العالم الإسلامي**، الطبعة الاولى، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة: ٢٠١٠، ص ٢٠ – ٢١.

(٨٦) لوريمر، ج.ج. **دليل الخليج، القسم التاريخي**، ج ٢، ترجمة: مكتب الترجمة بديوان أمير قطر، الدوحة: د.ت، ص ١٠٤٥ – ١٠٤٧

(٨٧) علي عفيفي غازي، **الجزيرة العربية والعراق في استراتيجية محمد علي**، ص ١٠٧– ١١٠.

(٨٨) المصدر نفسه، ص ١١١

(٨٩) المصدر نفسه، ص ١١٢ – ١١٣.

(٩٠) أمين سعيد, المصدر السابق, ص ١٤٣.

(٩١) منير العجلاني، **الإمام تركي بن عبدالله، بطل نجد ومحررها ومؤسس الدولة السعودية الثانية**، الجزء الخامس، منشورات دار الشبل للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض: ١٩٩٠، ص ١٩٩.

(٩٢) مقتبس في: المصدر نفسه، ص ٢٠٠ – ٢٠١.

(٩٣) مقتبس في : المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

التحولات الإقتصادية في إنكلترا خلال عهد الملك ريتشارد الثاني

(١٣٧٧- ١٣٩٩)

Economic Transformations in England during the Reign of King Richard II (1377–1399)

سجى جمهوري حميد

saja.hameed1704b@coeduw.uobaghdad.edu.iq

أ.م.د ابتسام سلمان سعيد

ibtessam.said@coeduw.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد _ كلية التربية للبنات _ قسم التاريخ

التحولات الإقتصادية في إنكلترا خلال عهد الملك ريتشارد الثاني(١٣٧٧- ١٣٩٩)

سجى جمهوري حميد

أ.م.د. ابتسام سلمان سعيد

الملخص :

تناقش هذه الدراسة التحولات الاقتصادية التي شهدتها إنكلترا خلال عهد الملك ريتشارد الثاني (١٣٧٧–١٣٩٩)، بوصفه مرحلة مفصلية في إعادة تشكيل الاقتصاد الإنكليزي في أواخر العصور الوسطى. فقد تزامنت هذه المدة مع انخفاض ملموس في أسعار الحبوب والمنتجات الزراعية، مقابل ارتفاع مستمر في الأجور الاسمية والحقيقية، إلى جانب توسّع ملحوظ في الاقتصاد الرعوي، ولا سيما تربية الأغنام وتجارة الصوف، فضلًا عن تنامي قطاعات الصناعة، خاصة النسيج والتعدين.

تنطلق الدراسة من إشكالية مركزية تتمثل في التساؤل عمّا إذا كانت هذه التحولات تعكس استجابة ظرفية للصدمة الديموغرافية والمناخية التي أعقبت وباء الموت الأسود، أم أنها تمثّل تحوّلًا بنيويًا أعمق في أسس الاقتصاد الإقطاعي التقليدي. وتجادل الدراسة بأن هذه التغيرات لم تكن مؤقتة، بل أسهمت في ترسيخ مسار اقتصادي جديد اتسم بمرونة أكبر، وبروز أوضح لاقتصاد السوق والعمل المأجور.

تعتمد الدراسة منهجًا كميًا مدعومًا بالتحليل البنيوي التاريخي، من خلال تتبع مؤشرات الأسعار والأجور وتحليل التحولات القطاعية في الزراعة والرعي والصناعة. وتخلص إلى أن عهد ريتشارد الثاني شكّل نقطة انعطاف اقتصادية حقيقية، أعادت تشكيل العلاقات الإنتاجية وأنماط الاستهلاك والتبادل، وأسهمت في تقويض بعض ركائز الاقتصاد الإقطاعي، ممهّدةً لتحولات اقتصادية أوسع في أواخر العصور الوسطى وبدايات العصر الحديث المبكر.

الكلمات المفتاحية (إنكلترا، الموت الأسود، الإقطاع، الأجور والأسعار، ريتشارد الثاني)

Abstract

This study examines the economic transformations that happened in England during the reign of King Richard II (1377–1399), treating

this period as a pivotal phase in the reconfiguration of the English economy in the later medieval. That era coincided with a marked decline in the prices of grain and agricultural produce, alongside a sustained rise in both nominal and real wages. It also witnessed a notable expansion of the pastoral economy—particularly sheep farming and the wool trade—as well as growth in industrial sectors, especially textiles and mining.

The study is grounded in a central research problem that asks whether these changes merely represented a short-term response to the demographic and climatic shocks that followed the Black Death, or whether they reflected a deeper structural transformation in the foundations of the traditional feudal economy. It argues that these developments were not temporary, but rather contributed to the consolidation of a new economic trajectory characterised by greater flexibility, a more pronounced role for market mechanisms, and the expanding importance of wage labour.

Methodologically, the study adopts a quantitative approach supported by historical structural analysis, tracing trends in prices and wages and examining sectoral changes in agriculture, pastoralism, and industry. It concludes that the reign of Richard II constituted a genuine economic turning point, reshaping productive relations as well as patterns of consumption and exchange, undermining key pillars of the feudal economy, and paving the way for broader economic transformations in the later medieval and the early modern period.

Key words (England, The Black Death, feudalism, wages and prices**,** Richard II**)**

المقدمة

كانت إنكلترا خلال عهد الملك ريتشارد الثاني (١٣٧٧–١٣٩٩) مسرحًا لتحولات اقتصادية لافتة، تجلّت في الانخفاض الحاد لأسعار المنتجات الزراعية، ولا سيما الحبوب، بالتوازي مع ارتفاع ملحوظ في أجور العمل. كما شهد الاقتصاد الرعوي نموًا متزايدًا، لاسيما في قطاع تربية المواشي، وعلى وجه الخصوص الأغنام، وهو ما عزّز بدوره من توسّع تجارة الصوف، التي شكّلت أحد أعمدة الاقتصاد الإنكليزي في أواخر العصور الوسطى. وفي

الوقت نفسه، عرفت الصناعة تحسنًا ملموسًا بفضل توسّع صناعة المنسوجات، إلى جانب نمو قطاعات التعدين والصناعات المعدنية، وتُعد تلك المؤشرات دالة على بداية تحوّل اقتصادي.

تنطلق الدراسة من إشكالية محورية وهي: إلى أي مدى يمكن اعتبار التحولات الاقتصادية في عهد ريتشارد الثاني تحوّلًا بنيويًا في بنية الاقتصاد في إنكلترا، وهل كانت استجابة ظرفية ومؤقتة لأزمات سكانية ومناخية عابرة؟ يفترض هذه المبحث أن تلك التغيرات لم تكن مجرد نتائج قصيرة الأمد، بل مثّلت بداية مسار تدريجي نحو تفكك الاقتصاد الإقطاعي التقليدي، لصالح أنماط أكثر مرونة ترتكز على السوق والعمل المأجور.

وبناءً على ذلك، يسعى المبحث إلى الإجابة عن سؤالين جوهريين: ما طبيعة التحولات الاقتصادية التي شهدتها إنكلترا خلال عهد ريتشارد الثاني، وما جذورها البنيوية؟ وكيف أسهمت تلك التحولات في إعادة تشكيل التجارة الإنكليزية في أواخر العصور الوسطى؟

يهدف هذه المبحث الى إبراز السياق التاريخي للتحولات الاقتصادية في إنكلترا أواخر القرن الرابع عشر، عبر توضيح العلاقة بين الأزمات الديموغرافية والمناخية من جهة، والتغيرات الهيكلية في قطاعات الزراعة، والرعي، والصناعة من جهة أخرى، كما تسعى إلى تقييم ما إذا كان عهد ريتشارد الثاني قد شكّل فعلًا نقطة تحوّل في مسار الاقتصاد الوسيط نحو أنماط أكثر انفتاحًا ومرونة.

أولًا: الكساد الزراعي (تراجع الأسعار وتحول نمط الإنتاج التقليدي)

مثّلت تداعيات وباء الموت الأسود[١](The Black Death) ، منتصف القرن الرابع عشر نقطة تحوّل حاسمة في بنية الاقتصاد الزراعي في إنكلترا، وقد شهد عهد ريتشارد الثاني (١٣٧٧–١٣٩٩) ذروة تلك التحولات، لاسيما من حيث الانخفاض الحاد في أسعار الحبوب وتبدّل أنماط الإنتاج الزراعي[٢].

يهدف هذا المبحث إلى تحليل العوامل المناخية والديموغرافية والبنيوية التي أسهمت في ذلك التحوّل، من خلال دمج المنهج الكمي مع تحليل الأطر الاجتماعية والاقتصادية المصاحبة. من أجل تسليط الضوء على طبيعة الأزمة الزراعية خلال تلك

المدة، وقياس مدى تأثيرها واتساع نطاقها، سيتم اعتماد المنهج الكمي، من خلال تحليل جدول بياني يوضح مؤشرات أسعار الحبوب والمنتجات الحيوانية، إلى جانب مؤشري الأجور الفعلية[٣] والاسمية[٤]، يهدف التحليل إلى تتبع التحولات التي طرأت على مستويات الأسعار والأجور خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر، وبشكل خاص في الربع الأخير منه.

بعد عرض المؤشرات الكمية، سيتم التعمق في تفسير تلك التحولات من خلال تحليل العوامل الاقتصادية والديموغرافية والسياسية التي أسهمت في نشوء الأزمة، مع التركيز على انعكاساتها الداخلية في بنية الإنتاج الزراعي والعلاقات الاجتماعية في الريف الإنكليزي.

الجدول رقم (١) مؤشر أسعار الحبوب والمنتجات الحيوانية وأجور العمال[5].

السنوات	مؤشر أسعار الحبوب	مؤشر أسعار منتجات اللحوم والالبان	مؤشر الأجور الاسمية للعمال	مؤشر الأجور الحقيقية للعمال
١٣٧١_١٣٧٥	١٣٤	١٠٧	٧٢	٦٠
١٣٧٦_١٣٨٠	٩٦	١٠٥	٧٤	٦٩
١٣٨٦_١٣٩٠	٨٣	٩٧	٧٢	٧٥
١٣٩١_١٣٩٥	٩٧	٧٣	٧٢	٧٤
١٣٩٦_١٤٠٠	١٠٥	١٠١	٧٧	٧٠

تُظهر البيانات الواردة في الجدول أعلاه تراجعًا ملحوظًا في مؤشر أسعار الحبوب، بما في ذلك القمح والشعير وغيرها من المحاصيل الأساسية، فقد سجّلت المدة الممتدة بين عامي ١٣٧٦ و١٣٨٠ انخفاضًا نسبته ٢٨ .٣٦% مقارنة بالسنوات ١٣٧١–١٣٧٥، واستمر المنحى التراجعي بشكل واضح خلال الأعوام ١٣٨٦–١٣٩٠، ليصل إلى ٣٨% قياسًا ببداية العقد السابع من القرن الرابع عشر، كما حافظت الأسعار على انخفاضها في المدة ١٣٩٠–١٣٩٥ بنسبة ٢٧ .٦١% مقارنة بعام ١٣٧٠، غير أنّ السنوات الخمس الأخيرة من القرن شهدت تحسنًا طفيفًا، إذ ارتفعت أسعار الحبوب بنسبة ٢١. ٦٤% عن مستوياتها في مطلع العقد السابع من القرن نفسه[٦].

تشير البيانات بوضوح إلى أن أسعار الحبوب والمحاصيل الرئيسة شهدت خلال العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر انخفاضًا حادًا ومتقلبًا، ما يثير تساؤلًا حول العوامل الاقتصادية والبيئية والمؤسساتية التي أدّت إلى هذا التراجع الملحوظ بعد عام ١٣٧٦، وكيف انعكس على الاقتصاد الزراعي والمالي في إنكلترا.

إنّ تحليل الظاهرة يُعدّ ضروريًا لفهم طبيعة التفاعلات الاقتصادية والاجتماعية التي أعقبت وباء الموت الأسود، وساهمت في تشكيل بنية الاقتصاد الريفي في تلك المرحلة المهمة من التاريخ الإنكليزي. لا شك أن التراجع الحاد في الأسعار الزراعية خلال العقود التي أعقبت تفشي الموت الأسود لم يكن نتيجة عامل منفرد، بل كان حصيلة تفاعل مجموعة من العوامل الاقتصادية والديموغرافية التي حاول المؤرخون تفسيرها من زوايا متعددة، ويُعد أبرز تلك العوامل الانخفاض الكبير في عدد السكان، والذي أدى بدوره إلى انخفاض الطلب على المنتجات الزراعية، في مقابل استمرار أو حتى فائض في الإنتاج، ما أدى إلى اختلال التوازن بين العرض والطلب، وبالتالي انخفاض الأسعار بشكل ملحوظ(٧).

في هذا السياق، يشير المؤرخ مارك بيلي (Mark Bailey) إلى أن أحد المحركات الأساسية لذلك التراجع السعري كان التراجع الديموغرافي الحاد، فقد أدت الموجة الأولى من الطاعون إلى وفاة ما يقرب من ٣٥% من السكان، بينما ساهمت الموجات اللاحقة، التي وقعت أعوام ١٣٦١–١٣٦٢، ١٣٦٩، و١٣٧١، في تعميق ذلك الانخفاض السكاني، لدرجة أن عدد السكان انخفض بنحو ٥٠% بحلول منتصف سبعينيات القرن الرابع عشر(٨).

في الإطار التفسيري ذاته، يتبنى المؤرخ الاقتصادي بروس كامبل، الطرح نفسه، مؤكدًا أن الانخفاض الحاد في الأسعار الزراعية كان مرتبطًا مباشرة بالأثر الديموغرافي المدمر الذي خلّفه الطاعون، فقد ألقى كامبل باللائمة على الصدمة الديموغرافية المتكررة الناتجة عن الموت الأسود، مشيرًا إلى أن: **"الموت الأسود وتفشيه المتكرر سبّبا صدمة ديموغرافية هائلة، استنزفت الاقتصاد ببطء من خلال منع أي انتعاش سكاني أو استقرار في الطلب. لقد أدت الموجات المتعاقبة للوباء، على مدى ثلاثين عامًا، إلى تقليص الطلب على الحبوب، وبالتالي ساهمت في انخفاض أسعارها"**(٩).

تزامن الانخفاض في عدد السكان مع تحسن كبير في إنتاجية المنتجات الزراعية بعد عام ١٣٧٥، ويُعزى ذلك إلى تحسّن المناخ ووفرة الأمطار وانتظامها، عقب مدة طويلة من التقلبات المناخية وسوء الأحوال الجوية، وقد ساهم التحسن في رفع إنتاجية الأراضي الزراعية، لاسيما في المحاصيل الحقلية مثل الحبوب، مما أدى إلى فائض في الإنتاج، ونتيجة لتراجع الطلب بسبب انخفاض عدد السكان، شهدت الأسواق انخفاضًا في الأسعار، إذ لم تعد قادرة على استيعاب الكميات المتزايدة من المحاصيل(١٠).

من المهم الإشارة إلى أن التحسن الزراعي الذي شهدته إنكلترا بعد عام ١٣٧٥ سبقه فصل طويل من الاضطرابات المناخية، التي أثّرت بصورة مباشرة في قدرة الأراضي على الإنتاج. فقد تزامنت الموجة الأولى من الطاعون (١٣٤٨–١٣٤٩) مع مدة اتسمت ببرودة ورطوبة واضحة، أدّت إلى تراجع نمو المحاصيل، وخاصة الحبوب التي كانت العمود الفقري للاقتصاد الزراعي في ذلك الوقت(١١).

أسهمت تلك الظروف، إلى جانب الوفيات الجماعية الناجمة عن الطاعون، في فشل موسم الحصاد لعام ١٣٤٩ بشكل كارثي، وتشير الأدلة المناخية إلى أن موسمي ١٣٥٠ و١٣٥١ لم يكونا أفضل حالًا، بل كانا من أسوأ الأعوام مناخيًا من حيث البرودة المفرطة وكثرة الأمطار، مما أدى إلى تكرار فشل الحصاد(١٢).

وقد استمرت المرحلة المناخية القاسية – التي غلبت عليها البرودة والرطوبة والعواصف لما يقارب عقدين، مما أعاق عودة الإنتاج الزراعي إلى مستويات ما قبل وباء الموت الأسود. لكن منذ منتصف سبعينيات القرن الرابع عشر، بدأت الظروف المناخية تميل تدريجيًا نحو الدفء، الأمر الذي انعكس إيجابًا على نمو المحاصيل وتحسن الإنتاج الزراعي في إنكلترا وأوروبا الغربية عمومًا، واستمر ذلك التحسن لما يقارب عقدين، وأسهم في زيادة إنتاجية الحبوب ووفرة المحاصيل في وقت لم يكن فيه الطلب قد تعافى بعد، نتيجة التراجع السكاني(١٣).

كانت السنوات ١٣٧٦ و١٣٧٧ و١٣٧٨ من اكثر الفترات التي شهدت انتاجًا وفيرًا من القمح والشعير والشوفان، ويبدو أن عوائد تلك السنوات كانت أكثر إثارة للاهتمام عند مقارنتها بالإنتاج المنخفض المستمر في الحقب الأخرى، إذ كانت من بين أكثر السنوات

سخاءً على الإطلاق، تليها عن كثب المدة ١٣٨٦–١٣٨٨، وقد استمر الإنتاج الوفير للقمح والشعير طوال خمسينيات وستينيات القرن الرابع عشر[١٤].

فضلًا عن ذلك، لاحظ بعض المؤرخين أن تحسّن الأحوال المناخية بعد عام ١٣٧٦ أسهم في تراجع تأثير الأوبئة الزراعية التي كانت تؤثر سلبًا على الزراعة في الحقب السابقة، ولا سيما تلك المرتبطة بالأمراض الفطرية التي كانت تُصيب محاصيل الحبوب وتؤدي إلى انخفاض إنتاجيتها. على سبيل المثال، سُجّل في عام ١٣٦٦ انخفاض كبير في إنتاج القمح في مزرعة كنيسة المسيح في ميرشام(Christ Church manor in Mersham)، حيث أشار المسؤول المحلي إلى أن السبب يعود إلى انتشار واسع للعفن الفطري (fungal blight)كما سجلت قصور أخرى تابعة للكنيسة عوائد منخفضة في العام نفسه، يُحتمل أنها كانت نتيجة الظروف المرضية ذاتها، وفي عام ١٣٦٧، تعذّر جني محصول الفاصولياء بسبب ضعف النمو، كما تعرّض محصول القمح للتلف بسبب العفن، وقد استمر ضعف الإنتاج في ميرشام خلال تلك المدة بسبب استمرار انتشار الأمراض الفطرية، وخلال أوائل ستينيات القرن الرابع عشر، أصبح العفن الفطري ظاهرة مستوطنة في مقاطعة كينت، حيث تم توثيقه سنويًا تقريبًا في عدد من العقارات التابعة للكنيسة بين عامي ١٣٦٠ و١٣٦٥. ومع ذلك، بدأت حدة الأوبئة الزراعية بالانخفاض تدريجيًا في السنوات اللاحقة، مما ساعد على تحسن إنتاج الحبوب وزيادة كميتها المعروضة في الأسواق[١٥].

من العوامل الأخرى التي ساهمت في تراجع أسعار المنتجات الزراعية بعد عام ١٣٧٦، التحول في نمط الإنتاج الزراعي عقب وباء الموت الأسود، فقد عمد العديد من ملاك الأراضي إلى تفضيل زراعة الحبوب على البقوليات، نظرًا إلى أن الحبوب تتطلب أيدي عاملة أقل، في ظل النقص الكبير في اليد العاملة الناتج عن الوباء، وقد أدى ذلك التحول إلى توسيع المساحات المزروعة بالحبوب، مما أسفر عن وفرة ملحوظة في كمياتها، وساهم بالتالي في انخفاض أسعارها[١٦].

تشير الأدلة الوثائقية إلى حدوث انتعاش واسع النطاق ومستدام في إنتاج الحبوب من قبل الفلاحين خلال ستينيات القرن الرابع عشر، بلغ ذروته في أوائل سبعينيات القرن ذاته، فعلى سبيل المثال، في قرية فيرينغ (Fearing) الواقعة في مقاطعة إسكس، انخفض إنتاج

الحبوب بين عامي ١٣٤٨ و١٣٥٥ بنسبة تقارب الثلث مقارنة بالمستويات المسجلة خلال المدة ١٣٣١-١٣٤٧، غير أنه بحلول المدة ١٣٦٧-١٣٧٢، تعافى الإنتاج ليصل إلى ما نسبته ١١% فوق مستوى ما قبل الطاعون. وبالمثل، في كينغستون (Kingston) في مقاطعة سوفولك، عاد إنتاج الحبوب إلى مستوياته السابقة للوباء بحلول عامي ١٣٧٤-١٣٧٥، أما في مقاطعة دورهام (Durham)، فقد بلغ إنتاج الحبوب ذروته في مرحلة ما بعد الطاعون خلال أوائل سبعينيات القرن الرابع عشر[١٧].

إلى جانب ذلك، توجد مؤشرات قوية على أن ملاك الأراضي بدأوا بالفعل في توسيع رقعة الأراضي الزراعية قبل عام ١٣٨٠، فقد شهدت ستينيات القرن الرابع عشر زيادة ملحوظة في إقبال الفلاحين المالكين على استغلال الأراضي الصالحة للزراعة، وتكوين حيازات زراعية أكبر، فعلى سبيل المثال، في عام ١٣٦٥، كانت نسبة الأراضي العرفية (customary land) المهجورة تتراوح بين ١٦% و٢٥% في أربعة عقارات تقع في مقاطعة ديربيشاير (Derbyshire)، ولكن بحلول عام ١٣٧٥، تم استصلاح الأراضي بالكامل في ثلاثة من تلك العقارات، بينما ظل فقط ١١% من الأراضي غير مأهولة في العقار الرابع، كما سُجّلت زيادة في عدد المستأجرين الذين امتلكوا أكثر من قطعة أرض واحدة في مناطق مثل شرق ميدلاندز (East Midlands) وعقار أسقف وينشستر (Estate of the Bishop of Winchester)، وفي أوائل سبعينيات القرن الرابع عشر، ارتفع متوسط حجم الحيازة الزراعية بنسبة لا تقل عن ٢٧% مقارنة بما كانت عليه في أربعينيات القرن، وقد بلغ النمو في بعض الحالات ٨٣%، ويُشير ذلك بوضوح إلى أن الفلاحين تمكنوا من توسيع حيازاتهم الزراعية، وهو ما ساهم بدوره في زيادة إنتاج الحبوب[١٨].

إلى جانب ذلك، شكّلت التغيرات في أنماط حيازة الأراضي عاملًا مهمًا أسهم في تحسين إنتاج الحبوب وزيادة المعروض منها، وهو ما انعكس في انخفاض أسعارها خلال الربع الأخير من القرن الرابع عشر. فقد أدت تداعيات الموت الأسود إلى نقص حاد في اليد العاملة الزراعية، الأمر الذي فرض تحديات على كبار ملاك الأراضي، ودفع الكثير منهم إلى التخلي عن أسلوب الإدارة المباشرة لأراضيهم الزراعية. وبدلًا من ذلك، لجأ هؤلاء الملاك إلى تأجير أراضيهم لفلاحين أثرياء أو لمزارعين مستقلين من ذوي الحيازات الصغيرة، والذين

كثّفوا استغلال تلك الأراضي بهدف تحقيق عوائد اقتصادية، وعلى الرغم من أن بعض الملاك اعتبروا التأجير حلًا مؤقتًا، فإن الاتجاه السائد كان يميل تدريجيًا نحو نظام التأجير كخيار دائم، وقد أسهمت تلك التحولات في توسيع نطاق زراعة المحاصيل الحقلية، ولاسيما الحبوب، مما أدى بدوره إلى وفرة في الإنتاج وساهم جزئيًا في انخفاض الأسعار[١٩].

في ضوء ما سبق، يتضح أن مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية، والتي ترجع معظمها إلى النصف الثاني من القرن الرابع عشر عقب وباء الموت الأسود، قد أسهمت بشكل مباشر في زيادة وفرة الحبوب، ونتيجة لذلك، شهدت الأسواق فائضًا في المعروض من الحبوب بعد عام ١٣٧٥، مما أدى بدوره إلى انخفاض تدريجي في أسعارها.

ثانياً: ازدهار الاقتصاد الرعوي وتربية الحيوانات

لم تقتصر التغيرات السعرية على الحبوب فحسب، بل شملت أيضًا المنتجات الحيوانية كاللحوم والألبان. وتشير بيانات الجدول (١) إلى أن أسعار المنتجات شهدت تراجعًا طفيفًا بنسبة نحو ١,٩% خلال المدة ١٣٧٦–١٣٨٠، وهو انخفاض أقل حدة من تراجع أسعار الحبوب الذي بلغ قرابة ٢٨%، واستمر الاتجاه النزولي خلال العقدين التاليين، إذ انخفضت الأسعار بنسبة ٧,٦% بين ١٣٨٠ و١٣٩٠، ثم تراجع أشد بنحو ٢٤ .٧% في المدة ١٣٩١–١٣٩٥، ما يعكس اضطراب السوق الزراعية بعد الأزمات الديموغرافية والاقتصادية. غير أن الأسعار أظهرت تعافيًا ملحوظًا في أواخر القرن الرابع عشر، إذ ارتفع المؤشر إلى ١٠١ خلال المدة ١٣٩٦–١٤٠٠، مما يشير إلى بداية مرحلة استقرار نسبي في السوق الحيوانية والزراعية على حد سواء [٢٠].

لكن لماذا كان التراجع في أسعار المنتجات الحيوانية أقل حدة مقارنة بأسعار الحبوب؟ يبدو أن هناك عوامل عدة وراء ذلك، من أبرزها أن الطلب على المنتجات الحيوانية لم يتراجع بنفس الوتيرة التي شهدتها أسعار الحبوب، إذ ظل الطلب على اللحوم والألبان ثابتًا، سواء للاستهلاك المحلي أو التبادل التجاري، قد يعود ذلك جزئيًا إلى تحسن القدرة الشرائية للفلاحين، نتيجة لزيادة الأجور الاسمية للعمال، مما أدى إلى رفع مستوى معيشتهم واستهلاكهم الغذائي، ذلك التحسن سمح للفلاحين باستهلاك كميات أكبر من اللحوم، وفي

هذا السياق، أشار الباحث كريستوفر داير، إلى أن الفلاحين في العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر بدأوا يستهلكون كميات أكبر من اللحوم(٢١).

فضلاً عن ذلك، تشير الأدلة التاريخية إلى أن الثروة الحيوانية في ستينيات وسبعينيات القرن الرابع عشر تأثرت بتراجع في كميات إنتاجها نتيجة للأوبئة والأمراض التي أصابتها، مما أدى إلى انخفاض كبير في أعداد الأغنام والأبقار، ذلك التراجع في المعروض من المنتجات الحيوانية أسهم في استقرار أسعارها نسبيًا مقارنةً بأسعار المحاصيل الزراعية، التي شهدت زيادة في الإنتاج على سبيل المثال، بحلول أواخر سبعينيات القرن الرابع عشر، تعرضت بعض المناطق لوباء أثر على الماشية، مما أدى إلى انخفاض أعدادها بشكل ملحوظ، ففي قصر دير رامزي (Ramsey Abbey) في ووربويز (Warboys)، انخفض عدد الأبقار من ٢٨ بقرة في عام ١٣٦٣ إلى ٩ فقط بحلول عام ١٣٧٤، ولم يُستعاد القطيع حتى عام ١٣٩٣، كما اختفى قطيع البقر بالكامل من قصر كنيسة المسيح في تشارتهام (Chatham) وإيست فارلي (East Farley)، وفي قصر آخر، تقلص عدد الأبقار من ٣٤ بقرة في عام ١٣٧٢ إلى ١٦ فقط بحلول عام ١٣٧٨(٢٢).

مع زيادة معدلات وفيات الماشية، وفي ظل تلك الظروف، جاء قرار الاعتماد بشكل أساسي على التكاثر للحفاظ على القطعان هذا من شأنه أن يقلل من النفقات، ولكن كان لذلك القرار عواقب سلبية، على وجه الخصوص، زاد الاعتماد على التكاثر من انتشار الأمراض المعدية، وهي ظاهرة كانت واضحة بشكل خاص في حالة الأغنام، كما أن التكاثر لمدة طويلة جدًا يؤدي إلى أن الأغنام تصبح أقل قدرة على تحمل الطقس القاسي وأكثر عرضة للأمراض، في أواخر القرن الرابع عشر، تم الإبلاغ عن أن بعض الأغنام في ويسبيك كانت غير قادرة على إنتاج الصوف، وهو ما يبدو أنه إشارة إلى جرب الأغنام، إذ يعتبر فقدان الصوف من الأعراض الرئيسية لذلك المرض. الجدير بالذكر أن تلك الحالات من الأغنام الصلعاء تكررت في ويسبيك، حيث حدثت في سنوات متتالية بين ١٣٩٦ و١٣٩٨، ومما يشير إلى أن الجرب قد أصبح راسخًا في القطيع، واستغرق عدة سنوات حتى يتم التخلص منه، الأمر انعكس بوضوح في زيادة معدلات الوفيات، ففي المدة بين ١٣٧٧

و١٣٩٥، كانت معدلات الوفيات لا تتجاوز ٧% فقط، لكن في الأعوام ١٣٩٦-١٣٩٧ ارتفعت إلى ١١. ٥%[٢٣].

من المحتمل أن ذلك التأثير انعكس على عرض المنتجات الحيوانية في الأسواق، إذ أدى انخفاض أعداد المواشي إلى تراجع المعروض منها، في حين استمر الطلب عليها، قد يكون التوازن بين العرض المحدود والطلب المستمر قد ساهم في استقرار أسعار المنتجات الحيوانية، رغم الاضطرابات الاقتصادية التي شهدتها تلك المدة [٢٤].

من جانب آخر، أدى انخفاض أسعار الحبوب بعد عام ١٣٧٦ إلى تراجع إيرادات الملاك، مما دفعهم إلى إجراء تغييرات في نمط الإنتاج واستخدامات الأراضي، فقد اتجه العديد من الملاك إلى تحويل أراضيهم من الزراعة التقليدية إلى الأنشطة الرعوية، التي تتطلب عددًا أقل من الأيدي العاملة، مما جعلها أكثر ربحية في ظل نقص العمالة، جاء ذلك التحول استجابة للظروف الاقتصادية الجديدة، إذ فرض التراجع السكاني وانخفاض توفر القوى العاملة إعادة توزيع للموارد بما يتلاءم مع الواقع المتغير، وقد وجد المزارعون والملاك أن تربية الماشية وإنتاج السلع الرعوية يمثلان خيارًا أكثر كفاءة من حيث التكلفة، لاسيما وأن أسعار المنتجات الحيوانية ظلت مستقرة نسبيًا مقارنة بأسعار الحبوب التي شهدت انخفاضًا ملحوظا[٢٥].

ونتيجةً للتحولات الاقتصادية والاجتماعية التي أعقبت وباء الموت الأسود، شهدت إنكلترا توسعًا ملحوظًا في مساحات الأراضي العشبية الدائمة، وهو ما رافقه نمط جديد من إعادة التنظيم السكاني، فقد أدى تراجع الزراعة التقليدية وزيادة الاعتماد على النشاط الرعوي إلى حركة تنقل واسعة للسكان، وتراجع الاستيطان الريفي في عدد من المناطق، مما أسفر عن هجر العديد من القرى وتحويل أراضيها المزروعة سابقًا إلى مراعي، وتُعد قرية مايدنويل (Maidwell) في مقاطعة لينكولنشاير (Lincolnshire) مثالًا واضحًا على ذلك التحول، إذ انخفض عدد سكانها من نحو ١٥٠ قرويًا في المدة ما بين ١٣٢٧ و١٣٣٢ إلى ٢٥ بالغًا فقط بحلول عام ١٣٧٩، ثم إلى أقل من عشر عائلات بعد مرور نصف قرن[٢٦].

وفي هذا السياق، أصبحت الثروة الحيوانية تمثل مصدر دخل بالغ الأهمية، لا سيما بالنسبة للملاك، إذ شهدت عائدات تربية الماشية—وخاصة الأغنام—ارتفاعًا ملموسًا. وعلى

الرغم من التراجع النسبي في أرباح بيع الصوف، فإن بيع الحيوانات نفسها، مثل الأغنام والخنازير، أصبح يشكل ركيزة رئيسية لتحسين العائدات، إذ لم يعد يُنقل القطيع إلى القصور التابعة كما في السابق، بل عُرض للبيع في الأسواق المحلية، وقد أسهم التحول في تشجيع الفلاحين على الانخراط في تربية الأغنام، مدفوعين بارتفاع أسعارها، كما أدى إلى ازدياد استهلاكهم من لحم الضأن، في انعكاس واضح للتغير في أنماط الإنتاج والاستهلاك داخل الاقتصاد الريفي المتحول(٢٧).

لم تقتصر تلك التحولات على الأغنام فحسب، بل شملت أيضًا الخنازير والثيران، التي توجّهت الأسواق نحو بيعها بشكل متزايد، مما يعكس قدرة الاقتصاد الريفي على التكيّف السريع مع متغيرات العرض والطلب، وعلى الرغم من أن تلك التعديلات في إدارة الثروة الحيوانية لم تؤدِّ إلى زيادة كبيرة في قيمة الأرض كأصل ثابت، فإنها وفّرت وسائل أكثر مرونة وابتكارًا لتعزيز الإيرادات(٢٨).

تلك التعديلات في استراتيجيات الإنتاج الزراعي تعكس قدرة الملاك والمسؤولين على التكيف مع البيئة الاقتصادية والاجتماعية المتغيرة، مما جعلهم قادرين على مواجهة التحديات وتغيير التوازن في إيراداتهم بما يتناسب مع متطلبات السوق في تلك المدة الصعبة(٢٩).

في هذا السياق، يمكن القول إن الاقتصاد الرعوي شهد ازدهارًا ملحوظًا في أواخر القرن الرابع عشر، حيث تزايدت مساحة الأراضي المخصصة لرعي الماشية بشكل ملحوظ، مما أدى إلى تقلص المساحات الزراعية بمعدل يقارب الضعف، وبحلول ١٣٠٠، كان هناك فدان واحد من المراعي الدائمة مقابل كل فدان من الأراضي الزراعية، ولكن بحلول عام ١٥٠٠، تغيرت النسبة لتصبح حوالي فدانين من العشب مقابل فدان واحد من الأراضي الزراعية، فضلا عن ذلك، كانت هناك عدة ملايين من الأفدنة من المراعي المؤقتة المتاحة سنويًا على الأراضي البور، يُفسر وجود الكثير من المراعي بذلك الشكل الميزة النسبية في إنتاج الصوف في البلاد، إذ كانت الأغنام هي الحيوانات الرئيسية التي تتغذى على العشب بشكل رئيسي(٣٠).

واستكمالًا لهذا المسار التصاعدي في الاعتماد على النشاط الرعوي، استمر توسيع قطعان الماشية تدريجيًا، إذ أُعيد بناؤها حتى استُعيدت مستوياتها التي كانت سائدة قبل تفشي وباء الموت الأسود، ولم يتوقف الأمر عند حدود التعافي، بل شهدت أعداد الماشية ازدهارًا ملحوظًا خلال سبعينيات وثمانينيات القرن الرابع عشر، لتبلغ ذروتها في تلك المدة، وقد ترتب على ذلك أن أصبحت نسبة الماشية إلى الأراضي المزروعة تعادل ضعف ما كانت عليه خلال أواخر القرن الثالث عشر(٣١).

وفي إطار التحول ذاته نحو الأنشطة الرعوية والبدائل الزراعية، برزت تربية الأرانب كنشاط جديد، إذ شهدت تربية الأرانب ازدهارًا ملحوظًا في الربع الأخير من القرن الرابع عشر، ويُحتمل أن يكون ذلك نتيجة لعدة عوامل: قبل الموت الأسود، كان إنتاج الأرانب منخفضًا وكان موجهًا في الغالب للاستهلاك المحلي في المنازل. ومع ذلك، كانت الأرانب تقدم بعض الفرص التجارية في الأسواق الفاخرة، ولكن كانت إمكانات التسويق محدودة بسبب ارتفاع أسعار الأرانب و انخفاض الدخل لمعظم الناس في إنكلترا(٣٢).

في سياق التحولات الديموغرافية والاقتصادية التي أعقبت وباء الموت الأسود، شهدت إنكلترا انخفاضًا حادًا في عدد السكان، ترتب عليه تراجع كبير في الطلب على الحبوب وتقلص في المساحات المزروعة، غير أن الانكماش الزراعي رافقه تحسن في القوة الشرائية لشرائح واسعة من المجتمع، وهو ما أدى إلى تغير واضح في أنماط الاستهلاك وتزايد الإقبال على السلع الكمالية التي كانت تُعد في السابق من قبيل الرفاهية(٣٣).

وقد جاءت تربية الأرانب ضمن ذلك التحول، إذ بدأ يُنظر إليها لا بوصفها مصدرًا غذائيًا منزليًا فحسب، بل كسلعة تجارية تُستهلك على نطاق أوسع، خاصة في الأوساط الثرية والطبقة الوسطى الناشئة، ومع تحسن الظروف الاقتصادية خلال العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر، ارتفع الطلب على منتجات الرفاهية مثل الصوف الفاخر، الأقمشة الراقية، أدوات المائدة المصنوعة بعناية، والسلع الجلدية، ما خلق بيئة ملائمة لازدهار تجارة الأرانب، لا سيما في ما يتعلق بفرائها، كما كان لتربية الأرانب مزايا اقتصادية واضحة مقارنة بزراعة الحبوب، إذ كانت أقل كلفة من حيث الإنتاج واليد العاملة، وهو ما جعلها خيارًا جذابًا

لملاك الأراضي في ظل ارتفاع الأجور بعد الطاعون، كما أن الطلب على لحوم الأرانب شهد بدوره ازديادًا ملحوظًا نتيجة تحسن مستويات المعيشة وتنامي القدرة الشرائية(٣٤).

من العوامل المساعدة أيضًا على نمو ذلك النشاط، تزامن مدة الازدهار بين عامي ١٣٧٠ و١٣٩٠ مع طقس دافئ نسبيًا، ما ساهم في تعزيز الإنتاج وتكاثر الأرانب. وبذلك، يمكن القول إن تنامي إنتاج الأرانب وارتفاع الطلب عليها في أواخر القرن الرابع عشر كانا نتيجة مباشرة لمجموعة من المتغيرات المتداخلة، التحسن الاقتصادي، التحولات الاجتماعية، الظروف المناخية المواتية، وتغير أنماط الاستهلاك. وقد تحولت الأرانب تدريجيًا من سلعة هامشية تُستهلك في نطاق محدود، إلى عنصر فاعل ضمن الاقتصاد الزراعي والتجاري في إنكلترا، إذ أصبحت تعكس مكانة اجتماعية لدى الطبقات الميسورة، وتندرج ضمن مظاهر أسلوب الحياة الفاخر في أواخر العصور الوسطى(٣٥).

ونتيجة لازدياد الطلب على لحوم الأرانب وفرائها، شهدت تربيتها توسعًا كبيرًا خلال العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر، ففي ثمانينيات القرن، ازدهر الإنتاج في أبرز مناطق تربية الأرانب بشرق إنكلترا، مثل لاكنهيث(Lakenheath)، وبراندون، وميثوولد(Methwold)، على سبيل المثال، ارتفع إنتاج لاكنهيث الواقعة في سوفولك، من نحو ٨٥٠ أرنبًا سنويًا في سبعينيات القرن إلى حوالي ٣٦٠٠ أرنب في الثمانينيات، أما في براندون، فقد تضاعف الإنتاج أربع مرات، بينما شهدت ميثوولد قفزة لافتة في الإنتاج من نحو ٣٥٠ أرنبًا عام ١٣٥٠ إلى ٩٥٠٠ أرنب في تسعينيات القرن نفسه(٣٦).

فضلًا عن تزايد الطلب، أسهمت عوامل بيئية وتنظيمية أخرى في توسّع تربية الأرانب خلال أواخر القرن الرابع عشر، فقد أدّت التغيرات المناخية، لا سيما تحسّن الأحوال الجوية ودفء الطقس بعد عام ١٣٧٥، إلى خفض معدلات النفوق الشتوي بين الأرانب، التي كانت تُعرف بحساسيتها الشديدة للبرد والرطوبة، وإلى جانب ذلك، أسهمت الابتكارات في الإدارة، مثل الاستثمار في بناء أبراج المراقبة والنُزل الحجرية، وتوظيف عمالة موسمية إضافية، في الحد من الخسائر الناجمة عن الحيوانات المفترسة والصيادين غير القانونيين(٣٧).

أسهمت التحسينات في إدارة تربية الأرانب والزيادة الملحوظة في أعدادها في تنشيط الاقتصاد المحلي في المناطق التي ازدهر فيها ذلك النشاط، فقد أصبحت الأرانب، في ظل

ركود سوق الحبوب، مصدرًا بديلًا ومهمًا للدخل، واكتسبت قيمة اقتصادية خاصة خلال مدة الانكماش، كما ساعدت في خلق فرص عمل في القرى والمدن المجاورة لـ(warrens)، أي أماكن تربيتها، حيث ازدهرت الحرف المرتبطة بها مثل صناعة الملابس، فضلا عن ازدهار تجارة الفراء[٣٨].

في ضوء ما تقدم، يتّضح أن تربية الأرانب في العصور الوسطى لم تكن مجرد نشاط ربحي تقليدي، بل شكّلت أحد الأعمدة الحيوية لاقتصاد المناطق الفقيرة، حيث ساعدت في تعويض التراجع في عوائد الزراعة التقليدية، وقد أظهرت تلك الأنشطة، بما في ذلك الصيد وتربية الأرانب، قدرة بعض المجتمعات المحلية على التكيف مع الظروف الاقتصادية المتغيرة، من خلال اعتماد استراتيجيات مرنة وبديلة للاستثمار في الموارد المتاحة. وبذلك، تجسّد تربية الأرانب مثالًا على الابتكار المحلي في مواجهة الأزمات الاقتصادية ضمن السياق الريفي المتحول في أواخر العصور الوسطى[٣٩].

ثالثاً: تحسن سوق العمل (ارتفاع الأجور الاسمية والحقيقية)

على عكس الانخفاض الذي طرأ على أسعار الحبوب والمنتجات الحيوانية، شهدت الأجور الاسمية والحقيقية للعمال والحرفيين خلال العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر ارتفاعًا ملحوظًا، ما يعكس تحسنًا نسبيًا في سوق العمل. وتشير البيانات الواردة في الجدول(١) إلى أن الأجور الاسمية قد ارتفعت بنسبة ٢. ٧٨٪ خلال المدة الممتدة بين عامي ١٣٧٦ و١٣٨٠، مقارنة بما كانت عليه في السنوات ١٣٧٠–١٣٧٥، مع حفاظها على مستويات ثابتة نسبيًا في مطلع سبعينيات القرن ذاته.

خلال المدة ما بين ١٣٨٦ و١٣٩٥، استقرت الأجور الاسمية عند معدلاتها السابقة دون تراجع يُذكر، لكنها عاودت الارتفاع في السنوات الخمس الأخيرة من القرن، حيث سجلت زيادة بنسبة ٦. ٩٤٪ مقارنة بالمستويات المسجّلة في أوائل سبعينيات القرن الرابع عشر.

في الوقت ذاته، شهدت الأجور الحقيقية (المعدّلة وفقًا لتغيرات الأسعار) ارتفاعًا ملحوظًا، ما يعكس تحسنًا فعليًا في مستوى معيشة العمال، فقد سجلت الأجور الحقيقية زيادة بنسبة١٥,٠٪ خلال المدة ١٣٧٦–١٣٨٠ مقارنةً بالسنوات ١٣٧١–١٣٧٥، واستمر ذلك

الاتجاه التصاعدي خلال السنوات التالية، ليبلغ ذروته في المدة ١٣٨٠–١٣٨٥، إذ ارتفعت الأجور الحقيقية بنحو ٨,٧٪ بين ١٣٨٠_١٣٩٠، لتبلغ اعلى مستوياتها خلال القرن الرابع عشر، مما يدل على تحسن اقتصادي ملموس في دخل العمال، سواء من حيث الأجور النقدية أو القدرة الشرائية.

يطرح ذلك الاتجاه الاقتصادي تساؤلًا جوهريًا: كيف يمكن تفسير ارتفاع الأجور الاسمية والحقيقية في ظل الانخفاض الحاد في أسعار الحبوب والمنتجات الحيوانية خلال أواخر القرن الرابع عشر؟ يمكن إرجاع الارتفاع إلى عدة عوامل لعلّ أبرزها، النقص الحاد في الأيدي العاملة نتيجة التداعيات الديموغرافية الهائلة للموت الأسود، فقد أدى الوباء إلى تقليص كبير في حجم القوى العاملة، في وقت لم يتراجع فيه الطلب على العمل بالقدر نفسه، مما أسفر عن اختلال واضح بين العرض والطلب في سوق العمل(٤٠).

وفي ظل الاختلال، ازدادت الحاجة إلى العمال، واكتسب هؤلاء قوة تفاوضية غير مسبوقة، مكنتهم من المطالبة بأجور أعلى وتحسين شروط العمل، وقد ساهمت المنافسة المتزايدة بين ملاك الأراضي وأرباب العمل على استقطاب اليد العاملة المتبقية في دفع مستويات الأجور الاسمية إلى الارتفاع، رغم تراجع أسعار السلع الأساسية، وبذلك، يمكن النظر إلى ذلك التحول بوصفه أحد أبرز مظاهر إعادة التوازن في النظام الاقتصادي(٤١).

فضلا عن ذلك، لم تنجح قوانين العمل في كبح ارتفاع الأجور، اذ حاولت السلطات التدخل للحد من زيادة الأجور من خلال إصدار قوانين مثل مرسوم العمال لعام ١٣٤٩ وقانون العمال لعام ١٣٥١، التي فرضت قيودًا على الأجور وأجبرت العمال على العمل بأجور ما قبل الوباء، ومع ذلك، لم تكن القوانين فعالة على ارض الواقع، بسبب نقص القوى العاملة، واستمرار هروب العمال إلى المناطق التي تعرض أجورًا أعلى، فضلا عن تساهل السلطات مع منتهكي تلك القوانين، مما جعل تطبيقها محدودًا وأدى إلى استمرار ارتفاع الأجور، في الوقت نفسه، ادى تناقص خدمات العمل (المفروضة على الاقنان) واستبدلاها بالعمالة المأجورة إلى ارتفاع اجور العمل بسبب الحاجة الملحة للحصول على العمالة(٤٢).

كان من الطبيعي أن يؤدي ارتفاع الأجور الاسمية، بالتزامن مع انخفاض أسعار المنتجات الزراعية، إلى زيادة الأجور الحقيقية للعمال، والتي تعكس القوة الشرائية الفعلية

للأجور، فقد أسهم التوازن بين تراجع الأسعار وارتفاع الأجور الاسمية في تعزيز القدرة الشرائية للعمال، مما أدى إلى تحسن ملحوظ في مستوى معيشتهم. بشكل عام، تضافرت تلك العوامل جميعها لتؤدي إلى ارتفاع واضح في مستويات الأجور خلال العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر، كان الارتفاع نتيجة مباشرة للتحولات الديموغرافية، والتغيرات في سوق العمل، والاستجابات الاجتماعية والاقتصادية التي أعقبت الموت الأسود، وعلى الرغم من محاولات السلطة الملكية السيطرة على الأجور، فإن القوى الاقتصادية كانت أقوى من القيود التشريعية، مما ساهم في إحداث تغيير جوهري في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إنكلترا خلال تلك المدة [٤٣].

من خلال ما سبق، يتضح أن الانخفاض في أسعار الحبوب كان العامل الأكثر تأثيرًا في تحسين الأجور الحقيقية، لا سيما خلال المدة الممتدة بين ١٣٨٦ و١٣٩٠، أما أسعار اللحوم، فرغم تراجعها في بعض الحقب، فإن تأثيرها كان أقل وضوحًا، إذ اقتصر الانخفاض الملحوظ على المدة ١٣٩١–١٣٩٥ فقط. وعلى الرغم من أن الأجور الاسمية لم تسجّل ارتفاعات كبيرة خلال تلك المرحلة، فإن التراجع العام في الأسعار، خصوصًا أسعار المواد الغذائية الأساسية، ساهم في رفع الأجور الحقيقية، ما أدى إلى تحسّن ملحوظ في مستوى معيشة العمال. ويمكن القول إن ذلك التحسن لم يكن نتيجة لزيادة الأجور الاسمية بحد ذاتها، والتي ظلت تنمو بوتيرة بطيئة، بل كان ناجمًا بالدرجة الأولى عن الانخفاض النسبي في أسعار السلع، وهو ما عزز القدرة الشرائية للطبقات العاملة في إنكلترا في أواخر القرن الرابع عشر [٤٤].

رابعاً: تحسن صناعة النسيج والمعادن

من المؤشرات الأخرى التي تدل على تحسن الوضع الاقتصادي في انكلترا انذاك، هو التحسنات الملحوظة في قطاع الصناعة والتعدين. إذ شهدت العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الرابع عشر، توسعًا صناعيًا، وإن كان بمعدلات متفاوتة بين المناطق، فقد ازدهرت بعض الصناعات مثل التعدين والنسيج.

يُعدّ التوسع في صناعة المنسوجات والجلود من أبرز مظاهر ذلك التحول، لاسيما في أعقاب النمو السريع الذي بدأ في سبعينيات القرن، وتركّز في مراكز الإنتاج الرئيسة. فعلى

سبيل المثال، واصلت صادرات الملابس الرخيصة منخفضة الجودة – مثل قماش "الجيرسي" – نموها المطّرد حتى تسعينيات القرن، في مؤشر واضح على تزايد الطلب الخارجي وتكثّف الإنتاج، وتشير التقديرات إلى أن حجم صادرات القماش الإنكليزي خلال تلك المدة بلغ ثلاثة أضعاف ما كان عليه في عام ١٣٥٠[٤٥].

انعكس ازدهار تلك القطاعات إيجابًا على زيادة الدخل الفردي، اذ ارتفع بحوالي ٢٠% بين فترتي ١٣٧٥-١٣٨٤ و١٣٨٥-١٣٩٤، ما يعكس زيادة في الإنتاج الصناعي خلال تلك المدة، على الرغم من ذلك النمو، إلا أنه تباطأ واستقر بعد ذلك، مما يعكس تسوية عامة في الاتجاهات الاقتصادية في السنوات الأخيرة من القرن الرابع عشر[٤٦].

تأثرت مناطق انكليزية عديدة بشكل كبير بظهور صناعة النسيج الهامة والمعقدة، حيث كان التوظيف في إنتاج النسيج المحلي الخشن جزءاً مهماً من اقتصاد تلك المناطق، مما أسهم في التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي أثرت على أنماط استخدام الأراضي في تلك المدة، اذ توسعت صناعة النسيج بسرعة، وهيمنت الصناعة على ثلاثة مشاريع كبيرة، فضلا عن مجموعة من الورش الصغيرة، التي قدمت أجوراً لحوالي ربع سكان القرية، إلا أن ذلك النمو كان سريعاً ومتقلباً، حيث انهار مجتمع عمال النسيج بنفس السرعة التي ظهرت بها، بدءًا من حوالي عام ١٣٨٠، بدأ عدد العمال في التناقص[٤٧].

إلى جانب صناعة النسيج، شهدت صناعات أخرى توسعًا ملحوظًا خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن الرابع عشر، لا سيما في قطاعي التعدين والمعادن، اللذين تعافيا بقوة بعد الانكماش الحاد الذي شهده منتصف القرن، وتحديدًا في أعقاب أزمة عام ١٣٥٠، فقد ازدهرت صناعة المعادن بشكل عام، مع تركيز خاص على إنتاج أدوات المائدة وغيرها من المنتجات المعدنية الاستهلاكية[٤٨].

كما عرف إنتاج القصدير نموًا ملحوظًا في منطقتي كورنوال (Cornwall) وديفون (Devon)، في حين ازداد استخراج الرصاص في كل من منديبس (Mendips) وديربيشاير، مما يعكس إعادة تنشيط للموارد المعدنية في مختلف الأقاليم[٤٩]، حتى صناعة الفحم، التي كانت لا تزال في مراحلها الأولى وغير متطورة، بدأت تعرف توسعًا تدريجيًا في الإنتاج بحلول نهاية القرن، في عدة حقول فحم موزعة على مناطق مختلفة[٥٠].

في السياق ذاته، شهد قطاع تعدين الرصاص نموًا ملحوظًا خلال العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر، إذ اكتسبت صناعة الرصاص في ديربيشاير، أهمية خاصة ضمن الاقتصاد المعدني في إنكلترا، وعلى الرغم من التراجع الذي عرفته بعض المناطق، مثل دوقية لانكستر (Duchy of Lancaster) في أواخر القرن، فإن النشاط التعديني استمر بقوة، ولا سيما في المناجم الواقعة في الجزء الجنوبي من ديربيشاير، مثل لونغستون (Longstone)، ورولاند (Rowland)، وهاسوب (Hassop)، وأشفورد (Ashford)[٥١].

من الواضح أن ازدهار بعض الصناعات والأنشطة التعدينية كان له أثر مباشر في توسّع عدد من المدن التي احتضنت تلك الأنشطة، حتى باتت بعض المراكز الحضرية تتميّز بطابع صناعي متخصّص مع اقتراب نهاية القرن الرابع عشر. فعلى سبيل المثال، واصلت مقاطعة ويستمينستر، نموها العمراني والاقتصادي، وقد استجاب دير ويستمينستر (Westminster Abbey) لذلك التوسع عبر بناء وحدات سكنية صغيرة ومنافذ للبيع بالتجزئة داخل المدينة[٥٢].

فضلًا عن ذلك، ساهم النمو الصناعي الذي شهدته المدن في تحوّلها إلى مراكز جذب للعمالة المهاجرة من المناطق الريفية، إذ أدى توسع الصناعات المختلفة إلى زيادة الطلب على الأيدي العاملة، وقد تدفق عدد كبير من العمال من الأرياف إلى المدن للعمل في المصانع والورش، فعلى سبيل المثال، أصبحت مدينة كولشستر (Colchester) في مقاطعة إسيكس، وجهة للباحثين عن فرص عمل في صناعة المنسوجات المزدهرة[٥٣].

في هذا السياق، يمكن ملاحظة أن التغيرات في أنماط الإنتاج وتوزيع المهن قد أسهمت بشكل فاعل في إحداث حراك اجتماعي وجغرافي واسع، تمثل في تنقّل الأيدي العاملة من المناطق الزراعية نحو المدن التي بدأت تبرز كمراكز صناعية ناشئة، وقد تسارع التحول في أواخر القرن الرابع عشر نتيجة التراجع في إنتاج الحبوب التجارية بعد عام ١٣٧٦، بالتوازي مع التوسع في بعض الصناعات الريفية والحضرية، ما أتاح لسكان الأرياف فرصًا أكبر للانخراط في أنشطة غير زراعية. وتشير الوثائق الحكومية والتشريعات المعاصرة إلى إدراك واضح لتلك التحولات الجديدة، حيث سُجّل انتقال متزايد من العمل الزراعي إلى المهن الحرفية والصناعية. فعلى سبيل المثال، لاحظت لجنة ملكية في مقاطعة

إسيكس، عام ١٣٧٧، أن عددًا من العمال بدأوا يتحولون من الزراعة إلى مهن بديلة مثل الصيد(٥٤).

بالطريقة ذاتها، تؤكد الباحثة نورة كينيون (Nora Kenyon) في دراستها على وجود نمط واضح من الهجرة العمالية من القطاع الزراعي إلى الصناعات الناشئة، لا سيما في مقاطعة إسيكس، وقد استشهدت كينيون بما يُعرف بـ قانون كمبريدج (Cambridge Statute of 1388) الصادر عام ١٣٨٨، والذي جاء كاستجابة تشريعية لمحاولة كبح التحول المتسارع في سوق العمل، فقد سعى ذلك القانون إلى تقييد انتقال سكان الريف من العمل الزراعي إلى الأنشطة الصناعية والحرفية، في محاولة من الدولة للحفاظ على هيكل القوى العاملة الزراعية(٥٥).

استنادًا إلى ما سبق، يتضح أن الاقتصاد الإنكليزي خلال عهد الملك ريتشارد الثاني قد شهد نموًا ملحوظًا في عدد من القطاعات الحيوية، بالتوازي مع مرحلة من إعادة الهيكلة الاقتصادية فرضتها التداعيات الديموغرافية والاجتماعية التي أعقبت وباء الموت الأسود، فقد أدى النقص الحاد في الأيدي العاملة إلى تحولات جوهرية في سوق العمل، تمثلت في ارتفاع الأجور الحقيقية وتعزيز القوة التفاوضية للعمال، إلى جانب تراجع العمل القسري، وظهور أنماط جديدة من العمل المأجور.

في الوقت ذاته، شهد القطاع الصناعي، لاسيما صناعات النسيج والمعادن والفحم، توسعًا ملحوظًا، ساهم في تنشيط الأسواق المحلية وتعزيز روابط التجارة الخارجية. أما الزراعة، فقد واجهت تحديات حادّة تمثلت في انخفاض أسعار الحبوب، ما أدى إلى تراجع الربحية في إنتاج المحاصيل، مقابل انتعاش ملحوظ في الزراعة الرعوية التي تطلّبت عددًا أقل من العمال وحققت مردودًا اقتصاديًا أكبر. انطلاقًا من المعطيات المتوفرة، يمكن القول إن الاقتصاد الإنكليزي في أواخر القرن الرابع عشر اتسم بالتباين والتقلب، لا بالركود أو الانتعاش الكامل، فقد عرفت بعض القطاعات، مثل الصناعة والتعدين، نموًا لافتًا، في حين عانت قطاعات أخرى، وعلى رأسها الزراعة التقليدية، من التراجع والانكماش.

وبذلك، لم يكن الربع الأخير من القرن الرابع عشر حقبة استقرار اقتصادي موحّد، بل اتسم بالتفاوت الزمني والمكاني، وهو ما يعكس الطبيعة المعقدة للتحولات الاقتصادية التي

شهدتها إنكلترا في تلك الحقبة، والتي أسهمت في إعادة تشكيل البنية الاقتصادية والاجتماعية على نحو عميق، ومهّدت تدريجيًا للانتقال إلى نمط اقتصادي أكثر تنوعًا وحداثة في القرون اللاحقة.

الخاتمة:

تكشف الدراسة عن حجم التحولات الاقتصادية العميقة التي شهدتها إنكلترا خلال عهد الملك ريتشارد الثاني (١٣٧٧–١٣٩٩)، والتي لم تكن مجرد نتائج عابرة لأزمة سكانية أو صحية، بل مثّلت نقطة انطلاق لتغيرات بنيوية مستدامة في الاقتصاد والمجتمع. فقد أظهرت المعطيات التاريخية أن تداعيات الموت الأسود، وما تبعها من نقص حاد في اليد العاملة، لم تؤدِ فقط إلى خلخلة النظام الإقطاعي القائم، بل دفعت نحو إعادة تشكيل العلاقة بين الطبقات الاجتماعية، وإعادة النظر في أنماط الإنتاج والتوزيع.

وقد بيّنت الدراسة أن التطورات لم تقتصر على القطاع الزراعي، بل شملت توسّعًا ملحوظًا في قطاعات الصناعة، خصوصًا صناعة الصوف والتعدين، إلى جانب نمو النشاط التجاري وتحسّن آليات السوق. كما كشفت عن ظهور مؤشرات على مرونة جديدة في سوق العمل، تمثّلت في ارتفاع الأجور وتحوّل في أنماط التوظيف، وهو ما يشير إلى بدايات تبلور اقتصاد أكثر تحررًا من القيود الإقطاعية.

إن ربط هذه التحولات الاقتصادية بالسياق السياسي والاجتماعي السائد في أواخر القرن الرابع عشر، يساعد في فهم ديناميات التغير في إنكلترا، ويُبرز كيف يمكن لعوامل الأزمات أن تكون محركًا رئيسًا لتطور البنى الاقتصادية على المدى البعيد. وتأسيسًا على ذلك، تُعدّ هذه الحقبة التمهيد الحقيقي للتحولات الكبرى التي شهدتها أوروبا في القرون اللاحقة، وخصوصًا في مجالات الاقتصاد والنظام الطبقي.

وعليه، فإن دراسة الاقتصاد الإنجليزي في عهد ريتشارد الثاني لا تسهم فقط في إعادة قراءة التاريخ الاقتصادي لإنكلترا، بل تفتح أيضًا آفاقًا جديدة لفهم العلاقة بين التحولات السكانية، والبنية الاجتماعية، وديناميات التغير الاقتصادي في سياقات مماثلة عبر التاريخ.

قائمة الهوامش والمصادر

[١] الموت الأسود: هو جائحة طاعونية اجتاحت أوروبا وأجزاء واسعة من آسيا وشمال إفريقيا بين عامي ١٣٤٧ و١٣٥١م، وتُعد من أشد الكوارث الطبيعية فتكًا في التاريخ البشري. انتقلت العدوى عبر البراغيث والجرذان التي كانت ترافق القوافل والسفن التجارية، فبلغ المرض الموانئ والمدن الكبرى وتفشى بسرعة هائلة في المناطق الداخلية. وقد أسفرت الجائحة عن وفاة ما بين ربع إلى نصف سكان أوروبا، وتسببت في تحولات اقتصادية واجتماعية عميقة، كان من أبرزها تراجع عدد السكان، وانهيار أنظمة الإقطاع، وظهور مطالبات بتغيير البنية الاجتماعية والاقتصادية. ويُنظر إلى الموت الأسود بوصفه نقطة تحوّل حاسمة ساهمت في انتقال أوروبا من العصور الوسطى إلى بدايات العصر الحديث. للمزيد من التفاصيل يُنظر:روبرت س جوتفريد، الموت الأسود: جائحة طبيعية وبشرية في عالم العصور الوسطى، ترجمة عبادة كحيلة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٧، ص١٧-١٨.

[1] Mark Bailey, After the Black Death: Economy, society, and the law in fourteenth-century England, Oxford University Press, Oxford, 2021, p. 234.

[١] الأجور الفعلية: هي القوة الشرائية للأجر النقدي الذي يتقاضاه العامل بشكل دوري من الأنظمة التي يعمل بها. بعبارة أخرى، هي مقدار السلع والخدمات والاحتياجات الأخرى التي يمكن للعامل الحصول عليها أو شرائها باستخدام أجره النقدي. ومن ثم، تُعتبر الأجور الحقيقية مقياسًا لمدى تلبية الأجر لاحتياجات العامل الأساسية، كما أن الأجر الحقيقي يعكس المستوى المعاشي ومستوى الرفاهية الذي تمتع به العاملون في بلد معين. ففي بعض الحالات، قد يؤدي ارتفاع الأجور النقدية في بلد ما إلى ارتفاع ظاهري في الدخل، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة تحسن المستوى المعاشي للعاملين في هذا البلد مقارنة بالبلدان الأخرى، حيث إن زيادة الأسعار والتضخم قد تؤدي إلى انخفاض الأجور الحقيقية على الرغم من الارتفاع الظاهري للأجور النقدية في ذلك البلد. للمزيد من التفاصيل يُنظر:

سعد علي حمود، ادارة الخدمة المدنية والوظيفية العامة، دار اليازوري العلمية، الأردن، ٢٠٢٢، ص ٢٤١-٢٤٢.

(١) الأجور الاسمية: هو المبلغ الذي يُعبَّر عنه بوحدات نقدية، أي المبلغ الذي يتقاضاه العامل مقابل ما يؤديه من أعمال، قد يرتفع هذا الأجر الذي يتلقاه العامل مع مرور الوقت دون أن يطرأ أي تحسن على وضعه المعيشي، وذلك في حال ارتفاع أسعار السلع والخدمات التي يشتريها العامل بنفس نسبة زيادة ما يتقاضاه من أجر نقدي، في هذه الحالة، يظل الأجر الحقيقي للعامل دون تغيير. للمزيد من التفاصيل يُنظر:شيراز محمد خضر، أصول الإدارة العامة، ط ١، دار الأكاديمية، لندن، ٢٠٢٢، ص ٧٥.

(١) تعتمد البيانات الواردة في الجدول على دراسة:

John H. Munro, "The late medieval decline of English demesne agriculture demographic, monetary and political-fiscal factors," in Mark Bailey and Stephen H. Rigby, (eds), Town and countryside in the age of the Black Death, Brepols Publishers, Turnhout, 2012, p. 221.

(1) Nicholas Mayhew, "Prices in England, 1170–1750", Past & Present, No. 219, 2013, pp. 33-39.

(1) Christopher Dyer, An Age of Transition? Economy and Society in England in the Later Middle Ages, Oxford University Press, Oxford, 2005, pp. 29-30.

(1) Mark Bailey, After the Black Death, op. cit, p. 242.

(1) Bruce Campbell, "Grain Yields on English Demesnes after the Black Death", The Journal of Economic History, Vol. 57, No. 2, 1997, p. 159.

(1) P. F. Brandon, "Late-Medieval Weather in Sussex and Its Agricultural Significance", Transactions of the Institute of British Geographers, No. 54, 1971, p. 3.

(1) Bruce Campbell, "Grain Yields on English Demesnes after the Black Death", The Journal of Economic History, Vol. 57, No. 2, 1997, p. 141.

(1) Ibid, p. 159.
(1) P. F. Brandon, op. cit, p. 4.
(1) Bruce M. S. Campbell, Grain Yields on English Demesnes after the Black Death, op. cit, p. 140.
(1) Mavis Mate, "Agrarian Economy after the Black Death: The Manors of Canterbury Cathedral Priory, 1348–1391", The Economic History Review, Vol. 37, No. 3, 1984, p. 349.
(1) Mark Bailey, After the Black Death, op. cit, p. 242.
(1) Ibid, p. 238.
(1) Ibid, p. 239.
(1) David Stone, Decision-Making in Medieval Agriculture, Oxford University Press, Oxford, 2005, pp. 122-124.
(1) Mavis Mate, Agrarian Economy after the Black Death, op. cit, pp. 345-346.
(1) Christopher Dyer, Everyday life in medieval England, Cambridge University Press, Cambridge, 2000, pp. 80-82.
(1) Mavis Mate, Agrarian Economy after the Black Death, op. cit, pp. 345-346.
(1) David Stone, op. cit, p. 149-150.
(1) Ibid.
(1) George Guest, A Social History of England, G. Bell, London, 1921, pp. 82-83
(1) Bruce Campbell, "The Land," The Agrarian History of England and Wales, Vol. 2, 1042–1350, ed. H. E. Hallam, Cambridge University Press, Cambridge, 1988, p. 186.
(1) David Stone, op. cit, p. 127.
(1) Ibid.
(1) Richard Britnell, The Commercialization of English Society, 1000–1500, Cambridge University Press, Cambridge, 1996, p. 78.
(1) Bruce Campbell, "The Land," The Agrarian History of England and Wales, op. cit, p. 187.

(1) Bruce Campbell, Grain Yields on English Demesnes after the Black Death, op. cit, p. 126.

(1) Mark Bailey, "The Rabbit and the Medieval East Anglian Economy", The Agricultural History Review, Vol. 36, No. 1, 1988, p. 12.

(1) Ibid, p. 16.

(1) Ibid, p. 19.

(1) Mark Bailey, The Rabbit and the Medieval East Anglian Economy, op. cit, p. 19.

(1) David Gould, "The Distribution of Rabbit Warrens in Medieval England: An East–West Divide?," Journal of Rural Studies, Vol. 55, 2017, pp. 9-11.

(1) Ibid, p. 18.

(1) Mark Bailey, The Rabbit and the Medieval East Anglian Economy, op. cit, p. 16.

(1) Ibid, p. 19.

(1) L. F. Salzman, English Life in the Middle Ages, Oxford University Press, Oxford, 1927, p. 238.

(1) James Bolton, op. cit, p. 208.

(1) Simon Penn and Christopher Dyer, "Wages and Earnings in Late Medieval England: Evidence from Enforcement of the Labour Laws," Economic History Review, Vol. 43, No. 3, 1990, p. 359.

(1) Mark Bailey, After the Black Death, op. cit, p. 234.

(1) Ibid, p. 250.

(1) Terrence Henry Lloyd, The English wool trade in the Middle Ages, Cambridge University Press, Cambridge, 1977, p. 88.

(1) Terrence Henry Lloyd, p. 250.

(1) Ian Blanchard, Industrial Employment and The Rural Iand Market 1380-1520, Cambridge University Press, Cambridge, 2009, pp. 229,231.

(1) L. F. Salzman, op. cit, p. 234.

(1) Ibid.

(1) Christopher Dyer, Everyday life in medieval England, op. cit, p. 129.

(1) Ian Blanchard, op. cit, pp. 232-233.

(1) Mark Bailey, After the Black Death, op. cit, p. 249.

(1) Richard Britnell, Growth and Decline in Colchester, 1300-1525, Cambridge University Press, Cambridge, 1986, pp. 77-79.

(1) Simon Penn and Christopher Dyer, "Wages and Earnings in Late Medieval England: Evidence from Enforcement of the Labour Laws", Economic History Review, Vol. 43, No. 3, 1990, pp. 362-363.

(1) Nora Kenyon, "Labour Conditions in Essex in the Reign of Richard II," The Economic History Review, Vol. 4, No. 4, 1934, p. 441.

التحولات السياسية ومسار الحكم في ساحل العاج من السيطرة الفرنسية الى الاستقلال ١٩٦٠

Political Transformations and the Course of Governance in Ivory Coast from French Rule to Independence 1960

م.م عذراء عباس جاسم

Athraa Abbas Jassim

athraaabass@uomustansiriyah.edu.iq

College of Arts/ Al- Mustansiriya University

كلية الاداب/ الجامعة المستنصرية

التحولات السياسية ومسار الحكم في ساحل العاج من السيطرة الفرنسية الى الاستقلال ١٩٦٠

م.م عذراء عباس جاسم

الملخص:

تناول البحث التحولات السياسية ومسار الحكم في ساحل العاج من السيطرة الفرنسية إلى الاستقلال. ركز على أثر الإدارة الاستعمارية على المجتمع والسياسة المحلية، ونشأة الحركة الوطنية، ودور الزعماء والنخب المثقفة في قيادة المطالب السياسية وتأسيس الأحزاب. كما يستعرض تصاعد المطالب الوطنية، المفاوضات مع فرنسا، والعوامل الداخلية والخارجية التي ساعدت على تحقيق الاستقلال. ويخلص البحث إلى أن التطورات السياسية والوعي الوطني والتنظيم السياسي كانت العوامل الأساسية في انتقال ساحل العاج من الاستعمار إلى بناء الدولة المستقلة. قسم البحث على عدة محاور، حمل المحور الاول عنوان (لمحة تأريخية عامة عن ساحل العاج) أصل تسمية ساحل العاج وموقعها الجغرافي والتركيبة السكانية واوضاعها الاقتصادية، اما المحور الثاني حمل عنوان (الاستعمار الفرنسي لساحل العاج وحركات المقاومة) التوغل الفرنسي والمعاهدات التي وقعها زعماء القبائل مع فرنسا وحركات المقاومة الوطنية الاولى ساموري توري خلال الاعوام ١٨٨٧-١٨٩٨ والثانية البولي ١٨٩١-١٩٠٢، اما المحور الثالث حمل عنوان (الادارة الفرنسية في ساحل العاج) الاوضاع الادارية والاقتصادية خلال مدة الاستعمار الفرنسي، اما المحور الرابع الذي حمل عنوان (الحركة الوطنية ودورها في استقلال ساحل العاج عام ١٩٦٠) الذي تضمن عوامل ظهور الحركة الوطنية وتأسيس الحزب الديمقراطي العاجي واستقلال ساحل العاج عام ١٩٦٠، واحتوت الخاتمة على اهم النتائج التي توصل اليها البحث .

الكلمات المفتاحية: (الاستعمار الفرنسي، التحولات السياسية، الحركات الوطنية، الاستقلال، ساحل العاج)

Abstract:

The research addresses the political transformations and the course of governance in Côte d'Ivoire from French domination to independence. It focuses on the impact of the colonial administration

on society and local politics, the emergence of the national movement, and the role of leaders and educated elites in leading political demands and establishing political parties. It also examines the escalation of national demands, negotiations with France, and the internal and external factors that contributed to achieving independence. The study concludes that political developments, national awareness, and political organization were the main factors in Côte d'Ivoire's transition from colonial rule to the building of an independent state.
The research is divided into several sections. The first section, titled "A General Historical Overview of Côte d'Ivoire," discusses the origin of the country's name, its geographical location, population structure, and economic conditions. The second section, titled "French Colonization of Côte d'Ivoire and Resistance Movements," examines French penetration, the treaties signed by tribal leaders with France, and the early national resistance movements, including the first led by Samori Touré during the years 1887–1898, and the second led by Boulé from 1891–1902. The third section, titled "The French Administration in Côte d'Ivoire," addresses the administrative and economic conditions during the period of French colonial rule. The fourth section, titled "The National Movement and Its Role in the Independence of Côte d'Ivoire in 1960," covers the factors behind the emergence of the national movement, the establishment of the Ivorian Democratic Party, and Côte d'Ivoire's independence in 1960. The conclusion presents the most important findings reached by the research.

Keywords: (French Colonialism, Political Transformations, National Movements, Independence, Côte d'Ivoire)

المقدمة:

خضعت ساحل العاج للهيمنة الاستعمارية الفرنسية استنادًا إلى مقررات مؤتمر برلين (١٨٨٤–١٨٨٥)، الذي أفضى إلى إعلان الحماية الفرنسية عليها عام ١٨٩٨. ومنذ ذلك التاريخ، أصبحت تمثل إحدى المناطق المحورية للنفوذ الفرنسي في غرب القارة الإفريقية، حيث سعت السلطات الاستعمارية إلى توظيف مواردها الاقتصادية وتعزيز حضورها السياسي عبر إخماد حركات المقاومة الوطنية المناهضة للاستعمار.

عملت فرنسا على تفكيك البنية القبلية في ساحل العاج وأقامت نظامًا سياسيًا خاضعًا لإرادتها الاستعمارية، كما سعت إلى تكريس ارتباط البلاد بها من خلال نشر الديانة المسيحية وفرض اللغة الفرنسية. وفي هذا السياق، تغيّر اسم الدولة رسميًا عام ١٩٨٥ من "ساحل العاج" إلى "كوت ديفوار". وحتى بعد إعلان الاستقلال، ظلّت الحكومات المتعاقبة وثيقة الصلة بفرنسا وتعتمد عليها في مختلف المجالات.

تكمن أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بالوجود الاستعماري الفرنسي في ساحل العاج، وبيان انعكاساته على مسار الدولة من مرحلة السيطرة الاستعمارية وصولًا إلى مرحلة الاستقلال.

المحور الاول

(لمحة تاريخية عن ساحل العاج)

أولاً: – التسمية: عُرفت البلاد عبر التاريخ باسم ساحل العاج أو ساحل الأنياب Côte des Dents)، وهي تسمية ارتبطت بتجارة أنياب الفيلة التي اشتهر بها سكان المنطقة منذ القدم. وقد أطلق الأوروبيون هذه التسمية لأول مرة في القرن الخامس عشر للإشارة إلى النشاط التجاري المتعلق بالعاج الذي كان سائداً آنذاك.

إلا أن الاسم تغيّر رسميًا عام ١٩٨٥، حين قدّم الرئيس فيليكس هوفويه بوانيي (Félix Houphouët–Boigny) [١] طلبًا إلى منظمة الأمم المتحدة باعتماد التسمية الفرنسية "كوت ديفوار" (Côte d’Ivoire) كاسم رسمي للدولة، تأكيدًا على الهوية الوطنية والسيادة المستقلة، ولتعزيز الاعتراف الدولي بهذه التسمية.

ثانياً: – الموقع الجغرافي: تقع جمهورية ساحل العاج في الجزء الغربي من القارة الإفريقية، ويحدّها من الشمال كلٌّ من مالي وبوركينا فاسو، ومن الجنوب يمتد ساحلها على المحيط الأطلسي، بينما تجاورها من الجهة الغربية كلٌّ من غينيا وليبيريا، ومن الجهة الشرقية دولة غانا. ويُقدَّر طول شريطها الساحلي بنحو ٥٧ كم²، الأمر الذي يمنحها أهمية جغرافية واستراتيجية بارزة على الساحل الغربي لإفريقيا [٢].

ثالثاً: – المساحة: تُقدَّر المساحة الكلية لجمهورية ساحل العاج بنحو ٣٢٤,٤٦٢ كم^2، وتمتد أراضيها بين دائرتي عرض ٤° –١٠° شمالاً. وتنقسم البلاد من الناحية الجغرافية إلى ثلاثة أقاليم طبيعية رئيسة، هي:

١. الإقليم الجنوبي: ويتميّز بانتشار الغابات المدارية الكثيفة.

٢. الإقليم الأوسط: ويُعرف بكونه منطقة الحشائش الطويلة.

٣. الإقليم الشمالي: ويغلب عليه طابع الحشائش الموسمية التي تتأثر بتغيّر المناخ بين فصلي الجفاف والمطر.

رابعاً: – العاصمة وأهم المدن: عدتُ مدينة أبيدجان العاصمة الرسمية لجمهورية ساحل العاج حتى اذار عام ١٩٨٣، حين تم نقل العاصمة إلى مدينة ياموسوكرو (Yamoussoukro). وتضم البلاد عدداً من المدن الكبرى الأخرى التي تمثّل مراكز حيوية في مختلف المجالات، من أبرزها بواكي (Bouaké) ودالوا (Daloa) وسان بيدرو San (Pedro)، إذ تؤدي هذه المدن دوراً محورياً في الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية لساحل العاج [٣].

خامساً: – اللغة: تتسم جمهورية ساحل العاج بتعددٍ لغوي ملحوظ، إذ تتنوع اللغات المستخدمة فيها ويمكن تصنيفها على النحو الآتي:

١. اللغة الفرنسية: تُعد اللغة الرسمية للدولة، وهي الأكثر انتشاراً واستخداماً في مختلف أنحاء البلاد. تُستعمل الفرنسية في المؤسسات التعليمية على اختلاف مستوياتها، كما تُعتمد في المعاملات التجارية والمراسلات الرسمية والوثائق الحكومية.

٢. اللغات القبلية: تضم مجموعة واسعة من اللغات المحلية، من أبرزها الديولا والباولي والهوسا والماندي، وتُعد هذه اللغات الوسيلة الأساسية للتواصل بين أفراد القبائل في شتى المناطق.

٣. اللغة العربية: تنتشر بصورة أكبر في شمال البلاد، ويتحدث بها المهاجرون من أصول عربية، ولا سيّما القادمون من سوريا ولبنان. كما تُستخدم في التعليم الديني، وخاصة في المدارس الإسلامية لتدريس القرآن الكريم [٤].

سادساً: – التركيب السكاني: يُقدَّر عدد سكان جمهورية ساحل العاج بنحو ١٤ مليون نسمة وفقاً لإحصاءات عام ١٩٩٧، وتتميّز البلاد بتنوع عرقي واسع يضم أكثر من ستين مجموعة عرقية محلية، أبرزها:

١ .الأكان: تنتمي هذه المجموعة إلى عائلة الكوا، وتنتشر في مناطق غرب إفريقيا. وقد هاجرت إلى ساحل العاج على شكل موجات متتالية خلال القرن الثامن عشر، واستقر معظم أفرادها في البلاد. ومن قبائل الأكان البارزة: الباولي (Baeule) ، الأتِي (Atie)، الأغني (Agni) ، التاولي (Tole) ، الابيي (Abe) ، والأشانتي (Asante) . وتمكّنت قبائل الأكان من بسط نفوذها على طرق التجارة وتأسيس ممالك صغيرة مستقلة ضمن أراضي البلاد.

٢. الماندينغ: تُعدّ من أقدم القبائل المستوطنة في ساحل العاج، وأسست زعامات قبلية تقليدية. وتشمل قبائلها: الديولا (Dola)، البامبارا (Bambara)، الماليكني (Maliukini)، والسينوفا (Sinufa). ويعمل غالبية أفراد هذه القبائل في الأنشطة الزراعية [٥].

٣. الكرو: تنتشر قبائل الكرو في المناطق الغربية، وخصوصاً في المناطق الغابية الكثيفة، ويعتمد معظم أفرادها على الصيد والزراعة كمصدر رئيسي للرزق.

٤. الفولاني: تتوزع قبائل الفولاني في شمال شرق ساحل العاج، وكان موطنها الأصلي في السنغال. وتُعدّ من أكبر المجموعات العرقية في غرب إفريقيا، ويعمل معظم أفرادها في الرعي والزراعة [٦].

سابعاً: – الدين: تتسم جمهورية ساحل العاج بتنوع ديني بارز، حيث تتوزع الديانات الرئيسية فيها على النحو التالي:

١. الإسلام: يشكل الإسلام نحو ٦٠% من سكان البلاد. وقد وصل إلى غرب إفريقيا، بما في ذلك ساحل العاج، في القرن العاشر الميلادي على يد المرابطين المغاربة، وينتمي غالبية المسلمين إلى الطريقة القادرية [٧]. كما ساهمت الهجرات والتزاوج بين السكان في تعزيز انتشار الإسلام داخل البلاد على نطاق واسع [٨].

٢. المسيحية: انتشرت المسيحية مع الاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا، مدعومةً بـ البعثات التبشيرية. وتعد المسيحية الديانة الثانية بعد الإسلام، حيث يشكل أتباعها نحو ٢٥% من سكان البلاد.

٣. الديانات الأخرى: تشمل الديانات البهائية والبوذية، إضافةً إلى الدين البوسنيمي وكنيسة الرسول بابا نوفية، وهي ديانة تمزج بين المعتقدات المسيحية والتقاليد المحلية، ما يعكس التنوع الروحي والثقافي للمجتمع الإيفواري [٩].

ثامناً: – الجانب الاقتصادي: يعتمد اقتصاد جمهورية ساحل العاج على مجموعة من القطاعات الرئيسية، من أبرزها:

١. الزراعة: تُعد الزراعة الركيزة الأساسية للاقتصاد ولرزق السكان. ويأتي الكاكاو في المرتبة الأولى بين المحاصيل الزراعية، حيث يبلغ متوسط إنتاج البلاد السنوي نحو ٣٠٠ ألف طن. ويساهم إنتاج ساحل العاج، إلى جانب إنتاج غانا ونيجيريا والكاميرون، في نحو ٦٠% من الإنتاج العالمي للكاكاو، مما يعكس الأهمية الاقتصادية الكبيرة للبلاد في السوق الدولية [١٠].

تشتهر جمهورية ساحل العاج بعدد من المحاصيل الزراعية الاستراتيجية، من أبرزها:

أ. البن: تحتل البلاد المرتبة الثالثة عالميًا بعد كل من البرازيل وكولومبيا.

ب. الموز: تأتي في المرتبة الخامسة عالميًا.

ت. الأناناس: تحتل أيضًا المرتبة الخامسة عالميًا.

ث. زيت النخيل، الأرز، والقطن: تشكل هذه المحاصيل ركائز أساسية في الاقتصاد الزراعي للبلاد.

٢. الثروات الطبيعية: تتمتع البلاد بثروات طبيعية كبيرة ومتنوعة، من أبرزها:

١. المنغنيز.

٢. الحديد.

٣. القصدير.

٤. الذهب.

٥. الألماس.

٦. النفط، الذي اكتُشف متأخراً عام ١٩٧٧ في حقل بيلير (Belier) جنوب مدينة كْران (Crand).

وتعكس هذه الموارد الطبيعية والمقومات الزراعية الدور البارز لساحل العاج في الاقتصاد الإقليمي والدولي، حيث تساهم بشكل كبير في صادرات البلاد وإيراداتها الوطنية(١١).

٣. الصناعة والتجارة: عُرف سكان جمهورية ساحل العاج بعدد من الصناعات التقليدية البارزة، من أبرزها:

أ- نحت الأخشاب: يُعد هذا الفن من الأعمال الموسمية، حيث كان السكان يقومون بنحت الأدوات المنزلية والقطع ذات الاستخدام الديني، إلى جانب التماثيل والأقنعة التي تُستخدم ضمن الممارسات الثقافية والطقوسية للقبائل المحلية (١٢).

ب- صياغة الذهب: شهدت هذه الصناعة ازدهارًا عقب اكتشاف مناجم الذهب قرب نهر كوموي، وتميزت بها قبائل باولي، التي كانت تصنع من الذهب صولجان الملك وتاجه، ما يعكس مستوى عالٍ من المهارة في الفنون المعدنية التقليدية.

ت- صناعة الفخار: كانت هذه الحرفة تمارسها النساء في مختلف القبائل، حيث كن يصنعن التماثيل الفخارية والأواني التقليدية المستخدمة في الحياة اليومية والطقوس الاجتماعية.

ث- النسيج والحياكة: اشتهرت بهذه الصناعات قبائل غورو (Gouro) وماليكي (Malinke)، حيث كانوا يصنعون شبكات صيد الأسماك والأقمشة التقليدية، مسهمين بذلك في تعزيز الثقافة المحلية والاقتصاد اليومي للقبائل.

ج- التجارة: تتميز ساحل العاج بوجود طرق تجارية رئيسية تربط بين الشمال والجنوب، ومن أبرز هذه الطرق:

الطريق الأول: يربط مدينة كونج (Kong) بمدينة اسيني (Assinie) الواقعة على ساحل المحيط الأطلسي، وهو طريق حيوي يسهم في تسهيل حركة البضائع والخدمات بين المناطق الداخلية والساحلية.

الطريق الثاني: يربط هذا الطريق مدينة كوروغو (Korhogo) بمدينة تياسالي (Tiassale)، ويُعد من المحاور الرئيسة لحركة التجارة الداخلية بين الشمال والجنوب [١٣].

أبرز الصادرات:

- المحاصيل الزراعية: مثل الكاكاو، البن، الموز، والأناناس.
- المعادن: مثل الذهب، الألماس، والعاج.

أبرز الواردات:

- الأقمشة.
- الأسلحة.
- الكتب الدينية.
- النحاس.
- الفواكه المجففة.

ومن الجدير بالذكر أن فرنسا أنشأت أكبر مركز تجاري في الطرف الشمالي من ساحل العاج، بمدينة أسيني (Assinie)، لتجارة الدقيق، حيث كان زعماء القبائل يبادلون الدقيق مقابل الأسلحة الخفيفة والألبسة، ما يعكس تأثير الاستعمار الفرنسي في تنظيم التجارة والسيطرة على الأسواق المحلية [١٤].

المبحث الثاني

(الاستعمار الفرنسي لساحل العاج وحركات المقاومة)

أولاً: – مراحل التوسع الفرنسي في ساحل العاج:

١. بداية التوغل الفرنسي في ساحل العاج: يعود اهتمام فرنسا بساحل العاج إلى عهد الملك لويس الرابع عشر (١٦٣٨–١٧١٥)، حين أُرسلت باخرة حربية فرنسية بقيادة النقيب دوكاس (Dwkas) إلى منطقة أسيني الواقعة في أقصى جنوب البلاد والمطلة على خليج غينيا عام ١٦٨٧. وقد تمكن الفرنسيون خلال تلك الفترة من إنشاء مركز تجاري وآخر للتبشير الديني، إلا أن تواجدهم لم يدم طويلًا، إذ انسحبوا عام ١٧٠٤ نتيجة انشغال فرنسا بمستعمراتها في أمريكا والهند وجزر المحيط الأطلسي.

وخلال الحروب النابليونية (١٧٩٥-١٨١٤)، سيطرت بريطانيا على هذه المراكز، غير أن فرنسا استعادت نفوذها بموجب مقررات مؤتمر فيينا عام ١٨١٥. ومنذ ذلك الحين، شرعت فرنسا في تعزيز إشرافها على ساحل العاج عبر إرسال مندوبين للتواصل مع الزعماء المحليين وإبرام معاهدات تجارية ساهمت في ترسيخ نفوذها التدريجي في المنطقة [١٥].

وافق زعماء القبائل المحلية على المعاهدات الفرنسية، ووضعوا أنفسهم تحت الحماية الفرنسية، وكان الهدف الرئيس من ذلك الحصول على الدعم العسكري، لا سيما الأسلحة، لتمكينهم من فرض سيطرتهم على القبائل الوثنية في المنطقة [١٦].

وفي عام ١٨٢٣، تخلّت فرنسا عن محاولاتها التوسعية في أمريكا استنادًا إلى مبدأ مونرو، وبدأت توجيه اهتمامها نحو القارة الإفريقية. وقررت حكومة الملك شارل العاشر (Charles X) [١٧] (١٨٢٤-١٨٣٠) إنشاء مستعمرة في شمال إفريقيا، بهدف تحويل أنظار الفرنسيين إلى الخارج وصرف اهتمامهم عن المشكلات الداخلية التي كانت تواجه البلاد في تلك الفترة.

٢- عقد المعاهدات مع الزعماء المحليين في ساحل العاج: سعت الحكومة الفرنسية إلى تبرير مشروعها الاستعماري من خلال شعار "نقل الحضارة إلى الشعوب الإفريقية"، حيث كانت هذه "الحضارة" في تصورها تعني تنصير السكان المحليين ونشر الثقافة واللغة الفرنسية بينهم.

وفي هذا الإطار، شرعت فرنسا في تعزيز نفوذها في ساحل العاج عبر إبرام معاهدات تجارية مع الزعماء المحليين خلال السنوات ما بين ١٨٣٨ -١٨٤٣. وقد تمكن الضابط البحري الفرنسي بوبيه ويليامز (Bouët-Willaumez) من توقيع عدة معاهدات مع حكام كل من غراند بسام (Grand) Bassam وأسيني (Assinie)، مما مهد الطريق لترسيخ الوجود الفرنسي وضمان مصالحها الاقتصادية والسياسية في المنطقة [١٨].

وجاءت تلك المعاهدات على النحو التالي:

أ- المعاهدة الأولى (١٨٤٢): تم توقيع المعاهدة الأولى في التاسع من شباط ١٨٤٢ بين الملك بيتر (Piter)، حاكم غراند بسام (Grand Bassam)، والضابط الفرنسي

بوبيه (Bouët). وقد تضمنت المعاهدة مجموعة من البنود التي أرست الأسس الأولى للسيطرة الفرنسية في المنطقة، وجاءت كما يلي:

المادة الأولى: تُمنح السيادة المطلقة على أراضي وأنهار غراند بسام لملك فرنسا لويس فيليب (Philippe Louis) (١٨٣٠–١٨٤٨)، كما يُخوّل لفرنسا الحق في إنشاء الحصون والقلاع التي تراها ضرورية، مع منع أي دولة أجنبية أخرى من ممارسة السيادة داخل الإقليم.

المادة الثانية: يتنازل ملك غراند بسام لفرنسا عن مساحة تقدّر بعشرة آلاف متر مربع من الأراضي.

المادة الثالثة: تلتزم فرنسا، مقابل هذه الامتيازات، بمنح ملك غراند بسام عشر قطع من الأقمشة الصناعية وعشر بنادق عند توقيع المعاهدة.

المادة الرابعة: تُمنح فرنسا حرية الملاحة في الأنهار وروافدها الواقعة ضمن نطاق غراند بسام [١٩].

المادة الخامسة: في حال نشوء أي نزاع بين الطرفين، يُحال الأمر إلى أول قائد سفينة حربية فرنسية يصل إلى المنطقة، على أن يلتزم هذا القائد بمبادئ العدل والإنصاف في حكمه.

المادة السادسة: يتعهد الطرفان بضمان سلامة التجارة وحماية الأنشطة التجارية ضمن الأراضي الخاضعة للاتفاق.

المادة السابعة: يبدأ سريان وتنفيذ أحكام هذه المعاهدة اعتبارًا من تاريخ توقيعها في التاسع عشر من شباط ١٨٤٢.

ب- المعاهدة الثانية (١٨٤٣): أُبرمت المعاهدة الثانية في الرابع من تموز ١٨٤٣ بين ملك أسيني (Assinie) والضابط الفرنسي فلوريو (Fleurio)، وقد شكّلت خطوة إضافية نحو ترسيخ النفوذ الفرنسي في ساحل العاج، وجاءت بنودها كما يلي:

المادة الأولى: يعلن ملك أسيني وشعبه ترحيبهم بإقامة علاقات الصداقة والتحالف مع فرنسا، ويضعون أنفسهم تحت السيادة المطلقة لملك فرنسا لويس فيليب (Louis Philippe) على أراضيهم.

المادة الثانية: يحتفظ الملك والرؤساء المحليون بحقهم في الاستفادة من خيرات البلاد ضمن إطار المعاهدة، إلا أنهم لا يجوز لهم عقد أي معاهدات أو اتفاقات مع قوى أجنبية، إذ يُعد

هذا الحق من صلاحيات ملك فرنسا حصراً. كما يُحظر على أي دولة أجنبية إقامة منشآت أو مراكز داخل أراضي أسيني.

المادة الثالثة: يتعهد ملك أسيني والرؤساء المحليون باحترام الفرنسيين وحماية أرواحهم وممتلكاتهم وسلعهم.

المادة الرابعة: تكفل المعاهدة حرية وسلامة الملاحة للسفن الفرنسية في مياه أسيني ومحيطها(٢٠).

المادة الخامسة: في حال وقوع حادث بحري مثل الغرق، يُمنح المنقذون ثلث الممتلكات المستخرجة، فيما يُسلم الباقي إلى الحاكم المحلي ليُعاد إلى مالكيه الأصليين وفق الأصول القانونية والعرفية السائدة.

المادة السادسة: يتنازل ملك أسيني عن جميع الأراضي الواقعة بين البحر والنهر لصالح الحكومة الفرنسية، بما يمنحها الحق في استغلالها وإدارتها وفقًا لمصالحها الاستعمارية.

المادة السابعة: تتعهد فرنسا، مقابل هذه الامتيازات، بتوفير الحماية الكاملة لملك أسيني وزعمائه المحليين، وضمان صون ممتلكاتهم من أي اعتداءات أو تهديدات خارجية.

المادة الثامنة: يلتزم ملك فرنسا، ضمانًا لاستمرار تنفيذ أحكام المعاهدة، بتقديم هدايا سنوية إلى ملك أسيني وزعمائه المحليين، تشمل: ستًا وثلاثين بندقية، وستًا وثلاثين قطعة من الأقمشة المتنوعة، وأربع صناديق من التمور، وثلاث أفران من المرجان، وستًا وتسعين علبة من السجائر.

المادة التاسعة: يبدأ تنفيذ أحكام هذه المعاهدة من تاريخ نقل السيادة رسميًا إلى فرنسا، مقابل ما تقدمه من حماية لأسيني من الحروب والنزاعات الإقليمية (٢١).

٣- إنشاء المراكز والحصون التجارية في ساحل العاج: استنادًا إلى المعاهدات المبرمة مع الزعماء المحليين، تمكنت فرنسا من إنشاء عدد من المراكز والحصون التجارية في ساحل العاج، كان أولها في جراند بسام والثاني في أسيني، وقد أُطلق عليهما اسم "وكالات الجنوب".

ومع ذلك، لم تحظَ هذه المراكز بالاهتمام الكافي من قبل السلطات الفرنسية، ويُعزى ذلك إلى مجموعة من العوامل، من أبرزها:

- صعوبة الملاحة في أنهار ساحل العاج.
- ارتفاع درجات الحرارة.
- اندلاع النزاعات المتكررة بين القبائل الوثنية [٢٢].

٤- إنشاء المدارس التنصيرية في شمال ساحل العاج: شرعت فرنسا في إنشاء عددٍ من المدارس التنصيرية في شمال ساحل العاج، وكان الهدف الرئيس من تأسيسها يتمثل في توجيه الأطفال المسلمين وإبعادهم عن التعاليم والفكر الإسلامي، الذي اعتبرته الإدارة الاستعمارية الفرنسية أحد أبرز العوائق أمام تنفيذ مشاريعها التوسعية في المنطقة[٢٣].

ثانيًا: - مؤتمر برلين وانعكاساته على ساحل العاج: تعود الأسباب الحقيقية وراء انعقاد مؤتمر برلين إلى احتدام الصراع بين القوى الأوروبية حول بسط النفوذ في منطقة حوض الكونغو، فضلاً عن الطموحات الاستعمارية التي أظهرها الملك البلجيكي ليوبولد الثاني (Leopold II) [٢٤]، في تأسيس دولة خاضعة لسلطته داخل أعماق القارة الإفريقية. وقد أسهم ذلك في تصاعد حدة التنافس بين كلٍّ من بريطانيا وفرنسا والبرتغال وبلجيكا، الأمر الذي دفع المستشار الألماني أوتو فون بسمارك (Otto von Bismarck) [٢٥]، الى الدعوة لعقد مؤتمر دولي في برلين، بمشاركة مختلف القوى الأوروبية المهتمة بإفريقيا، بهدف مناقشة النزاعات القائمة وتنظيم عملية التوسع الاستعماري في القارة.

انعقد مؤتمر برلين خلال المدة الممتدة من ١٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٨٨٤ إلى ٢٦ شباط/ فبراير ١٨٨٥، بمشاركة ممثلي أربع عشرة دولة، وهي: ألمانيا، الدنمارك، السويد، هولندا، البرتغال، روسيا، النمسا والمجر، النرويج، إيطاليا، الدولة العثمانية، بلجيكا، الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، اسبانيا [٢٦].

وقد جاء انعقاد المؤتمر بهدف تنظيم النشاط الاستعماري الأوروبي في القارة الإفريقية، وضمان حرية الملاحة والتجارة في حوض الكونغو، إلى جانب تحديد مناطق النفوذ الاستعماري لكل دولة أوروبية [٢٧].

وتمخض المؤتمر عن عدد من القرارات الأساسية، من أبرزها [٢٨]:

١ .ضمان حرية التجارة في حوض الكونغو.

٢ .الالتزام بحرية الملاحة في نهري الكونغو والنيجر.

٣ .العمل على إلغاء تجارة الرقيق.

٤ .إلزام أي دولة أوروبية تحتل منطقة في إفريقيا بإبلاغ باقي الدول الأوروبية بذلك رسميًا.

٥. منح الدول الأوروبية التي أبرمت معاهدات أو اتفاقيات مع السكان الأصليين الحق في احتكار التجارة ضمن المناطق الواقعة تحت نفوذها.

نتيجةً للقرارات التي تمخض عنها مؤتمر برلين، شرعت فرنسا في تعزيز نفوذها داخل مناطق غرب إفريقيا من خلال إبرام سلسلة من المعاهدات التي اتخذت شكلين رئيسيين:

١ .المعاهدات الإفريقية – الأوروبية: في بداياتها اتسمت هذه المعاهدات بطابعٍ تجاري، إذ ارتبطت أساسًا بتجارة الرقيق، الأمر الذي أتاح للأوروبيين احتكار النشاط التجاري في عدد من المناطق الإفريقية. وقد مهّد هذا الاحتكار الطريق أمام تزايد التدخل السياسي الأوروبي في شؤون القارة، ليتحوّل لاحقًا إلى معاهدات ذات طبيعة سياسية، تنازل بموجبها زعماء القبائل الإفريقية عن سيادتهم مقابل ما عُرف بالحماية الأوروبية [٢٩].

ومن خلال تلك المعاهدات تمكنت فرنسا من توسيع نطاق سيطرتها على مساحات شاسعة من ساحل العاج، وذلك عبر عقد اتفاقيات مع الزعماء المحليين، استخدمت فيها أساليب متعددة تراوحت بين الإقناع والضغط والتهديد [٣٠].

٢. المعاهدات الأوروبية الثنائية لتقسيم مناطق النفوذ: أبرمت فرنسا عددًا من الاتفاقيات الثنائية مع القوى الأوروبية الأخرى بهدف تحديد نطاقات النفوذ الاستعماري، ولا سيما في منطقة غرب إفريقيا، وتحديدًا في ساحل العاج. ومن أبرز تلك الاتفاقيات اتفاقية ساي – بارو (Say–Barou) الموقعة عام ١٨٩٠ بين فرنسا وبريطانيا، والتي نصّت على اعتراف بريطانيا الرسمي بالنفوذ الفرنسي في ساحل العاج [٣١].

ثالثًا: – الاحتلال الفرنسي لساحل العاج عام ١٨٩٣: استنادًا إلى مقررات مؤتمر برلين (١٨٨٤–١٨٨٥)، وبالاعتماد على المعاهدات التي عقدتها فرنسا مع القوى الأوروبية الأخرى، تمكنت فرنسا من بسط نفوذها على مساحات شاسعة من أقاليم غرب إفريقيا، مستفيدةً من تفوقها العسكري والبحري آنذاك.

وقد تبنّت فرنسا سياسة الغزو العسكري المباشر لفرض سيطرتها على ساحل العاج، حيث تقدمت قواتها من أعالي نهر النيجر، محققةً سلسلة من الانتصارات العسكرية المتتالية. وكان من أبرز تلك الانتصارات القضاء على الزعيم المحلي دامل كايور Dumbel (Kapoor)، الذي تزعم المقاومة ضد التوسع الفرنسي حتى مقتله عام ١٨٨٦، وهو الحدث الذي مهّد الطريق أمام ترسيخ السيطرة الفرنسية الكاملة على البلاد عام ١٨٩٣.

حقق الجيش الفرنسي انتصاراتٍ إضافية على محمد الأمين Mohamed (Elamin)، الذي يُعد من أبرز الزعماء الإسلاميين في ساحل العاج، وذلك في معركة توبا كوتا (Tuba Kota) عام ١٨٨٧. وبانتصاره في هذه المعركة، استطاع الجيش الفرنسي القضاء على أبرز القيادات المحلية المؤثرة، مما أتاح له إخضاع مناطق واسعة من البلاد وإحكام السيطرة عليها بشكل شبه كامل [٣٢].

رابعاً: – حركات المقاومة في ساحل العاج ضد الاحتلال الفرنسي: واجهت فرنسا عند احتلالها ساحل العاج مقاومة شديدة من السكان المحليين، تمثلت في عدة حركات من أبرزها:

١- حركة المقاومة الأولى بقيادة ساموري توري (١٨٨٧–١٨٩٨): اندلعت معارك عنيفة بين القوات الفرنسية والمقاتلين المحليين الذين قادهم ساموري توري (Samori Touré) [٣٣]، أحد أبرز زعماء المقاومة في غرب إفريقيا. وقد استعانت فرنسا ببعض القبائل الوثنية في المناطق الشرقية لمساندتها في حربها ضد ساموري توري، مما أدى إلى إضعاف قوته العسكرية. ونتيجة لذلك، اضطر ساموري إلى توقيع معاهدة كينيا كورا في السادس عشر من نيسان ١٨٨٧، والتي نصت على ما يلي:

أ– اعتراف ساموري بالنفوذ الفرنسي على الضفة اليسرى لنهر النيجر من نيامينا حتى تنكو، على أن تبقى الأراضي الأخرى الواقعة على الضفة اليمنى تحت سلطته وسيطرته[٣٤].

ب– وافق ساموري توري على التخلي عن مطالبه بحقوقه في مناجم الذهب والاعتراف بالسيطرة الفرنسية عليها. غير أن هذه المعاهدة لم تدم طويلًا، إذ طالبت فرنسا بإجراء تعديلات عليها، فتم توقيع المعاهدة الثانية (معاهدة بيسانردجو) في الخامس والعشرين من آذار ١٨٨٧ بين فرنسا وساموري، والتي كانت أكثر شمولًا ودقة في بنودها، إذ

حددت مناطق النفوذ الفرنسي وأجبرت ساموري على عدم التوسع غرب نهر النيجر [٣٥].

وبهدف تأمين الأسلحة لمواصلة مقاومته، فتح ساموري قنوات اتصال مع دول أخرى، أبرزها سيراليون، حيث كان التجار البريطانيون يزودونه بالأسلحة. وقد احتجت فرنسا على ذلك، وطلبت من بريطانيا منع بيع الأسلحة لساموري، وأعلنت الحرب عليه. استولى الجيش الفرنسي على عاصمة ساموري كانكان (Kankan)، ما اضطره إلى تأسيس عاصمة جديدة في شمال البلاد عام ١٨٩١ لتكون بعيدة عن نطاق السيطرة الفرنسية [٣٦].

قررت فرنسا في العاشر من آذار ١٨٩٣ إرسال قوات عسكرية لمواجهة ساموري، الذي كان قد فرض سيطرته على شمال ساحل العاج. وخاضت القوات الفرنسية سلسلة من المعارك الطاحنة خلال الفترة من ١٨٩٣ إلى ١٨٩٨، مستخدمةً سياسة الأرض المحروقة وفرض حصار شديد، الأمر الذي أدى إلى انتصار الفرنسيين وسيطرتهم على أجزاء واسعة من شمال ساحل العاج. وأُلقي القبض على ساموري بالقرب من الحدود مع غينيا في التاسع والعشرين من أيلول ١٨٩٨، ونُفي إلى الغابون حيث توفي عام ١٩٠٠ [٣٧].

٢ – حركة المقاومة الثانية البولي (١٨٩١–١٩٠٢): تزعم حركة المقاومة جماعات بولي في ساحل العاج، بقيادة كومينان، الذي وقف بوجه التوغل الفرنسي ومنعهم من التقدم داخل البلاد. غير أن الانتصار الفرنسي على ساموري توري عام ١٨٩٨ دفع القوات الفرنسية إلى تجهيز حملة عسكرية للقضاء على مقاومة البولي. بدأت فرنسا بإقامة مواقع عسكرية قرب المناطق الخاضعة لسيطرة البولي، ثم قامت باعتقال أحد قادة البولي وإعدامه بتهمة العداء لفرنسا عام ١٨٨٩.

ردت جماعات البولي بشن هجمات على المواقع العسكرية الفرنسية، أسفرت عن سقوط عدد من الجنود الفرنسيين. ومن جانبها، تمكنت فرنسا من السيطرة على كوكومبو، التي كانت مركزًا لاستخراج الذهب التابع للبولي. ومع ذلك، لجأت جماعات البولي إلى حرب العصابات، ما اضطر فرنسا في نهاية المطاف إلى إيقاف العمليات العسكرية لفترة من الزمن [٣٨].

٣- حركة المقاومة الثالثة القبائل: أدت السياسات التي انتهجتها فرنسا تجاه القبائل في ساحل العاج إلى اندلاع مقاومة شعبية واسعة، حيث شملت هذه السياسات:

أ- فرض الضرائب على السكان المحليين.

ب- مصادرة الأراضي لصالح الإدارة الفرنسية.

ت- اعتقال زعماء القبائل المعارضين للحكم الفرنسي.

وقد دفعت هذه الإجراءات القبائل إلى شن هجمات متفرقة على القوات الفرنسية في مختلف مناطق ساحل العاج، ما أسفر عن تصاعد حدة المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي[٣٩].

المبحث الثالث

(الإدارة الفرنسية في ساحل العاج)

سعت فرنسا إلى فرض سيطرتها الفعلية على ساحل العاج من خلال تطبيق أساليب الاحتلال المباشر التي تمثلت في الآتي:

أولاً: - الناحية الإدارية:

١- اتفاقيات تحديد الحدود: أبرمت فرنسا ثلاث اتفاقيات رسمت من خلالها حدود مستعمرة ساحل العاج، وجاءت على النحو الآتي:

- مع ليبيريا بتاريخ الثامن من كانون الأول عام ١٨٨٢م.
- مع بريطانيا، حيث وُقّعت المعاهدة الأولى في الثاني عشر من تموز ١٨٩٣م، والثانية في الثالث من حزيران ١٨٩٨م.

٢- نظام الحكم المباشر: اتبعت فرنسا في ساحل العاج أسلوب الحكم المباشر القائم على الإدارة المركزية، إذ تولت السلطات الفرنسية الإشراف المباشر على شؤون المستعمرة ضمن منظومة إدارتها لمستعمرات غرب إفريقيا.

٣- إلغاء الزعامات القبلية والمحلية: في المراحل الأولى من الاستعمار الفرنسي، استعانت فرنسا بالزعماء المحليين كوكلاء لها، من خلال إقناعهم بعقد معاهدات حماية منحتهم امتيازات خاصة. إلا أنه بعد أن أحكمت سيطرتها على البلاد، تخلّت عن هؤلاء الزعماء، واستبدلتهم بجهاز إداري يتألف من موظفين فرنسيين يتولون إدارة شؤون المستعمرة [٤٠].

٤- تم تعيين جوستاف بينجر(Gustave Binger) [٤١] حاكماً عاماً على مستعمرة ساحل العاج عام ١٨٩٢م، حيث شرع في تنظيمها إداريًا عبر تقسيمها إلى دوائر رئيسية، قُسِّمت بدورها إلى دوائر فرعية. وقد مثّلت الدائرة الوحدة الأساسية في التنظيم الإداري للمستعمرة، إذ كان يرأسها مدير أو قائد يتولى مهام متعددة، منها تنفيذ المشاريع والخطط السياسية والإدارية، والإشراف على المنافذ الجمركية، وجمع الضرائب والرسوم المختلفة[٤٢].

أبرز الدوائر في ساحل العاج هي:

١-اسيني- Assine.

٢-بسام- Bassam.

٣-بونروكي- Bondoukou .

٤-لاغونس- Laguner.

٥-توبا- Touba.

ثانياً: - الناحية الاقتصادية:

١- ملكية الأرض: قبل الاحتلال الفرنسي، كانت الأراضي في ساحل العاج مملوكة للقبائل، تُدار بشكل جماعي يشبه الأسرة الواحدة، حيث يعمل جميع أفرادها لتأمين احتياجاتهم المعيشية. غير أن الأوضاع تغيّرت بعد بسط فرنسا نفوذها الاستعماري، إذ استولت على الأراضي بالقوة وفرضت مجموعة من القوانين الجديدة التي حوّلت الأرض إلى سلعة تُباع وتُشترى. ونتيجة لذلك، استحوذت الشركات الرأسمالية الفرنسية على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية [٤٣].

كما منحت السلطات الفرنسية نفسها الحق في الاستيلاء على الأراضي غير المملوكة، فكان يحق لرئيس المقاطعة الاستيلاء على الأراضي التي تقل مساحتها عن ١٠٠ هكتار، بشرط الحصول على موافقة الحاكم العام في حال تجاوزت المساحة هذا الحد حتى ١٠٠٠ هكتار، أما الأراضي التي تزيد مساحتها على ذلك، فكان يلزم الاستحصال على موافقة الحكومة الفرنسية مباشرة [٤٤].

٢- الزراعة: عملت الإدارة الفرنسية على إدخال أساليب زراعية حديثة تهدف إلى تطوير الإنتاج وزيادته، وخاصة في المحاصيل النقدية مثل البن والكاكاو. كما أنشأت فرنسا عدداً من الجمعيات الزراعية، من أبرزها الجمعية الفرنسية التعاونية، التي تولّت تدريب المزارعين في ساحل العاج على التقنيات الزراعية الحديثة.

وفي عام ١٩٣٤م، تم تنظيم نظام الائتمان الزراعي لدعم عمليات الإنتاج قصيرة ومتوسطة الأجل، مع تشجيع الملكية الخاصة للأراضي الزراعية. ونتيجة لتلك السياسات، احتلت زراعة الكاكاو المرتبة الأولى عالميًا في عام ١٩٣٧م، واستمر تطبيق هذه السياسة الزراعية حتى عام ١٩٦٠م [٤٥].

٣- الثروات المعدنية: سعى الاستعمار الفرنسي إلى استغلال الموارد المعدنية في ساحل العاج عبر تنفيذ حملات استكشافية للبحث عن المعادن، حيث تم اكتشاف الذهب في مناطق متعددة مثل بولي (Boui) وباندوكو (Bondoukou) [٤٦]، كما تم العثور على الماس في منطقة سانوي (Sanwi).

إضافة إلى ذلك، شجعت السلطات الفرنسية الحرف المحلية، ولا سيما صناعة النسيج التي كانت واسعة الانتشار، فقامت بإنشاء مصنع للنسيج في بواكي (Bouaké) [٤٧] لدعم وتطوير هذا القطاع الإنتاجي.

٤- التجارة: كانت الحركة التجارية في ساحل العاج محدودة في بداياتها، ويعود ذلك إلى الظروف الطبيعية الصعبة التي تميزت بها البلاد، حيث تغطيها غابات كثيفة حالت دون تطور النشاط التجاري، إضافة إلى قلة خطوط السكك الحديدية التي حدّت من حركة النقل والتبادل التجاري [٤٨].

ولمعالجة هذه المشكلات، شرعت الإدارة الفرنسية في إنشاء عدد من خطوط السكك الحديدية بين عامي ١٩٠٦ -١٩٥٧م، وقد كانت أبرز هذه الخطوط موضحة في الجدول [٤٩] أدناه.

ت	اسم الخط الحديدي	طول الخط	تأريخ التنفيذ
١	ابيدجان-اغبوفيل	٨٢كم	١٩٠٦
٢	اغبوفيل-ديمبوكو	٩٩كم	١٩١٠

٣	بوبو–ديولاسو	٢٨٥كم	١٩٢٧
٤	فيركسيكوغو–بوديولاسو	٢٨٨كم	١٩٤٢
٥	ابيدجان–ارف بورت بويه	١١٠كم	١٩٥٧

فيما يتعلق بالموانئ، قامت الإدارة الفرنسية في ساحل العاج بإنشاء ميناءين رئيسيين، كان أبرزها:

أ- ميناء أبيدجان: يقع هذا الميناء في جنوب ساحل العاج على ضفاف بحيرة إيبري (Ebrie)، التي تربط بين خليج غينيا والمحيط الأطلسي. يمتد الميناء على مساحة تُقدَّر بنحو ٢,٥٥٠ فدانًا، ويضم مستودعات واسعة للتخزين. ويُعد الميناء الرئيسي في ساحل العاج، إذ يسهم بما نسبته ٩٠% من الإيرادات الجمركية للمستعمرة [٥٠].

ب– ميناء سان بيدرو (San Pedro): يقع هذا الميناء في جنوب ساحل العاج مطلًا على خليج غينيا، ويُعد ثاني أهم ميناء في البلاد بعد أبيدجان، كما يحتل المرتبة الأولى في تصدير الكاكاو.

أنشأت الإدارة الفرنسية في المنطقة عددًا من الشركات التجارية الكبرى، من أبرزها:

- بونيليفر (Boneliver).
- هونغ (Hong).
- بين فيردير (Pain Verder).

وقد لعبت هذه الشركات دورًا محوريًا في السيطرة على التجارة الداخلية والخارجية في ساحل العاج، وسعت إلى زيادة الإنتاج الزراعي عبر تقديم القروض للمزارعين ومنحهم إعفاءات ضريبية تشجيعًا لهم على توسيع نشاطهم الزراعي [٥١].

ثالثًا: – الناحية الاجتماعية:

١– الصحة: عانت ساحل العاج من انتشار عدد من الأمراض المعدية، أبرزها الجدري والملاريا. ونتيجة لذلك، أنشأت الإدارة الفرنسية عام ١٩١٧ أول إدارة طبية في مدينة أبيدجان، والتي توسعت لاحقًا لتشمل فروعًا في مدن أخرى. كما قامت بإنشاء مستشفى ومستوصف خاص بالولادة في أبيدجان بهدف تحسين الأوضاع الصحية.

٢- التعليم: كان التعليم في ساحل العاج خاضعًا لإشراف البعثات التبشيرية الفرنسية، واستمرت هذه البعثات في عملها بدعم من الإدارة الفرنسية، شريطة التزامها بالتوجيهات الصادرة عن البرلمان الفرنسي. وقد بدأت الإدارة الفرنسية بإنشاء المدارس منذ عام ١٩٠١، وكانت اللغة الفرنسية هي لغة التعليم المعتمدة فيها [٥٢].

كانت أبرز المدارس التي أُنشئت في ساحل العاج على النحو الآتي:

- مدرسة القرية
- مدرسة المقاطعة
- مدرسة المدينة

وقد قُسِّم التعليم في ساحل العاج إلى مرحلتين رئيسيتين:

أ- المرحلة الأولى: كان جميع معلمي هذه المرحلة من الأفارقة الذين تلقّوا تعليمهم في المدارس التبشيرية الفرنسية. واشتمل المنهج الدراسي على مواد مثل الزراعة، والتعليم، والقراءة، والحساب.

ب- المرحلة الابتدائية الثانية: ضمّت هذه المرحلة الطلبة المتخرجين من المرحلة الأولى، حيث خضعوا خلال السنتين الأخيرتين من دراستهم لتدريب عملي على بعض الوظائف الحكومية. كما خصصت بعض المدارس في هذه المرحلة لتأهيل معلمي المرحلة الأولى، بعد خضوعهم لدورة تدريبية مدتها ثلاث سنوات [٥٣].

أما المناهج الدراسية فقد صُممت لتحقيق أهداف تخدم التوجهات الاستعمارية الفرنسية، وتمثلت في:

- تمجيد الاستعمار الفرنسي.
- طمس الهوية الإفريقية.
- تعزيز الولاء للإدارة الفرنسية.
- التقليل من شأن القيم الحضارية والثقافية الوطنية.
- حظر تدريس اللغات الإفريقية في المدارس.
- إحلال القيم الدينية المسيحية محل القيم الإسلامية.

أنشأت الإدارة الفرنسية في عام ١٩٤١ جامعة واحدة في ساحل العاج، وكانت اللغة الفرنسية هي لغة التدريس المعتمدة فيها [٥٤].

٣- القضاء: تم تنظيم النظام القضائي في ساحل العاج بموجب المرسومين الصادرين في السادس من آب ١٩٠١ والخامس عشر من نيسان ١٩٠٢، اللذين نصّا على إنشاء محكمة عليا في مدينة بنجرفيل الواقعة في الجنوب الشرقي من البلاد. وقد تألفت المحكمة من رئيس وثلاثة قضاة فضلاً عن كاتب للمحكمة [٥٥].

المبحث الرابع

(الحركة الوطنية ودورها في استقلال ساحل العاج عام ١٩٦٠)

أولًا: - عوامل ظهور حركة المقاومة في ساحل العاج: عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، بدأت تتبلور في إفريقيا ردود فعل قوية تجاه الاستعمار الفرنسي، حيث شهدت منطقة غرب إفريقيا، ولا سيما ساحل العاج، نشوء حركات مقاومة وطنية نتيجة لتعدد العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ومن أبرز هذه العوامل ما يأتي:

١. نمو الوعي السياسي والوطني: أدركت الشعوب الإفريقية، وفي مقدمتها سكان ساحل العاج، ضرورة التحرر من السيطرة الاستعمارية، خاصة بعد أن أصبحت فرنسا غير قادرة على إدارة مستعمراتها بالأسلوب التقليدي القديم.

٢. التجنيد الإجباري للسكان: أدى فرض التجنيد الإلزامي على أعداد كبيرة من سكان ساحل العاج خلال الحرب إلى تصاعد موجات السخط والغضب تجاه السلطات الفرنسية.

٣. تدهور الأوضاع الاقتصادية: أسهمت الحرب العالمية الثانية في تراجع النشاط الاقتصادي داخل ساحل العاج، مما عمّق معاناة السكان وأشعل مشاعر التذمر من الإدارة الفرنسية.

٤. خيبة الأمل من السياسة الفرنسية: على الرغم من ولاء ساحل العاج لفرنسا أثناء الحرب، فإنها لم تحصل على الامتيازات السياسية والإدارية التي كانت تتوقعها، خاصة في ظل إعلان الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، مما زاد من رغبة الإيفواريين في الاستقلال والتحرر من السيطرة الاستعمارية [٥٦].

ثانيًا: – تأسيس الحزب الديمقراطي في ساحل العاج: بدأت بوادر المعارضة السياسية في ساحل العاج بالظهور عام ١٩٤٤ مع تأسيس نقابة المزارعين الأفارقة، التي تولى رئاستها فيليكس هوفويه بوانيي. وقد حظيت النقابة بتأييد واسع من المواطنين، لتتحول لاحقًا إلى منبر معارض للسياسات الاستعمارية الفرنسية.

وفي اب عام ١٩٤٦، عُقد في عاصمة مالي (باماكو) مؤتمر شارك فيه أكثر من (٨٠٠) وفد إفريقي يمثلون مختلف الدول الواقعة تحت الاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا. كان الهدف من هذا الاجتماع تأسيس جبهة موحدة لمقاومة الاستعمار الفرنسي في المنطقة. وأسفر المؤتمر عن إنشاء الحزب الديمقراطي الإفريقي، الذي نص نظامه الداخلي على ضرورة إنشاء فروع وطنية في الدول الأعضاء لضمان توحيد العمل السياسي.

وفي هذا السياق، تم تأسيس الفرع الإيفواري للحزب تحت اسم الحزب الديمقراطي العاجي، ليحل محل نقابة المزارعين السابقة، وتم تعيين أوجوست دنس سكرتيرًا عامًا له. إلا أن الحزب الديمقراطي العاجي لم يلبث طويلًا حتى أعلن انفصاله عن الحزب الأم (حزب التجمع الديمقراطي الإفريقي)، نتيجة لاختلاف التوجهات الفكرية والسياسية بين الطرفين [٥٧].

واجه الحزب الديمقراطي العاجي سياسة قمعية من قبل السلطات الفرنسية، إذ شنت الحكومة حملة واسعة عام ١٩٥١ شملت اعتقال عدد كبير من قادة الحزب وزعمائه، ومنعت عقد الاجتماعات السياسية. وقد اضطر بوانيي إلى الدخول في مفاوضات مع السلطات الفرنسية، انتهت بالسماح للحزب باستئناف نشاطه السياسي اعتبارًا من عام ١٩٥٢ [٥٨].

ثالثا: – استقلال ساحل العاج: في عام ١٩٥٥، وافقت ساحل العاج على مشروع ديغول الذي قدمته فرنسا إلى مستعمراتها الإفريقية، والذي كان يمنح تلك الدول استقلالًا صوريًا تحت الوصاية الفرنسية. وبموجب هذا المشروع، تم تشكيل حكومة وطنية في ساحل العاج تعمل ضمن إطار الحماية الفرنسية، دون أن تمتلك السيادة الكاملة.

وفي عام ١٩٥٦، أقرّ البرلمان الفرنسي قانون الإطار الذي منح كل إقليم إفريقي خاضع للاستعمار الفرنسي حق إنشاء مجلس نيابي محلي يُنتخب عبر الاقتراع العام للبالغين، غير أن هذه المجالس لم تكن تتمتع بالاستقلال الحقيقي، إذ بقيت خاضعة للسلطات الفرنسية [٥٩].

أما في عام ١٩٥٨، فقد أُجري استفتاء داخل الجالية الفرنسية، صوّتت نتيجته على منح ساحل العاج حكمًا ذاتيًا ضمن ما عُرف بـ«الجماعة الفرنسية»، وهي صيغة سياسية هدفت إلى الإبقاء على روابط وثيقة بين فرنسا ومستعمراتها السابقة فيما وراء البحار. وبناءً على نتائج الاستفتاء، شُكّلت حكومة محلية تمتعت باستقلال إداري داخلي، بينما احتفظت فرنسا بالسلطات العليا في مجالات الدفاع والاقتصاد والسياسة الخارجية [٦٠].

وفي مطلع العام نفسه، تأسس اتحاد فيدرالي ضمّ كلًا من ساحل العاج وداهومي (بنين حاليًا) والنيجر، عُرف باسم «مجلس التحالف»، وكان الهدف منه المحافظة على المصالح الفرنسية في غرب إفريقيا. كما أعلن شارل ديغول عن منح كل دولة استقلالها الرسمي مقابل توقيعها على اتفاقات تعاون مع فرنسا، تتضمن التزامات اقتصادية ومالية، من بينها دفع جزية سنوية، والارتباط بالنظام النقدي الذي عُرف لاحقًا باسم «الفرنك الإفريقي»، وهو العملة الموحدة التي ظلت تربط اقتصادات تلك الدول بفرنسا بعد الاستقلال [٦١].

أُعلنت ساحل العاج دولةً مستقلة في السابع من آب ١٩٦٠، وبعد فترة وجيزة من الاستقلال، عملت فرنسا على تمكين فيليكس هوفويه بوانيي، زعيم الحزب الديمقراطي العاجي، من تولّي السلطة في البلاد. وقد حرصت فرنسا على الإبقاء على نفوذها العسكري في الدولة الوليدة، إذ سمح بوانيي لبقاء جزء من القوات الفرنسية داخل الأراضي الإيفوارية لضمان استمرار العلاقات الوثيقة بين الجانبين.

وفي إطار توجهاته السياسية والدينية، أعلن بوانيي أمام بابا الفاتيكان عزمه على تحويل ساحل العاج إلى ما وصفه بـ«قلعة كاثوليكية في إفريقيا»، وتجسّد ذلك من خلال عدد من الإجراءات، أبرزها:

١. إنشاء أكبر كنيسة في القارة الإفريقية، وهي كنيسة مريم العذراء في العاصمة السياسية ياموسوكرو.
٢. تغيير اسم الدولة من التسمية العربية ساحل العاج إلى التسمية الفرنسية كوت ديفوار (Côte d’Ivoire).
٣. نقل الإشراف على المدارس الإسلامية من وزارة التربية والتعليم إلى وزارة الداخلية، في خطوة هدفت إلى إحكام الرقابة الحكومية على المؤسسات الدينية.

٤. إلغاء الاحتفالات الدينية الإسلامية الرسمية، في إطار سياسة ترمي إلى تعزيز الهوية المسيحية للدولة الجديدة.

شهدت ساحل العاج خلال حكم بوانيي (١٩٦٠–١٩٩٣) فترة من الاستقرار السياسي والنمو الاقتصادي النسبي، ويُعزى ذلك إلى نظام الحزب الواحد الذي هيمن على الحياة السياسية، وإلى قوة السلطة التنفيذية التي مكنت الرئيس من الحفاظ على الاستقرار الداخلي طوال فترة حكمه [٦٢].

الخاتمة:

اهم الاستنتاجات التي أسهم البحث في التوصل اليها يمكن ايجازها بالآتي:

١. أسهمت المعاهدات التي عقدتها فرنسا خلال الأعوام (١٨٤٢–١٨٤٣) في ترسيخ نفوذها السياسي والاقتصادي في ساحل العاج، ومهدت الطريق أمام بسط سيطرتها الكاملة على المنطقة.

٢ .جاءت مقررات مؤتمر برلين (١٨٨٤–١٨٨٥) لتمنح فرنسا الغطاء القانوني والدولي لبسط نفوذها على دول غرب إفريقيا، ومن بينها ساحل العاج التي أعلنت فرنسا فرض الحماية عليها رسميًا عام ١٨٩٨.

٣. بعد أن تمكنت فرنسا من تثبيت وجودها في ساحل العاج، شرعت في تفكيك الزعامات القبلية والمحلية التي كانت قد أبرمت معها معاهدات سابقة، وأقامت بدلًا عنها إدارة استعمارية فرنسية مباشرة لإحكام سيطرتها على البلاد.

٤. شهدت البلاد بدايات المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي بقيادة ساموري توري، والتي استمرت حتى عام ١٨٩٨، إلى جانب حركات مقاومة محلية أخرى قادتها قبائل وجماعات مثل البولي.

٥. عملت فرنسا على طمس الهوية الثقافية الإفريقية وإحلال الثقافة الفرنسية محلها، من خلال فرض اللغة الفرنسية لغةً رسمية في التعليم والإدارة، بهدف دمج المجتمع الإيفواري في المنظومة الثقافية الفرنسية.

٦. وبعد إعلان استقلال ساحل العاج، حرصت فرنسا على تأسيس نظام سياسي يتماشى مع مصالحها الاستعمارية السابقة، مما جعل استقلال الدولة شكليًا أكثر منه فعليًا، واستمر النفوذ الفرنسي في توجيه سياساتها الداخلية والخارجية.

الهوامش:

[١]. فيليكس بوانيي (١٩٠٥ – ١٩٩٣) الرئيس الاول لجمهورية كوت ديفوار بعد الاستقلال عام ١٩٦٠، ولد في مدينة ياموسوكرو أكمل دراسته الاولية والاعدادية فيها، ثم التحق بالمدارس الطبية في السنغال عام ١٩٢٥، بعد عودته الى بلاده اسس جمعية العاملين في مجال الطب، اسس في عام ١٩٤٦ الحزب الديمقراطي لساحل العاج وقاده للوصول الى الحكم الذي استمر حتى وفاته بمرض السرطان في ٧ كانون الاول ١٩٩٣. للمزيد ينظر: الموسوعة البريطانية على الرابط الالكتروني .Britannic.com

[٢]. مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٩، دار رواد النهضة، بيروت، ٢٠٠٣، ص٥٩.

[٣]. احمد الشرقاوي ونهاد عمار، الموسوعة التاريخية الشاملة، موسوعة دول العالم الحديثة – افريقيا، مركز الراية للنشر والاعلام، القاهرة، ٢٠١٣، ص٣٢٦ .

[٤]. ابراهيم محمد ادم وفاني عبد الله الفاطمي، مقدمة حول الصراع السياسي في ساحل العاج، دراسات افريقية (مجلة)، جامعة افريقيا العالمية – السودان، العدد ٣٦، ٣١ كانون الاول ٢٠٠٦، ص٣.

[٥]. بوخشبة فوزية ومدياني مريم، الاستعمار الفرنسي في ساحل العاج ١٨٩٣ – ١٩٦٠، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والاسلامية، جامعة احمد دراية ادرار، الجزائر، ٢٠١٨، ص١٣–١٤.

[٦]. بن شيحة اشواق وخطاري عائشة، التوسع الاستعماري الفرنسي والبريطاني في غرب افريقيا خلال القرن التاسع عشر ميلادي (١٩م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة الافريقية احمد دراية –بأدرار، الجزائر، ٢٠١٤، ص٢٠.

[٧]. القادرية: هي أحد الطرق الصوفية التي تنسب الى عبد القادر الجيلاني وينتشر اتباعها في بلاد الشام والعراق وشمال وغرب افريقيا. للمزيد ينظر: هوبير ديشان، الديانات في افريقيا السوداء، ترجمة: – احمد صادق حمدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١، ص١٣٦.

[٨]. احمد محمد جاسم عبد، التطورات الداخلية في مستعمرة كوت ديفوار الفرنسية حتى عام ١٩٦٠، مدار الآداب (مجلة)، جامعة ديالى، المجلد الاول، العدد ١٩، ٢٠٢٠، ص٣٥٢.

[٩]. بوخشبة فوزية وميدياني مريم، المصدر السابق، ص١٦.

[١٠]. صلاح صبري، افريقيا وراء الصحراء، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠، ص٢٠٨.

[١١]. امين أسبر، افريقيا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، دار دمشق، دمشق، ١٩٨٥، ص٨٣.

[١٢]. يونس بالي توري، الفرق الدينية في ساحل العاج عقائدها واوجه نشاطها وموقف الاسلام والمسلمين منها، اطروحة دكتوراه، كلية الدعوة واصول الدين، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٩، ص١٢.

[١٣]. المصدر نفسه، ص١٥.

[١٤]. المصدر نفسه، ص١٧.

[١٥]. كومي نكروما، الاستعمار الجديد اخر مراحل الامبريالية، ت: عبد الحميد حمدي، دار القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٥٠.

[١٦]. المصدر نفسه، ص٥١.

[١٧]. شارل فيليب (٩ تشرين الاول ١٧٥٧–٦ تشرين الثاني ١٨٣٦) :– ملك فرنسا، اخر ملوك اسرة ال بوربون، ابن الملك لويس الخامس عشر وشقيق الملك لويس الثامن عشر ،ولد في فرساي، غادر البلاد بعد الثورة الفرنسية استقر في بريطانيا حتى عام ١٨١٥ عاد الى فرنسا، توج ملكاً بعد وفاة لويس الثامن عشر باسم شارل العاشر–Charler X، كان متمسكاً بنظرية الحق الالهي في الحكم، شهدت مدة حكمه غزو فرنسا للجزائر، حل البرلمان وفرض ضرائب جديدة ادى ذلك لظهور معارضة ضد حكمه ادت الى ثورة عام ١٨٣٠ واجبر على التنازل عن العرش لفيليب لويس وسافر الى ايطاليا ومكث فيها حتى وفاته بمرض الكوليرا. للمزيد ينظر: – موسوعة لاروس الفرنسية على الربط الالكتروني https://WWW.Larousse.fr وقت الدخول ١٠ حزيران ٢٠٢٦ الساعة ٠٩:٤٧ مساءاً.

[١٨]. بوخشبة فوزية ومدياني مريم، المصدر السابق، ص٢٥–٢٦.

[١٩]. المصدر نفسه، ص٢٦.

[٢٠]. المصدر نفسه، ص٢٧–٢٨.

[٢١]. المصدر نفسه، ص٢٨.

[٢٢]. وليم باسكوم وملفيل هيرسكوفتز، الثقافة الافريقية دراسات في عناصر الاستمرار والتغيير، ت: عبد الملك ناشف، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، ص ٣٤.

[٢٣]وتر عبد الله وادريس يعقوب الباشر نعيم، الفكر الاسلامي في كوت ديفوار وتأثيره بالأنظمة العلمانية من ١٩٦٠ –٢٠١٩، رسالة ماجستير، كلية الدراسات الاسلامية قسم العقيدة والفكر الاسلامي جامعة افريقيا العالمية، السودان، ٢٠١٩، ص٧٨.

[٢٤]. ليبولد الثاني (١٨٣٥ –١٩٠٩): ولد في بروكسل، وتولى الحكم خلال الاعوام (١٨٦٥ – ١٩٠٩)، اتسمت مدة حكمه بارتكابه أبشع الجرائم في المناطق التي خضعت تحت السيطرة البلجيكية في افريقيا لاسيما مستعمرة الكونغو، توفي في ١٧ كانون الاول ١٩٠٩. للمزيد ينظر: Encyclopedia Britannica conise . London. 2002, p.113.

[٢٥]. اوتو فون بسمارك (١٨١٥ –١٨٩٨): سياسي الماني ولد في برلين شغل مناصب ادارية وسياسية عدة، وكان له دور كبير في توحيد، الولايات الالمانية وتأسيس الامبراطورية الالمانية وأصبح اول مستشار لها بعد قيام الوحدة الامانية عام ١٨٧١ وأعلن استقالته بعد خلاف مع ويليم الثاني في عام ١٨٩٠، توفي في ٣ تموز ١٨٩٨. للمزيد ينظر: Ibid , p.563.

[٢٦]. عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، مؤتمر برلين واثاره على الخريطة السياسية لغرب افريقيا، الدراسات الافريقية (مجلة)، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، العدد ١٢، ١٩٨٣، ص٢٤.

[٢٧]. محمد علي القوزي، في تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر وراء النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٦، ص٢٨– ص٢٩ .

[٢٨]. صلاح صبري، المصدر السابق، ص٢٣٢.

[٢٩]. اليونسكو، تاريخ افريقيا العام (افريقيا في ضل السيطرة الاستعمارية ١٨٨٠ –١٩٣٥)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٩٠، ص٥٢.

[٣٠]. المصدر نفسه.

[٣١]. احمد محمد جاسم عبد، المصدر السابق، ص٣٥٥.

[٣٢]. محمد شاكر، التاريخ المعاصر غربي افريقيا ١٩٢٤ – ١٩٩٢، المكتبة الاسلامية، بيروت، ١٩٩٧، ص٢٠٧.

[٣٣]. ساموري تروي (١٨٢٨–١٩٠٠): رجل دين مسلم شكل قوة عسكرية وحصل على اسلحة من خارج البلاد وتزعم المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي التي استمرت لعدة سنوات وانتهت بألقاء القبض عليه ونفيه في احدى الجزر ثم توفي بعد اصابته بالتهاب رئوي في ٢ حزيران ١٩٠٠. للمزيد ينظر: https://en.m.wikipedia.org.

[٣٤]. اليونسكو، المصدر السابق، ص٥٤–٥٥.

[٣٥]. ابراهيم محمد ادم وفاني عبد الله الفاطمي، المصدر السابق، ص١٣.

[٣٦]. بوخشبة فوزية مدياني مريم، المصدر السابق، ص٣٧.

[٣٧]. محمود شاكر، المصدر السابق، ص ٢٠٨.

[٣٨]. بو خشبة فوزي ومرياني مريم، المصدر السابق، ص٤٠.

[٣٩]. المصدر نفسه، ص٤٢.

[٤٠]. احمد محمد جاسم عبد، المصدر السابق، ص٣٦٢.

[٤١]. جوستاف بينجر (١٨٥٦-١٩٣٦): عسكري فرنسي ولد في ١٤ تشرين الاول في ستراسبورغ، أبرز المناصب التي شغلها حاكم على كوت ديفوار، مدير للشؤون الافريقية في وزارة المستعمرات عام ١٨٩٦، توفي في ١٠ تشرين الاول عن عمر ناهز الثمانين عام. للمزيد ينظر: في الرابط الالكتروني https:/ar.m.wikipedia.org.

[٤٢]. بوخشبة فوزية ومدياني مريم، المصدر السابق، ص٤٦.

[٤٣]. احمد محمد جاسم عبد، المصدر السابق، ص٣٦٢.

[٤٤]. بوخشبه فوزية ومرياني مريم، المصدر السابق، ص٤٩.

[٤٥]. محمد علي الفوزي، المصدر السابق، ص٤٥.

[٤٦]. بوخشبة فوزية وميرياني مريم، المصدر السابق، ص٥٢.

[٤٧]. محمد علي الفوزي، المصدر السابق، ص٤٦-٤٧.

[٤٨]. المصدر نفسه، ٤٧.

[٤٩]. احمد محمد جاسم عبد، المصدر السابق، ص٣٦٣.

[٥٠]. محمد رياض، وكوثر عبد الرسول، افريقيا دراسة لمقومات القارة، مؤسسة هنداوي لنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٢، ص٢٤٨.

[٥١]. محمد رياض، المصدر السابق، ص٢٤٤.

[٥٢]. احمد محمد جاسم عبد، المصدر السابق، ص ٣٦٦.

[٥٣]. المصدر نفسه، ص ٣٦٧.

[٥٤]. اليونسكو، المصدر السابق، ص ٨٠٢.

[٥٥]. بوخشبة فوزي وميرياني مريم، المصدر السابق، ص٥٧.

[٥٦]. اليونسكو، المصدر السابق، ص٦٣٠-٦٣١.

[٥٧]. يونس بالي توري، المصدر السابق، ص٦٤-٦٥.

[٥٨]. بوخشبة فوزية ومرياني مريم، المصدر السابق، ص٦٥.

[٥٩]. المصدر نفسه.

[٦٠]. احمد الشرقاوي ونهاد عمار، المصدر السابق، ص٣٢٥.

[٦١]. بوخشبة فوزية ومرياني مريم، المصدر السابق، ص٦٦.

[٦٢]. المصدر نفسه.

المصادر:

١. Encyclopedia Britannica conise .London .2002.

٢. Britannic .com .

٣. https://en.m.wikipedia.org.

٤. https://WWW.Larousse.fr.

٥. https://ar.m.wikipedia.org.

٦. ابراهيم محمد ادم وفاني عبد الله الفاطمي، مقدمة حول الصراع السياسي في ساحل العاج، دراسات افريقية (مجلة)، جامعة افريقيا العالمية – السودان، العدد ٣٦، ٣١ كانون الاول ٢٠٠٦.

٧. احمد الشرقاوي ونهاد عمار، الموسوعة التاريخية الشاملة، موسوعة دول العالم الحديثة– افريقيا، مركز الراية للنشر والاعلام، القاهرة، ٢٠١٣ .

٨. احمد محمد جاسم عبد، التطورات الداخلية في مستعمرة كوت ديفوار الفرنسية حتى عام ١٩٦٠، مدار الآداب (مجلة)، جامعة ديالى، المجلد الاول، العدد ١٩، ٢٠٢٠.

٩. امين اسبر، افريقيا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، دار دمشق، دمشق، ١٩٨٥.

١٠. بن شيحة اشواق وخطاري عائشة، التوسع الاستعماري الفرنسي والبريطاني في غرب افريقيا خلال القرن التاسع عشر الميلادي (١٩م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة الافريقية احمد دراية –بأدرار، الجزائر، ٢٠١٤.

١١. بوخشبة فوزية ومدياني مريم، الاستعمار الفرنسي في ساحل العاج ١٨٩٣ – ١٩٦٠، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والاسلامية، جامعة احمد دراية ادرار، الجزائر، ٢٠١٨ .

١٢. صلاح صبري، افريقيا وراء الصحراء، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠.

١٣. هوبير ديشان، الديانات في افريقيا السوداء، ترجمة: – احمد صادق حمدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١.

١٤. عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، مؤتمر برلين واثاره على الخريطة السياسية لغرب افريقيا، الدراسات الافريقية (مجلة)، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، العدد ١٢، ١٩٨٣.

١٥. كومي نكروما، الاستعمار الجديد اخر مراحل الامبريالية، ترجمة: – عبد الحميد حمدي، دار القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦ .

١٦. محمد رياض، وكوثر عبد الرسول، افريقيا دراسة لمقومات القارة، مؤسسة هنداوي لنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٢.

١٧. محمد شاكر، التاريخ المعاصر غربي افريقيا ١٩٢٤ – ١٩٩٢، المكتبة الإسلامية، بيروت، ١٩٩٧.

١٨. محمد علي القوزي، في تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر وراء النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٦.
١٩. مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٩، دار رواد النهضة، بيروت، ٢٠٠٣.
٢٠. وتر عبد الله وادريس يعقوب الباشر نعيم، الفكر الاسلامي في كوت ديفوار وتأثيره بالانظمة العلمانية من ١٩٦٠ –٢٠١٩، رسالة ماجستير، كلية الدراسات الاسلامية قسم العقيدة والفكر الاسلامي جامعة افريقيا العالمية، السودان، ٢٠١٩.
٢١. وليم باسكوم وملفيل هيرسكوفتز، الثقافة الافريقية دراسات في عناصر الاستمرار والتغيير، ترجمة: – عبد الملك ناشف، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.
٢٢. يونس بالي توري، الفرق الدينية في ساحل العاج عقائدها واوجه نشاطها وموقف الاسلام والمسلمين منها، اطروحة دكتوراه، كلية الدعوة واصول الدين، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٩.
٢٣. اليونسكو، تاريخ افريقيا العام (افريقيا في ضل السيطرة الاستعمارية ١٨٨٠ –١٩٣٥)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٩٠.

التنوع اللغوي والديني للأكراد في المشرق الإسلامي

(٢٣٠-٦٥٦هـ/٨٤٤-١٢٥٨م)

أحمد داود خضير

Ahmed.Saleh2305p@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

أ.د.علي حسن غضبان

جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية

ali.hassan@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

التنوع اللغوي والديني للأكراد في المشرق الإسلامي (٢٣٠-٦٥٦هـ/٨٤٤-١٢٥٨م)

أحمد داود خضير

أ.د.علي حسن غضبان

الملخص :

الأكراد في المشرق الأسلامي يتميزون بتنوع لغوي، وديني غني، يتحدثون لهجات كردية رئيسية (كرمانجي، سوراني، جنوبية) بجانب العربية، والفارسية، والتركية، بينما يغلب عليهم الأسلام السني، مع وجود شيعة، ويزيديين، ومسيحيين، ومجموعات تتبع ديانات ايرانية قديمة (زرادشتية، يارسانية)، ويعكس هذا التنوع تعايشا ثقافيا عميقا مع الحفاظ على هويتهم المشتركة، ويظهر الأكراد قدرة مدهشة على الحفاظ على لغتهم وتنوعهم الديني داخل نسيج ثقافي واحد، يجمع بين التقاليد المشتركة والتعايش السلمي بين المذاهب والأديان المختلفة .

الكلمات المفتاحية: التنوع اللغوي، الديني، الاكراد، المشرق الاسلامي، الامارات.

Linguistic and Religious Diversity of the Kurds in the Islamic Mashriq

Ahmed Dawood Khodair **Prof. Dr. Ali Hassan Ghadban**

University of Baghdad / College of Education Ibn Rushd for Human Sciences

Ahmed.Saleh2305p@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
ali.hassan@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

Abstract:
The Kurds in the Islamic Mashriq are distinguished by rich linguistic and religious diversity. They speak major Kurdish dialects (Kurmanji, Sorani, and Southern Kurdish), alongside Arabic, Persian, and

Turkish. While Sunni Islam predominates among them, there are also Shiʿa Muslims, Yazidis, Christians, and groups adhering to ancient Iranian religions (such as Zoroastrianism and Yarsanism). This diversity reflects deep cultural coexistence alongside the preservation of a shared identity. The Kurds demonstrate a remarkable ability to maintain their language and religious diversity within a single cultural fabric that brings together shared traditions and peaceful coexistence among different sects and religions.

Keywords: linguistic diversity; religious diversity; Kurds; Islamic Mashriq; emirates.

المقدمة :

يتمتع الأكراد في المشرق الأسلامي بتنوع لغوي، وديني فريد، يتجلى في تعدد اللهجات الكردية، وتعدد الاديان، حيث يشكل المسلمون السنة الأغلبية، لكن يتواجد ايضا شيعة، واتباع ديانات قديمة مثل الايزيدية، والزرادشتية، والمسيحية، مما يعكس ثراء ثقافي وتاريخي مع تعايش واضح، مع وجود لغة عربية كلغة دينية وثقافية هامة .

يتحدث الأكراد اللغة الكردية التي تنتمي الى الفروع الهندو – ايرانية، وتتفرع الى لهجات رئيسية مثل الكرمانجية (الشمالية)، والسورانية (المركزية)، والجنوبية .

غالبية الأكراد مسلمون، لكن هناك تنوع في المذاهب، ويتميز المجتمع الكردي بقدرته على التعايش بين مختلف الأديان، والمذاهب، مع الحفاظ على تقاليد مشتركة، دخلت اللغة العربية كوعاء للأسلام، وأدى الأكراد دورا هاما في خدمة اللغة العربية واثراء الأدب، والثقافة الأسلامية بها، مما يعكس تفاعلا ثقافيا عميقا .

أولاً: لغة الاكراد

هناك تشابهات هامة بين تطور الجينات واللغات، ففي كلتا الحالتين يمكن لتغير يظهر في فرد واحد، ان ينشر فيما بعد في العشيرة كلها، تسمى هذه التغيرات في الجينات بأسم الطفرات، وهي تمر من جيل الى جيل، ومن الممكن ان يزداد تكرارها بعد عدد كبير من الاجيال، بل ولقد ينتهي الامر بأن تحل الطفرة محل النمط الاصلي كليه، والطفرات

الوراثية نادرة ويتم انتقالها ايضاً بين افراد لاتربطهم صلة قرابة، ونتيجة لهذا تتغير اللغة بصورة اسرع من الجينات(١).

ولما كان جميع الناس من ولد آدم وحواء (عليهما السلام) اولاً، ثم من ولد نوح (علية السلام) بعد الطوفان، لم يكن اشكال في انه كان للأولين في الدورين لغة واحدة يحسن تسميتها اللغة الاولى(٢).

وذكر انه عند بناء برج بابل كانت الارض لغة واحدة وكلاماً واحداً، ومن هناك بلبل الرب لغة الارض كلها وفرقهم على وجه الارض كلها(٣).

واثبت علم معارضة اللغات ان اصل اللغات يعود الى اصلين الاول السامي واخص فروعه الكنعانية بفروعها، والارامية اي السريانية بفروعها، والاشورية، والعربية بفروعها، ولغة بعض اهل الحبشة بفروعها وايضاً اللغة الحامية بفروعها، اما الاصل الثاني فهو السنسكريت ويقسمونه الى الهندي الايراني والهندي الاوروباوي، ومن فروع الاول: الفارسي والارمني، ومن فروع الثاني اليونانية بفروعها واللاتينية بفروعها والجرمانية بفروعها والسلافية بفروعها الى غير ذلك من اللغات(٤).

ويهمنا هنا طائفة اللغات الهندية الايرانية والآرية ولهذه الطائفة شعبتان: الاولى شعبة اللغات الهندية وتشمل البراكينية وهي مجموعة من اللغات العامية الهندية الآرية الوسطى التي تم استخدامها في شبه القارة الهندية من حوالي القرن الثالث قبل الميلاد الى القرن الثامن الميلادي، واللغات الهندية الحديثة، اما الثانية شعبة اللغات الايرانية فتشمل الفارسية القديمة والافستية(وسميت بهذا الاسم لأنها لغة الكتاب المقدس الزرادشتي المعروف ب"الأفستا" والتي اشتقت منها تسمية اللغة نفسها) والبهلوية(لانها مشتقة من كلمة "بارثافا" والتي تعني "بارثيا") والفارسية الحديثة والكردية والاسيتية(نشأت في سيستان وهي لغة السكوثيين وتسمى بالفارسية اوستايى) والافغانية او البشتو(نشأت وتطورت تاريخيا في منطقة قندهار \ هلمند بأفغانستان) وغير ذلك(٥).

وكان لهجرات الاقوام الهندو-ايرانية نحو آسيا الصغرى وجبال زاكروس وانتشارهم في ايران وكردستان اثره في نشر هذه اللغات في هذه المناطق(٦).

يتحدث الاكراد لهجة هندو-ايرانية قريبة الشبه من اللغة الفارسية الحديثة، ولكن لايمكن الخلط في المفردات والتلفظ وتركيب الكلام(٧).

في حين يعتقد البعض ان اللغة الكردية مستقلة تماماً، ولها تطوراتها التاريخية، ولاتقل قدماً عن اللغة الفارسية(٨).

ويؤكد البعض ان اللغة الكردية هي سلسلة مباشرة تسلسلت من اللغات الارية الكردية القديمة والافيستية المادية(٩).

وعلى انقاض الافستائية قامت البهلوية بالاحتفاظ ببعض المفردات والتعابير الافستائية وبقيت البهلوية محتفظة بمكانتها الادبية حتى مابعد ظهور اللغة الاردية (الفارسية الحديثة)(١٠).

ذكر لنا ابن وحشية النبطي الحروف الكردية (الابجدية الكردية) ويؤكد ان هذه الحروف لم يجد لها نطقاً ولا مثالاً في اي لغة ولا اقليم، وانه وجد في بغداد ثلاثين كتاباً بهذا الخط، ولديه كتابين منها بالشام(١١).

ليس لدى الكرد لغة واحدة، ثمة تكوينات لغوية تنطوي على توزيع مستمد من تشكيل متعدد بعضه موروث شفوياً او كتابياً، وبعضه ناتج من التواصل والتفاعل والمثاقفة وغير ذلك، وقد قسم البدليسي الكرد الى اربعة فروع رئيسة حسب لغاتهم واختلافها، اولهم (كرمانج) نسبة الى جبل كرمانج، حيث تعد اللهجة "الكرمانجية" لهجة رئيسية من اللهجات الكردية وثانيهم (لر-اللر) سموا بهذا الاسم كأشارة الى مجموعة عرقية أيرانية كبيرة تعيش في مناطق واسعة بأيران والعراق، وثالثهم (كلهر-كلور) وهي تسمية لمجموعة من القبائل الكردية العريقة المنتشرة في جبال بيشتكوه، وتعتبر عشيرة كلهر نفسها من أكبر هذه العشائر وأصل لبعض العشائر الأخرى، ورابعهم (كوران-الجوران)(١٢).

وهناك من قسم اللغة الكردية الى لهجات رئيسية وفرعية، ويعزى هذا الاختلاف والانقسام في اللغة الى عوامل جغرافية وعوامل سياسية، فالعامل الجغرافي اثره في التنوع بسبب الظروف الطبيعية الكردستانية بجبالها الوعرة الصعبة ومناخها القاسي خاصة في فصل الشتاء، مما اثر في عزل الكثير من القبائل عن بعضها، اما العامل السياسي، الذي اثر سلباً على وحده اللغة والموطن، فنجد ان الاكراد منقسمين بين المناطق والاقاليم

الادارية، بحيث لم يمنحهم تراثاً ادبياً عاماً مشتركاً، وكانت اللهجات الجنوبية هي اللغة السائدة في مناطق الاكراد موضوع الدراسة، ومن هذه اللهجات السورانية والفيلية والغورانية والموكرية، والكلهورية او الناكيلية، والكيندولية والسنجابية والكاكائية او الدرغازيتي والكرماشيني والباجيلانية[١٣].

وكانت الكرمانجية (اللهجات الشمالية) منتشرة في خراسان وشمال غرب ايران ايضاً[١٤].

ثانياً: ديانة الاكراد

كانت شعوب جبال زاكروس (كردستان) والهضبة الايرانية تعتنق الاديان السائدة لدى قدماء الاريين في الهند، ولهذا عبد الاكراد شأنهم شأن آريي الهند، القوى الطبيعية والمظاهر الكونية تحبباً لفضلها واحسانها، او تحاشياً لضررها وشرورها، فعبدوا الشمس والنار والاشجار وغيرها ونحتوا لها الاصنام، واعتقدوا ان الكون تتنازعه قوتان، القوة الاولى تكون عمل الخير وسموه (هوورمزد او اهرمزد) وتصدر عنه كل مافيه الخير للأنسان كالرزق والضوء والامطار والمحبة والسعادة، وهو خالق الحياة[١٥].

اما القوة الثانية فتكون من عمل اله الشر وسموه (اهريمن) وتصدر عنه كل ما فيه الشر كالامراض والكوارث والازمات والجفاف والقحط والعسر والشقاء والالم، وهو خالق الموت ويعتقد اتباع هذه الديانة ان هاتين القوتين في تطاحن مستمر، وصراع دائم، وهذا هو أساس المذهب الثنائي الذي كان يدين به الفرس قبل الاسلام، وقد رمزوا الى قوة الخير بالنور والى قوة الشر بالظلام[١٦].

لم تكن عبادة الطبيعة والخوف من شرها هي السائدة او الوحيدة لدى الكرد، وقد ظهرت ديانات او معتقدات انجرفوا اليها طوعاً ورغبة، ومنها الزروانية[١٧] التي لم تطل طويلاً في بلاد الكرد حتى اتت الزرداشتية لتكون هي السائدة في بلاد الكرد[١٨].

- **الزرداشتية والمجوسية[١٩]:**

اتخذ الاكراد الزرادشتية ديناً لهم بعد عبادة الظواهر الطبيعية، فكانت هناك معابد النار في فارس وكرمان[٢٠] وسجستان وخراسان[٢١] وجبال اذربيجان[٢٢]، وفي كل كورة من كور المشرق تقريباً[٢٣].

وقد بقيت هذه المعابد وبيوت النار حتى بعد الفتح الاسلامي، وقد منح الفقهاء وعلماء المسلمين الزرادشتين المجوس منزلة اهل الكتاب التي تؤمن لهم الحماية، لقول النبي محمد (ﷺ): "ان سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب"[٢٤].

- **المانوية**[٢٥]:

وجدت المانوية في بلاد الاكراد، حيث قام ماني برحلات تبشيرية لدعوته وجال في بلاد المشرق ووصل بلاد الجبال[٢٦] والاحواز[٢٧].

- **المزدكية**[٢٨]

- ديانات اخرى:

على الرغم من ان الكرد كانوا على الديانة الزرادشتية بشكل واسع، الا ان اليهودية والمسيحية فرضتا نفسيهما في المنطقة ويتضح لنا من خلال المصادر العربية ان المسيحية واليهودية قد استمرت في العهد العباسي في اقليم الجبال[٢٩]، والاقاليم الايرانية الاخرى[٣٠].

وذكر المسعودي بأن قبيلتي اليعقوبية الجورقان كانتا تعتنقان المسيحية[٣١]، وذكر وجود عدة كنائس في المناطق التي ذكرها المسعودي عن تواجد قبائل كردية فيها[٣٢].

اما اليهودية فكانوا أقل عدداً من غيرهم في بلاد الكرد، لذا فأن الاشارات البلدانية اليهم نادرة، فقد ذكر المقدسي ان احد دروب مدينة حلوان كان يدعى درب اليهود، ودرب أخر يسمى درب اليهودية نسبة الى مدينة يهودية بأصفهان، كما اشار الى وجود دير لليهود خارج مدينة حلوان كانوا يعظمونها وكانت مبنية بالجص والحجارة[٣٣].

- **الفتوحات الاسلامية**

الاسلام دين عالمي انساني، جاء الى الناس كافة، وقد حمل العرب راياته بعد ان وحدهم، وجمع كلمتهم وجعلها امة واحدة، قال تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ}[٣٤].

لذا تحمل العرب ايصال هذه الرسالة السماوية الى شعوب المعمورة لتخليصهم من الظلم والظلام.

كانت بوابة الفتوحات الاسلامية وقاعدة انطلاق الجيوش الاسلامية، قد انطلقت من العراق الذي كان تحت السيطرة الساسانية، فانتصر المسلمون في موقعة القادسية[٣٥] سنة

(١٥هـ/ ٦٣٦م) [٣٦]، ومن ثم في المدائن[٣٧] وصولاً الى جلولاء[٣٨] سنة (١٦هـ/٦٣٧م)[٣٩].

وكانت نهاوند هي البوابة التي انفتحت امام الزحف الاسلامي نحو الشرق، فكان الانتصار الحاسم فيها سنة (٢١هـ/ ٦٤٢م) [٤٠]، بقيادة النعمان بن مقرن المزني[٤١] الذي استشهد في المعركة وتولى بعده حذيفه بن اليمان (رضي الله عنه)، وسميت بـ(فتح الفتوح)[٤٢].

بدأت المدن تتهاوى امام الجيش الاسلامي صلحاً او عنوة[٤٣]، وباءت المحاولات بالفشل، رغم ما تمتلكه من جيش وقوة عسكرية[٤٤]، وقد كان الكرد ضمن الجيش الفارسي المتصدي للجيش الاسلامي، فلم تكن استجابتهم للأسلام طوعاً، فقد بقي قسم منهم على ديانتهم القديمة سواء أكانت زرداشتية او مزدكية او مسيحية أو يهودية، وحكم عليهم حكم اهل الكتاب[٤٥].

وتم عقد الصلح مابين المسلمين وسكان البلاد المفتوحة، وقد ورد في بعضها ذكراً للأكراد، كما في معاهدة الصلح التي عقدت بين حذيفة بن اليمان(رضي الله عنه) ومرزبان[٤٦] اذربيجان سنة (٢٢هـ/ ٦٤٢م) [٤٧].

وكانت بداية الاسلام وانتشاره بعد الفتح الاسلامي لبلاد المشرق الاسلامي بصورة خاصة أثر واضح على جميع مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية[٤٨]، واتسع مجيء العلماء، من البلاد الاسلامية المختلفة[٤٩].

الخاتمة :

١. يمثل التنوع الديني واللغوي للأكراد في المشرق الأسلامي نسيجا ثقافيا غنيا ومعقدا، حيث تتجلى فيه أديان سماوية وفارسية قديمة، وطوائف محلية .
٢. الى جانب الثراء اللغوي بين اللهجات الرئيسية كالكرمانجية، والسورانية، مما يبرز تاريخهم العريق وقدرتهم على التعايش بين مختلف المعتقدات، وتأكيدهم على الهوية الكردية المشتركة رغم هذه الاختلافات، مما يساهم في ثراء النسيج الحضاري للمنطقة.

الهوامش:

(١) كافللي، لويجي لوقا، الجينات والشعوب واللغات، ط١، مطبعة مكتبة الاسرة، (مصر، ٢٠٠٤م)، ص١٦٤؛ العذاري، علاء حبيب عبد، الاحوال العامة للأكراد في المشرق، ص٥٨.

(٢) الدبس، المطران يوسف، تاريخ الشعوب المشرقية، ط١، مطبعة دار نظير عبود، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ج١، ص١٣٩.

(٣) الكتاب المقدس، ص٨٤.

(٤) الدبس، تاريخ الشعوب المشرقية، ص١٤٢.

(٥) عبد المنعم، محمد نور الدين، معجم الالفاظ العربية في اللغة الفارسية، ط١، مطبعة جامعة محمد بن سعود، (الرياض)، ص١١؛ جالياند، جيرارد، شعب بدون وطن، ترجمة: عبد السلام النقشبندي، ط١، مطبعة دار اراس للطباعة والنشر، (اربيل، ٢٠١٢م)، ص١٥١؛ اوستلر،نيقولاس ، امبراطوريات الكلمة تاريخ اللغات في العالم، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، ط١، مطبعة دار الكتاب العربي، (بيروت، ٢٠١١م)، ص٧٨؛

Mackenzie, D, N, Kurdish Dialict studies, (London, 1969), p30.

(٦) كاكي، حسن، كوردستان والامة الكورية، دار الكتب والوثائق الوطنية، (٢٠١١م)، ص٤٢٥؛ عبد المنعم، معجم الالفاظ العربية، ص١٢؛ احمد، جمال رشيد وفوزي رشيد، تاريخ الكرد القديم، مطبعة كردستان، (اربيل، ١٩٩٠م)، ص٩١؛ محمود، برزو، اللغة الكردية ولهجاتها، ط١، مطبعة مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، (سوريا، ٢٠١٤م)، ص٢.

(٧) صاعد الاندلسي، ابن احمد (ت ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م)، التعريف بطقبات الامم، تحقيق: غلا مرضا جمشيد ثراداول، ط١، مطبعة مؤسسة انتشارات هجرت، (تهران، ١٣٧٦هـ)، ص١٤٢؛ الشاعر، محمد فتحي، الاكراد في عهد عماد الدين زنكي، ط١، مطبعة دار المعارف، (مصر، ١٩٩١م)، ص٢٣؛ بودا، توما، لمحة عن الاكراد، ترجمة: محمد شريف عثمان، ط١، مطبعة النجف، (العراق، ١٩٦٩م)، ص٢٢.

(٨) شريف، عبد الستار طاهر، المجتمع الكردي، ط١، (بغداد، ١٩٨١م)، ص٤٠-٤١.

(٩) وهبي، توفيق، دراسة عن اصل الاكراد ولغتهم، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي الكردي، المجلد٢، العدد٢، (بغداد، ١٩٧٤م)، ص٥.

(١٠) بلال، مازن، المسألة الكردية، الوهم والحقيقة، ط١، مطبعة بيان للنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٩٣م)، ص١٤٨؛ شيركوه، د.بله ج، القضية الكردية ماضي الكرد وحاضرهم، ط١، مطبعة دار الكاتب، (بيروت، ١٩٨٦م)، ص٢٨.

(١١) ابو بكر احمد بن علي بن المختار (ت بعد ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، شرق المستهام في معرفة رموز الاقلام، ط١، مطبعة دار الفكر، (دمشق، ٢٠٠٣م)، ص٢٠٤-٢٠٥.

(١٢) الشرفنامة، ص٢٠؛ العذاري، علاء حبيب عبد، الاحوال العامة للأكراد في المشرق، ص٦١.

(١٣) الغمراوي، امين سامي، قصة الاكراد في شمال العراق، ط١، (القاهرة، ١٩٦٧م)، ص٢٨؛ النقشبندي، زين احمد، مباحث في نشأة الشعب الكردي وتطور ابجدياته، ط١، مطبعة مكتبة زين النقشبندي، (بغداد، ٢٠٠٨م)، ص٦٢-٦٣.

(١٤) محفوظ، عقيل سعيد، الاكراد واللغة السياسية، ط١، مطبعة المركز العربي، (لبنان، ٢٠١٣م)، ص٦٧-٦٩؛ محمود، اللغة الكردية ولهجاتها، ص٣-٤؛ النقشبندي، مباحث في نشأة الشعب الكردي، ص٥٧-٦٠؛ الكوراني، علي سيدو، من عمان الى العمادية، ط٢، مطبعة دار أراس، (اربيل، ٢٠١٢م)، ص٢٨٠.

(١٥) بيرنيا، تاريخ ايران القديم، ص١٥-١٦.

(١٦) عصفور، محمد ابو المحاسن، معالم حضارات الشرق الادنى القديم، ط١، مطبعة دار النهضة العربية، (بيروت)، ص٢٧٨؛ كريستنس، ايران في عهد الساسانيين، ص١٩؛ وهبي، توفيق، اثران تاريخيان عن الكرد، تحقيق وتعريب: محمد جميل الروزبياني، مطبعة المجمع العلمي، (بغداد، ١٩٩٥م)، ص٦٤؛ ابو مغلي، محمد وصفي، ايران دراسة عامة، ط١، مطبعة مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، (البصرة)، ص٣٩٥.

(١٧) ترى العقيدة الزروانية ان الهي الخير والشر (اهورامزدا واهريمن) كلتا اخوين توأمين وهما ولدا زروان الزمان اللامتناهي. كريستنسن، ايران في عهد الساسانيين، ص٢١؛ مطهري، مرتضى، الاسلام وايران او الخدمات المتقابلة بين الاسلام وايران، ط١، مطبعة الارشاد، (بيروت، ٢٠١٢م)، ص١٢٩.

(١٨) بور، حميد رضا جلائي، المشكلة الكردية، ترجمة وتقديم: محمد علاء الدين منصور، ط١، مطبعة مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، (القاهرة، ٢٠٠٠م)، العدد١٣، ص١٠٧؛

Goring, Rosemary, Dictionary of beliefs and religions, (London, 1995), p576.

(١٩) **الزرداشتية:** نسبة الى زرداشت بن بورشب (٦٢٨-٥٥١ق.م) ظهر في زمن كشتاسب بن لهراسب الملك الذي حكم بلاد فارس مائة وعشرين سنة، وكان مسقط رأس زرادشت (ميديا) مركز المجوس في المنطقة المسماه الان اذربيجان، كان ابوه من اذربيجان وامه من الري، تلقى تعليمه على يد الحكيم كروس وهو في السابعة من عمره، واعتزل الناس وهو في العشرين من عمره، وفي الثلاثين من عمره جاءه رسول الاله (اهوارمزدا) ليمثل امام الاله الاعلى، وعاد بعد ذلك الى اذربيجان محملاً برساله النبوة، وكتابه المقدس (الافستا)، تقدس الزرداشتية النار والماء والتراب واعظمها النار ممثلة النور،

فهي عندهم قربة الى الاله (اهوارمزدا) لانها قبس من نوره، وامر زرادشت اصحابه بأبقاء النيران مشتعلة، وقدست الزرداشتية الماء بوصفه سبب الدنيا وقوام الخلف، واقتصروا في استخدامه على الشرب، واباحت الزرداشتية نكاح المحارم (الام، الاخت، البنت)، وتضفي على هذا النكاح نوعاً من القداسة، فرض على الزرداشتيين ثلاث صلوات للشمس وفقاً لمواقيتها احدها طلوع الشمس والثانية عند انتصاف النهار والثالثة على غروب الشمس، ومن مناصبهم الدينية الرفيعة (الموبذ) وتعني حافظ الدين، ومهمته القيام بمنصب القاضي الذي يحكم وفق الشريعة الدينية للمجوس. ينظر: البلخي، ابو زيد احمد بن سهيل (ت ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م)، البدء والتاريخ، وضع حواشيه: خليل عمران، ط١، مطبعة دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٠م)، ج١، ص٣٢٨؛ الفردوسي، ابو القاسم منصور بن فخر الدين (ت ٤١١هـ/ ١٠٢٠م)، الشاهنامة، تحقيق: عبد الوهاب عزام، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة)، ج٢، ص٧٢؛ ابن البلخي، فارس نامة، ص٢٨؛ الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، الملل والنحل، تحقيق: احمد حجازي ومحمد رضوان مهنا، ط١، مطبعة مكتبة جزيرة الورد، (المنصورة، ٢٠٠٦م)، ج١، ص١٩٨؛ الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، الحيوان، وضع حواشيه: محمد باسل، ط١، مطبعة دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٨م)، ج٣، ص٣٦؛ الرازي، محمد بن حسين بن حسن (ت ق ٦هـ \ ١٢م)، تبصرة العوام في معرفة مقالات الانام، تصحيح: عباس اقبال، مطبعة انتشارات اساطير، ص١٥؛ أربري، آرثرجون، تراث فارس، ترجمة: محمد كناني وآخرون، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (القاهرة، ١٩٥٩م)، ص١٠؛ اسماعيل، نوري، الديانة الزرادشتية، ط٢، مطبعة منشورات دار علاء الدين، (دمشق، ١٩٩٧م)، ص١٥؛ باقر، تاريخ ايران، ص١٢٣؛ الزوبي، محمود، هل كان زرادشت نبياً، مطبعة المكتبة الثقافية، (بيروت، ١٩٩٨م)، ص٢٦-٢٧؛ سعفان، كامل، معتقدات اسيوية، ط١، مطبعة دار الندى، (مصر، ١٩٩٩م)، ص٩٠؛ الكيلاني، وجيه فارس، الدعاة من المتألهين والمتنبئين والمتمهدين، ط١، مطبعة العربية، (مصر، ١٩٢٣م)، ص٣٩-٤٠؛ الشيخ، قاسم حسن، زرداشت بين الحقيقة والاسطورة، مجلة الاستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية ،العدد٤٦ ، كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية ، جامعة بغداد، (٢٠٠٢م، ١٤٢٣هـ)، ص٢٧٩.

والمجوسية: كلمة يونانية الاصل اطلقها اليونانيين على مهنة زرداشت عندما دخلوا بلاد فارس بقيادة الاسكندر المقدوني سنة (٣٣٠ ق.م) ومعناها (العظيم) أو (الهائل)، ذلك لانهم برعوا في السحر. ينظر: سعفان، معتقدات اسيوية، ص٩٠؛ ابو الخير، حسن عبد الحفيظ، الموسوعة المفصلة في الفرق والاديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمصاهرة، ط١، مطبعة دار ابن الجوزي، (القاهرة، ٢٠١١م)، ص٧٢٧؛ العذاري، علاء حبيب عبد، الاحوال العامة للأكراد في المشرق، ص٦٣

(٢٠) كرمان : تقع بين فارس ومكران وسجستان وخراسان . ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٣٠٥ ؛ ياقوت الحموي ، المشترك وضعا ، ص٣٧٢؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص٢٤٧.

(٢١) خراسان : في شرقها نواحي سجستان ، ومفازة الغزية ونواحي جرجان ، وشمالها ماوراء النهر ، وجنوبها مفازة فارس وقومس . القزويني ، آثار البلاد ، ص٢٥٢.

(٢٢) اذربيجان : اقليم واسع بين الجبال (قهستان) وبلاد الران(اران) . البلخي، ابو زيد احمد بن سهل(ت ٣٢٢هـ \ ٩٣٤م)، صورة الاقاليم ، مخطوطة مصورة في مكتبة الحكيم العامة ، النجف الاشرف ، تحت رقم ٦٣٢ \ ورقة ٨١؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود(ت ٦٨٢هـ \ ١٢٨٣م)، آثار البلاد واخبار العباد ، مطبعة دار صادر ، (بيروت)، ص٢٨٤.

(٢٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٢٤٣؛ ارنولد، توماس، الدعوة الى الاسلام، ترجمة: حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين، ط٢، مطبعة مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ١٩٧٠م)، ص٢٣٩؛ عبد الواحد، كلثومة جميل، كردستان في عهد الساسانين، ط١، مطبعة وزارة التربية، (هولير، ٢٠٠٨م)، ص٤٨.

(٢٤) الطبراني، سليمان بن احمد بن ايوب (ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي ابن عبد المجيد السلفي، ط٢، مطبعة مكتبة ابن تيمية، (القاهرة)، ج١٩، ص٤٢٧.

(٢٥) المانوية: نسبة الى مؤسسها ماني بن فاتك (فتق) بن بابك بن ابي مرزام، ولد في حوالي (٢١٥-٢١٦م) في بابل، ويعود اصله الى همذان ولكنه انتقل الى بابل واستقر بها، وكانت امه من الاسرة المالكة الاشكانية، لذا وجد مساندة من الملك شابور بن اردشير (٢٤١-٢٧٢م)، درس ماني اديان ومذاهب ومانه منها الزرادشتية والمسيحية، واصبح اسقفاً من اساقفة النصارى في نجران، ثم ابتعد عن المسيحية، وابدع بدعته الجديدة واظهر دينه، ولكن قتل من قبل الملك بهرام بن هرمز حفيد الملك شابور بن اردشير على اثروشايه من رجال الدين الزرادشت، وعقيدته تقر ان العالم مصنوع من مركب من اصلين قديمين احدهما النور والاخر الظلمة وانهما ازليان لم يزالا ولن يزالا، ودعى الى تهذيب النفس والرهبنة والتنسك، وحض اتباعه على قمع الشهوة والتناكح، فرض عليهم اربع صلوات على السماعين الى سبع على الصديقين ويتطهر المنانويون قبل صلاتهم بالماء الجاري، وفرض الصوم ومدته ثلاثين يوماً وينتهي الصوم بعيد يسمى عيد (بما)، وله مؤلف اسمه (الشبرقان). ينظر: الدينوري، الاخبار الطوال، ص٤٧؛ القمي، سعد بن عبدالله (ت ٣٠١هـ/ ٩١٣م)، المقالات والفرق، تصحيح: محمد جواد مشكور، مطبعة حيدري، (طهران، ١٩٦٣م)، ص١٩٤؛ ابن النديم، الفهرست، ص٣٩٨-٤٠٤؛ البيروني، ابو الريحاني محمد بن احمد (ت ٤٤٠هـ \ ١٠٤٨م)،الاثار الباقية في القرون الخالية، (لايزبك، ١٩٢٣م)، ص٢٠٨؛ ابن البلخي، فارس نامة، ص٦٩؛ الشهرستاني، الملل

والنحل، ج١، ص٢٠٦؛ باقر، تاريخ ايران، ص١٢٤؛ كريستنسن، ايران في عهد الساسانين، ص١٧١؛ زاده، حسن تقي، ماني ودينه، بحث منشور في مجلة الدراسات الادبية، الجامعة اللبنانية، (بيروت، ١٩٦٢م)، العدد٤، ص١٩٨-٢١٩-٢٥٢.

(٢٦) الحمد، محمد عبد الحميد، الزندقة والزنادقة، مطبعة دار الطليعة الجديدة، (دمشق، ١٩٩٩م)، ص٢٣.

(٢٧) كريستنسن، ايران في عهد الساسانين، ص١٨٨.

(٢٨) المزدكية: نسبة الى مؤسسها مزدك بن بامدار، واختلف في اصله، فقيل من اصطخر، وقيل من تبريز، وايضاً قيل من نيسابور، وكانت الديانة المزدكية حرباً على الاشراف وعليه القوح، حيث كان اغلب من انضم اليها من الفقراء، لان المجتمع الايراني مجتمع طبقي، اما تعاليم المزدكية فهي تشبه الزرادشتية في عقائدها الخاصة بالثنوية، وركائز المذهب الماء والارض والنار، تبنى قباذ بن فيروز (٤٨٧-٥٣١م)، المزدكية بسبب تفاقم بؤس الطبقات الفقيرة مقابل ازدياد ثروة الاغنياء، وتركت المزدكية اثاراً سلبية على المجتمع الفارسي بسبب المشاعية فأدت الى فقدان الامن وتبديد الاموال والاستيلاء على اموال الاخر دون وجه حق، وكانت نهاية مزدك سنة (٥٢٩م) بعد مناظرة بين رجال الدين المجوس ومعه. ينظر: الدينوري، الاخبار الطوال، ص٦٥؛ القمي، المقالات والفرق، ص١٩٣؛ البلخي، البدء والتاريخ، ج١، ص٢٩٣؛ الفردوسي، الشاهنامة، ج٢، ص١١٠؛ الثعالبي، غرر اخبار ملوك الفرس، ص٥٩٦؛ ابن البلخي، فارس نامة، ص٨٤؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص٢١٠؛ الرازي، تبصرة العوام، ص١٨؛ باقر، تاريخ ايران، ص١٣٩؛ بيرينا، تاريخ ايران، ص٢٥٣؛ سعفان، معتقدات اسيوية، ص١٤٢؛ عبد الرحيم، احمد، حركات هدامة، (بيروت، ١٩٩٦م)، ص٢٣٣؛ كريستنسن، تاريخ ايران في عهد الساسانين، ص٣٢٠؛ الكيلاني، الدعاة، ص٤٥.

(٢٩) صاعد الاندلسي، التعريف بطبقات الامم، ص١٠٧.

(٣٠) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٢٥١؛ كيوان، مأمون، اليهود في ايران، ط١، مطبعة بيسان، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ص١٩.

(٣١) مروج الذهب، ج١، ص٤٣٦.

(٣٢) الشابشتي، ابو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، الديارات، (بغداد، ١٩٥١م)، ص١٩٦-١٩٧.

(٣٣) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٢٣؛ التطيلي، بنيامين بن يونا الاندلسي (ت ٥٦٩هـ \ ١١٧٤م)، رحلة بنيامين،ترجمة: عزرا حداد، ط٢، مطبعة الشرقية، (بغداد ، ١٩٤٥م)، ص١٩١؛ المطهري، الاسلام وايران، ص١٢٩.

(٣٤) سورة آل عمران، اية ١١٠.

(٣٥) القادسية: تسمى قديساً، يقال مر ابراهيم (عليه السلام) بالقادسية فرأى زهرتها ووجد هناك عجوزاً فغسلت رأسه فقال: قدست من أرض، وفيها كانت الموقعة التي انتصر فيها المسلمون على الفرس بقيادة رستم ومقتله فيها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٩١.

(٣٦) البلاذري، ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، ط١، مطبعة دار ومكتبة الهلال، (بيروت، ١٩٩٨م)، ص٢٥١.

(٣٧) المدائن: اسم المدائن بالفارسية (توسفون) وعربوه الى الطيسفون وانما سمتها العرب المدائن لانها سبع مدائن وكان فتحها على يد سعد بن ابي وقاص. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٧٤.

(٣٨) جلولاء: طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٥٦.

(٣٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٦٠؛ الخضري، محمد، تاريخ الامم الاسلامية، ط٢، مطبعة مصطفى محمد، (مصر، ١٩٢٦م)، ص٤٢؛ العذاري، علاء حبيب عبد، الاحوال العامة للأكراد في المشرق، ص٦٩.

(٤٠) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٩٩؛ الاصفهاني، عماد الدين (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، البستان الجامع لجميع تواريخ اهل الزمان، تحقيق: محمد علي الطعاني، ط١، مطبعة دار اليازوري، (عمان، ٢٠١١م)، ص١١٣.

(٤١) النعمان بن مقرن المزني: صحابي جليل من صحابة رسول الله ، امير قبيلة مزينة التي تسكن قريبا من المدينة المنورة ، سكن البصرة ، ثم تحول الى الكوفة . ابن حجر العسقلاني ، الاصابة في تمييز الصحابة ، ج٦، ص٢٤٦؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٨، ص٤٢.

(٤٢) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٥، ص١٨٠؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٣٣٩؛ العمري، ارم بن ضياء، عصر الخلافة الراشدة، مطبعة مكتبة العبيكان، ص٣٦٤.

(٤٣) ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٩٥-٢٩٦؛ خطاب محمود، شبت، قادة فتح بلاد فارس (ايران)، ط١، مطبعة دار الفتح، (بيروت، ١٩٦٥م)، ص٨٢-٨٣؛ فيصل، شاكر، حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول الهجري، ط٦، (بيروت، ١٩٨٢م)، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٤٤) غضبان، علي حسن،الحملات العسكرية للبويهيين على البطائح(٣٣٤-٣٧٢هـ/٩٣٦-٩٨٢م)،مجلة الاستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية،العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الرابع،كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد ،(٢٠١٦م-١٤٣٧هـ)،ص٢٢٢.

(٤٥) الطبري، المعجم الكبير، ج١٩، ص٤٣٧.

(٤٦) مرزبان: تعني الكبير والامير. الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، اساس البلاغة، تحقيق: محمد باسم عيون السود، ط١، مطبعة دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٨م)، ج١، ص٣٥٠.

(٤٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣١٧؛ العذاري، علاء حبيب عبد، الاحوال العامة للأكراد في المشرق، ص٧٠.

(٤٨) حميد، وفاء عدنان، رجه، الاء حماد، الخلافة العباسية وعلاقاتها المالية بأمارات المشرق الاسلامي خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، مجلة الاستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية ، العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الرابع ، كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية ، جامعة بغداد، (٢٠١٦م- ١٤٣٧هـ)، ص١٨٧.

(٤٩) رؤوف، زينب مهدي،اثر علماء طبرستان في الحياة العلمية لمدينة بغداد من القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي الى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، مجلة الاستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية،العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الثالث،كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد ،(٢٠١٥م-١٤٣٦هـ)،ص٢٢٥.

قائمة المصادر والمراجع :

أولًا: الكتب المقدسة :

١. القران الكريم، سورة ال عمران، الاية ١١٠.
٢. الكتاب المقدس.

ثانيًا: المصادر الاولية :

١. ابن الاثير، علي بن ابي الكرم(ت ٦٣٠هـ \ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد عبد السلام تدمري، ط١، مطبعة دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٩٩٧م) .
٢. ابن البلخي(ت ٥١٠هـ \ ١١١٦م)، فارس نامه، ترجمة وتحقيق: يوسف الهادي، ط١، مطبعة الدار الثقافية للنشر، (القاهرة، ٢٠٠١م).
٣. ابن النديم، ابو الفرج محمد بن اسحاق(٤٣٨هـ\ ١٠٤٦م)، الفهرست، ط١، مطبعة دار المعرفة،(بيروت).
٤. البلاذري، ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر(ت ٢٧٩هـ \ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، ط١، مطبعة دار ومكتبة الهلال، (بيروت، ١٩٩٨م).
٥. البلخي، ابو زيد احمد بن سهل(ت ٣٢٢هـ\ ٩٣٣م)، البدء والتاريخ، وضع حواشيه: خليل عمران، ط١، مطبعة دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٠م) .
٦. البيروني، ابو الريحاني محمد بن احمد(ت٤٤٠هـ\ ١٠٤٨م)، الاثار الباقية في القرون الخالية،(لايزيك، ١٩٢٣م).
٧. التطيلي، بنيامين بن يونا الاندلسي (ت ٥٦٩هـ \ ١١٧٤م)، رحلة بنيامين، ترجمة: عزرا حداد، ط٢، مطبعة الشرقية، (بغداد، ١٩٤٥م).
٨. الثعالبي، عبدالله بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ\ ١٠٣٧م)، غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم، مطبعة الاسدي، (طهران، ١٩٦٣م).
٩. الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ \٨٦٨م)، الحيوان، وضع حواشيه: محمد باسل، ط١، مطبعة دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٨م) .
١٠. الدينوري، احمد بن داود(ت ٢٨٢هـ\ ٨٩٥م)، الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، ط١، مطبعة دار احياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٩٦٠م).
١١. الرازي، محمد بن حسين بن حسن(ت ق٦هـ \ ١٢ م)، تبصرة العوام في معرفة مقالات الانام، تصحيح:عباس اقبال، مطبعة انتشارات اساطير.

١٢. الشابشتي، ابو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ\ ٩٩٨م)، الديارات، (بغداد، ١٩٥١م).
١٣. الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم(ت ٥٤٨هـ\ ١١٥٣م)، الملل والنحل، تحقيق: احمد حجازي ومحمد رضوان مهنا، ط١، مطبعة مكتبة جزيرة الورد، (المنصورة، ٢٠٠٦م) .
١٤. صاعد الاندلسي، ابن احمد(ت ٤٦٢هـ \ ١٠٦٩م)، التعريف بطبقات الامم، تحقيق : غلا مرضا جمشيد ثراداول، ط١، مطبعة مؤسسة انتشارات هجرت،(تهران، ١٣٧٦هـ).
١٥. الطبراني، سليمان بن احمد بن ايوب(ت ٣٦٠هـ\ ٩٧٠م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي ابن عبد المجيد السلفي، ط٢، مطبعة مكتبة ابن تيمية، (القاهرة) .
١٦. القمي، سعد بن عبدالله (ت٣٠١هـ\ ٩١٣م)، المقالات والفرق، تصحيح: محمد جواد مشكور، مطبعة حيدري، (طهران، ١٩٦٣م).
١٧. الفردوسي، ابو القاسم منصور بن فخر الدين(ت ٤١١هـ\ ١٠٢٠م)، الشاهنامة، تحقيق: عبد الوهاب عزام، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية،(القاهرة) .
١٨. المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين(ت ٣٤٥هـ\ ٩٥٦م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط١، (بيروت، ١٩٨٩م) .
١٩. المقدسي، ابو عبدالله محمد بن احمد البشاري(ت ٣٨٠هـ\ ٩٩١م)، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط٣، مطبعة مكتبة مدبولي،(القاهرة، ١٩٩١م).
٢٠. ياقوت الحموي، شهاب الدين الرومي(ت ٦٢٦هـ \ ١٢٢٩م)، معجم البلدان، ط٢، مطبعة صادر، (بيروت، ١٩٩٥م) .
٢١. الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد(ت ٥٣٨هـ \ ١١٤٣م)، اساس البلاغة، تحقيق: محمد باسم عيون السود، ط١، مطبعة دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٨م) .

ثالثًا: المراجع الحديثة :

١. ابو الخير، حسن عبد الحفيظ، الموسوعة المفصلة في الفرق والاديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمصاهرة،ط١، مطبعة دار ابن الجوزي، (القاهرة، ٢٠١١م).
٢. ابو بكر احمد بن علي بن المختار(ت بعد ٢٤١هـ \ ٨٥٥م)، شرق المستهام في معرفة رموز الاقلام، ط١، مطبعة دار الفكر،(دمشق، ٢٠٠٣م).
٣. ابو معلي، محمد وصفي، ايران دراسة عامة، ط١، مطبعة مركز دراسات الخليج العربين جامعة البصرة، (البصرة).
٤. احمد، جمال رشيد و رشيد، فوزي، تاريخ الكرد القديم، مطبعة كردستان، (اربيل، ١٩٩٠م).

٥. اربري، ارثر جون، تراث فارس، ترجمة: محمد كناني واخرون، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (القاهرة، ١٩٥٩م).
٦. ارنولد، توماس، الدعوة الى الاسلام، ترجمة: حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين ط٢، مطبعة مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ١٩٧٠م).
٧. اسماعيل، نوري، الديانة الزرادشتية، ط٢، مطبعة منشورات دار علاء الدين، (دمشق، ١٩٩٧م).
٨. اوستلر، نيقولاس، امبراطوريات الكلمة تاريخ اللغات في العالم،ة ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، ط١، مطبعة دار الكتاب العربي،(بيروت، ٢٠١١م).
٩. باقر، طه، تاريخ ايران القديم، (بغداد، ١٩٨٧م).
١٠. بلال، مازن، المسألة الكردية، الوهم والحقيقة، ط١، مطبعة بيان للنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٩٣م).
١١. بودا، توما، لمحة عن الاكراد، ترجمة: محمد شريف عثمان، ط١، مطبعة النجف، (العراق، ١٩٦٩م).
١٢. بيرنيا، حسن، تاريخ ايران القديم، ترجمة: محمد نور السباعي والسباعي محمد السباعي، ط١، (القاهرة).
١٣. الحمد، محمد عبد الحميد، الزندقة والزنادقة، مطبعة دار الطليعة الجديدة، (دمشق، ١٩٩٩م).
١٤. الخضري، محمد، تاريخ الامم الاسلامية، ط٢، مطبعة مصطفى محمد، (مصر، ١٩٢٦م).
١٥. خطاب، محمود شبت، قادة فتح بلاد فارس(ايران)، ط١، مطبعة دار الفتح، (بيروت، ١٩٦٥م).
١٦. الدبس، المطران يوسف، تاريخ الشعوب المشرقية، ط١، مطبعة دار نظير عبود، (بيروت، ٢٠٠٠م) .
١٧. شريف، عبدالستار طاهر، المجتمع الكردي، ط١، (بغداد، ١٩٨١م).
١٨. شيركوه، د. بله ج، القضية الكردية ماضي الكرد وحاضرهم، ط١، مطبعة دار الكاتب،(بيروت، ١٩٨٦م).
١٩. سعفان، كامل، معتقدات اسيوية، ط١، مطبعة دار الندى، (مصر، ١٩٩٩م).
٢٠. الغمراوي، امين سامي، قصة الاكراد في شمال العراق، ط١، (القاهرة، ١٩٦٧م).
٢١. عبد الرحيم، احمد، حركات هدامة، (بيروت، ١٩٩٦م).
٢٢. عبد المنعم، محمد نور الدين، معجم الالفاظ العربية في اللغة الفارسية، ط١، مطبعة جامعة محمد بن سعود،(الرياض).

٢٣. عبد الواحد، كلثومة جميل، كردستان في عهد الساسانيين،ط١، مطبعة وزارة التربية، (هولير، ٢٠٠٨م).
٢٤. عصفور، محمد ابوالمحاسن، معالم حضارة الشرق الادنى القديم، ط١، مطبعة دار النهضة العربية، (بيروت).
٢٥. العمري، ارم بن ضياء، عصر الخلافة الراشدة، مطبعة مكتبة العبيكان.
٢٦. فيصل، شاكر، حركة الفتح الاسلامي في العراق في القرن الاول الهجري، ط٦، (بيروت، ١٩٨٢م).
٢٧. كافللي، لويجي لوقا، الجينات والشعوب واللغات، ط١، مطبعة مكتبة الاسرة، (مصر، ٢٠٠٤م).
٢٨. كاكي، حسن، كوردستان والامة الكوردية، دار الكتب والوثائق الوطنية، (٢٠١١م).
٢٩. كريستنسن، ارثر، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، ط١، مطبعة دار النهضة العربية، (بيروت).
٣٠. الكوراني، علي سيدو، من عمان الى العمادية، ط٢، مطبعة دار اراس، (اربيل، ٢٠١٢م).
٣١. الكيلاني، وجيه فارس، الدعاة من المتألهين والمتنبين والمتمهدين، ط١، مطبعة العربية، (مصر، ١٩٢٣م).
٣٢. كيوان، مأمون، اليهود في ايران، ط١، مطبعة بيسان، (بيروت، ٢٠٠٠م).
٣٣. محفوظ، عقيل سعيد، الاكراد واللغة السياسية، ط١، مطبعة دار اراس، (اربيل، ٢٠١٣م).
٣٤. محمد فتحي، الاكراد في عهد عماد الدين زنكي، ط١، مطبعة دار المعارف،(مصر،١٩٩١م).
٣٥. محمود، برزو، اللغة الكردية ولهجاتها، ط١، مطبعة مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، (سوريا، ٢٠١٤م).
٣٦. مطهري، مرتضى، الاسلام وايران او الخدمات المتقابلة بين الاسلام وايران، ط١، مطبعة الارشاد، (بيروت، ٢٠١٢م).
٣٧. النقشبندي، زين احمد، مباحث في نشأة الشعب الكردي وتطور ابجدياته، ط١، مطبعة مكتبة زين النقشبندي، (بغداد، ٢٠٠٨م).
٣٨. وهبي، توفيق، اثران تاريخيان عن الكرد، تحقيق وتعريب: محمد جميل الروزبياني، مطبعة المجمع العلمي، (بغداد، ١٩٩٥م).

رابعاً: المجلات والدوريات :

١. بور، حميد رضا جلائي، المشكلة الكردية، ترجمة وتقديم: محمد علاء الدين منصور، ط١، مطبعة مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة،(القاهرة، ٢٠٠٠م)، العدد١٣.

٢. حميد، وفاء عدنان، رجه، الاء حماد، الخلافة العباسية وعلاقاتها المالية بأمارات المشرق الاسلامي خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين \ التاسع والعاشر الميلاديين، مجلة الاستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الرابع، كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد، (٢٠١٦م، ١٤٣٧هـ).

٣. رؤوف، زينب مهدي، اثر علماء طبرستان في الحياة العلمية لمدينة بغداد من القرن الثالث الهجري\ التاسع الميلادي الى القرن الخامس الهجري \ الحادي عشر الميلادي، مجلة الاستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الرابع، كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد،(٢٠١٥م، ١٤٣٦هـ).

٤. زاده، حسن تقي، ماني ودينه، بحث منشور في مجلة الدراسات الادبية، الجامعة اللبنانية، (بيروت، ١٩٦٢م)، العدد٤.

٥. الشيخ، قاسم حسن، زرادشت بين الحقيقة والاسطورة، مجلة الاستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد ٤٦، كلية التربية ابن لرشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد، (٢٠٠٢م، ١٤٢٣هـ).

٦. غضبان، علي حسن، الحملات العسكرية للبويهيين على البطائح(٣٣٤-٣٧٢هـ \ ٩٣٦-٩٨٢م)، مجلة الاستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الرابع، كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد، (٢٠١٦م، ١٤٣٧هـ).

٧. وهبي، توفيق، دراسة عن اصل الاكراد ولغتهم، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي الكردي، المجلد٢، العدد٢، (بغداد، ١٩٧٤م).

خامساً: الرسائل والأطاريح الجامعية :

١. العذاري، علاء حبيب عبد، الاحوال العامة للأكراد في المشرق (١٣٢-٦٥٦هـ \ ٧٤٩-١٢٥٨م). اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة بغداد،(بغداد، ٢٠١٦م).

سادساً: المراجع الإنكليزية :

1. Mackenzie , D , N ,Kurdish Dialict Studie , (London , 1969).
2. Goring , Rose mary , Dictionary of beliefs and religions , (London , 1995).

الجوائح في الفقه الاسلامي من خلال كتاب الآبي اكمال كمال المعلم

نور الزهراء طارق صادق

(nooralzahra.t@coart.uobaghdad.edu.iq)

أ.م.د غنية ياسر عبدالله

ghania.y@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد/ كلية تربية ابن رشد/ قسم التاريخ

الجوائح في الفقه الاسلامي من خلال كتاب الآبي اكمال كمال المعلم

نور الزهراء طارق صادق
أ.م.د غنية ياسر عبدالله

الملخص :

تعرضت المعاملات المالية الى العديد من النوازل والجوائح، وكان لها أثار من الأضرار الكبيرة في تعاملات الناس، ومن أمثلة ذلك انه عند وقوع الجائحة بعد عقد البيع قبل تسلم المشتري السلعة او بعدها في بعض الصور الزراعية، يقع المشتري في حرج ومشقة، مشكلة البحث في مدى تأثير الجائحة على المعاملات المالية ولحل هذه المشكلة تم توضيح مفهوم الجائحة وبيان انواعها وبيان موقف العلماء وأدلتهم من احكام هذه الجوائح ان الحكم يوضع الجائحة رخصة شرعية لاعادة التوازن الى النشاط الاقتصادي

Abstract

Financial transactions have been exposed to many calamities and pandemics, which have caused great harm to people. An example of this is when a calamity occurs after the sale contract but before the buyer receives the goods, or after that in some agricultural cases, putting the buyer in a difficult situation. Therefore, the research problem is the extent of the impact of the calamity on financialtransactions. To solve this problem, the meaning of the calamity wasclarified, its types were identified, and the scholars' opinions andtheir evidences regarding the rulings of this calamity were presented The ruling on the calamity provides a fatwa or a legal concession torestore balance to economic activity.

الكلمات المفتاحية: الجائحة، الأفات، الظروف الطارئة، الاثار، الضرر، التوازن الاقتصادي، آفة.

المقدمة :

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علماً والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، أما بعد

فأن المعاملات المالية هي أساس حياة الناس ومحط احتياجاتهم وهي سريعة التطور تختلف حسب الاحوال والعادات وتتجدد حسب الحاجات والمطالب وقد راعى الشارع ذلك حلل ما لا بد منه وحرم ما فيها من فساد، اما اذا ترتب الامتناع عنها بحيث يحدث ضرراً كبيراً هنا يفتح باب الرخص مرأعاة المصلحة مع المحافظة على المقاصد الشريعة لان الجوائح يقع في كثير من المعاملات بين الناس والذي حددها الشرع الاسلامي بأحكامه.

اهمية البحث ابين فيها وقوع الجوائح في كل زمان حيث لا بد من التعريف بما يترتب عليها، والحاجة الى بيان الاحكام الشرعية واقوال الفقهاء.

أسباب اختيارنا للموضوع هي الالمام بأحكام الجوائح يفتح افاقاً واسعة للاجتهاد في استنباط احكام الجوائح، كون الجوائح كوارث عالمية تقع في كل زمان فلا بد من معالجتها من بعض المعاملات المالية المعرضة للجوائح.

فكانت مشكلة البحث تنصب في ان الجوائح تقع في الزرع وغيره فاذا وقعت بعد عقد البيع او بعده فان المشتري يقع في خسارة هل ممكن ان ترفع عنه هذه الخسارة ومال حكمها في حالة رفعها لهذه الخسارة.

أعتمدنا في كتابة هذا البحث على المنهج الاستقرائي باستقراء النصوص الشرعية من الكتاب والسنة مع المنهج الوصفي والتحليلي.

١-الجوائح لغة واصطلاح

الجوائح لغة: جمع جائحة من جاح يجوح جوحاً والجوح الهلاك والاستئصال[١] او هي الشدة التي تجتاح المال من سنة او فتنة يقال: جاحتهم الجائحة واجتاحتهم وجاح الله المال واجاحة أي اهلكه الجائحة [٢] جوح الجيم والواو والحاء اصل واحد وهو الاستئصال جاح الشيء يجوحه استأصله اشتقاق الجائحة [٣]

اصطلاحاً: المقصود بالحائحة هنا الافة التي تهلك الثمار او الزروع او الخضار المشتراه بعد بدو صلاحها وهي على رؤوس اشجارها اهلاكاً كاملاً او جزئياً، او هي ما اتلف من معجوز عن دفعة عادة قدراً من ثمر او نبات بعد بيعه [٤]

أي كل ما يتلف قدراً من الثمار او الزروع او الخضار بعد البيع وبعد بدو الصلاح مما يعجز المشتري المنكوب عن دفعة عن ماله في العادة، واطلق"القدر" لاجل ان يعم الثمر وغيرها لان الثمار وان اشترط فيها كون التلف ثلثاً عند المالكية لكن البقول لا يشترط فيها ذلك [٥]

وعرف الابي[٦] الجوائح كل ما أصاب الثمرة من الجراد والريح والغرق والبرد والمطر والطير والدود وعفن الثمرة في الشجرة والسموم

٢-مشروعية الجوائح

أ-القران الكريم

قال تعالى" ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بألاثم وانتم تعلمون"[٧]

قال تعالى" يايها الذين امنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما"[٨]

قال تعالى" واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم أموال الناس"[٩]

تبينت الايات أعلاه ان الله تعالى حرم اكل أموال الناس بالباطل، انه اذا تلف المبيع قبل التمكن من قبضه وكان اخذ شيء من الثمن فكان ذلك من الظلم المخالف للقسط لانه اخذه بدون مقابل حيث ان المشتري لم يحصل على مقصوده من العقد ولم يتحقق شرطه فمقصوده قبض المبيع بعد النضج[١٠]

ب-السنة النبوية

عن جابر بن عبد الله [١١] قال: قال ان الرسول(ص) (نهى عن بيع السنين وأمر بوضع الجوائح) [١٢]

وما رواه أيضا جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله(ص) (لو بعت من اخيك ثمراً فاصابته جائحة فلا يحل لك ان تأخذ من مال اخيك بغير حق) [١٣]

هذين الحديثين دلالة واضحة على الامر بوضع الجوائح وانه لا يحل للبائع ان يأخذ شيئاً من مال المشتري اذا تلف الثمر قبل القبض وان اخذه من مال المشتري عندئذ يكون بغير حق وماذا بعد الحق الا الضلال والباطل [١٤]

عن ابي سعيد الخدري قال: أصيب رجل في عهد رسول الله(ص) في ثمار ابتاعها وهذا الرجل هو معاذ بن جبل وكان غرمائه يهود، فكثر دينه فقال الرسول(ص)"تصدقوا عليه" فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه، فقال رسول الله(ص)" خذوا ما وجدتم وليس لكم الا ذلك" في قول النبي(ص) " وليس لكم الا ذلك" دليل على ان لا شيء على معدوم، وكان تفليس معاذ سنة ٩هـ/٦٢٩م وخلصه رسول الله (ص) من ماله لغرمائه وحصل لهم خمسة اسباع حقوقهم، فقالوا: يارسول الله بعه لنا، فقال رسول الله(ص)" خلوا عنه ليس لكم اليه سبيل" وبعثه رسول الله(ص) الى اليمن وقال له" لعل الله ان يجبرك " وذلك في ربيع الأول سنة ٩هـ/٦٢٩م بعد ان غزا مع النبي(ص) غزوة تبوك [١٥] عن ابن وهب قال: ان النبي(ص) قال"اذا باع المرء الثمرة فقد وجب على صاحب المال الضمان" [١٦]

٣-انواع الجائحة

أ-الجائحة السماوية: هي الافة التي تصيب الثمر والزرع من غير فعل الادميين مثل الريح والسموم والصواعق والدود والجراد والنار والبرد والثلج والمطر والسيل والعفن والقحط والطير الغالب وانقطاع العيون والماء في السقي [١٧] وهذه متفق على انها ان اصابت الثمرة يحط بمقدار ما اصابت او اتلفت [١٨]

ب-الجائحة البشرية: هي كل مصيبة تصيب الثمر والزرع المبتاع بفعل بشري غالب او غير غالب يمكن دفعه والتحرز منه او لا يمكن ذلك مثل الجيش والسرقة وغيرهما [١٩] وهذه الجائحة مما اختلف في الوضع بسببها الى ثلاثة اقوال:

القول الاول: تعتبر جائحة ما كان غالباً ولا يمكن التحرز عنه ولا توقعه مثل الجيش او الحرب ونحوها، اما السرقة فلا تعتبر جائحة لانه يمكن التحرز عنها بالحفظ والحراسة فاذا وقعت انما تكون من ضمان المشتري لتقصيره في الحفظ فيتحمل تبعة تقصيره [٢٠]

القول الثاني: كل ما يصيب الثمرة من فعل الا الادميين تعتبر جائحة بأي وجه كان سواء اكان غالباً ام يمكن التحرز عنه، ام يمكن توقعه ام كان خلاف ذلك كالسرقة وغيرها [٢١]

القول الثالث: كل ما يكون من جهة الادميين فليس بجائحة على الاطلاق [٢٢] وجه الاختلاف هو الاعتماد على ظواهر النصوص او المعنى فمن جعلها في الامور السماوية فقط اعتمد ظاهر قوله(ص) " ارايت ان منع الله الثمرة؟" فنص على الافة السماوية لا على غيرها ومن جعلها في الادميين شبهها بالافة السماوية ومن استثنى السرقة قال لانها مما يمكن التحرز عنها بالحفظ فان قصر في الحفظ يتحمل مسؤولية تقصيره [٢٣]

ارجح القول الاول لانه اعدل الاقوال الثلاثة لقوة الادلة العقلية، ولعموم الحديث" ارايت ام منع الله الثمرة فبم تستحل مال اخيك" فيعم لاجميع ما لا يمكن التحرز عنه سواء بسبب سماوي او بشري، اما ما يمكن التحرز عنه ويمكن توقعه فالمسؤولية فيه على المشتري لتقصيره في الاحتراز والتوقع فلا يكون حنيئذ من ضمان البائع مراعاة لمقتضى العدالة وابقاء على المسؤولية المدنية

٤-مقدار التالف المعتبر في الوضع

ان الجائحة تعتبر وتوضع من المشتري على البائع اذا بلغت الثلث فصاعداً فيحكمون بما يبلغ ذلك فصاعداً على البائع ويتحمل الخسارة دون المشتري واما ما كان دون الثلث فلا يلتفتون اليه لانه في حكم التافه اليسير لجريان العادة ان الهواء لا بد ان يرمى بعض الثمرة ويأكل الطير منها، وتنشر الريح ويسقط منها فقد دخل المشتري على اصابة اليسير واليسير المحقق ما دون الثلث، وقد اعتبر الثلث في مواضه منها: الوصية ولان الثلث حد الكثرة وما دونه حد القلة[٢٤] بدليل قول الرسول(ص) في الوصية " الثلث والثلث كثير "[٢٥]

وروى ابن وهب [٢٦] " اذا باع المرء الثمرة فأصابتها عاهة، فذهب بثلث الثمرة فقد وجب على صاحب المال الضياع هذا اذا كانت الجائحة في الثمار، اما اذا كانت في البقول فتوضع في القليل والكثير[٢٧] ذلك لان الثمار لا تخلو في العادة من تلف يسير بالسقوط واستخدام الطير، اما البقول فهي في العادة مأمونة من ذلك الا من جهة الماء والعطش ويكون ذلك من جهة البائع وهو تقصير منه، فيتحمل تبعة تقصيره في القليل والكثير فلذلك اتفقوا على ان ما يصيب الثمار من تلف بسبب نقصان الماء او انقطاعه فانه يحط على

المشتري في القليل والكثير [٢٨] وجعل الزهري وضع الجوائح اذا بلغت النصف [٢٩] ثم اختلف المالكية في كيفية حساب الثلث الرأيين

الرأي الاول: يعتبر ثلث الثمار بالكيل فاذا اصابت الجائحة ثلث الثمار المقدر بالكيل فانه يحط على المشتري مقدار ما اصابت فان كان نوعاً واحداً لا تختلف قيمة بطونه، حط من الثمن الثلث [٣٠] ، وان كان الثمر انواعاً كثيرة مختلفة القيم او كان بطوناً مختلفة القيم ايضاً، اعتبر قيمة ذلك الثلث الذاهب من قيمة الجميع فما كان قدره حط بذلك القدر من الثمن [٣١]

الرأي الثاني: يعتبر ثلث القيمة فاذا اصابت الجائحة ما قيمتة ثلث المبيع وضع عن المشتري ثلث الثمن [٣٢]

٤-الوقت المعتبر في وضع الجوائح

أتفق القائلون بوضع الجوائح على ان زمان القضاء بالجائحة، الزمان الذي يحتاج فيه ان تبقية الثمر على رؤوس الشجر، حتى يستوفي طيبه او يجنى اوان الجذاذ، فأن اجتاحتها جائحة قبل ذلك، كان من ضمان البائع، وان اخرها المشتري عن ذلك الوقت فهي من ضمانه لانه أخرها عن وقتها المعتاد، فيكون مقصراً فيتحمل تبعة تقصيره[٣٣]

واختلفوا اذا أبقاه المشتري في الثمار المبيعة على النضارة، شيئاً فشيئاً، فقيل: فيه الجائحة، تشبيهاً بالزمان المتفق عليه، وقيل: ليس فيه جائحة، تفريقاً بينه وبين الزمان المتفق على وجوب القضاء بالجائحة فيه.

ووجه ذلك: ان من رأى النضارة المطلوبة بالشراء، كما الطيب مطلوب، قال بوضع الجائحة فيه. ومن لم ير أن الأمر فيهما واحد، قال بعدم وضع الجائحة فيه[٣٤]

٥-محل الجائحة

محل الجائحة توضع عن المشتري وتكون من ضمان البائع هي الثمار والخضار وما في معناها لذلك الجائحة المعتبرة في الوضع تشمل كل ما تتلف" ما ييبس كالتمر والعنب والجوز واللوز وما لا ييبس كالخوخ والموز وما كان بطوناً ولا يحبس اوله على اخره بل يؤخذ شيئاً فشيئاً كالمقاثي مما يشمل القثاء والخيار والبطيخ والباذنجان الا ان في البقول خلافاً عند المالكية منهم من يجعلها مما تدخل في الوضع بالجائحة ومنهم من لا يرى ذلك [٣٥]

وانما اختلفوا في البقول لاختلافهم في تشبيهها بالاصل وهو الثمر [٣٦] الذي نص عليه الحديث الا ان الثمار لا توضع الا اذا اصابت الجائحة الثلث، اما في البقول فقيل في الثلث وقيل في القليل والكثير [٣٧] وذكر عبد الرزاق عن معمر ان اصل اهل المدينة لا يجعلون الجائحة الا في الثمار [٣٨]

اهم ما توصلت من نتائج :

١-الجائحة هي ما لا يستطيع دفعه ولا تضمين احد اذا نقص او اتلف قبل تمام قبضه، دل القران والسنة النبوية على وضع الجوائح.

٢-للفقهاء عنوا عناية بموضوع الجائحة وخاصة فقهاء المالكية الذين عرفوها تعريفات دقيقة وقسموها الى افات سماوية وغير سماوية.

٣-كل الافات السماوية كالريح والبرد والزلازل والبراكين تتلف العوض قبل قبضه وكذلك الحال بالنسبة ما يفعله البشر.

٤-لا يجوز بيع الثمار قبل بد صلاحها مفردة لغير مالك اصلها الا بشرط القطع،عقود المعاوضات هي محل وضع الجوائح لذلك اذ اتلف المبيع بجائحة قبل العقد انفسخ العقد.

٥-اعتماد قول الفقهاء بوضع الجائحة اذ بلغت الثلث فأكثر في عقد بيع الزروع والثمار بعد بدو صلاحها.

٦- الذي يتحمل وضع الجائحة اذ توفرت شروطها هو البائع ذلك لرفع الحرج على المشتري.

الهوامش :

١-ابن الاثير، مجد الدين أبو السعادات(ت٦٠٦هـ-١٢٠٩م)، النهاية في غريب الحديث والاثر، تح: طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي، ط١،(المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٨م) ج١، ص٢١١؛ الفيروزابادي، مجد الدين أبو طاهر(ت٨١٧هـ-١٤١٤م)، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث، ط٨،(بيروت: مؤسسة الرسالة،١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) ، ج١، ص٢٥٢؛ الابي، أبو عبد الله محمد بن خلفه (ت٨٢٧هـ- ١٤٢٣م)، اكمال اكمال المعلم، ط١،(بيروت : دار الكتب العلمية، د. ت) ، ج٤، ص٢٣٢

٢-الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر(ت٦٦٦هـ-١٢٦٧م)، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، ط٥، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ص١١٦

٣-الرازي، احمد بن فارس(ت٣٩٥هـ-١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ط١،(دار القطر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٨م)، ج١، ص٤٩٢

٤-الابي، اكمال، ج٤، ص٢٣٢؛ الدسوقي، محمد بن احمد، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ط١،(دار الفكر، د.ت) الحاشية ، ج٣، ص١٨٢؛ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي، شرح الزرقاني على موطا مالك، تح: طه عبد الرؤوف سعد، ط١،(القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م) ، ج٣، ص٢٦٤

٥-الدسوقي، الحاشية، ج٣، ص١٨٢

٦-اكمال، ج٤، ص٢٣٢

٧-سورة البقرة، اية: ١٨٨

٨-سورة النساء، اية:٢٩

٩-سورة النساء، اية: ١٦١

١٠-الطبري،محمد بن جرير(ت٣١٠هـ-٩٢٢م)، جامع البيان في تفسير القران، تح: محمود محمد شاكر، ط١، (مكة المكرمة: دار التربية والتراث، د. ت)، ج٨، ص٢١٧؛ رشيد، محمد رضا، تفسير القران الحكيم(تفسير المنار)، ط٢،(القاهرة: دار المنار، ١٣٦٦هـ-١٩٤٦م)، ج٥، ص٣٤.

١١-جابر بن عبد الله: بن عمرو بن حرام بن كعب الانصاري الخزرجي من فضلاء الصحابة، يكنى ابي عبد الله شهد العقبة الثانية مع ابيه وهو صبي، اراد ان يشهد غزوة بدر واحد الا ان والده منعه حيث تركه لرعاية اخوته الستة وعندما استشهد والده في غزوة احد سارع للخروج الى الجهاد فشهد معركة الخندق وبيعة الرضوان، توفي سنة٧٨هـ، لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣هـ-١٠٧٠م)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تح: علي محمد

البجاوي، ط١،(القاهرة: مكتبة النهضة، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م)، ج١، ص٢١٩؛ ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت٦٣٠هـ- ١٢٣٢م)،اسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود، ط١،(لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، ج١، ص٢٥٦؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ-١٣٤٧م)، سير اعلام النبلاء، تح: حسين اسد شعيب الارنؤوط واخرون، ط٣،(مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م)، ج٣،ص١٨٩.

١٢-مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج(ت٢٦١هـ-٨٧٤م)، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١،(بيروت: دار احياء التراث العربي،١٣٧٤هـ-١٩٥٤م)، ج٥، ص٢٩؛ النووي،أبو زكريا محيي الدين يحيى(ت٦٧٦هـ-١٢٧٧م)، المنهاج شرح صحيح مسلم، ط٢(بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م)، ج١٠، ص٢١٦

١٣-مسلم، صحيح، ج٣، ص١١٩١؛ ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد، تح: مصطفى بن احمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري، ط١،(المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م)، ج١٣،ص١٩٥؛ ابن قدامة، محمد بن عبدالله بن احمد (ت٥٤١هـ-١١٤٦م)، المغني، تح: طه الزيني واخرون، ط١،(القاهرة: مكتبة القاهرة-١٣٨٨هـ-١٩٦٨م)، ج٤،ص٢١٦؛ النووي، شرح، ج١٠،ص١٦٧

١٤-النووي، شرح، ج١٠، ص١٦٧

١٥-النووي، شرح، ج١٠، ص١٦٧ ؛ الابي، اكمال، ج٤، ص٢٣٤؛ الرفاعي، عبد الباسط مصطفى، دراسة في أهمية ارض السواد الاقتصادية في حقبة صدر الإسلام، بحث منشور، مجلة الأستاذ، المجلد الأول، جامعة سامراء، كلية التربية، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥،ص٣٥٨.

١٦-ابي داود، سليمان بن الاشعت(ت٢٧٥هـ-٨٨٨م)، السنن، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط١، (بيروت: المكتبة العصرية، د. ت)، ج٨، ص٣٢٥؛ الكنجي، ابي عبد الله محمد بن يوسف(ت٦٥٨هـ-١٢٥٩م)، كفاية الطالب في مناقب الامام علي بن ابي طالب(ع)، تح: محمد هادي الأمين،(النجف: المطبعة الحيدرية،١٣٩٠هـ-١٩٧٠م)، ج٢، ص٢٨٢

١٧-ابن حزم، علي بن احمد(ت٤٥٦هـ-١٠٦٣م)، المحلى بالاثار، تح: عبد الغفار سليمان البنداري، ط١،(بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م)، ج٨، ص٣٨٤؛ ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد ،ج٢، ص١٩٥؛ الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف (ت٤٧٤هـ-١٠٨١م)، المنتقى شرح الموطا، ط١،(مصر: مطبعة السعادة، ١٣٣٢هـ-١٩١٣م) ،ج٤، ص٢٣٣؛ ابن رشد، حمد بن احمد(ت٥٩٥هـ-١١٩٨م)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ط١،

(القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤م)،ج٢، ص١٨٧؛ الحطاب الرعيني، شمس الدين أبو عبدالله محمد(ت٩٥٤هـ-١٥٤٧م)، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، ط٣،(دار الفكر، ١٤١٢هـ -١٩٩١م)، ج٤، ص٥٠٧؛ الشربيني، شمس الدين محمد بن محمد(ت٩٧٧هـ-١٥٦٩م)، مغني المحتاج، تح: علي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود، ط١،(بيروت: دا الكتب العلمية، ،١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، ج٢، ص٩٢

١٨-م، ن

١٩-ابن قدامة، المغني، ج٤، ص٢١٦؛ البهوتي، منصور بن يونس، كشاف القناع عن متن الاقناع، علق عليه: هلال مصيلحي ومصطفى هلال، ط١،(الرياض: مكتبة النصر، ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م)، ج٣، ص٢٨٥

٢٠-الباجي، المنتقي، ج٤، ص٢٣٣؛ ابن رشد، بداية المجتهد، ج٢، ص١٨٧؛ الابي، اكمال، ج٤، ص٢٣٢؛ المواق، محمد بن يوسف(ت٨٩٧هـ-١٤٩١م)، التاج والاكليل لمختصر خليل، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م)، ج٤، ص٥٠٧؛ البهوتي، كشاف القناع، ج٣، ص٢٨٦

٢١-الدسوقي، الحاشية، ج٣، ص١٨٥

٢٢-ابن رشد، بداية المجتهد، ج٢، ص١٨٧؛ سليمان، إبراهيم،الجوائح واحكامها، ط١،(الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، ص٤٥

٢٣-م، ن، ج٢، ص١٨٧- ١٨٨

٢٤-ابن عبد البر، التمهيد، ج٢، ص١٩٦؛ ابن رشد، بداية المجتهد، ج٢، ص١٨٨؛ ابن قدامة، المغني، ج٤، ص٢١٦؛ الابي، اكمال، ج٤، ص٢٣٢؛ الزرقاني، شرح الموطأ، ج٣، ص٢٦٤

٢٥-البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل(ت٢٥٦هـ-٨٦٩م)، صحيح البخاري، تح: جماعة من العلماء،ط١،(مصر: المطبعة الكبرى الاميرية، ٨٤٦هـ-١٤٤٢م)، ج٩، ص٢١٧؛ مسلم ، صحيح، ج٨، ص٣٩٥؛ المياحي، سلسبيل جابر، السياسة الاقتصادية عند أئمة اهل البيت(عليهم السلام)، بحث منشور، مجلة الأستاذ، عدد٢١٨، المجلد الثاني،كلية الامام الكاظم(عليه السلام) للعلوم الإسلامية، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦.

٢٦-ابن وهب: عبد الله بن مسلم الفقيه المالكي كان يسكن مصر وولد في الفسطاط سنة ١٢٥هـ-٧٤٢م لزم الامام مالك اكثر من عشرين سنة وقضى حياته في طلب العلم، وهو احد ناشري المذهب المالكي في مصر لان الناس كانوا لا يستطيعون السفر الى المدينة فكانوا يذهبون الى ابن وهب يتعلمون منه المذهب المالكي وقد عرف عنه بكثرة رواية الاحاديث، لمزيد من التفاصيل ينظر:

القاضي عياض، موسى بن عياض(ت٥٤٤هـ-١١٤٩م)، ترتيب المدارك، تح: محمد بن تاويت الطنجي، ط١،(المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م)، ج١، ص٥٥٤؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٩، ص٢٢٤ ؛ الزركلي، خير الدين بن محمود، الاعلام، ط١٥،(بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، ج٤، ص١١٩

٢٧-الزرقاني، شرح الموطأ، ج٣، ص٢٦٤

٢٨-ابن عبد البر، التمهيد، ج٢، ص١٩٦؛ الابي، اكمال، ج٤، ص٢٣٣؛ الدسوقي، الحاشية، ج٣، ص١٨٦-١٨٧

٢٩-الباجي، المنتقى، ج٤، ص٢٣٣؛ ابن جزي، ابن جزي، أبو القاسم محمد بن احمد(ت٧٤١هـ-١٣٤٠م)، القوانين الفقهية، تح: محد بن سيدي محمد،(د.مط، د.ت)، ص٢٢٦؛ الونشريسي، أبو العباس احمد بن يحيى(٩١٤هـ-١٥٠٩م)،عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق، تح: حمزه ابو فارس، ط١، (بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م)،ص٤٢٤؛ الدسوقي، الحاشية، ج٣، ص١٨٦

٣٠-ابن عبد البر، التمهيد، ج٢، ص١٩٦؛ الابي، اكمال، ج٤، ص٢٣٣

٣١-م، ن

٣٢-الابي، اكمال، ج٤، ص٢٣٣؛ الدسوقي، حاشية، ج٣، ص١٨٢-١٨٣

٣٣-ابن عبد البر، التمهيد، ج٢، ص١٩٣.

٣٤-ابن رشد، بداية المجتهد، ج٢، ص١٨٩؛ البهوتي، كشاف القناع، ج٣، ص٢٨٦؛ ابن قدامة، المغني، ج٤،ص٢١٧.

٣٥-الابي، اكمال، ج٤، ص٢٣٣؛ البهوتي، كشاف القناع، ج٣، ص٢٨٦

٣٦-ابن رشد، بداية المجتهد، ج٢، ص١٨٨

٣٧-م، ن ؛ الدسوقي، حاشية، ج٣، ص١٨٣-١٨٦

٣٨-م، ن.

المصادر والمراجع :

١-الابي، أبو عبدالله محمد بن خلفه (ت٨٢٧هـ- ١٤٢٣م)، اكمال اكمال المعلم، ط١،(بيروت : دار الكتب العلمية، د. ت)(

٢-ابن الاثير، مجد الدين أبو السعادات(ت٦٠٦هـ-١٢٠٩م)، النهاية في غريب الحديث والاثر، تح: طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي، ط١،(المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٨م)

٣-ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت٦٣٠هـ- ١٢٣٢م)،اسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود، ط١،(لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م)

٤- الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف(ت٤٧٤هـ-١٠٨١م)، المنتقى شرح الموطا، ط١،(مصر: مطبعة السعادة، ١٣٣٢هـ-١٩١٣م)

٥- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل(ت٢٥٦هـ-٨٦٩م)، صحيح البخاري، تح: جماعة من العلماء،ط١،(مصر: المطبعة الكبرى الاميرية، ٨٤٦هـ-١٤٤٢م)

٦- ابن جزي، أبو القاسم محمد بن احمد(ت٧٤١هـ-١٣٤٠م)، القوانين الفقهية، تح: محد بن سيدي محمد،(د.مط، د.ت)

٧- ابن حزم، علي بن احمد(ت٤٥٦هـ-١٠٦٣م)، المحلى بالاثار، تح: عبد الغفار سليمان البنداري، ط١،(بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م)

٨- الحطاب الرعيني، شمس الدين أبو عبدالله محمد(ت٩٥٤هـ-١٥٤٧م)، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، ط٣،(دار الفكر، ١٤١٢هـ -١٩٩١م)

٩- ابي داود، سليمان بن الاشعت(ت٢٧٥هـ-٨٨٨م)، السنن، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط١، (بيروت: المكتبة العصرية، د. ت)

١٠- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ-١٣٤٧م)، سير اعلام النبلاء، تح: حسين اسد شعيب الارنؤوط واخرون، ط٣،(مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م)

١١- الرازي، احمد بن فارس(ت٣٩٥هـ-١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ط١،(دار القطر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٨م)

١٢- الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر(ت٦٦٦هـ-١٢٦٧م)، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، ط٥، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)

١٣- ابن رشد، حمد بن احمد(ت٥٩٥هـ-١١٩٨م)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ط١، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤م)

١٤- الشربيني، شمس الدين محمد بن محمد(ت٩٧٧هـ-١٥٦٩م)، مغني المحتاج، تح: علي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود، ط١،(بيروت: دا الكتب العلمية،١٤١٥هـ-١٩٩٤م)
١٥-الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ-٩٢٢م)، جامع البيان في تفسير القران، تح: محمود محمد شاكر، ط١، (مكة المكرمة: دار التربية والتراث، د. ت)
١٦- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣هـ-١٠٧٠م)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تح: علي محمد البجاوي، ط١،(القاهرة: مكتبة النهضة، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م)
١٧- ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد، تح: مصطفى بن احمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري، ط١،(المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م)
١٨- الفيروزابادي، مجد الدين أبو طاهر(ت٨١٧هـ-١٤١٤م)، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث، ط٨،(بيروت: مؤسسة الرسالة،١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)
١٩- ابن قدامة، محمد بن عبدالله بن احمد (ت٥٤١هـ-١١٤٦م)، المغني، تح: طه الزيني واخرون، ط١،(القاهرة: مكتبة القاهرة-١٣٨٨هـ-١٩٦٨م)
٢٠- القاضي عياض، موسى بن عياض(ت٥٤٤هـ-١١٤٩م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح: محمد بن تاويت الطنجي، ط١،(المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م)
٢١- المواق، محمد بن يوسف(ت٨٩٧هـ-١٤٩١م)، التاج والاكليل لمختصر خليل، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م)
٢٢- الكنجي، ابي عبد الله محمد بن يوسف(ت٦٥٨هـ-١٢٥٩م)، كفاية الطالب في مناقب الامام علي بن ابي طالب(ع)، تح: محمد هادي الأمين،(النجف: المطبعة الحيدرية،١٣٩٠هـ-١٩٧٠م)
٢٣- مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج(ت٢٦١هـ-٨٧٤م)، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١،(بيروت: دار احياء التراث العربي،١٣٧٤هـ-١٩٥٤م)
٢٤- النووي،أبو زكريا محيي الدين يحيى(ت٦٧٦هـ-١٢٧٧م)، المنهاج شرح صحيح مسلم، ط٢(بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م)
٢٥-الونشريسي، أبو العباس احمد بن يحيى(٩١٤هـ-١٥٠٩م)،عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق، تح: حمزه ابو فارس، ط١، (بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م)

المراجع:

١- البهوتي، منصور بن يونس، كشاف القناع عن متن الاقناع، علق عليه: هلال مصيلحي ومصطفى هلال، ط١،(الرياض: مكتبة النصر، ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م)
٢- الدسوقي،محمد بن احمد، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ط١،(دار الفكر، د.ت)

٣- رشيد، محمد رضا، تفسير القران الحكيم(تفسير المنار)، ط٢،(القاهرة: دار المنار، ١٣٦٦هـ-١٩٤٦م)
٤-الزرقاني، محمد بن عبد الباقي، شرح الزرقاني على موطا مالك، تح: طه عبد الرؤوف سعد، ط١،(القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)
٥- الزركلي، خير الدين بن محمود، الاعلام، ط١٥،(بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)
٦- سليمان، إبراهيم،الجوائح واحكامها، ط١،(الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م)

البحوث:

١-الرفاعي، عبد الباسط مصطفى، دراسة في أهمية ارض السواد الاقتصادية في حقبة صدر الإسلام، بحث منشور، مجلة الأستاذ، المجلد الأول، جامعة سامراء، كلية التربية، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥.
٢- المياحي، سلسبيل جابر، السياسة الاقتصادية عند أئمة اهل البيت(عليهم السلام)، بحث منشور، مجلة الأستاذ، عدد٢١٨، المجلد الثاني، كلية الامام الكاظم(عليه السلام) للعلوم الإسلامية، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦.

الخدع والكمائن المتبادلة بين الصليبيين والمسلمين عهد صلاح الدين الايوبي

زهراء عقبة نافع

ا.د عباس عبد الستار

الخدع والكمائن المتبادلة بين الصليبيين والمسلمين عهد صلاح الدين الايوبي

زهراء عقبة نافع

ا.د عباس عبد الستار

المقدمة

تم ولأول مرة استعادة واحدة من الامارات الصليبية امارة الرها فضلا عن كونها اكبر امارة مساحة من اصل اربع امارات من قبل القائد عماد الدين زنكي والتي قُتل بعدها بأسابيع, مما ادى الى خروج الامارة من السيطرة الاسلامية وعودتها للصليبيين بمساعدة سكانها الارمن ,الا انها عادت للسيطرة الاسلامية وبالقوة العسكرية من قبل ابنه نور الدين زنكي مما تسبب في انطلاق الحملة الثانية من الحملات الصليبية والتي لم تحقق اي هدف ملموس منها سوى انها رسخت من دور نور الدين في قيادة الجبهة الاسلامية ضد الصليبيين ,وبينت مدى انقسام الصليبيين على انفسهم سواء القادمين من اوربا او الصليبيين فيما يعرف في كتابات المؤرخين الاوربيين المُحدثين بالشرق اللاتيني.

اسفرت هذه البداية الجيدة للمسلمين والسيئة للصليبيين الى توحيد بلاد الشام ومصر والاحاطة الكاملة لدولة نور الدين بالمملكة الصليبية من ثلاث جهات الشرق والغرب والجنوب, وتعززت هذه الوحدة اكثر بتولي صلاح الدين حكم مصر وبلاد الشام من بعد وفاة نور الدين زنكي ليضيق الخناق على الصليبيين ليتوج ذلك بتحرير مدينة بيت المقدس, واسر ملكها غي لوزنيان ,مما اسفر عن قيام حملة صليبية ثالثة اشد حدة من سابقتها اشترك فيها اربعة من اعظم ملوك اوربا ,ورغم الانتصارات التي حققتها الحملة في بدايتها واسترجاع مدن عكا ويافا وارسوف التي سبق وان سيطر عليها صلاح الدين ,الا انها تعد انجازات لا تقارن بقوة جيوش هؤلاء الملوك الذين فت في عضدهم القدر والانقسام فعادوا من حيث اتوا من دون ان يسترجعوا أيا من الاراضي المقدسة بحسب الديانة المسيحية سواء الرها او بيت المقدس عدا شريط ساحلي ضيق على ساحل البحر المتوسط لتنتهي بذلك سلسلة طويلة من المعارك والخطط والتكتيكات العسكرية التي جرت على ارض المسلمين في الاناضول وبلاد الشام لتتغير وجهات الحملات الصليبية من بعدها الى مصر بدلا من بلاد الشام بعد

الاخفاقات المتكررة لهم فيها من جانب وانقطاع العلاقة مع بيزنطة وما كانت تقدمه من مساعدات لوجستية بعد ما اقترفته الحملة الصليبية الرابعة سنة ١٢٠٤م فيها من احتلال ونهب وسلب .

ونحن في هذا البحث سنقدم صورة واضحة قدر الإمكان عن اهم الخدع والكمائن التي جرت بين صلاح الدين الايوبي وقادة الصليبيين سواء في الشرق اللاتيني او ممن قدموا مع قوات الحملة الصليبية الثالثة خاصة ريتشارد قلب الأسد.

بعد وفاة نور الدين علم صلاح الدين "ان ولده الملك الصالح(نور الدين) صبي لا يستقل بالأمر ,ولا ينهض بأعباء الملك ,واختلفت الاحوال بالشام ...فتجهز صلاح الدين من مصر في جيش كثيف ,وترك بالقاهرة من يحفظها ,وقصد دمشق مظهرا انه يتولى مصالح الملك الصالح ,فدخلها بالتسليم في يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة ,وتسلم قلعتها واجتمع الناس اليه وفرحوا به"(١), وبعد عدد من المعارك مع حكام بلاد الشام من الامراء المسلمين تمكن صلاح الدين من اخضاع بلاد الشام بالكامل لسيطرته ومن ضمنها حلب لتصبح مملكة بيت المقدس الصليبية اشبه بجزيرة في بحر خاضع لحاكم واحد وهو صلاح الدين الايوبي تحيط بها قواته شرقا في بلاد الشام وغربا في مصر(٢).

ليتم بذلك تأسيس الدولة الايوبية التي تعود بأصولها الى اسرة كردية من بلدة دوين على مقربة من اذربيجان ,وقد رحل ابوه نجم الدين بصحبة اخوه اسد الدين شيركوه من بلدتهما وقصدا العراق ودخلا في خدمة نور الدين زنكي ليتمكن من بعدهما صلاح الدين من تأسيس دولة مترامية الاطراف تمتد من الرها شمالا لتضم اليمن جنوبا ,ومن العراق شرقا الى ليبيا غربا وقدر لها البقاء الى سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م عندما سقطت بيد المغول بقيادة هولاكو(٣)

اولا. الُخدع المتبادلة بين صلاح الدين الايوبي والصليبيين:

1-خديعة رينالد دي شاتيون ومحاولته احتلال المدينة المنورة بحرا:

لعل وقوع رينالد في الاسر بيد المسلمين مدة طويلة من الزمن جعله من اكثر الصليبيين حقدا ونقمة ورغبة في الانتقام من المسلمين فلم يتورع في كسر اي اتفاق معقود بين الصليبيين والمسلمين في سبيل الحصول على المال باي طريقة كانت لاسيما مهاجمة

القوافل التجارية في البر والبحر ,وفي اثناء ذلك راودت رينالد فكرة خطة جريئة لاقتحام البحر الاحمر ,وربما غزو مكة والمدينة على الرغم ان هدفه النهائي كان هو التحكم في حركة المرور الدولية بين اسيا ومصر عن طريق باب المندب ,وفي سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م بنى اسطولا في قلعة الكرك .وكانت المدينة يحيط بها سور يحف بها وموقعها استراتيجي بحيث تقع في قلب العالم العربي ونقله مفككا لمسافة تقرب مائة وخمسين ميلا عبر الطريق الصحراوي الى خليج العقبة حيث تم تركيبه ,وإنزاله مياه البحر الاحمر ,وتم احتلال جزيرة فرعون الصغيرة المواجهة للعقبة ,ثم اعقبت ذلك غارة متعجرفة نهب الصليبيون بعض الموانيء المصرية والحجازية ,ومضت اسابيع قبل ان ترد مصر المباغتة عندما تمكن الاسطول المصري (الايوبي)من رصد مواقع الصليبيين في الحجاز ,وكان الصليبيون قد توغلوا الى مسافة تقرب من المدينة(٤).

وتذكر المصادر العربية ان ارناط "بنى سفنا ,ونقل اخشابها على الجمال الى الساحل وثم ركب المراكب وشحنها بالرجال والآت القتال ,واوقف منا مركبين على جزيرة القلعة...فقطعوا طريق التجارة ,وشرعوا في القتل والاسر والنهب ,ثم توجهوا الى ارض الحجاز ,فعظم البلاء ,واعضل الداء ,واشرف اهل المدينة النبوية منهم على خطر عظيم ,ووصل الخبر الى مصر ,وبها نائب السلطان ,وهو اخوه الملك العادل سيف الدين ابو بكر ايوب ,فامر الحاجب حسام الدين لؤلؤ يعمر في بحر القلزم(الاحمر) مراكب بالرجال البحرية ,وسار الى ايله وهي مدينة على ساحل بحر القلزم(البحر الاحمر)مما يلي الشام ,وقيل هي آخر الحجاز واول الشام ,فظفر بالمركب الفرنجي عندها ,فاحرقه واسر من فيه ,ثم سار الى عيذاب ,وهي بليدة على ضفة بحر القلزم(البحر الاحمر)وهي مرسى مراكب التي تقدم من عدن الى الصعيد ,ودل على مراكب الفرنج ,فتبعها فوقع بها بعد ايام ,واوقع بها ,واطلق المأسورين من التجار ,ورد عليهم ما اخذ منهم ,ثم صعد البر ,فوجد هناك عربانا نازلين ,فركب خيلهم ,وسار وراء المنهزمين من الفرنج ,فحصرهم في شعب لا ماء فيه ,فأسرهم جميعا ,وكان ذلك في الاشهر الحرم ,فساق منهم اسيرين الى منى لينحروا بها كما ينحر الهدي ,عقوبة لهم على قصد حرم الله وحرم رسوله ,وعاد الى القاهرة ومعه الاسرى"(٥).

وعلق المؤرخ الفرنسي البير شاندور على ما جره رينالد على الصليبيين بقوله "وهكذا بقيت الصليبية الاولى غير مفهومة ,ولم تكن حربا دينية كما سيثيرها صلاح الدين بعد الحركة الغبية التي قام بها رينو دي شاتيون عندما اختطف في قلب السلم قافلة تجارية كانت تعبر اراضيه ,وفي حركة المد الضخمة للغرب نحو الشواطيء الموقرة للأراضي المقدسة برز صلاح الدين الذي سيعرف كيف يجمع ويعقلن حواليه الامراء المنشقين "(٦).

2-خديعة صلاح الدين للصليبيين في معركة حطين :

ادى هجوم رينالد دي شاتيون على قافلة تجارية الى انهاء الهدنه بين صلاح الدين ومملكة بيت المقدس ومما ادى الى تحرك صلاح الدين لمهاجمة طبريا الذي استنجد اميرها بغي لوزنيان ملك بيت المقدس الصليبية الذي قرر الخروج على اثر ذلك لملاقاة صلاح الدين (٧).

تتصف المنطقة التي دارت في ميدانها رحى معركة حطين,التي تتسم بوجه عام بانها منطقة جبلية تكثر بها الاخوار العميقة والوديان والاخاديد ,ويحدها من الشرق نهر الاردن ,وفي شمالي المنطقة الشرقي بحيرة طبرية * طبرية: مدينة بقرب دمشق بينهما ثلاثة ايام ومطلة على بحيرة معروفة ببحيرة طبرية وجبل الطور مطل عليها وهي مستطيلة على البحر نحو فرسخ بناها ملك من ملوك الروم,(٨) وكان معسكر صلاح الدين شمال المنطقة عند قرية حطين في مكان تحيط به غابات الزيتون ,وشمال القرية توجد عين ماء جارية ,وبالقرب من القرية يقع تل عظيم مخروطي الشكل اسمه(قرن حطين) ,اما المسافة بين حطين حيث معسكر صلاح الدين وصفوريه حيث معسكر الصليبيين فعشرة اميال ليست فيها قطرة ماء واحده(٩).

واجه الجيش الصليبي الكمائن المنتشرة فلم يقدروا على بلوغ الماء الذي وراء المسلمين فقرر غي التوقف محاولة للتملص منها ,لما حل برجاله من التعب والارهاق, وتجمع المراجع التاريخية على ان الفرنجة اجبروا على تغيير هدفهم الاستراتيجي ,وهو شطر القوات الاسلامية وقطع خطوط مواصلاتها الى هدف آني ملح وهو الوصول الى الماء باي طريقة(١٠).

ذكر مؤلف مجهول بأنه "ما كاد الجيش المسيحي ينصب معسكره حتى بادر صلاح الدين ,فامر رجاله ان يجمعوا كل ما يستطيعون جمعه من غصون الشجر ومن الحشائش الجافة وغير ذلك مما يمكن استعماله لإيقاد النار, وليجعل من هذه النار اسوارا تحيط بالمعسكر الصليبي ,فنفذ الجند امر قائدهم تنفيذا كاملا وحتى اذا كان الصباح الباكر ازداد اضرامها حدة وتعالت السنة اللهب ,واطبق الدخان على المسيحيين من كل جانب ,بالإضافة الى شدة حرارة الشمس مما انزل بالمسيحيين اذى واضطرابا كبيرين وامر صلاح الدين بإحضار قوافل الابل محملة بالماء من بحيرة طبرية ,كما وضع جرار الماء قرب المعسكر ,وامر ان تفرغ على مرأى من المسيحيين مما زاد من شدة لهفتهم الى الماء وزاد في ظمأهم, بالإضافة الى ما يعانونه من العذاب, وابت الجياد عند نبع صفورية ان تشرب الماء ليلا او نهارا وقد دفعها الظمأ الى ان ترمي اصحابها من فوق ظهورها في لحظة كانوا احوج ما يكونون اليها"(١١).

واكمل صاحب ذيل كتاب وليم الصوري حديثه بالقول "حين اشتعلت النيران وتعالت السنتها وكذلك سحب الدخان احاط المسلمون بالجيش وراحوا يرمونه بسهامهم ويرشقونه بنبالهم ويقذفونه بنشابهم وتركوهم هم وجيادهم ما بين قتيل وجريح ,فلما رأى الملك النكبة الملمة بجيشه استدعى كبير فرسان الداوية والامير رينالد وسألهما الرأي ,فأشارا عليه بقتال المسلمين ,وحينذاك امر اخاه اميري ,الذي كان مدبر امر الجيش ان يقوم بتنظيم الصفوف وترتيب الكتائب والفرق وبذل اميري هذا غاية جهده في تنفيذ اومر اخيه الملك جي, اما كونت طرابلس فقد كان في طليعة الجيش ,وابناء صاحب طبرية وما كانت الصفوف تنظم وتصبح على استعداد للقتال حتى خرج خمسة فرسان من بين صفوف كونت طرابلس وفروا الى صلاح الدين قائلين له :فيم انتظارك الا وقد اوشكت الدائرة تدور عليهم ,فلما سمع كلامهم امر الرجالة بالتقدم فأطاعوه حتى يصيروا اقرب ما يكونون الى المسيحيين ولما رأى صلاح الدين اخذ نحوه في التقدم اصدر كونت طرابلس امره بالهجوم ,وكان المتبع عند بارونات المملكة انه اذا كانت المعركة تجري على ارض احد معين منهم الحق لهذا البارون ان تكون له قيادة الطليعة ,ومن ثم لما كانت طبرية تقع في نطاق اراضي كونت طرابلس فقد كان من حقه قيادة المقدمة ,ولقد فسح المسلمون طريقا بين صفوفهم حتى

يمر الكونت بمن معه فلما صاروا في وسطهم اطبقوا عليهم وابادوهم عن اخرهم غير اثنى عشر فارسا او عشرة كان منهم كونت طرابلس نفسه ,وريموند ابن امير انطاكية واولاد صاحبة طبرية الاربعة... وكان الانتصار كبيرا حتى القي القبض على الملك ذاته وكبير فرسان الداوية والامير رينالد والمركيز وليم واميري ...وكثيرين غيرهم من البارونات والفرسان الذي يطول ذكر اسمائهم ...لقد المت هذه النكبة بالمسيحيين في موضع يسمونه قرون حطين وكان وقوعها يوم السبت الرابع من يوليو (تموز)سنة ١١٨٧م"(١٢).

وذكر ابن شداد موقف المسلمين في حطين "احتاط اهل الاسلام باهل الكفر والطغيان من كل جانب ,واطلقوا عليهم السهام وعاملوهم بالصفاح ,وانهزمت منهم طائفة فتبعها ابطال المسلمين ,فلم ينج منها واحد, واعتصمت الطائفة الاخرى بتل يقال له تل حطين ...فضايقهم المسلمون على التل ,واشعلوا حواليهم النيران ,وقتلهم العطش ,وضاق بهم الامر ,حتى كانوا يستسلمون للأسر خوفا من القتل ,فاسر مقدموهم ,وقتل الباقون ,وكان فيمن اسر من مقدميهم الملك جفري والبرنس ارناط, واخو الملك ,والبرنس صاحب الشوبك ,وابن صاحب طبرية ,ومقدم الداوية ,وصاحب حبيل ,ومقدم الاسبتار ,واما الباقون من المقدمين فانهم قتلوا... ,واما مقدم الاسبتار والداوية فان السلطان اختار قتلهم"(١٣).

اما ابن واصل فجاءت روايته كالآتي "واحاط المسلمون بالباقين الذين اجتمعوا بجبل حطين ,وهي قرية عندها قبر شعيب النبي عليه السلام, وضايقوهم ,واشعلوا حولهم النيران في حلفاء كانت هناك ,فارتفع لهبها ,...وحطوا خيامهم على ظل التل ,فعاجلهم المسلمون عن ضربها ,واشتد الطعن والضرب ,ودارت عليهم دائرة السوء ,وعلموا انه لا ينجيهم من الموت الا الاقدام عليه ,فحملوا على المسلمين حملات متداركة كادوا يزيلون المسلمين على كثرتهم عن مواضعهم ,فثبت الله اقدامهم ,ولم يحمل العدو حملة الا وقتل منهم جماعة واسر جماعة ,فوهنوا وهنا عظيما, ولم يمكنهم نصب خيمة الا خيمة ملكهم لا غير وملك المسلمون صليبهم الاعظم الذي يسمونه صليب الصلبوت ,فايقنوا بعده بالبوار ,واشتجر فيهم القتل والاسر ,وبقى الملك في مائة وخمسين فارسا ...واذا الخيمة سقطت ,فنزل السلطان ,فسجد شكرا لله تعالى وبكى من شدة فرحه(١٤).

واعقب ذلك اجتياح صلاح الدين للمدن الساحلية واسترجعها من الصليبيين اللاذقية ,وجبله , وكان النجاح صلاح الدين الرائع الذي حققه في تخفيض ممتلكات الصليبيين ببلاد الشام الى ثلاث مدن ,هي صور وطرابلس وانطاكية ,مع بعض قلاع نائية, في غضون فترة قصيرة من ١٨ شهرا ,حمل المؤرخين المسلمين والغربيين على حدا سواء على اعتباره قائد عظيم وناجح (١٥).

3-تحرير القدس وانطلاق الحملة الصليبية الثالثة :

ذكر صاحب كتاب الذيل على وليم الصوري "لم يدع صلاح الدين وسيلة من الوسائل لتحقيق رغبته الكبرى في الاستيلاء على مدينة القدس من الهجوم العنيف ليلا ونهارا الا اتبعها ,مما ترتب عليه حزن المسيحيين الذين بداخلها ,وبلغ الارهاق بهم أشده ,فلما ادركوا عجزهم عن حماية انفسهم والدفاع عنها راحوا يتشاورون فيما بينهم عما ينبغي عليهم عمله في هذا الموقف الذي هم فيه ...وخلصوا فرسانا واشرافا واولي الامر فيهم بانه يوجد ازاء كل واحد في هذه المدينة خمسون أمرأة وطفلا ,فلو متنا اخذ المسلمون النساء والصغار, وربما لم يقتلوهم ولكن يردونهم عن ملتهم وعن ايمانهم بعيسى المسيح فيخسرهم الرب عن بكرة ابيهم ,لكن اذا استطعنا الاتفاق مع صلاح الدين على الخروج جميعا من المدينة والذهاب الى البلاد التي في يد النصارى فذلك اجدى عاقبة من القتال ,لما في ذلك من خلاص النساء والأطفال ,وبعد مفاوضات لم تستغرق طويلا بين باليان الابليني متولي حماية المدينة ,وصلاح الدين تم الصلح كما اراد اهل المدينة من الصليبيين (١٧).

ويتفق ابن حامد الاصفهاني مع صاحب الذيل بخصوص ان صليبي القدس في حال عدم منح صلاح الدين لهم الامان وان يسمح بخروجهم فسوف يقاتلون حتى اخر رجل فيهم ,"اذا ايسنا من امانكم وخفنا من سلطانكم, وخبنا من احسانكم ,وايقنا انه لا نجاة ولا نجاح ,ولا صلح ولا صلاح ,ولا سلم ولا سلامه ,ولا نعمه ولا كرامه ,فانا نستقتل فنقاتل قتال الدم ,ونقابل الوجود بالعدم ...ونلقي انفسنا بالنار ,ولا نلقى بأيدينا الى التهلكة والعار ,ويجرح واحد منا حتى يجرح عشرة , وإنا نحرق الدور ونخرب القبة ,ونترك عليكم في سبينا السبة ونقلع الصخرة ,ونوجدكم عليها الحسرة ,ونقتل كل من عدنا من اسرى المسلمين ...واما الاموال فنعطبها ولا نعطيها ,وفاوضهم(السلطان)في المصالحة المربحة.., وسلموا البلد يوم

الجمعة السابع والعشرين من رجب"(١٨), ٢ تشرين الاول ١١٨٧م ,وفرض صلاح الدين فدية على كل صليبي يخرج من المدينة ومع ذلك فقد افتدى هو بنفسه واخوه الكثيرين من معدمي وفقراء المدينة بعد ان عجز وجهاء واغنياء البلد من الصليبيين من فدائهم, وقسم الخارجين من المدينة الى ثلاثة اقسام اولا عهدت الى الداوية والثانية الى الاسبتارية والثالثة الى البطرك وبليان ثم اوفد خمسين فارسا مسلما على راس كل مجموعة يحرسونهم لحين دخولهم في المناطق التي في حوزة الصليبيين(١٩).

كان لاستعادة المسلمين القدس من أيدي الصليبيين اثرا بالغ في اوربا مما حفز كبار ملوك اوربا وبضغوط شعبية هائلة الى الخروج لاستعادة المدينة التي فيها قبر السيد المسيح (عليه السلام) ولقد سميت هذه الحملة حملة الملوك لاشترك اعظم ملوك اوربا فيها ,كما صدرت صورة في غاية القتامة عن اوضاع كنيسة القيامة والمسيحيين في الشرق ,واضحى صليب الصلبوت بيد المسلمين ,بل ان بيت المقدس ذاتها اخذها المسلمون ,وفي خلال بضعة اشهر انهار كل البناء الذي اقامه الفرنج في الشرق ,فكان لا بد من ارسال نجدة ,والتعجيل بإنفاذها (٢٠)

ولما كان فردريك الاول اول المتهيئين للانطلاق ,فقد اجتاز بجيش جرار الاقاليم البيزنطية في اوربا ,ثم اجتاز اقاليمها في اسيا الصغرى ,واقتحم عاصمة سلاجقة الروم قونية عنوة في سنة ٥٨٥هـ/ ١٨-٢٠ مايو(مايس) ١١٩٠م ,وبذلك تم له وبدون صعاب اجتياز هضبة الاناضول التركية التي اعتبرت مميته بالنسبة لكل الحملات الصليبية السابقة ,واذا به يموت غريقا بعد ان تعثر جواده في النهر فسقط عن صهوته وغرق في مياه نهر سلوقية(كليكادنوس), وكان ذلك في٥٨٦هـ/ ١٠ يوليو(حزيران) ١١٩٠م عندها امسى جيشه دون قائد وتبعثر شذر مذر ,اما جثته فنقلت الى انطاكية ودفن في مشهد مهيب (٢١).

وكان من اكثر الملوك الثلاثة التي اغتم السلطان لقدومه هو الملك الالماني بسبب ضخامة جيشه من ناحية ,ومشاركته اي فردريك بربا روسا في شبابه في الحملة الصليبية الثانية ,فيذكر ابن شداد" ولما دخل رمضان من شهور سنة خمس وثمانين وخمسمائة وصل من جانب حلب كتب من ولده الملك الظاهر يخبر فيها انه قد صح ان ملك الالمان قد خرج الى القسطنطينية في عدة عظيمة ,قيل مائتا الف, وقيل مئتا وستون الفا يريد البلاد

الاسلامية ,فاشتد ذلك على السلطان وعظم عليه ,ورأى استيسار الناس للجهاد وإعلام خليفة الوقت بهذه الحادثة ,فاستدعاني لذلك وأمرني بالمسير الى صاحب سنجار, وصاحب الجزيرة وصاحب الموصل وصاحب اربل ,واستدعاهم الى الجهاد بأنفسهم وعساكرهم ,وامرني بالمسير الى بغداد لإعلام خليفة الزمان وتحريك عزمه على المعاونة, وكان اذ ذاك الناصر لدين الله ابا العباس احمد(٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥م)(٢٢).

ويذكر صاحب الذيل على كتاب وليم الصوري" لقد استولى الجزع الشديد على صلاح الدين اذ علم بخبر قدوم الامبراطور فسارع مصدرا اوامره بتدمير جميع اسوار اللاذقية وجبله وبيروت وغيرها من المدن الواقعة على طول الساحل الشامي حتى لا تكون ملجأ يفيء اليه المسيحيون ويجدون فيه الحماية "(٢٣).

ونجد مدون سيرة صلاح الدين والمقربين اليه ابن شداد يركز على شخصية ريشارد فيقول عنه" وهذا ملك الانكتار شديد البأس بينهم ,عظيم الشجاعة وقوي الهمة ,له وقعات عظيمة ,وله جسارة في الحرب ,وهو دون الفرنسيس(ملك فرنسا)عندهم في الملك والمنزلة ,لكنه اكثر مالا منه, واشهر في الحرب والشجاعة (٢٤).

4-خديعة صلاح الدين الايوبي للصليبيين وتحرير عكا:

شهدت معارك تحرير مدينة عكا* عكا: مدينة على ساحل بحر الشام من عمل الاردن يحده من الشمال لبنان ومن الغرب البحر ومن الجنوب الناصرة ومن الشرق طبرية وصفد ,من احسن بلاد الساحل في ايامنا واعمرها ووهي مدينة حصينة على البحر كبيرة ,لم تكن على هذه الحصانة حتى قدمها ابن طولون واسمه مكتوب على السور اخذها الافرنج سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م وكان عليها من قبل المصريين زهرة الدولة الجيوشي بعد ان قاتلوا الى ان عجزوا ,فأخذها الافرنج قهرا وقتلوا وسلبوا ولم تزل بأيديهم الى زمن صلاح الدين فافتتحها سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م وشحنها بالسلاح والرجال والميرة ,فعاد الفرنج فاتاهم صلاح الدين وازاحهم عنها ,وقاتل الفرنج اشد القتال ,وقتل خلق كثير حوا عكه وثارت روائح الجيف وتأذى المسلمون منها وظهرت فيهم الامراض ,ومرض صلاح الدين ايضا فامر الاطباء بمفارقة ذلك الموضع ففارقه ,فجاء الفرنج وتمكنوا من حوالي عكا وخندقوا دونهم وفكان الفرنج محيطين بالمدينة والخندق محيط بالفرنج ,فعاودهم صلاح الدين واقام حذاءهم ثلاث

سنين حتى استعادها الفرنج سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وقتلوا فيها المسلمين وهي في ايديهم الآن (٢٥) اللجوء الى مناورات وتكتيكات عسكرية حتى تمكن المسلمون من استعادتها.

توجه صلاح الدين عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م نحو مدينة عكا لما تحتله من اهمية استراتيجية بالنسبة للصليبيين وقطع طرق الامدادات العسكرية والتجارية عنهم , ورغم عدد الجيش الايوبي الكبير المتكون من ١٢ الف فارس و١٨ الف من المشاة , الا انه لم يتمكن من فرض حصاره البري على المدينة ولم يتمكن من الاقتراب من اسوار المدينة الا بعد الاصطدام بالجيش الصليبي المرابط خارج المدينة ,ورغم تحقيق المسلمين للنصر الا انهم تراخوا في الاحاطة بالمدينة وخاصة من جانبها المقابل للبحر مما اعطى الوقت الكافي للصليبيين لترتيب صفوفهم ومباغتة الجيش المسلم المقسم الى ميمنة وميسرة وقلب يترأسه صلاح الدين ,اما الجانب الصليبي فقسم الى ثلاثة اقسام ايضا ميمنه ميسر وقلب يقوده غي لوزنيان ,وابتدأت المعركة بهجوم كبير للصليبيين علة ميمنة وميسرة الجيش الاسلامي مما دفعهما للتراجع فاسند صلاح الدين الميمنة والميسرة من قلب الجيش مما جعل الصليبيين يغيرون هجومهم نحو القلب بعد ان استفرغ معظم قواته لمساندة طرفي الجيش ,غير انه في هذا الوقت تمكنت ميسرة وميمنة الجيش الايوبي من دفع ميسرة وميمنة الجيش الصليبي الى الخلف وانسحبوا الى معسكراتهم وتعرض من هاجم قلب جيش المسلمين الى الابادة بعد ان حوصر بين ميسرة الجيش وقلب الجيش(٢٦).

وبسبب عدم تحقيق صلاح الدين نصرا حاسما على البر,امر الاسطول البحري المصري بمهاجمة سواحل عكا وبعد معارك بحرية مع السفن الصليبية تمكنت سفن صلاح الدين من دخول ميناء عكا وانسحب الصليبيون الى داخل المدينة مما مهد الى السيطرة عليها لاحقا(٢٧).

5-خديعة الصليبيين للمسلمين واحتلال مدينة عكا:

وصلت السفن الفرنسية الى سواحل عكا قبل قدوم السفن الانكليزية التي احتلت جزيرة قبرص, وفرض الصليبيون الحصار على عكا برا وبحرا ,وكان لدى فليب اغسطس آلات لإطلاق الحجارة تستخدم لضرب اسوار المدينة لتدميرها وقتل من وراءها لإحداث الرعب داخل المدينة(٢٨).

وبعد ان بدأت ذخائر المدينة تنفذ خاصة بعد ان انتزع الفرنج السيطرة على البحر من ايدي المسلمين ,على اثر قدوم الاساطيل الفرنسية والإنكليزية ,وقبل سقوطها لجأ الصليبيون الى العديد من الحيل والخدع للتمكن من اقتحام اسوار المدينة الساحلية فعملوا دبابات وزحفوا بها الا انها احرقت من قبل المحاصرين من مسلمي عكا ,ثم عملوا كباشا الا ان المسلمين استولوا عليها ,فلجأ الفرنج الى عمل تل ترابي كبير مستطيل ومازالوا يقربونه الى البلد ,ويقاتلون من وراءه لا ينالهم من البلد أذى ,حتى صار على نصف علوه فكانوا يستظلون به ويقاتلون من خلفه ,فلم يكن للمسلمين من حيلة لا بالنار ولا بغيرها, وبعد عجز صلاح الدين في فك الحصار عليها ,فاضطر قادتها بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الاسدي بن عبد الملك الاسدين الخادم الصلاحي من مماليك اسد الدين شيركوه(٢٩),وهو من بنى سور عكا ,فيذكر ابن حامد الاصفهاني "وكوتب بالحضور لتولي الامور وعمارة السور ...وقد استصحب معه كل ما يفتقر اليه من اسباب العمارة وآلاتها وادويتها وادواتها ,وانفارها وابقارها ورجالها وعمالها وعمارها, ومهندسيها وماسيها, وحجاريها ومعماريها,(٣٠) وحاكم المدينة ,وكبير القواد سيف الدين علي بن احمد الهاكاري الى الاتفاق مع الفرنجة على تسليم البلد ,مقابل الامان لأهل المدينة ,وكان ذلك يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة ٥٨٧هـ/١٢تموز ١١٩١م(٣١).

6-خداع سفينة اسلامية قادمة من بيروت للسفن الصليبية المحاصرة لعكا وادخالهم الطعام للمدينة:

دون العماد الاصفهاني الحادثة التي تعرضت لها سفينة الشحن "تقلت اليها الغلة وملئت بالشحوم واللحوم ,وبكل ما تدعو اليه الحاجة من المشروب والمطعوم ,وحمل فيها من احمال النشاب والنفط ما جمع به فيها بين القوة والقوت ,ورتبت فيها رجال مسلمون ونصارى من اهل بيروت, وارادوا ان تشتبه ببطس(السفينة الكبيرة),وكانت تستخدم للحرب ,وقد تستخدم لنقل التجارة وكانت تحمل بالعادة بين ٣٠٠ و٧٠٠ مقاتل (٣٢) العدو في البحر ,وان لا ينكشف للفرنج مالها من الستر فتصوروا رهبانا ,وصوروا صلبانا ,ومسحوا لحاهم ومسخوا حلاهم ,وتملطوا وتكوفوا ,وتشبهوا بهم في كل بزة لئلا يتخوفوا وشدوا زنانير ,واستصحبوا خنازير ,وساروا بها في البحر بمراكب الفرنج مختلطين ,والى محادثتهم ومجاذبتهم منبسطين

,ولقوم لجهلهم لا يشكون انهم من اهلهم ,ونسوا الحادث وأنسوا الحديث ,...ولما حاذوا بها عكاء صوبوها نحوها والريح تسوقها والفرنج تدعوهم من مراكبها وتقول ما هذه طريقها ووهي كالسهم النافذ قد سدد فوقها ...فدخلت الثغر وادخلت اليه كل خير ,وعجب الناس منها ومما تم لها من حيلة في سير ,واجتزأ البلد بها شهرا ,ووجد منها لكل كسرا جبرا"(٣٣).

واشار ابن شداد الى هذه الحادثة بقوله" تم ادخال اربعمائة غرارة من القمح ووضع فيها الجبن والبصل والغنم وغير ذلك من الميرة فدخل جماعة من المسلمين تزينوا بزي الافرنج ,حتى حلقوا لحاهم ووضعوا الخنازير فوق المؤنة المهربة حتى خالطوا مراكب العدو, فخرجوا اليهم واعترضوهم في الحراقات والشواني واعتقدوا انهم منهم ,اوهموهم انهم يقصدون عسكر الفرنج المحاصر لعكا واستقامت لهم الريح حتى وصلوا ميناء البلد ,وكان فرحا عظيما فأن الحاجة كانت قد اخذت من اهل البلد"(٣٤).

في حين نجده يخبرنا عن فشل محاولة اخرى لتهريب الطعام لأهل عكا من سفينة قادمة من بيروت "وصلت بطسة من بيروت عظيمة هائلة مشحونة بالآلات والاسلحة والمير والرجال والابطال المقاتلة ,وكان السلطان امر بتعينها وتسييرها من بيروت ووضع فيها المقاتلة ستمائة وخمسين رجلا ,فأغرقها الانكتار في عدة شوان (مراكب اصغر من السفن),فقاتلوها قتالا عظيما ,وقتل من العدو عليها خلق عظيم ,واحرقوا للعدو شانياً كبيراً فيه خلق عظيم ,فهلكوا عن آخرهم ,وتكاثروا على اهل البطسة ,وكان مقدمهم رجلا جيدا شجاعا مجربا في الحرب ,فلما رأى امارات الغلبة عليهم وانهم لابد وان يُقتلوا وقال: والله لانقتل الا عن عز ,ولا نسلم اليهم من هذه البطسة شيئا ,فوقعوا في البطسة من جوانبها بالمعاول فهدموها ,ولم يزالوا كذلك حتى فتحوها من كل جانب ابوابا ,فامتلأت ماء ,فغرق جميع من فيها وما فيها من آلات والمير وغير ذلك ولم يظفر العدو منها بشيء ,وكان اسم المقدم المذكور يعقوب من رجال حلب ,وتلقف العدو بعض من كان فيها ,فأخذوه الى الشواني من البحر ,وخلصوه من الغرق ,وانفذوه البلد ليخبرهم بالواقعة ,وحزن الناس خزنا شديدا "(٣٥).

ودون الاصفهاني هذه الواقعة البحرية بأسلوبه السجعي قائلا" واركب فيها زهاء سبعمائة رجل مقاتلة لعكا...,صادفها ملك الانكتير ,بحكم قضاء الله والتقدير, واحدقت بها شوانيه ,وقاتلها نصف نهار وهي لا تذعن لأقتسار ,وقتل من الفرنج خلق عليها...,فلما

يئست من سلامتها وزلت عن استقامتها ....ومالت الى الاستسلام وجالت على الاصطدام ,قال مقدمها: علام نسلمها والموت بالعز خير لنا من الحياة بالذل ,فنزل الى البطسة فخرقها ومانع عنها حتى اغرقها ,وسعد اهلها ,وافترقت وسيجتمع في دار النعيم شملها" (٣٦).

7-خديعة المدن والقلاع المخربة واستراتيجية الارض المحروقة:

لجأ صلاح الدين الايوبي الى تكتيك ما يعرف حديثا بالأرض المحروقة فعند زحف الامبراطور الالماني فردريك بربباروسا باتجاه بلاد الشام فعزم صلاح الدين "الا يدع مدينة من المدن ولا قلعة من القلاع سليمة ,لأنه ان صادف واحدة سليمة احتلها وشحنها بالمقاتلين فتفشل اذ ذاك ريح المسلمين وينالهم الضر والاذى ,ومن اجل هذا خرب صلاح الدين القلاع والحصون والمدن الواقعة على الساحل"(٣٧).,كما فعل بحصن مرج عيون عندما اشعل فيه النار وبعد يومين نقبوه "واقام السلطان في منزلته حتى هدم الحصن الى الاساس ,وطم جب معين كان حفرته الفرنج في وسطه وورمي فيه القتلى "(٣٨). وفعل ذات الشيء بمدينة يافا التي دمر اسوارها ,كما خرب مدينة عسقلان خشية احتلالها من قبل الملك الانكليزي ريتشارد (٣٩).

ويعلق المستشرق الفرنسي البير شاندور على هذه التكتيكات التي قام بها صلاح الدين تحت عنوان الصراع على الساحل الفلسطيني ,وسياسة الارض المحروقة "حاول الفرنجة الاستيلاء على الساحل الفلسطيني ,بهدف اعادة سيطرتهم على القدس ,فناجزهم صلاح الدين بمعارك ضارية دارت مابين ارسوف والرملة وولم يتردد بطل الشام في تدمير مدينة عسقلان خشية ان تسقط بيد الفرنجة كي يؤمن حسب قوله حياة القدس وخلاصها.. كما هدم الرملة واللد جاعلا الطريق الى القدس قاعاً صفصفا ومطبقا بذلك استراتيجية الارض المحروقة ,في كل موطيء قدم يمكن للأعداء ان يجوسوا خلاله(٤٠).

8-خديعة الصليبيين للأيوبيين في معركة ارسوف:

كان هدف الصليبيين العسكري يتمثل في اقامة قاعدة توفر لهم امكانية مهاجمة بيت المقدس وهي عسقلان من خلالها لذلك اتجهوا صوب يافا متخذين الطريق الساحلي٢٨ رجب ٥٨٩هـ/ ٢٢ اغسطس ١١٩١م اتجهوا صوب حيفا ,فاتجه الجيش الايوبي الى

مضايقتهم في سيرهم, ومناوشتهم ,وتمت مهاجمتهم بالسهام على نحو وصف بأنه "ما كان يحجب الشمس "وقد قتلوا وجرحوا من اعدائهم عددا كبيرا (٤١).

فضلا عن ان السهام ذاتها كان من شأنها فرض التوتر العصبي الشديد على الجنود الذين تعرضوا لها ,كذلك نجد ان المسلمين قتلوا عددا من الصليبيين مما اجبر الاخيرين على طلب التفاوض (٤٢).

اما السبب الذي حدا بالمسلمين بالموافقة على طلبهم هو انتظار المدد من التركمان ,وكان الطرف الذي يمثل الايوبيين هو اخ صلاح الدين الملك العادل اذ بين ريشارد ان امد الصراع طال بين الطرفين وانه يود المصالحة مقابل ان يردوا للصليبيين ما استرده المسلمون من اراضي اعقاب معركة حطين (٤٣).,وهو امر لم يمكن قبوله وعقد هذا الاجتماع في ١٢ شعبان/٥ ايلول ١١٩١م ,اي قبل خوض غمار معركة ارسوف بيومين(٤٤).

مما جعل الصدام الحربي لا مفر منه ولكن ليس بالسرعة التي ظنها صلاح الدين الايوبي ففي الوقت الذي حصل الجيش الصليبي على الدعم من الاسطول البحري لم يتوفر ذلك للمسلمين ,كما ان الجيش الصليبي حوى في صفوفه كافة التنظيمات الداوية والاسبتارية وغيرها من القوى الصليبية التي انضوت تحت لواء ريتشارد فانتهت المعركة لصالح الصليبيين (٤٥).

بدأ المسلمون هجومهم في الضحى اثر مواصلة الصليبيين مسيرهم نحو مدينة يافا ,وأخذ العساكر بأسلحتهم الخفيفة والبدو الرجالة تنقض على المسيحيين في موجات متلاحقة ,يرمونهم بالسهام ,فانزلوا الخلل والاضطراب في الصف الاول للرجالة ,غير انه لم يكن لهم ادنى تأثير في الفرسان بأسلحتهم الثقيلة ,ثم انفرجت صفوفهم فجأة ,ونفذ منها الفرسان الترك يحملون فيطعنون بسيوفهم ,ويضربون بحرابيهم مركزين على الاسبتارية املاً في رد الجناح الايسر للمسيحيين ,الا ان الفرسان صدوا الهجوم ,ونجح الرماة في اعادة تنظيم صفوفهم بعد كل موجة من هجمات المسلمين ...ثم ركب ريتشارد ,ودخل غمار المعركة كيما يعيد الى الجيش شيئا من النظام ,ويتولى قيادة الهجوم ,فلم يكن بوسع العساكر المسلمين ان يقاوموهم ,ولم تلبث صفوف المسلمين ان تداعت ,فلاذوا بالفرار (٤٦). فأمست المعركة لمصلحة الصليبيين الذين خرقوا صفوف خيالة المسلمين بهجوم راكب وطاردوهم الى خارج ميدان

المعركة مسافة ميلين منتزعين فرسان المسلمين من سروجهم وطاعنين برماحهم من لاقوه له من المشاة ,وكان الاندفاع اندفاعا سريعا على سهل مستو توقف عند وصول الصليبيين الى سفح جبل مشجر شديد الانحدار ,وتسلقه المسلمون الا انهم سرعان ما نزلوا بعد مشاهدتهم تفرق الفرسان الصليبيين لغسل ما لحقهم من العار وكادوا ان يكسبوا المعركة لولا تدخل ريتشارد الذي رافقه حرسه الخاص ,وكان كلما رأى زمرة من فرسانه مطوقة شق طريقه نحوها وبعثر مهاجميها ,وتمكن ريتشارد من لم شمل الصليبيين وسيطروا على ساحة المعركة(٤٧). الا ان صلاح الدين جمع شمل قواته في الوقت المناسب للدفاع عن معسكره, وللقيام ايضا بهجوم آخر على العدو ,ولكن المحاولة باءت بالفشل ,ولم يحل المساء حتى اضحى للجيش المسيحي السيطرة على ساحة القتال, واستأنف سيره صوب الجنوب باتجاه يافا(٤٨).

وترجع قيمة هذا الانتصار الى الثقة التي منحها للمسيحيين ,اذ كانت هذه اول معركة مكشوفة منذ حطين ,ودلت على ان صلاح الدين يصح ان يتعرض للهزيمة ,واذا جرى هذا الانتصار عقب الاستيلاء على عكا ,فانه يدل فيما يبدو على ان المد قد تحول(٤٩).

وتمكن الصليبيين من الوصول الى يافا وهو ميناء بيت المقدس ,مما اجبر الطرف الايوبي على تخريب مدينة عسقلان واخلائها من سكانها اي بعد خمسة ايام من معركة ارسوف, وتحصن الجيش الايوبي في القدس مما شل من حركة الجيش الصليبي فقرر العودة الى المفاوضات التي اسفرت عن استحصال المناطق الساحلية حتى يافا من دون عسقلان وبيت المقدس التي ظلت بيد المسلمين(٥٠).

ووصف سميل معركة ارسوف بأنها "كانت نجاحا تكتيكيا مؤقتا لافتا للأنظار,ولكنه لم يكن اكثر من ذلك ,اذ كان الهجوم على نطاق واسع ,ولكنه لم يحقق اكثر مما حقق الفرسان في ١١١١و١١٨٢و١١٨٣و١١٩٠,ذلك انه خفف على الجيش الزاحف ,ولم تتم مواصلة المطاردة لانهم كانوا يخشون الوقوع في كمين الى حد ان صلاح الدين حشد رجاله في نفس اليوم واستعد للقتال في اليوم التالي فاستطاع ازعاج تحركاتهم بعد المعركة مجددا"(٥١).

٩- خديعة الملك ريتشارد للمسلمين:

في احداث عام ٥٨٨هـ/١١٩٢م هاجم ريتشارد قلب الاسد قافة تابعة للمسلمين قادمة من مصر حيث تنكر في زي اعرابي ليستطيع التعرف على القافلة وثم هاجمها بعد ان تأكد ان حراسها قد غلبهم النعاس وباتوا يغطون في نومهم واستولى عليها"(٥٢).

10-خديعة ريتشارد للمسلمين في يافا وقدومه بحرا:

بعد عودة ريتشارد الى عكا استعدادا للعودة الى بلاده وصلته اخبار دخول صلاح الدين مدينة يافا وسيطرته عليها بالكامل خلال ثلاثة ايام عدا قلعتها التي اعتصم بها الصليبيون من الحامية التي تركها الملك الانكليزي ,فقرر الاخير الابحار بما متوفر لديه من السفن والشواني وما تبقى لدية من الجنود لاستعادة المدينة ,وبالفعل تمكن من نزول الساحل وبعد معارك عنيفة شهدت الكثير من الكر والفر ,انسحبت على اثرها قوات صلاح الدين من المدينة (٥٣).

بعدما ادرك كلا العاهلين ان وقت المعارك انتهى والباب اصبح مشرعا للمفاوضات فالوقت والمال بدأ ينفذ من ريتشارد الذي بدأت الاخطار تحدق بعرشه في انكلترا, والصحة وطاعة الجند لصلاح الدين بدأت تنفذ هي الاخرى ,فنوجز عبارة صلاح الدين المتواضعة التي خاطب بها بهاء الدين ابن شداد بقوله "فإنني لو حدث بي حادث الموت ما تكاد تجتمع هذه العساكر"(٥٤).

ويعلق ابن شداد عن معركة يافا "لما شعر الانكتار ان القلعة مع اصحابه اندفع يطلب الساحل ,وكان اول شاني القى من فيه بالبر شانية ,وكان احمر ورقبته حمراء وبيرقه احمر , فما كانت الاساعة حتى نزل كل من في الشواني الى الميناء ,وكان تحتي فرس فسقته الى السلطان واخبرته الخبر...وخرج الانكتار الى موضع السلطان الذي كان فيه لضيق البلد ,وامر من في القلعة ان يخرجوا اليه "(٥٥).

ويذكر المؤلف المجهول عن معركة يافا ان الملك امر من كانوا في السفن ان يضعوا اوتادا خشبية ,وان يتخذوا من جذوع الاشجار ومن القلاع الملقاة امام الحصن ستارا لدفع هجمات المسلمين ,وبالفعل تم اقامة المتاريس ,فلا تكاد طائفة من المسلمين تدخل من ناحية حتى يرغموها على الخروج من ناحية اخرى ,واضطر الملك للدفاع عن نفسه بيده

وطرف درعه ,وقام اخ صلاح الدين بإرسال جواد الى ريتشارد بيد مملوك واخبره ان يقول للملك انه ليس من اللائق به ان يقاتل راجلا(٥٦).

كانت المعركة السابقة آخر لقاء تم بين قوات صلاح الدين وقوات ريتشارد قلب الاسد الذي سقط مريضا بالحمى فلزم خيمته ,وفي الوقت نفسه بادرت بعض القوات الصليبية بالاستعداد للرحيل خاصة الفرنسية ,فلم يجد الملك الانجليزي بديلا عن الحرب سوى الجنوح الى السلم وفتح باب المفاوضات من جديد ,كما ان الجانب الاسلامي قد اصابه الضجر والسئامة من القتال والمصابرة ,وفي الثاني والعشرين من شعبان ٥٨٨هـ/الثاني من سبتمبر ١١٩٢م كانت معاهدة الصلح المعروفة باسم صلح الرملة قد وضعت صورتها النهائية لمدة ثلاث سنوات , اشترطت عودة صليب الصلبوت ,اما البلاد التي نصت عليها لتكون مع الصليبيين فهي يافا وعملها واخرج منها الناصرة وصفورية (٥٧),ومناصفة اللد جنوب شرقي للد وفي الشمال من مدينة الرملة (٥٨), والرملة بين المسلمين والصليبيين ,وبذلك يكون الصليبيين قد احتفظوا بالبلاد الساحلية من صور حتى يافا ,كما تم الاتفاق على تخريب مدينة عسقلان وان يكون للصليبيين حرية الذهاب الى بيت المقدس للحج ,وللمسلمين ايضا حق في دخول البلاد التي امتلكها الصليبيون ,كما وافقت امارتي انطاكية ,وطرابلس على شروط الصلح ورضي الداوية والاسبتارية وسائر مقدمي الفرنج بمعاهدة الصلح(٥٩).

وتجدر الاشارة الى ان مدينة عسقلان هي من كانت حجر العثرة اسهمت في اطالة امد المفاوضات بين صلاح الدين وريتشارد ومن ثم تجدد المعارك بينهما حتى وصل الامر بصلاح الدين ان يخرب المدينة حتى لا تصبح قاعدة متقدمة يتم بها مهاجمة القدس وامداد المدينة بالجند والمؤن والسلاح ان سقطت بيد الصليبيين ,وحتى لا يصبح الساحل الفلسطيني بالكامل خاضع للصليبيين .

اما النقطة الاهم التي تثبت صحة ستراتيجية صلاح الدين العسكرية انه اراد ان يؤمن مواصلاته بين شطري دولته مصر وبلاد الشام لان مدن الساحل تعيق هذا الاتصال(٦٠).

ثانيا. الكمائن بين صلاح الدين الايوبي والصليبيين:

بدأت اعمال الكمن في عهد صلاح الدين (٥٧٠.٥٨٤هـ/١١٧٤.١١٨٨م) فور وصول انباء بقدوم جيوش الحملة الصليبية الثالثة فكمن للجيش الالماني قبل وصوله لقونية ملحقا به خسائر فادحة (٦١).,واستعمل صلاح الدين العرب البدو في كمائنه ضد الصليبيين في المناطق التي تواجدوا فيها كما حدث في سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م وسنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وسنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م لقاء مكافئات مالية بهدف قطع المؤنة عن القوات الصليبية القادمة من الموانئ الساحلية الخاضعة لسيطرتهم سواء عبر يافا او عكا (٦٢).

1-كمين نائب حلب لرينالد دي شاتيون:

امتازت شخصية رينالد صاحب الكرك والشوبك* الشوبك: تقع على يمين وادي عربه والى الشمال الشرقي من البتراء بنيت قلعتها بهدف مراقبة المنطقة الشرقية من المملكة ,الشارتري تاريخ الحملة الى القدس ,ص ١٥٨بكونها شخصية لا تتمتع بأدنى درجات الفروسية والالتزام بالعهود فمثلا قطع يمينا لأسد الدين شركوه بان لا يهاجم قواته برا و"تأويل ليمينه التي حلفها قال: انا حلفت اني ما الحق اسد الدين ولا عسكره في البر ,وانا اريد الحقة في البحر ,وركب في البحر ,وصار في يوم في عسقلان ,وخرج منها الى الكرك والشوبك ,وجمع عسكره المقيم هناك ,وقعد مرتقبا خروج اسد الدين من البرية ليوقع به ,وعلم اسد الدين بمكيدة ارناط بالحدس والتخمين ,فسلك طريقا من خلف المكان الذي كان فيه ارناط شرق الغور وخرج من البلقاء وسلمه الله تعالى ودخل دمشق ,واجتمع بنور الدين (٦٣).

استغل وليم الصوري كل مناسبة ليظهر عدم رضاه من تصرفات رينو دي شاتيون امير انطاكية بسبب سلوكه غير السوي ذلك السلوك الذي اضر بمستقبل الصليبيين في بلاد الشام ,ففي حوادث عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م يسدل الستار على المرحلة التكوينية لشخصية ارناط المغامر الصليبي فأشار وليم ,كيف ان رينو دي شاتيون كان يترصد الاخبار والمعلومات التي تخص السكان المسلمين وتنقلاتهم الموسمية وراء قطعانهم من الابل والاغنام بحثا عن الماء والكلاء ,فاستغل ارناط وجود هؤلاء وهجم عليهم فنهب وسلب ,وبعد انتهاء غارته تلك ,حاول العودة محملين بأنواع المتاع الذي نهبوه ,فكمن له عند رجوعه ,ولما علم ارناط بخطة مجد الدين ابن الداية* الداية: تعني كلمة داية الام بالكردية وكان

من اقرب الامراء لنور الدين كونه كان اخاه بالرضاعة واقطعه حلب ومدينة حارم ولما مات منح اقطاعة لأخيه شمس الدين ابن المرضعة ,,ابن شداد, النوادر السلطانية ٨٣,شاور اصحابه في الاحتفاظ بالغنائم ام القتال ,لكنهم اثروا في النهاية القتال, ففائجتهم القوات الحلبية بسهامهم ورماحهم ,ففر اغلب الجند واسر البعض الآخر ,اما عن ارناط فقال الصوري بحقة "وكفر الامير ارناط عن جميع اخطائه وجرائمه التي أقترفها فقد وقع في اسر العدو والذي كبله بالقيود وسار به الى حلب على اقبح صورة (٦٤).

2-كمين رينالد دي شاتيون للمسلمين في واقعة الرملة:

نزل صلاح الدين عسقلان سنة ٥٧٣هـ /١١٧٧ م ولما لم يجد رد فعل للصليبيين قرر التعمق في المسير وعند وصوله "نهر تل الصافية ,ازدحمت على العبور اثقال العسكر ,فما شعروا الا وقد اتوهم في اطلابهم, وجموعهم ,وجماعة من سرايا المسلمين متفرقون في الضياع للإغارة ,وكان مقدم الفرنج البرنس ارناط صاحب الكرك ,وكان اسيرا بحلب من ايام نور الدين ,ثم اطلقه الحلبيون...فجرى على المسلمين خلل ذلك اليوم وانكسروا ,...لما قارب العدو رأى جماعة ان تغير الميمنة الى جهة الميسرة ,والميسرة الى جهة القلب ,ليكون في حالة اللقاء وراء ظهورهم تل معروف بارض الرملة,فبينما هم يشتغلون في التعبية ,اذ هجم الفرنج, وقدر الله كسر المسلمين فانكسروا كسرة عظيمة, ولم يكن لهم حصن قريب ,فطلبوا جهة الديار المصرية ,وضلوا في الطريق ,وتبددوا ,واسر منهم جماعة ,وكان وهنا جبره الله بوقعة حطين (٦٥).

3-كمين صليبي عند تل الجزر:

في عام ٥٧٣هـ/١١٧٧م دخل الجيش الصليبي في معركة مع الجيش الاسلامي بقيادة صلاح الدين الايوبي عند تل الجزر * تل الجزر: حصن من اعمال فلسطين ,ياقوت الحموي ,معجم البلدان,مج٢,ص٤١,حيث خرج على راس جيش قوامه عشرين الف قادما من مصر باتجاه عسقلان لمقاتلة الصليبيين ,فقرر بلدوين الرابع(٥٧٠- ٥٨١هـ / ١١٧٤-١١٨٥م)تجنب القتال مع المسلمين لتفوقهم العددي ,فتفرق جنود صلاح الدين لجمع الغنائم ليتفاجؤوا بهجوم مباغت من ارناط كانت قواته تراقب تحركات المسلمين ليلحق الهزيمة بالقوات الاسلامية (٦٦).

4- كمين رينالد دي شاتيون لقافلة اسلامية ومحاولة غزو الديار المقدسة:

في مرحلة من مراحل تواجد صلاح الدين في مصر كتابع لنور الدين زنكي كان تواجد رينالد دي شاتيون مفيدا لصلاح الدين ,اذ كان نور الدين يلح على صلاح الدين ان يبعث اليه بالعساكر المصرية لمحاربة الفرنج الذين استوطنوا المنطقة التي تفصل بينهما, وهي (الكرك)وكان امير من اقسى امراء الفرنج وهو ارناط غير ان صلاح الدين ,وكان حينئذ يفكر في ان يستقل بملك مصر عن سيده نور الدين ,قدر ان اعانه على طرد الفرنج من هذه المنطقة الفاصلة بينهما وفقد اخلى الطريق بينه وبين نور الدين ,يأتي اليه بنفسه متى شاء ليسترد ملكه منه ,من اجل ذلك اعتذر صلاح الدين لنولاه عن عجزه عن ارسال العساكر المصرية ,وذلك بسبب سوء الاحوال الداخلية في مصر ,ومن هنا بدأت الوحشة بين الرجلين(٦٧).ولكن ما ان انضم بلاد الشام الى حكمه حتى اصبح لزاما عليه ازالة هذا الفاصل وتوحيد طرفي دولته الشرقي والغربي .

ذكر غروسيه استفادة رينو من حصونه في قلعة الكرك(قلعة مؤاب)وحصن الشوبك في التحكم في الطريق الواصل بين سوريا الاسلامية ومصر ,فقطعت بذلك امبراطورية صلاح الدين الى شطرين ,كما استغل رينو ذلك للإغارة على قافلة الحج المتوجهة الى مكة واستلابها ١١٨١م,فادى هذا العمل اللصوصي الوقح الى تأجيج اشد معاني السخط البالغ في ضمائر الامة الاسلامية(٦٨). يذكر صاحب الذيل على كتاب وليم الصوري" جاء جاسوس الى الامير واخبره ان هناك قافلة كبيرة قادمة من القاهرة الى دمشق, وانها سوف تمر بالكرك, فامتطى الامير رينو صهوة جواده حالما سمع هذا النبأ ,وجمع حشدا كثيفا من رجاله وخرج بهم معترضين القافلة واستولوا عليها, وكان بها اخت السلطان صلاح الدين الذي ما كاد يسمع الخبر... بادر بإرسال مبعوثين من قبله الى الملك جي(غي لوزنيان)ويعلن اليه رغبته في عدم شجب الهدنة التي كان قد عقدها ايام الملك الصغير ,فاصدر الملك جي امره الى رينو دي شاتيون ,بإعادة القافلة وكذلك اخت السلطان, فكان الجواب انه غير فاعل ذلك ابدا ,لأنه هو مولى هذه الناحية وصاحب الامر والنهي فيها شأنه في ذلك شأن جي في ارضه ,زد انه ليس بين رينو وبين المسلمين هدنة ولا عهد لقد كان اخذ هذه القافلة هو السبب المؤدي الى ضياع مملكة بيت المقدس"(٦٩).

وعلق ابن واصل على ذلك من دون اي ذكر لوقوع اخت السلطان في الاسر "كان البرنس ارناط صاحب الكرك كثير الغدر والخبث ,وكان قد هادن السلطان وسالمه ,فأمنت الطريق بين مصر والشام ,وتواصلت القفول ,حتى كان الذاهب والجائي ,ثم انه لاحت له فرصة في الغدر فغدر بقافلة عظيمة فيها نعم جليلة ,فأخذها باسرها ,وكان معهم جماعة من الاجناد فأسرهم وحملهم الى الكرك ,واخذ خيلهم وعدتهم فارسل اليه السلطان وقبح فعله ,فسأله اطلاقهم فامتنع ,واصر على عصيانه ,فنذر السلطان دمه" (٧٠).

والهب رينو مشاعر الامة الاسلامية من جديد ,عندما دفع نحو البحر الاحمر بأسطول مضى يتهدد مدن الاسلام المقدسة مكة والمدينة شتاء٥٧٧هـ/ ١١٨٢-١١٨٣م,وهذا يعتبر انتهاكا ما بعده انتهاك لأقدس حرمات المسلمين(٧١).

وكانت هذه اجرأ عملية في حياته ورغم ان الكرك تقع مسافة ١٢٠ ميلا شمال شرق خليج العقبة القرن الشرقي للبحر الاحمر ,امر رجالة بقطع الاخشاب من غابة مؤاب شرق البحر الميت بالقرب من الكرب وصنع خمس سفن وجربها في مياه البحر الميت وفككت وحملت على جمال وانزلها مياه البحر الاحمر ليمارس القرصنة البحرية مستهدف القوافل التجارية لمدة عام تقريبا ووصلوا الى الراغب احدى الموانيء التي تخدم مكة وهي لا تبعد سوى ٦٥ ميلا عن مكة ولكن تم تدمير سفنهم بواسطة الاسطول المصري واخذوا كسجناء(٧٢).

وفي اثر ذلك سار عز الدين فرخشاه "الى اعمال الكرك فنهبها ,والسبب ان البرنس ارناط صاحب الكرك لعنه الله ,كان اشد الفرنج عداوة للإسلام ,فجمع عسكره وعزم على المسير الى تيماء*تيماء: بليدة في اطراف الشام ودمشق بين الشام ووادي القرى ,ياقوت الحموي, معجم البلدان,ج١,ص٦٧ وحدثته نفسه بالمسير الى مدينة النبي (صلى الله عليه وسلم)ليستولي عليها وعلى تلك النواحي الشريفة ,فلما بلغ ذلك عز الدين وهو بدمشق سار بالعساكر الدمشقية الى بلده فنهبه وخربه ,وعاد الى طرف بلاد الاسلام واقام هناك ليمنع البرنس لعنه الله من المسير ,فامتنع بسببه من قصده ,فلما طال مقام كل واحد منهما في مقابلة الآخر علم البرنس ان المسلمين لا يعودون حتى يتفرق جمعه ,ففرقه ,وانقطع طمعه في الحركة ,وعاد عز الدين الى دمشق ,وحمى الله الحرمين من غائلة الاعداء "(٧٣).

وعلق الاصفهاني على هجوم امير دمشق فرخشاه على الكرك "جمع جموع الشام واغتنم خلو بلادهم من حماتها وفراغها من كماتها فنهض اليها ...,فجاءت خيبة الفرنج من وراءها "(٧٤).

اما صلاح الدين فقد استشاط غضبا واقبل يحاصر الكرك التي لم ينجها من سطوته سوى التدخل البطولي لبلدوين الرابع في٥٧٩هـ/ ٤ ديسمبرمم١١٨٣(٧٥).

5- كمين بحري اوقعه المسلمون بالصليبيين:

يذكر ابن واصل انه "في سنة ٥٧٩هـ سار اسطول المسلمين من مصر فلقوا بطسه من الفرنج بالسلاح التام ,ومعهم اموال وسلاح يسيرون به الى فرنج الساحل ,فقاتلهم المسلمون وصبر الفريقان, وكان الظفر للمسلمين فاخذوا الفرنج اسرى ,وقتلوا البعض وابقوا على البعض ,وعادوا بهم وبالغنائم الى مصر" (٧٦).

6-موقعة الكمين:

واشهر كمائن صلاح الدين هوما عرف ب(وقعة الكمين)في ٢٢شوال عام ٥٨٦هـ/ نوفمبر ١١٩٠م قتل فيها عدد كبير من الصليبيين ,وكاد ان يقتل ريشارد قلب الاسد(١١٨٩-١١٩٩م) في احدى الكمائن الليلية هذه المرة في رمضان سنة ٥٨٧/ نوفمبر ١١٩١م في تل شمال مدينة عكا, عندما خرج متخفيا للصيد, واستغل المسلمون نوم بعض الحراس ولولا ان فداه احد جنوده لكان في عداد القتلى (٧٧).

7-كمين صلاح الدين بالصليبيين قرب عكا:

جاء هذا الكمين ردا للخسائر التي مني بها المسلمون على يد الصليبيين عند مدينة عكا" فرأى ان يقرر قاعدة وكمينا يرتبه لهم ,ويتخذهم فيه ,وبلغه انه يخرج وراءهم ايضا خيلا تحفظهم ,فعمل كمينا يصلح للقاء الجميع ,ثم انفذ الى عسكر تبنين الواقعة في جنوب لبنان, , وتقدم اليهم ان يخرجوا في نفر يسير غائرين على تلك الرجالة ,وان خيل العدو اذا تبعتهم ينهزمون الى جهة عينها لهم ,وأن يكون ذلك صبيحة الاثنين ثامن جمادى الاخرة ,وارسل الى عسكر عكا ان يسير حتى يكون وراء العدو ,حتى اذا تحركوا في نصرة اصحابهم قصد خيمهم ,وركب هو وجحفلة سحر يوم الاثنين شاكي السلاح متجردين وليس معهم خيمة الى الجهة التي عينها لهزيمة عسكر تبنين, ورتب العسكر ثمانية اطلاب

,واستخرج من كل طلب عشرين فارسا من الشجعان ,وامرهم ان يتراءوا للعدو ,حتى يظهروا اليهم ,ويناوشوهم, وينهزمون بين ايديهم ,حتى يصلوا الى الكمين ,ففعلوا ذلك وظهر لهم من الافرنج معظم عسكرهم يقدمهم الملك ,وكان قد بلغهم الخبر, وتعبوا تعبية القتال, وجرى بينهم وبين السرية اليسيرة قتال شديد, والتزمت السرية القتال وحملتهم الحمية على مخالفة السلطان, ولقائهم العدو بهذا الجمع اليسير واتصل الحرب بينهم الى اواخر نهار الاثنين ولم يرجع منهم احد الى العسكر ,واتصل الخبر بالسلطان ...فبعث اليهم بعوثا كثيرة ...ولم بصر الافرنج بأوائل المدد قد لحق السرية عادوا منهزمين ...بعد ان جرت مقتلة عظيمة من الجانبين كانت من الافرنج عشرة انفس ,ومن المسلمين ستة انفار اثنان من اليزك ,واربعة من العرب ,وجرح خلق كثير من بينهم مملوك السلطان(٧٨).

8-كمين للصليبيين بواسطة القبائل العربية(كمين نهر النعامين):

بلغ الجيش الصلاحي ان جمعا من الفرنجة سيخرج للاحتطاب وجمع الحشيش والاعشاب من اطراف النهر فانتدب السلطان جماعة كمنت لهم في معاطف النهر ونواحيه في ١٦ شعبان سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م, فلما اغار الكامنون عليهم فقتلوا منهم خلقا عظيما واسروا جماعة واحضروا رؤوسا عديدة بين يدي صلاح الدين الذي خلع عليهم واحسن اليهم(٧٩).

وعبر عن هذا الكمين ابو العماد الاصفهاني "انتهى الينا الفرنج يتطرقون ويتطرقون ,ويأمنون ولا يتخوفون ,ويخرجون للاحتشاش وينتشرون لضم الاعشاب من الاعشاش ...فانتدب جماعة من العربان وضراغم فارسة من الفرسان فأغاروا وهم غارون وساروا الى جمعهم وهم بتجمعهم سارون ,وحالوا بينهم وبين خيامهم وحشروهم الى حما حماهم ...وكم قتل من حزب العدو واسر وكم حمل ليكسر فكسر ,وربما مل الحزبان وكل الغربان ,فتوافقا على الامان وتواقفا يتكلمان ,وربما اقدموا ثم نكصوا وغنوا ورقصوا ,واذا لغبوا لعبوا, واستراحوا الى الوقوف اذا تعبوا ومن نوادر ما جرى وغرائبه ,وملح ما تم وعجائبه ,إن الطائفتين في بعض الايام ضجرتا من مباشرة الحرب على الدوام, فقال واحد من الفرنج :الى متى هذا القتال ,وقد فنى الرجال فاخرجوا صبيانكم الى صبياننا وليكونوا في امانكم وامانناً, ...وجذبه اسيرا فافتداه بعضهم بدينارين"(٨٠).

في حين يذكر ابن شداد هذا الحدث الذي جاء فيما يبدو بسبب ان القوات من القبائل العربية معروفة من قبل الصليبيين وكثيرا ما كان يعتمد عليهم ريتشارد ليكونوا ادلاء لديه او يستخدمهم كعيون لنقل المعلومات عن الجيش المسلم مقابل دفع اموال لهم وبسخاء, او للسبب الذي ذكره ابن شداد لطول مدة القتال عند مدينة عكا وتجدده بشكل شبه يومي جعل الطرفين يسأمان هذا القتال المتكرر "بلغنا ان جمعا من العدو يخرجون للاحتشاش من طرف النهر مما ينبت عليه فاكمن السلطان لهم جماعة من العرب وقصد العرب لخفتهم على خيلهم ,وامنه عليهم ,فخرجوا ولم يشعروا بهم ,فهجموا عليهم ,وقتلوا منهم خلقا عظيما ,واسروا جماعة واحضروا رؤساء عديدة بين يديه فخلع عليهم ,واحسن اليهم, وفي عشية ذلك اليوم وقع بين العدو وبين اهل البلد حرب عظيم قتل وجرح وسبي ونهب ,وأنس البعض البعض ,بحيث ان الطائفتين كانا يتحدثان ويتركان القتال بعد ساعة, وكان الرجال يوما من الطائفتين قد سئموا القتال ,فقالوا الى كم تقاتل الكبار وليس للصغار حظ؟ نريد ان يتصارع صبيان منا ومنكم فاخرج صبيان من البلد الى صبيين من الافرنج, واشتد الحرب بينهم فوثب احد الصبيين المسلمين الى احد الكافرين فاختطفه وضرب به الارض ,وقبضه اسيرا ,فاشتراه بعض الافرنج بدينارين ,وقالوا هو اسيرك حقا, فأخذ الدينارين واطلقه ,وهذه نادرة غريبة"(٨١).

وبحسب جب فانه بالرغم من ان صلاح الدين لم يكن مخطط استراتيجي على الاطلاق لكنه كان تكتيكيا جيدا وبواسطة الحركات التكتيكية البارعة احرز انتصاره في حطين ,مثلما انتصر مرتين على جيوش الموصل فكانت هذه الانتصارات اروع عملياته العسكرية ,كما ان استيلاءه قلعة آمد الواقعة في (دياربكر)التي اشتهرت بمناعة حصونها سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م بعد حصار دام ثلاثة اسابيع حدث أغفلته كتب التاريخ الغربية بوجه عام(٨٢).

توفي صلاح الدين في اوائل مارس سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م وكانت وفاته وهو بدمشق بعد مرض قصير الم به ودفن هناك ومعه سيفه الذي طالما جاهد به اعداء الاسلام ليتوكأ عليه الى الجنة على حد تعبير المؤرخ ابو شامة, اما المؤرخ ابن شداد حب صلاح

الدين للجهاد وتفانيه في نصر دين الله فيقول وقد كان حبه للجهاد والشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاءا عظيما (٨٣).

واخيرا لم تكن مدة الحروب الصليبية مدة عنف متبادل بين المسلمين والصليبيين بشكل مطلق بل تخللتها مدد من السلام والتبادل التجاري واتفاقيات دبلوماسية الا ان الجانب الانساني كان اوضح على الطرف الاسلامي وخاصة عهد صلاح الدين الايوبي .

ورغم ان عهد صلاح الدين يعد ذروة الصراع العسكري بين الصليبين والمسلمين ,الا ان ذلك لم يمنع تعامله الانساني حتى مع الد اعداءه يحكمه في ذلك تعاليم الدين الاسلامي اولا ومبادي الفروسية العربية الاسلامية ثانيا , بحيث ان شخصية صلاح الدين هي الوحيدة من بين من قاوم الصليبيين لم تتعرض لهجوم ونقد مؤرخي العصور الوسطى لعل السبب في ذلك سلوكه الرحيم معهم في غالب الاحيان لاسيما بعد انجلاء غبار المعركة, وخاصة عند تحريره للقدس فكان بإمكانه سلوك ذات المسلك الذي سلكه الصليبيون عند احتلالهم للمدينة قبل تسعة عقود تقريبا .

فوصفة وليم الصوري "تميز صلاح الدين على الدوام بالنشاط واليقظة وقد رغب من كل قلبه ان يزداد اسمه تألقا ,وان يجاوز ملكه حدود مملكته , ولما كان شديد التطلع الى ان يحز الانتصارات فوق ما احوزه ,ولما كان يزدري بأس المسيحيين ولا يعدهم شيئا مذكورا فقد صمم على ان يتقدم صوب المشرق ,وليس من الواضح تماما حتى الآن أكان صادر في عمله هذا ذاتية تلقائية وبعظمة النفس التي هي طبيعة ركبت فيه ,ام انه كان مدفوعا للقيام بهذه المهمة الشاقة التي ربما كانت فوق طاقته بإلحاح امراء تلك الناحية عليه...على ان تقدم صلاح الدين احدث عند الصليبيين قلقا بالغا اذ راحوا ينظرون اليه والى تزايد قوته بفزع شديد مخافة ان يكر عليهم بإمدادات كبيرة "(٨٤).

وذكر مجهول الذي ذيل تاريخ وليم الصوري تحرير صلاح الدين للقدس "حينما حضر بين يدي صلاح الدين من اثنين اطفال الصليبيين استقبلهما بكل احترام ,وخلع عليهما الالبسة واعطاهما مالا ,وامر ان يجلس احدهما على ركبته اليمنى والاخر على ركبته اليسرى ,ثم اخذ يبكي بحنان ,وعندما سأله بعض قادته عن سبب بكائه ,قال مجيبا لا

احد يتعجب ويستغرب لان كل شيء في هذا العصر اخذ وعطاء او دين وسداد ,واقول لكم لماذا بكيت لأنني كما اعامل اولاد الآخرين سيعاملون اولادي بعد موتي (٨٥).

ونجد ابن شداد يدون قصه عن رحمة صلاح الدين ,كان من بين الاجراءات التي تتبعها الدولة الايوبية من اجل تخريب الروح المعنوية لدى الصليبيين واشعارهم بعدم الامان حتى في منازلهم "وذلك انه كان للمسلمين لصوص يدخلون خيام العدو ,فيسرقون منهم الرجال ,وكان من قصتهم انهم اخذوا ذات ليلة طفلا رضيعا له ثلاثة اشهر ,وساروا به حتى اتو الى خيمة السلطان وعرضوه عليه ,وكان كل ما يأخذونه يعرضونه عليه ,ويعطيهم ما اخذوه ,ولما فقدته امه باتت مستغيثه بالويل والثبور طول الليل وحتى وصل خبرها الى ملوكهم ,فقالوا :انه رحيم القلب ,وقد اذنا لك في الخروج ,فاخرجي واطلبيه منه ,فانه يرده اليك ,فخرجت تستغيث اليزك ,فأخبرتهم بواقعتها ,فاطلقوها ,وانفذوها الى السلطان فلقيته وهو راكب وانا في خدمته وفي خدمته خلق عظيم ,فكبت بكاءً شديدا ,ومرغت وجهها في التراب ,فسأل عن قصتها فأخبروه ,فرق لها ,ودمعت عينه ,وامر بإحضار الرضيع ,فوجدوه قد بيع في السوق ,فارتده وامر بدفع ثمنه الى المشتري ,واخذه منه ,ولم يزل واقفا حتى احضر الطفل وسلم اليها ...والناس ينظرون وانا واقف في جملتهم فأرضعته ساعه ,ثم امر بها فحملت على فرس ,والحقت بعسكرهم مع طفلها ,فانظر الى هذه الرحمة الشاملة لجنس البشر واللهم انك خلقته رحيما فارحمه رحمة واسعة من عندك يا ذا الجلال والاكرام"(٨٦).

ولم يشذ المستشرقون عن المؤرخين اللاتين وكتاباتهم عن صلاح الدين والتي تأثروا بها فمثلا قال عنه باركر "كان صلاح الدين بطل التاريخ الاسلامي زعيما وقائدا اسلاميا متوسط القيمة وكما كان رجل دولة موهوبا ,كريما مع الصديق والعدو محبا للغير ,كان يجسد الاخلاق الاسلامية في عيون المسلمين ,فهو الزعيم المثالي للحرب المقدسة ضد الكفار"(٨٧).

اما مواطنه لين بول فيقول" اذا كان احتلال القدس هي الحقيقة الوحيدة المعروفة عن صلاح الدين ,فقد كانت كافية لتبرهن على انه اعظم شهم ذا قلب كبير كفاتح في زمانه او في اي عصر"(٨٨).

ووضع المؤرخ البير شاندرو عنوانا لكتابه يخرجه عن الموضوعية بعض الشيء بسبب اعجابه بشخصية صلاح الدين البطل الانقى في الاسلام.

ويقول عنه ستيفن هوارث "انه هؤلاء النادرين الذين يملكون صفات تجبر اصدقاءه واعداءه على احترامه ,وكل من التقوا به قالوا ذلك عنه ,كان يتصف بالرحمة بصفة عامة ,وجسورا مقداما ,دائما ما يفي بكلمته ,كانت هذه جميعا صفات المسلم الكامل ,المسلم المثالي(٨٩).

اما رنسيمان فقد نقل الكثير عن ابن شداد كاتب سيرة صلاح الدين الايوبي فقال عن لحظاته الاخيرة في الدنيا "لم يبقى جالسا عند فراش صلاح الدين الا قاضي دمشق وجماعة من الخدام المخلصين ,وفي يوم الاربعاء وبينما كان القاضي يتلوا القران حتى اذا انتهى الى قوله تعالى لا اله الا عليه توكلت فتح صلاح الدين عينه وتبسم وتهلل وجهه ومضى الى ربه"().تاريخ الحروب الصليبية,ج٣,ص١٤٧."يعتبر صلاح الدين من بين كبار رجال فترة الحروب الصليبية واكثرهم جاذبية ,ولم يتجرد من الاخطاء ,ففي سبيل الوصول الى السلطة اظهر المكر والقسوة ,ما لا يتلاءم مع ما حصل عليه من شهرة وصيت فيما بعد ,فلم يتردد في سفك الدماء لصالح سياسته ,فاجهز بيده على رينالد شاتيون الذي كان يبغضه وغير انه لم يحمله على القسوة الا مصلحة قومه ودينه و...لم ينقض عهدا متى بذل عهدا لاحدهم ,مهما اختلف عنه في الدين ,وبرغم حماسه الديني كان دمثا سخيا ,وباعتباره سيدا كان متسامحا شديد التعقل والرزانة ,ومع ان بعض امراءه نفروا منه لأنه كردي مُحدث النعمة"(٩٠).

واختتم رنسيمان رأيه بصلاح الدين بما اقتبسه من مؤرخ لاتيني اسمه فنسنت البوفي(٥٨٦-٦٦٢هـ/١١٩٠-١٢٦٤م) تقول "عندما كان صلاح الدين يعاني من سكرات الموت استدعى حامل لواء وامره بان يطوف في انحاء دمشق وبأعلى رمحه خرقة من كفنه وينادي بان ملك المشرق لم يحمل معه الى القبر الا هذه الخرقة"(٩١).

هكذا وصف المؤرخون الغربيون والشرقيون على السواء صلاح الدين بالاعتدال والبعد عن التطرف ,وتمسكه بمبادئ الاخلاق والرحمة والتسامح فامن الصليبيين على ارواحهم في كل المدن التي فتها بالأمان (٩٢).

الخلاصة:

* شهدت هذه الحقبة التي عاصرها نور الدين وصلاح الدين نوع من الامراء الذين اتسموا بنكث العهود المواثيق المبرمة مع المسلمين كرينالد دي شالتون الذي يعد اكثر من كمن للمسلمين من الامراء الصليبيين بسبب وقوع امارته على طريق التجارة في بلاد الشام معرضا القوافل التجارية الاسلامية في البر والبحر الى قرصنته ,الا ان الخطوة الجريئة التي مثلت القشة التي قسمت ظهر البعير, وسارعت في نهايته ونهاية تواجد الصليبيين في القدس هو محاولته غزو مكة والمدينة بالاقتراب منهما بحريا.
* اما الخدع العسكرية والمباغتات والمناورات فكانت تجري بين الطرفين كما فعل صلاح الدين عند تحريره مدينة عكا بوضعه القوة الصليبية المدافعة بين فكي كماشة ومن ثم ابادتها بعد ايهامها بالانكسار.
* تعد معركة حطين ابرز المعارك التي استخدم فيها الخداع اذ تم تحويل ساحة المعركة الى فخ استنفذ مياه ومؤن الجيش الصليبي قبل الانقضاض عليه فقد تم احراق الاحراش المحيطة بالمعسكر الصليبي امعانا في الاذى وزيادة عطش الصليبيين للماء الذي يقع خلف المعسكر الاسلامي, للدرجة التي اوصل الصليبيين الى قناعة بأن الموت بسيوف المسلمين اقل مشقة من الموت عطشا مما دفعهم للاندفاع نحو الجيش الاسلامي لينتهي بهم الامر بين قتيل واسير وكان من بين الاسرى كافة الامراء الصليبيين الذين شاركوا في المعركة ومن بينهم رينالد دي شاتيون صاحب الكرك وملك بيت المقدس جي لوزنيان.
*اما الكمائن فكانت للمسلمين اليد الطولى في هذا المجال كون المعارك تجري على ارضهم التي يعلمون خفاياها والمسالك الممكن ان يسلكها العدو ,مما اضطر الصليبيين دائما ارسال فرق استطلاعية تستطلع الطرق التي ممكن ان يسلكوها لما تحدثه هذه الكمائن من ارباك للجيش وغالبا ما تحقق للكامن الغلبة مستغلا عنصر المفاجئة ,للدرجة التي جعلت الصليبيين يحجمون عن مهاجمة مجموعة صغيرة من الفرسان المسلمين خوفا ان يكون ذلك كمين اعده المسلمون لإيقاعهم فيه , كما ان ريتشارد نفسه تعرض لكمين لم ينقذه منه سوى تفاني حرسه في الدفاع عنه, وهذا لا يمنع ان

الصليبيين قد لجأوا لمثل هذا التكتيك ,كما فعل امير انطاكية روجر بالأمير السلجوقي برسق الذي بالكاد استطاع الافلات بحياته من الكمين الذي تعرض له جيشه ,وروجر نفسه ذهب ضحية كمين اسلامي تم الاعداد له بدقة حتى ان الصليبيون اطلقوا على المكان الذي تعرض فيه وجيشه لهذا الكمين (ساحة الدم).

* ولم تقتصر الكمائن على البر فقط بل تعدتها الى البحر خاصة التي ما تعرصت له السفن التجارية والقتالية التي تحمل الجنود في ذات الوقت والتي تسمى بطسه اذ تبادل الطرفين الكمائن البحرية عند ميناء عكا ,ويرافق ذلك في بعض الاحيان قتال على ظهر السفن المهاجمة للسيطرة عليها, ومصادرة احمالها وخاصة ما تحمله من المواد الغذائية.

*واخيرا فان هذه الخدع والكمائن المتبادلة بين الطرفين اثبتت تفوق المسلمين على الصليبيين ,ورجحان كفتهم وفضلا عن العامل الثاني الذي كان يترافق مع انتصارات المسلمين وهي وحدة المسلمين عهد نور الدين وصلاح الدين وانقسام الصليبيين سواء في الداخل (الشرق اللاتيني)او الخارج الاوربي بسبب عداوات سابقة للأمراء والملوك القادمين من اوربا الى فلسطين ,فكانت نهاية مملكة بيت المقدس الصليبية مسألة وقت فقط بعد رحيل كل من صلاح الدين وريتشارد قلب الاسد اللذان اخلصا النية في الدفاع عن قضية ملتيهما .

الهوامش:

(١) ابن تغري بردي ,جمال الدين ابو المحاسن (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)٦-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة,(القاهرة, المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٣١م)ج٦,ص٢٤-٢٥

(٢)ابن تغري بردي ,النجوم الزاهرة,ج٦,ص٢٥-٢٩

(٣)حسين ,حمدي عبد المنعم ,تاريخ الايوبيين والمماليك (الاسكندرية ,دار المعرفة الجامعية,٢٠٠٠م)ص٧

(٤) براور, يوشع ,عالم الصليبيين ,ترجمة وتعليق وتقديم :قاسم عبده قاسم, محمد خليفة حسن ط١(الهرم, عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية,١٩٩٠م),ص٥٩

(٥) ياقوت الحموي , ابو عبد الله(٦٢٦هـ/١٢٢٩م) معجم البلدان,(بيروت, دار صادر,١٩٧٧م) ,ج١,ص٢٩٢,ج٤,ص١٧١, ابن واصل ,جمال الدين محمد بن سالم(٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م) مفرج الكروب في اخبار بني ايوب, تحقيق: جمال الدين الشيال(القاهرة,١٩٥٧م) ص١٢٧-١٢٨

(٦) صلاح الدين الايوبي البطل الانقى في الاسلام ,ترجمة :سعيد ابو الحسن, مرجعة وتحقيق: نديم مرعشلي ط٢(دمشق, طلاس للدراسات والترجمة والنشر,١٩٩٣م)ص٤٣-٤٤

(٧)سمث ,جوناثان رايلي, الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص, ترجمة صبحي الجابي ,ط١(دمشق ,دار طلس للدراسات والترجمة والنشرو١٩٨٩م),ص٨٩-٩٥

(٨)لقزويني ,زكريا بن محمد بن محمود(ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) آثار البلاد واخبار العباد(بيروت, دار صادر ,د.ت) ص٢١٨

(٩)السامرائي ,عبد الجبار محمود ,معركة حطين ,دراسة تاريخية عسكرية ,مجلة المورد (بغداد ,دار الشؤون الثقافية,١٩٨٧م)العدد ٤,ص٢٠

(١٠)السامرائي, معركة حطين,العدد,٤,ص٢١

(١١) مؤلف مجهول . ذيل وليم الصوري (القاهرة, الهيئة المصرية العامة للكتاب,٢٠٠٢م) ص٨٥

(١٢) مجهول ,ذيل وليم الصوري,ص٨٦-٨٨

(١٣) ابن شداد ,ابو المحاسن بهاء الدين (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (القاهرة, مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة ,٢٠١٢م),ص٥٢

(١٤) مفرج الكروب في اخبار بني ايوب,ج٢,ص١٩٠-١٩١

(١٥) جب, هملتون,صلاح الدين الايوبي ,دراسات في التاريخ الاسلامي ,ترجمة: يوسف ايبش (بيروت, مطبعة بيسان,١٩٩٦م),ص١٥٠

(١٦) مجهول, ذيل وليم الصوري, ص١١٠-١١١

(١٧)مجهول ,ذيل وليم الصوري,ص١١-١١٢

(١٨) ابن العماد الاصفهاني ,ابو عبد الله محمد بن محمد(ت٥٩٧هـ/١٢٠١م)الفتح القسي في الفتح القدسي ط١(القاهرة, دار المنار,٢٠٠٤م) ص٧٢

(١٩) مجهول ,ذيل وليم الصوري,ص١٢١

(٢٠) Archer ,T.A ,The crusade of Richard,1189-92,(London,1900)p.6,45

, رنسيمان ,ستيفن,تاريخ الحروب الصليبية, نقله الى العربية: السيد الباز العريني (بيروت ,دار الثقافة,١٩٦٧م),مج٣,ق١,ص١٩-٢٠, ٣٠-٧٠, ويست ,انتوني ,الحروب الصليبية, ترجمة : شكري محمود نديم, مراجعة :محمود الامين(بغداد ,شركة النبراس للنشر التوزيع,١٩٦٧م),ص١٠٦-١٠٨

(٢١)مجهول ,ذيل وليم الصوري ,ص ١٧٢, غروسيه,موجز تاريخ الحروب الصليبية, ترجمة وتعليق :احمد ايبش ط١(ابو ظبي, دار الكتب الوطنية ,٢٠١٤م),ص٦٧,طقوش ,محمد سهيل, تاريخ الحروب الصليبية ط١(بيروت, دار النفائس للطباعة والنشر,٢٠١١م), ص٤٩٦

(٢٢) ابن شداد, النوادر السلطانية,ص٧٧-٧٨

(٢٣) مؤلف مجهول,ص١٧٤

(٢٤) النوادر السلطانية,ص١١٠

(٢٥) القزويني ,واثار البلاد,ص٢٢٣-٢٢٤ , الدباغ, مصطفى مراد, بلادنا فلسطين (كفر قرع, دار الهدى,١٩٩١م),ج٢,ص١٥٥

(٢٦) ينظر ابن شداد ,النوادر السلطانية,ص١٩٤-١٩٦,ابن واصل ,مفرج الكروب,ج٢ص ٢٩٢, سميل ر.سي ,فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر ,ترجمة :محمد وليد الجلاد ط١(دمشق, مركز الدراسات العسكرية ,١٩٨٥م),ص٢٤٠, الحميدة ,سالم محمد ,لحروب الصليبية عهد الجهاد المبكر(بغداد ,دار الشؤون الثقافية,١٩٩٠م),ج٣,ص٦٥

(٢٧) ابن شداد, النوادر السلطانية,ص٢١٨,ابن واصل ,مفرج الكروب,ج٢,ص٣٠٤

(٢٨) Archer, T.A and Charles L. Kingsford, The Crusades ,p٣٥١.

(٢٩) ابن خلكان ,ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان تحقيق : احسان عباس (بيروت ,دار صادر ,د.ت),ج٤,ص٩٢,ابوشامه, الروضتين,ج٢ , ص ٨٩

(٣٠) الاصفهاني, عماد الدين ,محمد بن محمد بن حامد(ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) الفتح القسي في الفتح القدسي ط١(القاهرة, دار المنار,٢٠٠٤م),ص١١٥

(٣١) ابن شداد,ص١٦٧,الدباغ بلادنا فلسطين ج٢ ,ص٢٢٠-٢٢٢

(٣٢) مفرج الكروب,ص٧٧,هامش رقم ١.

(٣٣) الفتح القسي,ص٢٢٢

(٣٤) ابن شداد, النوادر السلطانية,ص٩٢

(٣٥) النوادر السلطانية,ص١١٤

(٣٦) الفتح القسي,ص٢٥٦

(٣٧) مجهول ,ذيل وليم الصوري , ص١٧٤

(٣٨) ابن واصل ,مفرج الكروب,ص٨٢

(٣٩) ويست ,الحروب الصليبية,ص١١٦

(٤٠) صلاح الدين الايوبي البطل الانقى في الاسلام ,ص٣١

(٤١) ابن الاثير,ابو الحسن على بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الملقب بعز الدين(٦٣٠هـ/١٢٣٣م)١لكامل في التاريخ ,رجعه :محمد يوسف الدقاق ط٤(بيروت, دار الكتب العلمية ,٢٠٠٣م) ج٩,ص٢١٥, محمد مؤنس احمد عوض ,في الصراع الاسلامي الصليبي, ط١(الامارات, عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية,١٩٩٧م) ص١٠

(٤٢) ابن شداد,ص١٨٢,ابن واصل, مفرج الكروب,ج٢,ص٣٦٧

(٤٣) مؤنس ,في الصراع الاسلامي الصليبي,ص١٣

(٤٤) مونس, في الصراع الاسلامي الصليبي,ص١٤-١٥

(٤٥) مؤنس ,في الصراع الاسلامي الصليبي ,ص٣٦

(٤٦) رنسيمان ,تاريخ الحروب الصليبية ,مج٣,ق١,ص ١١١

(٤٧) ويست ,الحروب الصليبية,ص١١٨-١١٩

(٤٨) رنسيمان تاريخ الحروب الصليبية,مج٣,ق١,ص١١١

(٤٩) رنسيمان ,تاريخ الحروب الصليبية,مج٣,ق١,ص١١٢

(٥٠) مؤنس ,في الصراع الاسلامي الصليبي,ص٤٣

(٥١) تاريخ الحروب الصليبية,ص١٦٢

(٥٢)ينظر ابن شداد, الاعلاق الخطيرة,ص٣١٨,إسماعيل,محمد علي واخرون ,النظم العسكرية للجيش الصليبي ,مجلة الساتل العلمية ,السنة الخامسة عشر ,العدد ٢٦,٢٠٢١ص١٠

(٥٣)رنسيمان ,تاريخ الحروب الصليبية,مج٣,ق١,ص,١٣٨,ويست ,تاريخ الحروب الصليبية,ص١٣١-١٣٧

(٥٤) جب, صلاح الدين الايوبي,ص٢٠١

(٥٥) النوادر السلطانية,ص١٧٠

(٥٦) ذيل وليم الصوري,ص٢٣٢

(٥٧) ياقوت الحموي ,معجم البلدان,ج٥,ص٢٥١

(٥٨) الدباغ بلادنا فلسطين ,ج١,ص٤٠٥

(٥٩)عمران ,محمود سعيد ,تاريخ الحروب الصليبية (الإسكندرية, دار المعرفة الجامعية,٢٠٠٠م)ص١٨٣-١٨٤

(٦٠) النحاس ,علاء رجب محمد, دور اسرة مونتفرات في الصراع الصليبي الاسلامي في منطقة الشرق الادنى الاسلامي,ط١(دمشق ,نور حوران للدراسات والنشر والتراث,٢٠٢٠م),ص١٣٧

(٦١) احمد ,كامل ياسر محمود , الكمائن الاسلامية ودورها في العمليات العسكرية ضد الصليبيين في الشرق اللاتيني ,مجلة الوقائع التاريخية,ص٣٣٣

(٦٢) احمد, الكمائن الاسلامية ,ص٣٣٤, ابن شداد ,النوادر السلطانية,ص,٣٠٠.١٦٩,٢٩٨,او شامة ,الروضتين,ج٤,ص١٢١,٢٤١ ,ابن شداد: النوادر، ص١٩٦؛ فواز: دور اليزك في جيش صالح الدين الأيوبي، ص.١١

(٦٣) ابو شامه ,الروضتين,ص٩٣

(٦٤) كرفان محمد احمد,وليم الصوري مؤرخا لسيرة لرينالد دي شاتيون ,ارناط ,مجلة الدراسات والاثار, العدد٧٥,حزيران ,٢٠٢٠م. ص٩٣

(٦٥) ابن واصل, مفرج الكروب ,ص٥٩-٦٠

(٦٦) ابن الاثير ,الكامل في التاريخ,ج١١,ص٢١٤,ابن شداد, النوادر السلطانية,ص٧٧

(٦٧)حمزة, عبد اللطيف ,ادب الحروب الصليبية,ط١(القاهرة ,مطبعة الاعتماد,١٩٤٨م)ص١٠٢

(٦٨) موجز تاريخ الحروب الصليبية, ترجمة وتعليق :احمد ايبش ط١(ابو ظبي, دار الكتب الوطنية ,٢٠١٤م) ص٦٤

(٦٩) مجهول, ذيل وليم الصوري,ص٥٢

(٧٠) مفرج الكروب,ص١٨٥

(٧١) غروسيه ,موجز تاريخ الحروب الصليبية في المشرق الاسلامي وشرقي البحر المتوسط,ص٦٤

(٧٢) هوارث فرسان الهيكل,ص١٦١

(٧٣)ابن واصل ومفرج الكروب,ص١٠٢,الاصفهاني ,سنا البرق الشامي,ص١٩٦

(٧٤) سنا البرق الشامي,ص١٩٦

(٧٥) غروسيه ,موجز تاريخ الحروب الصليبية,ص٦٤

(٧٦) ابن واصل, مفرج الكروب,ص١٣٩-١٤٠

(٧٧) احمد, الكمائن الاسلامية,ص٣٣٥

(٨٧) ابن شداد ,النوادر السلطانية,ص٦٧-٦٨

(٧٩) الدباغ, بلادنا فلسطين, ,ج٧,ق٢,ص٢٠٩

(٨٠) الفتح القسي,ص١٦٦

(٨١) ابن شداد ,النوادر السلطانية,ص٧٣

(٨٢) صلاح الدين الايوبي,ص١٩٠

(٨٣)ابو شامة, عيون الروضتين, ص ٢٨١,غنيم ,اسمت, تاريخ الحروب الصلبية (الاسكندرية, ١٩٩٦م,)ص١١٠

(٨٤) وليم الصوري(ت ٥٨١هـ/١١٨٥م),الحروب الصليبية ,ترجمة: حسن حبشي(القاهرة, مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع,١٩٨٨م) ج٤,ص٣٠٩,٢٩٩

(٨٥) ذيل وليم الصوري,ص١١٠

(٨٦) النوادر السلطانية,ص١١١

(٨٧) الحروب الصليبية,ص٥٩

(٨٨)بول ,لين صلاح الدين الايوبي وسقوط مملكة بيت المقدس,ترجمة :فاروق سعد أبو جابر,ط١(القاهرة, مطابع الاهرام,١٩٩٨م)ص١٩٧

(٨٩)هوارث, ستيفن, فرسان الهيكل, القصة الأساسية ,ترجمة :إبراهيم محمد إبراهيم (القاهرة, الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ,٢٠١٢م)ص١٤٦

(٩٠) تاريخ الحروب الصليبية,ج٣,ص١٤٨

(٩١) تاريخ الحروب الصليبية,ج٣,ص١٤٩

(٩٢) اسكندر ,فايز نجيب ,تسامح صلاح الدين مع الصليبيين اثناء حرب تحرير القدس, تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى (المنصورة ,توزيع المكتبة العلمية, د.ت)ص٤٠

الـدور الفكري لعلماء المشرق الإسلامي من خلال كتاب " تاج التراجم " لأبن قطلوبغا (ت٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)

أ.د. زيـنب مـهدي رؤوف

أ.د. عـلي حسن غضـبان

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

The intellectual role of scholars of the Islamic East through the book "Taj al-Tarajim" by Ibn Qutlubugha (879 AH/ 1474 AD)

Professer .Dr.Zaynab Mahdy Raaowf

Professer .Dr.Ali Hassan Ghadhban

Zaynab.mahdy@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

ali.hassan@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

الـدور الفكري لعلماء المشرق الإسلامي من خلال كتاب " تاج التراجم " لأبن قطلوبغا (ت٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)

أ.د. زيـنب مـهدي رؤوف
أ.د. عـلي حسن غضـبان

الملخص:

يوضح دراسة الدور الفكري لعلماء المشرق الإسلامي من خلال كتاب تاج التراجم لأبن قطلوبغا عن أهمية الوقوف لفهم ماهية الفكر الإسلامي في المشرق ثم توثيق دور العلماء وأسهاماتهم المعرفية في دعم المجتمع، ومن ثم توضح تطور المذهب الحنفي، فضلاً عن معرفة أثر أعلام الفكر المشرقي مما يعزز الفهم العميق لتاريخ الحضارة الإسلامية، لأجل ذلك وضحنا الحدود الجغرافية للمشرق الإسلامي، والتعريف بأبن قطلوبغا وكتابهِ " تاج التراجم "، ثم الوقوف عند أبرز علماء المشرق الإسلامي .

الكلمات المفتاحية: الدور ؛ الفكري ؛ علماء؛ المشرق ؛ تاج التراجم ؛ ابن قطلوبغا .

The intellectual role of scholars of the Islamic East through the book "Taj al-Tarajim" by Ibn Qutlubugha (879 AH/ 1474 AD)

Professer .Dr.Zaynab Mahdy Raaowf
Professer .Dr.Ali Hassan Ghadhban
Zaynab.mahdy@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
ali.hassan@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

Abstract

The study of the intellectual role of scholars of the Islamic East, through the book Taj al-Tarajim by Ibn Qutlubugha, explains the importance of understanding the nature of Islamic thought in the East, then documenting the role of scholars and their intellectual contributions in supporting society, and then it explains the development of the Hanafi school of thought.

In addition to knowing the impact of the leading figures of Eastern thought, which enhances the deep understanding of the history of Islamic civilization, for this reason we clarified the geographical boundaries of the Islamic East, introduced Ibn Qutlubugha and his book "Taj al-Tarajim", and then focused on the most prominent scholars of the Islamic East.

Key Words: The role ; The intellectual ; scholars ; the East ; "Taj al-Tarajim"; Ibn Qutlubugha.

الـمـقـدمـة

أسـهم علمـاء المشـرق الإسـلامي برفـد الحركـة الفكريـة بكـل مـاهو جديـد وفـي مختلـف الجوانب تحديداً الجانب الفكري الذي تميز بكثرة العلماء وغزارة نتاجاتهم العلمية فظهر عددٌ من العلماء في علم الفقه، علم التفسير، علم الحديث، الأصول، الكلام، اللغة، الأدب، الشعر، النحو، الكلام، الفرائض، التأريخ فضلاً عن نتاج عدد من المصنفات التي رسخت الجانب الفكري في معالجة كثير من قضايا العصر وتسجيل وحفظ آثار السلف من الاندثار فضلاً عن تدوين وتحليل الكثير من الظواهر والاحداث وأسباب حدوثها .

يهدف البحث الى عرض وتحليل الدور الفكري لأبرز علماء المشرق الإسلامي والوقوف على مشاركاتهم ومساهماتهم العلمية في مجال الفكر من خلال كتاب تاج التراجم الذي يعكس أهمية (علم التراجم) في حفظ الذاكرة الأسلامية وتوثيق جهود العلماء ودورهم الحضاري عامةً ، والدور الفكري الكبير لعلماء المشرق الإسلامي في نشر المعرفة مما انعكس على تطور المذاهب الفقهية خاصة المذهب الحنفي .

قسم البحث الى ثلاث مطالب ؛ الأول: حدود المشرق الإسلامي ؛ المطلب الثاني: أبن قطلوبغا وكتابهِ تاج التراجم ؛ المطلب الثالث: أبرز علماء المشرق الإسلامي ودورهم الفكري من خلال كتاب " تاج التراجم".

المطلب الأول: حدود المشرق الإسلامي .

اول من أشار الى حدود المشرق الإسلامي هو ابن رستة[١] في كتابهِ الاعلاق النفيسة، وذلك حينما قسم الكرة الأرضية الى اربع اقسام، فالربع الأول المشرق الإسلامي وكان يبدأ من بغداد متجهاً نحو كل من الجبل[٢] وأذربيجان[٣]، وقزوين[٤]، وزنجان[٥]، وقم[٦]، وأصبهان[٧]، والري[٨]، وطبرستان[٩]، وجرجان[١٠]، وسجستان[١١]، وخراسان[١٢] وما اتصل بها من التبت[١٣] وتركستان[١٤] . أذن هو مفهوم جغرافي تأريخي واسع النطاق يمتد شرق العالم الإسلامي ويضم بلاد عربية الى جانب ماذكر.

المطلب الثاني: التعريف بأبن قطلوبغا وكتابهِ " تاج التراجم " .

هو قاسم بن قطلوبغا بن عبد الله السودوني، الجمالي، المصري، الحنفي المذهب، والملقب بزين الدين، او الزين، وربما لقب بـ (الشرف)، كنيته أبو العدل ويعرف بقاسم الحنفي، ولد في محرم عام (٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م) في القاهرة نشأ وتعلم فيها لقب (بالسودوني) نسبةً الى معتق ابيه (سودون الشيخوني) نائب عهدهِ.[١٥] توفي أبيه وهو صغير فنشأ يتيماً، حفظ القرآن الكريم، وعمل في الخياطة وتكَسب منها وقتاً، وبرع فيها، الى جانب اشتغاله بالعلم، تتلمذ وسمع العلوم المختلفة لعدد كبير من العلماء، ارتحل الى الشام وأخذ من علمائها ودخل الإسكندرية وحج بيت المقدس، وإذن اليه غير واحد بالأفتاء والتدريس، أبرز شيوخه في الفقه الشرف السبكي، وفي الحديث ابن حجر العسقلاني، واصول الدين البسطامي، والفرائض والحساب ناصر الدين البارنباري، والعربية المجد الرومي، والمنطق السبكي، وأبرز تلاميذه السخاوي . [١٦]

شَهِدَ العلماء بعلمهِ وفضلهِ ، ومكانتهِ السامية في المجتمع، حتى انتهت اليه رئاسة المذهب الحنفي، وهو امامٌ، حافظ، علاَمة، مفنن، اصولي، مؤرخ، باحث كثير المشاركة، ذاكراً لكثير من الادب ومتعلقاتهِ، واسع الباع في استحضار مذهبه، .. طلق اللسان قادر على المناظرة، وافحام الخصم، لكن حفظه احسن من تحقيقه .[١٧]

صنف عدة مصنفات من بينها كتابه (تاج التراجم) مجال بحثنا وهو كتاب في السير والتراجم لعلماء وائمة المذهب الحنفي، والذي اعتمد فيه على شيخهِ المقريزي(ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) في كتابهِ (تذكرة المقريزي) ثم زاد على ما انتقى من كتاب التذكرة معتمداً على ثلاثة مصادر في معظم مازاد عليه وهو كتب التراجم لذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧ م)، وكتاب (الجواهر المضيئة في تراجم الحنفية) للقرشي (ت ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م).[١٨] أصيب بالمرض فترة من الزمن حتى وفاتهِ في حارة الديلم بالقاهرة في ربيع الآخر عام (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م) .[١٩]

المطلب الثالث: أبرز علماء المشرق الإسلامي ودورهم الفكري في كتاب " تاج التراجم " .

١- نصر بن محمد أبو الليث السمرقندي[٢٠] (ت٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) .

هو العالم الفقيه المحدث الزاهد نصر بن محمد بن احمد بن إبراهيم بن الخطاب أبو الليث السمرقندي .[٢١] المتصوف الملقب بإمام الهدى من أئمة الحنفية في مدينة سمرقند، برز في مجالات عدة أهمها الفقه والحديث .[٢٢]

درس الفقه على يد الفقيه والامام الكبير صاحب الاقوال المفيدة والتصانيف المشهورة أبو جعفر الهندواني .[٢٣] عن ابي القاسم الصفار عن نصير بن يحيى عن محمد بن سماعة عن ابي يوسف .[٢٤] يروي عن محمد بن الفضل بن انيف البخاري وجماعة ؛ روى عنه أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الترمذي وغيره .[٢٥]

لهُ تصانيف نفيسة منها في مجال علم التفسير وهو (تفسير القرآن) اجزاءٌ متفرقة منه وهو ليس كبير.[٢٦] و(تفسير جزء عم يتسألون) .[٢٧]

اما في مجال الفقه كتب (خزانة الفقه) .[٢٨] و(المقدمة)، و(شرح الجامع الصغير) و(شرعة الأسلام).[٢٩] وفي مجال التصوف كتاب (بستان العارفين) اسماه (البستان).[٣٠] وفي المواعظ كتاب (تنبيه الغافلين) .[٣١] و(فضائل رمضان) .[٣٢] في الفتاوي والتراجم (عيون المسائل) .[٣٣] و(دقائق الاخبار في بيان اهل الجنة واهوال النار) و(النوازل والفتاوي) .[٣٤] وفي الخلافيات بين ابي حنيفة (ت١٥٠هـ/٧٦٧م)، ومالك (ت١٧٩هـ/٧٩٥م)، والشافعي (ت ٢٠٤هـ/٨٢٠م) كتاب (مختلف الرواية) .[٣٥] كتاب(أصول الدين) وهو موجز ورسالة .[٣٦]

أختلف في سنة وفاتهِ ذكر الذهبي [٣٧] عام (٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)، نقلاً عن القاضي شهاب الدين احمد بن علي بن عبد الحق . والقرشي[٣٨] عام (٣٧٣هـ/ ٩٨٣م) . بينما ذكر ابن قطلوبغا[٣٩] بأنهُ توفيَ ليلة الثلاثاء لأحدى عشر خلت من جمادي الأخرة، من عام (٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م) .

٢- جعفر بن محمد المُسْتَغفِري[٤٠]: (ت٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م) .

هو فقيه، محدث، وخطيب مدينة نسف أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن المُسْتَغفِر النسفي[٤١]، ولِدَ عام (٣٥٠هـ/٩٦١م) فاضلاً، صدوقاً، حافظاً، مكثراً، لم يكن بماوراء النهر[٤٢] في عصرهِ مثله في الجمع والتصنيف، وفهم ومعرفة وأتقان الحديث والتفسير .[٤٣]

سمع من أبا عبد الله محمد بن احمد غُنجار وزاهر بن احمد السرخسي، وأبا الهيثم الكشميهني .[٤٤]

أخذ الفقه عن الشيخ الأمام القاضي ابي علي النسفي، عن الشيخ الأمام أبي بكر محمد بن الفضل عن عبد الله السبذموني، عن ابي حفص الصغير، عن ابيه ابي حفص الكبير، عن محمد بن ابي حنيفة وأخذ عنه محمد بن عبد الجبار أبو منصور السمعاني المروزي، والأمام الخطيب ابو محمد النوحي النسفي، وإسماعيل بن إبراهيم محمد بن محمد بن نوح .[٤٥]

رحل الى خراسان وأقام في مرو [46] وسرخس[47] مدة وأكثر عن ابي علي زاهد بن احمد السرخسي، سمع بنسف من أبا سهل هارون بن احمد الأستراباذي، وابا محمد الرازي وفي بخارى [48] عن أبا عبد الله محمد بن احمد غنجار الحافظ، وفي مرو أبا الهيثم محمد الكشميهني وجماعة كثيرة سواهم.[49]

روى عنه القاضي أبو منصور محمد بن عبد الجبار السمعاني، وأبو محمد الحسن بن احمد السمرقندي، وأبو علي الحسن بن عبد الملك، والإمام الخطيب أبو محمد النوحي النسفي، وإسماعيل بن إبراهيم محمد بن محمد بن نوح السابق ذكرهم، وعن زاهر بن احمد السرخسي وإبراهيم بن لقمان وابي سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الرازي صاحب ابن الضريس وعلي بن محمد بن سعيد السرخسي وجعفر بن محمد البخاري وجمع كثير لايحصون .[50].

لـهُ عـدة مصـنفات منهـا (تـاريخ نـسف وكـش)، كتـاب (معرفـة الصـحابة)، كتـاب (الـدعوات)، كتـاب (المنامـات)، كتـاب (خطـب النبـي "ص")، كتـاب (دلائـل النبـوة)، كتاب(فضائل القرآن)، كتاب (الشمائل) .[51]

ومن جملة الأذكار المروية فيه الاربعون الادريسية المشهورة، والاوائل وغيرها كثير .[52] عاش ثمانين عام .[53] توفي في جمادي الأولى عام (٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م) في مدينة نسف .[54] وقبره على طرف الوادي في نسف .[55] ولم يقف الدور الفكري عند المُسْتغفِري بل توارث ابنهِ أبو ذر محمد بن جعفر المُسْتَغفِري العلم عن ابيه، وتولى الخطابة في نسف بعد وفاة أبيه، اسمعه ابوه من جماعة من الشيوخ، وكان من أهل العلم والخير، ذكرهُ أبو محمد عبد العزيز بن محمد النخشبي في معجم شيوخهِ وقال عنهُ أبو ذر المُسْتغفِري ابن شيخنا ابي العباس سمع أبا الفضل يعقوب بن إسحاق السلامي، وابا محمد عبد الملك بن إبراهيم بن رافع .[56]

٣- يحيى بن محمد بن صاعد النيسابوري[57]: (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) .

هو يحيى بن محمد بن صاعد بن محمد بن احمد بن عبيد الله بن صاعد أبو سعد النيسابوري الحنفي، الفقيه والقاضي في مدينة نيسابور والري، ولِدَ عام (٤٠١هـ/١٠١٠م) في نيسابور .[58] سمع عن جدهِ صاعد بن محمد بن احمد بن عبيد الله الأستوائي[59] (ت٤٣٢هـ/١٠٤٠م) الفقيه والقاضي بنيسابور .[60] ولـيَ قضاء نيسابور وبعدها قضاء الري.[61] خَرج لهُ الفوائد، وأملى سنتين .[62] كان من وجوه القضاة والرؤساء .[63] روى عنه ابن أخيه محمد بن احمد بن محمد ووليَ قضاء نيسابور من بعد عمهِ .[64]

توفي في مدينة الري في ربيع الأول عام (٤٦٠هـ/١٠٦٧م) .[65]

٤- محمد البَزْدوي[66]: (ت٤٩٣هـ/١٠٩٩م) .

هو محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن مجاهد، أبو اليسر البزدوي المعروف بالقاضي الصدر عالمٌ وفقيه، ولِدَ عام (٤٢١هـ/١٠٣٠م) في مدينة بخارى واصبح من ابرز فقهائها وهو اخ الأمام علي البزدوي . [67] أخذ عن إسماعيل بن عبد الصادق عن جد ابي اليسر عبد الكريم عن ابي منصور الماتريدي محمد بن محمد بن

محمود ابي بكر الجوزجاني وعن ابي سليمان ومحمد، وأخذ عن ابي يعقوب يوسف السياري، برع في العلوم فروعاً وأصولاً، كان امام الأئمة على الأطلاق .[68] تفقه عليه وروى عنه ابنه أبو المعالي احمد بن محمد بن محمد بن الحسين البزدوي القاضي بمرو وابن أخيه الحسن بن علي، وأبو البدر صاعد بن مسلم الخيزراني بمدينة سارية في مازندران، وأبو عمرو عثمان بن علي البيكندي .[69] وركن الأئمة عبد الكريم بن محمد مصنف (طلبة الطلبة)، وأبو بكر محمد بن احمد السمرقندي صاحب (التحفة)، شيخ صاحب (البدائع)، وتلميذه أبو بكر محمد بن احمد السمرقندي .[70] أملى ببخارى الكثير ودرَس الفقه، وكان من فحول المناظرات، وممن تفقه عليه نجم الدين عمر بن محمد النسفي في كتاب (القند) مشيراً بقولهِ " كان شيخ اصحابنا بماوراء النهر، وكان امام الأئمة على الاطلاق، والموفود اليه من الآفاق، ملأ الشرق والغرب بتصانيف من الأصول والفروع" .[71]

أنتهت اليه رئاسة الحنفية بماوراء النهر ولِيَ قضاء القضاة في مدينة سمرقند لهُ عدة تصانيف منها (أصول الدين)، وصنف (المبسوط في الفروع) مجلدان .[72] توفي في بخارى في رجب عام (٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م) .[73]

٥- محمد بن احمد بن ابي سهل السرخسي: (ت حدود ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م) .

هو محمد بن احمد بن سهل، أبو بكر شمس الأئمة السرخسي، الفقيه والأمام والشيخ المتكلم، المناظر، الاصولي، العلامة، الحجة .[74] ربما كثرة الألقاب التي تلقب بها تدل على موسوعيتهِ .

تولى القضاء وهو من كبار الاحناف، المجتهدين من مدينة سرخس في إقليم خراسان.[75] ذكر الاتقاني في (شرح الهداية) " شمس الأئمة السرخسي من كبار علمائنا بماوراء النهر" .[76]

من شيوخهِ الشيخ الامام شمس الأئمة الحلواني، تفقه عليه وأخذ عنه حتى تخرج بهِ وصار من أنظر أصحابهِ وأوحد اهل زمانهِ ، وكان من أصحاب طبقة المجتهدين في المسائل، فضلاً عن كونهِ تلميذ الشيخ الامام عبد العزيز بن احمد الحلواني، وتلميذ ابي علي النسفي، والامام محمد بن الفضل البخاري، والشيخ عبد الله بن يعقوب السبذموني،

والشيخ ابي عبد الله ابي حفص الصغير، وهو تلميذ ابيه وشيخه ابي حفص الكبير، والشيخ محمد بن الحسن صاحب الامام ابي حنيفة .[77]

ومن تلامذتهِ الذين درسوا الفقه على يديه برهان الأئمة عبد العزيز بن عمر بن مازه، وشيخ الإسلام القاضي الامام محمود بن عبد العزيز الاوزجندي، والشيخ الامام ركن الدين أبو محمد الخطيب مسعود بن الحسين بن الحسن بن محمد بن إبراهيم الكُشاني، وعثمان بن علي بن محمد البيكندي، وهو آخر مَنْ بقيَ ممن تفقه عليه .[78]

لديه عدة مصنفات منها (المبسوط) في الفقه والتشريع في خمسة عشر مجلداً لثلاثون جزءاً، املاه وهو سجين في الجب بأوزجند في مدينة فرغانة[79] محبوساً بسبب كلمة نصح بها الخاقان، وهو املى من خاطرهِ من غير مطالعة كتاب ولا مراجعة تعليق، واصحابهِ على اعلى الجب يكتبون ما يملي عليهم، إذ ذكر عند فراغهِ من شرح العبادات في (المبسوط) هذا آخر شرح العبادات بأوضح المعاني وأوجز العبارات، أملاء المحبوس عن الجمع والجماعات .[80] وكتابهِ (شرح الجامع الكبير للأمام محمد) منه مجلد مخطوط وهو شرح الزيادات للشيباني و(الأصول) في أصول الفقه و(شرح مختصر الطحاوي).[81] وبعد ان اطلق سراحه من السجن سكن فرغانة الى ان توفي فيها.[82]عام(٤٨٣هـ/١٠٩٠م). [٨٣]، وذكر عام (٤٩٠هـ/١٠٩٦م)، وعام(٥٠٠هـ/١١٠٦م).[٨٤]

٦- ميمون بن محمد النسفي: (ت٥٠٨هـ/١١١٤م) .

هو ميمون بن محمد بن محمد بن معبد او (بن معتمد) بن مكحول بن ابي الفضل المكحولي، أبو المعين النسفي الامام الزاهد الحنفي المذهب، فقيه، عالم بالأصول والكلام، ولِدَ عام (٤١٨هـ/ ١٠٢٧م) من مدينة نسف .[85] كان في سمرقند وسكن بخارى .[86] من عائلة عُرفت بأهتمامها في العلم والفقه بدءاً من جدهِ مكحول بن الفضل النسفي (ت٣١٨هـ/٩٣٠م) صاحب كتاب (اللؤلئيات)، وكتاب (الشعاع) الذي كان يروي الفقه عن ابي سليمان موسى الجوزجاني .. وأخيه العالم احمد بن محمد بن مكحول .[87]

تفقه عليه الشيخ الأمام علاء الدين أبو بكر محمد بن احمد السمرقندي .[88] وفي مدينة بخارى سمع منه الفقيه إسماعيل بن عدي بن الفضل بن عبيد الله أبو المظفر الأزهري

الطالقاني.[89] لديه عدة مصنفات منها كتاب (بحر الكلام)، وكتاب (تبصرة الأدلة) وهو في علم الكلام، وكتاب (التمهيد لقواعد التوحيد)، وكتاب (العمدة في أصول الدين)، وكتاب (العالم والمتعلم)، وكتاب (أيضاح المحجة لكون العقل حجة)، وكتاب (شرح الجامع الكبير لشيباني) في فروع الحنفية، وكتاب (مناهج الأئمة) في الفروع .[90] توفي عام (ت٥٠٨هـ/١١١٤م) .[91]

٧- عمر بن محمد النسفي: (ت٥٣٧هـ/ ١١٤٢م) .

الفقيه والامام الزاهد عمر بن محمد بن احمد بن إسماعيل، أبو حفص نجم الدين النسفي عالم مفسر، مؤرخ، اديب، مفتي وعالم بالمذهب الحنفي ولِدَ بمدينة نسف عام (٤٦١هـ/١٠٦٨م) ويقال عام(٤٦٣هـ/١٠٧٠م) ونسب اليها .[92] أشار الذهبي [93] بأنه من اهل سمرقند ولهذا لقبه بالسمرقندي، وان ولادتهِ عام (٤٦١هـ/١٠٦٨م) . وأشار السمعاني [94] بأنه لقب بالسمرقندي كونه سكن فيها . ورد الى بغداد حاجاً وسمع فيها من ابي القاسم بن بيان في الكهولة، وحدث عن إسماعيل بن محمد النوحي، والحسن بن عبد الملك القاضي، ومهدي بن محمد العلوي، وعبد الله بن علي بن عيسى النسفي، وابي اليسر محمد بن محمد النسفي، وحسين الكاشغري، وابي محمد الحسن بن احمد السمرقندي، وعلي بن الحسن الماتريدي وروى عنه محمد بن إبراهيم التوربشتي، وولدهِ أبو الليث احمد بن عمر، وغير واحد .[95] فاضلاً متقناً صاحب فنون، صنف مائة مصنف في كل نوع في الحديث، التفسير، والشروط .[96] منها كتاب (الجامع الصغير) وجعله شعراً، اما مجموعاته من الحديث ذكر السمعاني[97] " فطالعت منها الكثير وتفحصتها فرأيت فيها من الخطأ وتغير الأسماء واسقاط بعضها شيئاً كثيراً واوهاماً غير محصورة، ولكن كان مرزوقاً في الجمع والتصنيف، كتب اليَ الاجازة بجميع مسموعاتهِ ومجموعاتهِ ، ولم ادركه بسمرقند حياً، وحدثني عنه جماعه وذكرته في هذا المجموع لكثرة تصانيفه، وشيوع ذكره، وان لم يكن اسناده عالياً، وكان ممن احب الحديث وطلبه، ولم يرزق فهمه، وكان له شعر حسن مطبوع على طريقة الفقهاء والحكماء" . وكتاب (القند في علماء سمرقند) عشرون جزءاً وموسى بن

عبد الله الاغماتي قدم علينا عام (٥١٦هـ/١١٢٢م) وهو شاب فاضل وبقيَ عندي أياماً وكتب عني الكثير، ولأجلهِ جمعت كتاباً سميته (عجالة النخشبي لضيفه المغربي) .[98]

قدم بغداد وحدث بكتاب (تطويل الاسفار لتحصيل الاخبار) من جمعه وروى عنه عامة مشايخه .[99]، و(التيسير في التفسير) و(المواقيت) و(تعداد شيوخ عمر) في شيوخه، (الاشعر بالمختار من الاشعار) عشرون جزءاً و(قيد الاوابد) منظومة في الفقه و(منظومة الخلافيات)، و(تاريخ بخارى)، (طلبة الطلبة) في الاصطلاحات الفقهية، و(العقائد)، يعرف بعقائد النسفي، وكان يلقب بمفتي الثقلين .[100] توفي في سمرقند عام (٥٣٧هـ/١١٤٢م) في الثاني عشر من جمادي الأولى .[101]

٨- عبد الرشيد بن ابي حنيفة الولوالجي[102]: (ت بعد ٥٤٠هـ/١١٤٥م) .

عبد الرشيد بن ابي حنيفة بن عبد الرزاق بن عبد الله الولوالجي أبو الفتح من ابرز فقهاء الحنفية في بلدة ولوالج من طخارستان بلخ التي ولد فيها في جمادي الأولى عام (٤٦٧هـ/١٠٧٤م) وسكن سمرقند، امامٌ فاضل حسن السيرة جميل الأثر.[103] تفقه في بلخ وسمع فيها من أبا القاسم احمد بن محمد بن محمد الخليلي، وابا جعفر محمد بن الحسين السمخاني، وببخارى أبا بكر محمد بن الحسين بن منصور النسفي، واحمد بن ابي سهل العتابي، ذكر انه سمع من ابي القاسم الخليلي كتاب (شمائل النبي صل الله عليه وسلم) لأبي عيسى الترمذي في سنة (٤٩١هـ/١٠٩٧م) بقراءة رجل معروف يقال له أبو المعالي غلة جنين، وتوفي الشيخ أبو القاسم بعد سماعنا عنه سبعة او ثمانية اشهر .[104] تفقه في بلخ على ابي بكر القزاز .[105] وفي بخارى تفقه بها على البرهان مدة مديدة ثم ورد سمرقند كما ذكرنا واختص بأبي محمد القطواني وكتب الامالي عن جماعة من الشيوخ وسكن كش مدة ثم انتقل الى سمرقند .[106] لهُ الفتاوي المعروفة بالولوالجية مجلدان، وصنف الامالي في الفقه، توفي في بلدتهِ ولوالج عام (بعد ٥٤٠هـ/١١٤٥م) .[107]

٩- مسعود بن الحسين اليزدي[108]: (ت٥٩١هـ/١١٩٤م).

مسعود بن الحسين بن سعد القاضي أبو الحسن اليزدي، فقيه وقاضي من مدينة يزد ولِدَ عام (٥٠٥هـ/١١١١م) .[109] وذكر القرشي[110] لقبه اليزيدي . عُد من ابرز الفقهاء

الكبار على مذهب ابي حنيفة واحد المدرسين ببغداد، وابرز القضاة والمفتين بها، درَس بمشهد الامام ابي حنيفة ومدرسة السلطان عام (٥٦٥هـ/١١٦٩م) .[111] لديه عدة مصنفات منها كتاب (التقسيم والتشجير في شرح الجامع الصغير)، توفي عام (٥٩١هـ/١١٩٤م).[112]

١٠- ناصر بن عبد السيد المطرزي[113] (ت٦١٠هـ/١٢١٣م) .

ناصر بن ابي المكارم عبد السيد بن علي أبو المظفر، وأبو الفتح المطرزي الملقب برهان الدين، وكان يقال هو خليفة الزمخشري العالم والفقيه ولِدَ في جرجانية خوارزم[114] عام (٥٣٦هـ/١١٤١م) .[115] وذكر عام (٥٣٨هـ/١١٤٣م)، تفقه وصار رأساً في الاعتزال، برع وصار اماماً في الفقه واللغة العربية .[116] ذكر الذهبي [117] ان له تصانيف في الادب، وشعر كثير، واسم مقدمتهِ (المصباح) . وله (الاقناع) في اللغة، و(مختصر إصلاح المنطق) و(مقدمة) لطيفة في النحو مشهورة .[118] وصنف (المُغْرب) و(الإيضاح) في شرح المقامات، وذكر في المغرب ان له كتاباً سماه (المعرب).[119]

قرأ ببلدهِ على ابيه عبد السيد، وابي المؤيد الموفق بن احمد بن محمد المكي خطيب خوارزم، وسمع الحديث من ابي عبد الله محمد بن علي التاجر، دخل بغداد حاجاً وتفقه على النعالي، ولما مات رثيَ بثلاثمائة قصيدة توفي في خوارزم عام (٦١٠هـ/١٢١٣م) في العاشر من جمادي الأولى وذكر في الحادي والعشرين .[120]

١١- النعمان بن ابراهيم الزُرْنوجي[121]: (ت٦٤٠هـ/١٢٤٢م) .

النعمان بن إبراهيم بن الخليل الملقب بتاج الدين الزُرْنوجي الامام، العالم، والفقيه تفقه على الشيخ زكي الدين القراحي او الفراخي .[122] من مؤلفاتهِ (شرح المقامات وسماه (الموضح)، توفي ببخارى في العاشر من محرم عام (ت٦٤٠هـ/١٢٤٢م) ودفن في ذات اليوم بدرب حاجبان .[123]

١٢- هبة الله بن احمد الطَرازي[124]: (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م) .

هبة الله بن احمد بن معلى بن محمود شجاع الدين التركستاني الطَرازي الفقيه، الاصولي، النحوي، ولِدَ عام (٦٧١هـ/١٢٧٢م) بمدينة طراز من إقليم تركستان .[125] رحل

الى دمشق، وتفقه على جلال الدين الخبازي، وبلغ رتبة الفضل والكمال، نظاراً ، فارساً في البحث، له مشاركة تامة في العلوم العقلية والنقلية [126]، حسن الاخلاق، دائم الاشتغال، والكتابة مع كبر سنه وغزارة علمة يكرر محفوظاته، وكانت الطلبة ترحل اليه من البلاد والوقائع والمشكلات يحمل بين يديه وله الاسم المشهور، والثناء الموفور في بطون الأوراق وظهور الآفاق .[127] لهُ مصنفات عدة منها (تبصرة الاسرار في شرح المنار) وكتاب (الغرر والمثال)، وكتاب (الارشاد) وكتاب (شرح عقيدة الطحاوي) وقرأ الجامع الكبير على التاج الاشقر ومنازل اهل الاجتهاد .[128] تفقه عليه ابنه محمد بن هبة الله بن احمد الطرازي، وأبو محمد عبد القادر صاحب الجواهر المضيئة .[129] قائلاً (قرأت عليه قطعة من المنار في أصول الفقه والمثال في أصول الدين كله لحافظ الدين، توفي في اثناء ذلك بالمدرسة الظاهرية من شهر ذي القعدة عام (٧٣٣هـ/١٣٣٢م) .[130]

ومن شعرهِ قائلاً:

يا خليلي اسقياني بالزجاج حلب الكرمة من غير مزاج
انا لا ألتذ سمعاً باللجاج فأسقنيها قبل تغريد ألرجاج [131]

الـخـلاصـة

لقد اظهر البحث جملة نتائج مهمة وهي:

١. يُعد كتاب " تاج التراجم " لأبن قطلوبغا (ت٨٧٩هـ/١٤٧٤م) سجل وموسوعة وثق فيه سيرة وتراجم علماء المذهب الحنفي عامة وثرائهم في مختلف العلوم والمعارف، فضلاً عن توثيق جهود علماء المشرق الإسلامي ودورهم الفكري خاصة في ودعم تراثهم واتساع علمهم وتنوع مناهلهم الفكرية والمعرفية مسجلة أسماء العلماء واعمالهم مما أدى الى رفد المكتبة الإسلامية لتاريخ العلوم في المشرق.

٢. يتضح من خلال سيرة علماء المشرق من فقهاء، ومحدثين، قراء، قضاة، ادباء، شعراء، ودور كل منهم في الحياة الثقافية والفكرية في المشرق الإسلامي خاصة، والبلاد

الإسلامية عامة كونه يبَرز جهود هؤلاء العلماء في حفظ وتطوير الفقه والمذاهب ويعد مرجعاً مهماً في تأريخ الفكر الحنفي .

٣. الأثر والأهمية الكبيرة لرحلات العلمية لعلماء المشرق، والتواصل المباشر مع علماء البلاد الإسلامية، والحصول على الاجازات، ونقل المصنفات مما عزز الحركة الفكرية عامة .

٤. تمثل الدور الفكري في مصنفات العلماء العلمية لكل أولئك المفكرين في مختلف جوانب الحياة وأثرها الحضاري مما يظهر أهمية هذه الشخصيات عبر مسيرتهم العلمية .

الـهـوامـش:

١- ابي علي احمد بن عمر (ت٣٠٠هـ/٩١٢م)، الاعلاق النفيسة، ط١، بيروت، (دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص٩٤-٩٦.

٢- **الجبل**: جمع جبل اسم للبلاد المعروفة بأصطلاح العجم بالعراق وهي بين أصبهان الى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والري وما بين ذلك من البلاد من الكور الجليلة والمدن العظيمة ولايعرف سبب تسمية العجم له بالعراق ويقال ان سبب ذلك ان ملوك السلاجقة كان احدهم اذا ملك العراق دخلت هذه البلاد في ملكه فكانوا يسمونه سلطان العراق وهذا اكثر مقامه بالجبال فظنوا ان العراق الذي منسوب اليه ملكه هو الجبال . ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، (دار احياء التراث العربي، د.ت)، مج٢، ص٢٦وص٢٧.

٣- **أذْربيجـان:** في الإقليم الخامس والنسبة اليه (أذْريٌ) بسكون الذال لانه عندهم مركب من أذر- وبيجان نسبة الى أذرباذ بن ايران بن الأسود بن سام بن نوح (عليه السلام)، ورأي آخر يقال بأن النسبة الى (أذر) وهو اسم النار بالفهلوية و(بايكان) معناها الحافظ والخازن فكان معناها بيت النار او خازن النار لأن بيوت النار كانت كثيره في هذه المنطقة، يحدها من شرقا بَرْذعة، ومن الشرق أرزنجان والشمال بلاد الديلم والجيل والطَّرْم، وهي إقليم واسع قصبتها قديماً مراغة وفيما بعد أصبحت قصبتها تبريز . ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص١٠٩.

٤- **قَزْوِينُ:** مدينة مشهورة في الإقليم الرابع بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخاً والى أبهر اثنا عشر فرسخاً اول من استحدثها سابور ذو الاكتاف . ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٤٦.

٥- **زَنْجَانُ:** بلد كبير مشهور من نواحي الجبال بين أذربيجان وبينها، وهي قريبة من أبهر وقزوين، والعجم تسميها (زنكان) بالكاف . ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص١٥٢.

٦- **قم:** مدينة في أواسط بلاد فارس تحيطها الجبال الشاهقة العالية الوعرة المنيعة الاما بين همدان الى الري والى قم فأن الغالب عليها السهل والجبال بداخلها قليلة .ابن حوقل، ابو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الارض، ط٢، ليدن، (مطبعة بريل، ١٩٣٨م)، ق٢، ص١٦٢.

٧- **أصبهان:** مدينة عظيمة، وهي اسم لأقليم كانت مدينتها تسمى أولاً جيا، ثم صارت اليهودية، وهي من نواحي الجبل، وهي مدينة جليلة وواسعة. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م)، البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، ط١، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م)، ص٨٥-٨٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص١٦٧-١٦٩.

٨- **الري:** اسم مدينة الري هو المحمدية، وسميت بذلك لان الخليفة العباسي المهدي قد نزل فيها عندما كان واليا في عهد الخليفة العباسي المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م)، افتتحت على يد القائد قرظة بن كعب الانصاري في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رض) سنة (٢٣هـ/ ٦٤٣م)، للمدينة رساتيق واقاليم عدة، وهي مدينة عامرة كبيرة، لها ابواب عدة ولها حصن وفيها مسجد جامع. البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر بن داود(ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، بيروت، (دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م)، ص٣١٣؛ اليعقوبي، البلدان، ص٨٩-٩٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٤٥٧- ص٤٦١ ؛ غضبان، علي حسن، الحياة الفكرية في مدينة الري في العصر العباسي (١٣٢- ٦٥٦ هـ)، ط١، بغداد، (دار ومكتبة كلكامش لطباعة والنشر، ٢٠٢٥م)، ص١٥ - ص٢٤.

٩- **طبرستان:** هو أسم مركب من كلمتين - طبر- و- ستان - و- الطبر-، أو - التبر - تعني بالفارسية - الفأس- و- ستان - تعني بالفارسية - الموضع -، أو الناحية فسميت - طبرستان - أي - ناحية الطبر- و- ستان - تأتي بمعنى آخر هو نوع من الشجر، وسبب تسميتها بذلك لكثرة أشتباك اشجارها فلا يستطيع الجيش المرور بها الا بعد ان تقطع الاشجار بالطبر من بين أيديهم، ويذكر انها - طبرستان - كلمة معربة من - طبرزنان - أي - الفؤوس والنساء - حيث أطلقت هذه التسمية على الجبال العالية خاصةً ويشمل بصورة ثانوية على الرقعة الضيقة من الاراضي المنخفضة المحاذية للبحر والممتدة من دلتا سفيد رود الى جنوب شرقي بحر قزوين . البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م)، معجم ماأستعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: مصطفى السقا، ط٣، بيروت، (عالم الكتب، ١٤٠٣ هـ)، ج٣، ص٨٨٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٣، ص٢٤٤ ؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢ هـ/١٢٨٣ م)، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، (دار

صادر، ١٩٦٠ م)، ص٤٠٤ ؛ ليسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمه وتعليق: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد، (مطبعة الرابطة، ١٣٧٣ هـ/١٩٥٤ م)، ص٤٠٩ ،رؤوف، زينب مهدي، الحياة العلمية في طبرستان من القرن الثالث الى منتصف القرن السابع الهجري، ط١، بغداد، (دار قناديل لطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٧م)، ص٢١- ص٢٣.

١٠- **جرجان**: بالضم واخره نون مدينة مشهورة وعظيمة بين طبرستان وخراسان، يذكر ان أول من احدث بنائها يزيد بن المهلب بن ابي صفرة، وقد خرج منها كثير من الأدباء، والعلماء، والفقهاء، والمحدثين، وهي اقل ندى ومطر من طبرستان، واهلها احسن وقاراً ويساراً. اليعقوبي، البلدان، ص٩٢؛ الاصطخري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد(ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، مسالك الممالك، ليدن، (مطبعة بريل، ١٩٢٧م)، ص٢١٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٤٢٠؛ القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص٣٤٨ وص٣٤٩؛ العفيفي، عبد الحكيم، موسوعة ١٠٠٠ مدينة اسلامية، ط١، بيروت، (اوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص١٩٤.

١١- **سجستان:** بلد جليل، وكورة متصلة المساكن، قليلة المدن، قصبتها العظمى زرنج وبست، ومن اهم مدنها كوين زنبوك، درهند، قرنين، وغيرها، ولها انهار تسقى المدن والضياع منها نهر الهلمند ونهر هيرميد، اسواقها عامرة، وهي بلاد حارة وبها نخيل ارضها سهلة. ابن حوقل، صورة الارض، ق٢، ص٤١١ وص٤٢٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص٢٣-٢٤.

١٢- خراسان: خراسان كلمة مؤلفة من مقطعين هما – خُر- بمعنى اسم الشمس، و-اسان- كأنه اصل الشيء ومكانه اي بلاد الشمس، ومعناها ايضاً كل بلا تعب، او كل بالرفاهية لأن – خُر- تاتي بمعنى – كل- و- اسان- بمعنى – سهل –، وهي بلاد مشهورة شرقيها ما وراء النهر وغربها قهستان، وقصبتها هراة، ومرو وبلخ، وهي من احسن بلاد الله واعمرها، واكثرها خيراً، واهلها احسن الناس واكملهم عقلاً ورغبة في الدين. ابن حوقل، صورة الارض، ق٢، ص٤٢٦ وص٤٢٧ وص٤٢٨ وما بعدها؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٢١٨ ؛ رؤوف، زينب مهدي، أقضية خراسان حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ط١، (دار عدنان لطباعة والنشر، ٢٠١٤م)، ص٢١ – ص٢٤.

١٣- التبت: ذكر انها بلد بارض الترك، وهي مملكة متاخمة لمملكة الصين، ومتاخمة من احدى جهاتها لارض الهند، ومن جهة الشرق لبلاد الهياطلة، ومن جهة الغرب لبلاد الترك، لها مدن وعمائر كثيرة ذوات سعة وقوة، كان يطلق على ملكها لقب خاقان التبت، اطلق عليها اسماء عدة تدل على ما تتميز به من مميزات ومظاهر طبيعية منها اسم "سقف العالم"، "قلب اسيا الخامد" . الاصطخري، مسالك الممالك، ص٢٨٨؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ق٢، ص٤٦٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١،

ص٤٢٨-٤٢٩؛ الزوكة، محمد خميس، اسيا دراسة في الجغرافية الاقليمية، ط٢، الاسكندرية، (دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م)، ص٢١٩ وص٢٢٧-٢٢٨.

١٤- تركستان: تركستان بشكل عام اسم جامع لجميع بلاد الترك، وهو اقليم فسيح المدى، اما المقصود بتركستان الصينية فهي الان مقاطعة سنكيانج، او-شنجيانج-، في الصين، يحدها شمالا سلسلة جبال تيان شان وشرقاً صحراء جوبي، وجنوباً كشمير والتبت، وغرباً هضبة بامير، وجمهوريات قازاقستان، وقرغيزيا، وطاجيكستان أي "بلاد القازاق والقيرغيز وبلاد التاجيك". ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٤٣٩ وص٤٤٠؛ ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، الجغرافيا، تح: اسماعيل العربي، بيروت، (المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٠م)، ص١٧٥؛اركين، توختي اخون، تركستان الشرقية البلد الاسلامي المنسي، ط١، مكة المكرمة، (دار الاندلس الخضراء للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص١٣-١٤.

١٥- ابن قطلوبغا، أبو الفداء زين الدين قاسم السودوني (ت٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)، تاج التراجم، تحقيق وتقديم: محمد خير رمضان يوسف، ط١، دمشق، (دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣/ ١٩٩٢م)، ص١١ ؛ السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابي بكر بن عثمان بن محمد (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)، الضوء اللامع لأهل القرن السابع، بيروت، (منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت)، ج٦، ص١٨٤؛ الشوكاني بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤ م)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت، (دار المعرفة، د. ت)، ج٢، ص٤٥وص٤٦ ؛ اللكنوي، أبو الحسنات محمد عبد الحي، التعليقات االسنية على الفوائد البهية بهامش كتاب الفوائد البهية في تراجم الحنفية، عني بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين الحلبي وأبو فراس النعساني، ط١، مصر، (مطبعة السعادة، ١٣٢٤هـ) ص٩٩؛ الزركلي، خير الدين، الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط١٥، بيروت، (دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ج٥، ص١٨٠.

١٦- ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص١١ – ص١٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٨٤، الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص٤٥ وص ٤٦؛ اللكنوي، التعليقات السنية علة الفوائد البهية، ص٩٩؛ الزركلي، الاعلام، ج٥، ص١٨٠.

١٧- ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص١١ – ص١٤؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٨٤، الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص٤٥ وص ٤٦؛ اللكنوي، التعليقات السنية على الفوائد البهية، ص٩٩؛ الزركلي، الاعلام، ج٥، ص١٨٠.

١٨- حاجي خليفة، مصطفى عبد الله القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م)، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، تصحيح وتعليق: محمد شرف الدين يالتقايا، إسطنبول، (وكالة المعارف، ١٩٤١م)، ج١، ص٢٦٩.

١٩- ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص١٥؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٨٤، الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص٤٥ وص ٤٦؛ اللكنوي، التعليقات السنية على الفوائد البهية، ص٩٩؛ الزركلي، الاعلام، ج٥، ص١٨٠.

٢٠- **السمرقندي**: نسبة الى مدينة سمرقند كورة عظيمة في بلاد ما وراء النهر، وهي من اعظم البلدان قدراً واجلها، واشدها امتناعاً واكثرها رجالاً، وتعد قصبة الصغد وهي تشتمل على حصن ولها اربعة ابواب، منها باب مما يلي المشرق ويسمى باب الصين وهو مرتفع عن سطح الارض، ومما يلي المغرب باب النوبهار ومما يلي الشمال باب بخارى ومما يلي الجنوب باب الاصطخري، مسالك الممالك، ص٣١٦-٣٢٣؛ المقدسي، شمس الدين ابي عبيد الله محمد بن احمد (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، أحسن التقاسيم، وضع مقدمته وحواشيه: محمد مخزوم، بيروت، (دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص٢٢٢-٢٢٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص٦٦-٦٨.

٢١- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير اعلام النبلاء، اعتناء محمد ايمن الشبراوي، القاهرة، (دار الحديث، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ج١٢، ص٣٣٣؛ القرشي، عبد القادر بن ابي الوفاء (ت٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م)، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، اعتناء: محمد عبد الله الشريف، ط١، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص٤١٥وص٤١٦؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣١٠ ؛ اللكنوي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، عُني بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين الحلبي وأبو فراس النعساني، ط١، مصر، (مطبعة السعادة، ١٣٢٤هـ)، ص٢٢٠ ؛ البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد امين بن مير سليم الباباني، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسطنبول، (وكالة المعارف، ١٩٥١-١٩٥٥م)، ج٢، ص٤٩٠؛ الزركلي، الاعلام، ج٨، ص٢٧.

٢٢- الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٢، ص٣٣٣؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤١٥وص٤١٦ ؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣١٠ ؛ اللكنوي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ص٢٢٠ ؛ البغدادي، هدية العارفين، ج٢، ص٤٩٠ ؛ الزركلي، الاعلام، ط١٥، ج٨، ص٢٧.

٢٣- القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤١٥وص٤١٦ ؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣١٠.

٢٤- اللكنوي، الفوائد البهية، ص٢٢٠.

٢٥- الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٢، ص٣٣٣.

٢٦- ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣١٠ ؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص٢٢٠؛ البغدادي، هدية العارفين، ج٢، ص٤٩٠ ؛ الزركلي، الاعلام، ط١٥، ج٨، ص٢٧.

٢٧- الزركلي، الاعلام، ط١٥، ج٨، ص٢٧.

٢٨- ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣١٠ ؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص٢٢٠؛ البغدادي، هدية العارفين، ج٢، ص٤٩٠ ؛ الزركلي، الاعلام، ط١٥، ج٨، ص٢٧.

٢٩- اللكنوي، الفوائد البهية، ص٢٢٠؛ البغدادي، هدية العارفين، ج٢، ص٤٩٠ ؛ الزركلي، الاعلام، ط١٥، ج٨، ص٢٧.

٣٠- ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣١٠ ؛ الزركلي، الاعلام، ط١٥، ج٨، ص٢٧.

٣١- ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣١٠ ؛ الزركلي، الاعلام، ط١٥، ج٨، ص٢٧.

٣٢- الزركلي، الاعلام، ط١٥، ج٨، ص٢٧.

٣٣- ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣١٠ ؛ الزركلي، الاعلام، ط١٥، ج٨، ص٢٧.

٣٤- ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣١٠ ؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص٢٢٠؛ البغدادي، هدية العارفين، ج٢، ص٤٩٠ ؛ الزركلي، الاعلام، ط١٥، ج٨، ص٢٧.

٣٥- الزركلي، الاعلام، ط١٥، ج٨، ص٢٧.

٣٦- الزركلي، الاعلام، ط١٥، ج٨، ص٢٧.

٣٧- سير اعلام النبلاء، ج١٢، ص٣٣٣.

٣٨- الجواهر المضيئة، ص٤١٥وص٤١٦ .

٣٩- تاج التراجم، ص٣١٠.

٤٠- **المُسْتَغفِري**: بضم الميم، وسكون السين وفتح التاء فوقها نقطتان وسكون الغين المعجمة وكسر الفاء والراء وهذهِ النسبة الى المستغفر وهو جد المنتسب اليه أعلاه . ابن الاثير، عز الدين الجزري (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، اللباب في تهذيب الانساب، بيروت (دار صادر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ج٣، ص٢٠٨؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص٥٧؛ الكتاني، أبو عبد الله محمد بن ابي الفيض جعفر بن ادريس الحسني، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، تح: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، ط٦، (دار البشائر الإسلامية)، ص٥١.

٤١- **النَسَفي**: النسبة الى مدينة نَسَف وهي من بلاد ما وراء النهر، ويقال لها نخشب وهي بلدة نزهة على بعد عشرين فرسخا من بخارى خرج منها علماء عدة، فهي مدينة كبيرة على مستوى الارض، لها سور وربض كبير ولها اربعة ابواب ولها بالربض مسجد جامع، واسواقها في الربض مجتمعة متصلة بين دار الامارة والمسجد الجامع، وليس لديها كثير نواح وقرى، ولها نهر واحد يجري في وسط

المدينـة. الادريسي، أبـو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ط١، بيروت، (عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، ج١، ص٤٩٢ ؛ السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)، الانساب، تـح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمـي اليمـاني، بيـروت، (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٩م)، ج٥، ص٤٨٦؛ ابـن الاثيـر، اللبـاب، ج٣، ص ٣٠٨؛ ج١، ص٤٩٢؛ الدمشقي، ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي (ت٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م)، توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة وانسابهم والقابهم وكناهم، تـح: محمد نعيم العرقسوسي، ط١، بيروت، (مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م)، ج٩، ص٧٦.

٤٢- **مـاوراء النهـر**: المقصـود بـه مـاوراء نهـر جيحـون فمـا كـان فـي شرقيه يقال لـه بـلاد الهياطلـة، وفـي العصـور الاسـلامية سـموه- مـاوراء النهـر- ومـاكـان غربيـه فهـو خراسـان، وولايـة خـوارزم ليسـت مـن خراسان انمـا هـي اقليم برأسـه، وتعد هذه البلاد من اخصب وأنزه وأعذب مياه واوفر عدة وخير من غيرها من البلاد .ابن حوقل، ق٢، ص٤٥٩ -٤٦٠ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص١٩٩ -٢٠٠ ؛ القزوينـي، آثـار الـبلاد، ص٥٥٧-ص٥٥٨ ؛ لسـترنج، كـي، بلـدان الخلافـة الشـرقية، صص٤٧٦ -ص٤٧٧ .

٤٣- ابن الاثير، اللباب في تهذيب الانساب، ج٣، ص٢٠٨؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تح: أبو هـاجر محمـد السـعيد بـن بسـيوني زغلـول، بيـروت (دار الكتـب العلميـة، د.ت)، ج٢، ص٢٦٦؛ القرشـي، الجـواهر المضـيئة، ص١١٩ ؛ ابـن قطلوبغـا، تـاج التراجم، ص١٤٧؛ الكفوي، محمـود بـن سليمان (ت٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م)، كتائب اعلام الاخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار ؛ تح: صفوت كوسا، ومراد شمشك، وحسن اوزر، وحذيفة جكه، وكوتش اوزترك، ط١، إسطنبول، (مكتبة الارشاد، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م)، ص١٩٧؛ الغزي، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري المصري الحنفي (ت١٠١٠هـ/١٦٠١ م)، الطبقـات السـنية فـي تـراجم الحنفيـة، تـح: عبـد الفتـاح محمـد الحلـو، ط١، الرياض، (دار الرفاعي، ١٤٠٣- ١٤١٠هـ)، ج٢، ص ٢٨١؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص٥٧.

٤٤- ابـن الاثيـر، اللبـاب فـي تهـذيب الانسـاب، ج٣، ص٢٠٨؛ القرشـي، الجـواهر المضـيئة، ص١١٩؛ الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ص١٩٧؛ الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج٢، ص ٢٨١.

٤٥- الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ص١٩٧ ؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص٥٧ .

٤٦- **مـرو**: وهـي اشـهر مـدن خراسـان وقصـبتها، وسميت بـ - مرو الشـاهجان - لأن الشـاهجان فارسية معناها - نفس السلطان - لأن - الجان - هي النفس أو الروح و -الشاه - هو السلطان سميت بذلك لجلالتها. اليعقوبي، البلدان، ص ٩٨-١٠٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٥٣.

٤٧- **سـرخـس:** من اعظم مدن ما وراء النهر واجلها بينها وبين جيحون يومان، اسمها بومجكث، لها سبعة ابواب من حديد اهمها باب المدينة، باب النور، باب حفرة، باب بني سعد وغيرها، ولقهندزها بابان احدهما يعرف بالريكسان والاخر باب الجامع، وعلى الربض دروب عدة، وسكانها اخلاط من الناس العرب والعجم، وكانت قاعدة ملك السامانيين. اليعقوبي، البلدان، ص١٢٣-١٢٤؛ الاصطخري، مسالك الممالك، ص٣٠٥-٣١٦؛ ابن حوقل، صورة الارض، ق٢، ص٤٨٢-٤٩٢؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ص٢١٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٢٨٠-٢٨٢؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٤-٥٠٦.

٤٨- **بخـارى:** من اعظم مدن ما وراء النهر واجلها بينها وبين جيحون يومان وكانت قاعدة ملك السامانيين، اسمها بومجكث. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٢٨٠-٢٨٢.

٤٩- ابن الاثير، اللباب في تهذيب الانساب، ج٣، ص٢٠٨؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص١١٩؛ الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ص١٩٧؛ الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج٢، ص ٢٨١؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص٥٧ .

٥٠- ابن الاثير، اللباب في تهذيب الانساب، ج٣، ص٢٠٨ ؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، الناشر: زكريا عميرات، ط١، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ج٣، ص٢٠٠؛ الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ص١٩٧؛ الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج٢، ص ٢٨١؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص٥٧ .

٥١- الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٣، ص٢٠٠؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص١٤٧؛ الكتاني، الرسالة المستطرفة لبيان، ص٥١.

٥٢- الكتاني، الرسالة المستطرفة لبيان، ص٥١.

٥٣- الذهبي، العبر، ج٢، ص٢٦٦.

٥٤- ابن الاثير، اللباب في تهذيب الانساب، ج٣، ص٢٠٨ ؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٣، ص٢٠١؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص١١٩؛ الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج٢، ص٢٨١.

٥٥- الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ص١٩٧ .

٥٦- اللكنوي، الفوائد البهية، ص٥٧ .

٥٧- **النيسابوري:** نسبة الى مدينة نيسابو والتي تعرف بابرشهر، وهي ذات حدود واسعة، ورساتيق عامرة ولها قهندز وربض ومسجد وجامعها في ربضها وليس لها ماء جار إلاَّ نهر يخرج اليهم في السنة، ولا يدوم ماؤه . ابن حوقل، صورة الارض، ق٢، ص٤٣١-٤٣٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٤٢٣وص٤٢٤.

٥٩- الجواهر المضيئة، ص٤٢٨؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣٢٣ .

٦٠- **الأستوائي:** نسبةً إلى أُسْتُوَا من نواحي نيسابور، كثيرة القرى والخير وتقترن بخو جان فيقال استوا وخوجان وهي من عيون ناحية نيسابور واكثرها قرى ورجال وحدودها متصلة بحدود نسا. السمعاني، الانساب، ج١، ص١٣٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص١٤٤ ؛ ابن الاثير، اللباب، ج١، ص ٥٠٧.

٦١- ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص١٧١وص١٧٢.

٦٢- القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤٢٨؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣٢٣ .

٦٣- القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤٢٨ ؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣٢٣ .

٦٤- القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤٢٨ ؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣٢٣ .

٦٥- القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤٢٨ ؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣٢٣ .

٦٦- القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤٢٨؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣٢٣ .

٦٧- **البَزْدوي:** بفتح الباء الموحدة وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وفي آخرها واو نسبة الى بزدة قرية ويقال قلعة حصينة على بعد ست فراسخ من مدينة نسف، ويقال بزدوه والنسبة اليها بزدي . ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٣٢٤؛ القرشي، كتاب الانساب المطبوع ضمن كتاب الجواهر المضيئة، ص٤٧٢.

٦٨- السمعاني، الانساب، ج٢، ص١٨٩؛ القرشي، كتاب الكنى التابع لكتاب الجواهر المضيئة، ٤٦٣ ؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٢٧٥ ؛ الزركلي، الاعلام، ج٧، ص٢٢.

٦٩- اللكنوي، الفوائد البهية، ص١٨٨.

٧٠- السمعاني، الانساب، ج٢، ص١٨٩؛ القرشي، كتاب الكنى التابع لجواهر المضيئة، ص٤٦٣؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص١٨٨.

٧١- القرشي، كتاب الكنى التابع لجواهر المضيئة، ص٤٦٣.

٧٢- القرشي، كتاب الكنى التابع لجواهر المضيئة، ص٤٦٣؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ٢٧٥ ؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص١٨٨

٧٣- القرشي، كتاب الكنى التابع لجواهر المضيئة، ص٤٦٣ ؛ البغدادي، هدية العارفين، ج٢، ص٧٧؛ الزركلي، الاعلام، ج٧، ص٢٢.

٧٤- القرشي، كتاب الكنى التابع لجواهر المضيئة، ص٤٦٣ ؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٢٧٥ ؛ البغدادي، هدية العارفين، ج٢، ص٧٧؛ الزركلي، الاعلام، ج٧، ص٢٢.

٧٥- ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ٢٣٤؛ الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ج٢، ص٢٥٢ ؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص١٥٨؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٢٩٠؛ الزركلي، الاعلام، ج٥، ص٣١٥.

٧٦- الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ج٢، ص٢٥٢ ؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص١٥٨؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٢٩٠؛ الزركلي، الاعلام، ج٥، ص٣١٥.

٧٧- الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ج٢، ص٢٥٢ .

٧٨- الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ج٢، ص٢٥٣ .

٧٩- الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ج٢، ص٢٥٣ .

٨٠- **فرغانة:** مدينة وكورة واسعة تقع على ضفاف نهر سيحون في بلاد ما وراء النهر، وهي متاخمة لبلاد الترك، وتعد باب تركستان، واسعة الرساتيق، وافرة الخيرات وهي ناحية معمورة وكبيرة وذات نعم كثيرة فيها جبال كثيرة وصحارى، كان ملوكها قديماً من ملوك الاطراف ويلقبون بلقب دهقان. ابن حوقل، صورة الأرض، ق٢ ؛ ص٥١٢-ص٥١٥ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص٤٢٨.

٨١- ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ٢٣٤ وص٢٣٥؛ الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ج٢، ص٢٥٣ ؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص١٥٨ .

٨٢- ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ٢٣٤ وص٢٣٥؛ الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ج٢، ص٢٥٣ ؛ البغدادي، هدية العارفين، ج٢، ص٧٦؛ الزركلي، الاعلام، ج٥، ص٣١٥.

٨٣- ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ٢٣٤؛ الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ج٢، ص٢٥٢ ؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص١٥٨ .

٨٤- الزركلي، الاعلام، ج٥، ص٣١٥ .

٨٥- حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٢٩٠؛ البغدادي، هدية العارفين، ج٢، ص٧٦؛ الزركلي، الاعلام، ج٥، ص٣١٥.

٨٦- القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤١١؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣٠٨؛الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ج٢، ص٣١٩ ؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص٢١٦ ؛ الزركلي، الاعلام، ج٧، ص٣٤١.

٨٧- الزركلي، الاعلام، ج٧، ص٣٤١.

٨٨- اللكنوي، الفوائد البهية، ص٢١٦ .

٨٩- الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ج٢، ص٣١٩ ؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص٢١٦ .

٩٠- ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣٠٨؛الغزي، الطبقات السنية، ج٢، ص١٩٦.

٩١- القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤١١؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣٠٨؛ الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ج٢، ص٣١٩؛ الزركلي، الاعلام، ج٧، ص٣١٤.

٩٢- السمعاني، التحبير في المعجم الكبير، تح: منيرة ناجي سالم، ط١، بغداد، (رئاسة ديوان الأوقاف، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ج١، ص٥٢٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، تح: احسان عباس، ط١، بيروت، (دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ج٥، ص٢٠٩٨؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٩٤؛ العبر في خبر من غبر، ج٢، ص ٤٥٢ ؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص٢٥٥؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٢١٩ ؛ السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، طبقات المفسرين، تح: علي محمد عمر، ط١، القاهرة، (مكتبة وهبة، ١٣٩٦هـ)، ص٨٨؛ الداوودي، محمد بن علي بن احمد شمس الدين (ت٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م)، طبقات المفسرين، بيروت، (دار الكتب العلمية، د. ت)، ج٢، ص٧؛ الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ج٢، ص٤٧٧؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن احمد بن محمد العَكري (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تح: محمود الارناؤوط، ط١، بيروت، (دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج٦، ص١٨٩؛ الزركلي، الاعلام، ج٥، ص٦٠.

٩٣- سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٩٤.

٩٤- التحبير، ج١، ص٥٢٧.

٩٥- الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٩٤ ؛ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)، لسان الميزان، تح: دائرة المعارف النظامية، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م)، ج٤، ص٣٢٧.

٩٦- الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٩٤ ؛ اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن سعد بن علي بن سليمان (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشي: خليل المنصور، ط١، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م)، ج٣، ص٢٠٥؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج٤، ص٣٢٧؛ السيوطي، طبقات المفسرين، ص٨٨.

٩٧- السمعاني، التحبير، ج١، ص٥٢٨؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص٢٥٥.

٩٨- ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص٢٠٩٨.

٩٩- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص١٨٩.

١٠٠- الزركلي، الاعلام، ج٥، ص٦٠.

١٠١- اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص٢٠٥؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص٢٥٥؛ السيوطي، طبقات المفسرين، ص٨٨ ؛ الزركلي، الاعلام، ج٥، ص٦٠.

١٠٢- **الولـوالجي:** نسبة الى وَلْوَالِج بالفتح ثم السكون، وكسر اللام، والجيم او تكتب الوَالِجَةُ، بلد من اعمال بذخشان خلف بلخ طخارستان وهي مدينة مزاحم بن بسطام . السمعاني، التحبير، ج١، ص٤٤٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٤٤٠؛ ابن عبد الحق البغدادي، صفي الدين بن عبد المؤمن (ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، بيروت، (دار الجيل، ١٤١٢هـ)، ج٣، ص١٤٤٥.

١٠٣- السمعاني، التحبير، ج١، ص٤٤٥وص٤٤٦؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص٢٠٤؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص١٨٨ ؛ الغزي، الطبقات السنية، ص٣٣٥؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص٩٤؛ البغدادي، هدية العارفين، ج١، ص٥٦٨؛ الزركلي، الاعلام، ج٣، ص٣٥٣.

١٠٤- السمعاني، التحبير، ج١، ص٤٤٦؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص٢٠٤، الغزي، الطبقات السنية، ص٣٣٦

١٠٥- القرشي، الجواهر المضيئة، ص٢٠٤ ؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص٩٤.

١٠٦- القرشي، الجواهر المضيئة، ص٢٠٤.

١٠٧- القرشي، الجواهر المضيئة، ؛ ص٢٠٤ ؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص١٨٨ ؛ الغزي، الطبقات السنية، ص٣٣٥؛ البغدادي، هدية العارفين، ج١، ص٥٦٨؛ الزركلي، الاعلام، ج٣، ص٣٥٣.

١٠٨- **اليـزدي:** نسبة الى مدينة يَزْد بالفتح وسكون ثانيه، ودال مهملة، مدينة متوسطة بين نيسابور وشيراز واصبهان تُعد من اعمال إقليم فارس ثم من كورة إصطخر وهو اسم لناحية يقال لها كثة بينها وبين شيراز سبعون فرسخاً . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤٣٥؛ ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج٣، ص١٤٧٨ ؛ رؤوف، زينب مهدي، المظاهر العمرانية لمدينة يزد حتى نهاية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، مجلة الاتحاد العام للأثاريين العرب، القاهرة، مج ٢٠، العدد (٢)، لسنة ٢٠١٩م، ص٥٤ – ص٥٦.

١٠٩- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الأمم، تح: حمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج١٨، ص٢٢٥؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص٣٩٨؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣٠٢؛ الغزي، الطبقات السنية، ص٤٧٩؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٥٦٢.

١١٠- الجواهر المضيئة، ص٣٩٨ .

١١١- ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٢٢٥ .

١١٢- ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٢٢٥.

١١٣- **المطـرزي:** نسـبة الـى مَنْ يطـرز الثيـاب ويرقمهـا . المطـرزي، أبـو الفـتح ناصـر الـدين الحنفـي الخـوارزمي (ت ٦١٠هـ/ ١٢١٣م)، المغرب فـي ترتيـب المعرب، تـح: محمـود فـاخوري وعبـد الحميـد مختار، ط١، حلب، (مكتبة أسامة بن زيد، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ج١، ص٣.

١١٤- **جرجانية خوارزم:** اسم لقصبة إقليم خوارزم مدينة عظيمة على شاطئ نهر جيحون واهل خوارزم يسمونها بلسانهم كُرْكانْج فعربت الى الجرجانية .. وكانت مدينة صغيرة في مقابلة المنصورة من الجانب الغربي فأنتقل اهل خوارزم إليها وابتنوا مساكن فيها ونزلوها فخربت المنصورة حتى لم يبق لها أثرٌ وعظمت الجرجانية . ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٤٥؛ ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج١، ص٣٢٣.

١١٥- ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٧٤١ ؛ القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، انباء الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة، (دار الفكر العربي، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٢م)، ج٣، ص٣٣٩وص٣٤٠، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم بن ابي بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، بيروت، (دار صادر، ١٩٩٤م)، ج٥، ص٣٦٩وص٣٧١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٨، ص٤١٤وص٤١٥؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤١٢؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣٠٩؛ السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين (٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، (المكتبة العصرية، د. ت)، ج٢، ص٣١١، اللكنوي، الفوائد البهية، ص١٧٣؛ الزركلي، الاعلام، ج٨، ص٣١١.

١١٦- ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٧٤١ ؛ القفطي، انباء الرواة، ج٣، ص٣٣٩وص٣٤٠ ؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٥، ص٣٦٩وص٣٧١؛ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٨، ص٤١٤وص٤١٥؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤١٢؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣٠٩؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص٣١١، اللكنوي، الفوائد البهية، ص١٧٣؛ الزركلي، الاعلام، ج٨، ص٣١١.

١١٧- تاريخ الإسلام، ج١٨، ص٤١٤وص٤١٥.

١١٨- ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٥، ص٣٦٩وص٣٧١.

١١٩- ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣٠٩.

١٢٠- القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤١٢.

١٢١- **الزُرْنوجي:** بفتح اوله وسكون ثانيه ونون وآخره جيم، نسبة الى (زَرْنوج) بلد مشهور في ماوراء النهر بعد خوجند من اعمال تركستان .ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٤٧٤؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤١٩.

١٢٢- القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤١٩وص٤٢٠؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣١١؛ الغزي، الطبقات السنية، ص٢٦١٥، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٧٨٨؛ الزركلي، الاعلام، ج٩، ص٣.

١٢٣- القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤٢٠؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣١١؛ الغزي، الطبقات السنية، ص٢٦١٥، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٧٨٨؛ الزركلي، الاعلام، ج٩، ص٣.

١٢٤- **الطَرازي:** نسبة الى (طِرَازُ) بالفتح ويقال بالكسر، وفتح الراء، وفي آخرها زاي، بلد قريب من إسبيجاب من ثغور الترك نسب اليها كثير من العلماء . ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص٢٥٥.

١٢٥- القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤٢١؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣١٣؛ الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ج٤، ص٢٠ وص٢١؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص٢٢٣؛ البغدادي، إيضاح المكنون، ج٢، ص٥٥٥.

١٢٦- **العلوم العقلية والنقلية:** الأولى يقصد بها علوم الفلسفة والرياضيات والهندسة والجبر والفلك والطب والطبيعية والكيمياء والموسيقى ؛ والثانية هي احد اصناف العلوم الواقعة في العمران والتي يخوض فيها البشر ويتداولونها فيما بينهم تحصيلاً وتعلقاً وهي علوم وصفية كلها مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مسائلها بالأصول، لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه، فتحتاج الى الالحاق بوجه قياسي، وتشتمل العلوم النقلية على علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الحديث، والفقه، وعلم الكلام، والنحو، واللغة، والبيان، والادب. القنوجي، السيد ابو الطيب صديق بن حسن بن علي بن لطف الله، ابجد العلوم والوشي المرقوم في بيان احوال العلوم، وضع فهارسه: عبد الجبار زكار، دمشق، (منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، ١٩٧٨م)، ج١، ص٢٢٦؛ حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط١٤، القاهرة، (مكتبة النهضة المصرية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ج٣، ص٣٤٦؛ الحنفي، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط٣، القاهرة، (مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠م)، ص٥٦١.

١٢٧- القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤٢١؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣١٣؛ الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ج٤، ص٢٠وص٢١؛ اللكنوي، الفوائد البهية، ص٢٢٣.

١٢٨- القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤٢١؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣١٣؛ البغدادي، إيضاح المكنون، ج٢، ص٥٥٥.

١٢٩- الكفوي، كتائب اعلام الاخيار، ج٤، ص٢٠وص٢١.

١٣٠- القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤٢١؛ البغدادي، إيضاح المكنون، ج٢، ص٥٥٥.

١٣١- ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج، ص؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص٤٢١ ؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٣١٣.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً: المصادر الأصيلة .

ابن الاثير، عز الدين الجزري (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) .

١- اللباب في تهذيب الانساب، بيروت (دار صادر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .

- **الادريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)**

٢- نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ط١، بيروت، (عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) .

الاصطخري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد(ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) .

٣- مسالك الممالك، ليدن، (مطبعة بريل، ١٩٢٧م) .

البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م).

٤- معجم ماأستعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: مصطفى السقا، ط٣، بيروت، (عالم الكتب، ١٤٠٣ هـ).

البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر بن داود(ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

٥- فتوح البلدان، بيروت، (دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م).

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) .

٦- المنتظم في تاريخ الأمم، تح: حمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م) .

٧- لسان الميزان، تح: دائرة المعارف النظامية، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م).

ابن حوقل، ابو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) .

٨- صورة الارض، ط٢، ليدن، (مطبعة بريل، ١٩٣٨م) .

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم بن ابي بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) .

٩- وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، بيروت، (دار صادر، ١٩٩٤م) .

الداوودي، محمد بن علي بن احمد شمس الدين (ت٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م) . *

١٠- طبقات المفسرين، بيروت، (دار الكتب العلمية، د. ت) .

الدمشقي، ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي (ت٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م) .

١١- توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة وانسابهم والقابهم وكناهم، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ط١، بيروت، (مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م) .

الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) .

١٢- سير اعلام النبلاء، اعتناء محمد ايمن الشبراوي، القاهرة، (دار الحديث، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) .

١٣- العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت (دار الكتب العلمية، د. ت).

١٤- تذكرة الحفاظ، الناشر: زكريا عميرات، ط١، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)

ابن رستة، ابي علي احمد بن عمر (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) .

١٥- الاعلاق النفيسة، ط١، بيروت، (دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابي بكر بن عثمان بن محمد (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م).

١٦- الضوء اللامع لأهل القرن السابع، بيروت، (منشورات دار مكتبة الحياة، د. ت) .

ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م).

١٧- الجغرافيا، تح: اسماعيل العربي، بيروت، (المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٠م) .

السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) .

١٨- التحبير في المعجم الكبير، تح: منيرة ناجي سالم، ط١، بغداد، (رئاسة ديوان الأوقاف، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) .

١٩- الانساب، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، بيروت، (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٩م).

السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) .

٢٠- طبقات المفسرين، تح: علي محمد عمر، ط١، القاهرة، (مكتبة وهبة، ١٣٩٦هـ).

الشوكاني بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤ م) .

٢١- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت، (دار المعرفة، د. ت) .

ابن عبد الحق البغدادي، صفي الدين بن عبد المؤمن (ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م) .

٢٢- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، بيروت، (دار الجيل، ١٤١٢هـ).

ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن احمد بن محمد العَكري (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م) .

٢٣- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تح: محمود الارناؤوط، ط١، بيروت، (دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) .

الغزي، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري المصري الحنفي (ت١٠١٠هـ/١٦٠١ م) .

٢٤- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، ط١، الرياض، (دار الرفاعي، ١٤٠٣- ١٤١٠هـ).

القرشي، عبد القادر بن ابي الوفاء (ت٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م) .

٢٥- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ؛اعتناء: محمد عبد الله الشريف، ط١، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) .

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢ هـ/١٢٨٣ م).

٢٦- آثار البلاد وأخبارالعباد، بيروت، (دار صادر، ١٩٦٠ م).

القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) .

٢٧- انباء الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة، (دار الفكر العربي، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٢م).

ابن قطلوبغا، أبو الفداء زين الدين قاسم السودوني (ت٨٧٩ هـ/ ١٤٧٤م).

٢٨- تاج التراجم، تحقيق وتقديم: محمد خير رمضان يوسف، ط١، دمشق، (دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣/ ١٩٩٢م).

الكفوي، محمود بن سليمان (ت٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م) .

٢٩- كتائب اعلام الاخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار ؛ تح: صفوت كوسا، ومراد شمشك، وحسن اوزر، وحذيفة جكه، وكوتش اوزترك، ط١، إسطنبول، (مكتبة الارشاد، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)

.المقدسي، شمس الدين ابي عبيد الله محمد بن احمد (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) .

٣٠- احسن التقاسيم، وضع مقدمته وحواشيه: محمد مخزوم، بيروت، (دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) .

. المطرزي، أبو الفتح ناصر الدين الحنفي الخوارزمي (ت ٦١٠هـ/ ١٢١٣م)

٣١- المغرب في ترتيب المعرب، تح: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، ط١، حلب، (مكتبة أسامة بن زيد، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) .

. اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن سعد بن علي بن سليمان (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)

٣٢- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشي: خليل المنصور، ط١، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م).

ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

٣٣- معجم البلدان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، (دار احياء التراث العربي، د.ت).

٣٤- معجم الادباء، تح: احسان عباس، ط١، بيروت، (دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) .

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م) .

٣٥- البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، ط١، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م)،

ثانياً: المراجع الحديثة .

اركين، توختي اخون .

١- تركستان الشرقية البلد الاسلامي المنسي، ط١، مكة المكرمة، (دار الاندلس الخضراء للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد امين بن مير سليم الباباني.

٢- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسطنبول، (وكالة المعارف، ١٩٥١-١٩٥٥م) .

حسن، حسن إبراهيم .

٣- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط١٤، القاهرة، (مكتبة النهضة المصرية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

الحنفي، عبد المنعم .

٤- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط٣، القاهرة، (مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠م) .

رؤوف، زينب مهدي .

٥- الحياة العلمية في طبرستان من القرن الثالث الى منتصف القرن السابع الهجري، ط١، بغداد، (دار قناديل لطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٧م) .

٦- أقضية خراسان حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ط١، (دار عدنان لطباعة والنشر، ٢٠١٤م)

. الزركلي، خير الدين .

٧- الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط١٥، بيروت، (دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م) .

الزوكة، محمد خميس .

٨- اسيا دراسة في الجغرافية الاقليمية، ط٢، الاسكندرية، (دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م) .

العفيفي، عبد الحكيم .

٩- موسوعة ١٠٠٠ مدينة اسلامية، ط١، بيروت، (اوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

غضبان، علي حسن .

١٠- الحياة الفكرية في مدينة الري في العصر العباسي(١٣٢- ٦٥٦ هـ)، ط١، بغداد، (دار ومكتبة كلكامش لطباعة والنشر، ٢٠٢٥م) .

القنوجي، السيد ابو الطيب صديق بن حسن بن علي بن لطف الله .

١١- ابجد العلوم والوشي المرقوم في بيان احوال العلوم، وضع فهارسه: عبد الجبار زكار، دمشق، (منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، ١٩٧٨م) .

الكتاني، أبو عبد الله محمد بن ابي الفيض جعفر بن ادريس الحسني.

١٢- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، تح: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي ؛ ط٦، (دار البشائر الإسلامية)، ص٥١.

اللكنوي، أبو الحسنات محمد عبد الحي.

١٣- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، عني بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين الحلبي وأبو فراس النعساني، ط١، مصر، (مطبعة السعادة، ١٣٢٤هـ).

١٤- التعليقات االسنية على الفوائد البهية بهامش كتاب الفوائد البهية في تراجم الحنفية، عني بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين الحلبي وأبو فراس النعساني، ط١، مصر، (مطبعة السعادة، ١٣٢٤هـ).

ليسترنج، كي .

١٥- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمه وتعليق: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد، (مطبعة الرابطة، ١٣٧٣ هـ/١٩٥٤م).

ثالثاً: البحوث المنشورة في المجلات والدوريات العربية .

رؤوف، زينب مهدي .

١- المظاهر العمرانية لمدينة يزد حتى نهاية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، مجلة الاتحاد العام للأثاريين العرب، القاهرة، مج ٢٠، العدد (٢)، لسنة ٢٠١٩م ,

السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام في المصنفات المغربية والأندلسية
– دراسة تاريخية

م.د هيفاء اعليوي امحيسن

مديرية تربية الرصافة الثالثة/ بغداد

haifaali655@gmail.com

٠٧٧١١٦٨٠٩٧٥

السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام في المصنفات المغربية والأندلسية دراسة تاريخية

م.د هيفاء اعليوي امحيسن

الملخص

مثلت السيدة خديجة بنت خويلد انموذج التكامل للنساء في كل العصور والأزمنة التاريخية فقد تميزت بصبرها ومواجهتها للصعاب ومساندتها للرسول محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) في جميع مراحل حياته الحافلة بالعطاء والصبر والجهاد، ولم تركز كتب التاريخ والسير المغربية والأندلسية على سيرة حياة السيدة خديجة بنت خويلد (ع) بشكل واسع فأغلب المصادر التاريخية تكتفي بالإشارة فقط إلى زواجها ومراسيم الخطبة واولادها، وتغفل عن الكثير من جوانب حياتها مثل الجانب العبادي والتجاري ،فهناك جوانب مهمة ومحطات من حياتها لم نعثر عليها عند كتابات المؤرخين وفي طيات الكتب، وهذا الشيء يدل على وجود فراغ هائل في كتب التاريخ وشحة المعلومات المتعلقة بالأدوار الكبيرة للسيدة خديجة(ع) في المصنفات المغربية والأندلسية.

تضمنت خطة البحث مقدمة ومحورين تناول المحور الأول: سيرة السيدة خديجة بنت خويلد(عليها السلام) في المصنفات المغربية والأندلسية،نسبها الشريف، ولادتها، كنيتها، مكانتها عند النبي محمد(ص)، عمر السيدة خديجة وزواجها وأولادها، وضم المحور الثاني: مكانة السيدة خديجة في المجتمع القرشي، تجارتها، دورها في الوحي، موازرة السيدة خديجة (عليها السلام) المعنوية للرسول محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)ووفاتها.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى أهله وصحبه أجمعين. زخر التاريخ الاسلامي بشخصيات كبيرة كان لها دور مؤثر على جميع الأصعدة والتي غيرت وجوه التاريخ ،وكان في مقدمة هذه الشخصيات رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ومن بعده الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، ولم يقتصر

الأمر على الرجال فقط بل تعداه إلى النساء وبرزت نساء مجاهدات عابدات كان لهن دور كبير في تثبيت وجود الدين الاسلامي بما قدمن من تضحيات جسام، والسيدة خديجة بنت خويلد(عليها السلام) حازت على مراتب الشرف فقد أكرمها الله واختار لها أن تكون زوجة لرسول عظيم ونبي كريم، وكانت أول امرأة من نساء الجزيرة أسلمت وصدقت وآمنت برسول الله(ص) وأيدته في مراحل بدء الدعوة الاسلامية وما قبلها وما بعدها ودعمته بكل ما تملك من اموال وجاهدت وصبرت على كل انواع الأذى الذي لقاه رسول الله(ص) من قريش وظلمهم.

وأما سبب اختيار الموضوع ، تسليط الضوء على السيرة العطرة للسيدة خديجة بنت خويلد(عليها السلام) في المصنفات المغربية والأندلسية، ولنعرف ما كُتب عنها في مصنفاتهم ومن خلال البحث والتقصي وجدنا قلة المعلومات الواردة عنها وغياب جوانب مهمة من حياتها لم تُذكر خصوصاً فيما يتعلق بالجانب التجاري ودورها بعد زواجها من رسول الله(ص) ولربما يعود الأمر إلى اغلب الكتابات في كتب التاريخ ركزت على الجانب السياسي وفيما يتعلق بالفتوحات الاسلامية مما قلل من التفاصيل المتعلقة بالسيدة خديجة(ع) وبعض المؤرخين تناولوا السيرة النبوية كجزء في النصوص في كتب الفقه والحديث ولم يفردوا لها كتب مستقلة أو يفردوا لها فضائل قياساً بغيرها من زوجات النبي محمد(ص) فالسيدة خديجة تعرضت إلى مظلومية واجاف من قبيل قلة ما كُتب عنها في المصنفات المغربية والأندلسية وحتى المشرقية منها.

تضمنت خطة البحث مقدمة ومحورين تناول المحور الأول:ـسيرة السيدة خديجة بنت خويلد(عليها السلام) في المصنفات المغربية والأندلسية،نسبها الشريف، ولادتها، كنيتها، مكانتها عند النبي محمد(ص)، عمر السيدة خديجة وزواجها وأولادها، وضم المحور الثاني: مكانة السيدة خديجة في المجتمع القرشي، تجارتها، دورها في الوحي، موازرة السيدة خديجة (عليها السلام) المعنوية للرسول محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ووفاتها.

المحور الأول: سيرة السيدة خديجة بنت خويلد(عليها السلام) في المصنفات المغربية والأندلسية

- **نسبها الشريف:** لقد اختار الله سبحانه السيدة الكريمة لتكون زوجة لأعظم البشر نبينا محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) واختار لها الآباء والأمهات من أكرم العناصر، واختار لها البيئة التي نمت فيها ونشأت، فهي تنحدر من أصل عريق وحسب ونسب كريم، اختارها الله وهيأها له، ورفدتها العوامل التي تركت طابعها المميز في كل ما أحاط بها من ظروف الزمان على امتداده، والمكان على تنوعه واتساعه(١)

  وتنسب السيدة خديجة (عليها السلام) من جهة الأب إلى خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي(٢) بن كلاب وكانت تدعى فِي الجاهلية الطاهرة، واما أمها وهي فاطمة بنت زائدة بن الأصم، والأصم اسمه جندب بن هرم بن رواحة ابن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي(٣) وتلتقي السيدة خديجة مع رسول الله(ص) في جدهما قصي ابن كلاب، ولم تذكر المصادر أي شيء عن ترجمة حياة أبويها سوى النزر القليل المتعلق بذكر اسمائهما.
- **ولادة السيدة خديجة(ع):** لم تشير المصادر المغربية إلى ولادتها، واما المصادر الأندلسية فقد عثرنا على رواية واحدة تذكر مكان ولادتها بمكة سنة (٦٨ ق. هـ– ٥٥٦ م)(٤) ، بينما اشارت المصادر المشرقية بأنها ولدت قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة(٥)
- **كنيتها:** دأب العرب على كناية ابنائهم منذ صغرهم من باب التكريم والاعتزاز بهم وكانت الكنية التي عرفت بها السيدة هي الطاهرة وكانت تدعى بها في ايام الجاهلية(٦)
- **مكانة السيدة خديجة وتكريم النبي(ص) لها:** من نعم الله على العبد أن يكون له زوجة مؤمنة تقية وصاحب خلق ودين، وخير مثال على هذه الصفات السيدة خديجة بنت خويلد (عليها السلام) وملكت جميع مشاعر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعرف عنه حبه الشديد لها وكان يحبها حباً جماً فكانت له الحضن الدافئ والملاذ الأمن ووجد فيها كل خصال الخير وصفات الكمال وعانى من ايذاء قريش وعنادهم الشيء الكثير حيث قال: ما أوذي نبي مثل ما أوذيت(٧) وبالرغم من كل هذا كان حب السيدة خديجة ورعايتها وحنانها ومواساتها كالبلسم الذي يشفي كل جراحه، أحب رسول الله زوجته من

كل قلبه وشكل فقدها له صدمة كبيرة اهتز من أجلها وأطلق على العام الذي توفيت فيه عام الأحزان ولم تغيب عن قلبه وفكره وعقله وبالرغم من زواجه بالعديد من النساء وكان دائم الذكر لها في كل وقت وحين وفي اي مناسبة ويظهر حبه واحترامه وتقديره لكل شخص يرتبط بصلة مثل الاقارب والصديقات وهذا ممن اظهر مكامن الغيرة والحسد لدى بعض زوجاته الأخريات كما سيمر بنا في ثنايا البحث وذكرت المصادر التاريخية الكثير من الروايات التي تدل على عظمة حب رسول الله لزوجته والتي تجسدت في أحاديث ومواقف كثيرة سواء كانت في حياة السيدة خديجة أو بعد مماتها ومن هذه الأحاديث:

- **ايمانها:** كانت السيدة خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله عز وجل ورسوله ،والله عز وجل يقول وهو أصدق القائلين: والسابقون السابقون أولئك المقربون [٨]

وبشرها رسول الله(ص) بالجنة وآتاها جبرائيل عن الله عز وجل، وأنفقت مالها في سبيل الله وعلى رسوله وكانت أول من عرفه رسول الله(ص) من النساء وبنى بها منهن، لم يعرف من النساء امرأة قبلها وكانت أحب أزواجه إليه وأكرمهن عليه وأفضلهن عنده وأم بينه وبناته ومسليته كما ذكر رسول الله ومفرجة غمومه. ولم يكن بينه وبينها اختلاف أيام حياتها حتى قبضت وهو عنها راض ولها شاكر رحمة الله ورضوانه عليها[٩]

وهذا قول جميع الرواة، قالوا: خديجة أول من آمن بالله من الرجال والنساء ولم يستثنوا أحدا[١٠]

وروي عن ابن عباس قال: كان علي بن أبي طالب(ع) أول من آمن بالله من الناس بعد خديجة. وقال ابن إسحاق: كانت خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله ورسوله وصدق محمداً فيما جاء عن ربه وآزره على أمر، فكان لا يسمع من المشركين شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له إلا وفرج الله عنه ، فكانت(ع) تثبته وتصدقه، وتخفف عنه، وتهون عليه ما يلقى من قومه[١١]

- **أفضل النساء:** وروى هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، عن علي بن أبي طالب(عليهم السلام)، قال: سمعت رسول الله يقول: خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد [١٢] ومن حديث ابن عباس عن النبي(ص) أفضل نساء

أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون(١٣)

ويروي ابن عطية رواية مشابه حيث روى عن رسول الله قال: خير نساء الجنة مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد (١٤)

وروى عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: أن جبرئيل قال: يا محمد، اقرأ عَلَى خديجة من ربها السلام، فقال النبي : يا خديجة، هذَا جبرئيل يقرئك السلام من ربك. فقالت خديجة: اللَّه هُوَ السلام، ومنه السلام، وعلى جبرئيل عليه السلام. وعن قتادة، قال: أَول من آمن باللَّه ورسوله خديجة بنت خويلد زوجته(١٥)

وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله(ص): سيدة نساء العالمين : مريم، ثم فاطمة، ثم خديجة، ثم آسية(١٦)

- **من لؤلؤ:** عن أبي جعفر محمد بن علي (عليه السلام)، أنه قال: قال رسول الله لفاطمة: إن جبرائيل عهد إلي إن بيت أمك خديجة في الجنة بين بيت مريم ابنة عمران وبين بيت آسية امرأة فرعون، من لؤلؤ جوفاء، لا صخب فيه ولا نصب(١٧)
- **حب رسول الله لصديقات السيدة خديجة(ع):** أن تكريم النبي لصديقات خديجة وهي في ملحودة قبرها ما هو إلا تأكيد للروابط الاسلامية الحميدة التي جاء بها رسول الله ووفاء منه لهذه السيدة الجليلة ذات المواقف الاسلامية والانسانية التي لا مثيل لها في دنيا الاسلام(١٨) ، ومما روي في هذا الباب،عن أنس، كان النبي إذا أتي بهدية قال: اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها كانت تحب خديجة ، وروي عن عائشة زوج النبي أنها قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت أسمعه يذكرها وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها، ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال: إنها كانت تأتينا أيام خديجة أيام خديجة وإن حسن العهد من الايمان(١٩) وروى الشعبي ،عن مسروق، عن عائشة، قالت: كان رسول الله لا يخرج من البيت حتى يذكر خديجة ويحسن الثناء عليها، فذكرها يوما من الأيام فأدركتني الغيرة، فقلت: هل كانت إلا عجوزا، فقد أبدلك خيرا منها، فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب. ثم قال: لا والله، ما أبدلني الله خيرا منها،

آمنت بي إذ كفرني الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها أولاداً وحرمني أولاد النساء. قالت عائشة: فقلت في نفسي: لا أذكرها بسيئة أبداً[٢٠]

ولو لم يكن إلا هذه الرواية في ذكر أم المؤمنين خديجة (عليها السلام) لكانت أعظم شهادة لها في هذا الكون، وعلى لسان من لا ينطق عن الهوى، ويقسم على عظم شأنها وحبها وأيمانها وتصديقها بالله ورسوله، وأن الله لم يخلفه خيراً منها من زوجاته، هذه الشهادة حقيقة واضحة وشهادة عظيمة لهذه السيدة الجليلة التي ضحت بنفسها وأموالها، وكل ما ملكت من أجل الاسلام ونصرته[٢١]

وعن رسول الله(ص) أنه أهدى إليه لحم جمل أو لحم جزور فأخدد بيده لحما فأعطاه رسول الله وقال: اذهب إلى فلانة فقالت زوجه عائشة: يا رسول الله لم غمرت يدك قد كان فينا من يكفيك؟

قال: ويحك إن خديجة أوصتني بها ، فأدركت عائشة الغيرة لذكر خديجة فقالت: كأن ليس في الأرض امرأة إلا خديجة[٢٢]

وكانت ذكرى السيدة خديجة تسر رسول الله(ص) فرويت عائشة قالت: سمع رسول الله صوت هالة بنت خويلد [٢٣] ،فقال: ما رأيت كاليوم صوتا أشبه بصوت أم هند– يعني خديجة – من هذا الصوت. قالت عائشة: فقلت : يا رسول الله ما يذكرك عجوزا من عجائز قريش

فغضب رسول الله غضبا شديدا لم أره غضب مثله قبله ولا بعده

ثم قال: لا تذكري ام هند، فقد كانت لها مني اثنتان أول من آمن بي، ورزقت مني الولد وحرمتيه[٢٤]

-**عمر السيدة خديجة حين الزواج:**_اشارت المصادر الأندلسية والمغربية إلى ذكر عمر السيدة خديجة عند زواجها من رسول الله(ص) بلغ عمرها أربعين سنة، وأقامت معه أربعاً وعشرين سنة، وتوفيت وهي بنت أربع وستين سنة وستة أشهر. وكان رسول الله(ص) تزوج السيدة خديجة وهو ابن إحدى وعشرين سنة[٢٥] وقيل ابن خمس وعشرين سنة وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة[٢٦] كانت أولى زوجاته ، ولم يتزوج عليها حتى

ماتت رضوان الله عليها[٢٧] في حين نجد المصادر المشرقية قد تطرقت إلى ذكر ذلك في معرض حديثها عن الأمر وتعددت الآراء عن مدى التفاوت والاختلاف في عمرها سلام الله عليها ويتراوح بين ال خمسة وعشرين[٢٨] إلى ستة واربعين[٢٩]

–خطبة رسول الله من السيدة خديجة(عليها السلام): ذكرت المصادر المغربية والأندلسية زواج السيدة خديجة من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وكانت معظم الروايات متشابهة من حيث مضمون القصة.

وعن أم سعد بنت سعد بن الربيع عن نفيسة بنت منية قالت: كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وهى يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الاموال فأرسلتني دسيساً إلى النبي بعد ان رجع من عيرها من الشام فقلت: يا محمد ما يمنعك ان تزوج قال: ما بيدى ما أتزوج به قلت: فان كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب قال: فمن هي قلت: خديجة قال: فكيف لي بذلك قالت: فأنا أفعل فذهبت فأخبرتها فأرسلت إليه أن ائت لساعة كذا وكذا فأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر[٣٠] وذكرت السيدة خديجة ذلك لورقة بن نوفل وهو ابن عمها، فقال: هو الفحل لا يقدع أنفه، تزوّجيه[٣١]

وكان عمه ابو طالب (عليه السلام) ممن حضر هذه المراسيم وألقى خطبة بين فيها عظم منزلة النبي محمد(ص) ،وجاء أبو طالب فخطبها الى أبيها فزوجه، وحضر الملأ من قريش، وقام أبو طالب خطيبا فقال: «الحمد للّه الّذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معدّ وعنصر مضر وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا أمناء بيته وسوّاس حرمه وجعلنا الحكّام على الناس وأنّ ابن أخي محمد بن عبد الله من قد علمتم قرابته وهو لا يوزن بأحد إلّا رجح به فان كان في المال قلّ فإنّ المال ظلّ زائل وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالي كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل . وكان عمر ورسول الله (ص) يومئذ ابن خمس وعشرين سنة وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة[٣٢]

–**زواجها السابق:** ذكرت المصادر التاريخية قضية زواج السيدة خديجة(ع) السابق وتعددت الروايات المغربية والأندلسية حول الأمر وكانت متشابهة في الطرح مع المصادر المشرقية، ذكرت بأنها كانت متزوجة قبل زواجها من رسول الله (ص) من أبي هالة بن زرارة بن نباش بن عدي بن حبيب بن صرد بن سلامة بن جروة بن أسيد بن عَمرو بن تميم التميمي، فولدت له هند[٣٣] وزاد ابن حزم الأندلسي واضاف كان له ابنة اسمها زينب. فأما هند بن هند فشهد أحدا، وسكن البصرة، وروى عنه الحسن بن علي بن أبي طالب. وأما الحارث فقلته أحد الكفار عند الركن اليماني[٣٤] وقيل ثم خلف عليها بعد أبي هالة عتيق ابن عائذ بن عبد اللَّهِ بن عَمرو بن مخزوم، ثم خلف عليها بعد عتيق المخزومي رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣٥] ومن المصادر من ذكرت بأنها كانت ثيباً [٣٦]

نلحظ من خلال ما طرحته الروايات التاريخية واستناداً إلى الروايات المشرقية وتحليل الباحثين وما توصلوا إليه بأن السيدة خديجة لم تتزوج بأي أحد قبل اقترانها بالنبي محمد (ص) وهو محض خيال من المؤرخين، لعدة اسباب منها : ما رواه ابن شهر اشوب "أن النبي تزوج بها وكانت عذراء" [٣٧] وخطبها عظماء قريش وبذلوا لها الأموال وممن خطبها عقبة بن أبي معيط والصلت بن أبي يهاب وأبو جهل وأبو سفيان[٣٨] فرفضتهم جميعاً لما عرفته فيه من كرم الأخلاق وشرف النفس والسجايا الكريمة العالية، ونكاد نقطع بسبب تضافر النصوص بأنها هي التي قد أبدت أولا رغبتها في الاقتران به ونشك في دعواهم تلك ونحتمل جدا أن يكون كثر مما يقال في هذا الموضوع قد صنعته يد السياسة [٣٩]

ويؤكد ذلك ما ذكر في كتابي الانوار والبدع ان رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة فضلاً عن ذلك لم يبق من اشراف قريش ومن ساداتهم ومن ذوي النجدة منهم الا من خطب السيدة خديجة ورام تزويجها فامتنعت على جميعهم من ذلك فلما تزوجها رسول الله غضب عليها نساء قريش وهجرنها وقلن لها :خطبك أشراف قريش وأمراؤهم فلم تتزوجي أحدا منهم وتزوجت محمدا يتيم أبي طالب فقيرا لا مال له، فكيف يجوز في نظر اهل الفهم ان تكون خديجة يتزوجها اعرابي من تميم وتمتنع من سادات قريش وأشرافها على ما وصفناه؟[٤٠]

–**أولادها:** اتفقت المصادر وعلى اختلافها بعدد أولاد السيدة خديجة فكونوا ستة وهم القاسم، والطيب، وفاطمة، وزينب، ورقية، وأم كلثوم[٤١] وقيل سبعة وكلهم انقرضوا إلا السيدة

فاطمة[٤٢] ولم يولد للنبي ولد إلا من السيدة خديجة(ع)[٤٣] ما خلا ابنه ابراهيم، فأنه ولد له من مارية القبطية[٤٤]

وأجمعوا المؤرخين بأن السيدة خديجة ولدت له أربع بنات كلهن أدركن الإسلام، وهاجرن، فهن: زينب، وفاطمة، ورقية، وأم كلثوم. زعم بعض العلماء أنها ولدت له ولدًا يسمى الطاهر. وقال بعض المؤرخين: ما نعلم بأنها ولدت له إلا القاسم، وولدت بناتها الأربع وقيل: ولدت له السيدة خديجة(ع) فاطمة، وزينب، وأم كلثوم، ورقية، والقاسم، والطاهر. وكانت زينب أكبر بنات النبي صلى الله عليه وآله .وقال قتادة: ولدت له خديجة غلامين وأربع بنات: القاسم وبه كَانَ يكنى، وعاش حَتَّى مشى. ، ثم مات القاسم بمكة، وهو أول ميت مات من ولده، وعبدالله مات صغيرًا أيضا بمكة[٤٥]

–**المحور الثاني: مكانة السيدة خديجة في المجتمع القرشي:** حازت السيدة خديجة(عليها السلام) على مكانة بارزة في المجتمع القرشي فكانت من النساء اللواتي حظين بدور متميز على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي، فهي تاجرة ولها تجارة واسعة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها وعمل فيها العديد من رجالات قريش، ورويت لنا بعض المصادر: كان لخديجة في كل ناحية عبيد ومواشي حتى قيل أن لها أزيد من ثمانين ألف جمل متفرقة في كل مكان، ولها في كل ناحية تجارة، وفي كل بلد مال مثل مصر والحبشة وغيرها[٤٦]

أ:تجارتها: انفرد القاضي النعمان دون غيره من المؤرخين المغاربة والأندلسيين في تطرقه للجانب التجاري للسيدة خديجة بنت خويلد(عليها السلام) فقد اورد بأن السيدة خديجة بنت خويلد كانت صاحبة مال كثير وعبيد ولها مضاربين لها يتاجرون في مالها، ويسافرون به إلى بلاد الشام. فلما اتصل بها عن رسول الله ما هو عليه من الأمانة والطهارة والصدق والعفاف أرسلت إليه، وسألته أن يخرج ببضاعة إلى الشام، ففعل وأرسلت معه غلاما يقاله له: ميسرة فجاءها بفضل واسع لم يأتها غيره. وأخبرها غلامها بما شاهده من فضله وآيات رآها فيه[٤٧]

وكان للعامل الاقتصادي الذي وفرته السيدة خديجة (ع) لرسول الله (ص) والتي كانت تمتلك حسبما يرى البعض عصب الاقتصاد في الجزيرة العربية كلها وقد أنفقت كل تلك الأموال

علـى المسـلمين فـي الظـروف الحرجـة التـي واجهوهـا، إبـان اضـطهاد قـريش وحصـارها الاقتصادي لهم(٤٨)

ومما يجب ذكره في هذا المورد، قال أبو عبيدة : إن رسول الله قال: ما نفعني مال قط مثل ما نفعني مال خديجة (عليها السلام) وكان رسول الله يفك من مالها الغارم والأسير ويحمل الكل ويعطي في النائبة ويرفد فقراء أصحابه إدد كان بمكة ويحمل من أراد منهم الهجرة، وكانت قريش إذا رحلت عيرها في الرحلتين يعني –رحلة الشتاء والصيف– كانت طائفة من العير لخديجة وكانت أكثر قريش مالا وكان (ص) ينفق منه ما شاء في حياتها ثم ورثها هو وولدها بعد مماتها(٤٩)

ب:دورها في الوحي: لم تمدنا المصنفات المغربية والأندلسية بالشيء الكثير عن الدور المؤثر الذي قامت به السيدة خديجة بنت خويلد (عليها السلام) ومساندتها لرسول الله(ص) في بداية نزول الوحي عليه فلم نعثر إلا على روايات قليلة، منها ما حدث مع رسول الله(ص) في بداية نزول الوحي عليه وهو بغار حراء والحالة التي اعترته من نزول القرات الكريم عليه ورجع إلى السيدة خديجة واخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت عليها السلام: كلا والله: ما يخزيك الله ابداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق(٥٠)

منها ما ذكرها ابن عبد البر قَال: وحدثني إسماعيل بن أبي حكيم ،أنه بلغه عن خديجة أنها قالت لرسول الله (ص): يا بن عم، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك إذا جاءك– تعني جبرائيل عَلَيْهِ السلام– فلما جاءه جبرائيل عليه السلام قَال: يا خديجة، هذا جبرائيل قد جاءني، فقالت له: قم يا بن عم فاقعد على فخذي اليمنى، ففعل، فقالت: هل تراه؟ قَالَ: نعم. قالت: فتحول إِلَى اليسرى، ففعل، فقالت: هل تراه؟ قَال: نعم. قالت: فاجلس فِي حجري، ففعل، فقالت: هل تراه؟

قَال: نعم، فألقت خمارها وحسرت عن صدرها، فقالت: هل تراه؟ فقال:

لا، قالت: أبشر، فإنه والله ملك، وليس بشيطان(٥١)

نلحظ من الرواية هناك يد تريد التقليل من ايمان السيدة خديجة فالقصة مكذوبة وهي محاولة لصرف الاذهان عن سبق السيدة خديجة(ع) للإيمان بالنبي وبالرسالة الاسلامية وبنظرة من

التعقل والحكمة الى هذه الرواية السقيمة نتساءل هل يعقل أن خديجة وهي أول من آمن بمحمد أن تقوم بمثل هذه التجارب؟ ولتختبر من: محمد أم جبرئيل؟ وهل النبي في حاجة لهذا الاختبار؟ أم ان النبي أصبح يأخذ العلم بطبائع الملائكة ودلائل الوحي من خديجة. ففي واقع هذا الخبر الكاذب قبل ان يكون تشويهاً وتشكيكاً في ايمان السيدة خديجة هو في الحقيقة طعن في رسول الله(ص) حيث يتضمن تلميحاً بأنه لم يكن مطمئنا بأنه نبي ورسول الله تعالى وكان شاكا في نبوة نفسه وكان يخشى ان يكون قد أصابه مس من الشيطان. لا بد من التأكيد على ان هذه الرواية من ناحية السند رواية مكذوبة لأنها مروية عن طريقين فيها انقطاع ولا يوجد واحد ممن رواها أدرك عصر الواقعة ليحدث عنها وقال عنها الألباني (ضعيف) [٥٢]

وذكر ابن خلدون بأن السيدة خديجة(ع) كانت تسأله عن أحبّ الثّياب إليه أن يأتيه فيها فقال: البياض والخضرة فقالت إنّه الملك يعني أنّ البياض والخضرة من ألوان الخير والملائكة والسّواد من ألوان الشّرّ والشّياطين وأمثال ذلك[٥٣]

وكان رسول الله(ص) يخبرها بما يأتيه من قبل أن يتنبأ به، وما يراه في منامه، وتخبره هي بقول ورقة بن نوفل، فلما أتاه الوحي من عند الله عز وجل بالرسالة أخبرها بذلك ودعاها إلى الإسلام، فأسلمت، فكانت أول من أسلم، ثم دعا عليا من غد، فأسلم، وكان رسول الله(ص) إذا دعا قومه نالوا منه وهموا به منعه منهم عمه أبو طالب وكان سيداً مطاعاً فيهم، وكان يأتي خديجة مغموماً لما يناله منهم، فتهدئه، وتصبره، وتهون عليه. وبذلت ما لها له، فكان ذلك مما يعزبه[٥٤]

ج:موازرة السيدة خديجة (عليها السلام) المعنوية للرسول محمد(صلى الله عليه وآله وسلم): تمثلت المؤازرة المعنوية للسيدة خديجة (عليها السلام) بمراحل عديدة منها:

–**التصديق والايمان المبكر:** من الخصال التي تميزت بها السيدة خديجة (عيها السلام) تصديقها وايمانها الكبير برسول الله(ص)، وهذا الامر يُعد أهم من المؤازرة المادية فكانت (عليها السلام) تخفف عنه ما يتعرض له من أذى قومه من الظلم والتكذيب من قريش، وكانت السيدة خديجة بنت خويلد من الاوائل ممن آمن بالله عز وجل ورسوله، والله عز وجل يقول وهو أصدق القائلين: والسابقون السابقون أولئك المقربون [٥٥] وبشرها رسول الله(ص)

بالجنة وآتاها جبرائيل عن الله عز وجل، وكانت أول من عرفه رسول الله(ص) من النساء ، ولم يعرف من النساء امرأة قبلها ، اجمع الرواة جمعيهم، قالوا: خديجة أول من آمن بالله من الرجال والنساء ولم يستثنوا أحدا[٥٦]

وروي عن ابن عباس قال: كان علي بن أبي طالب(ع) أول من آمن بالله من الناس بعد خديجة. وقال ابن إسحاق: كانت خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله ورسوله وصدق محمداً فيما جاء عن ربه وآزره على أمر، فكان لا يسمع من المشركين شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له إلا وفرج الله عنه ، فكانت(ع) تثبته وتصدقه، وتخفف عنه، وتهون عليه ما يلقى من قومه[٥٧]

–**الدعوة الاسلامية:** بالرغم من أهمية موقف السيدة خديجة من الدعوة الاسلامية ودعم الرسول الاكرم إلا أن المصادر المغربية والأندلسية لم تشير بشكل واسع إلى ذلك، ومنها موقفها المعنوي المساند والداعم للرسول محمد(ص) في بدة الدعوة الاسلامية، ورافقت السيدة خديجة النبي(ص) في فجر دعوته وفي أحلك الظروف، واشدها قسوة وأعظمها بلاء ومحنة، وعانت مثل ما عاناه النبي(ص) من ضروب المحن والخطوب فقد تنكرت لها قريش وهجرتها نسوتهم، وقوبلت بمرارة القول ، والسب وقد خلت إلى الصبر وتحملت في سبيل الاسلام الكثير من الالام والخطوب مبتغية الأجر من الله تعالى[٥٨] وأدت دوراً محورياً في بدايات الدعوة الاسلامية وشهدت الأحداث الكبيرة للمرحلة المكية بكل تفاصليها وبقربها من النبي(ص) وتتابعها للتطورات والمعضلات الجارية عن كثب مما يعني أن لديها مخزوناً كبيراً من المعلومات المهمة ورؤية واضحة لمستقبل الرسالة [٥٩]

ونعرض إلى شذرات من المراحل التي شهدتها السيدة خديجة(ع) ونورد روايات منها، ما جرى في غار حراء عندما اتخذه النبي(ص) مقراً له بعيداً عن ضوضاء الحياة وبعيداً عن مخالطة الناس ومجالستهم وكان غار حراء مصدر النور والوعي في هذا الكوكب وكان يعبد الله تعالى ويوحده ويقفل راجعاً إلى بيته، وهو مثقل بالتعب والعناء فتستقبله السيدة خديجة ببسماتها الفياضة بالبشر، وتسأله عن حاله فيخبرها عن أفكاره وآماله ويحدثها النبي(ص) بما جرى له وتبعث السيدة خديجة(ع) في نفسه الاطمئنان[٦٠] قائلة له: "والله لا يخزيك الله

ابداً إنك لتصل الرحم وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر" (٦١)

وسارعت السيدة خديجة(ع) إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان يدين بالنصرانية وعارفاً بالكتب المقدسة فأخبرته بما رأى النبي(ص) .فقال ورقة بن نوفل: قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وإنه لنبي هذه الأمة فقولي له: فليثبت(٦٢)

وأخذت السيدة خديجة(ع) على عاتقها مهمة تسهيل الأمر للنبي(ص) وتدعو له بالنصر وتحمله على أداء الرسالة الإلهية.

د:وفاة السيدة خديجة بنت خويلد (عليها السلام): اختلف المؤرخون في تحديد وقت وفاة السيدة خديجة (ع) وتعددت الآراء حول ذلك، فقيل أنها توفيت قبل أن تفرض الصلاة، أي في شهر رمضان السنة العاشرة قبل الهجرة بثلاث سنوات(٦٣) ولم يتزوج غيرها رسول الله(ص) حتى ماتت(٦٤)

فذكر ابن عبد البر، بأنها توفيت قبل الهجرة بخمس سنين(٦٥) وقيل قبل أن تفرض الصلاة وذلك بعد مبعث النبي (صلى الله عليه وآله) بسبعة أعوام (٦٦)

ولم يتزوج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على السيدة خديجة(ع) في حياتها حتى ماتت وكان عمرها حين توفيت خمس وستون سنة ، قال حكيم بن حزام : توفيت خديجة فخرجنا بها من منزلها حتى دفناها بالحجون ونزل رسول الله (ص) في حفرتها ولم تكن يومئذ سنة الجنازة الصلاة عليها(٦٧) اشار القرطبي إلى بلوغ السيدة خديجة خمس وستون سنة ويجب الالتفات إلى هذه النقطة فالواقع يشير إلى وفاتها عن عمر ناهز الخمسون عاماً باتفاق الفريقين إذ أنها عاشت قبل الرسول(ص) خمسة وعشرين عاماً ومعه خمسة وعشرين عاماً، خمس عشرة سنة قبل البعثة وعشر سنوات بعد البعثة(٦٨)

الخاتمة

وأخيرا وبعد اتمام البحث بعون الله سبحانه وتعالى تمكنت الباحثة من الخروج بنتائج عدة منها:

١. تبين لنا مكانة السيدة خديجة بنت خويلد(عليها السلام) لدى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وما خصها به من أحاديث تدل على عظمة مكانتها الجليلة وكان دائم الذكر لها في كل موقف ومناسبة.
٢. لم تمدنا المصنفات المغربية والأندلسية بمعلومات وافية تشمل جميع محطات حياتها واغفلت عن ذكر الكثير من جوانب حياتها مثل دورها الاقتصادي وكانت السيدة خديجة بنت خويلد(ع) تمثل العصب التجاري في الجزيرة العربية، حصارها في الشعب مع بني طالب.
٣. الصقت الكثير من الروايات المكذوبة والتي تقلل من شأن السيدة خديجة بنت خويلد(ع) منها قضية زواجها السابق قبل رسول الله(ص) وروايات نزول الوحي على الرسول وموقف السيدة خديجة بنت خويلد منها.
٤. تشابهت الروايات المغربية والأندلسية والمشرقية في سرد المعلومات المتعلقة في المواضيع التي تخص سيرتها وعدد أولادها وسنة وفاتها رضوان الله عليها.

الهوامش:

(٢) القاضي النعمان(ت٣٦٣هـ)، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تح: السيد محمد الحسيني الجلالي، (مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، د.ت)،ج٣، ص١٥؛الجزي، ابي عبد الله محمد بن محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله(ت ٧٥٨هـ)،الانوار في نسب ال النبي المختار ،تح: السيد مهدي الرجائي،(ط١، مركز الدراسات الاسلامية، قم المقدسة، ١٤٣١هـ)، ص٢١.

(٣) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي(ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ،تح: علي محمد البجاوي(ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م)،ص١٧١٨

(٤) ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي (ت٤٥٦هـ)،جمهرة أنساب العرب، تح: لجنة من العلماء،(ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت،١٩٨٣م)،ص١٦.

(٥) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ،(ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا،(ط١، دار الكتب العلمية ،بيروت،١٩٩٠م)، ج٨،ص١٣.

(٦) الواقعة: اية ١١.

(٧) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، (ط٢، مؤسسة الوفاء،١٤٠٣هـ) ،ج٣٩،ص٥٦.

(٨) ابن عبد البر، الاستيعاب ، ص١٧١٨. وهذا ما ذكرته المصادر المشرقية ،الحلبي، علي بن ابراهيم(ت ١٠٤٤هـ)، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون،(ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ)،ج١،ص١٩٩.

(٩) القاضي النعمان، شرح الأخبار،ج٣،ص٢٢.

(١٠) ابن عبد البر، الاستيعاب ، ص١٨١٩؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٣، ص١٩.

(١١) ابن عبد البر، الاستيعاب ، ص١٨٢٠.

(١٢) ابن عبد البر، الاستيعاب ص١٨٢٤.

(١٣) ابن عبد البر، الاستيعاب، ص١٨٢١؛ البري، الجوهرة،ص١٧.

(١٤) ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن (ت٥٤١هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تح عبد السلام عبد الشافي محمد،(ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م)،ج١،ص٤٣٣.

(١٥) ابن عبد البر، الاستيعاب، ص١٨٢١.

(١٦) ابن عبد البر، الاستيعاب، ص١٨٢٢.

(١٧) القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٣، ص١٧.

(١٨) القرشي، حسين الشيخ هادي، السيدة خديجة أم المؤمنين،(النجف الأشرف،٢٠١٣م)، ص٦.

(١٩) اليحصبي، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى (ت٥٤٤هـ) ،الشفا بتعريف حقوق المصطفى – مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع ،١٩٨٨م)،ص ١٢٦.

(٢٠) ابن عبد البر، الاستيعاب ص١٨٢٣–١٨٢٤.

(٢١) السادة، مجتبى، مظلومية أم المؤمنين السيدة خديجة، بحث منشور، مجلة العقيدة، العدد الثالث والثلاثون،٢٠٢٥م، ص٧٧.

(٢٢) القاضي النعمان، شرح الأخبار،ج٣، ص ١٨.

(٢٣) هالة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشية الأسدية اخت خديجة ووالدة أبي العاص بن الربيع. القاضي النعمان، شرح الأخبار،ج٣، ص٢٠.

(٢٤) القاضي النعمان ص ٢٠

(٢٥) ابن عبد البر، الاستيعاب،ص١٨١٨.

(٢٦) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ص٤٠٩.

(٢٧) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد،ص٧.

(٢٨) البيهقي، دلائل النبوة، ج٢،٧١؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج٢، ص٢٩٤–٢٩٥.

(٢٩) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ)،جمل من أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار، رياض الزركلي،(ط١،دار الفكر، بيروت،١٩٩٦م)، ص٩٨.

(٣٠) ابن سيدة الناس، محمد بن عبد الله بن يحي ابن سيد الناس(ت٧٣٤هـ)، السيرة النبوية المسمى عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير،(مؤسسة عز الدين،١٩٨٦م)، ج١، ص٧٣.

(٣١) ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه(ت٣٢٨هـ) ،العقد الفريد،(ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ)،ص٩٦؛ ابن سيدة الناس، ج١، ص٧٢.

(٣٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت٨٠٨هـ)،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة،(ط٢، دار الفكر، بيروت،١٩٨٨م)،ص٤٠٩.

(٣٣) القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٣، ص١٥.

(٣٤) ابن حزم، جوامع السيرة ،ص٣٢.

(٣٥) ابن عبد البر، الاستيعاب،١٧–١٨.

(٣٦) الجزي،الانوار في نسب ال النبي المختار،ص٢٢.

(٣٧) مناقب ال ابي طالب ،(قم المقدسة، ١٣٧٩هـ)،ص ١٥٩.

(٣٨) المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٦، ص٢٢.

(٣٩) العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، مؤسسة دار الحديث، قم المقدسة، د.ت)، ج٢، ص١٩١.

(٤٠) العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ج٢، ص٢٠٩.

(٤١) ابن عبد ربه ،العقد الفريد،ص٧؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، تح: لجنة من العلماء،(ط١،دار الكتب العلمية ، بيروت،١٩٨٣م)،ج١،ص١٦.

(٤٢) الجزي، الأنوار، ص٢٢؛ التلمساني، ابن عبدالله احمد بن محمد، وزهرة الاخبار في تعريف انساب ال النبي المختار ، (ط١، فأس، ١٣٤٩هـ)، ص١٨.

(٤٣) القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٣، ص١٥ .

(٤٤) مصرية الأصل أهداها المقوقس عامل الاسكندرية فتزوجها وتوفيت (١٦هـ).ينظر القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٣، ص١٥.

(٤٥) ابن عبد البر، الاستيعاب، ص١٨١٨.

(٤٦) ابن عبد البر، الاستيعاب، ص١٨١٨.

(٤٧) المجلسي، بحار الانوار، ج١٦، ص٢٢.

(٤٨) العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم،ج٢، ص١٣٢.

(٤٩) الطوسي، محمد بن حسن(ت٤٦٠هـ)،الامالي،(ط١، دار الثقافة، قم المقدسة،١٤١٤هـ)،ج١،ص

(٥٠) ابن شقة، عبد الحليم محمد، تحرير المرأة في عصر الرسالة،(ط خمسة، دار القلم، القاهرة،١٩٩٩م)،ص١٩١.

(٥١) ابن عبد البر، الاستيعاب، ص١٨٢٠.

(٥٢) السادة ، مجتبى، بحث منشور، مجلة العقيدة، العدد الثالث والثلاثون،٢٠٢٥م،ص٩٢– ٩٣.

(٥٣) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة،(ط٢،دار الفكر، بيروت،١٩٨٨م)،ص١١٦.

(٥٤) القاضي النعمان، شرح الأخبار،ج٣، ص١٦–١٧؛ التلمساني، زهر الأخبار، ص١٧.

(٥٥) ابن عبد البر، الاستيعاب ، ص١٧١٨. وهذا ما ذكرته المصادر المشرقية ،الحلبي، علي بن ابراهيم(ت ١٠٤٤هـ)، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون،(ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ)،ج١،ص١٩٩.

(٥٦) ابن عبد البر، الاستيعاب ، ص١٨١٩؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٣، ص١٩.

(٥٧) ابن عبد البر، الاستيعاب ، ص١٨٢٠.

(٥٨) القرشي، حياة أم المؤمنين خديجة، ص٦٩.

(٥٩) السادة، مظلومية أم المؤمنين،ص٤١.

(٦٠) القرشي، حياة أم المؤمنين خديجة، ص ٧٠ –٧١.

(٦١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، تح: مصطفى عبد الواحد،(دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، لبنان، ١٩٧٦م)، ج١، ص٣٨٦.

(٦٢) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري(ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية،تح: طه عبد الرءوف سعد،(شركة الطباعة الفنية المتحدة، د.ت)،ج١،ص٢٢٢.

(٦٣) ابن حزم الأندلسي، جوامع السيرة، تح: إحسان عباس، (ط١،دار المعارف ، مصر، ١٩٠٠م)، ج١،ص٣١.

(٦٤) القاضي النعمان، شرح الأخبار،ج٣، ص ١٨.

(٦٥) الاستيعاب ، ص١٤٢٥.

(٦٦) ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تح: مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير، (وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية،المغرب،١٣٨٧هـ)، ج٨، ص٥١.

(٦٧) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تح: هشام سمير البخاري،(دار عالم الكتب ، المملكة العربية السعودية،٢٠٠٣م)،ج١٤، ١٦٣.

(٦٨) الطائي، نجاح، السيرة النبوية، (ط١، دار الهدى لإحياء التراث، بيروت،٢٠٠٥)،ج١، ص١٥٠.

قائمة المصادر والمراجع:

١. القاضي النعمان(ت٣٦٣هـ)، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تح: السيد محمد الحسيني الجلالي، (مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، د.ت).

٢. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي(ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ،تح: علي محمد البجاوي(ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م).

٣. ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تح: مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير، (وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية،المغرب،١٣٨٧هـ).

٤. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ،(ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا،(ط١، دار الكتب العلمية ،بيروت،١٩٩٠م).

٥. المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، (ط٢، مؤسسة الوفاء،١٤٠٣هـ).

٦. الحلبي، علي بن ابراهيم(ت ١٠٤٤هـ)، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون،(ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ).

٧. ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن (ت٥٤١هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تح عبد السلام عبد الشافي محمد،(ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م).

٨. اليحصبي، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى (ت٥٤٤هـ) ،الشفا بتعريف حقوق المصطفى – مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع ،١٩٨٨م).

٩. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ)،جمل من أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار، رياض الزركلي،(ط١،دار الفكر، بيروت،١٩٩٦م).

١٠. ابن سيدة الناس، محمد بن عبد الله بن يحي ابن سيد الناس(ت٧٣٤هـ)، السيرة النبوية المسمى عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير،(مؤسسة عز الدين،١٩٨٦م).

١١. الجزي، ابي عبد الله محمد بن محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله(ت ٧٥٨هـ)،الانوار في نسب ال النبي المختار ،تح: السيد مهدي الرجائي،(ط١، مركز الدراسات الاسلامية، قم المقدسة، ١٤٣١هـ).

١٢. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت٨٠٨هـ)،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة،(ط٢، دار الفكر، بيروت،١٩٨٨م).
١٣. ابن حزم، ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي (ت٤٥٦هـ)،جمهرة أنساب العرب، تح: لجنة من العلماء،(ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت،١٩٨٣م).
١٤. ابن حزم الأندلسي، جوامع السيرة، تح: إحسان عباس، (ط١،دار المعارف ، مصر، ١٩٠٠م).
١٥. ابن شهر آشوب، أبي جعفر محمد بن علي(ت٥٨٨هـ)،مناقب ال ابي طالب ،(قم المقدسة، ١٣٧٩هـ).
١٦. التلمساني، ابن عبدالله احمد بن محمد، زهرة الاخبار في تعريف انساب ال النبي المختار ، (ط١، فأس، ١٣٤٩هـ).
١٧. الطوسي، محمد بن حسن(ت٤٦٠هـ)،الأمالي،(ط١، دار الثقافة، قم المقدسة،١٤١٤هـ).
١٨. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تح: هشام سمير البخاري،(دار عالم الكتب ، المملكة العربية السعودية،٢٠٠٣م).

المراجع:

١. القرشي، حسين الشيخ هادي، السيدة خديجة أم المؤمنين،(النجف الأشرف،٢٠١٣م).
٢. العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، مؤسسة دار الحديث، قم المقدسة، د.ت).
٣. ابن شقة، عبد الحليم محمد، تحرير المرأة في عصر الرسالة،(ط خمسة، دار القلم، القاهرة،١٩٩٩م).
٤. يماني، عبده، أم المؤمنين خديجة بنت خويلد سيدة في قلب المصطفى،(ط١،مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ٢٠٠٠م).

البحوث المنشورة:

١. السادة، مجتبى، مظلومية أم المؤمنين السيدة خديجة، بحث منشور، مجلة العقيدة، العدد الثالث والثلاثون،٢٠٢٥م).

أثر الشعر
في توجيه الولاءات إبّان عصر الطوائف

م. م محمد فاتح ابراهيم عبد الهادي

أ.د. يحيى محمد علي

كلية التربية/ ابن رشد للعلوم الانسانية/ جامعة بغداد

أثر الشعر في توجيه الولاءات إبّان عصر الطوائف

م. م محمد فاتح ابراهيم عبد الهادي
أ.د. يحيى محمد علي

الملخص

ابرز ما ركز عليه بحثنا هذا هو اثر الشعر في توجيه الولاءات اثناء عصر الطوائف الاندلسية , حيث كان للشعر فِعل في تكوين الولاءات من عدمها خلال الحُقبة السياسية الحرجة التي مَرّ بها التاريخ الإسلامي في الاندلس الا وهي حُقبة حُكم ملوك الطوائف.

كلمات مفتاحية: أثر، الشعر، التوجيه، الولاءات، عصر الطوائف.

The Impact of Poetry on Directing Loyalties During the Taifa Period

Muhammad Fatih Ibrahim
Supervised by: Prof. Dr. Yahya Muhammad Ali
College of Education/Ibn Rushd for Human Sciences/University of Baghdad

Abstract

This research focuses on the impact of poetry on directing loyalties during the Taifa period in Andalusia. Poetry played a significant role in shaping or disshaping loyalties during this critical political era in Islamic history in Andalusia, namely the rule of the Taifa kings.

Keywords: Impact, Poetry, Directing, Loyalties, Taifa Period

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين ابو القاسم محمد وعلى آله وصحبه الطاهرين وبعد...

اجاب رسولنا الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم حينما سُئل عن الشعر بالقول: "هو كلام فحسنه حَسِن وقبيحهُ قبيح "

هذا وقد وصف الشعر بأنه (ديوان العرب) وبأنه (لُب المرء) , ولم تأتي تلك الاوصاف اعتباطاً , بل جاءت بناءً على ما للشعر من اهمية كبيرة واثر فعّال في نفسية العرب بصورة عامة والمسلم بصورة خاصة.

ومن هذا المنطلق توجهنا نحو اعداد بحثنا هذا من اجل تسليط الضوء على اثر الشعر في توجيه ولاءات اهل الاندلس او تشتيتها إبان عصر ملوك الطوائف الاندلسية, فقد كان اثناء تلك المرحلة السياسة نوعين من الشعر السياسي , احدهم حاول اظهار صورة اولئك الحُكام بالصورة البطولية , محاولين عن طريق ذلك كسب ولاء الرعية لِحُكامهم , اما النوع الثاني فكان على العكس من ذلك حيث كان اصحابه يهدفون لغاية مُغايرة عن غاية غرمائهم.

تضمن البحث ثلاث محاور وهي على النحو الآتي:

الاول: طبيعة الحياة الشعرية اثناء عصر الطوائف

الثاني: اثر الشعر الموالي لِحُكام الطوائف على سُلطة اولئك الحُكام

الثالث: اثر الشعر غير الموالي لِحُكام الطوائف على سُلطة اولئك الحكام

أولاً: طبيعة الحياة الشعرية أثناء عصر الطوائف

شغل الشعر عند الأندلسيين بصورة عامة مكانة عظيمة، وأصبح وسيلة ترفع صاحبها الى أسمى المراتب[١]، حيث مثل احد جوانب الحضارة العربية بالأندلس[٢], وربما صار يُجسد السمة الأدبية العامة في بلاد الأندلس[٣].

بالرغم من حالة الاضطراب والانقسام واختلاف الرأي، التي سادت في عصر الطوائف، إلا أن هذه المدة قد وصفت بالازدهار الثقافي بصورة عامة والأدبي بصورة

خاصة؛ إذ أسهمت بلاطات حُكام الطوائف في ذلك الازدهار عن طريق التنافس في استقطاب رجال العلم والأدب لاسيما الشعراء منهم, وتقديم الجوائز لهم[٤].

هذا وتم وصف هذا العصر بأنه "عصراً عرفت فيه اسبانيا أكبر إشراق شعري... فقد كان الشعر مُكرماً حينئذٍ في كل المدن التي أصبحت عواصم الطوائف... وكثر الشعراء حتى ظهروا بين سائر طبقات الناس..."[٥].

وردت في المصادر التاريخية عدة نصوص دلّت على أهمية الشعر واتساعه في هذا العصر نورد البعض منها، مثل قول ابن بسام[٦] الذي جاء فيه: "فصبوا على قوالب النجوم غرائب المنثور والمنظوم وباهوا غرر الضحى والأصائل، بعجائب الأشعار والرسائل..."؛ كما قال عند حديثه عن اشبيلية: "وصارت مجمعاً لصوب العقول وذوب العلوم، وميداني فرسان المنثور والمنظوم، لاسيما في أول المائة الخامسة من الهجرة حين فرح كل حزب بما لديه، وغلب كل رئيس على ما في يديه..."[٧]؛ ثم قال حين وصف قرطبة: "فلا يكاد بلد منها يخلو من كاتب ماهر، وشاعر قاهر..."[٨].

وللمقري[٩] أيضاً رأيه في ذلك إذ قال: "والشعر عندهم له حظ عظيم، وللشعراء من ملوكهم وجاهة، ولهم عليهم وظائف، والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة، ويوقّع لهم بالصلات على أقدارهم...".

وبالرغم من أن للشعر بصورة عامة أغراض عدة، إلا أننا يمكن أن نقسم الشعر أثناء هذا العصر الى نوعين رئيسيين الأول شعر اقتصر على بلاطات الحكم المُغلقة إذ نأى بنفسه عن مجتمعه[١٠]، وقد أُطلق على شعراء هذا النوع، اسم المختصين أو المُنتمين، الذين حازوا على رسوم سنوية وجوائز لقاء ما يقدموه من شعر[١١]، أما النوع الثاني فهو شعر العامة، الذي راح يُعبّر عن الألم والحسرة والمعاناة[١٢].

وبناءً على ذلك يرى الباحث أنه بالإمكان أن نطلق على شعراء هذين النوعين اسم الشعراء الموالين والشعراء غير الموالين لحُكام الطوائف.

ثانياً: أثر الشعر الموالي لحُكام الطوائف على سُلطة أولئك الحُكام

اتجه عدد من الشعراء أثناء عصر الطوائف، نحو إظهار موالاتهم لحُكام هذا العصر عن طريق أشعارهم التي حاولوا بواسطتها تدليس الحقائق[١٣]، وتلبيس الحق بالباطل، فكانوا يصورون الهزيمة نصراً، والخضوع للعدو واعطاءه الأموال، سلماً وسياسة، وحاولوا أن يقنعوا الشعب الأندلسي بذلك[١٤]، عن طريق استعمال المديح لأولئك الحُكام حيث وصفوهم بصفات الورع والتُقى وحماية المسلمين[١٥]، فضلاً عن تغنيهم ببطولات ممتدحيهم وأمجادهم في الحروب وكرمهم وسخائهم وأصالة أنسابهم[١٦]؛ وفي مقابل ذلك بذل حكام الطوائف الكثير من أجل الحصول على مدح وثناء مثل أولئك الشعراء[١٧]؛ وبعبارة أخرى قاموا بشراء ذممهم.

ومن نماذج أولئك الشعراء الشاعر ابن زيدون[١٨]، الذي اشتهر بمدحه لبنو جهور وتقربه منهم، بواسطة أشعاره، ومنها:

يَـا بَنـي جَهـوَرٍ الـدّنيَا بِكُـم ... حَلِيَـت أيامُهَـا بَعـدَ العَطَـل
إنّمـا دَولَـتُكُم واسِـطَة ... أهـدَتِ الحُسـنَ إلـى عِقدِ الـدّوَل
نَحـنُ مِـن نَعمَـائِكُم فـي زَهـرَةٍ ... جَـدّدَت عَهـدَ الرّبِيـعِ المُقتَبَـلِ[١٩]

كذلك الشاعر ابن وهبون[٢٠]، الذي اشتهر بمدحه لبنو عباد وتحديداً لشخص المعتمد بن عباد، إذ يقول:

محـل ألـبس الـدنيا جمـالاً ... وإن فضـح المقاصـر والخـلالا
بنـاه كمـا بنـى العليـاء بـانٍ ... يشـيد مـآثراً ويبيـد مـالا[٢١]

كما اشتهر ابن اللبانة[٢٢]، بغزارة شعره المادح لسياسة المعتمد بن عباد مهما كانت توجهاتها، فهو يقول فيه:

في نصرة الدين لا أعدمت نصرتَه ... تلقـى النصـارى بمـا تُلقـي فتنخـدعُ
تنـيلُهم نعمـاً فـي طيهـا نقـمُ ... سيستضـرُّ بهـا مـن كـان ينتفـعُ
وقلمـا تسـلمُ الأجسـامُ مـن عَـرضٍ ... إذا تـوالى عليهـا الـريُّ والشـبعُ

لا يخبطُ الناس عشوا عند مشكلةٍ فأنت أدرى بما تأتي وما تدعُ[٢٣]

وقد علّق ابن بسام[٢٤] على هذه الأبيات الشعرية مستهجناً لها بالقول: "وهذا مدح غرور، وشاهد زور، وملق معتف سائل، وخديعة طالب نائل، وهيهات... أيقن النصارى بضعف المنن، وقويت أطماعهم بافتتاح المدُن، واضطرمت في كل جهة نارهم، ورويت من دماء المسلمين أسنتهم وشفارهم، ومن أخطأه القتل فإنما هو بأيديهم سبايا، يمتحنونهم بأنواع المحن والبلايا، حتى دنوا مما أرادوه من التوثب وأشرفوا على ما أملوه من التغلب".

ان سبب استهجان صاحب كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، هو تحريف الحقائق، فابن اللبانة يبين في أبياته الشعرية، ان الممدوح يقوم بدفع الأموال لحُكام الممالك النصرانية لغرض نصرة الإسلام، إذ يخدعهم بهذا العمل ويصور لهم إن ما يقوم به نعمة لهم بينما هو نقمة في حقيقة الأمر[٢٥].

وقال في مدح ابن عباد أيضاً:

ملكٌ إذا عقد الضفائر للبواغي حلَّ الملوكُ معاقدَ التيجان
وإذا غدت راياتهُ منشورةً فالخافقان لهنّ في خفَقانِ
يا منشئ العلياء بعد مماتها تفنى النجوم وما ثناؤك فانِ
الأرض حاجتها إليك بطبعها كالعين حاجتها الى الإنسانِ[٢٦]

كما قال:

يجري النهارُ الى رضاك وليلهُ وكلاهما متعاقبٌ لا يسامُ
فكأنما الأصباحُ تحتك أشقر وكأنما الأظلام تحتك أدهمُ
وكأن خاطفة البروق قد التظت صفحات سيفكَ قد علاهن الدمُ[٢٧]

وفي الغرض ذاته أنشد أيضاً:

يا من عليه من المكارم والعُلى بُرد بتطريز المحامدِ معلمُ
هل نظرة توحي إليّ وعطفة تندى عليّ ورأفة تترحمُ

وعسى أراك بحيث ينبعث الندى فلقد رأيتكَ حيث ينبعثُ الدمُ[٢٨]

هذا وقد عُرف عن ابن اللبانة اخلاصه لبنود عباد وتحديداً للمعتمد بن عباد[٢٩]، وفي ذلك نورد نص لابن بسام[٣٠] قال فيه عنه: "فوفِد هنالك على المعتمد وفادة وفاء لا وفادة استجداء، وانقطع إليه انقطاع وداد، لا انقطاع استرفاد".

ومن الشعراء الأندلسيون الذين مدحوا حُكام الطوائف، لغرض إظهار حبهم وولائهم لهم الشاعر ابن الجاخ[٣١] الذي عبّر عن حبه واعجابه للمعتضد بن عباد بأبيات شعرية منها:

يا أيها الملك المؤمل والذي قدماً سما شرفاً على الأنداد
إن القريض لكاسدٌ في أرضنا وله هنا سوق بغير كسادِ
فجلبت من شعري إليك قوافياً يفنى الزمان وذكرها متمادي
من شاعر لم يضطلع ادباً ولا خطت يداه صحيفة بمداد[٣٢]

هذا وللشاعر ابن المصيصي[٣٣]، ابيات شعرية نضمها بحق المعتمد بن عباد يهون فيها عليه موالاته للنصارى وتقديم الأموال لهم، ويصور هذا العمل انجاز لسيده، إذ قال:

ولم تطو دُونَ المسلمين ذخيرةً تهين كرام المنفسات لتكرما
تحيّل في فكّ الأسارى وإنّما تعاقد كفّارا لتطلق مسلما
وما كنت ممّن شحّ بالمال والقنا فتكنز دينارا وتركز لهذما[٣٤]

فترسله للصّفر أصفر عسجداً[٣٥] وإن خالفوا أرسلت أبيض مخذما[٣٦][٣٧]

وعليه فقد استُعمل الشعر كأداة لإظهار الولاء من عدد من الشعراء الذين لم يترددوا في قلب الحقائق وتصوير التخاذل انتصار، محاولين في ذلك التأثير على الطبقة العاملة لاسيما البسطاء منهم، واستقطاب ولائهم بواسطة الكلمات المُنمَقة.

ثالثاً: أثر الشعر غير الموالي لحُكام الطوائف على سُلطة أولئك الحُكام

ظهر أثناء هذا العصر شعراء كُثر وظفوا أشعارهم لنقد سياسات حُكام الطوائف، محاولين عن طريق ذلك التعبير عن رفضهم لتلك السياسات التي أرهقت البلاد وأثقلت العِباد بالمصائب والضرائب من جهة، وتنبيه أولئك الحُكام لسوء أعمالهم وارجاعهم الى جادة الصواب, والعدول عن الطريق الذي ساروا فيه[٣٨]، إن أمكن، ولإنقاذ ما يمكن إنقاذه من جهة ثانية، الأمر الذي وضعهم في محل المواجهة والمجابهة لأولئك الحُكام، فمن المعلوم أن مثل هكذا أشعار تؤدي الى نفور الرعية من حكامهم، وإبعاد الولاء الشعبي عنهم، مما يجعل هذا الشعر شعر مُضاد ومُعادٍ للسُلطة القائمة؛ ومن أمثلة الشعراء الذين انتهجوا هذا النوع من الشعر، أبي إسحاق الالبيري[٣٩]، الذي عُرف بمعارضته لحكام الطوائف وسياستهم، لاسيما في موضوع تقريبهم بعض اليهود منهم، والاعتماد عليهم في الشؤون الإدارية، إذ خاطب الاندلسيين بأبيات شعرية جاء فيها:

ألا قُـــل لصـــنهاجةٍ أجمعـــين ... بُـــدور النَّـــدي وأســـدِ العَـــرين
لقـــد زلَّ ســـيدكُم زلـــة ... تقـــر بهـــا أعُـــينُ الشَّـــامتين
تخيَّـــر كاتبـــهُ كـــافِرا ... ولـــو شـــاءَ كـــان مِـــن المُســـلمين
فعـــزَّ اليَهـــودُ بـــه وانتخـــوا ... وتـــاهوا وكـــانوا مـــن الأرذلـــين
ونـــالوا مُنـــاهُم وجـــازوا المَـــدى ... فحـــان الهـــلاكُ ومـــا يشـــعرون[٤٠]

حيث كانت هذه الأبيات الشعرية تحمل نقداً لاذعاً موجه ضد باديس بن حبوس الذي قرب يوسف بن نغرالة[٤١] منه؛ كما حثت الأبيات أيضاً على ثورة الأندلسيين ومعارضتهم لتلك السياسة، وبالفعل عُدت الأبيات سالفة الذكر الشرارة الأولى لثورة انطلقت آنذاك[٤٢].

كما عبَر ابن شرف القيرواني[٤٣]، بواسطة شعره عن معارضته لحكام الطوائف الذين وصفهم بالقول:

يقولون سادَ الأرذلونَ بعصرِنا ... وصار لهم قدرٌ وخيلٌ سوابِقُ[٤٤]

وفي البيت الآنف الذكر وصف جارح لأولئك الحُكام على وجه العموم, فهو لم يخص حاكم بعينه بل قصد كل من حكم الاندلس آنذاك.

ومن الأبيات الشعرية التي هاجمت حُكام الطوائف ووجهت انتقاداً لاذعاً لهم، فضلاً عن احتقارهم والاستهزاء بهم ما ورد من ابن رشيق[٤٥] حين قال:

مِمَّا يُزهِّدوني في أرض أندلسٍ سَماعُ مُقتدِرٍ فيها وَمُعتَضِدِ
ألقابُ مملكةٍ في غَيرِ موضِعِها كالهِرِّ يَحكي انتفاخاً صولة الأسدِ[٤٦]

نجد أن الشاعر ابن رشيق يسخر من الألقاب التي أغدقها حُكام الطوائف على أنفسهم من أجل إضفاء القوة والسطوة على أنفسهم، التي ليس لها من تلك الألقاب سوى الاسم.

ومن شعراء هذا العصر الذين جاهروا بمعارضتهم لحُكام الطوائف عن طريق أشعارهم الشاعر السميسر[٤٧]، الذي نظم أبياتاً شعرية كثيرة حاول بواسطتها اثارة الشعب الأندلسي على أفعال حكامهم مُبيناً لهم تخاذل أولئك الحُكام وتنصلهم عن مسؤولياتهم في حماية رعيتهم، ومن بين ما نظمه:

نادِ المُلوكُ وقُل لَهُم ماذا الذي أحدثتُم
أسلمتُمُ الإسلام في أسرِ العِدا وقعِدتُم
وَجَبَ القيامُ عليكمُ إذ بالنصارى قُمتُمُ
ولا تنكروا شقَّ العصا فعصا النبيُ شققتُمُ
رجونـاكم فما أنصفتمونا وأملناكم فخذلتمونا[٤٨]

وفي الأبيات أعلاه نجد الكثير من معاني إلقاء الوم على حكام الطوائف بأسلوب ملؤه التوبيخ والذم؛ فهم سلَّموا مصير الإسلام بالأندلس بيد أعداءه، وخالفوا نهج النبي (ﷺ)، وخذلوا رعيتهم، فوجب النهوض ضدهم وعدم موالاتهم.

ومن أشعاره الأُخرى:

خنتم فهنتُم وكم أهنتم زمان كُنتم بلا عيون
فأنتم تحت كلّ تحت وأنتم دون كل دون[٤٩]

ثم يقول:

وُليتم فما أحسنتم مذ وُليتم ولا صُنتمْ عَمّا يصونكم عرضا
وكنتم سماء لا يُنال منالها فصرتُم لدى من لا يسائلكم أرضا[٥٠]

مما تقدم من أبيات شعرية للسُميسر، نجده يهجو حُكام الطوائف بصورة جماعية دون استثناء، فهو يشُن حرباً شعرية ضدهم يصفهم بالخيانة والدونية فضلاً عن الاستكانة والهوان.

وللشاعر الفازازي[٥١]، ايضاً أبيات شعرية يصف فيها حال الشعب الأندلسي المُثقل بالضرائب في سبيل ارسالها الى أعداء الإسلام، في حين يصف ولاة أمورهم مكتوفي الأيدي مُعينين على ذلك، متأسفاً على ما أصاب الأندلس وأهلها فيقول:

الروم تضربُ في البلاد وتغنَمُ والجورُ يأخذ ما بقي والمغرمُ
والمالُ يُورد كُله قشتالةٍ والجُند تسقطُ والرعيةُ تُظلَمُ
وذوو التعين ليس فيهم مسلم إلا مُعين في الفساد مُسَلِمُ
أسفي على تلك البلاد وأهلها الله يَلطفُ بالجميع ويَرحَمُ[٥٢]

كما نظم بن الجد[٥٣]، عدداً من الأبيات الشعرية انتقد فيها الواقع السياسي لحُكام الطوائف الذين باتوا لا يهمهم غير مصالحهم وبقائهم على رأس الحكم، إذ قال:

أرى الملوك أصابتهم بأندلس دوائر السوء لا نبقي ولا تذر
قد كنت أنظرها والشمس طالعة لو صح للقوم في أمثالها النظر
ناموا وأسرى لهم تحت الدجى قدر هوى بأنجمهم خسفاً وما شعروا
وكيف يشعر من في كفه قدح تحدوا به مذهلات الناي والوتر
صمت مسامعه من غير نغمته فما تمر به الآيات والسور
تلقاه كالعجل معبوداً بمجلسه له خوار ولكن حشوة خور[٥٤]

كما قال في بيت شعري آخر:

وقامت دولة الأنذال فينا وصار الحكم فينا للعلوجِ[٥٥]

وعليه نود القول إن ما عُرض من أبيات شعرية بصورتيها الموالية وغير الموالية لحُكام الطوائف، أياً كانت غاياتها وأهدافها، لابد لها أن تؤثر في أبناء المجتمع الأندلسي، كلٍ بحسب قناعاته وتوجهاته، أي أن هذا التأثير يكون بقدر نسبي.

الخاتمة

ان ابرز ما توصل اليه البحث هو

١- شغِل الشعر عند الاندلسيين مكانة عظيمة , لذلك اهتم ولاة الامور باستقطاب ناظميه.

٢- ظهر اثناء عصر الطوائف عدد من الشعراء الذين وظفوا اشعارهم لخدمة حُكام ذلك العصر لِغايات جُلها مادية , محاولين عن طريق كلماتهم المُنمقة تحشيد الولاءات حول من نُظِمَ الشعر لأجله .

٣- امتنع عدد من شعراء بلاد الاندلس عن مجاملة السُلطة السياسية ,بل ذهبوا الى ابعد من ذلك, فقاموا بتوجيه اشعارهم بالضد من اولئك الحُكام محاولين عن طريق ذلك تغيير المنهج السياسي لِحُكام ذلك العصر , الامر الذي وضعهم في موضع المواجهة والمُجابهة لأولئك الحُكام.

٤- أُستعمل الشعر إبان عصر الطوائف كأداة لكسب الولاء او تنفيره من حُكام ذلك العصر.

الهوامش:

(١) الشكعة، مصطفى، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ط٤، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩)، ص٧٥.

(٢) شكر, كوران صلاح الدين, الليل في قصائد ابن خفاجة,(بحث منشور ضمن مجلة الاستاذ, العراق, جامعة بغداد, مج: ١, ع: ٢١٠, ٢٠١٤), ص٣٧ .

(٣) بو لعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، ص١٦٣.

(٤) وات، في تاريخ اسبانيا الإسلامية، ص١٢٣.

(٥) بروفنسال، ليفي، سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها، تر: محمد عبد الهادي شعيرة، (القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥١)، ص١٤.

(٦) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج١، ص١١.

(٧) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ج٢، ص١١-١٢.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٣٣.

(٩) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج١، ص٢٢٢.

(١٠) بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، ص١٦٥.

(١١) توفيق، صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة سياسياً واجتماعياً وثقافياً، ص٢٣٤.

(١٢) بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، ص١٦٥.

(١٣) السحيباوي، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم ملوك الطوائف أنموذجاً، ص٧٤.

(١٤) جاسم، ليث سعود، ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ، (المنصورة، دار الوفاء، ١٩٨٨)، ص٦٣.

(١٥) سميرة، زهير، الحياة العلمية في الأندلس: الشعر السياسي الأندلسي في فترة حكم ملوك الطوائف العصر الأول انموذجاً، (رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، جامعة محمد بوضياف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١٩)، ص٥٥.

(١٦) القرّالة، معين خليف، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف وأثر الثقافة المشرقية في ترسيخ مذهب الأوائل فيه، (عمّان، دار الفاروق، ٢٠١٧)، ص٨٤.

(١٧) السحيباوي، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم ملوك الطوائف أنموذجاً، ص١١٧.

(١٨) هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون، أحد اشهر شعراء الأندلس، أصبح وزيراً في دولة بنو جهور، توفي عام (٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م). ينظر: ابن زيدون، ديوان ابن زيدون, تح: عبد الله سنده، (بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٥)، ص٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج١، ص١٣٩-١٤٠؛ ناصر, اسيل محمد, حركية النسيج النصيّ في الشعر الاندلسي امتداد التأثير وارتداد الأثر,(بحث منشور ضمن مجلة الأستاذ, العراق, جامعة بغداد, مج:٦٢,ع:٢, ٢٠٢٣), ص٣٥٩.

(١٩) ابن زيدون، ديوان ابن زيدون، ص١٣٥-١٣٦.

(٢٠) هو عبد الجليل بن وهبون المرسي، وصف بأنه أحد الشعراء الفحول لبلاد الأندلس، توفي في حدود عام (٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م). ينظر: الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ج٢، ص٥٠٤-٥٠٥.

(٢١) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج٣، ص٥٠٨.

(٢٢) هو أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد، كُني بابن اللبانة لأن أمه عرفت بأنها كانت تبيع اللبن، كما لُقب بالدانيّ نسبة الى مدينة دانية حيث مسقط رأسه, توفي عام (٥٠٧هـ/١١١٣م). ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٣٧٤؛ ابن اللبانة، محمد بن عيسى (ت: ٥٠٧هـ/١١١٣م)، ديوان ابن اللبانة الداني، ط٢، تح: محمد مجيد السعيد، (عمّان، دار الراية، ٢٠٠٨)، ص٩؛ رستم, حسين مجيد, المثاقفة النصية في شعر ابن اللبانة الدانيّ, (بحث منشور ضمن مجلة الاستاذ, العراق, جامعة بغداد, ع: ٢١٣, ٢٠١٥) , ص١٩.

(٢٣)) ابن اللبانة، ديوان ابن اللبانة، ص٨٦.

(٢٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج٣، ص٢٤٩.

(٢٥) عباس، احسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ط٢، (عمّان، دار الشروق، ١٩٩٧) ، ص٨١.

(٢٦) ابن اللبانة، ديوان ابن اللبانة، ص١٤١- ١٤٢.

(٢٧) المصدر نفسه، ص١٢٩.

(٢٨) ابن اللبانة، ديوان ابن اللبانة، ص١٣١.

(٢٩) الداية، محمد رضوان، في الأدب الأندلسي، (بيروت، دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٠)، ص٦٤.

(٣٠) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج٣، ص٦٢.

(٣١) هو ابن جاخ البطليوسي الآسي، أحد شعراء الأندلس، عرف بمدحه الطويل لحُكام الطوائف، ولم تذكر المصادر المُتاحة سنة وفاته. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص٥٩٢.

(٣٢) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٤، ص٢٤٤.

(٣٣) هو أبو الوليد حسان بن المصيصي الأندلسي، أحد شعراء الأندلس، عمل كاتباً للمعتمد بن عباد، فأنشد الشعر في مدحه، ولم تذكر المصادر المُتاحة سنة وفاته. ينظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج١، ص٢٦-٧٨.

(٣٤) لهذماً: معناها حاد وكذلك السنان والناب نقول سيف لهذم أي سيف حاد. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص٥٥٦.

([٣٥]) عسجداً: يعني الذهب وقيل هو اسم جامع للجوهر كله. ينظر: ابن منظور، ج٣، ص٢٩٠.

([٣٦]) مخذما: أي القاطع يُقال سيف خذوم مخذم أي القاطع والقطعة خذامة. ينظر: الفراهيدي، كتاب العين، ج٤، ص٢٤٦.

([٣٧]) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج٣، ص٢٤٨.

([٣٨])جهاد, رافد عبد الله, التصوير الكاريكاتوريّ في الشعر الهجائي الأندلسي,٠بحث منشور ضمن مجلة الاستاذ, العراق, جامعة بغداد, مج:١, ع: ٢٢١, ٢٠١٧, ص١٥٠.

([٣٩]) هو إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي، وصف بكونه شاعراً مجوداً، ذو ثقافة واسعة، وضعته في مكانة مرموقة داخل مجتمعه، توفي نحو عام (٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م). ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج٨، ص١٦٢؛ ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص١١٨.

([٤٠]) أبو إسحاق الالبيري، إبراهيم بن مسعود (ت نحو: ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)، ديوان أبي إسحاق الالبيري الأندلسي، تح: محمد رضوان الداية، (بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٩٩١)، ص١٠٨.

([٤١]) يوسف بن نغرالة: هو الوزير اليهودي الذي استوزر في دولة بني زيري الغرناطية وتحديداً من قبل ملكها باديس بن حبوس، إذ تمكن من السيطرة على مقدرات الدولة المالية لمدة طويلة، كانت نهايته القتل على يد ثوار بلاد الأندلس. ينظر: بن زيري، التبيان، ص٣٦-٥٤؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص٢٣٠؛ الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٧٥.

([٤٢]) ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص٢٣٣؛ عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص١٠٩-١١٠.

([٤٣]) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد، أحد شعراء عصر الطوائف، وله عدة مؤلفات ، توفي عام (٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م). ينظر: الزركلي، الاعلام، ج٦، ص١٣٨.

([٤٤]) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج٧، ص٢٢٦.

([٤٥]) هو أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، وصف بأنه أحد البُلغاء، وله عدة تصانيف، توفي عام (٤٦٣هـ/١٠٧٠م). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء ازمان، ج٢، ص٨٥.

([٤٦]) ابن رشيق، الحسن بن رشيق (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، ديوان ابن رشيق القيرواني، تح: عبد الرحمن باغي، (بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٩)، ص٥٩-٦٠.

([٤٧]) هو أبو القاسم خلف بن فرج الألبيري نسبة الى مدينة البيرة، وصف بأنه من أعلام شعراء عصر الطوائف، واشتهر بشعر الهجاء، توفي ما يقارب عام (٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م). ينظر: بن سعيد المغربي، المغرب في حلى المعرب، ج٢، ص١٠٠؛ الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٣١.

([٤٨]) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج٢، ص٨٨٥.

([٤٩]) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٤، ص١٠٨.

([٥٠]) المصدر نفسه، ج٤، ص١٠٨.

([٥١]) هو أبو عبد الله محمد بن يخلفتن بن أحمد بن تنفليت التجيبي، من أهل تلمسان وصف بأنه من أهل العلم والأدب والشعر، توفي عام (٦٢١هـ/ ١٢٢٤م). ينظر: ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ج٢، ص١٦٥.

([٥٢]) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٤، ص٤٦٧.

([٥٣]) هو أبو الحسين يوسف بن محمد، أحد أدباء الأندلس، عمل كاتباً بمرسية جزء من حياته، ولم تذكر المصادر المُتاحة سنة وفاته. ينظر: ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج٤، ص٥٥٦.

([٥٤]) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج٤، ص٢٥٦-٢٥٧.

([٥٥]) المصدر نفسه، ج٤، ص٥٦٢.

المصادر والمراجع

١) ابن الابار، محمد بن عبد الله بن ابي بكر(٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥).

٢) أبو إسحاق الالبيري، إبراهيم بن مسعود (ت نحو: ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)، ديوان أبي إسحاق الالبيري الأندلسي، تح: محمد رضوان الداية، (بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٩٩١).

٣) بروفنسال، ليفي، سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها، تر: محمد عبد الهادي شعيرة، (القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥١).

٤) ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام (ت: ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: احسان عباس، (ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٩).

٥) بو لعراس، خميس، مزهودي، مسعود، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، (رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب، ٢٠٠٧).

٦) توفيق، عمر إبراهيم، صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة سياسياً واجتماعياً وثقافياً، (عمّان، دار غيدان، ٢٠١١).

٧) جاسم، ليث سعود، ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ، (المنصورة، دار الوفاء، ١٩٨٨).

٨) جهاد، رافد عبد الله، التصوير الكاريكاتوريّ في الشعر الهجائي الأندلسي، بحث منشور ضمن مجلة الاستاذ، العراق، جامعة بغداد، مج:١، ع: ٢٢١، ٢٠١٧.

٩) الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت: ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد، (تونس، دار الغرب الإسلام، ٢٠٠٨).
١٠) ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد (ت: ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، أعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ط٢، تح: ليفي بروفنسال، (بيروت، دار المكشوف، ١٩٥٦).
١١) ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت:٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تج: احسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٩٠٠).
١٢) الداية، محمد رضوان، في الأدب الأندلسي، (بيروت، دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٠).
١٣) الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، ط٣، تح: شعيب الارنؤوط وآخرون، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥).
١٤) رستم، حسين مجيد، المثاقفة النصية في شعر ابن اللبانة الدانيّ، (بحث منشور ضمن مجلة الاستاذ، العراق، جامعة بغداد، ع: ٢١٣، ٢٠١٥).
١٥) ابن رشيق، الحسن بن رشيق (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، ديوان ابن رشيق القيرواني، تح: عبد الرحمن باغي، (بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٩).
١٦) الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط١٥، (بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢).
١٧) ابن زيدون، ديوان ابن زيدون، تح: عبد الله سنده، (بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٥).
١٨) ابن زيري، عبد الله بن باديس بن حبوس (ت: ٤٨٣هـ/١٠٩٠م)، التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، تح: ليفي بروفنسال، (مصر، دار المعارف، د.ت).
١٩) السحيباني، حمد بن صالح، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم ملوك الطوائف أنموذجاً، (السعودية، مجلة البيان، ٢٠٠٢).
٢٠) ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى (ت: ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، المغرب في حلى المعرب، ط٣، تح: شوقي ضيف، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٥).
٢١) سميرة، زهير، الحياة العلمية في الأندلس: الشعر السياسي الأندلسي في فترة حكم ملوك الطوائف العصر الأول انموذجاً، (رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، جامعة محمد بوضياف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١٩).
٢٢) شكر، كوران صلاح الدين، الليل في قصائد ابن خفاجة،(بحث منشور ضمن مجلة الاستاذ، العراق، جامعة بغداد، مج: ١، ع: ٢١٠، ٢٠١٤).
٢٣) الشكعة، مصطفى، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ط٤، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩).

٢٤) الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد (ت: ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٨٩).
٢٥) عباس، احسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ط٢، (عمّان، دار الشروق، ١٩٩٧).
٢٦) الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م)، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (د. م، دار ومكتبة الهلال، د.ت).
٢٧) القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى (ت: ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: مجموعة من المحققين، (المغرب، مطبعة فضالة، ١٩٨٣م).
٢٨) القرّالة، معين خليف، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف وأثر الثقافة المشرقية في ترسيخ مذهب الأوائل فيه، (عمّان، دار الفاروق، ٢٠١٧).
٢٩) ابن اللبانة، محمد بن عيسى (ت: ٥٠٧هـ/١١١٣م)، ديوان ابن اللبانة الداني، ط٢، تح: محمد مجيد السعيد، (عمّان، دار الراية، ٢٠٠٨)
٣٠) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت: ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: احسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٨).
٣١) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، د.ت).
٣٢) ناصر، اسيل محمد، حركية النسيج النصيّ في الشعر الاندلسي امتداد التأثير وارتداد الأثر،(بحث منشور ضمن مجلة الأستاذ، العراق، جامعة بغداد، مج:٦٢،ع:٢، ٢٠٢٣).
٣٣) وات، مونتغمري، في تاريخ اسبانيا الإسلامية، ط٢، تر: محمد رضا المصري (بيروت، شركة المطبوعات، ١٩٩٨).

Sources and References

1) Ibn al-Abbar, Muhammad ibn Abdullah ibn Abi Bakr (d. 658 AH/1259 CE), Al-Takmila li-Kitab al-Sila, ed. Abd al-Salam al-Harras (Beirut: Dar al-Fikr, 1995).
2) Abu Ishaq al-Albiri, Ibrahim ibn Mas'ud (d. c. 460 AH/1067 CE), Diwan Abi Ishaq al-Albiri al-Andalusi, ed. Muhammad Ridwan al-Dayya (Beirut: Dar al-Fikr al-Mu'asir, 1991).
3) Provençal, Lévy, Series of General Lectures on the Literature and History of Andalusia, trans. Muhammad Abd al-Hadi Sha'ira (Cairo: al-Matba'a al-Amiriyya, 1951).
4) Ibn Bassam, Abu al-Hasan Ali ibn Bassam (d. 542 AH/1147 CE), Al-Dhakhira fi Mahasin Ahl al-Jazira, ed. Ihsan Abbas (Libya: al-Dar al-Arabiyya lil-Kitab, 1979).
5) Bou Laaras, Khamis, and Mezhoudi, Masoud, The Social and Cultural Life of Andalusia in the Era of the Taifa Kings (Unpublished Master's Thesis, Algeria, University of Hadj Lakhdar Batna, Faculty of Arts, 2007).
6) Tawfiq, Omar Ibrahim, A Picture of Andalusian Society in the Fifth Century AH: Politically, Socially, and Culturally (Amman, Dar Ghaidan, 2011).
7) Jassim, Laith Saud, Ibn Abd al-Barr al-Andalusi and His Contributions to History (Mansoura, Dar al-Wafa, 1988).
8) Jihad, Rafid Abdullah, "Caricature in Andalusian Satirical Poetry," a research paper published in Al-Ustad Journal, Iraq, University of Baghdad, Vol. 1, No. 221, 2017.
9) Al-Hamidi, Abu Abdullah Muhammad ibn Futuh ibn Abdullah (d. 488 AH/1095 CE), Jadhwat al-Muqtabis fi Tarikh Ulama' al-Andalus (The Spark of the Seeker in the History of the Scholars of Andalusia), ed. Bashar Awad (Tunis, Dar al-Gharb al-Islam, 2008).

10) Ibn al-Khatib, Muhammad ibn Abdullah ibn Sa'id (d. 776 AH/1374 CE), A'mal al-A'lam fi man Buyi'a Qabl al-Ihtilam min Muluk al-Islam (The Works of the Notables Concerning Those Who Were Given Allegiance Before Puberty Among the Kings of Islam), 2nd ed., ed. Lévi-Provençal (Beirut, Dar al-Makshouf, 1956).

11) Ibn Khallikan, Abu al-Abbas Shams al-Din Ahmad ibn Muhammad (d. 681 AH/1282 CE), Wafayat al-A'yan wa Anba' Abna' al-Zaman (Obituaries of Notable Figures and News of the Sons of the Age), ed. Ihsan Abbas (Beirut, Dar Sader, 1900).

12) Al-Dayah, Muhammad Radwan, On Andalusian Literature (Beirut: Dar al-Fikr al-Mu'asir, 2000).

13) Al-Dhahabi, Abu Abdullah Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad (d. 748 AH/1347 CE), Siyar A'lam al-Nubala', 3rd ed., ed. Shu'ayb al-Arna'ut et al. (Beirut: Mu'assasat al-Risalah, 1985).

14) Rustum, Husayn Majid, Textual Interculturalism in the Poetry of Ibn al-Labbanah al-Dani (a research paper published in Al-Ustadh Journal, Iraq: University of Baghdad, no. 213, 2015).

15) Ibn Rashiq, al-Hasan ibn Rashiq (d. 463 AH/1070 CE), Diwan Ibn Rashiq al-Qayrawani, ed. Abd al-Rahman Baghi (Beirut: Dar al-Thaqafah, 1989).

16) Al-Zarkali, Khayr al-Din, Al-A'lam, 15th ed. (Beirut: Dar al-'Ilm lil-Malayin, 2002).

17) Ibn Zaydun, Diwan Ibn Zaydun, ed. Abdullah Sandah (Beirut: Dar al-Ma'rifah, 2005).

18) Ibn Ziri, Abdullah ibn Badis ibn Habus (d. 483 AH/1090 CE), Al-Tibyan 'an al-Haditha al-Ka'inah bi-Dawlat Bani Ziri fi Gharnata, ed. Lévi-Provençal (Egypt: Dar al-Ma'arif, n.d).

19) Al-Suhaibani, Hamad ibn Salih, Al-Da'f al-Ma'nawi wa Atharuhu fi Suqut al-Umam: Muluk al-Tawa'if Anmudhajan (Saudi Arabia: Al-Bayan Magazine, 2002).

20) Ibn Sa'id al-Maghribi, Abu al-Hasan Ali ibn Musa (d. 685 AH/1286 CE), Al-Maghrib fi Hula al-Mu'arrab, 3rd ed., ed.

21) Shawqi Dayf (Cairo: Dar al-Ma'arif, 1955). Samira, Zuhair, Intellectual Life in Andalusia: Andalusian Political Poetry During the Taifa Period (Unpublished Master's Thesis, Algeria, Mohamed Boudiaf University, Faculty of Humanities and Social Sciences, 2019).

22) Shukr, Kuran Salah al-Din, Night in the Poems of Ibn Khafajah (Published Research in Al-Ustad Journal, Iraq, University of Baghdad, Vol. 1, No. 210, 2014).

23) Al-Shak'a, Mustafa, Andalusian Literature: Its Themes and Arts, 4th ed. (Beirut, Dar al-Ilm lil-Malayin, 1979).

24) Al-Dabbi, Abu Ja'far Ahmad ibn Yahya ibn Ahmad (d. 599 AH/1203 CE), Bughyat al-Multamis fi Tarikh Rijal Ahl al-Andalus, ed. Ibrahim al-Abyari (Cairo, Dar al-Kitab al-Masri, 1989).

25) Abbas, Ihsan, A History of Andalusian Literature: The Era of the Taifa Kingdoms and the Almoravids, 2nd ed. (Amman: Dar al-Shuruq, 1997).

26) Al-Farahidi, Abu Abd al-Rahman al-Khalil ibn Ahmad (d. 170 AH/786 CE), Kitab al-'Ayn, ed. Mahdi al-Makhzumi and Ibrahim al-Samarrai (n.p.: Dar wa Maktabat al-Hilal, n.d).

27) Qadi Iyad, Abu al-Fadl Iyad ibn Musa (d. 544 AH/1149 CE), Tartib al-Madarik wa Taqrib al-Masalik li-Ma'rifat A'lam Madhhab Malik, ed. a group of scholars (Morocco: Matba'at Fadala, 1983 CE).

28) Al-Qarala, Mu'in Khalif, Andalusian Poetry in the Era of the Taifa Kingdoms and the Impact of Eastern Culture on Establishing the Doctrine of the Early Schools (Amman: Dar al-Farouq, 2017).

29) Ibn al-Labbana, Muhammad ibn Isa (d. 507 AH/1113 CE), Diwan Ibn al-Labbana al-Dani, 2nd ed., ed. Muhammad Majid al-Saeed (Amman: Dar al-Rayah, 2008).

30) Al-Maqqari, Shihab al-Din Ahmad ibn Muhammad (d. 1041 AH/1631 CE), Nafh al-Tayyib min Ghusn al-Andalus al-Ratib, ed. Ihsan Abbas (Beirut: Dar Sader, 1968).

31) Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram (d. 711 AH/1311 CE), Lisan al-Arab (Beirut: Dar Sader, n.d.).

32) Nasser, Asil Muhammad, "The Dynamics of Textual Fabric in Andalusian Poetry: Extension of Influence and Rebound of Effect" (a research paper published in Al-Ustad Journal, Iraq: University of Baghdad, Vol. 62, No. 2, 2023).

33) Watt, Montgomery, On the History of Islamic Spain, 2nd ed., trans. Muhammad Rida al-Masri (Beirut, Publications Company, 1998).

الصراع المذهبي في الدولة الطاهرية
(٢٠٥-٢٥٩هـ/٨٢٠-٨٧٢م)

منتهى كاظم حياوي

أ.د. رحيم خلف عكلة

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

٠٧٧١٢٩١٨٣١٠

msayrers333@gmail.com

الصراع المذهبي في الدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ/٨٢٠-٨٧٢م)

منتهى كاظم حياوي

أ.د. رحيم خلف عكلة

ملخص البحث

يتناول هذا البحث الصراع المذهبي في الدولة الطاهرية، ويوضح كيف ساهم انتماؤها للمذهب السني الحنفي وولاؤها للخلافة العباسية في تشكيل مواقفها الحازمة تجاه الثورات العلوية والحركات الخارجية.، كما يهدف إلى بيان طبيعة هذا الصراع ودور السياسات المذهبية للطاهريين في مواجهة تلك الحركات.

الكلمات المفتاحية: (الدولة الطاهرية، الخلافة العباسية، الصراع المذهبي)

Sectarian conflict in the Tahirid state (205-259 AH/820-872 AD)

University of Al Mustansiriya
College of Education /
Department of History

Supervisor: Prof. Dr. Rahim Khalaf Akla
Ph.D student: Muntaha Kadhim Hayawi

07712918310
msayrers333@gmail.com.

Abstract

This research examines the sectarian conflict in the Tahirid state, and explains how its adherence to the Hanafi Sunni school of thought and its loyalty to the Abbasid Caliphate contributed to shaping its firm stances towards the Alid revolts and Kharijite movements. It also aims to clarify the nature of this conflict and the role of the Tahirids' sectarian policies in confronting those movements.

Keywords: (The Tahirid State, the Abbasid Caliphate, sectarian conflict)

المقدمة

تعتبر الدولة الطاهرية من أوائل الدويلات المستقلة في المشرق الاسلامي، وقد ضمت مساحات شاسعة من الاراضي، وكان الحكم في هذه الدولة وراثيا في أبناء الاسرة، وكان دور الخليفة العباسي في هذا الأمر مقتصراً على إرسال تقليد الولاية مع الخلع والهدايا، واستمر الأمر قائما على هذا النظام حتى

نهاية الدولة، والتي اتخذت، ويستهدف البحث الصراع المذهبي في عهد الدولة الطاهرية، واثر تبنيها للمذهب السني الحنفي وولاؤها للخلافة العباسية في تشكيل سياستها تجاه الحركات الثورية في القرن الثالث الهجري، كما يركز البحث على مواقف الطاهريين الحازمة تجاه الثورات العلوية والحركات الخارجية، مبينا أثر اتجاههم المذهبي في مواجهة تلك القوى المعارضة.

أولاً: نسب الطاهرين

ينسب الطاهرون إلى زريق بن ماهان[١] مولى طلحة بن عبد الله الخزاعي[٢] فهم من الموالي الفرس الذين اعتنقوا الإسلام في العصر الأموي الأخير، حيث برزوا في خدمة الدولة الأموية التي تمكنت من قهر المقاومة التركية وبدأت تستعد لإخضاع ما وراء النهر[٣]، وعندما انطلقت الدعوة العباسية في خراسان[٤]، كان بنو زريق من العناصر التي سارعت للاستجابة لهذه الدعوة (محمود، ١٩٧٢، صفحة ٧٨).

وقد اتصل مصعب بن زريق[٥] بسليمان بن كثير الخزاعي[٦] الداعية العباسي فلما نجحت الدعوة وقامت الدولة العباسية، عرف العباسيون لهؤلاء جهودهم الصادقة التي بذلوها في الدور الخراساني، فولوا مصعبا بلدة بوشنج[٧] من أعمال مرو[٨]، سنة (١٥٩هـ/٧٧٦م) كما تولى هراة[٩]، وخلفه ابنه الحسين[١٠]، عملا بلوائح السياسة العباسية التي كانت تجنح الى استقرار الادارة في هذه النواحي (محمود، ١٩٧٢، صفحة ٧٨).

ثانياً: علاقة الطاهرين بالخلافة العباسية

يعد طاهر بن الحسين(٢٠٥-٢٠٧هـ/٨٦٤-٩١٠م)الملقب "ذو اليمينين"[١١] مؤسس الدولة الطاهرية، وقد برز تدريجياً من خلال دوره السياسي، ففي فترة ولاية علي بن عيسى[١٢]على خراسان، كان طاهر من المعارضين له بسبب سياسته التي اتسمت بالظلم والقسوة (بارتولد، ١٩٨١، صفحة ٧١٩).

وبدأت شخصية طاهر تتجلى بوضوح أثناء الحرب التي اندلعت بين الخليفة الأمين[١٣](١٩٣-١٩٨هـ/٨٠٨-٨١٣م) وأخيه المأمون[١٤](١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م)، حيث استدعى المأمون طاهر بن الحسين، والذي كان ينوب عنه في مدينة الري[١٥]، وكلفه بقيادة قواته المتجهة غربا لمواجهة الأمين (الدينوري، ١٩٦٠، صفحة ٢٩٨)؛ (اليعقوبي١، ٢٠٠١، صفحة ١٠٠)؛ (الطبري، ١٩٦٧، صفحة ٤٨٧/٨)، واستطاع طاهر أن ينزل الضربات القاصمة لجيش الأمين، واستطاع قتل قائده علي بن عيسى بن ماهان وتمكن من القضاء على الأمين نفسه عام(١٩٨هـ/٨١٣م) (الطبري، ١٩٦٧، صفحة ٤٨٨/٨)؛ (الخطيب البغدادي، ١٩٩٧، صفحة ٨٩/١)؛ (ابن الاثير، ١٩٩٧، صفحة ٢٧٨/٦)، كما استطاع ان يعيد الهدوء والسلام الى مدينة بغداد وان يحقق العدالة بين الرعية ويقضي

على الفوضى والاضطراب الذي عم البلاد عقب فتنة الأمين (خلف، ٢٠١٣، الصفحات ١٢٣-١٢٤).

وقد عانت خراسان من اوضاع متدهورة لذا كان يتعين على المأمون أن يتخذ قرارات شجاعة وحكيمة لمعالجة تلك الاوضاع، ومع العلم أن المأمون كان يثق بشكل كبير بكفاءة ومهارة وخبرة طاهر بن الحسين في تلك المنطقة (ابن الاثير، ١٩٩٧، صفحة ٣٦١/٦)، واوردت المصادر (الطبري، ١٩٦٧، صفحة ٥٨٠/٨)؛ (ابن الاثير، ١٩٩٧، صفحة ٣٦٣/٦)انه قد عهد إليه الخليفة بإدارة شؤون خراسان، كما كلف ابنه عبد الله بقيادة الحملة العسكرية ضد ثورة نصر بن شبث العقيلي[١٦] وعندما تم تكليف عبد الله بإنهاء الفتنة في مصر، أسند شرطة بغداد الى اسحاق بن ابراهيم الطاهري[١٧]، وهذا يدل أن الأسرة الطاهرية قد نالت مكانة مرموقة في بلاط الخلافة.

بعد أن تمكن طاهر بن الحسين من إحكام سيطرته واخمد جميع الحركات في خراسان، اختار نيسابور[١٨] حاضرة له، ومن خلال ذلك استطاع طاهر بن الحسين تأسيس أول دولة شبه مستقلة في المشرق الإسلامي (الطبري، ١٩٦٧، صفحة ٥٩٤/٨)، واستمر طاهر بن الحسين في عمله حتى عام(٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) وفي يوم الجمعة ٢٤ من جمادى الآخر خطب الجمعة دون أن يدع في خطبته للخليفة المأمون، فعندما وصل الى ذكر اسم الخليفة، امتنع عن الدعاء له فقال: "اللهم اصلح أمة محمد بما أصلحت به انبيائك واكفها مؤنة من بغى عليها ..." (المجلسي، ٢٠٠١، صفحة ٢٥١/٨٦)، وقطع الخطبة يعتبر بمثابة إعلان العصيان والخروج عن الدولة العباسية، فقام كلثوم بن ثابت[١٩] صاحب البريد في خراسان بنقل هذا الخبر إلى المأمون في بغداد (الطبري، ١٩٦٧، صفحة ٥٩٤/٨)؛ (ابو زكريا الازدي، ٢٠٠٦، صفحة ٦٠٩/١)؛ (ابن الاثير، ١٩٩٧، صفحة ٣٨٢/٦)، وتشير بعض الروايات أن وفاة طاهر بن الحسين حدثت بعد هذه الخطبة في ظروف غامضة (ابن اعثم، ١٩٩٠، صفحة ٤٢١/٨)؛ (ابو زكريا الازدي، ٢٠٠٦، صفحة ٦٠٩/١)؛ (ابن الاثير، ١٩٩٧، صفحة ٣٨٢/٦)؛ (الذهبي، ١٩٩٣، صفحة ٢٢/١٤).

عين طلحة بن طاهر[٢٠](٢٠٧-٢١٣هـ/٨٢٢-٨٢٨م) بعد وفاة والده طاهر أميراً على خراسان من قبل المأمون في سنة(٢٠٧هـ/٨٢٢م) (الطبري، ١٩٦٧، صفحة ٥٩٥/٨)، وبعد وفاة طلحة بن طاهر في عام(٢١٣هـ/٨٢٨م)، قام الخليفة المأمون بإسناد ولاية خراسان إلى أخيه عبد الله بن طاهر(٢١٣-٢٣٠هـ/٨٢٨-٨٤٤م)، وقد أسند المأمون(١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) لطاهر بن الحسين مهمة القضاء على "نصر بن شبث" فتمكن من إعادته للطاعة بعد أن حاصره وضيق عليه، ثم ارسله لمواجهة حركة بابك الخرمي[٢١]، ثم وجه المأمون عبد الله بن طاهر إلى الشام لإقرار الأمن فيها فتوجه عبد الله بن طاهر إلى الشام وتمكن من إخضاع رؤساء القبائل العربية هناك والصعاليك[٢٢] والزواقيل[٢٣] (ابن قتيبة٢، ١٩٦٩، صفحة ٣٩٠/١)ثم سار إلى مصر بتوجيه من الخلافة لإخماد ثورة

عبيد الله بن السري[٢٤]، التي اندلعت في سنة(٢١١هـ/ ٨٢٦م)، فتوجه عبد الله مع قواته الى مصر، فنكل بالثوار والحق بهم شر هزيمة (ابن قتيبة٢، ١٩٦٩، صفحة ٣٩٠/١)؛ (اليعقوبي، ١٩٨٦، صفحة ٤٦٠/٢)؛ (ابن الاثير، ١٩٩٧، صفحة ٣٩٦/٦)، وبهذا قدم عبد الله بن طاهر خدمات جليلة للخلافة العباسية، ومكافأة له على هذه الخدمات، أضاف إليه المأمون طبرستان[٢٥]، وكرمان[٢٦]، والري، إضافة إلى خراسان (اليعقوبي١، ٢٠٠١، صفحة ٩٦).

وكان محمد بن طاهر(٢٤٨-٢٥٩هـ/٨٦٢-٨٧٢م)آخر الأمراء الطاهرين، وقد أسند له المستعين (٢٤٨- ٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م) ولاية خراسان في سنة(٢٤٨هـ/٨٦٢م) (ابن مسكويه، ٢٠٠٠، صفحة ٣٢٣/٤)؛ (الطوسي١، ١٩٩٦، صفحة ٨٠)، وعرف عنه أنه كان رجلا ضعيف النفس يميل الى اللهو، ولهذا فقد انتشر الظلم والفساد في البلاد، وقد كان عماله يعاملون الناس بظلم واستبداد، حتى وقع صدام بين عمه سليمان والي طبرستان مع الأهالي، فثار عليه الأهالي، وعجز محمد بن طاهر عن السيطرة على هذه الثورات، كما أن محمد بن طاهر عاصر ندين قويين هما الداعي الكبير الحسن بن زيد العلوي[٢٧]، ويعقوب بن الليث الصفاري[٢٨]، فقد استطاع الحسن بن زيد طرد سليمان بن عبد الله من طبرستان سنة(٢٥٠هـ/٨٦٤م) واستولى عليها (كرديزي، ٢٠٠٦، صفحة ٢٠١)؛ (الذهبي١، ١٩٨٥، صفحة ٥١٤/١٢)؛ (اقبال، ١٩٨٩، صفحة ١٧).

بالإضافة إلى ظهور الانقسام الذي نشأ داخل البيت الطاهري وخيانة بعض الأشراف في نيسابور، حيث قام أبناء عم محمد بن طاهر بدعوة يعقوب بن الليث الصفار للاستيلاء على مدن خراسان، وذلك بسبب حقدهم وحسدهم لمحمد بن طاهر وهكذا بدأ الضعف يتسلل الى البيت الطاهري، فوجد الأمير الصفاري في ذلك الفرصة المناسبة لتوسيع رقعة دولته على حساب الدولة الطاهرية المتداعية، فزحف بجيشه إلى نيسابور سنة(٢٥٩هـ/٨٧٢م) وقبض على محمد بن طاهر وأفراد أسرته، وبذلك زالت الدولة الطاهرية (الطبري، ١٩٦٧، صفحة ٢٧١/٩)؛ (ابن خلدون، ١٩٧١، صفحة ٣٠٩/٣)، وبزوال الدولة الطاهرية فقدت الخلافة العباسية أسرة قدمت لها أعظم الخدمات في خراسان وغيرها، فكان الطاهريون بصفة عامة أوفياء للعباسيين.

ثالثاً: الصراع المذهبي في الدولة الطاهرية

قبل الحديث عن الصراع المذهبي في الدولة الطاهرية لابد من التعرف على الاتجاه المذهبي للدولة الطاهرية، فمن المعروف أن الخلافة العباسية جعلت المذهب السني الحنفي[٢٩] مذهبا رسميا لها، حيث نال المذهب الحنفي الحضوة والانتشار (ابو زهرة، د.ت، صفحة ٣٦٥/١)، وكان للقاضي أبي يوسف دور كبير في نشر المذهب حيث كان لا يولي القضاء إلا للمنتمين الى مذهبه (ابن حزم، ١٩٨٧، صفحة ٢٢٩/٢)، وبالتالي فقد انتشر المذهب الحنفي في معظم دويلات المشرق الإسلامي

واتخذت منه مذهبا رسميا للبلاد، اما عن الهوية المذهبية للأسرة الطاهرية فقد ذهب البعض الى القول بتشيع آل طاهر معتمدين عدد من الادلة منها:

١- قال ابن الأثير:"الطاهرية كلها كانت تتشيع" (ابن الاثير، ١٩٩٧، صفحة ١٣٢/٧)؛ (الامين، ٢٠٠٠، صفحة ٨٦٠/٦).

٢- رواية تشير أن طاهر بن الحسين أسقط اسم المأمون من الخطبة في خراسان، ودعا لأحد ابناء الامام موسى الكاظم عليه السلام[٣٠](اقبال، ١٩٨٩، صفحة ١٤).

٣- ذكر الكليني: "وكان طاهر من أصحاب الرضا عليه السلام كان متشيعا وينسب التشيع أيضا إلى بني طاهر كما في مروج الذهب وغيره" (الكليني، ١٩٦٨، صفحة ٣٤٦/٨).

في حين نلاحظ وجود روايات تدحض نسبة التشيع الى طاهر واولاده منها:

١- يذكر الطبري "أن الخليفة المأمون سمع بأن عبد الله بن طاهر يميل إلى أبناء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، مثلما كان أبوه، فأرسل إليه رجلاً ليدعوه للانضمام إلى القاسم بن إبراهيم طباطبا[٣١]، إلا أن عبد الله رفض ذلك وأعلن عدم استعداده لخيانة ولي نعمته الخليفة المأمون، وعندما علم المأمون بموقف عبدالله استبشر بذلك وقال: ذلك غرس يدي..." (الطبري، ١٩٦٧، الصفحات ٦١٥/٨-٦١٦)؛ (ابن مسكويه، ٢٠٠٠، صفحة ١٦٢/٤)؛ (ابن الاثير، ١٩٩٧، الصفحات ٤٠٢/٦-٤٠٣).

٢- اشار ابن اسفنديار إلى معاملة الطالبيين لأولاد طاهر بن الحسين فوصفها بأنها كانت سيئة على طول الخط، وذلك نتيجة لقتل محمد بن عبدالله بن طاهر ليحيى بن عمر العلوي[٣٢] في الكوفة (ابن اسفنديار، ٢٠٠٢، صفحة ٢٤١).

٣- أن الطاهرين ساعدوا الخلافة العباسية في القضاء على تمرد العلويين وثوراتهم، فكان عبد الله بن طاهر اليد الكبرى في قتال أبي السرايا[٣٣] في الكوفة، وقد قبض على محمد بن القاسم العلوي[٣٤](٢١٩هـ/ ٨٣٤م)، وفي عام (٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) أرسل محمد بن عبدالله بن طاهر الجيوش لمقاتلة يحيى بن عمر العلوي الذي خرج في الكوفة وتمكن من قتله، وفي سنة(٢٥٢هـ/ ٨٦٦م) القى القبض على محمد بن جعفر العلوي[٣٥] وسجنه إلى أن مات في سجنه (ابن الاثير، ١٩٩٧، صفحة ١٢٧/٧)؛ (النويري، ٢٠٠٤، صفحة ٣٧٣/٢٥).

اما بالنسبة للمعتقد السائد لأغلب سكان أراضي الإمارة الطاهرية، هو المذهب الحنفي كما ذكرنا سابقا وقد عملت الأسرة الطاهرية على حماية مذهب الخلافة العباسية(المذهب الحنفي).

اما اهم مظاهر الصراع المذهبي في الدولة الطاهرية فهو عند قام العلويين بالعديد من الثورات ضد الدولة العباسية بسبب وقوع الظلم والجور على الأغلبية العظمى من الشعب، ومن اجل استرداد حقهم

المغتصب، وكانت كثيرا ما تنتهي هذه الثورات بقتل او زج قادتها وأتباعها بالسجون، وكان للطاهرين دور كبير في إخماد ثورات العلويين ومن هذه الثورات:

١-ثورة محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسن (٢١٩هـ/٨٣٤م):

خرج محمد بن القاسم في بلاد الطالقان[٣٦] من بلاد خراسان، دعا إلى الرضا من آل محمد، فتبعه جماعة من الناس وازداد نفوذه، فأرسل المعتصم[٣٧](٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨١٤م)عبد الله بن طاهر لمواجهته (اليعقوبي، ١٩٨٦، الصفحات ٢/٤٧١-٤٧٢)فدارت بينهم حروب فهرب محمد الى نسا[٣٨] فقبض عليه والي نسا وارسله الى عبد الله بن طاهر، فبعث به الى المعتصم بالله فسجن في سجن ضيق داخل بستان، فكاد أن يهلك لكنه تمكن من الهروب من هذا السجن، فقد استطاع بعد أن نقل الى غرفة أوسع أن يصنع وسيلة ساعدته على الهروب، حيث صنع حبل من اللبد[٣٩] كان يجلس عليه، وقد تعلم محمد صناعة الحبال في قرية غرش[٤٠] فاستطاع الهرب أثناء انشغال الحراس بالعيد (الطبري، ١٩٦٧، صفحة ٧/٩)؛ (المسعودي، ٢٠٠٥، صفحة ٣/٤٦٤)؛ (ابو الفرج الاصفهاني١، ٢٠٠٦، صفحة ٣٨٤).

٢-ثورة يحيى بن عمر العلوي(٢٥٠هـ/٨٦٤م):

بعد ان تولي المنتصر بالله[٤١](٢٤٧-٢٤٨هـ/٨٦١-٨٦٢م) الخلافة، سعى الى اتباع سياسة معتدلة تجاه العلويين، بهدف تهدئة الاستياء الذي ساد بين الناس بسبب سياسة والده المتوكل[٤٢](٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م)، ولا سيما مع العلويين، وقد سمح للناس بزيارة قبر الامام الحسين عليه السلام وكذلك أعاد فدك إلى آل الحسين عليهم السلام(السيوطي، د.ت، صفحة ٣٨٥)، بعد أن منعهم المتوكل، الذي كان يجور على العلويين وقد بلغ حقده عليهم انه منع زوار مرقد الامام الحسين عليه السلام من زيارته، وكرب قبر الامام الحسين عليه السلام واغرقه بالماء وبذر الأرض المحيطة به، ولكن لم يصل الماء الى المرقد الشريف، بل جعل المتوكل على الطرق المؤدية للمرقد العديد من الحواجز والعقبات، فكان من يشاهد عند قبر الامام الحسين عليه السلام يحضر الى لمتوكل ليقتل بتهمة زيارة قبر الحسين عليه السلام أو تقطع يده (ابو الفرج الاصفهاني١، ٢٠٠٦، صفحة ٣٩٥)؛ (الطوسي، ١٩٩٣، صفحة ٣٢٥)؛ (ابن شهر اشوب، ١٩٥٦، صفحة ٣/٢٢٠)، أثارت هذه السياسة غضب أهل بغداد، فعبروا عن احتجاجهم بقصائد هجوه فيه كتبت على الجدران والمساجد فجاء في أحد هذه القصائد: (الذهبي، ١٩٩٣، صفحة ١٧/١٠٢).

بالله إن كانت اميــة قــد أتــت ... قتـل ابـن بنت نبيهـا مظلومـا
فلقد أتـاه بنــو أبيــه بمثلـــه ... هــذا لعمــرك قبــره مهدومــا
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا ... في قتلـــه فتتبعـــوه رميمـــا

دام حكم المنتصر بالله حوالي ستة أشهر، تلاه المستعين[٤٣](٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م)، الذي يعتبر بداية سيطرة الأتراك على الحكم والدولة، فلم يعد للخليفة أي سلطة فيها، وكان المستعين ضعيفا في

رأيه وعقله وتدبيره، وكانت أيامه مليئة بالفتن ودولته شديدة الاضطراب، حتى تم خلعه ثم قتل (ابن الطقطقي، ١٩٩٧، صفحة ٣٤٩) وكانت فترة حكمه مثالا للفوضى وغياب القانون، وتردي الأحوال الاقتصادية للناس مع استئثار المقربين له من عائلته وقادة الجيش الأتراك في الأموال، قال ابن الأثير: "وكان المستعين أطلق يد والدته ويد أتامش وشاهك الخادم في بيوت الأموال وأباحهم فعل ما أرادوا فكانت الأموال التي ترد من الآفاق يصير معظمها الى هؤلاء الثلاثة...وكانت الموالي تنظر الى الاموال تأخذ وهم في ضيقة" (ابن الاثير، ١٩٩٧، صفحة ١٢٣/٧).

وكان سبب ثورة يحيى الضيقة المادية التي نالته فقد كان يحيى مثقلاً بالطلبات وقد تكفل بمعيشة الطالبيات اللاتي فقدن أزواجهن وآبائهن أو من يعيلهن أما بسبب الثورات او بسبب سياسة التنكيل الطبقي التي اتبعها العباسيين مع العلويين (عكلة، ٢٠١٣، صفحة ٢٠٧)، فلزمه دين اثقل كاهله، وكذلك بسبب تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والظلم والقسوة الذي كانت تعاني منه الأمة في أيام المتوكل وما بعده من الحكام العباسيين (الشاكري، ١٩٩٨، صفحة ٣٥٢/١٤)فلقي عمر بن الفرج الرخجي[٤٤]، وهو يتولى شؤون الطالبيين عند مقدمه من خراسان في زمن المتوكل فكلمه في صلته، لكن عمر اغلظ في الرد عليه، فقذفه يحيى في مجلسه، فتم حبسه، فظل في السجن حتى كفله أهله فأطلق، فانتقل الى بغداد فأقام بها في ظروف صعبة ثم رجع إلى سامرا، فلقي وصيفا في رزق يجري له، فأغلظ وصيفا في الرد عليه، وقال: "لأي شيء يجري على مثلك" فغادر الى الكوفة وهناك دعا الى ثورته فانضم إليه عدد من الانصار الذي توجه بهم لزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، فكثر عدد المنضمين إليه، فوصل خبر يحيى بن عمر الى محمد بن عبد الله بن طاهر الذي أمر عامليه على الكوفة والسواد أن يتعاونا في مواجهة يحيى، أما يحيى فتوجه الى شاهي[٤٥] ومن ثم دخل الكوفة واستولى على بيت المال، وفتح سجن الكوفة واطلق من كان فيه، كما قام بنفي عمال الكوفة عنها، والتقى عبد الله بن محمود السرخسي[٤٦] ومن معه بيحيى بن عمر فضربه يحيى على وجهه ضربة أثخنه بها، فانهزم عبد الله واستولى أصحاب يحيى على ما كان معهم من الدواب والمال، وتوجه يحيى الى سواد الكوفة وتبعه جماعة من الزيدية[٤٧] وجماعة من سكان تلك النواحي إلى واسط[٤٨] فزاد عدد أنصاره، فأرسل محمد بن عبد الله الى محاربته الحسين بن اسماعيل[٤٩] في جمع من أهل القوة والنجدة، "وأقام الحسين في شاهي، بينما كان يحيى بن عمر في الكوفة يعد العدة ويصلح السلاح، فأشار إليه مجموعة من الزيدية ممن ليس لهم خبرة بالحرب بمباغتة الحسين بن إسماعيل والحوا عليه، فزحف نحو معسكر الحسين بن إسماعيل فحمل عليهم أصحاب الحسين فهزموهم واسروا عدد كبير من رجال يحيى بن عمر، وقتل يحيى وسير برأسه إلى محمد بن عبد الله الذي أرسله بدوره إلى المستعين" (ابو الفرج الاصفهاني١، ٢٠٠٦، صفحة ٤٢٠)؛ (ابن الاثير، ١٩٩٧، صفحة ١٢٧/٧)؛ (النويري، ٢٠٠٤، صفحة ٧٦/٢٥)؛ (ابن خلدون، ١٩٧١، صفحة ٢٨٥/٣).

عندما سمع الناس بمقتل يحيى ضجوا بالبكاء والعويل والصراخ، وأخذوا يرددون في الطرقات "ما قتل وما فر، ولكن دخل البر" (ابو الفرج الاصفهاني١، ٢٠٠٦، صفحة ٤٢٢)، وعندما جيء برأس يحيى بن عمر إلى بغداد اجتمع أهلها لتهنئة محمد بن عبد الله بن طاهر بالفتح، وكان من بين الذين حضروا للتهنئة أبو هاشم الجعفري[٥٠]، وكان شجاعا لا يبالي أصحاب السلطة (ابو الفرج الاصفهاني١، ٢٠٠٦، صفحة ٤٢٢)، فقال له: "أيها الأمير إنك لتهنأ بقتل رجل لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيا لعزي به، وسكت ابن طاهر وساد الصمت في المجلس، وخرج أبو هاشم وهو يقول:

يا بني طاهر كلوه وبيا إن لحم النبي غير مري

ان وترا يكون طالبه الله لوتر بالفوت غير حري

(المسعودي، ٢٠٠٥، صفحة ٦٤/٤)؛ (ابن مسكويه، ٢٠٠٠، صفحة ٣٣٠/٤)؛ (ابن الاثير، ١٩٩٧، صفحة ١٢٩/٧)

وأمر محمد بن عبد الله حينئذ اخته ونسوة من حرمه بالشخوص إلى خراسان وقال: "إن هذه الرؤوس من قتلى هذا البيت لم تدخل بيت قوم قط إلا خرجت منه النعمة، وزالت عنه الدولة، فتجهزن للخروج" (ابو الفرج الاصفهاني١، ٢٠٠٦، صفحة ٤٢٣)؛ (الامين، ٢٠٠٠، صفحة ٣٧٨/٦).

٣-ثوره الحسين الحرون(٢٥٢هـ/٨٦٦م):

هو الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بالحرون (الزركلي، ٢٠٠٢، صفحة ٢٥٢/٢)، خرج في الكوفة بعد يحيى بن عمر فأرسل إليه محمد بن عبد الله بن طاهر من بغداد جيشا بقيادة مزاحم بن خاقان[٥١] في عسكر عظيم (المسعودي، ٢٠٠٥، صفحة ٦٩/٤)؛ (ابن الجوزي، ١٩٩٢، صفحة ٤٩/١٢)، وعندما اقترب من الكوفة خرج الحسين الحرون عن المدينة وخالفه الطريق حتى صار إلى سامراء، وقد بويع المعتز[٥٢](٢٥٢-٢٥٥هـ/٨٦٦-٨٦٨م)، فبايع له وانصرف مزاحم عن الكوفة.

فمكث الحسين الحرون مدة ثم تمكن من الهرب، وأراد الخروج ثانية فتم القبض عليه وحبس بضع عشرة سنة، فأطلق سراحه المعتمد[٥٣](٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٧٠- ٨٩٢م) في سنة ثمان وستين ومائتين، فخرج أيضا بسواد الكوفة، فقبض عليه في آخر سنة تسع وستين ومائتين، فحمل إلى الموفق[٥٤] فحبسه بواسط، فمكث في السجن سنتين ثم توفى، فأمر الموفق بدفنه والصلاة عليه (ابو الفرج الاصفهاني١، ٢٠٠٦، صفحة ٤٣١)؛ (ابن الجوزي، ١٩٩٢، صفحة ٥٠/١٢).

٤-ثورة محمد بن جعفر العلوي في الكوفة(٢٥٢هـ/٨٦٦م):

ومن بين الثوار العلويين الذين أعلنوا تمردهم في الكوفة محمد بن جعفر العلوي، كان مع الحسين الحرون، فعندما غادر الحسين الحرون الكوفة جعله خليفة له على الكوفة، فخرج بعده في الكوفة واستولى

عليها، وحاول الوالي العباسي محمد بن عبد الله بن طاهر، الاعتماد على الحيلة والدهاء للامساك به، فأرسل كتاباً الى محمد بن جعفر العلوي، يخبره فيه بأن الخليفة المعتز أمر بتوليته على الكوفة، وقد أراد بذلك خداعه، فصدق محمد العلوي هذه الخدعة واطمأن لمحمد بن عبد الله بن طاهر ووثق به، خاصة بعد أن وجد أن أهالي الكوفة قد سئموا من القتال (ابو الفرج الاصفهاني١، ٢٠٠٦، صفحة ٤٣٢)؛ (عكلة، ٢٠١٣، صفحة ٢١٩).

إلى أن تمكن أبي الساج[٥٥] من إلقاء القبض عليه بأمر من محمد بن عبد الله بن طاهر، فتم إرساله إلى الخليفة المعتز في سامراء، فحبسه حتى توفي في حبسه (ابو الفرج الاصفهاني١، ٢٠٠٦، صفحة ٤٣٢).

٥-إخماد ثورات الخوارج:

ساهم آل طاهر في قمع العديد من الثورات المناوئة للدولة العباسية، ومن ابرزها ثورات الخوارج، منها ثورة حمزة الخارجي[٥٦]، التي تعتبر من أشد ثورات الخوارج وأطولها عمراً في العصر العباسي (مؤلف مجهول، ٢٠٠٦، صفحة ١٣٠)، ففي سنة(١٨٠هـ/٧٩٦م) ثار حمزة الخارجي في بوشنج فأرسل علي بن عيسى طاهر بن الحسين للقضاء عليه، فخاض معهم عدد من المعارك وتمكن من التغلب عليهم، فقتل منهم حوالي ثلاثمائة شخص (كرديزي، ٢٠٠٦، صفحة ١٩٤)؛ (ابن الاثير، ١٩٩٧، صفحة ١٥١/٦).

وقد دخل حمزة الخارجي في صراع مع الطاهريين الذين استولوا على مقاليد الحكم، وضبطوا تحت حكمهم خراسان وسيستان(سجستان[٥٧])، فبعد وفاة طاهر بن الحسين، تولي طلحة بن طاهر ولاية خراسان في عام(٢٠٧-٢١٣هـ/٨٢٢م-٨٢٨م)، وخاض عدة معارك مع حمزة، فقد أناب طلحة عنه محمد بن الحصين القوسي[٥٨] على سجستان، وعلى الرغم من أن إلياس بن أسد[٥٩] لم يكن أمامه خيار غير تسليمه مقاليد الإمارة، إلا أنه كان يحرض أهالي سجستان، وكان ميل أهالي سجستان وتجاوبهم يزداد مع إلياس بن أسد، فلجأ محمد بن الحصين إلى جانب الخوارج وعمل على تعزيز قوتهم، واتحد معهم فبسط نفوذه على كل سواد سجستان (مؤلف مجهول، ٢٠٠٦، الصفحات ١٤٧-١٤٨).

لم تكن هذه السياسة مرضية لطلحة بن طاهر، مما دفعه الى اتخاذ قرار عزل محمد بن الحصين، وقد يكون التقارب مع الخوارج هو السبب وراء هذا العزل، واستمر طلحة بن طاهر بشن الهجمات الشرسة ضد الخوارج حتى تمكن من قتل زعيمهم حمزة الخارجي في سنة(٢١٣هـ/٨٢٨م)، وفي نفس السنة توفي طلحة بن طاهر (كرديزي، ٢٠٠٦، صفحة ١٩٨)؛ (ابن الاثير، ١٩٩٧، صفحة ٣٩١/٥).

وفي عهد عبد الله بن طاهر (٢١٣-٢٣٠هـ/٨٢٨-٨٤٤م)، تم تعيين محمد بن الأحوص[٦٠] واليا على سجستان، وقد خرج بجيش سجستان لمحاربة الخوارج، وقد كان معه عدد من علماء سجستان، فمضوا وقاتلوا الخوارج قتالا عنيفا، وقتل الكثير منهم على يد الخوارج، فانظم لهم جيشا كثيفا بقيادة عزيز بن نوح.[٦١]

وقد دارت الدوائر على الخوارج، حيث انهزموا بفضل الاتحاد بين ابن نوح وابن الأحوص، وتفرقت صفوف الخوارج، وتابعهم ابن نوح من مدينة إلى أخرى، إلى أن قتل على أيديهم في سنة(٢١٦هـ/٨٣٢م)، بعد ذلك بدأ الخوارج يعيدون تجميع قواتهم من جديد (مؤلف مجهول، ٢٠٠٦، صفحة ١٥١).

واصل محمد بن الأحوص محاربة الخوارج حتى تمكنوا من قتله في سنة (٢١٦هـ/٨٣١م) (مؤلف مجهول، ٢٠٠٦، الصفحات ١٥١-١٥٢)، وفي عهد عبد الله بن طاهر، شن الخوارج هجوما على أحدى قرى نيسابور، مما أسفر عن مقتل عدد كبير من الناس، وعندما وصل هذا الخبر للمأمون، أصدر أمر لعبد الله بن طاهر أن يتوجه إلى نيسابور لمعالجة هذا الأمر، وقدم عبد الله إلى نيسابور، حيث كانت خراسان تعاني من فتنة الخوارج، فأرسل عبد الله بن عزيز بن نوح[٦٢] على رأس عشرة آلاف رجل، وتمكن من قتل الكثير منهم وتطهير خراسان من الخوارج (كرديزي، ٢٠٠٦، صفحة ١٩٨).

وظهر عمار الخارجي[٦٣] في ناحية كش[٦٤] حيث تصدى له صالح بن النضر الكناني[٦٥] الذي استولى على سجستان، وقد كانت ردة فعل صالح بن النضر هي إعلان تحالفه مع فريق من العيارين[٦٦] بقيادة يعقوب بن الليث (مؤلف مجهول، ٢٠٠٦، صفحة ١٦٠)، وقد تمكن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين أمير خراسان من استردادها، ومن ثم تولى يعقوب بن الليث أمر محاربة الخوارج وهزمهم هزيمة منكرة واشتدت شوكته فسيطر على سجستان ثم سار الى نواحي خراسان في عهد محمد بن عبد الله بن طاهر فسيطر على هراة وبوشنج، وكذلك تمكن من احتلال نيسابور سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م) قاعدة الدولة الطاهرية وبذلك انتهت الدولة الطاهرية على يد الصفاريين (ابن الاثير، ١٩٩٧، صفحة ٦٤/٧)؛ (ابن خلدون، ١٩٧١، صفحة ٢٩٤/٣).

الخاتمة:

١- استفادت الدولة الطاهرية من الصراع الذي حدث بين الأمين والمأمون حول الخلافة، فقد كان لوقوف طاهر بن الحسين الى جانب المأمون دور كبير في توطيد نفوذهم على خراسان ومن ثم استقلالهم عن الدولة العباسية.

٢- يتبين لنا ومن خلال الروايات السابقة أن مذهب الطاهرين كان على الأغلب هو المذهب الشيعي، حيث يعتبر طاهر بن الحسين الأكثر إخلاصا لهذا المذهب، لكن ينبغي أن نأخذ في

الاعتبار دائما أن العقائد الدينية التي كان يحملها الكثير من الحكام والسلاطين قد تتأثر بالسياسة، مما قد يطغى على طابعها الديني،_وهذا ما فعله خلفاء طاهر بن الحسين، فقد قدموا مصالحهم السياسية على اخلاصهم لمذهبهم،.

٣- عملت الأسرة الطاهرية على حماية مذهب الخلافة العباسية (المذهب الحنفي) حيث كانوا يعارضون قيام أي إمارة غير سنية بالقرب منهم، وهذا يفسر صراعهم المستمر مع الإمارة العلوية في طبرستان وبلاد الديلم، بالاصافة الى الخوارج الذين ظهروا في تلك الفترة.

المصادر والمراجع:

اولاً: المصادر الاولية

ابن الاثير، عز الدين ابي الحسين علي بن محمد (ت:٦٣٠هـ/١٢٣٢). (١٩٩٧). *الكامل في التاريخ* (ط١). (تح: عمر عبد السلام تدمري) بيروت: دار الكتاب العربي.

الازدي، ابن دريد محمد بن الحسن (ت:٣٢١هـ/٩٣٣م). (١٩٨٧). *جمهرة اللغة* (ط١). (تح: رمزي منير البعلبكي) بيروت: دار العلم للملايين.

الازهري، ابو منصور محمد بن احمد (ت:٣٧٠هـ/١٣٢٩م). (٢٠٠١). *تهذيب اللغة* (ط١). (تح: محمد عوض مرعب) بيروت: دار احياء التراث العربي.

ابن اسفنديار بهاء الدين محمد بن حسن (ت:٦٢٥هـ/١٢٢٧م). (٢٠٠٢). *تاريخ طبرستان* (ط١). (تر: احمد محمد نادي) مصر: المجلس الاعلى للثقافة، المشروع الوظني للترجمة.

الاصطخري ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت:٣٤٦هـ/٩٥٧م). (١٩٦١). *المسالك والممالك* (ط١). (تح: محمد جابر عبد العال) القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

ابن اعثم، احمد بن محمد الكوفي (ت: ٣١٤هـ/٩٢٦م). (١٩٩٠). *الفتوح* (ط١). (تح: علي شيري) بيروت: دار الاضواء.

البكري، ابو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت:٤٨٧هـ/١٠٩٤م). (١٩٩٢). *المسالك والممالك* (ط١). (تح: فان ليوفن واندري) بيروت: دار الغرب الاسلامي.

ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف بن عبد الله (ت:٨٧٤هـ/١٤٦٩م). (١٩٦٣). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة* (ط١). مصر: وزارة الثقافة والارشاد القومي-دار الكتب.

التنوخي، المحسن بن علي (ت:٣٨٤هـ/٩٩٤م). (١٩٧٨). *الفرج بعد الشدة* (ط١). (تح: عبود الشلجي) بيروت: دار صادر.

التنوخي١. (١٩٨٠). *نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة* (ط٢). (تح: عبود الشالجي) بيروت: دار الكتب العلمية.

الجهشياري، ابو عبد الله محمد بن عبدوس (ت:٣٣١هـ/٩٤٢م). (١٩٦٥). *كتالب الوزراء والكتاب*. بيروت: دار صادر.

ابن الجوزي، جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن علي بن محمد(ت:٥٩٧هـ/١٢٠٠م). (١٩٩٢). *المنتظم في تاريخ الملوك والامم* (ط١). (تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا) بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن حزم، علي بن احمد بن سعيد (ت:٤٥٦هـ/١٠٦٣م). (١٩٨٧). *رسائل ابن حزم* (ط٢). (تح: احسان عباس) بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت:٩٠٠هـ/١٤٩٤م). (١٩٨٤). *الروض المعطار في خبر الاقطار* (ط٢). (تح: احسان عباس) بيروت: مكتبة لبنان.

ابن حوقل، محمد ابو القاسم البغدادي (ت:٣٦٧هـ/٩٧٧م). (١٩٨٣). *صورة الارض* (ط٢). بيروت: دار صادر.

الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد (ت:٤٦٣هـ/١٠٧٠م). (١٩٩٧). *تاريخ بغداد* (ط١). (تح: مصطفى عبد القادر عطا) بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت:٨٠٨هـ/١٤٠٥م). (١٩٧١). *تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن جاورهم من ذور السلطان والاكبر*. بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

ابن خلكان، شمس الدين احمد بن ابراهيم (ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م). (١٩٩٤). *وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان* (ط١). (تح: احسان عباس) بيروت: دار صادر.

ابن خياط، ابو عمرو خليفة (ت:٢٤٠هـ/٨٥٤م). (١٩٩٣). *تاريخ خليفة بن خياط*. (تح: سهيل زكار، المحرر) بيروت: دار الفكر.

الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود (ت:٢٨٢هـ/٨٩٥م). (١٩٦٠). *الاخبار الطوال* (ط١). (تح: عبد المنعم عامر) القاهرة: دار احياء الكتاب العربي.

الذهبي، شمس الدين احمد بن عثمان (ت:٧٤٨هـ/١٣٤٧م). (١٩٩٣). *تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام* (ط٢). (تح: عمر عبد السلام التدمري) بيروت: دار الكتاب العربي.

الذهبي١. (١٩٨٥). *سير اعلام النبلاء* (المجلد ٣). (تح: شعيب الارنؤوط، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة.

الرسي، القاسم بن ابراهيم (ت:٢٤٦هـ/٨٦٠م). (١٩٩٨). *تثبيت الامامة* (ط١). (تح: صالح الورداني) بيروت: مركز الغدير للدراسات الاسلامية.

ابو زكريا الازدي، يزيد بن محمد بن اياس (ت:٣٣٤هـ/٩٤٥م). (٢٠٠٦). *تاريخ الموصل* (ط١). (تح: احمد عبد الله محمود) بيروت: دار الكتب العلميةز

السمعاني، عبد الكريم بن محمود بن منصور (ت:٥٦٢هـ/١١٦٦م). (١٩٩٨). *الانساب* (ط١). (تح: عبد الله عمر البارودي) بيروت: دار الفكر.

السيوطي، جلال الدين عب الرحمن بن ابي بكر (ت:٩١١هـ/١٥٠٥م). (د.ت). *تاريخ الخلفاء*. (تح: لجنة من الادباء) مكة المكرمة: دار التعاون.

ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن احمد بن عبد الرحمن (ت:٧٦٤هـ/١٣٦٢م). (١٩٧٤). *فوات الوفيات* (ط١). (تح: احسان عباس) بيروت: دار صادر.

ابن شهر اشوب، ابو عبد الله محمد بن علي السروي (ت:٥٨٨هـ/١١٩٢م). (١٩٥٦). *مناقب آل ابي طالب*. (تح لجنة من اساتذة النجف الاشرف) النجف الاشرف: المطبعة الحيدرية.

الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت:٣٨١هـ/٩٩١م). (١٩٨٣). *من لا يحضره الفقيه* (ط٢). (تح: علي اكبر الغفاري) قم: منشورات المدرسين في الحوزة العلمية.

الطبري الشيعي، ابو جعفر محمد بن جرير بن رستم (ت:٤١١هـ/١٠٢٠م). (١٩٩٢). *دلائل الامامة* (ط١). (تح: قسم الدراسات الاسلامية) قم: مؤسسة البعثة.

الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير بن رستم (ت:٣١٠هـ/٩٢٢م). (١٩٦٧). *تاريخ الامم والملوك*. (تح: محمد ابي الفضل ابراهيم) بيروت: دار المعارف.

ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت:٧٠٩هـ/١٣٠٩م). (١٩٩٧). *الفخري بالآداب السلطانية والدول الاسلامية* (ط١). (تح: عبد القادر محمد مايو) بيروت: دار القلم العربي.

الطوسي ابو جعفر محمد بن الحسن (ت:٤٦٠هـ/١٠٦٧م). (١٩٩٣). *الآمالي* (ط١). (تح: قسم الدراسات الاسلامية) قم: مؤسسة البعقة للطباعة والنشر- دار اليقافة.

الطوسي١. (١٩٩٦). *الفهرست* (ط١). قم: مؤسسة النشر الاسلامي.

ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت:٥٧١هـ/١١٧٥م). (١٩٩٥). *تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الاوائل*. (تح: محب الدين ابي سعيد عمر بن غرامة العمري) بيروت: دار الفكر.

العسكري، ابو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى (ت:٢٦٠هـ/٨٧٣م). (١٩٨٨). *تفسر الامام العسكري(عليه السلام)* (ط١). قم: مدرسة الامام المهدي عجل الله فرحه الشريف.

ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت:٥٨٠هـ/١١٨٤م). (٢٠٠١). *الانباء في تاريخ الخلفاء* (ط١). (تح: قاسم السامرائي) القاهرة: دار الافاق العربية.

العمري، علي بن محمد بن علي (ت:٤٦٦هـ/١٣٧٣م). (٢٠٠١). *المجدي في انساب الطالبيين* (ط٢). (تح: احمد المهدوي الدامغاني) قم: مطبعة ستارة.

الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو (ت:١٧٥هـ/٩١م). (١٩٨٩). *كتاب العين* (ط٢). (تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي) بيروت: دار الهجرة.

ابو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسن بن محمد (ت:٣٥٦هـ/٩٦٦م). (١٩٩٧). *الاغاني* (ط١). (تح: علي محمد مهنا وسمير جابر) بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

ابو الفرج الاصفهاني١. (٢٠٠٦). *مقاتل الطالبين* (ط٤). (تح: احمد صقر) بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

الفيروزآبادي، مجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب (ت:٨١٧هـ/١٤١٤م). (٢٠٠٥). *القاموس المحيط* (ط٨). (تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة) بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت:٢٧٦هـ/٨٨٩م). (١٩٩٢). *الامامة والسياسة* (ط١). (تح: علي شيري) قم: انتشارات الشريف الرضي.

ابن قتيبة١. (٢٠٠٢). *عيون الاخبار* (ط٢). (تح: يوسف علي) بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قتيبة٢. (١٩٦٩). *المعارف* (ط١). (تح: ثروة عكاشة) القاهرة: دار المعارف.

كرديزي، ابو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود (ت:٤٣٣هـ/١٠٤١م). (٢٠٠٦). *زين الاخبار* (ط١). (تر: عفاف السيد زندان) القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة.

الكليني، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت:٣٢٩هـ/٩٤٠م). (١٩٦٨). *الكافي* (ط٣). (تح: علي اكبر الغفاري) قم: دار الكتب الاسلامية.

الكندي، محمد بن يوسف (ت:٣٥٥هـ/٩٦٥م). (٢٠٠٣). *كتاب الولاة وكتاب القضاة* (ط١). (تح: محمد حسن اسماعيل واخرون) بيروت: دار الكتب العلمية.

المبرد، ابو العباس محمد بن يزيد (ت:٢٨٥هـ/٨٩٨م). (١٩٩٩). *المقتضب* (ط١). (تح: حسن حميد، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

المجلسي، محمد باقر (ت:١١١١هـ/١٦٩٨م). (٢٠٠١). *بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار*. (تح: جلال الدين الصغير ومحمود درياب) بيروت: دار المعارف.

المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت:٣٤٦هـ/٩٥٧م). (٢٠٠٥). *مروج الذهب ومعادن الجوهر* (ط١). (تح: كمال حسن مرعي) بيروت: المكتبة العصرية.

ابن مسكويه، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت:٤٢١هـ/١٠٣٠م). (٢٠٠٠). *تجارب الامم وتعاقب الهمم* (ط٢). (تح: ابو القاسم امامي) طهران: سروش.

المقدسي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد (ت:٣٨٠هـ/٩٩٠م). (١٩٩١). *احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم* (ط٣). القاهرة: مكتبة مدبولي.

ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت:٧١١هم١٣١١م). (١٩٩٣). *لسان العرب* (ط٣). بيروت: دار صادر.

مؤلف مجهول (ت:القرن الثامن الهجري/الثاني عشر الميلادي). (٢٠٠٦). *تاريخ سجستان* (المجلد ١). (تر: محمود عبد الكريم علي، المحرر) القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة.

النسفي، نجم الدين احمد بن اسماعيل (ت:٥٣٧هـ/١١٤٢م). (١٩٩٩). *القند في ذكر علماء سمرقند* (ط١). (تح: يوسف هادي) طهران: دفتر نشر ميراث مكتوب.

النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت:٧٣٣هـ/١٣٣٢م). (٢٠٠٤). *نهاية الارب في فنون الادب* (ط١). القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.

اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهب (ت:٢٨٤هـ/٨٩٧م). (١٩٨٦). *تاريخ اليعقوبي* (ط١). بروت: دار صادر.

اليعقوبي١. (٢٠٠١). *البلدان* (ط١). (تح: محمد امين ضناوي) بيروت: دار الكتب العلمية.

ياقوت الحموي، ابو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرومي (ت:٦٢٦هـ/١٢٢٨م). (١٩٩٥). معجم *البلدان* (ط٢). بيروت: دار صادر.

ثانياً: المراجع الثانوية

اقبال، عباس. (١٩٨٩). *تاريخ ايران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجرية(٢٠٥-١٣٤٣هـ/٨٢٠-١٤١٧م)*. (تح: محمد علاء الدين منصور) الاردن: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

الامين، محسن. (٢٠٠٠). *اعيان الشيعة*. (تح: حسن الامين) بيروت: دار المعارف.

بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش. (١٩٨١). *تركستان من الفتح الى الغزو المغولي* (ط١). (تر: صلاح الدين عثمان هاشم) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب.

خلف، محمود محمد. (٢٠١٣). *بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي(١٣٢-٢٦١هـ/٧٥٠-٨٧٢م)* (ط١). القاهرة: الهيئة المصرية العامة.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي. (٢٠٠٢). *الاعلام* (ط١٥). بيروت: دار العلم للملايين.

ابو زهرة، محمد بن احمد بن مصطفى. (د.ت). *تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية*. القاهرة: دار الفكر العربي.

الشاكري، حسين. (١٩٩٨). *موسوعة المصطفى والعترة(ع)* (ط١). قم: مطبعة الهادي.

الشامي، فضيلة عبد الامير. (١٩٧٤). *تاريخ الفرقة الزيدية بين القرنين الثاني والثالث للهجرة*. النجف الاشرف: مطبعة الآداب.

عكلة، منال حسن. (٢٠١٣). *الثورات العلوية والشيعية في العراق واثرهافي نشوء الفرق الاسلامية حتى عام ٣٣٤هـ*، (ط١). بغداد: اصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية.

محمود، حسن احمد. (١٩٧٢). *الاسلام في اسيا الوسطى(بين الفتحين العربي والتركي)*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

النجار، محمد رجب. (١٩٩٠). *حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب.

Sources and References

First: Primary sources

Abu al-Faraj al-Isfahani (2006). Maqatil al-Talibin (4th ed.). (Edited by Ahmad Saqr) Beirut: Al-A'lami Foundation for Publications.

Abu al-Faraj al-Isfahani, Ali ibn al-Hasan ibn Muhammad (d. 356 AH/966 CE). (1997). Al-Aghani (1st ed.). (Edited by Ali Muhammad Muhanna and Samir Jaber) Beirut: Dar al-Fikr for Printing and Publishing.

Abu Zakariya al-Azdi, Yazid ibn Muhammad ibn Iyas (d. 334 AH/945 CE). (2006). Tarikh al-Mawsil (1st ed.). (Edited by: Ahmad Abdullah Mahmoud) Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya

Al-Askari, Abu Muhammad al-Hasan ibn Ali ibn Muhammad ibn Ali ibn Musa (d. 260 AH/873 CE). (1988). The Interpretation of Imam al-Askari (peace be upon him) (1st ed.). Qom: Madrasah Imam al-Mahdi, may God hasten his noble reappearance.

Al-Azdi, Ibn Duraid Muhammad ibn al-Hasan (d. 321 AH/933 CE). (1987). Jamharat al-Lughah (1st ed.). (Edited by: Ramzi Munir al-Baalbaki). Beirut: Dar al-Ilm lil-Malayin.

Al-Azhari, Abu Mansur Muhammad ibn Ahmad (d. 370 AH/1329 CE). (2001). Tahdhib al-Lughah (1st ed.). (Edited by: Muhammad Awad Murab). Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.

Al-Bakri, Abu Ubayd Allah ibn Abd al-Aziz ibn Muhammad (d. 487 AH/1094 CE). (1992). Al-Masalik wa'l-Mamalik (1st ed.). (Edited by: Van Leeuwen and Andry) Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.

Al-Dhahabi, Shams al-Din Ahmad ibn 'Uthman (d. 748 AH/1347 CE). (1993). Tarikh al-Islam wa-Wafayat al-Mashahir wa-al-A'lam (2nd ed.). (Edited by: 'Umar 'Abd al-Salam al-Tadmuri) Beirut: Dar al-Kitab al-'Arabi.

Al-Dhahabi. (1985). Siyar A'lam al-Nubala' (Vol. 3). (Edited by: Shu'ayb al-Arna'ut, editor) Beirut: Mu'assasat al-Risalah.

Al-Dinawari, Abu Hanifa Ahmad ibn Dawud (d. 282 AH/895 CE). (1960). Al-Akhbar al-Tiwal (1st ed.). (Edited by: Abd al-Mun'im 'Amir) Cairo: Dar Ihya' al-Kitab al-'Arabi.

Al-Farahidi, Abu Abd al-Rahman al-Khalil ibn Ahmad ibn Amr (d. 175 AH/91 CE). (1989). Kitab al-'Ayn (2nd ed.). (Edited by Mahdi al-Makhzumi and Ibrahim al-Samarrai) Beirut: Dar al-Hijra.

Al-Fayruzabadi, Majd al-Din Abu Tahir Muhammad ibn Ya'qub (d. 817 AH/1414 CE). (2005). Al-Qamus al-Muhit (8th ed.). (Edited by the Heritage Research Office at Al-Risalah Foundation) Beirut: Al-Risalah Foundation.

Al-Himyari, Abu Abd Allah Muhammad ibn Abd Allah ibn Abd al-Mun'im (d. 900 AH/1494 CE). (1984). The Fragrant Garden in the News of the Regions (2nd ed.). (Edited by: Ihsan Abbas) Beirut: Library of Lebanon.

Al-Istakhri, Abu Ishaq Ibrahim ibn Muhammad al-Farisi (d. 346 AH/957 CE). (1961). Al-Masalik wa'l-Mamalik (1st ed.). (Edited by: Muhammad Jaber Abdel-Aal) Cairo: General Authority for Cultural Palaces.

Al-Jahshiyari, Abu Abdullah Muhammad ibn Abdus (d. 331 AH/942 CE). (1965). Book of Ministers and Scribes. Beirut: Dar Sader.

Al-Khatib al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmad ibn Ali ibn Thabit ibn Ahmad (d. 463 AH/1070 CE). (1997). The History of Baghdad (1st ed.). (Edited by Mustafa Abd al-Qadir Atta) Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

Al-Kindi, Muhammad ibn Yusuf (d. 355 AH/965 CE). (2003). Kitab al-Wulat wa Kitab al-Qudat (1st ed.). (Edited by Muhammad Hasan Isma'il and others) Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.

Al-Kulayni, Abu Ja'far Muhammad ibn Ya'qub ibn Ishaq (d. 329 AH/940 CE). (1968). Al-Kafi (3rd ed.). (Edited by 'Ali Akbar al-Ghaffari) Qom: Dar al-Kutub al-Islamiyya.

Al-Majlisi, Muhammad Baqir (d. 1111 AH/1698 CE). (2001). Bihar al-Anwar al-Jami'a li-Durar Akhbar al-A'immah al-Athar. (Edited by: Jalal al-Din al-Saghir and Mahmoud Daryab) Beirut: Dar al-Ma'arif.

Al-Maqdisi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad (d. 380 AH/990 CE). (1991). Ahsan al-Taqasim fi Ma'rifat al-Aqalim (3rd ed.). Cairo: Madbouli Library.

Al-Mas'udi, Abu al-Hasan Ali ibn al-Husayn ibn Ali (d. 346 AH/957 CE). (2005). Muruj al-Dhahab wa-Ma'adin al-Jawhar (1st ed.). (Edited by: Kamal Hassan Mar'i) Beirut: Al-Maktabah al-'Asriyyah.

Al-Mubarrad, Abu al-'Abbas Muhammad ibn Yazid (d. 285 AH/898 CE). (1999). Al-Muqtadab (1st ed.). (Edited by: Hassan Hamid, editor) Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

Al-Nasafi, Najm al-Din Ahmad ibn Ismail (d. 537 AH/1142 CE). (1999). Al-Qand fi Dhikr Ulama' Samarqand (1st ed.). (ed. Yusuf Hadi) Tehran: Daftar Nashr Miras Maktoob. 57- Al-Nuwayri, Shihab al-Din Ahmad ibn

Abd al-Wahhab (d. 733 AH/1332 CE). (2004). Nihayat al-Arab fi Funun al-Adab (1st ed.). Cairo: National Library and Archives.

Al-Rassi, al-Qasim ibn Ibrahim (d. 246 AH/860 CE). (1998). Tathbit al-Imamah (1st ed.). (Edited by: Salih al-Wardani) Beirut: Markaz al-Ghadir lil-Dirasat al-Islamiyyah.

Al-Saduq, Muhammad ibn Ali ibn al-Husayn ibn Babawayh (d. 381 AH/991 CE). (1983). Man La Yahduruhu al-Faqih (2nd ed.). (Edited by: Ali Akbar al-Ghaffari) Qom: Publications of Teachers in the Hawza al-Ilmiyya.

Al-Sam'ani, Abd al-Karim ibn Mahmud ibn Mansur (d. 562 AH/1166 CE). (1998). Al-Ansab (1st ed.). (Edited by: Abdullah Omar al-Baroudi) Beirut: Dar al-Fikr.

Al-Suyuti, Jalal al-Din Abd al-Rahman ibn Abi Bakr (d. 911 AH/1505 CE). (n.d.). Tarikh al-Khulafa'. (Edited by: A Committee of Scholars) Mecca: Dar al-Ta'awun.

Al-Tabari al-Shi'i, Abu Ja'far Muhammad ibn Jarir ibn Rustam (d. 411 AH/1020 CE). (1992). Dala'il al-Imama (1st ed.). (Edited by: Department of Islamic Studies) Qom: Al-Ba'tha Foundation.

Al-Tabari, Abu Ja'far Muhammad ibn Jarir ibn Rustam (d. 310 AH/922 CE). (1967). Tarikh al-Umam wa al-Muluk. (Edited by: Muhammad Abi al-Fadl Ibrahim) Beirut: Dar al-Ma'arif.

Al-Tanukhi, Al-Muhsin ibn Ali (d. 384 AH/994 CE). (1978). Relief After Distress (1st ed.). (ed. Aboud Al-Shalji). Beirut: Dar Sader.

Al-Tanukhi. (1980). The Essence of Lectures and News of Discussions (2nd ed.). (ed. Aboud Al-Shalji). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Al-Tusi, Abu Ja'far Muhammad ibn al-Hasan (d. 460 AH/1067 CE). (1993). Al-Amali (1st ed.). (Edited by: Department of Islamic Studies). Qom: Al-Baqaa Foundation for Printing and Publishing - Dar al-Qafa.

Al-Tusi. (1996). Al-Fihrist (1st ed.). Qom: Islamic Publishing Foundation.

Al-Umari, Ali ibn Muhammad ibn Ali (d. 466 AH/1373 CE). (2001). Al-Majdi fi Ansab al-Talibiyyin (2nd ed.). (Edited by Ahmad al-Mahdawi al-Damghani) Qom: Matba'at Sitara.

Al-Ya'qubi, Ahmad ibn Abi Ya'qub Ishaq ibn Ja'far ibn Wahb (d. 284 AH/897 CE). (1986). Tarikh al-Ya'qubi (1st ed.). Beirut: Dar Sader.

Al-Ya'qubi. (2001). Al-Buldan (1st ed.). (Edited by Muhammad Amin Dhanawi). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.

Anonymous author (d. 8th century AH/12th century CE). (2006). Tarikh Sijistan (vol. 1). (trans. Mahmoud Abdel Karim Ali, ed.) Cairo: Supreme Council of Culture.

Ibn al-Athir, Izz al-Din Abi al-Husayn Ali ibn Muhammad (d. 630 AH/1232 CE). (1997). Al-Kamil fi al-Tarikh (1st ed.). (Edited by: Umar Abd al-Salam Tadmurī). Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi.

Ibn Al-Jawzi, Jamal Al-Din Abi Al-Faraj Abd Al-Rahman Ali ibn Muhammad (d. 597 AH/1200 CE). (1992). The Regular in the History of Kings and Nations (1st ed.). (Edited by: Muhammad Abd al-Qadir Atta and Mustafa Abd al-Qadir Atta) Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

Ibn al-Tiqtaqi, Muhammad ibn Ali ibn Tabataba (d. 709 AH/1309 CE). (1997). Al-Fakhri bi'l-Adab al-Sultaniyya wa'l-Duwal al-Islamiyya (1st ed.). (Edited by: Abd al-Qadir Muhammad Mayu). Beirut: Dar al-Qalam al-Arabi.

Ibn al-Umrani, Muhammad ibn Ali ibn Muhammad (d. 580 AH/1184 CE). (2001). Al-Anba' fi Tarikh al-Khulafa' (1st ed.). (Edited by Qasim al-Samarrai) Cairo: Dar al-Afaq al-Arabiyya.

Ibn Asakir, Abu al-Qasim Ali ibn al-Hasan ibn Hibat Allah (d. 571 AH/1175 CE). (1995). Tarikh Madinat Dimashq wa Dhikr Fadliha wa Tasmiyat Man Hallaha min al-Awa'il. (Edited by: Muhibb al-Din Abi Sa'id Umar ibn Gharama al-Umari). Beirut: Dar al-Fikr.

Ibn A'tham, Ahmad ibn Muhammad al-Kufi (d. 314 AH/926 CE). (1990). Al-Futuh (1st ed.). (Edited by: Ali Shiri) Beirut: Dar al-Adwa'.

Ibn Hawqal, Muhammad Abu al-Qasim al-Baghdadi (d. 367 AH/977 CE). (1983). The Image of the Earth (2nd ed.). Beirut: Dar Sader.

Ibn Hazm, Ali ibn Ahmad ibn Sa'id (d. 456 AH/1063 CE). (1987). Ibn Hazm's Epistles (2nd ed.). (Edited by: Ihsan Abbas) Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.

Ibn Isfandiyar Baha' al-Din Muhammad ibn Hasan (d. 625 AH/1227 CE). (2002). Tarikh Tabaristan (1st ed.). (Translated by: Ahmed Mohamed Nadi) Egypt: Supreme Council of Culture, National Translation Project.

Ibn Khaldun, Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Muhammad (d. 808 AH/1405 CE). (1971). Ibn Khaldun's History, also known as Al-Ibar wa Diwan al-Mubtada' wa al-Khabar fi Tarikh al-Arab wa al-Barbar wa man Jawarahum min Dhur al-Sultan wa al-Akbar. Beirut: Mu'assasat al-A'lami lil-Matbu'at.

Ibn Khallikan, Shams al-Din Ahmad ibn Ibrahim (d. 681 AH/1282 CE). (1994). Wafayat al-A'yan wa Anba' Abna' al-Zaman (1st ed.). (Edited by Ihsan Abbas) Beirut: Dar Sader.

Ibn Khayyat, Abu Amr Khalifa (d. 240 AH/854 CE). (1993). Tarikh Khalifa ibn Khayyat. (Edited by Suhayl Zakkar, editor) Beirut: Dar al-Fikr.

Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Mukarram (d. 711 AH/1311 CE). (1993). Lisan al-Arab (3rd ed.). Beirut: Dar Sader.

Ibn Miskawayh, Abu Ali Ahmad ibn Muhammad ibn Ya'qub (d. 421 AH/1030 CE). (2000). Tajarib al-Umam wa-Ta'aqib al-Himam (2nd ed.). (Edited by: Abu al-Qasim Imami) Tehran: Soroush.

Ibn Qutaybah (1969). Al-Ma'arif (1st ed.). (Edited by Tharwat 'Ukasha) Cairo: Dar al-Ma'arif.

Ibn Qutaybah (2002). Uyun al-Akhbar (2nd ed.). (Edited by Yusuf Ali) Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Ibn Qutaybah, Abu Muhammad Abdullah ibn Muslim al-Dinawari (d. 276 AH/889 CE). (1992). Al-Imamah wa al-Siyasah (1st ed.). (Edited by Ali Shiri) Qom: Al-Sharif al-Radi Publications.

Ibn Shahr Ashub, Abu Abd Allah Muhammad ibn Ali al-Sarawi (d. 588 AH/1192 CE). (1956). Manaqib Aal Abi Talib. (Edited by a committee of professors from Najaf) Najaf: Al-Haydariya Press.

Ibn Shakir al-Kutubi, Muhammad ibn Shakir ibn Ahmad ibn Abd al-Rahman (d. 764 AH/1362 CE). (1974). Fawwat al-Wafayat (1st ed.). (Edited by: Ihsan Abbas) Beirut: Dar Sader.

Ibn Taghribirdi, Jamal al-Din Yusuf ibn Abd Allah (d. 874 AH/1469 CE). (1963). The Shining Stars in the History of the Kings of Egypt and Cairo (1st ed.). Egypt: Ministry of Culture and National Guidance - National Library.

Kurdizi, Abu Sa'id 'Abd al-Hayy ibn al-Dahhak ibn Mahmud (d. 433 AH/1041 CE). (2006). Zayn al-Akhbar (1st ed.). (Translated by 'Afaf al-Sayyid Zandan) Cairo: Supreme Council of Culture.

Yaqut al-Hamawi, Abu Abd Allah Shihab al-Din ibn Abd Allah al-Rumi (d. 626 AH/1228 CE). (1995). Mu'jam al-Buldan (2nd ed.). Beirut: Dar Sader..

Second: Secondary references

Abu Zahra, Muhammad ibn Ahmad ibn Mustafa. (n.d.). A History of Islamic Schools of Thought in Politics and Beliefs and a History of Jurisprudential Schools. Cairo: Dar al-Fikr al-'Arabi.

Al-Amin, Muhsin. (2000). Notable Shi'a Figures. (Edited by Hasan al-Amin). Beirut: Dar al-Ma'arif.

Al-Shakiri, Hussein. (1998). Encyclopedia of the Prophet and his Family (peace be upon them) (1st ed.). Qom: Al-Hadi Press.

Al-Shami, Fadila Abd al-Amir. (1974). A History of the Zaydi Sect between the Second and Third Centuries AH. Najaf: Al-Adab Press.

Al-Zarkali, Khair al-Din ibn Mahmoud ibn Muhammad ibn Ali. (2002). Al-A'lam (15th ed.). Beirut: Dar al-'Ilm lil-Malayin.

Aqla, Manal Hassan. (2013). The Alawite and Shi'ite Revolutions in Iraq and Their Impact on the Emergence of Islamic Sects up to 334 AH (1st ed.). Baghdad: Publications of the Baghdad Capital of Arab Culture Project.

Barthold, Vasily Vladimirovich. (1981). Turkestan: From the Conquest to the Mongol Invasion (1st ed.). (Translated by Salah al-Din Uthman Hashim). Kuwait: National Council for Culture, Arts and Letters.

Iqbal, Abbas. (1989). A History of Iran After Islam: From the Beginning of the Tahirid Dynasty to the End of the Qajar Dynasty (205-820 AH/1343-1417 CE). (Edited by Muhammad Ala' al-Din Mansur). Jordan: Dar al-Thaqafa for Publishing and Distribution.

Khalaf, Mahmoud Muhammad. (2013). Transoxiana in the Abbasid Era (132-261 AH/750-872 CE) (1st ed.). Cairo: The Egyptian General Authority.
Mahmoud, Hassan Ahmad. (1972). Islam in Central Asia (Between the Arab and Turkish Conquests). Cairo: The Egyptian General Book Organization.

الهوامش:

(١) زريق بن ماهان: كان زريق بن ماهان مجوسيا وأسلم على يد والي سجستان طلحة الطلحات الخزاعي الذي كان معروفا بالكرم، وكان مولاه، ينظر: (الكليني، ١٩٦٨، صفحة ٣٤٦/٨)؛ (النسفي، ١٩٩٩، صفحة ٢٧٦).

(٢) طلحة بن عبد الله الخزاعي: كان أجود أهل البصرة في زمانه، ولقب بطلحة الطلحات، وذلك لأنه فاق في الجود خمسة اجواد اسم كل واحد منهم طلحة وهو طلحة الخير، وطلحة الجود، وطلحة الفياض، وطلحة الدراهم، وطلحة الندى، وكذلك قيل كان في أجداده جماعة سمي كل منهم طلحة وقيل غير ذلك، ينظر: (المبرد، ١٩٩٩، صفحة ١١٤/٥)؛ (ابن خلكان، ١٩٩٤، صفحة ٨٨/٣).

(٣) بلاد ما وراء النهر: ويقصد بها جيحون في خراسان، وكانت تسمى بلاد الهياطلة وفي العصور الإسلامية أطلق عليه بلاد ما وراء النهر، من مدنها باميان، وطخارستان، وخوارزم وبخارى، وسمرقند وغيرها، وهي من اخصب الأقاليم الإسلامية وأكثرها خيراً، ومياهها عذبة، كما أنها غنية بالمعادن مثل الذهب والفضة والزئبق، ينظر: (المقدسي، ١٩٩١، الصفحات ٦٠/١-٦١)؛ (البكري، ١٩٩٢، صفحة ٤٤٢/١).

(٤) خراسان: وهو قطر معروف، ومعنى خر: كل واما سان فمعناه سهل، اي كل بلاتعب، وقيل معناه مطلع الشمس، تبدأ حدودها من بلاد ما وراء النهر شمالا، إلى مفازة فارس وقومس ونواحي جبال الديلم وجرجان وطبرستان والري جنوبا ويحدها من الشرق سجستان وبلاد الهند ومن الغرب جرجان، ينظر: (اليعقوبي١، ٢٠٠١، صفحة ٨٩)؛ (الحميري، ١٩٨٤، الصفحات ١١٤-١١٥).

(٥) مصعب بن زريق: وهو أحد رجال سليمان بن كثير الخزاعي، كان كاتباً له، وعائلته كانت معروفة بالنضال بجانب العباسيين، وكان لهم الدور الكبير في نجاح الدعوة العباسية في خراسان، وكان أحد الدعاة السبعين الذين تم اختيارهم من قبل ابو هاشم بكير بن ماهان للقيام بالدعوة العباسية، ينظر: (التنوخي، ١٩٧٨، صفحة ٢٢١/١).

(٦) سليمان بن كثير الخزاعي: هو احد نقباء بني العباس الاثني عشر، له دور كبير في السعي لقيام الدولة العباسية، قتله أبو مسلم الخراساني خوفا من زيادة نفوه، ينظر: (السمعاني، ١٩٩٨، صفحة ٦٧٣/٥)؛ (الذهبي، ١٩٩٣، صفحة ٤٤٦/٨).

(٧) بوشنج: وهي بلدة ذات أراضي خصبة، حيث تقع في وادي مشجر في أحد نواحي هراة، ينسب الى بوشنج العديد من اهل العلم، منهم أبو الطيب، وأبو طلحة من كبار الوزراء والقواد، حكمة وأدبا وشجاعة، ينظر: (اليعقوبي١، ٢٠٠١، صفحة ١٠٠).

(٨) مرو: تعنبر مرو احدى اعرق مدن اقليم خراسان ويطلق عليها مرو الشاهجان أي (مرو المرج) تميزا لها عن مرو الروذ وهي من اجمل واحات تركمانستان وفي مرو جامعان للحنفية والشافعية يجمعهما سوراً، ومرو تعني وهي الحجارة البيض تقدح بها النار ولا يكون اسود ولا احمر ولا تقدح بالحجر الاحمر ولا يسمى مرواً, ولمرو نهر عظيم

يعرف بنهر مرغاب يخرج من بلاد الغور وهي من اهم المراكز الحضارية والثقافية، ينظر: (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، الصفحات ١١٢/٥-١١٤).

(٩) هراة: وهي مدينة عظيمة معروفة وهي من أمهات المدن في خراسان، فيها بساتين كثيرة، ومياه غزيرة، يكثر فيها العلماء واهل الفضل، ينظر: (اليعقوبي١، ٢٠٠١، صفحة ٩٧)؛ (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ٣٩٦/٥).

(١٠) الحسين بن مصعب: كان من وجهاء خراسان، عاصر هارون الرشيد واستطاع كسب ثقته، فعينه واليا على بوشنج إحدى مدن خراسان، ظل الحسين مخلصا للعباسيين، حيث وقف ضد النزاع بين الأمين والمأمون، وحث ابنه طاهر على عدم الانجرار وراء الفضل بن سهل في إشعال الفتنة، توفي الحسين في خراسان عام(١٩٩هـ/٨١٤م) وحظر المأمون جنازته، ينظر: (الجهشياري، ١٩٦٥، صفحة ١٨١)؛ (ابن الاثير، ١٩٩٧، صفحة ٣٠٨/٦).

(١١) ذو اليمينين: واختلفت الاقوال حول هذه التسمية، وقيل اطلق عليه هذه التسمية من قبل المأمون عندما هزم جيش علي بن عيسى فسماه ذا اليمينين وصاحب حبل الدين، فمنهم من قال لأنه كان يضرب بالسيف في كلتا يديه، ولانه ضرب رجل بيده اليسرى فقده نصفين، وقيل لانه كان واليا على العراق وخراسان، وكما اشير الى انه عندما بايع الإمام الرضا عليه السلام بايعه بيده اليسرى، مشيرا الى ان يده اليمنى مشغولة في بيعة المأمون، ينظر: (ابن قتيبة١، ٢٠٠٢، صفحة ٥٨/٤)؛ (الطبري، ١٩٦٧، صفحة ٤١٥/٧)؛ (الكليني، ١٩٦٨، صفحة ٣٤٦/٨)؛ (اقبال، ١٩٨٩، صفحة ١٤).

(١٢)علي بن عيسى بن ماهان: هو أحد كبار القادة والولاة في العصر العباسي، ولاه الرشيد على خراسان في عام(١٨٩هـ/٨٠٤م) ثم قام بعزله واعتقاله عام(١٩١هـ/٨٠٦م) بسبب تآمره عليه، وفي عهد الأمين أطلق سراحه وأصبح من المقربين له وهو= =الذي أشار إليه بخلع المأمون وقد شاركه الرأي الفضل بن الربيع، وقد قتل في الحرب التي دارت بين الأمين والمأمون حيث كان قائد جيش الأمين، ينظر: (ابن خياط، ١٩٩٣، صفحة ٣٨٣)؛ (الدينوري، ١٩٦٠، صفحة ٣٩٧)؛ (الطبري، ١٩٦٧، صفحة ٣٢٤/٨).

(١٣) الأمين بن هارون العباسي تولى الخلافة محمد بن هارون المهدي بعد أبيه هارون بناءً على ولأية العهد التي أقرها أبوه له ومن بعده أخيه عبد الله المأمون وكان ذلك قد دون في وثيقة وقع عليها جميع الشخصيات المعروفة، وقرأت في جميع الأمصار الاسلامية وعلقت في الكعبة الشريفة, كانت بيعة الأمين في نفس اليوم الذي توفي فيه هارون في طوس في قرية اسمها سناباذ، عام(١٩٣هـ/٨٠٨م)، قتل الآمين ليلة الاحد لخمس بقين من المحرم عام(١٩٨هـ/٨١٣م) وكانت خلافته اربع سنين وستة أشهر، وعمره عند قتله كان ثلاث وثلاثين عام, ينظر: (المسعودي، ٢٠٠٥، صفحة ٤٩٨/١)؛ (ابن العمراني، ٢٠٠١، صفحة ٧٥).

(١٤) المأمون العباسي، بويع المأمون عبد الله بن هارون ابو العباس بالخلافة بعد ان هزم علي بن عيسى بن هامان في عام(١٩٥هـ/٨١٠م) وكانت هذه البيعة في خراسان, توفي المأمون في طرسوس يوم الثلاثاء السادس عشر من رجب من عام(٢١٨هـ/٨٣٣م) وكانت خلافته عشرين عام وخمسة أشهر وعمره عند وفاته ثمان واربعين عام, ينظر: (المسعودي، ٢٠٠٥، صفحة ٢٢/٢)؛ (ابن مسكويه، ٢٠٠٠، صفحة ١١٠/٤)؛ (ابن العمراني، ٢٠٠١، الصفحات ٩٧-٩٨).

(١٥) الري : مدينة كبيرة وهي قصبة إقليم الجبل، وكانت مبنية من الأجر ينقسم أهلها إلى ثلاث طوائف شافعية هم الاقلية، وحنيفة هم الاكثر، وكان السواد الأعظم منهم شيعة، ينظر: (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، الصفحات ١١٦/٣-١١٧).

(١٦) نصر بن شبث: وهو من بني عقيل بن كعب بن ربيعة، وكان أسلافه من رجال بني أمية، وقد عاش في مدينة (كيسوم) في شمال حلب، وفي عهده توفى هارون الرشيد، وكذلك اندلعت الفتنة بين الأمين والمأمون، وعندما قتل الأمين امتنع نصر عن البيعة للمأمون وثار في كيسوم، لكن انتهى الأمر باستسلام نصر بن شبث، ينظر: (ابن قتيبة٢، ١٩٦٩، صفحة ٣٩٠/١)؛ (ابن الاثير، ١٩٩٧، صفحة ٣٦٢/٦)؛ (الزركلي، ٢٠٠٢، الصفحات ٢٣/٨-٢٤).

(١٧) هو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي كان أمير شرطة بغداد، الذي استمرت إمارته حوالي ثلاثين سنة، وقد امره المأمون بامتحان العلماء في مسألة خلق القرآن، وكان صارما وجوادا له فضيلة ودهاء توفي عام(٢٣٥هـ/٨٥٠م) فتولى ابنه محمد شرطة بغداد، ينظر: (الذهبي١، ١٩٨٥، صفحة ١٧١/١١).

(١٨) نيسابور: وهي من أهم مدن خراسان، تقع إلى الشمال الغربي من خراسان، عرفت بهوائها النقي، فليس في خراسان اكبر ولا أصح هواء من نيسابور ومن أشهر مدنها: اسرافيين ونسا وطوس وابيورد، ينظر: (الاصطخري، ١٩٦١، الصفحات ١٤٥-١٤٦)؛ (ابن حوقل، ١٩٨٣، صفحة ٣٧١/٢).

(١٩) هو كلثوم بن ثابت بن أبي سعد، ويكنى أبا سعدة كان متولي بريد خراسان في عهد المأمون، ينظر: (الطبري، ١٩٦٧، صفحة ٥٩٤/٩)؛ (ابن خلكان، ١٩٩٤، صفحة ٥٣٢/٢).

(٢٠) طلحة بن طاهر: كان رجلاً حليماً وشجاعاً وسيدا جوادا وكريما، تبوء مكانة بارزة كأحد كبار قادة طاهر، تولى خراسان بعد اغتيال والده طاهر بن الحسين، وكان معروفا عند المأمون بإخلاصه، ينظر: (ابو الفرج الاصفهاني، ١٩٩٧، صفحة ١٥٧/١٥)؛ (ابن مسكويه، ٢٠٠٠، صفحة ١٦٥/٤)؛ (الزركلي، ٢٠٠٢، صفحة ٢٢٩/٣).

(٢١) بابك الخرمي: وهو أحد المارقين عن الإسلام، كان يريد ان يقيم ملة المجوس في بلاد فارس بعد مقتل ابي مسلم الخرساني وإليه تنسب الحركة البابكية (الخرمية)، وعند وصول المعتصم لعرش الخلافة عام(٢١٨هـ/٨٣٣م)قرر القضاء عليه بكل الوسائل الممكنة بحيث خصص ميزانية كبيرة لحربه، وعين أكبر قواده لحربه وهو الأفشين الذي تمكن منه وحمله لسامراء واعدم فيها عام(٢٢٢هـ/٨٣٧م)، ينظر: (الذهبي١، ١٩٨٥، صفحة ٢٥٧/١١).

(٢٢) الصعاليك: معناه في اللغة هو الفقير الذي لا يملك المال، واتخذ معاني أخرى مثل قطاع الطرق، وكذلك هو لفظ أطلقه العرب قبل الإسلام على الأشخاص الذين لا يلتزمون بأعراف القبيلة فيطردون، وقد كانوا كثير منهم من الشعراء مثل عروة بن الورد الذي رفع الصعلكة إلى درجة المروءة والتكافل الاجتماعي وأكد على حق الفقراء في مال الأغنياء، ينظر: (الفراهيدي، ١٩٨٩، صفحة ٣٠٣/٢)؛ (ابن قتيبة١، ٢٠٠٢، صفحة ٣٣٨)؛ (الازهري، ٢٠٠١، صفحة ٨٧/١).

(٢٣) الزواقيل: زقل يعني السريع، وهم قوم سكنوا ناحية الجزيرة وما حولها، ينظر: (ابن قتيبة٢، ١٩٦٩، صفحة ٣٩٠/١)؛ (ابن منظور، ١٩٩٣، صفحة ٣٠٥/١١).

(٢٤) هو عبيد الله بن السري بن الحكم، كان واليا على مصر عام(٢٠٦هـ/٨٢١م) من قبل المأمون ثار على المأمون عندما عقد لخالد بن يزيد الشيباني على مصر، فوجه المأمون طاهر بن الحسين الذي استطاع هزيمته مما اضطر عبيد الله الى طلب الأمان، فمنحه طاهر الامان بشروطه، ينظر: (ابن قتيبة٢، ١٩٦٩، صفحة ٣٩٠/١)؛ (الكندي، ٢٠٠٣، الصفحات ١٧٣-١٧٤).

([٢٥]) طبرستان: وهي كلمة فارسية تأتي من طبر الذي يشق به الحطب واستان الموضع او الناحية، وهي بلاد كبيرة وواسعة خرج منها عدد كبير من العلماء ومن مدنها جرجان ودهستان وامل وهي قصبتها، ينظر: (اليعقوبي١، ٢٠٠١، صفحة ٩١).

([٢٦]) كرمان: تمتد أرضها من مكران شرقا ومفازة ما بين مكران والبحر من وراء البلوص، أما من الغرب تحدها أرض فارس، وشمالها مفازة خراسان وسجستان، ومن الجنوب بحر فارس، كما ان لها في منطقة الشيرجان دخلة في حد فارس مثل الكم، وفيما يلي البحر لها تقويس، ينظر: (الاصطخري، ١٩٦١، صفحة ٩٧).

(٢٧)هو الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام، مؤسس الدولة الزيدية في طبرستان، كان يسكن الري وعندما حدثت فتنة بين صاحب خراسان محمد بن اوس وأهل طبرستان عام(٢٥٠هـ/٨٦٤م)، كتب هؤلاء للحسن يبايعوه، فاستطاع ان يستولي على طبرستان وجرجان بعد قتال عنيف، ودامت إمارته عشرين عاما حيث تولى الحكم من سنة(٢٥٠هـ/٨٦٤م)، توفي عام(٢٧٠هـ/٨٨٣م)، ينظر: (العسكري، ١٩٨٨، صفحة ٩)؛ (اليعقوبي١، ٢٠٠١، صفحة ١٤٣)؛ (الطبري، ١٩٦٧، صفحة ٢٧١/٩).

(٢٨) هو يعقوب بن الليث الصفار أبو يوسف، ولقبه الحسن بن زيد بالسندان لثباته وهو وأحد من الأمراء الدهاة الكبار، كان يعمل في الصفرة أي النحاس في خراسان، وكان يظهر الزهد، وقد ظهر أمره عندما تطوّع في قتال الخوارج في سجستان، واستطاع التغلب عليهم، واشتدت شوكته فغلب على سجستان ثم امتلك هراة وبوشنج، ثم امتلك كرمان وشيراز، واستولى على فارس، في عام(٢٥٩هـ/٨٧٢م)، اقتحم نيسابور، فدخلها عنوة، وتمّ له ملك خراسان، وفارس، وطمع ببغداد، فزحف إليها بجيشه، في عهد الخليفة المعتمد على الله، فخرج جيش المعتمد ودارت بينهما حرب طاحنة، خسر فيها الصفّار، وكانت وفاته في سنة (٢٦٥هـ/٨٧٩م)، ينظر: (اليعقوبي١، ٢٠٠١، صفحة ١٤٣)؛ (ابن خلكان، ١٩٩٤، صفحة ٤٠٢/٦).

(٢٩) المذهب الحنفي: وهو المذهب الذي ينسب الى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي، وكان من أهل كابل او من نسا، كان والده عبدا لرجل من ربيعة بن تيم الله وقد أعتقه، ولد سنة(٨٠هـ/٦٩٩م) في نسا، وكانت وفاته سنة(١٥٠هـ/٧٦٧م) في بغداد، ينظر: (الذهبي١، ١٩٨٥، صفحة ٣٩٤/٦)؛ (المجلسي، ٢٠٠١، صفحة ٢٠٣/١٠).

(٣٠) الإمام موسى الكاظم بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ولد الإمام الكاظم في الابواء بين مكة والمدينة سنة ثمان وعشرين ومئة من الهجرة، وأقام في بغداد أيام الرشيد وحبس فيها إلى أن توفي في محبسه في سنة ثلاث وثمانين ومئة، ينظر: (الطبري الشيعي، ١٩٩٢، صفحة ٣٠٣)؛ (الذهبي١، ١٩٨٥، الصفحات ٢٧٠/٦-٢٧٤).

(٣١) هو القاسم بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان فقيها شاعرا، وأبيه إبراهيم طباطبا تعتبره الزيدية هو المؤسس الأول للأئمة الزيدية، أعلن دعوته سنة(١٩٩هـ/٨١٤م)، ينظر: (الرسي، ١٩٩٨، صفحة ٢٥).

([٣٢]) هو يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام، كان يكنى ابا الحسن، والدته أم الحسن بنت عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام،وكان رجلاً فارساً شجاعاً قوي القلب وكان بعيداً عن رهق الشباب، ينظر: (ابو الفرج الاصفهاني١، ٢٠٠٦، صفحة ٤٢٠).

(٣٣) أبو السرايا: هو السري بن منصور من بني شيبان من ولد هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود، وذكر إنه من بني تميم في الجزيرة، وكان من امراء المأمون، وقد قاد ثورة ضد العباسيين مع العلويين فكان معه محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب، وهو ابن طَبَاطبا وقتل على يد الجيش العباسي عام(١٩٩هـ/٨١٤م)= =ينظر: (الكليني، ١٩٦٨، صفحة ٢٥٧/٨)؛ (المسعودي، ٢٠٠٥، صفحة ٤٣٩/٣)؛ (ابو الفرج الاصفهاني١، ٢٠٠٦، صفحة ٣٥٦).

(٣٤) وهو محمّد بن القاسم بن عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد خرج عام(٢١٩هـ/٨٣٤م) بالطالقان من خراسان، وكان يدعوا إلى الرضا من آل محمّد، كان حسن السيرة، وقد كانت بينه وبين قوّاد عبد الله بن طاهر وقعات كثيرة بناحية الطالقان وجبالها، ينظر: (ابن الاثير، ١٩٩٧، صفحة ٤٤٢/٦).

(٣٥)هو محمد بن جعفر بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان خليفة الحسين الحرون، خرج بعده في الكوفة، ودعا الى الحسن بن زيد فأخذه عبدالله بن طاهر فحبسه بنيسابور فلم يزل في حبسه حتى مات، ينظر: (الطبري، ١٩٦٧، صفحة ٣٢٨/٩)؛ (ابو الفرج الاصفهاني١، ٢٠٠٦، صفحة ٢٧٩).

(٣٦) الطالقان: وهي بلدتان، إحداهما تقع في خراسان بين مرو الروذ وبلخ، وتفصل بينهم ثلاث مراحل، والبلدة الأخرى بين قزوين وبين ابهر وتحتوي على عدة قرى، وهي أكبر مدينة في طخارستان، ينظر: (اليعقوبي١، ٢٠٠١، صفحة ١١٥)؛ (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، الصفحات ٤/٦-٧).

(٣٧)بويع محمد بن هارون الرشيد ابو اسحاق بالخلافة وتلقب بالمعتصم بالله في اليوم الذي توفي فيه المأمون, وقد استلم الخلافة المعتصم بالله عام(٢١٨هـ/٨٣٣م) وهو أخو المأمون, وأمه اسمها مأربة وهو اول من أستلم الخلافة بعد المنصور من الأخوة اي من أخ الى أخ فقد كانت في الابناء, وهو اول من اضاف اسم لفظ الجلالة (الله) الى اسم الخليفة, فتحولت اليه الخلافة وبويع في شهر رجب عام(٢١٨هـ/٨٣٣م), ويسمى الثماني فقد ولد سنة ثمانين ومائة وفي الشهر الثامن وهو ثامن الخلفاء العباسيين والثامن من ولد العباس وقد فتح ثمانية فتوح وله من الاولاد ثمانية ذكور وثمانية أناث وكانت وفاته عن عمر ثماني واربعين عام, ينظر: (الطبري، ١٩٦٧، صفحة ٦٥٠/٨)؛ (المسعودي، ٢٠٠٥، صفحة ٥٧/٢)؛ (ابن الجوزي، ١٩٩٢، الصفحات ٢٥/١١-٢٦)؛ (ابن العمراني، ٢٠٠١، صفحة ١٠٣).

(٣٨) نسا: وهي من مدن خراسان مدينة خصبة غنية بالمياه والبساتين، تعادل مساحتها مساحة سرخس، تحتوي على مياه جارية في دورهم وشوارعهم، وهي نزهة وقصبتها قاين ومن مدنها الأخرى خور وطبس، ينظر: (الاصطخري، ١٩٦١، صفحة ٢٧٣).

(٣٩) اللبد: ويقصد باللبد الصوف، ينظر: (الازدي، ١٩٨٧، صفحة ٢٩٨/١).

(٤٠) غرش: وهي احد قرى خراسان وهي ناحية واسعة تقع بين كابل وغزنة وهراة، ينظر: (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ١٩٤/٣).

(٤١) المنتصر بالله: هو محمد المنتصر بالله بن جعفر المتوكّل على الله بن المعتصم، ويكنى أبو جعفر، أحد خلفاء الدولة العباسية، ولد في سامرّاء عام(٢٢٣هـ/٧٣٨م)، تولى الخلافة بعد أن قتل أباه سنة(٢٤٧هـ/٨٦١م)، وفي أيامه ازدادت سلطة الغلمان الذين حرّضوه على خلع أخويه المعتزّ، والمؤيّد، اللذين كانا وليى عهده، وهو أول من تعدى على أبيه من بني العباس، إلا أن فترة حكمه لم تطل، وكان إذا ما جلس إلى الناس يتذكر قتله لأبيه فترتعد فرائصه، قيل: "مات مسموما بمبضع طبيب"، ووفاته المنية بسامرّاء عام(٢٤٨هـ/٨٦٢م)، وكانت مدة خلافته ستة أشهر وأيام،

ينظر: (اليعقوبي١، ٢٠٠١، صفحة ٥٣)؛ (ابو زكريا الازدي، ٢٠٠٦، صفحة ٥٠/٢)؛ (ابن مسكويه، ٢٠٠٠، صفحة ٣١٧/٤)؛ (الخطيب البغدادي، ١٩٩٧، صفحة ١٣٠/٣).

(٤٢) المتوكل على الله: بويع جعفر بن محمد المعتصم المتوكل(٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م), وأمه اسمها شجاع في يوم الاربعاء من ذي الحجة عام(٢٣٢هـ/٨٤٦م)، وقتل المتوكل على يد الاتراك، وعمره واحد واربعين عاماً وكانت خلافته اربع عشرة سنة وتسعة اشهر وتسع ليال ينظر: (ابن قتيبة٢، ١٩٦٩، صفحة ٣٩٢/١)؛ (اليعقوبي، ١٩٨٦، الصفحات ٢٨٤/٢-٢٩٣)؛ (المسعودي، ٢٠٠٥، صفحة ٧٥/٢).

(٤٣) المستعين بالله: هو أبو العباس أحمد بن المعتصم بن هارون، وأمه اسمها مخارق وهي أم ولد، ولد سنة(٢٢١هـ/٨٣٥م) وكان مليحا أبيض، في وجهه آثار مرض الجدري، وكان ألثغ بويع للخلافة بعد يوم من موت المستنصر، وقتل على يد المعتز بعد أن خلع نفسه في سنة (٢٥٢هـ/٨٦٦ م)، ينظر: (ابو زكريا الازدي، ٢٠٠٦، صفحة ٥١/٢)؛ (الذهبي، ١٩٩٣، صفحة ٢٢/١٨).

(٤٤) عمر بن الفرج الرخجي: وهو من أعيان الكتاب، ولقبه الرخجي نسبة إلى منطقة الرخج وهي من نواحي كابل، ضيق على العلويين كثيرا، حيث منع الناس من البر بهم، وعندما كان يعلم أن أحدا بر بهم بشيء كان يعاقبه بشدة، وقد تدهورت علاقته بالمتوكل، فصادر امواله وضياعه وحبسه لمدة عامين، وأمر أن يصفع كل يوم، ويرتدي جبة من الصوف، توفي ببغداد، ينظر: (ابن قتيبة، ١٩٩٢، صفحة ٣١٢/٢)؛ (المسعودي، ٢٠٠٥، صفحة ١٩/٤)؛ (ابو الفرج الاصفهاني١، ٢٠٠٦، صفحة ٣٩٦)؛ (العمري، ٢٠٠١، صفحة ٥٩٨).

(٤٥) شاهي: وهي قرية تقع بين الكوفة وبغداد، ينظر: (اليعقوبي، ١٩٨٦، صفحة ٤٩٧/٢)؛ (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ٣١٦/٣).

(٤٦) عبد الله بن محمود السرخسي: هو عامل محمد بن عبد الله بن طاهر على السواد، ينظر: (ابن خلدون، ١٩٧١، صفحة ٢٨٥/٣).

(٤٧) الزيدية فرقة من فرق الشيعة المتعددة وطائفة من طوائفها كالاثنى عشرية والاسماعلية وغيرها من الفرق الشيعية، تنسب إلى مؤسسها الحسن بن زيد ابن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي المسمى بالداعي الكبير، وكانوا يدعون إلى الرضا من أهل البيت عليهم السلام، وانتشرت الدعوة الزيدية في أقصى بلاد المشرق حتى جبال طبرستان حيث وجد العلويون هناك ارضاً خصبة لنشر التشيع، وكان من ابرز دعاة الزيدية فيها بالإضافة إلى الحسن بن زيد اخوه محمد والناصر الاطروش، وبفضلهم انشئت الدولة العلوية على المذهب الزيدي، وشملت معها بلاد الديلم بعد منتصف القرن الثاني الهجري، ينظر: (الشامي، ١٩٧٤، الصفحات ٢٣٢-٢٣٣).

(٤٨) واسط: وهي من اهم مدن العراق سميت واسط لانها تتوسط الكوفة والبصرة، بناها الحجاج في (٨٤-٨٦هـ/٧٠٣-٧٠٥م) وكان اختياره لها لتكون مقر لجيشه كونها تقع بين نهري دجلة والفرات مما يجعل ارضها خصبة وتحتوي على جامعين وجسر وقصرها ذو القبة الخضراء، اضافة لموقع واسط قريب من المشرق الاسلامي يتيح المجال لعمليات الفتح الاسلامي والتحرير فضلا عن انها نقطة التقاء الطرق البرية والمائية مما يساعد على الحركة الاقتصادية والتجارية وتبادل السلع، ينظر: (الاصطخري، ١٩٦١، صفحة ٨٥)؛ (المقدسي، ١٩٩١، صفحة ١١٨/١)؛ (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، الصفحات ٣٤٨/٥-٣٤٩)؛ (ابن خلكان، ١٩٩٤، صفحة ٥٠/٢).

(٤٩) الحسين بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب، وهو أحد قادة محمد بن عبد الله، ينظر: (ابن الاثير، ١٩٩٧، صفحة ٩٩/١٣).

(٥٠) هو داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهو من الرجال الثقاة وكان جليل القدر وعظيم المنزلة عند الامام أبي جعفر الجواد والإمام أبو الحسن الهادي والامام أبي محمد العسكري؛ ينظر: (الصدوق، ١٩٨٣، سلسة ٥١٧/٤).

(٥١) مزاحم بن خاقان: هو مزاحم بن خاقان بن عرطوج الأمير أبي الفوارس التركي، عين واليا قبل المعتز توفي سنة اربع وخمسين ومئتين، ينظر: (ابن عساكر، ١٩٩٥، صفحة ٣٦٨/٥٧)؛ (ابن تغري بردي، ١٩٦٣، الصفحات ٣٣٨/٢-٣٣٩).

(٥٢) الخليفة المعتز العباسي هو الزبير أبو عبد الله محمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد وأمه رومية أسمها قبيحة وقد استخلف وكان عمره عشرين سنة وذلك بفضل الأتراك وهم من قاموا بخلعه وذلك بعد ان حاول الاستغناء عنهم، وكانت مراسيم خلع المستعين والبيعة للمعتز في بغداد بحضور الفقهاء والقضاة والعدول في المسجد الجامع "أشهد عليك بأنك قد خلعت نفسك من جميع ما كنت تتولّاه من أمور المسلمين، وإنك قد بايعت ابن عمك أبا عبد الله الزبير بن المتوكل على الله؟ قال: نعم اشهد عليّ بذلك"، وقتل الاتراك المعتز بعد تعذيبه سنة(٢٥٥هـ/٨٦٧م) وكانت مدة خلافته اربع سنين وستة اشهر وخمسة وعشرين يوماً, ينظر: (ابن العمراني، ٢٠٠١، صفحة ١٢٦)؛ (الذهبي١، ١٩٨٥، الصفحات ٥٣٢/١٢-٥٣٣).

(٥٣) المعتمد: هو أحمد المعتمد على الله بن المتوكل بن المعتصم بالله العباسي، يكنى بأبي العباس، ولد عام(٢٢٩هـ/٨٤٣م) في سامراء، وأمه رومية اسمها فتيان، توفي المعتمد بالله عام (٢٧٩هـ/٨٩٢م) فدفن في سامراء، وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة، ينظر: (ابن العمراني، ٢٠٠١، صفحة ١٣٧)؛ (ابن شاكر الكتبي، ١٩٧٤، صفحة ١١٦/١)؛ (ابن خلدون، ١٩٧١، صفحة ٣٨٠/٣).

(٥٤) الموفق: وهو محمد بن جعفر المتوكل ويكنى ابي احمد ويلقب بالموفق وهو ولي العهد للمعتمد بعد ابنه جعفر واسمه طلحة وكان الامر والنهي له دون المعتمد الذي كان منشغلاً في السكر واللهو والغناء حتى كان يخطب له على المنابر بلقب الناصر لدين الله ابا احمد الموفق وبلغ من الهيبة في دار الخلافة ان فرض سيطرتها على المشرق والعراق جميعاً وضبط امور مصر واعاد الامور الى نصابها لقوة شخصيته وقد جمع المعتضد وولده واهله جميعهم في موضع واحد وكل بهم واجرى الامور مجاريها, وبعدها سكن واسط وبنى مدينة الموفقية التي سكنها لأجل حرب صاحب الزنج الذي دامت حركته ١٤عام واستطاع ان يهزم يعقوب بن الليث الصفار وتوفي عام(٢٧٨هـ/٨٩١م) في بغداد ودفن فيها, ينظر: (ابن عساكر، ١٩٩٥، الصفحات ٢١٨/٥٢-٢١٩).

(٥٥) أبي الساج: كان ابي الساج وولداه يوسف ومحمد وصهره عبد الرحمن من قواد العباسيين، وأصلهم من أشروسنة في تركيا، وقد خاض ابو الساج معارك عديدة ضد الثوار العلويين في مناطق عديدة فقتل وسجن الكثير منهم، كما حارب صاحب الزنج في البصرة، ينظر: (ابو الفرج الاصفهاني١، ٢٠٠٦، صفحة ٤٣٢)؛ (العمري، ٢٠٠١، صفحة ٣٣٤)؛ (التنوخي١، ١٩٨٠، صفحة ٣٢٢/١).

(٥٦) حمزة الخارجي: وهو حمزة بن عبد الله الخارجي، تزعم حركة الخوارج في إقليم سجستان ضد الدولة العباسية، تعود اصوله الى اسرة فارسية عريقة النسب، فكان من نسل طهماسب، وقد عرف بالشجاعة والسطوة، من منطقة تدعى رون وجول في سجستان، ويعني لفظ (جول) في اللهجة الخرسانية، الصحراء الفقيرة، ينظر: (مؤلف مجهول، ٢٠٠٦، صفحة ١٣٠).

(٥٧) سجستان او سيستان: هي ولاية كبيرة، تبعد عن هراة عشرة ايام حيث تقع الى الجنوب من هراة، ارضها رملة سبخة والرياح فيها لاتسكن ابد، وتعتبر بست من أعظم مدنها، ينظر: (اليعقوبي١، ٢٠٠١، صفحة ١٠١).

(٥٨) محمد بن الحصين القوسي: هو احد ولاة سجستان ولاه طاهر بن الحسين على سجستان عام (٢٠٧هـ/٨٣٠م)، وقد أحسن إلى الناس، واجتذب قلوبهم بحسن العمل والقول، ينظر: (مؤلف مجهول، ٢٠٠٦، صفحة ١٤٧).

(٥٩) إلياس بن أسد: وهو اخو نوح ويحيى واحمد أولاد أسد بن سامان، ينظر: (مؤلف مجهول، ٢٠٠٦، صفحة ١٤٧).

(٦٠) محمد بن الأحوص: وهو والي سجستان حيث عين من قبل طاهر بن الحسين عام(٢٠٨هـ/ ٨٢٣م)، وقد أحسن إلى أهلها، وحارب الخوارج في سجستان وقتل على أيديهم، ينظر: (مؤلف مجهول، ٢٠٠٦، الصفحات ١٥١-١٥٢).

(٦١) لم أجد له ترجمة.

(٦٢) لم أجد له ترجمة.

(٦٣) عمار الخارجي: هو أحد زعماء الخوارج، قاتله يعقوب بن الليث الصفار بجيش منظم بينما كان جيش عمار غير منظم، فاستطاع يعقوب التغلب على الخوارج وقتل عمار الخارجي في سنة احدى وخمسين ومئتين، ينظر: (مؤلف مجهول، ٢٠٠٦، صفحة ١٧٠).

(٦٤)كش: وهي مدينة تقع في بلاد ما وراء النهر، وواحدة من كور سجستان، بين كش وسجستان حوالي ثلاثون فرسخا، ينظر: (ابن حوقل، ١٩٨٣، صفحة ٤٢٣/٢)؛ (مؤلف مجهول، ٢٠٠٦، صفحة ١٦٩).

(٦٥)صالح بن النضر الكناني: وهو من اهالي بست، كان معروفا بقتال الخوارج، تغلب على سجستان في عهد الخليفة المتوكل سنة(٢٣٧هـ/٨٥١م) ولكن طاهر بن عبد الله بن طاهر تمكن من التغلب عليه وطرده من سجستان، ينظر: (ابن خلكان، ١٩٩٤، صفحة ٤١٦/٦)؛ (النويري، ٢٠٠٤، صفحة ٣٧٣/٢٥).

(٦٦) العيار: هو الرجل كثير التجول والتطواف الذكي, وهو الذي يتردد بلا عمل، وقيل: هو الرجل كثير الحركة, ينظر: (ابن منظور، ١٩٩٣، صفحة ٩٤٠/٢)؛ (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥، صفحة ٩٨/٢)، والعيارون اصطلاحاً: فأولئك هم اللصوص من الصعاليك والزعار والحرافيش واصحاب المهن المحقرة, واشباههم من المعدمين والفقراء, والعاطلين من العمل, والذين طحنهم الفقر واعجزتهم البطالة, بسبب سوء تدبير الزعماء وغفلتهم عن مصالح العباد, وانهماكهم في الملذات, فضاقوا ذرعاً بغياب القانون وغيبوبة السلطان, واهل الدولة, ينظر: (النجار، ١٩٩٠، الصفحات ٧-٨).

العلامات المائية ذات الرموز الدينية على الورق الأوروبي في مقتنيات المكتبة المركزية بجامعة صلاح الدين بأربيل: دراسة تحليلية لدلالاتها(نماذج مختارة)

د. ئاوات ابراهيم خضر

قسم الآثار/ كلية الآداب

جامعة صلاح الدين/ أربيل

Awat.khudur@su.edu.krd

96407504613344

العلامات المائية ذات الرموز الدينية على الورق الأوروبي في مقتنيات المكتبة المركزية بجامعة صلاح الدين بأربيل: دراسة تحليلية لدلالاتها(نماذج مختارة)

د. ئاوات ابراهيم خضر

الملخص:

تستعرض هذه الدراسة أهمية العلامات المائية كأداة حيوية في فهم تأريخ الورق والمخطوطات، وتسلط الضوء بشكل خاص على دلالة الرموز الدينية الموجودة في هذه العلامات كشاهد على التأثير الثقافي والديني العميق في أوروبا خلال العصور الوسطى وعصر النهضة. إذ لم تكن هذه الرموز مجرد عناصر زخرفية، بل حملت في طياتها معاني ثقافية ودينية هامة، مما يتيح لنا نافذة على معتقدات وقيم المجتمعات التي أنتجتها. في مجموعات المخطوطات الإسلامية والشرقية بشكل خاص، تُستخدم الرموز الدينية بشكل متكرر لتأكيد الهوية الدينية للمحتوى أو للشخص الذي استعمل أو صنع الورق، مما يجعلها أدوات مهمة في علم الوثائق وفهرستها. ووفقًا للبحث، فإن دراسة هذه الرموز تساهم في فهم تاريخ الورق وتقنيات تصنيعه، وكذلك الروابط بين الأدب، الثقافة، والتجارة الدينية.

تكتسب المكتبة المركزية بجامعة صلاح الدين بأربيل أهمية خاصة كمصدر لهذه الدراسة، حيث تضم مجموعة قيمة من المخطوطات التي تم فحصها. تغطي هذه المخطوطات مجالات معرفية واسعة، بدءًا من العلوم الدينية والقواميس، مرورًا بالتاريخ والطب والهندسة، وصولًا إلى علم الفلك وغيرها. ومن خلال التحليل الدقيق لأوراق هذه المخطوطات، يمكن الكشف عن أدلة تسهم في تحديد مصادرها. وتعد دراسة العلامات المائية الموجودة عليها من الوسائل الأساسية في هذا السياق.

الكلمات المفتاحية؛ العلامات المائية، المخطوطات، المكتبة المركزية، الورق الاوروبي، جامعة صلاح الدين.

Conclusion;

This study explores the significance of watermarks as a vital tool for understanding the history of paper and manuscripts. It specifically highlights the meaning of religious symbols within these marks, which serve as evidence of the profound cultural and religious influence in Europe during the Middle Ages and Renaissance. These symbols were not merely decorative elements; they carried significant cultural and religious meanings, offering a window into the beliefs and values of the societies that produced them.

In Islamic and Eastern manuscript collections in particular, religious symbols are frequently used to affirm the religious identity of the content or the person who used or made the paper, making them important tools in the field of Document science and cataloging. According to the research, studying these symbols contributes to our understanding of the history of paper and its manufacturing techniques, as well as the connections between literature, culture, and religious trade.

The Central Library at Salahaddin University in Erbil holds special importance as a source for this study, as it contains a valuable collection of manuscripts that have been examined. These manuscripts cover a wide range of fields, from religious sciences and dictionaries to history, medicine, engineering, astronomy, and more. Through a careful analysis of the paper in these manuscripts, evidence can be uncovered to help determine their origins. The study of the watermarks found on them is one of the primary methods used in this context.

Keywords: Watermarks, Manuscripts, Central Library, European paper, Salahaddin University.

مقدمة البحث؛

١. المدخل والإشكالية (أهمية العلامات المائية)

تُعدّ العلامات المائية (Watermarks) أداة حيوية وأساسية في فهم تأريخ الورق والمخطوطات، وتجاوز دورها مجرد الكشف عن تقنيات التصنيع ليشمل تحليل الروابط الثقافية والتجارية. إن دراسة هذه العلامات تمنحنا نافذة على عملية نقل المعرفة وتطور المادة الحاملة لها، مما يجعلها أدوات مهمة في علم الوثائق وفهرستها والكوديكولوجيا.

تسلط هذه الدراسة الضوء بشكل خاص على دلالة الرموز الدينية الموجودة في العلامات المائية للمخطوطات، وخاصة الرموز ذات الأصول الأوروبية، كشاهد على التأثير

الثقافي والديني العميق في أوروبا خلال العصور الوسطى وعصر النهضة. إذ لم تكن هذه الرموز مجرد عناصر زخرفية، بل حملت في طياتها معاني ثقافية ودينية هامة تعكس معتقدات وقيم المجتمعات المنتجة لها. وفي مجموعات المخطوطات الإسلامية والشرقية، تُستخدم الرموز الدينية بشكل متكرر لتأكيد الهوية، مما يجعل دراسة هذه الرموز تساهم في فهم تاريخ الورق وتقنيات تصنيعه، وكذلك الروابط بين الأدب، الثقافة، والتجارة الدينية.

٢. أهمية البحث ومجاله التطبيقي

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من محاولة ربط الجانب التقني (العلامة المائية) بالجانب الثقافي والديني، والكشف عن التأثيرات المتبادلة بين الدين والحرف والفن في فترات تاريخية حاسمة.

المجال التطبيقي: تكتسب المكتبة المركزية بجامعة صلاح الدين بأربيل أهمية خاصة كمصدر تطبيقي لهذا البحث، حيث تضم مجموعة قيمة من المخطوطات التي تغطي مجالات معرفية واسعة، بدءًا من العلوم الدينية والقواميس، مرورًا بالتاريخ والطب والهندسة، وصولًا إلى علم الفلك وغيرها. ومن خلال التحليل الدقيق لأوراق هذه المخطوطات، يمكن الكشف عن أدلة تسهم في تحديد مصادرها، وتُعد دراسة العلامات المائية الموجودة عليها من الوسائل الأساسية في هذا السياق.

٣. أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

تحليل العلامات المائية: تحليل العلامات المائية ذات الرموز الدينية الموجودة في نماذج مختارة من المخطوطات في المكتبة المركزية.

تحديد الدلالات الرمزية: تحديد الدلالات الرمزية لهذه الرموز وتأثيرها على السياق التاريخي والثقافي.

تحديد تاريخ ومصدر الورق: تحديد تاريخ ومصدر الورق الذي تحمله هذه العلامات المائية.

فهم العلاقة بين الفن والدين والحرف: فهم العلاقة بين الدين والحرف والفن في أوروبا من خلال دراسة العلامات المائية.

استكشاف التأثيرات الثقافية: استكشاف تأثير الثقافات الأخرى على اختيار العلامات المائية في عصر النهضة الأوروبي، بما في ذلك تأثير الثقافات الدينية وتأثير الدين المسيحي على الفن والحرفيين في العصور الوسطى والنهضة.

٤. منهجية البحث

تعتمد هذه الدراسة على منهجية مزدوجة لتحقيق أهدافها:

المنهج الوصفي التحليلي: لتحليل ووصف العلامات المائية وتحديد دلالاتها الرمزية.

المنهج التاريخي: لتحديد تاريخ ومصدر الورق والسياق التاريخي للرموز الدينية.

المنهج التطبيقي: من خلال تحليل النماذج المختارة (دراسة تفصيلية لعينات من العلامات المائية الموجودة في المخطوطات) والاستعانة بالمصادر التاريخية والفنية لفهم الرموز الدينية وسياقها الثقافي.

صناعة الورق والعلامات المائية:

صناعة الورق:

لقد أحدث اختراع الورق ثورة في مسيرة تطور العلوم وتدوينها، ليحل محل مواد الكتابة التقليدية كالبردي والرق. وبفضل سهولة الحصول عليه، أتاح الورق انتشار المعرفة على نطاق واسع بعد أن كانت مقتصرة على النخب. انطلقت صناعة الورق من الصين في القرن الثاني الميلادي(روجرز، ١٩٦٩، ص١٤٩-١٥٠)، مستخدمة في بدايتها شباك الصيد وقطع القماش. ثم انتقلت هذه التقنية غربًا عبر طريق الحرير بفضل حركة التجار والمسافرين والرهبان والمبشرين، وذلك في وقت مبكر من القرن الثالث الميلادي. ومع توسع الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى خلال القرن الثامن الميلادي، تبنى العالم الإسلامي صناعة الورق.(Williams, Tim, 2013, p. 99-100). وبعد خمسة قرون من ازدهارها في الحضارة الإسلامية، وصلت صناعة الورق إلى أوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي، حيث شهدت تطورًا وتنوعًا في أنواعها(حمودة، ١٩٧٩، ص٨٠).

ان لابتكار استخدام الطواحين المائية دور كبير في زيادة إنتاج الورق بدلًا من استخدام القوة البدنية أو مطارق الهاون، لهرس المواد الأولية لإعداد عجينة الورق، مما مكنهم من إنتاج كميات كبيرة من الورق في وقت أقل بدأ ذلك في الأندلس في شاطبة حوالي سنة (٥٤٦هـ/١١٥١)م، ثم نُقلت هذه الفكرة إلى الغرب، وتحديدًا إلى إيطاليا، ففي عام (٦٧٥هـ/ ١٢٧٦)م أنشأ أول مصنع فيها بمدينة فابريانو (لوفداي، ٢٠١٤، ص٢١٥). وسرعان ما تبعتها مصانع اخرى في جميع المدن الهامة، كألمانيا حيث أسس أول مصنع للورق في ألمانيا عام (١٣٩٠)م، وفي القرن الخامس عشر الميلادي انتقل الى عموم اوروبا وأهمها (هولندا، سويسرا، انكلترا)، وفي عام (١٦٩٠)م انشأ اول مصنع للورق في ولاية فلادلفيا في الولات المتحدة الامريكية بعد انتشار الورق في اوروبا عموما(Frans, Theo, 2019, p. 5,6).

استمر تطور صناعة الورق في الغرب بتحويل الطواحين المائية إلى طواحين ميكانيكية تعمل بالهواء في هولندا، فأصبحت بذلك مقرًا لصناعة الورق الأبيض الناعم. كما غيّروا القالب المستخدم من قبل المسلمين المصنوع من قصب البامبو إلى أسلاك معدنية، فاستخدموا نوعين من القوالب في أوروبا: نوع يسمى القالب الممدد الغربيلي (laid mould))وقد أنتجت جميع الأوراق الأوروبية بهذه الطريقة واستمر استخدامها حتى أواسط القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. ولكن نتيجة لتفاعل الأسلاك المعدنية مع الماء وتآكل القالب، استغنى الصناع عن الأسلاك المعدنية واستخدموا الأسلاك النسيجية كبديل لها. بذلك ظهر النوع الثاني من القوالب؛ وهي استخدام القوالب النسيجية (wove moulds)، فيكون الورق كقطعة من القماش وخطوطه متشابكة، وسطحه أنعم وأرق من الورق المصنوع بالقالب الغربيلي.(ابراهيم، امير، ٢٠١٠ ، ص٩٨).

في المقابل، تحولت البلاد الإسلامية من دولة مُصدرة إلى دولة مُستوردة للورق نتيجة لتراجع اهتمام السلطات بهذه الصناعة، بالتزامن مع منافسة الشركات الأوروبية التي اهتمت بنوعية الورق وسرعة الإنتاج.

العلامات المائية: تاريخها وتطورها:

تُعد العلامات المائية سمة مميزة للورق الأوروبي (بنبين، طوبي، ٢٠٠٣، ص١٦٣). ظهرت هذه التقنية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وهي عبارة عن تصميمات شبه شفافة لا تظهر إلا عند توجيه الضوء نحو الورقة. تُعتبر العلامة المائية بمثابة بصمة أو علامة تجارية لصانع الورق (Bayram, 2020, p.16)، وكل ورقة تحمل علامة مائية تحمل في طياتها شهادة ميلادها (Neil, Harris, 2017, p. 46).

نشأة وتطور العلامات المائية:

ظهرت العلامات المائية للمرة الاولى في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وتعد بولونيا في إيطاليا موطن أقدم علامة مائية معروفة، والتي ظهرت على وثيقة عام (٦٨١هـ / ١٢٨٢)م. كانت هذه العلامات في البداية مجرد رموز بسيطة، مثل الصليب اليوناني، ثم تطورت لتصبح أكثر تعقيدًا. مع مرور الوقت، تحولت إلى علامات تجارية شخصية للمصانع، تشمل شعارات النبالة، حروفًا، أو حتى اسم الصانع الكامل. لم تكن جميع أنواع الورق تحمل علامات مائية، بل كانت ميزة للورق ذي الجودة المتوسطة والجيدة.(ابراهيم، ٢٠١٠، ص١٠٣).

كان سبب ظهور العلامات المائية هو المنافسة الشديدة بين مصانع الورق الأوروبية. ففي الوقت الذي كانت فيه صناعة الورق تتراجع في العالم الإسلامي، كانت أوروبا تتبنى تقنيات جديدة. كان الورق الأوروبي ينافس الورق الإسلامي ليس لجودته، بل لرخص ثمنه، حيث استخدم الأوروبيون موادًا مثل ألياف الخشب والخرق القديمة، مما قلل من تكلفة الإنتاج.(بارنز،١٩٨٤، ص١٧).

تأثرت أشكال العلامات المائية في أوروبا بالتنوع الثقافي، خاصة عند تصدير الورق إلى العالم الإسلامي. فظهرت علامات تعكس هذه الحساسية، مثل الهلال والنجمة، بدلاً من رموز دينية تتعارض مع الفكر الإسلامي مثل الصليب، مما يشير إلى مرونة الأوروبيين في تلبية متطلبات السوق.

آلية صناعة العلامات المائية:

كانت الطريقة التقليدية لصناعة الورق في الشرق تعتمد على قوالب من القصب، والتي لم تكن تسمح بإضافة علامات. أما الأوروبيون، فقد استبدلوا القصب بأسلاك نحاسية. يتم ثني الأسلاك النحاسية لتشكيل التصميم المراد، ثم يتم وضع لب الورق الرطب فوقها. يستقر اللب حول الأسلاك بشكل أقل كثافة، مما يؤدي إلى ظهور التصميم بشكل شبه شفاف عند جفاف الورقة.(Bayram, 2020, p.16). متوسط عمر القوالب الافتراضي عامين تقريبا، اذ يتعرض للتآكل فيستبدل بقالب آخر، لذلك لا يتطابق العلامة مع سابقها، ما يجعله صعبا فك رموزها. (Neil, Harris, 2017, p.46).

لم يكن اختيار التصميم عشوائيًا، بل كان يعكس غالبًا هوية المصنع، سواء كان اختصارًا لاسم العائلة، رمزًا دينيًا، أو غير ذلك. وقد كان حجم الورقة وقياسها مرتبطًا بالعلامة المائية، حيث كانت الأوراق التي تحمل نفس العلامة المائية تكون ذات قياسات متشابهة.(w.a.churchill, 1935, p26). مما أدى إلى تسمية أحجام الورق بأسماء العلامات المائية نفسها (مثل كولمبية، القوقعة، إلخ). (لوفداي، ٢٠١٤، ص٢١٥).

وظيفة العلامات المائية:

لا يزال السبب الدقيق لإضافة العلامات المائية غير مؤكد تمامًا، ولكن هناك عدة آراء شائعة حول وظيفتها:

علامة تجارية: لتمييز المنتج عن منتجات المصانع الأخرى. مؤشر للجودة والحجم: للإشارة إلى جودة الورق أو حجمه. (لومير، ٢٠٠٦، ص٧٣)، أو رمز ديني أو سري: كما يرى البعض أنها كانت رموزًا لجماعات سرية أو معتقدات دينية في ظل سيطرة الكنيسة في العصور الوسطى. وسيلة اتصال بصرية: في ظل انتشار الأمية بين عمال صناعة الورق، كانت العلامة المائية بمثابة وسيلة بصرية للتواصل(w.a.churchill, 1935, p26).

تأثير الدين المسيحي على الفن والحرفيين في العصور الوسطى والنهضة؛

العصور الوسطى:

كان الدين المسيحي القوة المهيمنة في حياة الناس وفنهم خلال العصور الوسطى. لعبت الكنيسة دورا محوريا كراعٍ رئيسي للفنون، حيث كلفت بإنشاء الأعمال الفنية لتزيين الكنائس، وتوضيح النصوص الدينية، وتعزيز العقيدة (Snyder, J. 2005, p15.). ركز الفن بشكل أساسي على المواضيع الدينية، مثل حياة المسيح، العذراء مريم، والقديسين، بالإضافة إلى القصص الكتابية. كان الهدف غالبا تعليميا وروحيا، يهدف إلى إلهام التقوى ونقل الحقائق الدينية إلى جمهور كان معظمه أميًا (Stokstad, M., & Cothren, M. W. 2018, p.435). كان الفن مليئًا بالرمزية الدينية؛ على سبيل المثال، يمثل الحمل المسيح، بينما ترمز الحمامة إلى الروح القدس(Ferguson, G. W. 1961, p48.). تم استخدام الألوان والأرقام والأشياء لنقل معاني روحية أعمق. كان الحرفيون في الغالب جزءًا من نظام النقابات الذي كان مرتبطًا في كثير من الأحيان بالمنظمات الدينية. كانت مهاراتهم تُستخدم في خدمة الكنيسة، من بناء الكاتدرائيات الضخمة إلى صناعة المخطوطات المزخرفة والتحف الليتورجية (Wixom, W. D. (Ed.). 1997, p126).

اتجهت الفنون في القرنين الأولين الى استعمال الفن الرمز Art Symbol، فاستعمل الفنان الرسوم الزيتية مثل تلك التي تختص باليمامة والسمكة والمرساة والقيثارة وصياد السمك والراعي، وبهذا ظهرت الوحدة الفنية في أشكال رمزية متعددة، وعن طريقه استطاعت المسيحية التعبير عن أفكارها ومعتقداتها عبر الفنون الرمزية لتحدث نوعا من المشاركة الانفعالية بين معتنقي المسيحية. (M. Didron, 1851, p.6).

عصر النهضة:

على الرغم من ظهور الإنسانية والاهتمام المتزايد بالعالم الكلاسيكي، ظل الدين المسيحي قوة مؤثرة للغاية في فن عصر النهضة. استمرت الكنيسة والجهات الراعية الدينية في تكليف الفنانين بإنشاء أعمال فنية ذات مواضيع دينية (Gombrich, E. H. 2016, p.95). بينما استمرت المواضيع الدينية في الانتشار، بدأ فنانو عصر النهضة في

استكشاف جوانب أكثر إنسانية في الشخصيات الدينية، مع التركيز على عواطفهم وتجاربهم الفردية (عكاشة، ثروت. ٢٠١٠، ص78). ظهرت أيضًا مواضيع جديدة، مثل الأساطير الكلاسيكية والصور الشخصية، مما يعكس الاهتمام الأوسع بالثقافة الإنسانية. أدخل فنانو عصر النهضة تقنيات جديدة مثل المنظور الخطي والتشريح الأكثر دقة، مما أدى إلى تمثيلات أكثر واقعية للإنسان والشكل البشري، حتى في السياقات الدينية (Kemp, M. 2011, p.246). عكست هذه الواقعية المتزايدة التركيز الإنساني على القدرات والإمكانات البشرية. شهد عصر النهضة تحولًا في وضع الحرفيين؛ بدأ الفنانون يُنظر إليهم على أنهم مفكرون ومبدعون يتمتعون بمكانة اجتماعية أعلى من الحرفيين المهرة (Burke, P. 1972, p.266.). ومع ذلك، استمر الحرفيون في لعب دور حيوي في إنتاج المواد والتقنيات اللازمة للإبداعات الفنية.

باختصار، كان للدين المسيحي تأثير عميق ودائم على الفن والحرفيين خلال العصور الوسطى والنهضة. في العصور الوسطى، كان الدين هو القوة الدافعة الرئيسية، حيث شكل الموضوع والوظيفة والرمزية في الفن. في عصر النهضة، بينما ظهرت اهتمامات جديدة، ظل الدين موضوعًا مهما، لكن الفنانين بدأوا في دمجه مع المثل الإنسانية والتقنيات الأكثر واقعية، مما أدى إلى فترة من الإبداع الفني العظيم.

النماذج المختارة من العلامات المائية الموجودة على المخطوطات في المكتبة المركزية:

- **النموذج الأول:**

تحمل بعض أوراق المخطوطة المحفوظة تحت رقم (١٥٧)، والتي يعود تاريخها إلى القرن السادس عشر الميلادي، علامة مائية تتكون من صليب ينتهي رأسه بزهرة ذات ثلاثة أوراق دائرية وساق مستقيمة، ينتهي طرفا الصليب بحرفي (S) و (H)، ويتوسطه حرف (I)، لتشكل مختصرا عبارة عن (HIS). (ينظر شكل وتخطيط رقم-١-).

تحليل العلامة المائية الأولى:

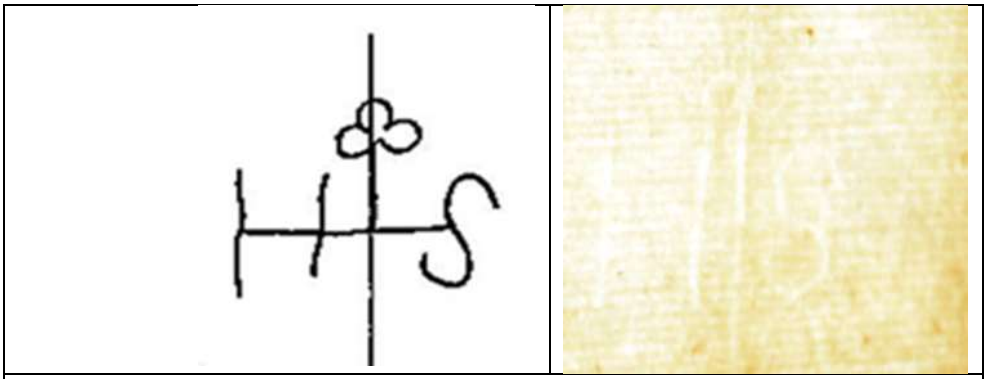
تعتبر هذه العلامة من العلامات المركبة، حيث دمجت فيها الحرف والشكل، وان تركيب العلامات المائية كانت من المراحل المتطورة للأشكال التي كان يختارها أصحاب

مصانع الورق، ترجع صناعة هذه الورقة الى ايطاليا، وتحديدا في مدينة ادينـي(Udine)، صنعت بين سنوات (١٥٧٠)م، وترجع زمن صناعة المخطوطة التي تحمل بعض أوراقها هذه العلامة الى القرن (١٣هـ/١٩م) حيث أرخه الناسخ.

ان الزهرة ثلاثي الأوراق تمثل الثالوث المقدس، ويشار الى أن هذا صليب يوناني، أو ترمز الى الايمان والأمل والمحبة.(bayram, 2020, p130). ويوحي الصليب الزهري أو الصليب ذو الوردات ثلاثية الأطراف بكل من تبرعم عصا هارون وبعث المسيح كانبعاث الحياة. (جي. سي. كوبر، ٢٠١٤، ص١٤٨). استخدمت هذه العلامة في أوروبا منذ القرن الثالث عشر الميلادي.

العلامة "HIS" أو "IHS" وهو رمز مجهول المعنى اختلف الباحثون حول المعنى الأصلي للرمز قبل تبنيه مسيحياً (جي. سي. كوبر، ٢٠١٤، ص٢٩٣). هذا الرمز باعتباره اختصار لاسم يسوع باليونانية (IHΣOYΣ – Iēsous)، أصولها إلى اليونانية، وهي شعار لجمعية اليسوعيين.

كان هذا الاختصار شائعًا في وقت مبكر من تاريخ المسيحية كرمز لاسم يسوع. مع مرور الوقت، حدثت تغييرات في كيفية قراءة هذه الرموز وتفسيرها. في بعض الحالات، تم تفسير الـ "H" كـ "S" مما أدى إلى ظهور "ISS". فيما بعد، أصبح الاختصار "HIS" شائعًا، وفسر على أنه اختصار لـ "Jesus Hominum Salvator" (يسوع المنقذ للبشرية) باللغة اللاتينية، وترمز الى يسوع المسيح المخلص . (W. Ellwood, (1986),p41.).



شكل وتخطيط رقم–١– العلامة المائية عبارة عن (HIS من مخطوطة رقم 157، الباحثة.

- **النموذج الثاني؛**

مخطوطة رقم 39، مجهولة التاريخ، تحمل في إحدى صفحاتها علامة مائية مميزة، عبارة عن ثلاثة أهلة متدرجة الأحجام تتجه نحو اليمين. (ينظر شكل وتخطيط رقم-٢-).

تحليل العلامة المائية الأهلة الثلاثة:

كرمت شعوب مختلفة القمر والنجوم وشعرت بالارتباط بها بطريقة ما، عثر على أقدم السجلات حوالي عام (٢١٠٠)ق.م في بلاد الرافدين، كان الهلال يرمز الى الاله سين والنجمة تمثل شمش في مسلة اور نمو(Dawivedi, 2021,p333). واستمرت استخدامها في العصور اللاحقة الى أن وصلت الى العصر الاسلامي.

اعيد احياء رمز النجمة والهلال في العصور الوسطى مرة اخرى، علامة الأهلة المائية، التي ظهرت على الورق الأوروبي المصدر إلى الشرق، إلى القرن السادس عشر في المصانع الإيطالية. و انتشرت بسرعة في إسبانيا والبرتغال، ثم إلى فرنسا،(bayram,2020, p106.)، حيث استمر استخدامها بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر.

تتعدد الآراء حول أصول وتطور علامة رمزية، يُعتقد أنها تتكون من ثلاثة أهلة أو ثلاث دوائر متداخلة، مما يشير إلى وجودها في أوروبا قبل تكييفها للأسواق الشرقية. يرى البعض أن هذه العلامة هي تبسيط لعلامة مائية ابتكرها أندريا جالفاني، وقد تم العثور على علامات الأهلة الثلاثة على ورق البندقية في مخطوطات إيطالية يعود تاريخها إلى القرن السابع عشر، ما يلمّح إلى وجودها قبل ذلك بوقت طويل. (عبد اللطيف حسن أفندي، ص1).

ان العلامة المكونة من الأهلة الثلاثة تطوراً لعلامة أبسط تتضمن ثلاث دوائر متداخلة. تحمل هذه الدوائر المتّحدة المركز دلالات رمزية عميقة تشمل: الماضي والحاضر والمستقبل، والكرات الثلاث لـ الأرض والهواء والماء، والعوالم الثلاثة الجنة والأرض والجحيم، إضافة إلى أطوار القمر الثلاثة، وشروق الشمس وضحاها وغروبها (جي. سي. كوبر،

٢٠١٤، ص١١٢). كما تصور الدوائر الثلاثية والدوائر المتشابكة الثالوث والوحدة التي لا تنفك للأشخاص الثلاثة في الثالوث المقدس. (جي. سي. كوبر، ٢٠١٤، ص١١٣).

في المقابل، تشير وجهة نظر أخرى إلى أن الهلال هو تعديل لعلامة مائية لشعار النبالة في جنوة، تطور من درع إلى ثلاث دوائر متداخلة بسيطة ثم إلى ثلاث دوائر منفصلة (bayram, 2020, p106).

كما تم ربط العلامة بالسياق الديني، وتحديدًا سفر الرؤيا 12:1، الذي يصف "امرأة تلبس الشمس، والقمر تحت قدميها، وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكبًا." يفسر العديد من اللاهوتيين هذه المرأة بأنها العذراء مريم، ويرمز القمر تحت قدميها إلى انتصارها على العالم المتغير، أو كونه رمزاً للكنيسة التي تعكس نور (الشمس) المسيح (O'hagan, 1926, p36).

روجت هذه العلامة خصيصاً لتلبية متطلبات السوق الشرقي، بعد أن رفض العلماء المسلمون في العصر العثماني العلامات المسيحية مثل الصليب.(ابراهيم، ٢٠١٠، ص١٤٤). لم يقتصر التكيف على تلبية المتطلبات الدينية فحسب، بل كان أيضاً استراتيجية تنافسية لغزو الأسواق الشرقية الكبيرة بعد تدهور صناعة الورق الإسلامية. إن هذا التكيف المزدوج، المدفوع بـ الرفض الديني والتحفيز التجاري، هو ما يفسر الانتشار الواسع لأنواع معينة من العلامات المائية في مجموعات المكتبة المركزية بأربيل، ويؤكد أهمية الدراسة في كشف الروابط المعقدة بين الثقافة والتجارة العالمية.

لم يقتصر تصميم الأهلة على شكل واحد، بل تنوع ليشمل أهلة مفردة، وأهلة مع نجمة، وأهلة مع صليب، وحتى أهلة بملامح الوجه. حيث حصلنا على نماذج منه منذ بدايات قرن السادس عشر ولكن على شكل أهلة واحدة، صنعت في مصانع ألمانية وهولندية، واستمرت صناعتها الى أن تطورت في القرن التاسع عشر وأصبحت ثلاثة أهلة مع بعض. (Joens&Yahya, 2021, p.227.).





الشكل وتخطيط رقم-٢- المخطوطة رقم ٣٩، علامة مائية ثلاثة أهلة (الباحثة).

- **النموذج الثالث:**

المخطوطة رقم 252، التي يعود تاريخها إلى القرن التاسع عشر، تتميز برسم فريد يظهر فيه ثلاثة أهلة ذات وجوه. (ينظر شكل وتخطيط رقم-٣-).

تحليل العلامة؛

تظهر هذه العلامة في عدد من المخطوطات العثمانية، سواء كانت منفردة أو مصحوبة بعلامة أخرى؛ فقد تجدها داخل درع، أو مع اختصارات لحروف، أو حتى برفقة تاج أو صليب. بدأت هذه العلامة بالظهور من حين لآخر منذ القرن السابع عشر، لتصبح شائعة ومنتظمة بحلول عشرينات القرن التاسع عشر في المخطوطات العثمانية (bayram,2020, p115).

احدى الافتراضيات هي أن وضع هذه العلامة كانت مهينة للعثمانيين في سياق التوترات بين اوروبا والعثمانيين، من الممكن أن بعض الورش الأوروبية استخدمت رموزًا تحمل دلالات مزدوجة، لكن هذا يبقى في إطار التأويل وليس الحقيقة التاريخية المثبتة.

تشير الدراسات إلى أن تصميم "الهلال مع الوجه" كان شائعًا كعلامة مائية على الورق الأوروبي، لا سيما الورق البندقي، وقد وُجدت هذه العلامة في مدريد و ألمانيا منذ عشرينات القرن السادس عشر(Bernstein, memory of paper, crescent with face)، واستُخدم هذا الورق في المخطوطات في كل من الشرق الأوسط وأوروبا. يُرجح أن الدافع الأساسي وراء تصميم هذه العلامة بهذا الشكل كان تجارياً، يهدف إلى تمييز المصنع

في ظل المنافسة الشديدة بين المصانع الإيطالية والإسبانية والألمانية. فقد شكّل إنتاج ورق ذي "هوية شرقية مقبولة" ميزة تنافسية حاسمة، حيث تمتع المصنع الذي ينتج ورق الأهلة بأفضلية في التصدير على المصنع الذي يتمسك بالصليب أو الرموز الأوروبية التقليدية.

تؤكد المعلومات المتوفرة أن الهلال المقرون بوجه هو في جوهره تفصيل أيقوني فني نشأ وتطور في أوروبا. ويأتي هذا التفصيل كتجسيد لمفهوم "الرجل في القمر" أو إلهة القمر نفسها، وهو مفهوم مرتبط بالآلهة الكلاسيكية مثل سيلينيا اليونانية آلهة النمو والولادة وديانا آلهة القمر الرومانية (Lurker, 1994, p. 116). أما في سياق الفن المسيحي، فيُصوَّر هذا العنصر السماوي المتجسد على أنه "الند الشيطاني" المقابل للعذراء والشمس، ويسعى لانتزاع الطفل من أمه (visa, Immonen, 2013, p.179). يرمز القمر في هذا الموقف إلى العالم الأرضي والزمني المتميز بالتغيّر والاضطراب ودورة الحياة، بينما يُفسَّر الوجه بأنه يمثل الشر أو الخطيئة الأصلية، حيث قد يظهر أحيانًا بوجه شيطاني أو غاضب. إن وقوف مريم العذراء بقدميها على هذا الرمز يؤكد تفوقها ونقاوتها، وبالتالي هيمنتها السماوية على كل ما هو زائل ومادي.





الشكل وتخطيط رقم-٣- المخطوطة رقم ٢٥٢، العلامة المائية، ثلاث أهلة ذات وجه انسان، الباحثة.

- **النموذج الرابع؛**

تحتوي المخطوطة رقم (49)، التي يعود تاريخها إلى القرن السابع عشر الميلادي، على علامة مائية مميزة عبارة عن تاج مع نجمة. (ينظر شكل وتخطيط رقم-٤-).

تحليل العلامة المائية:

ظهرت هذه العلامة على الورق لأول مرة في ألمانيا في نهاية القرن الرابع عشر، واستخدمت بكثرة في القرنين الخامس والسادس عشر الميلادي، في بداية القرن السابع عشر، انتشرت هذه العلامة في مصانع الورق في مدريد بإسبانيا،.(Bernstein, memory of paper, star, 49,80) ثم انتقلت إلى إيطاليا، وتحديدًا مصنع فابريانو.

وانتشرت في أوراق المخطوطات الاسلامية قرابة قرن من الزمان بدءا من الثلث الثاني من القرن الحادي عشر الهجري وحتى الثلث الأول من القرن الثاني عشر للهجرة/ السابع والثامن عشر الميلاديين.(أمير محمد، ٢٠١٠، ص٣٣١).

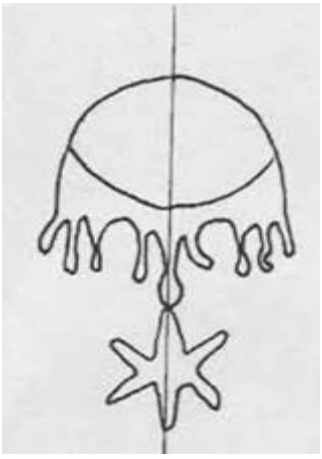
اختلفت شكل هذه العلامة من حيث الشكل والحجم، اذ تطورت إلى شكل تاج ونجمة غير ملتصقة. استمر استخدام هذه العلامة في القرون اللاحقة، ولكن مع بعض التعديلات في شكلها، مثل إضافة هلال أو صليب، بمفردهما أو داخل درع. وتشير تلك الاختلافات الى وجود تطور في تصميم هذه العلامة المائية بمرور الزمن نتيجة لانتشارها بين أكثر من مصنع.

يمثل التاج أحد الرموز الأساسية في الثقافة الأوروبية، حيث يحمل دلالات واسعة تشمل السيادة والنصر، والشرف والكرامة، وبلوغ أسمى الغايات، بالإضافة إلى مفاهيم التفاني والاكتمال ودائرة الزمان المستمرة والديمومة الأبدية. وقد كان هذا الرمز، باختلاف أنواعه، من العلامات المائية الشائعة لدى صانعي الورق الأوروبيين، خاصة في المصانع الفرنسية.

وفي السياق الديني المسيحي، تتجسد هذه الرمزية في ارتداء "البابا" للتاج الثلاثي، الذي يرمز إلى الثالوث المقدس، في إشارة إلى الهيمنة الملكية الثلاثية على الوظائف المهمة ذات الطبيعة غير الطقوسية (كوبر، ٢٠١٤، ص١٥٢). وتعكس هذه الرمزية العميقة الهيمنة الروحية للكنيسة على الحياة والفن والحرف في أوروبا، مما يفسر شيوع التاج كعلامة مائية تنقل هذه الدلالات السلطوية والدينية على الورق الأوروبي.

والنجم تمثل الحضور الالهي، والسيادة، والابدية، والسرمدية، وأعلى درجات التحقق، (كوبر، ٢٠١٤، ص٥٥٣). والنجمة السداسية رغم ارتباطاتها في ديانات أخرى، فإن

استخدامها أقل شيوعًا في الفن المسيحي التقليدي. في بعض الحالات، قد تُشير إلى أيام الخلق الستة أو قد تمثل اتحاد السماء والأرض. (كوبر، ٢٠١٤، ص٥٥٤).







الشكل وتخطيط رقم-٤- المخطوطة رقم٤٩، العلامة المائية التاج مع النجمة. الباحثة.

- **النموذج الخامس؛**

تعود المخطوطة رقم ٥٣ إلى القرن السابع عشر. تتميز بعض أوراقها بوجود علامة مائية فريدة: عنقود عنب يتدلى منه ثماني حبات، يعلوه تاج على شكل زهرة الزنبق. (ينظر شكل وتخطيط رقم-٥-).

تحليل العلامة؛

ان عقد العنب كانت من الرموز الشائعة لدى المصانع الأوروبية، وجدت علامة العنب على الورق منذ بدايات القرن الرابع عشر الميلادي، فاما رسمت لوحدها أو صاحبها صليب، درع، أو بعض حروف، وفي القرون المتأخرة الثامن والتاسع عشر الميلادي رسمت عنقود العنب على شكل رؤوس لنهايات الصليب أو كاطار للدروع أو مصاحبا لعلامة اليد المفتوحة. كانت الشعائر الدينية سائدة في العصور الوسطى والنهضة في أوروبا، وخاصة الشعارات الدينية المسيحية، وشاعت استخدام العناقيد العنب مع زهرة الزنبق و أعمدتين في

كلا الجانبين يعلوهما زخارف دائرية، وفي نموذجنا هذا؛ العلامة عبارة عن زهرة زنبق مع عنقود العنب بدون أعمدة، رسمت هذه العلامة في مصانع عديدة يصعب تحديد البلدة الصانعة لها، ولكن استخدمت في اسبانيا بكثرة.

وتعتبر عناقيد العنب في المسيحية من العلامات التي ترمز الى العفة والفضيلة والسعادة في الآخرة والحب الرباني، واطلق على المسيح(عليه السلام) الكرم الآلهي، وكان المقصود بالعنب هو الخمر المقدس. (حسين، ٢٠١٣، ص١٢٢٢).

ان عناقيد العنب رمز لدم المسيح (عليه السلام) و يستعمل نبيذ العنب كرمز للمخلص الذي هو النبيذ الحقيقي.(جورج فيرجسون، ١٩٦٤، ص٧٨). ان استخدامه كان تعبيراً عن التقوى وإجلالاً للمفاهيم الليتورجية.

واستخدمت زهرة الزنبق كرمزا للطهارة ينسب الى العذارى القديسات، ثم أصبحت رمزا تخص الملوك الفرنسية. (W. Ellwood, 1986, p23.)، ويشير الزنبق الى مدينة فلورنسا الايطالية لانه يرمز الى الملكية، و صولجان القديسيين ويرمز به الى العذراء باعتبارها ملكة السماء.(جورج فيرجسون، ١٩٦٤، ص٥٣). لابد من الاشارة أن هذه العلامات المائية تقوم جميعها على فكرة واحدة من حيث التصميم، على الرغم من الاختلاف في شكل التاج وحجمه وفي الزخارف التي تزينه، وفي شكل عنقود العنب الذي يتدلى منه وعدد حباته.





الشكل وتخطيط-٥- المخطوطة رقم٥٣، صورة وتخطيط العلامة المائية تاج مع عنقود العنب، الباحثة.

- **النموذج السادس؛**

المخطوطة رقم٩١ من القرن السابع عشر، تحمل جزء من أوراقها علامة مائية عبارة عن طائر العنقاء فاتح جناحيه الى الأعلى، متجهة برأسه الى جهة اليسار، وعلى رأسه تاج. (ينظر شكل وتخطيط رقم-٦-).

تحليل العلامة؛

طائر اسطوري ضخم، أقدامه أقدام نسر، وله أجنحة، نقشت العنقاء في العصور المبكرة على احجار المقابر كرمز لقيامة الميت وللدلالة على البعث والسرمدية. W. Ellwood (1986), p18)، ثم صار بعد ذلك يرمز الى قيامة المسيح كدليل على الايمان والمكابرة.(جورج فيرجسون، ١٩٦٤، ص٧٨)، ولكن رسم هذا الطير أخذت تقل خلال العصور الوسطى، و عاد الى الظهور في عصر النهضة.(جورج فيرجسون، ١٩٦٤، ص٧٨-٧٩). و العنقاء المتوجة هي رمز أيقوني يجمع بين التجديد والقيامة (العنقاء) والسلطة والمجد الأبدي (التاج)، لتمثيل الانتصار النهائي ليسوع المسيح وموعد القيامة للمؤمنين.

ظهرت هذه العلامة بشكل واسع في المصانع الاسبانية بداية ثم في ايطاليا والبلدان الاخرى، ولكن بأشكال مختلفة اما برأسين أو رأس واحد، مع مختصرات حروف أو تاج أو صليب، أو بداخل درع مضافة الى يد. تُعزى هذه الاختلافات إلى رغبة صاحب المصنع في تمييز منتجاته (أوراقه) عن منتجات المصانع الأخرى.





الشكل وتخطيط رقم–٦– المخطوطة رقم٩١– صورة وتخطيط العلامة المائية طائر عنقاء، الباحثة.

الخاتمة والاستنتاجات؛

1 – تعتبر العلامات المائية إحدى الخصائص اللافتة والمميزة للورق الذي كان يُصنع في أوروبا.

2 – تختلف أهداف وضع العلامات المائية على الورق ولكن أهمها كانت كعلامة تجارية للصانع ورمزا لعقائده الدينية.

3 – كانت العلامات المائية وسيلة للتعبير عن الهوية الدينية للحرفيين والمجتمعات التي أنتجت الورق، حيث كانت الرموز الدينية بمثابة علامات مميزة تعكس المعتقدات والقيم السائدة.

4 – تميزت مخطوطات المكتبة المركزية بتنوع علاماتها المائية، وقد صنفت هذه العلامات إلى نوعين رئيسيين:

- العلامات المائية الرئيسية: وهي التصاميم الأساسية التي تمثل الموضوع الرئيسي للعلامة.
- العلامات المائية الثانوية أو الفرعية: وهي علامات تظهر في صورة حرفين أو أكثر مصحوبة بشكل أو رمز محدد.

5 - كان للدين المسيحي تأثير هائل وعميق على الفن والحرفيين في العصور الوسطى وعصر النهضة في أوروبا، حيث شكلت العقيدة المسيحية جزءا لا يتجزأ من حياة الناس وثقافتهم.

6 - يمثل التنوع في أشكال العلامات المائية، ولا سيما في النماذج الموجهة للسوق الشرقي، دليلاً مادياً على استراتيجية "التكيف الثقافي" التي انتهجتها مصانع الورق الأوروبية. لم يكن هذا التكيف عفوياً، بل كان مدفوعاً بعاملين رئيسيين: ديني يتعلق برفض المستهلك، وتجاري يتعلق بالمنافسة.

7 - خلال تلك الفترة الزمنية، لم يولي معظم النساخ المسلمين اهتماماً لعلامات المائية الدقيقة الموجودة في الورق. والقليل منهم فقط من أدركوا وجودها، لكنهم لم يتمكنوا من استيعاب أو فهم دلالاتها وتأثيراتها الزمنية والمكانية، باستثناء العلامات التي تحمل رموزاً دينية واضحة.

8 - تعتبر العلامات المائية وسيلة أساسية ومهمة للمساعدة في تحديد عمر الورقة وبلد منشئها.

9 - التداخل بين الدين والفن: لم يكن الدين والحرف والفن مجالات منفصلة، بل كانت متداخلة ومتكاملة، حيث استلهم الحرفيون والفنانون أعمالهم من مصادر دينية وفنية متنوعة، مما أدى إلى إنتاج أعمال فنية وحرفية ذات قيمة روحية وجمالية عالية.

10 - رغم أن علامة الهلال كانت تُستخدم كإحدى العلامات المائية المعروفة على الورق المُنتَج في أوروبا قبل وصولها إلى أسواق الشرق، إلا أنها اكتسبت طابعاً مميزاً لسوق الشرق الأوسط والمخطوطات الإسلامية لاحقاً، وذلك بفضل الإقبال الكبير عليها من قِبل التجار والنساخ المسلمين.

11 - إن عملية التعديل هذه تؤكد أن قوة الطلب الثقافي في الشرق كانت تحدد معايير جودة السلعة (الورق) وتوجّه قرارات الحرفي الأوروبي.

12 - العلامة التجارية الموجهة: في هذا السياق، تحولت الرموز من دلالات دينية بحتة إلى "علامة تجارية موجهة" (Targeted Trademark)، حيث أصبحت

دلالتها الأساسية هي تحديد مصدر الورق وجودته للمستهلك، مع مراعاة حساسيته الثقافية.

قائمة المصادر والمراجع؛

المصادر والمراجع العربية:

الكتاب المقدس، وتحديدًا سفر الرؤيا 12:1.

ابراهيم، امير محمد صادق. (٢٠١٠). الخطوط والعلامات مائية في المخطوطات العربية. مكتبة الملك عبدالعزيز العامة.

بارنز، هاري المر. (١٩٨٤). تاريخ الكتابة التاريخية (ترجمة: محمد عبدالرحمن برج). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

بنبين، احمد، و طوبي، مصطفى. (٢٠٠٣). معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي). مراكش.

جورج فيرجسون. (١٩٦٤). الرموز المسيحية ودلالاتها (ترجمة: يعقوب جرجيس نجيب، الاشراف: زاهر رياض).

حمودة، محمود عباس. (١٩٧٩). تاريخ الكتاب الإسلامي. دار الثقافة للطباعة والنشر.

روجرز، فرانسيس. (١٩٦٩). قصة الكتابة والطباعة لن الصخرة المنقوشة الى صفحة مطبوعة (ترجمة وتحقيق: احمد حسين الصاوي). دار الطباعة الحديثة.

عكاشة، ثروت. (٢٠١٠). موسوعة تاريخ الفن في عصر النهضة. الدار العربية للعلوم ناشرون.

كوبر، جي. سي. (٢٠١٤). الموسوعة المصورة للرموز التقليدية (ترجمة: مصطفى محمود). القاهرة.

لومير، جاك. (٢٠٠٦). مدخل الى علم المخطوط (ترجمة: مصطفى طوبي). مراكش.

لوفداي، هلين. (٢٠١٤). صناعة المخطوط العربي بحوث ودراسات. مجلة الوعي الاسلامي.

الحوليات والمجلات؛

عبدالله، احمد سعيد. (٢٠٠٣). تاريخ التدوين ومواد الكتابة. آفاق الثقافة والتراث، ١٠(٤٠). مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

موسى حسين، هايدي احمد. (٢٠١٣). دراسة تحليلية لزخرفة العنب على العمارة والفنون القبطية والاسلامية. حولية الاتحاد العام للآثاريين العرب، دراسات في آثار الوطن العربي، ١٦(١).

المصادر الاجنبية؛

Burke, P. (1972). Culture and Society in Renaissance Italy, 1420-1540. Harper & Row.

Didron, M. (1851). Christian Iconography, vol.1. London.

Ellwood, W. (1986). Saints, Signs, and Symbols. Morehouse-Barlow.

Ferguson, G. W. (1961). Signs and Symbols in Christian Art. Oxford University Press.

Frans, F., & Laurentius, T. (2019). The history of the paper in Europe, Chapter 1.

Gombrich, E. H. (2016). The Story of Art (16th ed.). Phaidon Press.

Immonen, V. (2013). Connecting Things through the Visual Arts: Medieval Crescent Moon Pendants as Horse Ornaments. Norwegian Archaeological, 46(2.(

Jones, R., & Yahya, F. (2021). Malay manuscripts: a guide to paper and watermarks, The collected works of Russell Jones 1972–2015. Indonesia and the Malay World, 49(144.(

Kemp, M. (2011). The Oxford History of Western Art. Oxford University Press.

Neil, H. (2017). Paper and Watermarks as Bibliographical Evidence. Lyon.

O'Hagan, T. (1926). The Genesis of Christian Art. New York.

Snyder, J. (2005). Northern Renaissance Painting Sculpture, The Graphic Arts from 1350 to 1575. Routledge, Ltd.

Stokstad, M., & Cothren, M. W. (2018). Art History (6th ed.). Pearson.

Williams, T. (2013). The silk Roads, thematic study, working paper. Institute of Archaeology.

Wixom, W. D. (Ed.). (1997). Mirror of the Medieval World. Hudson Hills Press.

المواقع الألكترونية:

.https://memoryofpaper.eu/BernsteinPortal/appl_start

https://memoryofpaper.eu/BernsteinPortal/appl_start.disp#R._

التطور التاريخي للكمارك في بلاد فارس للمدة ١٨١٣-١٩٢٥م

م.م. انور محسن اسماعيل ابراهيم

وزارة التربية

Sfhaedr23@gmail.com

٠٧٨١٠٤٩٦٦٩٩

التطور التاريخي للكمارك في بلاد فارس للمدة ١٨١٣-١٩٢٥م

م.م. انور محسن اسماعيل ابراهيم

الملخص :

شهدت الكمارك الفارسية تطوراً تاريخياً كبيراً خلال المدة الممتدة من عام ١٨١٣م حتى ١٩٢٥م، اذ ارتبط بشكل مباشر بالتحولات السياسية والاقتصادية التي عرفتها بلاد فارس في أواخر العهد القاجاري وبدايات الدولة البهلوية، وقد شكّل توقيع معاهدة جولستان عام ١٨١٣م نقطة انطلاق لمرحلة جديدة من التدخل الأجنبي في الشؤون الكمركية الفارسية، حيث فُرضت امتيازات تجارية لصالح روسيا القيصرية، ثم تعزز ذلك الاتجاه بعد معاهدة تركمانجاي ١٨٢٨م التي أرست نظام التعرفة الكمركية المنخفضة (٥%) على الواردات الأجنبية، مما أضعف السيادة الاقتصادية الفارسية وأضر بالصناعات المحلية، وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ازدادت أهمية الكمارك بوصفها أحد المصادر الرئيسية لإيرادات الدولة الفارسية، إلا أن ضعف الإدارة وانتشار الفساد أدّيا إلى عجز الحكومة عن الاستفادة الفعلية منها، وفي محاولة للإصلاح لجأت الدولة الفارسية إلى الاستعانة بخبراء أجانب، أبرزهم البلجيكي جوزيف نوز الذي تولّى إدارة الكمارك منذ أواخر تسعينيات القرن التاسع عشر، وأسهم في تنظيم الجباية وتوحيد الإجراءات، غير أن سياساته أثارت معارضة وطنية واسعة بسبب خضوعها للنفوذ الأجنبي، وأدّت الثورة الدستورية (١٩٠٥-١٩١١م) إلى إدخال مفاهيم الرقابة البرلمانية والشفافية المالية، فخضعت الكمارك لإشراف مجلس الشورى، وأُدرجت ضمن الموازنة العامة للدولة، ومع ذلك ظل النفوذ الروسي والبريطاني مؤثرًا حتى نهاية الحكم القاجاري عام ١٩٢٥م.

الكلمات المفتاحية : الكمارك، التجارة الخارجية، الرسوم الكمركية، المعاهدات الكمركية.

The Historical Development of In Persia Customs from 1813-1925

M.M. Anwar Mohsen Ismail Ibrahim
Ministry of Education
Sfhaedr23@gmail.com
07810496699

Abstract :

Persian customs witnessed significant historical development between 1813 and 1925, directly linked to the political and economic transformations that took place in Persia during the late Qajar and early Pahlavi periods. The signing of the Treaty of Gulistan in 1813 marked the beginning of a new phase of foreign intervention in Persian customs affairs, granting trade privileges to Tsarist Russia. This trend was further reinforced by the Treaty of Turkmenchay in 1828,

which established a low customs tariff (5%) on foreign imports, weakening Persian economic sovereignty and harming local industries. During the second half of the 19th century, customs became increasingly important as a major source of revenue for the Persian state. However, weak administration and widespread corruption prevented the government from effectively utilizing it. In an attempt at reform, the Persian state sought the assistance of foreign experts, most notably the Belgian Joseph Nouz, who took over the management of customs from the late 1890s and contributed to organizing tax collection. Unifying procedures, however, his policies provoked widespread national opposition due to their subservience to foreign influence. The Constitutional Revolution (1905–1911) led to the introduction of concepts of parliamentary oversight and financial transparency, so customs was subject to the supervision of the Consultative Assembly and included in the state's general budget. Nevertheless, Russian and British influence remained influential until the end of Qajar rule in 1925.

Keywords: Customs, Foreign Trade, Customs Duties, Customs Treaties.

المقدمة :

عدُ نظام الكمارك في بلاد فارس خلال القرنين التاسع عشر وبدايات القرن العشرين أحد أهم الميادين التي تكشف مسار التحولات الاقتصادية والسياسية التي شهدتها الدولة القاجارية ثم العهد البهلوي الأول، فقد مثّلت المدة الممتدة بين ١٨١٣ و١٩٢٥م مرحلة مفصلية في تاريخ بلاد فارس الحديث، إذ تداخلت خلالها العوامل الداخلية والخارجية في صياغة بنية المؤسسات المالية والإدارية وعلى رأسها مؤسسة الكمارك، ومن هذا المنطلق وقع اختيارنا على البحث الموسوم "**التطور التاريخي للكمارك في بلاد فارس للمدة ١٨١٣-١٩٢٥م**"، ويكتسب دراسة هذا الموضوع أهمية خاصة لفهم طبيعة السياسات الاقتصادية الفارسية، وأثر التحديات الخارجية، ومسار بناء الدولة الفارسية الحديثة.

اشكالية الدراسة : تنطلق اشكالية الدراسة في معرفة التطور التاريخي للكمارك في بلاد فارس للمدة ١٨١٣-١٩٢٥م.

اهمية الدراسة : تأتي من كون هذهِ الدراسة بحسب علم الباحث الدراسة الوحيدة التي تسلط الضوء على التطور التاريخي للكمارك في بلاد فارس للمدة ١٨١٣-١٩٢٥م.

هدف الدراسة : كان الهدف من هذهِ الدراسة هو ابراز التطور التاريخي الذي طرا على الكمارك في بلاد فارس للمدة ١٨١٣-١٩٢٥م.

منهج الدراسة : ان الباحث اعتمد على المنهج الوصفي السردي في سرد الاحداث التاريخية من خلال جمع المادة العلمية ووصفها بطريقة علمية.

فرضية الدراسة :

انطلقت فرضية الدراسة في ضوء صياغة الاسئلة التالية :

١-إلى أي مدى تأثّر تطور النظام الكمركي في بلاد فارس خلال الفترة (١٨١٣-١٩٢٥م) بالتدخلات الأجنبية والتحولات السياسية الداخلية؟

٢-هل شكّلت معاهدتا جولستان (١٨١٣م) وتركمانجاي (١٨٢٨م) نقطة تحول أساسية في فقدان بلاد فارس سيادتها الكمركية؟

٣-إلى أي حد أسهم الامتيازات الأجنبية (الروسية والبريطانية) في إضعاف الإيرادات الكمركية الفارسية خلال فترة البحث؟

٤-ما دور الخبراء الأجانب، ولا سيما نوز البلجيكي، في تحديث التنظيم الإداري للكمارك في بلاد فارس ؟

٥-ما أثر الثورة الدستورية (١٩٠٥-١٩١١م) في إعادة تنظيم الكمارك وإخضاعها للرقابة في بلاد فارس ؟

هيكلية الدراسة : تضمن البحث مقدمة وخاتمة ومحورين، فضلاً عن قائمة المصادر فجاء المحور الاول بعنوان **(البداية التاريخية للكمارك في بلاد فارس)**، احتوى هذا المحور على تفاصيل دقيقة عن اصل تسمية الكمارك والبداية التاريخية للكمارك في بلاد فارس، اما المحور الثاني فجاء بعنوان **(التطور التاريخي للكمارك في بلاد فارس للمدة ١٨١٣-١٩٢٥م)**، احتوى هذا المحور على تفاصيل دقيقة تطور الانظمة والقوانين الكمركية والمعاهدات الكمركية وتأثيرها على اقتصاد بلاد فارس، وتطرق المحور الى العلاقات الكمركية بين بلاد فارس والدول الاجنبية وبالأخص روسيا وانكلترا.

المحور الاول : البداية التاريخية للكمارك في بلاد فارس

اولا : أصل تسمية الكمارك :

أن اصل تسمية الكمارك جاءت من الضريبة التي تؤخذ عن البضائع المستوردة والصادرة في المناطق الحدودية وتسمى ايضاً بضريبة العشور [١]، والتي يأخذها شخص

يعرف باسم العشار، واستعمل الفارسيين هذهِ الضريبة بلفظة جديدة اطلقوا عليها كمرك، وان كلمة كمرك في الفارسية مستعارة وليست فارسية خالصة[٢]، وعليه اختلفت المصادر التاريخية في تحديد اصل كلمة كمرك فبعضها يشير الى ان أصل الكلمة إيطالية مأخوذ عن كلمة كوميرجيو commerice وهي تعني محل الجباية، واخذت هذهِ الكلمة عن أصلها اللاتيني commericum وتعني الضريبة نفسها, انتقلت الى اللغة العثمانية ثم انتقلت الى بلاد فارس بصيغة كمرك[٣].

اختلفت المصادر التاريخية حول تحديد كلمة الكمارك فأبعضهم يذكرونها من الألفاظ التي نقلت إلى بلاد فارس من قبل الدولة العثمانية، وإنها أخذت محرفة عن الكلمة اللاتينية cum merx أي التجارة واصلها مركبة من كلمتين، معناها الحرفي مع بضاعة ويقصد بها التجارة[٤].

ثانيا : البداية التاريخية للكمارك في بلاد فارس : قبل الدخول في الفترة المطلوبة تجدر الإشارة إلى أن الكمارك في بلاد فارس قبل القرن التاسع عشر كانت بدائية، فالنظام الكمركي في بلاد فارس له تاريخ طويل يرجع اكتشافه إلى العصر الأخميني (٥٥٠-٣٣٠ق.م) فبعد اتساع تلك الإمبراطورية الفارسية واصبح لها بلدان جوار عديدة وامتلاكها حرس حدود قوي وأنشطة تجارية واسعة هنا اصبحوا يمتلكون كمارك ومكاتب كمركية لتلقي الرسوم الكمركية[٥]، حيث كان أحد المصادر المالية الرئيسية للحكومة الأخمينية هو الرسوم الكمركية التي فرضوها على أرصفة الموانئ، تمامًا مثل الضرائب والرسوم الكمركية على التجارة في البلاد والعشور من الأسواق، وهنا يتضح كان هناك تنظيم كمركي في العصر الأخميني في بلاد فارس[٦].

وفي العصر البارثي (٢٤٧ق.م-٢٢٤م) كانت الرسوم الكمركية تُجبى أيضاً من الواردات التجارية، بينما كانت السلع المصدرة معفاة من الرسوم الكمركية، فالسياسة الكمركية بالإضافة إلى دورها المالي كان لها أيضًا دور الإشراف على الشؤون الاقتصادية وتشجيع تنمية الصادرات، كما كان هناك مكاتب كمركية على طول حدود بلاد فارس تُسجل فيه البضائع المستوردة والمصدرة وتُسجل في دفاتر خاصة للكمارك، وكان الغرض من هذه السياسة الكمركية هو تعزيز صادرات البلاد[٧]، وفي العصر الساساني (٢٢٤م-٦٥١م) كان

هناك أيضًا مكتب كمركي، وكانت الدولة تُحصّل الرسوم الكمركية، وكانت تُعتبر مكتب الكمارك إحدى محاكم الدولة خلال تلك الفترة، وكانت الرسوم الكمركية تُجبى على عُشر البضائع المستوردة بناءً على قيمتها وكميتها، ولكن لم تُحصّل أي رسوم كمركية على الصادرات(٨).

وفي عهد الدولة الغزنوية (٩٧٧-١١٨٦م) والسلجوقية(١٠٣٧-١١٩٤م)، كانت اللوائح الكمركية نفسها سارية وفق العصور السابقة، ولكن مع اتخاذ بعض الإجراءات الجديدة أكثر صرامة حتى خلال فترة حكم الدولة الخوارزمية، أثار تشدد مسؤولي الحدود والكمارك تجاه التجار المغول في بلاد ما وراء النهر غضبهم ومهد الطريق لهجمات المغول أدت سيطرة المغول على طرق التجارة من الصين إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى تغييرات في الشؤون الكمركية(٩).

اما في عهد الدولة الصفوية (١٥٠١-١٧٢٢م) ازدادت حركة الممثلين السياسيين والتجار الأوروبيين إلى بلاد فارس، وتزايد الاهتمام بالكمارك خلال تلك الفترة، فكانت الكمارك بيد الحكومة(١٠)، وكان للصفويين سياسة كمركية مستقلة، حيث كانوا يجمعون الرسوم الكمركية كاملةً على البضائع المستوردة من الحدود الشمالية، أما البضائع المستوردة عبر الخليج العربي، فكانوا يجمعون الرسوم الكمركية بما يتناسب مع سعرها، والتي كانوا يطلقون عليها الفرزة في ذلك الوقت، كان رئيس الكمارك يُدعى الشهبندر(١١)، انخفضت الرسوم الكمركية خلال العصر الصفوي مقارنةً بالعصور السابقة(١٢).

المحور الثاني : التطور التاريخي للكمارك في بلاد فارس للمدة ١٨١٣-١٩٢٥م

يُعدّ عام ١٨١٣م من أهم الأعوام في تاريخ بلاد فارس الحديث، إذ شهد توقيع معاهدة جولستان التي أنهت حربًا طويلة بين بلاد فارس القاجارية وروسيا القيصرية، وكانت لها آثار على الكمارك الفارسية ففي عهد آغا محمد خان(١٣)، لم يتغير الوضع الكمركي بسبب الصراعات التي كانت قائمة، ولكن في عهد فتح علي شاه(١٤)، عندما ازداد التنافس بين القوى على بلاد فارس، تأثرت الكمارك الفارسية بالتغييرات، ولاسيما الحروب الفارسية الروسية التي أدت إلى إبرام معاهدتي جولستان وتركمانجاي، والتي هيمنت بشدة على الكمارك الفارسية ووفقًا لأحكام معاهدة جولستان التي أُبرمت في الثاني عشر من تشرين

الاول ١٨١٣م، فقد فقدت الكمارك الفارسية استقلالها لأنه وفقًا للمادة التاسعة من هذه المعاهدة، التي نصت على أن البضائع المصدرة والمستوردة بين بلاد فارس وروسيا ستخضع لرسوم جمركية بنسبة (٥%) من سعر البضائع، اما المادة الثالثة من هذه المعاهدة فقد ألغت قدرة تجار بلاد فارس على منافسة التجار الروسيين لأنه وفقًا لتلك المادة، كان على التجار الفارسيين دفع رسوم داخلية فضلاً عن الرسوم الكمركية، بينما تم إعفاء التجار الروس من دفع الضرائب للحكومة الفارسية والرسوم الداخلية، لم تكن روسيا الدولة الوحيدة التي تمتعت بهذا الإعفاء فقد أبرمت الحكومة العثمانية معاهدة مع الحكومة الفارسية ١٨٢٣م، وبموجب المادة الثانية منها أُعفيت من دفع رسوم كمركية مختلفة باستثناء الرسوم الكمركية، لم تكتفِ الحكومة الفارسية بتلك المعاهدات بل أبرمت معاهدة تركمانجاي مع الحكومة الروسية في الثالث والعشرين من شباط ١٨٢٨م، وبموجب المادة الثالثة دفعت الحكومة الفارسية التعرفة الكمركية كاملةً لصالح التجار الروسيين(١٥).

راعت معاهدة تركمانجاي رعايا البلدين من المصالح الكمركية التي تشكل موضوع الشروط المذكورة أعلاه، فبموجبها اقر أن البضائع التي يستوردها ويصدرها التجار الروس إلى بلاد فارس، وكذلك البضائع الفارسية التي يستوردها مواطنو الدولة الأخرى إلى الأراضي الروسية عبر بحر قزوين أو عبر الطريق البري بين الولايات، وكذلك البضائع التي يصدّرها مواطنو روسيا الفارسيين عبر الطريق المذكور نفسه، تخضع لرسوم كمركية بنسبة (٥%) كما ذُكر سابقًا عند الدخول أو الخروج، ولن تُفرض أي رسوم كمركية اخرى، وبالمقابل تتعهد الحكومة الروسية بعدم إضافة أي شيء إلى رسوم (٥%) المذكورة، حتى لو رأت ضرورةً لوضع لوائح وتعريفات كمركية جديدة(١٦).

بدأت دول أخرى مثل بريطانيا وفرنسا بعد إبرام معاهدة تركمانجاي بالمطالبة بامتيازات كمركية مشابهه للامتيازات التي مُنحت للروسيين، وعليه اضطر فتح علي شاه إلى إصدار مرسوم عام ١٨٣١م، قضى بفرض رسوم كمركية بنسبة (٥%) على جميع البضائع المستوردة والمصدرة، وقد حدّد هذا المرسوم الرسوم الكمركية لجميع الدول الأوروبية بناءً على معاهدة تركمانجاي(١٧)، اثرت تلك المعاهدات على التجارة الداخلية والخارجية لبلاد فارس بشكل سلبي، إذ خفضت وارادات الكمارك الفارسية بشكل كبير، وحرمت التجار

والبضائع الفارسية من القدرة على منافسة التجار والبضائع الأجنبية، مما أجبرهم على استيراد البضائع تحت أسماء شركات أجنبية، وفي المقابل تمتع التجار الأجانب بوضع أكثر ملاءمة، وتمكنوا من السيطرة على السوق الفارسية وتحقيق أرباح كبيرة(١٨).

وفي عام ١٨٧٤م انشئت وزارة الكمارك الفارسية بعهد ناصر الدين شاه(١٩) الذي سعى بفضل رحلاته إلى أوروبا، وبفضل استعانته بشخصيات إصلاحية كأمير كبير وأمين الدولة، إلى إحداث تغييرات وتطويرات في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية فأحدث نقلة نوعية في مجال الكمارك بعد انشاء وزارة خاصة للكمارك، والتي بهذه الطريقة وُضعت الكمارك الفارسية تحت إشراف وزير الكمارك واصبح ميرزا قهرمان أمين لشكر(٢٠) مسؤولاً عن وزارة الكمارك، لكن ميرزا قهرمان أمين لشكر فشل في زيادة إيرادات الكمارك بسبب سياسته البدائية فلم يستعين بخبراء اجانب، فأصبح آغا إبراهيم قمي(٢١) المعروف باسم عبدرباشي أمين سلطان الأول، خليفته كوزير عام للكمارك لكن لم يقم أي تطورات تذكر في الكمارك الفارسية، وفي عهد أمين الدولة ميرزا أحمد خان(٢٢) كان نظام السلطنة لم يكن مسؤولاً عن الكمارك فقد أسند الكمارك الشمالية إلى فتح الله بغلربيجي والكمارك الجنوبية إلى ابن أخيه سعد الملك، واستمرت هذه الطريقة في إدارة الكمارك من عهد ناصر الدين شاه حتى وصول البلجيكيين عام ١٨٩٧م، وكان اسم موظفي الكمارك في ذلك الوقت ناظم الملك ورئيس الكمارك رئيس الميزان أو ميزان آغاسي(٢٣).

وفي عام ١٩٠٠م تم نشر قانون الكمارك في بلاد فارس في اثنين وثلاثين فصلاً في عهد أمين السلطان الأول ميرزا محمد خان، وغطى هذا القانون جميع المسائل الكمركية وتحديد الرسوم الكمركية، من تقديم الإقرارات إلى تخليص البضائع، ومن القضايا المهمة في إدارة الكمارك الفارسية في عهد ميرزا محمد خان هو تأجير بعض موانئ الكمارك لمجموعة من التجار الفارسيين، واستقرار قيمة الإيجار الكمركي نسبيًا لسنوات عديدة، وتمتع التجار مستأجرو الكمارك بدخل جيد، إذ بلغ دخلهم في الدول الحدودية مثل أذربيجان وخراسان وكردستان وكرمانشاه وخوزستان وفارس وكرمان وبلوشستان حوالي عشرين بالمائة من المبلغ الذي يدفعونه للحكومة كإيجار سنوي، ويدل هذا على العرف الإداري السائد آنذاك، بما في

ذلك إدارة الكمارك الفارسية، وقد أدى هذا النوع من السياسات إلى انتشار تهريب البضائع وزيادة الاحتيال بين التجار المستأجرين[٢٤].

قام المستأجرين بالسعي لمرور أكبر قدر ممكن من الصادرات والواردات عبر الكمارك التي استأجروها، ولذلك تنافسوا مع المستأجرين الآخرين وجباة الضرائب في الموانئ الكمركية، وأخلوا البضائع التجارية من كماركهم بمعدل أقل من التعريفة الكمركية الرسمية، ولم يكتفوا بذلك ففي بعض الأحيان كان المستأجرون يفرضون رسومًا كمركية أقل من (٥%) على البضائع الأوروبية من اجل زيادة أرباحهم، ادى ذلك الى زيادة جشع التجار لتحقيق أرباح أكبر، فضلاً عن ذلك كان يُعقد في نهاية كل عام تسوية غير قانونية مماثلة بين التجار العاديين والتجار مستأجري الكمارك، ونظرًا لعدم استقرار وضعهم الكمركي، كان التجار المستأجرون يتفقون مع بقية التجار على الحفاظ على وضعهم والبقاء لفترة أطول، ونتيجةً لذلك انخفضت الرسوم الكمركية إلى أدنى حد ممكن، مما قلل من إيرادات الحكومة الفارسية[٢٥] فعلى سبيل المثال كانت قيمة الإيرادات الحكومية من التجار مستأجري الكمارك خلال عام ١٨٧٩م (٦٠٦٤٠٠) تومان ووصل عام ١٨٨٩م (٨٠٠٠٠٠) [٢٦].

وفي عام ١٩٠١م قام مظفر الدين شاه[٢٧] بإلغاء تأجير الكمارك ونقل مسؤوليتها إلى المدير العام للكمارك في بلاد فارس جوزيف نوز[٢٨] Joseph Noss البلجيكي، فضلاً عن ذلك إلغاء الرسوم الكمركية الداخلية، وذلك بسبب ضعف سيطرة الحكومة على الكمارك وإدارتها، قبل وصول جوزيف نوز البلجيكي، حيث كانت إيرادات كمارك الحدود ومحطات الطرق أقل من كروري تومان سنويًا، لذلك في عام ١٩٠١م ، تم أولًا تأجير مكاتب كمركية في محافظتي أذربيجان وكرمانشاه، وفي ١٩٠١م أُغلقت جميع مكاتب الكمارك في البلاد ، حيث كانت جميع كمارك بلاد فارس مُؤجَّرة، وفي العام نفسه كانت رسوم الإيجار ثلاثة تومان، أي ثلاثمائة ألف جنيه إسترليني، وتم أُلغاء مبادئ الإيجار ولكن ليس في جميع محافظات بلاد فارس، بل في محافظتي أذربيجان وكرمانشاه فقط، ولأن نتائج هذا العمل كانت مواتية وجيدة، فقد أُلغيت مبادئ الإيجار في العام التالي في جميع كمارك بلاد فارس، وأُلغيت الرسوم الكمركية على الصادرات والواردات، والتي كانت وفقًا للفصل الثالث من معاهدة تركمانجاي التجارية سابقة الذكر [٢٩]

وفي نهاية عام ١٩٠٢م دعا جوزيف نوز البلجيكي زملاء جدد من بلجيكا إلى بلاد فارس، وعهد إليهم بمسؤولية كمارك أنزلي، وكرمانشاه، وبوشهر، وبندر عباس، وفي نفس العام أصدر مظفر الدين شاه مرسومًا بإنشاء دائرة كمركية، ألغى بموجبه استئجار الدوائر الكمركية ومحطات الطرق، وتحصيل الرسوم الكمركية من المتعهدين، وتحصيل المكوس والضرائب من المستأجرين، ونقل شؤون الكمارك إلى وزارة الخارجية، تولى البلجيكي جوزيف نوز مسؤولية شؤون الكمارك الفارسية بمساعدة حاشيته، شغل لفترة منصب وزير الكمارك والبريد، ومدير عام الكمارك، ووزير الخزانة(٣٠)، ومن التطورات الأخرى التي حدثت في الكمارك أن جوزيف نوز بعد توليه مسؤولية الكمارك الفارسية، وضع تعريفة جمركية جديدة عام ١٩٠٢م، والتي أصبحت الأساس للكمارك الفارسية، وبناءً على التعريفة المذكورة تم تخفيض الرسوم الكمركية لبعض السلع المستوردة من روسيا وزيادة تعريفات السلع المستوردة من بعض البلدان، كما منح إعفاءات كمركية للسلع الأجنبية، ولكن الأهم من ذلك كله أنه اعتبر امتيازات خاصة للحكومة الروسية(٣١)، وتم وضع الاتفاقية الكمركية في عام ١٩٠٢م بين بلاد فارس وروسيا والتي دخلت حيز التنفيذ في عام ١٩٠٣م، فحصلت الحكومة الفارسية بموجبها على قرضين من روسيا بلغ مجموعهما اثنين وثلاثين مليونًا وخمسمائة ألف مانات، وبالمقابل كفلت موانئ بلاد فارس على الخليج العربي سداد القروض المذكورة كما تعهدت الحكومة الفارسية بأنه في حال عدم سداد عائدات الكمارك بشكل صحيح، يحق للحكومة الروسية تفتيش إدارة الكمارك الفارسية والتدقيق فيها(٣٢).

وفقًا لأحكام الاتفاقية لم يعد للحكومة الفارسية الحق في تحصيل رسوم الطرق لصيانة طرق القوافل، كما مُنعت الحكومة الفارسية من تحصيل الرسوم والضرائب الكمركية الداخلية، فضلاً عن ذلك طُلب من الحكومة الفارسية إنشاء مرافق كمركية، مثل مراكز كمركية ومستودعات لاستخدام الروس في النقاط الحدودية، تراوح معدل التعريفة الكمركية المحدد في هذه الاتفاقية بين (٣-٤%) من سعر البضائع، وهو ما كان أكثر ضررًا على بلاد فارس من معاهدتي جولستان وتركمانجاي، وقد حلت هذه التعريفة الكمركية محل معدل (٥%) الذي حُدد بناءً على معاهدة تركمانجاي، وتألفت من ثلاثة أجزاء؛ الجزء الأول كان معدل البضائع المستوردة، والذي حُسب بالوزن، والجزءان الآخران كانا يتعلقان بمعدلات بعض

البضائع الفارسية المصدرة إلى روسيا والبضائع المستوردة من روسيا إلى بلاد فارس، وقد أدت هذه التعريفة إلى خفض كبير في معدلات صادرات المواد الخام والمواد الغذائية الفارسية إلى روسيا، وكانت في صالح الروس تمامًا، حيث حصلوا على ما بين(٦١-٧٠%) من الصادرات الفارسية[٣٣].

كان هدف الحكومة الروسية من فرض هذه التعريفة الكمركية هو تحقيق أهداف سياسية، لأن التجارة الفارسية لم تكن ذات أهمية اقتصادية لروسيا، فخلال السنوات (١٨٩٠-١٩١٣) شكلت الصادرات الروسية إلى بلاد فارس سنويًا ما بين (١,٢-٣,٨%) من إجمالي الصادرات الروسية، بينما شكلت الواردات ما بين (٣-٤%) من إجمالي السلع، في المقابل كانت التجارة الفارسية تعتمد على السوق الروسية لأن أكثر من نصف كانت صادرات بلاد فارس تُرسل إلى روسيا، وارتفعت قيمة صادراتها إلى روسيا[٣٤]، فضلاً عن بضائع الترانزيت من دول أخرى عبر روسيا إلى بلاد فارس، من ١٦ مليون روبل في عامي(١٩٠١-١٩٠٢) إلى ٥٤ مليون روبل في عامي (١٩١٢-١٩١٣) عشية الحرب العالمية الأولى، مثّلت روسيا ما بين (٦٠-٧٠%) من صادرات بلاد فارس[٣٥].

ادت الاتفاقيات الفارسية-الروسية سابقة الذكر الى مخالفة استقلالية الكمارك الفارسية، وكانت لها عواقب وخيمة عليا على بلاد فارس، إذ جرد بلاد فارس من صلاحياتها المالية والكمركية، ووضعت تجارتها وصناعاتها المحلية الصغيرة وصادراتها على شفى الإفلاس، ومن آثارها السلبية تدفق السلع الروسية الرخيصة إلى بلاد فارس، وإلغاء الصناعات المحلية الناشئة، إذ بموجب الاتفاقيات السابقة ارتفعت التعريفة الكمركية على سلع التصدير الفارسية ولاسيما الصناعية، بينما خُفِّضت التعريفة الكمركية على مختلف السلع المستوردة من روسيا بشكل كبير، حتى أن الروس لتحقيق أهدافهم السياسية والاقتصادية المختلفة خفضوا أسعار بعض سلعهم إلى ما دون تكلفة إنتاجها في روسيا، فعلى سبيل المثال باع الروس السكر الروسي في بلاد فارس بسعر أقل بكثير من سعره في روسيا، بهدف إفلاس مصنع سكر كهريزاك، كما طبقوا السياسة نفسها على الأقمشة[٣٦]، فضلاً عن إفلاس المصانع والصناعات الناشئة، ادت الاتفاقيات السابقة الى تعطيل التجارة الفارسية وألحقت أضرارًا بالغة بالزراعة والثروة الحيوانية، إلا أن التأثير السلبي الأكبر لهذه التعريفة الكمركية كان

على قطاع التجارة في بلاد فارس، إذ أضعفت تجارتها لدرجة أنها أصبحت في النهاية حكرًا كاملًا على الحكومة الروسية، ورغم أنها زادت عائدات الكمارك بشكل طفيف، إلا أن صيغتها كانت أكبر بكثير من العائدات التي حققتها لبلاد فارس، إذ أن التعريفة الكمركية الجديدة وُضعت بطريقة تُعزز التجارة الخارجية في بلاد فارس، وتُدين المصانع الجديدة والتلاعبات السابقة في الداخل بالتراجع، لكنها في كل الأحوال زادت عائدات الكمارك، وبهذه الطريقة انتهكت بوضوح ووعي المصالح الوطنية الفارسية، وفضّلت مصالح التجار الأجانب على التجار المحليين، ويبدو أن الحكومة الفارسية كانت تسعى عمدًا لإخضاع رعاياها المحليين للرعايا الأجانب واحتكار تجارة البلاد معهم(٣٧).

لم تكن روسيا الدولة الوحيدة التي لها علاقات تجارية وكمركية مع بلاد فارس فالحكومة البريطانية عملت بالاتفاقية الكمركية لعام ١٩٠٢م سابقة الذكر، اذ ضغطت على الحكومة الفارسية للحصول على امتيازات مماثلة للحكومة الروسية، وبالفعل نجحت في إبرام اتفاقية كمركية جديدة مع بلاد فارس في نهاية عام ١٩٠٢م، تتكون من ديباجة وسبعة فصول، تقرر بموجبها أن تستخدم الحكومة البريطانية نفس الامتيازات والتعريفات الكمركية التي تمتعت بها الحكومة الروسية، مع فارق أن واردات بلاد فارس من بريطانيا كانت ثلاثة أضعاف صادرات بلاد فارس إليها، كان هذا في حين كانت الدول الأوروبية تجمع (٤٠-٥٠%) من الرسوم الكمركية على نفس السلع المصدرة، مثل التبغ والسجاد وغيرها، وكان نتيجة هذه الاجراءات في فرض الضرائب تدمير الإنتاج والصناعات المحلية في بلاد فارس(٣٨).

وقع جوزيف نوز اتفاقية كمركية أخرى مع الحكومة العثمانية في السادس عشر من شباط ١٩٠٣م، والتي بموجبها أُعفيت الصادرات الفارسية من دفع رسوم كمركية بنسبة (٥%) من الرسوم الكمركية، وخلال فترة ادارة جوزيف نوز وزملائه البلجيكيين للكمارك الفارسية كانت أهم موانئ بلاد فارس مثل (بندر عباس وبوشهر وخرمشهر)، فضلاً عن مكاتب الكمارك الإقليمية في مشهد وأنزلي وتبريز وكرمانشاه، تُدار من قبل رؤساء بلجيكيين تحت إشراف جوزيف نوز، وكان لدى هؤلاء الرؤساء الإقليميين السلطة اللازمة والكافية لتنظيم شؤونهم الكمركية(٣٩).

تضاعفت عائدات الكمارك الفارسية وتحسنت تنظيمها خلال السنوات السبع التي تولّى فيها البلجيكيون إدارة الكمارك الفارسية، إلا أن أكبر منفعة من الوجود البلجيكي ذهبت إلى الحكومة الروسية ومن ثم إلى بريطانيا، وتجدر الاشارة ان تصرفات جوزيف نوز المتحيزة تجاه روسيا ادت إلى تحريض الحكومة البريطانية ضده، فتم فُصل جوزيف نوز وزملاؤه في عام ١٩٠٦م، ورغم فصل البلجيكيين من ادارة الكمارك الفارسية جددت الاتفاقيات الكمركية بين روسيا وبريطانيا فسيطرت بريطانيا على كمارك بلاد فارس حوالي سنة ونصف حتى الثورة الروسية عام ١٩١٧م، ظلت الكمارك الفارسية تُدار وفقًا للمبادئ والقوانين التي وضعها البلجيكيون، ونتيجةً للاضطرابات التي أعقبت العصر الدستوري، انخفضت إيرادات الكمارك وتعطلت مالية البلاد. لذلك، في بداية عهد أحمد شاه، قرر المجلس بموجب قانون عام ١٩١١م إحداث تغيير في الكمارك والشؤون المالية للبلاد بهدف إصلاح ماليتها، وفي هذا الشان سعى أحمد شاه إلى الاستعانة بمستشارين أمريكيين، فعيّن الخبير الأمريكي مورغان شوستر[٤٠] Morgan Schuster أمينًا لخزانة البلاد، ونظّم وزارة المالية، وكانت الكمارك إحدى إدارات تلك الوزارة[٤١].

انخفضت عائدات الكمارك الفارسية تحت تصرف القوى الأجنبية لدرجة أنها اضطرت إلى الاقتراض من مصارف محلية وتأخير سداد الديون الخارجية واستلام المساعدات، فبلغت إجمالي الضرائب للحكومة الفارسية عام ١٩١١م (٥٠) مليون (قرآن)، وبعد إقالة مورغان شوستر وطرده من الخزانة الفارسية، تم تعيين شخص يدعى الخبير مورتر، الذي كان نائباً لجوزيف نوز لفترة طويلة، عُيّن من قِبل الحكومة الفارسية أمينًا عامًا للخزينة الفارسية في عام ١٩١٢م، ووُضعت الكمارك تحت إشرافه[٤٢].

خلال فترة السيطرة الأجنبية للكمارك الفارسية، وبالاخص خلال الفترة البلجيكية، كانت معظم إيرادات الكمارك الفارسية في أيدي الأجانب، وكانت تُجبى ضرائب مثل ضريبة الطرق والرسوم الكمركية وضرائب الخانات من التجار الفارسيين تحت مسميات مختلفة، بينما اقتصرت الرسوم الكمركية على تحصيلها من التجار الأجانب على الحدود، مما أضرّ بالتجار المحليين والشعب في بلاد فار[٤٣].

خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) ازدادت ديون الحكومة الفارسية فبلغت (٥٣٤) مليون (قرآن)، فمع اندلاع الحرب العالمية الأولى واحتلال بلاد فارس من قبل القوى الأجنبية، واجهت الكمارك الفارسية صعوبات وأزمات مالية واقتصادية، لكن إيراداتها الكمركية كانت في وضع جيد عمومًا، بحيث في الأشهر التسعة الأولى من عام ١٩١٥م، بلغ إجمالي إيرادات الكمارك في محافظات بلاد فارس حوالي مليونين و٦٠ ألف تومان، ويعود ذلك إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى، التي قلصت بشكل كبير العلاقات التجارية بين دول أوروبا الغربية وبلاد فارس(٤٤).

وفقًا لتقرير أعلنه مصرف الاقتراض في شهر اب ١٩١٥م بلغ إجمالي الإيرادات الكمركية لعام ١٩١٥م حوالي (٤٢٣,٠٠٠) تومان، ومن بين مختلف الكمارك في البلاد كان إجمالي إيرادات الكمارك الشمالية، التي شملت (أذربيجان، وأستارا، وجيلان، ومازندران، وأستاراباد، وخراسان، وكرمانشاه، وهمدان)، أكبر من إجمالي إيرادات الكمارك الجنوبية، التي شملت (بوشهر، وبندر عباس، وخوزستان) وابرمت المعاهدة الفارسية الروسية في السادس عشر من شباط ١٩٢١م تقرر إلغاء المعاهدات الكمركية السابقة، فأصبحت الكمارك الفارسية شبه مستقلة عن الادارة الاجنبية، وظلت صلاحيات الكمارك الأجنبية الفارسية محدودة، ومع ذلك وبإصرار من الحكومة الفارسية، حلت معاهدة الكمارك لعام ١٩٢١م محل المعاهدات الكمركية السابقة وأصدرت الحكومة الفارسية تعريفة جديدة، لكن لم يُهيئ امتلاك أدوات ومعدات كمركية متطورة وحديثة خلال تلك التطورات الأساس للازدهار الاقتصادي لبلاد فارس، ورغم زيادة إيرادات الكمارك إلا أن الحكومة الفارسية ظلت عاجزة عن تطبيق سياسات كمركية ومالية مناسبة، مثل تطبيق السياسات النقدية والائتمانية، وتحقيق الاستقلال النقدي، وإنشاء بنك، وتطبيق سياسات تجارية وجمركية لتحقيق الاستقلال الجمركي والسيطرة على التجارة الخارجية، وتطبيق سياسات تحفيزية لسعر الصرف، لا سيما لتشجيع الصادرات غير النفطية، وتطوير علاقات سياسية واقتصادية مع دول مثل ألمانيا بهدف تحقيق الاستقلال الاقتصادي عن منافسيها، روسيا وإنكلترا، بما يؤدي إلى زيادة حقيقية في إيرادات الكمارك والازدهار الاقتصادي للبلاد(٤٥).

كانت الكمارك العمود الفقري للمالية العامة في بلاد فارس، لذلك كانت من أولى المؤسسات التي خضعت للإصلاح الحكومي، فبعد عقد معاهدة ١٩٢١م تم إعادة ربط الكمارك بوزارة المالية الفارسية فتم إخضاع الكمارك مباشرة لوزارة المالية، ومنع الولاة والحكام المحليين من التدخل، وتوحيد السياسات الكمركية على مستوى الدولة، فقامت الحكومة الفارسية بالإصلاحات الإدارية والتنظيمية للسنوات (١٩٢١-١٩٢٥م) فبخصوص الكمارك تم إنشاء تسلسل إداري واضح: (مديريات، مفتشين، محاسبين، ضبط السجلات الكمركية، تقنين الرواتب للحد من الرشوة)، وبخصوص التعرفة الجمركية تم ما ياتي: (مراجعة التعرفة القديمة (٥%)، رفع الرسوم تدريجيًا على بعض السلع، بداية سياسة الحماية المحدودة للصناعة الوطنية)، استمرت هذه السياسية الكمركية حتى خلع اخر شاهات الدولة القاجارية احمد شاه واعلان رضا خان شاه بلاد فارس الجديد وتأسيس الدولة البهلوية[٤٦].

الخاتمة :

بعد البحث والكتابة في موضوع التطور التاريخي للكمارك الفارسية للمدة ١٨١٣-١٩٢٥م يمكن ملاحظة أمور عديدة أبرزها :

١-يتضح لنا ان جهاز الكمارك الفارسية لم يكن مجرد مؤسسة مالية تُعنى بجباية الرسوم الكمركية فقط، بل كان مرآة عاكسة لتحولات الدولة الفارسية في سياق دولي وإقليمي مضطرب، فقد شكّلت معاهدة جولستان المعقودة عام ١٨١٣م ومعاهدة تركمانجاي المعقودة عام ١٨٢٨م نقطة انطلاق لمسار طويل من التراجع في ايرادات الكمارك الفارسية، بعدما فُرضت التزامات كمركية حدّت من قدرة الدولة على إدارة تجارتها الخارجية، وفي المقابل فإن تطور إدارة الكمارك خلال العقود التالية أثبت أن الدولة حاولت باستمرار استعادة قدرتها عبر تحديث نظامها المالي، رغم تعدد العقبات السياسية والاقتصادية لكنها لم تنجح.

٢-لعبت الإصلاحات الكمركية خلال فترة الدراسة، ثم تدخل الخبراء البلجيكيين، دورًا مهمًا في وضع أسس جديدة للإدارة المالية بالاخص الكمركية، ومع ذلك ظل النفوذ الأجنبي وغياب البنية الإدارية الصلبة عاملين يحدّان من فعالية هذه الجهود الكمركية.

٣-كانت الفترة الأخيرة من الدراسة (١٩٢١-١٩٢٥) لتشكّل منعطفًا حاسمًا في تاريخ الكمارك الفارسية، حيث اتجهت الدولة إلى إعادة مركزية الإدارة، وتقوية الجهاز المالي، والاعتماد على الكمارك كأحد أعمدة الاقتصاد الوطني ومصدراً أساسياً لتمويل مشاريع التحديث، وهنا يظهر أن تطور الكمارك الفارسية عبر أكثر من قرن لم يكن خطيًا، بل كان نتيجة لتفاعل معقّد بين العوامل الداخلية والخارجية، حيث تحولت مؤسسة الكمارك في بلاد فارس من جهاز هشّ خاضع للامتيازات الأجنبية إلى مؤسسة أكثر مركزية وتنظيمًا مع بدايات الدولة البهلوية عام١٩٢٥.

الهوامش:

(١) ضريبة العشور : هي ضريبة أطلقته الحضارة الاسلامية على ما يأخذ من اموال التجارة سواء أكان المأخوذ عشراً لغوياً ام ربعه ام نصفه، وهي الضريبة التي تضعها الدولة الاسلامية على التجارة الداخلية والخارجية لغرض تنظيم هذهِ التجارة . للمزيد ينظر في : صلاح الدين حسين خضير , ضريبة عشور التجارة ، واراء العلماء في احكامها ومقاديرها, مجلة سر من رأى , مج٦, العدد٢٠, ٢٠١٠, ص ١٢٥.

(٢) يوسف رزق الله غنيمة ، تجارة العراق قديما وحديثا ، مطبعة العراق ، بغداد ، ١٩٢٢، ص١١٢.

(٣) يعقوب سركيس، مباحث عراقية، دار التجارة والطباعة المحدودة، بغداد ، ١٩٥٥، ص٢٣١ .

(٤) محمد سعيد ، الضرائب غير المباشرة – التشريع الكمركي ، ط٢ ، مطابع دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٩٥٤ ، ص ٤.

(٥) حسن پيرنيا، ايران باستان به همراه تاريخ مفصل ايران باستان، جلد ٢، انتشارات دنياى كتاب، تهران، ١٣٦٢، ص ١٥١.

(٦) ويل دورانت، تاريخ تمدن – مشرق زمين – گهواره تمدن، جلد ١، ترجمه احمد آرام، انتشارات آموزش انقلاب اسلامى، تهران، ١٣٧٢، ص ٥١.

(٧) رومن گيرشمن، ايران از آغاز تا اسلام، ترجمه محمد معين، انتشارات علمى و فرهنگى، تهران، ١٣٦٤، ص ٢٠٩.

(٨) جمعى از نويسندگان، تاريخ گمرک ايران، انتشارات هامان، تهران، ١٣٥٤، صص ١٩-٢٢.

(٩) هادى عبدالله، گمرک، تجارتخانه عالى تهران، تهران، ١٣٣٩، ص ١١.

(١٠) حسن بستانى راد، صرافی‌ها و ضرابخانه‌ها در دوران سامانیان، پژوهشنامه خراسان بزرگ، مجله دانشگاه بین‌المللی امام رضا، شماره ٢، ١٣٩٠، صص ١٥-٣١.

(١١) الشهبندر : هو المسؤول عن شؤون التجار الأجانب والمحليين في الموانئ والمدن التجارية، خاصة في بلاد فارس العهد الصفوي ثم القاجاري، دوره: الإشراف على الجمارك، فض النزاعات التجارية، تمثيل التجار أمام الدولة. للمزيد ينظر الى : رسول جعفريان، تاريخ المؤسسات الإدارية في بلاد فارس، دار علم للنشر، طهران، ٢٠٠٦ ، ص ٢١١-٢١٨.

(١٢) يكتايى مجيد، تاريخ امور مالى ايران، انتشارات هاخدا، تهران، ١٣٥٢، ص ٣١٢٣.

(١٣) آغا محمد خان: ولد عام ١٧٤٢ ، هو مؤسس الدولة القاجارية، عُرف بالقسوة والحزم، أعاد توحيد بلاد فارس بعد مرحلة الفوضى التي أعقبت نادر شاه، اتخذ من طهران عاصمة للدولة، توفي عام ١٧٩٧. للمزيد ينظر الى : عباس إقبال، تاريخ بلاد فارس الحديث، تحقيق : محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩ ، ج١، ص ٣٣-٥٨.

(١٤) فتح علي شاه: ولد عام ١٧٧٢ ، هو الشَّاه الثَّاني لِلدَّولة القاجاريَّة ، حكم البلاد من عام ١٧٩٧ حتَّى وفاته عام ١٨٣٤م، كان من أكثر الأمراء قُربًا وحُظوةً عند عمِّه الشَّاه آغا محمد خان ولمَّا لم يكُن لِلأخير ذُريَّة فَقد نصَّب ابن أخيه فتح علي وليًا لِلعهد، شهد عهده الحروب الروسية-الفارسية وخسارة القوقاز، وقع معاهدتي كلستان (١٨١٣) وتركمانجاي (١٨٢٨)، توفي عام ١٨٣٤. للمزيد ينظر الى : فريدون آدمية، انديشه‌هاى ميرزا فتحعلي آخوندزاده، انتشارات خوارزمى، تهران، ١٩٧٠ ، ص ٢٠-٢٥.

(١٥) گروهى از نويسندگان، تاريخ آداب و رسوم ايران، دارالكتب العلمى، تهران، ١٣٧٩ش، صص ۴۴-۴۵؛ هنريک بروگ، سفرى به دربار قرآن ١٨٥٩-١٨٦١، جلد ٢، ترجمه مهندس كوردبک، انتشارات اطلاعات، تهران، ١٣۶٨، ص ٧٢٥.

(١٦) آقاى تقى نصر، برخورد ايران با استعمارگران از آغاز عصر قاجار تا استقرار سلطنت مشروطه، تهران، شركت مؤلفان و مترجمان ايران، تهران، بدون تاريخ، ص ٣٠٨.

(١٧) هنريک بروگ، همان، ص ٣٩٤.

(١٨) جورج كرزن، ايران و مسئله ايران، جلد ١، علمى و فرهنگى، تهران، ١٣٧٣، ص ٥٨٠.

(١٩) ناصر الدين شاه: هو الأبن الأكبر لمحمد شاه بن عباس ميرزا ، ولد في طهران عام١٨٣١ ، أصبح ولياً للعهد وحاكماً لولاية أذربيجان الفارسية، تولى عرش بلاد فارس بعد وفاة والده عام ١٨٤٨ بعدما كان على مدينة تبريز ولا يتجاوز السابعة عشرة من عمره، حكم لمدة (٤٩) سنة قسم المؤرخين حكمة الى ثلاثة مراحل هي مرحلة الفوضى (١٨٥٧-١٨٤٨)، ومرحلة الهدوء النسبي (١٨٨٩-١٨٥٨) ،

ومرحلة الإمتيازات الأجنبية (١٨٩٦-١٨٨٩)، توفي عام ١٨٩٦. للمزيد ينظر الى: علي خضير عباس المشايخي ، بلاد فارس في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨ - ١٨٩٦، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٧٩.

(٢٠) ميرزا قهرمان (أمين لشكر) : ولد عام ١٨١٠، هو قائد عسكري ووزير حربية، لعب دورًا في تنظيم الجيش القاجاري ، توفي عام ١٨٧٠. للمزيد ينظر الى : رسول جعفريان، تاريخ سياسى قاجار، وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامى، تهران، ١٣٧٣، ص ٢٦٦-٢٧٠.

(٢١) آغا إبراهيم قمي : ولد عام ١٧٤٠، رجل دولة بارز في بداية العهد القاجاري، ساهم في تثبيت سلطة آغا محمد خان ، تولّى إدارة الكمارك بلاد فارس في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، جاء بروزه في فترة سعت فيها الدولة القاجارية إلى تنظيم مواردها المالية والحد من الفوضى في الجباية، ساهم في تنظيم إجراءات التحصيل الكمركي وتقليل نفوذ المتعهدين المحليين غير الخاضعين للرقابة ومحاولة تعزيز إيرادات الدولة في ظل أزمة مالية خانقة، توفي عام ١٨٠١. للمزيد ينظر الى : رسول جعفريان، تاريخ سياسى قاجار، وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامى، تهران، ١٣٧٣، ص ٢٦٦-٢٧٠.

(٢٢) ميرزا أحمد خان : ولد عام ١٨٢٥، هو إداري قاجاري تولى مناصب مالية ساهم في تحديث الادارة القاجارية وساهم في تنظيم العلاقات الخارجية وارتبط اسمه بمحاولات الاصلاح قبل الثورة الدستورية، توفي عام ١٨٨٠. للمزيد ينظر الى : فريدون آدميه، انديشه اصلاحات در ايران، انديشه آزادى نهست، تهران، بدون تاريخ انتشار، صص ٩٥-٩٨.

(٢٣) عبدالله مستوفى، زندگينامه من: تاريخ اجتماعى و ادارى سلسله قاجار، دار ظفر، تهران، ١٣٧١، ص ١٣٨.

(٢٤) يكتايى مجيد، منبع پيشين، صص ٣٨-٣٩؛ جورج كرزن، منبع پيشين، ص ٥٦٦.

(٢٥) احمد سيف، اقتصاد ايران در قرن نوزدهم، نشر چشمه، تهران، ١٣٧٣، ص ٣٢١؛ جورج كرزن، همان منبع، ص ٥٦٧.

(٢٦) جورج كرزن، همان منبع، ص ٥٦٨.

(٢٧) مظفر الدين شاه: هو خامس ملوك أسرة قاجار ، ولد في تبريز عام ١٨٥٣، اختاره والده ولياً للعهد وهو في الخامسة من العمر ، إتصف بالثقافة والتحدث بأكثر من لغة إلا أنه كان ضعيف الشخصية الأمر الذي أدى الى سيطرة حاشيته على مقاليد الحكم . أدت زياراته المتكررة الى أوربا الى هدر الكثير من الأموال هناك سيما وأنه كان يقول "أنا مفتوناً بالتكنولوجيا فيها ، ناهيك عن زواجاته المتكررة مثل حضرة "عليا" أبنة فيروز ميرزا نصرت الدولة بعد طلاقه من تاج الملوك" أبنة أمير كبير

، توفي عام ١٩٠٦ في طهران . للمزيد ينظر الى : لازم لفته ذياب المالكي ، بلاد فارس في عهد مظفر الدين شاه ١٨٩٦ – ١٩٠٦ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٧ ، ص ٣٩ – ٤٣ .

(٢٨) جوزيف نوز البلجيكي: ولد عام ١٨٤٩، هو خبير جمركي بلجيكي، رأس إدارة الجمارك في بلاد فارس وأثار سخط التجار والعلماء، عين لادارة الكمارك الفارسية بناء على اتفاقيات مع الدول الاوربية ، كان الهدف من تعينه لزيادة ايرادات الدولة في الكمارك ، وتنظيم التحصيل الكمركي بشكل اكثر كفاءة، وتقليل الفساد وعبث المتعهدين المحليين، توفي عام ١٩٢٠.للمزيد ينظر الى:
Willem Fleur, Belgian Customs Administration, Henri Verlag, Berlin, 2000, pp. 45-60.

(٢٩) جمال زاده، محمدعلى شيجان، وضعيت اقتصادى ايران، تهران: نشر دار سخن، ١٣٨٤، ص ٣٨; حبيب الله، خليج فارس در عصر قاجار، دانشگاه خليج فارس بوشهر، ١٣٨٨، ص ٣٩.

(٣٠) يكتايى مجيد، منبع پيشين، ص ٥٥.

(٣١) يوجين ايوين، ايران امروز، ترجمه على اصغر سعيدى، تهران، ١٣٣٥، ص ٢٣٤.

(٣٢) همان، ص. ١١١

(٣٣) عبدالله مستوفى،منبع پيشين، ص ٥٨.

(٣٤) ماد كسروى، تاريخ مشروطيت ايران، مؤسسه انتشارات امير كبير، تهران، ١٣٥٤، ص ٣٣.

(٣٥) عبدالله مستوفى،منبع پيشين، ص ٥٩.

(٣٦) ميرزا محمد ناظم الاسلام كرمانى، تاريخ بيدارى ايرانيان، انتشارات اميركبير، تهران، ١٣٦٣، ص ١٠٢.

(٣٧) همان، ص ١٠٤.

(٣٨) جمالزاده، محمدعلى شيجان، همان، ص ٣٨.

(٣٩) ارنست اورسل، داستان سفر، ترجمه على اصغر سعيدى، انتشارات ظفر، تهران، ١٣٣٥، ص ٢٣٥؛ يكتايى مجيد، همان، ص ٧١.

(٤٠) مورغان شوستر : ولد عام ١٨٧٧، هو خبير مالي أمريكي عُيّن ١٩١١ حاول إصلاح المالية في بلاد فارس لكنه طُرد بضغط روسي–بريطاني، كان هدفه اصلاح النظام المالي المتدهور للدولة القاجارية، وتنظيم الضرائب والكمارك، ومكافحة الفساد المالي في بلاد فارس ، توفي عام ١٩٦٠. للمزيد ينظر الى :

Morgan Schuster, The Strangulation of Persia, New York: Country Co., n.d., pp. 1–20 & Ervand Abrahamian, Iran Between Two Revolutions, Washington: House of Historical Studies, 1982, pp. 98–102.

(٤١) يكتاى مجيد، منبع پيشين، ص ٧٥.

(٤٢) مجيد حسن، راهنماى تاريخ ايران، انتشارات دهخدا، تهران، ١٣٥٢، ص ٧۶.

(٤٣) مورگان شوستر، اختناق در ايران، ترجمه ابوالحسن موسوى شوشترى، انتشارات صفى على شاه، تهران، ١٣٧۶، ص ٣٣۶.

(٤٤) على رشيدى، توسعه و مديريت اقتصادى، جلد ٢، اطلاعات سياسى و اقتصادى، فروردين و ارديبهشت ١٣٧٨، شماره‌هاى ١٣٩ و ١۴٠، ص ١۴٧.

(٤٥) خلاصه حساب‌هاى اداره گمرک مرجع ملى ايران مورخ ٨ سپتامبر ١٩١٥، مطابق با ٢۴ شوال ١٣٣٣ هجرى قمرى؛ خلاصه حساب‌هاى اداره گمرک مرجع ملى ايران مورخ ١١/٩ اوت ١٩١٥، مطابق با ٢٩ رمضان ١٣٣٣ هجرى قمرى؛ خلاصه حساب‌هاى اداره گمرک مرجع ملى ايران براى دوره از ١۴/١ ژانويه تا ١۴/١ ژوئيه ١٩١٥.

(٤٦) يكتاى مجيد، منبع پيشين، ص ٧٥ ؛ ميرزا محمد ناظم الاسلام كرمانى، منبع پيشين، ص١٠٧ ؛ جورج كرزن، منبع پيشين، ص ٥٧٠.

قائمة المصادر

اولا : المصادر العربية

١-رسول جعفريان، تاريخ المؤسسات الإدارية في بلاد فارس، دار علم للنشر، طهران، ٢٠٠٦ .
٢-صلاح الدين حسين خضير , ضريبة عشور التجارة ، واراء العلماء في احكامها ومقاديرها, مجلة سر من رأى , مج٦, العدد٢٠, ٢٠١٠.
٣-عباس إقبال، تاريخ بلاد فارس الحديث، تحقيق : محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩ ، ج١.
٤-محمد سعيد ، الضرائب غير المباشرة – التشريع الكمركي ، ط٢ ، مطابع دار الكتاب العربي، مصر ، ١٩٥٤.
٥-يعقوب سركيس، مباحث عراقية، دار التجارة والطباعة المحدودة، بغداد ، ١٩٥٥.
٦- يوسف رزق الله غنيمة ، تجارة العراق قديما وحديثا ، مطبعة العراق ، بغداد ، ١٩٢٢.

ثانيا : المصادر الفارسية :

١-احمد سيف، اقتصاد ايران در قرن نوزدهم، نشر چشمه، تهران، ١٣٧٣.
٢-ارنست اورسل، داستان سفر، ترجمه على اصغر سعيدى، انتشارات ظفر، تهران، ١٣٣٥.
٣-آقاى تقى نصر، برخورد ايران با استعمارگران از آغاز عصر قاجار تا استقرار سلطنت مشروطه، تهران، شركت مؤلفان و مترجمان ايران، تهران، بدون تاريخ.
٤-جمال زاده، محمدعلى شيجان، وضعيت اقتصادى ايران، تهران: نشر دار سخن، ١٣٨٤.
٥-جمعى از نويسندگان، تاريخ گمرک ايران، انتشارات هامان، تهران، ١٣٥٤.
٦-جورج كرزن، ايران و مسئله ايران، جلد ١، علمى و فرهنگى، تهران، ١٣٧٣.
٧- حبيب الله، خليج فارس در عصر قاجار، دانشگاه خليج فارس بوشهر، ١٣٨٨.
٨-حسن بستانى راد، صرافى‌ها و ضرابخانه‌ها در دوران سامانيان، پژوهشنامه خراسان بزرگ، مجله دانشگاه بين‌المللى امام رضا، شماره ٢، ١٣٩٠.
٩-حسن پيرنيا، ايران باستان به همراه تاريخ مفصل ايران باستان، جلد ٢، انتشارات دنياى كتاب، تهران، ١٣٦٢.
١٠- خلاصه حساب‌هاى اداره گمرک مرجع ملى ايران براى دوره از ١٤/١ ژانويه تا ١٤/١ ژوئيه ١٩١٥.

١١- خلاصه حساب‌های اداره گمرک مرجع ملی ایران مورخ ٨ سپتامبر ١٩١٥، مطابق با ٢٤ شوال ١٣٣٣ هجری قمری.
١٢- خلاصه حساب‌های اداره گمرک مرجع ملی ایران مورخ ١١/٩ اوت ١٩١٥، مطابق با ٢٩ رمضان ١٣٣٣ هجری قمری.
١٣- رسول جعفریان، تاریخ سیاسی قاجار، وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی، تهران، ١٣٧٣.
١٤- رومن گیرشمن، ایران از آغاز تا اسلام، ترجمه محمد معین، انتشارات علمی و فرهنگی، تهران، ١٣٦٤.
١٥- عبدالله مستوفی، زندگینامه من: تاریخ اجتماعی و اداری سلسله قاجار، دار ظفر، تهران، ١٣٧١.
١٦- علی رشیدی، توسعه و مدیریت اقتصادی، جلد ٢، اطلاعات سیاسی و اقتصادی، فروردین و اردیبهشت ١٣٧٨، شماره‌های ١٣٩ و ١٤٠.
١٧- فریدون آدمیة، اندیشه‌های میرزا فتحعلي آخوندزاده، انتشارات خوارزمی، تهران، ١٩٧٠.
١٨- فریدون آدمیه، اندیشه اصلاحات در ایران، اندیشه آزادی نهست، تهران، بدون تاریخ انتشار.
١٩- گروهی از نویسندگان، تاریخ آداب و رسوم ایران، دارالکتب العلمی، تهران، ١٣٧٩ش.
٢٠- ماد کسروی، تاریخ مشروطیت ایران، مؤسسه انتشارات امیر کبیر، تهران، ١٣٥٤.
٢١- مجید حسن، راهنمای تاریخ ایران، انتشارات دهخدا، تهران، ١٣٥٢.
٢٢- مورگان شوستر، اختناق در ایران، ترجمه ابوالحسن موسوی شوشتری، انتشارات صفی علی شاه، تهران، ١٣٧٦.
٢٣- میرزا محمد ناظم الاسلام کرمانی، تاریخ بیداری ایرانیان، انتشارات امیرکبیر، تهران، ١٣٦٣.
٢٤- هادی عبدالله، گمرک، تجارتخانه عالی تهران، تهران، ١٣٣٩.
٢٥- هنریک بروگ، سفری به دربار قرآن ١٨٥٩-١٨٦١، جلد ٢، ترجمه مهندس کوردبک، انتشارات اطلاعات، تهران، ١٣٦٨.
٢٦- ویل دورانت، تاریخ تمدن - مشرق زمین - گهواره تمدن، جلد ١، ترجمه احمد آرام، انتشارات آموزش انقلاب اسلامی، تهران، ١٣٧٢.
٢٧- یکتایی مجید، تاریخ امور مالی ایران، انتشارات هاخدا، تهران، ١٣٥٢.
٢٨- یوجین ایوین، ایران امروز، ترجمه علی اصغر سعیدی، تهران، ١٣٣٥.

ثالثا : الرسائل والاطاريح الجامعية :

١- علي خضير عباس المشايخي ، بلاد فارس في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨ - ١٨٩٦، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٨.

٢- لازم لفته ذياب المالكي ، بلاد فارس في عهد مظفر الدين شاه ١٨٩٦ - ١٩٠٦ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٧.

رابعا : المصادر الاجنبية :

1-Willem Fleur, Belgian Customs Administration, Henri Verlag, Berlin, 2000.

2-Morgan Schuster, The Strangulation of Persia, New York: Country Co., n.d.

3-Ervand Abrahamian, Iran Between Two Revolutions. Washington : House of Historical Studies, 1982.

الملابس في ضوء الادلة الاثرية (نماذج مختارة) من بلاد الرافدين

أ.م.د.خناو محمد محمود

كلية الآداب/ جامعة صلاح الدين.

Email: Khunaw.mahmod@su.edu.krd

أ.د. نعمان جمعة ابراهيم

كلية الآداب/ جامعة صلاح الدين.

Email: noman.ibrahim@su.edu. krd

الملابس في ضوء الادلة الاثرية (نماذج مختارة) من بلاد الرافدين

أ.م.د.خناو محمد محمود

أ.د. نعمان جمعة ابراهيم

- ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة بقايا الملابس المكتشفة في مواقع متعددة من بلاد الرافدين، من خلال ما توصلت إليه التنقيبات الأثرية، وتحليل ما توفر من أدلة مادية وفنية ونصوص تاريخية، في محاولة لفهم طبيعة الملابس، ووظيفتها الاجتماعية والدينية والاقتصادية .اذ ان اغلب المواد المستخدمة في صناعة الملابس قديما كانت مصادرها من جلود الحيوانات والمنسوجات النباتية والمواد العضوية واغلبها ضعيفة وهشة نادراً ما تبقى سالمة ومحفوظة تحت الارض لفترة طويلة من الزمن،لانها لم تقاوم الظروف البيئية والعوامل المناخية كالامطار والجفاف والرطوبة وغيرها، مما يصعب اكتشاف والعثور على بقايا للمواد المستخدمة في صناعة الملابس .

تطرق البحث أيضًا إلى المواد المستخدمة في صناعة الألبسة، مثل الصوف والكتان، وطريقة الحصول عليها، بدءا من تربية الحيوانات .مستعرضا التقنيات المبكرة والأدوات التي استُخدمت في عمليات التصنيع مثل المخارزو الابر والمغازل وأدوات النسيج اليدوية. والادوات الزينة التي عثر عليها في مواقع بلاد الرافدين. كما تناول البحث مراحل تطور الملابس ، من خلال دراسة العديد من القطع الفنية منها الدمى والالواح والاختام والمنحوتات عبر الفترات الزمنية المختلفة.

في الختام، يبرز البحث أن دراسة أقدم بقايا الملابس في بلاد الرافدين لا تقتصر فقط على الجانب المادي للأزياء، بل تشكل مدخلًا لفهم طبيعة الملابس ومدى تطور تقنيات مراحل صناعتها، مما يعكس البنية الاجتماعية والاقتصادية في الحياة اليومية لسكان بلاد الرافدين.

- كلمات المفتاحية: بلاد الرافدين، التنقيبات الأثرية ، الحياة اليومية، الملابس، المواد العضوية .

Mesopotamian Costume in the Light of Archaeological Evidence: Selected Examples

Prof. Dr. Naman Jumha Ibrahim

Assist. Lect. Khnaw Mohammad Mahmoud

- Abstract:

The aim of this research is to examine the remnants of clothing found at multiple sites in Mesopotamia, by analyzing the findings of archaeological excavations and analyzing available material, artistic evidence, and historical

texts. The objective of this project is to comprehend the nature of clothing and its social, religious, and economic functions. Ancient clothing was often made from weak and fragile materials like animal skins, plant fibers, and organic substances, which rarely survived intact and were preserved underground for extended periods. They typically could not withstand environmental conditions and climatic factors such as rain, drought, and humidity, which makes the discovery and recovery of clothing remains challenging.

The investigation focuses on the materials utilized in clothing manufacturing, such as wool and linen, and the methods of obtaining them, starting from animal husbandry. It examines the initial techniques and tools utilized in the manufacturing processes, which included awls, needles, spindles, and manual weaving tools. In addition, it examines the decorative tools that were found at Mesopotamian sites. The research examines the evolution stages of clothing by studying various artistic artifacts, such as dolls, tablets, seals, and sculptures from various historical periods.

This study concludes that studying the oldest clothing remnants in Mesopotamia is not just about the material aspect of fashion. It provides an entry point to comprehend the nature of clothing and the evolution of manufacturing techniques, reflecting the socio-economic structure of daily life for the inhabitants of Mesopotamia.

Keywords: Customs, Daily Life, Archaeological Excavations, Mesopotamia, Organic Materials.

- المقدمة:

تُعدّ حضارة بلاد الرافدين واحدة من أقدم وأغنى الحضارات الانسانية في العالم القديم التي قدمت للبشرية انجازات كبيرة في مجالات مختلفة من نظم الكتابة والإدارة والاقتصاد والدين والفنون. وقد تركت إرثا ضخما من الآثار المادية والرمزية التي شكلت مصدرا مهما لدراسة جوانب متعددة للحياة اليومية، منها على سبيل المثال الملابس والازياء التي لا يزال يحظى باهتمام الباحثين في الدراسات الاثرية، بسبب الاهمية البالغة للملابس في فهم البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في حضارة بلاد الرافدين.

وتاتي أهمية دراسة بقايا الملابس في بلاد الرافدين من كونها توفر معلومات عن حياة الإنسان القديم، وعلاقته بالبيئة المحيطة به، والمواد المتوفرة له، والتقنيات التي طورها لتلبية احتياجاته. فالملابس لم يكن مجرد وسيلة لتغطية او حماية الجسد ، بل حمل دلالات اجتماعية ودينية ، عكست طبيعة المجتمع ونظامه الطبقي، ساهمت أيضا في فهم الجوانب الاقتصادية والثقافية والتقنية للانسان عبرالعصور القديمة .

ونظرا لندرة بقايا الأنسجة للملابس، بسبب تحلل المواد العضوية عبر الزمن، فإن هذه الدراسة تعتمد على مصادر غير مباشرة مثل الدمى والتماثيل و الفخارومشاهد الملابس المرسومة على الألواح الطينية والأختام وإلى جانب الأدوات المرتبطة بالغزل والنسيج، التي عثر عليها في مواقع أثرية متعددة ،ومن خلال جمع وتحليل هذه المعطيات، يسعى هذا البحث إلى بناء صورة علمية متكاملة عن خصائص الملابس وأنواع الأقمشة المستخدمة، وتقنيات صناعتها.في بلاد الرافدين، الا ان نتائج التنقيبات الاثرية من خلال اكتشاف الالات وادوات ذات علاقة غير مباشرة بالملابس ،كالابر والمخارز واقراص المغازل باعداد كبيرة اعطت ادلة ملموسة على وجود حرفيين وانشطة وممارسة صناعة المنسوجات والملابس ،ساعدت تلك الادلة الباحثين للوصول إلى فهم أعمق لعناصرحضارة بلاد الرافدين.

النصوص المسمارية وفرت معلومات قيمة ساهمت في تكوين صورة شبه متكاملة عن أشكال الملابس وانماطها وتطورها ومكانتها في مجتمعات حضارة بلاد الرافدين عبر مراحل حضارية مختلفة وتكوين صورة شبه متكاملة عن طبيعة الملابس، وأهميتها الاجتماعية والدينية والاقتصادية.

تكشف دراسة أقدم بقايا الملابس في حضارة بلاد الرافدين عن جانب مهم من الحياة اليومية والثقافية في واحدة من أعرق الحضارات الإنسانية. ورغم التحديات الكبيرة التي واجهت الباحثين بسبب ، إلا أن نتائج التنقيبات الأثرية، وتحليل الأدوات المرتبطة بصناعة النسيج، والمصادر الفنية والنصوص المسمارية، قد وفرت معلومات ثمينة ساهمت في رسم صورة شبه متكاملة.

كان اهتمام الانسان القديم بالملابس تشكل مظهر من مظاهر الاقتصادية والاجتماعية والنفسية لذا فان الاهتمام بالملابس يعكس هوية الفرد وشخصيته والمكانة الاجتماعية والاقتصادية بالإضافة كونها ضرورية للحياة اليومية(Louise quillien, 2021, 1)(ينظر، الجادر، ١٩٨٥،٣٢٤). والملابس من المتطلبات الرئيسية للإنسان لاتقل أهميتها عن الغذاء والسكن، قديما او حديثا. كونها تحمى و تحافظ على الجسم من العوامل الطبيعية(زهراء، ٢٠١٤، ٣٨٨). حيث اتسع دورها ليشمل تغطية التماثيل والعربات والاثاث، مما يعكس بعدها الرمزي والزخرفي(Louise quillien, 2021, 15). وبشكل عام

فأن الملابس سواء كان لباس راس ام بدن او لباس ارجل. ولكل لباس زي والزي هو هيئة اللباس(الرائد، ١٩٩٢، ٧٦٥).لقد حاول الانسان منذ العصور الحجرية ان يحافظ او يحمي جسمه، فضلا عما تعطيه من مظهر حسن كان معتمدا على ماتوفرها البيئة الطبيعية من المواد كالحشائش وسيقان البردي ولحاء الأشجار، فضلا عن جلود الحيوانات التي اصطادها(حسين، ١٩٦٧، ٣،٤). بل لم يكتف الانسان بان تكون ملابسه من هذه المواد بسيطة ومتواضعة فقد جملها وزخرفها ونقشها في مراحل لاحقة[1] أما الملابس في الكتابات المسمارية فقد جاءت باللغة السومرية(TÚG) والتي تقابلها باللغة الاكد (CAD, L.,) (Ṣubāt P.232: b; CAD, Ṣ, P.221)تعرف الملابس بانها اسم وهي جمع لكلمة مَلبَس اخذت من المصدر لَبْس واللُبْسُ، بالضم واللِّباسُ: مايلبس، أي ما يستر به الجسم ورجل لَبِيس: ذو لباسٍ، ولُبوس كثير اللباس(ابن منظور، ٢٠٠٥، ١٦١).

يعد الحيوان احد المصادر المهمة لاقتصاد الإنسان منذ العصور القديمة، حيث يشكل مع النباتات محور حياته الأولى (العيساوي، ٢٠١٤، ٤). عاشت في بيئة بلاد الرافدين، وخاصة في المناطق الشمالية، أنواع من الحيوانات بسبب توفر مراعي خصبة مناسبة لنمو النباتات والتي ساعدت على ظهور الكثير من أنواع الحيوانات ويظهر من الدلائل الاثرية(إبراهيم، ٢٠٢٤، ١٧، ١٨). ان تربية الحيوانات ممارسة الزراعة مهنتان متكاملتان تطورا في القرى الزراعية منذ ان عرف الانسان الزراعة منذ (الالف الثامن ق.م)، و تشير الدلائل ان الحيوانات التي دجنت لاحقا كانت في الأصل من الحيوانات الصيد المتواجدة في البيئة التي عاش فيها الانسان، ثم ظهرت فكرة التدجين(الدليمي، ١٩٩٦، ١٣٣؛38,1980,Brock) .ان بدايات تدجين الحيوان كانت عملية صعبة و بمرور الزمن ومنذ ان بدأ الإنسان باستغلال الأراضي الصالحة للزراعة والغابات والمراعي، ساهمت في توفير الغداء للماشية والأغنام(عباس& سلمان، ٢٠١٨، ٢٩٢) . الامر الذي دفع الإنسان الاهتمام بتربية و تدجين الحيوانات لتلبية احتياجاته الاقتصادية، مثل الحصول على للحومها وحليبها والصوف والشعر والجلود وغيرها(الرويشدي، ١٩٧٣، ٣-٨). وقد تمت عملية تدجين النباتات والحيوانات خلال الفترة المحصورة بين استطان في كريم شهر وجرمو، في الأراضي المرتفعة، حيث كانت هذه المناطق ملائمة لزراعة النباتات البرية، مما أثر بشكل إيجابي

على تدجين الحيوانات (الدليمي، ١٩٩٦، ٢٣) ..لقد ساعدتنا التنقيبات الاثرية في التعرف على أنواع من الحيوانات من خلال اكتشاف بقايا عظام كثيرة لانواع مختلفة فضلا عن البحوث المنشورة والوثائق المسمارية سيما النصوص المسمارية العصر البابلي القديم موضوع بحثنا اذ اشارت فيها الى أسماء الحيوانات واصنافها وأعدادها واسعارها والأشخاص المسؤولين عن تربيتها(العبادي، ٢٠١٦، ١٥) . وعلى سبيل المثال حيث ورد في أحد النصوص من العصر نفسه التي وجدت في ماري، (يُذكر أنه تم نقل عجل مسمن على ظهر قارب بهدف تقديمه كقربان للقصر) (العبادي، ٢٠١٦، ١٤٣) في وثيقة مسمارية أخرى تتضمن أسماء العديد من الحيوانات وأنواعها وأعدادها، بالإضافة إلى التجهيزات اليومية المقدمة لها من العلف. كما تذكر الوثيقة الأشخاص المسؤولين عن تربيتها وتغذيتها، حيث كانت الأغنام والأبقار من أكثر الحيوانات المدجنة(المتولى، ٢٠٠٧، ٢٠١) .اكتشاف بقايا عظمية لانواع مختلفة من الحيوانات باعداد كبيرة في المواقع الاثرية تدل على الاهتمام المتزايد بالحيوانات سيما الماشية ومنها مؤسسة دريهم لتجميع الماشية(تُعدّ مؤسسة دريهم إحدى أهم المؤسسات الحكومية وأكبرها في مجال تجميع وتربية الماشية في دولة أور الثالثة، إذ كانت تخضع للإدارة والإشراف المباشر من قِبل الملوك، وكان لها دور بارز في الحياة الاقتصادية في بلاد وادي الرافدين، كما تشير نصوص دريهم إلى وجود أربعة أشخاص كانوا يعملون في استلام الماشية وتسجيلها(ينظر: المتولي، ١٩٨٦، ٢٧١؛ الدليمي، ١٩٩٦، ١٤١). فضلا عن ذلك يوجد عدد من القوانين الخاصة لحماية رعاة المواشي كونها تشكل من ثروة مصدرا اقتصاديا مهما، و غدائيا وكذلك للاستفادة من لحومها وجلودها واصوافها في مجالات الحياة الأخرى(ساكز، ١٩٧٩، ٦٧).

فقد حاول الانسان استغلال الحيوانات بشكل جيد لغرض الاستفادة من أصوافها كمواد أولية في صناعة الملابس وغيرها، كما استخدموا جلودها في العديد من الصناعات الاخرى صناعة الأحذية والأدوات الحربية(زويد، ٢٠٢٠، ١٣٢). ولا شك ان دراسة الملابس ومكملاتها وسيلة مهمة تساعدنا لفهم جانب مهم من جوانب الحياة اليومية للإنسان. إذ تعكس الملابس حياة الأفراد وطبقاتهم الاجتماعية ومكانتهم، بعض العادات والتقاليد والمفاهيم الفكرية حيث كشفت التنقيبات أنواعا من المواد الأولية المستخدمة في صناعة

الملابس، منهت نبات الكتان، على سبيل المثال(الجادر، ١٩٨٥، ٣٢٣). واقدم دليل على استخدام الانسان للغطاء على شكل ملابس بدائية جاءت من قرية زاوي جمي احدى اقدم القرى الزراعية العصر الحجرى الوسيط (زاوي جمي: وهي من قرى العصر الحجري الوسيط ظهرت فيها بوادر الانتقال الى انتاج القوت وتدجين الحيوانات ،تقع في شمال العراق على ضفة الزاب الاعلى وتبعد عن ضفة النهر بنحو ٩٥م وعلى بعد٤كم الى الغرب من كهف شانيدر(Solecki, 1957,167,168).فقد تم العثور في احد القبور على أدوات مثل المخارز وآلات القشط والأزاميل الصغيرة والسكاكين وقلائد من العظام (الشكل١)(باقر، ١٩٧٣، ٢١١). وهذه المكتشفات تشير الى ان الانسان القديم من الرجال والنساء كانوا يهتمون بالجانب الجمالي والزينة ويستخدمون الاساور والقلائد المصنوعة من والاصداف والاسنان والعظام وغيرها من الأدوات الصغيرة كالابر والمخارز وربما استخدموا في اعمال الثقب وخياطة بعض جلود الحيوانات واستخدامها كملابس وعمل أكياس وحاجيات اخرى (شريف،٢٠٠٦، ١١٩ ؛Prendergast & Hemsen, 2004, p. 12).

و في موقع (بيستان سور)(يقع تل بيستان سور في سهل شهرزور على بعد٢٤كم جنوب محافظة السليمانية ، ويرتفع حوالى ٥٥٠م فوق مستوى سطح البحر، تم التنقيب فيه من قبل بعثة بريطانية قام روجر ماثيوس وفريقه الأثارى بالتنقيب في الموقع في عام ٢٠١٢.(Archaeological Project, 2012, 2-5)[٢]. الذي يعود إلى العصر الحجري الحديث، مستوطنات زراعية قديمة في سهل شهرزور(هواس، ٢٠١٥، ٤٢، ٤٣). عثر خلال التنقيب في الموقع على كمية كبيرة من الخرز المصنوع من العقيق و حجر الصوان والأوبسيديان والقواقع (الشكلان٢، ٣). فضلا عن أدوات أخرى مصنوعة من العظام مثل المثاقب والدبابيس وإلابر، ان اكتشاف الابر في هذا التل يشير إلى أن سكان كانوا يمارسون اعمال بدائية ذات علاقة بالحياكة والنسج ومستلزمات الملابس اخرى خلال العصر الحجري المبكر (Matthews, 2020, 556-565) .وفي قرية (جرمو) تقع قرية جرمو قرب جمجمال بنحو ١١كم شرقا وعلى بعد٣٥كم شرق مدينة كركوك وتشغل مساحة نحو١٢,٠٠٠الى١٦,٠٠٠م[٢] وترتفع بقايا السكني في التل نحو٢٣قدما.اكتشفت مديرية الاثار العراقية ثم شرعت بعثة من المعهد الشرقي من جامعة شيكاغو منذ عام١٩٤٨ برئاسة

الاستاذ بريدوود واستمرت لغاية ١٩٥٥،وقد اسفرت التحريات على ست عشر طبقة اثرية. (الدباغ، ١٩٨٥، ١٢١، ١٢٢)احد القرى الزراعية من العصر الحجري الحديث (٦٧٥٠ ق.م)، اكتشف فيها الزراعة لأول وحصل فيها التحول الاقتصادي من الصيد والجمع الى انتاج الطعام (بريدوود ، ١٩٥١، ١٩٩). تشير مخططات البيوت المكتشفة في جرمو إلى تطورً ملحوظً في فن العمارة السكنية، تقنية الأدوات المنزلية ، فيما يتعلق بدلائل ذات العلاقة بالملابس حيث وُجدت أدوات متنوعة مثل إبر عظمية للخياطة وأقراص مغازل مصنوعة من الصوان والطين(إبراهيم، ٢٠٠٣، ٥٠،٥١)، مما يدل على معرفة و ممارسة فنون الغزل والحياكة، مثل غزل الصوف والقنب، نبات حولي زراعي عرفه سكان الرافدين بحيث استخدم اليافه وبذوره لصنع مجموعة من المنتجات المختلفة مثل النسيج والخيوط والحبال والاكياس.ذكر القنب منذ عهد سرجون الاكدي، واستعمل مع بعض العقاقير في الطب البابلي والاشوري. (بيطار، ٢٠٠٣، ١٥٠،١٥١). فضلا عن معرفة سكان جرمو استخدام قلائد والاساور والدلايات من الحجارة و الطين، المرمر، الصدف التي تشكل مكملات الملابس(باقر، ١٩٧٣، ٢٢٩، ٢٢٠) . ومن موقع شمشارة، يقع تل شمشارة على الضفة اليمنى لنهر الزاب الصغير في سهل رانية شمال غرب السليمانية، وهو عبارة عن تل مخروطي الشكل، يرتفع هذا التل بمعدل١٩م ويبلغ عرضه حوالي٦٠م ويبلغ طوله الكلي٣٣٠م ، وقد جرت أعمال التنقيب في تل من قبل بعثة الاثار الدنماركية برئاسة انكهولت ضمن اعمال الانقاذ التي استمرت من عام ١٩٥٧. واسفرت نتائج التنقيبات على ست عشرة طبقة الاثرية وبدا الاستيطان فيه في عصور ماقبل التاريخ. (باقر، ٢٠٠٩، ٢٣٦،٢٣٧)(Matthews ,2000, 73,) ، حيث عثرت في موقع على مجموعة من الالات والأدوات الحجرية والعظمية فضلا عن اكتشاف نماذج مختلفة لبعض المواد ذات الصلة بالناحية الجمالية مثل الحلي والقلائد والخرز ودبابيس، ومن بينها مجموعة الاساور مصنوعة من مرمر ينظر شكل(٤،٥)(Matthews ,2020, 563, 564). وفي موقع (تل الصوان)، الذي يعود إلى العصر الحجري المعدني، تل صوان: تقع على بعد١٠كم جنوب سامراء ويطل على الضفة الشرقية لنهر دجلة،نقبت في هذا الموقع عدد من البعثات ، اكتشفت ان التل مكون من خمس طبقات اقدمها ترجع الى عصر حسونة في الالف السادس

ق.م،واخرها تعود الى أواخر الالف السادس ق.م،يعد التل حلقة وصل بين جنوب بلاد الرافدين وشماله (صالح، ١٩٨٧، ١٠٨)، كشفت التنقيبات في الطبقة الأولى مجموعة من القبور. احتوت على اعداد كبيرة من الحلي المصنوعة من أحجار كريمة مثل العقيق والفيروز. كما تم العثور على هيكل عظمي لامرأة مطلي بالمغرة، وقد دفنت معها قلائد من الخرز، معمولة من النحاس الخام (باقر، ١٩٧٣، ٢٤٠). كما وُجدت تماثيل مصنوعة من المرمر، ترتدي القلائد، وعيونها زينة بالصدف ينظر (الشكل٦)(مصطفى، ٢٠١٦، ٢٤٠). وتم العثور على بقايا نباتات أبرزها نبات الكتان والقنب(باقر، ١٩٧٣، ٢٤٠). بالإضافة إلى ذلك، تم العثور على فخار مجسم في تل (يارم تبة ٢) من المواقع التابعة لثقافة عصر حلف يارم تبة ٢ هي مستوطنة ، تعود إلى الالفية الخامسة ق.م،تقع على بعد٢٥٠م غرب يارم تبة الأول في شمال بلاد الرافدين، ويبلغ عمقه ٧ أمتار،وتم عثور على مجموعة من أواني الفخارية عليها صور أفيال ونساء، (Dames&Stuart, 2017, 178) ،يمثل امرأة ذات شعر طويل، مزينة بزخارف وخطوط باللون الأسود ،(ان الخطوط هنا ليست مجرد زخرفة بل تمثل محاكاة بصرية للملبس والزينة).ينظر (الشكل ٧).

وخلال عملية التنقيب في مواقع حلف، سمي بدور حلف نسبة الى الموضع الاثري الكبير(حلف) الذي يطل على الخابور، بالقرب من قرية راس العين على الحدود التركية السورية وتقع على بعد(١٤٠) ميلا شمال غربي نينوى، تحرت فيه البعثة الألمانية برئاسة الباحث الاثاري(فون اوبنهايم)، واشتق اسمه من (حلف) .وهذا دور يعود إلى العصر الحجري المعدني– الوسيط. ،(عبد كسار، ١٩٨٢، ١–١١) ، تم اكتشاف أنواع مختلفة من القلائد والدلايات المصنوعة من حجر الاستيتايت الأخضر، واقراص حجرية صغيرة منقوشة بخطوط مستقيمة أو متقاطعة ، مع نماذج مميزة من رؤوس الدبابيس الحجرية (Matthews,2000,p73). كما تم العثور على تماثيل طينية تمثل الإلهة الأم في هيئة امرأة بدينة، تضع يديها على ثديها، وجسمها مزين بخطوط ونقاط يُعتقد أنها تمثل نوعاً من الوشم (Stuart & Damaes, 2017, 580) .ربما تشير الى معرفة تزين الملابس خصوصا المراة وحسب اراء بعض الباحثين انها تهدف إلى جذب الانتباه إلى جمال للمرأة، من خلال تزين للأزيا(رضا، ٢٠١٦، ١٧). وخلال الموسم الرابع للتنقيبات في موقع (تل

قالينج أغا) يعتبر موقع تل قالينج اغا من المواقع الاثرية التاريخية المهمة في مركز مدينة اربيل على بعد ا كم الى الجنوب من القلعة،الموقع عبارة عن تل دائرى الشكل يبلغ ارتفاعه حوالى ٧ امتار و.اعلن عن اثريه الموقع عام١٩٤٦. وقد تم تنقيب في الموقع في الاعوام ١٩٦٦ لغاية ١٩٧٠ في الاربعة المواسم ،وقام الهيئة العامة في اقليم كوردستان بتنقيب في السنة١٩٩٨وتم الكشف عن اثار والادوار الحضارية تعود للالفية الخامس والرابع ق.م حلف والعبيد والوركاء.(al Soof, 1966, 77) .تم اكتشاف خمس طبقات أثرية. وقد عُثرت في هذه الطبقات على مجموعة من الآلات والأدوات، من بينها أقراص مغازل طينية بأشكال دائرية أو مخروطية، مما يدل على أن سكان الموقع كانوا يمارسون اعمال حياكة الملابس باستخدام الصوف أو شعر الحيوانات(إبراهيم وعبد الكريم، ١٩٩٨، ٦،٥). في نفس الموقع، تم العثور على مجموعة من القبور، بعضها على شكل جرار فخارية كروية وجدت بداخلها جثث للموتى(حجارة، ١٩٧٣، ١٩). و ودائع جنائزية مع المتوفى، تضمنت اشكال متنوعة من الخرزة الذهبية والحجر الأزرق والاحمر والأصداف ومكحلة من عظم، واحجار ثمينة مثل العقيق الأحمر والازورد ومحززة وبعضها اسطوانية ومصقولة ولامعة (Martín, 2019, 273) ، كانت تُستخدم لتزيين ملابس النساء و الأطفال المتوفين، مما يعكس الجوانب الاجتماعية للعائلة .كما تم العثور في الموقع على أقدم قلادة، كما هو موضح في (الشكل٨)(إبراهيم، ٢٠٢٤، ١٢٢). وفي موقع(تل نادر) تعتبر تل نادر من اهم مواقع في أربيل اكتشف من قبل السيد نادر ابابكر في سنة ٢٠١٠ مدير الاثار في أربيل لذا سميت بهذا اسم، يقع التل في شرقي مدينة أربيل على طريق بنة سلاوة في منطقة خمسة حساروكان. وبالنسبة لمساحة تل(ا هكتار) وارتفاع ٥٤م. نقب فيه جامعة يونانية البعثة(أثينا).وقد عثرت فيها على مجموعة اللقى الاثرية مهمة.

(Konstantin. ,2011,1,2) عثر على بعض اللقى الاثرية من ضمنها أدوات الزينة كانت مصنوعة من ال طين المشوي(الفخار) تمثل خرز اسطوانية ودائرية الشكل مثقوب في وسطها، وغالبا كانت الخرز تعلق على الرقبة وهذه الخرز تعود إلى عصر العبيد ينظر شكل(٩،١٠الشكل)(حمه، ٢٠٢٣، ٨٤)[٣].وفي نفس موقع عثرت على قرصين مغزلين مصنوعان من الطين باشكال مختلفة مثقوب من الوسط يعود الى عصر عبيد قرص الأول

يحمل الرقم المتحفي(H.M001567) والثاني يحمل الرقم المتحفي(H.M001568).(حمه، ، 2023، 84، ينظرشكل(٦٣،٦٤). في موقع سوريزه يقع على بعد٢٠كم جنوب أربيل على طريق مخمور بجوار قرية سوريزه، تبلغ مساحته٢٢هكتار ويرتفع عن مستوى سطح البحر ١٦متر، ويصل ارتفاعه٣٤٩م. بدأ التنقيب فيه عام٢٠١٢ من قبل المعهد الشرقي بجامعة شيكاغوا باشراف البروفيسور كيل ستين سته ين مع مدير اثار أربيل أربعة مواسم قد عثر على اثار يعود الى العصر الحجري المعدني وعصر حلف ،عبيد، الوركاء(Stein, 2018, 18) عثرت أيضا على كمية كبيرة من بقايا حبوب مختلفة من القمح والشعير والأرز بذور كتان التي كانت تزرع في الموقع والاستفادة من دهنها وكذلك لاغراض الغزل والحياكة تعود الى العصر العبيد (Stein, 2018,18). وفي موقع تل لشكري بمحافظة أربيل، تل لشكرى موقع الاثري يقع بين كسنزان وبناسلاوة بالقرب من مدينة أربيل العراق، مساحته٤هكتار بارتفاع١٤م الموقع قريب من مصاطب الأنهار، وقد أجريت عمليات التنقيب السطحية في عام ٢٠١٣،٢٠١٤لتحديد موقع وبعدها أجريت حملة للعمل في عام٢٠١٥ وسميت التنقيب(مشروع الحفريات الاثرية في تل لشكر). نقيبت من قبل جامعة برشلونة برئاسة ميغيل موليست وتعاون مع مديرية الاثار أربيل و قسم الاثار في جامعة صلاح الدين، وقد تم تنقيب لمدة سبع المواسم بحيث امتدت الموقع الى فترات تاريخية مختلفة حيث كان من العصر الحجرى في والعصر البرونزى المبكر(Molist& anna, 2015, 6,7) تم العثور على مجموعة من أدوات الزينة داخل احد القبر (رقم ١٦)، القطاع رقم٣ داخل المبنى(5B)(24-21 ,Molist& anna, 2014) منها قرط مصنوع من الرصاص كان معلقا في الاذن اليمنى للمتوفي فضلا عن قلادة مصنوعة من الحجر البازلت ذات شكل شبه منحرف اسود اللون مرقط بالابيض وهي قطعة شائعة في القبور اذ تعد من المقنيات الجنائزية، يعود تاريخه إلى فترة نينوى5 التي تتزامن مع الفترة مابين٢٩٥٠-٢٦٠٠ق .م ، ينظر شكل(١١) (عباس، ٢٠١٧، ٢١٠) .

أما عن الملابس في المشاهد الفنية فقد ظهر لدينا ختم اسطواني من مدينة (الوركاء)، يعود الى عصر الوركاء(إسماعيل، ١٩٨٥، ٢٢١). يتضمن مشهدا دينيا اذ نرى واجهة معبد وعلى كل جانب حزمة من القصب وباتجاه المعبد يتجه ثلاثة رجال احدهم

يرتدي وزرة مشبكة قصيرا وخلفه شخصان عاريان والثاني يسير خلفه وكلاهما يحملان قلادة ونطاقا وهذا يدل على وجود الملابس ينظر (الشكل١٢)(رشيد، ١٩٦٩، ٢٩، شكل١، لوح٩).ومنذ عصر الوركاء عرف السومريون طرزا مختلفة من اللباس حيث تجلى ذلك في مجموعة من الاعمال النحتية منها المشاهد المنحوتة على الإناء الإناء النذري يمثل هذا الاناء مدرسة سومرية لفن النحت البارز وهو من حجر الرخام،طوله (ام)، المكتشف في مدينة الوركاء ، تحمل مناظر مواكب دينية و مراسيم تقديم الهدايا والقرابين للالهة .يتكون من ثلاثة افاريز،افريز الأول مشهد ديني كاهن يقدم سلة من الفاكهة الى الالهة انانا (عشتار)،الافريز الثاني موكب من كهنة عراة يحملون سلاسل من الفاكهة وصحونا،الافريز الثالث صفوف من الحيوانات.محفوظ في متحف العراقي يحمل الرقم متحفي(١٩٦٠٦م ع) حيث يعتبر واحدة من المصادر المهمة لدراسة الملابس(بصمه جي،١٩٧٢، ٤٦١) حيث يُظهر علية مشهد الرجال عراة أو شبه عراة، يمثلون كهنة السومريين وهم يمارسون في طقوس دينية حيث تظهر الإلهة إنانا (عشتار) ترتدي ثوبًا طويلاً على رأسها تاجًا مقرنًا، مما يدل على ألوهيتها(الجادر، ١٩٨٥، ٣٢٤) ،بالإضافة إلى ذلك، فإن ملابس الخدم، سواء الرجال أو النساء، كانت عارية من الأكتاف حتى السرة(عكاشة، ١٩٨٣، ١١)ينظر (الشكل١٣،١٤).

تشير الدلائل بان السومريون و منذ بدايات الألف الثالث ق.م، كانوا قد اهتموا بارتداء الأزياء وملابس التي تُعرف بالمهدبات، وهي عبارة عن وزرات كانت تصنع من القماش تشبه في شكلها ومظهرها صوف الأغنام، حيث كانت تلف بإحكام حول وسط الجسم(الجادر، ١٩٨٥، ٣٢٥) .التطور النوعي في الأزياء، ظهرت ما يُعرف بالكوناكس، التي كانت تُرتدى بطريقة تُبقي الكتف والذراع اليمنى عاريه، وكانت تُستخدم من قبل الرجال والنساء على حد سواء. وكانت بعض هذه الملابس مزينة بحواشي مرتبة الشكل، بعضها مفتوحة من الجانبين والبعض الآخر مغلق، وجميعها كانت عريضة القياس، كما هو موضح في (مسلة العقبان)، ينظر (الشكل١٥) التي تُقسم إلى قسمين، القسم العلوي يمثل مشهد لجيش مدينة لكش في صفوف منتظمة، مع الملك إياناتم في المقدمة. يظهر فيه الملك يرتدي نطاقًا صوفيًا مهدبًا يستر كتفه الأيسر بالإضافة إلى الجزء السفلي من جسده، ويشبه

كثيرًا الرداء الذي يرتديه ابن الملك في لوح أور نانشة. كانت هذه الملابس تُرتدى بطريقة تُبقي الكتف والذراع اليمنى عاريين، بينما يُلف أحيانًا قماش حول الجسم ليغطيه بالكامل من الرقبة حتى القدمين، ويبدو أن القماش كان مزينًا من الأطراف بأهداب أو حواش مرتبة بأشكال متنوعة. بالإضافة إلى ذلك، كان الجنود يرتدون وزرات أو تنورات قصيرة تغطي وسط الجسم .في حين ظهر العديد من الرجال عرات اوشبه عرات وذلك بدافع ديني منهم الكهنة السومريين وحلقين الرؤوس فهم يؤدون الطقوس الدينية(الجادر، ١٩٨٥، ٣٢٤).

وفي مشهد فني آخر يتمثل في راية أوراحدى الاعمال الفنية يعود الى عصر فجر السلالات الثالث اكتشفت في مقبرة الملكية في أور بمدينة الناصرية اكتشفت من قبل الاثاري البريطاني(ليونارد وولى)،يحتوى على صندوق خشبي مجوف زينت وجهها الأربعة بمناظر الفسيفساء، الراية عبارة عن حقول افقية عرضية مثبتة على جانبي صندوق ويحتوى على مشاهد الحرب والانتصار ملك اور.(عزيز، ٢٠٢٤، ٩٣،٩٥.)، والتي تعد واحدة من أبرز القطع الفنية التي تعود إلى عصر فجر السلالات. ، نرى سائقي المركبات والمقاتلين تظهر الجزء العلوي من أجسادهم، بينما يرتدون تنورات قصيرة تبدأ من الخصر ومربوطة بحزام سميك، وتنتهي بأهداب أو حواش مشرشبة تصل إلى الركبتين. أكتافهم اليسرى مغطاة بقطع من القماش ذات نهاية مدببة، قد تكون من فرو الغنم، بينما يرتدي المقاتل خوذة جلدية على رأسه، وهو حافي القدمين(Prendergast, ,2004,11,12). كما يظهر في المشهد بعض الأشخاص يرتدون وزرات مفتوحة من الجانب أو غير مفتوحة، والتي تُعرف باسم "الكونكس"، وهي تشبه التنورة التي ارتداها الكاتب السومري دودو. و الوزرات السومرية فضفاضة، وأحيانًا تبدو كأنها منتفخة(بصمه جى، ١٩٧٢، ٢٠٥،) (الشكل١٦).

كشفت التنقيبات الأثرية في مدينة (أور) عن دلائل تؤكد ان الملوك السومرية كانت تهتم بتصاميم الإكسسوارات وتطريزها، تم العثور على مجموعة من الكنوز في المقبرة الملكية من اقدم المقابر في العالم القديم حيث انشأت في عصر دويلات المدن السومرية او في عصر جمدة نصر،تم تنقيب فيها في السنة ١٨٥٠-١٩٣٤م. اذ تمكنت البعثة البريطانية الامريكية برئاسة السير وولي من كشف هذا مقبرة التي كانت جزء من مدينة أور وكان تحتوى على مجموعة جثث ملكية مع حاشيتهم.(عيسى، ٢٠١٩، ٢٠٧، ٢٠٨؛ روكان،

٢٠٢٠، ٣٤٦، ٣٤٧) تضمنت مواد مختلفة منها خوذ وقيثارات وحلي وأدوات أخرى مصنوعة من الأحجار الكريمة. من بين القبور المكتشفة، قبر رقم ١٢٣٧ يحتوي على رفات ٦ رجال و٦٨ امرأة، جميعهم كانوا يرتدون ملابس مزينة بملابس ملونة باللون القرمزي، بالإضافة إلى أغطية رأس ومجوهرات من الفضة والذهب والعقيق الأحمر (حنون، ١٩٨٦، ص٢٦). كما تم العثور على تمثال للملكة (PU.AB.BI)، حيث ترتدي ثوبًا قصيرًا مزينًا عند الخصر بسلاسل من الخرز المصنوعة من الذهب والفضة، مع أحجار مرتبة بخيوط تصل إلى طوق العنق، وتتدلى تلك الخيوط على الأكتاف(المولى، ٢٠٢٤، ٣٩٤). اهتم السومريون بترجمة أساطيرهم ومعتقداتهم فقد اهتموا ايضا بظهرهم الخارجي، حيث كان الزي في البداية عبارة عن حزام يحيط بوسط الجسم، و يرمز إلى القوة بالنسبة للرجل. وقد استخدم الحزام لتعليق الأدوات والآلات الضرورية للعمل والصراع والحرب(الجادر، ١٩٨٥، ٣٢٤).ثم تطور الزي ليأخذ شكل تنورة أو مئزر قصير يغطي وسط الجسم وأعلى الفخذين، مربوطًا بحزام عريض. وكان الجزء العلوي من الجسم عاريًا، وتفاوتت أطوال هذه الملابس بين ما فوق وتحت الركبتين، كما هو موضح في إناء النذري (الأشكال١٣، ١٤)(رعد، ٢٠٢٤، ٣٩٢).وبمرور الزمن أصبح هذا الزي رمزًا مميزًا للملابس العامة للرجال والنساء في العراق القديم خلال الفترة السومرية)(رعد، ٢٠٢٤، ٣٩٢)[٤]،كما يتضح في تماثيل التي وجدت في معابد نابو في خفاجي (الشكل١٧) التماثيل تحمل الرقم المتحفي(١٩٧٥٤-م.ع)،(١٩٧٥٣-م.ع)،(١٩٧٥٦-م.ع).(بصمه جي، ١٩٧٢، ٤٦٢) وفي العصر الاكدي استمر التقاليد السومرية ومنها الملابس والازياء بالنسبة لملابس والملوك فقد ظهر الملك الأكدي (مانشتوسو) وهو يرتدي جلباباً طويلاً مصمماً بشكل محكم، مع حاشية زخرفية مهدبة تمتد على حافة النسيج، وأشرطة جميلة معقودة على جوانب الخيوط. كان الزي ينزل بشكل طيات طويلة ومتموجة (صاحب، ٢٠١٠، ٢٨،٢٧)[٥]، مما أضفى عليه حيوية وحركية، محولاً إياه من شكل جامد إلى تمثال عظيم يعكس هيئة الملك مانشتوسو ينظر (شكل١٨) (reham & najat, 1998, 152). كما ظهرت (انخيدوانا)، ابنة الملك سرجون، في نحت بارز ترتدي ثوبًا طويلًا مزينًا بأهداب متعددة الطبقات مصنوعة بشكل عمودي. كما كانت ترتدي على رأسها عمامة ذات عصابة سميكة، ويتدلى من العصابة

شريط يغطي أذنيها (الشكل١٩)(مورتكات، ١٩٧٥، ١٥٩، ١٦٠).وتعد مسلة النصر احدى الآثار البارزة تعود الملك الأكدي نارام سين، منحوت عليه مشهد تخلد انتصاره على اللولوبين اللولوبيون اقوام سكنت المناطق الجبلية في سهل شهرزور وقد حاربها الملك الاكدي نرام سن وانتصر عليها وسجل ذلك على مسلة المعروفة بمسلة النصر والتي وجدت في مدينة سوسة (مورتكات، ١٩٧٥، ١٧٨).تتكون المسلة من حجر رملي ويبلغ ارتفاعها حوالي مترين وعرضها متر واحد، مع قمة منحنية (مظلوم، ١٩٨٥، ٤٣). تجسد هذه المسلة ذروة النحت الأكدي، اذ يظهر الملك نارام سين وهو يتسلق قمة الجبل في معركة تخلد انتصاره(مورتكات، ، ١٩٧٥، ١٨١). يظهر نارام سين في وضعية متقدمة، وهو منحوت بحجم أكبر من الآخرين، يرتدى بزي الحرب وعلى رأسه خوذة مزينة بقرنيين للتعبير عن الملوكية وحاملا اسلحته، كما أنه يدوس برجله على أعدائه الساقطين(صاحب ، ٢٠١٠، ٥٩،٦٠؛

مظلوم، ١٩٨٥، ٤٣)[٦] . من خلال دراسة المشاهد المصورة على المسلة، يمكننا التعرف على ملابس الملك، حيث يرتدي بزي العسكري المكون من رداء قصير يصل إلى الركبة لتسهيل الحركة، مما يبرز ساقيه وهو يحمل أسلحته. كما يرتدي نعلاً على شكل صندل مزود بشريط، ويقف في مقدمة جنوده، متبوعاً بقادة الجيش (الكروي، ١٤٨،١٤٩،،٢٠٢١). أما بالنسبة لملابس الجنود، فقد كانت خوذهم بيضوية الشكل مع ثياب قصيرة تصل تحت الركبة (مظلوم، ١٩٨٥، ٤٣). في حين أن ملابس جنود الأعداء كانت مصنوعة من جلد الحيوان، تغطي أجسادهم (الكروي، ٢٠٢١، ١٤٨). يتضح من مشاهد المسلة وجود اختلاف ملابس الملك عن ملابس الجنود، عظمة الملك نارام سين، وتصوير الجبل بجانبه كرمز لقوة الملك، مما يشير إلى أن العامل الأساسي في الانتصار هو قيادته (الشكل٢٠١٩) (الكروي، ٢٠٢١، ١٤٨).

ومن فترة سلالة لكش الثانية، وفي عهد أبرز ملوكها (كوديا) ازدهرت فن النحت وقد أدت هذا الملك اهتمامًا خاصًا بالفن والعمران وفي احدى تماثيله تظهر واقفًا يديه المضمومتين. يرتدي ملابس تشبه ثياب الرهبان، تكشف عن كتفيه وذراعيه، وهو نمط من الزي الذي انتشر منذ عصر فجر السلالات (العصر السومري القديم (٢٩٠٠-٢٣٧١ ق.م)

كما في (الشكل٢١)(مديرية الاثار العامة،١٩٦٨، شكل٢٦). وكذلك تظهر زوجة الملك كوديا وهي ترتدي ثوبًا مكونًا من قطعتين، يتألف من شال داخلي وعباءة طويلة مفتوحة من الأمام، مزينة بشرائط مزخرفة وقلادة متعددة الصفوف، بينما يزين شعرها وشاح مثبت بشريط رفيع، ينظر (الشكل٢٢) (عكاشة، ١٩٨٣، ٣٠٢).

وجاءتنا من عصر سلالة أور الثالثة، تمثال برونزي يعود للملك (شولكي)، الذي حكم أور بين عامي(٢٠٩٤ و٢٠٤٧ق.م) التمثال مزينًا ببقايا قماش كتان حول رقبته وجدت هذا التمثال في معبد ايانا في نفر وتحمل الرقم المتحفي(IM-٥٩٥٨٧)، (بصمةجي، ١٩٧٣، ٤٧١،شكل ١٠١). وقد حصل التحول في هذه الفترة من الاتجاه السومري إلى المظهر الأكدي كما اهتم الفن في تلك الفترة بإبراز العلاقات بين الآلهة والبشر، فصورت الآلهة برفقة البشر في المشاهد الفنية(بصمةجى، ١٩٧٣، ٢٩٨-٣٠٢.).

وفي العصر البابلي القديم كانوا يرتدون مآزر مصنوعة من الكتان الأبيض أو الأحمر، مزخرفة بنقوش هندسية، تغطي أجسادهم حتى القدمين. وكانت النساء يختلفن عن الرجال بترك أحد كتفيهن عارياً، بينما كان الرجال يضيفون المزيد من الزينة(العكاشة، ١٩٨٣ ،ص٢٢). وتشير الأدلة الى ان البابليين كانوا يرتدون تنانير وشالات تشبه الى حد السومريين، على الرغم ان بعض الرجال خلال الحكم البابلي كانوا يرتدون تنانير قصيرة بحاشية مائلة من اعلى الركبة في الامام الى الساق في الخلف، واصبح الشراشيب اكثر تفصيلا(Prendergast, S,2004.55)

وصلتنا العديد من القطع الأثرية من العصر البابلي القديم(١٩٥٠- ١٥٩٥ق.م) بعضها من التنقيبات العلمية والأخر عن طريق شراء القطع من مهربي الآثار . ومن أبرز هذه القطع مسلة الملك البابلي الشهير حمورابي، التي تُعتبر حجر الزاوية في فن النحت البارز. ورغم الأهمية التاريخية والاجتماعية لهذه المسلة، التي تحتوي على ٢٨٢ مادة قانونية، فقد ظهر الملك حمورابي واقفاً في وضع جانبي أمام الإله شمش، الجالس على عرش الالة الشمش^{d}Šam: ابن الالهة ننار/سن والالهة ننكال .كان يؤدي دورا مهما في العقائد بلاد الرافدين للانه قاضي الالهة والعدالة. تركزت عبادة في مدينة سبار و مدينة لارسا ،الاسمه بالسومري هو(اوتو-^{d}UTU)، وقد ظهرت في مشاهد فنية ولاسيما في العصر

البابلي القديم بشكل تعبديا على يديها المنشار بيده . (بوستغيت ، ١٩٩٢، ١٣٩) يرتدي الإله شمش ثوباً طويلاً يصل إلى كاحليه(مظلوم، ١٩٨٥،٥٨.) ، ويستقر قدماه على قاعدة مزينة بشكل مثلث متكرر يشبه حراشف السمكة، وهو رمز للجبل. يتميز الثوب بطيات أفقية مزينة بأهداب تتخذ شكل خطوط عمودية صغيرة ومتموجة، يغطي كتفه الايسر والايمن عاريا(رضوان، ٢٠٠٣، ٨٠) . تظهر الصور الملك حمورابي وهو يرتدي غطاءً يشبه العمامة على رأسه، حيث تتضح ملامح وجهه. يرتدي ثوبًا طويلًا يصل إلى كاحلي قدميه الحافيتين، وقد غطى كتفه الأيسر بينما يظل الكتف الأيمن عاريًا، وهو ما كان شائعًا منذ عهد سلالة أور الثالثة حوالي (٢٠٥٠-١٩٥٠ ق.م)، ينظر (الشكل٢٣) (الوائلي، ١٩٦٨ ، شكل ٢٣،٤). وفي مدينة مارى(تل الحريري) عثرت البعثة الفرنسية على تمثال لإلهة الماء،عثرت هذا تمثال في قصر الملك زمري-لم بمدينة ماري، نفذ من مادة حجر الكلس الابيض وهو بالحجم الطبيعي للانسان يبلغ ارتفاعه(١٥٠سم) وهو محفوض في متحف حلب بسوريا، (الزبادي، ١٥،١٤،٢٠١٤ .) ، حيث تظهر الإلهة في وضعية الوقوف من الأمام، ممسكةً بقارورة في كلتا يديها يتدفق منها الماء على الجانبين. يظهر على ردائها خطوط عمودية متموجة تسبح فيها الأسماك، وهي حافية القدمين (مورتكات، ١٩٧٥، ٢٧٢). تعتمر على رأسها غطاء يمثل التاج المقرن، رمز الألوهية في بلاد الرافدين حيث ظهرهذا الرمز على المشاهد الفنية في عصر الوركاء، وكان على شكل طاقية يبرز من قاعدتها زوج من القرون،(Van Buren,1943, 318). ترتدي الإلهة لباسًا خاصًا يتكون من رداء طويل يصل إلى كاحليها، يتميز بطيات أفقية وأكمام قصيرة مزينة بشراشيب متعددة. كما أنها تتزين بحلي تشمل أقراطًا تحيط بأذنيها وقلادة كبيرة مكونة من ستة صفوف من الخرز(الزبادي، ٢٠١٤، ١٥؛ عكاشة، ١٩٨٣، ٣١٩).يُعتبر هذا التمثال من أروع نماذج النحت المجسم في تلك الفترة، وقد أبدعه فنان بابلي تأثر بالتقاليد السومرية والأكدية في بعض التفاصيل، ينظر (الشكل٢٤)(مورتكات، ١٩٧٥، ٢٧٣،٢٧٢.). وفي نفس العصر ومن مدينة اور عثر على تمثال لامراة واقفة يبدوا انه متعبده في حالة الوقوف بوضعية امامية والايدي متشابكة مضمومة على صدرنفذ التمثال من مادة الحجر الجيرى يبلغ ارتفاعه(٣٧سم) محفوظ حاليا في المتحف البريطاني Woolley, 1939, 174,

.fig.56a. تعتمر غطاء راس دائرية الشكل ذوحافة مزخرفة. وتبدوا تسريحة الشعر من الخلف بهيئة مكورة، وتلبس ثوبا فضفاف بسيط ذا اكمام عريضة خاليا من الطيات. ينظر (شكل ٢٥) (كونتينو، ١٩٨٦، ١٢٨؛ الزيادي، ،٢٠١٤، ٢٤).

وفي هذا العصر أيضا هناك لوح فخاري يظهر شخصًا موسيقيًا يعزف على آلة موسيقية وترية، وهو يرتدي مئزرًا قصيرًا يصل إلى الركبة، يلتف حول جسده وينتهي بشكل مثلث. كان المئزر معروفًا في العهد الأكدي (٢٣٥٠-٢١٧٠ ق.م) (الوائلي، الأزياء ١٩٦٨ شكل ٢٦، ص٢٦). من نفس الفترة جائتنا دمية فخارية لشخص يقف على رأسه قرد، وهو يرتدي مئزرًا طويلًا يصل إلى القدم، وهذه الدمية محفوظة في متحف اللوفر بباريس. وقد تنوعت أشكال الملابس في هذا العصر ينظر (شكل٢٦)((الوائلي، الأزياء ١٩٦٨ ، ٢٧).
خلال اعمال التنقيب في مواقع حوض حمرين عثر على مجموعة من الدمى والالواح والاختام الاسطوانية وطبعات الرقم الطينية ، وسوف نتطرق لها في الفصل الثالث.

- استنتاجات:

١ -ندرة وجود بقايا مادية مباشرة للملابس القديمة وصعوبة الحصول عليها في اغلب المواقع الاثرية في بلاد الرافدين ،سببها يعود الى ان اغلب المواد التي استخدمها الانسان في صناعة الملابس كانت من المواد العضوية كالجلود والمنسوجات من خصائصها، انها تحلل وتفنى بسرعة كونها مواد ضعيفة لم تصمد او تقاوم تاثيرات العوامل البيئية والمناخية . وعدم قدرتها على البقاء لفترات زمنية طويلة.

٢ -تشكل الابر والمخارز واقراص مغازل التي اكتشفت بكثرة خلال التنقيبات الاثرية في مواقع مختلفة من بلاد الرافدين أحد أقدم الأدلة المادية الفعلية وغير مباشرة التي تثبت وجود ورش نسيج منظمة، مما يعزز الفهم العلمي لتطورالحياكة كنشاط اقتصادي و صناعة الملابس في العصور القديمة لدى مجتمعات بلاد الرافدين..

٣ -وجود ادلة فنية تعكس اشكال وانماط الملابس تظهر عليها تفاصيل دقيقة عن نوعية الملابس كالدمى والتماثيل والفخار والمنحوتات والاختام الاسطوانية، مما يوفر تصورا بصريا عن اشكال الملابس.

٤-أظهرت النتائج البحث أن الملابس لم تكن مجرد وسيلة للبس والغطاءفقط ، بل شكل رمزا لهوية الفرد ومكانته كانت موشرا عن الشخصية والاجتماعية والدينية وحتى السياسية.

قائمة المصادر الراجع:

- أنطوان مورتكات، الفن في العراق القديم، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٧٥.
- اكرم محمد عبد كسار، عصر حلف في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٢.
- اسراء عبد السلام مصطفى، «مشاهد المرأة في فنون عصر فجر السلالات السومرية (٣٨٠٠-٣٣٧١ق.م)»، مجلة سر من رأى، مج٦، عدد٢٣، جامعة الأنبار، ٢٠١٦.
- اسماعيل حجارة، «التنقيب في تل قالينج أغا الموسم الرابع ١٩٧٠»، سومر، ج١-٢، مج٢٩، بغداد، ١٩٧٣.

  الأزياء السومرية، الأزياء العراقية القديمة، مديرية الآثار العامة، بغداد، ١٩٦٨.
- الياس بيطار، النباتات السومرية والآشورية-البابلية: معجم ودراسة طبقية أثرية مقارنة في ضوء العربية، ط١، لبنان، ٢٠١١.
- بهيجة خليل إسماعيل، «الكتابة»، حضارة العراق، ج١، بغداد، ١٩٨٥.
- تقي الدباغ، «الثورة الزراعية والقرى الأولى»، حضارة العراق، ج١، بغداد، ١٩٨٥.
- تحية كامل حسين، تاريخ الأزياء وتطورها، ج١، مصر، ١٩٦٧.
- ثروت عكاشة، تاريخ الفن (الفن العراقي القديم: سومر وبابل وآشور)، بيروت، ١٩٧٢.
- طارق عبد الوهاب مظلوم، «النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث»، حضارة العراق، ج٤، بغداد، ١٩٨٥.
- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ١٩٧٣.
- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، ج١، بيروت، ١٩٧٣.

- حنان عبد الحمزة بعيوي، سلمان العيساوي، الحيوانات المدجنة ودورها في اقتصاد العصر الأكدي القديم في ضوء النصوص المسمارية المنشورة وغير المنشورة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠١٤.
- هاوار نجم الدين هواس، العصر الحجري الحديث المبكر في أواسط زاغروس ... رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار المصرية القديمة، ٢٠١٥.
- هاژه عبد الجبار رضا، الأزياء والملابس في آثار كوردستان خلال الألفين الثالث والثاني ق.م .رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السليمانية، ٢٠١٦.
- هاري ساكز، عظمة بابل – موجز حضارة بلاد الرافدين القديمة، ترجمة: عامر سلمان، الموصل، ١٩٧٩.
- خەزان لطيف حمه، نشينگەی گرد نادر ...رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صلاح الدين، أربيل، ٢٠٢٣.
- رشدي صبيحة رشيد، الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية، بغداد، ١٩٨٠.
- روبرت بريدوود، «التنقيبات الأثرية في المنطقة الكردية«**(1951–1950)** ، سومر، ج٢، مج٧، بغداد، ١٩٥١.
- رواء أنور عزيز، «دراسة تحليلية فنية مقارنة لراية أور«، گۆڤاري كوردستاني بۆ لێكۆڵينەوەی ستراتيجي، عدد٥، السليمانية، ٢٠٢٤.
- رينيه لابات، قاموس العلامات المسمارية، ترجمة: ألبير أبونا، وليد الجادر، خالد سالم إسماعيل، بغداد، ٢٠٠٤.
- زهراء رعد محسن المولى، «مظاهر الترف على الأزياء إبان الألف الثالث قبل الميلاد«، مجلة تجديد العربي، مج٤، عدد٢، بغداد، ٢٠٢٤.
- زهير صاحب، أسطورة الزمن القريب: دراسة في الفنون الأكدية والسومرية الجديدة، بغداد، ٢٠١٠.
- سعدي الرويشدي، «نظرة في عملية تدجين النباتات والحيوانات«، سومر، ج١–٢، مج٢٩، بغداد، ١٩٧٣.

- صباح اسطيفان كجه جي، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين، بغداد، ٢٠٠٢.
- صباح عبود، «فخار نينوى»، سومر، عدد٣٣، ج١، بغداد، ١٩٧٧.
- صبحي أنور رشيد، تاريخ الفن في العراق القديم: فن الأختام الأسطوانية، ج١، بيروت، ١٩٦٩.
- عادل شاكر وهام الزيادي، فن النحت في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠١٤.
- علي حسن خضير عبس العبادي، نصوص اقتصادية غير منشورة من تل أبو حبة (سبار)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٦.
- علي رضوان، تاريخ الفن في العراق القديم، القاهرة، ٢٠٠٣.
- عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم: موجز التاريخ السياسي، ج١، الموصل، ٢٠١٠.
- عمر حسين شريف، مواقع عصور ما قبل التاريخ في أربيل ...رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ٢٠٠٦.
- قصي صبحي عباس، «البنية الاجتماعية والاقتصادية لثقافة نينوى ٥»، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، عدد٥٨، بغداد، ٢٠١٧.
- قصي صبحي عباس، أحمد عزيز سلمان، «مجسمات حيوانية فخارية من مدينة كيش»، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، عدد٦٤، بغداد، ٢٠١٨.
- قحطان صالح رشيد، الكشاف الأثري في العراق، بغداد، ١٩٧٨.
- كريم عزيز حسن الدليمي، الزراعة في العراق القديم ...أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٦.
- كريم عزيز حسن الدليمي، الزراعة في العراق القديم ...رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٦.
- محمود فارس عثمان، المدافن في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٦.
- محمد بن مكرم بن علي (ابن منظور)، لسان العرب، مج١٣، ط٤، بيروت، ٢٠٠٥.

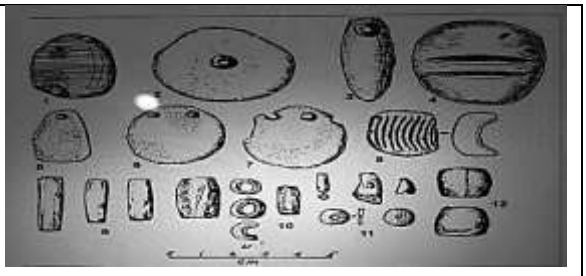
- محمد كامل روكان، «سلالة ميس كالام دوك«...، مجلة كلية التربية – جامعة واسط، عدد٤١، ج٢، ٢٠٢٠.
- ميثاق موسى عيسى، «المقبرة الملكية في أور«، مجلة الخليج العربي، مج٤٧، عدد٣–٤، ٢٠١٩.
- منى حسن عباس، الجيش والسلاح في العراق القديم ...أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٧.
- نائل حنون، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين، بغداد، ١٩٨٦.
- نعمان جمعة إبراهيم، تقديس الحيوانات في بلاد الرافدين ...سورية، ٢٠٢٤.
- نعمان جمعة إبراهيم، حضارة العصر الحجري الحديث في كوردستان العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صلاح الدين، أربيل، ٢٠٠٣.
- نعمان جمعة إبراهيم، أحمد نريمان عبد الكريم، تقارير غير منشورة حول حفريات قالينج أغا، ١٩٩٨.
- نوالة أحمد محمود المتولي، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة ... بغداد، ٢٠٠٧.
- نوالة أحمد محمود المتولي، دراسات في نصوص مسمارية غير منشورة من سلالة أور الثالثة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٨٦.
- وفاء هادي زويد، «نصوص مسمارية غير منشورة من عصر أور الثالثة تتعلق بالحيوان«، مجلة آثار الرافدين، ج٢، مج٥، ٢٠٢٠.
- وصال فيصل حمادي، «حرف الخياطة في العراق القديم«، مجلة التربية والعلوم، مج٢٠، عدد٤، الموصل، ٢٠١٣.
- وليد الجادر، «الأزياء والأثاث»، المبحث الأول: الأزياء والحلي، حضارة العراق، ج٤، بغداد، ١٩٨٥.
- نيكولاس بوستغيت، حضارة العراق وآثاره، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجلبي، بغداد، ١٩٩٢.

المصادر الأجنبية:

- Abu al-Soof, B. (1966). Short sounding at Tell Qalinj Agha (Erbil). *Sumer*, 22.
- Breniquet, C., & Michel, C. (2014). Wool economy in the ancient Near East and the Aegean (Ancient Textiles Series, Vol. 17). Oxford & Philadelphia.
- Campbell, S., & Daems, A. (2017). Figurines in prehistoric Mesopotamia. In T. Insoll (Ed.), The Oxford handbook of prehistoric figurines. Oxford University Press.
- Central Zagros Archaeological Project. (2012). Excavations at Bestansur, Sulaimaniyah Province, Kurdistan Regional Government, Republic of Iraq (17 March–24 April 2012) (Archive report). Sulaimaniyah.
- Clutton-Brock, J. (1980). The early history of domesticated animals in Western Asia. Sumer, 36.
- Keiser, C. E. (1919). Selected temple documents of the Ur dynasty (Yale Oriental Series IV). New Haven.
- Kopanias, K., et al. (2011). The Tell Nader, Tell Bagrta Gaugamela Project: Preliminary report. University of Athens.
- Matthews, R. (2000). The early prehistory of Mesopotamia: 500,000 to 4,500 BC (Subartu, Vol. V). Turnhout: Brepols.
- Matthews, R., et al. (2020). The early eastern fertile crescent: Excavations at Bestansur and Shimshara, Iraqi Kurdistan (Central Zagros Archaeological Project, Vol. 2). Oxford.
- Mederos Martín, A., et al. (2019). Qalinj Agha (Erbil, Kurdistan, Iraq) during the Northern Ubaid and Late Chalcolithic 1–2 (5300–3800 BC). In Orientalística en tiempos difíciles: Actas del VII Congreso Nacional del Centro de Estudios del Próximo Oriente Antiguo. España.
- Molist, M., & Gomez Bach, A. (2015). Scientific report, season 2015: Gird Lashkir (Erbil Region) (Unpublished report). Universitat Autònoma de Barcelona, in cooperation with Salahaddin University, Erbil.
- Molist, M., & Gomez Bach, A. (2024). Scientific report: Gird Lashkir (Erbil Region) (Unpublished report). Universitat Autònoma de Barcelona, in cooperation with Salahaddin University, Erbil.
- Nieuwenhuyse, O., Berghuijs, K., & Mühl, S. (2012). A late Neolithic "fishing net" from Kurdistan, Northern Iraq? Paléorient, 38.
- Prendergast, S., Prendergast, T., & Hemsen, S. (2004). Fashion, costume, and culture: Clothing, headwear, body decoration, and footwear through the ages (Vol. 1). United States of America.

- Quillien, L. (2021). Introduction des textiles: Sources, méthodes et problématiques (Preprint HAL, Id: halshs-03426315). Submitted December 12, 2021.
- Solecki, R. (1957). The 1956 season at Shanidar. Iraq, 13.
- Stein, G. (2018). The roots of urbanism in Northern Mesopotamia: Excavations at Surezha. News & Notes, 236.
- Stein, G., & Alizadeh, A. (2016). The origins of towns and social complexity (repr. 2017).
- Van Buren, E. D. (1943). Concerning the horned cap of the Mesopotamian gods (Vol. 12). London.
- Woolley, C. L. (1939). Ur excavations: The Old Babylonian period (Vol. IV). London.
- Woolley, C. L. (1954). Excavations at Ur. London: British Museum.

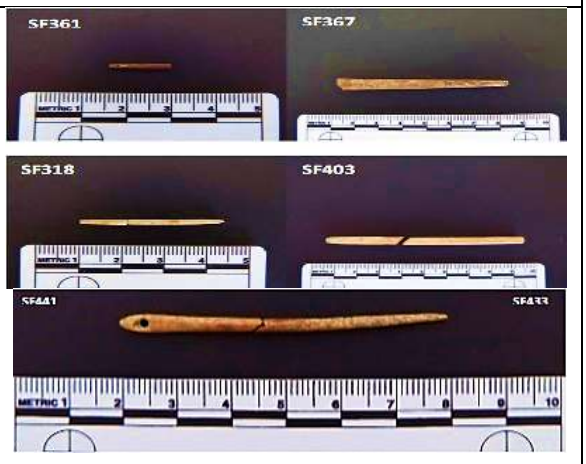
- قائمة الأشكال:



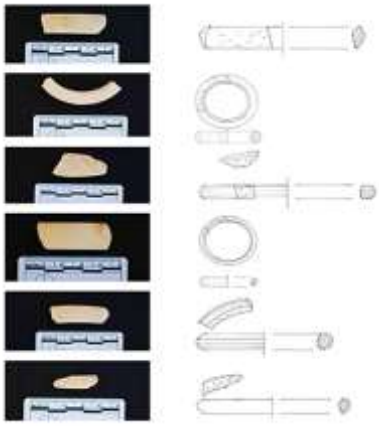
(الشكل١) أدوات الزينة من حجر والعظام ، طبقة–ب، قرية زاوى جمى العصر الحجري الوسيط ماخوذة من عمر حسين شريف، مواقع عصور ماقبل التاريخ في أربيل تطبيقات على قرية زاوى جمي– تل قالينج أغا– تل نادر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١٢٨.



(الشكل٢) مجموعة من الخرز والاساور المصنوعة من الحجر والقاقواقع في بيستانسور، من:
Roger Matthews, and others, The Early estern fertile crescent excavations at bestansur and shimshara,Iraqi kurdstan,central zagros archaeological project, vol.2,oxford,2020,p.556,fig21,19



(الشكل٣) مجموعة من الابر والمثاقب العظمية من



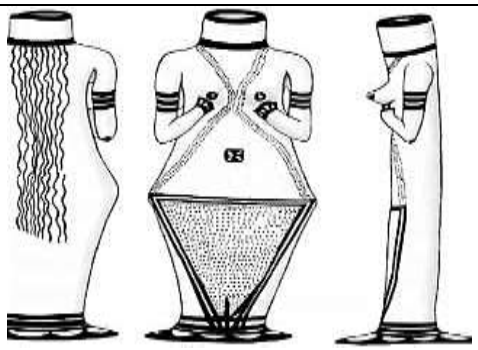
الشكل(٤،٥) مجموعة من الالات والأدوات من حجر

بيستانسور، مأخوذة من:
Matthews, And others, Excavation at Bestansur,August 2012,p.99,116,161.

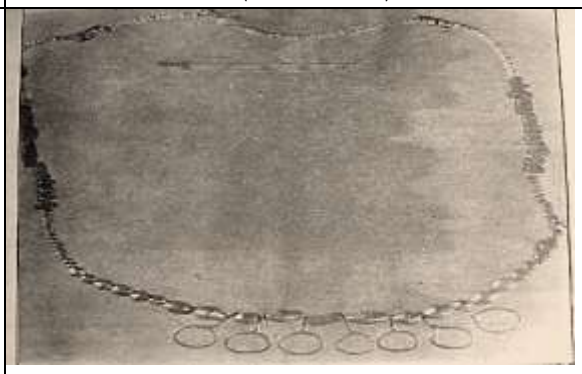
والعضام الابر و والدبابيس، ومجموعة الاساور من مرمر من موقع شمشارة يعود الى العصر الحجري مبكر. ينظر: Roger Matthews, and others, The Early estern fertile crescent excavations at bestansur and shimshara,Iraqi kurdstan,central zagros archaeological project, vol.2,oxford,2020,p.563,fig21,25.



(الشكل٦) تماثيل الإباء والامهات من تل الصوان، ماخوذة من:
زهير صاحب، الفنون التشكيلية العراقية عصر قبل الكتابة، (بغداد، ٢٠٠٧)، ص١٢١



(الشكل٧) جرة فخارية على شكل مرأة في يارم تبة، بتصرف من:
زهير صاحب، فخاريات بلاد الرافدين عصور قبل التأريخ، (بغداد–٢٠١٠)، ص١٦٢، شكل٦٥.



(الشكل٨) اقدم قلادة في تل قالينج اغا يعود الى الالف الرابع ق.م، ماخوذة من:
نعمان جمعة ئيبراهيم، "هەو لێر لە چاخی بەردینی کانزایی٤٥٠٠–٣٥٠٠ پ.ز"،هه ولێر له لوتکەی شاره پیرۆزەکان ، وەرگێر، ژیلان فەتحي محمد، چ١، هەولێر ٢٠٢٤، لا ١٢٢ .

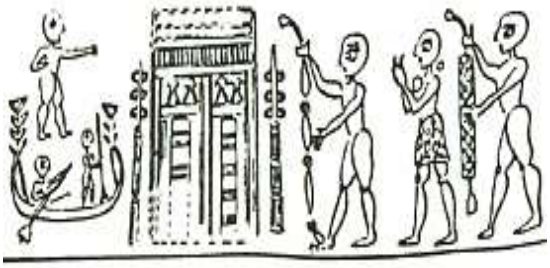


(الشكل٩،١٠) خرز اسطوانية الشكل من طين المشوى يعود الى عصر العبيد من موقع تل نادر. يحمل الرقم المتحفي(H.M001569)
الشكل خرز دائرية الشكل مثقوب من الوسط من حجر يعود الى العصر العبيد من موقع تل نادر.(H.M001670)ماخذ من: خه زان لطيف حمه ، نشینگەی گرد نادر له بەر رۆشنایی ئه نجامەکانی روو پێوی هه لکۆڵینه شوێنەواریيەکان(نمونەي هه

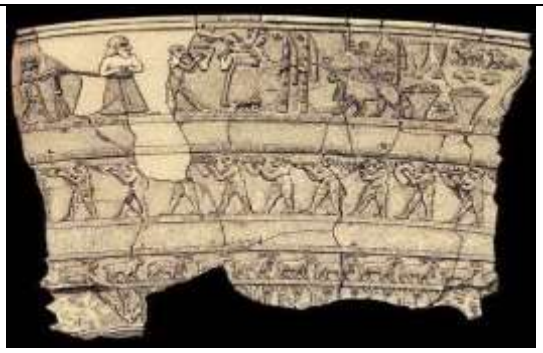
	لبژێردراو)، نامه ماسته ري بلّاونه كراوه زانكۆي صلاح الدين، هەولێر،2023 لا٧٦،٧٨،وێنه(٥١،٥٥)



(الشكل١١) جثة المرأة في معثر التنقيب والقرط الذي عُثر عليه، مأخوذة بتصرف من:
موليست وآخرون: النتائج الأولية للتنقيب في تل لشكري موسم ٢٠٢٤، من قبل جامعة أوتونومي في برشلونة وجامعة صلاح الدينفي أربيل، ٢٠٢٤، ص٦، ٢٣-٢٤؛ متحف أربيل الحضاري،مقتنيات غيرمنشورة من تل لشكري، محفوظة بأرقام(SF57, SF58).



(الشكل١٢) ختم اسطوانى يعود الى العصر الوركاء، ماخوذة من:
Edith porada, corpus of ancient near eastern seals in north American collection, New York,1948, pl.48, fig.680.
كذلك ينظر :صبحى أنور رشيد، المصدر السابق، ١٩٦٩، ص٢٩, لوح(١)، شكل١



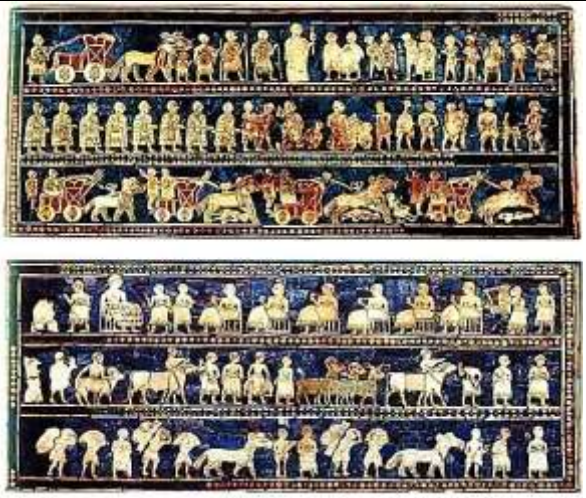
(الشكل١٣) إناء النذري في الوركاء، من:
زهير صاحب، مملكة الفن دراسة في الحضارة العراقية، (بيروت-٢٠١٤)، ص١٥٧.



(الشكل١٤) إناء النذري في الوركاء، من:زهير صاحب، مملكة الفن دراسة في الحضارة العراقية، (بيروت-٢٠١٤)، ص١٥٧



(الشكل١٥)مسلة عقبان، مأخوذة من:
زهير صاحب، مملكة الفن دراسة في الحضارة العراقية، (بيروت–٢٠١٤)، ص١٨٧.



(الشكل١٦) راية أور الملكية، مأخوذة من:
زهير صاحب، مملكة الفن دراسة في الحضارة العراقية، (بيروت–٢٠١٤)، ص١٩٩.



(الشكل١٧) تماثيل حجرية من معابد نابو في خفاجي، مأخوذة ماخذة من:
زهير صاحب، مملكة الفن دراسة في الحضارة العراقية، (بيروت–٢٠١٤)، ص١٧٩–١٨٠.



(الشكل١٨تمثال الملك الاكدي مانشتوسو، مأخوذة من:
زهير صاحب، أسطورة زمن القريب دراسة في حضارة الأكدية والسومرية الجديدة، ص٨١،شكل٥



(الشكل١٩منحوتة انخيدو–آنا من حجر الكلس، مأخوذة عن:
أنطوان مورتكان، المصدر السابق، ١٩٧٥، ص١٦٢.



(الشكل٢٠) مسلة النصر للملك نارام –سين من حجر رملي.في متحف اللوفر بباريس، مأخوذة من:
زهير صاحب، مملكة الفن دراسة في الحضارة العراقية، (بيروت–٢٠١٤)، ص٢٤١.



(الشكل٢١)) تمثال من حجر الديورايت للأمير :كوديا(٢١٠٠ق.م) في متحف اللوفر، مأخوذة من
فيصل الوائلي، الازياء السومرية، ج١، (بغداد، ١٩٦١)، شكل٢٦، ص٥٧.



(الشكل٢٢) زوجة الامير كوديا، مأخوذة من:
أنطوان مورتكات، المصدر السابق، ١٩٧٣، ص٢٢٠.



(الشكل٢٣) الجزء العلوي لمسلة الملك البابلي حمورابي، مأخوذة عن:
طارق عبد الوهاب مظلوم، المصدر السابق، ١٩٨٥، ص١٣٣، لوح٣٢أ.



(الشكل٢٤) تمثال الهة الماء الفوار (ننخرساك) من مدينة ماري مأخوذة عن:
زهير صاحب، الفنون البابلية، (بغداد، ٢٠١١)، ص١١٣.



(الشكل٢٥) تمثال لامراة واقفة يبدو انه متعبد في مدينة اور، يعود الى العصر البابلي القديم.بتصرف من:

Leonard Woolley, Ur excavations the old Babylonian period, volume, IV, London,1939, p.١٧٤, fig.56a.



(الشكل٢٦) دمية فخارية لشخص يقف على راسه قرد، يعود الى العصر البابلي القديم. مأخذ من:
فيصل الوائلي، الأزياء البابلية، (بغداد-١٩٦٨)، ينظر شكل ٢٦، ص٢٦.

الملك ايبق- ادد الثاني ودوره في نهضة مملكة اشنونا

الاء عدنان صابر

م. منقب اثار

كلية الآثار/ جامعة الموصل

E-mail: alaa.adnan@uomosul.edu.iq

Alaa Adnan Sabir Sulaiman

Assistant Archaeologist

College of Archaeology / Uni. Of Mosul

ا.د. حسنين حيدر عبد الواحد

قسم اللغات العراقية القديمة

كلية الآثار/ جامعة الموصل

E-mail: hassanein1981@uomosul.edu.iq

ORCID: 0000-0001-6928-9648

Prof.Dr. Hassanein Haydar Abdulwahed

Dept. of Ancient of Iraqi Languages

College of Archaeology /Uni. Of Mosul

الملك ايبق- ادد الثاني ودوره في نهضة مملكة اشنونا

الاء عدنان صابر

ا.د. حسنين حيدر عبد الواحد

الملخص:

حظي العديد من ملوك العراق القديم بأهمية خاصة لدى الباحثين المحدثين، ويعود السبب في ذلك الى المكانة التي حظي بها هؤلاء الملوك بسبب نشاطهم السياسي واعمالهم العسكرية والعمرانية. والتي أمكن التعرف عليها من خلال ما تركوه من مخلفات مادية او ما دونوه في النصوص المسمارية وعلى النصب والمسلات. ومن بين هؤلاء الملوك، الملك أيبق ادد الثاني (١٨٥٠ -١٨١٣ ق.م)، الذي يعد بداية حكمه بداية لنهضة مملكة آشنونا وعودتها كقوى مؤثرة على الساحة السياسية والعسكرية. ان المعلومات المتوفرة عن الملك ايبق – ادد الثاني مستقاة بالدرجة الأساس من الكتابات المسمارية التي تعود لعصره والتي سنسلط الضوء عليها في صفحات بحثنا هذا.

الكلمات المفتاحية: مملكة آشنونا، القبائل الأمورية، العصر البابلي القديم، نهضة، افول.

King Ipiq-Adad II and his Role in the Revival of the Kingdom of Ešnunna

Abstract:

Many kings of ancient Iraq have received special attention from modern scholars, owing to the prominent status they attained through their political activities and military and architectural achievements. These aspects can be identified through the material remains they left behind, as well as through what they recorded in cuneiform texts, monuments, and stelae. Among these kings is King Ipiq-Adad II (1850–1813 BC), whose accession marked the beginning of the revival of the Kingdom of Ešnunna and its return as an influential power on the political and military scene. The information available about King Ipiq-Adad II is derived primarily from cuneiform writings dating to his reign, which will be highlighted and examined in the pages of this study.

Keywords: Kingdom of Ešnunna, Amorite Tribes, Old Babylonian Period, Revival, Decline.

اولاً: تاريخ مملكة اشنونا

تعد مملكة إشنونا إحدى الممالك الاموريـة التـي ازدهرت فـي العصـر البـابلي القديم، وكانت عاصمتها تقع على بُعد ٨٠ كم إلى الشمال الشرقي من بغداد في موقع يعرف اليوم باسم تل اسمر[١]. وامتدت أراضي مملكة اشنونا في منطقة يُطلق عليها المثلث المحصور بين نهري دجلة وديالى، ضمن حدود محافظة ديالى الحالية[٢]. كانت اشنونا في بدايتها تقع تحت سلطة اور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ق.م) حتى استقلت عنها خلال حكم اخر ملوكها، الملك ابي-سين (٢٠٢٨-٢٠٠٤ق.م). وتتألف مملكة اشنونا من عدد من التلال الآثرية (تل اسمر، تل اشجالي، تل الضباعي، تل اجرب، تل حرمل)[٣]. وموقعها الاستراتيجي جعلها مركزاً مهماً للتبادل التجاري مما منحها مكانة بارزة في تاريخ العراق القديم بالإضافة الى تأثرها الحضاري والاقتصادي من الجهات الشمالية والشرقية[٤].

وبموقعها هذا جعل منها نقطة التقاء استراتيجية بين شمال بلاد الرافدين وبلاد عيلام وقد منحها هذا الموقع أهمية كبيرة لكونها تمر عبره الطرق التجارية والملكية[٥]. وكشفت التنقيبات الأثرية التي جرت في مملكة اشنونا عن قصور ملكية ومعابد ضخمة ومنها معبد الاله (أبو) بالإضافة الى عدد من المنحوتات ومجموعة مهمة من النصوص والوثائق المدونة منها ما يقارب (٢٠٠) لوح مسماري يعود الى العصر الاكدي وكذلك (١٠٠٠) لوح يعود الى سلالة اور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م) والعصر البابلي القديم (٢٠٠٤-١٥٩٥ق.م)، مما يؤكد ثراء المدينة وأهميتها الدينية والإدارية في العصر البابلي القديم(٢٠٠٤-١٥٩٥ق.م)[٦]. ومن اهم المكتشفات الآثرية في اشنونا الكشف عن اقدم قانون مدون باللغة الاكدية والذي عرف بقانون اشنونا نسبة الى المدينة والذي سبق قانون حمورابي بحدود مائتي سنة[٧]. حكم مملكة اشنونا ما يقارب ستة عشر ملكًا خلال فترة زمنية تُقدّر بنحو قرنين ونصف في القسم الاول من العصر البابلي القديم. ورغم غياب تسلسل زمني دقيق لطول مدة حكم كل ملك، إلا أن المكتشفات الأثرية والنصوص الملكية، مثل النقوش والوثائق الإدارية والقضائية، تشهد على وجودهم ودورهم في إدارة المملكة وتعزيز مكانتها السياسية والدينية[٨]. حرص ملوك اشنونا على تحقيق مجموعة من الأهداف

الاستراتيجية وكان أبرزها توسيع نفوذهم الجغرافي والانخراط في العلاقات الدولية مع الدويلات المجاورة إضافةً الى تحقيق الازدهار الساسي والاقتصادي [٩].

وقد ساهمت هذه السياسات حكّام أشنونا على توسيع حدود مملكتهم بشكل ملحوظ مستغلّين ضعف القوى المجاورة كأشور وعيلام، ففرضوا سيطرتهم على مناطق استراتيجية مثل وادي ديالى الأسفل، كركوك، وخفاجي.

حتى بلغ نفوذهم مشارف بغداد كما استخدموا نظامًا إدارياً منظم ووزعوا السلطة على مسؤولين محليين، مما عزز سيطرتهم الإقليمية ورسّخ نفوذهم السياسي والاقتصادي في المنطقة[١٠]. وتشير الأدلة الأثرية والنصوص المسمارية أن بعض مناطق اشنونا كانت تُدار من قبل حكّام محليين يُعينون من قِبل ملوك أور مما يعكس طبيعة العلاقة الإدارية المعقّدة بين الطرفين ومع مرور الوقت استطاعت سلالة اشنونا أن تفرض سيادتها الكاملة على هذه المناطق وتُحقق استقلالاً سياسياً فعلياً عن سلطة أور ولاسيما في أعقاب تراجع نفوذ الدولة المركزية في المراحل اللاحقة[١١]، هذا وخاضت اشنونا سلسلة من التحركات التوسعية، حيث امتد نفوذها أحياناً ليشمل مدناً بعيدة مثل سبار (Sippar) ووصلت هيمنتها في بعض الفترات إلى مناطق قريبة من نهر الفرات، مما يعكس طموحها في فرض نفوذها على طرق التجارة والمراكز الحيوية في بلاد الرافدين[١٢]. ويمكن تقسيم التاريخ السياسي لمملكة اشنونا الى خمس مراحل أساسية وهي:

١-عهد التبعية- الاستقلال (٢٠٢٦- ١٩٧٧ ق.م)

٢-مرحلة الضعف الأولى (١٩٧٦-١٩٢٦ق.م)

٣-تقسم المرحلة الثالثة الى قسمين:

أ-عهد السيادة والبناء (١٩٢٥-١٨٨٥ق.م)

ب-عهد الازدهار والتوسع (١٨٨٤-١٧٧٣ق.م)

٤-مرحلة الضعف الثانية (١٧٧٢-١٧٦٨ق.م)

٥-تقسم المرحلة الخامسة الى قسمين:

أ- عهد النهوض (١٧٦٧-١٧٦٢ق.م)

ب- عهد التلاشي والانتهاء (١٧٦١-١٧٢٦ق.م)[١٣].

وظهرت مملكة اشنونا كقوة سياسية مستقلة مع ظهور بوادر الضعف في سلالة أور الثالثة في أواخر القرن ٢١ ق.م، حيث بدأ حكّام محليون من أصول أمورية يتولون السلطة تدريجياً، مستغلين ضعف السلطة المركزية وتمكّن هؤلاء الحكام من إرساء نظام إداري محلي قوي وبدأوا باعتماد نظام تأريخ خاص بهم مما عبر عن سيادتهم واستقلالهم(١٤) .وعرف عصر استقلال اشنونا، أو ما يُسمى أحيانًا بـ "عهد أتوريا وخلفائه"، بأنه المرحلة التي شهدت انبثاق سلطة محلية بعد انهيار نفوذ سلالة أور الثالثة (٢١١٣-٢٠٠٤ ق.م). ففي السنة الثانية من حكم الملك السومري (ابي- سين) أي بين عامي ٢٠٢٨-٢٠٢٦ ق.م أعلنت اشنونا استقلالها رسمياً(١٥). وتشير أحد النصوص إلى أن أتوريا استخدم ألقابًا ملكية تعكس سلطته الفعلية مثل "الملك العظيم" و"ملك بلاد واروم" (Warum)(١٦).

مما يجعل مدينة اشنونا أول كيان يُعلن انفصاله الواضح عن سلطة أور ويمهّد لإلغاء التعامل بالتقويم المعتمد من خلال مدينة اور فضلاً عن استعمال اللغة الاكدية بلهجتها الامورية في المخاطبات (١٧).

ومن أبرز ملامح هذه المرحلة أيضًا، ان حكام مملكة اشنونا اطلقوا على انفسهم القاباً تؤكد سلطتهم المستقلة ومنها لقب "خادم الإله تيشباك"(١٨). بدلاً من (خادم ملك اور) كما غيروا أسماء الأشهر والسنوات السومرية الى تسميات محلية ، واحاطوا معبد العاصمة الذي كان قد بني في عهد الملك (شوسين ٢٠٣٧-٢٠٢٩ ق.م) بسور دائري وشيدوا بالقرب منه قصراً كبيراً بالإضافة الى ذلك استبدلوا اللغة السومرية باللغة الاكدية في كتاباتهم الرسمية(١٩). هذا وحكم اشنونا مجموعة من الحكام والملوك المتباينين في قدراتهم السياسية والعسكرية، فبعضهم اتّصف بالقوة وآخرون بالضعف مما أضعف المركز السياسي للمملكة تدريجيًا، وقد تجلى هذا الانحدار مع نهاية حكم الملك بيلالاما (١٩٨٤-١٩٧٥ ق.م)(٢٠). الذي استمر حوالي خمسين عامًا، تخللتها فترات من عدم الاستقرار وظهور أسماء ملوك غير معروفة، وهي المرحلة التي أطلق عليها المؤرخون اسم "مرحلة الضعف الأولى" في تاريخ مملكة اشنونا(٢١).

ثانياً: بداية حكم ايبق ادد الثاني (١٨٥٠-١٨١٣ق.م)

تولى ايبق ادد الثاني الحكم في مملكة اشنونا بعد وفاة ابيه الملك ايبال- بيل الأول وكان من أوائل حكام اشنونا الأقوياء، إذ تمكنت المملكة خلال فترة حكمه من إعادة بناء قوتها السياسية والعسكرية لتبرز مجددًا كقوة إقليمية فاعلة [٢٢]. وقد شهدت مدة حكمه نشاطاً لافتًا في المجالين السياسي والإداري[٢٣]. وحكم مملكة اشنونا عدد من الملوك امكن التعرف على أسماء ٢٦ ملكاً خلال مدة زمنية طويلة امتدت تقريباً من (٢٠٢٠ وحتى ١٧٦١ق.م)، وما زالت أسماء غيرهم مجهولة إلا أن النقوش والكتابات الملكية أظهرت اهميتهم ودورهم السياسي والاقتصادي وتميزت فترة حكمهم بالاستقلال النسبي وساهموا في نهوض مملكة اشنونا حتى غدت من أبرز الكيانات السياسية التي يُشار إليها بالهيمنة وتمكنت في عهده من استعادة مناطق نفوذ كانت قد فقدتها خلال فترات الضعف السابقة، كما لعبت دورًا بارزًا في إعادة صياغة الخريطة السياسية في المنطقة وكان من بين هؤلاء القادة البارزين الملك ايبق-أدد الثاني (حدود ١٨٥٠ ق.م) الذي يُعد ابنًا للملك إيبال- بيل الأول (١٨٦٣-١٨٥٠ق.م) ووريثًا للعرش في مملكة إشنونا[٢٤].

تأثّر الملك إيبق أدد الثاني بالنموذج السومري في الحكم، فتبنّى ألقابًا سياسية بارزة مثل "ملك العالم" و"ملك الجهات الأربع" [٢٥] كما منح نفسه لقب "ملك كيش"، وهي من المدن التي ارتبطت بالشرعية الدينية في التاريخ السومري، لما كان لها من مكانة مقدسة بالإضافة إلى ذلك، تبنّى ألقابًا تشير إلى القوة والهيمنة مثل "موسع اشنونا" و"راعي الرؤوس السوداء"، و"محبوب الإله تيشباك [٢٦] لاحقاً، لقب الملك لقبه نفسه بـ "خادم الإله تيشباك"، ما يُظهر محاولته لتعزيز مكانته الدينية والسياسية، وأمر بكتابة اسمه باستخدام علامة الألوهية (digir) في دلالة واضحة على تأليه نفسه [٢٧] بدأ منذ سنوات حكمه المبكرة بتوسيع نشاطه العسكري شمالًا، فاستولى على مدينة "رابيقوم [٢٨] الاستراتيجية الواقعة قرب نهر الفرات، التي كانت مركزًا هامًا على الطريق التجاري الموازي للنهر بهذا التحرك، أغلق طريق التوسع أمام بابل نحو الشمال في عهد ملكها بيل سين (١٨٣٠-١٨١٣ ق.م)[٢٩].

واستمر في زحفه غربًا إلى أن وصل مدينة "يابيليا" (تل شيشين)[٣٠] وتمكّن من السيطرة على موقع تل البغدادية [٣١] وخلال انشغال ملك لارسا، سين-أدنام (١٨٤٩-١٨٤٣

ق.م)، بحملاته التوسعية نحو الغرب [٣٢] وسيطر على ضفاف نهر دجلة الأوسط ونهر ديالى شمالاً الى أرابخا[٣٣] .كركوك حالياً وجنوبًا حتى منطقة الدير وشرقًا إلى ميتوران، وغربًا نحو الفرات الأوسط[٣٤].

وفي نهاية هذه المرحلة، ظهرت قوة سياسية جديدة تمثلت ببروز مملكة آشور، بعد أن أسسها أحد الزعماء الأقوياء، وهو شمشي–أدد الأول (١٨١٣–١٧٨١ ق.م)[٣٥].

وقد

شكّلت هذه المملكة تهديدًا مباشرًا، خصوصًا بعد أن سعى شمشي–أدد إلى السيطرة على ماري، وبدأ ينافس اشنونا على أراضيها. ولم تستسلم اشنونا بسهولة، بل واجهت الهجوم الآشوري بقيادة أمينوم إلا أن هذا الأخير تمكّن من احتلال مدينة شادوبوم (تل حرمل)[٣٦]. تولّى الحكم بعد إيبق أدد الثاني عدد من الملوك، من أبرزهم نرام، سين ودانوم تخاز، ودادوشا، وإيبال بيل الثاني وقد سعى هؤلاء الملوك جاهدين للحفاظ على استقرار مملكة اشنونا، رغم الصعوبات الناتجة عن الظروف السياسية المتقلبة داخلها، والتي كانت تتأثر بما يجري في المدن والممالك المجاورة، الى ان انتهى الوجود السياسي لاشنونا كقوى مستقلة بتولي حمورابي عرش بابل وتوحيد جميع الممالك تحت سلطته المركزية حدود سنة ١٧٩٥ ق.م[٣٧].

ثالثاً: النقوش والكتابات الخاصة بايبق ادد الثاني (Ipiq-Adad II)

يُعتبر الملك (إبيق–أدد الثاني) من أبرز ملوك أشنونا، حيث شهد عهده توسعاً ملحوظاً في نفوذ المملكة ليشمل المدن والبلدات المحيطة بالعاصمة، وهو ما تجلى بوضوح من خلال النشاطات العمرانية الواسعة التي قام بها في تلك المناطق، حيث عُثر على آثار تحمل اسمه في مواقع مثل (نيريبتوم) و(ميتوران)[٣٨]، فضلا عن العاصمة آشنونا.

وفيما يخص نصوص وكتابات إبيق–أدد الثاني عُثر لهذا الحاكم على العديد من الكتابات خلال عمليات التنقيب في موقع تل أسمر (عاصمة مملكة اشنونا) وفي بعض المدن التابعة لها مثل نيربتوم (أشجالي) وشاديوم (تل حرمل)[٣٩].ومنها:

أولاً/ في تل أسمر: تمتلك الكتابات التي عُثر عليها هناك أهمية بالغة لكونها تختلف جوهرياً عن كتابات خليفته نرام سين فقد وُجد في إحدى كتاباته على الآجر أنه كتب اسمه الخاص

مسبوقاً بعلامة الالوهية على عكس والده إيبال-بيل الأول الذي كان يكتب اسمه بشكل اعتيادي خالٍ من الألقاب الدينية، وإن دل هذا الامر على شيء فانه يدل على محاولة الملك ايبق ادد الثاني بإضفاء القدسية على حكمه الى جانب مكانته الدنيوية(٤٠).

^{d}i-bi-iq-^{d}adad	**ايبق ادد**
šarrum da-num	**الملك القوي**
šarrum mu-ra-pi-iš	**الملك (الذي) وسع**
eš-nun-na^{ki}	**اشنونا**
SIPA sa-al-ma-at	**راعي (ذوي)**
qa-qa-di-im	**الرؤوس السوداء**
na-ra-am ^{d}tišpak	**محبوب الاله تشباك**
mar i-ba-al-pe-el (41)	**ابن ايبال- بيل**

فالمملكة القوية التي أسسها إيبق-أدد الأول واتساع نفوذها استلزما أن يألهوا أنفسهم لإضفاء القدسية على حكمهم، إلا أن الانتكاسات التي تعرضت لها مملكة إشنونا لاحقاً في عهد دادوشا (الذي تخلى عن هذه الصفة الإلهية في بداية حكمه) قد تكون السبب في أن ابنه إيبالبيل- الثاني قد تبعه في التخلي عن هذا اللقب(٤٢).

ثانياً: في نيربتوم (أشجالي): عُثر على لوح طيني(رقيم) في إحدى الارضيات المرصوفة بآجر مختوم باسم "إيبق-أدد الثاني، ابن إيبالبيل-الأول" ومن خلال هذا الاكتشاف تأكدت حقيقة أن إيبق-أدد الثاني ليس هو الحاكم الأول الذي حمل هذا الاسم، بل هو الحاكم الثاني بعد إيبق-أدد الأول(٤٣).

ثالثاً: في شادبوم (تل حرمل): جاء ذكر إيبق-أدد الثاني إلى جانب نرام سين ودانوم تخاز في أرشيف شخص يدعى جيدانوم (Gidanum)، الذي لعب دوراً مهماً في اقتصاد معبدالإله شمش، بينما يظهر في نصوص أخرى كمقرض (أي شخص يُقرض المال أو البضائع)(٤٤).

ويبدو أن (إيبق-أدد الثاني) خلال المرحلة الأولى من حكمه استعمل الألقاب التقليدية ذاتها التي استعملها حكام أشنونا السابقون، مثل لقب (وكيل الإله تشباك وحاكم أشنونا)(٤٥) كما ورد في أحد الآجرات التي حملت هذه الألقاب ومنها (ايبق ادد محبوب الاله تشباك حاكم اشنونا)، إذ نقرأ ما نصه:

i-pi-iq-^{d}IŠKUR	ايبق ادد
na-ra-am	محبوب
^{d}tišpak	الاله تشباك
Ensi$_2$	حاكم
aš$_2$-nun-na.^{ki} (46)	مدينة اشنونا

ومع اتساع نفوذه وترسيخ سلطته في أشنونا والمناطق المجاورة شرع في استخدام لقب الملك (Lugal)، كما تؤكده طبعات الآجر التي وُجدت أثناء تبليط الشارع الجنوبي لقصر الحكام والتي كانت تحمل اسمه بوضوح (٤٧)، إذ نقرأ ما نصه:

	ايبق ادد
^{d}i-pi$_2$-iq-IŠKUR	**الملك العظيم**
LUGAL da-num$_2$	**الملك الذي وسع**
LUGAL mu-ra-pi$_2$-iš	**مدينة اشنونا**
eš$_3$-nun-na.^{KI}	**راعي**
SIPA Ṣa-al-ma-at	**ذوي الرؤوس السوداء**
qa$_2$-qa$_2$-di-im	**محبوب الاله تشباك**
na-ra-am ^{d}tišpak	**ابن ايبال- بيل**
DUMU i-ba-al-pi-el (48)	

كما أتخذ الملك ايبق – ادد الثاني لقب (ملك العالم)، بدلالة الكتابة التي وجدت إحدى الآجرات

من مدينة لورستان(٤٩)، إذ نقرأ:

i-pi$_2$-iq-^{d}IŠKUR	ايبق ادد
LUGAL KIŠ-im	ملك العالم
DUMU i-ba-al-pi-el (50)	ابن ايبال- بيل

وثمة مثال أخر: –

^{d}i-pi-iq-^{d}IŠkUR	ايبق ادد
Lugal da-num$_2$	الملك العظيم (القوي)
Lugal mu-ra-pi$_2$-iš	الملك الذي وسع
eš$_3$-nun-na.^{kl}	مدينة اشنونا
SIPA sa-al-ma-at	راعي
qa$_2$- qa$_2$-di-im	ذوي الرؤوس السوداء
na-ra-am ^{d}tišpak	محبوب الاله تشباك
DUMU i-ba-al-pi-el	ابن ايبال- بيل
ne-re-eb-tum.^{k1} i-qi$_2$-si-im (51)	قدمه الى نيربتوم

تم التعرف على النص السابق محفوراً على آجرة تم العثور عليها تحت قاعة (العرش) التي تعود إلى الملك (نرام سين)، إذ نلاحظ على النص ان الملك قد آله نفسه كما وصف نفسه بـ(راعي أصحاب الرؤوس السود)، وهي الألقاب نفسها التي عُرف بها أيضاً وكما ظهر اللقب ذاته على كتابات الآجر من معبد عشتار كتيتوم في (أشجالي) (الملك القوي الذي وسع اشنونا، راعي ذوي الرؤوس السود محبوب تشباك ابن ايبالبيل)[٥٢]. يدل هذا التشابه الواضح في نصوص الآجر المنسوبة لهذا الملك الى جانب العثور على نماذج منها في موقعي تل اسمر وأشجالي على ان هذه المناطق كانت خاضعة لسيطرة مملكة اشنونا خلال فترة حكم ايبق ادد الثاني الامر الذي لاشك فيه ان نيربتوم (أشجالي) كانت تمثل امتداداً ادارياً للمملكة في تلك الحقبة، وهذا يؤكد على حقيقة أخرى وهي قوة واتساع نفوذ المملكة في تلك الفترة [٥٣]. والجدير بالذكر ان ايبق ادد الثاني هو من قام ببناء معبد الالهة (عشتار/كتيتوم)[٥٤]، إذ ذكر في احد نصوصه:

الى الالهة عشتار كتيتوم	a-na "INANNA ki-ti-tum
ايبق ادد	i-pi-iq-IŠKUR
الملك العظيم	LUGAL da-mim
الملك الموسع	LUGAL mu-ra-pi-iš
لاشنونا	èš-nun-na^{Kī}
راعي ذوي	SIPA sa-al-ma-at
الرؤوس السوداء	qa-qa-di-im
محبوب الاله تشباك	na-ra-am ^{d}Tišpak
ابن ايبال- بيل	DUMU i-ba-al-pi-el
قدمه الى مدينة نيربتوم	ne-re-eb-tum ^{K1} i-qi-si-im[55]

لا شك أن الملك (إبيّق–أدد الثاني) يُعد من أبرز حكّام مملكة أشنونا وأكثرهم نفوذاً، إذ كان من القادة الذين عززوا مكانتها السياسية وسعى إلى توسيع حدودها. ويتضح ذلك من النقوش التي خُطّت على الآجر، وما ورد فيها من ألقاب تُبرز قوته وهيبته بالإضافة الى كونه موسّع لمملكة أشنونا وباني معبد (كتيتوم) في مدينة أشجالي[٥٦].

رابعاً: الصيغ التاريخية لايبق ادد الثاني (Ipiq-Adad II)

أ- مفهوم الصيغ التاريخية:

لم يعتمد سكان بلاد الرافدين عهداً ثابتاً للتأريخ يشبه الأنظمة المعروفة مثل التاريخ الميلادي أو الهجري قبل اعتماد العهد السلوقي (٣١١ ق.م)[٥٧] كمنطلق ثابت لتأريخ الأحداث فقد اعتادوا قبل ذلك التأريخ بالأحداث، وهو ما يُعرف اصطلاحاً باسم(Date Formula) أو ما يسميه البعض "نظام أسماء أو تسمية السنين[٥٨].

وتعرف هذه الصيغ بأنها منهج يقوم على اشتقاق اسم لكل سنة من أبرز حادثة وقعت فيها وتجدر الإشارة إلى أن هذه الطريقة استُخدمت في جنوب بلاد الرافدين ووسطه بينما استعمل الآشوريون[٥٩] طريقة أخرى تُعرف بقوائم الحوليات الملكية (الليمو) التي توثق أحداث كل سنة من سنوات حكم ملوكهم[٦٠] وعموماً فإن استخدام الصيغ التاريخية بدأ منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، واستمر حتى أواخر الألف الثاني قبل الميلاد[٦١] ومن أبرز الأحداث التي كان سكان العراق القديم يؤرخون بها: اعتلاء الملك العرش، أو القيام بحملة عسكرية، أو بناء معبد، فضلاً عن تشييد الأسوار، وحفر القنوات المائية، أو تقديم التماثيل كنذور في المعابد، وغيرها من الأحداث المهمة[٦٢]، وكان من الضروري تعميم الصيغ التاريخية على جميع المدن التابعة للمملكة لتُعمل بموجبها، وعادة ما يتم اختيار الحدث الرئيسي الذي يتم الاتفاق عليه لتسمية تلك السنة، ومن ثم تُدوّن جميع المعاملات والعقود والوثائق الرسمية والشخصية في تلك السنة بناءً عليها [٦٣] أما في حال عدم وجود حدث هام تؤرخ به السنة، فإن الكاتب يلجأ إلى استخدام حدث سبق استعماله في السنة الماضية، ويُشار إليه بالمصطلح السومري (MU US.SA)، الذي يعني "السنة بعد سنة الحدث" أو "السنة اللاحقة[٦٤] ومما تقدم تُعد دراسة الصيغ التاريخية واحدة من أهم الدراسات التي تتناول جانباً مهماً من تاريخ العراق القديم خاصةً وأنها تحتوي على كم هائل من المعلومات التاريخية التي تسلط الضوء على جوانب متعددة من تاريخ بلاد الرافدين، سواء على المستوى السياسي أو الديني أو الاجتماعي أو العمراني فهي، كما هو معروف، تتعامل مع أهم الأحداث التي تشهدها المنطقة باعتبارها نقاطاً تاريخية ينطلق منها التأريخ، مما يجعلها تمثل نوعاً من

الأرشيفات ومن خلال دراستها وترجمتها، يمكننا ترتيب الأحداث التي شهدتها المنطقة بشكل صحيح وتسلسلي، فضلاً عن اعتمادها في ضبط تسلسل حكم الملوك(٦٥).

ب- مضامين الصيغ التاريخية للملك ايبق – ادد الثاني

تعددت مضامين الصيغ التاريخية لحكام مملكة أشنونا وملوكها، وفقاً للمناسبة التي سُميت بها السنة. فقد اشتملت بعض الصيغ على مضامين سياسية، بينما حملت أخرى مضامين دينية أو عسكرية، بالإضافة إلى المضامين العمرانية وغيرها (٦٦)، وعلى الرغم من طول المدة الزمنية لحكم الملك إيبق – أدد الثاني والبالغة ست وثلاثون سنة الا انه أمكن التعرف على ثلاثة عشر صيغة تاريخية فقط (٦٧)، وهي:

(1) MU rapiqum^{ki} e_2 nin-azu Ipiq-^{d}Adad ba | dab_5

السنة التي استولى فيها على معبد نن – ازو في رابيقوم(٦٨).(مضامين عسكرية).

ونجد في هذه الصيغة اختلافا عن بقية الصيغ التاريخية لملوك العراق القديم، إذ اعتاد الملوك على تأرخة السنة الأولى من حكمهم بمناسبة اعتلائهم العرش، الا ان الملك ايبق – ادد الثاني أرخ سنته الأولى بحدث ذو مضمون عسكري، والمتمثل بسيطرته على معبد نن – ازو في مدينة رابيقوم. ومن المحتمل ان يكون السبب في ذلك هو لما للحدث من أهمية في اثبات قوة الملك او بسبب اكماله لحملة عسكرية على المدينة سبق وان بدأ بها سلفه.

ونقرأ في نص الصيغة التاريخية للسنة الثانية من حكمه:

(2) MU alan $ku_3.sig_{17}$ u_3 bad_3 šimahatu ina pasum ba-du_2

سنة التمثال الذهبي (و) بناء سور شيماخاتو في باشوم(٦٩) (مضامين عمارية).

ان المتمعن في نص الصيغة آنفة الذكر يجد انها تحمل مضموناً ذو دلالة فنية عمارية تمثلت بعمل التمثال الذهبي الذي من المحتمل ان يعود لإله مدينة باشوم، فضلاً عن بناء سور المدينة.

(3) MU ^{gis}gu.za $bara_2$-mah ^{d}en.zu ša dudub^{ki} ša iti.um^{ki} Warhum^{ki} ^{d}Ipiq-^{d}Adad ba-dím (innepšu)

السنة التي صنع فيها (ايبق ادد) منصة العرش العظيمة للإله (سين) العائد لمدينة توتوب(٧٠) (مضامين دينية).

عكست الصيغة التاريخية آنفة الذكر والتي أرخت للسنة الثالثة من حكم ايبق – ادد الثاني، مضمونا ذو طبيعة دينية – فنية، تمثلت بصنع منصة العرش الخاصة بالإله سين وإهدائها الى معبده في مدينة توتوب، وهي من الأمور التي عكف حاكم بلاد الرافدين وملوكه بمختلف سلالاتهم على القيام بها رغبة بالتقرب من الالهة ولإضفاء صفة القدسية على حكمهم.

وإذا انتقلنا للسنة الرابعة من حكم الملك نجد ان صيغتها حملت مضموناً عمارياً– فنياً، تمثل ببناء حصن مدينة شيماختو، فضلا عن صنع الفأس لمعبدها، إذ نقرأ ما نصه:

(4) MU bad_3 šimahatu ina pašum $ba\text{-}du_3$

سنة بناء حصن شيماخاتو مع (صنع) الفأس[٧١] (مضامين عمارية).

وإذا انتقلنا لنص الصيغة التاريخية للسنة الخامسة من حكم الملك، نجد ان الصيغة قد حملت مضموناً عسكرياً، تمثل باستيلاء الملك على حصن مدينة ميتوران لما لهذه المدينة من أهمية كبيرة من الناحية العسكرية والأمنية للعاصمة آشنونا، إذ نقرأ ما نصه:

(5) MU Ipiq-^{d}Adad bad_2 meturan $in\text{-}dab_5$ (72)

السنة التي استولى فيها ايبق ادد على حصن ميتوران[٧٣] (مضامين عسكرية).

(6) MU Ipiq- ^{d} Adad neribtum ^{ki} In- dab_5 işbat (74)

كما حملت الصيغتان التاريخيتان للسنتين السادسة والسابعة مضموناً عسكرياً، إذ اشارتا الى استيلاء الملك على حصن مدينة ميتوران ومدينة نيربتوم وارابخا على التوالي. إذ نقرأ ما نصه:

السنة التي استولى فيها على نيربتوم[٧٥] **(مضامين عسكرية)**

(7) MU.Ipiq –^{d}Adad arrapham^{ki} işbatu

سنة هزيمة (سقوط) مدينة ارابخا[٧٦] (مضامين عسكرية)

(8) šanat rubum marat Habi [xx] ihuz

سنة اخذ الأمير إبنة خابي [٧٧] (مضامين سياسية).

هذا وحملت الصيغة التاريخية آنفة الذكر مضمونا سياسياً تمثل بزواج الأمير من ابنة خابي وهو عُرفٌ سار عليه ملوك العراق القديم لتقوية العلاقات السياسة فضلاً عن تأمين بعض القوى العسكرية عن طريق المصاهرات.

ومن المضامين السياسية التي حملتها الصيغ التأريخية هو تاريخ السنوات بحادثة وفاة احد الملوكن غذ نقرأ في نص الصيغة التاريخية للسنة التاسعة من حكم الملك ايبق – ادد الثاني ما نصه:

(9) MU hadum ba-uš$_2$

سنة وفاة خادوم [٧٨] (مضامين سياسية).

ويبدو ان القسم الأعظم من حكم الملك ايبق ادد الثاني قد انشغل فيه بالأعمال العسكرية إذ تكررت المضامين العسكرية لصيغه التاريخية التي ارخ فيها سني حكمه، إذ نقرأ في الصيغة التاريخية لسنة العاشرة ما نصه:

(10) MU ^{d}Tišpak dumu-Sag ^{d}En -lil-la ^{d}Nin-lil-la ^{d}Ipiq-Adad nam-lugal Ešnunna^{ki} bi -in- sa$_4$-a e$_2$-ad-a-ni-še$_3$ i-in-ni-ku$_4$ ra-am
Supur-^{d}Šamaš ba-hul u$_3$ e$_2$ren bal-ria Idigna] X [mu I kam tukul Kalag-ga ba- an dab$_4$

السنة التي فيها تشباك ابن الاله انليل والالهة ننليل الذي اختار ايبق ادد لملوكية اشنونا ويدخل الى بيت ابيه ويدمر مدينة صوبور شمش ويهزم الضفة الأخرى لنهر دجلة في سنة واحدة [٧٩] (مضامين سياسية).

وعلى الرغم من انشغال الملك ايبق – ادد الثاني بحملاته العسكرية الا مدة حكمه لم تخلو من الاعمال العمرانية إذ ارخ السنة الحادية عشر من حكمه ببناء حصن مدينة شولكي – ننا، غذ نقرأ في نص الصيغة:

(11) MU ^{d}ŠUL.GI. ^{d}NANNA i-pi-iq ^{d}IM i-pu-uš

السنة التي بنى (فيها) ايبق ادد (حصن) مدينة شولكي ننا[٨٠] (مضامين عسكرية).

واستمر الملك ايبق – ادد الثاني بتسمية سني حكمه بأهم الاعمال التي وقعت فيها ولا سيم الاعمال العسكرية، إذ أرخ السنتين الثانية عشر والثالثة عشر بحدث سيطرته على مدينة الدير فضلا عن تخريب خندق يابليا، إذ نقرأ ما نصه:

(12) MU BÀD. AN^{ki} (Dēr)^{ki} ^{d}Ipiq-Adad isbatu

السنة التي استولى (احتل) فيها ايبق ادد على مدينة الدير (حصن الاله) [٨١] (مضامين عسكرية).

(13) MU 2 ša ikam^{ki} ša iablia ^{d}Ipiq- Adad i-bu-ku

السنة التي خرب فيها ايبق ادد خندق مدينة يابليا[٨٢] (مضامين عسكرية).

المصادر:

١- المصادر العربية

(١) الحسيني، محمد عبدالرحمن، " تاريخ بلاد الرافدين القديم، دار المعرفة "، بغداد، ٢٠١٥.

(٢) السامرائي، شفيق عبدالرزاق، الفكر والنظام السياسي في العراق القديم، بغداد، ١٩٨٧.

(٣) العبادي، معاذ حبش خضر، الحوليات الملكية في العصر الآشوري الحديث دراسة تحليلية، ط١، ٢٠٢٢.

(٤) باقر، طه، " مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة "، ج١، بغداد، ١٩٧٣.

_____، "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج١، دار الوراق، بيروت، ٢٠٠٩.

(٥) صالح رشيد، "بلاد الرافدين"، دراسة تاريخ وحضارة العراق القديم، ج١، بغداد، ٢٠١٧.

(٦) عبدالجبار، حسين داخل، "جغرافية بلاد الرافدين في العصور القديمة"، جامعة بغداد، ٢٠٠٤.

ثانياً: الكتب المترجمة

(١) آدمز، روبرت ماك، "اطراف بغداد تاريخ الاستيطان في سهول ديالى "، ترجمة: صلاح الدين الدوري وآخرون، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٤.

(٢) اوبنهايم، ليو، "بلاد مابين النهرين"، ترجمة: سعدي فيضي عبدالرزاق، بغداد، ١٩٨١.

(٣) ساكنز، هاري، قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، بغداد، ١٩٩٩.

(٤) رو، جورج، " العراق القديم "، ترجمة حسين علوان، مراجعة فاضل عبدالواحد، ١٩٨٤.

ثالثاً: المجلات

(١) الياسري، فرح شاكر محمد، "مدينة اشنونا دراسة في واقعها الاثري ٢٠٢٠-١٧٦١ ق.م"، مجلة إكليل للدراسات الإنسانية، جامعة بغداد، العدد ١٦، المجلد٤، ٢٠٢٣.

(٢) عبد الواحد، حسنين حيدر، "مضامين الصيغ التاريخية لحكام وملوك مملكة اشنونا"، مجلة آثار الرافدين، ملحق المجلد٨، ٢٠٢٣.

(٣) مجيد، تحسين حميد، "إقليم ديالى في العصور القديمة، مجلة ديالى"، العدد الثامن والثلاثون، ٢٠٠٩.

رابعاً: الرسائل والاطاريح

(١) إسماعيل، خالد سالم، نصوص مسمارية غير منشورة من العصر البابلي القديم – منطقة ديالى- تلول خطاب، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٠.

(٢) السعدي، اياد كاظم، "تاريخ مملكة اشنونا في ضوء تنقيبات منطقة ديالى وحمرين"، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ٢٠٠٧.

(٣) الشمري، مهند خلف جمين، نصوص مسمارية غير منشورة من العصر البابلي القديم – مدينة ايسن، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة الموصل، ٢٠١٣.

(٤) الغراوي، علي هاشم معضد، "مملكة اشنونا في عهد شمشي ادد الأول وعلاقتها بمملكتي اشنونا وماري"، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي، بغداد، ٢٠٠٦.

(٥) حميد، احمد مجيد، "دراسات في نصوص غير منشورة من فترة العهد البابلي القديم تل حرمل"، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٩٠.

_____، نصوص مسمارية من العصر البابلي القديم "تل السيب حوض حمرين"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.

(٦) سلمان، حسين احمد، "كتابة التاريخ القديم في وادي الرافدين في ضوء النصوص المسمارية"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٦.

(٧) محمد، احمد كامل، رسائل غير منشورة من العهد البابلي القديم في المتحف العراقي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٦.

(٨) منشد، مطلك منشد، نصوص مسمارية غير منشورة من العهد البابلي القديم- تل حرمل، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٧.

خامساً: المصادر الأجنبية

(1) Frayne, Douglas, "Old Babylonian Period (2003-1595 B.C)", University of Toronto Press,1990.

(2) Geotze, A.,Sin-iddinam of Larsa; New Tablets from his Reign, JCS,1950.

(3) Gwendolyn Leik., " Who's Who in The Ancient Near East ", London, 1999.

(4) H. Frankfort and Th. Jacobsen., Tell Asmar and Khafaje, the First seasons Work is Eshnunna, OIC, Vo1. 13, Chicago, 1930.

(5) H. Frankfort and Th. Jacobsen.,Progress of the Work of the oriental Institute in Iraq (1934-1935), Chicago, 1936.

_____, The Gimilsin Temple the place of the Rulers at Tell Asmar, OIPK,VOI. 43, Chicago.

(6) Malcolm, J.A., The Year- Names of the First Dynasty of Babylon, Vol.1, Mc Master University Press, 1999.

(7) Mustafa, A.K.A.J., The Old Babylonian Tablets from meturan (Tel AL-Sib and Tell Hadad) Unpublished ph.D. Thesis, University of Glasgow, 1983.

(8) Roth, Martha T, "Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor", Scholars Press,1995.

(9) Simmons., S.D., Early old Babylonian Tablets from Harmal and Elswhere, JCS,Vol. 13, 1959.

(10) Yuhong,W.U.، A Political History of Eshnunna, Mari and Assyria, During the Early Old Babylonian Period, China, 1994.

(11) Edzard, D.O., Die Zweite Zwischenzeit Babyloniens, Weisbaden, 1975.
(12) Th. Jacobsen., and Others., Salinity and Irrigation Agriculture in Antiguity 'Diyala Basin Archaeological' Project June.1, 1957, To June 1. 1958, The report in the Iraq Museum.
(13) Clements, D.R., Political Changes and Cultural Continuity in the Palace of Rulers At Eshnunna from the UR III, Vo1, Chicago, 2001.
(14) Harris, R., The Archive of Sin Temple in Khafaja (TUTUB) JCS9,1955,.
(15) Sigrist. M., Peter. D., Mesopotamian Years Names, Berlin,2001.

الهوامش:

(١) الحسيني، محمد عبد الرحمن، " تاريخ بلاد الرافدين القديم، دار المعرفة "، بغداد، ٢٠١٥، ص١٠٠.

(٢) عبد الجبار، حسين داخل، " جغرافية بلاد الرافدين في العصور القديمة "، جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص٩٢.

(٣) باقر، طه، " مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة "، ج١، بغداد، ١٩٧٣، ص٤٠٨.

(٤) مجيد، تحسين حميد، " إقليم ديالى في العصور القديمة، مجلة ديالى "، العدد الثامن والثلاثون، ٢٠٠٩، ص١١.

(٥) السعدي، اياد كاظم، " تاريخ مملكة اشنونا في ضوء تنقيبات منطقة ديالى وحمرين "، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ٢٠٠٧، ص٣.

(٦) الياسري، فرح شاكر محمد، " مدينة اشنونا دراسة في واقعها الاثري ٢٠٢٠-١٧٦١ ق.م "، مجلة إكليل للدراسات الإنسانية، جامعة بغداد، العدد ١٦، المجلد٤، ٢٠٢٣، ص٥١.

(7) Roth, Martha T, " Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor ", Scholars Press,1995,p 59-63

(1) Frayne, Douglas, " Old Babylonian Period (2003-1595 B.C) ", University of Toronto Press,1990, p 314.

(٢) باقر، طه، المصدر السابق، ص٤٥٥-٤٥٦.

(٣) رو، جورج، " العراق القديم "، ترجمة حسين علوان، مراجعة فاضل عبدالواحد، ١٩٨٤، ص٢٥٤.

(4) Th. Jacobsen., and Others., Salinity and Irrigation Agriculture in Antiguity 'Diyala Basin Archaeological' Project June.1, 1957, To June 1. 1958, The report in the Iraq Museum, p73.

(١) آدمز، روبرت ماك، " اطراف بغداد تاريخ الاستيطان في سهول ديالى "، ترجمة: صلاح الدين الدوري وآخرون، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ١٩٨٤، ص١٥٥.

(٢) عبد الواحد، حسنين حيدر، " مضامين الصيغ التاريخية لحكام وملوك مملكة اشنونا "، مجلة آثار الرافدين، ملحق المجلد٨، ٢٠٢٣، ص١٤٣-١٤٤.

([3]) Frayne, D., Op. Cit p 314.

([1]) باقر، طه، المصدر السابق، ص٤١٦.

(2) Gwendolyn Leik., " Who's Who in The Ancient Near East ", London, 1999, p83.

([٣]) حميد، احمد مجيد، " دراسات في نصوص غير منشورة من فترة العهد البابلي القديم تل حرمل "، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص١١.

([٤]) يعد الإله تِشباك (إله الرعد والبرق) الإله الرئيس في مملكة اشنونا إذ عُبِدَ في شمال العراق والجزيرة بهذا الاسم. وقد ورد ذكره في نصوص عراقية قديمة باسم "أدد"، وكان له معبد خاص يُطلق عليه "إي-سيكيل" (E.SIKIL) أي "البيت الطاهر". ويرتبط هذا الإله في المعتقدات القديمة بالإله الحثي تِشوب (TISHUP). ويُعدّ النص المكتشف في مملكة اشنونا دليلاً بارزاً على عظم شأن هذا الإله، إذ يرمز إلى قدرته على تحقيق النصر للملوك والمرشحين للحكم، كما يوضح أن تِشوب أصبح الإله الذي تُرفع له الصلوات والأدعية، وأنه الحامي للأرض والمخلّص من الأعداء. ينظر: اياد كاظم السعدي، المصدر السابق، ص٧١.

([٥]) السعدي، اياد كاظم، المصدر السابق، ص٦-٧.

([1]) Yuhong,W.U.، A Political History of Eshnunna, Mari and Assyria, During the Early Old Babylonian Period, China, 1994,p13.

([٢]) حميد، احمد مجيد، نصوص مسمارية من العصر البابلي القديم " تل السيب حوض حمرين"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠٠٢، ص٢٧.

([3]) H.Frankfort and Others., The Gimilsin Temple,p99.

([4]) Harris, R., The Archive of Sin Temple in Khafaja (TUTUB) JCS9,1955,p57.

([1]) Yuhong,W.U.، Op. Cit، p26-28.

([2]) Edzard, D.O., Die Zweite Zwischenzeit Babyloniens, Weisbaden, 1975,p162.

([٣]) الغراوي، علي هاشم معضد، " مملكة اشنونا في عهد شمشي ادد الأول وعلاقتها بمملكتي اشنونا وماري "، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي، بغداد، ٢٠٠٦، ص٧٢.

(4) Frayne, D., Op. Cit p 548.

([٥]) رابيقوم: تقع مدينة رابيقوم على ضفاف نهر الفرات قرب مدينة الفلوجة وقد تميز موقعها بأهمية استراتيجية لكونها تشرف على طرق التجارة التي تربط أواسط الفرات بالأناضول. ينظر: احمد مجيد، المصدر السابق، ص١٢.

([٦]) محمد، احمد كامل، رسائل غير منشورة من العهد البابلي القديم في المتحف العراقي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٦، ص٨-١٧.

(١) تل شيشين: يقع هذا التل على الضفة اليسرى لنهر الفرات على مسافة تقارب ٥٠ كم شمال مدينة هيت. ينظر: احمد كامل محمد، المصدر السابق، ص ١٧-٢٣.

(٢) تل البغدادية: يتمركز التل على الضفة المقابلة لنهر دجلة عند ناحية البغدادي الا ان الاسم القديم لهذا الموقع لم يحدد بشكل قاطع. ينظر:

Geotze, A.,Sin-iddinam of Larsa; New Tablets from his Reign, JCS,1950,p101.
(3) Yuhong,W.U.، Op, Cit,p72-73.

(٤) ارابخا:عرفت هذه المدينة قديماً باسم (جاسر Gasur) وأصبحت خلال العصر الاشوري الوسيط مركزاً حضارياً مهماً اذ امتد اليها النفوذ الميتاني، وقد ورد ذكرها في النصوص بصيغة (خانيجالباتيون) .ينظر: هاري ساكز، قوة آشور، ترجمة : عامر سليمان، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٩٩، ص ٤٩-٦٧.

(٥) السعدي، اياد كاظم، المصدر السابق، ص٢٤.

(٦) للمزيد عن الملك شمشي ادد الأول. ينظر: الغراوي، علي هاشم، المصدر السابق، ص٢٩.

(٧) تل حرمل: الاسم القديم شادبوم ويعد من المواقع الإدارية والاقتصادية المهمة التابعة لمملكة اشنونا، ويقع بالقرب من معسكر الرشيد على بعد ستة اميال شرق مركز مدينة بغداد وقامت مديرية الآثار القديمة بحفريات سنة ١٩٤٥م وأبرز ما اكتشف فيه هو العدد الكبير من الرقم الطينية التي تجاوزت ثلاثة آلاف رقيم ومن بين اهم النصوص التي عثر عليها نص قانون مملكة اشنونا. ينظر: السامرائي، شفيق عبدالرزاق، الفكر والنظام السياسي في العراق القديم، بغداد، ١٩٨٧، ص١٢١.

(١) عبد الواحد، حسنين حيدر، المصدر السابق، ص١٤٤.

(2) Frayne, D., Old Babylonian Period, p545.

(3) H. Frankfort and Th. Jacobsen., Tell Asmar and Khafaje, the First seasons Work is Eshnunna, OIC, Vo1. 13, Chicago, 1930, P.48-49.

(4) Ibid, P. 48.

(1) H. Frankfort and Th. Jacobsen., Tell Asmar, p48-49.

(2) H. Frankfort and Th. Jacobsen., Tell Asmar, p48.

(3) H. Frankfort and Th. Jacobsen.,Progress of the Work of the oriental Institute In Iraq (1934-1935)، Chicago, 1936, p78

(٤) جيدانوم هو ابن ايبق ادد الثاني للمزيد ينظر:

Simmons., S.D., Early old Babylonian Tablets from Harmal and Elswhere, JCS,Vol. 13, 1959,p75-86.

(1) Clements, D.R., Political Changes and Cultural Continuity in the Palace of Rulers At Eshnunna from the UR III, Vo1, Chicago, 2001,pp.545-548.

(2) Frayne, D., Old Babylonian Period, p544.

(3) Ibid, p545.

(4) Ibid, p545.
([1]) Frayne, D.,Old Babylonian Period,p547.
([2]) Ibid,p547.
)[51](Ibid,p546.
(1) H. Frankfort and Others., The Gimilsin Temple the place of the Rulers at Tell Asmar,OIPK,VOI. 43,Chicago ,p 138.
(2) H. Frankfort and Th. Jacobsen.,Progress of the Work,p77-78.
(3) Frayne, D., Op. Cit.p546.
(4) Ibid,p546.

(١) السعدي، اياد كاظم، المصدر السابق، ص٣١٤.

(٢) العهد السلوقي: يُنسب إلى سلوقس، أحد القادة البارزين للإسكندر المقدوني، الذي تمكن من بسط سيطرته على بابل وآشور وسورية وإيران وأجزاء واسعة من آسيا الصغرى. وقد استمر حكمه نحو ٤٢ عامًا، خاض خلالها معارك طويلة مع قادة الإسكندر الآخرين (بطليموس، أنتيخونس) من أجل تثبيت نفوذه على إرث الإسكندر. ويُعد عام ٣١١ ق.م بداية العهد السلوقي في العراق القديم، للمزيد ينظر: باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، دار الوراق، بيروت، ٢٠٠٩، ص٦٥٥.

(٣) اوبنهايم، ليو، " بلاد مابين النهرين "، ترجمة: سعدي فيضي عبدالرزاق، بغداد، ١٩٨١، ص١٧٨.

(١) الآشوريون: يُعدّون من أبرز الشعوب العاربة التي استقرت في المناطق الشمالية الغربية من بلاد الرافدين. وقد عُرفوا بهذا الاسم نسبةً إلى عاصمتهم آشور (قلعة الشرقاط)، أو إلى إلههم القومي آشور. برز الآشوريون على الساحة السياسية في العراق القديم منذ مطلع الألفية الثانية قبل الميلاد، واستمر نفوذهم حتى سقوط عاصمتهم نينوى سنة ٦١٢ ق.م، وهو الحدث الذي أنهى العصر الآشوري الحديث (٩١١–٦١٢ ق.م). ويُنظر إلى هذه المرحلة بوصفها من أزهى عصور المملكة الآشورية، المزيد ينظر: ساكنز، هاري، قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، بغداد، ١٩٩٩، ص ٧.

(٢) ليمو (Līmu): هو مصطلح يشير إلى الموظف الذي كان يشرف على الوظائف الطقوسية الحكومية الدينية الرسمية وتعني الكلمة حرفياً "موظف الحولية" أو "المسؤول عن السنة" وقد ارتبط نظام التأريخ بهذا المنصب بشكل خاص بمنطقة بلاد آشور حيث كانت تُسَمَّى كل سنة من سنوات حكم الملك باسم أحد كبار موظفي الدولة الذي يتولى مهمة الإشراف على الاحتفالات الدينية بشكل دوري للمزيد ينظر: العبادي، معاذ حبش خضر، الحوليات الملكية في العصر الآشوري الحديث دراسة تحليلية، ط١، ٢٠٢٢، ص ٢١.

(3) Malcolm, J.A., The Year- Names of the First Dynasty of Babylon, Vol.1, Mc Master University Press, 1999,p52.

(٤) إسماعيل، خالد سالم، نصوص مسمارية غير منشورة من العصر البابلي القديم – منطقة ديالى- تلول خطاب، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص ٥٣.

(٥) سلمان، حسين احمد، "كتابة التاريخ القديم في وادي الرافدين في ضوء النصوص المسمارية "، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٦، ص٢٤٨-٢٤٩.

(١) الشمري، مهند خلف جمين، نصوص مسمارية غير منشورة من العصر البابلي القديم – مدينة ايسن، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة الموصل، ٢٠١٣، ص٣٥.

(٢) عبدالواحد، حسنين حيدر، المصدر السابق، ص١٤٢.

(٣) عبدالواحد، حسنين حيدر، المصدر نفسه، ص١٤٤.

(٤) السعدي، اياد كاظم، المصدر السابق، ص٢٧٥.

(1) Mustafa, A.K.A.J., The Old Babylonian Tablets from meturan (Tel AL-Sib and Tell Hadad) Unpublished ph.D. Thesis, University of Glasgow ,1983,p33,No:53.

(2) Sigrist. M., Peter. D., Mesopotamian Years Names, Berlin,2001, p131. No:ia

(3) Yuhong,W.U.، Op. Cit، p 76, No:e.

) [71](Sigrist. M., Peter. D., Op. Cit، p131, No:ib

)[72](Ibid ، p 131.No: j

)[73](Mustafa, A.K.A.J., Op. Cit ,p31,No:40.

)[74](Sigrist. M., Peter. D., Mesopotamian Years, p131, No.fb.

)[75](Ibid ، p 131.No: fb.

(2) Sigrist. M., Peter. D., Mesopotamian Years P. 131.No: ea.

(3) Mustafa, A.K.A.J. Op.Cit, P.34, No:54.

(4) Yuhong,W.U., Op. Cit، P. 76, No:9.

(1) Ibid, P.76, No:10.

(٢) منشد، مطلك منشد، نصوص مسمارية غير منشورة من العهد البابلي القديم- تل حرمل، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص٤١.

(١) حميد، احمد مجيد، المصدر السابق، ص٤٥.

(٢) يابليا: تقع على الضفة الشرقية لنهر الفرات جنوب مملكة ماري، وأدعى كل من الملكين حمورابي وزمري-ليم سيطرتهما على المدينة. للمزيد ينظر:- الصالحي، صالح رشيد، " بلاد الرافدين "، دراسة تاريخ وحضارة العراق القديم، ج١، بغداد، ٢٠١٧، ص٣٤٦.

الموقف الألماني من الحرب الروسية الأوكرانية ٢٠١٤–٢٠٢٣: دراسة تحليلية

The German Position on the Russian–Ukrainian War (2014–2023):An Analytical Study

م.م هاجر طالب كاظم

Hager Taleb khathem

hajeer.taleb1205a@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية /جامعة بغداد

الموقف الألماني من الحرب الروسية الأوكرانية ٢٠١٤–٢٠٢٣: دراسة تحليلية

م.م هاجر طالب كاظم

الملخص

يتناول هذا البحث موقف ألمانيا من الحرب الروسية الأوكرانية، مع التركيز على الفترة من ٢٠١٤ إلى ٢٠٢٣، التي شهدت تغييرات جذرية في سياسات برلين الخارجية تجاه كل من موسكو وكييف. يبدأ البحث بسرد خلفية العلاقات الألمانية–الروسية التي تميزت بالتداخل الاقتصادي والسياسي، خاصة في مجال الطاقة. ثم يتناول رد فعل ألمانيا على ضم روسيا لشبه جزيرة القرم عام ٢٠١٤، والموقف الدبلوماسي الألماني في محاولة تسوية النزاع عبر اتفاقيتي مينسك الاولى لعام ٢٠١٤ والثانية لعام ٢٠١٥ ، يتابع البحث التحولات التي طرأت على السياسة الألمانية عقب الغزو الروسي الواسع لأوكرانيا عام ٢٠٢٢، مع التركيز على دعمها العسكري المباشر لأوكرانيا وزيادة ميزانيات الدفاع. كما يستعرض البحث الانقسامات السياسية داخل ألمانيا بشأن دعم أوكرانيا، والأثر الاقتصادي الكبير الذي خلفته الحرب، لاسيما في قطاع الطاقة والاقتصاد الوطني، فضلا عن التأثيرات على العلاقات الثنائية بين ألمانيا وروسيا في ظل العقوبات والتوترات المستمرة.

الكلمات المفتاحية: ضمّ شبه جزيرة القرم، اتفاقيات مينسك، التحول الاستراتيجي ، أمن الطاقة الألماني، الدعم العسكري لأوكرانيا، العقوبات على روسيا

Abstract:

This research explores Germany's position on the Russian-Ukrainian war, focusing on the period from 2014 to 2023. This decade saw a complete change in Berlin's foreign policy toward both Moscow and Kyiv. The study begins by looking at the history of German-Russian relations, which were based on strong economic and political ties, especially in the energy sector. It then examines Germany's reaction to Russia’s annexation of Crimea in 2014 and Germany’s diplomatic efforts to solve the conflict through the first and second Minsk agreements (2014 and 2015). The research follows the major

shifts in German policy after the full Russian invasion of Ukraine in 2022, focusing on Germany's direct military support for Ukraine and its decision to increase defense spending. Finally, the study reviews the political disagreements within Germany regarding this support, the heavy economic impact of the war—especially on energy and the national economy—and the future of German-Russian relations under ongoing sanctions and tensions.

Keywords: Annexation of Crimea, Minsk Agreements, Strategic Shift, German Energy Security, Military Support for Ukraine, Sanctions on Russia.

المقدمة

شكلت الحرب الروسية _الأوكرانية، التي بدأت شرارتها عام ٢٠١٤ وتمددت إلى نزاع واسع النطاق مع الغزو الروسي في شباط ٢٠٢٢، نقطة تحول كبرى في النظام الدولي وأمن أوروبا. بالنسبة لألمانيا، بوصفها أكبر اقتصاد في الاتحاد الأوروبي وأحد أهم الفاعلين السياسيين، مثلت هذه الحرب تحديًا استراتيجيًا معقدًا، إذ جاءت لتختبر توازنات علاقاتها مع روسيا، أكبر مورد للطاقة لها، وبين التزاماتها الأمنية تجاه حلف شمال الأطلسي الناتو(NATO) ودعم سيادة أوكرانيا.و تتميز المواقف الألمانية خلال هذه المدة بتقلبات واضحة، اذ انتقلت من محاولة اداء دور الوسيط الدبلوماسي عبر دعم اتفاقيتي مينسك، إلى اعتماد سياسات أكثر حزماً، تشمل دعم عسكري مباشر لأوكرانيا ورفع ميزانيات الدفاع، خاصة بعد تصاعد الأعمال العدائية الروسية وتهديداتها للأمن الأوروبي. يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة معمقة للموقف الألماني من الحرب الروسية الأوكرانية من ٢٠١٤ وحتى ٢٠٢٣، من خلال تحليل خمس محاور أساسية: تطور العلاقات الألمانية–الروسية قبل الأزمة، السياسة الأمنية والعسكرية الألمانية، المواقف السياسية الداخلية، التداعيات الاقتصادية، وأخيرًا تقييم العلاقات الثنائية في ظل استمرار النزاع. وتعتمد الدراسة على مصادر موثوقة متنوعة، منها كتب أكاديمية، أبحاث ميدانية، وثائق حكومية، وتقارير دولية، لتوفير رؤية شاملة وموثقة.

المبحث الاول: الخلفية التاريخية للعلاقات الألمانية–الروسية

أولاً: مرحلة الحرب الباردة والانقسام الألماني وانعكاساته على العلاقات مع موسكو

أعيد رسم الخريطة السياسية لأوروبا بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ، إذ قُسمت البلاد إلى أربع مناطق احتلال بين دول الحلفاء المنتصرة: الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، فرنسا، والاتحاد السوفيتي، وكان هذا التقسيم مؤقتًا من الناحية الإدارية، إلا أنه سرعان ما تطوّر إلى انقسامٍ سياسي وأيديولوجي دائم مع تصاعد التوتر بين المعسكرين الغربي الرأسمالي والشرقي الاشتراكي (Abd Al–Rahman, 2018, p. 45) وبحلول عام ١٩٤٩، نشأت دولتان ألمانيتان منفصلتان: جمهورية ألمانيا الاتحادية (Federal Republic of Germany) المعروفة بألمانيا الغربية تحت النفوذ الغربي، وجمهورية ألمانيا الديمقراطية (German Democratic Republic) المعروفة بألمانيا الشرقية تحت السيطرة السوفيتية، وفي هذا السياق، انضمت ألمانيا الغربية لاحقًا إلى حلف شمال الأطلسي وتبنّت نظامًا ديمقراطيًا برلمانيًا واقتصادًا سوقيًا حرًّا (Free Market Economy) (Dube, 2020, p. 102)، بينما في حين ، أصبحت ألمانيا الشرقية جزءًا من الكتلة الشرقية (Eastern Bloc) ، و خضعت لسيطرةٍ سياسية مركزية ونظامٍ اشتراكي شمولي قاده الحزب الاشتراكي الموحّد (Socialist Unity Party) تحت إشراف موسكو، وعليه، فقد رسّخ هذا الانقسام خطوط المواجهة الأيديولوجية بين الشرق والغرب في حقبة الحرب الباردة (Cold War) وكانت مدينة برلين مركزًا رمزيًا للتوتر، لا سيما بعد بناء جدار برلين عام ١٩٦١ الذي فصل المدينة ماديًا وأيديولوجيًا لقرابة ثلاثة عقود(Die Zeit, 2022)، ومع مرور الوقت، أصبح هذا الجدار تجسيدًا ماديًا للانقسام العالمي بين النظامين السياسيين المتنافسين، و من جهة أخرى، تميّزت العلاقات بين ألمانيا الغربية والاتحاد السوفيتي بالبرود وعدم الثقة المتبادلة طوال خمسينيات وستينيات القرن العشرين، ومع ذلك، بدأت بعض المحاولات الدبلوماسية بالظهور لتحسين الاتصالات بين الجانبين، خاصة في عهد المستشار الألماني فيلي برانت (Willy Brandt) الذي تبنّى سياسة أوستبوليتك (Ostpolitik) أي سياسة الانفتاح على الشرق، و التي هدفت تخفيف حدة الصراع الأيديولوجي عبر التعاون التدريجي (Bundesministerium für Wirtschaft und

(Klimaschutz, 2023). وفي هذا الإطار، جاء اتفاق هلسنكي (Helsinki Accords) لعام ١٩٧٥ كأحد أبرز محاولات التقارب، إذ دعا إلى احترام الحدود الأوروبية وتعزيز الأمن الإقليمي وحقوق الإنسان، غير أن هذه الجهود، على الرغم من رمزيتها، بقيت محدودة الأثر بسبب تشدد النظام السوفيتي واستمرار القمع السياسي في ألمانيا الشرقية، مما ساهم في اتساع الفجوة الاقتصادية والسياسية بين الكتلتين(Kaplan, 2015, p. 33) . وبناءً على ذلك، لم يكن مفاجئًا أن تتصاعد الاضطرابات الشعبية في ألمانيا الشرقية أواخر الثمانينيات نتيجةً للركود الاقتصادي وغياب الحريات، وهو ما أدى في النهاية إلى انهيار النظام الشيوعي عام ١٩٨٩، في واحدة من أبرز لحظات التحوّل السياسي في أوروبا الحديثة، ولاحقًا، شكّل سقوط جدار برلين في تشرين الثاني لعام ١٩٨٩ نقطة تحوّلٍ تاريخية في مسار أوروبا المعاصرة، إذ فتح الطريق أمام توحيد ألمانيا عام ١٩٩٠ وإعادة بناء مكانتها كقوةٍ أوروبية مركزية(Kriesberg, 2023). غير أن هذا التوحيد، في الوقت ذاته، أوجد تحدياتٍ جديدة في السياسة الخارجية الألمانية، خصوصًا في ما يتعلّق بعلاقتها مع روسيا التي ورثت إرث الاتحاد السوفيتي بعد تفككه عام ١٩٩١، وفي تلك المرحلة، مرت روسيا بمرحلةٍ انتقالية صعبة تحت قيادة بوريس يلتسين (Boris Yeltsin)، إذ بدأت في التحول من النظام الشيوعي إلى اقتصاد السوق (Market Economy) وسط اضطراباتٍ اقتصادية واجتماعية حادة(DW Arabic, 2015). وقد رأت ألمانيا في هذا التحول فرصةً لبناء شراكة استراتيجية مع روسيا الجديدة، إيمانًا منها بأن التعاون الاقتصادي والسياسي من شأنه الإسهام في دعم الاستقرار الأوروبي وتعزيز الأمن الجماعي، وخلال عقد التسعينيات من القرن العشرين ، وُقّعت عدة اتفاقيات تعاون اقتصادي وتكنولوجي بين الدولتين ، وبدأت الشركات الألمانية في الاستثمار في قطاعاتٍ روسية متعددة مثل الطاقة والصناعة الثقيلة والبنية التحتية ، وفي المقابل، أصبحت روسيا المورّد الأساسي للغاز الطبيعي والنفط إلى ألمانيا، مما أسس لمرحلةٍ جديدة من الاعتماد المتبادل التي تبنّتها السياسة الألمانية كوسيلةٍ لضمان السلام والاستقرار في أوروبا ما بعد الحرب الباردة(Nasser, 2022)

ثانيا: الاعتماد الاقتصادي المتبادل وأمن الطاقة في العلاقات الألمانية–الروسية

عدت الطاقة الروسية، ولا سيما الغاز الطبيعي من أهم الركائز للعلاقات الاقتصادية بين ألمانيا وروسيا في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، وأصبحت ألمانيا معتمدة بشكلٍ كبير على واردات الغاز الروسي، نظرًا لأن روسيا تمتلك أحد أكبر احتياطيات الغاز في العالم، وعدت شركة غازبروم (Gazprom) لاعبًا استراتيجيًا رئيسيًا في تصدير الغاز إلى أوروبا عبر خطوط أنابيب متعددة أبرزها نورد ستريم ١ (Nord Stream 1) ونورد ستريم ٢ (Nord Stream 2)، الذي أثار جدلاً واسعًا داخل الاتحاد الأوروبي(Federal Government of Germany, 2023). وفي هذا السياق، اوجد هذا الاعتماد المتبادل حالةً من التداخل بين المصالح الاقتصادية والسياسية اذ خشيت برلين أن تستخدم موسكو ملف الطاقة كورقة ضغطٍ سياسية في أوقات التوتر، في حين ظل الغاز الروسي يمثل مصدرًا اقتصاديًا موثوقًا لتلبية احتياجات الصناعة والطاقة الألمانية. ومع مرور الوقت، بدأت بعض الدول الأوروبية، مثل بولندا ودول البلطيق، تُعبّر عن مخاوفها من هذا الاعتماد المفرط على روسيا، معتبرةً أن ذلك يُضعف الموقف الأوروبي الموحد أمام السياسة الروسية ويجعل الاتحاد الأوروبي عرضةً لابتزازٍ طاقي محتمل(Voltaire, 2023,p.41) ومع دخول الألفية الجديدة رسخت روسيا نفوذها الإقليمي من خلال سياساتٍ خارجية أكثر حزمًا، خاصة بعد إعادة انتخاب فلاديمير بوتين (Vladimir Putin) رئيسًا للبلاد. فقد شكّلت حرب جورجيا عام ٢٠٠٨ نقطة تحوّلٍ في السياسة الروسية، إذ تدخلت موسكو عسكريًا في النزاع بهدف حماية المناطق الانفصالية الموالية لها، في إشارةٍ واضحة إلى رغبتها في استعادة موقعها كقوةٍ إقليمية فاعلة(Statista Research Department, 2021)

وبناءً على ذلك، وجدت ألمانيا نفسها في مأزقٍ سياسي ودبلوماسي إذ دعمت من حيث المبدأ الموقف الغربي المؤيد لجورجيا ورفض التدخل العسكري الروسي، لكنها في الوقت ذاته سعت للحفاظ على علاقاتٍ متوازنة مع موسكو خشية تأزيم الأوضاع وتأثير ذلك على المصالح الاقتصادية المشتركة. ومن ثمّ، حاولت برلين لعب دور الوسيط بين المعسكرين، إلا أنها واجهت تحدياتٍ كبيرة في تحقيق توازنٍ بين اعتبارات الأمن الجماعي الأوروبي والمصالح الاقتصادية الثنائية مع روسيا (German Council on Foreign Relations

2023) و بالتوازي مع ذلك، تصاعد التوتر في السنوات اللاحقة مع توسع حلف شمال الأطلسي نحو أوروبا الشرقية، وهو ما اعتبرته موسكو تهديدًا مباشرًا لأمنها القومي، و قد جعل هذا المناخ الأمني المتوتر ألمانيا في موقعٍ معقد بين التزاماتها الأطلسية وسعيها الدائم للحفاظ على قنوات الحوار مع روسيا، خصوصًا في ظل تنامي الحاجة الأوروبية للطاقة الروسية(European Council, 2014)

ثم جاءت الأزمة الأوكرانية عام ٢٠١٤ لتكشف هشاشة هذا التوازن، ففي شباط من العام ذاته، اندلعت احتجاجات شعبية واسعة في أوكرانيا أدت إلى الإطاحة بالرئيس الموالي لموسكو فيكتور يانوكوفيتش (Viktor Yanukovych). واستغلت روسيا حالة الفوضى لتعلن ضم شبه جزيرة القرم (Crimean Peninsula) في مارس ٢٠١٤، الامر الذي عد انتهاكًا صارخًا للقانون الدولي وأثار صدمةً سياسية في أوروبا(Shore, 2020, p. 88). وفي هذا الإطار، تبنّت ألمانيا موقفًا حازمًا ضد التصرف الروسي، وأعلنت دعمها الكامل لسيادة أوكرانيا ووحدة أراضيها، وشاركت إلى جانب الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة في فرض عقوبات اقتصادية ومالية واسعة على روسيا شملت قطاعات الطاقة والمصارف والتسليح. وقد أثّرت تلك العقوبات سلبًا على الاقتصاد الروسي، لكنها في المقابل أدت إلى توترٍ حادٍ في العلاقات الألمانية–الروسية وأثارت نقاشًا داخليًا حول مدى قدرة برلين على الحفاظ على مواقفها السياسية الصارمة في ظل اعتمادها المستمر على الغاز الروسي(Raik et al.2023) وقد شكّل ضم القرم نقطة تحوّلٍ جذرية في السياسة الخارجية الألمانية ، إذ بدأت برلين تميل إلى مواقف أكثر صرامة تجاه موسكو، وتدعو إلى تنويع مصادر الطاقة الأوروبية كخيارٍ استراتيجي لتقليل التبعية. ومع ذلك، بقيت الحكومة الألمانية حريصة على تجنّب المواجهة المباشرة مع روسيا، إدراكًا منها لخطورة تفكك قنوات التواصل في ظل التحديات الأمنية المتزايدة(Detacher Bundestag, 2022) في الوقت نفسه، أدت الأزمة الأوكرانية إلى انقسامٍ سياسي واضح داخل ألمانيا. فقد دعم حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي (CDU) الذي قاد الحكومة آنذاك موقفًا حازمًا ضد روسيا، مطالبًا بفرض العقوبات وتشديد الدعم الأوروبي لأوكرانيا، في المقابل، تبنّت أحزاب أخرى من التيار اليساري والبيئي مواقف أكثر حذرًا، داعيةً إلى اعتماد الحوار والدبلوماسية لتجنّب التصعيد(Salah, 2021,

p. 54). ولم يقتصر هذا الانقسام على الساحة السياسية فحسب، بل امتد إلى الرأي العام الألماني، اذ أبدى جزءٌ كبير من المواطنين قلقهم من تداعيات النزاع على الاقتصاد المحلي وأمن الطاقة. وبناءً على ذلك، وجدت الحكومة الألمانية نفسها أمام معادلةٍ دقيقة حاولت من خلالها الموازنة بين الالتزامات الأوروبية والأطلسية من جهة، وحماية مصالحها الاقتصادية مع روسيا من جهةٍ أخرى. وقد انعكس هذا التوازن في سياساتها التي اتسمت بالتدرج والبراغماتية، إذ تجنّبت الانخراط في مواقفٍ متطرفة أو قراراتٍ تؤدي إلى صدامٍ مباشر مع موسكو، محافظةً بذلك على مساحةٍ محدودة من الحوار السياسي رغم تصاعد الضغوط الدولية(Kiel Institute for the World Economy, 2023)

في محاولةٍ لإنهاء النزاع المسلح في شرق أوكرانيا بين القوات الحكومية والانفصاليين المدعومين من روسيا، رعت ألمانيا بالتعاون مع فرنسا عملية تفاوضٍ دبلوماسية أفضت إلى توقيع اتفاقيتي مينسك الأولى (Minsk I – 2014) ومينسك الثانية (Minsk II – 2015). وقد تضمنت هذه الاتفاقيات بنودًا واضحة لوقف إطلاق النار، وانسحاب الأسلحة الثقيلة من خطوط التماس، وبدء حوارٍ سياسي شامل بين الأطراف المتنازعة برعاية منظمة الأمن والتعاون في أوروبا (OSCE) ، و في هذا الإطار، ادت ألمانيا دور الوسيط الحاسم في المفاوضات، مستندةً إلى مكانتها كقوةٍ أوروبية رائدة وعضوٍ مؤثر في الاتحاد الأوروبي، ساعيةً إلى الحفاظ على السلام والاستقرار الإقليمي عبر الدبلوماسية المتعددة الأطراف ومع ذلك، شهدت المنطقة خروقاتٍ متكررة لبنود الاتفاقين، واستمر القتال بشكلٍ متقطع، مما كشف عن محدودية الحلول السياسية في مواجهة المصالح الجيوسياسية المتعارضة بين موسكو وكييف، ونتيجةً لذلك، بدأت ألمانيا في مراجعة سياستها تدريجيًا ورفع مستوى دعمها السياسي والاقتصادي لأوكرانيا في السنوات اللاحقة، مع الاستمرار في تجنّب المواجهة المباشرة مع روسيا(Hummel, 2022,p:156)

وفي الوقت ذاته، تزامنت الأزمة الأوكرانية مع تحولاتٍ دوليةٍ واسعة النطاق، من أبرزها وصول إدارة جديدة في الولايات المتحدة وتصاعد النفوذ الاقتصادي والسياسي للصين واندلاع أزماتٍ متتالية في الشرق الأوسط، خصوصًا في سوريا وليبيا(Liana, 2019,p.40). و زادت هذه التطورات المتشابكة من تعقيد توازنات القوى وجعلت برلين

أمام ضغوطٍ متزايدة لتحمل دورٍ أوسع في إدارة الأمن الأوروبي وتعزيز التماسك الغربي في مواجهة التحديات الروسية، وبناءً على ذلك، اتجهت ألمانيا إلى إعادة تقييم سياستها الطاقية التي طالما اعتمدت على الغاز الروسي(New Climate Institute, 2022,p:299). فتبنّت خطة وطنية لتنويع مصادر الطاقة عبر زيادة الاستثمارات في الطاقة المتجددة وتطوير البنية التحتية لاستيراد الغاز المسال (LNG)، وإنشاء شراكاتٍ جديدة مع دولٍ منتجة للطاقة خارج الإطار الروسي. ومع مرور الوقت، أصبحت هذه التوجهات تمثل ركيزةً أساسية في السياسة الوطنية للطاقة الألمانية بما يحقق الاستقلال النسبي عن روسيا دون الإضرار بمصالح الصناعة الألمانية(Voltaire, 2023, p. 60)

من ناحيةٍ أخرى، ظلت السياسة الألمانية تجاه الحرب الروسية–الأوكرانية محكومةً بمعادلةٍ دقيقة بين المصالح الاقتصادية والاعتبارات الأخلاقية والسياسية، فألمانيا، بوصفها القوة الاقتصادية الأولى في أوروبا، اعتمدت بدرجةٍ كبيرة على مصادر طاقةٍ مستقرة لضمان استمرارية نموها الصناعي وتفادي الأزمات الإنتاجية، لكنها في الوقت نفسه تحملت التزاماتٍ دولية وقيمية دفعتها إلى دعم سيادة الدول واحترام القانون الدولي(Der Spiegel, 2023,p:14). وهكذا، وجدت برلين نفسها أمام تحدي التوازن بين المبادئ والمصالح وهو ما انعكس بوضوح في ترددها أحيانًا بين اتخاذ مواقفٍ حازمة ضد موسكو وبين انتهاج سياسةٍ أكثر براغماتية تراعي الواقع الاقتصادي والسياسي الأوروبي، و هذا التذبذب النسبي لا يعكس ضعف الموقف الألماني بقدر ما جسد طبيعة السياسة الدولية المعاصرة التي قامت على التكيّف المستمر مع المتغيرات، وتجنب الاصطفاف الصارم في بيئةٍ جيوسياسيةٍ متقلبة. وبذلك، يمكن القول إن الموقف الألماني من الحرب الأوكرانية يجسد تطورًا في فلسفة السياسة الخارجية الألمانية التي باتت تجمع بين البراغماتية والمسؤولية الأخلاقية، في سعيها للحفاظ على التوازن بين الأمن الأوروبي واستقرار اقتصادها الوطني(Spiegel Online, 2022)

المبحث الثاني : الموقف الألماني من الحرب الروسية الأوكرانية ٢٠١٤–٢٠٢٣: تحليل سياسي واستراتيجي

اولا: الموقف الألماني من أزمة أوكرانيا وضمّ شبه جزيرة القرم (٢٠١٤–٢٠٢١)

شهدت أوكرانيا في أواخر عام ٢٠١٣ وبداية عام ٢٠١٤ موجة احتجاجات عُرفت بـ ثورة الميدان (Euromaidan Revolution)، اعتراضًا على قرار الحكومة تعليق اتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي (EU) لصالح التقارب مع موسكو(DW Arabic, 2022)، و أدت هذه الاحتجاجات إلى الإطاحة بالرئيس فيكتور يانوكوفيتش (Viktor Yanukovych)، واستغلت روسيا حالة الفوضى لتُعلن في مارس ٢٠١٤ ضمّ شبه جزيرة القرم (Annexation of Crimea)، في خطوةٍ أثارت قلقًا أوروبيًا واسعًا بشأن الأمن الإقليمي. و فيما تعلق بألمانيا، مثلت الأزمة تحديًا مركبًا جمع بين الالتزامات الأخلاقية والسياسية والاقتصادية، إذ أدانت برلين الضم الروسي بوصفه انتهاكًا للقانون الدولي، لكنها كانت تدرك أيضًا اعتمادها الكبير على الغاز الروسي ما جعل موقفها بين الدفاع عن المبادئ الأوروبية وحماية مصالحها الحيوي، و ردت ألمانيا بالانضمام إلى العقوبات الأوروبية التدريجية ضد موسكو، التي شملت قطاعات الطاقة والتمويل والتكنولوجيا العسكرية، مع الحرص على تقليل تأثيرها على الاقتصاد الأوروبي. في الوقت نفسه، شاركت برلين مع باريس في الوساطة الدبلوماسية التي أفضت إلى اتفاقيتي مينسك الأولى (٢٠١٤) والثانية (٢٠١٥)، واللتين نصّتا على وقف إطلاق النار وانسحاب القوات الثقيلة. غير أن تكرار الخروقات الميدانية أضعف فعاليتهما وأظهر محدودية الحلول السياسية أمام المصالح المتعارضة(Süddeutsche Zeitung, 2023)

على الصعيد الداخلي، كشفت الأزمة عن انقسامات سياسية ألمانية بين التيارات المحافظة التي طالبت بموقفٍ حازم ضد روسيا، وأحزاب اليسار والخضر التي دعت للحوار والمرونة. كما قيّد الاعتماد الكبير على الطاقة الروسية حرية برلين في التحرك، إذ مثّلت الواردات الروسية نحو ٤٠% من استهلاك الطاقة، ما جعلها تسعى تدريجيًا لتنويع المصادر عبر الطاقة المتجددة والغاز المسال(Bundesregierung & Kingdom of the Netherlands, 2023) ، و مع اندلاع الحرب الروسية الشاملة على أوكرانيا، أعلنت

ألمانيا تحولًا استراتيجيًا غير مسبوق، فرفعت ميزانية الدفاع إلى أكثر من ٢% من الناتج المحلي، وبدأت بتزويد أوكرانيا بأسلحة متطورة، منهيةً بذلك عقودًا من الحياد العسكري النسبي (Military Restraint). غير أن هذا التحول ترافق مع ارتفاع أسعار الطاقة والتضخم وتراجع مستويات المعيشة، مما جعل برلين تواجه تحديًا مزدوجًا بين دعم أوكرانيا والحفاظ على الاستقرار الاقتصادي الداخلي(Clean Energy Wire, 2023). وفي ضوء هذه التطورات، تدهورت العلاقات الألمانية–الروسية بشكلٍ حاد، وتوقفت مشاريع التعاون الكبرى مثل نورد ستريم ٢ في حين عززت ألمانيا علاقاتها داخل الاتحاد الأوروبي (EU) وحلف الناتو وسعت لتوحيد القدرات الدفاعية الأوروبية وتنويع شركائها الطاقويين. وهكذا، انتقلت السياسة الألمانية من نموذج "**الاستقرار عبر التجارة**" إلى نهجٍ واقعي جديد قائم على الاستقلال الطاقوي والدعم النشط لأمن أوروبا(Bruegel Institute, 2023)

ثانيا:الانقسام السياسي وأزمة الثقة في ظل الضغوط الاقتصادية للحرب الروسية–الأوكرانية

أثّرت الحرب الروسية–الأوكرانية بشكلٍ عميق على المشهد السياسي الداخلي في ألمانيا، حيث برزت انقساماتٌ واضحة بين الأحزاب حول كيفية التعامل مع الأزمة. فقد تبنّى كلٌّ من الحزب المسيحي الديمقراطي (CDU) والحزب الاشتراكي الديمقراطي (SPD) موقفًا متقاربًا يدعم التوجّه الحكومي نحو اتخاذ إجراءاتٍ صارمة ضد روسيا، شملت فرض عقوبات اقتصادية (Economic Sanctions) وتقديم دعمٍ مالي وعسكري لأوكرانيا(European Council on Foreign Relations 2024) وقد اعتُبر هذا الموقف تعبيرًا عن التزام ألمانيا بالمبادئ الديمقراطية وحقوق سيادة الدول، في انسجامٍ مع توجهات الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي. و في المقابل، أبدى حزب الخضر (The Greens) وحزب اليسار (The Left) مخاوف متزايدة من تصعيد الصراع وضرورة اتباع الحلول الدبلوماسية مشددين على أهمية الحياد وتقليل الاعتماد على العسكرة، معتبرين أن التصعيد العسكري قد يفاقم الأضرار الاقتصادية والاجتماعية داخل ألمانيا(Bundesministerium der Finanzen, 2022). وقد أدّت هذه التباينات إلى نقاشاتٍ حادة داخل البرلمان، وأثارت تساؤلاتٍ حول فعالية الأداء الحكومي في إدارة الأزمة. كما انعكس هذا الجدل على ثقة الرأي العام بالحكومة، إذ أبدت قطاعات واسعة من المواطنين قلقها من تباطؤ اتخاذ القرار وتردّد

الموقف الخارجي الألماني في بعض المراحل، مما ساهم في تعقيد صورة ألمانيا على الساحة الدولية(Der Spiegel, 2022,)

شكّلت أزمة الطاقة من الناحية الاقتصادية، أبرز تداعيات الحرب على ألمانيا. فبعد تقليص روسيا لإمدادات الغاز الطبيعي، واجهت البلاد نقصًا في العرض وارتفاعًا غير مسبوق في الأسعار، مما انعكس مباشرة على فواتير الكهرباء والوقود للمستهلكين والصناعات(Frankfurter Allgemeine Zeitung, 2023)، و في بعض المناطق، ارتفعت تكلفة الغاز المنزلي بأكثر من ٢٠٠%، ما أثار قلقًا واسعًا، خاصة بين ذوي الدخل المحدود. كما أدّى ارتفاع أسعار الطاقة إلى زيادة تكاليف الإنتاج الصناعي، ففقدت السلع الألمانية جزءًا من تنافسيتها في الأسواق العالمية، بينما تأثرت الشركات الصغيرة والمتوسطة التي اعتمدت على الطاقة بأسعارٍ مستقرة ، وبالإضافة إلى ذلك، أسهم ارتفاع أسعار المواد الخام والنقل في زيادة معدلات التضخم (Inflation Rates) إلى مستوياتٍ لم تشهدها البلاد منذ عقود، ما اضطر البنك المركزي الأوروبي إلى رفع أسعار الفائدة بشكلٍ متسارع في محاولةٍ للحد من التضخم، وهو ما أثّر بدوره على النمو الاقتصادي العام(Die Zeit, 2022)

واجهت ألمانيا في قطاع الصناعة والتصدير تحديات كبيرة نظرًا لاعتماد اقتصادها على الأسواق الخارجية خاصة في قطاعات السيارات، والآلات، والصناعات الكيميائية. فقد أدت الحرب إلى اضطراب سلاسل التوريد العالمية (Global Supply Chains)، خصوصًا في ما يتعلق بالمعادن والمواد الخام المستوردة من روسيا وأوكرانيا، مثل النيكل والبلاديوم. وقد تسبب نقص النيكل في تباطؤ إنتاج السيارات الكهربائية نظرًا لاستخدامه في صناعة البطاريات، مما أجبر الشركات الألمانية على إعادة هيكلة سلاسل التوريد والبحث عن مصادر بديلة. كما زادت تكاليف الطاقة من أعباء المصانع، فاضطرت بعض الشركات إلى تخفيض الإنتاج أو الإغلاق المؤقت (Production Suspension)، لا سيما في الصناعات كثيفة الاستهلاك للطاقة(German Council on Foreign Relations , 2023)

استجابةً لذلك، أعلنت الحكومة الألمانية حزم دعم اقتصادية للمؤسسات المتضررة، تضمنت إعفاءاتٍ ضريبية مؤقتة ومساعداتٍ مالية مباشرة، إلى جانب تشجيع التحول نحو الطاقات النظيفة (Renewable Energy Transition). ومع ذلك، بقيت هذه الإجراءات قصيرة المدى، نظرًا لعمق التحديات البنيوية في قطاع الطاقة والتمويل، ما جعل الحلول المؤقتة غير كافية لتحقيق استقرارٍ طويل الأمد(Schneider, 2024). أما على مستوى سوق العمل الألماني ، فقد كانت التأثيرات مزدوجة. فمن جهة، تراجع النشاط الصناعي أدى إلى ارتفاعٍ نسبي في معدلات البطالة ببعض القطاعات التصديرية، ومن جهةٍ أخرى، استقبلت ألمانيا موجاتٍ كبيرة من اللاجئين الأوكرانيين مما أوجد ضغطًا إضافيًا على سوق العمل والخدمات العامة، لكنه ساهم أيضًا في تعويض النقص المزمن في اليد العاملة، خاصة في قطاعات الزراعة والخدمات والرعاية الصحية. وقد أطلقت الحكومة برامج تدريبٍ وتأهيل مهني لتسهيل اندماج اللاجئين في سوق العمل، مع التركيز على المجالات المستقبلية كالطاقة المتجددة والتكنولوجيا الرقمية(Vierhof, 2022, p. 57) إلى جانب ذلك، أدت الأعباء الاقتصادية والاجتماعية إلى تصاعد الضغط الشعبي على الحكومة، خاصة مع موجات الاحتجاجات التي اندلعت في عدة مدن بسبب ارتفاع أسعار الوقود والطاقة. وردًا على ذلك، أعلنت الحكومة عن سلسلة من إجراءات الدعم الاجتماعي تضمنت إعاناتٍ مالية مباشرة للأسر منخفضة الدخل، وتخفيضًا مؤقتًا للضرائب على الوقود، وتأجيل فواتير الطاقة، إضافة إلى دعمٍ موسّعٍ للمنظمات الخيرية لتخفيف آثار الأزمة على الفئات الهشّة. كما أطلقت حملاتٍ توعوية لترشيد استهلاك الطاقة وتشجيع الكفاءة في الاستخدام المنزلي والصناعي(German Institute for International and Security Affairs 2021)

وفي ظل استمرار الحرب، بدأت ألمانيا تدرك أن الأزمة لا يمكن مواجهتها بالحلول التقليدية، وأن عليها إجراء تحولٍ جذري في سياساتها الاقتصادية والأمنية فعلى الصعيد الاقتصادي، تسارعت مشاريع الطاقة المتجددة واستُثمرت مبالغ ضخمة في تطوير البنية التحتية لاستيراد الغاز الطبيعي المسال بهدف تقليل الاعتماد على روسيا. أما على الصعيد الأمني، فقد شهدت البلاد زيادةً غير مسبوقة في الإنفاق الدفاعي ودعمًا عسكريًا متصاعدًا لأوكرانيا، بالتوازي مع تعزيز التعاون مع حلف الناتو والاتحاد الأوروبي في مجالات الاستخبارات

والأمن السيبراني والتدريب العسكري. وقد شكّل هذا التحول كسرًا واضحًا للنهج الألماني التقليدي المتحفظ تجاه النفقات العسكرية والتدخلات الخارجية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية(Abdelkader, 2022, p. 90)

ومع تزايد تشابك الأزمات، وجدت ألمانيا نفسها أمام مرحلةٍ معقدة تتطلب إدارة متوازنة للأولويات. فقد أصبح التحدي الأكبر هو تحقيق التوازن بين دعم أوكرانيا واستقرار الداخل الألماني، مع الحفاظ على مسار التحول الاقتصادي نحو الاستدامة والابتعاد عن مصادر الطاقة التقليدية. ويتوقف نجاح هذه المرحلة على قدرة الحكومة في تنسيق السياسات الداخلية وبناء تحالفاتٍ دوليةٍ فعّالة تضمن استمرار الدعم السياسي والاقتصادي. ومن ثمّ، بات من الواضح أن ألمانيا تمرّ بتحولٍ بنيوي شامل في سياساتها الداخلية والخارجية، وأن استجابتها لتداعيات الحرب الروسية–الأوكرانية ستحدد ملامح دورها الإقليمي والدولي لعقودٍ مقبلة(Dube, 2020, p. 77)

المبحث الثالث : العلاقات الألمانية الأوكرانية خلال الأزمة ٢٠١٤–٢٠٢٣

اولا: السياق التاريخي للعلاقات الألمانية الأوكرانية

تعود بدايات العلاقات الرسمية بين ألمانيا وأوكرانيا إلى ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١، حين كانت برلين من أوائل العواصم الأوروبية التي اعترفت بسيادة أوكرانيا المستقلة، وسعت منذ ذلك الحين إلى دعم الاستقرار الديمقراطي في شرق أوروبا، خصوصًا في الدول التي كانت ضمن الكتلة الشرقية السابقة (Former Eastern Bloc). وعلى الرغم من البعد الجغرافي بين البلدين، فإن ألمانيا لعبت دورًا محوريًا في تعزيز التعاون الأوروبي مع كييف، وكانت من أبرز الداعمين لبرنامج الشراكة الشرقية (Eastern Partnership) التابع للاتحاد الأوروبي، الذي ضم أوكرانيا ضمن رؤيته الرامية إلى تقريب الدول السوفيتية السابقة من المعايير السياسية والاقتصادية الأوروبية دون منحها عضوية مباشرة(German Federal Foreign Office, 2023) و في هذا الإطار، عملت ألمانيا على توثيق علاقاتها مع أوكرانيا في مجالات متعددة شملت الاقتصاد، البيئة، التعليم، والبنية التحتية، مركزة على نقل الخبرات التقنية والإدارية. ومع ذلك، ظلّت برلين حذرة في تعاملها مع كييف، مراعيةً لعلاقاتها القوية بروسيا، لا سيما في مجال الطاقة الذي كان يشكّل أحد

ركائز الاقتصاد الألماني. غير أن الأزمة الأوكرانية عام ٢٠١٤ غيّرت هذا التوازن الدقيق، إذ أعادت ترتيب أولويات السياسة الخارجية الألمانية، وحوّلت أوكرانيا من دولة هامشية في حسابات برلين إلى شريك استراتيجي في صراعٍ جيوسياسي حادّ مع موسكو(Baerbock, 2022,p.189)

بعد ضمّ روسيا لشبه جزيرة القرم في مارس ٢٠١٤، أصدرت ألمانيا موقفًا حازمًا أدانت فيه الخطوة الروسية بشدة، واعتبرتها انتهاكًا صارخًا لسيادة أوكرانيا وخرقًا لميثاق الأمم المتحدة. وقد وصفت المستشارة أنجيلا ميركل (Angela Merkel) هذا الضم بأنه "**خرق فاضح للقانون الدولي**" (Bundesministerium der Verteidigung, 2016) مؤكدةً أن تغيير الحدود بالقوة أمر غير مقبول في أوروبا الحديثة. لم يكن هذا الموقف رمزيًا فحسب، بل تجسّد عمليًا في سياسات ألمانية نشطة داخل الاتحاد الأوروبي وخارجه، حيث دفعت برلين باتجاه فرض عقوبات اقتصادية صارمة على موسكو، وقدّمت دعمًا سياسيًا ودبلوماسيًا واقتصاديًا مستمرًا لكييف، لتصبح مسألة احترام وحدة الأراضي الأوكرانية أحد الثوابت الجوهرية في السياسة الألمانية تجاه كلٍّ من روسيا وأوكرانيا(European Union, 2023) وبالتوازي مع ذلك، رأت ألمانيا في أوكرانيا فرصةً لتعزيز قيم الديمقراطية في شرق أوروبا، معتبرةً أن نجاح كييف في التحول السياسي يمكن أن يشكّل نموذجًا يُحتذى به لدول الجوار. لذلك، أطلقت برلين بعد عام ٢٠١٤ سلسلة من برامج الدعم المؤسساتي (Institutional Support Programs) بالتعاون مع الاتحاد الأوروبي ومنظماتٍ دولية. وشملت هذه البرامج إصلاح القضاء، تطوير الإدارة المحلية، ومكافحة الفساد، وكان من أبرزها برنامج اللامركزية (Decentralization Program) الذي دعمته الوكالة الألمانية للتعاون الدولي (GIZ) (Andreas,2023,p.115)، إضافةً إلى دورات تدريبية للقضاة والمدعين العامين حول معايير العدالة والشفافية، ومشروعات دعم الحكومة الإلكترونية ومراقبة الانتخابات. وأسهمت هذه الجهود في تحسين مؤشرات الشفافية وفق تقارير منظمة الشفافية الدولية (Transparency International) على الرغم من استمرار التحديات المتمثلة في انتشار الفساد الإداري، وهيمنة أصحاب النفوذ المالي والسياسي (الأوليغارشية) على مفاصل الدولة في أوكرانيا ،(Organization for Security and Co-operation

in Europe [OSCE], 2015) بدأت ألمانيا على الصعيد الاقتصادي منذ عام ٢٠١٤ بتقديم دعمٍ مالي مباشر لأوكرانيا لمساعدتها على تجاوز الأزمة التي أعقبت الحرب وفقدانها لمنطقتي القرم ودونباس. وخصّصت برلين ما يزيد على ١,٨ مليار يورو عبر بنك التنمية الألماني (KfW) على شكل قروض ميسّرة ومشروعات بنية تحتية، شملت تحسين كفاءة الطاقة وتقليل الاعتماد على الغاز الروسي، إلى جانب تمويل المدارس والمستشفيات الميدانية في مناطق النزاع(Bingener & Wehner, 2023, p. 112). ومع اندلاع الحرب الروسية الشاملة عام ٢٠٢٢، ارتفع مستوى الدعم الألماني بصورةٍ غير مسبوقة، إذ خصّصت برلين أكثر من ٣,٥ مليار يورو للمساعدات الإنسانية، تضمنت الغذاء، الإيواء، الرعاية الطبية، والدعم النفسي للنازحين. وقد مثّل الغزو الروسي نقطة تحوّلٍ حاسمة في السياسة الدفاعية الألمانية، إذ تخلّت برلين عن مبدأها القديم القائم على "عدم إرسال أسلحة فتاكة" الذي كان جزءًا من إرث الحرب العالمية الثانية، وقررت تقديم دعمٍ عسكري مباشر لأوكرانيا(Lough, 2021, p. 47)

ورغم إخفاق اتفاقيات مينسك في تحقيق نتائجٍ دائمة، استمرت ألمانيا في لعب دور الوسيط السياسي إلى جانب فرنسا ضمن ما عُرف بـ صيغة نورماندي (Normandy Format). وبعد الغزو الروسي عام ٢٠٢٢، تكثّفت الاتصالات المباشرة بين برلين وكييف، وتم إنشاء آلية تواصل مستمرة بين المستشار الألماني أولاف شولتس (Olaf Scholz) والرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي (Volodymyr Zelenskyy). كما تبنّت ألمانيا مواقف داعمة لانضمام أوكرانيا إلى الاتحاد الأوروبي، وسعت إلى تهيئة المناخ السياسي داخل أوروبا لقبولها كمرشّح رسمي للعضوية رغم التحفظات التي أبدتها بعض الدول الأعضاء(Bröckers & Schreyer, 2014, p. 54). وفي الجانب الإنساني، استقبلت ألمانيا منذ بداية الحرب أكثر من مليون لاجئ أوكراني معظمهم من النساء والأطفال وكبار السن. وقد أُتيحت لهم إقامة قانونية دون الخضوع لإجراءات اللجوء التقليدية، مع تسهيلات في الحصول على التأمين الصحي والمساعدات المالية، وفرص التعليم والتدريب المهني، والانخراط في سوق العمل الألماني. وتميّزت الاستجابة المجتمعية هذه المرة بدرجة أعلى من الترحيب مقارنة بأزمة اللاجئين عام ٢٠١٥، نظرًا للخلفية الأوروبية والإنسانية للأزمة، رغم

بقاء بعض الأصوات المعارضة داخل الحزب اليميني البديل (AfD) التي طالبت بتقنين الهجرة وضبط النفقات(MacGregor, 2014, p. 39)

ثانيا : الموقف الألماني من الغزو الروسي لأوكرانيا عام ٢٠٢٢ والتحولات الاستراتيجية

شكّل الغزو الروسي لأوكرانيا في ٢٤ شباط ٢٠٢٢ نقطة تحوّل حاسمة في السياسة الألمانية ليس فقط في ما يتعلق بعلاقتها بروسيا، بل في العقيدة السياسية والأمنية الألمانية نفسها ، فعلى مدى عقود، اشتهرت ألمانيا باتباع سياسة "أوستبوليتك" القائمة على الانفتاح السياسي والتجاري تجاه موسكو، والتي ترسخت منذ سبعينيات القرن العشرين واستمرت حتى بعد ضمّ القرم عام ٢٠١٤ (Rinke, 2023, p. 41)، و حافظت الحكومات الألمانية المتعاقبة على هذه المقاربة عبر الإبقاء على مشروعات الطاقة المشتركة مثل نورد ستريم ٢ والتأكيد على الحوار الدبلوماسي باعتباره السبيل الأفضل لضمان الاستقرار الأوروبي. غير أن الاجتياح الروسي الشامل لأوكرانيا في عام ٢٠٢٢ أدى إلى انهيار هذه السياسة فعليًا، إذ اعتُبر الغزو انتهاكًا صارخًا للقانون الدولي وتهديدًا جوهريًا لبنية الأمن الأوروبي (Hacke, 2023, p. 74)

في هذا السياق، أعلن المستشار أولاف شولتس أمام البرلمان الألماني عن بدء مرحلة جديدة أطلق عليها مصطلح "تسيتن فنْده" (Zeitenwende)، أي "زمن التحول"، في خطاب تاريخي وصفه كثيرون بأنه يمثل القطيعة النهائية مع السياسة الألمانية التقليدية تجاه روسيا. أصبح هذا المفهوم لاحقًا مرجعًا سياسيًا شاملًا يُستخدم لوصف التحول الجذري في توجهات ألمانيا الأمنية والعسكرية والدبلوماسية بعد الحرب(Kaim & Kempin, 2023, p. 116). ومن أبرز مظاهر هذا التحول، إعادة بناء القدرات الدفاعية ، فقد أعلنت الحكومة الألمانية عن تخصيص ١٠٠ مليار يورو لصندوقٍ خاص بتحديث الجيش الألماني في خطوة غير مسبوقة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. شملت الخطة شراء مقاتلات أمريكية من طراز F–35، وتحديث الأسلحة البرية والمدرعات، والاستثمار في الدفاع السيبراني وتوسيع المشاركة في مهام حلف الناتو(German Marshall Fund of the United States [GMF], 2025) ، كما تعهّدت ألمانيا برفع إنفاقها الدفاعي ليبلغ ٢% من الناتج المحلي الإجمالي، وهو التزام طالما تهربت منه في السابق رغم مطالبات الحلف المستمرة.

في الوقت نفسه، أدركت ألمانيا خطورة الاعتماد الطاقي المفرط على روسيا إذ كانت قبل الغزو تستورد نحو ٥٥% من احتياجاتها من الغاز الطبيعي من موسكو، ما شكّل نقطة ضعف استراتيجية. ومع بدء الحرب، أعلنت برلين تجميد مشروع نورد ستريم ٢، ثم ألغته نهائيًا بعد ضغوط أوروبية وأمريكية متزايدة، رغم الخسائر الاستثمارية الكبيرة. وقد شرعت الحكومة في تنفيذ خطة انفكاك طارئة تضمنت بناء محطات لاستيراد الغاز المسال في شمال ألمانيا، وتنويع مصادر الاستيراد عبر اتفاقيات جديدة مع النرويج وقطر والولايات المتحدة، إضافةً إلى تسريع مشاريع التحول إلى الطاقة المتجددة من خلال التوسع في طاقة الرياح والطاقة الشمسية (Scholz, 2022, p. 9)

بالتوازي مع ذلك، تبنّت ألمانيا موقفًا غير مسبوق في تاريخها الحديث من حيث تقديم الدعم العسكري والسياسي المباشر لأوكرانيا فقد أرسلت برلين دبابات ليوبارد ٢ (Leopard 2) المتطورة، وأنظمة الدفاع الجوي IRIS–T وPatriot، وصواريخ مضادة للدروع، ومدافع هاوتزر (Howitzers)، بالإضافة إلى ذخائر دقيقة ودعم لوجستي واستخباراتي. كما استضافت ألمانيا برامج تدريبٍ عسكري للقوات الأوكرانية على أراضيها بالتعاون مع الناتو. وقد بلغت قيمة المساعدات العسكرية الألمانية أكثر من ١٤ مليار يورو، ما جعلها ثاني أكبر داعم عسكري لأوكرانيا في أوروبا بعد المملكة المتحدة(Beck, 2022, p. 58) كما ساهمت بفاعلية في تنسيق المساعدات الأوروبية ضمن إطار الصندوق الأوروبي للسلام (European Peace Facility). و تزامن هذا التحول العملي مع تغيرٍ ملحوظ في الخطاب السياسي والإعلامي الألماني ، فقد تحوّل الخطاب الرسمي من لغة التهدئة إلى خطابٍ أكثر صرامة تجاه روسيا، حيث وصف المستشار شولتس ووزيرة الخارجية أنالينا بيربوك (Annalena Baerbock) موسكو بأنها **تمثل "تهديدًا مباشرًا للنظام الأوروبي"** و**"دولة تنتهك القواعد** الدولية" (Meier, 2023, p. 102). كما تم تصوير أوكرانيا في الإعلام الألماني على أنها "قلعة الديمقراطية على حدود أوروبا"، مما ساهم في تعبئة الرأي العام لصالح الموقف الحكومي. دعمت كبريات وسائل الإعلام مثل صحيفة دير شبيغل Der Spiegel هذا التوجه، وخصّصت تغطيات موسعة للأزمة وتحليلات معمقة حول

المخاطر الروسية، ما ساعد في بناء إجماعٍ شعبي نسبي خلف قرارات الحكومة (Stelzenmüller, 2023, p. 87)

ورغم ذلك، لم يكن الداخل الألماني موحدًا تمامًا حول السياسات الجديدة، فقد ظهرت انقسامات سياسية داخلية بين الأحزاب، إذ رفض حزب اليسار سياسة التسليح وطالب بحلول دبلوماسية، بينما أبدى حزب البديل من أجل ألمانيا مواقف متعاطفة مع روسيا، منتقدًا ما اعتبره "**خضوعًا للهيمنة الأمريكية**". كما أظهرت استطلاعات الرأي تراجعًا نسبيًا في تأييد الدعم العسكري مع استمرار الحرب وارتفاع تكاليف المعيشة، ما وضع الحكومة أمام معادلةٍ دقيقة بين الالتزام الأخلاقي والدعم السياسي من جهة، والحفاظ على الاستقرار الداخلي من جهة أخرى (Plöger, 2023, p. 33). و في المقابل، ساهم هذا الموقف الحازم في تعزيز مكانة ألمانيا القيادية داخل أوروبا ، فقد أصبحت برلين الدولة الثانية بعد الولايات المتحدة في حجم الدعم العسكري المقدم لأوكرانيا، والوسيط الرئيسي لدفع ملف انضمام كييف إلى الاتحاد الأوروبي، والراعي الأبرز لمؤتمرات إعادة الإعمار الأوروبية. كما أبدت استعدادًا متزايدًا لتحمّل مسؤولياتٍ أكبر في الأمن الأوروبي، بما في ذلك قيادة الجناح الشرقي للناتو وتوسيع وجودها العسكري في دول البلطيق وبولندا، مما أعاد رسم موقعها داخل منظومة الدفاع الغربية (Bunde & Major, 2024, p. 52)

ورغم هذا الصعود في الدور الأوروبي، لا زالت ألمانيا تواجه تحدياتٍ بنيوية طويلة الأمد من أبرزها تحقيق الاستقلال الطاقي المستدام، وإدارة التضخم والأزمات الاجتماعية الداخلية، والموازنة بين التزاماتها الدفاعية الجديدة ومبادئها السلمية التاريخية، فضلًا عن احتواء الانقسامات السياسية وموجات الشعبوية المتنامية. ومع ذلك، تمثل المرحلة الممتدة بين عامي ٢٠٢٢ و٢٠٢٣ تحولًا جذريًا في الهوية السياسية الألمانية إذ انتقلت البلاد من كونها "قوة اقتصادية مسالمة" إلى "فاعل سياسي–عسكري حاسم داخل القارة الأوروبية، يعيد صياغة دورها وموقعها ضمن النظام الدولي الجديد (Kornelius, 2023, p. 69)

الخاتمة

لقد شكّلت الأزمة الأوكرانية، منذ عام ٢٠١٤ وحتى تصاعدها بالغزو الروسي الشامل عام ٢٠٢٢، نقطة انعطاف في مسار السياسة الأوروبية عامة، والسياسة الألمانية على وجه الخصوص. فقد وجدت ألمانيا نفسها في قلب تحولات جيوسياسية كبرى، أجبرتها على مراجعة منظومها المفاهيمي والأمني ، وإعادة تعريف دورها في النظام الدولي، و لم يكن الموقف الألماني من هذه الأزمة ثابتًا أو آنيًا، بل تطوّر عبر مراحل متعددة: من الإدانة السياسية والدعم الإنساني، إلى المساهمة المؤسسية، وصولًا إلى الانخراط المباشر في تقديم الدعم العسكري لأوكرانيا، هذا التطور لم يكن نتيجة ضغوط خارجية فحسب، بل جاء انعكاسًا لتحول داخلي في الوعي السياسي الألماني، أدرك فيه صانع القرار أن التردد في مواجهة التهديدات الكبرى يمكن أن يكون أكثر كلفة من الحسم. كما مثّلت الأزمة فرصة لإعادة تقييم العلاقة الألمانية الروسية، التي لطالما اتسمت بالتعقيد والتداخل، لا سيما في ملف الطاقة، ومع أن ألمانيا دفعت ثمناً اقتصاديًا وسياسيًا نتيجة هذا التحول، فإنها كسبت في المقابل موقعًا أكثر فعالية في صياغة مستقبل الأمن الأوروبي، وفي قيادة الاتحاد الأوروبي نحو مواقف موحدة تجاه النزاعات الدولية، ومن خلال هذا المسار، أصبحت أوكرانيا تمثل في الوعي السياسي الألماني ليس فقط ضحية لعدوان، بل شريكًا في مشروع أوروبي مشترك، يجمع بين الديمقراطية والاستقلال والسيادة. وفي هذا السياق، يتضح أن الدور الألماني لم يعد يقتصر على الاقتصاد والدبلوماسية، بل بات يشمل المسؤولية الأمنية والدفاعية والقيادية داخل أوروبا وخارجها، وهكذا، يمكن القول إن الموقف الألماني من الحرب الروسية الأوكرانية كان لحظة تأسيس لتحول استراتيجي طويل الأمد، و اعاد تشكيل هوية ألمانيا السياسية، و وضعها أمام مسؤوليات تاريخية جديدة في القرن الحادي والعشرين.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية

- عبد الرحمن، إبراهيم. (٢٠١٨). *السياسة الخارجية الألمانية بعد الحرب الباردة*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- كابلان، روبرت. (٢٠١٥). *انتقام الجغرافيا*. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- دويتشه فيله (DW Arabic). (٢٠١٤–٢٠٢٣). تقارير وتحليلات إخبارية متنوعة حول الأزمة الأوكرانية والموقف الألماني.

ثانياً: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية (English References)

1. Books (الكتب)

- Abd Al-Rahman, Ibrahim. (2018). *Die deutsche Außenpolitik nach dem Kalten Krieg*. Beirut: Center for Arab Unity Studies.
- Beck, Ulrich. (2022). *War and German Society: Reflections on Europe's New Reality*. Berlin: Suhrkamp Verlag.
- Bingener, Reinhard, & Wehner, Markus. (2023). *Die Moskau-Connection: Das Schröder-Netzwerk und Deutschlands Weg in die Abhängigkeit*. München: C. H. Beck.
- Bunde, Tobias, & Major, Claudia. (2024). *Zeitenwende Reloaded: Germany's Strategic Response One Year After the Invasion*. Berlin: Stiftung Wissenschaft und Politik (SWP).
- Fix, Liana. (2019). *Germany's Role in European Russia Policy*. Cham: Palgrave Macmillan.
- Hacke, Christian. (2023). *Zeitenwende: Deutschlands neue Außen- und Sicherheitspolitik nach dem Ukrainekrieg*. Berlin: Ullstein Verlag.

- Kaim, Markus, & Kempin, Ronja. (2023). *Deutschlands Sicherheitspolitik im Wandel: Die Bundeswehr und Europas neue Ordnung*. Bonn: Bundeszentrale für politische Bildung.
- Kaplan, Robert D. (2015). *The Revenge of Geography*. Beirut: Arab Scientific Publishers.
- Kornelius, Stefan. (2023). *Kanzler der Zeitenwende: Olaf Scholz und die deutsche Außenpolitik in der Krise*. München: Piper Verlag.
- Lough, John. (2021). *Germany's Russia Problem: The Struggle for Balance in Europe*. Manchester: Manchester University Press.
- MacGregor, Neil. (2014). *Germany: Memories of a Nation*. London: Allen Lane.
- Meier, Christian. (2023). *Deutschland und der Ukrainekrieg: Verantwortung, Wandel und Realpolitik*. Frankfurt am Main: Campus Verlag.
- Plöger, Joachim. (2023). *Deutschland zwischen Werten und Interessen: Außenpolitik nach dem russischen Angriff*. Berlin: Ch. Links Verlag.
- Rinke, Andreas. (2023). *Die Ampel und der Krieg: Wie der Ukraine-Konflikt die deutsche Politik verändert*. München: Droemer Verlag.
- Scholz, Olaf. (2022). *Klartext in Krisenzeiten: Reden und Gedanken zur Zeitenwende*. Hamburg: Rowohlt Verlag.
- Shore, Michael. (2020). *German Policy Toward Russia: Between Economy and Security*. Berlin: European Thought Publishing.
- Stelzenmüller, Constanze. (2023). *Germany and the New European Order after Ukraine*. Washington, DC: Brookings Institution Press.

- Vierhof, Oliver. (2022). *Transformations in German Politics in the 21st Century*. Munich: University of Munich Press.
- Voltaire, Hans. (2023). *Transformations in German Defense Policy after the Russian Invasion*. Berlin: European Journal of Strategic Studies.

2. Peer-Reviewed Articles (المحكمة والدراسات المقالات)

- Hummel, Jakob. (2022). "Germany's Zeitenwende: Strategic rhetoric or real shift?". *German Politics and Society*, 40(3).
- Kriesberg, Felix. (2023). "Berlin's role in the Ukraine war". *European Affairs Review*, 19(Winter).
- Nasser, Karam. (2022). "Germany and the Russian gas crisis: Between need and confrontation". *International Journal of Energy and Politics*, 12.
- Raik, Kristi, Mölling, Christian, & Major, Claudia. (2023). *Whose Zeitenwende?*. Berlin: German Council on Foreign Relations (DGAP).

3. Official Reports & Government Documents (والوثائق التقارير الرسمية)

- Bundesministerium der Finanzen. (2022). *Gesetz zur Finanzierung der Bundeswehr (BwFinSVermG)*. Berlin.
- Bundesministerium der Verteidigung. (2016). *Weißbuch 2016: Zur Sicherheitspolitik Deutschlands und zur Zukunft der Bundeswehr*. Berlin.
- Bundesministerium für Wirtschaft und Klimaschutz. (2023). *Emergency Plan for Gas for the Federal Republic of Germany*. Berlin.
- Deutscher Bundestag. (2022). *Plenarprotokoll 20/19 – Regierungserklärung "Zeitenwende"*. Berlin.
- European Council. (2014). *Conclusions on Ukraine*. Brussels.

- Federal Government of Germany. (2023). *Nationale Sicherheitsstrategie – Integrierte Sicherheit für Deutschland*. Berlin.
- OSCE. (2014–2022). *Special Monitoring Mission to Ukraine – Reports Archive*. Vienna.

4. Research Papers & Briefs (اوراق بحثية وتقارير المراكز الفكرية)

- Bruegel Institute. (2023). *European Natural Gas Imports – Dataset*. Brussels.
- Clean Energy Wire. (2023). *War in Ukraine: Tracking the Impacts on German Policy*. Berlin.
- DGAP. (2023). *German Defense Spending: A Repeat of the Past Instead of a New Era*. Berlin.
- IfW Kiel. (2023). *Ukraine Support Tracker*. Kiel.
- NewClimate Institute. (2022). *German LNG Terminal Construction Plans*. Cologne.

5. Periodicals & Newspapers (والمجلات الصحف)

- **Der Spiegel.** (2022). *Russian gas and the fate of Nord Stream 2*.
- **Der Spiegel.** (2023). *Berlin coordinates with NATO to support Ukraine*.
- **Die Zeit.** (2022). *German media positions on the Ukraine war*.
- **DW Arabic.** (2014). *Analysis: Germany's position after the annexation of Crimea*.
- **DW Arabic.** (2015). *European sanctions against Russia*.
- **DW Arabic.** (2022). *The Left Party opposes arming Ukraine*.
- **DW Arabic.** (2023). *Coverage of German support to Ukraine*.

- **Frankfurter Allgemeine Zeitung (FAZ).** (2023). *Germany sends Leopard tanks to Ukraine*.
- **Spiegel Online.** (2022). *AfD and its position on the Ukraine war*.
- **Süddeutsche Zeitung.** (2023). *The AfD criticizes Germany's support for Ukraine*.

الموقف الانجلو- تركي من بعض القضايا العربية والاقليمية في الوثائق البريطانية (١٩٨٠- ١٩٩٠)

م. د احمد حجي إبراهيم الريكاني

مديرية تربية العمادية/ دهوك

ahmedrikani@gmail.com

م.د.إدريس حسين رشيد

كلية التربية الأساسية العمادية/ جامعة دهوك

Adris.rasheed@uod.ac

الموقف الانجلو– تركي من بعض القضايا العربية والاقليمية في الوثائق البريطانية (١٩٨٠– ١٩٩٠)

م. د احمد حجي إبراهيم الريكاني

م.د. إدريس حسين رشيد

الملخص

شهدت الفترة بين عامي ١٩٨٠ و١٩٩٠ تفاعلاً معقداً في الموقف الأنجلو–تركي تجاه القضايا العربية والاقليمية في الشرق الأوسط ، فقد تبنى الموقف البريطاني نهجاً براغماتياً يضمن حماية مصالحها الاستراتيجية في مناطق النزاع دون انحياز علني لأي طرف، داعياً الى التسوية السلمية وفق قرارات الامم المتحدة، واتسم الموقف التركي بدوره بالتوازن بين التحالفات الغربية ومصالحها الاقليمية مما جعلها تلعب دور الوسيط خلال مرحلة الانفراج الدولي.

الكلمات المفتاحية: بريطانيا؛ تركيا؛ الحرب العراقية– الايرانية؛ الصراع العربي– الاسرائيلي؛ قبرص؛ الاتحاد السوفيتي

Ministry of Education
Kurdstan Territory- Iraq

College of Basic Education/University of Duhok
Amadiyah-Duhok
Assist. Lect. Idris Husien Rasheed
Adris.rasheed@uod.ac

Directorate of Education
Assist. Lect. Ahmed Haj Arrikani
ahmedrikani@gmail.com

The Anglo-Turkish Position on Some Arab and Regional Issues in British Documents (1980-1990)

Abstract

The period between 1980 and 1990 witnessed a complex interaction in the Anglo-Turkish position on Arab and regional issues in the Middle East. The British position adopted a pragmatic approach that ensured the protection of its strategic interests in conflict zones without overt bias towards any party, calling for a peaceful settlement in accordance with UN resolutions, The Turkish position by its turn was characterized by a balance between Western alliances and its regional interests, which enabled it to play the role of mediator during the period of international détente.

Keywords: Britain; Turkey; Iran-Iraq War; Arab-Israeli conflict; Cyprus; Soviet Union.

المقدمة

خضعت تركيا لنظام عسكري كامل خلال الاعوام (١٩٨٠- ١٩٨٣)، بعد الانقلاب الذي اطاح بالحياة السياسية المدنية في ١٢ ايلول بسبب الاضطرابات الداخلية، وأُعلنت حكومة الانقلابيين[١]، ان هدفهم هو توجيه البلاد نحو ديمقراطية كاملة شبيهه بالديمقراطية الغربية، ولكن في الحقيقة حرمت تلك الحكومة تركيا عملياً من الهوية الديمقراطية بسبب مجموعة من العوامل مثل القيود المستمرة على الحقوق والحريات الاساسية، وسيطرة الجيش على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية حتى بعد انتهاء النظام العسكري[٢].

اتبعت بريطانيا خلال الفترة اعلاه سياسة غض البصر، وابدت تفهماً للدوافع التي ادت الى الانقلاب، ادراكاً منها بأهمية تركيا، وتنبع تلك الاهمية من عدة جوانب[٣]:

١. ثروتها الزراعية والصناعية الكامنة، مما يوفر آفاقًا تجارية واستثمارية واعدة.
٢. موقعها على ضفاف طرق التجارة الكبرى، مما يُتيح استغلالها إقليميا.
٣. إمكانية استخدام نفوذ الحكومة على الحكومات الأخرى في المنطقة بما يخدم المصالح الغربية.
٤. موقعها الاستراتيجي كحاجز أمام التوسع السوفيتي المتزايد نحو بحر إيجة والخليج.
٥. قيام الحكومات التركية المتعاقبة بخدمة المصالح البريطانية على أكمل وجه.

ففي القضية الايرانية على سبيل المثال، وعندما اعرب البريطانيون عن رغبتهم باستئناف علاقتهم مع ايران، عرض الاتراك عليهم المساعدة في ذلك، اذ يوضح احد محاضر قسم الشرق الاوسط في السفارة البريطانية:

" على مدار العام الماضي، عرض الدبلوماسيون الأتراك مساعدتهم في مسألة إعادة فتح السفارة في طهران، وقد كنا حذرين في ذلك لعدم رغبتنا في تعقيد علاقاتنا مع السويد[٤]، ولا نريد من جهة اخرى أن يفهم الإيرانيون حماس تركيا تجاهنا على أنه دليل على مطالبتنا لهم بالوساطة، على أية حال، ورغم أننا لم نتمكن من تحقيق إعادة فتح

السفارة، فقد وافق الإيرانيون على زيادة عددنا، ويعمل قسم رعاية مصالحنا الآن كسفارة فعلية"[٥].

حرصت بريطانيا على تبادل وجهات النظر مع الاتراك على المستوى الوزاري لتحقيق مصالحها في المنطقة، وداخل "مجموعة العشر"[٦]، ورحبت بالاستفادة منهم بشكل اكبر في النزاعات الاقليمية : "لا يميل الاتراك لاستخدام نفوذهم لحل مشكلة العرب مع اسرائيل، ولربما لعب الضغط الامريكي المؤيد للأخيرة دورا في كبحهم، الا ان مصالح تركيا العامة تتجه بنفس اتجاه مصالحنا فيما يتعلق بتسوية النزاع، مما يجعل انخراطهم في الاستشارات العربية قناة مفيدة لنا، من جانب آخر مازال الاتراك حذرين فيما يتعلق بجهود الوساطة في حرب العراق وايران لكنهم لازالوا مفيدين لنا في رصد التطورات الداخلية في ايران، وفي كلا الحالتين هناك فائدة في الحديث مع الاتراك"[٧].

رحبت تركيا بدورها بنتيجة الانتخابات العامة في بريطانيا التي جرت عام ١٩٨٣، وعدت حكومة المحافظين (١٩٧٩- ١٩٨٣)، اقرب حليف للأتراك في اوروبا الغربية، اذ قدم البرلمانيون المحافظون مساهمات مؤيدة لتركيا في المجلس الاوربي، وعدت العلاقات الانجلو-تركية في اوجها، ونقل عن المتحدث باسم وزارة الخارجية التركي نظمي اكيمان Nazmi Akiman[٨] قوله: "ان تركيا تتمتع بعلاقات جيدة مع حكومة مارغريت تاتشر[٩] وان الحكومة التركية تعد نتيجة الانتخابات ايجابية"، ونقلت صحيفة الحرية عن مسؤولين في وزارة الخارجية قولهم: "ان فوز المحافظين في الانتخابات يساعد في تطوير العلاقات الثنائية بشكل اكبر لاسيما وان المملكة المتحدة اكبر حليف تركيا بعد الولايات المتحدة، كما ان الحكومة البريطانية لم تنتقد تركيا ولو مرة واحدة منذ ١٢ ايلول ١٩٨٠"[١٠].

في ذات السياق، بدأت المفاوضات البريطانية- التركية مع قادة الانقلاب في شهر تشرين الاول ١٩٨٠، وتمت خلالها مناقشة الاوضاع الداخلية والخارجية، فعلى الصعيد الداخلي نوقشت مسائل: الانتخابات العامة والاحكام العرفية وحقوق الانسان، اما على الصعيد الدولي فنوقشت قضية قبرص، والعلاقات مع اليونان وبحر ايجة، والعلاقات بين تركيا والعراق وايران، فضلا عن المسائل الاقتصادية[١١]، وكانت الحكومة التركية من جانبها

تأخذ الانتقادات الموجهة لها من قبل بريطانيا بشكل جدي، واوضحت بصدد ما تناقلته الصحافة البريطانية حول الاوضاع الداخلية في تركيا بالقول: "ان الجيش يعمل وفق جدول زمني، وهو لم يقدم وعداً بإدارة البلاد ديمقراطيا بل وعد بإعادة البلاد الى الديمقراطية، وان نتائج الانتخابات التي ستجري في تشرين الثاني ١٩٨٣ ستكون ديمقراطية"(١٢).

وهكذا نجد ان العلاقات الانجلو- تركية لم تنقطع او تتضرر حتى مع قيام الحكومة الانقلابية بل ظلت تحافظ على اواصرها وارتباطها بين الطرفين.

المبحث الاول: الموقف الانجلو-تركي من القضايا العربية

اولا. الحرب العراقية- الايرانية(١٣)

نقلت صحيفة "الامة Milliyet" التركية في لقاء جرى في انقرة مع وزيرة الدولة البريطانية المسؤولة عن شؤون الشرق الاوسط الليدي يونغ Lady young، قلق بريطانيا البالغ إزاء الحوادث التي تقع في الخليج العربي ومضيق هرمز، وقالت: "نحن قلقون بشأن التصعيد في الحرب بين العراق وايران، وكذلك بشأن الهجمات على ناقلات النفط العملاقة في الخليج، ونأمل أن تستخدم تركيا مكانتها في كلا البلدين للتأكيد على إنهاء الحرب، ونظراً لخطورة الوضع اصبحت مشكلة الخليج على جدول أعمال منظمات مثل الناتو والمفوضية الأوروبية، ونقوم حالياً بالتوضيح لكلا الجانبين أننا نريدهما التوصل إلى اتفاق من خلال الوسائل الدبلوماسية، وأعتقد أن بعض الواجبات والمسؤوليات تقع على عاتق تركيا (سواءً بالمعنى الدبلوماسي أو العسكري)، لتحقيق رغبتنا في وقف التصعيد في الحرب ووقف الهجمات على سفن نقل النفط"(١٤).

من جانب آخر، تحدث رئيس وزراء تركيا ترغوت أوزال Turgut Ozal(١٥)، الى مجموعة من قادة حزب المحافظين البريطاني ممن كانوا في زيارة الى انقرة عن علاقات تركيا المتنامية مع الشرق الأوسط، وأكد : "أن تركيا عنصر استقرار في العديد من دول الشرق الأوسط، ورغم تعقد الوضع في إيران والعراق الا ان تركيا تراقبه عن كثب، وهي على أهبة الاستعداد للمساعدة، لاسيما وانها تتمتع بعلاقات جيدة مع كلا الجانبين"(١٦)، لكن ذلك لم يمنع وجود بعض التوتر في علاقاتها مع ايران مع ازدياد الحوادث الارهابية على حدودها

مع البلدين خلال تلك الحرب، واوضح وزير الخارجية التركي وحيد مليح خلف اوغلو Vahit Melih Halefoglu [١٧] لوزير الخارجية البريطاني جيفري هاو Geoffrey Howe[١٨] في مكاملة هاتفية في ٦ تموز ١٩٨٧ بالقول: " ان العراقيين والإيرانيين استخدموا جماعات إرهابية من الأقليات العرقية الكردية ضد بعضهم البعض من جهة واثاره العنف جنوب تركيا من جانب آخر، وان الإيرانيون لم يكونوا راضين عن اتفاقية مطاردة المجاميع الخارجة عن القانون[١٩] التي أبرمها الأتراك مع العراقيين"[٢٠].

وثمن وزير الخارجية البريطاني بدوره وخلال نفس المكالمة المساعدة التي تبديها تركيا خلال ازمة بريطانيا مع ايران، وشدد على المحاولات البريطانية لاحتواء الصراع العراقي- الايراني، بالقول: " سنواصل محاولة الترويج لنهاية الحرب من خلال مكاتب الأمين العام للأمم المتحدة، لكن الحد من انتشار الصراع في المنطقة هو شاغلنا الرئيسي حاليا، ولازلنا قلقين بشأن التهديد الذي يواجه حرية الملاحة في الخليج، ونحن نفعل ما في وسعنا للحد من هذا التهديد، اذ أدى تزايد الهجمات الجوية العراقية إلى زيادة التوتر في المنطقة، هل يمكن إقناع العراقيين بتحويل قوتهم الجوية إلى أهداف اقتصادية أخرى غير السفن في الخليج؟ وسنعمل على تحقيق ذلك بالتوازي مع العمل في الأمم المتحدة"[٢١].

واعرب وزير الخارجية التركي خلف اوغلو في ذات السياق ان الموقف الايراني من الحرب لم يتغير بحسب ما ذكره السيد موسوي خلال زيارته لأنقرة، الذي تحدث قائلاً: "اننا نواجه صعوبات في مواجهة القوات العراقية التي تقوم بمهاجمة سفن الخليج، ونرغب بوقف مؤقت للحرب من اجل عزل الخليج عنها"، واقترح ايصال رسالة للولايات المتحدة يطلب من خلالها تزويد ايران بقطع غيار لطائرات (F14)، وقد رفض الامريكيون ذلك المتقرح لانهم وجدوا فيه محاولة لصرف الانتباه عن جهود الامم المتحدة وانهم غير مستعدين لتزويدهم بقطع الغيار المطلوبة[٢٢]، واضاف السيد خلف اوغلو انه لا يتوقع اي تغيير في الموقف الايراني مادام الخميني على قيد الحياة، وان فرض الحظر على استيراد الاسلحة من الغرب الى العراق سيكون صعباً مع استمرار تدفق الاسلحة من الشرق مع قيام دول الخليج بتوفير الاموال للعراق لحماية اراضيها من اي اعتداءات محتملة من ايران[٢٣].

ورد السيد وزير خارجية بريطانيا على خلف اوغلو بالقول: " ندعم جهود الأمم المتحدة ونتفهم تشكك السيد حليفو أوغلو بشأن حظر الأسلحة ولهذا السبب كنا نبحث في إمكانية الحد من نطاق الحرب، وأن المملكة المتحدة في وضع جيد لأننا لم نبيع أسلحة لأي من الجانبين"، واتفق الجانبان انه بإمكان بريطانيا والولايات المتحدة العمل بشكل اوثق لتخفيف التوتر المتصاعد في المنطقة(٢٤).

استمرت تركيا في محاولتها لإنهاء الحرب العراقية الايرانية من خلال الاجتماع مع المسؤولين العراقيين والايرانيين، اسداء النصح لهم بضرورة الاستماع الى صوت المنطق، بالتزامن مع الجهود الدولية لوقف النزاع حتى صدر قرار مجلس الامن الدولي المرقم ٥٩٨ والصادر في ٢٠ تموز ١٩٨٧ ، القاضي بوقف اطلاق النار وعودة قوات البلدين الى حدود ما قبل الحرب، وقد منح ذلك القرار دوراً مهماً لتركيا، اذ قام وكيل وزارة الخارجية التركي بزيارة بغداد في اطار دعم تركيا لجهود الامم المتحدة لتطبيق القرار(٢٥)، واعلن العراق موافقته على القرار، في حين تحفظت ايران عليه، وتم تنفيذ القرار في ٨ آب ١٩٨٨ (٢٦).

ثانيا. الصراع العربي- الاسرائيلي

استمرت العلاقات التركية الاسرائيلية طوال مراحل الازمات المتتالية حتى عام ١٩٨٠، عندما قررت الحكومة التركية استدعاء القائم بالأعمال التركي في تل ابيب الى انقرة في اواخر تموز لإعادة تقييم الموضوع وتحديد السياسة الحكومية بما يتوافق مع قرارات المؤتمرات الاسلامية، وفي اوائل كانون الاول ١٩٨٠، عقب الانقلاب العسكري قررت الحكومة الجديدة خفض مستوى العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل من مستوى القائم بالأعمال الى مستوى السكرتير الثاني(٢٧).

بدا أن سياسة تركيا خلال عهد رئيس الوزراء ترغوت أوزال ترتكز على قناعتين: الاولى، تعدادها السكاني الكبير وقوتها العسكرية وقوتها الاقتصادية المتنامية، فكان على تركيا زيادة مشاركتها في السياسة الإقليمية والاضطلاع بدور صانع السلام. ومع تزايد أهمية هذا الدور، كان عليها أن تُسهم أكثر للحفاظ على السلام في المنطقة، والثانيةً، كان على تركيا ترتيب دورها في صنع السلام في المنطقة بما لا يضر بعلاقاتها المتوازنة مع المسلمين في الشرق

والغرب، وهو ما دعاه الى التصريح في كانون الثاني ١٩٨٤: "من المستحيل الامتناع عن لعب دور في الشرق الأوسط، لكن مثل هذا الدور سيتحدد بسياستنا الخارجية العامة من جهة وبالطريقة التي يتطور بها الوضع في المنطقة من جهة اخرى"، ووفقاً لذلك نقل رئيس الوزراء أوزال آراء زعيم منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات[٢٨]، بشأن حل مشكلة الشرق الأوسط إلى الرئيس الامريكي رونالد ريغان Ronald Reagan[٢٩] خلال زيارته للولايات المتحدة عام ١٩٨٥في محاولة للمساهمة في صنع السلام، ، لكنه أبقى في الوقت نفسه قنوات الاتصال مع إسرائيل مفتوحة، رغم انتقادات حكومته اللاذعة للسياسة الخارجية الإسرائيلية، وفي كانون الثاني ١٩٨٦، أوضح السيد أوزال الضرورة العملية للحفاظ على الاتصالات مع إسرائيل، التي اعتبرها "نافذة على الأحداث المستقبلية... لكي تلعب تركيا دورا في حل مشاكل الشرق الأوسط يجب أن تظل هذه النافذة مفتوحة[٣٠].

عملياً، ارتأت تركيا على لسان وزير خارجيتها خلف اوغلو بالا تتعامل مع مشاكل الشرق الاوسط وقضية فلسطين ببساطة ممتنعة عن لعب دور الوسيط، ففي اتصال هاتفي مع المدير السياسي البريطاني دريك توماس Derek Thomas[٣١]، وبحضور السفير مارك روسيل في انقرة بتاريخ ١٨ حزيران ١٩٨٦، عدَ خلف اوغلو شخصية ياسر عرفات غامضة، وان النقطة الجوهرية في مشاكل الشرق الاوسط هي دعم السلام وحل القضية الفلسطينية ومنح الفلسطينيين وطناً، وعندما سئل عن كيفية دعم عملية السلام، ذكر بأنه يحاول تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة من اجل ترتيب لقاء بين عرفات ووزير الخارجية الامريكي جورج شولتز George Shultz[٣٢]، لكنه لم ينجح في المهمة، اذ كان الرفض الامريكي اقوى مما توقع، واوضح خلف اوغلو ان: "عرفات تخلى عن فكرة استقلال فلسطين ووافق على تشكيل اتحاد يُمثل من خلاله الفلسطينيون"، مما اوحى اليه بأن عرفات يتصرف مثل طفل صغير يحب لفت انتباه الكبار، لذا فأن اي تنازل سيحدث فرقاً كبيراً[٣٣].

توضحت المبادئ الاساسية للسياسة الخارجية في ١٥ تشرين الثاني ١٩٨٨، عندما اعترفت تركيا بالدولة الفلسطينية الجديدة بقرار من المجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد اجتماعه

في الجزائر خلال المدة ١٢- ١٥ تشرين الثاني، وافق خلالها المجلس على جميع قرارات الامم المتحدة الصادرة منذ عام ١٩٤٧، بما في ذلك القرار ٢٤٢ الذي يعترف بالوجود الاسرائيلي في المنطقة، لذا فأن دعم تركيا للدولة الفلسطينية يعني دعم خطوة اتخذتها منظمة التحرير نحو سلام شامل في الشرق الاوسط، وتحظى باعتراف واسع بأهميتها حتى في الغرب(٣٤).

المبحث الثاني: الموقف الانجلو- تركي من القضايا الاقليمية

اولا. القضية القبرصية

كانت قبرص مستعمرة بريطانية حتى عام ١٩٦٠، حيث اعلنت الجمهورية القبرصية برئاسة ماكاريوس الثالث Makarios III(٣٥)، وعانت الجمهورية الجديدة من توترات بين سكانها، اذ شكل اليونانيون ٧٨% في حين كان الاتراك اقلية فيها بنسبة ١٨%، وبعد الانقلاب اليوناني على الحكومة القبرصية بهدف ضم قبرص الى اليونان عام ١٩٧٤، قام تركيا بغزو شمال الجزيرة مما ادى الى تقسيمها الى شمال تركي وجنوب يوناني، وفي ايار ١٩٧٩ وقع الطرفان التركي واليوناني اتفاقية "النقاط العشر"، التي وافق من خلالها الطرفين على ضرورة اخلاء الجزيرة من جميع القوات العسكرية الاجنبية وعدم ضمها او تقسيمها، وبين العامين ١٩٨٠- ١٩٨٣، استمرت المفاوضات بين الطائفتين القبرصية التركية والقبرصية اليونانية، الا انها فشلت بسبب عدم قبول الاخير اتراك قبرص طرف مساو له، وفي ١٥ تشرين الثاني، تأسست الجمهورية التركية في شمال قبرص برئاسة رؤوف دنكتاش Rauf Denktas(٣٦) على اساس اتحاد يعتمد على الشراكة بين مجتمعين متساويين في الجزيرة، اما سبيروس كيبريانو Spyros Kypriano(٣٧) فقد حكم قبرص اليونانية(٣٨).

اصدر مجلس الامم المتحدة في ١٨ تشرين الثاني ١٩٨٣، القرار رقم ٥٤١: "ان تأسيس الجمهورية التركية شمال قبرص يتعارض نع معاهدات ١٩٦٠، لذلك فهو غير قانوني"(٣٩)، ووافقت تركيا بدورها على الانسحاب بعد ان وجهت الامم المتحدة وبريطانيا دعواتهما اليها لإجراء انسحاب جزئي او متدرج مقابل الاعتراف بحقوق القبارصة الاتراك، وقد لاقت تلك الموافقة ترحيب بريطانيا التي عدت ذلك خطوة في الاتجاه الصحيح، واعربت

عن نيتها لبذل المزيد من الجهود لتجنب الجمود طويل الامد وذلك خلال الجلسة الافتتاحية لمؤتمر بناء الثقة والامن ونزع السلاح في وروبا (CDE)، والمنعقد في ستوكهولم في كانون الثاني ١٩٨٤[٤٠].

في جهودها لتقريب وجهات النظر، نقلت الخارجية التركية في نقاش رفيع المستوى بينها وبين الجانب البريطاني في انقرة بتاريخ ٢١ ايار ١٩٨٤، وجهة نظر رئيس جمهورية قبرص التركية دنكتاش بالقول: "لم يكن مُصمِما على أن يكون رئيسا لدولة شمال قبرص المستقلة، بل سعى إلى المساواة في المعاملة والتقدير مع سكان الدولة الاخرى على أساس هيكل فيدرالي"، وهو ما كان مخالفاً لقرار الامم المتحدة، واعرب الجانب البريطاني عن قلقه من سلوك الرئيس دنكتاش الذي وصف موقفه بأنه "وضعنا في مأزق كبير"، وسأل الجانب التركي عما سيفعله الرئيس دنكتاش باعتقاده، فأجاب بأنه يعتقد أنه: "سيكون هناك نوع من الهدوء ريثما يناقش الوضع مع زملائه ويُعِدّ موقفه لتجديد ولاية قوة الأمم المتحدة لحفظ السلام في قبرص"، واعرب الجانب البريطاني عن امله في ان يحافظ الرئيس دنكتاش على الحوار مع الامم المتحدة، لان اي سلوك مغاير قد لا يقابل بتفه حكومة صاحبة الجلالة[٤١].

طلبت الخارجية البريطانية عن لسان المسؤول الاعلى عن السياسة الخارجية البريطانية السير جيفري هاو Geoffery Howe، حث الرئيس دنكتاش على عدم القيام بأي عمل استفزازي مثل اعلانه انه قد يقوم بإعادة جزء من مناطق فاروشا Varosha الى المستوطنات اليونانية، لاسيما وانها تدار تحت اشراف الامم المتحدة بموجب القرارين ٥٥٠ ، واوضح وزير الخارجية التركي خلف اوغلو ان تركيا تبذل قصارى جهدها لحلحلة الوضع، واعرب عن امل الحكومة التركية في ان تبذل بريطانيا مساعيها الحميدة لضمان عدم تفاقم الامور[٤٢]، وهو عكس ما رآه السيد هاو، الذي ذكر ان موقف بريطانيا الذي يكمن بعدم تولي زمام اي مبادرة هو الموقف الصحيح، واكد لوزير خارجية تركيا انه: "من الضروري الا يسمح الاتراك بحدوث اي شيء يزيد من تدهور الامور على الواقع مع صعوبة توقع ايجاد اي حل حقيقي"[٤٣].

باءت محاولات التقارب التي قامت بها كل من بريطانيا وتركيا بين طرفي النزاع بالفشل، وعزا وزير الخارجية التركي خلف اوغلو ذلك الفشل الى الرأي العام الدولي، ففي اجتماع ضم كل من وزير الخارجية التركي، والمدير السياسي البريطاني السير توماس ديريك، واوضح السيد خلف اوغلو ذلك بالقول: "انه من غير الممكن ان يتم الاعتراف بحكومة القبارصة اليونانيين دوليا، ويُنظر اليها كحكومة "واقع"، واعترف بها المجلس الاوربي ممثلا لقبرص باكملها وهو ما شجع القبارصة اليونانيين على المطالبة بشروط مبالغ بها، وان فشلت جهود الامم المتحدة سيكون على الشعبين التعايش معاً"، ورد السير توماس: "ان مثل تلك النتيجة لن تكون مرضية لاسيما مع وجود عداء متبادل لدى الطرفين، فعلى احد الطرفين تقديم تنازلات مشروطة"(٤٤).

واصلت الامم المتحدة جهودها الرامية لحل الازمة بين قبرص اليونانية وقبرص التركية، فقام الامين العام خافيير بيريز دي كوييار Javier Perez de Cuellar(٤٥)، بتقديم مجموعة من الوثائق التي تضم مقترحات لحل الازمة بين الاطراف المتنازعة، الى كل من طرفي النزاع في ٢٩ اذار ١٩٨٦، من اجل الاطلاع عليها وابداء الموافقة عند اجتماع المجلس للبت فيها في ٢١ نيسان من العام نفسه، كما سلم نسخاً منها الى الدول دائمة العضوية في مجلس الامن بهدف اطلاعهم على مضمون الخطة ودعمها سياسياً، وجاء رد الرئيس القبرصي اليوناني كيبريانو في ٢٠ نيسان بأنه لن يعطي رداً على تلك الوثائق قبل حل القضايا الجوهرية المتعلقة بالضمانات الدولية، والانسحاب التركي من شمال الجزيرة وحل مسألة المستوطنين الوافدين بعد عام ١٩٧٤،وضمان الحريات الثلاث (حرية الاقامة وحرية التملك وحرية التنقل بين شطري الجزيرة)، واقترح ان يتم ذلك في اطار مؤتمر دولي او اجتماع رفيع المستوى في حين وافق القبارصة الاتراك على مقترحات الامين العام(٤٦).

رحبت بريطانيا بموقف دنكتاش وعزت تلك الموافقة الى علاقتها الطيبة مع تركيا ، لاسيما زيارة رئيس الوزراء التركي تورغوت اوزال الى لندن، اذ تذكر رسالة موجهة من قسم البحوث في وزارة الخارجية البريطانية: "لقد مكنتنا علاقتنا الطيبة من الحصول على رد ايجابي من دنكتاش وعلينا مواصلة كل ما في وسعنا لدعمه مادامت مبادرة الامين العام

لاتزال قائمة، لكن ان واجهت المبادرة اي مشاكل جدية فعلينا ان نكون مستعدين لاستغلال العلاقة التي بنتها السيدة تاتشر مع السيد اوزال[٤٧] حول هذه القضية"[٤٨].

تحدث وزير الخارجية البريطاني الى وزير الخارجية التركي خلال زيارة قام بها الاخير الى لندن برفقة السفير التركي، وقال: "إن المملكة المتحدة تريد أن ترى تقدما حقيقيا في العلاقة بين مجتمعي قبرص، لذا من الضروري منع تفاقم الوضع هناك لاسيما ان نقاش في الجمعية العامة للأمم المتحدة لم يكن مشجعا"، واجابه وزير الخارجية التركي: "إنه يدرك قلق بريطانيا وان حكومته تتبع مبادرة الأمين العام لكن الجانب اليوناني هو الذي بحاجة إلى إظهار المرونة، وعرج على مسألة وجود القوات التركية في قبرص وقال: " ان وجود القوات التركية هو من حافظ على السلام في قبرص منذ عام ١٩٧٤، فالقبارصة اليونانيون يشترون أسلحة متطورة، بما في ذلك المدافع المضادة للطائرات والصواريخ والدبابات، لذا فأن مقترح عقد مؤتمر دولي لسحب تلك القوات من شأنه أن يؤدي إلى نزع السلاح من الجزيرة وهو ما يتعارض مع المصالح البريطانية والتركية[٤٩].

لم يطرأ اي تغير في المشهد السياسي على الساحة القبرصية، ولم تفض مبادرة الامم المتحدة الى اي انفراج، وناقش المجلس الاوربي في دبلن تلك القضية في ضوء الجمود الذي يشهده الحوار بين الطرفين خلال اجتماعاته التي عقدت يومي ٢٥ و٢٦ حزيران ١٩٩٠، وجاء في بيانه: "يشعر المجلس الاوربي بقلق بالغ ازاء الوضع الراهن، ويؤكد على تصريحاته السابقة بصدد وحدة قبرص واستقلالها، كما يشدد على الحاجة الى ازالة العوائق التي تحول دون السعي الى اجراء محادثات فعالة بين الطرفين بهدف ايجاد حل عادل وقابل للتطبيق وفق ما أكد عليه القرار ٦٤٩/ ٩٠، الصادر من مجلس الامن "[٥٠].

لم يتم التوصل الى حل نهائي لتوحيد الجزيرة حتى الان، فالجزء الجنوبي يعرف باسم جمهورية قبرص وهي من تمثل قبرص رسميا في المحافل الدولية، اما الجزء الشمال فيعرف باسم جمهورية شمال قبرص التي تخضع لإشراف قوة حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة.

ثانيا. الموقف من الاتحاد السوفيتي

شكلت تركيا ممراً بين الاتحاد السوفيتي[٥١] وبريطانيا منذ نهاية سبعينيات القرن المنصرم، حرصت تركيا خلالها على اعلام الجانب البريطاني بكل ما يستجد من محادثات بين الطرفين، ففي ذات السياق، تحدث وكيل وزير الخارجية شكري يافوزلاب Sukru Yavozalp، في اتصال هاتفي مع السفير البريطاني روسيل في ١١ اذار ١٩٨٣، عن زيارة السيد نائب وزير الخارجية السوفيتي جورجي ميخالوفيتش كورنينكو Georgy Mikhailovich Korinieko، الذي اوضح الموقف السوفيتي من معاهدة الصواريخ النووية متوسطة المدى[٥٢]، واعرب عن رغبة الاتحاد السوفيتي في ان تجري العلاقة بين البلدين في المسار الصحيح لاسيما وانهما يتفهمان بعضهما البعض[٥٣].

طلب الاتحاد السوفيتي اجراء تفتيش عسكري في الاراضي التركية كجزء من اتفاقية ستوكهولم المبرمة عام ١٩٨٦، والتي تلزم الدول الاعضاء في منظمة الامن والتعاون الاوربي بالسماح بالقيام بعمليات تفتيش محدودة على اراضيها من قبل الدول الاخرى لتعزيز الشفافية بشأن الانشطة العسكرية، الاجراء الذي لاقى ممانعة الجانب التركي في البداية، الا انها وافقت بعد تشجيع بريطانيا لها على احترام الاتفاق، اذ جاء في الجلسة الثالثة التي عقدت في انقرة في ٩ تشرين الاول ١٩٨٧: "من الواضح ان الاتراك لم يستمتعوا بكونهم هدفاً للتفتيش من قبل الاتحاد السوفيتي، لكن مع وجود ادلة على ان الولايات المتحدة قدمت طلباً مماثلاً في بيلاروسيا في شهر آب من نفس العام، اضطروا للتنازل، لاسيما بعد ان وضع الروس الموافقة التركية شرطاً للاتفاق مع الولايات المتحدة حول التفتيش، ولقد ذكرنا الاتراك بأهمية وثيقة ستوكهولم والاهمية التي نعلقها على بند التفتيش ورغبتنا في تطبيقه من حين لآخر"[٥٤].

ومع التغيرات الامنية في اوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي بعد العمل بسياسة الانفتاح في عهد الرئيس السوفيتي ميشيل غورباتشوف[٥٥] Mikhail Gorbachef، تناولت كل من بريطانيا وتركيا عبر مسؤوليها السيد ارمور Armour، من الخارجية البريطانية والسيد آلتن Altin، من نظيرتها التركية وجهات النظر حول التحولات في سياسة الاتحاد

السوفيتي، لاسيما اهتمام الاتحاد السوفيتي الجديد بالتعاون الدولي، ولاحظ الطرفين ان اهتمام موسكو كان ينصب على الارهاب النووي، وهو ما احاطها بشيء من الشكوك بسبب غموض دوافعهم، فلربما استخدم السوفييت مصطلح الارهاب لتجريم النشاطات المعارضة للنظام الشيوعي وهو ما يعني خلط السياسة بالإرهاب، وكانت بريطانيا قد عقدت اجتماعين مع السوفييت حول الارهاب لكنها كانت ذات طابع قانوني مما دعاها الى التريث وعدم الاسراع في التعاون الامني مع موسكو حتى تتضح نواياها[٥٦].

من جانب آخر شكل المأزق السوفيتي في الحرب الافغانية- السوفيتية([٥٧])، جزءا من المحادثات التركية- البريطانية، لاسيما وانها رأت في الحرب الافغانية دليلا على الخطر السوفيتي، لذلك قامت بدعم سياسة الرئيس الامريكي رونالد ريغان المسماة "عقيدة ريغان"، التي تهدف الى دعم الحركات المناهضة للشيوعية ودعم المجاهدين في افغانستان، وخلال اتصال هاتفي بين وزير الخارجية التركي وحيد خلف اوغلو، ونظيرة البريطاني جيفري هاو، في ٦ تموز ١٩٨٧، تحدث الجانب التركي قائلا: "ان الاتحاد السوفيتي في موقف صعب بشأن افغانستان ويرغب بالخروج منها دون ان يفقد ماء وجهه، واعرب عن اعتقاده بأنهم يسعون الى نوع من التفاهم مع الولايات المتحدة"، وعلق الجانب البريطاني: "ان الاتحاد السوفيتي غير قادر على الخروج من أفغانستان بطريقة تضمن الحفاظ على حكومة افغانية موالية له"[٥٨]، وبعد الانسحاب السوفيتي من افغانستان عام ١٩٨٩، بقرار صادر من الامم المتحدة، رحبت بريطانيا بذلك عادتاُ اياه انتصاراً للحرية لكنها ظلت قلقة من الفوضى التي اعقبت تلك الحرب، لذا واصبت دعمها لها لإعادة اعمارها من خلال الامم المتحدة دون تدخل مباشر[٥٩].

الخاتمة:

من خلال دراسة الموقف الانجلو- تركي من بعض القضايا العربية والاقليمية خلال السنوات ١٩٨٠- ١٩٩٠، يتضح انه كان يتأثر بعوامل مداخلة منها المصالح الاستراتيجية والتحالفات الدولية والاعتبارات الدبلوماسية، كما بينت الدراسة ان التوازن بين الدبلوماسية

الرسمية والضغط السياسي غير المباشر شكل قاعدة مشتركة للطرفين، وفي الختام توصل الباحث للاستنتاجات التالية:

١. اتسم الموقف الأنجلو–تركي من الحرب العراقية–الإيرانية بالحذر والتوازن الدبلوماسي، إذ سعت كل من بريطانيا وتركيا إلى حماية مصالحها الإقليمية دون الانخراط المباشر في الصراع، فتعاملت المملكة المتحدة مع الازمة بسياسة الحياد النشط القائمة على دعم الجهود الدبلوماسية لإنهاء الحرب عبر الأمم المتحدة، مع الحفاظ على قنوات اتصال مع بغداد وطهران على حدّ سواء، مدفوعة برغبتها في حماية تدفق النفط واستقرار الخليج، أما تركيا فقد تبنّت بدورها سياسة الحياد المتوازن بين الطرفين المتحاربين انطلاقا من مبدأ عدم التدخل في نزاعات الجوار والحفاظ على أمن حدودها الجنوبية الشرقية.

٢. أظهرت الحرب العراقية- الايرانية أن التقاطع بين المصلحتين البريطانية والتركية خلال الحرب تمثّل في رغبة مشتركة من كلا الطرفين في منع امتداد النزاع إلى الخليج أو تهديد طرق الطاقة والتجارة الدولية، وفي احتواء نفوذ إيران الثورية دون المساس باستقرار العراق. وهكذا، شكّل الموقف الأنجلو–تركي نموذجا لسياسة براغماتية حذرة في الشرق الأوسط خلال الثمانينيات، قائمة على توازن المصالح لا على التحالفات الأيديولوجية.

٣. رحبت بريطانيا بأي تسوية سلمية للقضية الفلسطينية عبر المفاوضات مع ضمان حق اسرائيل في فلسطين، اما تركيا، فقد شهدت تحولا ملحوظا في عهد تورغوت اوزال الذي دعا الى توازن العلاقات بين اسرائيل والدول العربية، وقد تشاركت الحكومة البريطانية ونظيرتها التركية خلال فترة البحث دعم اي حل سلمي تفاوضي لكنهما لم يمارسا اي ضغط على اسرائيل.

٤. تميز الموقف الأنجلو–تركي من قضية قبرص بالتوازن بين المصالح الاستراتيجية والتحفظ الدبلوماسي، اذ فقد حافظت بريطانيا على دور الوسيط والداعم لجهود الأمم المتحدة للتوصل إلى حل فدرالي، لكنها لم تضغط على تركيا بشكل مباشر حفاظًا

على تحالفاتها معها، من جانبها، اتبعت تركيا سياسة حذرة وواقعية فتمسكت بمصالحها الأمنية في شمال قبرص، ولم تعترف بالجانب الجنوبي إلا بشكل محدود في إطار التوازن مع الغرب، ما أتاح استمرار الوساطة البريطانية وحياد أوروبا بشكل نسبي.

٥. ويعكس الموقف المشترك من قضية قبرص الحرص على استقرار منطقة شرق المتوسط، مع الاعتراف بالتحديات الواقعية لكل طرف، وبيّن كيف يمكن للدبلوماسية أن تجمع بين التحفظ العملي والدعم الرسمي للحلول السلمية دون اللجوء إلى التصعيد.

٦. تميز الموقف الأنجلو–تركي من الاتحاد السوفيتي خلال الثمانينيات وبداية التسعينيات بالتوازن بين الحذر الاستراتيجي والانخراط الدبلوماسي في سياق الحرب الباردة وتداعياتها الإقليمية، فقد حافظت بريطانيا على خط سياسي متماسك ودعمت سياسات ضبط النفوذ السوفيتي في الشرق الأوسط وشرق المتوسط، لكنها اتبعت في الوقت نفسه نهجا دبلوماسيا لتجنب التصعيد المباشر مع موسكو.

٧. أما تركيا، فكانت في موقع حساس يجمع بين الضغط الغربي والتهديدات الإقليمية للسوفييت، ما دفعها إلى تعزيز تحالفها مع الغرب مع الاحتفاظ بمرونة دبلوماسية محدودة للتعامل مع الاتحاد السوفيتي في قضايا محددة مثل العراق وأفغانستان.

٨. ويعكس الموقف الانجلو–تركي حرص الطرفين على تحقيق توازن بين الأمن الاستراتيجي والمصالح الدبلوماسية، مع مراعاة التغيرات السياسية الداخلية في الاتحاد السوفيتي تحت قيادة غورباتشوف، وفتح المجال لاحقا لتحولات جذرية في السياسة الإقليمية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في مطلع التسعينيات.

الهوامش:

(١) سيطرت قوات الجيش على مراكز الاتصالات والاذاعة والتلفزيون في فجر يوم ١٢ ايلول ١٩٨٠، بقيادة الجنرال كنعان ايفرين رئيس الاركان العامة للقوات المسلحة التركية بمشاركة مجموعة جنرالات، شكلوا معا مجلس الامن القومي، تم من خلاله السيطرة على البلاد واعلان الاحكام العرفية في

عمومها بعد الاطاحة بالحكومة المدنية القائمة برئاسة سليمان ديميريل، وعلق عمل البرلمان وحلت الاحزاب السياسية وجرى اعتقال الاف النشطاء والسياسيين. للمزيد، ينظر:

William Hale, Turkish politics and the military, Routledge, London, 1994, pp. 245- 250.

(2) Mustafa Aydin, Turkish foreign policy at the end of the cold war roots and dynamics, the Turkish yearbook of international relations, vol.36, 2005, P.11.

(3) FCO 9/ 4286,file no. WST 020/ 3, Turkey and UK political relations, J L Bullard to Lord Belstead, the Turks and their meaning to us, 6 April 1983, p. 110.

(٤) بعد حادثة اقتحام السفارة الامريكية في طهران واحتجاز الرهائن عام ١٩٧٩، تدهورت علاقات ايران مع دول غربية عديدة ومنها بريطانيا بعد ان اقتحم محتجون مقر السفارة البريطانية في طهران بسبب اعلان لندن قطع علاقتها مع ايران وتم طرد الدبلوماسيين البريطانيين، ولم يعد هنالك أي تمثيل دبلوماسي مباشر لبريطانيا في ايران، ولجأت بريطانيا الى ما يعرف "بالوكيل الحامي للمصالح"، وفق اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية، التي تسمح لدولة ثالثة محايدة ان تمثل مصالح دولة لدى الدولة الاخرى، واختارت بريطانيا السويد لرعاية مصالحها في ايران، فكان موظفو القسم القنصلي البريطاني او الممثلين غير الرسميين يعملون تحت غطاء السفارة السويدية ويرفعون علم السويد بدل العلم البريطاني. للمزيد عن الموضوع، ينظر:

Luman Ali, British diplomacy and the Iranian revolution 1978- 1981, palgrave Macmillan, London, 2018.

(5) FCO 9/ 4286, file no. WST020/ 3, Turkey and UK political relations from D Coates to Mr. Caie, the Turks and their meaning to us, 6 April 1983, p. 103.

(٦) مجموعة العشر: تشير مجموعة العشر "G10"، الى مجموعة الدول التي وافقت على المشاركة في ترتيبات الاقتراض العامة، وتعد ترتيبات تكميلية يمكن اللجوء اليها في حال كانت موارد صندوق النقد اقل من احتياجات العضو، تأسست عام ١٩٦٢، من ثماني دول وهي: بلجيكا وكندا وفرنسا وايطاليا واليابان وهولندا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة، ثم لحقت المانيا والسويد بها ، وتم تعزيزها

بانضمام سويسرا عام ١٩٦٤ مما وسع عضويتها الى ١١ دولة لكنها احتفظت باسمها، وتعد المنظمات التالية مراقبين رسميين على انشطة مجموعة العشر: بنك التسويات الدولية، المفوضية الاوربية، صندوق النقد الدولي، منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية. ينظر:

International Monetary Fund, A guide to committees groups and clubs, Group of 10. https://www.imf.org/

(7) FCO 9/ 4286, file no. WST 020/ 3, Turkey and UK political relations, from D C Wilson to R M Russell, tel. no. SWIA 2 A H, London, 7 April 1983, p. 94.

(٨) نظمي اكيمان (١٩٢٩- ٢٠٢٢): دبلوماسي تركي بارز ولد في انقرة ، وتخرج من كلية الحقوق في اسطنبول واكمل دراسته في العلوم السياسية في جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة، شغل عدة مناصب رفيعة منها المتحدث الرسمي لوزارة الخارجية التركية، مساعد الامين العام لحلف بغداد، سفير تركيا كوبا وسفيرها لدى اليونان واسبانيا ورئيس البعثة الدائمة لتركيا في الامم المتحدة. ينظر:

Murat Yalcin, Tanzimat'tan bugune edebiyatcilar ansiklopedisi, vol.2, yapi kerdi publishers, Istanbul, 2010, s. 61.

(٩) مارغريت تاتشر (١٩٢٥- ٢٠١٣): سياسية بريطانية بارزة، وتعد اول امرأة تتولى منصب رئيس وزراء المملكة المتحدة واطول من شغل المنصب في القرن العشرين، ولدت في مقاطعة لينكولنشاير، ودرست الكيمياء في كلية سومرفيل في جامعة اكسفورد دخلت البرلمان عام ١٩٥٩ عضوا في الحزب المحافظ، وشغلت منصب وزير التعليم والعلوم في اوائل سبعينات القرن العشرين، اصبحت رئيسة للوزراء للفترة ١٩٧٩- ١٩٩٠. للمزيد عن حياتها، ينظر:

David Cannadine, Margaret Thatcher a life and legacy, Oxford university press, Oxford, 2017.

(10) FCO 9/ 4286, file no. WST 020/ 3, British Embassy, Turkish reactions to UK elections, Ankara, 27 June 1983, p. 48.

(11) FCO 9/ 4286, file no. WST 020/ 3, Turkey and UK political relations, from R. D. Wilkinson to Mr. Caie, Turkey's public elections, Ankara, 18 August 1983, p.40.

(12) FCO 9/ 4286, file no. WST 020/ 3, Turkey and UK political relations, from FCO 261800z to immediate Ankara, tel. no. 225, 25 August 1983, p.41.

(١٣) الحرب العراقية- الايرانية(١٩٨٠- ١٩٨٨): نزاع مسلح طويل الامد بين العراق وايران، وعد من اطول الجروب التقليدية في القرن العشرين، استخدم الطرفات خلاله اساليب قتالية متنوعة منها القتال في المدن وحرب الناقلات في الخليج العربي، تسببت الحرب بمقتل مئات الآلاف من الاشخاص وتدمير واسع للبنية التحتية واثرت على الاقتصاد في كلا البلدين والمنطقة بشكل عام. للمزيد عن ظروف تلك الحرب، ينظر:

Kevin M. Woods and William Murray, The Iran- Iraq war a military and strategic history, Cambridge university press, Cambridge, 2014.

(14) FCO 9/ 4844, file no. WST 020/4, Turkey and UK political relations, from British Embassy to Foreign commonwealth office, Milliyet interview with Lady Young, Ankara, 21 May 1984, p.27.

(١٥) ترغوت اوزال (١٩٢٧- ١٩٩٣): سياسي تركي ولد في مدينة ملاطيا وشغل منصب رئيس وزراء تركيا خلال المدة ١٩٨٣- ١٩٨٩، ثم اصبح رئيسا للجمهورية خلال المدة ١٩٨٩- ١٩٩٣، ويعد من مؤسسي الموقف النيوليبرالي في تركيا مع تأسيسه لحزب الوطن الام، وفوزه بانتخابات ١٩٨٣، اذ قاد اصلاحات هدفت الى تحرير الاقتصاد وتشجيع الخصخصة والتجارة الدولية. للمزيد عن حياته، ينظر:

Ziya Onis, Turgut Ozal and his economic legacy Turkish neo- liberalism in critical perspective, Journal of middle eastern studies, vol. 40, no. 4, 2004, pp. 113- 134.

(16) FCO, 9/ 5820, file no. WST 020/3, Turkey and UK political relations, from British embassy to foreign commonwealth office, Mr. Ozel meeting with party leaders, Ankara, 7 Mars 1986.

(١٧) وحيد مليح خلف اوغلو (١٩١٩- ٢٠١٧): دبلوماسي وسياسي تركي، تولى منصب وزير الخارجية في المدة ١٩٨٣- ١٩٨٧، اكد خلال مسيرته الدبلوماسية على احتفاظ تركيا بالحياد فيما يخص بعض النزاعات. ينظر:

Thomas Volk, Turkey's perception of its role in the middle east, Nomos publishers, Baden,2022, p. 261.

(١٨) جيفري هاو (١٩٢٦- ٢٠١٥): سياسي بريطاني محافظ شغل منصب نائب رئيس وزراء بريطانيا في المدة ١٩٨٩- ١٩٩٠، وكان اطول وزراء حكومة تاتشر خدمة، اذ شغل مناصب وزير الخزانة ووزير الخارجية ورئيس مجلس العموم، خلال عمله وزيرا للخارجية تواصل مع قادة العالم على طاولة القمة واثبت نجاحه في انهاء الشيوعية في اوروبا. للمزيد، ينظر:

John Campbell, Margaret Thatcher, vol. 2, Jonathan cape publishers, London, 2003, pp. 270- 280.

(١٩) تم توقيع اتفاقية بين العراق وتركيا عام ١٩٨٤ من قبل وزير الخارجية العراقية آنذاك طارق عزيز، تنص الاتفاقية على السماح للقوات التركية بدخول الاراضي العراقية بعمق يصل الى ٥ كم، بشرط ان تخطر انقرة حكومة بغداد قبل ٧٢ ساعة من تنفيذ اي عملية عسكرية عبر الحدود. ينظر:

Unknown author, Iraq 1984 agreement with Turkey on cross border incursions was only for a year, Kurd press digital Journal, 25 April 2022. https://en.kurdpress.com/

(20) FCO, 9/ 5820, file no. WST 020/3, Turkey and UK political relations, Call on the secretary of state by the Turkish foreign minister: 6 July,Ankara,13 July 1987, p.33.

(21) FCO, 9/ 5820, file no. WST 020/3, Turkey and UK political relations, Call on the secretary of state by the Turkish foreign minister: 6 July,Ankara,13 July 1987, p. 30.

(٢٢) اذ ارادات ايران فصل قضية الخليج العربي عن الحرب لضمان حرية الملاحة مع استمرار الحرب، واقترحت نشر صواريخ سيلك روم، وذكر السيد خلف اوغلو في مكالمة هاتفية مع وزير الدفاع البريطاني ان الهدف من نشر الصواريخ هي استخدامها كوسيلة مساومة لاسيما مع امتناع الولايات المتحدة تسليم قطع غيار الطائرات رغم انها دفعت ثمنها، او منع مرور السفن العراقية والكويتية، ورجح ان يكون الرأي الاول هو الارجح. ينظر:

FCO, 9/ 5820, file no. WST 020/3, Turkey and UK political relations ,Note for the record of a discussion between the defense secretary and the foreign minister in Turkey, Ankara, 7 July 1987.

(23) FCO, 9/ 5820, file no. WST 020/3, Turkey and UK political relations, Call on the secretary of state by the Turkish foreign minister: 6 July, Ibid.

(24) FCO, 9/ 5820, file no. WST 020/3, Turkey and UK political relations ,Call on the secretary of state by the Turkish foreign minister: 6 July, Ibid.

(٢٥) ماريا حسن مغتاظ التميمي، موقف تركيا من الصراع العراقي- الايراني، ١٩٨٠- ١٩٨٨، المجلة السياسية الدولية، العدد ١٦، ٢٠٢٠، ص ٢٠٩.

(26) Dilip Hiro, the longest war the Iran- Iraq military conflict, Routledge publishers, London, 1991, pp. 248- 250.

(27) Mahmut Bali Aykan, the Palestinian question in Turkish foreign policy from 1950s to 1990s, Journal of middle east studies, vol. 25, no.1, 1993, p.101.

(٢٨) ياسر عرفات (١٩٢٩- ٢٠٠٤): الاسم الكامل محمد عبد الرؤوف القدوة الحسيني، اشتهر بإسم ياسر عرفات "ابو عمار"، وهو زعيم فلسطيني ومؤسس حركة فتح ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية منذ عام ١٩٦٩، عمل خلال سبعينيات القرن العشرين على تحويل القضية الفلسطينية من شأن عربي الى قضية وطنية مستقلة ذات اعتراف دولي، ونجح في القاء خطابه الشهير امام الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٤، مما مثل اعترافا ضمنياً بشرعية فلسطين، ويعد اول رئيس للسلطة الوطنية الفلسطينية بعد اتفاق اوسلو عام ١٩٩٤، حصل اثرها على جائزة نوبل مع اسحق رابين وشمعون بيريز. للمزيد، ينظر:

William L. Cleveland and Martin Bunton, A history of the modern middle east, 6th ed. Westview press, Colorado, 2016, p. 505.

(٢٩) رونالد ريغان (١٩١١- ٢٠٠٤): هو الرئيس الاربعون للولايات المتحدة، انتمى للحزب المحافظ الجمهوري وتميز بمعارضته الشديدة للشيوعية، سعى في سياسته الخارجية الى زيادة النفوذ الامريكي لمواجهة المعسكر الشرقي. للمزيد، ينظر:

H. W. Brands, Reagan the life, Penguin random house, New York, 2016.

(30) Mahmut Bali Aykan, op., cit, p. 103.

(٣١) ديريك توماس (١٩٢٩- ٢٠٢٢): دبلوماسي بريطاني شغل عدة مناصب عليا في وزارة الخارجية البريطانية خلال سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، انضم الى وزارة الخارجية البريطانية عام ١٩٥٣، وعمل في عدة قنصليات مثل صوفيا واوتاوا، زار تركيا بصفة المدير السياسي في وزارة الخارجية. للمزيد، ينظر:

Colin Mackie, A dictionary of British diplomats 1900- 2011, Harrison & sons publishers, London, 2013, pp. 746, 860, 961.

(٣٢) جورج شولتز (١٩٢٠- ٢٠٢١): احد ابرز الشخصيات السياسية الامريكية في عهد الرئيس رونالد ريغان، من اعضاء الحزب الجمهوري، وتولى مناصب ادارية رفيعة قبل دخوله وزارة الخارجية منها وزير العمل ووزير الخزانة، وتولى منصب وزير الخارجية في المدة ١٩٨٢- ١٩٨٩. ينظر:

Geore C. Herring, From Colony to superpower US foreign relations since 1776, Oxford university press, Oxford, 2008, p. 874.

(33) FCO, 9/ 5820, file no. WST 020/3, Turkey and UK political relations, UK/ Turkey political director talks 18 June 1986: call on Turkish minister of foreign affairs, Ankara 30 June 1986, p. 40.

(34) Mahmut Bali Aykan, op., cit, p. 104.

(٣٥) ماكاريوس الثالث (١٩١٣- ١٩٧٧): واسمه اركاديوس بابادوبولوس، تولى رئاسة قبرص منذ عام ١٩٦٠ وحتى وفاته عام ١٩٧٧، وكان اسقفا ارثودوكسيا يونانيا قبل ان يصبح سياسياً، ويعتبر زعيم القبارصة اليونانيين. ينظر:

Stanly Mayes, Makarios a biography, palgrave Macmillan, London, 1981.

(٣٦) رؤوف دنكتاش (١٩٢٤- ٢٠١٢): شخصية محورية في تاريخ القبارصة الاتراك، شغل منصب اول رئيس جمهورية لجمهورية شمال قبرص، يلقب الاب الروحي للقبارصة الاتراك. ينظر:

Rauf Denktas, Rauf Denktasin Hatirlari 1964- 74, bogazici publishers, Istanbul, 1996.

(٣٧) سبيروس كيبريانو (١٩٣٢- ٢٠٠٢): رئيس جمهورية قبرص خلال السنوات ١٩٧٧- ١٩٨٨، تولى الرئاسة بعد وفاة ماكاريوس الثالث، وتعد فترة حكمه من اصعب الفترات بسبب التدخل التركي، عرف بدوره الدبلوماسي وحصل على تقدير دولي لسعيه في حل النزاع القبرصي والحفاظ على استقلال الدولة. ينظر:

SigmaLive English, Biography of Spyros Kyprianou a valuable historical source says president, 21 November 2024. https://en.sigmalive.com/

(38) Huner Tuncer, the Cyprus issue resent developments, Journal of International affairs, vol.7, no. 3, 2002, p.7.

(39)Huner Tuncer, Ibid, p.8.

(40) FCO, 9/ 4844, file no. WST 020/4, Turkey and UK political relations, Secretary of state's visit to opening session of the CDE in January 1984, Turkey: Bilateral meeting with Turkish foreign minister Mr. Vahit Halefoglu, Stockholm, 19 January 1984, p 33.

(41) FCO, 9/ 4844, file no. WST 020/4, Turkey and UK political relations, Conversation with Mr. Firat, Ankara, 21 May 1984, p. 29.

(42) FCO, 9/ 4844, file no. WST 020/4, Turkey and UK political relations, telegram from Ankara, p.28.

(43) FCO, 9/ 4844, file no. WST 020/4, Turkey and UK political relations ,From southern European department, following for J R L G Varooe: Mr. Russel call on the secretary of state, Ankara, 7 September 1984, p. 24.

(44) FCO, 9/ 4844, file no. WST 020/4, Turkey and UK political relations , 1984,P.20.

(٤٥) خافيير بيريز دي كويار(١٩٢٠- ٢٠٢٠): الامين العام الخامس للامم المتحدة، تولى رئاسة مجلس الامن لفترتين متتاليتين من ١٩٨٢- ١٩٩١، اشرف على جولات التفاوض بين القبارصة الاتراك واليونانيين ضمن مهمة الامم المتحدة لحفظ السلام في قبرص. ينظر:

United nations, Yearbook of the united nations 1986, department of public information, united nation, 1987, pp. 3-5.

(46) FCO, 9/ 5521, file no. WST 020/3, Turkey and UK political relations ,from D M Lawrence to Lady young, Call by Turkish ambassador at 1000 on Friday 25 April, London, 24 April 1986, p. 86.

(٤٧) شكلت لقاءات رئيس وزراء تركيا تورغوت اوزال مع نظيرته البريطانية مارغريت تاتشر من اهم اللحظات في ملف العلاقات البريطانية- التركية فيما يتعلق بقضية قبرص، وكان السيد اوزال قد عقد اول اجتماع له معها خلال زيارته الى لندن في شباط ١٩٨٦، اذ ابلغ تاتشر بأن تركيا تلتزم بوجود حل سلمي في قبرص، وشدد ان تركيا لن تسحب قواتها الا ضمن اطار تسوية شاملة تضمن حقوق القبارصة الاتراك، فيما اكد السيدة تاتشر بأن بريطانيا ترغب في استئناف المفاوضات تحت اشراف الامم المتحدة. ينظر:

James Ker Lindsay, the Cyprus problem what everyone needs to know, Oxford university press, Oxford, 2011, pp. 61- 63.

(48) FCO, 9/ 5521, file no. WST 020/3, Turkey and UK political relations ,from R A Neilson to Mr. Ratford, Turkey where next, research department, London, 9 May 1986, p. 70.

(49) FCO, 9/ 5820, file no. WST 020/3 Turkey and UK political relation, from FCO to deskby 090500z, tel. no. 1137, calls on the secretary of state by the Turkish foreign minister 6 and 8 July, London, 13 July 1987, p. 17.

(50) FCO, from Dublin to Immediate FCO, tel. no. 557, European council on 25- 26 June, Dublin 26 June 1990, p. 102.

(٥١) الاتحاد السوفيتي: هو اتحاد مجموعة من الجمهوريات وهي جمهورية ارمينيا الاشتراكية وجمهورية أذربيجان الاشتراكية وجمهورية استونيا الاشتراكية وجمهورية اوزبكستان الاشتراكية وجمهورية أوكرانيا الاشتراكية وجمهورية بيلاروسيا الاشتراكية وجمهورية تركمانستان الاشتراكية وجمهورية جورجيا الاشتراكية، وجمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية وجمهورية طاجكستان الاشتراكية وجمهورية كازاخستان الاشتراكية وجمهورية قيرغيزستان الاشتراكية وجمهورية لاتفيا الاشتراكية وجمهورية ليتوانيا الاشتراكية وجمهورية مولدوفا الاشتراكية، بدأ منذ نجاح الثورة البلشفية خلال المدة ١٩١٧- ١٩٢٢، بعد ان قدم وعدا ببناء دولة الرفاهية والعدالة التي تقوم على الاتحاد الطوعي الا انه شهد في العهد الستاليني اقسى انواع السلطات المركزية بعد ان تم اخضاع عدد من الدول تحت الهيمنة السوفيتية وبالقوة واجبارها على انتهاج الخط الماركسي الذي حرم على الشعوب السوفيتية اي مشاعر قومية او دينية، واستمر وجود الاتحاد السوفيتي منذ عام ١٩١٧ وحتى عام ١٩٩١. ينظر: شيماء تركان

صالح، السياسة الخارجية الروسية حيال القضايا الدولية الانتشار النووي انموذجاً، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، بغداد ، ٢٠١٢، ص ص ٣- ١٨.

(٥٢) اذ جرت مباحثات دبلوماسية بين الطرفين في كل من انقرة وموسكو فاعترض السوفييت على نشر منظومات امريكية نووية في الاراضي التركية متهما اياها بخرق مبدأ الامن المتبادل، من خلال السماح باستخدام قواعدها الجوية، وحذرت روسيا الجانب التركي بشكل مبطن من ان التعاون مع الولايات المتحدة يجعلها هدفاً محتملا لاي رد استراتيجي سوفيتي في حال اندلاع الحرب بين الكتلتين، واكد في الوقت نفسه على رغبة موسكو بالحفاظ على العلاقات الاقتصادية والسياسية مع انقرة رغم الخلاف النووي. ينظر:

Huner Tuncer, Sovyetler birligi ve Turkiye soguk savas donemi illskileri 1954- 1991, Umit publishers, Ankara, 2000, pp. 2015- 215- 217.

(53) FCO, 9/ 4286, file no. WST 020/3, Turkey UK political relations, R M Russel, Call on Mr. Yazuzalp, Ankara, 14 March 1983.

(54) FCO, 9/ 5820, file no. WET 020/3, Turkey UK political relations, From Ankara to Routine FCO, tel.no 318, Anglo- Turkish po/mil talks, 12 October 1987, p. 3.

(٥٥) ميخائيل غورباتشوف (١٩٣١- ٢٠٢٢): آخر رئيس للاتحاد السوفيتي واحد ابرز شخصيات القرن العشرين، تولى منصب الامين العام للحزب الشيوعي عام ١٩٨٥، ثم اصبح رئيسا للدولة السوفيتية حتى تفكك الاتحاد عام ١٩٩١، عرف بسياساته الاصلاحية التي هدفت الى انقاذ النظام السوفيتي من الانهيار عن طريق اعادة الهيكلة الاقتصادية والادارية والشفافية والانفتاح الاعلامي والسياسي، من اهم انجازاته انه خفف التوتر مع الغرب وانهى سباق التسلح النووي عبر التوقيع على معاهدة القوى النووية متوسطة المدى مع الرئيس الامريكي ريغان عام ١٩٨٧. ينظر:

John Lewis Gaddis, The cold war a history, penguin press, New York, 2005, pp. 225- 228.

(56) FCO, 9/ 6991, file no. WST 202/2, UK Turkish political relations,from British embassy to FCO, UK/ Turkish bilateral talks about counter terrorism, Ankara 9 May 1990, p.147.

(٥٧) الحرب الافغانية- السوفيتية (١٩٧٩- ١٩٨٩): بدأت الحرب عندما تدخل الاتحاد السوفيتي عسكريا في افغانستان لدعم الحكومة الشيوعية في كابول بعد ان واجهت تلك الحكومة تمردا واسعا من قبل الجماعات= =الاسلامية "المجاهدين"، وكانت تلك الجماعات تحظى بدعم الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية وباكستان والصين في اطار الحرب الباردة التي تهدف الى استنزاف الاتحاد السوفيتي ومنع تمدده نحو الخليج، ونشر الاتحاد السوفيتي ما يقارب المائة الف جندي فيها، لكنه واجه حرب عصابات شرسة بدعم من الولايات المتحدة التي زودت المجاهدين بالأسلحة والصواريخ، وفي النصف الثاني من ثمانينيات القرن الماضي ومع ارتفاع اعداد الخسائر السوفيتية، قرر الاتحاد السوفيتي الانسحاب. ينظر:

Odd Arne Westad, the global cold war third world intervention and the making of our times, Cambridge university press, Cambridge, 2005, pp. 328- 331.

(58) FCO, 9/ 5820, file no. WET 020/3, Turkey UK political relations, Call on the secretary of state by the Turkish foreign minister, 6 July, London, 13 July, 1987, p. 30.

(59) Odd Arne Westad, op., cit, pp. 288- 291.

المصادر والمراجع

اولاً. الوثائق البريطانية

1. FCO, from Dublin to Immediate FCO, tel. no. 557, European council on 25-26 June, Dublin 26 June 1990.
2. FCO 9/ 4286,file no. WST 020/ 3, Turkey and UK political relations, J L Bullard to Lord Belstead, the Turks and their meaning to us, 6 April 1983.
3. FCO 9/ 4286, file no. WST020/ 3, Turkey and UK political relations, from D Coates to Mr. Caie, the Turks and their meaning to us, 6 April 1983.
4. FCO 9/ 4286, file no. WST 020/ 3, Turkey and UK political relations, from D C Wilson to R M Russell, tel. no. SWIA 2 A H, London, 7 April 1983.
5. FCO 9/ 4286, file no. WST 020/ 3, British Embassy, Turkish reactions to UK elections, Ankara, 27 June 1983.

6. FCO 9/ 4286, file no. WST 020/ 3, Turkey and UK political relations, from R. D. Wilkinson to Mr. Caie, Turkey's public elections, Ankara, 18 August 1983.
7. FCO 9/ 4286, file no. WST 020/ 3, Turkey and UK political relations, from FCO 261800z to immediate Ankara, tel. no. 225, 25 August 1983.
8. FCO 9/ 4286, file no. WST 020/ 3, Turkey and UK political relations, from D C Wilson to R M Russell, tel. no. SWIA 2 A H, London, 7 April 1983.
9. FCO, 9/ 5820, file no. WST 020/3, Turkey and UK political relations, from British embassy to foreign commonwealth office, Mr. Ozel meeting with party leaders, Ankara, 7 Mars 1986.
10. FCO, 9/ 5820, file no. WST 020/3, Turkey and UK political relations, Call on the secretary of state by the Turkish foreign minister: 6 July,Ankara,13 July 1987.
11. FCO, 9/ 5820, file no. WST 020/3, Turkey and UK political relations, Call on the secretary of state by the Turkish foreign minister: 6 July,Ankara,13 July 1987.
12. FCO, 9/ 5820, file no. WST 020/3, Turkey and UK political relations ,Note for the record of a discussion between the defense secretary and the foreign minister in Turkey, Ankara, 7 July 1987.
13. FCO, 9/ 5820, file no. WST 020/3, Turkey and UK political relations, UK/ Turkey political director talks 18 June 1986: call on Turkish minister of foreign affairs, Ankara 30 June 1986.
14. FCO, 9/ 5521, file no. WST 020/3, Turkey and UK political relations ,from D M Lawrence to Lady young, Call by Turkish ambassador at 1000 on Friday 25 April, London, 24 April 1986.

15. FCO, 9/ 5521, file no. WST 020/3, Turkey and UK political relations ,from R A Neilson to Mr. Ratford, Turkey where next, research department, London, 9 May 1986.

16. FCO, 9/ 5820, file no. WST 020/3 Turkey and UK political relation, from FCO to deskby 090500z, tel. no. 1137, calls on the secretary of state by the Turkish foreign minister 6 and 8 July, London, 13 July 1987.

17. FCO, 9/ 4286, file no. WST 020/3, Turkey UK political relations, R M Russel, Call on Mr. Yazuzalp, Ankara, 14 March 1983.

18. FCO, 9/ 5820, file no. WET 020/3, Turkey UK political relations, From Ankara to Routine FCO, tel.no 318, Anglo- Turkish po/mil talks, 12 October 1987.

19. FCO 9/ 4844, file no. WST 020/4, Turkey and UK political relations, from British Embassy to Foreign commonwealth office, Milliyet interview with Lady Young, Ankara, 21 May 1984.

20. FCO, 9/ 4844, file no. WST 020/4, Turkey and UK political relations, Secretary of state's visit to opening session of the CDE in January 1984, Turkey: Bilateral meeting with Turkish foreign minister Mr. Vahit Halefoglu, Stockholm, 19 January 1984.

21. FCO, 9/ 4844, file no. WST 020/4, Turkey and UK political relations, Conversation with Mr. Firat, Ankara, 21 May 1984.

22. FCO, 9/ 4844, file no. WST 020/4, Turkey and UK political relations, telegram from Ankara, 1984.

23. FCO, 9/ 4844, file no. WST 020/4, Turkey and UK political relations ,From southern European department, following for J R L G Varooe: Mr. Russel call on the secretary of state, Ankara, 7 September 1984.

24. FCO, 9/ 4844, file no. WST 020/4, Turkey and UK political relations , 1984.

25. FCO, 9/ 6991, file no. WST 202/2, UK Turkish political relations,from British embassy to FCO, UK/ Turkish bilateral talks about counter terrorism, Ankara 9 May 1990.

26. FCO, 9/ 5820, file no. WET 020/3, Turkey UK political relations, Call on the secretary of state by the Turkish foreign minister, 6 July, London, 13 July, 1987.

ثانيا. المصادر العربية

١. شيماء تركان صالح، السياسة الخارجية الروسية حيال القضايا الدولية الانتشار النووي انموذجاً، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، بغداد ، ٢٠١٢.

٢. ماريا حسن مغتاظ التميمي، موقف تركيا من الصراع العراقي- الايراني، ١٩٨٠- ١٩٨٨، المجلة السياسية الدولية، العدد ١٦، ٢٠٢٠.

ثالثا. المصادر الاجنبية

1. Colin Mackie, A dictionary of British diplomats 1900- 2011, Harrison & sons publishers, London, 2013.

2. David Cannadine, Margaret Thatcher a life and legacy, Oxford university press, Oxford, 2017.

3. Dilip Hiro, the longest war the Iran- Iraq military conflict, Routledge publishers, London, 1991.

4. George C. Herring, From Colony to superpower US foreign relations since 1776, Oxford university press, Oxford, 2008.

5. H. W. Brands, Reagan the life, Penguin random house, New York, 2016.

6. Huner Tuncer, Sovyetler birligi ve Turkiye soguk savas donemi illskileri 1954- 1991, Umit publishers, Ankara, 2000.

7. Huner Tuncer, the Cyprus issue resent developments, Journal of International affairs, vol.7, no. 3, 2002.

8. James Ker Lindsay, the Cyprus problem what everyone needs to know, Oxford university press, Oxford, 2011.
9. John Campbell, Margaret Thatcher, vol. 2, Jonathan cape publishers, London, 2003.
10. John Lewis Gaddis, The cold war a history, penguin press, New York, 2005.
11. Kevin M. Woods and William Murray, The Iran- Iraq war a military and strategic history, Cambridge university press, Cambridge, 2014.
12. Luman Ali, British diplomacy and the Iranian revolution 1978- 1981, palgrave Macmillan, London, 2018.
13. Mahmut Bali Aykan, the Palestinian question in Turkish foreign policy from 1950s to 1990s, Journal of middle east studies, vol. 25, no.1, 1993.
14. Murat Yalcin, Tanzimat'tan bugune edebiyatcilar ansiklopedisi, Cilt2, yapi kerdi yayinlari, Istanbul, 2010, s. 61.
15. Odd Arne Westad, the global cold war third world intervention and the making of our times, Cambridge university press, Cambridge, 2005.
16. Rauf Denktas, Rauf Denktasin Hatirlari 1964- 74, bogazici publishers, Istanbul, 1996.
17. Stanly Mayes, Makarios a biography, palgrave Macmillan, London, 1981.
18. Thomas Volk, Turkey's perception of its role in the middle east, Nomos publishers, Baden,2022.
19. United nations, Yearbook of the united nations 1986, department of public information, united nation, 1987.
20. William L. Cleveland and Martin Bunton, A history of the modern middle east, 6th ed. Westview press, Colorado, 2016.

21. Ziya Onis, Turgut Ozal and his economic legacy Turkish neo- liberalism in critical perspective, Journal of middle eastern studies, vol. 40, no. 4, 2004.

رابعاً. الروابط الالكترونية

1. International Monetary Fund, A guide to committees groups and clubs, Group of 10. https://www.imf.org/
2. SigmaLive English, Biography of Spyros Kyprianou a valuable historical source says president, 21 November 2024. https://en.sigmalive.com/
3. Unknown author, Iraq 1984 agreement with Turkey on cross border incursions was only for a year, Kurd press digital Journal, 25 April 2022. https://en.kurdpress.com/

الموقف الرسمي لدول مجلس التعاون الخليجي من التسلح النووي (الاسرائيلي) ١٩٩١-٢٠١٥م
(دراسة تاريخية)

أ.م.د. عبدالرزاق خليفة رمضان اللهيبي

كلية التربية للبنات , جامعة تكريت, صلاح الدين, العراق

abdulrazaq.ramadhan@tu.edu.iq

الهاتف ٠٧٧٠٣٧٧٢٦٩٠

الموقف الرسمي لدول مجلس التعاون الخليجي من التسلح النووي (الاسرائيلي) ١٩٩١-٢٠١٥م (دراسة تاريخية)

أ.م.د. عبدالرزاق خليفة رمضان اللهيبي

ملخص البحث

ظهرت العديد من التجارب النووية لأغراض عسكرية ومنها البرنامج النووي (الإسرائيلي)، التي بررت وجوده والعمل على تطويره لأهداف خاصة وما تمر به من ظروف خارجية ، وبينت دول مجلس التعاون الخليجي دائما ان (إسرائيل) تعمل على تطوير تقنيات بطريقة سرية للغاية من اجل الوصول الى السلاح النووي بهدف تصل الى توازن على المستوى الاقليمي والمحيط المعادي لها بسبب سياساتها العنصرية والاستيطانية ، الآمر جعل دول المجلس تحث الخطى لتحجيم هذه الانشطة بدأتها بمناشدة المجتمع الدولي من اجل الضغط عليها لإيقاف انشطتها وملاحقتها في المحافل الدولية لغرض ايقاف العمل بها، ومحاولة دول مجلس التعاون الخليجي دعم برامج نووية خرى تكون بالضد من البرنامج النووي (الإسرائيلي) او تطوير برامج نووية خاصة بها وان كانت سلمية ، وخططت للمستقبل بهدف الحفاظ على استقرارها وسيادتها وامنها القومي بالضد من كل ذلك.

الكلمات المفتاحية (مجلس التعاون الخليجي ، ((إسرائيل)) ، النووي ، الادارة الامريكية، القمة الخليجية)

The position of the Gulf Cooperation Council countries on the Israeli nuclear program 1991-2015 AD:

Asst. Prof. Dr. Abdulrazzaq Khalifa Ramadan Al-Lahibi
1 College of Education for Girls, Tikrit University, Salah Al-Din, Iraq

Research Summary

Numerous nuclear tests for military purposes have been conducted, including the Israeli nuclear program. Israel has justified its existence and development of this program for specific objectives and in response to external circumstances. The Gulf Cooperation

Council (GCC) states have consistently maintained that Israel is secretly developing nuclear technologies to achieve a balance of power in the region and against its hostile environment, due to its racist and expansionist policies. This has prompted the GCC states to take swift action to curb these activities. They began by appealing to the international community to pressure Israel to halt its nuclear program and pursue legal action against it in international forums to stop its activities. The GCC states have also sought to support alternative nuclear programs to counter the Israeli program or develop their own nuclear programs, even for peaceful purposes. They have planned for the future to maintain their stability, sovereignty, and national security in the face of all these challenges.

Keywords: (GCC, Israel, nuclear, US administration, GCC summit(

المقدمة:

كانت دول مجلس تعاون الخليج العربي تتمتع بمميزات عدة منها وحدة المكان ، وتشابه انظمة الحكم السياسية فيها ، كما أنها ذات انتماء عروبي واسلامي ، ومن الناحية الاقتصادية تمتلك ثروات طبيعية هائلة تتمثل بالنفط الخام ، فضلا عن اهميتها العالمية كمصدر للنفط الذي يشكل عصب الحياة لدول العالم ، إذ كانت تتأثر بكل الاحداث سلبا وايجابا التي تحدث على المستويين الاقليمي والدولي ، وعلى هذا الاساس رأت دول مجلس التعاون الخليجي ان توحد جهودها وامكانياتها بوجه كل الاخطار التي من الممكن ان تشكل تهديدا لامنها ومنها البرنامج النووي (الإسرائيلي) من هنا جاءت اهمية موضوع بحثنا الموسوم (موقف دول مجلس التعاون الخليجي من البرنامج النووي (الإسرائيلي) ١٩٩١-٢٠١٥م (دراسة تاريخية) ، والذي تكون اولا: من ومقدمة ، وعن تأسيس مجلس التعاون الخليج وما تضمنه نظامه الاساسي واهدافه ، والهيكل التنظيمي للمجلس، أما ثانيا فقد تضمن مواقف دول مجلس التعاون من البرنامج النووي (الإسرائيلي) للمدة من عام ١٩٩١ وحتى عام ٢٠١٥ ، والحقت بالبحث خاتمة تضمنت الاستنتاجات التي توصل اليها الباحث.

المبحث الاول : نبذة عن البرنامج النووي (الإسرائيلي).

أصدر رئيس الوزراء (الإسرائيلي) بن غوريون [١] (David Ben Gurion1948-1963 قرارا تضمن انشاء لجنة الطاقة الذرية (الإسرائيلية) (IAEC) في العام ١٩٥٢ [٢]، إذ تمكنت من الوصول الى معرفة في المجال النووي زودنها بها الادرة الامريكية ،وتمكنت من الحصول على مفاعل نووي اطلق عليه مفاعل ديمونا حسب الاتفاق الذي تم مع الحكومة الفرنسية في العام ١٩٥٧ ، وبدأ العمل خلال العام ١٩٦٤م[٣].

كما استمرت بالتعاون مع الادارة الامريكية التي زودنها بمفاعل نووي جديد تم انشائه في مدينة ريشون ليزون (Rishon LE zion) ، خلال العام١٩٥٤[٤] إذ وضع اساس انشائه في العام ١٩٥٧[٥]، فيما منحتها مفاعل ناحال سوريك[٦]،، بموجب اتفاق عام ١٩٥٥ ودشن خلال العام ١٩٥٧م ، إذ أكتمل بتاريخ ٢٢ كانون الأول ١٩٥٨عام [٧] ،ثم اهدتها[٨]، مفاعل النبي روبين (Nabi Rubin) [٩]،،، باشرت العمل به [١٠]، عام ١٩٦٦م [١١].

تعاونت (إسرائيل) مع ألمانيا الغربية التي قامت خلال العام ١٩٥٢ بتوقيع اتفاق اطلق عليه (اتفاقية التعويضات) مع (إسرائيل) [١٢]، ،وتشير معظم التقارير إلى أن التعاون الذري بين (إسرائيل) وجنوب افريقيا[١٣]،بدأ في عام ١٩٥٥م[١٤]،إذ تمكنت (إسرائيل) من عقد صفقة استيراد (١٠أطنان) من مادة اليورانيوم من جنوب إفريقيا خلال العام ١٩٦٣، كما قدمت جنوب فريقيا مقترحا لاسرائيل في العام ١٩٦٦ بأنها لا تمانع إذا انت اسرائيل ترغب بتجريب سلاحها النووي على ارض جنوب افريقيا ، لكن (اسرائيل) أجلت المقترح بسبب ضغط الادارة الامريكية ، لا سيما إنها كانت على وشك شن هجوم ضد الدول العربية وفعلا تم تنفيذه في ٥ حزيران ١٩٦٧م[١٥]،

وفي عام ١٩٦٨ وهو تاريخ دخول معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النوويةNPT [١٦] التي وقعت عليها (١٨٩) دولة حيز النفاذ، رفضت (إسرائيل) التوقيع والانضمام الى هذه المعاهدة ،وتبعاً لذلك لم تسمح (إسرائيل) بعد عام ١٩٦٩ لأي جهة اجنبية بزيارة المنشآت النووية في ديمونا[١٧].

وواتضحت التخمينات بأن (إسرائيل) تمتلك التقنيات النووية لا سيما خلال العام ١٩٧٨، بعد أن سربت وثيقة رسمية عن (CIA) بينت ضمنيا انها تاكدت خلال شهر أيلول عام ١٩٧٤ أنّ (إسرائيل) قد حازت على التقنيات القادرة على تصنيع السلاح النووي، في الوق الذي أكد فيه الكاتب اليهودي ناداف سافران (Nadaf Safran) قائلاً : ((إنّ الولايات المتحدة كانت تعرف قبل ذلك بامتلاك (إسرائيل) لتلك القنابل، وأكثر من ذلك بأنّ (إسرائيل) كانت قد هددت باستخدامها خلال حرب عام ١٩٧٣)) [١٨].

كما صرح في عام ١٩٧٥ رئيس اركان الجيش الاسرائيلي مردخاي غور (Gore Mordechai) ، بأنّ الشرق الاوسط سيدخل في مضمار التنافس على صنع الاسلحة النووية بشكل متسارع، وتعقيبا على هذا التصريح أكد موشي دايان (Moshe Dayan) [١٩] ، بعد عام من تصريح مردخاي وتحديدا في العام ١٩٧٦ مشددا على ان الحكومة الاسرائيلية ملزمة بالحفاظ على امن اسرائيل من خلال امتلاكها ردع نووي عسكري للوقوف بوجه التحديات المقبلة تطورات الصراع في منطقة المجاورة لاسرائيل في المستقبل القريب بعد أن تمكنت الدول العربية من امتلاك الاسلحة التقليدية المتطورة التي اصبحت لا تقارن بما تملكه اسرائيل منها [٢٠] .

بدأت الدول العربية تناشد على المستويين الاقليمي والدولي وتحديدا دول مجلس التعاون الخليجي خلال عقد التسعينيات من القرن المنصرم على لوضع حد للتسلح النووي وانهاء هذا الملف، كما طالبوا من اجل جعل المنطقة منزوعة السلاح لاسيما ما تمتلكه (اسرائيل) من برامج في هذا المجال، وتحركوا على المستويات كافة من اجل دفعها للتوقيع على معاهدات منع انتشار الاسلحة النووية وتحش الرأي العالمي من اجل هذ الهدف ، العمل على دعم كل التشريعات والقوانين الصادرة المنظمات الدولية ومنها وكالة الطاقة الذرية التي تعمل على محاولات نزع الاسلحة المحظورة دوليا ومنها الاسلحة النووية [٢١] .

بعد ذلك حدث ما لم يكن متوقعا بأن (إسرائيل) وجمهورية جنوب افريقيا قامتا بتاريخ ٢٢ أيلول عام ١٩٧٩م بتفجير نووي بعد ان اكتشف امرهم قمر صناعي تابع للإدارة الامريكية يطلق عليه اسم فيلا (Villa) [٢٢]بعد أن اظهر أن تفجير شديد تصل قوته الى (٤٢) كيلو

طن وقع على مقربة من الجزيرة العائدة لجنوب افريقيا (جزيرة ادوارد) فوق المحيط الهندي ، الامر الذي اعتبره الكثير من الخبراء والمحللين بأنه تفجير نووي وقع باتفاق بين الدولتين[٢٣].

وأكد الكثير من التقارير الصادرة عن جهات رسمية أمريكية عام ١٩٨١ بأن الحكومة (الاسرائيلية عملت وبشكل سري على رفع قدرة مفاعلها النووي قي صحراء النقب المعروف بمفلعل ديمونا من النسبة السابقة (٢٥) ميكاواط إلى نسبة اعلى وصلت الى (٧٥) ميكاواط، وحسب القياسات العلمية في هذا المجال أن المفاعل اصبح قادرا على انتاج كمية تصل الى (٢٥) كيلو غرام من المادة المعروفة بالبلوتونيوم في كل سنة [٢٤].

استمرت دول مجلس تعاون الخليج العربي بالحذر من البرنامج النووي (الاسرائيلي)، مع التركيز على الدعوة لإخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل، بما في ذلك الأسلحة النووية، ورغم عدم وجود تصريحات رسمية مباشرة من دول الخليج تستهدف البرنامج النووي للكيان الصهيوني، إلا أن مواقفها كانت تنسجم مع المواقف العربية العامة التي طالبت تل ابيب بالتوقيع على اتفاقية منع الانتشار النووي وفتح مؤسساتها النووية امام المراقبين الدوليين.

في عام ١٩٨١،أصدر مجلس الأمن الدولي القرار رقم (٤٨٧) بعد قصف الكيان الصهيوني لمفاعل تموز النووي العراقي، وطالب القرار الكيان الصهيوني بوضع منشآته النووية تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وقد دعمت الدول الخليجية هذا القرار ضمن الموقف العربي العام[٢٥].

وبعد ان انتجت (إسرائيل) القنبلة النيترونية سربت المعلومات منذ بداية الثمانينيات ان (إسرائيل) عملت على انتاج القنبلة الهيدروجينية، وفي السياق ذاته نشرت وزارة الدفاع الامريكية (البنتاغون) تقريرا عام ١٩٨٧م يؤكد ان (إسرائيل) ما زالت انذاك اجرت ابحاثا في التكنولوجيا اللازمة وخلص الى انه ((اعتبارا من عام ١٩٨٧م وصل (الإسرائيليون) الى مثل ما وصل اليه الامريكيون في مجال الاسلحة الهيدروجينية في المدة بين عامي ١٩٥٥-١٩٦٠)) [٢٦].

المبحث الثاني: الموقف الرسمي لدول مجلس تعاون الخليج العربي من التسلح النووي (الإسرائيلي) ١٩٩١-٢٠١٥م.

كانت لدى دول المجلس [٢٧] طموحات عدة سع الى انجازها من اهمها ما يأتي:

السعي من اجل توحيد الصفوف على الاصعدة كافة بين الدول المنضوية تحت هيئة المجلس املا في توحدها في كل المجالات، بالإضافة الى تكثيف التواصل بشكل مستمر، وتشريع نظام موحد متماثلة على كل الاصعدة: في المجال السياسي والاقتصادي والثقافي وغيرها وغيرها .

حددت الدول الاعضاء ما يتعلق بالجانب الاقتصادي والاجتماعي في حين ذكر الجانب السياسي في الفقرات التي عدت اكثرها عمومية . اما الأهداف العسكرية والأمنية فيمكن ملاحظتها من خلال الأسباب والدوافع التي كانت وراء تشكيل المجلس ومن بينها الخطر (الإسرائيلي) علة المنطقة العربية لاسيما خطر البرنامج النووي الذي تعمل عليه (إسرائيل) [٢٨].

اتخذت دول مجلس التعاون الخليجي منذ عام ١٩٩١م وانتهاء حرب الخليج الثانية جانبا يتحيح لها التوصل الى اتفاق يشملها جميعا , وربما المحيط الاقليمي بشكل عام ولا يستثنى من ذلك (إسرائيل) , من اجل وضع تشريعات قانونية لجعل الـ " الشرق الاوسط خاليا من السلاح النووي" ونزع أسلحة الدمار الشامل بشكل نهائي [٢٩]

صدر القرار ٦٨٧، في عام ١٩٩١ الذي أكد ان تكون المنطقة منزوعة السلاح النووي لاسيما دول الشرق الأوسط، الامر الذي رحبت به دول الخليج العربي،[٣٠]، في الوقت ذاته حضرت دول المجلس الاجتماع الذي عقد في العاصمة السورية دمشق في السادس من شهر آذار عام ١٩٩١، الذي تجسدت فيه اوار الاخوة العربي من اجل العمل العربي المشترك بين الدول العربية لمواجهة الاخطار التي تعف بالمنطقة ومنها قضية التسلح النووي التي تشكل خطرا جسيما على حاضر ومستقبل المنطقة باسرها لاسيما ما تمتلكه اسرائيل من برامج سرية في هذا المجال[٣١].

واهم ما نتج عن الاجتماع المذكور نصا يتضمن السعي الدؤوب من قبل جميع الدول المشاركة على العمل على المستويين الاقليمي والدولي من اجل اخلاء المنطقة من الاسلحة النووية واسلحة الدمار الشامل، ويكون كل ذلك من خلال القنوات الدولية المعنية بهذا الموضوع، بالاستناد على مجموعة من الخطوات اهمها :[٣٢] .

- يكون الاتفاق للعمل وفق تشريعات مجلس الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة.
- ابراز الصلات التي تربط الدول العربية في الجوانب كافة لا سيما الجانب التاريخي والجغرافي والحضارة والثقافة الواحدة التي تربط شعوب هذه المنطقة .
- تعزيز الجهود الجماعية للوصول الى كيان عربي موحد ومستقل يهدف الى وحدة القرار والمصير المشترك [٣٣].
- إعتبار هذه الترتيبات التي جرى التوافق والاتفاق عليها بين الأطراف المشاركة بمثابة الأساس الذي يمكن البناء عليه من أجل تحقيق ذلك.
- حدد الهدف المهم من كل ذلك في الجانب الاقتصادي من اجل وحدة اقتصادية شاملة هدفها وضع خطط تنموية تسهم في انعاش الجانبين الاقتصادي والاجتماعي .
- ان تكون للدول العربية السيادة الكاملة على ثرواتها الطبيعية في اراضيها في عن مواردها الاقتصادية [٣٤] .
- توجيه كافة الإمكانيات العربية لمواجهة التحديات التي يتعرض لها الاستقرار والأمن في المنطقة، ولتحقيق حل عادل وشامل للصراع العربي الصهيوني، وقضية فلسطين على أساي ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها ذات الصلة.

وخلال القمم الدورية لمجلس التعاون الخليجي، تم التأكيد مرارا وتكرارا جعل المنطقة العربية عامة والمنطقة الإقليمية بشكل خاص خالية من الاسلحة المحرمة دوليا ومنها اسلحة التدمير الشامل ، فعلى سبيل المثال، في القمة الثالثة عشرة التي عقدت في العام ١٩٩٢ في الامارات العربية المتحدة وتحديدا في مدينة ابو ظبي، التي نتج عنها عدة امور منها " الحث على اتخاذ الخطوات الجادة من اجل الحيلولة دون انشاء مؤسسات تتعلق بالتسلح النووي وجعل المنطقة امنة)[٣٥] .

ادركت دول المجلس الخليجي أن استمرار التقدم في انشاء المفاعلات النووية الغير سلمية من شانه ان يعرض المنطقة الى اوضاع غير امنة او مستقرة ومن المؤكد ان يترتب عليه نتائج في الوقت الحاضر وفي المستقبل القريب، واكدت بقوة ان انتشار التقنيات النووية لاغراض عسكرية مرفوض جملة وتفصيلا ، ورات بان حيازة (إسرائيل) لهذه البرامج السرية عامل تهديد للسلامة الامنية الاقليمية والدولية معا ، ويشكل دافعا لبعض الجهات الاقليمية ان تحذو حذوها في البدء بعمليات تطوير برامجها النووية لاغراض غير سلمية ، إذ استمرت دول المجلس على المستوى بادانة هكذا خطوات ن خلال ما يصدر عنه في ختام كل قمة يعقدها لا سيما القمة التي انعقدت في شهر كانون الثاني من عام ١٩٩٢ والتي دعت إلى العمل الحثيث من اجل الحد من الابحاث التي تتعلق بتطوير تقنيات الأسلحة النووية وايقاف التقدم في هذا المضمار وصولا الى نزعها بشكل نهائي، والعمل على تقوية انظمة وتشريعات الوكالة الدولية للطاقة النووية[٣٦] .

كما اشترطت دول المجلس ان مسألة نزع السلاح النووي لدى اسرائيل شرطا اساسيا في جعل المنطقة خالية من هذا النوع من الاسلحة لاسيما أسلحة الدمار الشامل حسب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٤٩/ ٧١ الصادر في ١٥ كانون الاول عام ١٩٩٤ الذي حث جميع الأطراف في منطقة الشرق الأوسط على اتخاذ الخطوات الجدية والعملية المطلوبة لتطبيق مشروع إعلان منطقة الشرق الأوسط منطقة خالية من الأسلحة النووية [٣٧].

واستمرت هذه الدول بالمطالبة على جعل (اسرائيل تذعن للقرارات الدولية وتلتزم باحترام ما يصدر عنها وتقوم بتطبيقها وفق السياقات القانونية التي تلم جميع دول العالم بذلك من اجل جعل المنطقة خالية من البرامج النووية التي ينتج عنها اسلحة لأغراض عسكرية ، الامر الذي نوهت اليه المادة (رقم٤) من المعاهدة التي عقدت بين المملكة الأردنية الهاشمية و (اسرائيل) في عام ١٩٩٤ اطلق عليها في الاعراف الرسمية (وادي عربة) ابدى كل من الاردن واسرائيل موافقته على السعي من اجل ان تكون المنطقة امنة منزوعة من الاسلحة النووية او الاسلحة العسكرية مع وضع ضمانات من اجل ان تكون المنطقة امن مستقرة تنعم بسلام حقيقي يلتزم به الطرفين [٣٨] .

قدمت دول المجلس اسئلة كثيرة كما قدمتها دول اخرى خارج المنطقة عن مدى جدية التهديد الذي تطلقه (اسرائيل) بين مدى واخرى بشان قصف اماكن المفاعلات النووية التابعة لايران، وبخصوص هذا الموضوع طرح سؤال الى المسؤول الاول عن ذلك والمتحدث الرسمي المخول عن الفريق الإيراني المفاوض المدعو حسين موسويان ب شان مدى جدية قصف ايران ؟ من جانب (اسرائيل) والقصف سيكون مشتركا بينها وبين الادرة الامريكية؟[٣٩].

رد موسويان قائلا : اولا : هل من الممكن اعتبار التهديدات (الإسرائيلية) الأميركية بتبني الخيار العسكري للتعامل مع الطموحات النووية الإيرانية خياراً جدياً؟ أم أنه مجرد تكتيك ووسيلة ضغط سياسي ومعنوي على القيادات الإيرانية، وكذلك على الدول التي تتخذ موقفا متساهلا إزاء المشروع النووي الإيراني، لكونه في حسابات الواقع العملي أمرا غير قابل للحدوث تحت أي ظرف من الظروف وثانيا: هل يمثل هذا الخيار أحد الخيارات الجدية والحقيقية المتوفرة للتعامل مع ما يصطلح عليه بالخطر النووي الإيراني [٤٠].

ورأى حسين موسويان ، أن عملية قيام (إسرائيل) بهجوم عسكري لايران امر مستبعد كون قدرة اسرائيل على ذلك هي اضعف من ان تقوم بمثل هذه المهمة العسكرية ، لاسيما اذا اقدمت على ذلك بمفردها، وأن هدفها الذي تعمل عليه بشكل مستمر محاول جر الإدارة الامريكية للدخول بحرب مع الجانب الايراني [٤١].

وفرضا لو اقدمت (اسرائيل) على تنفيذ هجومها العسكري المزعوم لايران ، الامر المحتمل هل سينفذ ما تحدثت به وكررت مرارا من جانبها فحسب ام سيكون لها شريك محتمل في هذه العملية ؟ ؟ اجاب موسيان قائلا بنها لن ولم تقدم على مثل هكذا عملية كونها ذات قدرات محدودة وان اقدمت فهدفها اشعال حرب لا تستطيع الاستمرار بمجاراتها وستحتاج الى من يدعمها في ذلك [٤٢] .

وحسب ما تحدث به الخبير (الإسرائيلي) شاي فيلديمان بان هنالك دول عربية مجاورة (لإسرائيل) لديها عددا من الاهداف تتراوح ما بين ثلاث الى خمس تمتاز بأهميتها على المستوى العسكري ، اي أن (اسرائيل) اذا كان في حوزتها عدد من القنابل النووية يتراوح

بين ثلاثين او واربعين بقدرة تدمير (٢٠ الى ٦٠) طن هدفها تدمير واقع مهمة تتوجس منها (إسرائيل) خيفة في كل من جمهورية مصر العربية والجمهورية السورية والمملكة الاردنية الهاشميةالاردن والمملكة العربية السعودية وجمهورية العراق والجماهيرية والليبية من الممكن ان تتسبب بارجاع هذه الدول الى العصور المتاخرة حسب تقديراته [٤٣].

وتعكس توجهات دول مجلس التعاون الخليجي حيال البرنامج النووي الإيراني الذي يتسم بالحذر الشديد لاسيما مع وجود البرنامج النووي (الإسرائيلي)، اذ ان اتخاذ الدول الخليجية الست موقفا علنيا من البرنامج النووي الإيراني قد يفسره البعض بانه دعم لاحتكار (إسرائيل) للسلاح النووي [٤٤].

وفي القمة السابعة عشرة عام ١٩٩٦ في الدوحة، أعرب المجلس عن قلقه من سعي بعض الدول لاقتناء وبناء ترسانات من أسلحة الدمار الشامل، دون الإشارة المباشرة إلى الكيان الصهيوني[٤٥].

في حين تطرق البيان الختامي لقمة مجلس التعاون الخليجي الذي انعقد خلال عام ١٩٩٧ فقد كرر تأكيده على خطورة البرنامج النووي (الإسرائيلي) إذ أعرب المجلس عن تخوفه نتيجة استمرار برامج أسلحة الدمار الشامل الاخرى في منطقة الشرق الأوسط بما فيها دول الخليج منطقة منزوعة من الاسلحة المحظورة لا سيما اسلحة الدمار الشامل عامة والأسلحة ذات الاهداف النووية العسكرية خاصة، إذ حدث ان تكرر المعنى ذاته في مطالبة (إسرائيل) بالانضمام إلى معاهدة منع الانتشار النووي [٤٦]

كما تتبنى دول المجلس موقفا قائما على الايمان بضرورة التوصل الى اتفاق إقليمي يشمل دول منطقة الخليج بشكل خاص , ولا بئس أن يمتد الى دول منطقة الشرق الأوسط عامة مع التركيز بشكل خاص على الدول التي تشكل تهديدا في هذا المجال واهمها (اسرائيل), يهدف الى ترسيخ الأسس والتشريعات ذات الصيغة القانونية القانونية من اجل ان تكون المنطقة خالية من السلاح النووي والأسلحة المحرمة دوليا المتمثلة بأسلحة الدمار الشامل ، وعلى دول المنطقة أن يكون لديها التزام مسبق بتطبيق هذا المبادئ ، فضلا عن استحداث آلية جديدة فعالة بشط تكون دائمة من اجل تنفيذ الاتفاق ومتابعة الدول التي

لديها برامج نووية تستخدم لأغراض سلمية بحتة ، إذ جرى التأكيد على هذا الموقف من جديد في البيان الذي صدر بعد اجتماع الدورة الـ (٩٢) الذي حضره وزراء خارجية المجلس كممثلين عن دولهم ذات العلاقة الذي حدد مكان انعقاده المملكة العربية السعودية تحديدا في مدينة جدة في ١٣ أيلول عام ٢٠٠٤ ، وتجددت مطاليب المجتمعين بمناشدة المجتمع الدولي بوضع بوضع حد من اجل جعل المنطقة خالية من اية نشاطات نووية وجعل الشرق الاوسط منزوعا من اسلحة الدمار ، وتكثيف الجهود الدولية من اجل ارغام (إسرائيل) بالتوقيع على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية, وفتح مؤسساتها امام المفتشين الدوليين[٤٧] .

كما جاءت مواقف دول مجلس التعاون الخليجي تعبيرا عن ادراكها للتهديدات الأمنية التي يشكلها برنامج التسلح النووي (الإسرائيلي) الذي يحيط به الغموض والسرية ، لا سيما الاستجابة لتأثير البيئتين الداخلية لدول المجلس والعربية التي تمثلها بقية الدول خارج دول مجلس التعاون الأخرى، إذ بين المجلس في قمته الخليجية المنعقدة بتاريخ كانون الاول عام ٢٠٠٥ من خلال البيان الختامي الصادر عن هذه القمة بان ما تقوم به اسرائيل من عمليات تخصيب وتطوير في المجال التقني النووي يمثل التحدي الحقيقي للدول الخليجية المنضوية تحت لواء مجلس التعاون الخليجي والدول العربية عامة[٤٨].

عقدت في الامارات العربية المتحدة وتحديدا في مدينة ابو ظبي القمة الـ (٢٦) في شهر كانون الاول ٢٠٠٥ إذ طالب خلالها الامين العام للمجلس (إسرائيل) بأن تلزم بالقوانين الدولية وتشريعاتها بشان النشاطات النووية وتقوم بالتوقيع والموافقة على انضمامها لمعاهدة منع انتشار الأسلحة النووية واخضاع كل منشاتها ذات الانشطة النووية الغير سلمية للرقابة الدولية متمثلة بالوكالة الدولية للطاقة الذرية [٤٩].

كما أكد عبدالرحمن بن حمد العطية الامين العام للمجلس الخليجي خلال قمة جابر الخليجية التي جرت في المملكة العربية السعودية الرياض بتاريخ ٩ كانون الاول عام ٢٠٠٦ على دول مجلس التعاون الخليجي عدم السماح (إسرائيل)بالانفراد في المنطقة وفرض تحديات امنية تستدعي المواجهة، مع ضرورة فتح (إسرائيل) كافة منشاتها النووية

للتفتيش وانهاء ازدواجية المعايير التي اكدتها الولايات المتحدة ودول أوربا والمجمع الدولي الذي يتهاون مع (إسرائيل) وخطرها على المنطقة[٥٠]، وان التهديد النووي (الإسرائيلي) على دول مجلس التعاون الخليجي، اذ تقع المنشأت المرتبطة بالسلاح النووي ضمن بيئة جغرافية مكشوفة نسبيا غير محمية طبيعياً، زفي نطاق جغرافي ضيق، ومحدود القدرة على المناورة باستثناء منظومة الردع الصاروخي، غير أنّها تمتلك مجموعة صواريخ قادرة على الوصول الى مختلف المناطق الخليجية، والتي يتجلى خطورة هذا التهديد من خلال قدرتها على حمل رؤوس غير تقليدية[٥١] .

وفي هذا المجال فإن دول مجلس التعاون الخليجي تلتزم بضرورة الاقتداء بالتجارب الإقليمية التي نجحت وانها على استعداد لتطبيقها اقليميا بهدف دعم بيئة الاستقرار وجعل المنطقة ودعم وترصين علاقاتها وتقويتها وتبادل الثقة معها، إذ تعارض بقوة الانتشار النووي على المستوى الاقليمي غير السلمي وتعد اقتناء (إسرائيل) للإمكانيات النووية عامل خطر يهدد امن المنطقة ويعيق استقراره افضلا عن تشكيله عائقا امام تحقيق السلام الإقليمي والدولي ويدفع الدول الاخرى الى اقتناء التقنيات النووية ، الامر الذي سيؤدي إلى التنافس والتسابق في مجال التسلح الغير مشروع في هذا المجال ، وأن على (إسرائيل) الالتزام الجاد في تنفيذ التزاماتها القانونية حول الالتزام الذي يؤدي الى جعل المنطقة منزوعة من أسلحة الدمار الشامل كما " إن احد الاسباب الرئيسية لاستمرار إيران بالعمل على تطوير مفاعلاتها النووية تتمثل في أن الخطر الأمني المحتمل يأتي من دول اخرى اهمها ما تملكه باكستان و (إسرائيل) من التقنية النووية و هما دولتان نوويتان، وفي هذا السياق يرى المراقبون بإن دول المشرق العربي ستغدو محصورة بين قوى نووية عدة ومنها (إسرائيل)، و سيزداد وضع دول الخليج العربي دقة وحرجا، فضلا عن تزايد الضغوط عليها لكي تلحق بركب الدول النووية في المنطقة ، فضلا عن ذلك إن الحكومة (الاسرائيلية) صرحت مرارا بان امتلاكها للقنبلة النووية الباكستانية تعد قنبلة نووية اسلامية، إذ من الضروري تدميرها وانهاء وجودها بمساعدة دول معادية لباكستان ومنها الهند لاسيما بعد التعاون العسكري الهندي (الإسرائيلي) في تصاعد مستمر [٥٢].

وتبعاً لذلك تمكنت (إسرائيل) من جعل الافكار حول حيازة الاسلحة النووية امرا واقعاً يفرض نفسه بقوة، وبهذا الشكل ومع رفض (اسرائيل) وتصريحها بعدم الانضمام الى معاهدة منع انتشار السلاح النووي فإن الامن والاستقرار في منطقة الشرق الاوسط سيتعرض الى تهديد كبير ويترك مجالا واسعا لبعص الدول بان تحذوا حذوها فيهذا المجال، لاسيما بعد الدعم اللامحدود الذي تلقته (اسرائيل) من الادارة الامريكية التوجهات الامريكية في دعم (إسرائيل) بعدم التوقيع على المعاهدة فإن امن منطقة الشرق الاوسط سيتعرض الى خطر وتهديد مستمرين ، لذلك يجب العمل وبوتيرة مستمرة من اجل الوقوف بوجه نشاطات اسرائيل النووية ودفعها من اجل التوقيع على معاهدة حظر الانتشار النووي وهذا ما حصل بالفعل في مؤتمر واشنطن في ١٨ نيسان عام ٢٠١٠ ومؤتمر الامم المتحدة المراجعة معاهدة عدم الانتشار النووي في ٣ ايار ٢٠١٠ عندما اتفق مندوبو حركة عدم الانحياز على توحيد خطاباتهم امام هذين المؤتمرين والتركيز على ما تصفه الحركة بمخاطر القدرات النووية (الإسرائيلية(على أمن الشرق الاوسط، ووجوب ان تخضع منشآتها للتفتيش الدولي، إذ اكد السفير القطري ناصر بن عبدالعزيز مندوب قطر الدائم ورئيس وفدها لدى الامم المتحدة بضرورة كسر الصمت أمام استمرار السياسة النووية (الإسرائيلية) المخالفة لمعاهدة حظر إنتشار الأسلحة النووية ، واشار رئيس الوفد السعودي إلى الامم المتحدة نايف بن بندر السديري إن السعودية ترى ان حيازة (إسرائيل) للأسلحة النووية يعد عقبة امام احلال السلام في الشرق الاوسط [٥٣] ، إذ رات دول مجلس التعاون الخليجي وجوب ايجاد مخرج لاحتكار (إسرائيل) للسلاح النووي في منطقة الشرق الاوسط[٥٤].

وفي الحقيقة والواقع إن الازمة التي اثارتها (إسرائيل) بشأن البرنامج النووي الإيراني، تثير عددا من القضايا الحيوية، كما تشغل العالم باسره، إذ يعد البرنامج الإيراني مصدر تهديد لدول مجلس التعاون الخليجي التي تتواجد على اراضيها قواعد عسكرية امريكية وهي مصدر تهديد لإيران وبرنامجها النووي، والعكس من ذلك في سوريا وليبيا فهو مصدر قوة في حالة امتلكت إيران قنبلة نووية [٥٥].

كذلك بينت الكثير من الافكار التي يرى قائليها ضرورة عدم الخشية من برنامج ايران النووي لانه في رأيهم ليس خطرا كما يتصورون ، ولا يهدد أمن الدول الخليجية ، ويطرح البعض من هؤلاء المفكرين بعض الاسئلة منها : " بعد ان استطاع العرب من التعايش بوجود المفاعلات النووية (الإسرائيلية)، فلماذا لا يتمكنون من التعايش مع المفاعلات النووية الايرانية ، ويضيفون قائلين: "هل من الممكن أن يكون تأثير ذلك أقل إذا ادى إلى حالة من التوازن مع الأسلحة النووية (الإسرائيلية) [٥٦].

خلال العام ٢٠١٢ كشفت قناة (NBC) الاميريكية عن مخطط (اسرائيلي) لضرب اهداف ايرانية من ضمنها المنشآت النووية الايرانية ، وجاءت هذه الخطط (الاسرائيلية) في ظل تزايد تهديداتها تجاه ايران ، واشارت تقارير الصحيفة للقناة الأمريكية ان دول الخليج وتحديدا السعودية قد تسمح لعبور المقاتلات (الاسرائيلية) عبر اراضيها لمهاجمة الاهداف في داخل الاراضي الايرانية ، وان معظم دول الخليج كانت تؤيد الضربة (الاسرائيلية) ، وبينت القناة ان هناك تعارض في وجهات النظر (الاسرائيلية) والامريكية تجاه البرنامج النووي الايراني ، اذ ان الولايات المتحدة كانت تسعى للضغط على ايران من اجل ايقاف برنامجها النووي من خلال التلويح بفرض العقوبات الاقتصادية عليها ، وتستبعد الخيار العسكري ضد ايران في اطار ما يعرف باستخدام سياسة القوة الذكية ، وهذا ما يفسر استغلال وسائل الاعلام الاميركية والغربية للتقارير الاستخباراتية الاسرائيلية التي عارض فيها مسؤولين من حهاز الموساد (الاسرائيلي) وجهة نظر رئيس الوزراء (الاسرائيلي) بنايمين نتنياهو(Benjamin Netanyahu) التي كان يؤكد فيها على ان ايران ستتوصل سريعا الى الحصول على القنبلة النووية ، وهذه الدعوات (الاسرائيلية) كانت في تزايد عشية التوصل الى الاتفاق النووي مع(مجموعة ٥+١) ، واشار تقرير صحفي لمجلةAtlantic (The) الاميريكية ان نتنياهو وجه رسالة عن طريق السفير (الاسرائيلي) في واشنطن الى سفراء الدول الخليجية هناك ، لحضور خطاب نتنياهو اما الكونغرس الاميريكي ، على اعتبار ان الدول الخليجية لها مصالح متقاطعة مع (اسرائيل) اهمها ايقاف البرنامج النووي الايراني، وان نتائج هذه الجهود الدبلوماسية التي كشفتها القناة الثانية الاسرائيلة هو الاتفاق على

التعاون العسكري ما بين (اسرائيل) والدول الخليجية لا سيما السعودية التي قد تسمح باستخدام مجالها الجوي ، في حال اذا ما تم توجيه ضربة عسكرية (اسرائيلية) لايران ، واشترطت السعودية حسب تقرير القناة (الاسرائيلية) هو التوصل الى اتفاق سلام ما بين الفلسطينيين و(اسرائيل) على اساس مبادرة الملك عبدالله بن عبد العزيز التي طرحها عام ٢٠٠٢ (٥٧).

وصدر عن المؤتمر الثامن عشر للبرلمان العربي الذي عقدة للمدة من ٥-٦ اذار / مارس عام ٢٠١٢ القرار رقم ١٣ ، الذي طالب فيه (اسرائيل) الى الالتزام بالقوانين الدولية خاصة فيما يتعلق بقرارات نزع السلاح النووي من منطقة الشرق الاوسط (٥٨).

اشار المدير التنفيذي لمعهد اكرونيم المتخصص في نزع الاسلحة النووية ومقره في بريطانيا، والقت ريبيكا جونسون كلمة لها عام ٢٠١٣ خلال الجلسة تحت عنوان "تحديات استراتيجية معاصرة حول البرنامج النووي الإيراني وامن الخليج العربي : هل بالإمكان تجنب الصراع " إن (إسرائيل) غير ملتزمة بالاتفاقيات الدولية ولم تفصح بالكامل عنب رنامجها النووي و ان ما تقوم به من تخصيب لليورانيوم يفوق كل التوقعات ، وهي غير ملزمة باية ضمانات كما هو الحال في التعامل مع إيران(٥٩).

واشار السفير الكويتي صادق محمد معرفي بشأن إنضمام (إسرائيل) الى معاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية، أمام اللجنة التحضيرية الأولى لمؤتمر الاطراف التي كان لدولة الكويت دور كبير فيها ، والتي طالبت الدول العربية (اسرائيل) لتنفيذ القرار عام ١٩٩٥ وإنشاء منطقية خالية من الأسلحة النووية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل في منطقة الشرق الأوسط ، اقر مؤتمر المراجعة بالتوافق على تنفيذ خطة عملية لتنفيذ قرار الشرق الأوسط ، وكلف المؤتمر الامين العام للأمم المتحدة والدول الثلاث التي تبنت القرار، ليكون بداية مسار تفاوض لإنشاء منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل، إلا أن غياب الإرادة السياسية والجدية من قبل كل من الأطراف المكلفة بعقد المؤتمر ومن ضمنها (إسرائيل) ، أدى إلىفشل انعقاده في موعدة وتأجيله إلى وقت اخر ، و زاد تعنت مواقف بعض الدول إلى منع مؤتمر عام ٢٠١٥ الذي كان يؤكد على مراجعة المعاهدة من التوصية إلى وثيقة

ختامية بسبب رفض (اسرائيل) لكل المقترحات حول الشرق الأوسط ، واكدت دولة الكويت أن انضمام (إسرائيل) إلى معاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية ، هو جزء من الجهود الرامية إلى تحقيق سلام عالمي ، وإنه على الدول الراعية لمعاهدة عدم الانتشار للضغط على (إسرائيل) للانضمام والمصادقة على المعاهدة ، لا سيما انها الوحيد ة التي ترفض المعاهدة في منطقة الشرق الأوسط، ورأت دولة الكويت ان بقاء (إسرائيل) خارج منظومة معاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية وعدم اخضاع كافة منشآتها ومرافقها لرقابة الوكالة الدولية للطاقة الذرية لا يشكل خطرا أمنيا فحسب بل أصبح يشكل خطرا يهدد السلم العالمي ، بدوره يشكل خطرا استراتيجيا على منطقة الشرق الاوسط برمتها [٦٠].

وكانت ردة الفعل (الإسرائيلية) هي معارضة الاتفاق النووي ما بين ايران والدول الاوربية ، فقد اعتبر رئيس الوزراء (الاسرائيلي) بنيامين نتنياهو ان الاتفاق النووي هو خطأً تاريخياً بحق العالم، معتبراً أنهمن المستحيل منع اتفاق عندما يكون هناك استعداد لتقديم تنازلات من قبل المفاوضين تجاه من يرفع شعار الموت لأميركا خلال المفاوضات ، وأضاف: إننا علمنا جيداً أن هناك رغبة كبيرة لتوقيع هذا الاتفاق ، لذلك تعهدنا بمنعه أي الاتفاق ، وتعهدنا ايضا بمنع إيران من الحصول على السلاح النووي، وما زال تعهدنا هذا قائما، وأنا أقول لكل السياسيين في (إسرائيل) انه حان الوقت لوضع الخلافات السياسية الصغيرة جانباُ ، والتوحد لمواجهة الخطر الذي يهدد مستقبل وأمن دولة (إسرائيل)، أما وزير دفاعه موشي يعلون، فقد قال : ان العالم الحر منح اليوم مشروعية للإرهاب ومن يدعمه بدلاً من محاربته ومواجهته بكل ما امكن من السبل المتاحة "، في حين اعتبرت نائبة وزير الخارجية، تسيبي حوتبولي، أن الاتفاق " هو اتفاق خنوع تاريخي من جانب الدول الغربية لمحور الشر بزعامة إيران." [٦١].

الخاتمة والاستنتاجات

أما اهم النتائج التي توصلنا اليها هي كالاتي :

رأت دول مجلس التعاون الخليجي في البرامج النووية لاسيما البرنامج النووي (الإسرائيلي) بها خطر محدقا يهدد امنها على المستويين الإقليمي والدولي.

سعت دول مجلس التعاون الخليج الى العمل على تطوير برامج نووية ذات طبيعة سلمية لإيجاد نوع من التوازن مع الدول التي تمتلك برامج نووية في المنطقة.

اتبعت عدة اساليب للوقوف بوجه الطموحات النووية (الإسرائيلية) كان من اهمها تأليب المجتمع الدولي ضدها.

كانت تتعامل دول مجلس التعاون مع الانشطة النووية (الإسرائيلية) من خلال التصريحات والبيانات الختامية كونها رأت في علاقتها مع الولايات المتحدة ضمانة من مخاطر هذه الانشطة .

الهوامش:

(١) ولد عام ١٨٨٦ في بولندا وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٦ ، درس القانون في اسطنبول وهو احد منظمي حزب العمال اليهودي (المباي) والهستدروت (الاتحاد العام للعمال اليهود) ، أعلن قيام دولة (إسرائيل) عام ١٩٤٨ ، أصبح رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع مابين ٤٩-١٩٥٣ و ٥٥-١٩٦٣ ، عاش حتى عام ١٩٧٣ ، حيث شهد حرب تشرين اول /اكتوبر ومهاجمة الدولة العربية ل(إسرائيل) ومات بعد فترة قليلة من هذا التاريخ . عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، ج١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٧٩) ، ص٦٤٧ .

(2) Avner, Cohen , "nuclear Legislation for Israel" , strategic Assment , Vol .12 , No.1 (USA/June /2009) , P.8 ;

حسن علي الحلي ، "العسكرية والصهيونية" ، مجلة المثقف العربي(بغداد) ، السنة ٧، العدد ٤-٥ ، (نيسان/أيار ١٩٧٥) ، ص٦٩ .

(٣) فؤاد جابر ، الأسلحة النووية وإستراتيجية (إسرائيل) ، ترجمة زهدي جار الله ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٧٠) ، ص٤٥ .

(٤) محمود شيت خطاب، الوجيز في العسكرية (الإسرائيلية، دار الإرشاد ، (بيروت ، ١٩٦٩) ، ص١٢٧.

(٥) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٥م ، سلسلة الكتاب السنوي – مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، (بيروت ، ١٩٦٧) ، ص٤٣٥ .

(٦) صباح محمود محمد ، السلاح النووي في (إسرائيل) وإستراتيجية تل أبيب في إنتاجه الإعلان عنه ، (معهد الدراسات الأسيوية والإفريقية ، سلسلة الأرشيف والتوثيق رقم (٣٢) ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ١٩٨٥) ، ص١٦.

(٧) جمال الدين حسين ، "البنية العلمية في (إسرائيل) وعلاقتها بالمؤسسة العسكرية "، مجلة استراتيجيا ،(بيروت)، السنة ٨ ، العددان ٨٩-٩٠ ، (تموز / آب ١٩٨٩) ، ص٢٧ .

(٨) طالب توفيق سلمان صالح ، نزع السلاح النووي والمؤثرات السياسية والأمنية في المنطقة العربية في ضوء قرارات الأمم المتحدة – دراسة تاريخية ،رسالة ماجستير (غير منشورة), معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، (بغداد ، ٢٠١٠) ، ص١٢٢ .

(٩) سلمان رشيد سلمان ، الإستراتيجية النووية الإسرائيلية ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (بيروت، ١٩٨٨) ، ص ، ص٥٦ .

(١٠) معين احمد محمود ، الجديد في العسكرية الإسرائيلية ، دار الصادق ، (بيروت ، ١٩٦٩) ، ، ص٢٢٢ .

(١١)محمود شيت خطاب ، العدو الصهيوني والأسلحة المتطورة ، دار الشؤون الثقافية العامة ،(بغداد ، ١٩٨٧) ، ص٤٣ .

(١٢)حسن مصطفى ، المساعدات العسكرية الألمانية ل(إسرائيل) استنتاجات ودروس ، دار الطليعة ، (بيروت ، ١٩٦٩٠، ص١٧ .

(١٣) نزار إسماعيل عبد اللطيف الحيالي ، الأمن القومي العربي والقدرة النووية الصهيونية ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية القانون والسياسة ، (جامعة بغداد ، ١٩٨٦)، ص٢٨ .

(١٤) محمد عبد الغني الحاج قاسم ، "التعاون النووي بين (إسرائيل) وجنوب أفريقيا" ، مجلة شؤون عربية ، (تونس) ، العدد ٦٣ ،(أيلول/سبتمبر ١٩٩٠). ، ص١٥٥ .

(١٥) نزار إسماعيل عبد اللطيف الحيالي ، المصدر السابق ، ص ص٣١-٣٢ .

(١٦) تعتبر أوسع معاهدة دولية بشان الأسلحة النووية ، ووفقاً للنصوص الواردة غيها فإن الدول المالكة للأسلحة النووية ملزمة بالتفاوض حول الإجراءات الفعالة للكف عن سباق التسلح ، وتنص المادة

الرابعة منها على إمكانية التبادل الكامل والتعاون في مجال البرامج المدنية ، أما المادة الخامسة فتطالب الدول غير النووية بتوقيع اتفاقيات مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية حتى تخضع كل أنشطتها لإجراءات الأمان الدولية ، وبمعنى آخر فقد قيدت المعاهدة حق الدول غير النووية في الحصول على التكنولوجيا الذرية السلمية بقبول مبدأ الرقابة الدولية .انظر: اسبر ، المصدر السابق ، ص٤٧

(١٧) زكريا حسين ، "الخيار النووي الإسرائيلي والخيارات العسكرية البديلة" ، مجلة المستقبل العربي (بيروت) السنة ٢٤ ، العدد ٢٧١ ، (أيلول /سبتمبر ٢٠٠١).، ص٧٨.

(١٨) وائل العبد درويش الهمص ، البرنامج النووي الإسرائيلي وتأثيره على الامن القومي العربي ١٩٩١-٢٠٠٠ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الادارة والاقتصاد والعلوم الادارية ،جامعة الازهر ، (غزة ، ٢٠١٠) ، ص ٣٣.

(١٩) عسكري وسياسي يهودي ، ولد في فلسطين عندما كانت تحت الحكم العثماني ، وعمل في حزب ماباي ورافي وحزب العمل ، عين رئيسا لهيئة الأركان في الجيش الإسرائيلي شارك في العمليات العسكرية في الهجوم على سيناء عام ١٩٥٦ ، اصبح عضوا في الكنيست مابين عامي ١٩٥٩-١٩٨١ ، وعمل وزيراً للزراعة في عام ١٩٦٤، ووزير الدفاع مابين عامي عام ١٩٦٧ -١٩٨١ ، وكان من دعاة ضم الأراضي العربية المحتلة بالقوة ، مات في عام ١٩٨١ ، عبدالوهاب الكيالي وكامل زهيري ، الموسوعة السياسية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت ،١٩٧٤) ، ص٢٦٤ .

(٢٠) سلمان رشيد سلمان ، المصدر السابق ، ص ١٨-١٩.

(٢١) اميرة زكريا نور محمد طلحة، البرنامج النووي الإيراني وانعكاساته علي أمن دول الخليج العربي ٢٠٠٥-٢٠١٦ ، الخميس ٥ يوليو ٢٠١٨.

(22) Frank Barnaby , "The Nuclear Arsenal in the Middle East" , Journal of Palestine studies, Vol. 17 , No. 1 (Beirut- Autumn -1987), P.99.

(23) Seymour H. Hersh , Israel Nuclear Arsenal and American Foreign Policy , (Washington , 1991) , P.130.

(٢٤) سلمان رشيد سلمان ،المصدر السابق ، ص ٦٣.

(٢٥) فاطمة فرحان نايل العنزي ، تطورات البرنامج النووي الصهيوني والموقف العربي والدولي منه ١٩٨١-٢٠٠١ دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية للبنات ، جامعة تكريت ،٢٠٢٥. ص ٨٩.

(٢٦) وائل العبد درويش الهمص ، المصدر السابق ، ص ٢٩.

(٢٧) مجلس التعاون الخليجي هو منظمة إقليمية عربية مكونة من ست دول أعضاء تطل على الخليج العربي و تأسس المجلس في ٢٥ ايار / ١٩٨١ بالاجتماع المنعقد في الرياض المملكة العربية السعودية سعيفان أحمد : قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية ، مكتبة لبنان ، (بيروت ٢٠٠٤) ، ص ٣٠٨.

(٢٨) المادة الرابعة من النظام الاساسي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية الموقع الرسمي على شبكة المعلومات (الانترنيت):-http://www.gcc-sg.org/index.php?action=Sec-Show&ID=1

(٢٩) مصطفى العاني ، تساؤلات خليجية مشروعة المقومات المفترضة للموقف الخليجي بين المبدا والوسيلة ، شبكة الجزيرة الاعلامية ، ٢٠١٨.

(٣٠) اسود محمد الأمين، الوسائل القانونية لحماية السلم والأمن الدوليين في ميثاق الأمم المتحدة، ص١٦٣.

(٣١) العنزي ، المصدر السابق ، ص ٩٠-٩١.

(٣٢) المصدر نفسه ، ص ٩٠-٩١.

(٣٣) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، إعلان دمشق بشأن التنسيق والتعاون بين الدول العربية الصادر عن مؤتمر وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي ومصر وسوريا دمشق ٦اذار ١٩٩١، ص١.

(٣٤) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، إعلان دمشق بشأن التنسيق والتعاون بين الدول العربية الصادر عن مؤتمر وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي ومصر وسوريا دمشق ٦اذار /١٩٩١، ص١.

(٣٥) العنزي ، المصدر السابق ، ص ٩٠-٩١.

(٣٦) سناء نويجي ،المشروع النووي الإيراني وانعكاساته على منطقة الشرق الأوسط ١٩٥٧-٢٠١٠ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، (جامعة محمد خيضر – بسكرة- ٢٠١٤-٢٠١٥) ، ص ٦٦-٦٧.

(٣٧) مصطفى العاني المصدر السابق .

(٣٨) المصدر نفسه.

(٣٩) المصدر نفسه .

(٤٠) المصدر نفسه.

(٤١) أيمن الحماد ، الرياض» تحاور مسؤولاً رفيعاً سابقاً في الملف النووي الإيراني ، إيران قادرة على إنتاج سلاح نووي.. ومهام وكالة الطاقة الذرية تجسسية ، صحيفة الرياض ، الجمعة ١٢ ذو القعده ١٤٣٣ هـ- ٢٨ سبتمبر ٢٠١٢م - العدد ١٦١٦٧.

(٤٢) المصدر نفسه.

(٤٣) وائل العبد درويش الهمص ، المصدر السابق، ص ٧٩.

(٤٤) عصام نايل المجالي : تأثير التسلح الايراني على الأمن الخليجي، دار الحامد. والتوزيع، عمان، 2012، ص ٩٠.

(٤٥)البيان الختامي للدورة السابعة عشرة للمجلس الاعلي لدول مجلس التعاون الدوحة - دولة قطر، ديسمبر ١٩٩٦م ٢٨-٢٦، متاح على الرابط التالي:
https://gcc-sg.org/ar/AboutUs/Data/SupremeData/Pages/FinalStatementseventeenthsessi16.aspx

(٤٦) نويجي ، المصدر السابق ، ص ص ٦٦-٦٧.

(٤٧) مصطفى العاني ، تساؤلات خليجية مشروعة المقومات المفترضة للموقف الخليجي بين المبدأ والوسيلة ، شبكة الجزيرة الاعلامية ، ٢٠١٨.

(٤٨) غازي صالح بني ملحم و فايز عبد المجيد الصمادي ، البرنامج النووي الإيراني وأمن الخليج العربي (دراسة تحليلية) ، مجلة المنارة ، المجلد ١٥ ، العدد ٣ ، ٢٠٠٩ ، ص ١١٠.

(٤٩) عبدالله حمود السهلي ، رؤية استراتيجية خليجية لمجابهة المشروع النووي الإيراني ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية العلوم الاستراتيجية ، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية ، الرياض ، ٢٠١٤ ، ص ٨٩.

(٥٠) المصدر نفسه، ص٩١.

(٥١) عبدالقادر نعناع ، في ضرورات النووي الخليجي ملفات خليجية ، مركز المزماة للدراسات والبحوث،٤ ايار مايو ٢٠١٤.

(٥٢) خواتمياني كنزة ، سباق التسلح النووي بين الهند وباكستان واثره اقليميا ودوليا ١٩٩٨ -٢٠١٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الحقوق و العلوم السياسية ،جامعة الجيلالي بونعامة ، الجزائر ، ٢٠١٤ ، ص ٩٧.

(٥٣) اسراء شريف الكعود ، التسلح النووي الإسرائيلي وأثره في الشرق الاوسط ، مجلة دراسات دولية ، العدد ٤٥ ، السنة ٢٠١٠ ، ص ٢٨-٢٩.

(٥٤) مصطفى الشامي ، التوازن النووي العسكري في منطقة الرق الاوسط ، العلاقات الدولية ، العدد ٤٩٧٨ ، ٢١ ايار / مايس ٢٠١٢ ، ص ٦٤.

(٥٥) نعومي هيبة ، بن سعدة عواطف رانية ، نظرية الردع النووي في ظل المتغيرات الاقليمية ، دراسة مقارنة ، إيران –إسرائيل ، (جامعة الجلفة ، ٢٠١٦) ، ص ٧٦.

(٥٦) غازي صالح بني ملحم و فايز عبد المجيد الصمادي ، البرنامج النووي الإيراني وأمن الخليج العربي (دراسة تحليلية) ، مجلة المنارة ، المجلد ١٥ ، العدد ٣ ، ٢٠٠٩ ، ص ١١٦.

(٥٧) اسلام ابو العز ، العلاقات بين (إسرائيل) والسعودية من النشأة للتحالف ، مركز البديل للتخطيط والدراسات الاستراتيجية ، ١ يونيو، ٢٠١٧م.

(٥٨) الاتحاد البرلماني العربي ، البيان الختامي والقرارات الصادرة عن المؤتمر الثامن عشر للاتحاد البرلماني العربي الكويت في ٥- ٦ اذار ٢٠١٢، ص ١٧.

(٥٩) صحيفة بلادنا العدد 1843 ، الخميس 26 ذو الحجة 1434 / ٣١ أكتوبر 2013.

(٦٠) الوفد الدائم لدولة الكويت لدى الأمم المتحدة فيينا ، بيان دولة الكويت اللجنة امام التحضيرية الاولى لمؤتمر الأطراف في معاهدة عدم إنتشار الأسلحة النووية لإستعراض المعاهدة عام ٢٠٢٠ ، فينا ايار / مايو ٢٠١٧ .

(٦١) ماهر الشريف ، عن اتفاق فيينا :أهميته وتداعياته المحتملة ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ص ٨ www.palestine-studies.org http://www.palestine-studies.org/ar/

قائمة المصادر:

الكتب العربية:

١- اسلام ابو العز ، لعلاقات بين (إسرائيل) والسعودية من النشأة للتحالف ، مركز البديل للتخطيط والدراسات الاستراتيجية ، ١ يونيو، ٢٠١٧م.

٢- اميرة زكريا نور محمد طلحة، البرنامج النووي الإيراني وانعكاساته علي أمن دول الخليج العربي ٢٠٠٥-٢٠١٦ ، الخميس ٥ يوليو ٢٠١٨.

٣- حسن مصطفى ، المساعدات العسكرية الألمانية ل(إسرائيل) استنتاجات ودروس ، دار الطليعة ، (بيروت ، ١٩٦٩٠.

٤- سعيفان أحمد: قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية ، مكتبة لبنان ، (بيروت ٢٠٠٤) .

٥- سلمان رشيد سلمان ، الإستراتيجية النووية الإسرائيلية ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (بيروت، ١٩٨٨) .

٦- صباح محمود محمد ، السلاح النووي في إسرائيل وإستراتيجية تل أبيب في إنتاجه الإعلان عنه ، (معهد الدراسات الأسيوية والإفريقية ، سلسلة الأرشيف والتوثيق رقم (٣٢) ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ١٩٨٥) .

٧- عبدالقادر نعناع ، في ضرورات النووي الخليجي ملفات خليجية ، مركز المزماة للدراسات والبحوث،٤ ايار مايو ٢٠١٤.

٨- عصام نايل المجال، تأثير التسلح الايراني على الأمن الخليجي، دار الحامد. والتوزيع، عمان،٢٠١٢.

٩- فؤاد جابر ، الأسلحة النووية وإستراتيجية إسرائيل ، ترجمة زهدي جار الله ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، (بيروت ، ١٩٧٠)

١٠- الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٥م ، سلسلة الكتاب السنوي – مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، (بيروت ، ١٩٦٧).

١١- محمود شيت خطاب، الوجيز في العسكرية الإسرائيلية، دار الإرشاد ، (بيروت ، ١٩٦٩)

١٢- محمود شيت خطاب ، العدو الصهيوني والأسلحة المتطورة ، دار الشؤون الثقافية العامة ،(بغداد ، ١٩٨٧).

١٣- مصطفى العاني ، تساؤلات خليجية مشروعة المقومات المفترضة للموقف الخليجي بين المبدا والوسيلة ، شبكة الجزيرة الاعلامية ، ٢٠١٨.

١٤- معين احمد محمود ، الجديد في العسكرية الإسرائيلية ، دار الصادق ، (بيروت ، ١٩٦٩).
١٥- نعومي هيبة ، بن سعدة عواطف رانية ، نظرية الردع النووي في ظل المتغيرات الاقليمية ، دراسة مقارنة ، إيران – (إسرائيل) ، (جامعة الجلفة ، ٢٠١٦) .

الكتب الاجنبية :

1- Avner, Cohen , "nuclear Legislation for Israel" , strategic Assment , Vol .12 , No.1 (USA/June /2009) .
2- Frank Barnaby , "The Nuclear Arsenal in the Middle East" , Journal of Paku Vol. 17 , No. 1 (Beirut- Autumn -1987).
3- Seymour H. Hersh , Israel Nuclear Arsenal and American Foreign Policy , (Washington , 1991) .

البحوث العربية :

١- اسراء شريف الكعود ، التسلح النووي (ال((إسرائيل))ي) وأثره في الشرق الاوسط ، مجلة دراسات دولية ، العدد ٤٥ ، السنة ٢٠١٠.
٢- أيمن الحماد ، الرياض» تحاور مسؤولاً رفيعاً سابقاً في الملف النووي الإيراني ، إيران قادرة على إنتاج سلاح نووي.. ومهام وكالة الطاقة الذرية تجسسية
٣- صحيفة الرياض ، الجمعة ١٢ ذو القعده ١٤٣٣ هـ- ٢٨ سبتمبر ٢٠١٢م – العدد ١٦١٦٧.
٤- جمال الدين حسين ، "البنية العلمية في (إسرائيل) وعلاقتها بالمؤسسة العسكرية "، مجلة استراتيجيا ،(بيروت)، السنة ٨ ، العددان ٨٩-٩٠ ، (تموز / آب ١٩٨٩).
٥- حسن علي الحلي ، "العسكرية والصهيونية" ، مجلة المثقف العربي(بغداد) ، السنة ٧، العدد ٤-٥ ، (نيسان/أيار ١٩٧٥).
٦- زكريا حسين ، "الخيار النووي (ال((إسرائيل))ي) والخيارات العسكرية البديلة" ، مجلة المستقبل العربي (بيروت) السنة ٢٤ ، العدد ٢٧١ ، (أيلول /سبتمبر ٢٠٠١).
٧- غازي صالح بني ملحم و فايز عبد المجيد الصمادي ، البرنامج النووي الإيراني وأمن الخليج العربي (دراسة تحليلية) ، مجلة المنارة ، المجلد ١٥ ، العدد ٣ ، ٢٠٠٩ .
٨- محمد عبد الغني الحاج قاسم ، "التعاون النووي بين (إسرائيل) وجنوب أفريقيا" ، مجلة شؤون عربية ، (تونس) ، العدد ٦٣ ،(أيلول/سبتمبر ١٩٩٠).

٩- مصطفى الشامي ، التوازن النووي العسكري في منطقة الرق الاوسط ، العلاقات الدولية ، العدد ٤٩٧٨ ، ٢١ ايار / مايس ٢٠١٢ .

الرسائل والاطالايح:

١- خواتمياني كنزة ، سباق التسلح النووي بين الهند وباكستان واثره اقليميا ودوليا ١٩٩٨ -٢٠١٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الحقوق و العلوم السياسية ،جامعة الجيلالي بونعامة ، الجزائر ، ٢٠١٤.

٢- سناء نويجي ،المشروع النووي الإيراني وانعكاساته على منطقة الشرق الأوسط ١٩٥٧-٢٠١٠ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، (جامعة محمد خيضر - بسكرة- ٢٠١٤-٢٠١٥) .

٣- طالب توفيق سلمان صالح ، نزع السلاح النووي والمؤثرات السياسية والأمنية في المنطقة العربية في ضوء قرارات الأمم المتحدة – دراسة تاريخية ،رسالة ماجستير (غير منشورة), معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، (بغداد ، ٢٠١٠).

٤- عبدالله حمود السهلي ، رؤية استراتيجية خليجية لمجابهة المشروع النووي الإيراني ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية العلوم الاستراتيجية ، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية ، الرياض ، ٢٠١٤ .

٥- نزار إسماعيل عبد اللطيف الحيالي ، الأمن القومي العربي والقدرة النووية الصهيونية ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية القانون والسياسة ، (جامعة بغداد ، ١٩٨٦).

٦- وائل العبد درويش الهمص ، البرنامج النووي (ال((إسرائيل))ي) وتأثيره على الامن القومي العربي ١٩٩١-٢٠٠٠ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الادارة والاقتصاد والعلوم الادارية ،جامعة الازهر ، (غزة ، ٢٠١٠) .

مصادر اخرى :

١- عبدالوهاب الكيالي وكامل زهيري ، الموسوعة السياسية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت ،١٩٧٤) .

٢- الاتحاد البرلماني العربي ، البيان الختامي والقرارات الصادرة عن المؤتمر الثامن عشر للاتحاد البرلماني العربي الكويت في ٥- ٦ اذار ٢٠١٢.

٣- صحيفة بلادنا العدد 1843 ، الخميس 26 ذو الحجة 1434 / ٣١ أكتوبر ٢٠١٣.

٤- الوفد الدائم لدولة الكويت لدى الأمم المتحدة فيينا ، بيان دولة الكويت اللجنة امام التحضيرية الاولى لمؤتمر الأطراف في معاهدة عدم إنتشار الأسلحة النووية لإستعراض المعاهدة عام ٢٠٢٠ ، فينا ايار / مايو ٢٠١٧ .

٥- المادة الرابعة من النظام الاساسي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية الموقع الرسمي على شبكة المعلومـــات (الانترنيـــت):-http://www.gcc-sg.org/index.php?action=Sec-Show&ID=1

اهمية ودلالة القاب العلماء والشعراء في الدولة الفاطمية (٣٥٨ – ٥٦٧هـ/ ٩٦٩ – ١١٧١م)

موفق طالب جواد الطائي

أ.م.د. الاء حماد رجه

كلية الآداب / قسم التاريخ

اهمية ودلالة القاب العلماء والشعراء في الدولة الفاطمية (٣٥٨ – ٥٦٧هـ/ ٩٦٩ – ١١٧١م)

موفق طالب جواد الطائي
أ.م.د. الاء حماد رجه

الملخص

حظيت الألقاب في الدولة الفاطمية بمكانة بارزة، إذ لم تكن مجرد ألفاظ تشريفية تُطلق عشوائيًا، بل كانت تُمنح بعناية لتعكس المكانة العلمية أو الأدبية أو الدينية لصاحبها، وقد نال العلماء والشعراء نصيبًا وافرًا من هذه الألقاب، التي لم تقتصر على تكريمهم فحسب، بل كانت أداة سياسية وثقافية تُوظَّف لخدمة الدولة وتعزيز هيبتها ومشروعها العقائدي، فقد حمل العلماء ألقابًا مثل "داعي الدعاة" و*"العالم"* و*"المعلم"*، وهي ألقاب تدلّ على عمق الدور الذي أدوه في نشر المذهب الإسماعيلي والتعليم الديني والإرشاد، ضمن هيكل ديني رسمي، فيما حصل الشعراء على ألقاب من قبيل "شاعر الدولة" و*"فخر الشعراء"*، تعبيرًا عن تقدير الدولة لدورهم في تمجيد الخلفاء، والتأثير في الوعي العام من خلال الكلمة، ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث، لتسليط الضوء على دلالات هذه الألقاب، وأبعادها الاجتماعية والسياسية والدينية في السياق الفاطمي.

الكلمات الافتتاحية: الدولة الفاطمية، اللقب، العلماء، الشعراء.

The Importance and Significance of the Titles of Scholars and Poets in the Fatimid State 358–567 AH /969 –1171 AD

Mr. Muwaffaq Talib Jawad al-Ta'i
Assistant Professor Alaa Hammad Raja

ABSTRACT

Titles held a prominent position in the Fatimid state. They were not merely honorific terms given randomly, but were carefully conferred to reflect the scholarly, literary, or religious standing of their bearers. Scholars and poets received a generous share of these titles, which not only honored them but also served as a political and cultural tool employed to serve the state and enhance its prestige and ideological project.

Scholars bore titles such as "Da'i al-Du'at," "Alim," and "Al-Mu'allim," which indicated the profound role they played in spreading the Ismaili faith, religious education, and guidance within an official religious framework.
Poets, meanwhile, received titles such as "Sha'ir al-Dawla" (Poet of the State) and "Fakhr al-Shu'ara'" (Pride of the Poets), expressing the state's appreciation for their role in glorifying the caliphs and influencing public awareness through their eloquent speech.
Hence, the importance of this research, which sheds light on the connotations of these titles and their social, political, and religious di Opening words: Fatimid state, title, scholars, poets.mensions in the Fatimid

المقدمة:

تمثل الدولة الفاطمية (٣٨٥ – ٥٦٧ هـ / ٩٠٩ – ١١٧١ م) واحدة من الفترات التاريخية الأكثر ثراءً وتعقيداً في الحضارة الإسلامية، اذ أولت اهتماماً استثنائياً بالعلم والأدب بوصفهما أدوات رئيسية لتعزيز الشرعية والدعوة، وفي سياق هذا المشهد الثقافي والسياسي، لم تكن الألقاب التي مُنحت للعلماء والشعراء مجرد صفات تشريفية عابرة، بل كانت تحمل في طياتها دلالات عميقة تعكس طبيعة العلاقة بين الخلافة والنخبة المثقفة.

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف أهمية ودلالة ألقاب العلماء والشعراء في الدولة الفاطمية، من خلال تحليل الأبعاد التي تعكسها هذه التسميات، فنحن لا ننظر إلى اللقب بوصفه تعريفاً شخصياً، بل كأداة اجتماعية وسياسية ومذهبية تُستخدم لـ: أولاً، تحديد الرتبة والمكانة الهرمية داخل المؤسسة العلمية والإدارية للدولة، ثانياً، تأكيد درجة الولاء والإخلاص للدولة ولشخص الخليفة، وثالثاً، تخليد الإنجازات الفكرية أو الأدبية التي تخدم الدولة، إن دراسة هذه الألقاب تسلط الضوء على النظام المعقد للرعاية الفكرية الذي اعتمده الفاطميون، وتكشف كيف ساهم منح الشرف واللقب في بناء شبكة من الدعم المعنوي والمادي، وكيف انعكست هذه التسميات على الإنتاج الفكري والأدبي في تلك الفترة المزدهرة، وقد تم تقسيم البحث الى مقدمة ومبحثين، تضمن المبحث الاول اهمية ودلالة القاب العلماء في الدولة الفاطمية، اما المبحث الثاني فتضمن اهمية ودلالة القاب الشعراء في الدولة الفاطمية فضلا عن الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الاول: اهمية ودلالة ألقاب العلماء في الدولة الفاطمية

شهدت الدولة الفاطمي نهضة علمية وفكرية متميزة، حيث أولى الخلفاء الفاطميون اهتمامًا بالغًا بالعلم والعلماء، واعتبروا المعرفة وسيلة لترسيخ سلطتهم ونشر المذهب الإسماعيلي، وقد انعكس هذا الاهتمام في تأسيس مؤسسات علمية مثل جامع الأزهر ودار الحكمة، التي أصبحت مراكز للبحث والتعليم، وجذبت نخبة من العلماء في مختلف التخصصات، وفي هذا السياق، نال العلماء مكانة مرموقة في المجتمع الفاطمي، وكان يُمنح لهم ألقاب تعكس علمهم ومكانتهم الدينية أو الفلسفية أو الطبية ومن أبرز الألقاب التي أطلقت على العلماء:

١- ابن القزاز النحوي ٤١٢هـ/١٠٢٧م[١]

يُعد ابن القزاز القيرواني من أبرز العلماء الذين لمع نجمهم في عهد الدولة الفاطمية، ارتبط اسمه بخدمة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي منذ أن كان الأخير في مدينة القيروان، ولهذا نُسب إليها بلقب "القيرواني"، أما لقب "القزاز"، فيشير إلى مهنته في بيع القز (الحرير)، وهي من الحرف المعروفة آنذاك، وكان ابن القزاز شخصية علمية مرموقة، جمع بين اللغة والأدب والنحو والشعر، وترك بصمة واضحة في الحياة الثقافية والعلمية في عصره، خاصة في بلاط الفاطميين[٢].

كان من أعلام اللغة في بلاد المغرب، وبرز كإمامٍ متمكن في علوم العربية، فجمع بين المعرفة العميقة والدراية الواسعة بأسرار النحو والبلاغة والبيان، حتى عُدّ من شيوخ اللغة الذين يُشار إليهم بالبنان في عصره[٣].

٢- المسبحي ٤٢٠هـ/١٠٢٩م [٤]

الأمير عز الملك، المعروف بالمسبحي الكاتب، هذا اللقب يعود إلى اسم أحد أجداده "مُسَبِّح"، وهو ما يُعرف في علم الأنساب بـ"النسبة إلى الجد."، اما من الناحية اللغوية، فإن "المُسَبِّحي" قد يُفهم أيضًا على أنه مشتق من الجذر "سَبَحَ"، الذي يدل على الحركة والانطلاق، وقد يرتبط مجازيًا بالعلم أو الفكر المتدفق، لكن في سياق هذا اللقب التاريخي، هو نسبة إلى الجد "مُسَبِّح" وليس له علاقة مباشرة بالمعنى اللغوي[٥].

كان المُسَبِّحي من كبار رجال الدولة الفاطمية، وتولى مناصب إدارية وعسكرية مهمة، منها ديوان الترتيب وولاية أقاليم في الصعيد، وعُرف بثقافته الموسوعية، وألف أكثر من ثلاثين كتابًا في التاريخ، الأدب، الفلك، والديانات، أشهرها كتابه الضخم "أخبار مصر"[٦] الذي بلغ أكثر من ١٣ ألف ورقة وكان مقربًا من الخليفة الحاكم بأمر الله، ولقّب بـ "عز الملك" ، وهو لقب شرفي يعكس مكانته السياسية والأدبية [٧].

بدأ حياته في خدمة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله منذ صباه، وكان يحظى بمكانة رفيعة، إذ جلس بين يدي الخليفة وابنه الظاهر، وشارك في مجالسهم الخاصة، وقد نقل المسبحي في مؤلفاته كثيرًا من الوقائع والمجالس التي جمعته بالحاكم، ودوّنها في كتابه الشهير "التاريخ الكبير"، الذي يُعد من أهم المصادر التاريخية عن مصر في العصر الفاطمي، احتوى هذا الكتاب على أخبار مصر، ومن تولى أمرها من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء، كما وصف ما بها من الأبنية والعجائب، فجاء عمله موسوعة شاملة ترصد الحياة في مصر من جوانبها السياسية، والاقتصادية، والأدبية، والاجتماعية[٨]

٣- الحسن بن الهيثم ٤٣٠هـ/١٠٣٨م[٩]

يُعد أبو علي الحسن بن الهيثم من أبرز علماء الرياضيات الذين عرفتهم مصر في عهد الدولة الفاطمية، لُقّب بـ"البصري" نسبةً إلى مسقط رأسه ونشأته في ولاية البصرة، كرّس حياته لدراسة علم البصريات[١٠]، واطّلع على مؤلفات العلماء السابقين من اليونان والأندلس، مما ساهم في تعميق معرفته وتوسيع آفاقه العلمية، وكان شغوفًا بالعلم إلى درجة دفعته للرحيل إلى مصر، حيث لفت انتباه الحاكم بأمر الله، الذي أرسل إليه الأموال سرًا وطلب منه القدوم بسرعة، مهيئًا له كل ما يحتاجه لمواصلة أبحاثه[١١]، وقد تميز ابن الهيثم بذكاء فذّ وبراعة نادرة في العلوم، خاصة في الرياضيات، حتى قيل إنه لم يُضاهِه أحد في هذا المجال [١٢].

ومن ألقابه التي اشتهر بها لقب "بطليموس الثاني"[١٣]، وذلك لكونه جاء بعد العالم بطليموس في مجال العلوم الرياضية والعقلية، وسار على نهجه في البحث والتأليف. وقد ترك ابن الهيثم إرثًا علميًا ضخمًا، إذ ألّف العديد من الكتب التي يصعب حصرها، وتنوعت مؤلفاته بين الرياضيات، والفيزياء، والفلسفة، مما يعكس اتساع معرفته وتعدد اهتماماته العلمية. [١٤]

٤- الشيرازي"المؤيد في الدين" ٤٧٠هـ/١٠٧٧م[١٥]

يُعد الشيرازي من أبرز فلاسفة المذهب الإسماعيلي، وقد عُرف بلقب "المؤيد"، إلا أن اللقب الذي غلب عليه واشتهر به في الأوساط العلمية والسياسية هو "المؤيد في الدين". ويؤكد ذلك رسالة بعث بها الملك أبو كاليجار البويهي [١٦]،جاء فيها: "لشيخنا وظهيرنا ومعتمدنا المؤيد في الدين، عصمة أمير المؤمنين أبي النصر، أطال الله بقاءه وأدام عزّه وتأييده". [١٧] هذا الخطاب يعكس المكانة الرفيعة التي حظي بها المؤيد في الدين، سواء في الفكر الفلسفي أو في علاقاته السياسية، ويُبرز مدى تأثيره في عصره.

أما لقب "المؤيد"، فهو اسم فاعل مشتق من "الأيْد"، أي القوة والشدة، ويُراد به من يُمنح القوة أو يُعان على نصرة دولة أو دين أو سلطان، مما يعكس دلالة رمزية على دوره في دعم الدعوة الإسماعيلية وتعزيز مكانة الدولة التي ينتمي إليها.[١٨]

كان المؤيد في الدين الشيرازي بارعًا في الكتابة بكل من اللغتين الفارسية والعربية، وقد خلّف إرثًا علميًا غنيًا من المؤلفات التي نُسبت إليه، من أبرزها" :المجالس المؤيدية"[١٩]، "ديوان المؤيد"[٢٠]، و"سيرة المؤيد في دين الله"[٢١]،) وتدل هذه الأعمال على عمق فكره وتنوع اهتماماته [٢٢]

وقد تقلّد المؤيد ديوان الإنشاء، كما أُسندت إليه رياسة الدعوة الفاطمية، حتى أصبح داعي الدعاة سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م، وهو منصب رفيع يعكس مكانته الدينية والسياسية في الدولة الفاطمية[٢٣]، ولم تكن منزلته العلمية بأقل شأن من مكانته السياسية، فقد عُدّ من كبار علماء مصر في الفقه الفاطمي، إلى جانب اتساع معرفته في مختلف العلوم، وتضلّعه في اللغة والأدب، مما أكسبه أسلوبًا رفيعًا في الكتابة، يجمع بين البلاغة والدقة.[٢٤]

٥- ابن ماكولا٤٧٠هـ /١٠٧٧م [٢٥]

كان أبو نصر علي بن هبة الله المعروف بابن ماكولا من كبار علماء الحديث في القرن الخامس الهجري، وقد صنّف مؤلفات نافعة في علم الحديث والأنساب، من أشهرها كتابه "الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب"، وكتاب "مستمر الأوهام "، تلقى العلم عن كبار مشايخ العراق والشام وخراسان، وسافر إلى مختلف الأمصار طلبًا للعلم، حتى أصبح من العلماء المشهورين في عصره[٢٦].

أما عن اسمه، فـ"ابن ماكولا" يُنطق بفتح الميم، وبعد الألف كاف مضمومة، ثم واو ساكنة، فلام وألف، واللقب "ماكولا" يُحتمل أنه اسم شهرة أو لقب وراثي انتقل عبر الأسرة، وقد ورد في المصادر أن لقب "الأمير"[٢٧] أطلق عليه لأنه من سلالة الأمراء آل أبي دلف العجلي، لا لأنه تولّى الإمارة بنفسه[٢٨].

٦- ابن القطاع الصقلي ٥١٤هـ /١١٢٠م [٢٩]

يُعد من أبرز علماء اللغة والنحو في عهد الدولة الفاطمية، وقد ترك بصمة علمية واضحة من خلال مؤلفاته المتنوعة، ومنها كتاب "الأسماء في اللغة "وكتاب "الأفعال"، حيث تناول فيهما دقائق اللغة العربية وتصنيفاتها[٣٠]، وقد لُقّب بـ "الصقلي" نسبةً إلى مدينة صقلية التي وُلد فيها ونشأ بين ربوعها، مما يعكس ارتباطه الوثيق بجذوره الثقافية والعلمية[٣١].

٧- السعيدي المصري ٥٢٠هـ /١١٢٦م[٣٢]

أطلق على السعيدي المصري لقب "بحر العلوم"، وهو لقب يدل على سعة علمه وكثرة مؤلفاته وتنوعها في مختلف فروع المعرفة، وقد ورد أن السعيدي بن بركات وقف بين يدي الوزير الأفضل بن أمير الجيوش، فأنشده أبياتًا من الشعر، فسأل الوزير عن صاحبها، فقيل له: "هذا بحر العلوم ابن بركات"[٣٣] ويعكس هذا اللقب مدى التبحر العلمي لهذا العالم الجليل، ومكانته الرفيعة بين علماء عصره[٣٤].

٨- ابن الشجري ٥٤٢هـ /١١٤٨م[٣٥]

يُعد أبو السعادات المعروف بابن الشجري من أبرز علماء النحو واللغة العربية في العصر الفاطمي، وقد تميز بمكانته العلمية الرفيعة وبغزارة إنتاجه في مجال النحو والبلاغة. ألّف عددًا كبيرًا من الشروح والكتب النحوية، التي عكست عمق معرفته ودقّة تحليله، وكان من أعلام المدرسة البغدادية التي سعت إلى التوفيق بين آراء البصريين والكوفيين، مما جعله مرجعًا مهمًا في الدراسات اللغوية والنحوية[٣٦].

يُنسب لقب "ابن الشجري" إلى هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة، المعروف بأبي السعادات، وهو من أشهر نحاة القرن الخامس والسادس الهجري، أما دلالة اللقب، فقد اختلف فيها المؤرخون فقسم قالوا نسبة إلى قرية "الشجرة" وهي من أعمال المدينة المنورة، ويُحتمل أن يكون اللقب مأخوذًا منها، أو نسبة إلى أحد أجداده، يُقال إن أحد أجداده كان

يُلقب بـ"شجرة"، وقد انتقل اللقب إليه من جهة الأم، أو نسبه العلوي الحسني ينتمي إلى ذرية الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب "عليه السلام" مما يضفي على لقبه طابعًا شريفًا ودينيًا[٣٧].

٩- ابن منجب الصيرفي ٥٤٢هـ /١١٤٨م[٣٨]

وهو من المؤرخين الذين ظهروا في اواخر العصر الفاطمي، وقد تدرج في الوظائف حتى ولي ديوان الانشاء للخليفة الامر بأحكام الله، وظل فيه حتى سنة ٥٣٦هـ ، ومن كتبه "الاشارة الى من نال الوزارة" وكتاب" قانون ديوان الرسائل"، وعرف بابن الصيرفي[٣٩]، نسبة إلى مهنة أو لقب عائلي، وقد تكون دلالة على الأصل أو الحرفة، ولقب "تاج الرياسة وامين الدين"، ويدل لقب تاج الرياسة على مكانته في ديوان الإنشاء وكونه من كبار الكتّاب، أما أمين الدين فيعكس الثقة الدينية والأخلاقية التي كان يحظى بها[٤٠].

ويتجلّى لنا من ذلك أن الألقاب العلمية في الدولة الفاطمية لم تكن مجرد أسماء تشريفية، بل كانت انعكاساً للمكانة العلمية والدينية والسياسية التي بلغها العلماء في ذلك العصر، فقد استخدمت الدولة الفاطمية الألقاب بذكاء لتكريم العلماء وتحديد مراتبهم، مما ساهم في نشوء نخبة فكرية مؤثرة جمعت بين الفقه والكلام والفلسفة والطب، وإن هذه الألقاب تكشف جانباً مهماً من بنية المجتمع الفاطمي، حيث امتزج العلم بالدين والسياسة في إطار من الاحترام والتقدير، وبذلك يمكن القول إن دراسة هذه الألقاب تمنحنا نافذة لفهم علاقات السلطة والمعرفة في مرحلة تاريخية كانت من أكثر الفترات ازدهاراً للحضارة الإسلامية.

المبحث الثاني: اهمية ودلالة ألقاب الشعراء في الدولة الفاطمية

شهد العصر الفاطمي نهضة علمية وأدبية متميزة، نتجت عن اهتمام الدولة بالثقافة والمكتبات، إذ احتوى القصر الشرقي الكبير على مكتبة ضخمة يعمل فيها نساخون على تدوين كتب الأدب والفقه والحديث، وقد استخدم الفاطميون الشعر والخطابة كوسيلة لنشر المذهب الإسماعيلي، وقدموا الدعم المادي والمعنوي للشعراء والكتّاب من خلال الأرزاق الثابتة، والمرتبات الشهرية، والألقاب الفخرية، وساهم هذا التشجيع في خلق منافسة بين الشعراء، اذ ركز معظمهم على مدح الخلفاء للحصول على الجوائز والمكانة الاجتماعية، ومن أبرز مظاهر التكريم، إنشاء الخليفة الامر باحكام الله منظرة في بركة الحبش[٤١]،

ضمّت صورًا للشعراء وأشعارهم، ووزّع عليهم صررًا مالية تقديرًا لهم، مما يعكس أهمية الشعر عند الفاطميين بوصفه أداة للدفاع عن عقيدتهم وتعزيز مكانتهم السياسية والثقافية[٤٢]، ومن أبرز الشعراء الفاطميين الذين ذاع صيتهم، وحازوا القابا عرفوا بها:

١- ابن هانئ الاندلسي "ت٣٦٢هـ/٩٧٢م"[٤٣]

يُعدّ ابن هانئ الأندلسي من أبرز شعراء المغرب على الإطلاق، وقد اقترن اسمه بخدمة العقيدة الإسماعيلية، إذ اتخذ من شعره وسيلة لتمجيد الأئمة الفاطميين ورفع شأنهم، وكني أبو القاسم، وقيل أيضًا أبو الحسن، ونُسب إلى الأندلس نظرًا لكونه وُلد في إحدى مدنها، فلقب بالأندلسي، وقضى فيها سنوات صباه، مما أكسبه لقب "متنبي المغرب" نظرًا لما بلغه من مكانة شعرية عالية، ولعبقريته تشبيها بالمتنبي في الشرق[٤٤].

في سن السابعة والعشرين، رحل ابن هانئ إلى المشرق والتقى بجوهر الصقلي قائد الجيوش الفاطمية، فمدحه بقصائد نالت إعجاب المعز لدين الله الفاطمي، الذي استدعاه وخصّه بعطايا سخيّة، واصطحابه إلى مصر، معلقًا عليه آمالًا كبيرة في مجاراة شعراء الدولة العباسية، بل والتفوق عليهم[٤٥]

كان معظم شعر ابن هانئ مكرّسًا لمدح الخليفة المعز وأسرته، وقد أظهر في قصائده تعصبًا واضحًا للفاطميين، انعكس في مدحه الحماسي ودفاعه القوي عن المذهب الإسماعيلي، مما جعله أحد أعمدة الشعر السياسي في الدولة الفاطمية، وواجهة أدبية لصوتها العقائدي والثقافي[٤٦].

٢- السري بن احمد بن السري٣٦٢هـ/٩٧٢م[٤٧]

كان أبو الحسن الكندي، المعروف بلقب "السري الرفاء"، أحد شعراء العصر الفاطمي الذين خلّدتهم الذاكرة الأدبية، وقد اكتسب هذا اللقب من حرفته التي امتهنها في مدينة الموصل، اذ كان يرفو الثياب ويطرزها، ومنها جاء وصفه بـ"الرفّاء"، ويُستدل من لقبه هذا على أن من الشائع في ذلك العصر أن يُنسب الفرد إلى حرفته أو مهنته، ورغم بساطة مهنته، فقد كان السري الرفاء شغوفًا بالأدب ونظم الشعر، وبرز كأحد أبرز شعراء زمانه، وتميز شعره بعذوبة الألفاظ ورقة الأسلوب، كما كان مولعًا بالتشبيهات الدقيقة والأوصاف

البديعة، ولم يُعرف عنه التعمق في العلوم الأخرى، إذ انصبّ اهتمامه وتفوقه في فن الشعر وحده[٤٨]

٣- الامير تميم بن المعز ٣٧٤هـ/٩٨٤م[٤٩]

كان الأمير تميم شاعرًا فصيحًا، تميزت ألفاظه بالوضوح وعُرفت تراكيبه بالبساطة والعذوبة، وقد برع في استخدام التشبيهات والاستعارات وتعددت أغراضه الشعرية بين الغزل والمدح والرثاء والوصف والفخر، وعبّر من خلالها عن مشاعره وأفكاره بمهارةٍ وإبداع، وقد خصّ والده وأخاه العزيز بمدائح جميلة حين تولّى الأخير الخلافة، ولقب الامير يدل على مكانته داخل الأسرة الحاكمة، رغم عدم توليه الخلافة، اما كنيته فكني ابو علي، وهي كنية تقليدية تشير الى النسب[٥٠].

أما في حياته الاجتماعية، فكان الأمير تميم رجلًا كريمًا سمحًا، محبوبًا بين الناس، يُجالسهم ويشاركهم أحاديثهم وسمرهم، ينصت إليهم ويتفاعل معهم بودٍ وظرف، فكانت رقة شعره وظرافة شخصيته سببًا في شهرته بين الأدباء ومحبي الشعر[٥١].

٤- ابن وكيع التنيسي٣٩٣هـ/١٠٠٢م [٥٢]

يُعدّ ابن وكيع التنيسي من شعراء العصر الفاطمي الذين برزوا في مجالات اللهو والوصف والغزل، وقد تميز بأسلوب شعري رائق ومبتكر، جعل منه أحد أبرز شعراء زمانه، ولقب ابن وكيع، نسبة إلى جده أبي بكر محمد بن خلف، المعروف بلقب "وكيع" والذي كان نائبًا للحكم في الأهواز زمن عبدان الجواليقي، وكان فقيهًا ونحويًا من أهل العلم والفضل، وله مؤلفات متعددة في علوم الشريعة واللغة، أما "التنيسي" فهي نسبة إلى مدينة تنيس المصرية الواقعة قرب دمياط، والتي ينسب بناؤها إلى تنيس بن حام بن نوح عليه السلام، والتي ولد فيها الشاعر ابن وكيع التنيسي[٥٣] .

انصب شعر ابن وكيع على موضوعات تميل إلى الترف واللهو، كمدح الخمر والغلمان، غير أنه لم يكن مجرد شاعر طرب، بل كان أيضًا عالمًا واسع الثقافة، جمع بين فنون المعرفة وبلاغة الشعر، واشتهر ببراعته التي أسر بها الأذهان وسحر بها العقول، حتى قيل إنه لم يُسبق في فنه من معاصريه، وكان كل بيتٍ من شعره بمثابة بدعةٍ تأسر الخيال وتُذهل العقول[٥٤].

٥- ظافر الحداد٥٢٩هـ/١١٣٤م [٥٥]

كان أبو المنصور ظافر يعمل حدادًا في مدينة الإسكندرية، ولذلك نُسب إلى حرفته وسُمّي بظافر الحداد، ورغم أنه لم يتلقَّ تعليمًا رسميًا أو ثقافة أكاديمية، فقد كان مولعًا بالشعر والأدب، وتميز فيهما بشكل لافت، وقد برز نجمه في العصر الفاطمي، لا سيما في فترة الوزير الأفضل، على الرغم من كثرة الشعراء وتفوقهم آنذاك، إذ لم يظهر في ذلك الوقت من يضاهيه في قدرته الشعرية، تمكن ظافر الحداد من مجالسة نخبة الشعراء والعلماء، واستفاد من مجالسهم بما وسِع ذاكرته، فاغتنى بذلك فكره واتسعت ثقافته، وقد جذب انتباه رجال الدولة بموهبته، فأعجبوا بفصاحته وسرعة بديهته، وبراعته في الارتجال[٥٦]

٦- ابن قلاقس٥٦٧هـ/١١٧١م[٥٧]

ابن قلاقس هو الشاعر أبو الفتح نصر الله بن عبدالله اللخمي الإسكندري، وكان يُعرف بلقب "القاضي الأعز"، وهذا يدل على ارتباطه بالخليفة الفاطمي، وبعكس مكانته فيها، ويُشتق اسم "قلاقس" من جمع كلمة "قلقاس"، وهو اسم نبات معروف، أما "اللخمي" فهي نسبة إلى قبيلة لخم التي ينتمي إليها هذا الشاعر، ويُروى أنه من مدينة الإسكندرية، وقد سافر إلى صقلية وأقام فيها قرابة عامين، ثم عاد مرة أخرى إلى مصر، وكني ابو الفتح وهي كنية تقليدية تستخدم في المخاطبات الرسمية وتدل على النسب والهيبة[٥٨].

٧- عمارة اليمني نجم الدين٥٦٩هـ/١١٧٣م[٥٩]

ابو محمد عمارة اليمني الملقب "نجم الدين"، وهذا اللقب يشير الى مكانته العلمية والدينية، فكان ينظر اليه كمنارة علم في عصره، الشاعر الفاطمي المشهور، ولد في تهامة باليمن بمدينة يقال لها مرطان لذلك سمي بعمارة اليمني، واهمية هذه الالقاب تعكس شخصيته ومدى احترامه من قبل الخلفاء والوزراء، فضلا عن دوره في التاريخ اليمني، اذ كان اول من ارخ لليمن بشكل موسوعي في كتابه تاريخ اليمن[٦٠].

تشكّل الألقاب الشعرية في العصر الفاطمي مكوّنًا دلاليًا وثقافيًا بالغ الأهمية، يُظهر كيف وظّفت الدولة الكلمة لا لتجميل النصوص فحسب، بل لبناء منظومة من الرموز تُرسّخ فيها موقع الشاعر بوصفه جزءًا من بنية الحكم، فقد امتزجت وظيفة الشعر بجوهر الدعوة، وساهمت الألقاب بمنح الشاعر هوية مؤسسية تُعبّر عن انتمائه السياسي والفكري، وتُحدّد

موقعه ضمن خريطة الولاء للسلطة، وعليه، فإن دراسة هذه الألقاب لا تُفيد فقط في الكشف عن مكانة الشاعر، بل تمنحنا مدخلًا لفهم آلية اشتغال الخطاب الفاطمي، حيث تتقاطع البلاغة مع السيادة، وتتحوّل القافية إلى أداة من أدوات التأثير والتمكين.

الخاتمه

في ضوء ما تقدم، يتضح أن الألقاب في الدولة الفاطمية لم تكن مجرد ألفاظ تشريفية تُمنح عشوائيًا، بل كانت أدوات ذات طابع سياسي واجتماعي وديني، تعكس موقع صاحبها في بنية الدولة وتوجهاتها، فقد ساهمت ألقاب العلماء في ترسيخ الدور الدعوي للمذهب الإسماعيلي، كما أسهمت ألقاب الشعراء في تعزيز صورة الدولة ونشر خطابها الثقافي والإعلامي، فضلا عن ذلك أن منح الألقاب كان وسيلة لإضفاء الشرعية والهيبة على بعض الشخصيات، وتكريس التراتبية داخل مؤسسات الدولة، وبذلك شكّلت الألقاب عنصرًا مهمًا من عناصر البناء الرمزي للدولة الفاطمية، ومرآة حقيقية لأبعادها الفكرية والسياسية، وعليه، فإن دراسة هذه الألقاب تفتح آفاقًا لفهم أعمق لطبيعة الدولة الفاطمية، وتمنح الباحثين أدوات تحليل جديدة لقراءة التاريخ من زاوية الرموز والمصطلحات.

المصادر والمراجع

١- ابن الاثير، عزالدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني، (ت٦٣٠هـ/ ١٣٣٢م)، اللباب في تهذيب الأنساب، تصحيح: حسام الدين القدسي، (القاهرة، مكتبة القدسي ،١٣٥٧هـ/١٩٣٨م).

٢- ابن تغري بردي ابو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٤م).

٣- الثعالبي ،عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور(ت٤٢٩هـ)، يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، تح: محمد مفيد قميحة، (بيروت ، دار الكتب العلمية ،١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٤- ابن الجوزي ، ابو الفرج عبدالرحمن بن علي محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ،(بغداد ، الدار الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٠م).

٥- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني العثماني (ت١٠٦٧هـ)، سلم الوصول الى طبقات الفحول ، تح: محمود عبدالقادر الارناؤوط ،(استانبول ، ارسيكا ، ٢٠١٠م).

٦- ابن حجر العسقلاني ، ابوالفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد (٨٥٢هـ /١٤٤٩م) ، نزهة الالباب في الألقاب، تح: عبد العزيز محمد بن صالح السديري ، (الرياض ، مكتبة الرشد ،١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

٧- ابن خلكان ، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت:٦٨١هـ/١٢٩١م)،وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تح :إحسان عباس، (بيروت ،دار صادر،١٩٧٠م).

٨- الذهبي ، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد (٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تح: بشار عواد معروف ،(بيروت ، دار الغرب الاسلامي ،١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

٩- السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر(ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،(لبنان ، المكتبة العصرية ، د.ت).

١٠- السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار احياء الكتب العربية ،١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).

١١- السيوطي، لب اللباب في تحرير الانساب،(بيروت ، دار صادر ، د.ت).

١٢- السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، (ت ٥٦٢هـ)، الانساب ، تقديم :عبد الله عمر البارودي ،(بيروت ، دار الجنان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

١٣- ابن الشجري ، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة (ت٥٤٢هـ)،أمالي ابن الشجري ، تح: محمود محمد الطناحي ،(القاهرة ، مكتبة الخانجي ،١٤١٣هـ/١٩٩١م).

١٤- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات ، تح: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ،(بيروت، دار إحياء التراث ، ٢٠٠٠م).

١٥- ابن الصيرفي ، أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان ،(ت٥٤٢هـ/١١٤٧م)، المختار من شعر شعراء الاندلس، تح: عبدالرزاق حسين،(عمان ، دار البشير، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م).

١٦- ابن العديم، عمر بن احمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي كمال الدين ، (ت٦٦٠هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب ، تح: سهيل زكار ،(د.م ، دار الفكر ، د.ت).

١٧- ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي بن احمد بن محمد ابن العماد(ت١٠٨٩هـ /١٦٨٣م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تح: محمود الارناؤوط ،(دمشق ، دار ابن كثير ،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

١٨- العيني ، بدر الدين محمود (ت٨٥٥هـ)، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ،تح: محمود رزق محمود، (القاهرة، دار الكتب والوثائق، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

١٩- ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبدالرزاق بن احمد ،(ت٧٢٣هـ)، معجم الاداب في معجم الألقاب ، محمد الكاظم ، (طهران ، مؤسسة الطباعة والنشر ، ١٤١٦هـ).

٢٠- القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ،(٦٤٦هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،(القاهرة ، دار الفكر العربي ،١٤٠٦هـ/١٩٨٢م).

٢١- ابن كثير ، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي البصري (ت ٧٧٤هـ /١٣٧٢م)، البداية والنهاية ، تح: رياض عبد الحميد مراد ،(دمشق ، دار ابن كثير ، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م).

٢٢- المازري، ابو عبدالله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي(ت٥٣٦هـ)، المعلم بفوائد مسلم، تح: محمد الشاذلي النيفر، ط٢، (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٨م).

٢٣- ابن ماكولا ، سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر (ت ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م)، تهذيب مستمر الأوهام على ذوي المعرفة وأولي الافهام ،تصحيح: أبو اصم الشوامي،(القاهرة،دار الذخائر،١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م).

٢٤- ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن احمد الأنصاري الشافعي ،(ت٨٠٤هـ)،التوضيح لشرح الجامع الصحيح ،(دمشق ، دار النوادر ،١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

٢٥- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي،(ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)،معجم الأدباء ،تح إحسان عباس ،(بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م).

المراجع

٢٦- الباشا ، حسن ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، (القاهرة ، الدار الفنية ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).

٢٧- الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الاثار العربية، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٦م).

٢٨- بروكلمان ، كارل، تاريخ الادب العربي، تر: رمضان عبدالتواب، السيد يعقوب بكر، ط٣،(د.م، دار المعارف، د.ت).

٢٩- البلاوي ، محمد ، ابن هانئ المغربي الاندلسي شاعر الدولة الفاطمية، (بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

٣٠- تامر،عارف، تاريخ الاسماعيلية الدولة الفاطمية الكبيرة، (لندن، رياض الريس للكتب والنشر ،١٤١١هـ/ ١٩٩١م).
٣١- تامر، الاسماعيلية بين الحقائق والاباطيل، (بيروت ، مؤوسسة الاعلمي للمطبوعات ، ١٤١٩هـ /١٩٩٨م).
٣٢- تامر، تميم الفاطمي، (بيروت، مؤوسسة عز الدين، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م).
٣٣- جاد الرب، ابراهيم الدسوقي، شاعر الدولة الفاطمية تميم بن المعز، (القاهرة، جامعة القاهرة، ١٩٩١م).
٣٤- حسن ، إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا ، ط٤ ،(القاهرة ، مطبعة النهضة المصرية ، ١٩٨٣م).
٣٥- حسين، محمد كامل، الحياة الفكرية والادبية بمصر من الفتح العربي حتى اخر الدولة الفاطمية، (د. م ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩م).
٣٦- حسين ، في أدب مصر الفاطمية ،(دار الفكر العربي).
٣٧- الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، ط٣، (بيروت، دار العلم للملايين ،١٩٦٩م).
٣٨- زيدان ، جرجي ، المختصر في تاريخ آداب اللغة العربية ، (د. م، مطبعة دار الهلال ، ١٩٤٦م).
٣٩- سركيس ،يوسف بن الياس بن موسى، معجم المطبوعات العربية والمعربة ،(مصر، مطبعة سركيس، ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م).
٤٠- سرور، محمد جمال الدين، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الاتراك الى منتصف القرن الخامس الهجري، (القاهرة، دار الفكر العربي ،١٩٩٥م).
٤١- سلام ، محمد زغلول ، الادب في العصر الفاطمي الكتابة والكتاب، (الإسكندرية ، دار منشأة المعارف ، د. ت).
٤٢- الطرهوني، محمد بن رزق بن عبدالناصر بن طرهوني الكعبي السلمي أبو الارقم المصري المدني ،التفسير والمفسرون في غرب افريقيا ، (السعودية ، دار ابن الجوزي ،١٤٢٦ هـ).

٤٣- العاني، سامي مكي، معجم القاب الشعراء، (دبي، مكتبة الفلاح للطباعة والنشر، ١٩٨٢م).
٤٤- الفاخوري ، حنا، الجامع في تاريخ الادب العربي الادب القديم، (بيروت، دار الجيل ، ١٩٨٥م).
٤٥- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، (بيروت، مكتبة المثنى، د.ت).
٤٦- مصطفى، محمود ، الادب العربي في مصر من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الايوبي ،(د.م، دار الكتاب العربي ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).
٤٧- الميداني، عبدالرحمن بن حسن حبنكة ، الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم ،(دمشق، دار القلم ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨ م).

الهوامش:

(١) القزاز النحوي : هو أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي المعروف بابن القزاز ، من اشهر علماء العصر الفاطمي وشيخ اللغة في المغرب ،اشتغل بخدمة المعز لدين الله في القيروان وصحبه إلى مصر وألف له كتابا في النحو ، وظل بمصر حتى ولاية العزيز بالله وألف له كتابا جمع فيه سائر الحروف ، والتي أشار إليها النحويون في قولهم الكلام اسم وفعل وحرف، وله كتاب آخر اسمه الجامع في اللغة ، وكان القزاز مهيبا لدى الحكام والعلماء ،محبوبا من قبل العامة ، توفي سنة ٤١٢هـ/ ١٠٢٧م ، ينظر:القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ،(٦٤٦هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،(القاهرة ، دار الفكر العربي ،١٤٠٦هـ/١٩٨٢م)،ج٣، ص٨٧؛ابن الملقن ،سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن احمد الأنصاري الشافعي ،(ت٨٠٤هـ)،التوضيح لشرح الجامع الصحيح ،(دمشق ، دار النوادر ،١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ج١، ص١٠٤؛السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر(ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،(لبنان ، المكتبة العصرية ، د.ت)، ج١ ،ص٧١؛ حسين ، محمد كامل ، الحياة الفكرية والادبية بمصر من الفتح العربي حتى اخر الدولة الفاطمية، (د. م ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩م)، ص٥٤

(٢)ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي،(ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)،معجم الأدباء ،تح إحسان عباس ،(بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م)،ج٢ ، ص٨٦٢؛حسين ، في أدب مصر الفاطمية ،(دار الفكر العربي)، ص٩٠

(٣) المازري، ابو عبدالله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي(ت٥٣٦هـ)، المعلم بفوائد مسلم، تح: محمد الشاذلي النيفر، ط٢، (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٨م)، ج١، ص٢٣٤.

(٤) المسبحي: وهو عز الملك محمد بن ابي القاسم عبيدالله بن احمد بن اسماعيل بن عبدالعزيز المعروف بالمسبحي الكاتب، وهو من مؤرخي الدولة الفاطمية المصري المولد، ولد سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، ولم يكن مؤرخا بل كان أديبا، صاحب تاريخ المغاربة ومصر، وتوفي سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م ينظر: ابن الاثير، عزالدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني، (ت٦٣٠هـ/ ١٣٣٢م)، اللباب في تهذيب الأنساب، تصحيح: حسام الدين القدسي، (القاهرة، مكتبة القدسي ،١٣٥٧هـ/١٩٣٨م)،ج٣، ص،٢٠٧؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان، ج٤، ص٣٧٧؛ كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، (بيروت، مكتبة المثنى، د.ت)، ج١٠، ص٢٧٦.

(٥) حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني العثماني (ت١٠٦٧هـ)، سلم الوصول الى طبقات الفحول ، تح: محمود عبدالقادر الارناؤوط ،(استانبول ، ارسيكا ، ٢٠١٠م)،ج٥،ص٣٠٠.

(٦) ابن ماكولا ،الاكمال ، ج٧، ص ٢٤٢.

(٧) ابن حجر العسقلاني ، ابوالفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد (٨٥٢هـ /١٤٤٩م) ، نزهة الالباب في الألقاب، تح: عبد العزيز محمد بن صالح السديري ، (الرياض ، مكتبة الرشد ،١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، ج٢،ص٢٧

(٨) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،ج٤، ص٢٧٧؛ سلام ، الادب في العصر الفاطمي ، ص٢٠٣؛ حسين ، الحياة الفكرية والأدبية ، ص٦٢.

(٩) ابن الهيثم بطليموس الثاني: أبو علي الحسن بن الهيثم ولد في البصرة ونشأ بها ،ثم انتقل الى الديار المصرية واقام بها اخر عمره وكانت فترة حياته في شبابه فترة غامضة ، وكان عالما بارعا ظل يؤلف ويشرح ويلخص في حركة دائبة ، الى ان توفي سنة ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م ، ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات ، تح: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ،(بيروت، دار إحياء التراث ، ٢٠٠٠م)،ج١١، ص٣٢١؛ حسين، في ادب مصر الفاطمية،ص٧٨–٨٠؛ سلام ، محمد زغلول ، الادب في العصر الفاطمي الكتابة والكتاب، (الإسكندرية ، دار منشأة المعارف ، د. ت)،ص٢٠٢.

(١٠) الميداني ،عبدالرحمن بن حسن حبنكة ، الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم ،(دمشق، دار القلم ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨ م) ، ص٥٥٤

(١١) الصفدي، الوافي بالوفيات ، ج١١، ص ٣٢١-٣٢٢

(١٢) حسين ، في ادب مصر الفاطمية ، ص٧٨

(١٣) الميداني ، الحضارة الإسلامية ، ص٥٥٤.

(١٤) حسين ، في ادب مصر الفاطمية ، ص٨٠ ؛ سلام ، الادب في العصر الفاطمي ، ص٢٠٢

(١٥) الشيرازي: هو هبة الله بن موسى ابي عمران بن داود الشيرازي ،ولد بشيراز في القرن الرابع الهجري ، واليها نسب، وكان من اسرة اتخذت المذهب الفاطمي عقيدة لها ،وكان ابوه حجة فارس خلال فترة حكم الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله، واحتل مكان والده بعد وفاته للقيام بالدعوة للفاطميين ، ولد سنة ٤٠٠هـ /١٠٠٩م وتوفي سنة ٤٧٠هـ /١٠٧٧م ودفن بدار العلم بجوار القصر، ينظر: الزركلي ، الاعلام ، ج٨، ص٧٥؛ سلام ، الادب في العصر الفاطمي ، ص١٧٧- ١٧٩.

(١٦) أبو كاليجار البويهي: السلطان البويهي صاحب بغداد، واسمه مرزبان ابن سلطان الدولة ابن بهاء الدولة ابن عضد الدولة، تملك بعد ابن عمه جلال الدولة فدامت أيامه خمسة أعوام، ومات بعد ان عاش احدى واربعون سنة، ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٩، ص٥٩٧.

(١٧) حسن ، إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا ، ط٤ ،(القاهرة ، مطبعة النهضة المصرية ، ١٩٨٣م)، ص٤٩٧.

(١٨) الباشا ، حسن ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، (القاهرة ، الدار الفنية ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م)، ص٥٢٢

(١٩) كتاب مطبوع للشيرازي المؤيد في الدين، تح: مصطفى غالب ،(بيروت، دار الفكر، ١٩٨٤م).

(٢٠)كتاب مطبوع للشيرازي المؤيد في الدين، تح: محمد كامل حسين،(القاهرة، دار الكاتب المصري، ١٩٤٩م).

(٢١) كتاب مطبوع كتاب مطبوع للشيرازي المؤيد في الدين، تح: محمد كامل حسين،(القاهرة، دار الكاتب المصري، ١٩٤٩م)

(٢٢) حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص٤٩٥

(٢٣) كحالة ، معجم المؤلفين ، ج١٣، ص١٤٤

(٢٤) سلام ، الادب في العصر الفاطمي ، ص١٧٩؛ الطرهوني، محمد بن رزق بن عبدالناصر بن طرهوني الكعبي السلمي أبو الارقم المصري المدني ،التفسير والمفسرون في غرب افريقيا ، (السعودية ، دار ابن الجوزي ،١٤٢٦ هـ) ،ج٢ ، ص٨٢٤.

(٢٥) ابن ماكولا: هو أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن علكان بن محمد ، أصله من نواحي اصيهان، ولد سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م، وكانت وفاته في خلافة المستنصر سنة ٤٧٠هـ /١٠٧٧م، ينظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج٣، ص٣٠٦

(٢٦) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج٣، ص٣٠٥

(٢٧) ابن ماكولا ، سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر (ت ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م)، تهذيب مستمر الأوهام على ذوي المعرفة وأولي الافهام ،تصحيح: أبو اصم الشوامي،(القاهرة،دار الذخائر،١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)،ص٢٠

(٢٨) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج٣، ص٣٠٦

(٢٩)ابن القطاع الصقلي : هو علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطاع الصقلي، فلم يكن مصريا بل ولد في صقليه سنة ٤٣٣هـ /١٠٤١م، فشب في الأندلس وجاء إلى مصر سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م، واستقبله المصريون بحفاوة وترحاب، وكلف بتعليم أولاد الأفضل الجمالي، وظل مهتما بالعلوم حتى وفاته سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م،ينظر:ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ١٦٦٩؛ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٣، ص٣٢٢-٣٢٣؛ تامر،عارف، تاريخ الاسماعيلية الدولة الفاطمية الكبيرة، (لندن، رياض الريس للكتب والنشر ،١٤١١هـ/ ١٩٩١م).، ج٤، ص٢١؛بروكلمان ، كارل، تاريخ الادب العربي، تر: رمضان عبدالتواب، السيد يعقوب بكر، ط٣،(د.م، دار المعارف، د.ت)،ج٥، ص٣٤٦.

(٣٠) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ١٦٦٩؛ حسين ، الحياة الفكرية ، ص٥٥

(٣١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٣، ص٣٢٢؛ حسين ، في ادب مصر الفاطمية ، ص٩٢

(٣٢)السعيد المصري: هو محمد بن بركات ألسعيدي النحوي المصري ، ولد سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م ، وكان نحويا ولغويا ،وهو الذي تناول موضوع الخطط من بعد أستاذه ، في كتابه خطط مصر ، وله مؤلفات في علم اللغة ، منها كتاب أهداه للأفضل الجمالي اسمه كتاب الإيجاز في معرفة ما في القران من ناسخ ومنسوخ وله تصانيف أخرى في علم النحو ، ينظر: ابن خلكان ، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت:٦٨١هـ/١٢٩١م)،وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تح :إحسان عباس، (بيروت ،دار صادر،١٩٧٠م).، ج٧، ص٧٥؛القفطي، انباه الرواة على أنباه النحاة،ج٤، ص٧٣؛ حسين ، أدب مصر الفاطمية ، ص١١٢.

(٣٣) الذهبي ، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد (٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تح: بشار عواد معروف ،(بيروت ، دار الغرب الاسلامي ،١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م). ج١١، ص٣٢٣.

(٣٤) تامر ، تاريخ الإسماعيلية الدولة النزارية ، ج٤ ، ص٢١ ؛ حسين ، في أدب مصر الفاطمية ، ص١١٢-١١٣

(٣٥) ابن الشجري : هو هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي ، ولد في رمضان سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م في بغداد، وكان من علماء النحو والعربية، وكان نقيب الطالبيين في الكرخ من ضواحي بغداد، وألف عددا كبيرا من الشروح وكتب النحو وتوفي سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٨م، ينظر: ابن الشجري ، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة (ت٥٤٢هـ)،أمالي ابن الشجري ، تح: محمود محمد الطناحي ،(القاهرة ، مكتبة الخانجي ،١٤١٣هـ/١٩٩١م)، المقدمة ، ص١٦ ؛ ابن تغري بردي ابو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٤م) ، ج٥،ص٢٨١؛ بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ،ج٥، ص١٦٥.

(٣٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥،ص٢٨١؛ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ،ج٥، ص١٦٥.

(٣٧) ابن الشجري ، أمالي ابن الشجري، المقدمة ، ص١٥؛ ابن الجوزي ، ابو الفرج عبدالرحمن بن علي محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ،(بغداد ، الدار الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٠م).، ج١٧، ص١٢٠؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة، ج٥،ص٢٨١؛ السيوطي، لب اللباب في تحرير الانساب ،(بيروت ، دار صادر ، د.ت)،ص١٥٠-١٥١

(٣٨) ابن الصيرفي : أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان التنوخي المصري، ويُعرف بلقب ابن الصيرفي، ولد سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م، كان منشئًا، مؤرخًا، شاعرًا، وخطيبًا، ويُعد من أعيان المصريين في القرن السادس الهجري، عُرف ببراعته في الكتابة والبلاغة، وكان له تأثير كبير في الحياة الأدبية والإدارية في عصره، وقد توفي الصيرفي سنة ٥٤٢هـ /١١٤٨م في زمن الخليفة الحافظ لدين الله، ينظر: ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص١٩٧١؛ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٧، ص٣١؛ الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، ط٣، (بيروت، دار العلم للملايين ،١٩٦٩م)، ج٥ ، ص٢٤

(٣٩) ابن الصيرفي ، أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان ،(ت٥٤٢هـ/١١٤٧م)، المختار من شعر شعراء الاندلس، تح: عبدالرزاق حسين،(عمان ، دار البشير، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م)، ص١٥.

(٤٠) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٧، ص٣٣٧؛ السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار احياء الكتب العربية ،١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).، ج٢ ، ص٢٣٣؛ سركيس ،يوسف بن الياس بن موسى، معجم المطبوعات العربية والمعربة ،(مصر، مطبعة سركيس، ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م)،ج١،ص١٤٣

(٤١)بركة الحبش: وهي غرب الفسطاط وهي ارض مزدرعة، تعرف ببركة المغافر وحمير، وكان في شرقيها جنات تعرف بالحبش فنسبت اليها، وذكر ان تلك الجنات تعرف بقتادة بن قيس بن حبشي الصدفي، وهو ممن شهد فتح مصر، وكان ماء النيل يدخل الى بركة الحبش من خليج بني وائل وهي الان موقوفة على اولاد الامام علي ع وكانت لهم منظرة تشرف على بركة الحبش، وذكر ان الخليفة الامر بأحكام الله بنى على المنظرة منظرة من خشب مدهونة فيها طاقات تشرف على خضرة بركة الحبش وصور فيها الشعراء كل شاعر وبلده واستدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر في المدح، ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ص٣٨١؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢،ص٤٣٠– ج٣، ص٥٧٥.

(٤٢) تامر، الاسماعيلية بين الحقائق والاباطيل، (بيروت ، مؤوسسة الاعلمي للمطبوعات ، ١٤١٩هـ /١٩٩٨م)، ص٣٧٢.

(٤٣) ابن هانئ الاندلسي: هو أبو القاسم محمد بن هانئ الازدي، الاندلسي المولد ، ولد في قرية سكون من قرى اشبيلية سنة ٣٢٦هـ/ ٩٣٨م، ونشأ على حب الادب والشعر، ويرجع نسبه الى المهلب بن ابي صفرة، وكان ابوه شاعرا في بعض قرى المهدية في افريقيا، ثم انتقل الى الاندلس وهناك ولد ابنه محمد هذا في احدى القرى ، وتوفي سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م ، ينظر: ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٤، ص٦٧–٦٨؛ابن خلكان ، وفيات الاعيان، ج٤، ص٤٢١؛ زيدان ، جرجي ، المختصر في تاريخ آداب اللغة العربية ، (د. م، مطبعة دار الهلال ، ١٩٤٦م)، ص١١١؛ الفاخوري ، حنا، الجامع في تاريخ الادب العربي الادب القديم، (بيروت، دار الجيل ، ١٩٨٥م)، ص٩٦١.

(٤٤) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٤، ص٦٧؛البلاوي ، محمد ، ابن هانئ المغربي الاندلسي شاعر الدولة الفاطمية، (بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)،ص١٠٧؛ العاني، سامي مكي، معجم القاب الشعراء، (دبي، مكتبة الفلاح للطباعة والنشر، ١٩٨٢م)،ص١٩٨.

(٤٥) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٤ ، ص٤٢١؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٤، ص٦٨.

(٤٦) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٤، ص٤٢١–٤٢٢؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٤، ص٦٨.

(٤٧) السري بن احمد بن السري: هو أبو الحسن الكندي السري بن احمد بن السري ، الشاعر الموصلي ، والذي مدح سيف الدولة الحمداني كما كان من اشهر شعراء الدولة الفاطمية وقام بمدح الخليفة المعز، توفي سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م، وقيل سنة ٣٦٠هـ ،وكانت وفاته ببغداد ينظر: السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، (ت ٥٦٢هـ)، الانساب ، تقديم :عبد الله عمر البارودي ،(بيروت ، دار الجنان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ،ج٣، ص٧٨؛ ابن كثير ، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي البصري (ت ٧٧٤هـ /١٣٧٢م)، البداية والنهاية ، تح: رياض عبد الحميد مراد ،(دمشق ، دار ابن كثير ، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م)، ج١٢، ص ٢٥٥، ٢٦٢.

(٤٨) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٤، ص٦٧؛ الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الاثار العربية، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٦م)، ج٢، ٥٥٦.

(٤٩) الامير تميم بن المعز: هو الأمير أبو علي تميم بن مسعد، وهو ابن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، وانه لم يلي الخلافة كون ولاية العهد كانت لأخيه العزيز، ولد تميم سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م في المهدية بتونس وتربى في أحضان النعيم، وتوفي سنة ٣٧٤هـ ، ٩٨٤م في القاهرة ودفن بالحجرة التي فيها قبر ابيه ، ينظر: الزركلي ، الاعلام ، ج٢، ص٨٨؛ مصطفى ، محمود ، الادب العربي في مصر من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الايوبي ،(د.م، دار الكتاب العربي ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)،ص٢٢٥؛ تامر ، الإسماعيلية بين الحقائق ، ص٣٧٨.

(٥٠) جاد الرب ، ابراهيم الدسوقي، شاعر الدولة الفاطمية تميم بن المعز، (القاهرة ، جامعة القاهرة، ١٩٩١م)، ص٢٢٥؛ تامر، تميم الفاطمي، (بيروت، مؤوسسة عز الدين، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م) ، ص٧٠-٧٣

(٥١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،ج١، ص٣٠١

(٥٢)ابن وكيع التنيسي: هو أبو محمد الحسن بن علي بن احمد بن محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي المعروف ابن وكيع التنيسي الشاعر المشهور اصله من بغداد ومولده بتنيس في مصر ،وهو من شعراء اللهو والوصف والخمر والغلمان ، واشتهر في وصف الطبيعة ، وتوفي سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢ م ودفن في المقبرة الكبرى في القبة التي بنيت له بها، ينظر: ابن العديم، عمر بن احمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي كمال الدين ، (ت٦٦٠هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب ، تح: سهيل زكار ،(د.م ، دار الفكر ، د.ت) ، ج٥، ص٢٤٧٥؛ ابن خلكان ،وفيات الاعيان ، ج٢، ص١٠٤ ، ١٠٦؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٢، ص٢٠١.

(٥٣) ابن خلكان ،وفيات الاعيان ،ج٢، ص١٠٦ –١٠٧؛ الذهبي ،تاريخ الإسلام ،ج٨،ص٧٢٦

(٥٤) الثعالبي ،عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور(ت٤٢٩هـ)، يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، تح: محمد مفيد قميحة، (بيروت ، دار الكتب العلمية ،١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)،ج١، ص٤٣٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات ، ج١٢، ص٧١-٧٢.

(٥٥) ظافر الحداد: هو أبو المنصور ظافر بن القاسم بن منصور بن عبدالله بن خلف بن عبدالغني الجذامي الاسكندراني الشاعر المشهور ، وتوفي في مصر سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٤م وقيل انه جمع شعره في ديوان كبير ولكن فقد، ولم يبق من شعره الا ابيات من قصائد ، ينظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٢، ص٥٤٠؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٣، ص٢٣٦؛ مصطفى ، الادب العربي ، ص٢٣٠ ؛ حسين ، في ادب مصر الفاطمية ، ص١٩١

(٥٦) ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي بن احمد بن محمد ابن العماد(ت١٠٨٩هـ /١٦٨٣م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تح: محمود الارناؤوط ،(دمشق ، دار ابن كثير ،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)،ج٦، ص١٤٩؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ج٥، ص٤٧؛ حسين ، في ادب مصر الفاطمية ، ص١٩٠-١٩١

(٥٧) ابن قلاقس: هو أبو الفتح نصر الله بن عبدالله اللخمي الاسكندري الشاعر الفاطمي المشهور، كان شاعرا مجيدا وفاضلا نبيلا كثير الشعر كثير الحركات في السفر، ويعتبر ديوان هذا الشاعر اول ديوان وصل كاملا، وتوفي سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، ينظر: الصفدي ،الوافي بالوفيات، ج٢٧، ص٧؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٨، ص٢٤؛ مصطفى، الادب العربي، ص٢٣٢- ٢٣٤.

(٥٨) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٥،ص٣٨٥؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٦، ص٣٧١؛ مصطفى ، الادب العربي ، ص٢٣٤

(٥٩) عمارة اليمني نجم الدين: أبو محمد عمارة بن ابي الحسن بن ريدان بن احمد الحاكمي اليمني ولد في تهامة في مدينة يقال لها مرطان ولذلك سمي عمارة اليمني ، مال الى الادب والشعر ومدح الخليفة الفائز ووزيره في قاعة الذهب ، ولم يمكث في مصر طويلا فسرعان ماعاد الى مكه لاداء فريضة الحج ، واتخذها موطنا له وقد اصبح من مشاهير العصر الفاطمي في عهد الخليفتين الفائز والعاضد، ومن الطبقة العليا من شعراء العرب، وقد شنق في رمضان سنة ٥٦٩هـ /١١٧٣م، من قبل صلاح الدين ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان ، ج٣، ص٤٣١-٤٣٢؛ ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبدالرزاق بن احمد ،(ت٧٢٣هـ)، معجم الاداب في معجم الألقاب ، محمد الكاظم ، (طهران ، مؤسسة الطباعة والنشر ، ١٤١٦هـ). ج٣، ص٣٤٩؛ الزركلي، الاعلام، ج٥، ص٣٧؛ سرور، محمد جمال الدين، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الاتراك الى

منتصف القرن الخامس الهجري، (القاهرة، دار الفكر العربي ،١٩٩٥م)، ص٢٣٩؛ حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٤٦٠.

(٦٠) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٣، ص٤٣١–٤٣٢؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٧٠؛ العيني ، بدر الدين محمود (ت٨٥٥هـ)، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ،تح: محمود رزق محمود، (القاهرة، دار الكتب والوثائق، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)،ج١، ص١٨٤.

بعض مظاهر التدهور في المجتمع المغربي من خلال نوازل ابن هلال المتوفى سنة(٩٠٣هـ/١٤٩٧م)

م.م هبه احمد عبد النبي السامرائي
أ.د مقتدر حمدان عبد المجيد الكبيسي

جامعة بغداد – كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية قسم التاريخ
hiba.Abd2305p@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

بعض مظاهر التدهور في المجتمع المغربي من خلال نوازل ابن هلال المتوفى سنة(٩٠٣هـ/١٤٩٧م)

م.م هبه احمد عبد النبي السامرائي
أ.د مقتدر حمدان عبد المجيد الكبيسي

الملخص

شهد المجتمع المغربي في بعض الفترات مظاهر متعددة من التدهور، نتيجة جملة من العوامل المتداخلة. فقد أسهمت الاضطرابات السياسية والانحرافات السلوكية في إضعاف الاستقرار الاجتماعي. كما كان للجوائح والأوبئة أثر بالغ على البنية السكانية والصحية. وانعكست هذه الأزمات على الوضع الاقتصادي، مما أدى إلى انتشار الفقر وتراجع بعض الأنشطة الإنتاجية. فضلا عن ذلك، ساهمت الكوارث الطبيعية في تعميق مظاهر الاضطراب داخل المجتمع. ويبرز من خلال ذلك حجم التأثير الذي خلفته هذه العوامل في زعزعة التوازن الاجتماعي.

Abstract

The Moroccan society experienced various forms of decline during certain historical periods as a result of multiple interrelated factors. Political instability and behavioral deviations contributed to weakening social stability. Epidemics and pandemics also had a significant impact on the demographic and health structure of society. These crises were reflected in the economic sphere, leading to the spread of poverty and the decline of some productive activities. In addition, natural disasters played a role in deepening social disruption. This demonstrates the extent to which these factors contributed to undermining social balance.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين نبينا محم[بن عبد الله وعلى آله وصحبه اجمعين. أما بعد:

على الرغم من تمسك غالبية أبناء المجتمع المغربي بمبادئ الدين الإسلامي وتقاليدهم التي نشأوا عليها، فقد بدأت بعض المظاهر الاجتماعية والأخلاقية السلبية تتسلل إلى نسيج المجتمع، فتجلت فيه بعض المظاهر التي هددت استقرار المجتمع كاحتيال، و رشوة، أو استغلال النفوذ، أو أكل أموال يتامى بغير حق، أو ما يهدد الاستقرار والأمن مثل قطع الطرق، وظهور فئات تعيش على الفساد مما استدعى تنبيه العلماء واهتمامهم بمعالجة هذه السلوكيات في نوازلهم وفتاويهم.

غالبًا ما كان للفقهاء والعلماء دور محوري في مواجهة هذه الظواهر السلبية التي تهدد تماسك المجتمع[١]، إذ سعوا جاهدين إلى تصحيح السلوكيات المنحرفة، والتصدي لمظاهر الانحلال الأخلاقي والاجتماعي. كما بذلوا جهوداً كبيرة للحد من تفكك الأسر، ومعالجة الانحرافات السائدة لدى البعض، وذلك من خلال النصح، والإرشاد، والفتاوى، والتعليم، بهدف إعادة التوازن للمجتمع والحفاظ على قيمه الأصيلة. ولذلك لجأ افراد المجتمع المغربي الى ابن هلال[٢] باعتباره من فقهاء المنطقة، للحد من آثارها ومعالجة جذورها وايجاد الحلول لها. ومن هذه المظاهر:

اولاً: الجوانب الاجتماعية والاخلاقية

أن الجوانب الاجتماعية والأخلاقية لعبت دورًا أساسيًا في تدهور المجتمع المغربي خلال فترات متعددة. فقد أدّت الانحرافات السلوكية كالتهاون في القيم، وتفشي العنف، وانتشار القتل والسرقة وقطع الطريق، إلى زعزعة الأمن والاستقرار داخل المجتمع. كما أن هيمنة الاعراب وما صاحبها من اضطرابات وفوضى، زاد من حدة التدهور الاجتماعي. ولم تكن هذه المظاهر احداثا عابرة، بل انعكاسا لاضطرابات داخليةً ساهمت في تفكك المجتمع وتدهوره.

١-الانحرافات السلوكية او الاخلاقية

تُعد الانحرافات السلوكية والأخلاقية من أبرز المظاهر التي تدل على تراجع الوعي الأخلاقي داخل المجتمع، حيث تعكس انحراف بعض الأفراد عن السلوك السوي المتعارف عليه دينياً واجتماعياً. وعلى الرغم من تنشئة الطفل في المغرب قائمة على الدين وغرس

الاخلاق[٣]، الا ان هذه الانحرافات لا تظهر فجأة، بل غالباً ما تكون نتيجة تراكمات اجتماعية، أو تأثر ببيئة فاسدة، مما يؤدي إلى سلوكيات تمس استقرار الأسرة والمجتمع، كالكذب، والسرقة، والزنا، وشرب الخمر، وغيرها من الأفعال التي تفقد الثقة وتُضعف ترابط المجتمع وتماسكه.

ومن مظاهر الانحرافات الاخلاقية في المجتمع المغربي هو إقامة علاقات غير شرعية بين الرجل والمرأة خارج إطار الزواج، هذا السلوك يُعد من الانحرافات الخطيرة التي تُخالف الضوابط الشرعية والقيم الإسلامية، وقد أجمعت النصوص الشرعية على تحريم الزنا، قال تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا﴾[٤]. فالله تعالى نهى عن الاقتراب من الزنا لانه فاحشة عظيمة، تؤدي الى معصية الله، ودخول صاحبه النار[٥]. لما فيه من انتهاك لحرمات الله، وفساد للأخلاق، وتفكك للأسرة، وانتشار الفساد في المجتمع.

وقد جاء في نوازل ابن هلال ما يبين حدوث هكذا حالات، فمن خلال ما طُرح على ابن هلال من رجل اقام علاقة غير شرعية مع امرأة ومن ثم اراد الزواج بها. فوردت بقوله: " فيمن زنى بامرأة ثم تزوجها من غير استبراء[٦] فولدت منه؟ اجاب: يجوز له ان يتزوجها بعد استبرائها..ومن زنى بامرأة ثم تزوجها قبل الاستبراء فالنكاح يفسخ"[٧].

وجاء ابن هلال بالعديد من الاراء الفقهية والتي عزز بها رأيه وكان متوافقاً معهم في حكمه، في جواز الزواج بعد الاستبراء[٨].

ووردت نازلة اخرى توضح العلاقات غير شرعية في المجتمع، فسُئل ابن هلال عن رجل اقام علاقة غير شرعية مع امرأة ثم بعد ذلك اخذها الى بيته وتزوجها دون علم وموافقة اهلها. ونؤكد ذلك بما ورد على ابن هلال[٩]:" في رجل زنى بامرأة ثم اراد تزيوجها فجعلت في داره مع امه..وزعم انه انها استبرأت منه. الجواب لوليها فسخ ذلك ويعاقب الزوجان، والذي انكح، ويؤدب الشهود ان علموا".

نستدل من ذلك أن مثل هذه العلاقات تُعد من مظاهر الفساد، وأن الزواج لا يكون توبةً تلقائية تُغفر بها الخطيئة، بل لا بد من توبة صادقة واستقامة حقيقية قبل التفكير في الزواج، وان الزواج بهذه الطريقة يعد انتهاكاً لحرمات الدين والشرع والعرف الاجتماعي، وان

تشدد الفقهاء بهذا الامر، لتطبيق شرع الله، وحماية المجتمع من الانحلال الأخلاقي والفساد، وردع كل من يحاول العبث بالشرع اوالروابط الاسرية.

وهناك ما يشير الى هروب البنت البكر من بيت اهلها مع رجل من غير زواج شرعي، وهي احدى صور تفكك الاسرة والمجتمع، فوردت الى ابن هلال العديد من النوازل التي اتضح منها تفاجئ الرجل بعد زواجه من البنت بانها ليست باكر، وغالباً ما تقع مشاكل بين الزوج واهل البنت، والتي اعتبرها ابن هلال من عيوب الزوجة، وافتى بجواز ردها الى اهلها(١٠).

كما ان الفقهاء اتفقوا على انه يجوز رد الزوجة الى اهلها في حال اكتشف الزوج انها ثيب، اي سبق لها اقامة علاقات غير شرعية ودون الافصاح له عن ذلك(١١).

تُظهر الأحداث التاريخية أن المجتمع المغربي شهد حالات كان يظن فيها الرجل أنه تزوج امرأة باكر، ليكتشف لاحقًا أنها ليست كذلك، وانها اقامت علاقات غير شرعية قبل زواجه بها، مما كان يؤدي غالبًا إلى إرجاعها إلى أهلها وحدوث الانفصال بين الزوجين. وإذا تبيّن الأمر في يوم الزفاف، فإن الزوج يقوم برد العروس فورًا إلى والديها، ويُعدّ ذلك عارًا كبيرًا على الأسرة، كما أن المدعوين ينصرفون دون تناول الطعام(١٢).

وهناك حالة اخرى من مظاهر تفكك العلاقات والانحرافات الاخلاقية في المجتمع المغربي وهي الخيانة الزوجية، فقد يلجأ احد الزوجين الى الهرب او الدخول في علاقات غير شرعية، وغالباً ما تنشأ عنها عواقب وخيمة مثل الانفصال، وانهيار الاسرة، وتأثير سلبي على الابناء نفسياً واجتماعياً، ومن ذلك ما جاء في سؤال وُجّه إلى ابن هلال عن امرأة متزوجة زنت وحملت منه، فسئل الفقيه عن حكم طلاق الزوج لها قبل وضع الحمل. اجاب:" يستحب ان لا يقربها حتى تضع، وان فعل فقد اساء ولا يفسخ نكاحها لانها زوجته قبل ذلك"(١٣).

نستدل من جواب الفقيه ابن هلال انه راعى الجانب الفقهي والواقعي معاً دون ان يخالف شرع الله، وراعى حفظ الحقوق والواجبات، والموازنة بين العقوبة وحماية الاسرة والابناء.

وردت في نازلة اخرى عن الخيانة الزوجية، ومنها حالة رجلٍ ذو جاه وعد امرأة متزوجة بالزواج إن طُلِّقت من زوجها. تسبب ذلك في خلاف بين الزوجين انتهى بالطلاق، فتزوجها المفسد بعد ذلك. فأجاب: " فعل فعلا ذميما يجب عليه منه التوبة والاستغفار لفاعله، وتحليل[١٤] المُطلِق[١٥]".

يتبين لنا من هذه النازلة خيانة الزوجة لزوجها والتي كانت مازالت في عصمته وانها تُعد من كبائر الذنوب وتؤدي إلى التفكك الأسري.

ووردت نازلة اخرى توضح بعض النماذج السيئة في العلاقات الاسرية، سُئل فيها ابن هلال عن رجل هجر زوجته، والزوجة هربت مع رجل اخر، ثم بعد عامين رجع الزوج واراد ارجاع زوجته، فأجاب ابن هلال: بجواز ارجاعها بعد الاستبراء، والاحسان بمعاشرتها، والصفح، وان لم يفعل فليطلقها[١٦]. عملا بقوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[١٧].

ان هروب الزوجة يُعد أحد أشكال الخيانة الزوجية التي كانت ظاهرة موجودة في المجتمع المغربي، مما يعكس مشكلات اجتماعية وأسرية ترتبط بتفكك العلاقات الزوجية وفقدان الثقة بين الزوجين[١٨]. وقد تلتجأ بعض النساء الى الهروب من الزوج اذا كانت على خلاف مع زوجها ولاسبيل الى انهاء الخلاف، او قد تكون في علاقة مع رجل اخر، مما كان له الاثر في حدوث نزاعات كبيرة بين القبائل[١٩]. ولدينا امثلة واقعية في كتب التاريخ في القرن الثامن الهجري في المغرب في ان احدى النساء هربت من بيت زوجها الى القيروان[٢٠]، وامرأة اخرى تركت زوجها وهربت الى صفاقس[٢١]، وفي القرن التاسع الهجري وبالتحديد في سنة(٨٠٩هـ/١٤٠٦م) هربت امرأة من زوجها الى تونس[٢٢]، وقد تكون عواقب هروب الزوجة هي انهاء حياتها كما حدث للمرأة التي هربت من بني جرير[٢٣] الى القيروان والتي لحقها زوجها وتمكن من امساكها وقتلها[٢٤].

٢-القتل:

يعد القتل من افضع الجرائم التي تهدد المجتمع واستقراره، فهو يشكل انتهاكاً للقيم الانسانية والاخلاقية، ويؤدي الى تفشي الفحشاء والظلم. وفي الشريعة الاسلامية عد القتل

من الكبائر التي لا يغفرها الله تعالى، واكدها بقوله في كتابه العزيز: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً﴾[٢٥]. فالله تعالى ابعد القاتل من رحمته، وتوعده بالعذاب في الاخرة[٢٦].

ورد في نوازل ابن هلال ما يبين ان هناك حالات قتل كانت تحدث في المجتمع المغربي، ومنها ما ما سُئل فيه عن رجل قُتل وكان له بنت وأخت، ثم توفيت الأخت. فما حكم الدية[٢٧] في هذه الحالة. فأجاب[٢٨]: " الدية موروثة". أي أنّ حق التعويض المالي عن القتل ينتقل إلى الورثة الشرعيين للقتيل، فتستحق البنت الحصول عليها بعد وفاة الأخت.

يتضح من هذه النازلة ان الفقيه اراد الحفاظ على حقوق القتيل وورثته، وحفظ الحقوق المالية، ولمنع الانتقام والفوضى وللمحافظة على امن واستقرار المجتمع.

وذكر الفقهاء القتل كأحدى المظاهر التي كانت تحدث في المجتمع المغربي، فينقل الفقيه البرزلي بعض حالات القتل في فتاويه وما يترتب عليها من تبعات، وما يُفرض على القاتل من عقوبات كالحبس او القتل او الدية[٢٩]. واوضح ابي عمران الفاسي بعض حالات القتل التي حدثت في المغرب، وكيف كان يعاقب القاتل بالحبس، وفرض الدية[٣٠].

٣-قطع الطريق

تعد ظاهرة قطع الطريق من أبرز التحديات الأمنية في تاريخ المغرب، إذ ان اضطراب الامن في بعض الفترات شكّل تهديدًا لحياة الناس وتنقلهم بين المدن والامصار، وأثر بشكل سلبي على التجارة، وخسارة الاموال. ولهذا اهتم الفقهاء المغاربة بظاهرة قطع الطرق، وتناولوا أحكامها في كتب النوازل، مؤكدين على ضرورة التصدي لها لحماية المجتمع، استنادًا إلى مقاصد الشريعة في حفظ النفس والمال.

وقد وردت شواهد عديدة في نوازل ابن هلال تبين احدى حالات قطاع الطريق في المغرب، من خلال سؤال طُرح على ابن هلال في رجل خرجوا عليه قطاع الطرق وقتلوه وكان هذا الرجل قد اوصى وصيه قبل وفاته واشترط فيها شرط. ونؤكد ما ذكرناه بما ورد عند ابن هلال[٣١]: تم قتله غيلةِ[٣٢] بالحِرابة[٣٣]، وله وصيه، اجاب: تنفذ الوصية وفقاً للحال الذي ذكرت به"

نستدل من هذه النازلة على وجود تدهور امني المجتمع، إذ انتشرت أعمال العنف وقطع الطريق، كما تعكس كيف كانت هذه المظاهر تنعكس على الأحكام الفقهية التي تواجه أسئلة المجتمع ومشكلاته الواقعية.

وبين البرزلي في فتاويه الحالات التي وردت في قاطع الطريق، وبين الاختلاف في الحكم عليه حسب فعله ان كان لاخذ المال فقط، ام القتل، فان خرج ولم يأخذ المال ولاقتل احد عوقب بالجلد والحبس ليتوب ويتعض، وان قتل فيعاقب بالصلب حياً وبالقتل[٣٤].

من النوازل الاخرى ما ورد في نوازل الفقيه ابن هلال، إذ طُرح عليه سؤال حول رجل كان معروفًا بين الناس بأنه قاطع طريق وسارق، له سوابق في السرقة والتلصص، فجاء أحد الأشخاص يدعي أن هذا الرجل قد سرق ماله، ودخل عليه خفية وسرقه، لكنه لم يره بعينه أثناء السرقة، وإنما اعتمد على السمعة السيئة والسوابق المعروفة لهذا الرجل. اجاب الفقيه: البينة هي الحكم في هذا الامر[٣٥].

يتضح من هذه النازلة أنّ بعض حالات قطع الطريق كانت موجودة في مدن المغرب، وكان هناك أشخاص معروفون بسوابقهم في قطع الطريق، غير أنّ القاضي ابن هلال شدد على أنّ الاتهامات وحدها لا تكفي، حتى لو كان المتهم سيئ السمعة، مؤكدًا على ضرورة إثبات الواقعة بالبينات، بما يعكس حرص الفقه على ضمان الحقوق وتحقيق العدالة وعدم الاعتماد على الظن.

اشار الونشريسي الى تكرار حوادث من هذا النوع، وذكر على وجه الخصوص عدة وقائع لقطاع الطرق وقعت سنة(٧٩٦هـ/١٣٩٤م)، مما يعكس حجم التحدي الأمني الذي كانت تعرفه بعض مناطق المغرب في تلك المرحلة[٣٦]. ونتيجة لسوء احوال الطرق اصبحت هناك حاجة لوجود الجند في الطرق لتأمين التنقل بين المدن[٣٧].

انتشر قطاع الطرق في بعض الحقب في بلاد المغرب، نتيجة للاوضاع السياسية المضطربة، والصراعات الداخلية، وربما بسبب الظروف الاجتماعية والفقر، وخاصة اولئك الذين لم يوفر لهم مورد للعيش من قبل السلطة الحاكمة، فكانوا يلجأون للطرقات معتمدين في معيشتهم على السطو وقطع الطريق على المارة [٣٨].

٤-السرقة:

تُعدّ السرقة من الظواهر السلبية الخطيرة التي حذّر منها الإسلام وحرّمها تحريماً قاطعاً، لما لها من آثار مدمرة على الأفراد والمجتمعات. فقد قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٣٩). فجعل الله عقوبة السرقة قطع اليد، كي يضع حداً لهذا الفعل(٤٠). وحماية للمجتمع من انتشار الفساد(٤١).

إن تفشي السرقة في المجتمع يُعد دليلاً على ضعف الوازع الديني وخلل القيم الأخلاقية، وتؤدي إلى نشر الفاحشة، وزعزعة الأمن، وخلق أجواء من الخوف والريبة بين الناس، ويُسهم في ترسيخ مظاهر الظلم والفساد الاجتماعي والاقتصادي. لذا، فإن محاربتها مسؤولية جماعية لحماية المجتمع من الانهيار الأخلاقي.

ورد في نوازل ابن هلال ما يشير الى وجود حالات من السرقة في المجتمع المغربي ومن بين تلك النوازل التي سُئل عنها ابن هلال: رجل كان عنده حلال من الاغنام، وادخل عليها كبش مسروق للتناسل، فهل ذلك جائز؟ فأجاب: " لايحل إنزاء الفحل الحرام، ولا الانتفاع به"(٤٢).

يتضح من هذه النازلة حرص ابن هلال على الفصل بين الحلال بالحرام، وتأكيده على عدم جواز الانتفاع بما كان مصدره غير مشروع. كي لا تعم الفاحشة واستحلال الحرام والاستهانة به، فالحلال معروف والحرام معروف. ولذلك نرى تشديد الفقهاء في هذا الامر لمنع اختلاط المال الحلال بالحرام، حمايةً للمجتمع من التساهل في المحرّمات، وحتى لا تنتشر الفاحشة وتُستباح المعاصي، إعمالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه"(٤٣). وبذلك دعا نبينا الى اتقاء الشبهات في الامور التي لم يرد بها حكم في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كي لايقعون في الحرام(٤٤).

ومن النوازل الاخرى التي تكشف عن وجود بعض حالات السرقة في المجتمع المغربي، ما ورد عن رجل اشترى دابة وكان يعلم أنها مسروقة من مالكها الأصلي. ولما

ظهر هذا المالك وطالب باسترجاعها، استحقها من يد المشتري، فسُئل الفقيه ابن هلال: هل يجوز لهذا المشتري أن يرجع على السارق ويطالبه بالثمن الذي دفعه؟ اجاب: "لا رجوع له لانه واهب الثمن"(٤٥).

يتضح من ذلك ان الشرع لا يحمي من يتواطأ مع السارق أو يعينه، ولا يُعامل في هذه الحالة كمشتري مظلوم. لانه دخل في هذه الصفقة عن علم وتعمد، فهو كمن تبرّع بثمنه للسارق طوعًا، ولذلك لا يحق له المطالبة باسترجاع ما دفعه. وتعكس هذه النازلة ظاهرة السرقة التي في المغرب وحكم القضاء والشرع في التعامل مع من يتعاون مع السارق، بعدم منحه الحماية والحق.

وبين البرزلي حكم القطع للسارق، والخصال التي تكون فيه ليطبق الحكم عليه، ونوع السرقة التي تجب فيها تطبيق الحكم، وكمية ما سرقه(٤٦).

ثانياً: هجرة القبائل الهلالية للمغرب

شكّلت هجرة القبائل الهلالية إلى بلاد المغرب حملات تخريب واسعة، شملت السلب ونهب الأراضي الزراعية وحرق المدن، إلى جانب سيطرتهم على مساحات كبيرة من الأراضي، مما أثّر بشكل بالغ على الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمنطقة. فقد أدت هذه الهجرات إلى اضطراب الأمن المحلي، وتراجع الإنتاج الزراعي، وتغيّر توزيع السلطة والموارد بين السكان الأصليين والوافدين، كما ساهمت في تشتيت السكان وإضعاف البنية المجتمعية التقليدية، ما ترك آثارًا طويلة المدى على الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي في بلاد المغرب(٤٧).

وردت في نوازل ابن هلال ما يبين افعال هذه القبائل وتخريبهم للمدن والقرى في بلاد المغرب من خلال ما طُرح عليه اذ جاء فيه: " قرية عَدّا العرب على اهلها وخربوها وفيها اوقاف محبسة لمن يصير ذلك؟ اجاب احباس القرية الخالية لا ترجى لها عمارة تنقل الى مثل ما حبست عليه في القرية التي تليها"(٤٨).

يتضح من هذه النازلة أن الهجمات والتخريب الذي كانت تقوم به هذه القبائل كان لها أثر مباشر على استقرار القرى والمدن في بلاد المغرب، مما أدى إلى تهجير السكان

وتعطيل الأوقاف المحبسة لخدمة المجتمع. كما يظهر أن الفقيه ابن هلال تعامل مع هذا الواقع من منظور فقهي عملي، فأفتى بأنه إذا خُربت القرية ولم تُعمر، فإن منفعة أوقافها تُنقل إلى أقرب قرية تستفيد منها في نفس الغرض الذي وُقفت من أجله. كل هذا يعكس جانبًا من الاضطراب الاجتماعي والخلل العمراني الناتج عن الهجرات، ويُبرز كيف حاول الفقهاء التكيّف مع هذه التحديات للحفاظ على مصالح الناس.

وأشار الفقيه الونشريسي الى ما شهدته بلاد المغرب من اضطرابات وأعمال تخريب بعد دخول القبائل الهلالية، إذ كانت هذه القبائل سببًا في تدمير القرى والمدن، ووقوع القتل والنهب، مما أدى إلى تفشي الفوضى وتفكك البنية الاجتماعية، وزعزعة الأمن والاستقرار في المجتمع المغربي(٤٩).

وتثبت لنا الاحداث التاريخية ما نتج عن الهجرة الهلالية لبلاد المغرب من اضطراب الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتخريب مدن عدة، واكد ابن خلدون(٥٠) ما احدثته قبائل بني هلال من تخريب للقرى والمدن بقوله: " وجاء العرب فدخلوا البلد واستباحوه واكتسحوا المكاسب وخربوا المباني وعاثوا في محاسنها، وطمسوا من الحسن والرونق معالمها". فاضطربت احوال البلاد وخرب عمرانها، مما احدث فوضى في المجتمع وهدد استقراره. كما استغل الاعراب فترة ضعف سلاطين الدولة المرينية وتركز السلطة في أيدي وزرائهم المستبدين، واضطراب الاوضاع ليشنّوا أعمال عنف واسعة ضد الأراضي الزراعية، فقاموا بحرق المحاصيل ومهاجمة القرى والمزارع، مما أدى إلى فقدان الموارد الغذائية الأساسية وإلحاق أضرار بالاقتصاد المحلي(٥١). واستيلاءهم على عدة مناطق، هذه الأعمال لم تقتصر على التدمير المادي فحسب، بل أسهمت أيضًا في إضعاف البنية الاجتماعية للمجتمعات المحلية وزعزعة استقرارها، إذ اضطر السكان إلى الهرب أو البحث عن وسائل بديلة للعيش، ما انعكس على نمط الحياة في مناطق واسعة من المغرب وترك آثارًا طويلة المدى على التنمية الزراعية والأمن(٥٢).

ثالثاً:- الجوائح

تُعدّ الجوائح من المظاهر البارزة التي ساهمت في تدهور المجتمع المغربي، كالافات الزراعية، والاوبئة والامراض، والتي شكلت تحديات طبيعية أو صحية خارجة عن إرادة الإنسان، مثل الطاعون، والجراد، والجفاف، وغيرها من الكوارث التي خلّفت آثاراً عميقة على الحياة اليومية للسكان. ولم تقتصر أضرار الجوائح على الجانب الصحي أو الزراعي فحسب، بل كانت لها تداعيات مباشرة على البنية الاقتصادية والاجتماعية، إذ أدت إلى انتشار الفقر، وانهيار بعض الأنشطة الاقتصادية، وارتفاع معدلات الوفيات، مما زعزع استقرار المجتمع وأثر على تماسكه.

١-الافات الزراعية

تعد الافات الزراعية من ابرز الجوائح التي تؤدي الى تدهور الزراعة في المجتمع والتي تتسبب في اتلاف الثمر كله او جزء منه، والتي لا يكون الانسان السبب فيها(٥٣).

ان هذه الافات الزراعية تمثل تهديداً اقتصادياً للمجتمع. ومن خلال ما ورد في نوازل الفقيه ابن هلال، يتّضح أن بعض الجوائح، خاصة تلك المرتبطة بالقطاع الزراعي كالافات الزراعية، التي كان لها تأثير مباشر على المجتمع المغربي. ومن الأمثلة الدالة على ذلك، ما طُرح عليه من سؤال حول رجل استأجر أرضاً وزرعها، غير أن الجراد اجتاح تلك الأرض وأتلف الزرع. فتم سؤال الفقيه عن وجوب دفع الرجل الكراء(٥٤) في هذه الحالة، فأجاب ابن هلال(٥٥): " يلزمه الكراء".

هذه النازلة تُبرز كيف أن الكوارث الطبيعية مثل الجراد كانت تنتشر أحياناً وتُفسد المحاصيل، مما يؤدي إلى خسائر كبيرة للفلاحين ويؤثّر سلباً على الأوضاع الاقتصادية والمعيشية في المجتمع.

وبين الامام مالك ابن انس رحمه الله حكم الارض المكتراة اذا اصابها قحط او اي نوع من الافات الزراعية بما فيها الجراد، مؤكداً ذلك بقوله:" ولو جاءها ماء فأقام عليها فلم يستطع أن يزرعها كان بمنزلة القحط الكراء عنه موضوع، ولكن إن زرع فجاءه برد فأذهب زرعه كان الكراء عليه ضامناً(٥٦). قال مالك: فهذا بمنزلة الجراد والجليد يصيبه"(٥٧).

٢-الاوبئة والامراض:

تُعد الأمراض الواسعة الانتشار من أبرز التحديات التي واجهت المجتمعات، ومنها المجتمع المغربي في فترات مختلفة من تاريخه، خاصة في العصر الوسيط. فهي لا تُهدد فقط الجانب الصحي للافراد، بل تترك أثراً كبيراً على المجتمع ككل. فمع تفشي مرض ما، تتوقف الناس عن العمل، ويتراجع الإنتاج، وتضطرب حركة الأسواق، مما يؤدي إلى تدهور اقتصادي في المجتمع. كما أن تفشي الأمراض يخلق اجواء من الخوف والقلق وتضعف التواصل الاجتماعي، لذا فإن الأمراض لا تُعد مجرد حالة صحية، بل هي من العوامل المؤثرة في تدهور المجتمع.

وردت في نوازل ابن هلال ما يدل على وجود الاوبئة والامراض في المغرب، ويتجلى ذلك من خلال سؤال وُجه الى الفقيه ابن هلال حول رجل نزل الوباء في بلدته، فهلك بسببه عدد كبير من الناس، حتى اصبح السكان على يقين بقرب الفناء، وقد توفي اولاد هذا الرجل وزوجته، ولم يبقى له احد، وبقي وحيداً ينتظر اجله. فكتب وصيه بأن يُصرف ثلث ماله في سبيل الله وبعض من ممتلكاته للجامع. لكنه لم يمت في الوباء، ثم باع مااوصى به سابقاً، ثم مات في وقت لاحق، وليس بالوباء. فهل تنفذ الوصية. اجاب الفقيه ابن هلال بقوله[٥٨]: " الوصية تبطُل اذا لم يمت في زمن الوباء".

ونرى ان ابن هلال استدل على رأيه من رأي ابن رشد الجد في مسألة مشابهة، واعتبر ان اكثر هلاك الناس في الوباء، ونؤكد ذلك بما قاله ابن رشد الجد[٥٩]:" إن كان أوصى في مرض أصابه أو عند سفر أراده لغزو أو غيره فقال في وصيته إن مت ولم يزد، أو قال من مَرَضِي هذا أو سفري هذا أو قال يُخْرَجُ عني كذا وكذا ولم يذكر الموت بحال، فإن كان أشهد بذلك من غير كتاب فلا ينفذ الوصية إلّا أن يموت من ذلك المرض أو في ذلك السفر".

وردت في نوازل ابن هلال مسألة فقهية تُسلّط الضوء على مرض الجذام بوصفه من الأوبئة الخطيرة التي كانت تؤثر على المجتمع المغربي، وتُظهر كيف كان يُنظر إليه باعتباره من الجوائح الوبائية التي تخلّف آثارًا اجتماعية وصحية واضحة.

ففي إحدى نوازل ابن هلال، طُرِح سؤال حول بيع قميصٍ لرجلٍ كان مصابًا بالجذام، دون أن يُخبر البائع المشتري بأن هذا القميص يعود لمريض جذام. وبعد إتمام البيع، تبين الأمر، فطُرِح السؤال: ما الحكم الشرعي في هذه الحالة؟ فكان الجواب: للمشتري الحق في الرد(٦٠).

تُظهر هذه النازلة كيف أن الجُذام كان يُعد من الأمراض الوبائية الانتقالية المؤثرة على المجتمع، ليس فقط من الناحية الصحية، بل حتى في الاعتبارات الفقهية المتعلقة بالبيع والمعاملات. كما تؤكد على أن إخفاء المعلومات التي تتعلق بالصحة العامة يُعد تدليسًا مفسدًا لعملية البيع، مما يعكس حرص الفقهاء على تحقيق العدالة، والوقاية من الأذى، وحماية الصحة العامة.

اعتتبر الفقهاء الجذام من الامراض الوبائية والدليل هو فيما افتى فيه مالك ابن انس رحمه الله برد المرأة التي يكتشف الرجل بعد الزواج ان بها الجذام وعده من العيوب، ونؤكد ذلك بقوله: " ومما ترد به المراة من الْعُيُوب الجذام"(٦١). وبه افتى ابن رشد الجد بقوله(٦٢):" وأما الجذام البين فإنه يفرق بينه وبينها".

يُعد الجذام من الأمراض الوبائية الخطيرة التي انتشرت في بلاد المغرب في فترات مختلفة، وقد ترك آثارًا اجتماعية وصحية واضحة، مما دفع السلطات والمجتمعات إلى اتخاذ تدابير خاصة للتعامل مع المصابين به. فكانت الدولة تخصص بيرماستانات خاصة للاوبئة والامراض لمنع انتشارها(٦٣). ومن أبرز الشواهد على ذلك ما سُجّل في مدينة فاس، إذ خُصص حيٌّ كامل للمجذومين، يضمّ نحو مائتي دار، يفصلهم عن باقي السكان(٦٤)، وكان هؤلاء المرضى يخضعون لإشراف رئيس يتولى إدارة شؤونهم، ويشرف على جمع اموال الأوقاف والأملاك التي أوقفها المحسنون والأعيان لفائدتهم. وتم مُنح رؤساؤهم سلطة إخراج أي شخص يُشتبه بإصابته بهذا المرض من المدينة، ونقله إلى هذا الحي المخصص. وإذا توفي أحد المجذومين دون أن يترك وارثًا، تُقسم تركته مناصفة نصفها يعود إلى جماعة الحي، والنصف الآخر يُعطى لمن دل عليه. أما إن كان له أبناء، فيرثون ماله كاملًا.

ويُعتبر من المجذومين أيضًا كل من تظهر عليه علامات المرض كبقع بيضاء على الجلد[٦٥].

ومن الأمراض الوبائية الاخرى التي أصابت المجتمع المغربي هو الطاعون، الذي أثر بشكل كبير على الجوانب الصحية والاجتماعية والاقتصادية. ومن الأدلة على ذلك، ما ورد عن ابن هلال الذي سُئل عن شخص مصاب بالطاعون وكان قد منح مال أثناء مرضه. وقد أشار الفقيه في جوابه إلى أنه إذا كان الشخص المصاب لا يزال في حال يمكنه فيه الحركة والتنقل، اي غير عاجز، فإنه يمكنه التصرف بحرية في ماله. أما إذا تعافى، فلا يمكنه الرجوع إلا فيما أوصى به قبل الإصابة بالمرض، ولا يحق له الرجوع في ما تم منحه خلال فترة مرضه. ونؤكد ذلك بما ورد في نوازل ابن هلال[٦٦] بقوله:" المصاب بالطاعون فله حكم ذي المرض المخوف، وإن كان يتصرف على قدميه، ثم ما دام مريضاً به فله الرجوع فيما منحه في مرضه، وإذا صح لم يرجع إلا فيما أوصى به لا فيما بتله".

من خلال هذه النازلة وإجابة الفقيه، نستنتج أن الطاعون لم يكن فقط مرضًا صحيًا، بل أثر أيضًا على المعاملات الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع المغربي. اكد ابن هلال أن المرض قد يؤثر على قدرة الفرد على اتخاذ قرارات مالية بشكل صحيح، ويعكس ذلك الوعي الديني والشرعي بأهمية مراعاة الحالة الصحية في الأمور المالية. كما أن هذا يظهر تأثير المرض الوبائي على الحياة اليومية للمجتمع، ويبرز كيف كان الفقهاء يراعون الظروف الاستثنائية أثناء اتخاذ الأحكام الفقهية.

تكشف لنا الوقائع التاريخية التي مر بها المغرب منذ القرن الثامن الهجري حجم التحولات التي شهدها المجتمع المغربي نتيجة تعرضه لازمات كبرى، مثل الأوبئة والصراعات الاجتماعية. ولم تكن هذه الأحداث مجرد وقائع عابرة، بل شكلت محطات حاسمة أثرت بشكل مباشر في مسار الحياة اليومية، واستقرار المجتمع. ويُعد وباء الطاعون أحد أبرز تلك الأزمات، حيث سجّل حضوره بقوة في كتابات المؤرخين، ومنهم ابن خلدون، الذي وصف ما خلفه من آثار مدمرة في النسيج الاجتماعي والاقتصادي للبلاد. فذكره بقوله[٦٧]: "نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثّامنة من الطّاعون الجارف

الّذي تحيّف الأمم وذهب بأهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها وجاء للدّول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلّص من ظلالها وفلّ من حدّها وأوهن من سلطانها وتداعت إلى التّلاشي والاضمحلال أموالها وانتقض عمران الأرض بانتقاض البشر فخربت الأمصار والمصانع ودرست السّبل والمعالم وخلت الدّيار والمنازل وضعفت الدّول والقبائل وتبدّل السّاكن وكأنّي بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبته ومقدار عمرانه وكأنّما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض".

أصاب مرض الطاعون سائر بلاد المغرب فهلك فيه خلق كثير من سادات القوم ومن عامة الناس، فانتشر الوباء في تلمسان(٦٨)، ومن الفقهاء الذين توفوا في الوباء سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م عيسى بن محمد التلمساني(٦٩)، وممن لقوا حتفهم بالوباء من الادباء ابو العباس احمد بن شعيب(٧٠)، الذي هلك بمرض الطاعون عند مجيئه الى إفريقية سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م (٧١). واستمر هذا المرض في الانتشار لعدة سنين، ففي عام ٨٢٧هـ/١٤٢٤م وصل الوباء الى تونس، وانتشر فيها حتى بلغ عدد الموتى الفاً كل يوم(٧٢). ويصف لسان الدين ابن الخطيب(٧٣) حال بلاد المغرب اثناء رحلته لها مشيراً الى مرض الطاعون بقوله:" ووجدنا الطاعون في بيوتهم قد نزل، واحتجز منهم الكثير الى القبور واعتزل".

نستنتج من كل ذلك ان مرض الطاعون من الأمراض الفتاكة التي اجتاحت بلاد المغربي، مخلفًا وراءه دمارًا عمرانيًا وبشريًا. مما ادى إلى تدهور الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، تاركاً الاثر البالغ في حياة الأفراد واستقرار البلاد.

٣-الكوارث الطبيعية:

تواجه المجتمع المغربي تحديات متعددة نتيجة الكوارث الطبيعية، وتُعد السيول من أبرز هذه التحديات. تؤدي هذه الظواهر إلى خسائر فادحة في المحاصيل الزراعية، مما يؤثر سلبًا على الاقتصاد المحلي والمعيشي للسكان. وعليه تعد السيول من الكوارث الطبيعية واحدى هذه الظواهر التي تؤثر بشكل سلبي عليه، في مختلف جوانب الحياة سواء كانت الاجتماعية او الاقتصادية.

ورد في نوازل ابن هلال مثال واضح يُبين كيف كانت السيول تُعدّ من الكوارث الطبيعية التي تواجه المجتمع المغربي، بل وتُعَدّ من مظاهر التدهور التي تؤثر على الزراعة وتثير الإشكالات الفقهية والاجتماعية، بسبب الاثار الاقتصادية التي تتركها على المزارعين. فقد طُرحت عليه مسألة مفادها أن رجلاً زرع أرضه، غير أن السيل جرف بذوره قبل أن تنبت، وحملها إلى أرض مجاورة، ثم نبتت تلك البذور في الأرض الجديدة، مما أثار السؤال: لمن يعود ملك الزرع؟ هل هو لصاحب الأرض الجديدة التي نبت فيها، أم لصاحب البذر الذي جرفه السيل؟ فكان جواب ابن هلال(٧٤): " ان الزرع لمن جره السيل الى ارضه، ولاشيء للزارع".

استند ابن هلال في رأيه الى ما اورده مالك ابن انس رحمه الله في مسألة مشابهة بقوله(٧٥):" وسُئل عن رجل زرع ارضاً فحمل السيل زرعه الى ارض رجل اخر فنبت في ارضه، فقال مالك: لا شيء للزارع وارى الزرع للذي جره السيل اليه".

تعكس هذه النازلة كيف أن السيول لا تؤثر فقط على المحاصيل الزراعية والممتلكات، بل تخلق نزاعات بين الافراد، وتُظهر أيضًا مدى الحاجة إلى اجتهادات فقهية دقيقة في مواجهة الكوارث الطبيعية واثارها. كما تبرز كيف كان الفقهاء في بلاد المغرب يعالجون آثار الجوائح من خلال فقه النوازل، بما يتلاءم مع الواقع وتقلبات الطبيعة.

تُبرز الأحداث التاريخية تعدد الفترات التي شهد فيها المغرب كوارث طبيعية ناجمة عن السيول والعواصف، والتي خلّفت آثارًا عميقة على مختلف جوانب الحياة. ففي سنة(٧٦٣هـ /١٣٦٢م)، ضربت بلاد المغرب عواصف ورياح عاتية أعقبها رعد وأمطار غزيرة، أدت إلى تفشي أوبئة خطيرة(٧٦). وقد وصف ابن الخطيب تلك الأحداث قائلًا(٧٧): هبت ريح رجّافة، دامت لفترة طويلة، حتى اقتلعت أوراق الأشجار القوية، ثم تلبدت السماء بغيوم داكنة أفرغت مطرًا غزيرًا، ففاضت المياه وسالت الأرض.

وفي عهد الدولة المرينية حدثت مجاعة فارتفعت الاسعار، وبات الناس تحتكر المحاصيل وبيعها باثمان عالية، مما دفع الدولة المرينية الى اتخاذ اجراءات صارمة، اذ

عملت على هدم المخازن التي احتكر اصحابها من التجار الطعام، كما عملت على رفع بعض الضرائب للتخفيف عن كاهل الناس(٧٨).

ويتضح مما سبق أن الكوارث الطبيعية كان لها أثر بالغ في زعزعة استقرار المجتمع بمختلف فئاته، إذ لم يقتصر تأثيرها على الفقراء فحسب، بل امتد ليشمل الأغنياء أيضاً، مما أسفر عن تدهور واضح في الأوضاع العامة للمجتمع.

رابعاً: السحر والشعوذة

يُعد السحر من مظاهر التدهور الاجتماعي التي عرفها المجتمع المغربي، خاصة في فترات الاضطراب والجهل، إذ اصبح امراً دارجاً بين عامة الناس. لجأ الكثير منهم إلى السحر والشعوذة والتنجيم بحثًا عن حلول لمشاكلهم الاجتماعية، او الصحية، أو العاطفية، وكان يُمارس السحر أحيانًا مقابل المال من قبل أشخاص ادّعوا امتلاك قدرات خارقة أو معرفة غيبية.

تعود جذور ظاهرة السحر في المجتمع المغربي إلى أزمنة قديمة، إذ وجدت لها أصولًا متجذرة في الثقافة المحلية، واستمر تأثيرها لقرون طويلة. ويُدلل على شيوعها ما ورد في نوازل ابن هلال، التي تناولت مسائل تتعلق بالسحر والكهانة(٧٩)، مما يعكس حضور هذه الظواهر في الحياة اليومية للناس.

ومن أبرز النوازل التي تكشف عن انتشار هذه الممارسات، ما ورد في نوازل ابن هلال بشأن رجلٍ ذهب إلى شخص يكتب لرد مال سُرق. وكان الجواب: لا يحل ذلك لأنه من السحر(٨٠).

وكان للفقهاء رأي مشابه لرأي ابن هلال، في مسألة مشابة فأجاب الفقيه الابي(٨١): بنهي ما يعطى للكاهن مقابل كهانته، استناداً الى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "بنهي حلوان(٨٢) الكاهن"(٨٣). فنرى ان الرسول حرمه، وما يفعله من كهانه باطل(٨٤).

وفي نازلة أخرى وردت في نوازل ابن هلال، ذُكر أن رجلًا سُرق ماله، فاتهم جماعة من الناس بارتكاب السرقة، وكان من بينهم امرأة حامل. ولإثبات ظنونه، لجأ إلى السحر، فقرأ على كمية من الدقيق وأطعمهم منه، مدعيًا أن من أكل منه وتضرر فهو الجاني. وعندما همّ

بإطعام المرأة الحامل، قالت: إن أطعمتوني من هذا الدقيق فأنا أموت، وبالفعل، بعد أن أكلت منه، ماتت. اجاب: "بأن ليس عليه إلا الأدب"(٨٥). اي التعزيز(٨٦).

تُبرز هذه النازلة كيف كان بعض الناس يلجأون إلى السحر كوسيلة لحل النزاعات أو لكشف من يعتقدون أنهم الجناة، مما يدل على حضور السحر كأداة اجتماعية يُعتمد عليها في مواجهة الأزمات، حتى وإن ترتب عليها أضرار أو وفيات.

ورد في نوازل ابن هلال ما يدل على انتشار بعض الممارسات المرتبطة بفك السحر مقابل المال، إذ كان يُؤخذ أجر على حل المعقود(٨٧)، أي على فك الأعمال السحرية. فكان الجواب: "ما يؤخذ على حل المعقود، فأن رقاه بالعربية جاز وإن كان بالأعجمية لم يجز"(٨٨).

اشار بعض الفقهاء الى الرقية بالاعجمية، فقد كره الرقية باستخدام كلام الأعاجم لعدم فهم معناه، إلا إذا كان الشخص يعرف معناه بشكل دقيق. هذا التميز بين الرقيتين يعكس مدى أهمية الوضوح في اللغة وفهم المعاني في العلاج من السحر وفقًا للمعايير الفقهية(٨٩).

وردت في نوازل ابن هلال نازلة اخرى تبين وجود السحر في المجتمع المغربي، إذ طُرح على ابن هلال سؤال حول رجل كان يقوم بمعالجة الناس من السحر ويفكّه عنهم، وكان يأخذ أجرًا مقابل ذلك، فطُلب بيان الحكم الشرعي في هذا الفعل، وهل يجوز أخذ الأجرة على فكّ السحر. اجاب ابن هلال(٩٠): " إذا كان ذلك مما جرب نفعه وعلمت فائدته ومصلحته بمجرى العادة وكان ما يأتي من رقية أو كتاب بأسماء الله تعالى أو من القرآن فذلك حسن وله عليه أجرة بحسب شرطه أو يكون موكولا إلى ما تسمح فيه نفس المعمول له ذلك وليس فيه قدر معلوم ولا حد محدود".

وجاء رأي ابن هلال متوافقاً مع رأي ابن لب الغرناطي في مسألة مشابهه عندما تم سؤال ابن لب عن الذي يعالج المصاب من الجن وحكمه فاجاز ذلك اذا كانت الرقية مشتملة على ايات من القرآن او اسماء الله الحسنى(٩١).

يتبين لنا من كل تلك النوازل أن المجتمع المغربي في ذلك الوقت كان متأثرًا بممارسات السحر، لدرجة أن الناس كانوا يلجؤون إلى من يُعرف بقدرته على فك السحر مقابل أجر. لكنه الفقهاء اشترطوا أن تكون الرقية أو الكتابة مشروعة، أي تتضمن أسماء الله أو آيات من القرآن، والوسائل غير المفهومة أو المشبوهة. وذلك حفاظاً على العقيدة كي لا ينجرف الناس الى الاستعانة بالسحرة والجن، وتحصين الناس من الانجراف في طرق غير شرعية.

ويتضح من الوقائع التاريخية انتشار السحر والشعوذة بين عامة الناس في بلاد المغرب، فقد كانت الممارسات السحرية حاضرة بقوة في الحياة اليومية، وكان من المألوف رؤية المشتغلين بقراءة الطالع وضرب الحظ، بالإضافة إلى من يبيعون ما يُعرف بـ"كتب المحبة" التي تلجأ إليها بعض النساء حين يُعرض عنهنّ أزواجهن أو يشتد الخلاف بينهم(٩٢).

كما شاع الاعتقاد بأن بعض النساء كنّ يعانين من ما يُعرف بـ"ربط العروس"وهي حالة يُظن أنها نتيجة سحر يمنع الزواج مما يدفعهن إلى طلب العون من السحرة والمشعوذين لفك هذا الرباط. وكانت الدوافع الأساسية التي تُبرر بها النساء لجوءهن إلى هذه الممارسات تتعلق في الغالب بمحاولة حل المشكلات الزوجية، أو طلب الشفاء من الأمراض العضوية والنفسية التي استعصى علاجها بالوسائل التقليدية(٩٣). ويذكر ابن خلدون ان غالبية من يمارسون السحر في بلاد المغرب كن من الفتيات الشابات وخاصة الغير متزوجات، واشار لذلك بقوله(٩٤):" وأخبرني المشيخة(٩٥) من أهل المغرب أن أكثر منتحلي السحر منهم النساء العواتق(٩٦). قال: ولهم علم استجلاب روحانية ما يشاؤنه من الكواكب، فإذا استولوا عليه وتكنّفوا بتلك الروحانية تصرّفوا منها في الأكوان بما شاءوا".

ولانتشار السحر في بلاد المغرب ادعى بعض السحرة أنهم قادرون على علاج من يُعتقد أنهم مسوا من قِبل الشيطان، أو اصابتهم بامراض معينة، وكانوا يستخدمون في ذلك كتابات مبهمة، تحتوي على رموز وحروف لا يُعرف معناها(٩٧). ولذلك تصدى لهم الفقهاء، مؤكدين أن مثل هذه الممارسات لا يجوز التساهل معها، خاصة إذا كانت العبارات

المستخدمة غير مفهومة. وأوضحوا أن الرقية الشرعية يجب أن تكون بكلمات واضحة، مفهومة، وموافقة للغة العربية، حتى تكون صحيحة شرعًا، وأما ما جُهل معناه فلا يجوز استخدامه.

الخلاصة

من خلال دراسة الحياة الاجتماعية لبلاد المغرب توصلنا الى النتائج التالية:

١-كان لاضطراب الاوضاع السياسية في حياة ابن هلال السجلماسي اثر في زعزعة الامن والاستقرار مما ادى ظهور قطاع الطرق والقتل.

٢-كان للجوائح التي اصابت بلاد المغرب كالافات الزراعية والاوبئة اثر في حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية، مما ادى الى ارتفاع اسعار المواد الغذائية، والغلاء وبالتالي تدهور في الاوضاع العامة للبلاد.

٣- وجود السحر والشعوذة في المجتمع المغربي ربما لايجاد حل لمشاكلهم الاجتماعية، او الصحية، او العاطفية.

الهوامش:

(١) للمزيد من التفاصيل ينظر: ابو عمران الفاسي، فتاوى ابي عمران الفاسي، ص١٧٨وما بعدها؛ ابن رشد، البيان والتحصيل، ج١٥، ص٤٣٣ وما بعدها؛ التجيبي، نوازل ابن الحاج التجيبي، ج٣، ص٥٧٩، ٦٦٩، ٦٧٢؛ الشاطبي، فتاوى الامام الشاطبي، ص٢٢٩، ٢٣٠.

(٢) ابن هلال: وهو ابراهيم بن هلال بن علي الفلالي، السجلماسي، فقيه من سجلماسة، له عدة مؤلفات منها(الدر النثير على اجوبة ابي الحسن الصغير)، و(شرح مختصر خليل في الفقه المالكي)، توفي سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧م. ينظر: ابن القاضي، درة الحجال، ج١، ص١٩٦؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٦٦؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج٢، ص١١٠٦.

(٣) مهاوش، المرابطون واثرهم الحضاري والفكري، ص٣٠٢؛ عزيز، المناهج التعليمية، ص٢٨٥.

(٤) سورة الاسراء، آية ٣٢.

(٥) الطبري، جامع البيان، ج١٧، ص٤٣٨.

(٦) استبراء: من برأ، ومعناه قصد براءة الرحم من الحمل، اي عدم المساس حتى يبرأ رحمها. ينظر: البعلي، المطلع، ص٤٢٤؛ الرصاع، الهداية الكافية، ص٢١٤؛ معصر، تقريب مصطلحات الفقه المالكي، ص١٤.

(٧) ابن هلال، نوازل باز النوازل، مج١، ص٥٢٩، ٥٣٠، ٥٤٧.

(٨) للمزيد من التفاصيل ينظر: البراذعي، التهذيب، ج٢، ص٢٠٩؛ ابن جلاب، التفريع، ج٢، ص٧٧؛ ابن عبد البر، الاستذكار، ج٦، ص٢١٩؛ ابن رشد، فتاوى ابن رشد، ج١، ص١٠١٥؛ الونشريسي، المعيار المعرب، ج٤، ص٣١٥، ٣١٦.

(٩) نوازل باز النوازل، مج١، ص٥٣٦، ٥٣٧.

(١٠) ابن هلال، نزازل باز النوازل، مج١، ص١٦٣، ١٦٤، ٣٢٦، ٣٢٧، ٥٠٧، ٥٠٨.

(١١) التجيبي، نوازل ابن الحاج التجيبي، ج٣، ص٤٥٢، ٤٥٣؛ خليل، مختصر خليل، ص١٠٢، ١٠٣؛ الونشريسي، المعيار المعرب، ج٣، ص١٣٠، ١٣٣.

(١٢) الوزان، وصف افريقيا، ج١، ص٢٥٦.

(١٣) ابن هلال، نوازل باز النوازل، مج١، ص٥٥٧.

(١٤) تحليل: جعل الشئ حلالاً، ويطلق على العفو عن مظلمة. ينظر: عبد المنعم، معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية، ج١، ص٤٤٥.

(١٥) ابن هلال، نوازل ابن هلال، مج١، ص١٥٠.

(١٦) ابن هلال، نوازل ابن هلال، مج١، ص١٥٥، ٥٢٣، ٥٢٤. للمزيد من التفاصيل ينظر: مالك، المدونة، ج٥، ص١٤؛ اللخمي، التبصرة، ج١٠، ص٤٥٠٥.

(١٧) سورة البقرة، آية ٢٢٩.

(١٨) الونشريسي، المعيار المعرب، ج٣، ص٤٦.

(١٩) الوزان، وصف افريقيا، ج٢، ص١٠٣.

(٢٠) القيروان: من اعظم مدن المغرب واكثرها اموالاً واحسنها منازل واسواق، اختطها عقبة بن نافع سنة ستين للهجرة، ويسكنها اخلاط من قريش ومن سائر بطون العرب. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٨٦؛ ابن حوقل، صورة الارض، ج١، ص٩٦.

(٢١) صفاقس: مدينة من نواحي إفريقية اكثر غلاتها الزيتون، وهي على ضفة الساحل، وهي على البحر ذات سور، وبها أسواق كثيرة ومساجد. ينظر: مجهول، الاستبصار، ج١، ص١١٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٢٣.

(٢٢) تونس: وهي مدينة جليلة قديمة البناء، ولها مياه ضعيفة جارية يزرع عليها، وهي كثيرة الغلات خصبة، فيها دار الصناعة، اختطها حسان بن النعمان الغساني. ينظر: ابن حوقل، صورة الارض، ج١، ص٧٣؛ البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٦٩٣.

(٢٣) بنو جرير: وهم اولاد جرير بن علوان من قبائل الاثبج، من بني هلال، كانوا يقطنون افريقية الشمالية. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٣٤؛ كحالة، معجم قبائل العرب، ج١، ص١٨٥.

(٢٤) حسن، المدينة والبادية بافريقية، ج٣، ص٧٩٥.

(٢٥) سورة النساء، آية ٩٣.

(٢٦) الطبري، جامع البيان، ج٩، ص٥٧.

(٢٧) الدية: مال يجب بقتل ادمي حر عن دمه او بجرحه مُقدراً شرعاً لا بأجتهاد. ينظر: الرصاع، الهداية، ص٤٨٠؛ عبد المنعم، معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية، ج٢، ص٩٥.

(٢٨) نوازل باز النوازل، مج١، ص٢٧٩.

(٢٩) للمزيد من التفاصيل، ينظر: فتاوى البرزلي، ج٦، ص٩٥، ١٣٥-١٣٧.

(٣٠) فتاوى ابي عمران الفاسي، ص١٧٨.

(٣١) نوازل باز النوازل، مج١، ص٢٧٦.

(٣٢) غيلة: وهو قتل المسلم خديعة لاجل المال. ينظر: الجوهري، الصحاح، ج٥، ص١٧٨٧؛ مؤلفين، الموسوعة الفقهية، ج٧، ص١٣٦.

(٣٣) الحرابة: لغة من الحرب وهو السلب يُقال حرب فلان ماله اي سلبه، وفي الاصطلاح قطع الطريق، اي البروز لاخذ المال، او لقتل. ينظر: سالم، صحيح فقه السنة، ج٤، ص١٣٩.

(٣٤) فتاوى البرزلي، ج٦، ص١٧٦.

(٣٥) ابن هلال، نوازل باز النوازل، مج١، ص٥٧٣، ٥٨٢.

(٣٦) المعيار المعرب، ج٢، ص٤٣٥، ٣٤٦.

(٣٧) فتحة، النوازل الفقهية، ص٤٠٤.

(٣٨) الوزان، وصف افريقيا، ج٢، ص٨، ١١.

(٣٩) سورة المائدة، آية ٣٨.

(٤٠) مقاتل، تفسير مقاتل، ج١، ص٤٧٣.

(٤١) محمد، السياسة الشرعية واثرها في حد السرقة، مج١، ٢٠١٤م، ص١٥٦، ١٥٧.

(٤٢) نوازل باز النوازل، مج١، ص٣١٥.

(٤٣) البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص٢٨.

(٤٤) ابن قتيبة الدينوري، المسائل والاجوبة، ص٢٩٢.

(٤٥) ابن هلال، نوازل باز النوازل، مج١، ص٥٧٤، ٥٨٢، ٥٨٣.

(٤٦) للمزيد من التفاصيل، ينظر: فتاوى البرزلي، ج٦، ص١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧.

(٤٧) للمزيد من التفاصيل عن هجرة القبائل الهلالية واسبابها ينظر: السامرائي، الحياة العامة في مدينة باجة، ص٩٨-١٠١.

(٤٨) نوازل باز النوازل، مج١، ص٢٢٣.

(٤٩) المعيار المعرب، ج٢، ص٤٣٥، ٤٣٦.

(٥٠) العبر، ج٦، ص٢٢.

(٥١) اسماعيل، ثورات العرب والبربر، ص١٧٢.

(٥٢) كور، دولة بني وطاس، ص٥٨؛ اسماعيل، ثورات العرب والبربر، ص١٧٢.

(٥٣) عياض، مشارق الأنوار، ج١، ص١٦٤؛ الاصبهاني، المجموع المغيث، ج١، ص٣٦٩؛ الاقحصاري، بيان احكام الاراضي، ص١٠٨؛ الكبيسي، ملكية الاراضي الزراعية، ص٣٦٥.

(٥٤) الكراء: في اللغة الاجرة، واكريته اجرته، واكتراه استأجره. ينظر: الفيومي، المصباح المنير، ج٢، ص٥٣٢؛ الزبيدي، توضيح الأحكام، ج٣، ص١٤٥.

(٥٥) نوازل باز النوازل، مج١، ص٢٠٥.

(٥٦) الضمان: لغة: الالتزام، اي التزام المال وضم الذمة الى الذمة في المطالبة. ينظر: الناطفي، الاحكام، ص١١٦؛ الشوكاني، نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار، ج٥، ص٢٨١.

(٥٧) المدونة، ج٣، ص٥٣٥.

(٥٨) نوازل باز النوازل، مج١، ص٢٧٦.

(٥٩) البيان والتحصيل، ج١٢، ص٤٢٧.

(٦٠) ابن هلال، نوازل باز النوازل، مج١، ٨٢٨.

(٦١) مالك، المدونة، ج٣، ص٣١٧.

(٦٢) البيان والتحصيل، ج٤، ص٣٨٨.

(٦٣) عيسى، تاريخ البيمارستانات في الاسلام، ص١١؛ الفضلي، الخدمات العامة، ص١٧١.

(٦٤) الوزان، وصف افريقيا، ج١، ص٢٧٨.

(٦٥) كربخال، إفريقيا، ج٢، ١٦٠، ١٦١.

(٦٦) نوازل باز النوازل، مج٢، ص٨٦٨.

(٦٧) العبر، ج١، ص٤٢، ٤٣.

(٦٨) العياشي، الرحلة العياشية، مج٢، ص٥٤٦.

(٦٩) عيسى بن محمد بن عبد الله بن الإمام: فقيه، مجتهد، من أهل تلمسان. كان هو وأخوه عبد الرحمن عالمي المغرب في عصرهما. تعلم في تونس ورحل إلى الجزائر، وعاد إلى تلمسان فكان صاحبًا للسلطان أبي الحسن المريني. مات بتلمسان سنة(٧٤٩هـ/١٣٤٨م) بالطاعون الجارف. ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٣٦٥؛ الزركلي، الاعلام، ج٥، ص١٠٨؛ نويهض، معجم اعلام الجزائر، ص٢٣.

(٧٠) أحمد بن شعيب الجزنائي من أهل فاس، برع في اللسان والأدب والعلوم العقلية ونظمه السلطان أبو سعيد المريني في حلبة الكتاب وأجرى عليه الرزق مع الأطباء، توفي سنة(٧٥٠هـ/١٣٤٩م). ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٩٢.

(٧١) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٣٢٢، ٤٥٨، ٥٢٦، ج٧، ص١٧٠، ٣٢٩، ٣٧٥، ٥١٢، ٥٢٧.

(٧٢) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١٥٨؛ الجمل، حكام افريقية، ص٢٣٢.

(٧٣) نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ج٣، ص٩٠.

(٧٤) نوازل باز النوازل، مج١، ص٧٢٣.

(٧٥) المدونة، ج٣، ص٥٥٩؛ ابن جلاب، التفريع، ج٢، ص٣٥١.

(٧٦) البياض، الكوارث الطبيعية، ص٥٨.

(٧٧) نفاضة الجراب، ج٣، ص٦١.

(٧٨) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص٣٧٧؛ الكبيسي، رؤى اقتصادية، ص١١، ١٢.

(٧٩) الكهانة: الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الاسرار. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٣٦٢، ٣٦٣.

(٨٠) ابن هلال، نوازل باز النوازل، مج٢، ص١١٢٣.

(٨١) الآبي، اكمال اكمال المعلم، ج٤، ص٢٥٠.

(٨٢) الحلوان: ما يعطاه الكاهن ويجعل له على كهانته، تقول منه: حلوته أحلوه حلوانا إذا حبوته، وما أعطيت من رشوة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ح١٤، ص١٩٤.

(٨٣) مسلم، صحيح مسلم، ج٣، ص١١٩٨.

(٨٤) الخطابي، معالم السنن، ج٣، ص١٠٤.

(٨٥) ابن هلال، نوازل باز النوازل، مج٢، ص١١٢٣.

(٨٦)التعزيز: معناه في اللغة التأديب، واصطلاحاً تأديب اصلاح وزجر على ذنوب لم يشرع فيها حدود ولا كفارات. ينظر: النووي، تحرير الفاظ التنبيه، ص٣٢٨؛ معصر، تقريب معجم مصطلحات الفقه المالكي، ص٤٤.

(٨٧) حل المعقود: حل العقدة اي يحلها فكها وفتحها. ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج٢٨، ص٣٣١.

(٨٨) ابن هلال، نوازل باز النوازل، مج٢، ص١١٢٣.

(٨٩) الونشريسي، المعيار المعرب، ج١١، ص١٧٣.

(٩٠) نوازل باز النوازل، مج٢، ص١١٤٩.

(٩١) ابن لب الغرناطي، تقريب الامل البعيد، ج١، ص١٩١.

(٩٢) الونشريسي، المعيار المعرب، ج١١، ص١٧١.

(٩٣) بوتشيش، الحب في العلاقات الزوجية، ص٣٦.

(٩٤) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٨٨.

(٩٥) المشيخة: مفردها شيخ، من استبانت فيه السن، من خمسين او احدى وخمسين الى اخر عمره أو إلى الثمانين. ينظر: الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ص٢٥٤.

(٩٦) العواتق: العاتق هي المرأة التي بلغت ولم تتزوج بعد. ينظر: الازهري، تهذيب اللغة، ج١، ص١٤٢.

(٩٧) الوزان، وصف افريقيا، ج١، ص٢٦٤-٢٦٦.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. الآبي، محمد بن محمد بن يوسف(ت٨٩٥هـ/١٤٨٩م)، اكمال اكمال المعلم، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).
٢. الازهري، محمد بن أحمد(ت ٣٧٠هـ/٩٨١م)، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض، (بيروت، دار احياء التراث، ٢٠٠١م).
٣. اسماعيل، محمد محمد احمد، ثورات العرب والبربر واليهود في المغرب الاقصى والاندلس في عهد دولة بني مرين، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٨م).
٤. الاصبهاني، محمد بن عمر بن أحمد بن عمر(ت٥٨١هـ/١١٨٥م)، المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، تح: عبد الكريم العزباوي، (المملكة العربية السعودية، دار المدني، ١٩٨٦م).
٥. الاقحصاري، احمد بن محمد(ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)، بيان احكام الاراضي، تح: مقتدر حمدان عبد المجيد، (دبي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ٢٠١٩م).
٦. البخاري، محمد بن إسماعيل(ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م)، صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، ط٥، (دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
٧. البراذعي، خلف بن أبي القاسم محمد المالكي(ت٣٧٢هـ/٩٨٣م)، التهذيب في اختصار المدونة، تح: محمد الأمين، (دبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ٢٠٠٢ م).
٨. البرزلي، ابي القاسم بن احمد البلوي(ت٨٤١هـ/١٤٣٨م)، فتاوى البرزلي جامع مسائل الاحكام

لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تح: محمد الحبيب الهيلة، (بيروت، دار الغرب الاسلامي، ٢٠٠٢م).
٩. البعلي، محمد بن ابي الفتح(٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، المطلع على الفاظ المقنع، تح: محمود الارناؤوط وياسين محمود، (جدة، مكتبة السوادي للتوزيع، ٢٠٠٣م)،
١٠. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد(ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، المسالك والممالك، ، (بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٢م).
١١. بوتشيش، ابراهيم القادري، الحب في العلاقات الزوجية بالعائلة المغربية خلال العصر الوسيط، مجلة عصور الجديدة، العدد ٥، (الجزائر، جامعة وهران، ٢٠١٢م).
١٢. البياض، عبد الهادي، الكوارث الطبيعية واثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والاندلسق٦-٨هـ/١٢-١٤م، (بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٨م).
١٣. التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد بن أحمد (ت١٠٣٦هـ/١٦٢٧م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط٢، (ليبيا، دار الكتب، ٢٠٠٠م).
١٤. ابن جلاب، عبيد الله بن الحسين(ت٣٧٨هـ/٩٨٨م)، التفريع في فقه الإمام مالك بن أنس، تح: سيد كسروي حسن، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م).
١٥. الجمل، عبد الوهاب، حكام افريقية وتونس، الجمل، عبد الوهاب، حكام إفريقية وتونس من الفتح العربي الاسلامي الى العهد الجمهوري، (تونس، مطبقة سيمبكت، ٢٠١٧م).
١٦. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٣م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ).
١٧. ابن الحاج التجيبي، ابو عبد الله محمد بن احمد(ت٥٢٩هـ/١١٣٤م)، نوازل ابن الحاج التجيبي، تح: احمد شعيب اليوسفي، (المغرب، مطبعة تطوان، ٢٠١٨م).
١٨. حسن، محمد، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، (تونس، جامعة تونس الاولى، ١٩٩٩م).
١٩. ابن حوقل، محمد ابو القاسم(ت بعد ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الارض، (بيروت، دار صادر، ١٩٣٨هـ).
٢٠. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد(ت ٣٨٨ هـ/٩٩٨م)، معالم السنن، تح: محمد راغب

الطباخ، (حلب، المطبعة العلمية، ١٩٣٢م).
٢١.ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: خليل شحادة، (بيروت، دار الفكر، ١٩٨١م).
٢٢.خليل، ابن إسحاق موسى ضياء الدين الجندي(ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، مختصر خليل، تح: احمد جاد، (القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٥م).
٢٣.ابن رشد، محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م)، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، تح: د محمد حجي وآخرون، ط٢، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨ م).
٢٤.ابن رشد، فتاوى ابن رشد، تح: المختار بن الطاهر التليلي، (بيرون، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٧م).
٢٥.الرصاع، محمد بن قاسم(ت٨٩٤هـ/١٤٨٩م)، الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية. شرح حدود ابن عرفة، (بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٥٠هـ).
٢٦.الزركشي، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم(ت٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، ط٢، (تونس، المكتبة العتيقة، ١٩٦٦م).
٢٧.الزبيدي، عثمان بن المكي، توضيح الأحكام شرح تحفة الحكام، (تونس، المطبعة التونسية، ١٣٣٩هـ).
٢٨.الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: جماعة من المختصين، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، ٢٠٠١م).
٢٩.الزركلي، خير الدين محمود محمد علي، الاعلام، (بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م).
٣٠.ابن ابي زرع، علي بن عبد الله(ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تح: كارل بوحس نور تبرغ، (مدينة اوبسالة، دار الطباعة المدرسية،١٨٤٣م).
٣١.السامرائي، هبه احمد عبد النبي حسين، الحياة العامة في مدينة باجة المغربية من الفتح حتى نهاية القرن الثامن الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد

للعلوم الانسانية، ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م).
٣٢.سالم، كمال بن السيد، صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، (القاهرة، المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٣م).
٣٣.الشاطبي، ابراهيم بن موسى(ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م)، فتاوى الامام الشاطبي، تح: محمد ابو الاجفان، ط٤، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
٣٤.الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار، تح: عصام الدين، (القاهرة، دار الحديث، ١٩٩٣م).
٣٥.الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ/٩٢٣م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة، دار هجر، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م).
٣٦.ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد(٤٦٣هـ/١٠٧١م)،
٣٧.الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاءالامصار وعلماء الاقطار، تح: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)،
٣٨.عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية، القاهرة، دار الفضيلة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).
٣٩.عزيز، سناء خدا كرم، المناهج التعليمية في بلاد المغرب العربي، مجلة الاستاذ، جامعة بغداد، العدد٢١٦، مج٢، ٢٠١٦م.
٤٠.ابو عمران الفاسي، موسى بن ابي حاج(ت٤٣٠هـ/١٠٣٩م)، فتاوى ابي عمران الفاسي، (الدار البيضاء، افريقيا الشرق،٢٠١٠م).
٤١.العياشي، ابو سالم عبد الله بن محمد(ت١٠٧٤هـ/١١٦٣م)، الرحلة العياشية، تح: سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، (الامارات العربية المتحدة، دار السويدي، ٢٠٠٦م).
٤٢.العيثاوي، يحي محمد علي، الجوانب الاقتصادية والمالية في مسند الامام احمد، (بغداد، مركز البحوث والدراسات، ٢٠٠٨م).

٤٣.فتحة، محمد، النوازل الفقهية والمجتمع: ابحاث في تاريخ الغرب الاسلامي، (الدار البيضاء، كلية الاداب والعلوم الانسانية، ١٩٩٩م).
٤٤.الفضلي، مثنى فليفل سلمان، وهمسة صالح عبد القادر السعدون، الخدمات العامة في مملكة غرناطة، مجلة الاستاذ، جامعة بغداد، العدد٢١٣، ٢٠١٥م.
٤٥.الفيروز ابادي، مجد الدين أبو طاهر محمد(ت ٨١٧هـ/١٤١٥م)، القاموس المحيط، تح: مكتب نحقيق التراث، ط٨، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥م).
٤٦.الفيومي، حسن بن علي بن سليمان(ت٨٧٠هـ/١٤٦٥م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (بيروت، المكتبة العلمية، د.ت).
٤٧.القاضي عياض، موسى بن عياض(ت٥٤٤هـ/١١٤٩م)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، (المغرب، المطبعة المولوية، ١٣٣٢هـ).
٤٨.ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي(ت١٠٢٥هـ/١٦١٦م)، درة الحجال في اسماء الرجال "ذيل وفيات الأعيان"، تح: محمد الأحمدى، (القاهرة، دار التراث، ١٩٧١م).
٤٩.ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، المسائل والاجوبة في الحديث والتفسير، تح: مروان العطية، محسن خرابة، (سوريا، دار ابن كثير، ١٩٩٠م).
٥٠.الكبيسي، مقتدر حمدان عبد المجيد، ملكية الاراضي الزراعية واستثمارها في الاندلس في ضوء اراء فقهاء القرن(٥هـ/١١م)، (بغداد، ديوان الوقف السني، ٢٠٠٩م).
٥١.الكبيسي، رؤى اقتصادية ومالية لابن ابي زرع الفاسي(ت٧٤١هـ) في كتابه الانيس المطرب، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، جامعة بغداد، العدد٨٤، ٢٠٢٣م.
٥٢.الكتاني، محمد عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس، تح: احسان عباس، ط٢، (بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٢م).
٥٣.كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م).

٥٤.كربخال، مارمول، افريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي واخرون، (الرباط، دار، ١٩٨٤م).

٥٥.كور، اوغست، دولة بني وطاس، ترجمة: محمد فتحة،(الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة،٢٠١٠م).

٥٦.ابن لب الغرناطي، ابو سعيد فرج بن قاسم(ت٧٨٢هـ/١٣٨٠م)، تقريب الامل البعيد في نوازل الاستاذ ابي سعيد، تح: حسين مختاري، مصطفى الصمدي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م).

٥٧.اللخمي، علي بن محمد الربعي(ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م)، التبصرة، تح: احمد عبد الكريم، (قطر، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، ٢٠١١م).

٥٨.لسان الدين ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد(ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تح: السعدية فاغية، (الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٨٩م).

٥٩.مالك ابن انس، بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ/٧٩٥م)، المدونة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

٦٠.مجهول، مؤلف(ت ق ٦هـ/١٢م)، الاستبصار في عجائب الامصار، (بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٦م).

٦١.محمد، باسل برهان، السياسة الشرعية واثرها في حد السرقة، مجلة الاستاذ، جامعة بغداد، العدد٢٠٨، مج١، ٢٠١٤م،

٦٢.مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري(ت٢٦١هـ/٨٧٥م)، صحيح مسلم، تح: محمد ذهني افندي واخرون، (تركيا، دار الطباعة العامرة، ١٣٣٤هـ).

٦٣.معصر، عبد الله، تقريب معجم مصطلحات الفقه المالكي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م).

٦٤.ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل(ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، (بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ).
٦٥.مهاوش، خليل جليل بخيت، وخالدة عباس نصيف جاسم، المرابطون واثرهم الحضاري والفكري في بلاد الاندلس من(٤٧٩هـ-٥٥٢هـ)، مجلة الاستاذ، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية، العدد٢٢، مج١، ٢٠١٧م.
٦٦.مؤلفين، مجموعة، الموسوعة الفقهية، (مصر، دار الصفوة، ١٤٢٧هـ).
٦٧.الناطفي، احمد بن محمد بن عمر(ت٤٤٦هـ/١٠٥٤م)، الاحكام، تح: مقتدر حمدان عبد المجيد، يحي محمد علي، (عمان، دار آمنة، ٢٢٠٣م).
٦٨.النووي، ابو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف(ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، تحرير ألفاظ التنبيه، تح: عبد الغني الدقر، (دمشق، دار القلم، ١٤٠٨هـ).
٦٩.نويهض، عادل، معجم اعلام الجزائر، ط٢، (بيروت، مؤسسة نويهض، ١٩٨٠م).
٧٠.ابن هلال، ابراهيم بن هلال بن علي السجلماسي(ت٩٠٣هـ/١٤٩٧م)، نوازل باز النوازل، تح: عبد الله الهلالي، (بيروت، دار ابن حزم، ٢٠١٦م).
٧١.الوزان، الحسن بن محمد المعروف بجان ليون الافريقي(ت٩٥٧هـ/١٥٥٥م)، وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الاخضر، ط٢، (بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٣م).
٧٢.الونشريسي، احمد بن يحيى(ت٩١٤هـ/١٥٠٨م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى اهل افريقية والاندلس والمغرب، تح: محمد حجي، (بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨١م).
٧٣.ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله(ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، ط٢، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م).

تراكم الثروة وحسن التدبير الإسلامي

م.د. زهراء سعيد فاضل العبيدي

الجامعة المستنصرية / كلية التربية

zahraa.saeed2205p2@uomustansiriyah.edu.iq

تراكم الثروة وحسن التدبير الإسلامي

م.د. زهراء سعيد فاضل العبيدي

الملخص:

يرى الإسلام أن تراكم الثروة مشروع مادام من خلال الكسب الحلال وحسن التدبير، وأنها ليست غاية في حد ذاتها بل وسيلة لتحقيق مصالح الفرد والمجتمع، مع التأكيد على ضرورة تجنب الإسراف والتبذير واستغلالها فيما يعود بالمنفعة على الفرد والأسرة والمجتمع. فالتدبير هو النظر في عواقب الأمور وتقويمها لتصلح، وهو نصف الكسب بل كله، حيث أن سوء التدبير يبدد المال الكثير بينما حسن التدبير ينمي القليل.

الكلمات المفتاحية: حسن،التدبير، تراكم، الثروة،الإسلامي.

Summary:

Islam views the accumulation of wealth as legitimate as long as it is earned lawfully and through sound management. It is not an end in itself, but rather a means to achieve the interests of the individual and society. This emphasizes the necessity of avoiding extravagance and waste, and of utilizing wealth in ways that benefit the individual, the family, and society. Sound management involves considering the consequences of actions and evaluating them to ensure their improvement. It constitutes half, if not all, of earning, as poor management squanders a great deal of money, while sound management cultivates even a small amount.

Keywords: Good, Management, Accumulation, Wealth, Islamic.

المقدمة :

المال هو نعمة منحها الله عز وجل إلى عباد ، لإشباع حاجاتهم وجعلهم مستخلفين فيه ووضع لهم قواعد وقوانين يتم وفقها التعرف فيه إذ يجب على الانسان مراعاة انفاق المال الذي بحوزته وعدم الميل إلى الإشراف والتبذير وقد بين لنا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الطرق والاساليب الصحيحة لاستخدام هذا المال واستثمار بطريقة تعود بالنعم على

صاحب المال وعلى المجتمع الإسلامي كلل فضلاً عن ذلك وضحت كيف استخدام الصحابة والتابعين ثرواتهم في طاعة الله عز وجل واحسنوا التعرف في الانفاق .

المبحث الأول

تراكم الثروة

حب المال غريزة فطر عليها الانسان فقال تعالى في محكم كتابه :﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾[١] وقال عز وجل ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[٢] وقال عز وجل ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[٣] .

تبين من هذهِ الآيات الكريمة أن المال ضروري للإنسان لا يستطيع أن يؤمن حاجاته الأساسية من دون أن يكون لديه مال بواسطته يقتضي تلك الحاجات فضلاً عن ذلك نجد أنها قرنت المال والبنين ووصفتهما بأنهما زينة الحياة الدنيا لهذا الإنسان بل قدر الباري عز وجل المال على البنين ولهذا من حق الإنسان أن يبادر إلى جمع الثروة بالطرق الشرعية لكي يضمن لأسرته من بعده عيشاً كريماً ويبعد عنها احتمالات مسألة الناس التي عدت من الأمور الممقوتة دينياً واجتماعياً[٤] .

كان لموقع شبه جزيرة العرب الذي يتوسط العالم القديم وينفتح عن اليمن والعراق ـ والشام ومصر واطلالها في الوقت نفسه على مياه شط العرب والبحر الاحمر والبحر العربي وخليج عدن كبير الأثر في تنشيط حركة التجارة[٥] إذ كانت التجارة الحرفة الرئيسية في بلاد العرب وفي مكة بوجه خاص[٦] ،كان لإسهام الصحابة في الجهاد في سبيل الله ونشر الاسلام اثر كبير قي نمو ثرواتهم وتوسعها فضلاً عن امتهان بعضهم للنشاط التجاري والزراعي في شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق ومصر وشمال افريقيا وبقية الاقاليم التي امتدت اليها رقعة الدولة الاسلامية إذ تشير النصوص أن القائد سعد بن أبي وقاص اندهش كثيراً عندما دخل المدائن ورأى ما فيها من مقتنيات الساسانيين فقراً قوله تعالى ﴿

كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾[٧] .

ووجد في بيوت أموال كسرى من النقود ثلاثة الاف الف درهم[٨] ، وبرز لنا بعض الصحابة الذين اشتهروا بثروتهم منهم طلحة[٩] قال الزبير حدثني ابراهيم ـ عن محمد بن ابراهيم بن الحارث قال مر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في عزوة ذي فرد على ما يقال له بيسان مالح فقال هو نعمان وهو طلب فغير اسمه فاشتراه طلحة ثم تصدق به فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما أنت يا طلحة إلا فياض فبذلك قيل له طلحة الفياض[١٠] .

وعن موسى بن طلحة عن ابيه قال لما كان يوم أحد سماه (النبي صل الله عليه واله وسلم) طلحة الخير وفي غزوة ذي العشيرة طلحة الفياض ويوم خيبر طلحة الجود[١١] وحدثني الاصمعي بن عمران قاضي المدينة أن طلحة فدى عشرة من أسارى بدر بماله وسُئل من يرجع فقال قد بعت لن ـ يسع منه آلف وأن منه بالخيار فإن تشتت خذه وأن شنت ثمنه[١٢] .

وعن طلحة بن يحيى حدثتني جدتي سعدى بن عوف المرية قالت دخلت على طلحة يوما وهو حائر فقلت مالك ـ من اهلك شيء قال لا والله ونعم تلبية المسلم أنت ولكن مال عندي قد غمني فقلت ما يغمك عليك بقومك قال يا غلام أدع لي قومي فقسمه فيهم فسألت الخازن كم أعطى قال أربعمائة آلف[١٣] .

وكان طلحة كفل بالعراق أربع مئة الف وكفل بالسراة عشرة آلاف دينار أو أقل أو أكثر وبالأعراض له غلات وكان لا يدع أحد من بني تميم عائلاً إلا كفاه[١٤].

ويروى أن طلحة خرج ذات يوم ومع غلامه سبعة آلاف درهم فقال له اعرابي أعن على الدهر فقال لغلامه أنشرها في حجر الاعرابي فذهب تعلقاً فعبر عنها وبكى فقال : ((لعلك استغلتها قال لا والله ولكن تفكرت فيما تأكل الأرض من كرمك فبكيت))[١٥] ، وكانت غلة طلحة كل يوم الف وافٍ وقال الواقدي حدثنا اسحاق بن يحيى عن موسى بن طلحة أن محاربة سأله كم ترك أبو محمد من العين فقال معاوية عاش حميداً سخياً وقتل فقيداً رحمه الله[١٦] .

وأن الزبير بن العوام[١٧] قال لأبيه عبد الله بن الزبير اشترى لي سرح بني فلان بالحيرة وأن بلغ ثلاثين ألفاً فاشتراه[١٨] وأن جميع مال الزبير خمسين الف الف إلى ألف ومائتا ألف، وحدثنا سفيان بن عينه قال اقتسم ميراث الزبير على أربعين آلف آلف وقيل أن قيمة ما ترك الزبير أحداً وخمسين واثنين وخميس آلف ، فضلاً عن ذلك كان للزبير بمصر خطط وبالإسكندرية خطط وبالكوفة خطط وبالبصرة دور وكانت له غلات تقدم عليه من اعراض المدينة ، وأنها ثروة عظيمة قل من حصل على مثلها[١٩] وكان عبد الرحمن بن عوف[٢٠] عظيم التجارة مجدود منها كثير المال ، وقيل أنه دخل على أم سلمة فقال يا أمه قد خفت أن يهلكني كثرة مالي قالت يا بني أنفق[٢١] .

وقال فكثر ماله حتى قدمت له سبعمائة راحلة تحمل الدقيق والطعام ولما دخلت المدنية سمع أهل المدنية رجة فقالت عائشة ما هذهِ الرجة فقيل لها قدمت لعبد الرحمن بن عوف سبعمائة بعير تعمل البر والدقيق والطعام فقالت عائشة سمعت رسول الله (صلى الله وعليه وآله وسلم) يقول يدخل عبد الرحمن بن عوف الجنة حبوا فلما بلغ ذلك عبد الرحمن قال اني لأرجو ان ادخلها واقفا بها في سبيل الله عز وجل[٢٢] ، وامتلأت كقد بالمال ولكن لم تمتلئ يحبه نفسه فلما كان جيشاً العسرة ودعا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الصحابة إلى البذل كان عنده ثمانية آلاف فجاء بنصفها فقد مد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال كان عندي ثمانية آلاف مسكن اربعة آلاف لنفسي وعيالي واربعة آلاف قرضاً ربي قروا أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال بارك الله لك فيما أعطيت وضاعف الله وبارك له فيه لأن الصدقة أربح تجارة في الدنيا وفي الآخرة[٢٣] .

وخلف مالاً عظيماً من ذلك ذهب قطع الفرس حتى محلت أيدي الرجال منه وترك ألف بعيد ومائة فرس وثلاثمائة الاف شاة ترعى بالبقيع[٢٤] وبقي من ماله لما مات بعد هذا كل شيء لا يكاد يحض حتى ـ كل واحدة من زوجاته الثلاث من النقد وحدة دون الإبل والغنم والخيل والعقار ثمانون ألفاً وكان هو الله ببركته التجارة وكان هذا شأن المسلمين يتاجرون فسيكون وينفقون ويتصدقون أو يعبرون ويقنعون بما يعبدون كأبي عبيدة وسلمان ولا تجد فيهم من يمد يده إلى الناس ليأكل الدنيا بالدين ويعيش من كد غيره[٢٥] .

وعن ابي هرير قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مالاً در عندما بدا إلا وقد كافأناه ما خلا آبا بكر فأن له عندما بدا يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال قط ما نفعني مال ابي بكر[٢٦] ، وقالت عائشة لما استخلف ابو بكر ألقى كل دينار ودرهم عنده في بيت المال فقد كنت أتجر فيه وألتمس به فلما وليتهم شغلوني[٢٧] وعن عثمان بن عفان[٢٨] عن عبد الرحمن بن عمر قال جار عثمان إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بألف دينار في ثوبه حين جهز جيش العسرة فصبها في حجر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فجعل يقلبها بعده ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم وقال عليه عن الحسن قال جهز عثمان بسبع مائة وخمسين ناقة وخمسين فرساً في غزوة تبوك[٢٩] .

وقال لما قدم المهاجرون في المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القرية بمد فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تبيعها بعين في الجنة فقال ليس لي يا رسول الله عين غيرها لا استطيع ذلك فبلغ ذلك عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين آلف درهم ثم أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال أتجعل لي مثل الذي جعل له عيناً في الجنة أن اشتريتها قال نعم قال اشتريتها وجعلتها للمسلمين[٣٠] .

وكان حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي الأسد ابن أخي خديجة زوجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جار الإسلام ويد حكيم الرفاد، وكان يفعل المعروف ويصل الرحم وكانت دار الندوة بيده فباعها بعهد معاوية بمائة ألف درهم فلامه ابن عزيز فقال له يا أبن أخي اشتريت بها داراً في الجنة فتصدق بالدراهم وكان من العلماء ـ قرين وأخبارها[٣١] وكانت زينب بنت جحش أمر مضاع اليدين فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به في سبيل الله[٣٢] .

وكان عطاء زينب بنت جحش أثني عشر ألفاً تأخذه إلا عاماً واحد فجلعت تقول اللهم لا يدركني هذا المال من قابل فأنه فتنة ثم قسمته في أهل رحمها وفي أهل الحاجة فبلغ عمر فقال هذه امرأة يراد بها خير فوقف عليها وأرسل بالسلام وقال بلغني ما فرقت فأرسل بألف درهم تستبقيها فسلكت به ذلك الملك[٣٣] يتبين ما تقدم أن اصحاب الثروة من الصحابة كرسوا اموالهم في خدمة الإسلام ومساعدة المحتاجين في سبيل الله ، وذلك لأن الإسلام في بدايته

الأولى كان بحاجة إلى أموال يستند عليها لاستكمال متطلبات الدعوة الإسلامية ونشر الإسلام .

وكان من وجبة سعد بن ابي وقاص أخيراً سفيان بن عنبة عن الزهري بن سعد عن بن سعد قال مرضت مرضاً اسقيت منه على الموت فأتاني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعوذني فقلت يا رسول الله لي مال كثير وليس من يرثني إلا ابني أفاوصي بثلثي مالي قال لا قلت فالشطر قال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير إنك أن تترك ـ اغنياء خيراً من أن تتركه عالة يتكففون[٣٤] واخبرنا الفعل بن دكين ومحمد بن عبد الله الاسدي قال اخبرنا سفيان عن سعد عن عامر بن سعد قال جاءني النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) يعوذني وأنا بمكة وهو يكره أن أموت في الأرض التي هاجرت منها فقال يرحمه الله ابن كفر فعلق يا رسول الله أوصى بمالي كلة قال لا قلت فالشطر قال لا قلت الثلث قال الثلث والثلث كبير أنك تدع ورثتك اغنياء خير من أن تدعهم يتكففون في ايديهم وأنك مهما أنفقت على أهلك من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلى فم امرأتك وعسى الله أن يرفعك فينتفع بك قوم ويضر بك آخرون[٣٥] وقيل أن سعد بن ابي وقاص قد ارسل إلى مروان بن الحكم الزكاة عن ماله خمسة آلاف درهم وترك سعد يوم مات مائتي آلف وخمسين آلف درهم[٣٦] وقال زرش بن حبش[٣٧] كان عطاء عبد الله بن مسعود ستة آلاف[٣٨] وقيل أنه ترك تسعين آلف درهم[٣٩] .

أن اصحاب الثروة امثال الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله معدود في المجتمع وأن غالبية ـ هم عداد الوسط من حيث القدرة المالية بدليل أن حكيم بن جابر[٤٠] لما حضرته الوفاة ، قيل له اعتق غلامك قال ليست لولدي مال غيره قيل اعتق غلامك فاستشهد بقوله تعالى : ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[٤١] وقال عامر بن صعصعة ما من مال أعظم أجراً من مال تركه الرجل لولده يغنيهم من الناس وإن حويطب بن عبد العزى باع داراً له بأربعين آلف دينار فقيل له ابا محمد أنه مبلغ كبير قال وما أربعون آلف دينار فقيل له يا ابا محمد انه مبلغ كبير قال وما اربعون الف دينار على رجل له خمسة من العيال وهذا يشير إلى أن حويطب بن عبد العزى كان يرى أن كثرة الاولاد تزيد من النفقة إذ أن هذا العدد يحتاج إلى طعام وملبس ومتطلبات

الحياة فضلاً عن أن كان ينبغي أن يترك عشرة آلاف درهم وترك محمد بن سرين حين توفي ثروة تساوي قيمتها أربعين آلفاً درهم ديناً له على الناس[٤٢] .

المبحث الثاني

حسن التدبير

أكد النهج الاقتصادي الإسلامي على حسن التدبير والاعتدال في الترف ونبذ الاسراف والتفتير والبذل قال الله في محكم كتابه الكريم : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[٤٣] ، وقال عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾[٤٤] ،وقال عز وجل يتوعد المسرفين : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ [٤٥] ، وقال عز وجل : ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورٗا ﴾[٤٦] .

ووضع الذين يلتزمون بحسن التدبير بمنزلة عالية بين المسلمين[٤٧] بحيث يكون المسلم متوازناً بين مصالح الدين والدنيا والروح والماء ، فالنهي عن الترف والاسراف والتبذير لا يعني الدعوة إلى البخل والشح والتقتير إنا يعني الدعوة إلى الاعتدال لها لذلك آثار إيجابية على الفرد والمجتمع فإن كان ـ يقود إلى نقص الميل للاستهلاك فإن الترف والاسراف يقودان إلى تبديد الموارد واتلافها وكلاهما كفر[٤٨] .

أن النظام الإسلامي نظام وسطي قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾[٤٩] فالنظام الاقتصادي الإسلامي نظام قوامه العدل والتوازن فلا طغيان و ـ ولا مكان فيه للتوازن المصنوع أو المغشوش ولا توازن سوى لتوازن العدل والقسط والوسطية في مالاتها هي التوازن بين المثالية والواقعية وبين المادية والروحية حيث يجتمع بينهما وبين مصلحة ايجابية ومصلحة الدولة وبين مصلحة الاغنياء ومصلحة الفقراء ، ومن مظاهر الاقتصاد الإسلامي أيضاً التوازن بين الملكية العامة والملكية الخاصة وبين الاستهلاك والإمساك والتوازن بين الاستهلاك والادخار[٥٠] .

وأكد القرآن الكريم على حقيقة هامة وأساسية وهي أن الثروة في أي صورة من الصور أنما هي في النهاية أنجاز من انجازات الخالق فالله وحده ملكوت السموات والأرض وهو

مالك المال كله قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[٥١] ، وقال عز وجل : [٥٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾[٥٣] .

والناس خلفاء في الأرض وامناؤه عليها وعلى ما فيها من أموال وثروات فالله اذن هو المالك الحقيقي للثروة والإنسان مستخلف عليها وبالتالي وجب عليه أن يتصرف بها وفق التعليمات التي فرضها الله عز وجل[٥٤] ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [٥٥] .

والخلافة في الأصل للجماعة كلها لا لفرد بعينه وهي لذلك مسؤولة أمام الله وعليها أن تحمي المال من تبديد المبددين ومن عبث العابثين : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[٥٦] فالجماعة مطالبة بحماية المال وبحث استمارة إذ فشل الفرد فبذلك وقام بتبديده واضاعته والفرد مسؤول أمام الله فيما يملك من أموال وثروات وعليه أن ينتفع بها وفي نفس الوقت يحافظ عليها ما استطاع من الهلاك والضياع وعليه أن يشعر برقابة الله عليه والفرد من ناحية أخرى مسؤول أمام الجماعة ، فالثروة في النهاية ثمرة يعد المجتمع والمجتمع مسؤول عليها أمام الله عما بيد الفرد من أموال وثروات فلا تركهم يفعلون بها الافاعيل فيصيبه النقم والوهن[٥٧] ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[٥٨] وقال عز وجل : ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[٥٩] .

فالثروة في الإسلام وسيلة وليست غاية فهي لا تغلب لذاتها لكي تكدس وتجمع وانما لإشباع حاجات الإنسان[٦٠] .

والمال وهو نص الحياة وقوام الابدان لابد أن يتعامل معه الإنسان بالمجتمع نفسه دون إفراط أو تفريط ولا إسراف ولا تغيير ليكون مصدر سعادة الإنسان ووسيلة خير للوصول إلى الغايات والاهداف النبيلة فإن هو ـ المال وعليه وبالاً وبيلاً ، فإن اكتساب الحلال الطيب وانفاقه في المباحات بطريقة معتدلة أمر جائز لاعناء عليه بل أن التوسع في ذلك مما يجوز شرعاً ما لم رجل إلى حد السرف[٦١] .

وقد وردت أحاديث كثيرة تشير إلى الرفق في المعيشة ومن التدبير نبذ الاسراف التبذير ومنها (من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن تواضع لله رفعه ومن تجبر

قصمة الله)[٦٢] ، وقال صلوات الله وسلامة عليه (التدبير نصف العيش والتودد نصف العقل والهم نصف الهرم وقلة العباد أحد اليسارين)[٦٣] ، (ولا عمل للتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسبت الخلف)[٦٤] .

ويقصد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (ـ والاعتدال في الانفاق على النفس والعائلة لان التدبير نعمة من نعم الله ذلك أن من كان مورده المالي قليل لكنه يحسن الانفاق على نفسه فأن ذلك المورد القليل سوف يكفيه لأنه سينفعه في ضرورياته أما إذا كان مورده المالي كبير ولكن ينفق بتهور وإسراف فمن المؤكد أن ذلك المورد سيعجز عن تلبية جميع متطلباته[٦٥] .

وفسر عبد الله بن مسعود قوله تعالى : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾[٦٦] اي صرف المال فيما لا ينبغي وانفاق على وجه الاسراف وقال خالد بن صفوان للشعبي (خصلتان أذا حفضتهما لا تبالي ما صنعت بعدهما دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك) والتبذير هنا يعني التصريف في غير موضعه وهو مأخوذ من تعريف الحياة وإلقائها كيفما كان من غير تعقد لمواقعه[٦٧] .

واندهت قوم من سلول قيس بن سعد[٦٨] ، عندما رأوه حريصاً على جمع ثمر سيقان له فظنوا أنه سوف لا يقضي حاجاتهم التي من أجلها توجهوا اليه لكنهم فوجئوا بعكس ما كانوا يظنون أذ بادر على قضاء حاجاتهم واكرم مثواهم ولم يكتف هؤلاء القوم بما يصلوا عليه من هذا الرجل ذلك أن فضولهم دفعهم لأن يقفوا على التقاطع الذي رأوه في سلوكه فبين حرصه على ماله وحسن تدبير هو الذي مكنه من أن يلبي حاجتهم ذلك أن جمع المال ـ طلب المحتاجين له لا يأتي إلا بمثل هذا التدبير وفي ضوء هذا النهج الاقتصادي المعتدل والرامي إلى توجيه المسلم إلى الموازنة بين الموارد ومصروفاته قال احسن البصري الرفق نصف العيش[٦٩] .

الخاتمة

أهم النتائج التي توصل إليها البحث :

١. أوضح البحث أهمية الثروة وكيف يتم استغلالها بالطريقة السليمة التي تعود بالنفع على صاحبها ومثال ذلك ثروة الصحابة والتابعين وكيف تم انفاقها في سبيل الله .
٢. حث الإسلام على عدم الاسراف والتبذير بالاستناد إلى القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة .
٣. أن النظام الاقتصادي الإسلامي نظام قائم على الاعتدال والوسطية والابتعاد عن الانفاق الغير منظم والاسراف والتبذير .
٤. التدبير هو النظر في اخر الامور وعواقبها لتقويمها وتصحيحها نحو الافضل.
٥. الثروة قد تكون مجرد مال كثير لكنه يضيع مع سوء التدبير التبذير والاسراف.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر :

١. القرآن الكريم .
٢. ابن سعد ، أبو عبد الله بن محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي ، (ت٢٣٠هـ /٨٤٤م) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق : محم عبد القادر عطاء ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م) .
٣. الطبري ، محمد جريربن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، (دار التراث) ، بيروت ، ط٢ ، ٣٨٧هـ .
٤. البخاري ، أحمد بن محمد بن الحسين ابو نصر الكلاندي ، (ت٣٩٨هـ / ١٠٠٧م) ، الهواية والارشاد في معرفة أهل الثقة والسداد ، المحقق : عبد الله الليثي ، (دار المعرفة بيروت ، ١٤٠٧هـ) .

٥. ابن قانع ، ابو الحسن عبد الباقي بن قانع مرزوق بن واثق البغدادي الاموي بالولاء (ت٣٥١هـ/ ٩٦٢م) ، معجم الصحابة ، تحقيق : صلاح بن سالم المعراني (مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، ١٤١٨هـ).
٦. الزمخشري ، ابو القاسم محمود بن عمر ، (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م) ، ربيع الابرار في نصوص الأخبار ، تحقيق : عبد الامير مهنا ، (منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٩٢م) .
٧. ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق :علي محمد معوض ، عادا أحمد عبد الموجود ،(دار الكتب العلمية ، ١٩٩٤م) .
٨. الذهبي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قائمان ، (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، تسير إعلام النبلاء ، (دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٦م) .
٩. العسقلاني ، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجرات ، (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ).
١٠. المتقي ، الهندي ، (ت٩٧٥هـ/١٥٦٧م) ، كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، المحقق : صفوت السقا ، بكري الحياني ،(مؤسسة الرسالة،٢٠٠٦م) .

المراجع:

١١. عبد المجيد ، مقتدر حمدان ، المحافظة على المال وتنمية في الاقتصاد الإسلامي، ،(مجلة الأستاذ ،المجلد الاول، العدد ٢٠٦ ،١٤٣٤هـ).
١٢. ياسين نعمان ، التاريخ الاقتصادي لصحراء الرسالة والراشدين ،(دار السياب ، بغداد) .
١٣. اسماعيل ، محمود ، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، (مكتبة الصلاح للنشر والتوزيع) ، ط٣ ، ١٩٩٢ .
١٤. الطنطاوي، علي، عبد الرحمن بن نوف،(دار الفكر المعاصر ، ١٩٦٩م) .

١٥. الرماني ، زيد بن محمد ، الاسراف والتبذير ، (دار الوطن للنشر) .
١٦. توفيق ، ازرق ، الخصائص العامة للإقتصاد الإسلامي وأهم المبادئ التي تحكمه(ATEBE: Dinî Araştırmalar Dergisi – ATEBE: Journal for Religious Studies،العدد ٤، ٢٠٢٠)، ٢٠٢٠ .
١٧. الكلحوت ، عبد العزيز ، الإسلام والثروة ،(منشورات صحيفة الدعوة الإسلامية ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ).
١٨. غريب ، محمود محمد ، المال في القرآن، الرسالة السادسة ، وافقت على طبعها وزارة الإعلام العراقي ١٩٧٦م .
١٩. الطريقي، عبد الله ابراهيم بن علي، مشكلة السرف في المجتمع المسلم وعلاجها في ضوء الإسلام ،(وزارة الشئون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ).

List of Sourc es and References

Sources:

- The Holy Quran.
- Ibn Sa'd, Abu Abdullah ibn Muhammad ibn Sa'd ibn Mani' al-Hashimi, by affiliation with Basra, Baghdad (d. 230 AH/844 CE), Al-Tabaqat al-Kubra, edited by Muhammad Abd al-Qadir 'Ata', Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut, 1997 CE.
- Al-Tabari, Muhammad Jarir ibn Yazid ibn Kathir ibn Ghalib al-Amili (d. 310 AH/922 CE), Tarikh al-Rusul wa al-Muluk (History of the Prophets and Kings), Dar al-Turath, Beirut, 2nd edition, 387 AH.
- Al-Bukhari, Ahmad ibn Muhammad ibn al-Husayn Abu Nasr al-Kalandi (d. 398 AH/1007 CE), Al-Hawaya wa al-Irshad fi Ma'rifat Ahl al-Thiqah wa al-Sidad, edited by Abdullah al-Labani, Dar al-Ma'rifah, Beirut, 1407 AH.
- Ibn Qani', Abu al-Hasan 'Abd al-Baqi ibn Qani' Marzuq ibn Wathiq al-Baghdadi al-Umawi (d. 351 AH/962 CE), *Mu'jam al-Sahaba* (Dictionary of the Companions), edited by Salah ibn Salim al-Ma'rani, Maktabat al-Ghuraba' al-Athariyya, Medina, 1418 AH.

- Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmud ibn ‘Umar (d. 538 AH/1143 CE), *Rabi’ al-Abrar fi Nusus al-Akhbar* (Spring of the Righteous in the Texts of Narrations), edited by ‘Abd al-Amir Muhanna, Publications of Mu’assasat al-A’la for Publications, Beirut, 1992 CE.
- Ibn al-Athir, Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Karim ibn Abd al-Wahid al-Shaybani al-Jazari, d. 630 AH/1232 CE, Usd al-Ghayah fi Ma'rifat al-Sahabah, edited by Ali Muhammad Mu'awwad and Adnan Ahmad Abd al-Mawjud, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1994 CE.(
-)Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abd Allah Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman ibn Qa'iman, d. 748 AH/1347 CE, Taysir A'lam al-Nubala', Dar al-Hadith, Cairo, 2006 CE.(
- Al-Asqalani, Abu Al-Fadl Ahmad ibn Ali ibn Muhammad ibn Ahmad ibn Hujrat (d. 852 AH/1448 CE), Al-Isabah fi Tamyiz Al-Sahabah, edited by: Adil Ahmad Abd Al-Mawjoud and Ali Muhammad Muawwad, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut, 1415 AH.(
- Al-Muttaqi, Al-Hindi (d. 975 AH/1567 CE), Kanz Al-Ummal fi Sunan Al-Aqwal wa Al-Af'al, edited by: Safwat Al-Saqqa and Bakri Al-Hayyani, (Al-Risalah Foundation, 2006 CE.(
- Abdul Majeed, Muqtadir Hamdan, Preserving and Developing Wealth in the Islamic Economy, (Al-Ustadh Magazine, Volume 1, Issue 206, 1434 AH(
- Yasin Nu'man, The Economic History of the Desert of the Message and the Rightly Guided Caliphs, (Dar Al-Sayyab, Baghdad(
- Ismail, Mahmoud, History of Arab-Islamic Civilization, (Al-Salah Library for Publishing and Distribution), 3rd Edition, 1992
- Al-Tantawi, Ali Abdul Rahman bin Nawf, (Dar Al-Fikr Al-Mu'asir, 1969 CE(
- Al-Rumani, Zaid bin Muhammad, Extravagance and Wastefulness, Dar Al-Watan Publishing.
- Tawfiq, Azraq, General Characteristics of Islamic Economics and the Most Important Principles Governing It (ATEBE: Dinî

Araştırmalar Dergisi Journal for Religious Studies, Issue 7, 2020.(

- Al-Kalmut, Abdul Aziz, Islam and Wealth, (Publications of Al-Da'wa Al-Islamiyya Newspaper, 2nd Edition, 1402 AH.(
- Gharib, Mahmoud Muhammad, Money in the Qur'an, The Sixth Treatise, approved for publication by the Iraqi Ministry of Information, 1976 CE.
- Al-Tariqi, Abdullah Ibrahim bin Ali, The Problem of Extravagance in Muslim Society and its Treatment in Light of Islam (Ministry of Islamic Affairs, Endowments, Da'wah and Guidance, Kingdom of Saudi Arabia, 1420 AH.(

الهوامش:

(١) سورة آل عمران ، آية ١٤ .

(٢) سورة النساء ، آية ٩ .

(٣) سورة الكهف ، آية ٤٦ .

(٤) عبد المجيد ، مقتدر حمدان ، المحافظة على المال وتنمية في الاقتصاد الإسلامي ،(مجلة الأستاذ ،المجلد الاول، العدد ٢٠٦ ،١٤٣٤هـ)، ص١٨٣ .

(٥) ياسينو نعمان ، التاريخ الاقتصادي لصحراء الرسالة والراشدين ،(دار السياب ، بغداد) ، ص٢٥ .

(٦) اسماعيل ، محمود ، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، (مكتبة الصلاح ، ط٣ ، ١٩٩٢) ، ص٢٩.

(٧) الطبري ، محمد جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، (دار التراث، بيروت ، ط٢ ، ٣٨٧هـ)، ج٤، ص١٦ ؛عبد المجيد مقتدر حمدان ، المحافظة على المال وتنمية في الاقتصاد الإسلامي ص٨٣ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،ج٤، ص١١؛ عبد المجيد ، المحافظة على المال وتنمية في الاقتصاد الإسلامي ، ص١.

(٩) طلحة : طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمر بن كعب بن سعيد تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القريشي التميمي ابو محمد ، يُنظر : العسقلاني ، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن

أحمد بن حجرات ، (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ) ، م٣ ، ٤٢٩

(١٠) العسقلاني ، الاصابة في تمييز الصحابة ، م٣ ، ص٤٣٠ .

(١١) الذهبي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قائمان (ت ٧٤٨هـ /١٣٤٧م) ، تسير إعلام النبلاء ، (دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٦م) ،ج٣، ص٣ .

(١٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء،ج٣ ، ص٢٤ .

(١٣) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ،ج٣، ص٢٥ .

(١٤) الذهبي ، سير اعلام النبلاء،ج٣ ، ص٢٥ .

(١٥) الزمخشري ، ابو القاسم محمود بن عمر ، (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) ، ربيع الابرار في نصوص الأخبار ، تحقيق : عبد الامير مهنا ، (منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٩٢م) ، ج٤ ، ص٣٨٦ .

(١٦) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ،ج٣، ص٢٦ .

(١٧) الزبير بن العوام : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي . يُنظر : ابن سعد ، ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء اليعرب البغدادي ، (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق ، محمد عبد القادر عطار ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠م) ، ج٣ ، ص٧٣ .

(١٨) الزمخشري ، ربيع الابرار ، ج٤ ، ص٣٧٥ ، عبد المجيد ، المحافظة على المال وتنبيه في الاقتصاء الإسلامي ، ص١٨٣ .

(١٩) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٨١ ؛ عبد المجيد ، المحافظة على المال وتنمية في الاقتصاد الإسلامي ، ص١٨٤ .

(٢٠) عبد الرحمن بن عوف : عبد الرحمن بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهر بن كلاب ، يُنظر : ابن قانع ، ابو الحسن عبد الباقي بن قانع مرزوق بن واثق البغدادي الاموي بالولاء (ت٣٥١هـ / ٩٦٢م) ، معجم الصحابة ، تحقيق : صلاح بن سالم المعراني (مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، ١٤١٨هـ ، ص١٤٣ ؛ البخاري ، أحمد بن محمد بن الحسين ابو نصر الكلاندي ، (ت٣٩٨هـ/١٠٠٧م) ، الهواية والارشاد في معرفة أهل الثقة والسداد ، المحقق : عبد الله الليثي ، (دار المعرفة بيروت ، ١٤٠٧هـ) ، ص٤٣٧ .

([٢١]) ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، (ت٦٣٠هـ /١٢٣٢م) ، أسد الغاية في معرفة الصحابة ، تحقيق :علي محمد معوض ، عادا أحمد عبد الموجود ،(دار الكتب العلمية ، ١٩٩٤م) ، ص٤٧٥ .

([٢٢]) ابن الاثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ص٤٧٥ .

([٢٣]) الطنطاوي، علي، عبد الرحمن بن نوف، (دار الفكر المعاصر، ط٢، ١٩٧٩م)، ص١٦.

([٢٤]) ابن الاثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ص٤٧٥ .

([٢٥]) الطنطاوي ، علي البدر ، عبد الرحمن بن نوف ، ص١٨ .

([٢٦]) الذهبي ، سير إعلام النبلاء،ج٢، ص٣٥٩ .

([٢٧]) الذهبي ، سير إعلام النبلاء،ج٢، ص٣٦١ .

([٢٨]) عثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس أمير المؤمنين ابو عمر عبد الله القريشي الأموي يُنظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٤٤٩ .

([٢٩]) الذهبي ، سير إعلام النبلاء،ج٢، ص٤٥١ .

([٣٠]) الذهبي ، سير إعلام النبلاء،ج٢ ، ص٤٥٢ .

([٣١]) العسقلاني ، الاصابة في تمييز الصحابة ، م٢ ، ص٩٨،٩٧ .

([٣٢]) العسقلاني ، الاصابة في تمييز الصحابة ، ص م٢ ، ١٥٤٥ .

([٣٣]) العسقلاني ، الاصابة في تمييز الصحابة ، م٢ ، ص١٥٥ .

([٣٤]) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٢٠٦ ، ١٠٧ .

([٣٥]) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص١٠٧ .

([٣٦]) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٢٠٦ ، ١٠٧ .

([٣٧]) زرس بن حبش : زرش بن حبش بن حباشه بن أوس الأسدي من أسد بني نزيمة يكنى أبا مريم وقيل أبا معراف أدرك الجاهلية وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو من كبار التابعين ، يُنظر : ابن الأثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ص٣١ .

([٣٨]) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص١١٦ .

([٣٩]) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص١١٩ .

([٤٠]) حكيم بن جابر بن أبي طارق الأحمسي : من بهيلة توفي في ولاية الحجاج في خلافة الوليد بن عبد الملك وكان ثقة قليل الحديث ، يُنظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٦، ٢٩٤ ؛ العسقلاني ، ابو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجرات ، ٨٥٤هـ، نغريب التهذيب ، المحقق : محمد عوامة ، (دار الرشيد ، سوريا ، ١٩٨٦م، ص١٧٦ .

([٤١]) سورة النساء ، آية ٩ ؛ عبد المجيد ، مقتدر حمدان ، المحافظة على المال وتنمية في الاقتصاد الإسلامي ، ص١٨٤ .

([٤٢]) عبد المجيد ، مقتدر حمدان ، المحافظة على المال وتنمية في الاقتصاد الإسلامي ، ص١٨٤ .

([٤٣]) سورة الاعراف ، أية ٨١ .

([٤٤]) سورة الفرقان ، أية ٦٧ .

([٤٥]) سورة طه ، أية ١٢٧.

([٤٦]) سورة الاسراء ، أية ٢٩ .

([٤٧]) عبد المجيد ، المحافظة على المال وتنمية في الاقتصاد الإسلامي ، ص١٨٤ .

([٤٨]) الرماني ، زيد بن محمد ، الاسراف والتبذير ، (دار الوطن للنشر) ، ص٣٦ .

([٤٩]) سورة البقرة ، أية ٦٥١ .

([٥٠]) توفيق ، ازرق ، الخصائص العامة للإقتصاد الإسلامي وأهم المبادئ التي تحكمه(ATEBE: Dinî Araştırmalar Dergisi – ATEBE: Journal for Religious Studies ،العدد ٤، ٢٠٢٠)، ص١١٢ .

([٥١]) سورة البقرة ، أية ٢٩ .

([٥٢]) سورة الانعام ، أية ١٠٢ .

([٥٣]) سورة المائدة ، أية ١٨ .

([٥٤]) الكلحوت ، عبد العزيز ، الإسلام والثروة ، (منشورات صحيفة الدعوة الإسلامية ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ)، ص٣٤ ، ؛ غريب ، محمود محمد ، المال في القرآن، الرسالة السادسة ، (وافقت على طبعها وزارة الإعلام العراقي ١٩٧٦م)، ص٦،٧.

([٥٥]) سورة الحديد ، أية ٧ .

([٥٦]) سورة النساء ، أية ٥ .

([٥٧]) الكلحوت ، الإسلام والثروة ، ص٣٥ .

([٥٨]) سورة التكاثر ، أية ٨ .

([٥٩]) سورة المدثر ، أية ٣٨ .

([٦٠]) الكلحوت ، الإسلام والثروة ، ص٣٥ .

([٦١]) الطريقي، عبد الله ابراهيم بن علي، مشكلة السرف في المجتمع المسلم وعلاجها في ضوء الإسلام ،(وزارة الشئون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ) ، ص٦ .

([٦٢]) المتقي ، الهندي ، (ت٩٧٥هـ/١٥٦٧م) ، كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، المحقق : صفوت السقا ، بكري الحياني ، (مؤسسة الرسالة،٢٠٠٦م) ، ج٣ ، ص٥٠ .

([٦٣]) المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج٣ ، ص٤٩ .

([٦٤]) المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج٣ ، ص٤٩ .

([٦٥]) عبد المجيد ، مقتدر حمدان ، المحافظة على المال وتنمية في الاقتصاد الإسلامي،(مجلة الأستاذ ،المجلد الاول، العدد ٢٠٦ ،١٤٣٤هـ) ، ص١٨٥ .

([٦٦]) سورة الاسراء ، أية ٢٦ .

([٦٧]) المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج٣ ، ص٧٣٢ ؛ عبد المجيد ، المحافظة على المال وتنمية في الاقتصاد الإسلامي ، ص١٨٥ .

([٦٨]) قيس بن سعد ، قيس ابن سعد ابن عبادة الخزرجي الانصاري حجابي جليل مات سنة ستين تقريباً وقيل بعد ذلك ، يُنظر : العسقلاني ، تقريب التهذيب ، ص٤٥٧ .

([٦٩]) عبد المجيد ، مقتدر حمدان ، المحافظة على المال وتنمية في الاقتصاد الإسلامي ، ص١٨٥ .

اتفاقية أوسلو والردود العربية عليها

حنين طارق محمد

Han22h6003@uoanbar.edu.iq

٠٧٨٠٥٥٩٩١٧٦

أ.م.د.إياد عايش محمد

ed.ayad_ayash@uoanbar.edu.iq

٠٧٨٠٧٧١٧٦٥٣

جامعة الأنبار – كلية التربية للعلوم الإنسانية

اتفاقية أوسلو والردود العربية عليها

حنين طارق محمد

أ.م.د. إياد عايش محمد

ملخص البحث

تناولت هذه الدراسة موضوع اتفاقية أوسلو والردود العربية عليها، التي تعدّ نقطة تحول في الصراع العربي الإسرائيلي، وقعت في عام ١٩٩٣ بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية، وكانت الغاية منها تحقيق السلام وتوفير إطار للحل القائم على الدولتين.

سعى هذا البحث إلى تحليل تأثير اتفاقية أوسلو على العلاقات العربية الإسرائيلية، ودراسة ردود الفعل العربية المختلفة تجاه هذه الاتفاقية، تتضمن هذه الردود الالتزامات السياسية والاقتصادية والثقافية التي اتخذتها الدول العربية في إطار دعم القضية الفلسطينية، وتناقش أيضاً كيف أثرت هذه الردود في تشكيل السياسة الخارجية للدول العربية.

الكلمات المفتاحية: أوسلو – اتفاقية – العربية – الردود – عليها.

هدف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى تحليل اتفاقية أوسلو والعواقب الناتجة عنها، فضلاً عن دراسة ردود الفعل العربية المختلفة تجاه هذه الاتفاقية. وتتجلى الأهداف إلى فهم محتوى الاتفاقية، بما في ذلك الأهداف الرئيسية والشروط المتضمنة، وكيفية تأثير هذه العناصر على العلاقات العربية الإسرائيلية، وتسعى الدراسة إلى تحليل تأثير اتفاقية أوسلو على الأنظمة السياسية في الدول العربية، والبحث في مدى استجابة الدول العربية المختلفة لهذه الاتفاقية، وما إذا كانت هذه الردود تعكس وحدة أم انقسام داخل الساحة العربية.

أهمية دراسة الموضوع

تعد دراسة اتفاقية أوسلو والردود العربية عليها ذات أهمية بالغة، لعدة أسباب:

١. فهم السياق التاريخي المعقد للصراع العربي الإسرائيلي، والتغيرات في المواقف العربية.

٢. تساعد في تقييم كيفية تأثير هذه الاتفاقية على السياسات الإقليمية والدولية.

٣. تسليط الضوء على قضية فلسطين: تُعيد تأكيد مركزية القضية الفلسطينية في السياسية العربية وتطرح تساؤلات حول استمرارية دعم الدول العربية لفلسطين.
٤. توقع الاستجابات المستقبلية: يمكن أن يساعد تحليل ردود الفعل العربية في توقع كيف يمكن أن تتعامل الدول العربية مع التطورات المستقبلية المتعلقة بالسلام والاستقرار في المنطقة.

الأسئلة البحثية

١. ما هي أبرز بنود اتفاقية أوسلو وأهدافها الرئيسية؟
٢. كيف اختلفت ردود الفعل العربية على اتفاقية أوسلو بين الدول العربية المختلفة؟
٣. ما هي الآثار الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للاتفاقية على الدول العربية؟
٤. كيف تغيّرت المواقف العربية تجاه إسرائيل بعد توقيع اتفاقية أوسلو؟
٥. هل كانت هناك تداعيات داخلية في الدول العربية نتيجة توقيع الاتفاقية؟

الفرضيات

١. الاتفاقية ساهمت في تقسيم الآراء داخل الدول العربية وأثرت في سياساتها تجاه القضية الفلسطينية.
٢. كانت ردود الفعل العربية على اتفاقية أوسلو متباينة، حيث اتخذت بعض الدول مواقف مؤيدة بينما اعتمدت أخرى الخطاب النقدي.
٣. إن ردود الفعل العربية أثّرت على العلاقات الثنائية بين الدول العربية وإسرائيل في المدى الطويل.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في التعقيدات المتعلقة بالتفاعل العربي مع اتفاقية أوسلو، والتي قد تساهم في تعزيز الفهم أو تفكيك المصداقية العربية في المشهد السياسي الإقليمي.

انبثقت الدراسة من التساؤل:

– ما مدى تأثير مواقف الدول العربية على السياقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين بعد توقيع اتفاقية أوسلو؟

محاور الدراسة:

تمت معالجة الدراسة ضمن المحاور الآتية:

المطلب الأول: مضمون اتفاقيات أوسلو وتأثيرها على القضية الفلسطينية

المطلب الثاني: المواقف وردود الأفعال العربية على اتفاقية أوسلو

منهجية البحث

تعتمد منهجية البحث على المنهج التاريخي لدراسة فترة توقيع الاتفاقيات والتطورات السياسية المرتبطة بها، فضلا عن المنهج الوصفي التحليلي لتحليل ردود الفعل العربية، بجانب تحليل المحتوى للمقالات والتقارير الإعلامية المتعلقة بالموضوع، مثل: جمع البيانات، وتحليلها البيانات، ودراستها دراسة ميدانية.

واستندت الدراسة على مصادر ومراجع تناولت اتفاقية أوسلو

Abstract

This study addressed the subject of the Oslo Accords and Arab responses to them, which represent a turning point in the Arab-Israeli conflict. Signed in ١٩٩٣between the Palestine Liberation Organization and the Israeli government, their aim was to achieve peace and provide a framework for a two-state solution. This research sought to analyze the impact of the Oslo Accords on Arab-Israeli relations and to study the various Arab reactions towards this agreement. These responses include the political, economic, and cultural commitments undertaken by Arab states in support of the Palestinian cause. It also discusses how these responses influenced the shaping of Arab states' foreign policies.

Keywords: Oslo – Accords – Arab – Responses – Towards.

Study Objective: This study aims to analyze the Oslo Accords and their resulting consequences, as well as examine the different Arab reactions to this agreement. The objectives are manifested in understanding the content of the agreement, including its main goals and the conditions involved, and how these elements affected Arab-Israeli relations. The study seeks to analyze the impact of the Oslo Accords on political systems in Arab states, and to investigate the extent of different Arab states' responses to this agreement, and whether these responses reflect unity or division within the Arab arena.

Importance of the Subject:

Studying the Oslo Accords and Arab responses to them is of paramount importance for several reasons:

١ . Understanding the complex historical context of the Arab-Israeli conflict and the changes in Arab positions.

٢. Helping to assess how this agreement impacted regional and international policies.

٣. Shedding light on the Palestinian issue: It reaffirms the centrality of the Palestinian cause in Arab politics and raises questions about the continuity of Arab states' support for Palestine.

٤ . Anticipating future responses: Analyzing Arab reactions can help predict how Arab states might deal with future developments related to peace and stability in the region.

Research Questions:

١ .What are the most prominent terms and main objectives of the Oslo Accords?

٢ .How did Arab reactions to the Oslo Accords differ among various Arab states?

٣. What are the social, political, and economic effects of the Accords on Arab states?

٤.How did Arab stances towards Israel change after the signing of the Oslo Accords?

٥ .Were there internal repercussions in Arab states as a result of signing the agreement?

Hypotheses:

١ .The agreement contributed to dividing opinions within Arab states and influenced their policies towards the Palestinian cause.

٢ .Arab reactions to the Oslo Accords were varied, with some states adopting supportive positions while others employed critical discourse.

٣.Arab reactions affected the bilateral relations between Arab states and Israel in the long term.

Study Problem:

The problem of the study lies in the complexities related to Arab interaction with the Oslo Accords, which may contribute to enhancing understanding or dismantling Arab credibility in the regional political landscape.

The study emanated from the question:

·To what extent did the positions of Arab states influence the political, economic, and social contexts in Palestine after the signing of the Oslo Accords?

Study Axes:

The study was addressed within the following axes:

First Axis: The Content of the Oslo Accords and their Impact on the Palestinian Cause.

Second Axis:Arab Positions and Reactions.

Research Methodology:

The research methodology relies on the historical approach to study the period of signing the agreements and the associated political developments, in addition to the descriptive-analytical approach to analyze Arab reactions, alongside content analysis of articles and media reports related to the topic, such as: data collection,

data analysis, and conducting a field study. The study was based on sources and references that dealt with the Oslo Accords.

المقدمة

تعد اتفاقية أوسلو من الأحداث التاريخية البارزة في الصراع العربي الإسرائيلي، لتفتح بذلك آفاقاً جديدة في مسألة السلام بين الطرفين، وقعت الاتفاقية بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية، وكانت تهدف إلى تحقيق تسوية سلمية تعكس رغبة الطرفين في إنهاء عقود من النزاع المسلح والمواجهات الدامية. من خلال هذه الاتفاقية، تم الإعلان عن الاعتراف المتبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، مما اعتُبر خطوة جريئة نحو تحقيق السلام.

ومع ذلك، فإن ردود الفعل العربية على اتفاقية أوسلو لم تكن متجانسة. بينما اعتبرها البعض خطوة إيجابية نحو السلام، أبدى آخرون قلقهم من تبعاتها السلبية على القضية الفلسطينية ومكانتها في العالم العربي. تمثل هذه الفجوة في الآراء بين الدول العربية المختلفة تحديًا حاسمًا لفهم الديناميات السياسية الجديدة التي نشأت عن الاتفاقية، وكيف أثرت في مجمل العلاقات العربية الإسرائيلية.

إن دراسة هذا الموضوع تحمل أهمية خاصة، ليس فقط لفهم التاريخ السياسي المعاصر، وإنما أيضًا لتحليل كيفية تأثير السياسات الإقليمية على استقرار المنطقة. فمواقف الدول العربية تجاه اتفاقية أوسلو تعكس التوجهات المختلفة المتعلقة بالقضية الفلسطينية، وتعكس انقسامات داخلية تحدد هوية كل دولة وطموحاتها الوطنية.

يهدف هذا البحث إلى تحليل بنود اتفاقية أوسلو، واستكشاف ردود الفعل العربية المتنوعة تجاهها، مع التركيز على الأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهذه التفاعلات. من خلال هذا الإطار، ستهدف الدراسة إلى تقديم رؤى جديدة تسلط الضوء على تعقيدات العلاقات العربية الإسرائيلية في ظل التحولات العالمية والإقليمية المستمرة.

المطلب الأول: مضمون اتفاقيات أوسلو وتأثيرها على القضية الفلسطينية

١ - مضمون اتفاق أوسلو ١٩٩٣

حدد اتفاق أوسلو مسار التسوية السياسية للصراع الفلسطيني – الصهيوني، وقسَّم الاتفاق مسار التسوية إلى مرحلتين إعدادية وانتقالية:

أ – المرحلة الإعدادية، ومدتها ستة أشهر تبدأ في تشرين الأول ١٩٩٣، ويتم خلالها التفاوض على محورين، يشتمل المحور الأول على المسائل التالية:

– التفاوض حول بشأن انسحاب الكيان الصهيوني من قطاع غزة وأريحا خلال شهرين، يليها انتقال سلمي للسلطة من الحكم العسكري والإدارة المدنية للكيان الصهيوني إلى قيادة فلسطينية يتم تسميها لحين إجراء انتخابات المجلس الفلسطيني.

– يحتفظ الكيان الصهيوني بمسؤولية الأمن الخارجي والعلاقات الخارجية المستوطنات.

– تتولى سلطة الحكم الذاتي مسؤوليات الأمن الداخلي فقط، وذلك من خلال تشكيل قوة شرطية من فلسطينيي الداخل والخارج، كما تُشكّل لجنة للتعاون الأمني المشترك بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وبعد توقيع الاتفاقية تنهي إسرائيل الانسحاب خلال أربع أشهر.

أما المحور الثاني فيشتمل على الآتي:

– تنظيم انتخابات فلسطينية لاختيار أعضاء المجلس التشريعي (مجلس وطني فلسطيني) خلال تسعة أشهر من دخول الاتفاق حيز التنفيذ، وتجري الانتخابات بإشراف دولي يتفق الجانب الفلسطيني والكيان الصهيوني عليه.

– يمارس المجلس الوطني الفلسطيني السلطة الانتقالية لمدة خمس سنوات، وهي محددة بالضفة الغربية وقطاع غزة، وهي تنحصر في مجال الصحة والتعليم والثقافة الشؤون الاجتماعية والضرائب المباشرة والسياحة، بالإضافة إلى الإشراف على قوات الشرطة الفلسطينية.

– تحدد المفاوضات بين الفلسطينيين والكيان الصهيوني النظام الانتخابي وقواعد الحملة الانتخابية وتنظيمها إعلامياً، وتركيبة المجلس التشريعي، وعدد أعضائه، وحدود سلطاته التنفيذية والتشريعية.[١]

ب – المرحلة الانتقالية، وتبدأ بعد انسحاب الكيان الصهيوني من غزة وأريحا، وتستمر لخمس سنوات، ويتم خلالها:

– إجراء انتخابات عامة مباشرة لاختيار أعضاء المجلس الفلسطيني الذي سيشرف على السلطة الانتقالية.

- تتولى قوات الشرطة الفلسطينية قد تسلمت مسؤولياتها في المناطق التي تخرج منها قوات الاحتلال الصهيوني، وبخاصة تلك المأهولة بالسكان.
- التعاون الإقليمي في المجال الاقتصادي من خلال مجموعات العمل في المفاوضات المتعددة الأطراف؟
- تبدأ مفاوضات الوضع النهائي بعد انقضاء ما لا يزيد على ثلاث سنوات، وتبحث في قضايا القدس، والمستوطنات، واللاجئين، والترتيبات الأمنية، والحدود استناداً إلى قراري مجلس الأمن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨.[٢]
- تتولى لجنة الارتباط المشتركة النظر في النزاعات التي تنشأ عن تفسير أو تنفيذ مضمون إعلان المبادئ، أو الاتفاقات اللاحقة بين الطرفين، أما القضايا التي لا تتمكن لجنة الارتباط المشتركة من تسويتها يحدد الطرفان آلية للتوفيق في هذه القضايا، وفي حال فشل آلية التوفيق في تسوية قضايا الخلافية، يلجأ الطرفان إلى التحكيم من خلال الاتفاق على تشكيل لجنة تحكيم.[٣]

٢ - تداعيات اتفاق أوسلو على القضية الفلسطينية

يعتبر اتفاق أوسلو علامة فارقة في مسار حل الدولتين على الرغم من أنه لم ينص صراحة إلى قيام دولة فلسطينية، إلا أنه الهدف النهائي من الاتفاق هو تسوية النزاع الفلسطيني – الصهيوني على أساس قيام دولة فلسطينية إلى جانب الكيان الصهيوني على أساس قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨، وحرص الكيان الصهيوني على البناء المرحلي والعمومي والغامض للاتفاق بما يجعل قيام دولة فلسطينية يمر بحكم ذاتي خلال مرحلة انتقالية، بينما ربط حسم الكثير من القضايا الخلافية بمفاوضات الوضع النهائي التي تعتبر أساسية لاستكمال بناء هياكل الدولة الفلسطينية المنشودة،[٤] أراد الكيان الصهيوني من خلال الصياغة المرحلية للاتفاق وضع الفلسطينيين موضع الاختبار خلال المرحلة الانتقالية لكشف نواياهم تجاه استحقاقات السلام، وبشكل خاص من الكيان الصهيوني، وأيضاً للتأكيد من استعدادهم وقدرتهم على وضع الاتفاق الانتقالي موضع التنفيذ، وهذا ناتج عن عدم ثقتهم بمنظمة التحرير الفلسطينية، بالإضافة إلى تحقيق أكبر قدر من المكاسب مقابل ما سيحصل عليه الفلسطينيون، بما يقلل من التداعيات السلبية والتحديات الخطيرة التي سيواجهها الكيان

الصهيوني بعد الاتفاق، كما أراد خلق واقع فلسطيني جديد وتغيير ظروف معطيات الصراع مع الفلسطينيين بما يمكنه من تحديد مسارات واتجاهات مفاوضات الوضع النهائي، وتحديد نتائجها.[٥] وجاءت استجابة الفلسطينيين لإرادة الكيان الصهيوني ورغباته في إطار مسعى لخلق نواة لدولتهم المنشودة من خلال تشكيل سلطة فلسطينية أيا كانت صلاحياتها، بما يمكنهم من تعزيز البناء المؤسساتي في الكيان المستحدث، وتحقيق السيطرة وفرض السيادة على الأرض التي سينسحب منها الاحتلال الصهيوني، ومن جهة أخرى أراد الفلسطينيون عبر المرحلة الانتقالية تجاوز البيئة التفاوضية التي واكبت وأثرت على مفاوضات، وإيجاد واقع فلسطيني جديد يعزز أوراقه التفاوضية في مفاوضات الوضع النهائي بهدف تحقيق أهدافه ومكاسبه وتعزيزها،[٦] لكن بالرغم من تناقض أهداف طرفي الاتفاق من مرحليته، إلا أنهما أرادا على أن يكون مضمونه عمومياً يفتقر في أحكامه ونصوصه إلى الوضوح والدقة، وذلك بغية ترك هامش كبير للمناورة في تفسيره لمواجهة ردات فعل الجماهير المحتملة في رفض الاتفاق بما يضمن تحقيق أوسع تأييد للاتفاق، كما أراد طرفا الاتفاق من الصياغة العمومية وغير الواضحة تحقيق أكبر قدر من المكاسب السياسية وفرض السيطرة على الأرض.[٧]

ترتب على مرحلية الاتفاق وعموميته وغموضه مواجهة أطرافه العديد من القضايا الخلافية، ومن أهم هذه القضايا:

- يلتزم طرفي الاتفاق بعدم محاولة التأثير في نتائج المفاوضات النهائية أو تعطيلها عن طريق اللجوء إلى تغيير الوقائع على الأرض، كما يؤكد الاتفاق على أن الضفة الغربية وقطاع غزة تشكّلان وحدة إقليمية متكاملة غير قابلة للتجزئة، ويلتزم الكيان الصهيوني بعدم إجراء أي تغيير في الواقع الإداري والجغرافي للضفة الغربية وقطاع غزة خلال الفترة الانتقالية، لكن حكومة الكيان الصهيوني تجاهلت التزاماتها في الاتفاق وعملت على تغييرات كبيرة من خلال التوسع الاستيطاني وإعادة الانتشار العسكري بما يكشف عدم مصداقيتها وجديتها في الالتزام باستحقاقات السلام، وهذا نتائج عن استغلاله ضعف الاتفاق الذي خلا من أي إجراءات رادعة تمنع طرفي انتهاك بنوده، وهذا ما

مكّـن الكيـان الصـهيوني مـن تعزيـز أوراقـه التفاوضـية فـي الموقـف التفاوضـي للفلسطينيين.[٨]

- فرضت حكومة الكيان الصهيوني جدول زمني وفق حسابتها ومصالحها عند تنفيذ مضمون الاتفاق متجاهلاً المُهل الزمنية التي وردت في أحكام وبنود الاتفاق، وهذا الخرق يعكس إرادته في تطويع الاتفاق لرؤيته في تنفيذه بقصد تأجيل مفاوضات التسوية النهائية وما يستتبعها من استحقاقات تحقيق السلام.
- التزم حكومة الكيان الصهيوني بنقل سلطة حفظ الأمن الداخلي إلى السلطة الوطنية الفلسطينية، لكن ليس جزء أساسي من السيادة الفلسطينية، لكن لأنه عبء ثقيل عليها، ولذلك أرادت من خلال الالتزام بهذا الإجراء تحقيق هدف رئيسي، وهو تحميل السلطة الوطنية الفلسطينية المسؤولية الأمنية في مناطق الحكم الذاتي، وبالتالي مسؤولية أي خرق أمني فيها باعتباره سيعطيه المبرر للعودة إلى سياساته القمعية ضد الشعب الفلسطيني، وفرض الحصار على مناطق الحكم الذاتي، والامتناع عن تنفيذ أحكام اتفاقية إعلان المبادئ.
- كانت سياسة الكيان الصهيوني انتقائية في تنفيذ بنود وأحكام الاتفاق، كما عمدت إلى ربط تنفيذ كل بند بسلسلة من المفاوضات بهدف تمييع الاتفاق والتهرب من مسؤولية الالتزام به، كمسألة الممرات الآمنة، وميناء غزة البحري والجوي، المنطقة الصناعية فيها، ونجح الكيان الصهيوني من خلال هذه السياسة في التهرب من تنفيذ الكثير من أحكام الاتفاق، أو في تنفيذها وفق مصالحها كما هو الحال في مسألة المياه حيث عملت على استثمار مصار المياه لصالحها، وحرمان الشعب الفلسطيني منها.[٩]

اعترى الاتفاق الكثير من نقاط الضعف والسلبيات التي ستجعل تنفيذ بنوده وأحكامه مرتبطة بشكل أو بأخر بمصالح الكيان الصهيوني ورؤيته لطبيعة وهيكل سلطة الحكم الذاتي، ومن أهم هذه السلبيات:

- لم يعبر الاتفاق عن إرادة الشعب الفلسطيني، وإنما احتكرت منظمة التحرير الفلسطينية صوته وموقفه بالتوقيع والموافقة على الاتفاق دون عرضه عليه في استفتاء شعبي لأخذ موافقته.

- تجاهل الاتفاق المسائل التي تشكل جوهر القضية الفلسطينية، وربط حسمها بمفاوضات التسوية النهائية، كمستقبل القدس التي يصر الاحتلال الإسرائيلي على اعتبارها عاصمته الأبدية، ويستمر في تنفيذ مخططه لتوسيع مستوطناته في القدس الشرقية، ومستقبل اللاجئين الفلسطينيين.
- قايض الاتفاق بين اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بحق الكيان الصهيوني في الوجود وشرعية احتلاله ٧٧ % من أرض فلسطين مقابل اعتراف الكيان الصهيوني بمنظمة التحرير كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني.
- أدى توقيع اتفاق أوسلو إلى فتح المجال أمام تطبيع العلاقات بين العديد من الدول العربية والكيان الصهيوني متجاوزة القضية الفلسطينية التي كانت تشكل رادع أخلاقي أمام انفتاحهم على الكيان الصهيوني.
- لم تمنح اتفاقية أوسلو السلطة الوطنية الفلسطينية السيطرة على الحدود مع الأردن ومصر والكيان الصهيوني، ولا على البحر المتوسط، فالمعابر البرية والبحرية، والمجال الجوي والبحري لمناطق الحكم الذاتي بقيت تحت إدارة الكيان الصهيوني، ولا يمكن لأي فلسطيني عبورها إلا بإذن منه. فعلى الرغم من منح الفلسطينيين سلطة إدارة هذه المناطق، إلا أن حرية تنقلهم مرهونة بموافقة سلطات الاحتلال الصهيوني.(١٠)
- حظر الاتفاق على الفلسطينيين تشكيل جيش وطني يتولى مهمة الدفاع عن مناطق الحكم الذاتي، كما يُحظر عليهم التسلح إلا بموافقة أمنية من الكيان الصهيوني، واقتصر الأمر على قوة شرطة فلسطينية تخضع للرقابة الصارمة من قبله.
- منح الاتفاق الفلسطينيين سيادة منقوصة، فالسلطة التشريعية للمجلس الوطني الفلسطيني مقيدة بموافقة الكيان الصهيوني الذي يمتلك حق الاعتراض أو الرفض النهائي لأي تشريع جديد.
- لم تُشر أحكام الاتفاق إلى حق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني، وخلى من أي نص صريح إلى حقه في إقامة دولته المستقلة على أرضه، كما تجاهل الاتفاق الإقرار بأن الضفة الغربية وقطاع غزة أراضي محتلة، وتعامل معها الاتفاق على أراضي متنازع عليها بين الفلسطينيين والكيان الصهيوني، وهذا القصور في الاتفاق يضعف

الموقف القانوني الفلسطيني، ويمنح الكيان الصهيوني الغطاء السياسي والقانوني لاستمرار احتلالها للأراضي العربية المحتلة.

- حقق الكيان الصهيوني بهذا الاتفاق حالة من الاستقرار المالي النسبي والازدهار الاقتصادي، حيث ارتفع دخله القومي من حوالي ٣٠ مليار عام ١٩٩٣ إلى ١٠٥ مليارات عام ١٩٩٩، كما استقبل الكيان مئات الآلاف من المهاجرين اليهود من مختلف أنحاء العالم.
- نجحت الرعاية الأمريكية في تذليل العقبات أمام اتفاق أوسلو، وأيضاً في إقصاء الأمم المتحدة والقرارات (٢٤٢ – ٣٣٨ – ١٩٤) التي شكلت المرجعية لتحقيق السلام وإنهاء حالة الحرب بين الفلسطينيين والكيان الصهيوني، والارتهان إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي احتكرت رعاية عملية السلام في المنطقة، مما أفقد الفلسطينيين إمكانية الاحتكام إلى الأمم المتحدة وشرعيتها.
- اتسم الاتفاق بالمرحلية والغموض والتباس الأمر مما أتاح هامشاً واسعاً للطرف الأقوى (الكيان الصهيوني) لإدارة تنفيذه وفق رؤيته ومصالحه، وأيضاً إلى تعطيله والمماطلة في تنفيذه في إطار الضغط على الجانب الفلسطيني الذي بقي عاجزاً التأثير في تفسير البناء الفضفاض لبنود وأحكام الاتفاق، مما أفقده أي أمل في تحقيق المكاسب التي كان ينتظرها من الاتفاق.[١١]
- استغل الكيان الصهيوني ضعف اتفاق أوسلو لتسريع وتيرة الاستيطان في الضفة الغربية بشكل هستيري، وكأنها في سباق مع الزمن، فبنت في سبع سنوات من الوحدات الاستيطانية ما بنته من عام ١٩٦٧ حتى عام ١٩٩٤، وذلك بهدف فرض أمر واقع في الضفة الغربية بما يمكّنه من التأثير في مسار مفاوضات التسوية النهائية.[١٢]
- أتاح الاتفاق للكيان الصهيوني فرصة كبيرة للعمل على تسريع عملية تهويد مدينة القدس من خلال التوسع في بناء المستوطنات دخل المدينة وحولها، بالإضافة إلى زيادة أعداد المستوطنين اليهود فيها، وذلك بهدف تغيير واقع المدينة الديموغرافي والتاريخي والديني والثقافي تمهيداً لتهجير الفلسطينيين بشكل تدريجي منها.

- شكل الاتفاق تنازلاً عن حق الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال في سبيل تحرير الأرض بكل الوسائل المشروعة، وهو الحق الذي كفلته القوانين والاتفاقيات الدولية، وشرعية الأمم المتحدة.
- شملت ترتيبات الحكم الانتقالي فلسطينيي الداخل فقط، أما فلسطينيي الشتات فأصر الكيان الصهيوني على بقائهم خارج الاتفاق، وذلك للدفع باتجاه حل قضيتهم (قضية اللاجئين الفلسطينيين) من خلال التوطين أو التعويض للحيلولة دون عودتهم إلى مناطق الحكم الذاتي.
- أسس الاتفاق لعلاقات أمنية بين السلطة الفلسطينية والكيان الصهيوني من خلال التعاون والتنسيق الأمني بحيث تتولى السلطة الفلسطينية مسؤولية مواجهة العمل النضالي والمقاوم للفصائل الفلسطينية التي تستهدف الكيان الصهيوني، وملاحقة العناصر المطلوبة من قبله، كما منع الاتفاق أجهزة السلطة من ملاحقة الفلسطينيين الذين يتعاونون مع الاحتلال الصهيوني، وكان لهذه السياسة انعكاس كبير على الوحدة الفلسطينية التي بدأت تتصدع وتنهار نتيجة ملاحقة السلطة الوطنية الفلسطينية للمقاومين، واعتقالهم دون محاكمة.
- لم يحدد الاتفاق آلية حل مشكلة المياه في الضفة الغربية وقطاع غزة، لذلك بقيت السلطة الفلسطينية غير قادرة على تحديد حقوقها المائية في موارد الضفة والقطاع، الأمر الذي يؤدي إلى تعطيل مشاريع التطوير الزراعي والصناعي التي ستطلقها السلطة الفلسطينية، كما أنها ستعرقل خططها للتوسع في البنية التحتية للاقتصاد الفلسطيني، حيث تعتبر المياه عامل أساسي في تحريك هذه المشاريع.[١٣]

٣ – مكاسب الكيان الصهيوني من اتفاق أوسلو

مقابل التداعيات الخطيرة لاتفاق أوسلو على القضية الفلسطينية، فإن الكيان الصهيوني استطاع تحقيق الكثير من المكاسب، وعلى العديد من المستويات، فخسائر الفلسطينيين كانت بالنسبة للكيان الصهيوني مكاسب، وهذه النتيجة حتمية باعتباره صاغ الاتفاق، ووضع بنوده وأحكامه وفق رؤيته ومصالحه، وأهم مكاسب من الاتفاق كانت التالي:

- شكّل اتفاق أوسلو تحولاً نوعياً في طبيعة العلاقات التي تربط الكيان الصهيوني بالدول العربية، فالاتفاق منح الشرعية وحق الوجود لهذا الكيان وأسقط عنه صفة الاحتلال، واعترف به كدولة ذات سيادة على خارطة المنطقة العربية، وحطم الحواجز الأخلاقية والسياسية التي تمنع انفتاح الدول العربية على الكيان، الأمر الذي ساعده على الخروج من عزلته التي فرضت عليه منذ عام ١٩٤٨، وترتب على هذا التغيير انفتاح العديد من الدول العربية على الكيان الصهيوني سياسياً واقتصادياً، ويعبّر عن أهمية هذا التحول بالنسبة للكيان الصهيوني أحد عضاء الوفد الصهيوني المفاوض في أوسلو "رون بونداك" قائلاً: "تم قبولنا في العالم وتحركت العلاقات بيننا وبين العالم العربي بشكل ادراماتيكي، وبدأ افتتاح مكاتب تجارية وسفارات لنا، وقد أتاح هذا الحدث بدء مفاوضات جدية فوراً بين إسرائيل والأردن مما أدى بعد سنة إلى اتفاق سلام بيننا وبين الأردن، وجاءت إلى إسرائيل استثمارات ضخمة، وشركات عالمية، وشركات صينية ويابانية، الكل جاء هنا"، وهذا التصريح يدل على اهتمام الكيان الصهيوني بالمنافع الاقتصادية والاستثمارية الكبيرة التي حصل عليها الكيان الصهيوني بعد توقيع اتفاق أوسلو.(١٤)
- وفر اتفاق أوسلو للكيان الصهيوني بيئة من الاستقرار الأمني والسياسي التي ساهمت بجذب الاستثمارات المحلية والأجنبية، مما ساهم في نموه الاقتصادي وتجاوز العديد من المشكلات والتحديات التي كانت تعيق تطوره، حيث شهد الناتج المحلي الإجمالي ارتفاعاً ملحوظاً نتيجة توسع القاعدة الإنتاجية، وما رافقه من نمو الصادرات، وكان لهذا الازهار الاقتصادي انعكاس واضح على مستوى معيشة الأفراد وزيادة دخلهم الشهري، ليصبح دخل الفرد في الكيان الصهيوني مرتفعاً جداً مقارنة بالكثير من الدول المتقدمة.(١٥)
- احتفظ الكيان الصهيوني بالسيطرة الكاملة والسيادة على الضفة الغربية وقطاع غزة على الرغم من أن الاتفاق منح الفلسطينية سلطة حكم ذاتي على أجزاء من هذين القطاعين، فالاتفاق قيد صلاحيات السلطة الوطنية الفلسطينية لتقتصر على إدارة بعض الشؤون المدنية للفلسطينيين، لكن دون أي سيادة حقيقية على الأرض وموردها، فأحكام الاتفاق فوضت الكيان الصهيوني بالسلطة الحقيقية في مناطق الحكم الذاتي التي تبدأ بإدارة

المسائل الأمنية والدفاعية بقبضة حديدية، وضبط وإدارة العلاقات الخارجية للفلسطينيين،[١٦] بالإضافة إلى السيطرة الفعلية على ٦٩ % من مساحة الضفة الغربية وقطاع غزة، وتشمل إدارة الموارد الطبيعية ومشاريع التوسع الاستيطاني، مقابل ٦ % لسلطة الحكم الذاتي، وهذا التقسيم لم ينزع من الكيان السيطرة العسكرية على كامل الضفة والقطاع، والتحرك فيها بحرية تامة بذريعة ضبط الأمن، وملاحقة نشطاء المقاومة، لذلك وفر الاتفاق غطاء شرعي للكيان الصهيوني لاستمرار الاحتلال والسيطرة على الضفة والقطاع.[١٧]

- يعتبر الأمن أولى أولويات الكيان الصهيوني، حيث سمح الكيان لسلطة الحكم الذاتي بتشكيل قوة شرطة فلسطينية يكون في مقدمة مهماتها حفظ أمن الكيان الصهيوني في إطار من التعاون الأمني غير المتكافئ مع سلطة الحكم الذاتي وعلى حساب أمن الفلسطينيين، حيث ستتولى قوة الشرطة الفلسطينية ملاحقة المقاومين الفلسطينيين واعتقالهم وتقديمهم للعدالة باعتبارهم مجرمين.[١٨]
- كان من نتائج السيادة المنقوصة التي تمتعت بها سلطة الحكم الذاتي هي بقاء نفاذ قرارته رهينة موافقة الكيان الصهيوني الذي احتفظ لنفسه بحق القبول أو الاعتراض والرفض لأي قرار من قرارات هذه السلطة التي جعل منها الاتفاق سلطة صورية.[١٩]
- نص اتفاق أوسلو على تنظيم التعاون والتنسيق بين سلطة الحكم الذاتي والكيان الصهيوني في مجال الموارد المائية، لكن الكيان الصهيوني تجاهل هذا النص، واحتكر استغلالها دون اعتبار لمصالح الفلسطينيين كجزء من سياسة الأمر الواقع التي تنتهجها سلطات الاحتلال الصهيوني في تنفيذ اتفاق أوسلو، وذلك تعبيراً عن رفضها لتوزيع الموارد المائية بشكل عادل مع الفلسطينيين، فالسيطرة عليها واستغلالها وطنياً هي مصلحة قومية عليا، ويعبر عن هذه الحقيقة أحد أعضاء وفد الكيان الصهيوني في مفاوضات واشنطن "كاتس عوز" بقوله: "أن مياه الضفة الغربية كانت وستبقى إسرائيلية حتى بعد إقامة الحكم الذاتي"، وهذا التفكير يعكس رؤية الكيان الصهيوني لمصالح على صعيد موارد الضفة والقطاع التي لا يمكن التنازل عنها أو المساومة عليها،[٢٠] ولتحقيق هذا الهدف عمل الكيان الصهيوني، في إطار تحديد صلاحيات سلطة الحكم الذاتي،

على الفصل بين الولاية على السكان والولاية على الأرض كي تبقى الموارد الطبيعية تحت سيطرته وإدارته.(٢١)

- انتهك الكيان الصهيوني أهم بند في اتفاق أوسلو المتعلق بالانسحاب من مناطق الحكم الذاتي، وقامت بإعادة انتشار لقواتها العسكرية في الضفة الغربية وقطاع غزة، واستمرت بتغيير ونقل مواقع تمركز قواتها كأداة ضغط على الجانب الفلسطيني لاختبار مدى التزام سلطة الحكم الذاتي بمسؤولياتها الأمنية، ولذلك اقتصر الانسحاب الفعلي لاحقاً من أريحا وغزة لأن عدد المستوطنات فيها محدود، وبالتالي إمكانية حدود خرق أمني محدودة، بينما احتفظ بوجود عسكري كثيف في المناطق تنتشر فيها المستوطنات بكثافة.(٢٢)
- رأى الكيان الصهيوني في المرحلة الانتقالية لاتفاق أوسلو فرصة للبدء في مخطط استيطاني كبير، وذلك بهدف تغيير الواقع الديمغرافي في الضفة الغربية والقدس قبل البدء في مفاوضات التسوية النهائية، ونتيجة إصرار على تحقيق هذا الهدف تمكن خلال فترة قصيرة من مضاعفة عدد المستوطنات في الضفة الغربية ثلاثة أضعاف، ويرى خبير الاستيطان الصهيوني في معرض تعليقه على اتفاق أوسلو قائلاً: "اتفاق أوسلو هو أحسن هدية للمستوطنين الإسرائيليين، وللمشروع الاستيطاني الإسرائيلي، لأنه خلق الظروف الملائمة التي ينتعش مشروع كهذا ضمنها، بينما تعتني السلطة الفلسطينية كما هو مفترض بالمواطنين الفلسطينيين، فإن ٦٠ بالمئة من الضفة الغربية تظل مفتوحة أمام الاستيطان".(٢٣)

المطلب الثاني: المواقف وردود الأفعال العربية على اتفاقية أوسلو

أثار توقيع اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣ العديد من ردود أفعال عربية متباينة التي تعكس، الدرجة الأولى، مصالحها الوطنية، ومدى تأثرها بهذا الاتفاق، ورؤيتها للسلام بين الدول العربية والكيان الصهيوني، وفيما يلي مواقف بعض الدول العربية المعنية بشكل مباشر بالقضية الفلسطينية.

١ – الموقف الفلسطيني

أدت اتفاقية أوسلو إلى انقسامات عميقة في بنية المجتمع الفلسطيني كاشفة عن حجم تناقضاته تجاه مسألة التسوية السياسية مع الكيان الصهيوني، وعكس موقف الفصائل والتنظيمات الفلسطينية جانباً كبيراً من هذه الانقسامات وما أحدثته من خلافات وتصدع في بنية المجتمع السياسي الفلسطيني، فبينما أيدت بعض الفصائل الفلسطينية الاتفاق رفضته فصائل أخرى، وتبنت بعض الفصائل موقفاً وسطياً وضعها بين المؤيد والمعارض، وفي الواقع اقتصر التأييد على حركة فتح، وحركة حزب الشعب الفلسطيني، والاتحاد الديمقراطي الفلسطيني،[٢٤] وعبر محمود عباس عن تأييد حركة فتح للاتفاق بأن اعتبره حدثاً فاصلاً في تاريخ القضية الفلسطينية، وخطوة مهمة باتجاه حقوق الشعب الفلسطيني، دولته المستقلة، ورأى في التزام الولايات المتحدة الأمريكية بدعم ورعاية الاتفاق ضمانة لعدم فشله وتحقيق المبتغى منه، وأشار إلى الدور الكبير الذي تبذله منظمة التحرير الفلسطينية لإنجاح الاتفاق وتنفيذ بنوده من خلال اللجان التي عمدت إلى تشكيلها لتتولى تنظيم الانتخابات، ودراسة التفاصيل المتعلقة بتشكيل السلطة الفلسطينية بعد ثلاثة شهور من بدء قوات الاحتلال الصهيوني تنفيذ انسحابها من قطاع غزة ومدينة أريحا.[٢٥] وأعلن حزب الاتحاد الديمقراطي عن تأييده للاتفاق أيضاً، وأكد أنه نقل الصراع مع الكيان الصهيوني في سبيل القضية الفلسطينية إلى مسار جديد يختلف كلياً عن مرحلة الكفاح المسلح، وذلك في سبيل استعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، كما أشاد حزب الشعب الفلسطيني بالاتفاق، واعتبره إنجاز وطني كبير يطوي مرحلة مهمة من تاريخ القضية الفلسطينية[٢٦].

بالمقابل واجه الاتفاق معارضة شديدة من بعض قيادات منظمة التحرير الفلسطينية أمثال هاني الحسين، وفاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية آنذاك، وحيدر عبد الشافي رئيس الوفد الفلسطيني المفاوض إلى مؤتمر مدريد، ومحمود درويش العضو في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، بالإضافة إلى المناضل الفلسطيني شفيق الحوت، الذين اعتبروا الاتفاق خطأً استراتيجياً جسيماً، وخطوة غير محسوبة النتائج من قبل ياسر عرفات، فهو يفتقر إلى الوضوح، وبنوده غامضة، كما أنه يحمل الكثير من التنازلات التي تمس جوهر القضية الفلسطينية لصالح الكيان الصهيوني، دون أي

مكاسب تعيد الحقوق للشعب الفلسطيني، وأعلن محمود درويش استقالته من المنظمة احتجاجاً على الاتفاق، الأمر عكس حجم الانقسامات الداخلية التي شهدتها المنظمة بعد توقيع اتفاق أوسلو.[٢٧]

ظهرت معارضة تميزت بالاعتدال والوسطية قادتها جبهة النضال الشعبي الفلسطيني، التي لم ترفض الاتفاق رفضاً قاطعاً، ولم تؤيده تأييداً كلياً، فجاء موقفها متوازناً من خلال تسليط الضوء على سلبيات الاتفاق ومخاطره على القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني، وضرورة العمل لتحويل هذه السلبيات إلى إيجابيات، ولذلك مثّلت الجبهة المعارضة المعتدلة في وجه الاتفاق،[٢٨] أما الفصائل والتنظيمات التي عارضت الاتفاق ورفضته، فجاء موقفها الرافض بحسب نهجها ووسائلها النضالية، فالفصائل التي تنتهج العمل السياسي عبرت عن رفضها لاتفاق أوسلو من خلال البيانات السياسية والتصريحات الإعلامية، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، ومنظمة الصاعقة، وجبهة التحرير العربية،[٢٩] فقد اعتبرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين اتفاق أوسلو من أخطر الهزائم التي شهدتها الأمة العربية في تاريخها الحديث، وهو تنازل صريح في قضايا أساسية تمس جوهر القضية الفلسطينية تؤدي إلى ضياع الحقوق الفلسطينية، ووصفته بأنه اتفاق العار والخضوع، وتأكيداً على موقفها الرافض للاتفاق عمدت إلى الانسحاب من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية،[٣٠] وأعنت أيضاً مقاطعة الانتخابات التشريعية والرئاسية.[٣١] ونددت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين باتفاق أوسلو تعبيراً عن رفضها لبنود وأحكامه، أكدت على أن الدولة التي تنشأ عنه ستكون مهمتها الأساسية هي الاعتراف بحق الكيان الصهيوني في الوجود، وتكريس هذا الحق، وإعطائه الشرعية لاستمرار احتلاله لفلسطين، ولذلك دعت الشعب الفلسطيني بجميع فئاته وأحزابه وتنظيماته إلى مقاطعة الكيان السياسي الذي سينبثق عن الاتفاق،[٣٢] كما أعلنت الجبهة الشعبية – القيادة العامة عن رفضها للاتفاق، ورأت أنه سيؤدي إلى تصدع الجبهة الداخلية الفلسطينية وتمزق الوحدة الوطنية، وما قد يحمله من إمكانية الاقتتال المواجهة بين فئات ومكونات المجتمع الفلسطيني، واعتبرت الاتفاق وضع القضية الفلسطينية على طريق الخيانة والاستسلام،[٣٣] ولذلك رفضت المشاركة في أي انتخابات تنظمها منظمة التحرير في إطار التأسيس للسلطة الجديدة،[٣٤]

أما الفصائل التي تتبنى النهج المقاومة والكفاح المسلح (حركة المقاومة الإسلامية – حماس، حركة الجهاد الإسلامي)، فكان صوتها الرافض والمندد بالاتفاق أكثر حدة، فرأت حركة حماس في الاتفاق خطأً كبيراً لا يمكن تفادي نتائجه، وهو مؤامرة تستهدف النيل من صمود الشعب الفلسطيني، وتبديد حقوقه والتفريط بها،[٣٥] فالاتفاق يمثّل انتهاكاً للثوابت الوطنية التي تشكل جوهر القضية الفلسطينية، واعتبرت السلطة مجرد كيان منزوع السيادة، ويخضع كلياً للاحتلال الصهيوني،[٣٦] ولذلك أعلنت حركة حماس مقاطعة انتخابات المجلس التشريعي، والمؤسسات السيادية التي ستنبثق عنه باعتبارها ستتولى تقديم التنازلات والتفريط بالحقوق،[٣٧]وأكدت الحركة على تمسكها بخيار المقاومة والكفاح المسلح ضد الكيان الصهيوني حتى تحرير الأرض واستعادة الحقوق.[٣٨] أما حركة الجهاد الإسلامي فرأت أن صياغة الاتفاق وبناءه تم وفق مطالب الكيان الصهيوني ومصالحه السياسية والأمنية، دون أي اعتبار لمطالب الفلسطينيين التي يتقدمها انسحاب الكيان الصهيوني من الأراضي المحتلة، ولذلك ترى أن الدولة الفلسطينية التي ستنبثق عن الاتفاق ستبقى خاضعة للاحتلال، لن تكون مستقلة في أي مستوى من مستويات سياساتها التي ستكرس لإعطاء الشرعية للكيان الصهيوني لاستمرار احتلاله الأراضي المحتلة، وتؤكد الحركة أن مواجهة هذا التطور في واقع القضية الفلسطينية يكون بتبني نهج المقاومة ضد الكيان الصهيوني.[٣٩]

على المستوى الشعبي فقد اعتبر فلسطينيو الشتات أن الاتفاق أضاع قضيتهم النضالية، وحرمهم من حق العودة الذي يمثل قضية جوهرية لا يمكن المساس بها، لأن ضياع هذا الحق يعني قطع أي صلة لهم بأرضهم ووطنهم فلسطين، بينما انقسم فلسطينيو الداخل إلى مؤيد للاتفاق، وعارض له، وهناك من تحفظ على مضمونه، ولكل فريق منهم الحجج والمبررات التي يستند إليها،[٤٠] لكن التيار الرافض للاتفاق لم يكتفي بالموقف الرافض، وإنما نظم مظاهرات شعبية احتجاجية شاركت فيها الأحزاب والقوى الوطنية الفلسطينية تعبيراً تمسك الشعب الفلسطيني بقضيته، وتأكيداً على مواصلة النضال والكفاح في سبيل تحرير الأرض واستعادة كامل الحقوق المشروعة.[٤١]

٢ – موقف سوريا

رأت سوريا في اتفاق أوسلو، والطريقة التي أُبرم بها في الظل، عبئاً ثقيلاً على الدول العربية، وبدرجة أكبر دول المواجهة (سورية – لبنان) التي تعتبر طرف رئيسي في الصراع العربي الصهيوني، ولذلك أدانت سوريا الاتفاق بشدة، وحذرت ممن تداعياته الكارثية على الدول العربية، وعلى القضية الفلسطينية، وعلى فرص التوصل لتسوية عادلة للصراع العربي – الصهيوني، فالاتفاق أقل بكثير من السلام والتسوية التي أرادها العرب والفلسطينيين، فالاتفاق نقل الصراع إلى آفاق جديدة لن تعيد الحقوق العربية، وتضيع الفرصة على الفلسطينيين لاستعادة حقوقهم المشروعة، وتحرير أراضهم المحتلة، ويجعل هدفهم في إقامة الدولة الفلسطينية بعيد المنال، وعبرت سوريا عن أسفها لما آلت إليه وحدة الصف الفلسطيني جراء الاتفاق من تمزق وشرذمة، وتعقيد الوضع الداخلي الفلسطيني، وما لذلك من تأثير على بناء موقف تفاوضي موحد في مواجهة الكيان الصهيوني، كما رأت سورية في الاتفاق تصفية للقضية الفلسطينية، وخروج للفلسطينيين من الصف العربي، وتجاهل لهم ولحقوقهم ودورهم في الصراع العربي – الصهيوني،[٤٢] ويخوضه العرب في سبيل قضيتهم العادلة، وهي تحرير أراضيهم التي يحتلها الكيان الصهيوني منذ عام ١٩٦٧، وتشكل المفاوضات وسيلة لاسترجاع الأرض والحقوق وإقامة السلام العادل والشامل في المنطقة، وترى سوريا أن منظمة التحرير الفلسطينية تجاهلت أهمية التنسيق والتشاور في المفاوضات التي سبقت التوقيع على اتفاق أوسلو، وأنكرت على سوريا دورها في دعم القضية الفلسطينية والفلسطينيين في سبيل استعادة حقوقهم، وتحرير أرضهم، على الرغم من اختلاف الرؤى مع بعض التنظيمات الفلسطينية حول بعض القضايا، لكن هذا الاختلاف لا يلغي أن القضية الفلسطينية قضية مركزية في أولويات سوريا الوطنية،[٤٣] لكن توقيع منظمة التحرير لاتفاق أوسلو كان مغامرة غير محسوبة، وقاد في جوهره إلى إنهاء المقاومة الفلسطينية والعمل النضالي الذي يمثل أهم أدوات الضغط على الكيان الصهيوني في سبيل استعادة الحقوق، ولذلك حقق الاتفاق العديد من الأهداف الاستراتيجية للكيان الصهيوني على حساب الجانب الفلسطيني، أهمها تعزيز أمنه، وتحريك قطار التطبيع باتجاه الدول العربية لإقامة علاقات طبيعية مع الكيان دون استعادة الأراضي العربية المحتلة.[٤٤]

رأت سوريا في خروج منظمة التحرير الفلسطينية عن الإجماع العربي من خلال اتفاق أوسلو تبديداً لأوراق القوة التي كانوا يوفرها التنسيق والتضامن العربي للفلسطينيين والعرب في مواجهة الكيان الصهيوني، ولذلك اعتبرت دمشق أن السلام المنفرد الذي وقعته منظمة التحرير أدى إلى إضعاف الموقف التفاوضي للدول العربية عموماً، الدولة السورية بشكل خاص، والتي عمدت إلى تجميد المفاوضات مع الكيان الصهيوني، واعتبرتها غير مجدية،(٤٥) لكن من جهة أخرى أراد الكيان الصهيوني عبر اتفاق أوسلو تعطيل مسار المفاوضات السوري وتهميشه، وإعطاء زخم ودفع لمسار المفاوضات الأردني، والتفرغ لتحقيق تقدم على هذا المسار، ورات سورية في هذه السياسة مؤامرة تستهدف شق الصف العربي وتمزيق وحدته، بما يسمح للكيان الصهيوني من الضغط على سوريا ولبنان والمناورة في أي مفاوضات مستقبلية، بعد بقيتا الدولتين العربيتين في مواجهة الاحتلال الصهيوني (٤٦).

٣ – موقف لبنان

ترتب على توقيع اتفاق أوسلو تصدع جدار دول المواجهة التي تطوق الكيان الصهيوني منذ تأسيسه عام ١٩٤٨، والتي تبنت على مدى عقود طويلة سياسة المقاطعة والعداء لهذا الكيان، وأبقت جبهاتها مفتوحة على احتمال المواجهة والحرب معه، كما ساهم الاتفاق في عرقلة فرصة التوصل إلى تسوية بين الكيان الصهيوني وكل من سوريا ولبنان تؤدي إلى استعادة أراضيهما المحتلة، وخصوصاً مع التغيرات في موازين القوى الإقليمية لصالح الكيان مما دفعه إلى التقليل من أهمية التوصل إلى سلام مع كل من سوريا ولبنان، ولم يعد يظهر أي جدية أو حماس للعودة إلى طاولة المفاوضات مع هاتين الدولتين اللتان عملتا إلى تبني استراتيجية تلازم المسارين بهدف قطع الطريق على الكيان الصهيوني للتوصل إلى سلام مع أي دولة منهما دون الأخرى (٤٧).

وفي ظل هذه التغيرات تبنى لبنان استراتيجية تلازم المسارين السوري – اللبناني في مفاوضات السلام، فتطابقت مواقفه إلى حد بعيد مع مواقف الحكومة السورية من أوسلو واستحقاقات السلام، وذلك بسبب تولي سورية قيادة وتوجيه هذه استراتيجية تلازم المسارين بهدف الضغط على الكيان الصهيوني في أي مفاوضات مستقبلية،(٤٨) وشكلت معاهدة الصداقة والأخوة والتعاون بين سورية ولبنان التي وُقعت في ٢٢ أيار ١٩٩١، البيئة القانونية

التي سمحت لسورية بإدارة هذه الاستراتيجية بشكل منفرد، وذلك بهدف قطع الطريق على الدولة اللبنانية للانفراد بتوقيع تسوية سياسية مع الكيان الصهيوني [٤٩]، وواجهت لبنان موقفاً داخلياً معارضاً لتلازم المسارين من العديد من القوى السياسية التي طالبت بفك الارتباط مع سوريا بما يسمح للبنان بالوصول إلى تسوية مع الكيان الصهيوني، وذلك بهدف حل قضية اللاجئين الفلسطينيين التي أولوية على القضايا الحدود والمياه والتطبيع بالنسبة لشريحة واسعة من اللبنانيين، على المستوى الرسمي والشعبي، وتعاظمت مخاوفهم بعد توقيع اتفاق أوسلو الذي تجاهل قضية اللاجئين الفلسطينيين، باعتباره يفتح الباب أمام حلها عن طريق التوطين في الدول العربية التي لجأوا إليها، وهذا الحل يرفضه اللبنانيون رفضاً قاطعاً، كونه يؤدي إلى تغيير التركيب الديمغرافي في لبنان، ونظامه السياسي على يقوم على المحاصصة الطائفية.[٥٠]

كما واجه لبنان تحدياً آخر نتج عن الاستقطاب الحاد بين الفصائل الفلسطينية حول اتفاق أوسلو، وتفكك القيادة الفلسطينية بعد توقيعه، حيث تشكلت جبهة رافضة للاتفاق ضمت فصائل فلسطينية علمانية وإسلامية بالإضافة إلى العديد من الأحزاب والقوى السياسية اللبنانية الرافضة للاتفاق[٥١]؛ لذلك تعالت الأصوات في لبنان الرسمي والشعبي التي تطالب بفك تلازم المسارين السوري اللبناني، لتعزيز فرصة تطبيق القرار ٤٢٥ بمعزل عن قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨،[٥٢] لكن هذا المطلب واجه رفضاً سورياً لضمان تحكمها بإدارة الصراع العربي – الصهيوني، كما أن تلازم المسارين سيضمن تفوق سوريا ولبنان في أي مفاوضات مستقبلية.[٥٣].

٤ – موقف مصر

أطلع ياسر عرفات الرئيس حسني مبارك على مضمون اتفاق أوسلو بعد الانتهاء من صياغته، وذلك لقناعته بأهمية دور وتأثير مصر في القضية الفلسطينية، بالإضافة لمحورية حضورها الفاعل في النظام الإقليمي، كما كان لمصر موقف داعم لموقف الفلسطينيين التفاوضي في مؤتمر مدريد للسلام، واستمر هذا الدعم في أوسلو أيضاً، ومن جهة أخرى كان ياسر عرفات يأمل أن تمارس مصر دوراً واسعاً في دفع الدول العربية لتأييد الاتفاق وعدم معارضته، وفي الواقع لم يتأخر الرئيس حسني مبارك في إعلان تأييد الاتفاق، وأكَّد

على ياسر عرفات أهمية التركيز على ورقة إعلان المبادئ باعتبارها مقدمة أساسية وضرورية للوصول إلى السلام المنشود، على الرغم من دعمه لمفاوضات واشنطن وتأكيده على أهميتها والتعويل على نتائجها،(٥٤) لكن الرئيس حسني مبارك لم يكتفي بموقف مؤيد للاتفاق، وإنما سعى للعب دور فاعل ومؤثر ليتجاوز الاتفاق كل العقبات وعوامل التعطيل، ووضعه موضع التنفيذ، وذلك من خلال حشد التأييد العربي للاتفاق،(٥٥) وبرز هذا الدور بشكل واضح في محاولة إقناع الرئيس حافظ الأسد بعدم تعطيل الاتفاق أو عرقلته، كما عمل على عودة العلاقات بين سورية ومنظمة التحرير الفلسطينية، لكنه لم يفلح في هذا المسعى مع الرئيس السوري حافظ الأسد الذي بقي متمسكاً بموقفه الرافض للاتفاق حتى تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية التي نجحت في انتزاع موافقته لاستقبال ياسر عرفات في دمشق في إشارة رمزية إلى عدم تعطيله للاتفاق(٥٦)

٥ – موقف الأردن

انطلق الأردن في تحديد موقفه من اتفاق أوسلو من الارتباط الوثيق بين أمنه القومي واستقراره الداخلي، والتوصل لحل نهائي للقضية الفلسطينية، لذلك حرص على بناء موقف متوازن إلى حد بعيد من الاتفاق، فجمع موقفه بين الدعم الدبلوماسي للسلام، والتحذير من مخاطر الاتفاق على القضية الفلسطينية، فأعلن الأردن عن دعمه للسلام في المنطقة، لكنه تحفظ على الاتفاق كونه يسعى لتحقيق سلام منفرد مع الكيان الصهيوني، وانتقد تجاهله مسألة القدس، والاستيطان، وانتقد أيضاً تجاهل الاتفاق لقضية اللاجئين وحق العودة نظراً لوجود عدد كبير من الفلسطينيين في الأردن الذين يشكلون نصف سكانه، وما لذلك من تداعيات على الأمن الاجتماعي في الأردن(٥٧).

٦ – موقف مجلس التعاون الخليجي

كان خبر إعلان توقيع اتفاق أوسلو مفاجئاً لدول مجلس التعاون الخليجي، ولكنها رحبت بالاتفاق نظراً للظروف التي كانت تمر بها القضية الفلسطينية، اعتبرت الاتفاق خطوة مهمة للوصول إلى السلام المنشود بين الفلسطينيين والكيان الصهيوني الذي ينهي الصراع بينهما، ويعيد الحقوق الفلسطينية، وينهي الصراع العربي الصهيوني، والذي يستند إلى قرارات

الأمم المتحدة ٢٤٢ و٣٣٨، ومبدأ الأرض مقابل السلام، وهي تأمل أن يؤدي الاتفاق إلى تحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة العربية.(٥٨)

وعملت دول مجلس التعاون الخليجي على دعم ومساندة مساعي السلام في المنطقة العربية التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية، وطلبت منها اتخاذ خطوات أكثر جدية وإيجابية لدفع عملية السلام على كافة المسارات، فهي كانت تنظر إلى السلام بين سورية والكيان الصهيوني على أنه مفتاح السلام والاستقرار في المنطقة، ولذلك كانت معنية باستعادة سوريا مرتفعات الجولان، وانسحاب الكيان الصهيوني من جنوب لبنان، والتوصل إلى حل عادل وشامل للقضية الفلسطينية، وذلك بهدف التوصل إلى تسوية سياسية للصراع العربي – الصهيوني، وفي هذا الشأن طالبت الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية بتحمل مسؤولياتهم تجاه علمية السلام من خلال الضغط على الكيان الصهيوني للتخلي عن سياساته الاستيطانية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ومنعه من تنفيذ مشاريعه لتهويد القدس. أكدت دول مجلس التعاون الخليجي على أهمية التوصل إلى تسوية سياسية بين الفلسطينيين والكيان الصهيوني لتأسيس واقع جديد من الأمن والاستقرار لدول المنطقة العربية، ويعزز مناخ التعاون التجاري، وتبادل المنافع والمصالح الاقتصادية، ويعزز فرص الاستثمار والتنمية، وذلك بهدف خلق بيئة من الود والصداقة بين الدول العربية والكيان الصهيوني تتجاوز العداء التاريخي بينهما، وأرثه الثقافي في الوجدان العربي بما يفضي إلى نشر ثقافة السلام والتعايش بين شعوب المنطقة، وتطبيع العلاقات السياسية والدبلوماسية، ومن جهة أخرى رفضت دول مجلس التعاون الخليجي سياسة الكيان الصهيوني لعرقلة اتفاق أوسلو ومحاولة التهرب من الالتزام بتنفيذ بنوده وأحكامه، وما سينجم عنه من تعطيل لعملية السلام ومسار التسوية في المنطقة العربية، ورأت في سياسات الكيان الصهيوني وممارساته لعرقلة تنفيذ الاتفاق، تعبيراً عن عدم جديته وإرادته في التوصل إلى تسوية سياسية، وهو سلوك يتناقض مع متطلبات السلام ومبادئه، ولذلك دعت الكيان الصهيوني للوفاء بالتزاماته، ومسؤولياته تجاه عملية السلام، ضرورة الالتزام بمضمون اتفاق أوسلو للوصول إلى التسوية النهائية للقضية الفلسطينية.(٥٩)

٧ – موقف جامعة الدول العربية

أكدت جامعة الدول العربية على دعمها لاتفاق أسلو، وهذا الموقف نابع من تقييم يعتبر الاتفاق خطوة جدية لإلزام الكيان الصهيوني بالانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة، بما يؤدي إلى تحقيق السلام بين الكيان الصهيوني والفلسطينيين، كما رأت فيه مقدمة ضرورية وهامة لتحفيز مسارات السلام الأخرى لإنهاء الاحتلال الصهيوني لجميع الأراضي العربية التي احُتلت عام ١٩٦٧، كشرط أساسي لتحقيق السلام وإقامة الأمن والاستقرار في المنطقة العربية،[٦٠] ويعكس ترحيب جامعة الدول العربية ودعمها للاتفاق في جانب منه أهمية التمسك بمرجعية مؤتمر مدريد وقرارات الشرعية الدولية ٢٤٢ و٣٣٨، كأساس لتحقيق السلام في المنطقة العربية، وطالب الجامعة في إطار دعمها للاتفاق توفير كل أشكال الدعم السياسي والاقتصادي للسلطة الوطنية الفلسطينية لتمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة السيادة على أرضه، لبناء دولته المستقلة تكون عاصمتها القدس، وأكدت الجامعة العربية على أن تحقيق السلام العادل والشامل في المنطقة العربية يرتبط بشكل أساسي باضطلاع الولايات المتحدة بمسؤولياتها تجاه عملية السلام، ودفع أطرافه باتجاه التوصل إلى تسوية سياسية تحقق السلام في المنطقة، لتنعم شعوبها بالاستقرار والأمان، والرخاء الاقتصادي، ويسمح لها بإطلاق طاقاتها في التنمية والبناء للخروج من دوامة العنف والصراع، كما أكدت جامعة الدول العربية إلى ضرورة أن تتحمل الأمم المتحدة أيضاً بمسؤولياتها تجاه اتفاق أوسلو، والتي تبدأ بالضغط على الكيان الصهيوني للتخلي عن سياسة المماطلة والتسويف الهادفة لتعطيل الاتفاق بما يسمح بتنفيذ الاتفاق، وممارسة السلطة الفلسطينية صلاحياتها بموجب بنوده وأحكامه على أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة، ولضمان نجاح هذا المسعى يمكن أن يمارس الاتحاد الأوروبي، دوراً إيجابياً وفعالاً في دعم عملية السلام، وتوفير الظروف الملائمة لتعزيز فرص التوصل إلى تسوية تنهي الصراع بين الفلسطينيين والكيان الصهيوني، وتحقق السلام. ولتفعيل دور أوروبا في عملية السلام تعمل جامعة الدول العربية على تعزيز العلاقات بين الفلسطينيين والأوروبيين من خلال تقديم الدعم السياسي والاقتصادي للسلطة الوطنية الفلسطينية، وتعزيز شرعيتها من خلال رفع مستوى التمثيل الدبلوماسي معها، والضغط على الكيان الصهيوني للتخلي عن ممارستها الهادفة إلى تعطيل

مسيرة السلام، وتنفيذ التزاماتها تجاه السلام، وفي مقدمتها قرارات الشرعية الدولية ذات الصلة التي تمثل جوهر اتفاق أوسلو، وعلى الرغم من الارتدادات القاسية لاتفاق أوسلو، إلا أن الجامعة العربية بقيت ملتزمة باستحقاقات القضية الفلسطينية، وبشكل رئيسي التوصل لتسوية عادلة تعيد حقوق الشعب الفلسطيني، وحافظت على هذا الالتزام بعد توقيع من خلال دعم السلطة الوطنية الفلسطينية لتكون قادرة على لعب دور فاعل ومؤثر على الساحة الدولية،[٦١] لكن اتفاق أوسلو كشف عجز الجامعة العربية عن بلورة موقف عربي مشترك تجاه الصراع العربي – الصهيوني، وعملية السلام، وظهر عجزها في اندفاع العديد من الدول العربية، كالأردن والمغرب، لتطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني، الذي استغل حالة التمزق والتفكك العربي للاستمرار في سياساته الاستيطانية وضم المزيد من الأراضي بهدف عرقلة مساعي الفلسطينيين لإقامة دولتهم المستقلة.[٦٢]

٨ – موقف الكيان الصهيوني

توضح أحكام الاتفاق احتفاظ الكيان الصهيوني بسيطرته العسكرية في الضفة الغربية وقطاع غزة، والمعابر والحدود البرية والحرية والجوية، الأمر الذي مكَّنها من فرض سياسة أمنية صارمة على نشاط السلطة الوطنية الفلسطينية والفلسطينيين في مناطق الحكم الذاتي، من خلال فرض الحصار على المدن والقرى الفلسطينية، وتنفيذ عمليات هدم المنازل وتهجير الفلسطينيين، بهدف التضييق على السلطة الفلسطينية وحرمانها من ممارسة صلاحياتها، وضمنت البنود الاقتصادية للاتفاق تبعية الاقتصاد الفلسطيني لاقتصاد الكيان الصهيوني، كما أن الاتفاق لم يقيد سياسة الاستيطان الصهيوني في الأراضي العربية المحتلة،[٦٣] لكن تقييم الاتفاق وردود الأفعال اتجاهه اختلفت من حزب إلى آخر في الكيان الصهيوني، فقد رفض حزب الليكود((٦٤)) اليميني الاتفاق واعتبره خيانة للأرض والشعب اليهودي، فهوي يعتبر أن فلسطين من البحر إلى النهر هي ملك لليهود، ولذلك يرى أن أي تسوية هي ضعف استراتيجي، وينبغي السيطرة الكاملة على الضفة الغربية وقطاع غزة،[٦٥] ورفض حزب شاس[٦٦] أيضاً الاتفاق بشدة أي تنازل عن أراضي الكيان الصهيوني التي يعتبرها أرضهم التاريخية، وبشكل خاص القدس والضفة الغربية، وذلك انطلاقاً من الارتباط الديني والتاريخي للشعب اليهودي بأرض فلسطين، لكن بالرغم من هذا الموقف إلا أنه أعلن دعمه

لحل الدولتين إلا اكن لا يتضمن هذا الحل إقامة دولة فلسطينية على أرض فلسطين، وهو يفضل إدارة ذاتية محدودة للفلسطينيين في ظل سيطرة عسكرية وأمنية كاملة للكيان الصهيوني،[٦٧] أما حزب العمل[٦٨] اليساري فكان القوة الرئيسية وراء توقيع الاتفاق، لذلك فهو يعتبر السلام الخيار الوحيد الضامن لأمن الكيان الصهيوني ووجودها، ويحاف على الهوية اليهودية للكيان الصهيوني، لذلك رأى أن الاتفاق خطوة استراتيجية لتحقيق السلام مع الفلسطينيين، وهو يدعم حل الدولتين (دولة فلسطينية ودولة الكيان الصهيوني) كأساس للتسوية السياسية بشرط أن تضمن السيادة الصهيونية على كامل أراضي فلسطين، وتلغي حق العودة للفلسطينيين، وحكومة حزب العمل هي التي قادت مفاوضات أوسلو، وأنجزت اتفاق السلام، ولذلك فإن موقف حزب العمل إنما يعبر عن موقف حكومة الكيان الصهيوني من اتفاق أوسلو.[٦٩]

الخاتمة والنتائج

في ختام هذا البحث حول اتفاقية أوسلو والردود العربية عليها، نجد أن هذه الاتفاقية تمثل واحدة من أكثر اللحظات حساسية وتعقيداً في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، فقد كانت بمثابة أمل للسلام في منطقة يسودها النزاع، ولكنها أيضاً أثارت جدلا بين الدول العربية غير مسبوق، وهذا ما أظهر المخاوف والانقسامات الداخلية والتوجهات السياسية المتباينة بين الدول، كما كانت هناك مواقف مختلفة من الدول العربية الكبرى، إذ اتجهت بعض الدول إلى دعم استمرار عملية السلام بينما تبنت أخرى نهجاً يركز على النقد والمطالبة بإعادة النظر في بعض جوانب العملية.

النتائج

١. أظهرت الدراسة أن ردود الفعل على اتفاقية أوسلو كانت متباينة بشكل ملحوظ، حيث تباينت وجهات نظر الدول بين المؤيد والمعارض، مما يعكس حاجة كل دولة للتعامل مع مصالحها الوطنية والإقليمية.

٢. أفرزت الاتفاقية توترات داخلية في بعض الدول العربية، حيث شهدت بعض الحكومات ضغوطًا داخلية من مواطنيها بسبب مواقفها من الاتفاقية.

٣. تنوع الآراء، فقد تمثلت ردود الفعل العربية في استراتيجيات مختلفة تجاه السلام، حيث يبدو أن بعض الدول قد اتجهت نحو مد جسور التواصل مع إسرائيل، بينما أكدت أخرى تمسكها بالحقوق الفلسطينية وتأييدها لمواقف أكثر تشدداً.

٤. أثرت الاتفاقية بشكل كبير على الحركة الوطنية الفلسطينية، حيث أدت إلى انقسام في الرؤية المستقبلية والنضال لتحقيق الحقوق الفلسطينية.

الهوامش:

(١) – عقل محمد أحمد صلاح، حركة حماس وممارستها السياسية والديمقراطية ١٩٩٢ – ٢٠١٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ٢٠١٦، ص ١٢٠ – ١٢١.

(٢) – إعلان مبادئ بشأن ترتيبات الحكومة الذاتية الانتقالية (المسودة النهائية المتفق عليها في ١٩ آب ١٩٩٣)، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد ٤، العدد ١٦، خريف ١٩٩٣، ص ٢.

(٣) – إعلان مبادئ بشأن ترتيبات الحكومة الذاتية الانتقالية (المسودة النهائية المتفق عليها في ١٩ آب ١٩٩٣)، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد ٤، العدد ١٦، خريف ١٩٩٣، ص ٤.

(٤) – أسامة أبو أرشيد، معنى حل الدولتين في ظل تقويض إمكان إقامة دولة فلسطينية، ندوة بعنوان: "مستقبل المشروع الوطني الفلسطيني"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ١٤ – ١٥ تشرين الثاني، ٢٠١٥، ص ٥٤ – ٥٥.

(٥) – رولا سرحان، نصوص اتفاق أوسلو وفشل التطبيق ١٩٩٣ – ٢٠٠٠، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بير زيت، كلية الدراسات العليا، ٢٠١٦، ص ٢٩ – ٣١.

(٦) – رولا سرحان، مصدر سابق، ص ٣٢ – ٣٤.

(٧) – رولا سرحان، مصدر سابق، ص ٣٨ – ٤٢.

(٨) – طاهر شاش، مفاوضات التسوية النهائية والدولة النهائية – الآمال والتحديات، ط١، دار الشروق، القاهرة، مصر، ١٩٩٩، ص ٥٩.

(٩) – طاهر شاش، مصدر سابق، ص ٦٣ – ٦٥.

(١٠) – فاتح شيباني، اتفاقية أوسلو: المواقف والدوافع، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد ٦، العدد ١، ٢٠٢٠، ص ٤٢ – ٤٣.

(١١) – محسن محمد صالح، فلسطين – دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ط١، كولالمبور، ماليزيا، ٢٠٠٢، ص ٢٧٦ – ٢٧٧.

(١٢) – حنان محمود عرفات، أثر اتفاق أوسلو على الوحدة الوطنية الفلسطينية وانعكاسها على التنمية السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٥، ص ٨٩ – ٩٠.

(١٣) – منير شفيق، اتفاق أوسلو وتداعياته، منشورات فلسطين مسلمة، ص ٣ – ٤.

(١٤) – أماني يونس الأطرش، مصدر سابق، ص ٤٩ – ٥٠.

(١٥) – محسن محمد صالح، مصدر سابق، ص ٢٩٢.

(١٦) – طاهر شاش، مصدر سابق، ص ٦٠.

(١٧) – حنان حنا رفيدي قمر، خفايا الخطوة الإسرائيلية إلى أوسلو – ما بين الأهداف والاستراتيجية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بيرزيت، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٧، ص ٢١٥.

(١٨) – أماني يونس الأطرش، مصدر سابق، ص ٥٠.

(١٩) – طاهر شاش، مصدر سابق، ص ٦١.

(٢٠) – أماني يونس الأطرش، مصدر سابق، ص ٥٠.

(٢١) – حنان حنا رفيدي قمر، مصدر سابق، ص ٢١٧.

(٢٢) – طاهر شاش، مصدر سابق، ص ٦٢.

(٢٣) – أماني يونس الأطرش، مصدر سابق، ص ٥١.

(٢٤) حسين أبو شنب، الاتفاق الفلسطيني الإسرائيلي– الرأي والرأي الآخر، مكتبة مدبولي، القاهرة– مصر، ١٩٩٥، ص ٢١٠– ٢٢١.

(٢٥) – الهيئة العامة للاستعلامات، أجهزة الإعلام العالمية ومواكبة أبعاد الاتفاق الفلسطيني الإسرائيلي من ٩/١٧ إلى ١٩٩٣/٩/٢٥، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة – مصر، ١٩٩٣، ص ٥.

(٢٦) – أنور جمعة حرب أبو مور، التطور التاريخي لمشروع الدولة الفلسطينية (١٩٦٤ – ١٩٩٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية – غزة، كلية الآداب، ٢٠١٤، ص ٢٠٢.

(٢٧) فاتح شيباني، اتفاق أوسلو– المواقف الدوافع، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج ٦، العدد ١، ٢٠٢٠، ص ٤٤

(٢٨) – حسين أبو شنب، مصدر سابق، ص ٢٢٢ – ٢٣١.

(٢٩) – فاتح شيباني، مصدر سابق، ص ٤٣ – ٤٤.

(٣٠) – بيان للقيادة الموحدة للجبهتين الديمقراطية والشعبية تعلن فيه انسحاب الجبهتين من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية – دمشق ١٩٩٣/٩/١٠، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج ٤، العدد ١٦، خريف ١٩٩٣، ص ٢١٧.

(٣١) – بيان اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تدعو فيه إلى مقاطعة انتخابات مجلس الحكم الذاتي الفلسطيني – دمشق ١٩٩٥/١٢/٧، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج ٧، العدد ٢٦، ربيع ١٩٩٦، ص ٢١٨.

(٣٢) – بيان للقيادة الموحدة للجبهتين الديمقراطية والشعبية تعلن فيه انسحاب الجبهتين من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية – دمشق ١٩٩٣/٩/١٠، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج ٤، العدد ١٦، خريف ١٩٩٣، ص ٢١٧.

(٣٣) – تصريح للأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة يذكر فيه ياسر عرفات بمصير الرئيس الراحل أنور السادات – دمشق ١٩٩٣/٨/٣٠، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج ٤، العدد ١٦، خريف ١٩٩٣، ص ٢٠٤.

(٣٤) – بيان للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة تحذر فيه من انتخابات مجلس الحكم الذاتي الفلسطيني – دمشق ١٩٩٥/١٢/١٦، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج ٧، العدد ٢٦، ربيع ١٩٩٦، ص ٢٢٣.

(٣٥) – بيان للناطق الرسمي باسم حماس يندد فيه بمشروع الاتفاق الفلسطيني – الإسرائيلي – عمان ١٩٩٣/٩/٤، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج ٤، العدد ١٦، خريف ١٩٩٣، ص ٢١٠.

(٣٦) – مذكرة حركة المقاومة الإسلامية حماس بشأن اتفاق أوسلو بعد خمسة أعوام من توقيعه ١٩٩٨/٨/١٧، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج ٩، العدد ٣٦، خريف ١٩٩٨، ص ٢٠٢.

(٣٧) – بيان لـ حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين – حماس تؤكد فيه رفضها المشاركة في انتخابات مجلس الحكم الذاتي الفلسطيني أواخر تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٥، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج ٧، العدد ٢٦، ربيع ١٩٩٦، ص ٢١٧.

(٣٨) – حديث صحفي لرئيس المكتب السياسي لحركة حماس يعرض فيه موقف الحركة من المشاركة في انتخابات الحكم الذاتي، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج ٥، العدد ١٧، شتاء ١٩٩٤، ص ٢٢٩.

(٣٩) – أنور جمعة حرب أبو مور، مصدر سابق، ص ٢٠٥.

(٤٠) – فاتح شيباني، مصدر سابق، ص ٤٥.

(٤١) – أنو جمعة حرب أبو مور، مصدر سابق، ص ٢٠٠.

(٤٢) – فاروق الشرع، الرواية المفقودة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة – قطر، ٢٠١٥، ص ٢٩٢.

(٤٣) – الرئيس السوري حافظ الأسد: نريد السلام الكامل مع إسرائيل، مقابلة أجرتها صحيفة القدس العربي مع الرئيس حافظ الأسد، مجلة شؤون فلسطينية، العدد ٢٤٢ – ٢٤٣، ١٩٩٣، ص ١٥٦– ١٥٧.

(٤٤)طـه الغرنـاوي، الصـراع العربـي الإسـرائيلي فـي ضـمير دبلوماسـي مصـري، دار المسـتقبل العربـي، القاهرة– مصر، ١٩٩٤،ص ٢٨٠.

(٤٥) – إبراهيم قرمة، اتفاقات أوسلو – أبعادها الإقليمية والدولية ١٩٩١ – ١٩٩٥، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد خضير بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١٩، ص ١٠٤.

(٤٦) – محمد عبد القادر محمد، استراتيجية التفاوض السوري مع إسرائيل، مركز الإمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٩، ص ١٧.

(٤٧) – عدنان السيد حسين، لبنان وسورية في مفاوضات التسوية (في كتاب العلاقات اللبنانية السورية – محاولة تقويمية)، الحركة الثقافية، أنطلياس – لبنان، ٢٠٠١، ص ٢٩٦.

(٤٨) – جورج مغامس، المفاوضات بين لبنان وإسرائيل: تسوية سلام ونظام إقليمي جديد، منشورات جامعة سيدة اللويزة، لبنان، ٢٠٠٠، ص ١٦٦.

(٤٩) – مصطفى فرحان تقي، أثر المتغير الأمني في العلاقات اللبنانية السورية بعد عام ٢٠١١، بحث ترقية إلى درجة المستشار، وزارة الخارجية العراقية، معهد الخدمة الخارجية، ٢٠٢٠، ص ٣١ – ٣٤.

(٥٠) – أمل عيتاني وعلى هويدي ومعين مناع وزياد الحسن ومحمود حنفي ونافذ أبو حسنة، أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت – لبنان، ٢٠٠٨، ص ١٥٢ – ١٥٤.

(٥١) – آري كنودسن وساري حنفي، اللاجئون الفلسطينيون في المشرق العربي – الهوية والفضاء والمكان، ترجمة: ديمة الشريف وجابر سليمان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة – قطر، ٢٠١٥، ص ٢٠٠.

(٥٢) – جورج مغامس، مصدر سابق، ص ٢٩٧.

(٥٣) – علا بطرس، الاستراتيجية السورية في لبنان بين الأسد – الأب والأسد – الأبن ١٩٧٠ – ٢٠٠٩، الناشر: المؤلف، بيروت – لبنان، ٢٠١١، ص ٨٣.

(٥٤) – اديب ذيب أحمد طه، الموقف المصري الرسمي من مفاوضات السلام الفلسطينية – الإسرائيلية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، العدد ٦١، تشرين الثاني ٢٠٢٢، ص ٤٥.

(٥٥) – حديث صحافي للرئيس حسني مبارك بشأن فرصة المصالحة العربية وعملية السلام في الشرق الأوسط والموقف من القدس وقضايا أخرى ١٩٩٤/٩/١، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد ٥، العدد ٢٠، ١٩٩٤، ص ٢٥٥.

(٥٦) – اديا ب ذيب أحمد طه، مصدر سابق، ص ٤٥ – ٤٧.

(٥٧) – آشر سيسار، ليس سلاماً منفرداً حتى الآن، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد ٥، العدد ١٩، صيف ١٩٩٤، ص ٩٩ – ١٠١.

(٥٨) – محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية وخلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة وللدراسات والاستشارات، بيروت – لبنان، ٢٠٢٢، ص ١١٢.

(٥٩) – محمد عودة الأغا، موقف مجلس التعاون لدول الخليجي العربي من الصراع العربي – الإسرائيلي، مجلة رؤية التركية، العدد ١٥، ٢٠١٥، ص ١٥٠ – ١٥١.

(٦٠) – أنور جمعة حرب أبو مور، التطور التاريخي لمشروع الدولة الفلسطينية (١٩٦٤ – ١٩٩٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية – غزة، كلية الآداب، ٢٠١٤، ص ٢٠٥.

(٦١) – محمد محمود المغني، موقف جامعة الدول العربية من القضية الفلسطينية من خلال القرارات والبيانات الرسمية الصادرة عنها (١٩٨٧ – ٢٠٠٦)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية – غزة، كلية الآداب، ٢٠١٦، ص ١٠٣ – ١٠٤.

(٦٢) – إدوارد سعيد، أوسلو ٢ سلام بلا أرض، دار المستقبل العربي، القاهرة – مصر، ١٩٩٥، ص ١٠٩ – ١١٠.

(63) – Sela. Avraham, "Difficult Dialogue: The Oslo Process in Israeli Perspective." Macalester International, vol. 23, no. 1, 2009, pp. 120 – 121.

(٦٤) – حزب الليكود: يعد من الأحزاب الرئيسية في الكيان الصهيوني، تأسس عام ١٩٧٣ بعد اندماج حزب "حيروت" وحزب "الليبرالي"، وهو حزب "يمين وسط"، ومن أبرز زعمائه (مناحيم بيغين، اسحاق شامير، أرييل شارون، بنيامين نتنياهو)، وهو يهيمن على المشهد السياسي، ويلعب دوراً محورياً في تشكيل سياسة الكيان الصهيوني، سواء بالانتخابات أو من خلال التحالفات، وتولى الحزب السلطة خلال (١٩٧٧ – ١٩٨٤)، (١٩٨٦ – ١٩٩٢)، (١٩٩٦ – ١٩٩٩)، (٢٠٠١ – ٢٠٠٥). للمزيد ينظر: محمد جمال الدين العلوي، الأحزاب وأثرها في رسم السياسات الإسرائيلية، مجلة دراسات إقليمية، مج ٥، العدد ١٤، ٢٠٠٩، ص ١٥ – ١٧.

(٦٥) – وليد حباس، قراءة في مواقف الأحزاب الإسرائيلية من اتفاق أوسلو: حل الدولتين والتسوية السياسية، أوراق إسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، تشرين الثاني ٢٠٢٢، ص ٢١ – ٢٢.

(٦٦) – حزب شاس: من أبرز الأحزاب الدينية في الكيان الصهيوني، تأسس عام ١٩٨٤، برئاسة " رابي عوفاد يهوذا أفوتشر"، وهو كحركة دينية – سياسية تأسس بهدف إعادة التوراة لمكانتها، حماية مصالح المجتمع الديني الذي ينحدر من أصل يمني، يعتبر الحزب التيارات الدينية المتطرفة التي تؤكد التزامها الصارم بالشريعة التوراتية، والنصوص الدينية، ويعتبر "التلمود" أساساً للحكم والسلوك، ولذلك يؤكد الحزب على القضايا المتعلقة بالدين والهوية اليهودية، ويعارض التأثيرات العلمانية والليبرالية. للمزيد ينظر: أسامة حسين حسن فيومي، دور الأحزاب الدينية في إسرائيل في الحياة السياسية – حزب شاس نموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٢٣، ص ٣٣ – ٤٤.

(٦٧) – وليد حباس، المصدر السابق، ص ٤٦ – ٤٧.

(٦٨) – حزب العمل: وهو حزب يساري، وهو من أهم الأحزاب في الحياة السياسية في الكيان الصهيوني، وهو من أهم منافسي حزب الليكود. تأسس عام ١٩٣٠، من محموعة من الاتحادات ذات الطابع الاشتراكي باسم "ماباي" و"المعراخ"، وسيطر الحزب منذ تأسيسه على الهستدروت، والحركة الصهيونية العالمية، كما قام بتأسيس منظمتي (الهاغانا) و(البلماخ) الإرهابيتين، ومن أبرز مؤسسي الحزب (ديفيد بن غوريون، غولدا مائير، شمعون بيريز، اسحاق رابين، إيهود باراك). تولى الحزب السلطة خلال (١٩٤٧ – ١٩٧٧)، (١٩٨٤ – ١٩٩٠)، (١٩٩٢ – ١٩٩٦)، (١٩٩٩ – ٢٠٠١). للمزيد ينظر: محمد جمال الدين العلوي، مصدر سابق، ص ١٤ – ١٥.

(٦٩) – وليد حباس، المصدر السابق، ص ٥٦ – ٥٧.

المصادر

- **الكتب**:

١. إدوارد سعيد، أوسلو ٢ سلام بلا أرض، دار المستقبل العربي، القاهرة – مصر، ١٩٩٥.

٢. آري كنودسن وساري حنفي، اللاجئون الفلسطينيون في المشرق العربي – الهوية والفضاء والمكان، ترجمة: ديمة الشريف وجابر سليمان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ٢٠١٥.

٣. جورج مغامس، المفاوضات بين لبنان وإسرائيل: تسوية سلام ونظام إقليمي جديد، منشورات جامعة سيدة اللويزة، لبنان، ٢٠٠٠.

٤. حسين أبو شنب، الاتفاق الفلسطيني الإسرائيلي – الرأي والرأي الآخر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥.

٥. طاهر شاش، مفاوضات التسوية النهائية والدولة النهائية – الآمال والتحديات، ط١، دار الشروق، القاهرة، مصر، ١٩٩٩.

٦. طه الغرناوي، الصراع العربي الإسرائيلي في ضمير دبلوماسي مصري، دار المستقبل العربي، مصر، ١٩٩٤.

٧. عدنان السيد حسين، لبنان وسورية في مفاوضات التسوية (في كتاب العلاقات اللبنانية السورية – محاولة تقويمية)، الحركة الثقافية، أنطلياس – لبنان، ٢٠٠١.

٨. علا بطرس، الاستراتيجية السورية في لبنان بين الأسد– الأب والأسد– الأبن ١٩٧٠ – ٢٠٠٩، بيروت – لبنان، ٢٠١١.

٩. محسن محمد صالح، فلسطين، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ط١، ماليزيا، ٢٠٠٢.

١٠. منير شفيق، اتفاق أوسلو وتداعياته، منشورات فلسطين مسلمة.

١١. الهيئة العامة للاستعلامات، أجهزة الإعلام العالمية ومواكبة أبعاد الاتفاق الفلسطيني الإسرائيلي من ٩/١٧ إلى ١٩٩٣/٩/٢٥، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة – مصر، ١٩٩٣.

الرسائل والأطاريح

١. أنور جمعة حرب أبو مور، التطور التاريخي لمشروع الدولة الفلسطينية (١٩٦٤ – ١٩٩٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية – غزة، كلية الآداب، ٢٠١٤.

٢. أسامة حسين حسن فيومي، دور الأحزاب الدينية في إسرائيل في الحياة السياسية – حزب شاس نموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٢٣، ص ٣٣ – ٤٤.

٣. إبراهيم قرمة، اتفاقات أوسلو – أبعادها الإقليمية والدولية ١٩٩١ – ١٩٩٥، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد خضير بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١٩، ص ١٠٤.

٤. حنان حنا رفيدي قمر، خفايا الخطوة الإسرائيلية إلى أوسلو – ما بين الأهداف والاستراتيجية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بيرزيت، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٧.

٥. حنان محمود عرفات، أثر اتفاق أوسلو على الوحدة الوطنية الفلسطينية وانعكاسها على التنمية السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٥.

٦. رولا سرحان، نصوص اتفاق أوسلو وفشل التطبيق ١٩٩٣ – ٢٠٠٠، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بير زيت، كلية الدراسات العليا، ٢٠١٦.

٧. محمد محمود المغني، موقف جامعة الدول العربية من القضية الفلسطينية من خلال القرارات والبيانات الرسمية الصادرة عنها (١٩٨٧ – ٢٠٠٦)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية – غزة، كلية الآداب، ٢٠١٦.

المجلات والصحف:

١. مجلة الدراسات الفلسطينية، مج ٤، العدد ١٦، خريف ١٩٩٣
٢. مجلة الدراسات الفلسطينية، مج ٥، العدد ١٧، شتاء ١٩٩٤.
٣. مجلة الدراسات الفلسطينية، مج ٧، العدد ٢٦، ربيع ١٩٩٦.
٤. مجلة الدراسات الفلسطينية، مج ٩، العدد ٣٦، خريف ١٩٩٨
٥. مجلة الدراسات الفلسطينية، مجلد ٥، العدد ٢٠، ١٩٩٤.
٦. مجلة دراسات إقليمية، مج ٥، العدد ١٤، ٢٠٠٩.
٧. مجلة شؤون فلسطينية، العدد ٢٤٢ – ٢٤٣، ١٩٩٣

الأبحاث:

١. ادياب ذيب أحمد طه، الموقف المصري الرسمي من مفاوضات السلام الفلسطينية – الإسرائيلية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، العدد ٦١، تشرين الثاني ٢٠٢٢.
٢. أسامة أبو أرشيد، معنى حل الدولتين في ظل تقويض إمكان إقامة دولة فلسطينية، ندوة بعنوان: "مستقبل المشروع الوطني الفلسطيني"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ١٤ – ١٥ تشرين الثاني، ٢٠١٥.
٣. آشر سيسار، ليس سلاماً منفرداً حتى الآن، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد ٥، العدد ١٩، صيف ١٩٩٤.
٤. أماني يونس الأطرش، اتفاق أوسلو السياق التاريخي والتداعيات، أكاديمية دراسات اللاجئين، دبلوم الدراسات الفلسطينية، بحث، ٢٠١٨ .
٥. أمل عيتاني وعلى هويدي ومعين مناع وزياد الحسن ومحمود حنفي ونافذ أبو حسنة، أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت – لبنان، ٢٠٠٨
٦. عقل محمد أحمد صلاح، حركة حماس وممارستها السياسية والديمقراطية ١٩٩٢ – ٢٠١٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ٢٠١٦.

٧. فاتح شيباني، اتفاق أوسلو – المواقف الدوافع، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج ٦، العدد ١، ٢٠٢٠.
٨. فاروق الشرع، الرواية المفقودة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة – قطر، ٢٠١٥.
٩. محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية وخلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة وللدراسات والاستشارات، بيروت – لبنان، ٢٠٢٢.
١٠. محمد جمال الدين العلوي، الأحزاب وأثرها في رسم السياسات الإسرائيلية، مجلة دراسات إقليمية، مج ٥، العدد ١٤، ٢٠٠٩
١١. محمد عبد القادر محمد، استراتيجية التفاوض السوري مع إسرائيل، مركز الإمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٩
١٢. محمد عودة الأغا، موقف مجلس التعاون لدول الخليجي العربي من الصراع العربي – الإسرائيلي، مجلة رؤية التركية، العدد ١٥، ٢٠١٥
١٣. مصطفى فرحان تقي، أثر المتغير الأمني في العلاقات اللبنانية السورية بعد عام ٢٠١١، بحث ترقية إلى درجة المستشار، وزارة الخارجية العراقية، معهد الخدمة الخارجية، ٢٠٢٠.
١٤. وليد حباس، قراءة في مواقف الأحزاب الإسرائيلية من اتفاق أوسلو: حل الدولتين والتسوية السياسية، أوراق إسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، تشرين الثاني ٢٠٢٢.

المصادر باللغة الانكليزية:

15. Sela. Avraham, "Difficult Dialogue: The Oslo Process in Israeli Perspective." Macalester International, vol. 23, no. 1, 2009
16. Gómez Díaz. Donato, "European Union" In Encyclopedia of Business in Today's World, edited by Charles Wankel, Los Angeles: SAGE Publications, 2009,

تدمير بابل على يد سنحاريب وأثره على البابليين

م.م. ارجوان لؤي غانم

قسم اللغات العراقية القديمة

كلية الاثار/ جامعة الموصل

تدمير بابل على يد سنحاريب وأثره على البابليين

م.م. ارجوان لؤي غانم

الملخص:

تُعَدُّ حملة الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٤–٦٨١ ق.م) على مدينة بابل واحدة من أبرز المحطات في تاريخ بلاد الرافدين وأكثرها إثارة للجدل. فهي لم تكن مجرد مواجهة عسكرية، بل صراعًا سياسيًا ودينيًا عميقًا بين الإمبراطورية الآشورية الصاعدة والمدينة البابلية ذات المكانة الروحية والرمزية الكبرى. وقد انتهى هذا الصراع بقرار صادم وغير مسبوق بتدمير بابل سنة ٦٨٩ ق.م تدميرًا شاملًا.

لقد كانت بابل مركزًا دينيًا مهمًا، إذ احتوت معبد الإله مردوك (إيساكيلا)، الذي شكّل رمز الشرعية السياسية. من هنا، لم يكن تدميرها حدثًا عسكريًا فقط، بل صدمة حضارية وروحية.

الكلمات المفتاحية: بلاد بابل، بلاد آشور، الاله مردوك، بلاد عيلام، الحوليات الملكية.

يهدف هذا البحث إلى دراسة حملة سنحاريب على بابل من خلال:

١. تتبّع خلفيات الصراع التاريخية والسياسية.

٢. تحليل النصوص المسمارية ذات العلاقة.

٣. مناقشة البعد الديني والدعائي للتدمير.

The Destruction of Babylon by Sennacherib and Its Impact on the Babylonians

Abstract:

The campaign of the Assyrian king Sennacherib (704–681 BC) against the city of Babylon is regarded as one of the most prominent and controversial episodes in the history of Mesopotamia. It was not merely a military confrontation, but rather a profound political and religious conflict between the rising Assyrian Empire and the city of Babylon, which possessed great spiritual and symbolic significance. This conflict culminated in a shocking and unprecedented decision: the total destruction of Babylon happen about 689 BC.

Babylon was an important religious center, as it housed the temple of the god Marduk (Esagila), which represented a symbol of political legitimacy.

Therefore, its destruction was not only a military event, but also a civilizational and spiritual shock.

Keywords: Babylonia, Assyria, the god Marduk, Elam, royal annals.

اولا: الخلفية التاريخية للصراع الآشوري–البابلي

خلف سنحاريب اباه سرجون على عرش البلاد عام (٧٠٤ –٦٨١ق.م)، واستطاع بما اوتي من خبره ادارية وسياسية وعسكرية نتيجة ممارسته لهذا العمل مدة طويلة في عهد والده سرجون كإداري وقائد عسكري على الحدود الشمالية من الحفاظ على الامبراطورية الاشورية والارتقاء بها الى حالة من التوسع والازدهار [١].

استفاد سنحاريب من الوضع الجيد الذي خلفه له سرجون لاسيما في جنوبي الامبراطورية الاشورية المتمثل ببلاد بابل وبلاد عيلام ، اذ وجد الاوضاع الامنية هناك يسودها شيء من الهدوء والاستقرار ، لذلك وجه نشاطه الحربي الى الجهة الغربية بهدف اعادة ترسيخ السيطرة الاشورية على بلاد الشام ثم الاستيلاء على مصر، غير انه تخلى مبكرا عن هذا الهدف لتوتر العلاقة من جديد ووصولها الى حد الازمة في بابل[٢]، إذ استغل البابليون الفراغ السياسي وأعلنوا التمرد، فنصّبوا مردوك–زاباني ثم موشيزِب–مردوك بدعم من بلاد عيلام، مما دفع الملك سنحاريب الى القيام بعمل عسكري غير مسبوق لإعادة هيبة بلاد اشور وهيمنتها على بلاد بابل[٣].

حيث عادت بلاد عيلام من جديد للتدخل في شؤون بلاد بابل الداخلية عن طريق مساندة حركات التمرد، وفي واقع الحال ان التدخلات العيلامية بلغت مبلغا من الامر في عهد سنحاريب بحيث انها تطورت الى حد التدخل العسكري الكبير والواسع، وبذا احتلت المسألة البابلية والمشكلة العيلامية المتزامنة حيزاً كبيراً من حكم سنحاريب، إذ سنجد ان معظم حملاته العسكرية قد وجهت الى بلاد عيلام سواء بصورة مباشرة نحو اراضيها ام عن طريق الاصطدام بها داخل مدن بابل وهي تساند المتمردين[٤].

اولاً . حملة سنحاريب الاولى (٧٠٣ق.م) :

بدأت مجموعة من المتمردين الاراميين والكلديين بزعامة مردوك – بلادان الثاني، للتمرد على السيادة الاشورية، مستغلة بذلك ذيوع خبر وفاة سرجون، ومن جانبه فان مردوك . بلادان الذي هدأ نشاطه، بعد ان اعاد تنصيبه سرجون في عام (٧١٠ ق.م) لرئاسة قبيلة بيت . ياكين وجد الفرصة مواتية بوفاة سرجون واعتلاء سنحاريب العرش، لتجديد محاولته بالاستيلاء على العرش البابلي، ضامنا تأييد القبائل الكلدية المجاورة له التي كانت تسيطر على جميع بلاد البحر والقبائل الارامية المنتشرة على الضفاف الشرقية لنهر دجلة، والضفة الغربية لنهري الكارون والكرخة[٥]، فضلا عن استقطابه القبائل الارامية والكلدية التي تسكن في مدن غرب بابل مثل اور والوركاء ونفر وبورسيبا وكوثاوكيش[٦]، وفي

الحقيقة الحال ان جميع هذه القبائل كانت ترغب بالتخلص من السيادة الاشورية ، والسيطرة على عرش بابل ثم اقتسام حكم البلاد فيما بينها(٧).

اتصل مردوك . بلادان بعد ذلك بالحليف الرئيس عيلام إذ أرسل وفدا محملا بالهدايا من بينها الذهب والفضة الى الملك العيلامي شتروك . ناخونتي(٨). العيلاميون الذين كانوا يعقدون الآمال على كل حركة تمرد في محاولة يائسة للقضاء على وحدة البلاد والوقوف بوجه الدولة الاشورية استقبل ملكهم الوفد بالترحيب وبادر على الفور بإرسال قوة عسكرية كبيرة جدا (٩) إذ قدم لنا الملك سنحاريب وصفا كاملا عنها قائلا:

((مردوك . بلادان، العدو الشرير، الخائن المتمرد، كرش الغدر، فاعل الشر، الذي يحسب المحرمات حلالا، جلب شتروك . ناخونتي العيلامي الى جانبه واهداه فضة واحجار ثمينة طالبا منه المساعدة باستمرار وارسل لمساعدته (امبابا) مع حشود جيشه و (تنانو) الراكب الثالث وعشرة قادة مع قائدهم نركال . ناصر السوتي وثمانين الفا من رماة السهام والرماح وثمانمائة وخمسين عربة واثني عشر الفا ومائتي حصانا كانت معهم))(١٠).

ومن خلال النص السابق يتضح لنا ان مردوك بلادن قد اعتمد بالدرجة الأساس على العيلاميين في تغذية تمرده من خلال اغوائهم بالهدايا فضلاً عن رغبة عيلام نفسها بتغذية التمرد نكاية ببلاد آشور.

وبعد ان تمكن مردوك . بلادان من اعداد هذا الجيش ووضعه تحت إمرته بدأ بإعلان التمرد بداية سنة (٧٠٣ ق.م)(١١)، ولعله ارسل في هذا الوقت الى " حزقيا " ملك يهوذا يحثه على التمرد ضد السيادة الاشورية(١٢)، في محاولة لإشغال سنحاريب بتلك الجبهة.

استطاع مردوك . بلادان من الاستيلاء على عرش بابل بسرعة، بعد ان خلع الملك البابلي " مردوك . زاكر . شومي " الذي تم تعيينه على عرش بابل في عيد راس السنة لعام (٧٠٣ق.م) من قبل الاشوريين، ولم يستمر حكمه سوى شهر واحد فقط(١٣).

ولمواجهة الخطر الاشوري المحدق، وضع مردوك – بلادان خطة عسكرية قائمة على وضع قسم من قواته في مدينة كوثا(١٤)، اغلبها قوات عيلامية تضم فرقة من الخيالة الى جانب قوات من المشاة مسلحة تسليحاً خفيفاً تحت امرة القائد العيلامي نركال– ناصر، وقد كلفت هذه القوة بقطع الطريق امام تقدم الجيش الاشوري (١٥)، في حين ترك القسم الاخر من جيشه في مدينة كيش(١٦)، وهو مسلح تسليحا ثقيلا تحت قيادة القائد العيلامي تاتانو ومساعده امبابا(١٧).

وبعد ان تأكد سنحاريب من اتضاح نوايا العدو، وحصوله على معلومات قيمة تخص تحركاته عن طريق جهازه الاستخباري، توجه على رأس حملة عسكرية في اليوم العشرين من شباط عام (٧٠٣ق.م)، سالكاً الطريق الجنوبي الذي يبدأ من مدينة اشور باتجاه دور – كوريكالزو، ثم الى سبار ومنها الى بابل(١٨)، وفي ذلك يخبرنا سنحاريب قائلا:

((اعددت فرقتي، وفي اليوم العشرين من شهر شباط وضعت نفسي على رأس قواتي من "اشور" كثور وحشي هائل (و) لم انتظر قواتي الرئيسة ولم انتظر المؤخرة.))[١٩].

وعندما أصبح سنحاريب على مسافة قريبة من كوثا قام بتنفيذ خطة عسكرية مباغته كشفت عن قدرات الملك وبراعته، تمثلت بإرسال قسم من قواته لتعسكر بين كوثا وكيش مهمتها اعاقة الاتصال بين جيشي المتمردين من ناحية ومن ناحية اخرى مراقبة تحركات العدو، بينما توجه الجزء الرئيس من الجيش الاشوري تحت قيادته نحو كوثا [٢٠].

حاولت القوات المتمردة في كيش سحق القوات الاشورية المتواجدة هناك لكنها فشلت، غير ان القوة الاشورية واجهت بعض الصعوبات في الصمود مما استدعاها لان تطلب النجدة من سنحاريب الذي سارع بالهجوم مباشرة على كوثا واستولى عليها بعد ان كبد المتمردين والقوات العيلامية بقيادة نركال . ناصر خسائر كبيرة تمثلت بالعدد الكبير من القتلى[٢١] عندها اتجه سنحاريب بسرعة الى كيش، ولعل خير ما يدعم ذلك، النص الاتي لسنحاريب:

اما قادتي فقد قوى هجوم الاعداء في المعركة عليهم وخافوا، وفي وسط معركته أرسلوا رسولهم الي في جوار كوثا (طالبين) المساعدة. وفي ثوران قلبي قمت بالهجوم على كوثا وذبحت كالغنم المقاتلين الذين احاطوا قلعته (أي مردوك ـ بلادان) واستوليت على المدينة)) [٢٢].

وصل سنحاريب مدينة كيش القلعة الحصينة الثانية لمردوك – بلادان والعيلاميين فجرت معركة حاسمة بين الجانبين استطاع سنحاريب فيها سحق الاعداء مرة ثانية، ويبدو ان القوات المتحالفة لم تظهر مقدرة في القتال عدا القوات العيلامية[٢٣]، اما مردوك ـ بلادان فقد هرب من ساحة المعركة الى منطقة الاهوار مخلفا وراءه خسائر جسيمة [٢٤].

توجه سنحاريب بعد ذلك الى بابل حيث دخلها وسط ترحيب السكان ولم يعمل سوى على نهب قصر مردوك – بلادان ، وهذا يعني، ان الملك الاشوري لم يلقِ باللائمة على الشعب. فانتهى بذلك حكم مردوك ـ بلادان الذي دام تسعة اشهر[٢٥]، وبخصوص ذلك يخبرنا سنحاريب في حولياته قائلاً:

((في حملتي الاولى دحرت مردوك ـ بلادان مع حليفه جيش عيلام في سهل مدينة كيش وفي وسط تلك المعركة تخلى عن معسكره وهرب مردوك ـ بلادان وحده ، وهكذا نجا بنفسه ، اما المركبات والخيول التي تركها خلفه عند بدء المعركة فقد استوليت عليها بيدي هاتين ثم دخلت قصره في بابل والفرح يملأني وفتحت بيت ماله (فوجدت) ذهبا وفضة ، احجار كريمة من كل نوع واخذت ما لا يحصى من الغنائم))[٢٦].

وبعد ان تلقى مردوك – بلادان هذه الهزيمة القاسية، واستتب الامن في بابل غادر سنحاريب البلاد راجعاً الى اشور بعد ان نصب على عرش بابل من نفس عام (٧٠٣ق.م) احد النبلاء البابليين

المدعو " بيل . ابني "[٢٧] كملك امتدت سلطته على جميع بلاد بابل بما في ذلك خضوع الحكام الذين عينهم سنحاريب على بلاد كلديا لسيادة الملك البابلي الجديد الموالي للدولة الاشورية[٢٨].

وعند عودة سنحاريب الى بلاده حمل كثيراً من الغنائم بما في ذلك العدد الكبير من الاسرى، إذ يخبرنا سنحاريب قائلا:

((في اثناء عودتي حملت الى بلاد اشور (٢٠٨٠٠٠) من الاسرى (٥٧٢٠٠) من الخيل (و) البغال، و(١١٠٧٣)، (من) الحمير، و (٥٢٢٣٠) جملا، و(٨٠١٠٠)، من الماشية و (٨٠٠١٠٠) من الأغنام. ولايشمل ذلك الناس (و)، الحمير، (و)، الثيران (و)، الجمال التي اخذتها جميع قواتي لنفسها واقتسمتها فيما بينها))[٢٩].

ثانياً – مواجهة التمرد البابلي الثاني :

على الرغم من مغادرة سنحاريب لأرض بابل بعد ان قام بالقضاء على التمرد وهروب مردوك – بلادن، الا ان بذور التمرد كانت تنمو في اراضيها وسرعان ما عادت الاحداث مجددا في تلك المنطقة وبدأت حركة التمرد ثانية تحت قيادة مردوك – بلادان ايضا وبدعم من قبل عيلام أيضاً. اذ سعى ذلك المتمرد من منطقة الاهوار التي التجأ اليها بعد هروبه من امام قوات سنحاريب لإعادة تنظيم قواته، والعمل على تجديد الاحلاف، حيث استطاع في غضون ثلاث سنوات (٧٠٣ – ٧٠٠ق.م)، من اقامة تحالف شمل افراداً من قبيلته من بيت ياكين فضلاً عن عدد من القبائل الكلدية والارامية المجاورة له[٣٠]، ثم شاركت عيلام المحرض الرئيس في هذا الحلف، حيث ارسل الملك العيلامي شتروك . ناخونتي عدداً من قواته للوقوف الى جانب مردوك . بلادان[٣١]، وفي خضم الاستعدادات النهائية لإعلان، التمرد اعلن زعيم كلدي اخر " شوزوبو " من مدينة بتيتو (Bititu) التي تقع وسط الاهوار، حربا ضد الحاكم البابلي بيل– ابني من اجل السيطرة على العرش[٣٢].

وبعد ان وجد المتحالفين الفرصة مواتيه بانشغال سنحاريب في الجهة الغربية [٣٣] تحركوا من بيت ياكين نحو بابل سنة (٧٠٠ق.م)[٣٤].

لقد جرت الامور في البدء كما يشتهي مردوك –بلادان، اذ تمكن بمعية القوات المتحالفة معه من خلق الفوضى الداخلية جنوب بابل مستغلين ضعف الحاكم البابلي " بيل – ابني " الذي لم يكن بمستوى التوقعات الاشورية، حيث كان ضعيفا الى الحد الذي لم يستطع فيه من قمع أي حركة تمرد او الحفاظ على الامن الذي تركه له سنحاريب[٣٥]، والى جانب ذلك فمن المحتمل ان بيل . ابني الذي كان العوبه بيد البابليين لم يكن يمتلك قوات كافية للتصدي للمتمردين[٣٦].

ونتيجة لهذه الاحداث قرر سنحاريب معالجة الموقف بسرعة حيث توجه بعد عودته من الحملة على فلسطين[٣٧]على راس حملة ارخت في السنة الثالثة من حكم بيل – ابني أي في عام (٧٠٠ق.م)[٣٨]، وهي السنة نفسها التي اندلع فيها التمرد، وبعد ان وصل الى بابل سار نحو الجنوب حيث التقى بجيش شوزوبو في بتيتو وتمكن من الحاق الهزيمة به لكنه فشل في القبض على شوزوبو الذي فر الى عيلام[٣٩]. إذ نقرأ في إحدى كتابات سنحاريب ما نصه:

((في حملتي الرابعة ، وهبني اشور الشجاعة فحشدت الجيوش واصدرت الاوامر بالتقدم ضد بيت ياكين، وفي اثناء الحملة تمكنت من خلع شوزوبو الكلدي عن الحكم الذي يقيم في وسط الاهوار في بيتيتو (Bititu)،الذي ارعبته ضراوة حربي فهرب الى مكان غير مرئي))[٤٠] .

بعد ذلك واصل سنحاريب السير الى منطقة استقرار قبيلة بيت– ياكين التي انطلقت منها حركة التمرد الثانية ضده، لكنه لم يواجه مقاومة كبيرة، اما مردوك– بلادان فقد ترك البلاد وفر هاربا مع عدد من اتباعه الى مقاطعة " ناكيتي . راكي " (Nakite – Rakki) في عيلام[٤١]، واشار سنحاريب في احداث الحملة الرابعة عن ذلك قائلا:

((حولت بعد خلع شوزوبو) اتجاه مقدمة الجيش الى بيت ياكين وسلكت الطريق الذي سلكه قبلي مردوك . بلادان في مسار حملتي الاولى والذي شتت جميع جيشه ... عندما سمع مردوك . بلادان بضجيج حركة اذرعي القوية وتعالت صيحات المعركة شعر بالخوف وجمع الهة بلاده كلها في اضرحتها ووضعها في السفينة وهرب مثل الطير الى ناكيتي . راكي الواقعة في وسط البحر واخذت كاسرى اخوانه وسلالة عائلة والده الذين تركهم على شاطئ البحر مع بقية ابناء شعبه حملتهم خارج بيت . ياكين ونشرت الدمار والخراب في مدنهم))[٤٢].

وبعد ان حسم سنحاريب الموقف مع جيش مردوك – ابلادن لصالحه وفرض الامن في بابل توجه نحو الحدود مع عيلام مطارداً القوات المنسحبة، ثم اكتفى بذلك دون ان يتوغل داخل اراضيهم[٤٣]، ويبدو انه قد الحق خسائر كبيرة في صفوفهم وذلك ما يشير اليه النص الاتي : **((بعد ان دمرت بيت . ياكين توجهت الى حليف (مردوك . بلادان) ملك عيلام وصببت جام غضبي عليه))[٤٤].**

وبعد ان نجح سنحاريب في اعادة الامور الى نصابها عين ابنه " اشور – نادن . شومي " (Ashur – Nadin – Shume) حدود (٧٠٠ – ٦٩٤ق.م) حاكما على بلاد بابل[٤٥]، ثم اقفل راجعا الى بلاد اشور حاملا معه حاكم بابل السابق " بيل – ني " مع بعض موظفيه كاسرى[٤٦] ، ولا يعرف سبب اقدام سنحاريب على هذا الفعل الاخير ولعله بسبب خيانه " لبيل –ابني " او تقاعسه عن اداء مهامه على الوجه الصحيح ، فليس لدينا نصوص توضح ذلك الامر.

ثالثا: الأوضاع السياسية في بابل بعد وفاة مردوك – بلادن:

بتولي اشور . نادن شومي[٤٧] نيابة عن ابيه سنحاريب عرش المملكة البابلية كانت بلاد بابل في وضع سياسي مضطرب نتيجة لحركات التمرد، والصراعات القبلية التي نشبت اخيرا، الا ان الحاكم الاشوري الجديد استطاع اعادة تنظيم الادارة والامور الاخرى الى طبيعتها، وتمكن من فرض السيطرة على المنطقة لمدة متقدمة من حكمه والبالغة ستة سنوات (٧٠٠ – ٦٩٤ ق.م). ويبدو ان العقل المدبر للتمرد ضد بلاد آشور أي مردوك – بلادن قد توفي في منطقة ناكيتي العيلامية اعقاب الهجوم الاشوري عليها إذ لم يرد ذكره في أي من المدونات الاشورية او البابلية إذ لم تشر الى مقتله او اسره هناك أو حتى ملاحقته.

وفي نهاية عام (٦٩٤ ق.م) توجه الملك العيلامي خالوشو بجيشه وبصحبته المتمرد الكلدي نركال . اوشوزب الذي كان تحت امرته عدد من المتمردين نحو مدينة بابل[٤٨]، وبعد مواجهة بسيطة مع قوات المدينة تمكن الجيش العيلامي من دخولها والقي القبض على امير التاج الاشوري ابن سنحاريب اشور . نادن . شومي (٦٩٩ – ٦٩٤ ق.م) وارسل مقيدا الى عيلام ليلقي حتفه هناك[٤٩]، ونصبوا مكانه " نركال . أوشوزب " (وذكر كذلك في النصوص المسمارية باسم شوزبو) الذي كان العوبه بيدهم[٥٠]، وادى هذا الفعل الى تقسيم البلاد ثانية ، اذ حكم الملك الجديد شمال بابل فقط ، بينما سيطر الاشوريين على الجزء الجنوبي ، ويبدو ان حاكم بابل السابق " اشور . نادن . شومي " لم يملك القوات الكافية لمقاومة العيلاميين ، اذ ان اغلب قواته كانت موجودة مع قوات سنحاريب الرئيسة في الجنوب.

لقد وصلت اخبار الاجتياح العيلامي الى سنحاريب متاخره ، ويبدو ان اتباع سنحاريب لم يكونوا موفقين هذه المرة في كشف الامر مبكرا ، ومن الملفت للنظر هنا ان الاشوريين قد نقلوا مسبقا تمثال الاله " نابو " من مدينة الدير لحفظه في بلاد اشور، ولعل ذلك يعني انهم شعروا باحتمال هجوم عيلامي من هذه المنطقة[٥١]، لكن نرجح انهم لم يتوقعوا هذه السرعة والمفاجئة في الهجوم . ومهما يكن من امر فبعد ان وصلت تلك الاخبار الى سنحاريب وسماعه بالقاء العيلاميين القبض على ابنه وارساله اسيرا الى بلادهم ، قرر العوده من القسم الجنوبي ، وتوجه اولا الى الوركاء ، فتمكن من دخولها بداية الشهر السابع (Tasrita) عام (٦٩٣ ق.م)[٥٢]واستعادها من سيطرة الانفصاليين التابعين لنركال . اوشوزب ، بعد ذلك قاد جيشه نحو مدينة نفر لمواجهة نوكال . أوشوزب والعيلاميين ، واشتبك الطرفان في معركة قوية على حدود نفر حقق فيها الجيش الاشوري انتصارا ساحقا[٥٣]، وتمكن من دخول المدينة في السابع من تشريتو من نفس العام[٥٤]، والقى القبض على نركال . أوشوزب حيث ارسل مقيدا بالاغلال الى نينوى بعد حكم دام نحو ستة اشهر نهاية عام ٦٩٤ ق.م حتى منتصف عام ٦٩٣ ق.م [٥٥] ، وانتقاما لولده فقد القى سنحاريب القبض على ابن الملك العيلامي خالوشو الذي كان يرافق القوات العيلامية ثم ذبحه[٥٦]، وعلى اثر هذه الانتصارات للقوات الاشورية سحب خالوشو قواته جميعا نحو بلاده بعد ان

امضت في بلاد بابل مدة عام تقريبا وهي تنهب وتدمر . وبخصوص ذلك يخبرنا سنحاريب ضمن احداث الحملة السادسة قائلا:

((وفي اثناء عودتي (أي من عيلام) هزمت شوزوبو البابلي الذي قام اثناء الانتفاضة في بلاده بالاستيلاء على حكم سومر واكد، في معركة خضتها في السهول قبضت عليه حياً، وكبلته بالقيود والاغلال وجلبته الى اشور، وهزمت ملك عيلام الذي تحالف مع شوزوبو وساعده ، وشتت جميع جيشه ومعسكره ...))[٥٧]

لقد استنزفت هذه الحملة الطويلة موارد الجيش الاشوري، ويتضح ذلك من عدم اشارة النصوص الاشورية الى بذل أي جهد لاستعادة النظام وترسيخه في بابل بعد ان نصب زعيم كلدي اخر يدعى موشوزب – مردوك (Mushezib – Marduh) نفسه حاكما عليها بمساعدة الاراميين والعيلاميين مستغلا انشغال سنحاريب بعملياته العسكرية جنوب بابل[٥٨].

فضل سنحاريب العودة الى القاعدة اشور على الرغم من سيطرة موشوزب . مردوك على الحكم في مدينة بابل ، وذلك من اجل اعادة تنظيم قواته، التي اصبحت الان وبدون شك بحاجة لذلك بعد عمليات عسكرية استمرت اكثر من عام في جنوب بابل وعيلام [٥٩].

لم تشهد لأشور أي نشاطات عسكرية خلال مدة اعادة التنظيم التي استغرقت بضعة أشهر، إذ تشير الاحداث اللاحقة الى ان سنحاريب ترك بعض الحاميات الاشورية في بلاد بابل رفض موشوزب . مردوك الاعتراف بها[٦٠].

كان من نتيجة عودة سنحاريب الى نينوى ان بقيت بابل تحت سيطرة موشوزب . مردوك، غير انه بعد مدة قصيرة من ذلك حدثت تغيرات سياسية في بابل تمثلت بمحاصرة السلطات المحلية الاشورية (حكام المدن الاشوريين) موشوزب . مردوك داخل بابل[٦١]، وذلك ردا على قيامه بغلق بوابات المدينة بوجه الاشوريين ، وقتله العشوائي للكثير من افراد الحزب المناصر للاشوريين في بابل[٦٢]، لكن عدم توفر ما يكفي من القوات العسكرية حال دون عدم اختراق المدينة بسرعة ، مما مكن ذلك المتمرد من الهرب الى عيلام تاركا بابل تخضع للسلطة الاشورية المحلية ، وكان ذلك في الربع الاخير من عام (٦٩٢ ق.م)[٦٣].

لقد اظهر " موشوزب . مردوك " بعد رجوعه مقدره سياسية عالية في كسب عدد كبير من البابليين فضلا عن الكلديين في بابل، كما نجح في الحصول على الدعم، وتوحيد الاطراف المنقسمة في تلك المدينة[٦٤]، وجرى بعد ذلك التنسيق بينه وبين الملك العيلامي اومان – مينانو من اجل مقاومة الاشوريين

، حيث ارسل له كرشوه كنوز الذهب والفضة من خزائن معبد " الايساغيلا " ، وكانت تلك جزءاً من السياسة التي اتبعها المتمردين السابقين خاصة " مردوك – بلادان " لكسب ود الملوك العيلاميين [٦٥].

نجح موشوزب . مردوك الذي سانده البابليون بمساعدة العيلاميين من عقد حلف داخلي شمل عدد من القبائل الارامية والكلدية[٦٦]، التي ابدى سياسة مسانده لها وبضمنها الفلول المتبقية من قبيلة بيت . ياكين التي تخضع الان لحكم ابن مردوك . بلادان المدعو " سامونا "(Samuna) الساعي للانتقام من الاشوريين[٦٧].

تقدم اومان . مينانو على راسه جيشه بصحبته القائد العام " خومبان . اونداشا " (Humban – Undasa) من الدير باتجاه بابل من نفس عام (٦٩١ ق.م) وانضمت قواته الى جانب قوات موشوزب . مردوك قرب مدينة بابل فكانت الجموع هائلة وصفها المؤرخ التاريخي لسنحاريب (باسراب الجراد الهائل)[٦٨].

توجهت جيوش الاعداء مجتمعه تحت قيادة موشوزب . مردوك والملك العيلامي اومان . مينانو وقائده اونداشا من بابل باتجاه الشمال، وفي الوقت الذي كان فيه سنحاريب عازما على تصفية المشاكل في بابل سارت الامور عكس ذلك، فتكون ذلك الحلف قبل ان يتوجه الى بابل، وعند سماعه بهذه الانباء تحرك على راس قواته بمحاذاة دجلة عبر منطقة ارابخا (كركوك) واصطدم مع الاعداء في منطقة " خالولي" التي لم يحدد موقعها بالضبط لكنها تقع على نهر ديالى[٦٩]. ومما يلفت النظر هنا هو موقع العمليات " خالولي " التي لم تكن بعيده عن كركوك، وهذا يعني انه ربما كان للمتمرد الكلدي ومن يقف خلفه من العيلاميين خطه لغزو بلاد اشور نفسها، ولنا ان نتصور في ذلك من ناحية مدى الرغبة الجامحة للعيلاميين بالقضاء على القوة الاشورية، ومن ناحية اخرى حجم القوة العسكرية التي ولدت الثقة عند الملك العيلامي الذي يصفه سنحاريب (بانه يفتقر للذكاء والحكمة) بالنصر فدفعته لمحاولة مواجهة الاشوريين في ديارهم . ومن خلال النصوص المسمارية المتوفرة الان فان هذه هي المرة الاولى التي تتواجه فيها القوات العيلامية والاشورية على مسافة ليست بعيدة عن بلاد اشور ومن هنا يتضح لنا ان السبب الرئيس في حركات التمرد البابلية المستمرة تجاه بلاد اشور تقف وراءه بلاد عيلام[٧٠].

يبدو ان معارك الاستنزاف الطويلة التي خاضها الجيش الاشوري مع المتمردين ومن يقف خلفهم من العيلاميين قد أنهكت سنحاريب وقواته، إذ لم يتمكن من اعداد العدة والتوجه نحو بابل الا بعد نحو سنة أي في عام (٦٨٩ ق.م) و اعاد تنظيم صفوف قواته في نينوى، وقد امدتنا حوليات سنحاريب بوصف رائع لأحداث المعركة والمذابح التي تعرضت لها جيوش الاعداء ويعد ذلك الوصف غاية الاثارة في الادب الاشوري:

((في حملتي الثامنة وبعد تمرد شوزبو وقيام البابليين الاشرار ، بغلق ابواب المدينة، وتدبير امر التمرد ومقاومتي وثار شوزبو الكلداني .... وتجمع حوله الاراميون الفارون، وفي مستنقعاته

تجمع القتله واللصوص واعلنوا التمرد. حاصرتهم بالكامل وطاردت شوزبو حيا، ولشعوره بالخوف قرر الهرب الى عيلام... اسرع من عيلام ووضعه البابليون على عرش البلاد ، ولم يكن مناسبا لهذا الموقع ... وفتحوا خزائن معبد ايساغيلا المملوءه بالذهب والفضة والتي تعود الى (مردوك) ، وجمعوا محتويات معابد الهتهم وقدموها الى اومان . مينانو ملك عيلام ، الذي يفتقر للذكاء والحكمة وارسلوا له الرشوة ، وقالوا اجمع الجيش واعد المعسكرات واسرع الى بابل واقدم لمساعدتنا ، لانك الشخص الذي نعتمد عليه هذا العيلامي الذي غزوت مدنه ودمرتها في حملتي السابقة ضد عيلام استلم الرشاوي منهم وجمع الجيوش والمعسكرات والعربات والمراكب والخيول والبغال. وطلب المساعدة من بلاد بارسواش وانزان، وباشيرو ، واليبي، رجال يازن (Yazan) ولاكابرا (Lakabra) وخارزونو (Harzunu) ودموكو(Dumuku)،سولاي(Sulai)، وانضم الى الحلف (سامونا) ، ابن مردوك . بلادان ، بلاد بيت اديني ، وبيت اموكاني ، وبيت سيلانا وبيت سالاتوتو . اكي (Sala tutu – Ikki)، ومدينة لاخيرو ، وشعب بوقودو ، وكامبولو وخالاتوم ورعوا (Ruua) ، واوبولوم ، ومالاخو ، واربيكو ، وهندارو ، ودامونو وعدد كبير من التابعين[٧١] استدعاهم لجانبه (أي موشوزب) وتوجه اغلبهم نحو اكد واقتربوا من بابل وتبادلوا التحية مع شوزوبو الملك الكلداني في بابل وجاءوا بجيشهم ليقف ، مثل اسراب الجراد وقت الربيع . وتواصل مجيء الجيش لقتالي وغبار اقدامهم يغطي عنان السماء مثل العاصفة القوية والسحاب الكثيف ، تجمعوا للقتال في مدينة " خالولي " على ضفة دجلة وسدوا الطريق علي وتهيؤا للقتال ، اما بالنسبة لي فقد توجهت لاشور ، سن ، شاماش ، بيل ، نابو ، نيرغال ، عشتار في نينوى عشتار في اربيلا الالهه الذين اثق بهم ، صليت لاحرز النصر على عدوي وسرعان ما استجابوا لدعائي وقدموا لمساعدتي ،زأرت كالاسد ووضعت درعي وخوذتي ، رمز النصر في القتال ورفعت راسي وصعدت عربة القتال التي سحقت العدو واسرعت في حالة من الغضب وامسكت بيدي القوس الذي اعطاه اشور لي وامسكت الرمح ووجهته ضد صفوف الاعداء ورفعت صوتي (صرخت) كالعاصفة ، وزأرت مثل اداد وبتوكل على كلمة اشور ، الهي وسيدي هجمت على جوانب ومقدمة جيش العدو مثل العاصفة بمساعدة من اشور الهي ، وتمكنت في بداية هجومي من ايقاف تقدمهم وفي محاصرتهم وانقضت رماح وسهام جيشي على افراد العدو لقتلهم ، ثقبت برماحي اجسادهم مثل خومبان . انداشا ، القائد العام ، لملك عيلام ، شخص موثوق به ويقود جيش الملك العيلامي ، وتمكنت من سحقه مع البنلاء الذين يرتدون الخناجر الذهبية وتحيط اصابعهم الخواتم الذهبية ، كالثيران السمينة التي قيدت بالاغلال سحقتهم وهزمتهم ، قطعت رقابهم وقتلتهم ومثل كميات المياه الكبيرة في العاصفة ، تركت احشاءهم تنساب على الارض ، وانغمرت خيولي المتعبه من الجري في جداول الدماء التي سالت كالنهر، وانتشر الدم

على عجلات عربتي التي سحقت الشر والاعداء وانتشر الدم والقذارة ، وملئت بأجساد المحاربين الاعداء منطقة السهل وكانوا كالعشب ، وقطعت خصيهم وقطعت اعضاءهم التناسلية مثل بذور الخيار في سيوان (حزيران) وقطعت ايديهم واخذت الاختام الذهبية القوية حول اصابعهم ومعاصمهم وانتزعتها بالسيوف وانتزعت احزمتهم فضلا عن الخناجر الذهبية والفضية ، والقيت القبض على بقية النبلاء ، مع نابو ـ شوم اشكون ابن مردوك ـ بلادان ، الذي شعر بالفزع من هجومي وتحالف معهم وقبضت عليهم في وسط المعركة ...))[٧٢].

فقدت مدينة بابل دعم العيلامين لهم إثر موت ملكهم وانتشار الفوضى في البلاط العيلامي، وقد استغل سنحاريب هذا الامر فاعاد تنظيم صفوف جيشه هذه الفرصة فتوجه الى بابل لمطاردة مغتصب العرش موشوزب ـ مردوك الذي فقد الان حليفه عيلام، ولعدم رغبة الاخير بمواجهة الاشوريين في ساحة المعركة تحصن داخل مدينة بابل، لكن بعد حصار للمدينة من قبل الجيش الاشوري دام مدة تسعة اشهر انتشر على اثرها الجوع ومرض الطاعون اعلنت بابل استسلامها في عام (٦٨٨ ق.م) ، ثم حمل موشوزب ـ مردوك اسيرا الى اشور، كما حمل تمثال الاله مردوك وغيره الى اشور[٧٣].

وقد كان تصرف سنحاريب نحو بابل هذه المرة قاسيا اذ امر جنده بتدمير المدينة وتسليط مياه الفرات عليها فشهدت بابل تدميرا لم تشهده طوال تاريخها من قبل[٧٤]، واشار سنحاريب الى ذلك قائلا : " **هاجمتها كالاعصار، وكالعاصفة اطحت بها.... أما المدينة نفسها وبيوتها وقصورها فقد حطمتها وخربتها .... وبالنيران دمرتها من أساسها حتى سقوفها ... سلطت عليها المياه فحولتها الى مراع**"[٧٥]، حتى ان معابدها قد هجرتها الالهة وأصاب أهلها من الجوع ما اصابهم بفعل حصار الجيش الاشوري للمدينة فضلاً عن تدمير اسوارها وتخريب اضرحتها. وفي الواقع لا يجب النظر لهذا العمل بوصفه عملا بربريا او حقداً على شعب بابل، بل جاء كانتقام قاسٍ نتيجة لما اثاره المتمردين الذين مر ذكرهم من متاعب، وتحالفهم المستمر مع عيلام من اجل القضاء على وحدة البلاد واستحواذهم على السلطة في الجنوب[٧٦].

أعلن سنحاريب بعد ذلك نفسه ملكا لبلاد سومر واكد، غير انه لم يتولى حكمها بنفسه بل عين ابنه " اسرحدون " حاكما بدلا عنه، ومنذ ذلك التاريخ لم ترد اخبار تشير الى قيام تمرد ضد الاشوريين طيلة ثمان سنوات، وهي المدة المتبقية من حياة سنحاريب[٧٧].

رابعا: تعليل اسرحدون لأسباب تدمير بابل من قبل سلفه سنحاريب والموقف البابلي منه:

على الرغم من الحدث الفظيع الذي قام به سنحاريب بتدمير مدينة بابل وجلبه لتمثال الاله مردوك الى مدينة نينوى الا ان خليفته اسرحدون وبعد مرور سنوات طوال حاول تبرير فعل والده والتقليل من هول العمل فذكر في أحد نصوصه ما نصه: **(في ذلك الوقت ملأ الكذب قلوب الناس، وتجاهلوا الهتهم،**

واداروا ظهورهم للطقوس المقدسة، ودنسوا محاريب الالهة، ونتيجة لذلك استشاط مردوك غضبا وعاقب شعبه بنفسه) [٧٨].

أما الرواية البابلية من عهد الملك البابلي نبونائيد فذكر ان الملك سنحاريب كان لديه نوايا شريرة تجاه بابل وان مقتله كان انتقاما من الاله مردوك لما حدث لمعبده في الايساكيلا. إذ نقرأ:

" **(ضد أكد) كانت لديه نوايا شريرة (أي سنحاريب) لم يكن لديه رحمة لسكان البلاد، وبنوايا شريرة ضد بابل ترك مقدستاها تسقط في حالة اهمال .... بل انه قاد مردوك بعيدا واحضره الة آشور، ..... لم يهدأ غضب مردوك فثبت مقعده في آشور لاحدى وعشرين سنة. (وفي النهاية) حانت اللحظة فجعل ابنه يقتل ملك اشور**""[٧٩] وهي إشارة الى حادثة اغتيال سنحاريب على يد ولديه والتي عدها البابليين انها جاءت كانتقام الاله مردوك عما فعله سنحاريب بتمثاله وبمدينة بابل[٨٠].

الاستنتاجات

١- شكلت مدينة بابل وحكامها معضلة حقيقة امام الاشوريين حالت دون استقرار حدودهم الجنوبية، وذلك بسبب التحريض العيلامي المستمر ورغبة البابليين الخروج من تحت الوصاية الاشورية.

٢- أدى العيلاميين دورا كبيرا للحيلولة دون استقرار الحدود الجنوبية لبلاد اشور وعلموا على التدخل المستمر فيها، من اجل الاضعاف الدولة الاشورية والحيلولة دون تمدد حدودها باتجاه بلاد عيلام.

٣- عمد البابليين من قبائل كلدية وآرامية للتحالف مع العيلاميين من اجل ابعاد الحكم الاشوري عن بابل.

٤- عمد الملك سنحاريب الى شن العديد من الحملات العسكرية للسيطرة على مدينة بابل، من اجل تثبيت حكامه فيها وتامين الحدود الجنوبية لبلاد آشور فضلاً عن الحد من نفوذ بلاد عيلام فيها.

٥- عد البابليين هجوم سنحاريب على بابل وتدميرها عملا همجيا مبيتا للنيل من قدسية المدينة، وان مقتل سنحاريب على يد ابنه جاء انتقاما من الاله مردوك لتدنيس معبده.

٦- عمل اسرحدون على تبرير فعل والده مدعيا ان آثام البابليين كانت السبب الرئيس في تدمير سنحاريب لمدينة بابل.

- **قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية:**

١- الأحمد، سامي سعيد، الصراع خلال الالف الاول قبل الميلاد (٩٣٣ – ٣٣١ ق.م) "، ضمن كتاب الصراع العراقي الفارسي، تأليف نخبة من الباحثين العراقيين، بغداد،١٩٨٠.

٢- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ط٣، بغداد،١٩٧٣.

٣- حبيب، طالب منعم، سنحاريب سيرته ومنجزاته، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٦.

٤- رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، ط٣، بغداد، ١٩٨٧.

٥- رو، جورج، العراق القديم، ترجمة: سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٠.

٦- الزيباري، اكرم سليم ، " الاشوريين ، خططهم وسياستهم الحربية " ، مجلة افاق عربية ، العدد ٥١ – ٥٢، ١٩٨٥.

٧- ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة: د. عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩.

٨- ساكز، هاري، قوة اشور، ترجمة: د. عامر سليمان، بغداد، ١٩٩٩.

٩- عامر سليمان، الكتابة المسمارية والحرف العربي، الموصل، ب . ت.

١٠- مورتكارت، انطوان، تاريخ الشرق الادنى القديم، ترجمة: توفيق سليمان واخرون، دمشق، ١٩٦٧.

1- Al- Ahmed , S. S. , Southern Mesopotamia in the time of Ashurbanipal, Baris , 1968.
2- Brinkman , J.A, "Elamte Military Aid Mardoch Baladan", in JNES. , Vol.24, part.3 (1965).
3- Brinkman , J.A., Sennacherib Babylonian Broblem", in JCS , Vol.25, 1973 .
4- Brinkman , J.A; Apolitical History of Post – Kassite Babylonia: 1158 –722B.C. ,Roma , 1968).
5- Cameron , G.G, History of Early Iran, New Yourk ,1968.
6- Grayson , A.K, "Assyria's Foreign Policy in Relation to Elam in the Eighth and Seventh Centuries B.C" , in sumer,vol.42 , part.1-2 , 1981.
7- Heidel A., " The Octagonal Sennacherib prism in the Iraq Museum", Sumer , Vol.9 , part.2, 1953.
8- King, L. W., A history of Babylon, London , 1919.
9- Levine , D.L, "Sennacheribs Southern Front" , in J.C.S, vol . 34 , part .2, 1982.
10- Levine, D.L; "Sennacheribs southern front" in JCS, Vol.34,part.2,1982.
11- Luckenbill ,D.D; The Annals of Sennacherib, Chicago , 1924 .
12- Lukenbill, D.D. Ancient Records of Assyria and Babylonia, Chicago, 1927, ARAB, Vol.11.
13- Mieroop, M. V., Assyrian Style, past & present, Oxford, No.179, 2003.
14- Millard , A.R."Another Babylonion Chronicle Text", in Iraq ,Vol . XXVI,Part.1,1964.
15- Read, J., " Scurces for sennacherib" , in JCS, Vol.27, part.1, 1975.
16- Smith, S; " Sennacherib and Easarhaddon" , In CAH, Vol.111, Cambridge , 1980.
17- Stephen, G., A History of Babylonians and Assyrians, Chicago, 1978.

الهوامش:

(١) ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة: د. عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩، ص١٤٩-١٥٠

(2) Grayson , A.K, "Assyria's Foreign Policy in Relation to Elam in the Eighth and Seventh Centuries B.C" , in sumer,vol.42 , part.1-2 (1981)P. 147 .

(٣) ساكز، هاري، قوة اشور، ترجمة: د. عامر سليمان، بغداد، ١٩٩٩، ص ١٤٠.

(4) Grayson , A.K, Op.Cit, P. 148.

(٥) استوطنت القبائل الآرامية بصورة عامة على طول الضفاف الشرقية لنهري دجلة والفرات من ناحية الجنوب حتى الخليج العربي، وبعضها استوطن على الضفاف الجنوبية الغربية لنهري الكرخة والكارون، الا ان أكثر المناطق كثافة بالقبائل الآرامية المنطقة الممتدة بين نهري دجلة وعيلام، ينظر :

- Brinkman , J.A; Apolitical History of Post – Kassite Babylonia: 1158 – $722_{B.C.}$ (Roma , 1968), P. 269.

(٦) حبيب، طالب منعم، سنحاريب سيرته ومنجزاته، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٦، ص٨٤.

(٧) المصدر نفسه، ص ٤٨

(8) Lukenbill, D.D. Ancient Records of Assyria and Babylonia, Chicago, 1927, ARAB, Vol.11,P.116.

(9) Brinkman , J.A, "Elamte Military Aid Mardoch Baladan", in JNES. , Vol.24, part.3 (1965) PP.164 – 165 . ; Levine, D.L; "Sennacheribs southern front" in JCS, Vol.34,part.2(1982), P.41 .

(١٠) عامر سليمان، الكتابة المسمارية والحرف العربي، الموصل، ب . ت، ص ٦٩ – ٧٠ ، س:٦-٩.

(١١) ساكز،هاري، عظمة بابل، ترجمة: د. عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩، ص ١٥٠ .

(١٢)يذكر حزقيا بان مردوك . بلادان في هذا الوقت ارسل السفراء اليه (سفر الملوك الثاني ، الاصحاح العشرين (الفقرة ١٢) في سبيل اعلان التمرد على السيادة الاشورية . عن هذا التمرد وكذلك دور مصر في مساندته ينظر : هاري ساكز ، عظمة بابل ، مصدر سابق، ص ١٥١.

(١٣) كان سنحاريب قد استلم حكم بابل سنة (٧٠٤ق.م) بعد وفاة سرجون لكنه ولاسباب غير معروفة لم ياخذ يدي الاله " بعل " في بابل للدلالة على تولية الملوكية ، وفي بداية عام (٧٠٣ق.م) عين احد

البابليين المحليين " مردوك . زاكر . شومي " كملك على بابل موال للدولة الاشورية التي تحكم جميع بلاد الرافدين ، لكن المتمرد مردوك . بلادان خلعه بعد مدة قصيرة وكما مبين في المتن، ينظر: ساكز، هاري، عظمة بابل، المصدر نفسه، ص ١٥٠.

(١٤) تقع كوثا على بعد بضعة كيلومترات الى الشمال الشرقي من بابل ، وتبعد (٥٠كم) جنوب بغداد تعرف حاليا (تل ابراهيم)، ينظر: رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، بغداد، ١٩٨٧، ط٣، ص ٢٢٧ .

(15) Al- Ahmed , S. S. , Southern Mesopotamia in the time of Ashurbanipal, Baris , 1968, P.54.

(١٦) تقع كيش على بعد (١٧كم) تقريبا شرقي بابل ، تعرف حاليا (بتلول الاحيمر) واشتهرت قديما بكونها اول مركز لسلالة حكمت بعد الطوفان بحسب اثبات الملوك السومرية ، ينظر : باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد،١٩٧٣ ، ج١، ص ٢٦٩.

(17) Al-Ahmed , S. S., Op.Cit., P.54.

(18)Ipid , Op.Cit., P.54.

(١٩) سليمان، عامر، الكتابة المسمارية.....، مصدر سابق، ص ٧٣، س:١٩.

(20) Smith, S; " Sennacherib and Easarhaddon" , In CAH, Vol.111, Cambridge , 1980, P.64.

(21)Ipid , P. 64.

(٢٢) سليمان، عامر، الكتابة المسمارية .....، مصدر سابق، ص ٧٤، س: ٢٢-٢٣.

(23) Sidney Smith , Op.Cit.,P.64.

(24) Luckenbill ,D.D; The Annals of Sennacherib, Chicago , 1924 , P.24.

(25) Brinkman , J.A; " Elamite Military Aid to ... , Op .Cit, P.164 .

(26) Heidel A., " The Octagonal Sennacherib prism in the Iraq Museum" , Sumer , Vol.9 , part.2 1953, PP.119-121, lin:23-36

- Read, J., " Scurces for sennacherib" , in JCS, Vol.27, part.1, 1975, PP.191-192 .

(٢٧) بيل . ابني : احد الامراء او النبلاء البابليين الذي عاش في البلاط الاشوري وتم تثقيفه واعداده لهذا المطلب، ويعتقد انه قريب لمردوك . بلادان ، ينظر :

- Al Ahmed, S.S. , Op.Cit., P. 54 .

- King , L. W. , A history of Babylon ,London , 1919, P. 270.

(28) Sidney Smith , "Sennacherib and Easarhaddon" , Op.Cit, P. 65 .

(٢٩) عامر سليمان ، الكتابة المسمارية ..... ، مصدر سابق، ص ٨٧، س:٥٩-٦٠.

(٣٠) رو، جورج ، االعراق القديم، ترجمة: سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٢٩- ٢٣٠ .

(31) Smith, S., "Sennacherib ...." , P.65.

(٣٢) ذكر سنحاريب مدينة بتيتو قائلا: **((تمكنت من خلع شوزوبو الكلدي عن الحكم الذي يقيم وسط الاهوار في بتيتو))** ، ينظر :

- Luckenbill, D. D., the Annals ....., Op.Cit , P.34.

(٣٣) كان سنحاريب قد توجه بعد حملته الاولى الى الجبهة الشمالية الشرقية ومن ثم اتجه سنة (٧٠١ق.م) نحو الجبهة الغربية حيث اندلعت حركات العصيان ضد السيادة الاشورية في سوريا وفلسطين والمدعومة من قبل مصر، حول هذه الاحداث ينظر: ساكز، هاري، قوة اشور، مصدر سابق، ص ١٤٧.

(34) Stephen, G., A History of Babylonians and Assyrians, Chicago, 1978, P .272.

(35) Smith, S., " Sennacherib ..." Op. Cit , PP. 64-65 .

(٣٦) هاري ساكز، عظمة بابل، مصدر سابق، ص ١٥١ .

(٣٧) حول الحملة على فلسطين. ينظر: طالب منعم، المصدر السابق، ص ص ١١١ – ١١٩ .

(38)Brinkman, J.A. , "Elamit military ..." , P.165 .

(39) Smith, S., " Sennacherib ..." Op. Cit, PP. 64-65.

(40) Heidel, A., " Op.Cit, PP. 141 – 143, lin:10-22.

(٤١) تقع مقاطعة ناكيتي .راكي في عيلام عند التقاء نهر الكرخة بالخليج العربي وذكرت هذه المدينة في الحملة السادسة لسنحاريب ضد بلاد عيلام باسم لارك (Larak) . ينظر : طالب منعم ، المصدر السابق ، ص ٩٣ هامش ٤ .

(42) Heidel, A., Op. Cit. PP. 142, lin:24-36 .

- Read, J., " Scurces for ....., Oo.Cit P.191.

(43) Smith, S., " Sennacherib ..." Op. Cit, P. 66.

(44) Heidel, AL., Op. Cit. PP. P143.

(45) Millard , A.R."Another Babylonion Chronicle Text", in Iraq ,Vol . XXVI,Part.1(1964) , P.17

(46) Smith, S., " Sennacherib ..." , P.66 .

– D.L.Levine , Op.Cit., P.77.

(٤٧) ان القرار الذي اتخذه الملك الاشوري سنحاريب بتعيين ابنه الاكبر اشور . نادن . شومي حاكما على بابل جاء في محاولة اخرى للحفاظ على الامن وعدم السماح بالتمرد، بعد ان كانت السياسة الاشورية بتعيين حكام محليين قد فشلت في ذلك، ينظر:

– Smith, S.,, " Sennacherib ..." Op.Cit , P.66.

(٤٨) الأحمد، سامي سعيد، الصراع خلال الالف الاول قبل الميلاد (٩٣٣ – ٣٣١ ق.م) "، ضمن كتاب الصراع العراقي الفارسي، تأليف نخبة من الباحثين العراقيين، بغداد، ص ٦٧ .

(49) Millard, A.R., Op.Cit., PP. 17-18.

(50) Levine , D.L, "Sennacheribs Southern Front" , in J.C.S, vol . 34 , part .2, 1982, P.42.

(٥١) الأحمد، سامي سعيد، " الصراع .....، مصدر سابق، ص ٦٧ .

(52) Crayson, A.K., chronicles , Op.Cit, P.79.

(53) Smith, S., " Sennacherib and ..." Op.Cit , P.67 .

(54) Crayson, A.K. ,Op.Cit.,P.79.

(55) Ipid, P.79.

(56) Cameron , G.G, History of Early Iran , New Yourk ,1968, P. 164.

(57) Luckenbill, D.D, The Annals of Sennacherib , PP. 38-39=:46-53

(٥٨) ساكز، هاري، عظمة بابل ، مصدر سابق، ص ١٥٢ .

- الزيباري، اكرم سليم ، " الاشوريين ، خططهم وسياستهم الحربية " ، مجلة افاق عربية ، العدد ٥١ – ٥٢، ١٩٨٥ ، ص٢١.

(٥٩) ساكز، هاري، عظمة بابل ، مصدر سابق، ص ١٥٢ .

(٦٠) المصدر نفسه ، ص ١٥٢ .

(٦١) المصدر نفسه ، ص ١٥٢ .

(62) Smith, S., " Sennacherib ..." , Op. Cit, P.67.

(63) Ibid , PP. 67 – 68 .

(64)Ibid ., P. 69 .

(65)Brinkman, J.A., Elamit military Aid …" , PP. 166 – 167 .

(66)Brinkman , J.A., Sennacherib Babylonian Broblem", in JCS , Vol.25 (1973),P.93.

(67) Smith, S., " Sennacherib ……" , P. 68 .

(68)Luckenbill , D.D., The Annals of…., P. 43.

(69) King , L. W. , Op.Cit , P.271 .

(70) King , L. W. ,Op.Cit, P.271 .

(72)Luckenbill, D.D. , The Annals of…., PP. 41-46.

(٧٣) ساكز، هاري، عظمة بابل، مصدر سابق، ص ١٥٣.

- Smith , S., "Sennacherib …" , P. 68.
- Crayson , A.K., Chronicles , P. 81.

(٧٤) مورتكارت، انطوان، تاريخ الشرق الادنى القديم، ترجمة: توفيق سليمان واخرون، دمشق، ١٩٦٧، ص ٣١٠.

(٧٥) مارغريتا، روثن، تاريخ بابل ترجمة: زينه عزرا وميشال ابي فاضل، بيروت، ١٩٧٥، ص ٣٨.

(76) Smith, S., "Sennacherib and ……", P. 68

(٧٧) لقي سنحاريب حتفه قتيلا في نينوى على يد أحد اولاده بمساعدة قادة الجيش الاشوري، بسبب تفضيل ابنه الاصغر اسرحدون عليهم لحكم بابل بتأثير من زوجته زاكتو (Zakutu)، ويرى بعض الباحثين انه قتل في بابل، للمزيد من التفصيل عن مقتل سنحاريب، ينظر: حبيب، طالب منعم، المصدر السابق، ص٤٨ وما بعدها.

(78) Smith, S., "Sennacherib and ……", P. 68.

(٧٩) ساكز، هاري، عظمة……، مصدر سابق، ص ٣٥٠.

(80) Mieroop, M. V., Assyrian Style, past & present, Oxford, No.179, 2003, P. 17.

Archaeological and heritage sites in Najaf Governorate: their importance and potential for tourism development

A.M. Dr. Alaa Hussein Jassim Al-Lami
University of Kufa / Faculty of Archaeology

Archaeological and heritage sites in Najaf Governorate: their importance and potential for tourism development

A.M. Dr. Alaa Hussein Jassim Al-Lami

الملخص

السياحة من الأنشطة الاقتصادية المهمة، إذ إنها تعالج إنتاج وتوزيع موارد الثروة الاقتصادية، وتعود منافعها مباشرة على تعود على المجتمع المضيف، وقد ظهرت العديد من الدراسات التطبيقية في مجال الاستثمار السياحي، وتركز في معظمها على تحليل الموارد الطبيعية والبشرية وسبل تأهيل الخدمات السياحة مثل خدمات الفنادق والمطاعم السياحة في استقبال السياح الوافدين مع زيادة معدلات الاقامة تكرار الزيارة للمواقع السياحة.

ضمت هذه الدراسة أربعة محاور تقسمت حسب توزيع المواقع الاثرية والتراثية في المحافظة واحتوى كل محور منها على المواقع الاثرية والتراثية وطرائق تنميتها وسبل جعلها مواقع ثقافية جذب سياحية وضمت الدراسة أيضا الخطوات التي يجب على الإدارة المحلية في محافظة النجف الاشرف لا تطبيقها للتطوير السياحة الثقافية في المحافظة والاستفادة من الموارد الاقتصادية في تطوير الجانب السياحي.

Keywords : Archaeological tourism**,** heritage sites**,** archaeological sites, Land pilgrimage route.

Introduction

Tourism is one of the important economic activities, as it deals with the production and distribution of economic wealth resources, and its benefits are directly related to the host community, and many applied studies have appeared in the field of tourism investment, and most of them focus on the analysis of natural and human resources and ways to qualify services Tourism, such as hotel and restaurant services, tourism in receiving incoming tourists with an increase in accommodation rates, frequent visits to tourist sites, and the purchase of gifts and souvenir goods are all factors that encourage attracting foreign and local funds in the development of tourism investment in Najaf province.

Archaeological tourism is considered the most important for all aspects of learning about cultural heritage, as through it we can convey the authenticity of our civilization that we inherited from our great ancestors, and cultural and heritage tourism is defined as the travel wave towards archaeological and heritage activities , and it is referred to as the tourism markets that are developed towards culture and antiquities, which today is called creative tourism, part of which is the traditional cultural expressions of cultural, archaeological and heritage sites. Therefore, archaeological tourism is considered a good formula

for the development of sustainable tourism, not a combination of the three basic pillars of sustainable development (economic, social, and environmental) and it is one of the basic resources of cultural tourism.

The main problem is the following question: Can the local government benefit economically from archaeological tourism? As for the importance of the study, the importance lies in spreading the archaeological tourism culture in Iraq and marketing it internationally in order to achieve economic returns, increase revenues, attract tourists interested in archaeological tourism in Najaf, and raise the awareness of the local and international community about the pioneering role of marketing archaeological tourism by broadcasting community and knowledge ideas about the ancient civilization of the Mesopotamian Valley, encouraging the public and private sectors and directing them towards an attractive environment for archaeological tourism.

The study aims to achieve the study and analysis of tourism investment in Najaf Governorate and compare tourism investment with Arab countries, with a view to the most important results achieved in this field, and to identify the components and challenges of tourism investment in Iraq and Najaf in particular, and finally to spread the culture of dialogue between the civilizations that were in the region by revealing their effects and history to tourists.

Study Themes

Tourism is an activity in which a person moves from one place to another for the purpose of entertainment and getting to know tourist sites, and the person who performs this activity is called a tourist, and tourism is divided into: internal tourism, which is inside the country, and external tourism, which is outside the country by traveling through various means of travel to reach other countries with tourist sites[1].

Tourism is one of the important economic activities, as it deals with the production and distribution of economic wealth resources, and its benefits are directly related to the host community, and many comparative studies have appeared in the field of tourism investment, and most of them focus on the analysis of natural and human resources and ways to qualify tourism services such as the services of tourist hotels and restaurants in receiving incoming tourists with the increase in accommodation rates and visits to tourist sites, and the purchase of gifts and souvenir goods are all factors that encourage the attraction of foreign and local funds In the development of tourism investment in Najaf Governorate.[2]

The main objective of the study of tourism investment is to discuss the challenges facing investors and the number of completed projects in Najaf Governorate, as well as the availability of natural and human tourist attractions, which contributes effectively and effectively to attracting capital, which is reflected in improving the economic reality of the residents of the province

through the development of infrastructure services and increasing the efficiency of their performance, as well as working to create job opportunities for the unemployed, which ultimately leads to achieving economic recovery in general .

The first axis: A survey of archaeological sites in the governorate, and this axis includes four areas.

The first region: Archaeological tourism in the Najaf Sea region and the land pilgrimage route

Najaf Sea Region

This sea is one of the geological phenomena of the prominent city of Najaf, and it is located at the western end of the city and is overlooked by a plateau whose basin extends with an area of (750 km2) and the height of its lowest point is (11 m) above sea level[3] .

Historical sources pointed to the historical antiquity of this name, as it was mentioned that Ibrahim al-Khalil (peace be upon him) descended to the land of Banqia as a shepherd of sheep that were called in the Nabataean language (Banqia) and this area remained overlooking the sea, as Khalid bin Al-Walid passed through it and with him Al-Muthanna bin Haritha Al-Shaibani, and they entered it as conquerors, and this name began to lose its importance and the word Najaf overwhelmed the region until the sea was called Najaf.

In the modern era, the Najaf Sea was mentioned by the Portuguese traveler (Taksira) on his trip to Najaf in 1604 AD, where he mentioned that he saw a wide lake when he came from Basra to Najaf in the middle of the desert, which draws its water from the Euphrates River, as it is observed that the water levels increase in the flood season, which is very salty. [4]

The tourist can reach the sea of Najaf from several well-paved roads leading to the sea, which can be reached from the annual road to the city of Najaf, and here it is worth noting that there are no traffic signs indicating these roads that lead to the sea, which makes it difficult for the tourist to reach this important tourist facility

Najaf caves

The geological phenomenal caves (tarat) is archeological that forms the southern and western edges of the Najaf plateau, as the plateau cuts sharply to form a sharp rocky cliff and overlooks the sea, the hills and caves of the tarat are spread west of the city of Najaf, which is one of the prominent archaeological areas overlooking the Najaf Sea or Wadi al-Salam, and through the historical sequence of this area, which dates back to distant historical eras, starting from the flood in the time of the Prophet of God Noah (peace be upon him) and passing through its use as monasteries after the Prophet Isa bin Mary (peace be upon her) ended up taking cemeteries for burying the dead, which is known as Nawawis, the graveyard of the Christians, the carved stone in which the body of

the dead is placed, and the area of Najaf is approximately (65 km) and the highest point of elevation is about 100 meters above sea level. [5]

Irregular rocky heights often attract attention when they head towards the Najaf Sea area, which are beautiful in view and the view of the Najaf Sea area today, and there is a phenomenon that should be mentioned, which is the drainage of water from some of the rocky layers of the tires and its explanation is that it is groundwater stored in the Najaf Plateau, its permanent source may be rainwater. These tires with this appearance have an aesthetic importance that attracts tourists to the region, as the tourist can reach the tires from several paved and good roads leading to the tires in the Najaf Sea, which can be reached from the Hawli road to the city of Najaf, and here it is worth noting that there are no traffic signs indicating these roads that lead to them, which makes it difficult for the tourist to reach this important tourist facility.

Land pilgrimage route

The ancient Hajj, which is the Hajj route between Kufa and Mecca, is the most important of the seven land pilgrimage routes that connect the Hijaz to the Islamic world, the history of this route dates back to the time of the Babylonian Empire, then it became the trade route between Al-Hira and Mecca, then it was known since the beginning of the emergence of the Islamic Arab State, and its fame was widely spread and its news was distributed in various sources and references, and there is no doubt that the accuracy of its route, directions and stations, in addition to the great care of its affairs in the years of the Arab-Islamic Caliphate, was one of the reasons for the spread of its news in Islamic history, and its peak of prosperity was in the first Abbasid era, but in the last ten years, there has been a renewed talk about this road, which is about 1400 km long, and it is considered one of the most famous archaeological roads in the world, and its remains and monuments still tell humanity about a superior engineering and human effort, and because of the excitement of the sign to this day, it was the reason for the project of the road to be elevated to the World Heritage List in the UNESCO World Heritage Organization. Due to the importance of the land pilgrimage route, which will be one of the archaeological sites declared on the World Heritage List, many foreign, Arab and local tourists will want to visit this archaeological route that is unique to the province of Najaf.

The tourist can reach the land Hajj Road today from several paved and good roads leading to the Hawli road to the city of Najaf, and here it is worth mentioning that there are no traffic signs indicating these roads that lead to the land Hajj Road, in addition to the fact that today the Hajj Road has been repaved, which makes it difficult for the tourist to reach this important tourist facility. As for the security situation of this road, it is not good, so it requires the local government to put protection points for the road in order to protect the

arrivals from tourists on the road, and this applies to all the stations of the road that we will mention later.

Khan Al Rahba Station

It is one of the commercial stations and the rest house for travelers to and from Najaf, and it is located south of the city of Najaf, at a distance of (35 km) on the edge of the southern desert, and it was a khan and a city where people live in the center of it, and the houses are still standing in it to the present day, and the khan is considered one of the distinctive architectural style in terms of the method of construction and the presence of beautiful arches and contracts, so it is one of the most beautiful heritage khans in the city of Najaf . However, it suffers from severe neglect and the construction of the khan may be damaged due to neglect and obsolescence on it.

The land pilgrimage route, which was reopened in 1936, used to pass through it, and it was the first point at which the pilgrim stood to check his passports, and that was one of the golden days when the economy of Al-Rahba was revived, and its eyes were the most important of which is Ain Al-Rahba, which is the source of life in it, and it is half a kilometer away from the village.

Barakat Atheeb Al-Haganat Station (Barakat Zubaydah)

This station is currently located within the administrative borders of Najaf Governorate, and it is about (45 km) to the southwest of the center of the province, and this station was mentioned by Ibn Rustah and Ibn Khurdadhiba, and Ibn Rustah mentions that Al-Atheeb comes after Al-Qadisiyyah by six miles (i.e. 12 km), and between Al-Athib and Al-Qadisiyyah are two walls connected on their sides by palm trees, and after Al-Atheeb comes the wilderness (which means the desert), and he also points out that It was the place of a Persian armed force at the edge of the desert, and if the traveler came out of it, he entered Al-Mufazah, and Ibn Khurdadhab mentioned the same thing as Ibn Rustah, and they see it as representing the second house of the stations of the land pilgrimage route (Darb Zubaydah), as the road starts from Qadisiyyah and then Al-Athib, and this station was mentioned by Al-Hamawi: Al-Athib: Reducing Al-Athib, which is the good water, which is water between Al-Qadisiyyah and Al-Mughitha. between it and Al-Qadisiyyah (8 km) and about (64 km).[6]

The architectural layout of the pond was characterized by a circular layout and close to the shape of a "water bottle", as it consists of two parts, the first is the circular one, which was with a diameter of (32.5 m), and the rest is from the height of its walls(1 m) and the thickness of the walls (0.90 m), and this thickness gives it a supporting force to resist the flow of drifting water, and at the inner southern wall of the circular part of the pond, the remains of a ladder appear, of which we were able to determine four steps of the length of each of them (12 m). Its width is (0.80 m) and height (0.20 m) and this ladder leads to

the bottom of the pool, and it seems that the purpose of its existence is to go down to the bottom of the pond and clean it from time to time from the silt and plankton that accompany the flow of water, and the steps of the ladder have been covered with plaster material, as the remains of a thick layer of plaster amounting to (0.04 m) can be observed, and we could not know the depth of the pond due to the large accumulation of sand in it, and it is observed on the walls surrounding a pond The effects of moisture and damage caused by the water stored in this pond.

At the inner northern wall of the circular part, there is a crater opening with a width of (2 m) on both sides of it two pillars to strengthen its dimensions (0.50×0.50 m), and this opening is connected to a channel with a width of (1 m) and the channel extends in a wavy manner, as its length at the point of its meeting with the crater is (12 m) and then turns towards the north for a distance of (10 m). Then it returns to the western direction at a distance of (6 m) and it seems that this channel was connected to a water well to supply the pond with water, but it is currently being studied and it must be a hill higher than the level of the pond.

The pond and its channel were constructed of local limestone that is not renovated and available in the environment surrounding the pond, and the stones of the pond walls were connected to the bonding material, which is plaster, which was taken from the local quarries located near the station or the pond, and the effects of demolition, vandalism and neglect that affected many of its parts were observed, which made it more difficult to distinguish the rest of its parts[7]

Wadi al-Sabaa Station

It is currently located within the governorate of Najaf, and is about (52 km) southwest of the city of Najaf, and 13 km away[8] , (Plate No. 7) (towards the southwest of the pool of Atheeb al-Haganat).

Historical sources mention that Imam Hussein (peace be upon him) came to him with the news of the death of Muslim Ibn Aqeel (peace be upon him) when he landed at this station, and he also met the army sent by the governor of Kufa before Yazid, where Ibn Qutaybah says in this regard: "The army threw him on their horses in the valley of the Saba', and they threw them and they did not have water, and they said, 'O son of the daughter of the Messenger of Allah, give us water.'[9]

The architectural planning of the pond, near which there are the remains of a palace at the southeast direction of the palace, and it is rectangular in shape, its dimensions are (50 × 70 m) built in order to collect rainwater and make maximum use of it without the irrigation of humans and animals in this arid desert (Plate No. 8), and the fact of the current state of this pond is that most of its walls are demolished due to the factors of time and neglect, the walls of the pond were built of local stone and in different sizes and in the method of

solution, tension, and the bonding material is plaster, and that the rest The maximum height of these walls is (1.5 m), while the thickness of the outer walls of the pond is about (1 m), and there is a wall inside this pond that extends with a depth of (20 m) and a thickness of (0.70 m), and it divides it into two unequal parts, and this wall is supported at its end by a circular pillar with a diameter of about (1 m), and it seems that the construction of this wall may be in order to filter and purify the water to be more suitable for drinking.

We believe that this pond has a canal connected to it on its northern side, and this canal has an opening capacity of (1 m), and the canal in turn ends in a square pond or basin whose dimensions are (3 × 3 m) and the thickness of its walls is the same as the walls of the large pond, and the length of this canal, i.e. the distance between the large and small canals, was (2 m), and this main pond may have contained internal stairs on a certain side of the pond or perhaps two sides in order to facilitate the process of obtaining the water collected in these pools. The pond or for the purpose of cleaning it of mud and plankton, it has been found in this station that the remains of the building unit represent a palace called in the area Zubaydah Winter Palace.

The general plan of the palace or building is square in shape with dimensions (26× 26 m), and consists of one floor and consists of a central square surrounded by the rest of the facilities of the palace or building, the palace was constructed with the material of stones and the plaster was used as a bonding material, the palace consists of a solid outer wall built of stones, and the rest is of its height (6 m) and thickness (1 m), the four corners of the palace were supported from the outside by cylindrical corner towers representing three quarters of the circle, and it has a wide base with a diameter of (2.5 m).The body of the cylindrical tower rests on it, which gradually narrows as we rise towards the top of the tower to reach a diameter of about (1.5 m) at the top of the remaining height of its peak, and these towers are solid, their rows of stones have been stacked randomly, but they are wrapped from the outside with rows of stones of different sizes and measurements in the form of a row containing large stones, followed by another row with smaller stones to fill and level the rows, and plaster was used as a binding material. In one of the towers of this corner palace, It was found that the tower was not connected to the outer wall of the palace, that is, the traditional method of construction was not used, which is the method of dissolving and tensioning, and perhaps this tower was built in a later period of time, and through some remains that were found on the four outer sides of the palace, we believe that there are other towers built between the corner towers, which are eight other semi-cylindrical towers with two towers on each side of the palace, but they are smaller than the corner towers. From the rest of the parts of these two towers at the southern side of the palace, we can describe that one of them has a cylindrical pyramidal base, i.e. it is wide from the bottom with a diameter

of (1.5 m), and this base narrows as we go upwards to reach a diameter of (1 m), and the base rises by about (1.5 m) on which the body of the tower rests, which is less than the cylindrical base of the rest of its height (3 m), while its body has reached a diameter of (0.80 m).(Approximately, the other tower is devoid of a pyramidal base and the same measurements as a cylindrical tower.

The palace has one main entrance, which may be located on the northern side, but it is demolished due to the collapse of most parts of the outer wall of this side, which we could not take measurements and description, as for the interior plan of the palace, it consists of the central square, which is rectangular in shape with dimensions (13 × 17 m) overlooking the four sides of the palace, and the rest of its facilities, which had an entrance overlooking the central square with a pointed knot, the capacity of one of which was opened. 0.80 m (1 m) high and this stone has different sizes and shapes, including square and rectangular. The western side of the palace contained three rectangular stones (similar in shape and measurement in dimensions (5 × 5 m).

There are two square-shaped wells located west of the palace, the first is (3× 3 m), which is the closest to the palace, and the second is the farthest one, which is (4 × 4 m), and these two wells are deep, and their depth may reach fifty meters, knowing that we have not been able to take accurate measurements of the depth of the well due to the lack of laser measuring devices and also This is also due to the difficulty and danger of approaching the opening of these wells.

These wells were built in a wonderful engineering way and took into account the geological nature that surrounds these wells by monitoring the Iraqi architecture and taking into account the thickness of the surface top layer, which is usually made of the brittle soil that is rapidly destructive, which has always affected the wells and buried them when heavy rains and swept away torrents at times, and the frequent use of the well is incorrect by travelers may lead to damage and disappearance of the wells, so it was necessary The Iraqi architect paved the upper part of the well with several rows of engineered stones of different sizes and shapes to reduce the effects of backfilling as well as help stabilize the surface of the soil in which the well is located, while the lower part of the well down to its bottom was carved with shovels and arms of the sophisticated building because its geological nature is from sandstone that is easy to carve, and to the southwest of the palace and at a distance of (200 m) There are almost the remains of two knots buried in the ground, of which only the upper part remains, and they are opposite each other with a distance of (3 m), the node farther to the palace has great traces of damage and the rest are traces of the wage with which the front of the knot was built longitudinally, while the other nook that is closer to the palace is better than the other and we note that the wage is in good condition in it and this wage is of the large type and probably of a measure of (6× 34×34 m) if it is true This may be due to an

earlier period of time, and the dimensions of these building blocks were also used in the buildings of the Abbasid era, and between these two arches there are remains of traces of the obvious steps, including three steps with a height (0.15 m) and a width ranging from (20 to 25 cm)..

This building is unique and important and opens many horizons for us and gives us several questions that we cannot answer with certainty now or determine what it is, the function of this building unit, and the reason behind its presence in this place, but through the study and field survey, we believe that this building, represented by the two opposite contracts, may have carried an arch or an irrigation bridge a connection between the two ends of a small stream that was here and has been eroded over the years as a result of the factors of the dry and hot climate that this region enjoys, and perhaps the excavation shovels in the near future will answer this and determine for us the function and date of the construction of this architectural edifice.

The Minaret of um al-Qaroun:

It is located within the administrative borders of Najaf Governorate and is 50 km away from the center of the province towards the southwest of Tablet No. (9), and it is also about (2 km) northwest of the palace at Wadi Al-Sabaa station, [10] and as a result of its proximity to Wadi Al-Saba'a, we considered it a part of this station, and it is believed that it is named after the Sultan of Jalal al-Dawla King Shah Alb Arslan, who died in 485 AH 1127 AD.[11]He went out of Kufa himself in one year to bid farewell to the pilgrims, and when he reached the seventh day near Al-Waqsa, he built a lighthouse in which he left the antlers of the antelopes and the hooves of zebras that he hunted on his way. The wage rings, octagonal and square, are exquisite shapes, and it is strange that they are majestic, all with deer horns attached to them, waving like the back of a sheep... Near this lighthouse is a palace with a bridge, and next to it is a factory (which means the great well) and it is found filled with water[12].

The general description of this lighthouse is that it has a cylindrical body carried on a stepped base, and it is currently an abyss on the ground where the east, and it is a single building to which no building unit is connected, and it seems from the reality of the lighthouse that this lighthouse has a square-shaped base that is almost completely destroyed, except for the presence of a small part of it that remains, through which we can infer that this base was gradual, and this is confirmed by Al-Azzawi as he described to us the base of the lighthouse, which is square-shaped. Its dimensions are about (7 × 7 meters) and its height is (3.5 meters) and it is built in a graded form of four steps and from the four sides.

The method of building the listed base of the minaret is for a structural purpose, because the function of the gradient in the base aims to distribute the weight of the high-rise minaret, as the minaret is similar to the minaret of the mosque of the single type, as it represents a large building block that needs a

strong base that bears the weight and height of the minaret, in addition to taking into account the nature of the generation and the nature of the land on which the minaret is built and its base.

The base of the lighthouse has disappeared and its features have been destroyed, and we could not distinguish the gradient that Al-Azzawi referred to, which made it difficult for us to take the correct dimensions of this base, as for the hull, it is above the base, cylindrical in shape, and the rest of this hull rises from the base by about (1.5 m). As for the fallen part of the hull, the rest of it5 م (we have not been able to know the exact measurement of the height of this lighthouse due to the demolition and disappearance of much of its body, especially at its top, and the diameter of the hull is the same3 م as that of a solid structure built in two stages, i.e. built from two overlapping cylinders, the smaller inner one is wrapped in rows of bricks This inner cylinder is covered by another larger cylinder built of unreinforced stones and encased on the outside with bricks with dimensions (5×25×25 cm).

Fourth: Al-Mughaitha Station

It is located 74 km southwest of the city center of Najaf, and is within the administrative boundaries of Najaf Governorate[13]. Plate No. (10)

Al-Mughitha: station for the pilgrim between al-Qadisiyyah and al-Qara'a, and between the mineral of al-Nuqrah, a station (in which there is a lot of rainwater and the distance between it and al-athayb is fourteen miles[14], and Yaqut mentioned it (al-Mughitha is a house on the road to Makkah after al-Athayb from the side of Makkah, which is for the Banu Nabhan from Tay).[15]

The general layout of this station is a rectangular pond with dimensions (50 × 100 m) and its apparent depth is currently 2 m, and we do not exclude that it is deeper than that because its bottom has been buried with sand as a result of the factors of time, and its walls are built of stones and plaster bond, and the pond is divided into two square sections, the first square located on the northern side is centered on the inside of its northern side by two degrees of length(7.5 m) and the width of the degree is (75 cm) and its height is (50 cm), and it seems that the stairs continue to the end of the bottom of the pond in order to clean the basin from dirt, mud and plankton, we observe the effect of time factors on most of its walls, while the southern part of the main pond has its walls Graded from the inside on its four sides, the visible indicator is four degrees, each degree is 0.50 m high, and its width is (0.75 m). We also note the presence of the remains of the foundations of the towers integrated with the semi-cylindrical wall that support the walls of the pond from the outside at the southern sides of the pond, except for the tower (1.5 m) in diameter, with a square base with a side length of (2.5 m) and the rest of the height of these towers from the outside is about (0.30 m).There are remains of foundations, which may be a channel connected to this pond at its northeast corner, and by tracing the foundations of this part of the

canal, we notice that it is not on the same straight, as it tilts slightly towards the east whenever we ascend north towards the first well, which is located at the northeast of the main large pond and is about (40 m) away from it, and the width of this channel is (1 m) and there is another small pond located on the southern side of the main pond is in the distance of (4 m.) It is rectangular in shape with dimensions (8 × 5 m) and its walls are built of engineered stones of different sizes and the material is a plaster tie, and in the middle of the wall of this small pond on its eastern side is an opening with a capacity of (1 m), which may represent an opening for a channel connected to the pond to collect the water of the well which we will describe later, where there are remains of the walls.

This canal is connected to the opening of the small pond from the east, and its length reached about 4 meters, and then it turns at a right angle towards the north, but unfortunately the walls of this canal have disappeared due to the factors of time.

The northeastern well is square in shape with dimensions of (5 × 5 m) and a depth of more than (50 m), the top of the well has been encased from the top by rows of engineered stones of different sizes and sizes and a depth of about (10 m), and it is noted that the well has lost a large part of the engineered stones that used to envelop its top due to the factors of time, neglect and lack of maintenance on it because it was abandoned a long time ago.

The second well, which is located on the western side of the large pond, which is about 20 m away, is also square in shape with dimensions of 5 × 5 m, and its opening is covered with rows of stones built to a depth of (10 m), while its depth to the bottom may reach more than (50 m). Like the first well, it was demolished and neglected due to climatic conditions and the factors of time, and it seems that both wells were equipped with a neck above the soil surface of stones, i.e., a curtain or stone barrier in order to protect and prevent those who use the well from falling into the abyss.

Finally, we can increase the number of tourist stations in this axis after tourism develops and the number of foreign, Arab and Iraqi arrivals increases, and it becomes economically feasible, because tourism in the desert is one of the most desirable types of tourism nowadays.

The second region: Archaeological tourism in the area of Al-Hira (southwest of Najaf)

The historical site of the city of Al-Hira, as the city of Al-Hira, located south of Najaf, was a spiritual capital for Christians and a destination for monks for more than 500 years before the entry of Islam into Iraq.

As for the origin of al-Hira, there is a difference of opinion among historians about its history, some of them say that it was established during the reign of the Babylonian king Nebuchadnezzar, but the situation did not continue with it, as it

was destroyed after his death and remained so until the Arab tribes came down to it at the beginning of the third century AD or before that date[16] .

This city started as a small town, like the rest of the cities that flourished over the days during the reign of Al-Nasr Al-Lakhmiyyah. Al-Hira appeared politically at the beginning of the third century AD, and this city formed a political dimension for the Arab tribes present in this region, as it played an effective role in the development of events, especially in the east and west.[17].

The state of Al-Manathira and its king, Al-Numan bin Al-Mundhir, were famous for caring for silos and their monks. The city of Al-Hira was called "the City of the Lord" because of the many monasteries and churches in addition to its famous palaces such as Al-Khurang and Al-Sudair , and about the most important Christian monuments there, he pointed out that there are more than (33) monasteries between Najaf and Kufa of the remnants of Christianity, some of which were discovered in the Najaf region, where the Kingdom of Al-Hira was under the rule of Al-Manathira before the Islamic conquest in the seventh century AD[18].

The Christian crosses were found in the city of Al-Manadhira, Al-Hira, a historical city where Christians and Jews lived before Islam, and it was a city of religious coexistence, which was followed by the German expeditions in 1932 and another American in 1957, which discovered during its excavations the palace of um Arif in that area. Our local experts also excavated in that area and found the largest historical Christian cemetery dating back to the era of the Al-Manadhira state, in the area between Najaf International Airport and the Al-Hira area. Recently, the remains of a Christian monastery were also found in which the name of the owner of the monastery (Abd al-Masih)[19] was found.

The tourist can reach the archaeological sites of the archaeological city of Al-Hira today from several paved and good roads leading from the city center, and here it is worth noting that there are no traffic signs indicating these roads that lead to the archaeological site, in addition to the fact that today many main roads in the governorate have been redeveloped and covered, and this makes it easier for the tourist to reach this important tourist facility of the archaeological city of Al-Hira. As for the security situation of this road, it is not good, so it requires the local government to make an agreement with Najaf International Airport, because most of the sites of this axis are located inside the airport, which are sites that date back to the time of Al-Hira's entry into the Christian religion, which makes them very important for the dialogue between religions and civilizations in the province of Najaf, as Christian confusion accompanied the Islamic city of Kufa to the fourth century AH, and there was peace and coexistence between the peoples of the two cities.

The most important landmarks of the archaeological area are:

First: The remains of monasteries and churches located between Najaf airport and the power plant

The urban and service expansion in Iraqi cities in general, including the province of Najaf, has caused great damage to the cultural heritage of Mesopotamia, as some of these urban expansions and the expansion of civil services have made some archaeological sites vulnerable to vandalism, so Iraqi missions commissioned by the General Authority for Antiquities have done a great job of It is known that Najaf Al-Ashraf Airport was built on the archaeological hill of Kneidra, which includes in its interior many of the remains of the city of Al-Hira, so the expansion of the runways and the possibility of its impact on the adjacent hills of the remains of the ruins of Al-Hira was the main motivation behind Assign a rescue excavation mission, and as a way to draw attention to the protection of those archaeological sites.

Some of the wall marks were visible on the southern slope of the hill and it was the starting point for the excavation work in the southeastern corner of it, and the excavation work resulted in the discovery of a large building of a large area consisting of (46) architectural units of different sizes, including large halls, including small stone, and medium-sized mats, and porches overlooking large open courtyards.

Al-Hira encompasses sixty-six monasteries and churches as mentioned by history, and it was discovered by the General Authority for Antiquities and Heritage a messianic home near the gas station that contains architectural decorations and also stumbles on Christian crosses, and the excavation missions that learned inside the Najaf Al-Ashraf International Airport discovered four monasteries and three churches that contained Christian architecture that bears the decorations of a beautiful building, and also discovered about Christian crosses in excavations [20].

Second: The cemetery of "um Khsham"

It is one of the major Christian cemeteries located in the Al-Hira area in the south of Najaf Governorate, it has a wide extension from Najaf Governorate to Al-Manadhira area to Al-Hasiya area, on the Najaf-Ghamas road. According to observers, a third of this area was settled by displaced people from the marshes from southern Iraq, and there are buffalo breeders and Bedouins, so this area was affected and removed and stolen, and its time age exceeds 1800 years, that "this cemetery is one of the largest Christian cemeteries in Iraq and the region, which was a center for the gathering of Christians at the time of the Kingdom of Al-Hira", noting that "this cemetery was excavated and stolen, and the process is still ongoing because the cemetery is not fenced", because the graves are not marked and are underground. The excavation and theft began after 2003, and the people of the area believe that there are treasures buried underground in graves.

The tourist can reach the archaeological sites of the city of Al-Hira today from several well-paved and well-paved roads leading to it from the city center, and here it is worth noting that there are no traffic signs indicating these roads that lead to the archaeological site.

Third: Al-Khornak Palace

It is a palace that was in the outskirts of Iraq that is believed to have existed near what is now called the Abu Sakhir district in southern Iraq, built by al-Nu'man ibn al-Mundhir in the fourth century AD, and it has been mentioned in the hadiths and poems of the Arabs, in addition to the palace of al-Sudairwhich was built by the Lakhmiyyatal-Munather as well, and it is said that it witnessed one of the most important conferences in Arab history before Islam. In this "conference", the Lakhmi king tried to unify the word of the Arabs, in order to limit the influence of the Sassanid state. The story of al-Khurang is also related to the story of his construction by Senmar , a Roman engineer , so the palace was a great building and it took sixty years to build it, in which Sinmar worked for two or three years and was absent for five years, so when the construction of the palace was finished, he told Nu'man ibn al-Mundhir that there was a brick in the palace whose bricks had been removed, and that the whole palace would have fallen, and that no one else knows its whereabouts, so that he would not tell anyone about that rent, so he gave the proverb "the reward of Sinmar." He The palace lasted for more than eight hundred years[21]

It is worth mentioning that the first excavation expeditions that tried to find the ruins of this palace were headed by Wright Enkid from the University of Oxford in the United Kingdom in 1931. Then, in 1938, an Iraqi expedition headed by Professor Taha Baqir followed it, where it uncovered a mud-brick wall 110 meters wide, surrounded by round and square towers, which the mission suggested was a fortress of a large building, and it was believed at the time that the fort belonged to one of the two palaces

In 2001, Iraqi newspapers published a news that the Iraqi archaeological mission at the archaeological site of Abu Sakhir had reached important results in its search for the site of Al-Khourang Palace, and found 467 artifacts stored in the Iraqi Museum in Baghdad, revealing mysterious secrets related to the Kingdom of Al-Manadhira, its capital Al-Hira, and Al-Khourang Palace, and the location of the palace was confirmed through the presence of the cemetery called Al-Mundhir Cemetery, which is the tomb of the royal family, and is located within the prohibitions of Al-Khourang Palace.[22]

This area does not currently have any tourism elements because most of this area has been demolished and vandalized by thieves and the community surrounding the archaeological sites, in addition to a large part of it is located inside the wall of the international airport of the city of Najaf, which in turn has

also vandalized and wasted many Christian sites within its walls by excavating them in previous years and leaving them exposed to the nakedness and weather conditions that caused the damage of the archaeological sites. It is in fact a beautiful tourist area if it is not affected by vandalism, demolition and excavation of sites in it, and today this area needs great efforts to rehabilitate it as a tourist destination.

Region III: Archaeological Tourism in the City of Kufa

The location of the city of Kufa is characterized by great historical depth because it is close to the city of Al-Hira, the capital of the Arabs and the same Christian religion, which was the site of their month and their heroics against the Sassanids, in addition to many cities that date back to the Sassanid era and before it, such as the city of Paniqia and the Persians, and we returned to the cities that were close to Kufa[23].

The location of Kufa is also characterized by its proximity to the Euphrates River and the fertility of its land and the nature of its air, so its geographical location was abundant with fresh water and good pastures, which were the conditions of the second Caliph on choosing the place, in addition to the lack of a natural barrier such as the river and the sea between the chosen city and Madinah, the capital of the state, and it was the second city of Egypt outside the Arabian Peninsula by the Arab Muslim leader Sa'd bin Abi Waqqas (17 AH / 638 AD).[24].

The city of Kufa did not have any religious impact before its settlement, but the situation changed after the city was built and its mosque (Kufa Mosque) was built, which took on more importance after the fourth Caliph Imam Ali (peace be upon him) took it as the seat of his caliphate, so the mosque was the vital place in the city, the five prayers were held, and in its courtyard people gathered to listen to the sermons of Imam Ali (peace be upon him).After the martyrdom of Imam Ali in the year forty AH, following a blow in the mihrab of the mosque, the mosque took a different position and was sanctified and blessed[25].

The current planning of the city of Kufa dates back to the Ottoman era, where a group of municipal departments was established in and in the cities affiliated to it, in addition to the departments concerned with health and cleaning affairs, but the reality of the situation of these departments was limited to collecting fees and duties, paying salaries, and guarding the employees of those departments, as the city developed, especially in the years when the British occupied Iraq, during that period the previous municipal departments were abolished, and their tasks were limited to widening some streets and filling potholes. Drinking water and roofing Some markets and some parks are provided. Some of them relied on their own budget, having previously relied on central funding[26].

The first department for urban planning was formed in the Directorate of Municipalities. The General Authority of the Ministry of Interior in the late

thirties was responsible for the development of urban and rural urban communities in the past, the planning of cities during the royal era and until the fifties of the last century did not exceed in preparing plans for public roads in the city and defining their taboos, with the preparation of land within a simple general structure of the city, many of the facilities of the city of Kufa belong to the two eras during the British occupation of Iraq and the royal era [27].

Tour Route in Kufa Heritage Area

The tour route starts from Corniche Street in Kufa, the main street adjacent to the Kufa River, and after that, you enter the Sikka Street, which was so named because it contained the tramway track in the Ottoman era, seeing the heritage buildings that date back to the Ottoman and Iraqi royal eras, all the way to Al-Oula Square, and then entering the old market street to see the heritage buildings, markets, handicrafts shops for the number and the manufacture of boats as well, and back to the Corniche Street to go from it to the river tour in the Euphrates River. It is considered a holy river in many religions, including Judaism and Christianity.

River Tourist Route in the Kufa River

Organizing river boat tours to introduce tourists to the most important monuments and cultural and civilizational heritage sites on the banks of the Euphrates River in Najaf, the first of which is the guest palace and the khans on the side of Corniche Street and Alhambra Mosque as well, and by advancing the tour north to farms on the banks of the river, to implement a project idea, we need to build an office or a kiosk on the Euphrates River marina in the city of Kufa, they can be in the place of the river boat marina in the Corniche of Kufa today.

To provide tourism services for the project such as receiving tourists, cutting tickets, distributing tour guides or posters, exhibition or selling souvenirs of artifacts and heritage artifacts, besides this, this office arranges visits by pre-booking through a specialized website or social media sites, within the boats that work in taking tourists on tours in the river until today Note we will accompany the project file with the study.

The Fourth Region: Archaeological Tourism in the Khanates of Najaf and its Walls (Old City)

Tourists can reach this area today from several well-paved roads leading to it, as it is located in the center of the city, and here it is worth mentioning that there are traffic signs indicating these roads that lead to it, but there is a negative of this area as it is located within the security perimeter of the old city in Al-Ashraf Governorate and not all expatriates can enter it because it is a fortified area.

First: The walls of the city of Najaf:

The history of the construction of walls in the city of Najaf dates back to the third century AH, and some consider that the number of walls built around the

city of Najaf is six walls, while some consider it to be five, as the first wall that was mentioned to be built around the holy shrine by Muhammad bin Zaid the Alawite da'i in 285 AH, as when the dome was old, the age of the walls Najaf received special attention from the Alawite preacher of Tabaristan, who ordered the sending of funds from Tabaristan for the construction of the holy shrines in Najaf, Karbala and Medina, during the caliphate of the Abbasid Mu'ta'id in the year (259-289 AH).[28]

However, there is another text that states that Sultan Mas'ud bin Buyah Al-Daylami ordered the construction of the wall of Mashhad Al-Najaf ("When he finished building the Dome of the Holy Dome and plastering inside and outside it, as he sat in its courtyard and kissed its heels, and Abu Abdullah Al-Hussein bin Al-Hajjaj (who died in 396 AH) stood up"), andthat the first wall that surrounded the city of Najaf was in 400 AH, and that Abu Muhammad Al-Hussein bin Fadl Sahlan carried out its construction by his order after he made a vowto see If he was cured of an illness that afflicted him, he built this wall, and when he was healed, he ordered it to be built, and it was Abu Ishaq Al-Arjani, and the length of this wall was set at 1250 meters[29].

The last wall, the sixth wall, was built by the order of the Ottoman vizier Suleiman Pasha in 1788 AD, and it remains tall until the sixth decade of the fourteenth century AH – the twentieth century AD[30].

The remaining part of the wall of Najaf is located in the area called Al-Sudair Street in the Old City, towards the eastern part of it in the Old City, which is the remaining part of the sixth wall, if we consider that the wall of the courtyard represents the first wall as we know it. After standing on this part of the wall, it appeared to us that it represents a straight wall about 12.5 meters high and 2 meters wide.

Second: The Grand Market (Roofed Market)

The Grand Bazaar in Najaf is a cultural landmark and a main market, because it has a large area and sells a large number of commercial items, and there are a large number of shops for different crafts, and it is characterized by its proximity to the shrine of Imam Ali (may Allah bless him and grant him peace).

The market is characterized by being similar to the Ottoman souks, as its roof is roofed with metal panels, and it has a wooden structure, and it was last renovated in the 1980s, as new metal strips were placed for the roof.

At present, there are various shops along the Grand Bazaar, as there are goldsmiths' shops, in addition to shops selling electrical appliances, leather industries, mobile phones, men's and women's fabrics, luxuries, perfume shops, shops selling fat, and shops selling silver such as rings, rings, rings, and precious jars, in addition to the presence of exchange shops specialized in selling and buying currency, as it is needed by visitors to the market who visit the holy shrine of Imam Ali and then go to visit the market.

A number of changes have taken place in the square of the square, the most important of which is the construction of a tunnel so that cars can reach the Grand Market, and a parking garage was also created, but in 2003 the tunnel was removed and converted into a square with gardens that advances the entrance to the Grand Market.

Third: The Holy Alawite Shrine

It is a religious shrine and mosque located in the city of Najaf in Iraq, and it is one of the holy places for Muslims, as many sources mention that most of them belong to historians that it was built on the grave of Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him), the fourth of the Rightly Guided Caliphs after the Prophet Muhammad, may God bless him and grant him peace.

The history of the construction of the Holy Shrine today dates back to Shah Safi, the grandson of Shah Abbas I Safavid, who built the building since the seventeenth century AD, and due to the durability of the building and its good construction method, it continued to stand to this day, and the shrine was renewed several times and in different stages, and later the dome above it was re-gilded and a new courtyard was added under the name of the recently Fatima Al-Zahra Courtyard, and the library of Al-Rawda Al-Haydaria was attached to the shrine, which includes many precious and archaeological manuscripts.

Fourth, Khan Al-Sherilyn and some religious and governmental schools

It is one of the important heritage khans in the old city (the beginning of Al-Sadiq Street) in Najaf Al-Ashraf Governorate , and it has been rehabilitated as a heritage museum of the Twentieth Revolution and the heritage of the city of Najaf , and the building consists of two floors and a basement, and its total area is estimated at about 2000 m2 and its height is (12 m.).

The khan includes a variety of heritage collections of weapons, ornaments and brass household utensils, and contains a special hall (panorama) that embodies the battle of the Twentieth Revolution, and the building was a camp for the army of the Ottoman Empire , and after the Twentieth Revolution on June 30, 1920, it became a detention center for English prisoners who fell into the hands of the revolutionaries.

Khan al-Shilan was built and built at the end of the Ottoman Empire in 1899 in order to host visitors coming to the city of Najaf, but it did not fulfill the purpose for which it was built due to the British army's control of it and its headquarters in 1914.

Religious Schools in the Old Area

There are many schools that are famous for their beautiful and wonderful architecture that have been preserved to this day, which expatriates of tourists can see on their tour inside the old city and get to know its beautiful heritage buildings that carry features that you cannot see in other places such as its crypts that contain a number of floors due to the geological nature of the land of Najaf,

and we will mention a model of it (Al-Yazdi Grand School). This school is one of the most famous religious schools in Najaf, architecture, decoration and luxury, and it was considered the largest school in Najaf located inside the wall, as it is located at the end of the hall in the alley leading to Al-Rasool Street from the east and to the Al-Huwish market from the west, unparalleled in the luxury of the building, the capacity and the abundance of rooms, and it was built exquisite and in a wonderful architecture that was at the time and is still a proverbial beater (and its floor was tiled with glazed marble and its walls were covered with panels Al-Qashani Al-Badi, in which the art of engineering and leadership made it the focus of the attention of tourists and visitors, and the area of the school is estimated (750 meters) and the school has a library full of sources and manuscripts. It has endowments, buildings and buildings to spend on it. The person who was responsible for its construction and the seeker in its management and organization was Mr. Muhammad Al-Yazdi, the son of Al-Hajjah, Sayyid Muhammad Kazem Al-Yazdi[31].

As for its establishment, the credit for this is due to Imam Sayyid Muhammad Kazim al-Tabataba'i al-Yazdi, who died in 1337 AH, where he started to establish the school in the month of Safar in the year (1325 AH / 1904 AD), and it was built in (1327 AH / 1906 AD), and its construction was dated after its completion by some writers and history books in al-Qashani on the side of the door[32].

Old Town Tour Route

The path starts from the square of the square and then to the roofed market to see this heritage market, then visit the Al-Rawda Al-Haidariyya Al-Sharifa from outside and some religious schools in the old area, then return from Imam Al-Sadiq Street (peace be upon him) Al-Khan Al-Sheilan Heritage and its museum, and finally return to the Blister of Prevention in Al-Meydan Square.

Problems and their solutions facing the development of tourism in Najaf Governorate

1. The main problem in the development of tourism in Iraq in general is the lack of cultural awareness about the archaeological sites in Iraq in general and the province of Najaf in particular, despite the fact that Iraq has the oldest civilization known to mankind, not that it is not dominated by the domestic, regional and international media, as any citizen in the world asks about the name of Iraq and may not know where Iraq is located. But if you ask this same person about the Mesopotamian civilization, he will know it quickly because he studies in his study about the civilization that taught humanity civilization, writing and reading, in addition to watching the effects of this civilization in the museums of his country and he pays a sum of money to see this civilization, so it is important to spread the archaeological and heritage culture of tourism in Iraq and market it internationally in order to achieve economic returns and increase revenues

through Addressing the masses inside and outside the country objectively and mentally using the factors of attraction in presenting Iraqi antiquities in general and Najaf in particular, with the aim of convincing the public of its benefits for the individual and the state and encouraging them to identify the components of tourism, with the aim of spreading tourism awareness among them, treating tourists well and helping them in what they need by introducing all the natural and historical landmarks that the country contains, with the aim of highlighting the components and tourism possibilities of the city of Najaf, using all media means. modern to disseminate and transfer information that contributes to tourist attractions and with all available technical methods to persuade and influence in order to create tourism awareness among the masses and attract as many individuals as possible for temporary residence away from their home inside or outside the country, and through the development of programs by specialists in the field of tourism marketing in satellite channels and benefiting from the experiences of neighboring countries such as some media in the Kingdom Saudi Arabia offers many archaeological tourism programs, including a Saudi program that promotes tourism in the Kingdom called ((Tour in the Kingdom)) This program promotes and attracts many tourists annually to Saudi Arabia, and this is one example of promotion in the field of archaeological tourism, in addition to improving the services provided to tourists such as the establishment of hotels with high degrees of luxury and hospitality and the establishment of rest stops as we mentioned in remote and desert areas in the form of heritage buildings belonging to the heritage of the region with Providing souvenirs of the local heritage of Najafi that the tourist can buy from his tour, and since the Iraqi civilization represents civilization for all humanity, so the promotion should be in a number of foreign languages such as English, French and German to attract tourists more effective on those who speak these languages, and we mention many experiences of tourism in the city of Najaf, where there are a number of people who put some short films about their experience to reveal the effects of the city, in addition to some tours. For the educated youth of Najaf in the Bahr al-Najaf region, but these were individual experiences and not supported by the local government, so such activities should be supported to be a tourist attraction for expatriates from inside and outside the country, if we know that archaeological tourism in Iraq was of high importance in the seventies of the last century, as in (1973) a delegation to Iraq registered (500 thousand) foreign tourists, which constituted (25%) compared to the percentage of domestic tourism. A report by the "Mail Deal" newspaper confirmed that Iraq was a very popular destination for tourists from different countries such as Japan, France, Germany and Britain, and in 1989 the number of hotels reached (1906) hotels in all of Iraq that could accommodate about (5 million) tourists.

2. Attracting tourists interested in archaeological tourism in Iraq by providing a safe environment for archaeological tourism in Iraq in general and Najaf Governorate in particular, as this environment can be provided by rehabilitating archaeological sites to be a tourist village without the stature of expatriates or building model tourism villages in locations close to archaeological sites, and raising awareness of the local and international community about the pioneering role of marketing archaeological tourism by broadcasting community ideas and knowledge about the ancient civilization of the Mesopotamian Valley. Although the province of Najaf is considered one of the safest areas in Iraq and it contains its own airport, it is not far from the political fluctuations in the Iraqi state, for this reason it was chosen to establish typical tourist villages far from the city center, it will provide a safe environment for foreign or local tourists, in addition to providing a tourism environment for the desert and the Bedouins in the desert of Najaf, which is the façade of many tourists of all kinds.
3. The citizen is one of the reasons why Najaf Governorate is not a tourist attraction, as the community surrounding the archaeological sites must have an awareness of the importance of tourism, which is of special importance that benefits the country as a whole and the citizen in particular, such as tourism is an important source of saving money and increasing the national income of the country, as some countries rely mainly on tourism to provide capital and build tourism projects in it. Providing job opportunities for residents and residents and thus reducing the unemployment rate. Exchange of cultures and ideas among tourists As a country's population, tourists coming to the country transmit their culture and developments that have taken place in their country to the host citizens and thus stimulate development and progress within the country. Tourism needs to join the efforts of the citizen with the government to revive and increase the number of tourists visiting the country, because the tourist is considered an ambassador of his country and transfers everything he sees inside the country to his country and expresses his feelings and impressions.
4. The role of the citizen in encouraging tourism is to deal with tourists in a positive and gentle way, and this role can be achieved through the awareness of the citizen and training the citizen by the local government to play his role, as the citizen should be confused with the tourist and help him when he asks for help. Avoid trying to exploit tourists under the pretext that they are coming for tourism, so the merchant raises prices on them, or sells them counterfeit goods as genuine, andKeeping the streets, parks, and tourist sites clean, and

using them in good ways so that the tourist can enjoy them, and visit them in the next times. Participating in volunteer work that includes helping and guiding tourists and cleaning tourist sites to preserve tourist sites and gardens from destruction and destruction, andpreserving the beauty of the environment surrounding his private home to preserve the beauty of the town in general. Educating children to respect tourists and not disturb them.

5. The role of the local government in not attracting tourists This role can be corrected through the following steps
   - Encouraging tourism: Facilitating the procedures for tourists entering tourist sites and not complicating them. Setting guidelines related to streets, roads, and everything necessary for the tourist to facilitate his access to any place he wishes. Encouraging work in the tourism sector for citizens and facilitating work procedures.
   - Appointing tour guides in tourist areas and tourist offices to help tourists get to know the best tourist areas, well qualify all archaeological sites and the roads leading to them, and make them more comfortable and enjoy them properly. Setting strict laws that protect tourists from exploitation.
   - Paving the streets well to facilitate movement on them, and securing garbage containers and comfortable seats in tourist places for free. Providing the necessary protection for tourists to move freely while not being afraid of attack, theft, or any kind of assault.
6. The private sector and its role in the development of tourism, as to date, this sector has not played any important role in attracting tourists to expatriates, especially for archaeological cultural tourism, so this sector needs government support for investment and sustainable development in cultural and archaeological tourism, such as giving them investment opportunities in the establishment of model tourist villages far from the city center and close to archaeological and cultural sites for foreign or local tourist arrivals or other tourism investments.

[1] Al-Asadi, Bushra Muhammad Sami, Tourism Investment in Iraq: Elements and Challenges (Najaf Governorate as a Model), Kufa Magazine, Issue 54 of 2019, p. 323

[2] Ibrahim, Muthanna Ma'an, Analysis of the Reality of Tourism Investment in Iraq for the Period from 1980 to 1997 and the Possibilities of its Development, Unpublished Master's Thesis, Faculty of Administration and Economics, Al-Mustansiriya University, 1999, p. 40.

[3] Ayoub, Aseel Fadel, An Analytical Study of the New City of Najaf Project as a Civilizational Model in Iraq, Journal of Geographical Research, Issue 13, University of Kufa, Faculty of Education for Girls, 2011, p. 463.

[4] Al-Khalili, Ja'far, Encyclopedia of the Holy Shrines, Al-Alami Publications Foundation, 1987, vol. 8, p. 281.

[5] Al-Shadidi, Hussein Ahmed, The Tourist Spatial Environment of Najaf Governorate (Investment Planning Vision), Kufa Magazine, University of Kufa, Issue 57, 2020, p. 371

[6] Al-Rubaie, Saad Golub Mutair ,Rest stations for the ancient land pilgrimage route between the holy desert of Karbala and Najaf Al-Sharaf within theIraqi borders until the first Abbasid era(field study ,(Unpublished Master's Thesis, University of Baghdad, 2022, p. 50

[7] Ahmad , Sami Said , Hatra Archaeological curses and tour London , 1972, pp , 103 – 104

[8] Al-Rubaie, Saad Globe, previous source, p. 56.

[9] Al-Dinwari, Abi Muhammad Abdullah bin Muslim Ibn Qutayba Al-Dinwari (d. 276 AH / 898 AD), The Imamate and the Politics known as the History of the Caliphs, Researched by: Ali Shiri, Dar Al-Adwa, Beirut, Lebanon, 1990, Volume 1, p. 11.

[10] Al-Rubaie, Saad Globe, previous source, p. 63.

[11] Ibn Jubayr, Abi Al-Hasan bin Ahmed Jubayr Al-Kinani Al-Andalusi Al-Balsani, (d. 614 AH / 1217 AD), Journey of Ibn Jubayr, 1st Edition, Beirut, 2019, Vol. 1, pp. 186-187

[12] Al-Azzawi, Abdul Sattar Jabbar, "The Old Hajj Road / Darb Zubaydah um Al-Qaroon Station", Sumer Magazine - General Authority for Antiquities and Heritage , Baghdad, 1985-1986, Volume 44, Volume 1 and 2, p. 208

[13] Al-Rubaie, Saad Globe, Ibid., p. 68.

[14] Al-Hazmi, Al-Hafiz bin Muhammad bin Musa (d. 584/1206 AD), Al-Places (What is agreed upon and his name is separated from the places), Riyadh, 1415 A.H., vol. 1, pp. 850-851.

[15] Al-Hamwi , previous source, vol. 7, p. 20

[16] Ibn al-Athir, Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam, al-Kamil fi al-Tarikh, researched: Abu al-Fida Abdullah al-Qadi, 4th edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2003, vol. 1, p.22

[17] Tohmeh, Thamer Aliwi, The Pottery of the City of Al-Hira (An Archaeological Study), Unpublished Master's Thesis, University of Baghdad, 2021, pp. 8-9-10

[18] Al-Sarraf, Fatima Abdel Moneim, Al-Hira between the First and Second Centuries AH: A Historical Study, Unpublished Master's Thesis ,University of Kufa, 2007, pp. 22-23.

[19] *Martina Müller-Wiener, Martin Gussone, Mohammad Hadi Bidan, Ibrahim Salman, Ulrike Siegel, Burkart Ulrich and Frank Stremke,* Al-Hira Survey Project – Campaigns 2015–2018, SUMER, Baghdad, p87

[20] General Authority for Antiquities and Heritage, Department of Excavations and Investigations, Department of Excavations, Excavation Mission, p. 5

[21] Al-Hamwi, the previous source, vol. 3, p. 401

[22] The Important Authority for Antiquities and Heritage, Department of Studies and Research, Department of Scientific Documentation, Qasr Al-Khornak Depository, p. 4

[23] Djait, Hisham, Kufa: The Emergence of the Arab-Islamic City, 2nd Edition, Dar Al-Tali'a for Printing and Publishing, 1992, p. 105.

[24] Al-Janabi, Kadhim, Planning the City of Kufa from Historical and Archaeological Sources, Al-Mustansiriya University, Baghdad, 1967, p. 341.

[25] 0 Khalifa, Muhammad Ali, The Princes and Rulers of Kufa, vol. 3, Al-Sadiq Printing and Publishing Foundation, Tehran, 2004, pp. 111-123.

[26] Murtada Karim Abdul Hussein Majeed, Planning and Architecture of Heritage Buildings in the City of Kufa until the End of the Royal Era (1377 AH / 1958 AD) Unpublished Master's Thesis, University of Al-Qadisiya, 2024, p. 41

[27] Ibid., p. 42.

[28] Mirza, Maumelle Salim, The Walls of the City of Najaf and its Stages of Development, University of Kufa, Journal of Girls' Education for Humanities, Issue 21 of 2017, p. 333.

[29] Mahbuba, Sheikh Ja'far, Past and Present of Najaf, Najaf, 1958, vol. 1, p. 211

[30] Mahbuba, Ibid., p. 213.

[31] Mazra, Muamel Salim, Al-Madar Religious Architecture in Najaf, Najaf Heritage Magazine, First Issue of 1430 A.H., p. 266

[32] Mazra, Muamel Salim, Ibid., p. 266.

The Figure

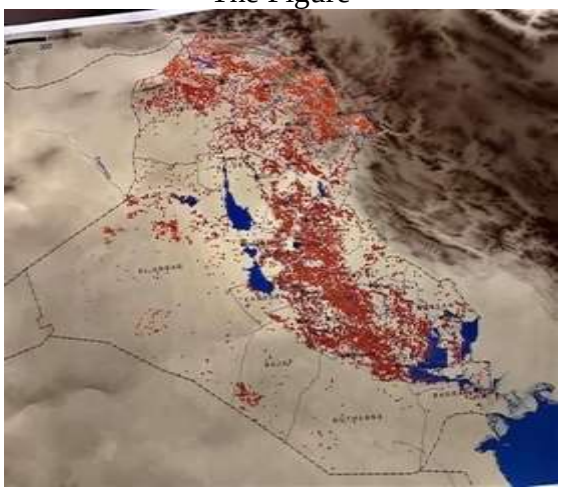


Figure (1) Map of Iraq showing all archaeological sites (General Authority for Antiquities and Heritage)



Figure (2) Map of Iraq showing the location of Najaf Governorate in relation to Iraq)



Figure (3) and (4) Picture of the Najaf Sea in Najaf Governorate



Figure (5) represents a beautiful view of the Najaf Flyers overlooking the Najaf Sea.



Figure (6) Picture of Khan Al-Rahba



Figure (7) Picture of the pond



Figure No. (7) Wadi Al-Sabaa Station in Najaf Al-Ashraf Governorate



Figure No. (8) Minaret of um Al-Qarn in Najaf Governorate



Figure No. (9) Al-Ghaitha stationin Najaf Al-Ashraf Governorate



Figure No. (10) The Sound of Christian Antiquities in Abd al-Masih Monastery



Figure No. (11) The sound of Christian antiquities in Abd al-Masih Monastery inside the walls of Najaf Al-Ashraf International Airport



Figure No. (12) The sound of Christian antiquities in Abd al-Masih Monastery inside the walls of Najaf Al-Ashraf International Airport



Figure No. (13) Picture of um Khashm Cemetery today after the theft



Figure No. (14) Al-Khorang Palace in Historical Photographs in Najaf Governorate



Figure No. (15) The remaining part of the wall of Najaf



Figure No. (16) Pictures of the Grand Market in Najaf Governorate



Figure (16) Picture of the upper threshold



Figure No. (17) Picture of Khan Al-Sheilan



Figure No. (18) Picture of Al-Yazdi School